يا حفيظ يا كبيكج

المجلد الاول من تفسير انوار الحقائق

كتاب

سورة الفاتحة	سورة البقرة	سورة آل عمران	سورة النساء	سورة المائدة	انعام	اعراف
٢٩	٥١	٢٧٣	٣٤٣	٤٢١	٤٧٤	٥١٥

انفال	توبة
٥٥٨	٥٧٥

المجلد الاول من تفسير شمس الدين

١٧٦

الجزء الاول من انوار الحقايق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القادر العليم ◦ رب العالمين بفضله العميم ◦ خالق الانسان في احسن تقويم الرحمن برحمته عمت اهل
الجنة والجحيم ◦ الرحيم برحمة خصت بالابرار الذين هم في نعيم مالك يوم الدين ◦ يوم تدان كما تدين اياك نعبد نخصك
بالعبادة كما هو اهل السعادة ◦ واياك نستعين ◦ في القيام بمصالح الدنيا ومنافع الاخرى اهدنا الصراط المستقيم ◦
صراط المبعوثين بالدين القويم الذين انعمت عليهم من النبيين والمرسلين ◦ والشهدا والصالحين ◦ غير المغضوب عليهم
من المعاندين والجاحدين ◦ ولا الضالين من الغاوين ◦ والجاهلين ◦ والصلاة والسلام على خير خليقته محمد الذي ارسله
بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا ◦ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا انزل عليه قرانا لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثله لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ◦ وعلى اله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ◦ واصحابه الذين
رفعوا الحق ودمروا الباطل تدميرا **اما بعد** فانه لما كان التفسير للقران العظيم والتدبير في اياته موقوفا على فنون
كثيرة من العلوم العقلية والنقلية كما سيجي بيانه تصفحت الكتب المصنفة في علم التفسير التي وقعت الي فلم اطلع على كتاب
مهذب جامع لما يفتقر اليه من رغب فيه ورايت رغبة الطالبين في مصنف شانه هذا واشار الي من اشارته حكم وطاعته
حتم بتاليف كتاب واف بما بين اطرافها كاف لاستيفا لطايفها ◦ فاستخرت الله تعالى وشرعت في تصنيفه على هذا الوجه
المشار به مع قلة البضاعة وقصور الباع في الصناعة **وسميته انوار الحقايق الربانية في تفسير لطايف القران**
فاسال الله الاصابة في البيان والعصمة من الخطا والطغيان والمسول من احسان من هو منصف وعن الاعتساف منصرف
انه اذا اطلع على خطا اصلحه مساعدا لا معاندا ومعاضدا لا محاسدا فاني للخطايا بالمعترف وبالعجز والقصور لمعترف ◦
اللهم وفقنا لسلوك سبيل الرشاد ويسر لنا الاستقامة والسداد وجنبنا عن التعسف والعناد **اعلم** ان من
حاول علما حقيق به ان يتصور حده ليكون الطلب على سبيل البصيرة ويعرف مسايله وما يبحث في ذلك العلم عن احواله ◦
ومباديه والغرض منه وجدواه والحاجة اليه وغاية سعيه فيه لئلا يكون سعيه عبثا ومرتبته من العلوم المرتبة السفلى
فان طالبه اذا اطلع في بادي الامر على قواعده ومبانيه يرجى له الظفر بمقاصده ومباغيه **فلنصدر** ما نحن بصدده
من تفسير القران المجيد بمقدمات يكشف عنها **المقدمة الاولى** في بيان احتياج الانسان الى النبي صلى الله عليه وسلم
في امر الدنيا والاخرة ◦ اما احتياجه الى النبي صلى الله عليه في امر الدنيا فلان الله تعالى خلق الانسان ضعيفا لا يستقل

وحده بامور معاشه لاحتياجه الى غذا ومسكن ولباس وسلاح كلها صناعي ليس كساير الحيوانات التي تحصل ما يحتاج
اليه من الغذا واللباس والمسكن والسلاح بغير صنعة والشخص الواحد لا يمكنه القيام باصلاح تلك الامور وترتيبها
الا في مدة طويلة فلما يعيش تلك المدة وان عاش يعسر عليه التمكن فيه من اصلاحها فيسر الله تعالى جماعة يتعاضدون في
تحصيلها بان يزرع هذا لذلك ويخبز ذلك لهذا ويخيط واحد لاخر ويتخذ الاخر الابرة له وعلى هذا قياس كساير الامور فيتم امر
معاش كل من اشخاص الانسان باجتماع ومعارضة بان يعمل كل واحد لصاحبه بازا عمل صاحبه له ومعاوضته بان يعطي كل واحد
صاحبه من عمله بازا ما ياخذ منه من عمله فاذا الانسان يفتقر في امر معاشه الى اجتماع على التعاضد والتعاوض والتعاون ◦
والتعارض والاجتماع عليها لا يستغني عن معاملة وعدل بينهم فان كل واحد يشتهي ما يحتاج اليه ويغضب على مزاحمه
فيه ويختار جميع ما يشتهيه لنفسه وحصول المشتهيات الدنيوية لواحد يقتضي الى فواتها عن الاخرين فيودي الى
المزاحمة والانسان اذا زوحم على ما يشتهيه غضب على مزاحمه فيدعوه شهوته وغضبه الى الجور على غيره ليستبد
بذلك المشتهى فيقع بسبب ذلك التنازع فيختل امر الاجتماع وهذا الاختلال لا يندفع الا اذا كان بينهم معاملة وعدل
متفق عليهما فاذا لا بد من معاملة وعدل وهما غير شاملين للوقايع الجزئية التي لا تحصى فلا بد من ضابط كلي وهي الشريعة
وهي لغة مورد لشاربه سمي بها لاستوا الناس في الانتفاع بها والشريعة لا بد لها من شارع يسنها على الوجه الذي
ينبغي ثم انهم لو تنازعوا في وضع الشريعة لانفسد النظام واختل المعاش فينبغي ان يمتاز الشارع منهم باستحقاق الطاعة
لينقاد الباقون في قبول الشريعة وذلك الاستحقاق انما يتحقق باختصاص الشارع بايات تدل على ان تلك الشريعة
من عند ربهم وتلك الايات هي المعجزات وهي قوليه وفعليه والخواص للقوليه اطوع والعوام للفعلية اطوع ولا تتم
الفعلية مجردة عن القولية لان النبوة والاعجاز لا يحصلان من غير دعوة الى خير فاذا لا بد من شارع هو نبي صاحب معجزة
ثم ان الجمهور من الناس يستحقرون اختلال الشريعة النافعة لهم في مصالحهم التي بحسب النوع عند غلبة الشهوة
والداعية الى استيفا مشتهياتهم بحسب الشخص فيقدمون على مخالفة الشريعة واذا كان للمطيع والعاصي ثواب ◦
وعقاب يحملهم رجا الثواب ◦ وخوف العقاب على الطاعة وترك المعصية فالشريعة لا تنتظم بدونه فاذا ينبغي ان يكون
للمطيع والعاصي جزا من عند الله العليم بما يبدونه وما يخفونه من اقوالهم وافعالهم وافكارهم القدير على مجازاتهم ومكافاتهم
الغفور لمن يشا مغفرته المنتقم لمن يريد انتقامه وينبغي ان يكون معرفة المجازي والشارع واجبة عليهم ولا يشغلهم بشي من
معرفة الله تعالى فوق معرفته انه واحد حق لا شبيه له ولا يكلفهم ان يصدقوا بوجوده وهو غير مشار اليه ولا منقسم ولا خارج
العالم ولا داخله ولا شيا من هذا القبيل فانه يعظم عليهم الشغل ويشوش الدين ويوقعهم فيما لا محيص عنه ومثل هذه المعرفة ◦
يستدعي ان يكون معها سنن حافظة لها وهو التذكار المجامع للتكرار وما اشتمل عليها انما يكون عبادة مذكرة للمعبود متكررة
في اوقات متتالية كالصلاة وما يجري مجراها فاذا ينبغي ان يكون الشارع داعيا الى التصديق بوجود خالق واحد عليم قدير والى
الايمان بشارع مرسل اليهم من عنده صادق والى الاعتراف بوعد ووعيد وثواب وعقاب اخروين والى القيام بعبادات
يذكر فيها الخالق بنعوت جلاله والى الانقياد لسنته التي يحتاج اليها الناس في معاملاتهم **واما** احتياجه الى النبي صلى الله
عليه وسلم في امر الاخرة فلان العقل لا يهتدي الى الافعال المنجية في الاخرة كما لا يهتدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة
الخلق الى الانبيا في النجاة من النيران ودخول الجنان كحاجتهم الى الاطبا في حفظ الصحة وازالة المرض وطريق معرفة صدق ◦
النبي في دعوى نبوته ظهور المعجزة على يده والمعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة فالامر الخارق للعادة يشمل
الاتيان بغير المعتاد ونفي المعتاد وبه يتميز المدعي عن غيره وقوله مقرون بالتحدي احتراز عن اتخاذ الكاذب معجزة من
مضى حجة لنفسه وعن الارهاص وهو احداث امر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته وعن الكرامات وقوله
مع عدم المعارضة احتراز عن السحر والشعبذة والتحدي لغة المماراة والمنازعة وانما كان ظهور المعجزة طريقا لمعرفة صدق مدعي
النبي للعلم الضروري بانه اذا اقام انسان ذو اخلاق مرضية وسيرة مستحسنة وسريرة صافية عند الخواص والعوام وادعى
انه مبعوث من عند الله وقال الدليل على صدق قولي ان الله يظهر على يدي امرا خارقا للعادة وظهر وقال [illegible]

يصدق قنى فليات بمثل ما ظهر على يدى وعجز من يداه عن ذلك يحصل للعاقل تام بانه صادق فى دعواه والحجة على ثبوت نبوة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه ادعى النبوة واقترن بادعايه النبوة ظهور المعجزة ومن كان شانه ذلك كان نبيا اما انه
ادعى النبوة فبالتواتر واما اقتران ظهور المعجزة بادعايه النبوة فلانه اقترن به ظهور معجزة القران وغيره اما انه اتى
بالقران ولم ياتى به غيره فالتواتر واما انه معجزة فلانه تحدى به فصحا العرب وبلغاهم لقوله تعالى وان كنتم فى ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وامتنعوا عن المعارضة مع توفر دواعيهم عليها واشتهارهم بالافراط فى المضا
والمضارة وكونهم فى كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم بمعجزة اتوه بمفاخر وان رماهم احد بمارة رموه بما شر
وقد جردهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد
زخر وطم على المراكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب وذلك يدل على ان القران معجز واما انه اتى بغير القران
من المعجزات ولانه اخبر عن المغيبات وهو معجز اما انه اخبر عن المغيبات فلقوله تعالى الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم
من بعد غلبهم سيغلبون وكان قد وقع كما اخبر وقوله تعالى ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد والمخاطب هو النبى
صلى الله عليه وسلم واراد بمعاد مكة فان معاد الرجل بلده فانه يطوف فى البلاد ثم يعود اليها وقوله تعالى ستدعون
الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون وقد وقع ذلك لان المراد بقوم اولى باس شديد عند بعض بنو حنيفة وقد
دعا ابو بكر رضى الله عنه المخلفين من الاعراب الى بنى حنيفة ليقاتلوهم او يسلموا وعند بعضهم اهل فارس وقد دعا
عمر رضى الله عنه المخلفين من الاعراب الى اهل فارس ليقاتلوهم او يسلموا وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم اى ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم كما استخلف الذين من قبلهم
اى بنى اسرائيل لما هلك الجبابرة بمصر واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وقد وقع مطابقا لما اخبر والمراد من الذين
امنوا الصحابة بدليل قوله تعالى منكم وبدليل قوله تعالى وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وهم كانوا خايفين فى صدر
الاسلام وقد انجز الله وعده لهم وقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلثون سنة وكانت مدة خلافة الايمة الراشدين
ابى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن ثلثين سنة وقوله عليه السلام اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر وقوله صلى الله عليه
وسلم لعمار بن ياسر رضى الله عنه تقتلك الفئة الباغية وقد قتله يوم صفين الفئة الباغيه يعنى معاوية وقوله صلى الله
عليه وسلم لعباس رضى الله عنه حين اسر فى اسارى بدر وطلب النبى صلى الله عليه وسلم فدا نفسه وابن اخيه عقيل بن
ابى طالب وعجز العباس نفسه عن الفدا ان المال الذى وضعت بمكة عند ام الفضل وليس معكما احد وقلت ان اصبت
فلعبد الله كذا وللفضل كذا فقال العباس ما احد غيرى والذى بعثك بالحق انك رسول الله واسلم هو وعقيل وكاخباره
عن موت النجاشى روى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم نعى الناس بموت النجاشى يوم مات وقال لاصحابه صلوا على اخيكم
النجاشى وخرج بهم الى المصلى فكبر بهم اربع تكبيرات ثم جات بعد الاخبار انه مات فى ذلك اليوم واخباره صلى الله عليه
وسلم عما يحدث من الفتن والعلامات اى اشراط الساعة كاساءة بغداد روى ابو بكر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال تنزل ناس من امتى بغايط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر اهلها ويكون من امصار
المسلمين فاذا كان اخر الزمان جاء بنو قنطورا عراض الوجوه صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق اهلها
ثلث فرق فرقة ياخذون اذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة ياخذون لانفسهم وفرقة يجعلون ذراريهم وراء
ظهورهم يقاتلون وهم شهدا وكان كما اخبر فان المراد بذلك المصر بغداد وقد اغار بنو قنطورا يعنى الترك وقد
تفرق اهل بغداد فى تلك الغارة ثلث فرق كما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم وكاخباره صلى الله عليه وسلم عن نار بصرى
وهى مدينة بالشام فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضى اعناق
الابل ببصرى وكان كما اخبر فانه نقل عن الثقات ان نارا خرجت فى ارض الحجاز سنة اربع وخمسين وستماية وقد
اضاءت هضبتا تهامة حيث رئيت من بصرى هذه اخبار عن المغيبات فى الامور المستقبلة واما الاخبار فى الامور الماضية
فما كان من اقاصيص الاولين من غير مطالعة كتب ولا رجوع الى اهل التواريخ بحيث لم يتمكن احد من التخطية ومن

جملة الامور الخارقة للعادة بلوغه هذا المبلغ العظيم من الحكمة النظرية كمعرفة الله تعالى وصفاته واسمايه واحكامه
بل جميع العلوم العقلية والنقلية ومن الحكمة العملية كعلم الاخلاق وتدبير المنزل وسياسة المدن لغته من غير تعلم
وممارسة فانه صلى الله عليه وسلم لما لم يكن من قبيلة اهل العلم وكان من بلد لم يكن فيها احد من اهل العلم وما سافر سفرا
الى بلد اهل العلم فانه سافر مرتين الى الشام مدة يسيرة علم كل احد من اعدايه انه لم يتفق له فيهما مخالطة مع اهل العلم
ونقل عنه معجزات اخر كانشقاق **روى** انس ان اهل مكة سالوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين
حتى راوا الجبل بينهما وتسليم الحجر **روى** جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم قال انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث
وكنبوع الماء من بين اصابعه قال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضا منها ثم اقبل الناس
نحوه قالوا ليس عندنا ما نتوضا به ولا نشرب الا ما فى الركوة فوضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين
اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضانا قيل لجابر كم كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشرة ماية وكحنين الجذع
قال جابر كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع المنبر فاستوى صلى الله عليه وسلم
عليه صاحت النخلة التى كان يخطب عندها حتى كادت ان تنشق فنزل النبى صلى الله عليه وسلم فاخذها فضمها اليه
فجعلت تان انين الصبى الذى يسكت حتى استقرت وكشكاية الناقة من كثرة العمل وقلة العلف قال يعلى بن مرة
الثقفى ثلثة اشيا رايتها من النبى صلى الله عليه وسلم بينما نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما راه البعير جرجر
فوضع جرانه فقال النبى اين صاحب هذا البعير فجاء فقال له بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت ما لهم
معيشة غيره قال اما اذ ذكرت هذا من امره فانه شكى كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه جرجر البعير صوت وجران
البعير مقدم عنقه وكشهادة الشاة المسمومة **روى** جابر ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى رسول
الله فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارفعوا ايديكم وارسل الى اليهودية فدعاها فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك فقال اخبرتنى هذه فى يدى
يعنى الذراع قالت نعم قلت ان كان نبيا لا يضره وان كان غير نبى استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يعاقبها الى غير ذلك من المعجزات المذكورة فى كتب دلايل النبوة وان لم يتواتر كل واحد منهما فالقدر المشترك منها متواتر
لان مجموع الرواة بلغوا حد التواتر والقدر المشترك متحقق فى روايات المجموع فيكون متواترا ومما يدل على نبوته صلى الله
عليه وسلم سيرته وصفاته المتواترة كملازمة الصدق فانه لم يكذب قط فيما يتعلق فى الدنيا ولا فيما يتعلق بالدين
ولهذا لم يتمكن اعداوه من نسبة الكذب اليه فى شى من الاشيا وكالاعراض عن متاع الدنيا مدة عمره مع القدرة عليه شاهد
عرض قريش عليه المال والرياسة ونكاح من يرغب فيها ليترك دعواه واعراضه عنه وكسخاوته صلى الله عليه وسلم فى الغاية
حتى عاتبه الله تعالى فقال ولا تبسطها كل البسط وكشجاعته صلى الله عليه وسلم الى حد لم يفر قط من احد وان عظم الرجال
مثل يوم احد ويوم حنين ولهذا اذا اشتد الباس اتقى به الناس وكالفصاحة التى افحمت مصاقع الخطبا والحمت العرب
العربا وكالاصرار على الدعوى مع ما يرى من البلوى عليه صلى الله عليه وسلم ما اوذى نبى مثل ما اوذيت من غير فتور
فى العزم كما صبر اولوا العزم وكالترفع على الاغنيا والتواضع مع الفقرا وهذه السيرة والصفات لا تكون الا
للانبيا ومما يدل على نبوته اخبار الانبيا السالفة فى كتبهم عنها

المقدمة الثانية فى انه كيف كان بدء الوحى فى
صحيح البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف انا مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضى الله عنها ان الحرث
ابن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحى فقال صلى الله عليه وسلم احيانا
ياتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول
قالت عايشة لقد رايته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا اى يسيل
الصلصلة صوت الحديد اذا حرك قال ابو سليمان الخطابى يريد والله اعلم انه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه
عند اول ما يقرع سمعه حتى يتفهمه ويستثبت فيتلقفه حينئذ ويعيه ولذلك قال وهو اشده على فيفصم عنى

يقلع عنه يقال افصم المطر اي اقلع وافصمت عنه الحمى **وفيه** حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن
ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عايشة رضي الله عنها انها قالت اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا
الصادقة في النوم وكان لا يرى الرويا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا وكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه الليالي
ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو
في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا قلت ما انا بقاري فقال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا
بقاري قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك
الاكرم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني
فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله لا يخزيك الله ابدا
انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به
ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب
من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عمي اسمع من ابن اخيك فقال
يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال ورقة هذا الناموس الذي نزل الله عز وجل
على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم
لم يات رجل قط بمثل ما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر
الوحي قال ابن شهاب واخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله الانصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي
فقال في حديثه بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس على كرسي بين السما
والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر فحمي
الوحي وتتابع فلق الصبح ضوءه اذا انفلق فقال فلقت الشي فانفلق اي شققته فانشق والفلق بالتحريك الصبح بعينه
فقال فلق الصبح فالقه وحرا بالكسر والمد جبل بمكة مذكر ومونث قال الشاعر السنا اكرم الثقلين طرا واعظمهم
ببطن حرا نارا فلم يصرفه يتحنث يتعبد والتحنث التعبد سمي به لانه تلقي به الحنث والذنب عن نفسه ومثله التحوب
والتحرج والتاثم القا الحوب والحرج والاثم عن نفسه ينزع الى اهله اشتاق والغط الضغط الشديد ومنه الغط في الما
والجهد بالضم الطاقة وبالفتح من قولك اجهد جهدك في هذا الامر اي ابلغ غايتك ويرجف فواده اي يخفق ويضطرب
والرجفة شدة الحركة وزملوني دثروني وتزمل الرجل بالثوب اشتمل عليه وقوله تحمل الكل اي المنقطع اي انك تعين الضعيف
والكل الذي لا يغني نفسه ومنه قيل للعيال كل والكل اليتيم وتكسب المعدم وروي في بعض الروايات تكسب المعدوم وهو
الاصوب لان المعدوم لا يدخل تحت الافعال اي يعطي العايل يقال كسبت الرجل مالا واكسبته اي اعطيته والاول
افصح وناموس الرجل سره الذي يطلعه على باطن امره ويخصه بما يستره عن غيره يقال نمس الرجل ينمس نمسا وقد
نامسته منامسة اذا ساررته فالناموس صاحب سر الخير واهل الكتاب يسمون جبريل الناموس وجذعا اي شابا
والاصل في الجذع من الدواب وهو الثني وفي حديث علي رضي الله عنه وانا جذعها اي جذع اي حدث في السن فزاد في
اخرها ميما للتاكيد وتوطهم ولا ريب في هذا الامر جذع اي حدث ونصب جذعا لان معناه ليتني كنت فيها جذعا وتانيث ضمير
المجرور في فيها للاضمار النبوة او الدعوة او الدولة اي ليتني كنت شابا وقت دعوتك ونبوتك ونصرا موزرا اي بالغا في
القوة وقوله تعالى اشدد به ازري اي ظهري وازرت ولا ناو يقال ازرته تازيرا اي شددته فاشتد ونشب
في الشي علق فيه **وعن** سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك شفتيه اذا انزل يخشى ان ينفلت منه فانزل الله عز وجل لا تحرك
به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه في صدرك وقرانه ان تقراه فاذا قراناه اي انزلناه فاتبع قرانه استمع له وانصت
ان علينا ان نبينه على لسانك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه بعد ذلك جبريل اطرق فاذا ذهب قراه كما

زد

وعده سبحانه **وعن** ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربعين سنة فمكث بمكة ثلث عشرة سنة يوحى
اليه ثم امر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلث وستين سنة هذا حديث متفق على صحته **وعنه** انه قال
اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيا وثماني سنين
يوحى اليه واقام بالمدينة عشرا **واعلم** ان الوحي من الله تعالى على انبيايه على انواع قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا فقيل الوحي الاول ما اراهم في المنام قال عبيد بن عمير رويا
الانبيا وحي وقرا اني ارى في المنام اني اذبحك وقوله او من ورا حجاب كما كلم الله موسى من ورا حجاب حتى قال ارني
انظر اليك وقوله او يرسل رسولا هو ارساله الروح الامين قال الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقد كان لنبينا
صلى الله عليه وسلم جميع هذه الانواع قال الله عز وجل في روياه لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقال في الكلام فاوحى
الى عبده ما اوحى وفي ارساله جبريل نزل به الروح الامين على قلبك ومن الوحي ما ياتي به جبريل ومنه ما ياتي به غيره من
الملايكة ومنه ما يكلمه الملك بامر الله تكليما ومنه ما ياتيه فيلقي في روعه ومن الوحي ما كان سرا بينه وبين الله تعالى
فلم يحدث به احدا ومنه ما حدث به الناس وذلك على نوعين منه ما كان مامورا بكتبه قرانا ومنه ما لم يكن مامورا
بكتبه قرانا فلم يكن من القران **وعن** ابن عباس قال يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل
الا بامر ربك قوله وما كان ربك نسيا اي ما نسيك ربك وان تاخر الوحي واتفق اهل السنة والجماعة ان كلام الله منزل
واختلفوا في معنى الانزال فمنهم من قال معناه انزال القراة ومنهم من قال ان معناه ان الله تعالى الهم كلامه جبريل وهو
في السما وهو عال من المكان وعلمه قراته ثم جبريل اداه في الارض وهو يهبط من المكان والانزال بحسب الاحباب وهو الى
السما الدنيا جملة والتنزيل بحسب التفصيل عند الاحتياج منجما وفي الانزال الى السما الدنيا قولان احدهما **روي**
عن عكرمة عن ابن عباس قال انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السما الدنيا في ليلة القدر ثم انزل الله بعد
ذلك في عشرين سنة وثانيهما انه انزل من اللوح المحفوظ الى السما الدنيا دفعة واحدة مقدار ما يكون منزلا في سنة واحدة بحسب المصالح
فعلى هذا الانزال عشرين مرة والتنزيل في عشرين سنة وفي التنزيل طريقان احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انخلع من صورة البشرية الى صورة الملايكة واخذ من جبريل والثاني انه انخلع الملك الى البشرية حتى ياخذ الرسول منه والاول
اصعب الحالين واختلفوا في اول ما نزل من القران فاثبت ما نقل انه اقرا رواه عروة عن عايشة وبه قال قتادة وابو
صالح وروى عن جابر انه يا ايها المدثر **والظاهر** انه لما نزل عليه اقرا رجع فتدثر فنزل عليه يا ايها المدثر يدل عليه ما اخرجه
في الصحيحين من حديث جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي الحديث واختلفوا في اخر ما نزل فروى
البخاري في افراده ان اخر اية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اية الربوا وفي افراد مسلم اخر اية نزلت جميعا اذا جا نصر الله
وروى الضحاك عن ابن عباس ان اخر اية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهو مذهب سعيد بن جبير وابي صالح وروى
ابن اسحق عن البرا ان اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول الى اخر السورة **المقدمة الثالثة** القران فعلان من القراة وهو ضم
ما كان متفرقا وقرات الشي قرانا جمعته وضممت بعضه الى بعض ومنه قولهم ما قرات هذه الناقة سلا وما قرات جنينا اي لم تضم
رحمها على ولد وقرات الكتاب قراة وقرانا ومنه سمي القران ولا يتناول في عرف الشرع الا المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
والكتاب عام مطلق على التورية والانجيل وغيرهما من الكتب والفرقان مصدر فرقت بين الشيين افرق فرقا وفرقانا والفرقان
يطلق على القران وعلى كل ما يفرق به الحق والباطل قال الله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان وقال تعالى ولقد اتينا
موسى وهرون الفرقان فالفرق جامع ما كان متفرقا سمي بذلك اما بالنظر للعام فلانه جامع للسور والايات واما بنظر ادق
من ذلك فلانه جامع لما يحتاج اليه الناس من امر معاشهم ومعادهم مما يتبلغون به الى الاخرة ولهذا قال تعالى ما فرطنا في الكتاب
من شي وقال تعالى تبيانا لكل شي اذا عرفت هذا **فنقول** القران هو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه
وسلم للاعجاز بسورة منه والكلام قد يطلق ويراد به العبارات الدالة على ما في النفس تقول سمعت كلام فلان قال الله تعالى
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ولا يخفى ان المسموع هو العبارات وقد يطلق ويراد به مدلول

العبارات وهي المعانى التي هي في النفس كما قيل ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا اراد باللسان
الالفاظ فان اللسان كما يطلق على الجارحة المخصوصة يطلق على الالفاظ قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
واراد بالفؤاد ما فى الفؤاد تسمية للشي باسم محله فى الموضعين والكلام المنزل هو الاول ويخرج به الكلام النفسي وكلام البشر
وقوله على محمد يخرج به الكلام المنزل على ساير الانبيا وقوله للاعجاز يخرج به الكلام المنزل على محمد الذى ليس للاعجاز كالاحاديث
الربانية وقوله بسورة منه واراد به بعضا مخصوصا تساوى في القدر الكوثر التي هي اقصر سورة بيان للواقع لا للاخراج فان
القران كما هو منزل للاعجاز لذلك اقصر سورة منه منزل للاعجاز والقران اسم للمجموع ويسمى بعض القران قرانا تسمية للجزء باسم
الكل ويقال ايضا للمكتوب القران والسورة فعله وواوها اما اصلية او منقلبة فان كانت اصلية فهي اما ان تكون ماخوذة
من سور المدينة لانها طايفة من القران محوزة محدودة على حيالها محيطة بما فيها كالبلد المسور فاريد بالسورة المسورة
كما يراد بالحايط المحوط او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد كاحتوا سور المدينة على ما فيها او ماخوذة من
السور التي هي المنزلة والرتبة قال النابغه ولرهط حراب وقد سورة فى المجد ليس غرابها بمطار اى هو مجد ثابت لا يزول
جعل للرتبة فى المجد غرابا وهى كناية عن الثبات اى هذه الرتبة بحالها فلا مطار غرابها لاجل علوها وانما خص الغراب
لانه مثل في الحذر ومن امثالهم فى الخصب وكثرة الخير قولهم فى شي لا يطير غرابه ويقال اطير الغراب فهو مطار وقال
الوتر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونه يتذبذب لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يرتقي بها القارى وهي في
انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها فى الدين وان كانت واوها منقلبة من همزة فهي
ماخوذة من السورة التي هي البقية من الشي والفضلة منه من اسارت اى ابقيت قطعة لانها قطعة وطايفة من القران
مفرزة والاية لغة العلامة قال الله تعالى ان اية ملكه اى علامة ملكه قال النابغه توهمت ايات لها فعرفتها لستة
اعوام وذا العام سابع والاية الجماعة يقال خرج القوم بايتهم اى بجماعتهم قال سيبويه اصل اية اية مثل اكمة وشجرة تحركت
اليا وانفتح ما قبلها فقلبت الفا وصارت اية وقال الكساي اصلها اية مثل امة قلبت اليا الاولى الفا ثم حذفت قال الفرا
اصلها اية بتشديد اليا فقلبت اولاهما الفا فصارت اية وسميت الاية من القران اية لانها علامة لانقطاع كلام من كلام او لانها
جماعة من حروف القران والصحيح انها تعلم بتوقيف من الشارع لا مجال للقياس فيه كمعرفة السورة فالاية طايفة حروف
من القران علم بالتوقيف انقطاعها عن معنى الكلام الذى بعدها فى اول القران وعن الكلام الذى قبلها فى اخر القران
وعن الكلام الذى قبلها والكلام الذى بعدها فى غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك وبهذا القيد خرجت السورة وهي طايفة
حروف من القران علم بالتوقيف انقطاعها عما بعدها فى اول القران وعما قبلها فى اخر القران وعما قبلها وبعدها فى غيرهما
اقلها ثلاث ايات

المقدمة الرابعة

فى بيان اعجاز القران اعلم ان المعجزة لا تكون الا للانبيا وهي اما حسية تدرك
بالحس كطوفان نوح وبرد النار على ابرهيم وعصا موسى واما عقلية تدرك بالبصيرة كالاخبار عن الغيب والاتيان
بحقايق العلوم من غير تعلم والحسية يشترك فى ادراكها الخاصة والعامة وهي اوقع عند العامة واسرع لادراكهم ولكن لا
يكاد يفرق بين ما هو معجزة حقيقية وبين ما هو شعبذة او سحر او احتيال هندسى الا ذو سعة فى العلوم التي تعرف بها
هذه الامور والعقلية لا يعقلها الا العالمون من ذوى العقول السليمة والافهام المستقيمة المتخصصين بالهداية الالهية
المنفردين بالرؤية المتناهية الذين قصارى بغيتهم ادراك الحق وقد جعل الله تعالى اكثر معجزات بنى اسرايل حسية
لبلادتهم وقلة بصيرتهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكايهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت
باقية على صفحات الدهر ووجنات الارض الى يوم القيامة كان اكثر معجزاتهم عقلية باقية وما اتى به نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم من المعجزات الحسية كحنين الجذع ومجي الشجرة ونبوع الما من بين اصابعه واطعام الخلق الكثير من الطعام اليسير
فقد احصاها اصحاب الحديث فى كتب دلايل النبوة وقد اشرنا الى بعضها فى المقدمة الاولى واما المعجزات العقلية
فمن تفكر فيما اورده صلى الله عليه وسلم من الحكم التي عجزت عقول ذوى الالباب عن تعقلها وقصرت اذهان ذوى البصاير
عن تفهم بعضها باوجز عبارة والطف اشارة اطلع على حقايق لطيفة ودقايق شريفة ومما خصه الله تعالى به من المعجزات

القران

القران المجيد الذى هو تنزيل من الله الحكيم الحميد كتاب ساطع تبيانه قاطع برهانه مفحم من طولب بمعارضته من البلغا مبكم
من تحدى به من الفصحا فقد عاموا ليلا ونهارا الى معارضته قال الله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين وقال الله وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق
الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين وقال تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضايق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شي وكيل ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من
دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون وقال تعالى
قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا عن الاتيان
بما يوازيه عن التصدى بايراد ما يدانيه مع انهم اصحاب بسطة فى الكلام وقد بذلوا وسعهم فى اطفا نوره واخفا امره
فتارة قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون وتارة قالوا لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير
الاولين وتارة قالوا لولا نزل عليه القران جملة وتارة قالوا ايت بقران غير هذا او بدله كل ذلك للعجز عن الاتيان بمثله ولا
يقال عورض ولم ينقل لانا نقول دواعى النفس متوفرة على نقل ما دق وجل وقد صنف كتب كثيرة فى الطعن على الاسلام
وقد نقلت وتداولت واشتهرت فلو عورض القران لنقل فلما لم ينقل دل على انه لم يعارض وهذه الجملة دالة على انه
معجز اما هو اللفظ ام المعنى ام النظم ام ثلاثتها واعلم ان اعجاز القران ذكر من وجهين احدهما اعجاز متعلق بنفسه
والثانى بصرف الناس عن معارضته والاول اما ان يتعلق بفصاحته وبلاغته او بمعناه اما الاعجاز المتعلق
بفصاحته وبلاغته ولا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى فان الفاظه الفاظهم قال تعالى قرانا عربيا وقال
تعالى الم ذلك الكتاب تنبيها على ان القران من هذه الحروف التي هي عنصر الكلام ولا يتعلق بمعانيه فان كثيرا منها موجود
فى الكتب المتقدمة قال الله تعالى وانه لفى زبر الاولين وقال تعالى ا ولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى وما هو فى القران
من المعارف الالهية وبيان المبدا والمعاد حاصله من غير سبق تعليم وتعلم ولكون الاخبار بالغيب اخبارا بالغيب سوا
كان بهذا النظم او بغيره مورد ابالعربية او بلغة اخرى بعبارة او باشارة فاذا بالنظم المخصوص صار القران قرانا كما
انه بالنظم المخصوص صار الشعر شعرا والخطبة خطبة فالنظم المخصوص صورة القران واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف
الصور يختلف حكم الشي واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فانه باختلاف صورها اختلف اسماوها لا بعنصرها
الذى هو الذهب والفضة والحديد فان الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتما وان كان العنصر
مختلفا وان اخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلف اسماوها باختلاف صورها وان كان العنصر واحدا وقد ظهر
من هذا ان الاعجاز المختص بالقران يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزا متوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان
ان هذا النظم مخالف لنظم ما عداه فنقول مراتب تاليف الكلام خمس الاولى ضم الحروف المبسوطة بعضها الى بعض ليحصل
الكلمات الثلاث الاسم والحرف والفعل والثانية تاليف هذه الكلمات بعضها مع بعض ليحصل الجمل المفيدة
وهي النوع الذى يتداوله الناس جميعا فى مخاطباتهم وقضا حوايجهم ويقال له المنثور من الكلام والثالثة ضم بعض ذلك
الى بعض ضما له مبادى ومقاطع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم والرابعة ان يعتبر فى اواخر الكلام مع ذلك تسجيع
ويقال له المسجع والخامسة ان يجعل له مع ذلك وزن ويقال له الشعر والمنظوم اما محاورة ويقال له الخطابة
واما مكاتبة ويقال له الرسالة فانواع الكلام لا تخرج من هذه الاقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص والقران جامع
لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شى منها يدل على ذلك انه لا يصح ان يقال رسالة او خطابة او شعر او سجع كما يصح ان يقال
رسالة او خطابة او شعرا او سجع كما يصح ان يقال هو كلام والبليغ اذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم ولهذا
قال تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنبيها على ان تاليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه
البشر ممكن ان يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الاخر فان قيل ما السر فى ان القران لم تبلغ بنظمه الورق

معجز فلسبس الذى هو

الذى هو الشعر والموزون من الكلام رتبته فوق رتبة المنظوم غير الموزون فان كل موزون منظوم من غير عكس
اجيب بانه نزه القران عن نظم الشعر والوزن لان القران منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل
بتصور الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطرا والمبالغة فى الذم والايذا دون اظهار الحق واثبات الصدق فان
اتفق صدق الكلام الشعرى يكون بالعرض ولهذا من كان متخيلته اقوى كان على قرض الشعر اقوى ومن كان متفكرته
اقوى كان فى قرض الشعر اقصر ولهذا نزه الله تعالى نبيه عنه لما كان مقر الصدق والسداد وواسطة بين الله وبين العباد
فقال وما علمناه الشعر وما ينبغى له وقال وما هو بقول شاعر اى ليس بقول كاذب ولم يعن انه ليس بشعر فان وزن
الشعر اظهر من ان يشتبه عليهم حتى يحتاج الى ان ينفى عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب سمى اصحاب البرهان القياسات
المودية فى اكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية واما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر ايضا اذا اعتبر
وذلك انه ما من صناعة محمودة كانت او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبات خفية واتفاقات جميلة بدلالة ان الواحد
فالواحد يوثر حرفة من الحرف فينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه فى مباشرتها فيقبلها بانشراح صدر ويزاولها
باتساع قلب والى هذا اشار بقوله قل كل يعمل على شاكلته وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله صلى الله عليه
وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له فلما دعا الله تعالى اهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم
الى معارضة القران وعجزهم عن الاتيان بمثله ولم يتصد والمعارضته لم يخف على اولى الالباب ان صارفا الهيا صرفهم
عن ذلك واى اعجاز اعظم من ان يكون كافة البلغا مخيرة فى الظاهر ان يعارضوه مصروفة فى الباطن عنها **المقدمة**
الخامسة فى وجوب تواتر القران لا خلاف فى ان كل ما هو من القران يجب ان يكون متواترا فى اصله واجزائه واما فى محله
وترتيبه فعند المحققين من علما اهل السنة والجماعة كذلك اى يجب ان يكون متواترا فان العلم اليقينى حاصل ان العادة
قاضية بان مثل هذا الكتاب العزيز الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الهادى للخلق الى الحق المعجز الباقى
على صفحات الدهر الذى هو اصل الدين القويم واساس الشرع المستقيم وتبيان كل شىء وموعظة من الله العليم وشفا
لما فى الصدور وهدى ورحمة للمومنين يستحيل ان لا يكون متواترا فى اصله واجزائه ومحله ووضعه وترتيبه اذا الدواعى
تتوفر على نقله على وجه التواتر وكيف لا وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والحفظ انما يتحقق بالتواتر وقال
تعالى وما على الرسول الا البلاغ وقال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والبلاغ
العام انما هو بالتواتر فما لم يتواتر مما نقل احادا يقطع بانه ليس من القران وما قيل التواتر شرط فى ثبوت ما هو من القران
بحسب اصله وليس بشرط فى محله ووضعه وترتيبه بل يكفى فيها نقل الاحاد فضعيف لان الدليل المذكور يدل على ان
ما هو من القران يستحيل ان لا يكون متواترا بحسب المحل والوضع والترتيب ولانه لو لم يشترط التواتر لجاز سقوط كثير من القران
المكرر وثبوت كثير مما ليس بقران من المكررات مثل فباى الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين اما الاول وهو جواز
سقوط كثير من القران المذكور فلانه اذا لم يشترط التواتر فى المحل جاز ان لا يتواتر كثير من المكررات الواقعة فى القران
وما لم يتواتر جاز ان لا يصل الى من بعدهم وما جاز ان لا يصل اليهم جاز سقوطه واما الثانى وهو جواز ثبوت كثير مما
ليس بقران من المكررات فلانه اذا لم يتواتر بعض من القران بحسب ذلك بعد ذلك يجوز اثبات ذلك البعض فى المواضع
بنقل الاحاد فجاز ان يكون بعض افراد المكرر قرانا ثبت بالتواتر وبعضها غير قران ثبت بنقل الاحاد وكل واحد من
الجوازين منتف قطعا فيلزم اشتراط التواتر بحسب المحل والوضع والترتيب لا يقال لا نسلم عدم جواز السقوط والثبوت
بل كل منهما جائز ان لم يمتنع منهما مانع لكن اتفق تواتر المكررات فمنع جواز الثبوت والسقوط لانا نقول جواز السقوط والثبوت
يقتضى عدم القطع بانتفا سقوط المكرر وثبوته وليس على تقدير قطع النظر عن اتفاق تواتر المكرر لان الموجب للقطع
بانتفا سقوط المكرر وثبوته حينئذ اتفاق التواتر المانع عن جوازهما وليس كذلك لانا نقطع بانتفا سقوط المكرر وثبوته
سوا قطع النظر عن اتفاق تواتر المكرر او لم نقطع فان الدليل القاطع على انتفا جوازهما قائم ولانه لو كان انتفا جوازهما بسبب
اتفاق التواتر لجاز كل من السقوط والثبوت فى الزمان المستقبل لان انتفا جوازهما وان تحقق فى الماضى والحال بسبب اتفاق

التواتر

التواتر جاز انقطاع التواتر فى المستقبل فيجوز السقوط والثبوت فيه **المقدمة السادسة** القرات السبع
المنسوبة الى القرا السبعة نافع وابن كثير وابى عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بشرط صحة اسنادها اليهم
واستقامة وجهها فى العربية وموافقة لفظها خط المصحف المنسوب الى صاحبها متواترة كملك بغير الف المنسوب الى
نافع وابن كثير وابن عامر وابى عمرو وحمزة باسناد صحيح مكتوبا فى مصحفهم بغير الف مستقيما وجهه فى العربية
ومالك بالالف الذى نسب الى الكسائى وعاصم باسناد صحيح مكتوبا فى مصحفهما بالالف مستقيما وجهه فى العربية
والذى يدل على ان القراات السبع متواترة انها لو لم تكن متواترة لكان بعض القران غير متواتر واللازم باطل فالملزوم
مثله اما بطلان اللازم فلما مر من الدليل واما الملازمة فلان بعض القران كملك ومالك قرا باحدهما بعض القرا وقرا
بالاخر بعضهم فاما ان لا يكون واحد منهما متواترا فيلزم ان يكون بعض القران غير متواتر اذ التقدير ان بعضها غير متواتر او
يكون بعضها متواترا وبعضها غير متواتر وهو تحكم ضرورة تساويهما فى كونهما قرانا وعدمه او لا يكون واحد منهما قرانا
وهو باطل بالاتفاق وما لم يتواتر من القراات الشاذة ليس من القران قطعا فلا يجوز القراة به فى الصلاة ويكون حكمه حكم
كلام البشر فى الصلاة وما نقل احادا مثل فصيام ثلاثة ايام متتابعات فان زيادة متتابعات بعد ايام نقل احادا
ولا يصح ان يحتج به على وجوب التتابع فى صوم كفارة اليمين وابو حنيفة جوز العمل بالشاذ واحتج به على وجوب التتابع
فى صوم كفارة اليمين والصحيح انه لا يصح العمل به لانه ليس من القران فانه غير متواتر ولا هو خبر صحيح فان الراوى رواه
صريحا على انه قران فنفى كونه خبرا قال الحنفية يتعين احدهما اما القران واما خبر الاحاد لانه ان ثبت كونه قرانا فذاك
وان لم يثبت كونه قرانا فلا اقل من كونه خبر الواحد وعلى التقديرين يجب العمل به وهذا ليس بشىء فان كونه قرانا منتف
قطعا والراوى نفى ان يكون خبرا فانه صرح بانه قران وهو يستلزم نفيه خبرا **فان قيل** الراوى نقل عن الرسول فيتعين
احدهما **اجيب** بان الراوى نقل عن الرسول انه قران فنفى ان يكون خبرا ونقله قرانا خطا فلم يتعين لا هذا ولا ذاك لا يقال
ان الراوى سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم قطعا فظن انه قران ولا يلزم نفيه خبرا قطعا لانا نقول هذا قدح فى الراوى فانه
لا يجوز اثبات القران بالظن **المقدمة السابعة** فيما قيل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان القران انزل على سبعة
احرف رواه البخارى ومسلم باسنادهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم يقرا سورة الفرقان
على غير ما اقراها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرانيها فكدت ان اعجل عليه ثم امهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه
اى قبضت عليه اجره فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انى سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على
غير ما اقرانيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله ثم قال له اقرا فقرا القراة التى سمعته يقرا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال لى اقرا فقرات فقال هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما
تيسر **وروى** مسلم باسناده عن ابى بن كعب قال كنت فى المسجد فدخل رجل فصلى فقرا قراة انكرتها عليه ودخل اخر
فقرا سوى قراة صاحبه فامرهما النبى صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن النبى صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط فى نفسى من
التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية فلما راى النبى صلى الله عليه وسلم ما غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا وكانى انظر الى
الله تعالى فرقا فقال يا ابى ارسل الى ان اقرا القران على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتى فرد الى الثانية ان اقراه على
حرفين فرددت اليه ان هون على امتى فرد الى الثالثة ان اقراه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتكها مسئلة تسالنيها
فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى واخرت الثالثة ليوم يرغب الى فيه الخلق كلهم حتى ابرهيم صلوات الله عليه وقوله
اى فسقط فى نفسى اعترتنى حيرة ودهشة اى اصابتنى نزغة من الشيطان لتشوش على حالى وتكدر على وقتى فانه عظم
عليه من اختلاف القرات ما ليس عظيما فى نفسه لان اختلاف القرات لم يلزم منه محذور ولا تكذيب فان النسخ لم يلزم
منه شى من ذلك فكيف اختلاف القرات ولما راى النبى صلى الله عليه وسلم ما اصابه من ذلك الخاطر نبهه بان ضرب فى صدره
فاعقب ذلك بان انشرح صدره وتنور باطنه حتى ال به الكشف والشرح الى حالة المعاينة ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر
خاف من الله وفاض بالعرق استحيا من الله تعالى وكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم حين

سألوه انا نجد فى انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به قال وقد وجدتموه قالوا نعم قال ذاك صريح الايمان **وروى**
مسلم عن ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم عند اضاة بنى غفار اى غدير هم فاتاه جبريل فقال ان الله يامرك
ان تقرا امتك القران على حرف واحد فقال اسأل الله تعالى معافاته ومغفرته وان امتى لا تطيق ذلك ثم اتاه الثانية
فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القران على حرفين فقال اسال الله معافاته ومغفرته وان امتى لا تطيق ذلك ثم
اتاه الثالثة فقال الله يامرك ان تقرا امتك القران على ثلاثة احرف فقال اسأل الله معافاته ومغفرته وان امتى
لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القران على سبعة احرف فايما حرف قروا عليه فقد
اصابوا اختلف فى هذه الاحرف السبعة على اقوال اشبهها بظاهر الحديث ان المراد من هذه الاحرف اللغات وهو
ان تقرا كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عادتهم من الادغام والاظهار والامالة والتفخيم والاشمام والروم
والهمز والتليين والمد وغير ذلك من وجوه اللغات الى السبعة اوجه منها فى الكلمة الواحدة فان الحرف هو الطرف
والوجه قال الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على وجه واحد وهو ان يعبده فى السر دون الضرا وهذه
الوجوه هى القرآت السبع التى قراتها القرا السبعة فانها كلها صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى جمع
عليه عثمان المصحف وهى هذه القرآت السبع هى اختيارات اولئك القرا فان كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه
من القرآت ما هو احسن عنده والاولى فالتزم طريقه ورواه واقراه واشتهر عنه وعرف به ونسب اليه فقيل حرف
نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع حرف واحد منهم حرف الاخر ولا انكره بل سوغه وحسنه وكل واحد من هولا السبعة
روى عنه اختياران او اكثر وكل صحيح وقد اجمع المسلمون فى هذه الاعصار على الاعتماد على ما صح من هولا السبعة فيما رووه
من القرآت وكتبوا فى ذلك مصنفات فاستمر الاجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب وعلى هذا الايمة
السالفة والفضلا المحققون ومضت الاعصار فى الامصار عليها وبها يصلى لانها ثبتت بالاجماع وكان الانزال على الاحرف
السبعة توسعة من الله ورحمة على هذه الامة اذ لو كلف فريق منهم ترك لغتهم والعدول على عادة نشاوا عليها من الامالة
والتليين والمد وغير ذلك الى غيرها لشق عليهم يدل عليه ما روى الترمذى عن ابى بن كعب انه لقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم جبريل فقال يا جبريل انى بعثت الى امة امية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذى لا يقرا كتابا قط
فقال يا محمد ان القران على سبعة احرف قال هذا حديث حسن صحيح وقيل المراد سبعة اوجه من المعانى المتقاربة بالفاظ
مختلفة نحو هلم وتعال واقبل واسرع وعجل واذهب فانه روى مجاهد عن ابن عباس عن ابى بن كعب انه كان يقرا للذين امنوا
انظرونا للذين امنوا ارقبونا للذين امنوا امهلونا للذين امنوا اخرونا وانه كان يقرا كلما اضا لهم مشوا فيه مروا فيه
وعن البخارى ومسلم قال الزهرى انما هذه الاحرف فى الامر الواحد ليست تختلف فى حلال ولا حرام قال الطحاوى انما
كانت السبعة للناس فى الحروف لعجزهم عن اخذ القران على غير لغاتهم لانهم كانوا اميين لا يكتب الا القليل منهم فلما كان يشق
على كل ذى لغة ان يتحول الى غيرها من اللغات ولو رام ذلك لم يتهيا الا بمشقة عظيمة فوسع لهم فى اختلاف اللفظ اذا كان
المعنى متفقا وكانوا الى ذلك كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراوا بذلك على تحفظ
الفاظه فلم يسعهم ان يقراوا بخلافها قال ابن عبد البر فبان بهذا ان تلك السبعة احرف انما كان فى وقت خاص لضرورة دعت
الى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه الاحرف السبعة وعاد ما يقرا القران الى حرف واحد **وروى**
ابو داود عن ابى بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابى اقرئت القران فقيل لى على حرف واحد او حرفين فقال الملك
الذى معى قل ثلاث حتى بلغ سبعة احرف ثم قال ليس فيها الا شاف كاف ان قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تخلط اية عذاب باية
برحمة او اية رحمة بعذاب قال القاضى اذا ثبتت هذه الرواية حمل على ان هذا كان مطلقا ثم نسخ ولا يجوز للناس ان يبدلوا
اسما الله تعالى بغيرها فى مواضع مما يوافق معناها او يخالفه **ولقايل ان يقول** هذا يقتضى نسخ كثير من القران ولا ضرورة
فيه وقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون يدل على خلاف
هذا وايضا هذا المقرو الثابت دائر على كل لسان سهل التلفظ به لا فرق بين من يعرف لسان العرب وبين من لا يعرفه

وفى

وفى سهولة التلفظ به فكيف شق على قوم من العرب التلفظ به حتى عجزوا عن اخذ هذا القران المحفوظ وما رواه البخارى
ومسلم عن الزهرى لا يدل على ان الاحرف السبعة هى لغات مختلفة بحسب جوهر الالفاظ مثل انظرونا وارقبونا وامهلونا
بل يكون اختلافهما بحسب الادغام والاظهار والامالة والتفخيم والاشمام والروم والهمز والتليين والمد وغير ذلك من
وجوه اللغات فان اللغات السبع اختلافها بحسب هذه الامور اكثر من اختلافها بحسب اصل الالفاظ وقيل الاحرف السبعة
سبع لغات فى هذا القران على لغات العرب فان الرسول صلى الله عليه وسلم علم جميعها فانه قد اوتى جوامع لغات العرب والسبع
فى القران فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وذهب ابو عبيد القسم بن
سلام الى هذا وقال بعض احيا العرب اكثر حظا فيها من بعض وقول عثمان نزل القران بلغة قريش اراد به معظمه والكثر اذ فى
القران كلمات هى غير لغة قريش فان تحقيق الهمز ونحوها فى القراات الصحيحة وقريش لا تهمز قال الله تعالى انا جعلناه قرانا عربيا
ولم يقل قرشيا قال ابن عطية معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل القران على سبعة احرف اى فيه عبارة سبع
قبايل نزل القران بلغة جميعها معبر عن المعنى تارة بلغة قريش وتارة بلغة هذيل وتارة بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز
الا ترى ان فطر معناه عند غير قريش ابتدا فخفيت فى القران فلم يظهر لابن عباس حتى اختصم اليه اعرابيان فى بير فقال احدهما
انا فطرتها فقال ابن عباس ففهمت حينئذ موقع فاطر السموات وقال ايضا ما كنت ادرى معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
حتى سمعت بنت ذى يزن تقول لزوجها تعال افاتحك اى احاكمك ولذلك قال عمر بن الخطاب ما كنت افهم معنى قوله تعالى او
يأخذهم على تخوف اى على تنقص لهم وقيل ان هذه اللغات السبع انما تكون فى مضر كقول عمر نزل القران بلغة مضر وجاز ان
يكون منها لقريش ومنها لتميم ومنها لضبة ومنها لقيس وهذه قبايل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب وقد كان ابن مسعود
يحب ان يكون كاتب المصحف من مضر وانكر قوم ان يكون كلها فى مضر وقالوا فى مضر سواد لا يجوز ان يقرا القران بها مثل كشكشة
قيس فانهم يجعلون كاف المونث شينا فيجعلون الكاف فى قوله تعالى جعل ربك تحتك سريا شينا ومثل تمتمة تميم فانهم يقولون
فى الناس النات وفى اكياس اكيات قالوا وهذه لغات رغب عن القران بها ولا يحفظ عن السلف فيها شئ **وهذا الاعتراض**
ليس بشئ فانه لا يلزم من نزول القران بلغة مضر ان يكون كلها فى لغة مضر يقرا بها القرآت وهذا القولان ليسا ببعيدين لكن
حديث عمر يدل ظاهره على خلافهما وقيل المراد بالاحرف السبعة معانى كتاب الله وهى امر ونهى ووعد ووعيد وقصص وامثال
ومجادلة وهذا ضعيف فان هذه لا تسمى احرفا والاجماع على ان التوسعة لم يقع فى تحليل وتحريم ولا فى تغيير شئ من هذه
المعانى وايضا حديث عمر يدل صريحا على خلاف هذا **المقدمة الثامنة** فى بيان جمع القران فى صحيح البخارى ثنا موسى بن اسمعيل
عن ابرهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق ان زيد بن ثابت قال ارسل الى ابو بكر مقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن
الخطاب عنده فقال ابو بكر ان عمر اتانى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقرا القران وانى اخشى ان يستحر
القتل بقرا القران فى المواطن فيذهب كثير من القران وانى ارى ان تامر بجمع القران قلت لعمر كيف يفعل شيا لم يفعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورايت فى ذلك الذى راى
عمر قال زيد قال لى ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران
واجمعه قال زيد فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان باثقل على مما امرنى به من جمع القران قلت كيف تفعلون شيا لم
يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له
صدر ابى بكر وعمر ورايت فى ذلك الذى رايا فتتبعت القران اجمعه من العسب والرقاع واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت
اخر سورة التوبة لقد جاءكم رسول الى اخرها مع ابى خزيمة الانصارى لم اجدها مع احد غيره فالحقتها فى سورتها فكانت الصحف عند
ابى بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر **وفى** صحيح البخارى قال ابن شهاب
واخبرنى خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت قال فقدت اية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقراوها لم اجدها مع احد الا مع ابى خزيمة الانصارى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله فالحقناها فى
سورتها فى المصحف وخزيمة الانصارى هو الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين وقول زيد لم اجدها

مع احد الا مع خزيمة ليس فيها اثبات القران بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها من سورة الاحزاب
بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك غيره من الصحابة فمنهم من نسيها فلما سمع ذكره وتتبعه الرجال في جمعه كان
للاستظهار لا لاستحداث العلم فقد صح في البخاري عن انس انه سئل من جمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد وعن انس قال مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القران غير اربعة ابو داود ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد هؤلا اشد اشتهارا بانه فان
غيرهم قد جمع وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا القران من اربعة عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وابي
ابن كعب والقرا المعروفون اسندوا قرائتهم الى الصحابة فعبد الله بن كثير ونافع اسند الى ابي بن كعب وعبد الله بن عامر
اسند الى عثمان بن عفان واسند عاصم الى علي وعبد الله بن مسعود وزيد واسند حمزة الى عثمان وعلي وهؤلا قرا على
النبي صلى الله عليه وسلم فثبت ان القران مجموعه محفوظ كله في صدور الرجال ايام حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
مؤلفا على هذا التاليف الا سورة براءة قال ابن عباس قلت لعثمان ما حملكم ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي
من المائتين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم قال عثمان كان رسول الله مما ياتي عليه الزمان وتنزل عليه
السور وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه فقال ضعوا هؤلا الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت
الانفال من اوايل ما نزل بالمدينة وكان براءة من اخر القران فكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله ولم يبين لنا
انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فثبت ان هذا القران كان على هذا التاليف والجمع
في زمن النبي وسببه ان يكون النبي صلى الله عليه انما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء
من تلاوته كما ينسخ بعض احكامه ولو جمعت ثم رفعت تلاوة بعضه ادى الى الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظه الله في القلوب
الى انقضاء زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفا الراشدين وفي صحيح البخاري حدثنا موسى بن ابرهيم نا ابن شهاب ان انس بن مالك
حدثه ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة
اختلافهم في القراة فقال حذيفة لعثمان يا امير المومنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فارسل
عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان فامر زيد بن ثابت
وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث ابن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط
القرشيين الثلثة اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القران فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى
اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه من القران
في كل صحيفة او مصحف ان يحرق وفي هذا بيان ظاهر ان الصحابة جمعوا بين الدفتين القران الذي انزل الله على رسوله
من غير زيادة فيه او نقص منه شيا والذي حملهم على جمعه ما جا بيانه في الحديث وانه كان مفرقا في العسف واللخاف
وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا فيه الى خليفة رسول الله ودعوه الى جمعه فراى في
ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوا كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان
قدموا شيا او اخروا او وضعوا ترتيبا لم ياخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يلقن الصحابة ويعلمهم
ما نزل عليه من الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه
الاية تكتب عقب اية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا فثبت ان سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان
القران مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا انزله الله جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر
الى السما الدنيا كما قال الله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ثم كان
ينزل مفرقا على رسول الله مدة حياته عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما يشا الله قال الله تعالى وقرانا فرقناه لتقراه
على الناس على مكث فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببا لبقا القران في الامة ورحمة
من الله تعالى على عباده وتحقيقا للوعد في حفظه كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فانه لما وقع الاختلاف

بين القرا في زمن عثمان وعظم الامر فيه وكتب الناس بذلك من الامصار الى عثمان وناشدوه الله في جمع الكلمة وتدارك الناس
قبل تفاقم الامر وقدم حذيفة بن اليمان من غزوة ارمينية فشافهه بذلك فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والانصار وشاورهم
في جمع القران في المصاحف على مصحف واحد ليزول بذلك الخلاف وتتفق الكلمة فاستصوبوا رايه وحضوه عليه
وراوا انه من احوط الامور للقران فحينئذ ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف فارسلت
اليه فارسل زيد بن ثابت والرهط القرشيين الثلاثة فنسخوها في المصاحف وبعث بها الى الامصار روى عن مصعب
بن سعد قال لما كثر اختلاف الناس في القران قالوا قراة ابن مسعود وقراة سالم مولى حذيفة وقراة ابي جمع عثمان اصحاب
رسول الله فقال اني رايت ان اكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت ثم ابعث بها الى الامصار قالوا نعم ما رايت قال
فاي الناس اعرب قالوا سعيد بن العاص قال فاي الناس اكتب قالوا زيد بن ثابت كاتب الوحي قال فليمل سعيد وليكتب
زيد بن ثابت فكتب مصاحف فبعث بها الى الامصار قال فرايت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون احسن
والله عثمان وروى عنه سعيد بن عفلة سمعت علي بن ابي طالب يقول اتقوا الله ايها الناس اياكم والغلو في عثمان وقولكم
حراق المصاحف فوالله ما حرقها الا على ملا منا اصحاب رسول الله جميعا فقال ما يقولون في هذه القراة التي اختلف
الناس يلقى الرجل الرجل فيقول قراتي خير من قراتك وقراتي افضل من قراتك وهذا شبيه بالكفر فقلنا ما الراي يا امير
المومنين قال فاني ارى ان اجمع الناس على مصحف واحد فانكم اذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم اشد اختلافا فقلنا نعم
ما رايت فارسل الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص قال ليكتب احدكما وليمل الاخر فاذا اختلفتما في شيء فادفعاه الي فما
اختلفا في شيء من كتاب الله الا في حرف واحد في سورة البقرة قال سعيد التابوت وقال زيد التابوه فرفعناه الى عثمان
فقال اكتبوه التابوت قال علي لو وليت الذي ولي عثمان لصنعت مثل الذي صنع قال محمد وة يرحم الله عثمان لو لم يجمع الناس
على قراة واحدة لقرا الناس القران بالشعر وروى عن ابي عبد الرحمن السلمي قال كانت قراة ابي بكر وعمر وعثمان وزيد بن
ثابت والمهاجرين والانصار واحدة كانوا يقراون قراة العامة وهي القراة التي قراها رسول الله على جبريل مرتين في العام الذي
قبض فيه وكان علي طول ايامه يقرا مصحف عثمان ويتخذه اماما ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل وهي التي بين فيها ما نسخ وما بقي قال ابو عبد الرحمن السلمي قرا زيد بن ثابت على
رسول الله في العام الذي توفاه الله فيه مرتين وانما سميت هذه القراة قراة زيد بن ثابت لانه كتبها لرسول الله وقراها عليه
وشهد العرضة الاخيرة وكان يقرئ الناس بها حتى مات ولذلك اعتمده ابو بكر وعمر في جمعه وولاه عثمان كتبة المصاحف

المقدمة التاسعة في الحاجة الى وضع الالفاظ اعلم ان الله تعالى خلق الانسان ضعيفا لا يستقل بامر معاشه محتاجا
الى مقاصد وتعارض وتعاوض لا يتيسر الا بتعريف ما في نفسه صاحبه من المقاصد والحاجات بطريق كاشارات او امثلة او
كتابة او الفاظ تكون علامات للمقاصد الباطنة وكان الالفاظ اسهل لانها اصوات مقطعة هي كيفيات مسموعة حادثة من
اخراج النفس الضروري الممتد من الة التنفس دون تكلف اختياري تحدث عند الحاجة وتنعدم عند عدمها وافيد لانها
يعبر بها عن المعدوم والموجود والمعقول والمحسوس والغايب والشاهد بخلاف الاشارة والمثال اذ لا يمكن الاشارة الى المعدوم
والمعقول والغايب وليس لكل شي مثال فانعم الله تعالى على العباد ولطف بهم باحداث الموضوعات اللغوية بان وضع الا
بازا المعاني ووفقهم عليها او باحداث قدرتهم عليها على اختلاف الرايين ليتوصلوا بها في تحصيل مقاصدهم الى الاستعا
بالغير واللغة اصلها لغو من لغوت اذا تكلمت والتا عوض عن الواو وفي العرف اللغة عبارة عن الالفاظ التي يعبر بها عن
المعاني المقصودة فالالفاظ التي يعبر بها العرب عن اغراضهم لغتهم والالفاظ التي يعبر بها الترك عن اغراضهم لغتهم وكذا لغة
كل قوم وقد يطلق ايضا على ما هو مخصوص بطايفة من اهل اللسان فيقال هذه لغة اهل الحجاز وهذه لغة بني تميم وتخصيص
كل لفظ بمعنى من المعاني يقتضي مخصصا ولا يجوز ان يكون المخصص اللفظ او المعنى من حيث هو او باعتبار وصف لازم
او مفارق بل امرا خارجا وهو الواضع هو الله تعالى والتعريف اما بالوحي او الالهام ويعبر عنه بالتوقيف او غيره اما البشر واحد
او جماعة بالتوافق ويعبر عنه بالاصطلاح او البعض بهذا والبعض بذلك او لم يعلم الواضع ويعبر عنه بالتوقف والظاهر التوقيف

لفاظ

ان لم يعتبر القطع والا فالتوقف والموضوع له المعنى في نفسه من غير اعتبار وجوده الذهني والعيني مثلا رجل موضوع
لذكر من بني ادم من حيث هو من غير اعتبار وجوده الذهني فان الوجود ذهنا وعينا خارج عن مفهومه زايد على الحقيقة
كما ان كونه واحدا او كثيرا زايد عليه والغرض من وضع الالفاظ افادة النسبة والتركيبات لا افادة المعاني المفردة
والا يدور بخلاف افادة النسب والتركيبات فان العلم بالنسب والتركيبات الجزئية يتوقف على العلم بالوضع والعلم
بالوضع يتوقف على العلم بالنسب والتركيبات الكلية فلا يدور وطريق معرفة اللغات النقل المتواتر فيما لا يقبل
التردد والشك كالارض والسما والحر والبرد ونحوها والاحاد فيما يقبلهما والمركب من النقل والعقل كما ان نقل ان
ان الاستثنا من الجموع المعرفه باللام صحيح وان الاستثنا اخراج ما لولاه لدخل فيعلم بالعقل ان الجموع المعرفة باللام
للعموم ولا يقال التواتر غير ثابت لان شرطه استوا الواسطة والطرفين على معنى ان الرواة في كل مرتبة بلغت في الكثرة مبلغا
احال العقل تواطيهم على الكذب ولم يعلم وجود الشرط في جميع المراتب والاحاد انما تفيد الظن اذا سلمت عن القدح
والمعارضة لكن لم يسلم عنهما فان رواة اللغة خرج بعضهم بعضا وبعد افادة الظن لا يقطع بشي من مدلولات الالفاظ
ولما لم يكن النقل مفيدا لم يفد المركب منه ومن العقل لانا نجيب فان المطلوب معرفة استعمال الالفاظ العربية في المعاني
التي كانت مستعملة فيها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والمعرفة حاصلة بالطرق الثلاث ولغات مطابقة ان اعتبر بالنسبة
الى ما وضع له كالبيت بالنسبة الى مجموع الاس والحايط والسقف وتضمن ان اعتبر بالنسبة الى ما هو داخل فيه كالبيت
بالنسبة الى الاس وحده او الحايط وحده والتزام ان اعتبر بالنسبة الى ما هو خارج عنه لازم كالسقف بالنسبة الى الحايط
واللفظ ان دل جزوه على جزء المعنى فمركب نحو الله اكبر والا فمفرد نحو الله ونحو البر حرف ان لم يستقل بمعناه كفي ولا والا
ففعل ان اقترن باحد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال كنصر ينصر انصر والا فاسم علم ان دل على شخص بعينه
كعبد الله والا فكلي مضمر ان وضع لمتكلم او مخاطب او غايب بقرينه كانا وانت وهو والا فظاهر متواطي ان استوى في الافراد
كالانسان والا فمشكك كالبياض جنس ان دل على حقيقة معينه كالفرس او مشتق ان دل على ذي صفة معينة كالفارس
مترادف ان وافقه لفظ اخر في معناه كالانسان والبشر ومباين ان خالفه كالانسان والناطق مشترك ان تعدد معناه
ووضع لكل كالعين وان لم يوضع للكل بل لواحد ونقل الى الاخر لمناسبة فان اشتهر في الاخر فمنقول شرعي كالصلاة وعرفي
كالدابة واصطلاحي كالرفع والنصب وان لم يشتهر فحقيقة بالنسبة الى الاول مجاز بالنسبة الى الثاني كالاسد نص ان
اتحد المعنى من غير احتمال الغير ظاهر ان اتحد المعنى مع احتمال الغير احتمالا مرجوحا ومجمل ان تساوى الاحتمالان ومتاول ان كان
احتمال الغير راجحا والمشترك بين النص والظاهر محكم وبين المجمل والمتاول متشابه والمشتق شرطه صدق اصله وشرط كونه
حقيقة دوام اصله **المقدمة العاشرة** في بيان التفسير والتاويل والمحكم والمتشابه قال الله تعالى ولا ياتونك
بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا وقال تعالى ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الفسر والسفر لغة
يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل الفسر لاظهار المعنى المعقول وجعل السفر لابراز الاعيان للابصار يقال
سفرت المراة عن وجهها واسفر الصبح والتاويل من ال يؤول اذا رجع هذا بحسب اصل اللغة واما بحسب عرف الاستعمال
فقد قيل هما واحد وقيل التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ورد احد الاحتمالين الى ما لا يطابق الظاهر قال الراغب
التفسير اعم من التاويل واكثر استعماله في الالفاظ واكثر استعمال التاويل في المعاني كالرويا واكثره يستعمل في الكتب
الالهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها والتفسير اكثر ما يستعمل في مفردات الالفاظ واعلم ان التفسير في عرف العلماء
كشف معاني القران وبيان المراد اعم من ان يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره والتاويل
اكثره في الجمل فالتفسير اما ان يستعمل في غريب الالفاظ نحو البحيرة والسايبة والوصيلة او في وجيز يتبين بشرح
كقوله اقيموا الصلاة واتوا الزكوة واما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها نحو قوله انما النسيء زيادة في الكفر
وقوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها واما التاويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل
تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري خاصة والايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق دين الحق

اخرى

اخرى واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الحزن والوجد والوجود والتاويل في عرف
الاصوليين حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فبقوله الظاهر خرج حمل النص على معناه وحمل المشترك على احد معنييه فانه
لا يسمى تاويلا وبقوله المحتمل خرج حمل الظاهر على غير محتمل وبقوله المرجوح خرج حمل الظاهر على معناه الراجح وهذا التعريف
يشمل التاويل الصحيح والفاسد وان اريد تعريف التاويل الصحيح زيد على ما ذكر قولنا بدليل يصيره راجحا فقوله بدليل
اعم من ان يكون قطعيا او ظنيا خرج به التاويل بدليل لا يصير طرف المرجوح راجحا فانه لا يسمى تاويلا صحيحا وقوله
يصيره راجحا اي يصير ذلك الدليل الطرف المرجوح راجحا على مدلوله الظاهر خرج به التاويل بدليل لا يصير طرف المرجوح راجحا
فلا يسمى تاويلا صحيحا والتاويل منقاد ومستكره فالاول ما لا تعرض فيه بشاعة واستقباح وقد يقع فيه الخلاف بين الراسخين في
العلم اما لاشتراك في اللفظ نحو قوله تعالى لا تدركه الابصار هل هو من بصر العين او القلب واما لامر راجع الى النظم نحو
قوله تعالى واوليك هم الفاسقون الا الذين تابوا هل الاستثنا مقصور على المعطوف وحده او عايد الى الجميع واما لغموض المعنى
ووجازة اللفظ نحو قوله تعالى وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم والوجوه التي يعتبر بها تحقيق امثالها ان ينظر فان كان
ما ورد فيه ذلك امرا عقليا فزع في كشفه الى الادلة العقلية فقد حث تعالى على ذلك في قوله تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وان كان امرا شرعيا فزع في كشفه الى اية محكمة او سنة مبينة وان
كان من الاخبار الاعتقادية فزع فيه الى الحجج العقلية وان كان من الاخبار الاعتبارية فزع فيه الى الاخبار الصحيحة المشروعة
في القصص والثاني وهو التاويل المستكره وهو ما يستبشع اذا سبر بالحجة ويستقبح بالتدليسات المزخرفة المروجة وذلك
على اربعة اوجه الاول ان يكون لفظ عام فيخصص في بعض ما يدخل تحته نحو قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المومنين فحمله بعض الناس على علي رضي الله عنه فقط والثاني ان يلفق بين اثنين نحو قول من زعم ان الحيوانات
كلها مكلفة محتجا بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقد قال تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا
امم امثالكم انهم مكلفون كما نحن مكلفون الثالث ما استعين فيه بخبر مزور او كالمزور كقوله تعالى يوم يكشف
عن ساق قال بعض الناس عني بالساق الجارحة المخصوصة بحديث موضوع والرابع ما يستعان فيه باستعارات واشتقاقات
بعيدة كما قال بعض الباطنية في البقر انه انسان يبقر عن اسرار العلوم وفي الهدهد انه انسان موصوف بجودة البحث
والتنقير فالاول انما يروج على المتفقهة الذين لم يتفقهوا في معرفة الخاص والعام والثاني على المتكلم القاصر في معرفة
شرايط النظر والثالث على صاحب الحديث الذي لم يتهذب في شرايط قبول الاخبار والرابع صاحب الادب الذي لم يتهذب
بشرايط الاستعارات والاشتقاقات قال الحنفية اقسام نظم القران ومعناه فيما يرجع الى معرفة احكام الشرع اربعة الاول
في وجوه النظم الثاني في وجوه البيان بذلك النظم الثالث في وجوه استعمال ذلك النظم الرابع في معرفة وجوه الوقوف على المراد
وجه الحصر في هذه الاربعة ان التصرف في الكلام لا يكون الا للمتكلم او للسامع اذ لا ثالث لهما وتصرف المتكلم في اللفظ او في
المعنى وتصرفه في اللفظ بحسب الوضع او بحسب الاستعمال فتصرف المتكلم في اللفظ بحسب الوضع هو القسم الاول وتصرفه في
المعنى هو القسم الثاني وتصرفه في اللفظ بحسب الاستعمال هو القسم الثالث وتصرف السامع هو القسم الرابع ثم القسم الاول
في وجوه النظم وهو اربعة الخاص والعام والماول والمشترك وجه الحصر ان النظم ان دل على مدلول واحد هو الخاص او اكثر
بطريق الشمول هو العام او بطريق البدل مع عدم صوابه بترجيح تخريج البعض على البعض هو المشترك او مع ترجيحه الاول والقسم
والقسم الثاني في وجوه البيان اربعة ايضا الظاهر والنص والمفسر والمحكم ووجه الحصر ان المعنى ان كان ظاهر المراد للسامع
غير مقرون بقصد المتكلم فهو الظاهر او مقرونا محتملا للتخصيص والتاويل فهو النص وغير المحتمل لهما القابل للنسخ هو المفسر
وغير القابل له هو المحكم وان لم يكن ظاهر المراد فهو ايضا اربعة الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه ووجه الحصر ان عدم ظهور المراد
اما لغير الصيغة فهو الخفي او بالصيغة وامكن ادراكه بالتامل فهو المشكل وان لم يمكن وبيانه مرجو فيه فهو المجمل والا فهو
المتشابه القسم الثالث في وجوه استعمال ذلك النظم ايضا اربعة الحقيقة والمجاز والصريح والكناية ووجه الحصر ان اللفظ اما
ان يكون مستعملا فيما وضع له وهو الحقيقة او لا وهو المجاز وكل منهما ان كان ظاهر المراد بسبب الاستعمال فهو الصريح والا فهو

الكناية والقسم الرابع في معرفة وجوه الوقوف على المراد اربعة ايضا الاستدلال بعبارته وباشارته وبدلالته وباقتضائه
وجه الحصر ان الاستدلال في اثبات الحكم اما بالنظم وحينئذ ان كان النظم مسوقا له فهو العبارة والا فهو الاشارة واما بغير
النظم فان كان مفهوما لغة فهو الدلالة وان كان مفهوما شرعا فهو الاقتضاء والا فهو فاسد ومن الاصوليين من قال ما دل عليه اللفظ في محل
النطق اعم من ان يكون موضوعا له اللفظ او لازما للموضوع له سواء كان جزءا او خارجا فهو منطوق فيكون المنطوق شاملا للمفهوم
المطابقي والتضمني والالتزامي وما دل عليه اللفظ لا في محل النطق هو المفهوم ثم المنطوق قسمان صريح وهو ما وضع له اللفظ اعني
المدلول المطابقي وغير صريح وهو لازم ما وضع له اللفظ اعني المدلول التضمني والالتزامي وغير الصريح ان قصد وتوقف صدقه
او صحته العقلية او الشرعية عليه فاقتضاء مثل دفع عن امتي الخطأ والنسيان واسئل القرية واعتق عبدك عني بالف فان كل
واحد قصد المتكلم وتوقف الصدق عليه في الاول وصحته العقلية في الثاني والشرعية في الثالث وان لم يتوقف الصدق
ولا الصحة العقلية والشرعية واقترن بحكم لو لم يكن للتعليل له كان بعيدا فتنبيه وايماء وان لم يقصد فاشارة مثل النساء ناقصات
عقل ودين قيل وما نقصان دينهن قال تقعد احداهن شطر عمرها لا تصلي فانه لم يقصد بيان اكثر الحيض واقل الطهر ولكنه
لزم منه فان المبالغة تقتضي ذكر ذلك ولذلك وحمله وفصاله ثلثون شهرا مع وفصاله في عامين ولذلك واحل لكم ليلة الصيام
الرفث يلزم منه جواز الاصباح جنبا ومثله فالآن باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
والمفهوم على قسمين مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة فالاول ان يكون المسكوت موافقا للمنطوق في الحكم ويسمى فحوى الخطاب ولحن
الخطاب كتحريم الضرب من قوله ولا تقل لهما اف وكالجزاء بما فوق المثقال من قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وكتاديه ما دون
القنطار من قوله يؤده اليك وعدم تاديه ما فوق الدينار من قوله لا يؤده اليك وهو تنبيه بالادنى فلذلك كان في غيره اولى
ويعرف ذلك بمعرفة المعنى وانه اشد مناسبة في المسكوت عنه ومفهوم المخالفة ان يكون المسكوت عنه مخالفا ويسمى دليل
الخطاب واعلم ان الله تعالى لا يخاطبنا بالمهمل لانه هذيان ولا يعني خلاف الظاهر من غير بيان لان اللفظ بالنسبة اليه مهمل قيل
خاطبنا الله بالمتشابه الذي بلغ في الخفاء نهايته بحيث انقطع رجاء البيان عنه وهو ما لا طريق لدركه اصلا لان موجب العقل
فيه خالف موجب السمع ولا يمكن رد واحد منهما فاشتبه المراد اشتباها لا يمكن الوقوف عليه اصلا حتى سقط ما يدل على
المراد منه وذلك كالحروف المقطعة والايات الدالة على الصفات مثل اليد والوجه والعين والاتيان والمجي والاستواء على العرش
ووضع القدم في النار وامثالها فيجب اعتقاد حقيته المراد منه وهذا مذهب عامة الصحابة والتابعين وعامة متقدمي اهل
السنة والجماعة من اصحاب الشافعي رحمه الله واصحاب ابي حنيفة فعلى هذا وجب الوقف على الله في قوله وما يعلم تاويله الا الله
فانه لو وصل لفهم منه ان الراسخين يعلمون تاويله فيتغير المعنى وذهب جماعة من المتاخرين الى ان الراسخين في العلم يعلمون تاويل
المتشابه وان الوقف على العلم في قوله تعالى والراسخون في العلم لا على ما قبله فانه لو لم يكن للراسخين حظ في العلم بالمتشابه سوى
سوى ان يقولوا امنا به كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على غيرهم لانهم يقولون ذلك ولم يزل المفسرون قوما بعد قوم يفسرون
ويؤولون كل اية ولم يروا وقفوا على تفسير شيء من القرآن لكونه متشابها بل فسروا الكل فانه لم ينزل شيء من القرآن الا
لينتفع به العباد ويدل به على معنى اراده فلو كان المتشابه لا يعلمه الا الله لكان للطاعن في القرآن مجال مقال ولزم منه
الخطاب بما لا نفهم فيكون فيه فائدة واما الذين ذهبوا الى انه لا يعلم تاويله الا الله فقد اوجبوا الوقف على الله وقالوا قوله والراسخون
مبتدا خبره قوله يقولون وهو ثناء من الله تعالى على الراسخين بالايمان والتسليم بان الكل من عند ربنا بدليل قراءة عبد الله بن
مسعود ان تاويله الا عند الله وقراءة ابي وابن عباس في رواية طاوس ويقول الراسخون في العلم امنا به ولانه تعالى ذم
من اتبع المتشابه ابتغاء التاويل كما ذم من اتبعه ابتغاء الفتنة بان يحمله على الظاهر من غير تاويل ومدح الراسخين بقولهم
كل من عند ربنا وبقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي لا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ فاتبعوا المتشابه مأولين
او غير مأولين فدل على ان الوقف على قوله الله واجب **روي** عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلا هذه الاية وقال اذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله تعالى فاحذروهم امر بالحذر من غير فصل بين
من اتبع ابتغاء الفتنة وبين من اتبع ابتغاء تاويله فيتناول الجميع وعنها انها قالت من رسوخهم في العلم ان امنوا بالمتشابه

ولم يعلموا تاويله وقال عمر بن عبد العزيز انتهى علم الراسخين في العلم الى ان قالوا امنا به كل من عند ربنا وايضا لو لم يقف
على الله وعطف الراسخون عليه لكان يقولون حالا عن فاعل وما يعلم وهو الله والراسخون فيلزم ان يقول الله امنا وهو
غير جائز **وقد** اجيب عن هذا بان قوله يقول حال عن المعطوف اعني الراسخين وحدهم **فان قيل** تجب مشاركة
المعطوف والمعطوف عليه في الحال ولا يجوز تخصيص المعطوف بها **اجيب** بانه يجوز حيث لا لبس فعاشه ان الضمير
الذي في يقولون عام خص عنه البعض بدليل العقل قال بعض العلماء ان الخطاب اما ان يدل على المعنى المراد بمنطوقه
الذي بلفظه الموضوع له وحينئذ اما ان يكون معناه واحدا او متعددا فان كان واحدا يحمل على ذلك الواحد ان لم يمنع مانع
والا فيتوقف وان كان متعددا فاما ان يكون حقيقة في الكل سواء كانت شرعية او عرفية او لغوية او مختلفا فيحمل على الكل
ان لم يكن بينهما تناف في المراد وان كان بينهما تناف في المراد فان كانت مختلفة فيحمل على الشرعي ثم العرفي ثم اللغوي وان
كانت غير مختلفة فان لم توجد قرينة مخصصة بقي مجملا وان وجدت قرينة فاما معتبرة او ملغية وعلى التقديرين اما للكل
او للبعض فهذه اربعة اقسام والاول يبقى مجملا والثاني يبقى مجملا ان لم يكن له مجاز او له مجاز يمنعه مانع شرعي او عقلي وان
وان كان له مجاز لا يمنعه مانع فان كان واحدا يحمل عليه وان كان متعددا فلا يخلو اما ان يكون الحقائق الملغاة بحال لو لم يقم
الدليل على الغائها كان البعض ارجح من البعض او ليس الامر كذلك فان كان الاول فلا يخلو اما ان يكون متساوية في القرب
فيحمل على المجاز الذي تكون حقيقته ارجح او لا يكون متساوية في القرب فان كان مجاز الذي هو الحقيقة الراجحة راجحا فيحمل
عليه وان كان مجاز الحقيقة المرجوحة راجحا وقع التعارض بين المجازين فيصار الى الترجيح وان كان الثاني وهو ان لا يكون
الحقائق الملغاة بعضها ارجح من البعض فان لم يكن بين المجازات تناف في المراد يحمل على الجميع والا فيحمل على المجاز الاقرب
والثالث وهو ان تكون القرينة معتبرة للبعض فلا يخلو اما ان يكون البعض المعتبر واحدا او اكثر فان كان واحدا
يحمل عليه وان كان اكثر فكالاول والرابع وهو ان يكون القرينة ملغية للبعض ان كان غير الملغى واحدا تعين حمله
عليه ان لم يمنعه مانع والا فيعتبر مجازاته كما في القسم الثاني وان كان غير الملغى اكثر من واحد فكالاول ايضا هذا اذا كان
حقيقة في الكل واما ان كان حقيقة في البعض فان كان لبعض واحدا ولم يكن بينه وبين غير الحقيقة تناف في المراد
يحمل عليهما ان لم يمنع مانع والا يبقى مجملا وكذا ان كان اكثر مع زيادة تقسيم وان لم يكن حقيقة في شيء منها فيعتبر فيها ما يقرب
الى ما هو حقيقة في الكل كل هذا في الخطاب الذي يدل على المعنى المراد بمعناه اي بالمعنى الذي وضع اللفظ له بان يكون المعنى
المراد لازما لما وضع له اللفظ حينئذ اما ان يلزم عن مفرد توقف عليه عقلا مثل ارم او شرعا مثل اعتق عبدك عني ويسمى
اقتضاء او عن مركب موافق وهو فحوى الخطاب كدلالة تحريم التافيف على تحريم الضرب وجواز المباشرة الى الصبح على جواز الصوم
جنبا او مخالفا كلزوم نفي الحكم فيما عدا المذكور ويسمى دليل الخطاب او لا يدل على المعنى المراد لا بمنطوقه ولا بمعناه ولكنه
بحيث لو ضم اليه شيء اخر صار المجموع دالا على المعنى المراد فما ضم اليه اما ان يكون دليلا شرعا نصا او اجماعا او قياسا او يكون
المضموم شهادة قال المتكلم فهذه وجوه اربعة الاول ان يضم اليه نص اخر فيصير مجموعهما دليلا على المراد وذلك على وجهين احدهما
ان يدل احد النصين على احدى المقدمتين والثاني على الثانية كقولنا تارك المامور به عاص لقوله تعالى افعصيت امري
والعاصي يستحق العقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وثانيهما ان يدل احد النصين
على ثبوت حكم الشيئين والاخر يدل على ان بعض ذلك الحكم لاحدهما فيثبت ان البعض للباقي كقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون
شهرا فانه يدل على ان مدة الحمل والرضاع ثلثون شهرا وقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين يدل على ان
مدة الرضاع حولان فيعلم ان مدة الحمل ستة اشهر الثاني ان يضم الى النص اجماع كما اذا دل النص على حرمة الربوا في شيء ودل
الاجماع على ان الحالة بمثابة الحال الثالث ان يضم الى النص قياس كما اذا دل النص على حرمة الربوا في البر ودل القياس
على ان التفاح بمثابته الرابع ان يضم الى النص شهادة الحال كما اذا كان كلام الشارع مترددا بين الحكم العقلي والحكم
الشرعي فحمله على الشرعي اولى لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لبيان الشرع لا لبيان ما يستقل العقل بادراكه

المقدمة الحادية عشر اختلف العلماء في اللفظة الواحدة الصادرة عن متكلم واحد في وقت واحد لما كانت مشتركة

بين معنيين كالقرء للطهر والحيض وحقيقة في احدهما مجازا في الاخر كالنكاح للعقد والوطي هل يصح أن يريد بها كلا
المعنيين معا ام لا والخلاف فيما اذا تلفظ باللفظ المشترك أو باللفظ الذي هو حقيقة في احد المعنيين مجاز في الاخر
مرة واحدة واراد به معنييه واما اذا تلفظ به مرة واراد به احد المعنيين وتلفظ به مرة ثانية واراد به المعنى الاخر
فلا خلاف في صحته والمراد بالاطلاق على معنييه ان يجعل كل واحد منهما مدلولا مطابقيا في الحالة التي يكون الاخر مدلولا
مطابقيا فانه فرق بين الاطلاق الذي يكون فيه كل واحد من المعنيين مدلولا مطابقيا وبين الاطلاق الذي يكون
المجموع فيه مدلولا مطابقيا وايضا ليس المراد منه ان يكون المراد واحدا من المعنيين مدلولا مطابقيا على البدل بل المراد
ان يراد باللفظ دفعة واحدة هذا المعنى وهذا المعنى اذا عرفت هذا **فنقول** ذهبت الحنفية وجماعة من اصحاب
الشافعي رحمه الله وجماعة من المعتزلة كابي هاشم وأبي عبد الله البصري وغيرهما الى انه لا يصح ارادتهما معا بلفظ واحد
سواء كان اللفظ مشتركا بينهما أو حقيقة في احدهما مجازا في الاخر وذهب الشافعي وجماعة من اصحابه والقاضي أبو بكر
الباقلاني وجماعة من مشايخ المعتزلة كالجبائي والقاضي عبد الجبار وغيرهم الى جوازه بشرط صحة الجمع بينهما ولا يجوز اذا لم
يصح الجمع بينهما كصيغة افعل في الامر والتهديد فانه يمتنع الجمع بينهما وصحة الجمع بين المعنيين بان يكون المنسوب اليه في
التركيب يصح انتسابه الى كل واحد من المعنيين كما في قولك العين متحير واردت بالعين الجارية والذهب وقولك الاسد متحير
واردت بالاسد المفترس والشجاع أو بان يكون المنسوب اليه في التركيب قابلا للتوزيع بالنسبة الى المعنيين بان يكون البعض
منسوبا الى احدهما والبعض الاخر منسوبا الى الاخر كما في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فان المنسوب اليه في التركيب
وهو الضمير العايد الى الله تعالى والملئكة قابل للتوزيع بان يجعل البعض منسوبا اليه بالنسبة الى المعنى الاخر كما يجعل لفظ الجلالة
منسوبا اليه الرحمة والمغفرة والملئكة منسوبا اليها الدعا والاستغفار فالله تعالى يرحم النبي والملئكة يدعون له ويستغفرون
له مثال ما لا يصح الجمع بين المعنيين أن يقال العين في هذا الحيز ويراد بالعين الشمس والذهب فانه لا يصح الجمع بينهما مما هو المنسوب
اليه لاستحالة حصول الشمس والذهب في هذا الحيز ويعني بالشمس قرصه لا ضوءه ومثل ان يقال الاسد يتكلم ويراد بالاسد
المفترس والشجاع فانه لا يصح الجمع بينهما ومذهب الشافعي انه مهما تجرد اللفظ عن القرينة الصارفة الى احد المعنيين او عن احد
المعنيين وجب حمله عليهما ان صح الجمع بينهما وليس كذلك عند من جوز ذلك من مشايخ المعتزلة وفصل الغزالي وابو الحسين
البصري فقالا لا يصح أن يراد باللفظ معنييه بوضع جديد لا انه يصح اطلاقه لغة حقيقة أو مجازا وعلى هذا النحو من الخلاف
اختلفوا في الجمع كالاقرا والاسد وسواء كان اثباتا كما لو قيل للمراة اعتدي بالاقرا او نفيا كما لو قيل لا تعتدي بالاقرا وذلك
لان جمع الاسم يفيد جمع ما اقتضاه المفرد فان كان المفرد متناولا لمعنييه كان جمعه كذلك وان كان المفرد لا يفيد الا احد
المعنيين فجمعه كذلك والاحتجاج في الجمع يتفرع على الاحتجاج في المفرد وربما قال بعض من قال بنفيه في طرف الاثبات بالاثبات
في طرف النفي وهذا قال ابو الحسن البصري وفيه بعض الاشتباه او يجوز ان يقال بنفي الاعتداد بالحيض والطهر معا والحق ان النفي
لما اقتضاه الاثبات فان كان مقتضى الاثبات الجمع بين المعنيين فكذلك النفي فان كان مقتضاه أحد المعنيين فالنفي كذلك هذا
تحرير المذاهب للاحتجاج على الاول من المذاهب فبان المشترك لا يخلو اما ان يكون موضوعا لاحد المعنيين على سبيل البدل
من غير ان يكون موضوعا للمجموع فاستعمال اللفظ في المجموع استعمال في غير ما وضع له اللفظ ضرورة مغايرة المجموع الحاصل
أمرين مختلفين لكل منهما أو لاحدهما على التعيين أو على البدل ولا يصح استعمال اللفظ في غير ما وضع له واما ان يكون المشترك
موضوعا للمجموع ايضا فان استعمله للمجموع وحده لم يكن اللفظ مفيدا الا احد مفهوماته لانه حينئذ لا يكون اللفظ مستعملا الا في
احد مفهوماته فلم يكن مستعملا في جميع مفهوماته وان استعمله في المجموع وفي المعنيين على الجمع فهو باطل لان افادته للمجموع يستلزم
عدم الاكتفا بدون المجموع وافادته للمفرد يستلزم الاكتفا بدون المجموع فيتناقض **واورد** على هذا بان ما ذكرتم انما هو
لازم لمن يقول ان المشترك موضوع لاحد المعنيين على البدل حقيقة وليس كذلك عند الشافعي رحمه الله والقاضي أبي بكر فانهما
يعمان المشترك في الجميع على طريق الحقيقة ولهذا اذا تجرد المشترك وجب حمله على الجميع عندهما وعلى هذا بطل التقسيم المبني على
ان المشترك موضوع لاحد معنييه على البدل حقيقة **واجيب** عنه بانه جاز استعماله في احد معنييه بقرينة

عند

عند الشافعي والقاضي ابي بكر سواء كان حقيقة أو مجازا وحينئذ اذا استعمل اللفظ في المجموع وحده فان كان اللفظ حقيقة
في الافراد يكون اللفظ مشتركا بين المجموع والافراد فلم يكن المشترك مستعملا في جميع مفهوماته وان كان اللفظ مجازا في الافراد
لم يعم الحقيقة والمجاز لانه حينئذ يكون مستعملا في المجموع الذي هو مفهومه الحقيقي ولم يكن مستعملا في الافراد التي
هي مفهوماته المجازية فلم يكن مستعملا في المفهوم الحقيقي والمجازي وهو خلاف مذهب الشافعي والقاضي واذا استعمل في الافراد
ايضا فاريد به المجموع والافراد يلزم التناقض لان افادة المجموع يستلزم عدم الاكتفا بدونه وافادته للمفرد يستلزم
الاكتفا بدونه فيتناقض اجاب صاحب الاحكام بان استعماله في الافراد متى يكون مستلزما للاكتفا بها اذا كانت داخلة
في المجموع او اذا لم يكن داخلة في المجموع الاول ممنوع فانه اذا كانت داخلة في المجموع ولا بد منها وهذا لا يستلزم الا
الاكتفا به والثاني مسلم ولا يلزم منه التناقض على كلا التقديرين اما على تقدير العمل باللفظ في احاد الافراد مع
الاقتصار ولان الجملة غير مشترطة واما عند كون الافراد داخلة في مسمى الجملة ولانها لا بد منها لا بمعنى انه متالف منها
فان قيل اذا كانت الافراد داخلة في مسمى الجملة فلا يكون للفظ دلالة عليها لا بطريق الحقيقة ولا بطريق
المجاز بل بطريق الملازمة الذهنية وليست دلالة لفظية ليلزم ما قيل **اجيب** بانا لا نسلم خروجها عن الدلالة
اللفظية وذلك لانه لا خفا في دخول الافراد في الجملة فيكون مفهومه من اللفظ الدال على الجملة فللفظ دلالة عليها وهي اما
ان يكون بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز هذا ما قاله صاحب الاحكام وفيه نظر فانه لا يلزم من كون دلالتها لفظية ان يكون بطريق
الحقيقة او المجاز فان دلالة التضمن لفظية وليست بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز ضرورة فيكون اللفظ غير مستعمل في مدلول
التضمن والاستعمال شرط في كل من الحقيقة والمجاز واما على الحقيقة والمجاز فبان مستعمل اللفظ في مفهومه الحقيقي والمجازي
مريد ما وضع له اللفظ اولا واستعماله في غير فيتناقض **ولقايل ان يقول** ليس من شرط استعمال اللفظ في معنى عدم استعماله
في معنى اخر فان استعمال اللفظ في المعنى جار على وفق الوضع فكما انه ليس من شرط وضع اللفظ لمعنى عدم وضعه لمعنى اخر فكذلك
استعماله في معنى غير مشروط بعدم استعماله في معنى اخر سواء كان المعنى الاخر موضوعا له اللفظ اولا او غير موضوع له اللفظ
أعني المفهوم المجازي وأيضا ليس من شرط استعمال اللفظ في مفهومه المجازي عدم استعماله في مفهومه الحقيقي ولا عدم استعماله
في مدلول آخر مجازي والمشترك اذا اطلق واريد به أحد مدلولاته لا بعينه لا يكون حقيقة لان اللفظ لم يوضع لاحد المدلولات
لا بعينه بل يكون مجازا ان اريد بقوله لا بعينه ان لا يكون التعيين شرطا والعلاقة اللزوم فان احد المدلولات لا بعينه
لازم لكل واحد من المدلولات بعينه الذي هو المدلول الحقيقي واطلاق اللفظ على لازم ما وضع له اللفظ اطلاق بطريق المجاز
هذا اذا اريد بقوله لا بعينه ان لا يكون التعيين شرطا واذا اريد بقوله لا بعينه ان يكون عدم التعيين شرطا ولا يصح اطلاق
اللفظ عليه لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لان اللفظ لم يوضع له ولم يكن بين مدلوله الحقيقي الذي هو كل واحد بعينه وبين احد
مدلولاته لا بعينه بالمعنى المذكور علاقة معتبرة بحسب النوع حتى يصح اطلاقه عليه بطريق المجاز لانه لفظ مستعمل لما وضع له
اولا ويحتاج الى قرينة لا باعتبار ارادة المدلول الحقيقي بل باعتبار حصر الارادة فيه فان المدلول الاخر أيضا مدلول
حقيقي والفرض انه غير مراد واذا اطلق المشترك واريد به جميع مدلولاته على معنى انه أريد هذا مستقلا وذلك مستقلا
معا يكون اطلاقا بطريق الحقيقة لانه استعمال اللفظ فيما وضع له لا على معنى انه اريد به مجموع معانيه فانه بطريق المجاز لان
الواضع لم يضع اللفظ بازا المجموع فيكون بطريق المجاز لانه استعمال اللفظ في غير ما وضع له واستعمال اللفظ في كل واحد من
المدلولات غير محتاج الى قرينة ضرورة انتفا الموجب لذكر القرينة وهو عدم ارادة الحقيقة واستعمال اللفظ في المجموع
يحتاج الى علاقة وقرينة واللفظ اذا اريد به مفهومه الحقيقي ومفهومه المجازي بان يجعل المفهوم الحقيقي مدلولا مطابقيا
حقيقيا ومفهومه المجازي مدلولا آخر مطابقيا مجازيا الا بان يجعل المجموع من المفهوم الحقيقي والمفهوم المجازي مدلولا
مطابقيا يكون حقيقة بالنسبة الى المفهوم الحقيقي لانه حينئذ يصدق عليه انه لفظ مستعمل فيما وضع له ويكون مجازا
بالنسبة الى المفهوم المجازي لانه حينئذ يصدق عليه انه لفظ مستعمل في غير ما وضع له اولا اذا عرف ذلك **فنقول**
وظهر في بيان ان المشترك لا يصح ارادة مفهوميه منه المشترك ان كان موضوعا لاحد المعنيين على البدل فاستعماله في

المجموع استعماله فی غیرها وضع له اللفظ ضرورة مغایرة المجموع لافراده الی قولهم فیذنا قض مبنی علی ان المشترک موضوع لاحدهما علی البدل فقط او موضوع لاحدهما علی البدل والمجموع ایضا والمجوزون لاستعمال المشترک فی مفهومیه لا یقولون بهذا بل یقولون ان المشترک موضوع لکل واحد من المفهومین علی سبیل الاستقلال بان یکون کل واحد من المفهومین بعینه مدلولا مطابقیا حقیقیا ولا یکون موضوعا لاحدهما علی البدل ولا للمجموع من حیث هو مجموع فوهمهم فی جواب والله اعلم

فان قیل فلما جاز استعماله فی احدهما بقرینة الی قوله الاکتفا وعدمه **قلنا** جاز استعماله فی احدهما بعینه بقرینة ان کان استعماله فیه بدون استعماله فی الاخر وبدون قرینة ان کان استعماله فیه مع استعماله فی الاخر وعلی التقدیرین یکون الاستعمال فیه بطریق الحقیقة لانه استعمال فیما وضع له اللفظ اولا والقرینة انما یحتاج الیه فی الصورة الاولی لعدم استعماله فی المفهوم الحقیقی لا لاستعماله فی المفهوم الحقیقی ولا یصح استعماله فی المجموع لا بطریق الحقیقة ولا بطریق المجاز اما الحقیقة فظاهر لان المشترک لم یوضع للمجموع بل موضوع لکل واحد بعینه واما المجاز فلانه لم یتحقق علاقة معتبرة بین المفهوم الحقیقی وبین المجموع **فان قیل** العلاقة الکلیة والجزئیة فان المفهوم الحقیقی الذی هو کل واحد من مفهومیه بعینه جزء للمجموع **قلنا** هذا لیس من الکلیة والجزئیة الذی یصلحان لکونهما علاقة فان الکل والجزء اللذین یصلحان لکونهما علاقة هما اللذان یکون بینهما تلازم حقیقی وههنا کل جزء کل جزء بالاعتبار من غیر لزوم حقیقی بینهما فیکون المشترک مستعملا فی کل واحد من مفهومیه بعینه ولا یکون مستعملا فی احدهما لا بعینه علی البدل ولا فی المجموع من حیث هو مجموع واستعماله فی کل منهما لا یستلزم الاکتفا به وانما یلزم ذلک لو کان غیر مستعمل فی الاخر واما اذا کان مستعملا فی الاخر فلا وتوهم فی بیان انه لا یصح ارادة المفهوم الحقیقی والمجازی معا من لفظ واحد ان مستعمله فیهما مرید ما وضع له اولا مسلم توهم وما لم یوضع له اولا ایضا مسلم توهم وهو باطل ممنوع وتوهم فی بیان بطلانه ان المستعمل فیهما مرید ما وضع اللفظ له اولا لاستعماله فیه غیر مرید ما وضع اللفظ له اولا لاستعماله فی غیره قلنا مسلم انه مرید ما وضع اللفظ له اولا لاستعماله فیه لکنه لا نسلم انه غیر مرید لما وضع له اللفظ اولا لاستعماله اللفظ فی غیره فان استعمال اللفظ فی غیر ما وضع له اللفظ اولا لا یستلزم عدم کون ما وضع له اللفظ اولا مرادا بل عدم استعمال اللفظ فیما وضع له اولا یستلزم عدم کونه مرادا اما استعماله فی غیره فلا یستلزمه فانه یجوز ان یکون مستعملا فیما وضع له فیکون مرادا و مستعملا فی غیر ما وضع له اللفظ اولا فیکون ذلک الغیر ایضا مرادا ولا امتناع فی کون کل منهما مرادا من اللفظ باعتبارین **فان قیل** یلزم علی هذا ان یکون لفظ واحد حقیقة ومجازا فی حالة واحدة **قلنا** لا امتناع فی ذلک باعتبارین فان اللفظ باعتبار استعماله فی مفهومه الحقیقی حقیقة وباعتبار استعماله فی مفهومه المجازی مجاز الاحتجاج علی ما ذهب الیه الشافعی رحمة الله علیه والقاضی رحمه الله من وجوه اخر منها قوله تعالی ان الله وملائکته یصلون علی النبی وجه الاحتجاج به ان الصلاة لفظ مشترک بین الرحمة والاستغفار وقد استعمل فیهما دفعة واحدة فانه اسند الی الضمیر لله والملیکة فلا یخلو اما ان یراد واحد منهما وهو باطل او یراد احدهما دون الاخر وهو ایضا باطل والا یلزم اسناد الاستغفار الی الله تعالی او اسناد الرحمة الی الملیکة وهما باطلان فیتعین ان یکون المراد کلیهما فیلزم استعمال اللفظ المشترک فی مدلولیه الحقیقیین واعترض علی هذا انا نختار انه لم یرد به واحد منهما بل ارید به امر غیرهما وهو الاعتنا باظهار الشرف الذی هو القدر المشترک بین الرحمة والاستغفار فلا یکون المشترک مستعملا فی مدلولیه بل حینئذ یکون مستعملا فی معنی واحد بطریق التواطی وایضا یجوز تقدیر خبر کانه قال ان الله یصلی والملیکة یصلون ویجوز حذف الخبر للقرینة وهی دلالة ما یقارنه علیه فلا یکون استعمال المشترک مرة واحدة فی مدلولیه بل یکون المراد بالخبر المحذوف ای یصلی الرحمة وبالمذکور ای یصلون الاستغفار ان الله یرحم والملیکة یستغفرون وعورض بان الدلیل الذی ذکرتم وان دل علی انه یجوز ان یراد بقوله یصلون الرحمة والاستغفار لکن عندنا ما ینفیه وذلک لانه ان اراد بالصلاة الرحمة والاستغفار یلزم استناد الکل الی الضمیر الذی هو فاعله فیلزم استناد الرحمة والاستغفار الی الله تعالی وکذا یلزم استنادهما الی الملیکة وهو باطل **والجواب** عن الاعتراض اما عن الاول فبان اطلاق الصلاة علی الاعتنا باظهار الشرف بطریق المجاز فان لفظ الصلاة غیر موضوع له بحسب الشرع ولا بحسب العرف ولا بحسب اللغة والمجاز علی خلاف الاصل لا یقال لو لم یحمل علی الاعتنا باظهار الشرف یلزم الاشتراک والمجاز واذا دار اللفظ بین التواطی والاشتراک والمجاز فالتواطو

اولی

اولی دفعا للاشتراک والمجاز المحذورین ولئن سلم انه لا یکون موضوعا للاعتنا باظهار الشرف ویکون اطلاقه علیه بطریق المجاز فالحمل علیه اولی دفعا للاشتراک لانا نقول انما یکون التواطو اولی اذا کان اللفظ دایرا بین الثلثة ولم یدل دلیل یقتضی احدهما بخصوصه اما اذا دل دلیل علی احدها بخصوصه یتعین ذلک وههنا قد دل دلیل علی ان الصلاة مشترکة بین الرحمة والاستغفار فانه عند اطلاقها تتبادر الرحمة الی الفهم والاستغفار ولم یتبادر الاعتنا باظهار الشرف واما قوله ولئن سلمنا انه غیر موضوع للاعتنا باظهار الشرف علیه حمله علیه بطریق المجاز اولی دفعا للاشتراک فهو مغالطة فان الحمل علی هذا لم یدفع الاشتراک لان الاشتراک ثابت لما بینا سواء حملنا علی هذا او لم نحمل نعم لو حملنا علی هذا یلزم حمل اللفظ المشترک علی مفهوم المجازی دون حمله علی مفهومیه الحقیقی وحمل اللفظ المشترک علی مدلوله الحقیقی اولی من حمله علی مدلوله المجازی واما عن الثانی فان الاصل عدم الحذف والجواب عن المعارضة بانا لا نسلم انه یلزم کون المجموع مسندا الی کل منهما بل یوزع لان المسند الیه ضمیر المتعدد وهو قابل للتوزیع فیجعل الرحمة مسندة الی الله والاستغفار مستندا الی الملیکة **فان قیل** کیف یصح تعدیته بعلی اذا کان الاستغفار مستندا الی الملئکة فان الملیکة یستغفرون له لا علیه **اجیب** بانه لما کان تعدیته بالنسبة الی الرحمة بعلی وبالنسبة الی الاستغفار باللام والرحمة منسوبة الی الله غلب جانب المنسوب الی الله علی المنسوب الی الملیکة او نقول لما کان کل واحد من الرحمة والاستغفار علی سبیل الحنو والتعطف عدی بعلی ووجه التعدیة بعلی علی تقدیر ان یکون المراد بالصلاة الاعتنا باظهار الشرف هذا ومنها قوله تعالی الم تر ان الله یسجد له من فی السموات ومن فی الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وکثیر من الناس وجه الاحتجاج انه اسند السجود الی هولا المذکورین والسجود مشترک بین وضع الجبهة والخضوع فان لم یرد بالسجود معنی یلزم الاهمال وان ارید غیرهما یلزم خلاف الظاهر من غیر دلیل وان ارید به وضع الجبهة فقط یلزم اسناده الی هولا المذکورین وهو باطل وان ارید به الخضوع فقط یکون تخصیص کثیر من الناس ضایعا لان الخضوع قهری شامل للکل فتعین ان یکون المراد کلیهما فیکون المشترک مستعملا فی مدلولیه **وقد** اورد علیه بان المراد بالسجود الخضوع المشترک بین الجمیع فیکون استعماله بطریق التواطو وبان حرف بمثابة مکرر العامل فکانه قال یسجد له من فی السموات ویسجد له من فی الارض ویسجد له الشجر فلا یکون استعمال المشترک فی مدلولیه مرة واحدة وبانه لو کان مستعملا فی المجموع لکان موضوعا للمجموع واللازم باطل فالملزوم مثله بیان الملازمة انه لو کان مستعملا فی المجموع ولم یکن موضوعا له لکان استعمالا للفظ فی غیر ما وضع له وهو غیر جایز **والجواب** عن الاول انه لو کان السجود بمعنی الخضوع فقط یلزم التکرار فی قوله وکثیر من الناس ویلزم ایضا ان یکون تخصیص کثیر من الناس ضایعا اما الاول فلان قوله تعالی ومن فی الارض یشمل الناس فذکر کثیر من الناس تکرارا واما الثانی فلان السجود بمعنی الخضوع لا یکون مختصا بکثیر من الناس بل یکون شاملا للجمیع فیکون تخصیص کثیر من الناس ضایعا وعن الثانی انا لا نسلم ان حرف العطف بمثابة تکرار العامل ولئن سلمنا انه بمثابة تکرار العامل فهو بمثابته بعینه وعن الثالث انه مستعمل فی الجمیع علی معنی یستعمل فی هذا بان یکون مدلولا مطابقیا حقیقیا وفی الاخر ایضا لذلک لا ان یکون مستعملا فی المجموع من حیث انه مدلول واحد مطابقی واذا کان مستعملا فی الجمیع فالمعنی المذکور یکون مستعملا فیما وضع له لان کلا منهما موضوع له ومنها قوله تعالی یتربصن بانفسهن ثلثة قروء وجه الاحتجاج انه ارید بلفظ قروء الاطهار والحیض فان المراة المجتهدة اذا ادی اجتهادها الی ان المراد بالقرء کل واحد من الطهر والحیض یلزمها الاعتداد بهما معا ضرورة انها یجب علیها العمل بما ادی اجتهادها الیه فیکون اللفظ محمولا علی مدلولیه **وقد** اورد علیه بانه لا یلزم من العمل بما ادی اجتهادها الیه ان یکون اللفظ مستعملا فیهما فی الواقع **اجیب** بانه یکون جایز الاستعمال فی الواقع وهو المطلوب ومنها ان سیبویه قال الویل له دعا وخبر فجعل الویل له مفیدا لکل واحد من الامرین معا وقد اورد علیه بان سیبویه اراد الویل له حقیقة فی الخبر مجاز فی الدعا او مشترک بینهما لا انه مستعمل فیهما معا فان استعماله فیهما محال لان الدعا انما یحسن اذا کان الشیء مجهول الثبوت معدوما وما عند الدعا والخبر عن معلوم الثبوت او مظنونه وبینهما تناقض وبان قوله الویل له مرکب والاشتراک من خواص المفرد والجواب عنه ان الظاهر من کلام سیبویه انه مشترک بینهما ومستعمل فیهما ولا منافاة بین الخبر والدعا فان کلا منهما لا یقتضی القطع بالثبوت ویجوز ان یکون کل منهما مظنون الثبوت ومنها ان المقتضی

لجواز استعمال المشترك في مدلوليه متحقق والمانع منتف فيجب العمل بالمقتضى السالم عن المعارض اما ان المقتضى فمتحقق ولان المشترك
حقيقة في كل من مدلوليه لانه موضوع لكل منهما فلو استعمل في كل منهما يكون مستعملا فيما وضع له فيكون حقيقة ويجوز ان يراد
باللفظ الواحد معان كثيرة بمعنى كل واحد واحد يدل على ذلك لفظ من في قول القايل من دخل داري فله كذا فانه يجوز ان يراد
كل واحد لا الكل وكذلك لو صرح به لم يستقبحه العقلا ولا اهل اللغة واما انتفا المانع فلعدم الاحتياج الى القرينة لان
القرينة في اللفظ المشترك انما يحتاج اليه لاخراج احد المدلولين لا لافادته المدلول للاخر فثبت الجواز عملا بالمقتضى السالم
عن المعارض الذي هو المانع ومما ذكر يعلم فساد مذهب الفارق بين الاثبات والنفي ومذهب الفارق بين المفرد والجمع وما ذهب اليه
الشافعي رحمه الله من ان المشترك اذا تجرد عن القراين المخصصة لاحد المفهومين وعن القراين الملغية لكل منهما ولم يتنافيا يجب
حمله عليهما هو الصواب لانه اذا تجردا عن القراين المخصصة والملغية وكان الجمع بينهما صحيحا فاما ان لا يحمل على واحد منهما ولا شي
اخر غيرهما فيلزم الاهمال وهو باطل او يحمل على شي اخر غيرهما ولا قرينة تحمل عليه فيكون ايضا باطلا لانه يلزم حمله على غير الظاهر
من غير قرينة او يحمل على واحد منهما بعينه فيلزم التخصيص بلا مخصص او يحمل على واحد لا بعينه فيكون باطلا لان اللفظ غير موضوع
له واللفظ مجرد عن القرينة فلزم حمل اللفظ على غير الظاهر بدون قرينة او يحمل على المجموع من حيث هو مجموع فيكون باطلا ايضا لان
اللفظ غير موضوع للمجموع من حيث هو مجموع فيلزم حمله على غير الظاهر من غير قرينة فتعين الحمل على كل واحد منهما ويكون حقيقة
بالنسبة الى كل واحد منهما لانه لفظ مستعمل فيما وضع له وظهر من جواز استعمال المشترك في مفهوميه جواز استعمال اللفظ في
مفهوميه الحقيقي والمجازي بان يجعل المفهوم الحقيقي مفهوما مطابقيا حقيقيا والمفهوم المجازي مفهوما مطابقيا مجازيا بشرط ان لا
يكون بينهما تناف في المراد واللفظ المستعمل فيهما حقيقة بالنسبة الى المفهوم الحقيقي لانه حينئذ يصدق عليه انه لفظ مستعمل
فيما وضع له اولا ومجاز بالنسبة الى المفهوم المجازي لانه حينئذ يصدق عليه انه لفظ مستعمل في غير ما وضع له اولا ومما يدل
عليه جواز استعمال اللفظ في مفهوميه الحقيقي والمجازي قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا وعناه صلى الله عليه وسلم
والمومنين فهو حقيقة فيه مجاز فيهم وقولهم افعلوا كذا في مخاطبة الرجال والنسا وقولهم الرجال والنسا فعلوا وهذه العبارة
للذكور حقيقة وللمونث مجاز وقال الشاعر يقال الحلوب والحلوم رحالهم وحا الما يكالون كيلا عزمزما فوق الجفان
التي هي القصاع بالنقل حقيقة ووصف الحلوم به مجاز وقد جمعهما بلفظ احد تماما مجازا والدليل على انه اراد بهما انه قد وصفه
باجن الحمات وذلك من صفات الما نفسه ونقفر وهو من صفات المكان والاجن الما المتغير الطعم واللون والحمات جمع الحمة وهي العين
الحارة يستشفى بها الاعلاء والمرضى وقال اخر والحوت يسبح في السما كسبحه في الما وهو بكل سبح ماهر والحوت السابح في السما
غير الحوت السابح في الما وقوله تعالى ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وامثال ذلك في القران اكثر من ان تحصى
ههنا ولمثل هذه المعاني المجتمعة فيه قال الله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله وعلى ذلك روي في الخبر لكل اية ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع تنبيها على كثرة معانيها المجتمعة تحت اللفظة بعد
اللفظة والله اعلم **المقدمة** الثانية عشر في مباحث متعلقة بعلم البيان دلالة اللفظ على لازم ما وضع له اللفظ لزوما ذهنيا
خارجا عنه التزام سوا كان بما يثبته العقل او اعتقاد المخاطب لعرف او لغيره كاصطلاح خاص ثم ذلك اللزوم اما من الجانبين
كالذي بين الاب والابن بحكم العقل او من طول القامة وطول النجاد بحكم الاعتقاد المسند الى العرف العام او من جانب واحد كالذي
بين العلم والحياة بحكم العقل او بين الاسد والجراة بحكم الاعتقاد المسند الى العرف العام ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان
قامت قرينة على عدم ارادة ما وضع له فمجاز والا فهو كناية ثم من المجاز ما يبنى على التشبيه فهو الاستعارة والتشبيه الدلالة
على مشاركة امر لاخر في معنى فيقتضي مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من اخر مثل ان يشتركا في الحقيقة
ويختلفا في الصفة كالانسانين او بالعكس كالطويلين اذا اختلفا حقيقة انسانا وفرسا ثم المشبه والمشبه به اما حسيان
كالخد المشبه بالورد في المبصرات وكالاطيط المشبه بصوت الفراريج في المسموعات وكالنكهة المشبهة بالعنبر في المشمومات وكالريق
المشبه بالعسل في المذوقات وكالجلد الناعم المشبه بالحرير في الملموسات والمراد بالحسي ما من شانه ان يدرك باحدى الحواس
الخمس الظاهرة فالخيالي داخل فيه كالشقيق المشبه باعلام ياقوت منشرة على رماح من الزبرجد واما عقليان كالعلم المشبه بالحياة

واما المشبه محسوس والمشبه به عقلي كالعطر المشبه بخلق كريم او بالعكس كالعدل المشبه بالقسطاس والمراد بالعقلي
ما ليس من شانه ان يدرك باحدى الحواس الخمس فيدخل فيه الوهميات المحضة كما اذا قدر صورة وهمية محضة مع الحال ثم شبهت
باللسان فقيل نطقت الحال بشي هو لها شبيه باللسان وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع والجوع واما وجه الاشتراك
فهو الامر المشترك بينهما فاما ان يكون حقيقة مثل جسمين ابيض واسود فانهما مشتركان بالحقيقة ثم الوصف اما ان يكون
مستندا الى الحس كالكيفيات الجسمانية مثل اتصاف الجسم بما يدرك بالبصر من الالوان والاشكال والمقادير والحركات وما
يتبعها من الحسن والقبح او بالسمع مثل الاصوات الضعيفة والقوية او بالذوق من انواع الطعوم او بالشم من الروايح او باللمس من
الحرارة والبرودة واما ان يكون مستندا الى العقل والعقلي اما حقيقي كالكيفيات النفسانية مثل الاتصاف بالذكاء
والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والحلم والغضب واما اعتباري ونسبي كاتصاف الشي بكونه مطلوب الوجود او العدم عند
النفس او بكونه مطموعا فيه او بعيدا عن الطمع ثم وجه التشبيه اما امر واحد او غير واحد وغير الواحد اما ان يكون في حكم
الواحد لكونه حقيقة ملتئمة او اوصافا المقصود من مجموعها هيئة واحدة او لا يكون في حكم الواحد فهذه اقسام ثلثة
والاول اما ان يكون حسيا فيكون طرفاه حسيين او عقليا ويجوز ان يكون طرفاه حسيين او عقليين او مختلفين لامتناع
ادراك الحسي من غير الحسي وصحة ادراك العقلي من الحسي فالحسي كالخد المشبه بالورد في الحمرة والصوت الضعيف المشبه
بالهمس في الخفا والنكهة المشبهة بالعنبر في طيب الرايحة والريق المشبه بالعسل في الطعم والجلد الناعم المشبه بالحرير في
لين المس والعقلي فيما اذا كان طرفاه محسوسين كاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المشبهين بالنجوم في الاهتدا بهم وفيما
اذا كانا معقولين كالعلم المشبه بالحياة في جهة الادراك وفيما اذا كان المشبه معقولا والمشبه به محسوسا كالعلم
المشبه بالنور في الهداية وفيما اذا كان بالعكس كالعطر المشبه بخلق كريم في استطابة النفس والثاني وهو ان يكون
غير الواحد ولكن في حكم الواحد اما مستند الى الحس كالثريا اذا شبهت بعنقود الكرم المنور اي ذات النور في الهيئة الحاصلة
من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المراى على كيفية مخصوصة مع مقدار مخصوص وكالشمس اذا شبهت بمراة
في كف الاشل في الهيئة التي يوجد بها من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة وتموج الاشراق وكسقط النار
المشبه بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروي للمقدار المخصوص واما مستند الى العقل كاعمال الكفرة المشبهة
بالسراب في المنظر المطمع مع المخبر المويس والمخبر خلاف المنظر وكالحسنا من منبت السو المشبهة بخضرا الدمن في حسن المنظر المنضم
الى سو المخبر والمعنى عن اثمار خير والثالث ان لا يكون غير الواحد في حكم الواحد اما ان يكون تلك الامور حسية كفاكهة مشبهة
باخرى في لون وطعم ورايحة او عقلية كتشبيه بعض الطيور بالغراب في حدة النظر وكمال الحذر واخفا الجماع او مختلفة كما اذا
شبه انسان بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة واعلم ان الغرض من التشبيه في الاغلب عايد الى المشبه
وقد يكون عايدا الى المشبه به اما الاول فاما لبيان حاله كما اذا قيل ما لون عمامتك وقلت كلون هذه واشرت الى عمامة لديك
او لبيان مقدار حاله كما اذا قيل هو في سواده كحلك الغراب او سواده او لبيان امكان وجوده كما اذا قصدت تفضيل
واحد على الجنس الى حد يوهم اخراجه عن البشرية الى ما هو اشرف وانه في الظاهر كالممتنع فيتبعه التشبيه لبيان
امكانه فاما لاحالة كحال المسك الذي هو بعض دم الغزال وليس يعد في الدما لما اكتسب من الفضيلة الموجبة اخراجه الى نوع
اشرف من الدما وليقويه شانه في نفس السامع وزيادة تقرير له عنده كما اذا كنت مع صاحبك في تقرير انه لا يحصل من
سعيه على طايل ثم اخذت ترقم على الما وقلت هل افاد رقمي على الما فانك في سعيك هذا كرقمي على الما فانك تجد لتمثيلك
هذا من التقرير ما لا يخفى او لابرازه للسامع في معرض التزيين او التشويه او الاستطراف لتشبيه الوجه الاسود بمقلة
الظبي افراغا في قالب الحسن ابتغا تزيينه وكتشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة اظهارا له في صورة
اشوه ارادة لزيادة القبح والتنفير وكتشبيه فحم فيه جمر متوقد ببحر من المسك موجه الذهب لعلا له عن صحة الوقوع الى امتناع
عادة ليستطرف واما الثاني وهو الغرض العايد الى المشبه به فمرجعه الى ايهام كونه اتم من المشبه في وجه التشبيه لان المشبه
به حقه ان يكون اعرف بجهة التشبيه واخص بها واقوى حالا معها كقوله تعالى حكاية عن مستحل الربا انما البيع مثل الربا

فى معرض انما الربا مثل البيع لان الكلام فى الربا لا فى البيع ذهابا منهم الى جعل الربا فى باب الحل اقوى حالا واعرف من البيع كقول
الشاعر وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح فانه اوهم ان وجه الخليفة فى الوضوح اتم من الصباح
وقد يكون الغرض العايد الى المشبه به بيان كونه اهم عند المشبه كما اذا اشير الى وجه كالقمر فى الاشراق والاستدارة وقيل هذا الوجه
يشبه ما ذا اخفيال الرغيف اظهارا للاهتمام بشان الرغيف واذا تساوى المشبه والمشبه به فى جهة التشبيه فالاحسن ترك
التشبيه الى التشابه ليكون كل من الطرفين مشبها ومشبها به حذرا عن ترجيح احد المتساويين ويظهر من هذا ان التشبيه
اذا وقع فى باب التشابه صح فيه العكس بخلاف ما عداه واذا كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقى وكان منتزعا من عدة امور خص باسم
التمثيل كما فى قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فان وجه
تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم فى الاية هو رفع الطمع الى تيسير مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان
والخيبة لانقلاب الاسباب وهو امر توهمى منتزع من امور كثيرة وكما فى قوله تعالى او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق
يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت وتقدير الكلام او كمثل ذوى صيب فحذف ذوو الدلالة يجعلون اصابعهم
فى اذانهم عليه وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا فان وجه تشبيه المنافقين بذوى صيب
هو انهم فى مقام الطمع فى حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون الا بضد المطموع فيه من مجرد مقاسات الاهوال وكما فى قوله تعالى
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فان وجه تشبيه احبار اليهود الذين كلفوا العمل بما فى التورية
ثم لم يعملوا بها بالحمار الحامل للاسفار هو حرمان الانتفاع به مع الكد والتعب فى استصحابه وليس بمشتبه كونه عايدا الى التوهم
ومركبا من عدة معان ثم التشبيه قد يكون قريبا كما اذا كان وجهه واحدا كالسواد فى قولك هندى كالفحم او المشبه به مناسبا
للمشبه كما اذا شبه الجرة الصغيرة بالكوز او المشبه به غالب الحضور فى خزانه الصور كتشبيه الشعر الاسود بالليل او الوجه الجميل
بالبدر او المحبوب بالروح وقد يكون بعيدا كما اذا كان وجه التشبيه امورا كثيرة كما فى تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور او المشبه
به بعيد النسبة عن المشبه كالخنفسا عن الانسان فى اللجاج او المشبه به نادر الحضور فى الذهن لكونه شيئا وهميا كما فى قوله
ومسنونة زرق كانياب اغوال اى نصال محددة من سن الحديد بالمسن اذا حدده واعتقدوا فى انياب الغول الحدة وان لم يشاهد
او مركبا خياليا كما فى قوله وكان محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد • تصوبت نزلت اى مالت
الى السفل او مركبا عقليا كما فى قوله عز وعلا انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس
والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالامس وقد يكون التشبيه مقبولا بان يكون صحيحا وافيا فى تحصيل ما علق به من الغرض سليما عن الابتذال مثل
ان يكون المشبه به محسوسا اعرف شى بامر كلون مخصوص او شكل او مقدار او غير ذلك اذا كان الغرض من التشبيه بيان حال المشبه
على ما هو عليه كما اذا قيل هو فى السواد كحلك الغراب فان النفس اميل الى الاعرف عندها واذا وجدته اقبل له واذا كان الغرض
بيان مقدار حال المشبه على ما هو عليه يجب كون المشبه به مع كونه اعرف على حد مقدار المشبه فى وجه التشبيه لا ازيد ولا انقص
وكلما كان ادخل فى السلامة عن الزيادة والنقصان كان ادخل فى القبول ومثل ان يكون المشبه به اتم محسوس فى امر حسى
هو وجه الشبه اذا قصد تنزيل المشبه مسلم الحكم معروفه فيما يقصد من وجه التشبيه اذا كان الغرض من التشبيه بيان
امكان الوجود او محاولة التزيين او التشويه فان قبول النفس لما تعرف فوق القبول لما لا تعرف او مثل ان يكون المشبه به فى
التشبيه الاستطرافى نادر الحضور فى الذهن لبعده عن التصور او نادر الحضور مع المشبه لبعد نسبته اليه لان النفس
تتسارع الى قبول نادر يحصل لها بما يتصور اليه من لذة التجدد وليس من شرط التشبيه ذكر كلمة التشبيه بل اذا قيل زيد
اسد واكتفى بذكر الطرفين عد تشبيها لكن الذى لم يذكر فيه كلمة التشبيه ابلغ من الذى ذكر فيه كلمة التشبيه وليس من
شرطه ذكر المشبه لفظا نعم اذا كان محذوفا يجب ان يكون مضمرا منويا عنه بالكلية فانك اذا قلت عندى اسد او رايت اسدا وانت تريد زيدا
الى الاسد لا يعد تشبيها وانما عد نحو زيد اسد تشبيها لان اسدا مفرد خبر لزيد وهو هو مثل زيد منطلق والعقل لا يجوز ان
يكون زيد الذى هو انسان بعينه اسدا فيجب المصير الى التشبيه بحذف كلمته قصدا الى المبالغة • واعلم ان مراتب التشبيه

ثمان

ثمان احدها ذكر اركانه الاربعة المشبه والمشبه به وكلمة التشبيه ووجه التشبيه كقولك زيد كالاسد فى الشجاعة ولا قوة
لهذه • المرتبة الثانية ترك المشبه كقولك كالاسد فى الشجاعة وهى كالاولى فى عدم القوة • الثالثة ترك كلمة التشبيه
كقولك زيد اسد فى الشجاعة وفيها نوع قوة • الرابعة ترك المشبه وكلمة التشبيه كقولك اسد فى الشجاعة فى الخبر عن زيد وهى
مثل الثالثة • الخامسة ترك وجه التشبيه كقولك زيد كالاسد وهى ايضا قوية لعموم وجه الشبه • السادسة ترك المشبه
ووجه المشبه كقولك كالاسد فى موضع الخبر عن زيد وحكمها الحكم الخامسة • السابعة ترك كلمة التشبيه ووجه التشبيه
كقولك زيد اسد وهى اقوى الكل • الثامنة افراد المشبه به فى الذكر كقولك اسد فى الخبر وهى كالسابعة اعلم ان الحقيقة عند
اهل البيان هى الكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تاويل فى الوضع تخرج بغير تاويل فى الوضع الاستعارة فان فى الاستعارة الكلمة
مستعملة فيما هى موضوعة له على اصح القولين ولا يسمى حقيقة بل مجازا لغويا لبنا دعوى المستعار موضوعا للمستعار له على ضرب من
التاويل والحقيقة لغوية ان كان صاحب وضعها واضع اللغة وشرعية ان كان صاحب وضعها الشارع وعرفية ان لم يتعين صاحب وضعها
والمجاز هو الكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له بالتحقيق استعمالا فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة
معناها فى ذلك النوع واحترز بقوله بالتحقيق عن عدم خروج الاستعارة التى هى من باب المجاز نظرا الى دعوى استعمالها فيما هى موضوعة
له واحترز بقوله استعمالا فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها عما اذا اتفق كونها مستعملة فيما يكون موضوعا له بالنسبة الى حقيقتها
كما اذا استعمل صاحب اللغة الغايط مجازا فى الفضلة المشهورة او كما استعمل صاحب الحقيقة الشرعية الصلاة للدعا وصاحب العرف
الدابة للحمار والمراد بنوع حقيقتها اللغوية او الشرعية او العرفية واحترز بقوله مع قرينة مانعة عن ارادة معناها فى ذلك النوع
عن الكناية فان الكناية تستعمل ويراد بها المكنى عنها فتقع مستعملة فى غير ما هى موضوعة له ولا تسمى مجازا اذ لا قرينة معها تمنع عن ارادة
معناها فى ذلك النوع ثم المجاز قسمان لغوى وهو ما ذكر ويسمى مجازا فى المفرد وعقلى ويسمى مجازا فى الجملة واللغوى قسمان قسم يرجع الى معنى الكلمة
وقسم يرجع الى حكم لها فى الكلام والراجع الى معنى الكلمة قسمان قسم خال عن الفايدة ومتضمن لها والمتضمن للفايدة قسمان قسم
خال عن المبالغة فى التشبيه ومتضمن لها ويسمى الاستعارة فهذه خمسة مجاز لغوى راجع الى المعنى خال عن الفايدة مجاز لغوى معنى
مفيد خال عن المبالغة فى التشبيه استعارة مجاز لغوى راجع الى حكم الكلمة مجاز عقلى الاول ان تكون الكلمة موضوعة لحقيقة
من الحقايق مع قيد فيستعمل لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة كما يستعمل المرسن الذى هو موضوع لانف مرسون فى الانف
بمعونة القرينة الثانى ان تعدى الكلمة عن مفهومها الاصلى بمعونة القرينة الى غيره لملاحظة بينهما ونوع تعلق كما يستعمل اليد فى النعمة
لتعلق النعمة باليد من حيث انها تصدر عن اليد ومن هذا القبيل قوله تعالى وينزل عليكم من السماء رزقا اى مطرا هو سبب الرزق وقوله عز وعلا
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار اى العناد المستلزم للنار وقوله فاذا قرات القرآن اى اردت لان الارادة سبب القراءة وقوله
تعالى ونادى نوح اى اراد نداءه الثالث اى الاستعارة اى ذكر احد طرفى التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول
المشبه فى جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول فى الحمام اسد وانت تريد الشجاع مدعيا انه من
جنس الاسود فيثبت للشجاع ما يخص الاسد وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بافراده فى الذكر او كما تقول ان المنية انشبت اظفارها
وانت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها وانكار ان يكون شيئا غير سبع فيثبت لها ما يخص المشبه به وهو الاظفار وتسمى المشبه به
سواء كان هو المذكور او المتروك مستعارا منه واسمه مستعارا او المشبه مستعارا له وللعلماء قولان احدهما انه لغوى نظرا الى استعمال
اللفظ اى الاسد فى غير ما وضع له عند التحقيق فانه وان ادعينا للشجاع الاسدية فلا يتجاوز حديث الشجاعة حتى ندعى للرجل صورة
الاسد وهيئته وعباله عنقه ومخالبه وانيابه وان كانت الشجاعة من اخص اوصاف الاسد او امكنها لكن لم تضع اللغة الاسم لها
وحدها بل لها فى مثل تلك الجثة وتلك الهيئة وغيرهما من الصفات ولو كانت اللغة وضعت لفظ الاسد للشجاعة التى تعرفها لكانت
صفة لا اسما ولكان استعماله فيمن كان على غاية قوة البطش ونهاية جراءة الاقدام من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه فلا تكون
استعارة وثانيهما انه ليس بلغوى نظرا الى الدعوى فان كونه لغويا يقتضى ان يكون الكلمة مستعملة فى غير ما هى موضوعة له ويمتنع مع ادعاء
الاسدية للرجل ودخوله فى جنس الاسود وكونه فردا من افراد حقيقة الاسد ان يكون اطلاق اسم الاسد على ذلك عن اعتراف بانه رجل
فانه قدح فى الدعوى ومع الاصرار على انه اسد يمتنع ان يقال لم يستعمل الكلمة فيما هى موضوعة له لكن اذا وقفت على وجه التوفيق بين

اصرار المستعير في ادعايه الاسدية للرجال وبين نصب المستعير قرينة دالة على انه ليس الهيكل المخصوص مصدقة عنده في ضمن الكلام
كشف لك الغطاء وجه التوفيق هو ان مبنى الدعوى الاسدية للرجل في ادعاء ان افراد جنس الاسد قسمان بطريق التاويل متعارف وهو
الذي له غاية جراة الاقدام ونهاية قوة البطش مع الهيكل المخصوص وغير متعارف وهو الذي له تلك الجراة وتلك القوة لا مع ذلك الهيكل
المخصوص بل مع صورة أخرى مستشهد الدعوى الاسدية للرجل بالتخيلات العرفية والتاويلات المناسبة من نحو حكمك اذا رأيت
أسدا هرب عن ذيب انه ليس باسد واذا رأيت انسانا لا يقاومه احد انه ليس بانسان وانما هو أسد وهو اسد في صورة انسان
والاستعارة لبنا الدعوى على التاويل يفارق الدعوى الباطلة فان صاحبها متبرئ عن التاويل ويفارق الكذب بنصب القرينة
المانعة عن اجرا الكلام على ظاهره فان الكذاب لا ينصب دليلا على خلاف زعمه ثم الاستعارة قسمان مصرح بها وهو ان يكون الطرف
المذكور هو المشبه به ومكني عنها وهو ان يكون الطرف المذكور هو المشبه والمصرح بها تحقيقيه ان كان المشبه المتروك متحققا
حسا او عقلا وتخييليه ان كان المشبه المتروك شيئا وهميا وكل من التحقيقيه والتخييليه قطعية ان كان المشبه المتروك متعين
الحمل على ما له تحقق حسي أو عقلي او على ما لا تحقق له الا في الوهم واحتماليه ان كان المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ما تحقق واخرى على
ما لا تحقق له فهذه أربعة أقسام الاول ـــ الاستعارة المصرح بها التحقيقية القطعية هي اذا وجد وصف مشترك
بين ملزوم وبين مختلفين في الحقيقة في احد الملزومين اقوى منه في الاخر واريد الحاق الأضعف بالاقوى في وجه التسوية بينهما اريد في
ملزوم الاضعف من جنس ملزوم الاقوى باطلاق اسمه عليه وسد طريق التشبيه بافراده في الذكر توصلا بذلك الاطلاق الى
المطلوب لوجوب تساوي اللوازم عند تساوي ملزوماتها فاعلا ذلك في ضمن قرينة مانعة عن حمل المفرد بالذكر على ما يسبق منه
الى الفهم كيلا يتحمل عليه فيبطل الغرض التشبيهي كما انها دعواك على التاويل المذكور ليمكن التوقف بل دلالة الافراد بالذكر ومن
دلالة القرينة المتمانعين ليمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة مثاله ان يكون عندك شجاع وأنت تريد ان تلحق جراته وقوته
بجراة الاسد وقوته فتدعي الاسدية له باطلاق اسمه عليه مفردا له في الذكر فتقول رايت اسدا لئلا يبعد جراته وقوته
دون جراة الاسد وقوته مع نصب قرينة مانعة عن ارادة الهيكل المخصوص به كيرمي او يتكلم او في الحمام ومن أمثلته نظرت
الى بدر يتبسم ورايت بحرا يتكلم ومن الامثلة استعارة اسم احد الضدين او النقيضين للاخر بواسطة انتزاع شبه التضاد
والحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم او التمليح ثم ادعا أحدهما من جنس الاخر والافراد بالذكر ونصب القرينة كقولك ان فلانا
تواترت عليه البشارات بقتله ونهب امواله وسبي اولاده وخص هذا النوع باسم الاستعارة التهكمية او التمليحية وقرينة
الاستعارة قد تكون امرا واحدا كما في الامثلة وقد تكون معاني مربوطا بعضها بالبعض كما في البحتري وصاعقة من نصله تنكفي بها
على ارؤس الاقران خمس سحايب استعار السحايب لانامل يمين الممدوح الخمس بناء على ما جرت
العادة من تشبيه الجواد بالسحاب فذكر ان هناك صاعقة ثم قال من نصله فبين ان تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال على
ارؤس الاقران ثم قال خمس فذكر العدد الذي هو عدد الانامل فجعل ذلك كله قرينة لاستعارة السحايب للانامل ● القسم الثاني
الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع هي ان تسمى باسم صورة متحققة كالمخالب صورة وهمية محضة بتقدير مشابهة لها
مفردا بالذكر في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه الى الفهم من كون مسماه الشيء المتحقق وذلك مثل ان يشبه المنية بالسبع في
اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار تشبيها بليغا حتى كانها سبع من السباع فياخذ الوهم في تصويرها
بصورة السبع واختراع ما يلازم صورته ويتم بها شكله من ضروب هيئات وفنون جوارح واعضاء وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال
السبع للنفوس بها وتمام افتراسه للفرايس بها من الانياب والمخالب ثم يطلق على مخترعات الوهم اسامي الاشيا المحققة في السبع من الناب
والمخلب على سبيل الافراد بالذكر ويضاف الى المنية فيقال مخالب المنية او انياب المنية الشبيهة بالسبع لتكون اضافة
الى تلك الاسما الى المنية قرينة مانعة عن اجرائها على ما يسبق الى الفهم منها من تحقق مسمياتها ومن الامثلة لسان الحال الشبيه بالمتكلم
ناطق بكذا او زمام الحكم الشبيه بالناقة في ايدي المستمع في يد فلان القسم الثالث ـــ الاستعارة المصرح بها المحتملة
للتحقيق والتخييل هي أن تكون المشبه المتروك صالح الحمل على ما له تحقق من وجه وعلى ما لا تحقق له من وجه اخر مثاله قول زهير صحا
القلب عن سلمى واقصر باطله وعري افراس الصبي ورواحله بين انه راجع عما يفعل زمان الصبي ومنع النفس منه معرضا

بالكلية

بالكلية عن سلوك سبيل الغي فقال وعري افراس الصبي ورواحله اي ما بقيت الة من الالات المحتاج اليها في الركوب بالمرة
فتوهم للصبا الشبيه بالرحل المسافر الحوال امورا كالافراس فاطلق اسم الافراس على تلك الامور المتوهمة فتكون افراس الصبا ورواحله
استعارة تخييلية منزلة انياب المنية ومخالبها ويحتمل احتمالا بالتكلف ان يجعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس
وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات فيكون استعارة تحقيقية وقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع فان لباس
الجوع يحتمل ان يكون استعارة تخييلية ويحتمل ان يكون تحقيقية بان يستعار اللباس الى الجايع من تغير اللون ورثاثة
الهيئة القسم الرابع الاستعارة بالكناية وهو ان يذكر المشبه ويراد به المشبه به مع ذكر قرينة تدل على ذلك وهي ان ينسب
اليه او يضاف شي من لوازم المشبه به المساوية مثل ان يشبه المنية بالسبع ويفرد بالذكر مضافا اليها على سبيل الاستعارة
التخييلية من لوازم السبع المشبه به ما لا يكون الا له ليكون قرينة دالة على المراد فيقال مخالب المنية نشبت بفلان فلا يذكر
المشبه به فلا يقال المشبه بالسبع ومثل ان يقال لسان الحال ناطق بكذا ولا يذكر قولك الشبيه بالمتكلم وزمام الحكم في يد
فلان ويترك ذكر المشبه به الشبيه بالناقة فظهر ان الاستعارة بالكناية لا ينفك عن الاستعارة التخييلية ومن الاستعارة
الاستعارة الاصلية وهي ان يكون المستعار اسم جنس كرجل واسد وقيام وقعود ومنها الاستعارة التبعية وهي ما يقع في
غير اسما الاجناس كالافعال والصفات المشتقة منها وكالحروف وانما سمي الاولى اصلية لان بنا الاستعارة على تشبيه المستعار له
بالمستعار منه والتشبيه وصف للمشبه بكونه مشاركا للمشبه به في وجه التشبيه والاصل في الموصوفية هي الحقايق مثل
قولك جسم ابيض او ابيض صاف وجسم طويل وطول مفرط والثانية تبعية بناء على ان الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه
يعتمد كون المشبه موصوفا والافعال والصفات المشتقة منها والحروف لا توصف فلا تحتمل الاستعارة بانفسها وانما المحتمل
للاستعارة في الافعال والصفة المشتقة منها مصادرها وفي الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة في المصادر ثم تسري
في الافعال والصفات المشتقة منها وفي متعلقات معاني الحروف ثم تسري فيها فلا يستعار الفعل الا بعد استعارة مصدره
فلا تقول نطقت الحال بكذا بدل دلت الا بعد تقرير استعارة نطق الناطق لدلالة الحال وكذا قوله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم في الاستعارة التهكمية بدل فانذرهم وقول قوم شعيب عليه السلام انك لانت الحليم الرشيد بدل السفيه الغوي ولا
يستعار الحرف الا بعد تقرير الاستعارة في متعلق معناه فاذا اريد استعارة لعل لغير معناها قدرت الاستعارة في معنى الترجي
ثم استعملت هناك لعل واذا اريد استعارة لام العرض قدرت الاستعارة في معنى العرض ثم استعملت لام العرض هنالك كما
اذا كان عندك ترتب وجود امر على أمر من غير ان يكون الثاني مطلوبا بالاول فتشبهه بترتيب وجود امر على أمر مطلوب
بالاول منها الثاني ثم تستعير للترتيب المشبه كلمة الترتب المشبه به في ضمن قرينة مانعة عن حمله على ما هي موضوعة له فيقول اذا رايت
عاقلا احسن الى انسان ثم اذاه ذلك انه قد احسن اليه ليوذيه ومن ذلك قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
واعلم ان مدار قرينة الاستعارة التبعية في الافعال وما يتصل بها على نسبتها الى الفاعل كقوله نطقت الحال او الى المفعول
الاول كقول ابن المعتز قتل البخل واحي السماحا او الى الثاني المنصوب كقوله ـــ الاخر صبحنا الخزرجية مرهفات
وقول الاخر نقريهم لهذميات او الى المجرور كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم او الى الجميع كقوله تقرى الرياح رياض الحزن
مزهره اذا سرى النوم في الاجفان ايقاظا واذا عقبت الاستعارة بصفات ملايمة للمستعار او تفريع كلام ملايم له سميت مجردة
ومتى عقبت بصفات منه او تفريع كلام ملايم له سميت مرشحة مثالها في التجريد ساورت اسدا شاكي السلاح طويل القناة
صقيل الغضب وحاورت بحرا ما اكثر علومه وما اجمعه للحقايق وما اوقفه على الدقايق ومثالها في الترشيح ساورت اسدا هصورا
عظيم اللبدتين وافي البراثن منكر الزئير وحاورت بحرا زاخرا لا يزال يتلاطم امواجه ولا يغيض فيضه ولا يدرك قعره والمراد
بالصفات الصفات المعنوية سواء كانت نحوية أو غير نحوية ومبنى الترشيح على تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمه حتى لا يبالي
ان يبني على علو القدر بناك على علو المكان كما فعل ابو تمام اذ قال ـــ ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السما وان يلزم
المستعار له ما يلزم المستعار منه من التعجب وغير التعجب مما لا يليق الا بالمستعار منه كما فعل من قال قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني
ومن قال لا تعجبوا من بلا غلالته قد زر ازراره على القمر انظر الى هولا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم ونسوا حديث الاستعارة

واعلم ان للاستعارة شروطا في الحسن ان صادفتها حسنت والا عريت عن الحسن وربما اكتست قبحا وتلك الشروط رعاية جهات حسن التشبيه بين المستعار له والمستعار منه في الاستعارة بالتصريح بالاستعارة الحقيقية والاستعارة بالكناية وان لا يشمها في كلامك من جانب اللفظ رائحة من التشبيه اي لا تذكر لفظا يدل على التشبيه ولهذا اعتبر في الاستعارة بالتصريح كون التشبيه بينهما جليا بنفسه او معروفا سائرا بين الاقوام والا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية والالغاز كما اذا قلت اذا رايت عودا مستقيما اوان الغرس واردت انسانا مؤدبا في صباه او قلت رايت ابلا مائة لا تجد فيها راحلة واردت الناس واما حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت التخييلية تابعة لها في قوله تعالى يد الله فوق ايديهم كانت احسن واحسن ولما بناء كانت الاستعارة على التشبيه تنوع خمسة انواع تنوع التشبيه اليها استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي نحو قوله تعالى واشتعل الراس شيبا فالمستعار منه هو النار والمستعار له هو الشيب ووجه الشبه هو الانبساط ولكنه في النار اقوى فالطرفان ووجه الشبه حسية او بوجه عقلي كقوله تعالى انا ارسلنا عليهم الريح العقيم فالمستعار منه المراة والمستعار له الريح ووجه الشبه المنع من ظهور النتيجة والاثر والطرفان حسيان ووجه الشبه عقلي واستعارة معقول لمعقول كقوله تعالى من بعثنا من مرقدنا المستعار منه الرقود والمستعار له الموت وهما معقولان ووجه الشبه عدم ظهور الافعال واستعارة محسوس لمعقول كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي واستعارة معقول لمحسوس نحو قوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية فالمستعار منه التكبر وهو عقلي والمستعار له كثرة الماء وهو حسي والجامع الاستعلاء المفرط الرابع المجاز اللغوي الراجع الى حكم الكلمة وهو ان تكون الكلمة منقولة عن حكم لها اصلي الى غيره كما في قوله علت كلمته وجاء ربك والاصل جاء امر ربك فالحكم الاصلي في الكلام لقوله ربك هو الجر واما الرفع فمجاز وفي قوله واسئل القرية فالاصل فيها واسئل اهل القرية فالحكم الاصلي في القرية في الكلام هو الجر والنصب مجاز ومدار هذا النوع ان يكتسي الكلمة حركة لاجل حذف كلمة لابد من معناها او لاجل اثبات كلمة مستغنى عنها استغناء واضحا كالباء في قوله كفى بالله الخامس المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه بضرب من التاويل افادة للخلاف لا بواسطة وضع كقولك انبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض وكسى الخليفة الكعبة وقيل خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه ولم يقل خلاف ما عند المتكلم فيه من الحكم ولم يقل خلاف ما عند العقل محافظة على طرده فان الدهري اذا قال عن اعتقاد جهل او جاهلا غيره انبت الربيع البقل معتقدا انبات البقل من الربيع لا يسمى كلامه هذا مجازا وان كان بخلاف العقلي في نفس الامر وعلى عكسه فانه ليس في العقل امتناع ان يكسوا الخليفة نفسه الكعبة وقيل بضرب من التاويل احترازا عن الكذب فانه لا يسمى مجازا مع كونه كلاما مفيدا خلاف ما عند المتكلم وقيل افادة الخلاف لا بواسطة وضع احترازا عن المجاز اللغوي في صورة وهي اذا ادعي ان انبت موضوع لاستعماله في القادر المختار او وضع لذلك اي للقادر فان المجاز حينئذ يسمى لغويا وضعيا عقليا وقيل وضع على التنكير يشمل وضع اللغة ان ادعى ووضع غيرها ان ارتكب ويسمى هذا النوع مجاز التعدي الحكم عن مكانه الاصل فالحكم في انبت الربيع البقل بكون الانبات فعلا للربيع مكانه الاصل عند العقل كونه فعلا لله عز وجل ويسمى عقليا لا لغويا لعدم رجوعه الى الوضع وقد تسمى حكميا لتعلقه بالحكم واعلم ان هذا المجاز لرجوعه عن الحكم واستدعا الحكم محكوما به ومحكوما له واحتمال لكل واحد منهما الحقيقة الوضعية والمجاز الوضعي على اربعة اقسام اما ان يكون كل منهما حقيقيين وضعيين نحو انبت الربيع البقل او مجازيين وضعيين نحو احيا الربيع الارض شباب الزمان او يكون المحكوم به حقيقة وضعية والمحكوم له مجازا وضعيا نحو انبت البقل شباب الزمان او بالعكس نحو احيا الربيع الارض واعلم ان المجاز الحكمي كثير الوقوع في القران نحو قوله تعالى فما ربحت تجارتهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا تؤتي اكلها حتى تضع الحرب اوزارها واخرجت الارض اثقالها واما الحقيقة العقلية وتسمى ايضا حكمية فهي الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه كقولك انبت الله البقل وشفا الله المريض وقيل ما عند المتكلم من الحكم فيه ولم يقل ما في العقل من الحكم فيه ليتناول كلام الدهري اذا قال انبت الربيع البقل راسا انبات البقل من الربيع حيث عد حقيقة مع كونه غير مفيد لما في العقل من الحكم فيه ومن حق المجاز الحكمي ان يكون فيه للمسند اليه المذكور نوع تعلق وشبه بالمسند اليه المتروك فلانه لا يرتكب الا لنكتة مثل

ماترى

ما ترى للربيع في انبت الربيع البقل من نوع شبه بالفاعل المختار من دوران الانبات معه وجودا وعدما اذا لم يكن هذا الشبه بين المذكور والمتروك نسب المتكلم الى الحماقة وهذا المجاز الحكمي لا احتصاص له بالخبر مثلا اذا قال قائل اني بعد ما اقتنعت باليسير من الدنيا وطبت نفسا عن زخارفها فليفعل الدهر ما شاء وليختلف الفصول اختلافها وليبنت الربيع ما احب والنثر الاشجار اثمار ما شتهت فهذه الاوامر من باب المجاز الحكمي والذي يقتضي راي صاحب المفتاح ان يجعل هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة وجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة فيكون المجاز كله لغويا والكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك كما يقال فلان طويل النجاد لينتقل منه الى ملزومه وهو طول القامة ويسمى هذا النوع كناية لما فيه من اخفاء وجه التصريح فانه لا دلالة كني على ذلك والفرق بين المجاز والكناية وجهين احدهما ان الكناية لا تنافي ارادة الحقيقة بلفظها فيجوز ان يراد في قوله فلان طويل النجاد طول نجاده من غير ارتكاب تاول مع ارادة طول قامته والمجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو رعينا الغيث ان يراد معنى الغيث وفيه نظر فانه انما يكون لذلك اذا لم يمكن الجمع بين المفهوم المجازي والمفهوم الحقيقي واذا امكن الجمع بينهما فيصح ان يكونا مرادين على المذهب الصحيح وثانيهما ان مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم والمطلوب بالكناية اما نفس الموصوف او نفس الصفة او تخصيص الصفة بالموصوف الاول ان يكون المطلوب منها نفس الموصوف والكناية في هذا القسم تارة تبعد وتارة تقرب فالقريبة هي ان يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكرها متوصلا بها الى ذلك الموصوف مثل ان تقول جاء المضياف وتريد زيدا لعارض اختصاص للمضياف بزيد والبعيدة هي ان تتكلف اختصاصها بان تضم الى لازم اخر واخر فتلفق مجموعا وصفيا مانعا عن دخول كل ما عدا مقصودك فيه مثل ان تقول في الكناية عن الانسان حي مستوي القامة عريض الاظفار والثاني المطلوب نفس الصفة وهي ايضا في هذا القسم يقرب تارة وبعد اخرى فالقريبة هي ان تنتقل الى مطلوبك من اقرب لوازمه اليه مثل ان يقول فلان طويل نجاده متوصلا به الى طول قامته والقرب تارة يكون واضحا في المثال المذكور وتارة خفيا كما في قولهم عريض القفا كناية عن الابله وفي قولهم عريض الوسادة كناية عن هذه الكناية والبعيدة هي ان تنتقل الى مطلوبك من لازم بعيد بوساطة لوازم متسلسلة مثل ان تقول كثير الرماد فتنتقل من كثرة الرماد الى كثرة الجمر ومن كثرة الجمر الى كثرة احراق الحطب تحت القدر ومن كثرة احراق الحطب الى كثرة الطباخ ومن كثرة الطباخ الى كثرة الاكلة ومن كثرة الاكلة الى كثرة الضيفان ومن كثرة الضيفان الى انه مضياف الثالث المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف وهي ايضا تتفاوت في اللطف فتارة تكون لطيفة واخرى الطف اللطيفة كقولك زياد الاعجم ان السماحة والمروة والندا في قبة ضربت على ابن الحشرج فانه حين اراد ان لا يصرح بتخصيص السماحة والمروة والندا بابن الحشرج لم يضفها اليه ولم يسند اليه فان الطريق الى تخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح اما بالاضافة نحو سماحة ابن الحشرج او معناها نحو السماحة لابن الحشرج او الاسناد نحو سمح ابن الحشرج او معناه نحو ابن الحشرج سمح بل جمع السماحة والمروة والندا في قبة ينبها بذلك على ان محلها محل ذو قبة طالبا بذلك اختصاصها بابن الحشرج ثم لما راى عرضه لم يتم بذلك لوجود ذوي قباب في الدنيا كثير جعل القبة مضروبة على ابن الحشرج حتى يتم غرضه والالطف قوله المجد يدعو ان يدوم لجيده عقد مساعي ابن العميد نظامه اراد اثبات المجد لابن العميد لا على سبيل التصريح فاثبت لابن العميد مساعي وجعلها نظام عقد وبين ان مناط ذلك العقد هو جيد المجد فنبه بذلك على اعتناء ابن العميد بتزيين المجد ونبه بتزيينه اياه على اعتنائه بشان المجد وعلى محبته له ونبه بذلك على انه ماجد ولم يقنعه ذلك حتى جعل المجد المعرف تعريف العرف ان يدوم ذلك العقد لجيده فنبه بذلك على حقيقة طلب المجد دوام نفاء ابن العميد ونبه بذلك على ان تزيينه والاعتناء بشانه مقصور على ابن العميد حتى احكم تخصيص المجد بابن العميد والثاني ابلغ تاكيدا والكناية في القسم الثاني والثالث تارة تكون مسوقة لاجل الموصوف المذكور كما يقال فلان يصلي ويزكي ويتوصل بذلك الى انه مؤمن وتارة يكون مسوقة لاجل موصوف غير مذكور كما يقال في عرض من يؤذي المؤمنين المؤمن هو الذي يصلي ويزكي ولا يؤذي اخاه المسلم ويتوصل بذلك الى نفي الايمان عن المؤذي ولقوله تعالى

في عرض المنافقين هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب بالغيبة اذا فسر الغيب بالغيبة بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي صلى الله
عليه وسلم والكناية اذا كانت عرضية تسمى تعريضا والا فان كانت بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة تسمى تلويحا وان كانت بينهما
مسافة قصيرة مع نوع من الخفا نحو عريض القفا وعريض الوسادة يسمى رمزا وبدون نوع خفا يسمى ايماء واشارة كقول ابي تمام
ابين فما يزرن سوى كريم وحسبك ان يزرن ابا سعيد فانه في افادة ان ابا سعيد كريم غير خاف والتعريض تارة يكون على
وجه الكناية وتارة على طريق المجاز فاذا قلت اذيتني فستعرف واردت المخاطب ومع المخاطب انسانا اخر معتمدا على قرائن الاحوال
كان من القبيل الاول وان لم ترد الا غير المخاطب كان من القبيل الثاني واعلم ان اصحاب البلاغة اتفقوا على ان المجاز ابلغ
من الحقيقة فان الاستعارة اقوى من التصريح بالتشبيه وان الكناية اوقع من الافصاح بالذكر والله اعلم بالصواب

في بيان الخاص والعام

ان لكل شي حقيقة هو بها هو فالدال عليها المطلق والدال عليها مع وحدة معينة
وهي المعرفة وغير معرفة النكرة ومع وحدات محصورة الحقيقة مع العدد نحو خمسة رجال وعشرين رجلا ومع جميع
الجزئيات العام فالعام لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد وهو يقتضي ثبوت الحكم في جميع افراده على سبيل
الظهور عند الشافعي والخاص المخالف له تخصيصه سوا كان متقدما او متاخرا وعند اصحاب ابي حنيفة العام يوجب
الحكم في جميع الافراد الداخلة له قطعا تحته ويقينا كالخاص فيما تناوله الا فيما لا يحتمل اجراؤه على العموم اي لا يمكن اعتبار
العموم فيه لكون المحل غير قابل له مثل قوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة فانه حينئذ يكون العام كالمجمل يجب التوقف فيه
الى ان يظهر ما هو المراد منه شان ظاهر ولا يعمل به بقدر الامكان خلافا للشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه الله ينسخ
الخاص بالعام المتاخر لكونه مماثلا له في الدلالة ولو لم يكن العام مثل الخاص لما صح نسخه بالعام وعند الشافعي رحمه الله يخص
العام سوا كان كتابا او سنة متواترة او احادا فخص بالكتاب وبالسنة المتواترة وبالاحاد وبالقياس على تفصيل
واختلاف وعند الحنفية العام من الكتاب والسنة المتواترة اذا لم يخص بما هو قطعي لا يحتمل التخصيص بخبر
الواحد والقياس ظنيان والكتاب والسنة المتواترة قطعيان والظني لا يجوز تخصيص القطعي به لان التخصيص
بطريق المعارضة والظني لا يعارض القطعي وجوابه ان الكتاب والسنة المتواترة قطعي بحسب المتن وظني بحسب الدلالة
والخبر الواحد بالعكس فيصلح ان يكون معارضا له فيجمع بينهما بقدر الامكان والعام بعد التخصيص مجاز في الباقي وحجة
فيه اذا كان مخصصه بمعين ويستدل بالعام ما لم يظهر المخصص والتخصيص هو اخراج بعض الافراد المندرجة في العام
والمخصص هو المتكلم ولما كان المتكلم اخرج بعض افراد العام بالارادة اسند التخصيص الى ارادة المتكلم فجعل الارادة
مخصصة ثم جعل ما دل على ارادة المتكلم مخصصا والمخصص بهذا المعنى قد يكون غير لفظي عقلي كما في قوله تعالى الله خالق
كل شي وحسي كما في قوله تعالى واوتيت من كل شي وقد يكون لفظيا متصلا وهو اربعة الاول الاستثنا وهو الاخراج بالا
غير الصفة واخواتها والمنقطع مجاز وشروط الاستثنا الاتصال عادة وعدم الاستغراق والمتعقب للجمل عايد الى الجميع
وعند ابي حنيفة الى الاخيرة الثاني الشرط وهو ما يتوقف عليه تاثير المؤثر لا وجوده كالاحصان للرجم الثالث
الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة الرابع الغاية وهي طرفه وحكم ما بعدها خلاف ما قبلها مثل واتموا الصيام الى
الليل والمنفصل الدليل السمعي ومن اصحاب ابي حنيفة من قسم اللفظي الى مستقل متصل بالكلام الذي فيه العام ومتراخ
والى غير مستقل لا يكون الا متصلا فيدخل في غير المستقل الاستثنا والشرط والصفة والغاية ولا خلاف بين اصحاب ابي حنيفة
ان العام اذا خص منه شي بدليل مقارن يجوز تخصيصه بعد ذلك بدليل متراخ واما العام الذي لم يخص منه شي فلا يجوز
تخصيصه بدليل متاخر عنه عند الكرخي وعامة المتاخرين من اصحاب ابي حنيفة وعند بعض اصحاب ابي حنيفة يجوز تخصيصه
به متراخيا كما يجوز متصلا وطايفة من الذين لم يجوزوا تخصيص العام الذي لم يخص بدليل متراخ شرطوا الاستقلال
مع الاتصال في اول مخصص والخاص اذا عارض العام يخصصه علم تاخره ام لا وذهب العراقيون من اصحاب ابي حنيفة رحمه الله
الى انه اذا ورد خاص وعام وتعذر الجمع بينهما فان تاخر العام نسخ الخاص وان تاخر الخاص نسخ العام بقدر ما دل عليه الخاص دون
غيره وان ورد الخاص والعام معا خصص العام بالخاص وان جهل التاريخ فالوقف ويجوز تخصيص الكتاب به وبالسنة المتواترة
والاجماع وبالاحاد وبالقياس ومنعه بعض مطلقا وشرط التخصيص بغيره وبعض اخر التخصيص بمنفصل وشرط طايفة
الخلاف في القياس واعتبر الغزالي ارجح الظنين وتوقف القاضي وامام الحرمين ويجوز تخصيص المنطوق بالمفهوم والعادة
التي قررها الرسول تخصص وخصوص السبب لا تخصص وافراد فرد لا تخصص وعود ضمير خاص لا تخصص مثل والمطلقات
مع قوله وبعولتهن والنسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ وقيل بيان انتهاء حكم شرعي مطلق عن التابيد والتوقيت
بنص متاخر عن مورده والنسخ جايز عقلا وشرعا وكذا نسخ بعض القران ونسخ التلاوة والحكم معا والتلاوة وحدها والحكم
وحده ونسخ الكتاب به وبالسنة المتواترة لا بالاجماع ولا بالاحاد ولا بالقياس والله اعلم

في تعريف الادراك والعلم والمعرفة والشعور والتصور والتصديق والظن واليقين والفكر والنظر وما يقاربها في المفهوم

ان هذه الامور التي هي من احوال النفس غنية عن التعريف بحسب الحقيقة لانها من الوجدانيات
التي هي بانفسها حاصلة عند النفس وحصول نفس حقيقة الشي اقوى في التصور من حصول صورتها ومثالها وشبحها
فلهذا يكون الصفات النفسانية والوجدانيات اقوى في التصور من الامور الخارجة عن النفس فان تصور الصفات
النفسانية هو حصول حقيقتها عند النفس وتصور الامور الخارجة عن النفس حصول مثالها وشبحها في النفس وتصديق
البديهي على التصور صدق اللازم البين الذي يحصل جزم العقل بصدقه على الملزوم عند تصور اللازم والملزوم
فان صدق البديهي على التصور ليس صدق الذاتي ولا صدق العرضي المفارق ولا صدق اللازم بوسط فان الشي اذا كان
متصورا بالبديهية يلزم من تصوره وتصور معنى البديهي جزم العقل بانه بديهي من غير احتياج الى وسط فلا يتوقف على برهان
بل قد يحتاج الى تنبيه فان الوهم منازع للعقل صارف له عن مقتضاه فيحصل اضطراب في تعقلات العقل بسببه فيحتاج الى
تنبيه ليتخلص عن شوب التوهم الى صرف التعقل فما يذكر على سبيل التنبيه وان كان على صورة البرهان لا يقبل المناقضة والمعارضة
نعم قد تقصر قوة المنبه على ايراد التنبيه على الوجه المستقيم فيتوقف على قوة بيان حاصل بسبب الفطرة او بالكسب وقد يقصر
فهم المنبه عن تفهيم المراد من تنبيه فينتقل الى اخر حتى يتنبه اللهم الا ان يقصر مطلقا فينبغي ان يهجر وكل ميسر لما خلق له وكلا
ما تشتبه الالفاظ الدالة على الوجدانيات بان لم يعرف ان اي لفظ للمعنى الوجداني الخاص او هذا اللفظ موضوع لاي معنى من المعاني
الوجدانية فيحتاج الى تعريف بحسب اللفظ فنقول الادراك في الاصل اللحوق يقال مشيت حتى ادركته وعشت حتى ادركت
زمانه وادركته ببصري اذا رايته وادرك الغلام وادرك الثمر اذا بلغ وتدارك القوم اذا لاحقوا اي لحق اخرهم اولهم ومنه قوله
تعالى حتى اذا اداركوا فيها جميعا اصله تداركوا فادغمت التاء في الدال واجتلبت الالف ليسلم السكون وقال تعالى قال اصحاب موسى انا
لمدركون ثم اطلق الادراك على المعنى المتعارف وهو تمثل حقيقة الشي عند المدرك يشاهدها ما به يدرك هذا هو التعريف
الادراك بحسب اللفظ ولذلك لم يتحاش عن ايراد المدرك فيه ولم يلزم من ايراد المشتق في تعريف المشتق منه دور ولا تعريف
بالاخفى لان تعيين مدلول الادراك يكون بامر مختص به غير شامل لساير الصفات النفسانية وهو تمثل الحقيقة على وجه
المشاهدة لا ذكر المدرك وهذا التعريف تعيين للمعنى المسمى بالادراك الذي يشترك فيه التعقل والتوهم والتخيل والاحساس
والشي المدرك اما نفس المدرك او غيرها غير خارج عنها او خارج عنها مادي او غير مادي وادراك الاولين بحصول نفس حقيقتها
عند المدرك الاول بدون الحلول والثاني بحلول والاخيرين بحصول مثال الحقيقة سوا استفيد الادراك من الخارجي
او الخارجي من الادراك والثالث بحصول صورة منتزعة عن المادة مجردة عنها والرابع لم يحتج الى انتزاع فقوله تمثل
حقيقة الشي يشمل الجميع يقال تمثل كذا عند كذا اذا حضر منتصبا عنده بنفسه او بمثاله فالانتصاب بنفسه يشمل
الاولين وبمثاله يشمل الاخيرين وقوله عنده اعم من ان يكون بالحلول في المدرك نفسه او في آلته او بدون الحلول فان الحضور
عنده يشملها والادراك يعرض له اضافتان احداهما الى ذي الادراك والاخرى الى الشي المدرك فلهذا تعرض لذكرهما في التعريف
وبسبب عروض الاضافتين يكون المدرك والمدرك متضايفين والادراك ينقسم الى ادراك بغير آلة والى ادراك بآلة وللتنبيه
على القسمين ذكر قوله يشاهدها ما به يدرك فان كان يدرك بغير آلة فما به يدرك هو ذات المدرك فيشاهدها الذات
وان كان يدرك بآلة فما به يدرك هو الآلة فيشاهدها الآلة والمراد بالمشاهدة الحضور وادراك الشي ليس حضوره عنده

الالة فقط بل حضوره عند المدرك بحضوره عند الالة اذ كان ما به يدرك الالة لا بان يكون حاضرا مرتين احديهما عند المدرك
والاخرى عند الته فالنفس هو المدرك ولكن بواسطة الحضور عند الالة ان كان ما به يدرك الاله والحضور عند المدرك علم
علم من قوله بمثل حقيقته عند المدرك والحضور عند الاله علم من قوله يشاهدها ما به يدرك ثم الادراكات اما ان تكون
ظاهرة كاحساس مشاعر الحس السمع والبصر واللمس والذوق والشم واما ان تكون باطنة كالتعقل والتوهم والتخيل وتعقل
الشي ادراكه مجردا عن الغواشي الغريبة واللواحق المادية التي لا تكون لازمة لماهيته او تكون لازمة لكن لا عن ماهيته والتوهم
ادراك المعنى الجزئي المتعلق بالمحسوس والتخيل ادراكه ملتبسا بالعوارض الغريبة واللواحق المادية ولكن لا يشترط فيه حضور
المادة ونسبتها الخاصة والاحساس ادراك الشي مكتنفا بالعوارض الغريبة واللواحق المادية مع حضور المادة ونسبة
خاصة بينها وبين المدرك ومن الناس من يخص الادراك بالاحساس وحينئذ يكون الادراك مباينا للتعقل والتوهم والتخيل
والعلم قد يراد به الادراك بالمعنى الاول فيكون كل من التعقل والتوهم والتخيل والاحساس علما ومنهم من خص العلم بالمعنى
اي ما ليس بمخصوص وحينئذ يكون اخص مطلقا من الادراك بالمعنى الاول ومباينا للادراك بالمعنى الثاني وعلى كل من التفسير
يكون التعقل اخص مطلقا من العلم ومن الناس من قسم العلم المرادف للادراك بالمعنى الاول الى التصور والى التصديق واراد
بالتصور الادراك الذي لا يلحقه حكم باحدهما ومنهم من قسم العلم الى تصور ساذج اي مجرد عن التصديق والى تصور معه تصديق
مثل قولك البياض عرض والتصور في مثل هذا ان يحصل في الذهن صورة هذا التاليف وصورة ما يولف منه كالبياض والعرض
والتصديق ان يحصل في الذهن ان هذه الصورة مطابقة لما في نفس الامر ومنهم من جعل التصديق عبارة عن مجموع الادراك
والحكم فلا يصح حينئذ تقسيم الادراك والعلم بالمعنيين الى التصور والى التصديق ثم التصديق اما ان يكون جازما او مانعا
احتمال النقيض او لا يكون جازما والجازم اما غير مطابق او مطابق يقبل التشكيك او لا يقبله فالجازم المطابق الذي لا يقبل
التشكيك هو اليقين وقد يخص العلم به واكثر استعمال العلم في هذا المعنى وقد يسمى التصديق علما والجازم المطابق الذي يقبل
التشكيك هو الاعتقاد والجازم غير المطابق هو الاعتقاد الفاسد وقد يسمى جهلا مركبا وكلا قسمي الاعتقاد يسمى تقليدا
وغير الجازم ان يساوي طرفاه فهو الشك والا فالراجح الظن والمرجوح الوهم وقد يطلق الظن على الاقسام الثلاثة المقابلة
لليقين اي الجازم المطابق الذي يقبل التشكيك والجازم غير المطابق وغير الجازم وكل من التصور والتصديق ضروري وكسبي
فالتصور الضروري هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وفكر مثل تصور الوجود واللذة والالم والتصور الكسبي بخلافه مثل
تصور الملك والجن والتصديق الضروري هو الذي لا يتوقف جزم العقل بالنسبة الواقعة بين الطرفين بعد تصورهما على
نظر وفكر فيتناول المشاهدات وهي قضايا يستفاد العلم بها من الحس الظاهر وتسمى محسوسات مثل الحكم بوجود الشمس
او من الحس الباطن وتسمى قضايا اعتبارية مثل حكمنا بان لنا غضبا وخوفا وحزنا والتصديق الضروري قد يسمى بديهيا ومنهم
من خص البديهي بما يقتضيه العقل عند تصور طرفيه من غير استعانة بشي اخر فالبديهي بهذا المعنى اخص مطلقا من الضروري
مثل قولنا الشي اما ان يكون موجودا او ليس بموجود والتصديق الكسبي هو الذي يتوقف جزم العقل بالنسبة الواقعة
بينهما بعد تصورهما على نظر وفكر مثل قولنا الاله واحد والعالم حادث والفكر يطلق تارة ويراد به حركة النفس بالقوة
التي هي البطن الاوسط من الدماغ اية حركة كانت وتسمى القوة حينئذ مفكرة واذا كانت في المحسوسات تسمى تخيلا والقوة
متخيلة وهذه الحركة واقعة في مقولة الكيف فان الحركة في الكيف كما تقع في الكيفية المحسوسة تقع في الكيفية النفسانية بان
ترتسم المخزونات الباطنة في النفس شيا بعد شي عند الاستعراض ولا شك ان النفس تلاحظ الامور عند الاستعراض ولا شك
ان النفس تلاحظ الامور عند الاستعراض فالحركة هي الفكر والملاحظة هي النظر ولتلازمهما اطلق اسم احدهما على الاخر فاستعملا
استعمال المترادفين وقد يطلق الفكر على معنى ثان اخص مما ذكر وهو حركة النفس في المعقولات مبتداة من المطلوب مستعرضة
للمعاني الحاضرة عندها طالبة مباديه المودية اليه الى ان تجدها فترتبها وترجع منها الى المطلوب والفكر بهذا المعنى هو الذي
يتوقف عليه العلوم الكسبية وملاحظة المعاني الحاضرة عند الاستعراض على الوجه المذكور تسمى ايضا نظرا وقد يطلق اسم
احدهما على الاخر بهذا الاعتبار والشعور ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول العلم الى النفس كانه ادراك متزلزل

ولهذا

ولهذا لا يقال في الله انه يشعر بكذا كما يقال علم بكذا والتصور مشتق من الصورة التي هي الهيئة الجسمانية الحاصلة في الجسم
المشكل ولما كان حقيقة المعلوم مثالها مرتسما في النفس سمي ذلك المثال صورة تشبيها بالصورة المنتقشة في المادة وحصول
تلك الصور في النفس تصورا والحفظ حصول الصورة في النفس وتاكدها واستحكامها بحيث لو زالت تمكنت النفس من استرجاعها
ولما كان الحفظ مشعرا بالتاكيد بعد الضعف لا يسمى علم الله حفظا ولانه انما يحتاج الى الحفظ فيما يجوز زواله وذلك في علم الله
تعالى محال فلا يسمى حفظا والتذكر محاولة النفس استرجاع الصورة الزايلة عن النفس والذكر حصول الصورة الزايلة عن
النفس بعد طلب استرجاعها والمعرفة قيل هي ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات وقيل هو التصور والعلم هو التصديق
وقيل المعرفة ادراك الشي ثانيا بعد الغفلة عن ادراكه اولا فان من ادرك شيا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشي
ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان ادركه اولا فهذه هي المعرفة فيقال عرفت هذا الرجل وهو الذي
كنت رايته وقت كذا والفهم تصور الشي مما دل عليه عبارة او خطا او اشارة او غيرها والافهام ايصال المعنى المدلول الى فهم
الغير والفقه الفهم ثم خص به علم الشريعة ثم خص به العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المكتسبة من ادلتها التفصيلية
وقيل الفقه العلم بغرض المخاطب من خطابه يقال فقهت كلامك اي وقفت على غرضك من هذا الخطاب ثم ان كفار قريش
لما ان كانوا ارباب الشبهات والشهوات لم يقفوا على ما في تكاليف الله من المنافع العظيمة لاجرم قال الله تعالى لا
يكادون يفقهون حديثا اي لا يقفون على المقصود الاصلي والغرض الحقيقي والعقل قيل العلم بصفات الاشيا من حسنها وقبحها
ونقصانها فانه متى علم ذلك علم ما في المضار والمنافع فصار العلم بما في الشي من النفع داعيا الى الفعل والعلم بما فيه من الضر
داعيا الى الترك فصار ذلك العلم مانعا من الفعل مرة ومن الترك اخرى فجرى ذلك العلم مجرى عقال الناقة ولهذا لما سيل
بعض الصالحين عن العقل قال هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين ولما سيل عن العاقل قال العاقل من عقل عن الله امره ونهيه
وقيل العقل غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الالات اي القوة التي يدرك بها النفس المحسوسات الظاهرة
والباطنة والغريزة والطبيعة والقريحة هي السجية التي جبل الانسان عليها وقد يطلق لفظ العقل على غير هذا المعنى
بالاشتراك اللفظي فانه يقال لادراك الشي المجرد عن الغواشي الغريبة واللواحق المادية التي لا يلزم ماهيته عن ماهيته فهذا
النوع من الادراك الذي هو التعقل للجوهر المجرد الذي لا يتعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف ولقوى النفس الانسانية التي
بحسب تكميل جوهرها فمنها قوة استعدادية وهي التي من شانها المعقولات الاولى وهي الغريزة التي من شانها ادراك البديهيات
الحاصلة لجميع اشخاص الانسان في مبدا فطرتهم ومنها قوة اخرى تحصل لها عند حصول المعقولات الاولى لها فتهيا لاكتساب
النظريات بالفكر وتسمى عقلا بالملكة ومنها قوة اخرى وهي التي لها ان تحصل المعقول المكتسب المفروغ عنه كالمشاهد متى شاء
من غير افتقار الى اكتساب وتسمى عقلا بالفعل ويقال لحصول المعقولات بالفعل مشاهدة متمثلة في النفس عقل مستفاد
ويقال للقوة التي بها تستفيض العلوم والمعقولات عقل نظري والقوة التي تصلح بها احوال البدن عقل عملي ويقال للعقل
الذي خلص من شوب الوهم لب والدراية هي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيل وهو تقديم المقدمات واستعمال الروية
ولا يصح اطلاقه على الله تعالى لامتناع الفكر والحكمة على نوعين علمي وهو العلم بالاشيا على الوجه الذي هي عليها وعملي وهو العمل
على الوجه الذي يصلح ويحسن والعلم على وجهين احدهما العلم بالاشيا من غير ان يكون لها تعلق بالعمل وتسمى حكمة نظرية وثانيهما
العلم بالعمل الذي هو صالح حسن ايضا حكمة عملية وقيل الحكمة بالعلم العملي اخص منها بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا
منها في العلم ومنها يقال احكم العمل احكاما اذا اتقنه وحكم بكذا حكما وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها وقيل هي الاتيان
بالفعل الذي له عاقبة محمودة وقيل هي الاقتدا بالخالق سبحانه في السياسة بقدر الطاقة البشرية وذلك ان يجتهد في ان ينزه
علمه عن الجهل وفعله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه واليقين العلم بالشي بعد ان كان صاحبه شاكا فيه
فلذلك لا يقول القايل تيقنت في وجود نفسي وتيقنت ان السما فوقي لما ان العلم به غير مسبوق بشك وشبهة ويقال ذلك
في العلم الحادث سوا كان ضروريا او استدلاليا فيقول القايل تيقنت ما اردته بهذا الكلام وان كان قد علم مراده بالاضطرار
ويقول تيقنت ان الاله واحد وان كان قد علمه بالاكتساب ولذلك لا يوصف الله بانه تيقن الاشيا واليقين لا يحصل الا

اذا اعتقد ان الشي كذا وانه يمتنع كون الامر بخلاف معتقده اذا كان لذلك الاعتقاد موجب اما بديهية النظر ولما
نظر العقل والذهن هو قوة النفس المتهيه لاكتساب العلوم النظرية اعلم ان الله تعالى خلق الانسان خاليا عن العلوم كما
قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا والغرض من خلق الانسان العبادة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
والعبادة مشروطة بالعلم بكيفيتها وهو علم الفروع المسمى بالفقه في عرف الشرع والغرض من العبادة العلم قال الله تعالى واقم
الصلاة لذكرى وهو المعارف الالهية المسماه باصول الدين فالعلم لا بد منه ولما لم يكن العلم حاصلا بحسب الفطرة خلق الله الانسان
متمكنا من تحصيل المعارف والعلوم وجعل له من القوى الظاهرة والباطنة ما يستفاد به العلوم قال الله تعالى وجعل
لكم السمع والابصار والافيدة فالسمع والابصار من القوى الظاهرة والافيدة من القوى الباطنة ومن العلوم ما لا يحصل الا بالفكر
فانعم الله عليه بالقوة المفكره فاذا تطابقت هذه القوى استعد الانسان لقبول المعارف والعلوم فالذهن هو الاستعداد
التام لادراك هذه العلوم والمعارف والفكر الذي هو الحركة المذكورة تجري مجرى التضرع الى الله في استرسال العلوم من عنده
والفكر في العلوم التصديقيه لا يتم الا بوجدان شيء متوسط بين طرفي المطلوب المجهول لتصير النسبة المجهولة معلومة فان النفس
حال كونها جاهلة بالنسبة الواقعة بين طرفي المطلوب كانها واقعة في ظلمة طلما فيحتاج الى قايد يقودها وسايق يسوقها
وذلك المتوسط بين الطرفين وله الى كل واحد من طرفي المطلوب نسبة خاصة فيحدث من نسبة المتوسط الى كل من الطرفين
مقدمتان فكل مطلوب تصديقي مجهول لا يحصل العلم فيه الا بواسطة مقدمتين معلومتين والمقدمتان مما شاهدان
فكما ان الحجة الشرعيه لا تتم الا بشاهدين وكذا الحجة العقلية لا تتم الا بمقدمتين لحصول هذا المتوسط في النفس بسرعة
هو الحدس والذكاء شدة الحدس وهو قوة الذهن ايضا والفطنة التنبه لشي فيه خفا ولذلك يستعمل في الاكثر في استنباط
الاحاجي والرموز والخاطر ما خطر في السر نعته عند التوجه اليه يقال خطر الشي ببالي يخطر بالضم خطورا واخطره الله ببالي
ولما كانت النفس محلا للخاطر سميت خاطرا تسمية للمحل باسم الحال والظن والوهم يقعان على مراتب لان اعتقاد الطرف الراجح
والمرجوح قابل للشدة والضعف والظن المتناهي في القوة قد يطلق العلم عليه وبالعكس قال بعض المفسرين يظنون
في قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم يعني يعلمون والظن لا يخلو اما ان يكون في اصول الدين او في فروعه والاول
مذموم مطلقا قال الله تعالى ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى
الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقال ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان
يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا وقال ولا تقف ما ليس لك به علم وقال تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا
الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون والثاني لا يخلو اما ان يكون عن امارة قوية
وهي التي بين اعتبارها في اصول الفقه فهو غير مذموم كالظن الحاصل للمجتهد في احكام الفقه او عن امارة ضعيفة فهو مذموم
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم والخيال هو عبارة عن الصور الباقية عن المحسوس
بعد غيبته عن الحس الظاهر وقد يقال للصورة الحاصلة في القوة التي هي الة موخر البطن الاول من الدماغ وقد تسمى تلك
القوة خيالا تسمية للمحل باسم الحال وطيف الخيال مجيه في النوم وقيل الخيال يقال لتلك الصورة في المنام وفي اليقظة
والطيف لا يقال الا فيما كان في حال النوم وطيف من الشيطان لمم من الشيطان واللمم الصغاير من الذنوب ويقال هو مقاربة
المعصية من غير مواقعة وقال الاخفش اللمم المقارب من الذنوب والبديهة هي العلم الحاصل ابتدا في النفس لا بسبب
الفكر كعلمك بان الواحد نصف الاثنين يقال بدهه امر بدهه بدها فجئه وبدهه بامر اذا استقبله به وبادهه فاجاه
والاسم البداهة والبديهة والاوليات هي البديهيات والروية التفكر في الامور وقيل ما كان من المعرفة بعد فكر كثير
والكيس خلاف الحمق اي قلة العقل يقال كاس الولد كيسا وكياسة وقيل الكياسة تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت من حيث انه لا خير يصل الى الانسان افضل مما بعد الموت
والخبر العلم بالشي المتوصل اليه بالتجربة يقال من اين خبرت هذا الامر اي من اين علمت والاسم الخبر بالضم وهو العلم بالشي والخبير
العالم وقولهم لاخبرن خبرك اي لاعلمن علمك تقول منه خبرته اخبره خبرا بالضم وخبرة بالكسر اذا بلوته واختبرته يقال

صدق الخبر الخبر واما قول ابي الدردا رضي الله عنه وجدت الناس اخبر تقله فيريد انك اذا خبرتهم قليتهم فاخرج الكلام
عن لفظ الامر ومعناه الخبر وقيل الخبر من قولهم ناقة خبيرة اي غزيرة فكان الخبر هو غزارة المعرفة ويجوز ان يكون من قولهم
ناقة خبيرة هي المخبر عنها لغزارتها والراي احالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية
المستنتجة من الراي راي والراي للمفكرة كالالة للصانع ويقال لكل قضية فرضها فارض راي والفراسة هي الاستدلال
بالخلق الظاهر على خلق الباطن وفي الحديث اتقوا فراسة المومن وقد نبه الله تعالى على صدق هذا الطريق بقوله ان في ذلك
لايات للمتوسمين وقوله ولتعرفنهم في لحن القول وقوله سيماهم في وجوههم واشتقاقها من قولهم فرس السبع الشاة فكان الفراسة
اختلاس المعارف وذلك ضربان ضرب من الوحي واياه عني النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم ويسمى بذلك
ايضا النفث في الروع والضرب الثاني من الفراسة ما يكون بصناعة متعلمه وهو الاستدلال بالاشكال الظاهرة عن الاحوال
الباطنة وقال اهل اللغة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد ان البينة هو القسم الاول وهو الاشارة
صفا جوهر الروح والشاهد هو القسم الثاني وهو استدلال بالاشكال **المقدمة الخامسة عشره** في فضل العلم
وشرفه واعلم انه يدل على فضل العلم الكتاب والسنة والاثار والمعقول اما الكتاب فمنه قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم بدا بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم وناهيك بهذا مرتبة وجلالة ومنقبة وكمالا وقوله تعالى يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلما درجات فوق المومنين بسبعمائة درجة ما بين
الدرجتين مسيرة خمسمائة **اعلم** انه سبحانه وتعالى ذكر الدرجات لاربعة اصناف اولها للمومنين من اهل بدر قال تعالى
انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله تعالى لهم درجات عند ربهم وثانيها للمجاهدين قال الله تبارك وتعالى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه وثالثها لمن عمل الصالحات قال تعالى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى ورابعها للعلما والذين اوتوا العلم درجات فالله تعالى فضل اهل بدر على غيرهم من المومنين بدرجات
وفضل الصالحين على هولاء بدرجات فظهر ان العلما افضل من الجميع وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقوله انما يخشى الله من عباده العلما وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده
علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك نبها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقوله تعالى وقل رب زدني علما
وقوله وما يعقلها الا العالمون وقوله لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير واما السنة فمنها قوله صلى الله عليه وسلم
العلما ورثة الانبيا ورثوا العلم من اخذه اخذ بحظ وافر ومن سلك طريقا يطلب بها علما سهل الله له طريقا الى الجنة وقوله صلى الله
عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما العلم بالتعلم وقوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله
مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها متفق عليه من حديث ابن مسعود وقوله صلى الله عليه
وسلم اللهم علمه الكتاب في حق ابن عباس وقوله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث
اصاب ارضا وكان منها نقية قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الما فنفع الله به الناس
فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طايفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في الدين ونفعه ما
بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به والنغبة الغدير يكون في ظل جبل لا
يصيب فيه الشمس فيبرد ماه والجدب نقيض الخصب ومكان جدب وجديب ايضا بين الجدوبة وارض جدبة وقوله صلى الله
عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يقل العلم ويظهر الجهل وقوله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم اتيت بقدح فيه لبن فشربت
حتى اني لارى الري يخرج في اظفاري ثم اعطيت فضل عمر بن الخطاب قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وقوله صلى الله عليه
وسلم يستغفر للعالم من في السموات والارض واي منصب يزيد على منصب من تشتغل الملائكة في السموات والارض بالاستغفار
له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقوله صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى
يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى وقوله صلى الله عليه وسلم افضل الناس المومن
العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه وقوله صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته

الحيا وثمرته العلم وقوله صلى الله عليه وسلم اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما أهل العلم فدلوا الناس على ما
جات به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ماجات به الرسل وقوله صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة ايسر من موت
عالم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقوله صلى الله عليه وسلم يوزن
يوم القيمة مداد العلما ودم الشهدا وقوله صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب
وقوله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابرهيم اني عليم أحب كل عليم وقوله العالم امين الله في الارض وقوله صلى الله عليه
وسلم صنفان من امتي اذا صلحوا صلح امر الناس الامرا والفقها وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اتى علي يوم ولم ازدد فيه علماً
يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من
اصحابي فانظر كيف ترى العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلوا عن علم العبادة
التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب
وقوله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة وقوله
صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشي افضل من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شي عماد وعماد
هذا الدين الفقه وقوله صلى الله عليه وسلم فضل المومن العالم على المومن العابد سبعون درجة وقوله انكم اصبحتم في زمان
كثير فقهاوه قليل خطباوه قليل سايلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وقوله صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد
ماية درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سنة وقيل له يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل قيل
اي الاعمال تريد قال العلم بالله فقيل نسال عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا
ينفع مع الجهل وقوله صلى الله عليه وسلم يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يبعث العلما ثم يقول يا معشر العلما اني لم اضع علمي
فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم واما الاثار فمنها قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداً يحبه فمن طلب باباً من العلم رداه الله بردايه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلب رداه
ذلك وقوله تفقهوا قبل ان تسودوا وقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال
والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوا على الانفاق وقوله رضي الله عنه العالم افضل من الصايم
القايم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقوله رضي الله عنه نظما ما الفخر الا لاهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى ادلاء وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم أعدا وقول ابن عباس خير
سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسيل ابن المبارك عن الناس
فقال العلما قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصة التي
يميز بها الانسان من ساير البهايم العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك لقوة شخص فان الجمل اقوى منه ولا لعظمه
فان الفيل اعظم منه ولا للشجاعة فان السبع اشجع منه ولا للاكل فان الجمل أوسع بطنا منه ولا للجماع فان اخس العصافير
اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقول ابي الاسود ليس شي اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلما حكام
على الملوك وقول فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدوا يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منعت
عنه الحكمة والعلم ثلاثة ايام يموت ولقد صدق فان غذا القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما ان غذا الجسد الطعام ومن فقد
العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد يبطل احساس
الم الجراح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعبا الدنيا احس بالهلاك وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس
المفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا
انتبهوا وقول ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان تهلك رواته فو الذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله
شهدا ان يبعثهم الله علما لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقول ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة
احب الي من احيايها وقول الحسن في قوله تعالى اتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي الاخرة حسنة هي الجنة وقول

الاخف

الاخف كاد العلما ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقول سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلاثماية
درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زايرا فلم اذن له وقول الزبير
ابن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه
قال يا بني جالس العلما وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السما وقول الزهري العلم ذكر
ولا يحبه الا ذكور الرجال وقول بعض الحكما ليت شعري اي شي ادرك من فاته العلم واي شي فاته من ادركه العالم وقول
بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقول بعضهم اذا مات العالم بكاه الحوت
في الما والطير في السما ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقيل لبعضهم اي الاشيا يقتنى قال الاشيا التي اذا غرقت سفينتك سبحت
معك يعني العلم اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقول الشافعي رحمه الله من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في
شي حقير فرح ومن رفع عنه حزن واما المعقول فان العلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشي النفيس
المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره ولذاته وما يطلب لذاته اشرف وأفضل مما
يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله يسر قضا الحاجات بهما لكانا والحصا
بمثابة واحدة واما الذي يطلب لذاته في الاخرة المعرفة ولذة النظر الى وجه الله واما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة
البدن فان سلامة البدن او الرجل مثلا مطلوب من حيث انه سلامة عن الالام ومطلوب للمشي والتوصل الى المآرب والحاجات
وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الاخرة وسعادتها
وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشيا رتبة في حق الادمي السعادة الابدية وافضل الاشيا ما هو
وسيلة اليها ولن يتوصل الى ذلك الا بالعمل والعلم ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا والاخرة
هو العلم فافضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشي ايضا بشرف ثمرته وثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق
الملايكة ومقاربة الملا الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع
حتى ان اغبيا الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة
بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا **ولنبين** ان لذة
العلم اعظم اللذات وان الم الجهل اشد الالام **فنقول** اولا ان اللذة هي ادراك ونيل لوصول ما هو كمال وخير عند المدرك
من حيث هو كذلك والالام ادراك ونيل لوصول ما هو افة وشر عند المدرك والادراك قد مر تعريفه والنيل الوجدان ولم
يقتصر على الادراك لان ادراك الشي قد يكون بحصول شبحه ومثاله والنيل لا يكون الا بحصول نفسه واللذة لا تتحقق بحصول
مثال اللذيذ بل بحصول نفسه وانما لم يقتصر على النيل لان اللذة لا تتحقق بدون الادراك والنيل لا يدل عليه الا بالالتزام ولم
يوجد لفظ دال على المجموع بالمطابقة فذكرا والادراك اعم من النيل فقدم في الذكر واردفه بالنيل المخصص وانما قيل لوصول
ما هو ولم يقل لما هو لان اللذة ليست ادراك اللذيذ فقط بل ادراك وصول الملتذ الى اللذيذ وانما قيل ما هو عند المدرك
كمال وخير لان الشي قد يكون كمالا وخيرا بالقياس الى مدرك وهو لا يعتقد كماليته وخيريته فلا يلتذ به وقد لا يكون كمالا
وخيرا بالنسبة اليه وهو يعتقد كماليته وخيريته فيلتذ به فالمعتبر في الالتذاذ كماليته وخيريته عند المدرك لا في نفس الامر
والكمال والخير هاهنا هو الكمال والخير بالقياس الى الخير ومعناهما اما هو حاصل لما من شانه ان يكون ذلك الشي حاصلا له اي
يناسب له ويليق به والفرق بينهما بالاعتبار فانه من حيث اقتضاه يراه من القوة للشي الحاصل له كمال ومن حيث انه موثر
خير ولما تعلق تعلق اللذة بهما ذكرا واخر الخير لافادته تخصص المعنى والشي قد يكون كمالا وخيرا من وجه دون وجه والا
والالتذاذ به من الوجه الذي هو كمال وخير فقط ومعرفة فايدة التعرف في اللذة تفيد معرفة فايدة القيود في الالم وقد
يختلف الخير والشر بحسب القياس فالشي الذي هو عند الشهوة خير هو مثل المطعم الملايم فالادراك والنيل لوصوله لذة
شهوانية والذي هو عند الغضب خير هو الغلبة فالادراك والنيل لوصولها لذة غضبية والذي هو عند العقل خيرا تارة
وباعتبار الحق امارة فبعد الموت واما باعتبار فعند استكمال النفس بحسب القوة العملية من جهة تهذيب الظاهر باستعمال

الشريعة الحقة وتحليه الباطن عن الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاخلاق الجميلة وكل خير بالقياس الى شي ما فهو الكمال الذي يخص
به ويتوجه اليه ويقصده باستعداده الاول وكل مستلذ به بسبب كمال يحصل للمدرك هو بالقياس اليه والكمالات والادراكات
متفاوتة فكمال الشهوة مثلا ان يتكيف العضو الذائق بكيفية الحلاوة مأخوذ عن مادتها ولو وقع ذلك لا عن سبب من خارج كانت
قائمة وكذلك الملموس والمبصر والمسموع والمشموم وكمال القوة الغضبية ان يتكيف النفس بكيفية غلبة او بكيفية شعور باذاء
تحصل للمغضوب عليه وكمال الوهم التكيف بهيئة ما يرجوه وما يذكره وعلى هذا سائر القوى وكمال النفس الناطقة العاقلة ان يعلم
الحق تعالى وتقدس قدر ما يمكنه ثم تعلم الموجودات على ما هو عليه علما مجردا عن الشوائب الوهمية والخيالية والحسية فهذا هو الكمال
الذي تصير به النفس الناطقة العاقلة مطمئنة ومخاطبة بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي وما سلف هو الكمال الحيواني والادراك العقلي خالص الى الكنه عن الشوب والادراك الحسي شوب كله وعدد
تفاصيل الادراك العقلي لا يكاد يتناهى والادراكات الحسية محصورة في قلة وان كثرت فبالاشد والاضعف ومعلوم ان نسبة
اللذة الى اللذة نسبة المدرك الى المدرك والادراك الى الادراك فنسبة اللذة العقلية الى اللذة الشهوانية نسبة جلال الحق
تعالى والملأ الاعلى والكروبيين الى نيل كيفية الحلاوة ونسبة الادراكين فلا شك ان اللذة العقلية اعظم واقوى من اللذات الحسية

المقدمة السادسة عشر في شرف علم التفسير اشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القران بيان ذلك ان شرف الصناعة
اما بشرف موضوعها مثل صناعة الصياغة فانه اشرف من صناعة الدباغة لان موضوع الصياغة الذهب والفضة وموضوع
الدباغة جلد الميتة والذهب والفضة اشرف من جلد الميتة واما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فانه اشرف من صناعة الكناسة
لان الغرض من الطب افادة الصحة ومن الكناسة تنظيف المستراح واما بشدة الحاجة اليها كالفقه فان الحاجة اليه اشد من الحاجة
الى الطب فانه لا يجد امرؤ حركة او واحد من ابنا جارتك الا وافتقاره الى علم الفقه فانه به ينتظم صلاح احوال الدنيا للعباد
ويتم فلاح الدارين في المعاد بخلاف الطب فانه يحتاج اليه بعض الناس في بعض الاوقات اذا عرف ذلك **فنقول**
صناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث اما من جهة الموضوع فلان موضوع علم التفسير كلام الله تعالى الذي
هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه
من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم
هو الذي لا يزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تتشعب معه الاراء ولا تشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء ولا يخلق
عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تلبث الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن عمل به اجر ومن دعي اليه هدي الى صراط مستقيم واما من جهة الغرض فلان الغرض من التفسير هو الاعتصام بالعروة
الوثقى التي لا انفصام لها والوصول الى السعادة الحقيقية التي لا تفنى واما من جهة شدة الحاجة فلان كل كمال ديني او دنيوي عاجلي
او اجلي مفتقر الى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ومدار العلوم الشرعية على العلم بكتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ولهذا اعظم الله قدره بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قيل هو تفسير القران وذكر علي بن ابي طالب
جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم فقال رجل جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف تفسير قوله ان الذي
فرض عليك القران لرادك الى معاد **المقدمة السابعة عشر** في بيان العلوم الذي يحتاج اليه المفسر اختلف الناس في تفسير
القران هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه فمنهم من بالغ في ذلك وقال لا يجوز لاحد ان يتعاطى تفسير شي من القران وان كان
عالما اديبا متسعا في معرفة الادلة والفقه والنحو والاخبار والاثار وليس له ان ينتهي الى ما روي له عن النبي صلى الله عليه
وسلم من فسر القران برايه فاصاب فقد اخطا وفي خبر من قال في القران برايه فقد كفر ومما روي عن الصديق رضي الله عنه
اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله برأي ومنهم من قال من كان ذا ادب وسيع فموسع له ان يفسره واحتجوا
لذلك لقوله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب فحذر او لا ان نذكر ما ينطوي عليه ثم نذكر
ما يحتاج اليه المفسر من العلوم **فنقول** كتاب الله تعالى منطو على الحكم كلها علمها وعملها قال الله تعالى وكل شي احصيناه
في امام مبين وقال تعالى ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شي وقال ما فرطنا في الكتاب من شي

وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي ولان القران منطو على الحكم كلها قيل في تفسير قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا اعني عني به تفسير القران ثم مراتب العلماء في تفهمه متفاوتة ولذلك قال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم واعظم ما يقصر عنه تفهم الاكثرين عن ادراك حقائقه شيان احدهما راجع الى اللفظ والاخر الى المعنى
فالراجع الى اللفظ شيان احدهما ما اختص به اللغة العربية من الايجاز والحذف والاستعارات والاشارات اللطيفة واللمحات
الغامضة مما ليس في غير هذه اللغة والاخر ما يوجد في القران خاصة من الايجاز والحذف مما ليس في غيره من الكلام لما فيه
من اللفظ اليسير على المعنى الكثير قال صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم فمن مثال الايجاز قوله تعالى في وصف ارتفاع
الاسباب المكروهة عن اوليائه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فنفى بذلك كل منقص اذا كان جميعه في حصول
مكروه وفوت محبوب وقد نفاهما بذلك وقال في فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى بذلك جميع الافات العارضة لمطاعم
الدنيا وقال في صفة خمرهم لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فنفى بذلك كل مكروه يعرض في الخمر واخبر بكل ما كان من اسر فرعون واله
بالفاظ يسيرة وذلك في قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ومن عجيب ما فيه
ان كل ما استغنى عنه السامع من الالفاظ ترك ذكره وتخطى ما بعده نحو قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فترك ما كان من
موسى ثم ترك ما كان منه ومن اصحاب موسى في دخولهم البحر وتخطى الى ذكر ما صنع بهم واما الراجع الى المعنى فذكر الله تعالى
اصولا منطوية على فروع بعض منه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبعضها فوض استنباطها الى الراسخين في العلم تشريفا لهم وتعظيما
لمحلهم لكي يقرب منزلة علماء هذه الامة منزلة الانبياء في استنباطهم بعض الاحكام ولاختصاص هذه الامة بهذه المنزلة الشريفة
قال صلى الله عليه وسلم كاد علماء امتي ان يكونوا انبياء وعلى ذلك قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وقال كنتم خير امة
اخرجت للناس فجعلهم في ذلك بمنزلة الانبياء وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد مبني عن كليات المعلومات العقلية والسمعية
الا والقران قد نطق به لكن اورده تعالى على عادة العرب دون دقائق الحكماء والمتكلمين لامرين احدهما بسبب ما قاله وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية والثاني ان المسائل الى دقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجلي من الكلام فان
من استطاع ان يفهم بالاوضح الذي يفهمه الاكثرون لم ينحط الى الاغمض الذي لا يعرفه الا الاقلون فاخرج مخاطباته في محاجة
خلقه في اجلى صورة تشتمل على دق دقيق ليفهم العامة من جليها ما ينفعهم ويلزمهم الحجة ويفهم الخاص باسرارها ودقائقها وعلى
هذا النحو قال عليه السلام ان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حرف حدا ومطلعا لا على ما ذهب اليه الباطنية ومن هذا الوجه كل من
حظه في العلوم اوفر كان نصيبه من علم القران اكثر ولذلك اذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته اتبعها مرة باضافته
الى اولي العقل ومرة الى السامعين ومرة الى المتفكرين ومرة الى المتذكرين منبها على ان لكل قوة من هذه القوى يمكن ادراك
حقيقة منها وذلك نحو قوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وغيرها من الايات **واعلم** ان جميع شرائط الايمان والاسلام
التي دعينا اليه واشتمل القران عليه ضربان علم غايته الاعتقاد وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وعلم
غايته العمل وهو معرفة احكام الدين والعمل به والعلم مبدأ والعمل تمام ولا يتم العلم بدون العمل ولا يخلص العمل من دون العلم
ولذلك لم يفرد تعالى احدهما عن الاخر في عامة القران نحو قوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا وقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن وقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب ولا يحصل هذان الا بعلوم لفظية وعقلية وموهبية
فالاول على اقسام الاول معرفة الالفاظ المفردة بحسب دلالتها على ما وضعت له بحسب جوهرها وهو علم اللغة والثاني
مناسبة بعض الالفاظ المفردة الى بعض وهو علم الاشتقاق والثالث معرفة احكام ما يعرض للالفاظ المفردة من الابنية
والصيغ وهو علم التصريف والرابع معرفة احكام تعرض للالفاظ باعتبار التركيب من الاعراب بحسب دلالتها على اصل المعنى وهو
علم النحو والخامس معرفة خواص تركيب الكلام من جهة افادتها لازم اصل المعنى وهو الذي يعبر عنه بمعنى المعنى وهو علم
المعاني والسادس معرفة خواص تركيب الكلام من حيث اختلافها بحسب الفصاحة اللفظية من جهة الاستحسان وغيره وبحسب
الفصاحة اللغوية باعتبار عدم علم التعقيد وهو علم البديع والثامن ما يتعلق بذات التنزيل وهو معرفة القراءات والتاسع ما يتعلق
بالاسباب الذي نزلت عندها الايات والعاشر شرح القصص التي ينطوي عليها السور من ذكر الانبياء والقرون السالفة وهو

علم الاثار والاخبار والحادي عشر ذكر السير المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه الذين شاهدوا الوحي مما اتفقوا
فيه ومما اختلفوا فيه مما هو بيان لمجمل او تفسير لمبهم قال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال تعالى
اولئك الذين هدى فبهداهم اقتده وهو علم السنن والثاني عشر معرفة الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص والمجمل والمبين والمحكم
والمتشابه والظاهر والمؤول والمنطوق والمفهوم والاقتضا والاشارة والدلالة والاجماع والقياسات الشرعية والمواضع التي
يصلح فيها القياس والتي لا يصلح وهو علم اصول الفقه والثالث عشر معرفة احكام الدين وادابه واداب السياسات الثلاث
التي هي سياسة النفس والاقارب والرعية وهو علم الفقه والاخلاق والرابع عشر معرفة الادلة العقلية والبراهين الحقيقية
والتقسيم والتحديد والفرق بين المعقولات والمظنونات وغير ذلك وهو علم النظر والكلام والخامس عشر علم الموهبة وذلك
علم يورثه الله من عمل بما علم واتقى واحسن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم وقال علي رضي الله عنه
قالت الحكمة من ارادني فليعمل باحسن ما علم ثم تلى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وما روي عنه رضي الله عنه حيث
سئل هل عندك علم عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع الى غيرك قال لا الا كتاب الله وما في صحيفتي وفهم يؤتيه الله من يشاء وهذا
هو التذكر الذي رجانا الله تعالى ادراكه بفعل الصالحات حيث قال ان الله يامر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وهو الهداية المزيدة للمهتدي في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهو الطيب من القول المذكور
في قوله تعالى وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد فجملة العلوم التي هي كالالة للمفسر ولا يتم صناعة الا بها هي هذه
علم اللغة والاشتقاق والتصريف والنحو والمعاني والبيان والبديع والقراآت والتفسير والحديث واصول الفقه
والفقه والاخلاق وعلم النظر والكلام وعلم الموهبة فمن تكاملت هذه العلوم واستعملها خرج عن كونه مفسرا للقران برايه
ومن نقص عن بعض ذلك بما ليس هو واجب معرفته في تفسير القران واحس من نفسه في ذلك بنقصه واستعان بارائه واقتبس منهم
واستضاء باقوالهم لم يكن ان شا الله من المفسرين برايه فان القايل بالراي ههنا لم يجتمع عنده الالات التي يستعان فيها بذلك فتفسيره
وقال فيه تخمينا وظنا وانما جعله النبي صلى الله عليه وسلم مخطئا وان اصاب فانه يخرج بما لم يعلمه وان كان قوله مطابقا لما عليه
الامر في نفسه الا ترى ان الله تعالى قال الا من شهد بالحق وهم يعلمون فشرط مع الشهادة العلم وكذب المنافقين في قولهم
نشهد انك لرسول الله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ومن حق من تصدى للتفسير ان يكون مستشعر التقوى الله مستبعدا
من شرور نفسه والاعجاب بها فالاعجاب بالنفس اس كل فساد وان يكون اتهامه لفهمه ولا يكون اتهامه لفهم اسلافه الذين
صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاهدوا الوحي والتنزيل **المقدمة الثامنة عشر** في بيان ان تحصيل علم التفسير فرض
والدليل عليه ان تحصيل العلوم الشرعية اصول الدين واصول الفقه والفقه والحديث فرض بالاجماع ولا طريق الى تحصيلها
الا بعلم التفسير وما يتوقف عليه الفرض المطلق وكان مقدورا للمكلف فهو فرض فتحصيل علم التفسير فرض وهو فرض على
الكفاية لانه ليس بفرض على الناس باسرهم تحصيل العلوم الشرعية المتوقفة على التفسير بل من فروض الكفاية وهذا
يدل على ان علم التفسير ايضا من فروض الكفايات **المقدمة التاسعة عشر** فيمن اخذ منهم التفسير من الصحابة
والتابعين اعلم ان صدر المفسرين والمؤيد فيهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو تجرد
لهذا الشان وحمله وتتبعه وتبعه العلما عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عن عبد الله اكثر من المحفوظ من علي
ابن ابي طالب وقال ابن عباس ما اخذت من تفسير القران فعن علي بن ابي طالب وكان علي بن ابي طالب يحض على الاخذ عنه وكان
عبد الله بن مسعود يقول نعم ترجمان القران عبد الله بن عباس وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين
وحسبك بهذه الدعوة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ابن عباس كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ويتلوه عبد الله بن
مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وكل من اخذ من الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين في
التابعين الحسن بن ابي الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة قرا مجاهد على عبد الله بن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل اية ويتلوهم
عكرمة والضحاك بن مزاحم وان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما السدي فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى ابي صالح
لانه كان يراهما مقصرين في النظر ثم حمل تفسير كلام الله عدول كل خلف والف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن ابي طلحة

وغيرهم ثم ان محمد بن جرير الطبري جمع على الناس اشتات القران وقرب البعيد منها وشفا في الاسناد ومن المبرزين في المتاخرين
ابو اسحق الزجاج وابو علي الفارسي واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس فكثيرا ما استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي بن ابي طالب
وابو العباس المهدوي متقن التاليف وكلهم متقن ماجور جزاهم الله عن اهل العلم خيرا **المقدمة العشرون** في اقسام الاسما
الواقعة على المسميات وهي تسعة الاسم الواقع على الذات والاسم الواقع على الشي بحسب جزء من اجزا ذاته كما اذا قيل للجدار جسم والاسم
الواقع على الشي بحسب صفة حقيقية قائمة لذاته كقولنا للشي انه اسود وابيض وحار وبارد فان السواد والبياض والحرارة والبرودة
صفات حقيقية للشي والاسم الواقع على الشي بحسب صفة اضافية فقط كقولنا للشي انه معلوم ومفهوم ومذكور ومالك ومملوك
والاسم الواقع على الشي بسبب حالة سلبية كقولنا انه اعمى وفقير والاسم الواقع على الشي بحسب صفة حقيقية مع صفة سلبية كقولنا
عالم وقادر فان العلم صفة حقيقية مع اضافته الى المعلوم والقدرة صفة حقيقية مع صفة اضافية كقولنا عالم وقادر فان العلم
صفة حقيقية مع اضافته الى المعلوم والقدرة صفة حقيقية لها اضافة الى المقدور والاسم الواقع على الشي بحسب صفة حقيقية
مع صفة سلبية كقولنا قادر لا يعجز عن شي وعالم لا يجهل شيا والاسم الواقع على الشي بحسب صفة اضافية مع صفة سلبية مثل
الاول فانه عبارة عن مجموع امرين احدهما ان يكون سابقا على غيره وهو صفة اضافية والثاني انه لا يسبقه غيره وهو
صفة سلبية ومثل القيوم فان معناه انه قائم بنفسه اي لا يحتاج الى غيره ومقوم لغيره اي غيره يحتاج اليه والاول سلب
والثاني اضافة والاسم الواقع على الشي بحسب مجموع صفة حقيقية واضافية وسلبية مثل الاله فانه يدل على انه موجود وهو
صفة حقيقية وعلى الصفات الاضافيه الدالة على الايجاد والتكوين وعلى الصفات السلبية الداله على التنزيه فهذه اقسام
الاسما لا يوجد قسم اخر غيرها سوا كان لله او للمخلوقات ولنبين اذا اي قسم من هذه الاسما يصح اطلاقه على الله تعالى واي قسم
لا يصح فنقول اولا اختلف العلما في ان اسما الله تعالى توقيفية او اصطلاحية فذهب بعضهم الى انه لا يجوز اطلاق شي من
الاسما على الله تعالى الا اذا كان واردا في القران والاحاديث الصحيحة وذهب اخرون الى ان كل اسم دل على معنى يليق بجلال الله
وصفته فهو جايز والا فلا قال الغزالي الاسم غير والصفة غير فاسمي محمد واسم ابو بكر فهذا من باب الاسما واما الصفات فمثل
وصف هذا الانسان بكونه طويلا فقيها كذا وكذا اذا عرفت هذا الفرق فنقول اما اطلاق الاسم فلا يجوز الا عند وروده في
القران والخبر اما الصفات فانها لا تتوقف الا على التوقيف واحتج الاولون بان قالوا ان العالم له اسما كثيرة ثم انا نصف الله
بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا او فقيها ولا نصفه بكونه متيقنا وذلك يدل على انه لا بد من التوقيف واجيب عنه
فقيل ان الطبيب فقد ورد نقل ان ابا بكر لما مرض قيل له نحضر الطبيب فقال الطبيب امرضني واما الفقيه فهو عبارة
عن فهم غرض المتكلم من كلامه بعد دخول الشبه فيه وهذا ممتنع الثبوت في حق الله تعالى واليقين هو العلم الذي
حصل بسبب تعاقب الامارات الكثيرة وترادفها على ان تبلغ المجموع الى افادة الجزم وذلك في حق الله تعالى محال واحتج الاخرون
بان اسما الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية والهندية وان شيا منها لم يرد في القران ولا في الاخبار مع ان المسلمين
اجمعوا على جواز اطلاقها وبان الله تعالى قال ولله الاسما الحسنى فادعوه بها والحسن الاسم باعتبار دلالته على صفات المدح ونعوت
الجلال وكل اسم دل على هذه المعاني كان اسما حسنا فوجب جواز اطلاقه في حق الله تعالى تمسكا بهذه الاية وبانه لا فايدة في الالفاظ
الا رعاية المعاني فاذا كانت المعاني صحيحة كان المنع من اللفظة المفيدة عبثا وحجة الغزالي ان وضع الاسم في حق الواحد منا
سوء ادب ففي حق الله الباري اولى واما ذكر الصفات بالالفاظ المختلفة فهو جايز في حقنا من غير منع فكذلك في حق الباري والحق
ان ما ورد في القران والاحاديث من الاسما والصفات فاما ان يكون صريح اسم مثل العليم والقدير والحي والقيوم والرؤف
والرحيم والمالك والملك وحينيذ اما ان يكون ظاهرا فيما يصح اتصافه تعالى به عقلا فيصح اطلاقه على الله بحسب ظاهره او لا
يكون ظاهرا فيما يصح اتصافه تعالى به عقلا بل ظاهرا فيما لا يصح اتصافه به عقلا مثل العلي والعظيم فيصح اطلاقه على الله ولا يعتقد
ان لا يراد منه ظاهره فيتوقف او يؤول على اختلاف الرايين واما ان لا يكون صريح اسم مثل علم الله واسع واري ويستهزي
وغضب الله فان كان مقيد المعنى يصح اتصافه تعالى به ويكون من صفات المدح فيجوز ان يوجد اسم ويطلق على الله تعالى وان كان
يصح اتصافه تعالى به ولا يكون من صفات المدح فالاحسن ان لا يوجد منه اسم مطلق على الله تعالى وان كان ظاهرا في معنى لا يصح

اتصافه به فلا يجوز أن يؤخذ منه اسم مطلق على الله تعالى بل يحكم بان ظاهره غير مراد فيتوقف او يؤول واما ما لم يرد في القرآن
ولا في الاحاديث فان كان ظاهره انما يصح اطلاقه وكان من صفات المدح يجوز اطلاقه على الله تعالى والا فلا وقد ورد في القرآن ما
لا يمكن اثباته في حق الله تعالى بحسب ظاهره منها الاستهزاء قال الله تعالى الله يستهزئ بهم فان الاستهزاء مقارن للجهل شاهده قوله
ان قوم موسى لما قالوا لموسى اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر قال الله تعالى ومكروا ومكر الله ومنها
الغضب قال الله وغضب الله عليهم ومنها التكبر قال الله تعالى العزيز الجبار المتكبر ومنها الحيا قال الله تعالى ان الله لا يستحيي ان
يضرب والضابط في هذه الالفاظ ان يقال لكل واحد من هذه الاحوال امور توجد معها في البداية واثار تصدر عنها في النهاية مثلا
الغضب هيئة تحصل في القلب عنده غليان دمه وسخونة المزاج والاثر الحاصل منها في النهاية ايصال الضرر الى المغضوب عليه فاذا
سمعت الغضب في حق الله تعالى فاحمله على النهاية لا على البداية اذا عرفت هذا **فنقول** اختلف العلما في انه هل لله تعالى
اسم بحسب ذاته المخصوصة فقال قوم نعم اذ لا يستحيل في قدرة الله تعالى ان يشرف بعض المقربين من عباده بمعرفة ذاته المخصوصة
فلا يمتنع وضع الاسم لها وحينئذ يكون ذلك الاسم اعظم لان شرف الاسم بشرف المسمى وقال اخرون لا لان وضع الاسم للمسمى انما هو
لذكره حتى يفهم السامع المخاطب المسمى وذاته المخصوصة لا يعرفه احد غير الله فلا فايدة في وضع ذلك الاسم لذاته المخصوصة بل له
لوازم معروفة فتلك اللوازم وهي انه الازلي الذي لا يزول وانه الواجب الذي لا يقبل العدم والاسم الدال على المسمى بحسب
جزو يستحيل في حق الله ضرورة انتفاء التركب في حق الله تعالى والاسم الدال على الصفة الحقيقية يصح اطلاقه على الله تعالى
اذا كانت الصفة الحقيقية مما يصح اتصافه به تعالى ويكون واردا في القرآن والاحاديث او يكون من صفات المدح والاكثرون على
جواز اطلاق الشي على الله تعالى والذي يدل على ذلك قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله فان قيل انما يتم هذا الدليل لو كان
الكلام مقصورا على قوله قل الله وليس كذلك فان المذكور بعده شهيد بيني وبينكم وهو كلام مستقل بنفسه ولا تعلق له بما قبله
اجيب بانه لما قال قل اي شي اكبر شهادة ثم قال قل الله شهيد بيني وبينكم كان هذه الجملة جارية مجرى الجواب عن قوله اي شي
اكبر شهادة فيلزم المقصود ونقل عن جهم بن صفوان ان ذلك غير جايز لقوله تعالى الله خالق كل شي ولقوله وهو على كل شي
قدير والحق سبحانه ليس بمخلوق ولا مقدور فالله تعالى لا يطلق عليه اسم الشي قيل ان قوله كل شي في الايتين عام خصص
بالعقل اجيب بان الاصل عدم التخصيص وبان جواز التخصيص يجعل الاكثر الغالب مقام الكل واجرا الاكثر مجرى الكل انما يكون في
الصورة التي يكون الخارج عن الحكم حقيرا قليلا فيجعل وجوده كعدمه ويجعل الاكثر الباقي كالكل فلو فرض انه تعالى مسمى بالشي
كان اعظم الاشيا فامتنع ان يخصص عن العام وايضا لفظ الشي لكون معناه قدرا مشتركا بين الذرة الحقيرة واشرف الاشيا لا
يفيد صفة المدح والعظمة واسما الله تعالى يفيد صفة المدح والجلال لقوله تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون في اسمائه ببيان ذلك ان كون الاسما حسنة لا معنى له الا كونها دالة على الصفات الحسنة فاذا لم يدل الاسم على هذا المعنى لم
يكن حسنا لان الله تعالى امرنا ان ندعوه بهذه الاسما ثم قال وذروا الذين يلحدون في اسمائه وهذا تنبيه على ان من دعاه
بغير تلك الاسما فقد الحد في اسما الله فيصير هذه الاية دلالة قوية على انه للعبد ان يدعو الله الا بالاسما الحسنى الدالة على صفة
المدح والجلال فيثبت انه لا يجوز ان يسمى شيا والجواز الشي مصدر شا فيطلق تارة ويراد به الشائي اطلاقا للمصدر وارادة
الفاعل ويطلق اخرى ويراد به المشي اطلاقا للمصدر وارادة المفعول فاذا اطلق على الله يراد به الشائي لا المشي وفي
مثل قوله تعالى الله خالق كل شي وقوله وهو على كل شي قدير يراد به المشي لا الشائي وفي مثل قوله وهو بكل شي عليم يراد به
الشائي والمشي وقوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة عام يتناول المشي والشائي اي اي شي اكبر شهادة الخالق على المخلوق
او المخلوق على الخالق وقوله الله شهيد اي الله شهيد على كل شي فهو اكبر شهادة وهذه الاية تقرب من قوله تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد وبالجملة النزاع في جواز اطلاق
لفظ الشي على الله تعالى نزاع في مجرد اللفظ فلا يلزم منه تكفير ولا تفسيق واما الموجود فيصح اطلاقه على الله تعالى باجماع المسلمين
والموجود يفيد صفة المدح والثنا فيكون من الاسما الحسنى ويصح اطلاق الذات المضافة الى الله تعالى عليه. عن عايشة
رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اعظم الناس اجرا الوزير الصالح من امير يطيعه في ذات الله

فقال

تعالى وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم لم يكذب الا في ثلث كذبات ثنتين في ذات الله **وعن** ابي ذر
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الجهاد افضل قال ان تجاهد نفسك وهواك في ذات الله ولفظ النفس وارد في
القران قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال تعالى ويحذركم الله نفسه وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك ولفظ الشخص وارد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا شخص اغير من الله تعالى
ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث الرسل مبشرين
ومنذرين ولا شخص احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك مدح نفسه والمراد من الشخص الذات المخصوصة والحقيقة
المعينة لعينها بامتيازه عن غيره والنور فانه احد الاسما التي هي مائة الا واحدة واما الجوهر والجسم والماهية فالجمهور من علما
المسلمين لا يجوزون اطلاقها على الله تعالى لانه ما ورد في القران ولا في الاحاديث ولا يفيد صفة مدح وجلال والحي يصح
اطلاقه على الله تعالى فانه ايضا احد الاسما التي هي مائة الا واحدا ويصح اطلاق الحي على الله تعالى لوروده في القران قال الله تعالى
الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال وعنت الوجوه للحي القيوم وقال هو الحي لا اله الا هو وقيل الحي هو الدراك الفعال والذي
يصح ان يعلم ويقدر وهذا القدر ليس فيه مدح عظيم فما السبب في ان ذكر الله تعالى في معرض المدح العظيم **اجيب**
بان الممدوح لم يحصل بمجرد كونه حيا بل بمجموع كونه حيا قيوما وذلك لان القيوم هو القايم باصطلاح حال كل ما سواه وذلك لا
يتم الا بالعلم التام والقدرة التامة والحي هو الدراك الفعال فقوله الحي يقتضي كونه دراكا فعالا وقوله القيوم بمعنى كونه
دراكا لجميع الممكنات فعالا لجميع المحدثات والممكنات فحصل المدح من هذا الوجه **واعلم** ان الصفة الحقيقية قد تكون
مجردة عن الاضافة مثل الوجود والحياة على تقدير ان تكون الحياة صفة غير العلم والقدرة وقد تكون يلزمها اضافة مثل
العلم والقدرة فان صفة العلم يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بالمقدور وهذه الصفات ان
كانت حقيقية الا انه يلزمها لوازم من باب النسب والاضافات والصفات الاضافية على اقسام احدها كونه معلوما
مذكورا مسبحا ممجدا فيقال يا ايها المسبح يا ايها الممدوح عند كل انسان يا ايها المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا
النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسما الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناه وثانيها كونه تعالى فاعلا للافعال
اما ان يعتبر مجرد كونه موجدا او يعتبر كونه موجدا للنوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية والاول له اخوات تقرب ان تكون
مترادفة مثل الموجد والمحدث والمكون والمنشي والمبدع والمخترع والصانع والخالق والفاطر والباري فهذه الفاظ عشرة
متقاربة ومع ذلك فرق بينها اما الموجد فمعناه المؤثر في وجود الشي واما المحدث فمعناه الذي جعله موجودا بعد العدم
فهو اخص من الموجد واما المكون فمرادف للموجد واما المنشي فهو الموجد قليلا قليلا على التدرج واما المبدع فهو الموجد دفعة واحدة
واما المخترع فقريب من المبدع واما الصانع فيقرب ان يكون لمن ياتي بالفعل على سبيل التكلف واما الخالق فهو المقدر او الموجد
واما الفاطر فهو المحدث واما الباري فهو المحدث على الوجه الموافق للمصلحة يقال برى القلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض متعين
واما الالفاظ الدالة على كونه موجدا للنوع الفلاني فكما ان يكون غير متناهية مثلا الموجد للنافع يسمى نافعا والموجد للمولم
يسمى ضارا وللحياة محييا وللموت مميتا والمخصص بالاكرام برا لطيفا وبالقهر قهارا جبارا والمقلل في العطا في الاموال قابضا
وللمكثر له فيه باسطا وفي الجاه والحشمة خافضا ورافعا ومجازي الذنوب بالعقاب منتقما وتارك ذلك الجزا عفوا غفورا
اذا عرفت هذا **فنقول** ان اقسام مقدورات الله تعالى بحسب الانواع والاجناس والاصناف والاشخاص غير متناهية فيمكن
ان يحصل لله تعالى اسما غير متناهية بهذا الاعتبار واعلم بان المحيي والمميت بينهما تقابل التضاد وكذا بين المعز والمذل والباسط
والقابض والرافع والخافض لا تقابل العدم والوجود اما الاسما الدالة على الصفات السلبية فكثيرة في القران وطريق الضبط
ان يقال ذلك السلب اما ان يكون عايدا الى الذات او الصفات او الافعال اما السلوب العايدة الى الذات فكقولنا ليس جوهرا
ولا جسما واما العايدة الى الصفات فكقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم وقوله وما كان ربك
نسيا وقوله تعالى وما مسنا من لغوب وكل ما كان من صفات النقص يجب تنزهه تعالى عنه قال الله تعالى لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وقال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وقال تعالى وجعلوا لله شركا وقال تعالى واذ قال لقمان

لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى وهو يطعم ولا يطعم واما العايدة الى الافعال فمثل نفي الباطل واللعب والعبث والظلم قال الله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وقال تعالى حكاية عن المومنين ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ۔ وقال وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين وقال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقال تعالى وما ربك بظلام للعبيد مقول اقسام السلوب بحسب الذات والصفات والافعال غير متناهية فيمكن ان يعتبر بحسبها اسما غير متناهية ولنذكر بعض اسما المناسبة لهذا الباب منها القدوس المنزه ذاته عن الاشيا التي هي نقايص في انفسها وهي الممكنات فهو سلب عايد الى الذات ومنها السلام اي سلم عن اتصافه بشي من اتصاف النقص فهو سلب عايد الى الصفات ومنها العزيز اي الذي لا نظير له ومنها الغفار اي الذي لا يسقط العقاب عن المذنبين ومنها الحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ومنها الواحد الذي لا يشاركه احد في حقيقة ولا في صفة الالاهية ولا في خلق المخلوقات ولا في تدبير احوال العرش ومنها الغني وهو المنزه عن الافتقار بحسب ذاته وصفاته ومنها الصبور اي الذي لا يعاقب المسي مع القدرة عليه واما الاسما الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافة فكالقدرة والعلم قال الله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم ۔ وقال تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال تعالى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقال تعالى تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير ۔ وقال تعالى وكان الله على كل شي مقتدرا وقال في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولفظ الملك يفيد القدرة بشرط خاص فان الملك هو الغني مطلقا الذي يفتقر اليه كل شي فانه منه وجا في القران على وجوه المالك قال تعالى مالك يوم الدين والملك قال تعالى ملك يوم الدين وقال فتعالى الله الملك الحق ۔ وقال هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس وقال تعالى ملك الناس وقال تعالى قل اللهم مالك الملك وقال تعالى عند مليك مقتدر وقال تعالى الملك يوميذ الحق للرحمن وقال تعالى له ملك السموات والارض ولفظ القوة قريب من القوة وقد جا هذا اللفظ في القران على وجوه مختلفة الاول القوي قال الله تعالى ان الله لقوي عزيز وقال تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والعليم وهو في القران كثير والعلام قال تعالى حكاية عن عيسى انك انت علام الغيوب ۔ والعالم قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والاعلم قال الله تعالى الله اعلم وقال تعالى ولا يحيطون بشي من علمه وقال ولا تضع الا بعلمه وقال تعالى وان الله قد احاط بكل شي علما وقال تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم وقال تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله وقال يعلم ما يسرون وما يعلنون ۔ وقال تعالى وعلم ادم الاسما كلها وقال حكاية عن الملايكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال وعلمك ما لم تكن تعلم وقال الرحمن علم القران ولا يجوز ان يقال الله معلم مع كثرة هذه الالفاظ لانه مشعر بنوع تقصير وتحقير بحسب العرف ولا ان يقال العلامة لانها وان افادت المبالغة لكنها تفيد ان هذه المبالغة انما حصلت بالكد والعنا والخبير قد ورد في القران كثيرا وذلك يدل على العلم والشهيد بمعنى مشاهد وعالم والحكم العليم بالاشيا كما هي وفاعل ما ينبغي ان يفعل وتارك ما ينبغي ان يترك واللطيف العليم بالدقايق والموصل للمنافع الى العباد بطرق خفية عجيبة والكلام قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقال تعالى وكلم الله موسى تكليما ۔ وقال تعالى ولما جا موسى لميقاتنا وكلمه ربه وقال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا والقول واذ قال ربك للملايكة وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وقال تعالى ومن اصدق من الله قيلا وقال تعالى ما يبدل القول لدي ۔ والامر قال الله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ۔ وقال الا له الخلق والامر وقال تعالى حكاية عن موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة والوعد قال الله تعالى وعد الله وقال وعدا عليه حقا والشاكر قال الله تعالى وكان الله شاكرا عليما والارادة قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ۔ والرضى قال الله تعالى رضي الله عنهم وقال تعالى لقد رضي الله عن المومنين وقال تعالى حكاية عن موسى وعجلت اليك رب لترضى ۔ والحب قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى والله يحب المطهرين والكراهة قال الله تعالى كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها وقال تعالى ۔ ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم والسمع والبصر قال الله تعالى ليس كمثله شي وهو السميع البصير ۔ وقال انني معكما اسمع وارى وقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا وقال تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك

الابصار

الابصار فهذه هي الصفات الحقيقية التي تلزمها الاضافات واما الاسما الدالة على الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول فانه هو السابق على غيره وهو اضافي ولا يسبقه غيره وهو سلبي والاخر الباقي بعد غيره ولا يبقى غيره والظاهر اضافة محضة اي ظاهر بحسب دلايله والباطن سلب محض اي ليس بظاهر بحسب ذاته والقيوم اي غير مفتقر الى ما سواه وهو سلب وكل ما سواه لم يفتقر اليه وهو اضافة واما الاسما الدالة على الصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فكالله فانه يفيد انه موجود وموصوفه حقيقية وانه لا يماثل للمخلوقات وهو سلب وانه موجد للكل وهو اضافة واما الله فهو اسم للذات الجامعة لصفات الكمال حقيقية واضافية وسلبية وحقيقية مع اضافة وحقيقية مع سلبية واضافة مع سلبية وحقيقية معهما واعلم ان اهل التشبيه يثبتون لله حيزا فانهم يقولون الموجود اما متحيز او حال في المتحيز او لا هذا ولا ذاك والثالث محال فان الخارج عنهما عدم والثاني مفتقر فتعين الاول واهل التوحيد والتقديس يقولون المتحيز منقسم وكل منقسم محتاج الى الغير والمحتاج الى الغير ممكن فالله تعالى ليس بمتحيز اعلم انه ورد الفاظ جوازها مشعرة بالجسمية والحصول في الحيز والمكان فمنها العظيم فان المشبهة قالوا ان ذاته اعظم في الجسمية والمقدار من العرش ومن كل ما تحت العرش ومنها الكبير وما يوافقه في الاشتقاق مثل الاكبر والكبريا والمتكبر وفرق بين الكبير العظيم فانه نقل في الاخبار الالاهية الكبريا ردای والعظمة ازاري فانه جعل الكبريا قايم مقام الردا والعظمة قايمة مقام الازار فظاهر ان الردا ارفع درجة من الازار وصفة الكبريا ارفع من صفة العظمة ولا يبعد ان يقال الكبريا من صفات الجمال والعظمة من صفات الجلال وفرق بينهما فان الشرع اعتبر في تحريمة الصلاة الله اكبر ولا يعتبر الله اعظم فلو لم يكن بينهما فرق لما كان كذلك قيل انه تعالى اقام كل واحد من الكبير والعظيم مقام الاخر فانه قال ولا يوده حفظهما وهو العلي العظيم وقال في اية اخرى قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وهذا يشعر بعدم الفرق بينهما اجيب بانه لا يلزم من هذا ان لا فرق بينهما ويشبه ان يكون الكبير في ذاته كبيرا سوا يستكبره غيره او لا وسوا عرفت هذه الصفة ام لا واما العظمة فهي عبارة عن كونه يستعظمه غيره فالكبير من الصفات الذاتية والعظمة من الصفات العرضية والصفة الذاتية اشرف من العرضية ومن الاسما المشعرة بالجسمية العلي والاعلى والمتعال قال الله تعالى وهو العلي الكبير وقال تعالى وهو الكبير المتعال وقال تعالى سبح اسم ربك الاعلى فالمشبهة يقولون علوه تعالى كونه في جهة فوق واما اهل التنزيه والتقديس فقالوا العظمة بحسب مدة الوجود فانه ازلي ابدي وذلك في نهاية العظمة والكبريا في الوجود والبقا والدوام وقيل عظيم في العلم وقيل عظيم في الرحمة وقيل في الحكمة وكمال القدرة واما العلو فاهل التنزيه يحملون هذا اللفظ على كونه منزها عن صفات النقايص والحاجات وقد يطلق على اسما الله المضمرة وهي ثلاثة انا وانت واعرفها انا واوسطها انت وادناها هو كلمة التوحيد وردت بكل واحد اما انا ففي النحل قال الله تعالى ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون ۔ وفي طه قال الله تعالى انني انا الله لا اله الا انا وهو لا يجوز ان يتكلم به احد الا الله او من يذكره على طريق الحكاية واما لفظ انت فقد جا في قوله تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت واما لفظ هو فقد جا كثيرا في القران ۔ اولها في سورة البقرة في قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ۔ واخرها في سورة المزمل رب المشرق والمغرب لا اله الا هو

المقدمة الحادية والعشرون

في افعاله تعالى وتقدس ذهب اهل السنة والجماعة الى ان الله مريد للكاينات من الخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية والارادة تابعة للعلم وكل ما علم الله وقوعه يريد وقوعه وكل ما علم الله عدم وقوعه لا يريد وقوعه وذهب المعتزلة الى انه تعالى لا يريد الشر والكفر والمعصية سوا وقعت او لا ويريد الخير والايمان والطاعة وقعت او لا والارادة توافق الامر فكل ما امر الله به يريده حجة الاولين من وجهين الاول انه تعالى موجد لكل ما دخل في الوجود من الممكنات ومبدعه بالاختيار ومن جملة الشر والكفر والمعصية فيكون موجد الشر والكفر والمعصية بالاختيار وكل ما اوجد بالاختيار يكون مريدا له فالله تعالى مريدها قيل هذا مبني على ان الله خالق افعال العباد وسياتي الكلام فيه الثاني انه تعالى علم ممن يموت على الكفر عدم ايمانه فامتنع وجود الايمان منه والا امكن انقلاب علمه تعالى جهلا واذا كان وجود الايمان منه ممتنعا لا يتعلق الارادة به لان الممتنع لا يكون مرادا قبل وجود الايمان ليس بممتنع

بالنظر الى قدرة القادر وممتنع بالنظر الى علمه فيجوز ان يتعلق ارادته تعالى بالايمان من حيث انه ممكن لا من حيث انه ممتنع
وقد ايضا العلم تابع للمعلوم لا موجب له فلا يكون العلم موجبا للكفر والمعصية فلا يتعلق الارادة بالكفر والمعصية
والجواب انه لو تعلق الارادة بالايمان لوقع واللازم باطل احتجت المعتزلة بوجوه الاول ان الكفر غير مامور به بالاتفاق
فلا يكون مرادا اذ الارادة مدلول الامر او لازمه له لان الطلب اما نفس الارادة او مشروط بها الثاني لو كان الكفر غير
مامور به بالاتفاق فلا يكون مرادا اذ الارادة مدلول الامر او لازمه له لان الطلب اما نفس الارادة او مشروط بها
الثاني لو كان الكفر غير مامور به بالاتفاق فلا يكون مرادا اذ الارادة مدلول الامر او لازمه له لان الطلب اما نفس
الارادة او مشروط بها الثاني لو كان الكفر مراد الوجب الرضى به لانه حينئذ يكون مرادا لله تعالى ومراد الله تعالى
قضاؤه والرضا بالقضا واجب واللازم باطل لان الرضى بالكفر كفر فلا يجب الثالث لو كان الكفر مرادا لكان
الكافر مطيعا بكفره لان الطاعة تحصيل مراد المطاع فاذا كان الكفر مرادا كان الكافر بكفره حصل مراد الله فيكون
مطيعا بكفره واللازم باطل لان الكافر عاص بكفره الرابع قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر والرضى هو الارادة فلو
كان الكفر مرادا لكان الله تعالى راضيا به **والجواب** عن الاول انا لا نسلم ان الارادة نفس مدلول الامر ولا لازمه
له فان الطلب يجوز ان يتحقق بدون الارادة كامر المختبر فان السلطان اذا توعد السيد بالعقاب على ضربه عبده من غير
ذنب فادعى السيد مخالفة العبد له فانه يامره ولا يريد منه الاتيان بالمامور به والا لكان مريدا عقاب نفسه لان
السلطان توعد بعقاب السيد امتثال العبد والعاقل لا يريد عقاب نفسه وقيل ان العاقل كما لا يريد عقاب نفسه لا
يطلب عقابها **اجيب** بانا لا نسلم ان العاقل لا يريد عقاب نفسه فان العاقل قد يطلب ما يكرهه ولكن لا يريد
الا ما يختاره فالسيد يجوز ان يطلب من العبد المامور به ولا يريد وقوعه ولا يلزم ان يكون طالبا عقاب نفسه وانما
يلزم ذلك لو كان مختار الوقوع المامور به بل انما يطلبه ليخالف العبد السيد فيما يطلبه فلا يعاقبه السلطان فلا يكون
طلبه المامور به مستلزما لطلب عقابه وعن الثاني ان المراد هو المقضي لا القضا فالكفر الذي هو المراد ليس بقضاء
والرضى انما يجب بالقضا دون المقضي ليس بمستقيم فان من قال رضيت بقضا الله لا يريد انه راض بصفة من صفات الله
بل يريد انه راض بمقتضى تلك الصفة وهو المقضي والجواب الصحيح ان يقال الرضا بالكفر من حيث هو من قضا الله
طاعة والرضا بالكفر من هذه الحيثية ليس بكفر وعن الثالث ان الطاعة موافقة الامر والامر غير الارادة فالطاعة
المامور به لا تحصيل المراد قيل الطاعة موافقة الارادة التي هي ارادة غير الفاعل صدور الفعل من الفاعل واجيب بان الامر
غير هذه الارادة وغير مشروط بها لان الامر قد يوجد بدون هذه الارادة كامر المختبر وعن الرابع ان الرضا من الله تعالى
ليس نفس ارادة الفعل بل الرضا من الله تعالى هو ارادة الثواب على الفعل او ترك الاعتراض عليه ولا يلزم من انتفاء
ارادة الثواب على الفعل وانتفا ترك الاعتراض عليه انتفا ارادة الفعل قيل في بيان كيفية وقوع الشر والكفر والمعصية
في قضايه تعالى ان الامور الممكنة في الوجود منها امور متعرى وجودها عن الشر كالملائكة والافلاك ومنها امور لا يمكن
ان يكون فاضلة فضيلتها اللايقة بها الا وتكون بحيث يعرض منها شر عند ملاقيها لما يخالفها كالنار فانها لا ينفصل فضيلتها
ولا تكمل معاونتها في تكميل الوجود الا ان يوذى ويولم ما يتفق لها مصادمته من اجسام حيوانية ويكون بحيث يعرض
منها تفريق اجزاء بعض المركبات بالاحراق والاشيا باعتبار وجود الشر وعدمه ينقسم الى ما لا شر فيه والى ما يغلب الخير
فيه على شره والى ما يكون شرا محضا والى ما يكون الشر فيه غالبا والى ما يتساوى فيه الخير والشر واذا كان الجود المحض الالهي
مبدا الفيضان الجود الخيري كان وجود القسم الاول مقتضاه كوجود الملائكة والافلاك وكذلك القسم الثاني فان
ترك الخير الكثير تحرزا من شر قليل شر كثير وذلك مثل النار والاجسام الحيوانية فانه لا يمكن ان تكون بها فضيلتها
الا ان يكون بحيث يتادى احواله في حركاتها وسكوناتها الى اجتماعات وتفريقات موذية وان يتادى احوالها واحوال الامور
التي في العالم الا ان يقع لها اعتقاد فاسد ضار في المعاد او في الحق او فرط هيجان غالب عاجل من شهوة او غضب ضار في امر المعاد
ويكون القوى المذكورة لا يعنى عباها ويكون ذلك في اشخاص اقل من السالمين واوقات اقل من اوقات السلامة ولان هذا معلوم

في العناية

في العناية الاولى فهو كالمقصود بالعرض فالشر داخل في القدر بالعرض كانه مثلا مرضي به بالعرض قال الله تعالى وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا
يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك **المقدمة الثانية**
والعشرون ذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري الى ان افعال العباد كلها واقعة بقدرة الله تعالى مخلوقة له ولا تاثير لقدرة العبد
فيها بل القدرة والافعال واقعتان بقدرة الله تعالى وذهب القاضي ابو بكر الباقلاني الى ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى
وكون الفعل طاعة كالصلاة ومعصية كالزنا صفات للفعل يقع بقدرة العبد وذهب الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني الى ان
الموثر في الفعل مجموع قدرة الله تعالى وقدرة العبد وذهب امام الحرمين الى ان الله تعالى يوجد في العبد القدرة والارادة ثم
تلك القدرة والارادة توجب الفعل وهذا موافق لمذهب الحكما وابي الحسن البصري من المعتزلة وذهب جمهور المعتزلة الى ان
العبد موجد لافعال نفسه لا على نعت الايجاب بل على طريق الاختيار وقالوا الضرورة قاضية باسناد افعالنا الينا فانا ندرك
التفرقة بين الافعال الصادرة عنا بالاختيار وبين افعال الجمادات واحتج على بطلان قول المعتزلة بوجود الاول ان العبد
حال الفعل ان لم يتمكن من تركه لم يكن مقدورا له على معنى ان شا فعل وان شا ترك فلا يكون باختياره وان تمكن من تركه
احتاج فعله الى مرجح ضرورة امتناع ترجيح احد طرفي الممكن بلا مرجح ولا يكون ذلك المرجح من العبد لانه لو كان منه لعود
التقسيم فيه ولا يتسلسل بل ينتهي الى مرجح موجب لا يكون من العبد ويلزم الجبر قيل المعتزلة يقولون معنى الاختيار هو استوا
الطرفين بالنسبة الى القدرة وحدها ووجوب وقوع احدهما بحسب الارادة فمتى حصل المرجح الذي هو الارادة وجب
الفعل ومتى لم يحصل امتنع وذلك لانا في استوا الطرفين بالنسبة الى القدرة وحدها وحينئذ ان امتنع ترك الفعل بغير
الارادة واما اذا كان بغير الارادة فلا **اجيب** بان هذا الذي ذكر عن المعتزلة قول ابي الحسن البصري ليس قول سائر المعتزلة
والكلام في ابطال قول سائر المعتزلة لا في ابطال قول ابي الحسن الثاني ان العبد لو كان موجدا لافعال نفسه باختياره
لكان عالما بتفاصيلها اذ لو جاز الايجاد الفعل بدون العلم به لجاز بالنسبة الى ايجاد الله تعالى فلا يلزم عالميه الله تعالى واللازم
باطل والا لكان محيطا بالسكنات المتخللة للحركة البطيئة وعرف اعدادها واللازم باطل فان المتحرك بالحركة البطيئة قد نعلل
السكون في بعض الاحيان والحركة في بعضها مع انه لا شعور بالسكون ولا باحيانه قبل الايجاد لا يستلزم علم الموجد بالموجد ولا
يلزم نفي عالمية الله تعالى لان مثبتي العالمية لا يستدلون بالايجاد عليها باحكام الفعل واتقانه نعم الايجاد مع القصد استلزم
العلم لكن يكفي العلم الاجمالي والحركات الصادرة عنا مع اقتران القصد بها تكون معلومة لنا على سبيل الاجمال اجيب بان
الجزيات المنفصلة الحاصلة بالفعل الصادرة من الفاعل بالقصد والاختيار وحب ان يتحقق بقصد جزئي والقصد
الجزئي مشروط بالعلم الجزئي فيلزم انه لو كان موجدا لفعله باختياره لكان عالما بتفاصيله قيل بطلان اللازم ممنوع فان
العبد عالم بتفاصيل افعاله لكن لم يستو العلم التفصيلي على ذكره فان ههنا ثلاثة امور العلم التفصيلي والشعور بانه هو الذي
يعلم والحفاظ ذلك الشعور في الذكر وليس يجب ان يكون العلم لاجل فقدان الاخرين والحق ان هذا المنع انما يستقيم اذا كان
المدعى حصول العلم التفصيلي بعد انقضا الفعل والكلام في حصول التفصيلي حالة صدور الفعل والمنع حينئذ مكابرة
الثالث لو اختار العبد وناقض مراده مراد الله تعالى بان اراد العبد تسكين جسم واراد الله تحريكه فاما ان لا يقع مراد
احدهما وهو محال لان المانع من وقوع مراد كل منهما وقوع مراد الاخر فلو امتنع وقوع مراد كل منهما وهو محال وايضا يلزم
ان لا يكون الجسم متحركا ولا ساكنا وهو محال او يقع مراد كل منهما فيلزم ان يكون الجسم في زمان واحد متحركا وساكنا معا وهو
محال او يقع مراد احدهما دون الاخر وهو محال لان القدرتين متساويتين في الاستقلال بالتاثير في ذلك المقدور فوقوع احد
المرادين دون الاخر ترجيح بلا مرجح قيل يقع مراد الله تعالى دون مراد العبد عند اجتماع القدرتين ولا نسلم ان
القدرتين متساويتان في الاستقلال بالتاثير في ذلك المقدور بل هما متفاوتتان في القوة والضعف وذلك بقدر قادر على
حركة في مسافة في مدة لا يقدر قادر اخر عليها في تلك المدة ولو كانت القدرة متساوية وليس كذلك وايضا الضعيف لا
يقدر بالاستقلال على فعل يقدر عليه القادر القوي والقادر القوي يقدر على منعه من ذلك الفعل ولا يقدر على منع القوي

وهذا الدليل ماخوذ من دليل التمانع في ابطال كون الاله اكثر من واحد وهناك يتمشى لان الالهة تفرض متساوية في القدرة ولا
تفاوت وههنا لا يتمشى احتجت المعتزلة على ان افعال العباد باختياره بالمعقول والمنقول الاول ان العبد لو لم يكن مختارا اي متمكنا
من الفعل والترك لقبح تكليفه لانه حينئذ تكون افعاله جارية مجرى افعال الجمادات واللازم باطل بالاتفاق العقلاء على ان
التكليف ليس بقبيح **اجيب** بان الالزام مشترك لان الفعل المامور به عند استواء الداعيين ومرجوحية داعيه ممتنع وعند
رجحانه واجب فيكون اما واجبا واما ممتنعا فلا يكون مقدورا له فيقبح التكليف به ولانه ان كان معلوم الوقوع بالنسبة الى الله
تعالى وجب وقوعه والا امتنع وقوعه فلا يكون مقدورا للعبد فيقبح تكليف العبد به • الثاني من وجوه الاول الايات
الدالة على اضافة افعال العباد اليهم وتعليقها بمشيتهم كقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وقوله تعالى ان يتبعون الا
الظن • وقوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم • وقوله تعالى سولت لكم انفسكم امرا وطوعت له
نفسه قتل اخيه • وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به • وقوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين • وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر • وقوله تعالى اعملوا ما شئتم • وقوله تعالى فمن شاء ذكره • وقوله تعالى لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر • وعورض هذا
الوجه بالايات الدالة على جميع الاعمال بخلق الله تعالى نحو قوله الله خالق كل شيء • وقوله والله خلقكم وما تعملون • وقوله تعالى من
يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم • الثاني الايات المشتملة على الوعد والوعيد • والمدح والذم عليها نحو قوله
تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت • وقوله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون • وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى • وقوله
هل جزاء الاحسان الا الاحسان • وقوله تعالى هل تجزون الا ما كنتم تعملون • وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها •
وقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري • وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم • وقوله تعالى كيف تكفرون بالله وهي اكثر من ان
تحصى **اجيب** بان المقتضي للمدح والثواب والذم والعقاب السعادة والشقاوة قال الله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة
وقال تعالى واما الذين شقوا ففي النار والسعادة والشقاوة جبلة كتبت للعبد قبل وجوده شاهده قوله صلى الله عليه
وسلم السعيد من سعد في بطن امه والشقي شقي في بطن امه والاعمال الصالحات امارات السعادة والاعمال السيئات امارة
الشقاوة وترتب الثواب على الاعمال الصالحات والعقاب على الاعمال السيئات من حيث ان الافعال معرفات للثواب والعقاب
موجبات الثالث الايات الدالة على اعتراف الانبياء بذنوبهم كقوله تعالى حكاية عن ادم ربنا ظلمنا انفسنا • وعن
يونس اني كنت من الظالمين • وعن موسى رب ظلمت نفسي وعورض بقوله حكاية عن موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء ونظايره نحو قوله تعالى من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم • الرابع الايات الدالة على ان
افعال الله تعالى لا تتصف بصفات افعال العباد من الظلم والاختلاف والتفاوت اما الظلم فلقوله تعالى ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد • وقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم واما الاختلاف فلقوله تعالى ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت واذا كان الظلم والاختلاف والتفاوت منفيا عن افعال الله تعالى يلزم ان تكون افعال العباد غير افعال
الله لان افعال العباد متصفة بالظلم والاختلاف والتفاوت فلا تكون افعال العباد مخلوقة لله **اجيب** بان ما ذكرتم
من الايات لا يدل على ان افعال العباد غير مخلوقة له تعالى اما الايات الدالة على نفي الظلم فلان كون الفعل ظلما اعتبار عارض
له بالنسبة الينا ليس بداخل في حقيقة الظلم ولا صفة حقيقية لازمة له فيجوز ان لا يكون الافعال المنسوبة الى العباد
متصفة بالظلم بالنسبة اليه تعالى لانه مالك لكل الاشياء بالاستحقاق وتكون متصفة بالنسبة الينا لقصور ملكنا وقصور
استحقاقنا وكون الفعل ظلما بالنسبة الينا لا يمنع صدور اصل الفعل عن الباري تعالى مجردا عن اعتبار كونه ظلما اذ لا
امتناع في ان الفعل الصادر عنه تعالى يعرض له اعتبار كونه ظلما بالنسبة الينا واما نفي الاختلاف والتفاوت
الذي يدل عليه سياق الايتين عن الافعال لا نفي الاختلاف والتفاوت على افعاله تعالى مطلقا فان مخلوقات الله تعالى
مختلفة متفاوتة في الرتبة والشرف وغيرهما من الاختلاف والتفاوت اعلم ان اصحابنا لما وجدوا الفرقة بديهية بين ما
نباشره من الافعال الاختيارية وبين ما نحسنه من الجمادات من الحركات الصادرة بدون شعور واختيار ومنعهم
البرهان الدال على ان الله تعالى خالق كل شيء اي منعهم من اضافة الفعل الى اختيار العبد مطلقا جمعوا بين امرين وقالوا

لفعال

افعال العباد واقعة بقدرة الله وكسب العبد على معنى ان الله اجرى عادته بان العبد اذا صمم العزم على الطاعة يخلق
فعل الطاعة فيه واذا صمم العبد على المعصية يخلق فعل المعصية فيه وعلى هذا يكون العبد كالموجد لفعله وان لم يكن
موجدا وهذا القدر كاف في الامر والنهي وهذا ايضا مشكل فان تصميم العزم ايضا فعل من الافعال مخلوقة لله فلا مدخل
للعبد اصلا ولصعوبة هذا المقام انكر السلف على المناظرين فيه لانه بحسب الغالب يؤدي المناظرة الى رفع الامر والنهي
او الشرك بالله وقال اهل التحقيق في هذا المقام لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين الامرين فهذا هو الحق وبيانه ان الله يوجب
القدرة والارادة في العبد ويجعلهما بحيث لهما مدخل في الفعل لا بان يكون القدرة والارادة لذاتهما مدخل في الفعل
بل كونهما بحيث مدخل لهما خلق الله اياهما على هذا الوجه ثم يقع الفعل بهما فان جميع المخلوقات خلق الله تعالى بعضها بلا
واسطة وبعضها بواسطة واسباب لا بان يكون الوسائط والاسباب لذاتهما اقتضت ان يكون لها مدخل في الفعل والاولى
ان يسلك في هذا المقام طريق السلف ويترك المناظرة فيه ويفوض امره الى الله تعالى **واعلم** ان المعتزلة قالوا ان الفعل
الحادث بالقدرة من غير ان يختص بمحلها هو المخترع والفعل الحادث ابتداء بالقدرة في محلها هو المباشرة كالاعتماد والفعل الحادث
الذي وقع بحسب فعل اخر هو المتولد فعند المعتزلة المتولد من فعل العبد كالمباشرة فان حسن المدح على بعض الافعال المتولدة
والذم لبعضها يدل على العلم بان المتولد منسوب الينا فلو لم يكن العلم باسناد المتولد الينا حاصلا لما حسن المدح على
بعضها والذم لبعضها قيل ان المتولد غير مقدور لنا لانه لم يصح وجوده وعدمه منا لان عند سببه اعني الامر الذي حصل
بسببه المتولد وجب المتولد فلا يصح تركه منا فلا يكون مقدورا لنا **اجيب** بان الوجوب باختيار السبب والوجوب
باختيار السبب وجوب لاحق غير مناف للامكان الذي المقتضي لكونه مقدورا قيل ان حسن المدح والذم لا يدلان على العلم
بان المتولد مضاف الينا لان حسن الذم المتولد حاصل وان علمنا اسناده لغيرنا فانا نذم على القاء الصبي في النار اذا احترق مع انا
نعلم ان المحرق غير الملقي **اجيب** بان الذم للالقاء لا للاحراق فان الاحراق عند الالقاء حسن لما فيه من مراعاة العادات وعدم
انتقاضها والقضاء عبارة عن وجود جميع المخلوقات في الكتاب المبين واللوح المحفوظ مجتمعة ومجملة على سبيل الابداع والقدر
عبارة عن وجودها منزلة في الاعيان بعد حصول شرائطها مفصلة واحدا بعد واحد على سنن القضاء والى هذا اشار بقوله
تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم • والاضلال الاشارة الى خلاف الحق والباس الحق بالباطل
وفعل الضلالة في الانسان والاهلاك والابطال قال الله تعالى فلن يضل اعمالهم والهدى مقابل له فيطلق على مقابلات هذه
المعاني الاشارة الى الحق ورفع الالباس وفعل الهداية وعدم الاهلاك والابطال والاضلال والهداية بجميع المعاني من الله
وعند المعتزلة والهداية بجميع المعاني يجوز اسنادها الى الله والاضلال بالمعنيين الاولين منفيان عنه سبحانه وتعالى لانهما
قبيحان والله تعالى منزه عن فعل القبيح وعند اهل السنة والجماعة لا قبح بالنسبة الى افعال نفسه لاتفاق العقلاء على ان
الفعل الصادر منه لا يتصف بالقبح لكونه نقصا والنقص على الله محال واما بالنسبة الى افعال العباد فلانه مالك الامور على
الاطلاق يفعل ما يشاء ويختار لا علة لصنعه ولا غاية لفعله واما بالنسبة الينا فالقبيح ما نهي عنه شرعا وهو منحصر في
الحرام ان اريد بالنهي نهي تحريم وان اريد بالنهي نهي التنزيه فالقبيح هو الحرام والمكروه والحسن ما ليس كذلك اي ما
ليس بمنهي شرعا ففعل الله تعالى والواجب والمندوب والمباح وفعل غير المكلف حسن فكذا المكروه ان اريد فالنهي نهي
التحريم • وقالت المعتزلة القبيح قبيح في نفسه وحسنه يكون لذاته او صفة لازمة لذاته وقال الجبائي قبحه بوجه
واعتبار فيقبح من الله كما يقبح منا وكذا الحسن حسن في نفسه وحسنه يكون لذات او صفة لازمة او بوجه واعتبار
ثم من الحسن والقبيح ما يستبد العقل بدركه ضرورة من غير نظر واستدلال كانقاذ الغرقى والهلكى والصدق
النافع وقبح الظلم والكذب الضار او يستبد العقل بدركهما بالنظر والاستدلال كقبح الصدق الضار وحسن الكذب
النافع والذي يدل على ان هذين النوعين يستبد العقل بدركهما انه حكم بينهما المعترف بالنبوة والمتمسك بدين نبي وغيره
كالبراهمة ومنها ما ليس يستبد العقل بدركه لا بالضرورة ولا بالنظر والاستدلال كحسن صوم رمضان وقبح صوم
اول شوال فان العقل لا يستبد بدركه بل يتوقف على الشرع والسمع **واعلم** ان الحسن والقبيح يطلقان على امور منها

مايكون صفة كمال او صفة نقص كالعلم والجهل ومنها مايكون ملايما للطبع او منافراله ومنها ما يتعلق به في الاجل ثواب
او عقاب فان كان المراد بالحسن صفة كمال وبالقبيح صفة نقص او كان المراد بالحسن مايكون ملايما للطبع وبالقبيح مايكون
منافرا للطبع ولاخلاف في كونهما عقليين وان كان المراد بالحسن ما يتعلق به في الاجل ثواب وبالقبيح ما يتعلق به في الاجل
عقاب فالعقل لا يستبد به فان العبد غير مختار في فعله ولا مستقل بتحصيله فلا يستقل العبد بان يحكم بحسنه او قبحه
ولا نزاع في ان التكليف حسن وهو ماخوذ من الكلفة وهي المشقة ومعناه طلب من تجب طاعته على جهة الابتدا ما فيه مشقة
بشرط الاعلام فيندرج في قوله من يجب طاعته الله ورسوله والامام والوالد والسيد ويخرج عنه غيرهم وشرط الابتدا
لان طلب هولاء انما يكون تكليفا اذا لم يسبقه غيره الى طلب فلهذا الانتقال للاب اذا امر ابنه بالصلاة انه مكلف له لان
طلب الصلاة من الله سابق على طلب الاب واعتبار المشقة انما هو ليتحقق اصل مفهوم التكليف واشترط الاعلام لان المكلف
اذا لم يعلم طلب المكلف لم يكن مكلفا واحتج المعتزلة على حسن التكليف بانه مشتمل على مصلحة لا تحصل بدون التكليف
لانه مشتمل على مصلحة لا تحصل بدون التكليف وهي التعريض لمنافع عظيمة لا تحصل بدون التكليف ومنها استحقاق
التعظيم فان التفضل بالتعظيم من غير استحقاق قبيح سوا كان ممن يستحيل عليه النفع او الضر او كان لا يستحيل
ومنها التعظيم المستحق فانه لا يعظم ان يحصل بمجرد التفضل من غير الاستحقاق قيل عليه ان التكليف لاجل النفع بمثابة
جرح الانسان غيره ثم مداواته فكما ان ذلك قبيح فلذلك التكليف وان التكليف لاجل ايصال النفع بمثابة المعاوضات
فيشترط فيها رضا المتعاوضين فكذلك التكليف ينبغي ان يشترط فيه رضا المكلف والمكلف ولا نسلم ان التكليف
لاجل ايصال النفع ولم لا يجوز ان يكون شكرا على النعم السابقة **اجيب** بان الجرح مضرة صرفة والمداواة لا يكون
الا للتخلص منها بخلاف التكليف فان فيه منافع عظيمة ليس هو التخلص من المشقة الحاصلة بسببه وان المعاوضات انما
يحتاج الى رضا الجانبين لاختلاف اغراض الناس في المعاملات بخلاف التكليف فان الثواب الحاصل بسببه لم يختلف
العقلا في اختياره فلا يحتاج الى رضا المكلف وان الشكر لا يشترط فيه المشقة فلا يكون التكليف شكرا والا خرج النعمة
بسبب وقوع المشقة في مقابلتها عن كونها نعمة والحق ان من يستحيل عليه النفع والضر لا يتمشى فيه هذه الوجوه وقد تبين
حسن التكليف على طريقة الحكما كما ذكر في اثبات النبوة ووضع اللغات **المقدمة الثالثة والعشرون** في
انه تعالى لا يجب عليه شيء لانه لو وجب فان لم يستوجب الذم بتركه لم يكن واجبا وان استوجب كان الباري مستكملا بفعله
فانه حينئذ تخلص بفعله من المذمة والمعتزلة اوجبوا على الله امورا منها اللطف ومنها الثواب على الطاعة ومنها
العقاب على الكباير قبل التوبة ومنها ان يفعل الاصلح لعباده ومنها ان لا يفعل القبيح عقلا اما اللطف وهو ان
يفعل ما يقرب العبد الى الطاعة ويبعده عن المعصية بحيث لا يودي الى الالجا فهو واجب لان اللطف يحصل
به الغرض من التكليف وهو التعريض بالثواب لان ما يقرب المكلف من الطاعة ويبعده من المعصية يستدعي
تحصيل المكلف به المستلزم للغرض منه وما يحصل الغرض من التكليف يكون واجبا لان التكليف واجب وهو لا يتم
الا باللطف وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب واللطف اما ان يكون فعل الله كخلق القدرة للعبد واكمال العقل ونصب
الادلة وبعثه الانبيا فعل الطاعة وترك المعصية فيكون واجبا عليه تعالى اما ان يكون فعل المكلف نفسه كنظره
وفكره فيما يجب عليه ويوصله الى تحصيله فيجب على الله ان يعرفه ويوجبه عليه واما ان يكون فعل غيرهما من المكلفين
مثل الاعانة له في تحصيل مصالحه ودفع مفاسده والتالي به في اعماله الصالحات وايمانه وطاعاته والانزجار عن السيئات
اعتبارا به فيشترط في التكليف بالملطوف فيه العلم بان ذلك الغير يفعل اللطف قيل ان اللطف انما يكون واجبا
اذا كان خاليا من وجوه القبح والمفسدة فان وجوه الحسن والمصلحة لا تكون كافية في وجوب اللطف بل لا بد من
انتفا القبح والمفسدة فيجوز ان يكون اللطف الذي يوجبونه مشتملا على وجوه القبح والمفسدة وان لم نعلم فلا يكون
واجبا **اجيب** بان وجوه القبح منفية لانا نعرفها فانا مكلفون بتركها وكلما كلفنا بتركه يكون معلوما لنا
وقد عرفنا ان هناك لم يتحقق وجه قبح وقيل الكافر مكلف بالايمان مع انه لا لطف به ولا يحصل الايمان عنده **واجيب**

بان الكافر

بان الكافر لا يخلو عن لطف ايضا واللطف ما يقرب من الملطوف فيه ما لا يحصل عنده وقيل ايضا ان اللطف لو كان واجبا
على الله تعالى لم يصدر عنه واللازم باطل لان الله تعالى اخبر بالسعادة والشقاوة فانه اخبر ان بعض المكلفين من اهل الجنان
وبعضهم من اهل النيران والاخبار به مناف للطف لانه اغراء على المعاصي **واجيب** بان الاخبار بالسعادة والشقاوة
ليس مفسدة فانه ليس اغرا على المعاصي لجواز ان يمنع عن المعاصي ولا يقدم عليها بسبب هذا الاخبار ويقبح من المكلف
تعذيب المكلف ان منعه من اللطف لانه حينئذ بمنزلة الامر بالمعصية والالجا فللمكلف ان يقول لولا لطفت
بي كما قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فانه اخبر بانه لو منعهم
اللطف في بعثة الرسول لكان لهم هذا السؤال ولا يكون لهم هذا السؤال الا مع قبح اهلاكهم من دون البعثة
ولا يقبح من المكلف ذم المكلف مع منعه اللطف لان الذم حق يستحق على القبيح بفعله لم يسقط من الباعث حق الذم
كما ان ابليس حق ذم اهل النار مع انه المغري على المعاصي ويجب المناسبة بين اللطف والملطوف به بان يكون حصول اللطف
داعيا الى حصول الملطوف به والا لزم الترجيح بلا مرجح بالنسبة الى المتنسبين لانه لولا المناسبة لم يكن كون اللطف
لطفا بالنسبة الى ذلك الفعل اولى من كون غيره لطفا بالنسبة اليه ولا كون ذلك اللطف ملطوفا به بالنسبة الى ذلك
اللطف اولى من فعل غيره بالنسبة اليه وان لم يبلغ المكلف اجمالا وتفصيلا لانه اذا لم يعلمه المكلف لم يعلم المناسبة بينه
وبين الملطوف فان كان العلم الاجمالي كافيا في استدعا الفعل لم يجب التفصيلي كما نعلم ان ضرب البهيمة لطف لنا وان
كان اللطف لا يتم الا بالعلم التفصيلي وجب حصوله وان يكون اللطف مشتملا على صفة زايدة على الحسن من كونه واجبا كالفرايض
او مندوبا كالنوافل ولا يجب ان يكون اللطف متعينا بل يجوز ان يكون فعلان كل منهما مشتملا على جهة المصلحة المطلوبة
من الامر فيقوم كل منهما مقام الاخر كما في الكفارة المخيرة وحينئذ لا يجب كل من الفعلين بل يكون كالواجب المخير
ويشترط في كل واحد من الامرين اللذين كل منهما لطف يقوم مقام الاخر كون كل منهما حسنا ليس فيه وجه قبيح
واللطف اما مصلحة في الدنيا واما مصلحة في الدين اما مضرة الما ومرض او علا او غيرها واما منفعة صحة وسعة في الرزق
ورخص وغيرها والالام الصادرة عنه تعالى حسنة عند اهل السنة والجماعة سوا كانت مبتدا بها وبطريق المجاز
وسوا يعقبها عوض او لا وذهبت الثنوية الى قبح جميع الالام لذاتها وهي صادرة عن الظلمة وذهبت المعتزلة الى ان
بعض الالام قبيح يصدر منها خاصة كالالام الصادرة عن بعض المكلفين بالنسبة الى من لا جرم له وبعضها حسن
يصدر بمقتضى العادة كما يفعله الله تعالى في الحي اذا القيناه في النار او كونه واقعا على وجه الدفع كما اذا وقع دفعا للصايل
فاذا علم اشتمال الالم على واحد من هذه الامور حكم بحسنه قطعا والالم الذي يفعله تعالى ابتدا او هو المشتمل على النفع
الحاصل للمتالم مشروط باللطف للمتالم او لغيره لان خلوه عن النفع يستلزم الظلم وعن اللطف العبث وهما قبيحان على
الله تعالى وذهب ابو الحسين البصري الى انه يجوز ان يقع الالم على المستحق مثل الفساق والكفار بطريق العقاب ويكون
تعجيله قد اشتمل على مصلحة لبعض المكلفين كما في الحدود وذهب الجبايون وعبد الجبار الى ان اللطف غير كاف في الم
المكلف ليكون حسنا بل لا بد فيه ان يقع في مقابلته عوض من حصول نفع او دفع ضر لان الطاعة الواقعة لاجل الالم
بحسب اللطف يقابلها الثواب المستحق فيبقى الالم مجردا على النفع فيكون قبيحا وذهب الشيخ ابو الحسين البصري الى ان
الالم لا يحسن اذا كان اللذة مشتملة على اللطف الذي في الالم لان الالم انما يصير في حكم المنفعة اذا لم يكن طريق لتلك
المنفعة الا ذلك الالم ولو امكن الوصول الى المنفعة من غير الم كان الالم ضررا قبيحا ولا يشترط في حسن الالم الواقع
من الله تعالى ابتدا اختيار المتالم العوض الزايد عليه بالفعل لان اعتبار الاختيار انما يكون في النفع الذي يتفاوت
فيه اختيار المتالمين فاما النفع البالغ الى حد لا يتفاوت فيه اختيار المتالمين لكونه زايدا فهو حسن وان لم يحصل
الاختيار بالفعل وهذا هو الغرض المستحق عليه والعرض نفع مستحق خال عن تعظيم واجلال فالنفع يجوز ان يقع
تفضلا من غير سابقة استحقاق ويجوز ان يقع بعد استحقاق فقيد المستحق يخرج النفع المنفصل به فانه لا يكون
عوضا وقوله خال عن تعظيم واجلال يخرج الثواب ويجب على الله تعالى عوض انزال الالم بالعبد كالم وغيره والالكان

غير مختص بالمكلف بخلاف العقاب
المستحق للمكلف ولهذا الواعد انسان عم عليهم
القبيح م

ظالما والظلم قبيح على الله تعالى وعوض تفويت المنافع على العبد اذا كان التفويت منه تعالى لمصلحة الغير اذ لا فرق
بين انزال المضار وتفويت المنافع وعوض انزال الغموم بان يخلق الله اسباب الغم لان الغم بمنزلة الضرر سواء
كان مستندا الى علم ضروري بنزول مضيبة او وصول الم او مستندا الى علم يكتسب لانه تعالى هو الباعث على النظر
فيكون الله سببا للغم وكان العوض عليه او مستندا الى ظن كان يغتم عند امارة وصول مضرة او فوات منفعة فانه
تعالى هو الناصب لامارة الظن فيكون الغم بسببه فيجب عليه العوض والغم المستند الى العبد نفسه من غير سبب من الله لا عوض
فيه عليه تعالى وذلك مثل ان يبحث العبد فيعتقد جهلا نزول ضرر او فوات منفعة فانه لا عوض فيه ومن الوجوه التي يستحق
بها العوض على الله امر الله تعالى عباده بايلام الحيوان او اباحته سواء كان الامر للايجاب كالذبح في الهدي والكفارة والنذر
والندب كالضحايا فان العوض يجب على الله تعالى لان الامر بالايلام يستلزم الحسن والالم انما يحسن اذا اشتمل على المنافع
العظيمة البالغة في العظم جدا ومنها تمكين غير العاقل مثل سباع الوحش للايلام فان العوض يجب على الله لانه مكنه وجعله
ملجأ الى الايلام مع امكان عدم الميل ولم يجعل له عقلا يميز به الالم الحسن من الالم القبيح فكان
ذلك بمنزلة الاغراء فيقبح من الله تعالى ان لا يوصل اليه عوضا وهذا بخلاف الاحتراق اذا القينا صبيا في النار فاحترق او شهدنا
شهادة زور فقتل بسببها فان العوض يجب علينا لا على الله اما القاء الصبي في النار فلان فعل الالم واجب في الحكمة من حيث
اجراء العادة والله تعالى قد منعنا من القائه فصار الملقي كانه اوصل الالم اليه فلهذا وجب على الملقي العوض واما شهادة
الزور فلان الشهود اوجبوا اشهادتهم على الامام ايصال الالم من جهة الشرع فصاروا كانهم فعلوه واختلف المعتزلة
في وجوب انتصاف المظلوم على الله عقلا او سمعا فذهب طائفة منهم الى الاول والاخرى الى الاخر ومنهم من اختار انه
واجب على الله تعالى سمعا وعقلا اما عقلا فلانه لو لم ينتصف منه لافضى الى اضاعة حق المظلوم لانه تعالى مكنه وخلى بينه
وبين الظلم مع قدرته على منعه ولم يمكن المظلوم من مكافاته فلو لم ينتصف منه لضاع حق المظلوم واللازم باطل لان تضييع
حق المظلوم قبيح عقلا واما سمعا فلقوله تعالى وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون وذهب ابو هاشم والكعبي الى انه يجوز له
تمكين الظالم من الظلم به وان عوض في الحال يوازي ظلمه والله يتفضل عليه بالعوض المستحق عليه ويدفعه الى المظلوم وقال
ابو هاشم لا يجوز ان يخرج من الدنيا ولا عوض له يوازي ظلمه بل يجب تبقيته لان الانتصاف واجب والتفضل ليس بواجب
فلا يجوز تعليق الواجب بالجائز وقال المرتضى ان التبقية تفضل ايضا فلا يجوز تعليق الانتصاف بها فيجب العوض في الحال
المستحق العوض اما ان يكون من اهل الجنة فيوزع الله تعالى عوضه على الاوقات بل على وجه لا يتبين له انقطاعه فلا يتالم
او يتفضل عقيب انقطاعه بمثله فلا يتالم بانقطاعه واما ان يكون من اهل النار فيجعل الله عوضه جزءا من عقابه بحيث يظهر
له التخفيف فان ينقص من الامه ما يستحقه العوض متفرقا على الاوقات بحيث يظهر له التخفيف وذهب ابو علي الجبائي
الى ان العوض يجب دوامه لانه لو انقطع لوجب ايصاله عاجلا لان المانع من وجوب الاتصال في الدنيا هو الدوام مع
انقطاعه الحياة المانع من الدوام بل لا يجب حصوله في الدنيا لاحتمال ان يكون لتاخيره مصلحة غير ظاهرة فالمانع هو انتفاء
تلك المصلحة الخفية وقال ابو علي ايضا لو انقطع العوض لزم دوامه لانه لو لم يتالم بانقطاعه فيقتضي الالم عوضا فيجب
ان يوصله فان لم ينقطع لزم دوامه وان انقطع يتالم به فيقتضي عوض التالم وهلم جرا فلو انقطع لزم دوامه وما يودي
وجوده الى عدمه يكون محالا فالانقطاع محال ورد بانا لا نسلم انه يتالم بسبب الانقطاع فانه يجوز ان ينقطع من غير ان
يشعر بالانقطاع فلا يتالم به مع ان ذلك غير محل النزاع فان النزاع في العوض المستحق على الدوام لا في استلزام الالم الحاصل
بالانقطاع لعوض اخر وذهب ابو هاشم الى انه لا يجب دوام العوض لان حسن العوض لاشتماله على نفع زائد على الالم
زيادة يختار معه المتالم الم ومثل هذا النفع الزائد لا يستدعي الدوام لجواز تحقق نفع الزائد مع الانقطاع فلا يجب
دوامه ومنها انه لا يجب اشعار مستحق العوض بايصال العوض اليه من حيث هو بخلاف الثواب فانه يجب ان يقارن
التعظيم ولا يحصل التعظيم الا بان يشعر بانه ثواب واما العوض فانه نفع زائد يلتذ به وقد يلتذ به من لا يعلم ذلك
ومنها انه لا يتعين منافع يكون عوضا بل يجوز ان يوصل كل ما يحصل فيه منع عوضا بخلاف الثواب فانه يجب ان يكون

من جنس ما الفه المكلف ومنها انه لا يصح اسقاط العوض ولا هبته ممن وجب عليه العوض في الدنيا ولا في الاخرة سواء كان
العوض لله تعالى فان اسقاطه ان كان علينا اذا استحل الظالم من المظلوم وجعله المظلوم في حل بخلاف العوض على الله تعالى
فان اسقاطه عنه عبث لعدم انتفاعه به ومنها ان يكون العوض الذي على الله تعالى زائدا على الالم زيادة ينتهي الى حد يرضى
كل عاقل به وان كان العوض علينا يجب ان يكون مساويا لما فعل من الالم لان الزائد على ما يستحق عليه من الضمان ظلم ومن
الالطاف الاجل واجل كل شي هو وقت تحققه ووقت كل شي ما قدر به من معلوم متجدد لم يكن ذلك الشي قبله سواء كان
ذلك المعلوم المتجدد وجودا كما يقال قدم زيد عند طلوع الشمس او عدما كما يقال تحرك الجوهر عند عدم سواده او بياضه
فاجل وقتا لشي امكن ان يكون ذلك الشي وقتا له فانه كما يقال قدم زيد عند طلوع الشمس يقال طلع الشمس عند قدوم
فاجل الحيوان هو الوقت الذي علم الله تعالى فيه بطلان حياته والمقتول لو لم يقتل يجوز فيه الموت والحياة ويجوز ان يكون
اجل الانسان لطفا لغيره من المكلفين ولا يجوز ان يكون للمكلف نفسه لانه ينقطع التكليف بالاجل من المكلف وعند
انقطاع التكليف لا يكون اللطف متحققا بالنسبة الى ما مضى من التكليف والرزق عند الاشاعرة كل ما ينتفع به حي سواء
كان بالتغذي او بغيره مباحا او حراما مملوكا او غيره وذهب بعضهم الى ان الرزق هو ما يتربى به الحيوان من الاغذية
والاشربة لا غير وقيل ان الرزق ما صح الانتفاع به ولم يكن لاحد منعه فطعام البهيمة قبل ان تستهلكه بالمضغ والبلع
لا يكون رزقا لها لان للمالك منعها منه الا اذا وجب رزقها عليه وما استهلك الغاصب من الطعام المغصوب بالاكل
رزقا له لان الله تعالى منعه من الانتفاع به بعد مضغه وبلعه لان تصرفاته محرمة واما الرازق فعند اهل السنة
والجماعة هو الله تعالى اذ الرزق مخلوق ولا خالق غير الله ولا يجب عليه رزق احد لتعاليه ان يجب عليه شي بل ان رزق
فبفضله وان منع فبعدله وعند المعتزلة الحرام لا يكون رزقا من الله وما كان حلالا مباحا فما اتى العبد منه بنصب
وتعب فالعبد هو الرازق لنفسه والله ليس برازق له ذلك الرزق وما اتاه منه بغير فعله فهو من الله والرازق له ذلك الرزق
وهو الله تعالى والسعي في تحصيل الرزق لا يحرم عند الاجتناب عن ارتكاب المنهيات بل قد يجب عند الحاجة وقد يستحب
اذا طلب التوسعة على نفسه وعياله وقد يباح وقد يكره وقد يحرم اذا ادى الى ارتكاب منهي او منع من الواجب والسعر تقدير
العوض الذي يباع به الشي وهو رخص وغلاء ولا بد من اعتبار العادة واتحاد الوقت والمكان ويستند الى الله تعالى وعند
المعتزلة قد يستند الينا ايضا بان يحمل السلطان الناس على بيع السلعة بثمن غال ظلما منه او باحتكار الناس او غير ذلك
من الاسباب المستندة الينا فيحصل الغلاء والرخص واما الثواب وهو نفع مستحق مقترن بالتعظيم والاجلال فواجب
على الله جزاء عن التكاليف والطاعات عند المعتزلة لان ما مضى من النعم السابقة والاعمال لا يكافيها فكيف يقتضي مكافاة واما
العقاب على الكبائر قبل التوبة فهو واجب على الله عند المعتزلة البغداديين فقيل العقاب حقه وليس في استيفائه نفع ولا في
اسقاطه ضرر فله عفوه بل حسن عفوه كما في الشاهد واما الاصلح فواجب على الله ان يفعله لعباده عند معتزلة
بغداد فقيل الاصلح للكافر الغفران لا الخلق حتى لا يكون معذبا في الدارين واما القبيح فواجب على الله ان لا يفعله عقلا
لان الله عالم بقبحه مستغن عنه فوجب ان لا يفعله قياسا على الشاهد وقد عرفت فساد ذلك وافعال الله تعالى لا تعلل
بالاعراض خلافا للمعتزلة ولطائفة من الفقهاء والعرض ما لاجله يصدر الفعل من الفاعل والاحتجاج عليه من وجوه
الاول انه لو فعل لغرض كان مستكملا بفعل ذلك الشي والمستكمل بغيره ناقص قبل غرضه تحصيل مصلحة العبد
فلا يكون مستكملا بغيره اجيب بان تحصيل منفعة العبد وعدمه ان استويا بالنسبة اليه تعالى لم يصلح لان يكون غرضا
داعيا الى الفعل لامتناع الترجيح بلا مرجح وان لم يستويا بالنسبة اليه بل يكون المصلحة اولى بالنسبة اليه لزم
الاستكمال بما هو اولى اليه الثاني ان تحصيل الاعراض ابتداء مقدور لله تعالى لان كل عرض يعرض يكون من الممكنات
فيكون الله تعالى قادرا على ايجاده ابتداء فتوسط الافعال وجعلها غايات عبثا والعبث على الله محال لقوله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا قيل لا يمكن تحصيل ما هو عرض الا بتوسط اجيب بان الذي يصلح ان يكون غرضا
ليس الا ايصال اللذة الى العبد وهو مقدور لله تعالى من غير توسط شي الثالث العرض من اختصاص الحادثة

المعنة توقيها المعين ان وجد قبل الحادثه المعينة لزم ان تكون الحادثه قبل ذلك الوقت لامتناع تاخر الشى عن غرضه ولزم ان لا يكون الغرض غرضا لامتناع ان يكون غرض الشئ قبله وان وجد الغرض منه فى ذلك الوقت عاد الكلام فى اختصاص الغرض بذلك الوقت المعين فان لم يكن لغرض لزم التنزيه عن الغرض وان كان لغرض ثان وجد الغرض الذى قبله لزم ان يكون الغرض الاول ايضا قبله وان لا يكون الغرض غرضا وان وجد الغرض الثانى فى ذلك الوقت عاد الكلام فيه ويلزم التسلسل او التنزه عن الغرض واتفقت المعتزلة على ان افعاله تعالى واحكامه معللة برعاية مصالح العباد لان الفعل الذى لا غرض له فيه عبث والعبث على الحكيم محال ورد بان المراد بالعبث ان كان هو الخالى عن الغرض فهو عين الدعوى المتنازع فيه وان كان المراد به غيره فلا بد من تصوره اولا ثم تقريره ثانيا واعلم ان المعتزلة يقولون فعل الحكيم لا يخلوا عن غرض هو الداعى الى ذلك الفعل والا لزم ترجيح بلا مرجح والحكما يقولون الحكم بالقصاص انما ورد من الشارع لينزجر الناس عن القتل فهذا هو الغرض منه ثم المجتهدون يفرعون على ما ورد من الشارع من المنع والاذن فيما لا يصرح حكمه فيه على وجه يوافق الغرض ومن الناس من يقول الغرض سوق الاشيا الناقصة الى كمالاتها فان من الكمالات ما لا تحصل الا بذلك كما ان الجسم لا يمكن ان ينتقل من مكان الى اخر الا بتحريكه وهو الغرض من تحريكه فبعض الاعراض من غير توسط الفعل الخاص به ممتنع تحصيله والممتنع ليس بمقدور عليه واهل السنة يقولون انه تعالى فعال لما يريد ليس من شان فعله ان يتصف بقبح وكثير من الناقصين بعد بهم قبل استكمالهم وكثير من المتحركين يحركهم الى غير غايات حركاتهم ولا يسئل عما يفعل بكم وكيف وقالت المعتزلة الغرض من التكليف التعريض لاستحقاق التعظيم فان التفضل بالتعظيم قبيح وهو مبنى على القول بالحسن والقبح فى افعاله تعالى والوجوب على الله وهذه امور باطلة وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان التفضل بالتعظيم قبيح مطلقا بل انما يكون قبيحا فيمن يتصور له النفع والضرر ولئن سلم انه قبيح مطلقا فاستحقاق التعظيم لا يتوقف على التكليف بالافعال الشاقة فان التلفظ بكلمة الشهادة اسهل من الجهاد والصوم مع ان التعظيم المستحق بالتلفظ بكلمة الشهادة اعظم واحتج المنكرون للتكليف بان العبد مجبر فى فعله فيقبح تكليفه بما ليس باختياره ولئن التكليف بالفعل الشاق ان لم يكن لغرض كان عبثا فيقبح منه تعالى وان كان لغرض لا يعود اليه لتعاليه ويمتنع ان يكون لغيره لانه تعالى قادر على تحصيل ذلك الغرض ابتدا فيضيع التكليف لان توسطه حينئذ يكون عبثا واجيب عنهما بانه مبنى على طلب اللمية وهو باطل لانه لا يجب ان يكون كل شئ معللا والا لزم التسلسل بل لا بد من الانتها الى ما يكون معللا واولى الامور بذلك افعال الله واحكامه وحاصل التكليف اعلام الخلق بنزول الثواب على اصحاب الجنان وحلول العذاب على اصحاب النيران وفرق بين السعداء الذين لهم درجات وحكمه تعالى لا يسئل عنه وله ان يعترض عليه وليس لغيره ان يعترض عليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقالت المعتزلة التكليف واجب لانه لو لم يكلف الله العبد الذى كملت شرايط التكليف فيه لما كان زاجرا عن القبايح بل مغريا بها لانه تعالى جعله كامل العقل مايلا الى مقتضى الشهوة والغضب من القبايح فلو لم يقرر فى عقله وجوب الواجب وحرمة الحرام والمواخذه باخلال الواجب وارتكاب القبيح لصدر القبيح دايما من العبد واللازم باطل لان ترك الزجر عن القبايح والاغرا بها قبيح والله منزه عن القبيح وشرايط حسن التكليف منها ما يرجع الى نفس التكليف وهو امران انتفا المفسدة بان لا يكون التكليف مفسدة للمكلف بان يكون موجبا للاخلال بتكليف اخر وان لا يكون مفسدة لمكلف اخر ويتقدم التكليف على الفعل زمانا يتمكن المكلف فيه من الاستدلال به لسابق الفعل زمان وجوب ايقاعه فيه ومنها ما يرجع الى الفعل المكلف به وهو امران ايضا امكان وجوده فان التكليف بالمحال خال عن الفا[يدة] واشتمال الفعل على صفة زايدة على حسنه بان يكون واجبا او مندوبا ان كان التكليف بترك فعل ومنها ما يرجع الى المكلف وهو ان يكون عالما بصفات الفعل لئلا يتكلف ارتكاب القبايح واجتناب الواجب والمندوب وان يكون عالما بقدر ما يستحق على الفعل من الثواب لئلا ينقص الثواب فيكون جورا وان يكون القبيح ممتنعا عليه لئلا يخل بالواجب فلا يثبت المستحق للثواب ومنها ما يرجع الى المكلف وهو ان يكون قادرا على الفعل وان يكون عالما به او متمكنا من العلم وان يكون متمكنا من آلة الفعل ان كان الفعل ذا آلة ومتعلق التكليف اما علم عقلى يستقل العقل بتحصيله كالعلم بوجود الاله

وكونه قادرا عالما او سمعى لا يستقل العقل بتحصيله ولا طريق الى اثباته الا من طريق الشرع وتصديق خبر النبى مثل علم المعاد الذى للبدن عند البعث وجزائه وسعادته وشقاوته واما ظن كثير من الاحكام الشرعيه كظن القبلة وطهارة الما وغيرها والتكليف منقطع عن المكلف بالاجماع ولان التكليف ان لم ينقطع لم يمكن ايصال الثواب الى المكلف لان التكليف يدعى المشقة والثواب يستدعى الخلوص عنها فالجمع بينهما محال والتكليف حسن بالنسبة الى المومن والكافر لان علة حسنه هى التعريض للثواب عامة بالنسبة اليهما فالتكليف بالنسبة الى الكافر ايضا حسن فان قيل تكليف الكافر قبيح قطعا لانه مشقة فى الدنيا والعقاب حاصل مترتب فى العقبى وانتفا مصلحة اذ لا ثواب له فيكون ضررا عظيما فى حقه **اجيب** بان التكليف نفسه ليس بضرر ولا مفض الى الضرر من حيث هو تكليف والا لكان بالنسبة الى المومن كذلك بل الضرر حصل من اختيار الكفر الكافر والفسوق وترك الايمان والطاعة قيل حسن التكليف مشروط بانتفا المفسدة بالنسبة الى المكلف وتكليف الكافر مستلزم للمفسدة فانه يستلزم ضرره فلا يكون حسنا **اجيب** بان التكليف لا يستلزم المفسدة من حيث هو بل المفسدة من سوء اختياره والتكليف مشروط بانتفا المفسدة اللازمة من حيث التكليف لا المفسدة الحاصلة من سوء الاختيار قيل ان تكليف الكافر لا فايدة فيه لان الفايدة منه هى الثواب ولا ثواب له فكان عبثا **اجيب** بانا لا نسلم ان تكليف الكافر لا فايدة فيه بل الفايدة ثابتة وهى التعريض للثواب كما بالنسبة الى المومن واعلم ان هذه المباحث متفرعة على ان افعال العباد صادرة منه وان الله تعالى لا يفعل القبيح وان لفعله غرضا وضعفها لا يخفى على المتامل والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الفاتحة مكية

وهو قول ابن عباس وقتادة وابى العاليه وعليه اكثر العلما عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش وصح الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ابى ابن كعب انها السبع وفى البخارى عن ابى سعيد بن المعلى قال كنت اصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه حتى صليت ثم اتيته فقال ما منعك ان تاتينى فقلت يا رسول الله انى كنت اصلى فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال الا لاعلمك سورة هى اعظم السور فى القران قبل ان اخرج من المسجد ثم اخذ بيدى فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة هى اعظم سورة فى القران قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقران العظيم الذى اوتيته وفيه عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ام القران هى السبع المثانى والقران العظيم وسورة الحجر مكية بالاتفاق وظاهر ان الله تعالى لم يمتن على النبى صلى الله عليه وسلم باتيانه السبع المثانى وهو بمكة ثم انزلها بالمدينة ويبعد القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة بضع عشرة سنة يصلى بلا فاتحة الكتاب وفرض الصلاة كان بمكة وقيل نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة وهو قول مجاهد وروى الثعلبى باسناده عن مجاهد انه قال فاتحة الكتاب انزلت بالمدينة قال الحسين بن الفضل لكل عالم هفوة وهذه هفوة مجاهد فانه تفرد بها والعلما على خلافه وقيل نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة حكاه ابو الليث السمرقندى فى تفسيره وقيل مكية ومدنية نزل بها جبريل مرة بمكة ومرة بالمدينة تعظيما لشان هذه السورة ولهذا سماها الله بالمثانى لانه ثنى انزالها ولهذه السورة اسما كثيرة وكثرة اسمايها تدل على عظم شانها وفخامة امرها منها ام القران وام الكتاب والسبع المثانى روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القران وام الكتاب والسبع المثانى قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ووجه التسمية بالاولين ان ام الشى اصله والمقصود الاعظم منه ولما كان المقصود الاعظم من انزال القران بيان الثنا على الله تعالى بما هو اهله وبيان التعبد بالامر والنهى والوعد والوعيد وهذه السورة مشتملة عليه سميت به ووجه التسمية بالثالث انها سبع ايات ومنها الكنز لاشتمالها على نفايس المطالب ومنها الوافيه لانها لا تنقسم ومنها الكافية لانها تغنى بالمطالب العاليه ومنها سورة الحمد لاشتمالها عليه ومنها المثانى قيل لانها تثنى فى كل ركعة بالنسبة الى ركعة اخرى او تثنى فى كل صلاة واريد بالركعة الصلاة تسمية للكل باسم الجز وقيل لانها تقرا فى الصلاة وتثنى بسورة اخرى وقيل لانها يثنى انزالها وقيل لانها اثنيه على الله تعالى وقيل لانها مستثناه لهذه الامة فلم تنزل على احد قبلها ومنها الصلاة قال صلى الله عليه وسلم يقول الله قسمت الصلاة الحديث والمراد بالصلاة هذه السورة سميت بها لان الصلاة تكون مجزيه او فاضله بقراتها فيها ومنها الشفا والشافيه فى البخارى عن ابى سعيد الخدرى قال كنا فى مسير لنا فنزلنا فجات جارية فقالت ان سيد الحي

سليم وان نفرعنا غيب فهل منكم راق فقام معها رجل فرقا فبرا فامر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له اكنت تحسن رقية او كنت ترقي قال ما رقيت الا بام الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتى ناتي رسول الله او نسال رسول الله فلما قدمنا المدينة ذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما كان يدريه انها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم ومر بعض الصحابة برجل مصروع فقرا هذه السورة في اذنه فبرا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هي ام القران وهي شفاء من كل داء ومنها فاتحة الكتاب لانها تفتتح بها في المصاحف والقراءة والتعليم ومنها الكافية لانها لا تكفي عن غيرها وغيرها لا تكفي عنها ومنها الاساس لانها اول سورة في القران وهي سبع ايات منهم من عد التسمية اية دون انعمت ومنهم من مذهبه على العكس هذا هو المشهور الذي اطبق الاكثرون عليه وروي عن حسين الجعفي انها ست ايات وهو شاذ وعن عمرو بن عبيد انه جعل اياك نعبد اية وهي على عده ثماني ايات وهي ايضا شاذة وقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني يرد القولين

بسم الله الرحمن الرحيم اجمع الامة على ان التسمية مرسومة في اول كل سورة سوى براءة في جميع مصاحف الايمة التي اجمع عليها اراء الصحابة في زمن الخلفاء الراشدين ونفذت النسخ منه في زمن عثمان رضي الله عنه الى امصار المسلمين لياخذوا بها ويتركوا ما خالفها واجمعوا ايضا على انها في قوله تعالى في النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم من القران وانها بعض الاية وانها ليست في اول التوبة من القران ثم اختلفوا في انها هل هي من القران في اوايل سائر السور فقراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على انها ليست من القران لا من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال قيل هو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقيل ان ابا حنيفة لم ينص عليه وانما قال يسر بها ولم يقل انها اية من اول السورة ام لا سئل محمد بن الحسن عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال ما بين الدفتين كلام الله فقيل له لم تسر بها فلم يجب وقال الكرخي لا اعرف هذه المسئلة بعينها لمتقدمي اصحابنا الا ان امرهم باخفائها يدل على انها ليست من السورة وقال بعض فقهاء الحنفية تورع ابو حنيفة واصحابه عن الوقوع في هذه المسئلة لان الخوض في ان التسمية من القران اولا امر عظيم فالاولى السكوت عنه والمشهور من مذهب مالك انها ليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور ولا يقرأها المصلي في المكتوبة لا جهرا ولا سرا ويجوز ان يقراها في النوافل ولا يقراها اول ام القران وروي عنه ابتداء القراءة بها في الصلاة فرضا ونفلا لا سيما ابن حاتب وقراء مكة والكوفة على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة سوى التوبة قال الحافظ بن عبد البر هو قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء وطاوس ومكحول واليه ذهب ابن المبارك وطايفة ذهبوا الى انها اية من فاتحة الكتاب منهم احمد وابو ثور وابو عبيد وقال ابو سليمن الخطابي هو قول ابن عباس وابي هريرة وسعيد بن جبير وقال ابو طاهر ابن ابي هاشم وهو من الايمة الاكابر في علم القراءة من اصحاب الامام ابي بكر محمد بن مجاهد فلو صحت الرواية عن علي وابي عمر وابن عباس انهم جعلوها اية من ام القران وجاء عن ابن عباس وابن المبارك والاوزاعي في بعض الروايات من قرا القران ولم يفتتح السور ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك من القران مائة وثلاثة عشرة اية وقال الشافعي انها اية من الفاتحة قطعا ويردد قوله في ساير السور على ان التسمية هل هي من القران في اول كل سورة اولا ويحصل لاصحابه طريقان احدهما ان كون التسمية في اول كل سورة هل هي من القران اوليست فيه قولان وثانيهما انها هل تكون في اول كل سورة اية براسها او بعض اية فيه قولان قال الغزالي حمل تردد الشافعي رحمه الله على الاول اصح وقيل التسمية في اوايل السور قران مستقل كسورة قصيرة وهو يحكى عن ابي بكر الرازي وغيره من الحنفية ويحكى عن داود واصحابه ايضا وهو ايضا رواية عن احمد بن حنبل ومنهم من توقف في ذلك هل هي اية مفردة او مضافة الى السورة وقيل هي اية حيث كتبت في بعض الاحرف السبعة ان المصحف لم يكتب فيه الا القران فالبسملة في كل موضع كتبت فيه من القران ثم النظر في انها مضافة الى السورة او تكون اية مفردة قايمة بنفسها فيه ثلاثة اقوال الثالث التوقف في المعينين وعدم الجزم باحدهما مع اعتقاد انها من القران وكل هذه الاقوال جيدة لان اكثر الادلة الموردة على ان التسمية حيث كتبت في المصحف من القران تحتمل كل واحد من المعنيين المذكورين فمنهم من ترجح احدهما في ظنه فجزم به ومنهم من تعادلا في ظنه فتوقف والقول الرابع ايضا

جد

جيد وهو انها في بعض الاحرف السبعة دون بعض قران وكانه نزل اختلاف القراء منزلة اختلافهم في غيرها وكما اختلفوا في حركات وحروف اختلفوا ايضا في اثبات كلمات وحذفها كقوله تعالى في اخر سورة التوبة تجري من تحتها الانهار وبعضهم يقرا تجري تحتها الانهار بحذف من وقوله تعالى في الحديد هو الغني الحميد يقرا بحذف هو فقيل لا يكون البسملة من هذا القبيل لان من وهو قد اختلف المصاحف الايمة في اثباتها وحذفها بخلاف البسملة فان المصاحف الايمة متفقة على رسمها فيها

اجيب بان اتفاق المصاحف على رسمها فيها لا ينافي في القراءة بخلاف المرسوم على تقدير صحة النقل فانهم اختلفوا في صلة ميم الجمع وهاء الكناية بشرطها ولم يكتب في المصحف بلفظ الصلة وقرا الصراط ومصيطر بالصاد والسين ولم يكتبا الا بالصاد وقراوا وما هو على الغيب بضنين بالضاد والظاء ولم يكتب الا بالضاد وفي الصحيحين ان ابن مسعود وابا الدرداء رضي الله عنهما كانا يقران والذكر والانثى والرسم على القراءة المشهورة وما خلق الذكر ويتفرع على هذا كله ان من قرا سورة وبسمل في اولها كان احوط لانه يكون قد اكمل قراءة تلك السورة بيقين واختلف العلماء في هذه المسئلة هل هي اجتهادية بل قطعية فلا يصح الاحتجاج بها الا بما يفيد القطع فزعم القاضي ابو بكر الباقلاني انها قطعية والخطا فيها ان لم يبلغ الى حد التكفير فلا اقل من التفسيق واعلم ان ها هنا مسايل الاولى ان التسمية من القران والثانية انها من القران في اول كل سورة كتبت فيها والثالثة انها في اول كل سورة كتبت فيها قران مستقل او بعض من السورة والرابعة انها اذا كانت بعضا من السورة تكون اية تامة منها او بعض اية منها والخامسة هل هي مشروعة قراءتها في الصلاة او ليست بمشروعة والسادسة هل يجهر بها في الجهرية او يسر بها والسابعة هل هي واجبة قراءتها في اول الفاتحة ام لا والاولى قطعية بالاتفاق لا يصح اثباتها ولا نفيها الا بقاطع والثانية اختلفوا في انها قطعية لا يصح اثباتها بالظواهر واخبار الاحاد بل يثبت بالدليل القطعي من الاجماع والتواتر الصريح والمعنوي والخبر الواحد المحفوف بالقراين المفيدة للقطع عند من يرى افادته للقطع او ظنية اجتهادية يصح اثباتها بالظواهر واخبار الاحاد والحق انها قطعية لا يصح اثباتها بالظواهر واخبار الاحاد واختار القاضي ابو بكر الباقلاني هذا ومثل الغزالي الى الاخر والمسايل الخمس الاخر اجتهادية ظنية يصح اثباتها بالظواهر واخبار الاحاد اما ان الثانية قطعية فلما بين في المقدمة الخامسة من ان القطع حاصل على طريق العادة بان مثل هذا الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه المعجز الباقي على صفحات الدهر الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا يمنع ان لا يتواتر في تفاصيله واجزايه ومحله ووصفه وترتيبه فلما لم يتواتر نقطع بانه ليس من القران ومن زعم انها اجتهادية يصح اثباتها بالظواهر واخبار الاحاد قال التواتر ليس بشرط في الوضع والمحل بعد ثبوت اصله بل يكفي فيه نقل الاحاد وقد عرفت ضعفه في المقدمة الخامسة واما ان المسايل الاربع الاخر ظنية اجتهادية فلانها من الفروع المتعلقة بالعمل فيكفي بها الظن كما في ساير الفروع العملية واعلم ان المسئلة الثانية وهي ان التسمية في اول الفاتحة واول ساير السور من القران قطعية وقطع القاضي ابو بكر الباقلاني بخطا من جعلها من القران الا في النمل وقال لو كانت من القران لوجب على رسول الله ان يبين انها من القران بيانا قاطعا للشك والاحتمال وقال اخطا القايل به ولا اكفره لان نفي انها من القران لو ثبت ايضا بنص صريح متواتر فصاحبه مخطئ وليس بكافر واعترف بان التسمية منزلة على رسول الله مع اول كل سورة وانها كتبت في اول الفاتحة واول كل سورة بامر رسول الله وبانه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف ختم سورة وابتدا اخرى حتى نزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم لكنه لا يستحيل ان ينزل عليه ما ليس بقران وانكر قول من نسب عثمان الى البدعة في كتبه بسم الله الرحمن الرحيم وقال لو ابدع لاستحال في العادة سكوت اهل الدين عنه مع تصلبهم في الدين كيف وقد انكر على من اثبت اسامي السور والنقط والتعشير مما باهم لم يحسبوا بانا ابدعنا ذلك كما ابدع عثمان كتبة التسمية لا سيما وراس السورة يكتب بخط اخر يتميز عن القران والتسمية مكتوبة بخط القران متصلة به بحيث لا يتميز عنه والعادة تحيل السكوت عمن يبدعها لولا انه بامر رسول الله

اجاب الغزالي بانه لا وجه لقطع القاضي بخطا من جعلها من القران لان الحاق ما ليس بقران بالقران كفر فمن الحق القنوت او التشهد او التعوذ بالقران فقد كفر ومن الحق التسمية به لم

يكفر لا سبب له الا انه لم يثبت انتفاؤه من القرآن بنص متواتر فنقول لو لم يكن من القران لوجب على رسول الله صلى
الله عليه وسلم التصريح بانه من القران واشاعة ذلك على وجه يقطع الشك كما في التعوذ والتشهد فان قيل ما ليس من
القران لا حصر له حتى يبين انه ليس من القران انما الذي يجب التنصيص عليه ما هو من القران اجيب بانه يمكن التنصيص
عليه بان يقول ليس غير هذه المبين بقران وعلى تقدير ان لا يمكن التنصيص عليه بسبب عدم الحصر لكن فرق بين التسمية
وبين غيرها فان التسمية مكتوبة بخط المصحف بامر رسول الله ولو لم يكن منزلا على رسول الله مع اول كل سورة لكان كتبها بامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القران بخطه يوهم قطعا انها من القران ولا نظن برسول الله انه لو لم يعرف كونه موهما
قطعا ولا يجوز ان السكوت عن نفيه مع توهم الحاجة فاذا القاضي يقول لو كان من القران لقطع الشك بنص متواتر يقوم
الحجة به ونحن نقول لو لم يكن من القران لنفاه بنص متواتر بعد ان كان منزلا على رسول الله مع اول كل سورة وبعد امره
بكتبه بخط القران اذ لا عذر في السكوت مع قطع هذا التوهم ثم قال الغزالي واما عدم التصريح بانه من القران كان
اعتمادا على قراين الاحوال اذا كان يملي على الكاتب مع القران وكان صلى الله عليه وسلم في اثنا املايه لا يكرر مع كلمة واية
انها من القران بل كان جلوسه له وقراين احواله تدل عليه وكان يعرف ذلك قطعا ثم لما كانت التسمية مما امر بها في اول كل
امر ذي بال ووجد على راس كل سورة وظن قوم انه كتب على سبيل التبرك وهذا الظن خطا ولذلك قال ابن عباس
سرق الشيطان من الناس اية من القران لما ان ترك بعضهم قراة التسمية في اول السورة فقطع بانها اية ولم ينكر عليه احد
كما انكر على ملحق التعوذ والتشهد بالقران فدل ذلك على انه كان متطوعا به وحدث الوهم لبعض الناس فان قيل
بعد حدوث الوهم والظن صارت المسألة اجتهادية وخرجت عن مظنة القطع فكيف يثبت القران بالاجتهاد قال
الغزالي قلنا جوز القاضي الخلاف في عدد الايات ومقاديرها واقران ذلك منوطا باجتهاد القرا وانه لم يبين بيانا شافيا
قاطعا للشك والتسمية من القران في سورة النمل فهي مقطوع بكونها من القران وانما الخلاف في انها من القران مرة واحدة
او مرات كما كتبت وهذا يجوز ان يقع الشك فيه ويعلم بالاجتهاد لانه نظر في تعيين موضع الاية بعد كونها مكتوبة بخط
القران فهذا جايز ووقوعه والدليل على امكانه الوقوع وان الاجتهاد قد تطرق اليه وان الثاني لم يكفر الملحق والملحق لم يكفر
الثاني بخلاف القنوت والتشهد فصارت المسألة نظرية وكتبها في القران بخطه مع صلابتهم وتشددهم في حفظ القران
عن الزيادة قاطعة او كالقطع في انها من القران فان قيل فالمسألة صارت نظرية وخرجت ان تكون معلومة بالتواتر علما
ضروريا فتكون ظنية ثم قال الغزالي الانصاف انها ليست قطعية بل اجتهادية ودليل جواز الاجتهاد فيها وقوع الاختلاف
فيها في زمن الصحابة قال ابن عباس رضي الله عنهما سرق الشيطان اية من القران لما ان ترك بعضهم قراة البسملة ولم
يكفر بالحاقها بالقران ولم ينكر عليه ويعلم انه لو نقل الصديق رضي الله عنه ان رسول الله قال التسمية من سورة
الحمد واوايل السور المكتوبة معها لقبل ذلك لكونها مكتوبة بامر النبي صلى الله عليه وسلم ولو نقل ان القنوت من القران
لعلم بطلان ذلك بطريق قاطع لا شك فيه وعلى الجملة اذا انصفنا وجدنا انفسنا شاكين في مسألة التسمية قاطعين في
مسألة التعوذ والقنوت واذا انظر في كتبها مع القران باذن رسول الله مع سكوته عن التصريح بنفي كونها عن القران
بعد تحقق سبب الوهم كان ذلك دليلا ظاهرا كالقاطع في كونها من القران فدل الى ان الاجتهاد لا يتطرق الى اصل القران
اما ما هو من القران وهو مكتوب بخطه فالاجتهاد يتطرق الى تعيين موضعه وانه من القران مرة او مرات وهذا حاصل
ما ذكره الغزالي في جواب القاضي وهو كلام صحيح لكنه التزام ان المسألة اجتهادية غير قطعية بل ظاهرة وانما هو من
القران وهو مكتوب بخط يتطرق الاجتهاد الى تعيين موضعه وكونه من القران مرة او مرات غير صحيح لما عرفت
في المقدمة الخامسة ان ما هو من القران يجب ان يكون قطعيا بحسب موضعه وترتيبه وتكرره والاولى ان يقال في
جواب القاضي بتخطئة من جعل التسمية في غير النمل من القران قوله ولو كانت التسمية من القران لوجب على رسول الله
ان يبين انها من القران بيانا قاطعا للشك والاحتمال قلنا مسلم انه وجب على رسول الله لكن لم قلت انه لم يبين بيانا
قاطعا للشك والاحتمال لما اجمع الصحابة على كتبها بقلم القران وخبره وخطه مع اجماعهم على تجريد المصحف مما ليس بقران

لكنهم

لكنهم اجمعوا على كتبها بقلم القران وخبره وخطه لا يقال لا نسلم الاجماع فان الاجماع لو تحقق لما وقع الاختلاف بينهم في ان التسمية
من القران في غير النمل لانا نقول لم يقع الاختلاف من اهل الاجماع فانه لم ينقل من احد من المجمعين التصريح بان التسمية في غير
النمل ليست من القران قوله الا انه اخطا القايل به ولا اكفره قلنا عدم تكفيره صحيح وتخطئته ليست صحيحة قوله لان
نفي كونها من القران لم يثبت ايضا بنص صريح متواتر فصاحبه مخطي ليس بكافر قلنا كونه من القران في غير النمل يثبت بنص
صريح متواتر قاطع للشك والاحتمال كونها من القران لما اجمعوا على كتبها فيه بخطه وخبره مع اجماعهم على تجريد المصحف
مما ليس بقران وعلى منع كتبه ما ليس بقران فيه بخطه وخبره فصاحبه مصيب والقاضي مخط في القطع بتخطيته ولكنه ليس
بكافر لان كون التسمية في غير النمل من القران وان كان قطعيا فليس من الضروريات التي يكفر منكرها **واعلم**
ان التواتر انما يفيد القطع لمن بلغ اليه الخبر على سبيل التواتر او بلغ الى حد التواتر ولم يعتقد خلافه فلا يفيد القطع بالنسبة
اليه ولعل الخلاف انما يثبت لمن اعتقد خلافه بسبب ان التسمية كانت مامورا في اول كل امر ذي بال ووجد على راس كل سورة
وظن انه كتب على سبيل التبرك والعجب ان القاضي اعترف بان التسمية منزلة على النبي صلى الله عليه وسلم مع اول كل سورة
ومكتوبة في اول الفاتحة واول كل سورة بامر رسول الله وبان ابن عباس قال كان رسول الله لا يعرف ختم سورة وابتدا
اخرى حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ومع هذا قطع بتخطئة انها من في غير النمل من القران قوله لا يستحيل ان
ينزل عليه ما ليس بقران قلنا مسلم لكن يستحيل عادة ان ينزل عليه مع اول كل سورة ويامرهم بكتبها في اول الفاتحة
واول كل سورة سوى التوبة من القران وقد علم مما ذكر ان التسمية في اول الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة من القران
وذكر على سبيل التقرير والتوكيد حجة على انها في اول الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة من القران فنقول ان التسمية
في اول الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة من القران قطعا والدليل عليه انه نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اول
الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتبها في اول الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة
واجمع الصحابة على تجريد المصحف مما ليس بقران ومنعوا ان يكتب بخط المصحف ما ليس بقران مبالغة في حفظ القران وصيانته
وتمييزه عما ليس منه حتى منعوا من كتبه اسامي السور في المصاحف ومنعوا من علامات الاعشار والاخماس والغرض ان
ذلك كله المنع من خلط القران بغيره واجمعوا على كتبه البسملة بقلم القران وخبره وخطه فلم يثبت بنص صريح متواتر من
النبي صلى الله عليه وسلم انها من القران لما اجمعوا على كتبها في المصاحف بقلمه وخبره وخطه مع اجماعهم على تجريد القران عما
ليس بقران واحتج من زعم ان التسمية في اول الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة ليست من القران بما في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي
ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله
حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي
يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال يقول العبد اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهولا لعبدي ولعبدي ما سال والاحتجاج به
من وجهين الاول انه عليه السلام لم يذكر التسمية ولو كانت اية من الفاتحة لذكرها والثاني انه قال جعلت الصلاة بيني
وبين عبدي نصفين والمراد من الصلاة الفاتحة وهذا التنصيف انما يحصل اذا قلنا ان التسمية اية من الفاتحة لان الفاتحة
سبع ايات فيجب ان يكون لله فيه ثلث ايات ونصف وهو من قوله الحمد لله الى قوله اياك نعبد وللعبد ثلاث ايات
ونصف وهي من قوله واياك نستعين الى اخر السورة اما اذا جعلنا بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة حصل لله
اربع ايات ونصف وللعبد اثنان ونصف وذلك يبطل التنصيف والكلام في هذا الحديث من وجوه ثلثة الطعن
والمعارضة والتاويل اما الطعن فان مدار الحديث على العلا ابن عبد الرحمن بن يعقوب وقد ضعفه يحيى بن معين وتكلم
فيه هو وغيره فقال لم يزل الناس يتقون حديثه ليس حديثه بحجة وهو مضطرب الحديث ليس بذلك العلا ضعيف
روى عن يحيى جميع هذه الالفاظ في العلا قال ابو احمد بن عدي ليس هو بالقوي وقال ابو حاتم انا انكر من حديثه اشيا وقال ابن

عبد البر ليس هو بالمبين عندهم وقد انفرد بهذا الحديث وليس يوجد الا له ولا تروى الفاظه عن احد سواه ولئن سلم
عدم ضعف العلا فقد روى الثعلبي باسناده عن ابي هريرة انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل قسمت
الصلاة بيني وبين عبدي فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا قال العبد الحمد لله رب العالمين
قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى فوض الي عبدي
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا
لعبدي ولعبدي ما سأل وروى باسناده عن سعيد المقبري عن ابي هريرة انه قال اذا قرأتم ام القران فلا تدعوا بسم الله
الرحمن الرحيم فانها احدى اياتها وانه السبع المثاني وروى باسناده ايضا عن ابي هريرة قال كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم في المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم يحدث اذ دخل رجل يصلي فافتتح الصلاة وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين
فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رجل قطعت الصلاة على نفسك اما علمت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها
ترك اية منها ومن ترك اية منها فقد قطع عليه صلاته لا تجوز الصلاة الا بفاتحة الكتاب فمن ترك اية منها بطلت صلاته فتعدد
الروايات عن ابي هريرة دلت على ضعف ما روى عنه واما المعارضة فما روى الشافعي رحمه الله عن مسلم بن جريج عن ابن ابي
مليكة عن ام سلمة انها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب بعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
اية الرحمن الرحيم اية مالك يوم الدين اية اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم اية صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية وروى الثعلبي باسناده عن ابي بريدة عن ابيه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شيء يفتتح القران اذا افتتحت الصلاة
فقلت ببسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وهذا يدل على ان التسمية اية من القران في اول الفاتحة وروى باسناده عن ابرهيم
ابن ابي يزيد قال قلت لعمرو بن دينار ان الفضل الرقاشي يزعم ان بسم الله الرحمن الرحيم ليس من القران فقال سبحان الله ما
اجرأ هذا الرجل سمعت سعيد بن جبير يقول سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه بسم الله
الرحمن الرحيم علم ان السورة قد ختمت وفتح غيرها وروى باسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلاة قال اقول الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم
وروى باسناده عن عمرو بن هارون البلخي عن ابن جريج عن ابي مليكة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين يعني يقطعها اية اية حتى عد سبع ايات وروى
باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قال هي فاتحة الكتاب
قيل لابن عباس فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم وعدها في يدي قال اخرجها لكم وما اخرجها لغيركم وروى ايضا باسناده
عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك اية من كتاب الله
وقد عد علي فيما عد من ام القران وروى باسناده عن سعيد بن عبيد بن رفاعة بن معوية بن ابي يوسف قدم المدينة
فصلى بالناس صلاة يجهر فيها وانه قرأ ام القران ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والانصار
من كل ناحية اسرقت ام نسيت ابن بسم الله الرحمن الرحيم حين افتتحت القران فاعادها معوية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
وشاع وذاع ولم ينكر احد فيكون اجماعا على ان البسملة في اول الفاتحة من القران واما التاويل فمن وجوه منها انه قد جاء في
بعض الروايات ذكر التسمية وان كان في طريق بعضها ضعيف الا انه يقويها كون الحديث من رواية ابي هريرة وبعض
الصحابة يذهبون الى ان التسمية اية من الفاتحة فدل ذلك على انه ليس معنى الحديث الذي في صحيح مسلم ما فهم منه وهو ان
الحمد لله اول الفاتحة فراوي الحديث كان اعلم بذلك ولو كان معناه ما فهم لم يخالفه ولا احتج عليه مخالفوه بما رواه من
ذلك عند مخالفته اياه ولقالوا له الست الراوي لحديث قسمت الصلاة الثاني انه روى ابو داود السجستاني عن القعنبي
عن مالك عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد مالك يوم
الدين يقول الله مجدني عبدي وهو بيني وبين عبدي اذا عرفت هذا فنقول قوله في مالك يوم الدين هذا بيني وبين

عبدي وانما يكون كذلك اذا حصلت ثلثه بعدها وثلثة قبلها وانما يحصل ثلثه بعدها لو كانت التسمية اية من الفاتحة ثم يحمل
ترك التسمية في الحديث وجوها الاول انه نص على ما بالله تعالى وعقيبه ذكر للعبد ولم يكن له بعد قراءة العبد البسملة شيء
من ذلك فلم يذكر كما لم ينص على غير الفاتحة مما يقرأ بعدها من القران ولعل سببه ان ما في اية البسملة ما في ايات الفاتحة
في الحمد لله وفي الرحمن الرحيم الثاني انه اراد فاذا انتهى العبد الى الحمد لله رب العالمين ولم يرو ان ابتدا القراءة من الحمد لله ومثله
قوله صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيح ايضا واذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين انما اراد اذا انتهى في القراءة الى ولا الضالين
جميع قراته الثالث يمكن ان يكون قال ذلك قبل نزول البسملة في الفاتحة قال النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الاية
ثم يقول ضعوها في سورة كذا الرابع يحتمل انه قسم ما يختص بالفاتحة من الايات ولما كانت البسملة مشتركة بين جميع
اوائل السور لم تدخل في التسمية فان قيل اجمعوا على ان الفاتحة سبع ايات واختلف في السابعة فقيل البسملة وقيل انعمت
عليهم وهو الراجح فانه به يتحقق تنصيف الفاتحة بين الله تعالى والعبد فيكون لله ثلث ايات ونصف وللعبد مثلها وموضع
التنصيف اياك نعبد بالاتفاق واذا عدت التسمية اية ولم تعد انعمت عليهم كان لله اربع ايات ونصف وهو باطل لانه قال
نصفين اجيب من وجوه الاول منع ارادة حقيقة التنصيف وانما هو من باب قول شريح اصبحت ونصف الناس
علي غضبان اي شطرهم لم يرد حقيقة النصف وقول الشاعر اذا مت كان الناس صنفان شامت اي قسمان ولم يستوي
الشامت والمثني في العدد لذلك اريد ان الفاتحة بين العبد والرب شطرين وصدر السورة لله تعالى واخرها للعبد الثاني
انه اراد بنصفين قسم الثنا والدعا من غير نظر الى عدد الايات الثالث ان الفاتحة اذا قسمت باعتبار الكلم
او الحروف والبسملة فيها كان الشطران فيهما متقاربين اقرب منها اذا قسمت على الايات فلعله اراد قسمتها باعتبار ذلك
فان قيل عد انعمت عليهم انه راجح بقوله في الحديث يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة فهؤلاء لعبدي
فان هؤلاء اسم اشارة لجميع فيقتضي ثلث ايات واذا لم تعد انعمت عليهم اية كان المجموع من ذلك اثنين اجيب بان
اكثر الرواة على ان لفظ الحديث فهذا لعبدي بلفظ الاشارة الى المفرد المذكر اي المذكور ومن روى هؤلاء فانه اشار الى
الكلمات او الحروف او الى اثنين ونصف من قوله واياك نستعين الى اخر السورة لان الجميع للعبد فهو مثل قوله تعالى الحج
اشهر معلومات والمراد بذلك شهران وبعض ثالث وهو شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة او يكون اشار بقوله
فهؤلاء الى الاثنين فحسب واقل الجمع اثنان على المختار وهو قول كثير من العلما وهو مذهب مالك على ما نقله القاضي ابو بكر في
التقريب هذا كله اذا سلم ان التنصيف في الحديث توجه الى الفاتحة وهو ممنوع من اصله وانما توجه التنصيف في صريح
الحديث الى الصلاة فقال قسمت الصلاة ولم يقل قسمت الفاتحة فان قيل اراد قراءة الصلاة اجيب بانه يحتمل ان يريد
ذكر الصلاة اي الذكر المشروع فيها وهو منقسم الى ثنا ودعا فالثنا فيها منصرف الى الرب تعالى والدعا منصرف الى الرب
تعالى والدعا ينصرف الى العبد سوا في ذلك لما سبق بل يجوز ان يكون احدهما اكثر من الاخر والاكثر هو الثنا ثم انه صلى الله
عليه وسلم بعد ذكر قسمة ذكر الصلاة ذكر امرا اخر وهو ما يقوله الله للعبد عند قراءة هذه الايات التي هي من جملة المقسوم لان
ذلك تفسير لكل المقسوم فان قيل نرجح ان يكون تفسير الذكر عقيبه اجيب بانه ليس كذلك فان قراءة الصلاة غير
منحصرة في الفاتحة فحمل الحديث على قسمة الذكر يكون اعم واكثر فايدة واذا جعل تفسيرا اخرج منه قراءة غير الفاتحة وباقي
الاذكار من التسبيحات والادعية ويحتاج في تقدير الحديث الى حذف مضافين وهما قسمت بعض قراءة الصلاة او الى
حذف مضاف وصفته ان قسمة الصلاة المفروضة في الصلاة ولا يخفى ان ما قدر اقل اضمارا او اكثر فايدة فوجب المصير
اليه هذا ما قالوه والاولى ان يقال ان المدعى في هذا المقام ان التسمية من القران في اول كل سورة اعم من ان يكون اية
مستقلة او انه من السور او بعض اية منها وهذه المسئلة قطعية ولا يمكن اثباتها بهذا الحديث لانه من باب الاحاد وايضا
هذا الحديث غايته ان لا يكون التسمية اية من الفاتحة ولا يلزم ان لا يكون في اوايل السور من القران لان نفي الاخص لا
يستلزم نفي الاعم **المسئلة** الثالثة في ان التسمية جزء من الفاتحة ومن كل سورة كتبت التسمية في اولها والمسئلة
الرابعة في ان التسمية بعض اية من اول كل سورة او اية تامة وكل من المسئلتين ظنية يمكن اثباتها ونفيها بالدلايل الظنية

وقد علم اختلاف العلماء في المسئلة الثانية ولا فايدة في تكراره والذي يدل على ان التسمية اية من الفاتحة ما روى الشافعي
عن مسلم عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة انها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله
الرحمن الرحيم اية الحمد لله رب العالمين اية الرحمن الرحيم اية ملك يوم الدين اية اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم اية
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية وهذا نص صريح وروى الثعلبي باسناده عن ابي بردة
عن ابيه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمن بن داود غيري فقلت بلى
فقال باي شي يفتتح القراة اذا افتتحت الصلاة قلت بسم الله الرحمن الرحيم فقال هي هي وهذا يدل على ان التسمية اية
من القران في اول الفاتحة وروى باسناده عن ابرهيم بن يزيد قال قلت لعمرو بن دينار ان الفضل الرقاشي يزعم ان بسم الله الرحمن الرحيم
ليس من القران فقال سبحان الله ما اجرى هذا الرجل سمعت سعيد بن جبير يقول سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم علم ان السورة قد ختمت وفتح غيرها وروى باسناده عن
جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلاة قال اقول الحمد لله
رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وروى باسناده عن عمرو بن هرون البلخي عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة
عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين يقطعها اية اية حتى سبع ايات وروى باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان اذا افتتح
السورة في الصلاة يقرا بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراتها فقد نقص وكان يقول هي تمام السبع المثاني
وروى باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قال هي
فاتحة الكتاب قيل لابن عباس فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم وعدها في يدي ثم قال اخرجها لكم ما
اخرجها لغيركم وروى باسناده عن سعيد المقبري عن ابي هريرة انه قال اذا قراتم ام القران فلا تدعوا بسم الله الرحمن الرحيم
فانه احدى اياتها وانها السبع المثاني وروى باسناده ايضا عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز
وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجدني عبدي واذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين
قال الله فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط
المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال وروى باسناده عن ابي هريرة قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في المسجد والنبي يحدث اذ دخل رجل يصلي فافتتح الصلاة وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له يا رجل قطعت صلاتك على نفسك اما سمعت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها
ترك اية منها فقد قطع عليه صلاته لا تجوز الصلاة الا بفاتحة الكتاب فمن تركها بطلت صلاته وروى ايضا
باسناده عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله الرحمن الرحيم
فقد ترك اية من كتاب الله وقد علي فيما عد من ام القران وروى باسناده عن اسمعيل بن عبيد بن رفاعة
ان معوية بن ابي سفيان قدم المدينة فصلى بالناس صلاة يجهر فيها وانه قرا ام القران ولم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم
فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والانصار رضي الله عنهم من كل ناحية اسرقت ام نسيت اين بسم الله الرحمن الرحيم
حين استفتحت القران فعاد لهم معاوية فقرا بسم الله الرحمن الرحيم وشاع وذاع ولم ينكر احد فيكون اجماعا ان البسملة
في اول الفاتحة من القران وهذه الاحاديث بعضها دال على ان التسمية من الفاتحة واكثرها دال على ان التسمية اية تامة
من الفاتحة واحتج من منع كون التسمية من الفاتحة بوجه منها ما روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان سورة في القران ثلثين اية شفعت لصاحبها حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك فافتتحها بتبارك وهي ثلثون
اية بدون البسملة **والجواب** انه انما افتتحها بتبارك لانه اراد اسم السورة واما عد اياتها فانه اشير
الى ما سوى البسملة وعلى ذلك جا العدد اما لانها عند اهل العدد اية مفردة من السورة واما لانها لا تكون في اول

غير

غير الفاتحة من القران وقد حكى ذلك قولا للشافعي رحمه الله وقد تقدم واما الشهرة امرها وتكررها والعلم بمكانها
واعلم انها غير مختصة بسورة دون سورة فكانها امر مفروغ منه لا يحتاج الى التنبيه عليه فنص على ما يختص بالسورة
من اياتها ويحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل نزول البسملة بها فلما نزلت اضيف اليها بدليل كتابتها
في المصحف او جعلت البسملة من الاية مع الاية الاولى اية واحدة وقد حكى ذلك قولا للشافعي رحمه الله وقد تقدم ثم ان راوي
هذا الحديث ايضا ابو هريرة وقد سبق انه من جملة القائلين بقراءة البسملة الراوين لها فهو اعلم بما روى بهذا الحديث
ولو علم انه مخالف لما يعتقده فيها لرجع عن مذهبه او لاحتج عليه به ومنها ان اول ما اقرا جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
اقرا باسم ربك الذي خلق فلم يقرا البسملة والجواب انه يحتمل ان يكون نزول البسملة بعد ذلك وجعلت عند نزولها
اول السورة كنظايرها كثيرة من الايات التي تاخر نزولها وتقدمت على غيرها تلاوة وكفى ذلك انهم رووا ان اخر اية نزلت
قوله تعالى في اواخر البقرة واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وان هي في ترتيب اي القران من اقرا باسم ربك الذي هو اول
ما نزل ويحتمل ايضا ان يشير بقوله اقرا باسم ربك الذي كقوله الحمد لله وتبارك والم نشرح ولا يدل ذلك على انه لم يقرا البسملة
وقد نقل الشيخ ابو حامد الاسفرايني في تعليقه حديثا ونقله عنه الفقيه سليم في رسالته عن نافع عن ابن عمر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما انزل عليه جبريل بسم الله الرحمن الرحيم وفي كتاب اسباب النزول للواحدي عن عكرمة
والحسن قالا اول ما انزل من القران بسم الله الرحمن الرحيم وكيف وهي مبتدا كل امري ذي بال وصدر كل كتاب وصحيفة
ومقال فيبعد ان لا يكون اول ما نزل من القران فانه لا يكون امر اعظم منه قيل لو كانت التسمية من الفاتحة لم تخالف بينها
وبين غيرها من ايات الفاتحة في الجهر والاسرار وقد ثبت الاسرار بها كما ياتي في حديث انس بن مالك وكانت كالتعوذ **اجيب**
بانه معارض بثبوت الجهر بها على ما سياتي من حديث جماعة من الصحابة وسلم لنا الادلة السابقة ثم يقال لو لم يكن من
الفاتحة لما جهر بها وقد جهر بها كما في اياتها بل هو اغلب الامرين كما سياتي تقريره وبهذا يقع الفرق بينها وبين التعوذ
منضما الى انها كتبت في المصحف ولم يكتب التعوذ على انه يقال الجهر والاسرار ليسا بواجبين بل كلاهما سنة فغايته الامر
ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الصلوات الجهرية قد اسر ببعض ايات الفاتحة فهو كما نقل عنه انه في بعض الصلاة
السرية جهر ببعض الايات كما في الصحيحين من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا في الركعتين من الظهر بفاتحة
الكتاب وسورة ويسمعنا الاية احيانا وقيل في جوابه طريقة اخرى وهي ان يقال قد تقدم تقرير قول من زعم ان التسمية
من القران في اوايل السور في بعض الاحرف السبعة دون بعض فعلى هذا حيث جهر النبي صلى الله عليه وسلم بها قرا بالحرف
الذي هي فيه من السورة وحيث لم يجهر قرا بالحرف الاخر ويكون ويكون البسملة سرا في اولها من باب التبرك بذكر الله تعالى
فهي على هذا كالتعوذ قيل لو قيل لرجل ما اول سورة النحل مثلا يقول اتى امر الله ولا يقول بسم الله الرحمن الرحيم **اجيب**
بانه انما قال ذلك ليكون الجواب مفيدا بانه لو قال في الجواب بسم الله الرحمن الرحيم لم يفد لاشتراك جميع السور فيها
والسايل قد علم ذلك وانما هو يسال عما بعدها ولو قال في الجواب بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله لكان تطويلا لا حاجة
اليه وقد فهم المسول مراد المتكلم فاقتصر على ما يحصل الغرض به على انه لو قال ذلك لكان جوابا صحيحا لا انكار عليه
فيه قيل اهل العدد مجموع على ترك عددها في اوايل السور منها غير الفاتحة فانهم قد اختلفوا فيها **اجيب** بان اهل
العدد ليسوا كل الامة فلا يكون اتفاقهم اجماعا ووجه انما تعرض للعدد نفر يسير فاتفق لهم عد والذلك اما لانه مذهبهم
او لانهم يعتقدون انها اية مفردة عنه غير متضمنة الى شيء من السور ولهذا اختلفوا في الفاتحة او اعتقدوا انها
بعض اية في اوايل السور ثم هو معارض بما ورد عن ابن عباس وغيره من تركها فقد ترك مائة وثلث عشرة اية وان لم يعدها
اهل العدد فقد عدها من هو افضل منهم من اهل زمانهم ومن سبقهم قيل ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب كيف
تقرا ام القران قال قلت الحمد لله رب العالمين **اجيب** بان لفظ هذا الحديث في جامع الترمذي كيف تقرا في الصلاة فقرا ام
القران وهذا اللفظ لا دليل فيه ثم ما ذكروه معارض بما في سنن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبريدة باي شي تستفتح
القران اذا افتتحت الصلاة قال قلت بسم الله الرحمن الرحيم وقال لعلي وجابر كيف تقول اذا قمت الى الصلاة

وفي رواية كيف تقرا اذا قمت الى الصلاة فقال كل واحد منهما الحمد لله رب العالمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل بسم الله الرحمن الرحيم
قيل نقل اهل المدينة باسرهم عن ابائهم التابعين عن الصحابة رضي الله عنهم افتتاح الصلاة بالحمد لله رب العالمين **اجيب**
بان هذا ممنوع فقد تقدم ذكر الخلاف بين الصحابة فمن بعدهم من الفقها والقرا فيها وقد تقدم قصة معاوية حين ترك
التسمية في صلاته بالمدينة فاي اجماع مع هذا قديما او حديثا قال ابن عبد البر في المدينة في هذه البسملة قديما وحديثا
ولم يختلف اهل مكة في ان بسم الله الرحمن الرحيم اول اية من الفاتحة ثم لو سلم اجماع اهل المدينة على ترك التسمية فذلك
ليس بحجة عند جمهور العلما ولا يلزم من كون المالكية يرونه حجة التزام غيرهم ذلك وقد تحقق بما ذكر ان الظاهر ان البسملة
جزء من الفاتحة ومن كل سورة سوى التوبة **المسئلة الخامسة** هل قراة التسمية في اول الفاتحة في الصلاة مشروعة
ام لا وقد عرفت الاختلاف فيه والذي يدل على انها مشروعة في اول الفاتحة في الصلاة ما صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية وما في سنن الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قراتم الحمد فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها
وما روى الثعلبي باسناده عن ابي بردة عن ابيه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باية لم تنزل على احد
بعد سليمن بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شي تفتتح القران اذا افتتحت الصلاة فقلت بسم الله الرحمن الرحيم قال
هي هي وما روى باسناده عن ابي هريرة قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم يحدث اذ دخل
رجل فصلى وافتتح الصلاة وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رجل قطعت الصلاة على
نفسك اما علمت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها ترك اية منها ومن ترك اية منها فقد قطع عليه الصلاة فانه لا تجوز
الصلاة الا بفاتحة الكتاب فمن ترك اية منها بطلت صلاته وما روى باسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقوم اذا قمت الى الصلاة قال اقول الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وكان
وما روى باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان اذا افتتح السورة في الصلاة يقرا بسم الله الرحمن الرحيم
وكان يقول من ترك قراتها فقد نقص وما روى باسناده عن اسمعيل بن عبيد بن رفاعة بن معاوية بن ابي سفيان قدم
المدينة فصلى بالناس صلاة يجهر فيها وانه قرا ام القران ولم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون
والانصار من كل ناحية اسرقت ام نسيت اين بسم الله الرحمن الرحيم حين استفتحت القران فاعادها لهم معوية فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
وشاع وذاع ولم ينكر احد فيكون اجماعا على ان البسملة مشروعة في الصلاة بل واجبة وما في كتاب الاسعنا للاروى
وكتاب البيان لابن ابي هاشم عن ابي قاسم بن المسيبي قال كنا نقرا بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب وفي اول سورة البقرة
وبين السورتين في الصلاة **المسئلة السادسة** في استحباب الجهر بالتسمية في اوايل السور حيث يجهر بالقراة
في السورة وغيرها فلها حكم باقي الايات في السور في ذلك سوا فيه الفاتحة وغيرها وهذا المذهب مروي عن جماعة من الصحابة
والتابعين وفقها المسلمين وقرائهم فاما الصحابة فقال ابو عيسى الترمذي فقد قال بهذا عدة من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم ابو هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين راوا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول
الشافعي رحمه الله وقد اسنده الحافظ ابو بكر الخطيب عن الخلفا الراشدين الاربعة وعمار بن ياسر وابي بن كعب وابن عمر
وابن عباس وابي قتادة وابي سعيد وابي هريرة وعبد الله بن ابي اوفى وشداد بن اوس وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر
والحسين بن علي ومعاوية وجماعة المهاجرين والانصار الذين حضروه لما صلى بالمدينة وترك الجهر بها فانكروا عليه ذلك
فرجع الى الجهر بها واسنده الحافظ ابو بكر البيهقي عن عمر وعلي وابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة
وشداد بن اوس وابن الزبير وقال ابن عبد البر الجهر بها عن عمر وعلي وعمار وابي هريرة وابن الزبير يختلف في الجهر عن ابن عمر
وهو الصحيح عن ابن عباس وقال ايضا لا اعلم انه اختلف في الجهر بها عن ابن عمر وشداد بن اوس وابن الزبير واما التابعون الذين
روى الجهر بها عنهم ومن بعدهم فقال الخطيب هم اكثر من ان يذكروا واوسع من ان يحصروا منهم سعيد بن جبير وابو قلابة
والزهري وعكرمة وعلي بن الحسين وابنه محمد وسعيد بن المسيب وعطا وطاوس ومجاهد وسالم بن عبد الله بن كعب

القرظي وابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وابو وايل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد بن علي ونافع
مولى ابن عمر وزيد بن اسلم وعمر بن عبد العزيز والازرق بن قيس وحبيب بن ابي ثابت وابو الشعثا ومكحول وعبد الله بن مغفل
ابن مقرن ومن بعد التابعين عبيد الله بن عمر العمري والحسن بن زيد وعبد الله بن حسن وزيد بن علي بن الحسين ومحمد
ابن عمر بن علي بن علي وابن ابي ذيب واسحق بن راهويه واسند البيهقي هذا المذهب من التابعين عن عبد الله بن صفوان ومحمد بن
الحنفية وعطا وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري ومن بعدهم سليمان التيمي وابنه المعتمر بن سليمان
وقال ابن عبد البر هو قول جماعة من اصحاب ابن عباس سعيد بن جبير وعطا ومجاهد وطاوس وعكرمة ومكحول وعمر بن
عبد العزيز ومحمد بن كعب والزهري وعمرو بن دينار وابن جريج ومسلم بن خالد والشافعي رحمه الله وسائر اهل مكة وهو قول
ابن وهب صاحب مالك ويحكى هذا المذهب ايضا عن عبد الله بن المبارك وابي ثور وقرن الايمة الحفاظ واختاروه
وصنفوا فيه مثل محمد بن نصر المروزي وابي بكر بن خزيمة وابي حاتم بن حبان وابي الحسن الدارقطني وابي عبد الله الحاكم
وابي بكر البيهقي وابي بكر الخطيب وابي عمرو بن عبد البر وفي كتاب الخلافيات للبيهقي عن جعفر بن محمد قال اجتمع
ال محمد على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال الخطيب كان عكرمة لا يصلي خلف من لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
وقال ابو جعفر محمد بن علي لا ينبغي الصلاة خلف من لا يجهر بها والايمة القرا السبعة فيهم من يروي البسملة بلا خلاف
عنه ثم كل من روى عنه البسملة والجهر بها وقوم راى من ذهب اليها واعلم ان مسئلة الجهر بالبسملة غير مبنية على المسايل
المتقدمة المذكورة فان جماعة ممن يرى الجهر بها لا يعتقد ان قراة التسمية من سنن قراة القران كالتعوذ والتامين وجماعة
ممن يرى الاسرار بها يعتقدونها من القران حيث كتبت وانما اسروا بها وجهروا بها اولئك لما ترجح عند كل فريق من
الاخبار والاثار **واعلم** ان الاحاديث الواردة في الجهر كثيرة متعددة عن جماعة من الصحابة يرتقي عددهم الى احد وعشرين
صحابيا رووا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم من ظاهر عبارته ولم يرووا في صريح الاسرار
بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة عن عبد الله بن مغفل والثانية عن انس وهي معللة بما اوجب سقوط
الاحتجاج بها كما سياتي بيانه ومنهم من استدل بحديث ابي هريرة قسمت الصلاة ولا دليل فيه على الاسرار ومنهم من احتج
بحديث عايشة وحديث عن ابن مسعود واعتمادهم على حديث انس وحديث ابن مغفل ولم يدع الشيخ ابو الفرج بن الجوزي
في تحقيقه غيرهما فقال لنا حديثان ذكرهما وسياتي ان شا الله بيان ان لا حجة لهم فيهما ولا في غيرهما واما احاديث الجهر فالحجة قايمة
بما شهد له بالصحة منها وهو ما روى عن ستة من الصحابة من جملة الاحد وعشرين المذكورين وهم ابو هريرة وام سلمة وابن
عباس وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب اما ابو هريرة فوردت الاحاديث عنه الدالة على ذلك من ثلاثة
اوجه الاول ما هو مستنبط من حديث متفق عليه وهو قوله في كل صلاة قراة وفي رواية يقرا وفي اخرى لا صلاة الا بقراة
قال ابو هريرة فما اعلن رسول الله اعلناه وما اخفى منا اخفيناه منكم اي جهر بما جهر ويسر بما اسره قد ثبت عن ابي هريرة
انه كان يجهر في صلاته بالبسملة فدل على انه سمع الجهر بها من النبي صلى الله عليه وسلم قال الخطيب ابو بكر
الحافظ الجهر بالتسمية مذهب لابي هريرة حفظ عنه واشتهر به ورواه عنه غير واحد من اصحابه الوجه الثاني حديث
نعيم بن عبد الله المجمر قال نعيم صليت ورا ابو هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران حتى اذا بلغ ولا الضالين
قال امين وقال الناس امين ويقول كلما سجد الله اكبر واذا قام من الجلوس من الاثنين قال الله اكبر ثم يقول اذا سلم والذي
نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله اخرجه النسائي في سننه وابو بكر بن خزيمة في صحيحه وقال في مصنفه في البسملة
فاما الجهر ببسم الله في الصلاة فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد ثابت متصل لا شك فيه ولا ارتياب عند اهل
المعرفة بالاخبار في صحة سنده واتصاله فذكره ثم قال بان وثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
في الصلاة واخرجه ابن حبان ايضا في صحيحه والدارقطني في سننه وقال هذا حديث صحيح ورواته كلهم ثقات واورده الحاكم ابو
عبد الله في مستدركه وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واستدل به الحافظ البيهقي في كتاب الخلافيات
ثم قال رواة هذا الحديث كلهم ثقات مجمع على عدالتهم محتج بهم في الصحيح وقال في السنن الكبير هو اسناد صحيح وله شواهد واعتمد

عليه ابو بكر الخطيب في اول كتابه الذي صنفه في مسئلة الجهر بالبسملة في الصلاه فرواه من وجوه متعددة مرضية وقال هذا
الحديث ثابت صحيح لا يتوجه عليه تعليل في ايصال اسناده وثقة رجاله الوجه الثالث ما اخرجه الدارقطني في سننه من
طريقين عن منصور بن ابي مزاحم قال حدثنا ابو اويس عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم قال ابو هريرة هي اية من كتاب الله اقرؤوا ان
شئتم فاتحة الكتاب فانها الاية السابعة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ام الناس قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
قال الدارقطني رواته كلهم ثقات وقال الخطيب قد روى جماعة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
وامر به فذكر هذا الحديث وقال موضع قرأ جهر وعن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفتتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم وعن ابي حازم عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم
وعن محمد بن قيس بن مخرمة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم تركه الناس فلا
ينبغي ان يترك صريح هذه الاحاديث عن ابي هريرة ويقتصر في الاعتماد على روايته حديث قسمت الصلاة ويحمل على
ترك التسمية مطلقا او على الاسرار بها وليس له تصريح بشيء منها والكل من صحابي فالتوفيق من رواياته اولى من اعتقاد
اختلاف فها مع ان ما اخرجه الدارقطني هو مسند حديث قسمت الصلاه بعينه فوجب حمل الحديثين على ما صرح به في احد
واما حديث ام سلمة فرواه جماعة من الثقات عن ابن جريج عن عبد الله بن ابي مليكة عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين وفي رواية قال فوصفت حرفا
حرفا وفي اخرى كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين يقطعها حرفا حرفا وفي اخرى
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ يقطع قراءته اية اية اخرجه ابو داود وابن خزيمة والدارقطني وقال رواته
كلهم ثقات واسناد صحيح وقال الحاكم في المستدرك هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه عمر بن هارون
البلخي عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم فعدها
اية الحمد لله رب العالمين ايتين الرحمن الرحيم ثلاث ايات ملك يوم الدين اربع ايات وقال هكذا اياك نعبد واياك نستعين
وجمع خمس اصابعه وفي عمر بن هارون كلام لبعض الحفاظ الا ان حديثه قد اخرجه ابن خزيمة في صحيحه والزيادة التي في
روايته من قوله قرأ في الصلاة فقد رواها ابو جعفر الطحاوي من حديث ابن جريج ايضا عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يصلي في بيتها فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ثم ذكر هو والرازي وغيره لذلك
تاويلات ضعيفة ليس لذكرها فائدة واما حديث ابن عباس قال وقال في كل واحد منهما اسناد صحيح ليس في رواته مجروح
احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم قال الحاكم هذا اسناد صحيح وليس له علة واخرج الدارقطني
ايضا حديثين كلاهما عن ابن عباس وقال في كل واحد منهما اسناد صحيح ليس في رواته مجروح احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
جهر ببسم الله الرحمن الرحيم والثاني كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا
الحديث الثاني في جامع الترمذي ايضا اخرجه في باب من راى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال ليس اسناده
بذاك اي لا يماثل اسناد ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى هذا ما تقدم رجح على ما في الصحيح فتحصل عدة احاديث عن ابن عباس
دالة على الجهر صححها الائمة لم يذكر ابن الجوزي في تحقيقه شيئا من هذه الاحاديث بل ذكر حديثا رواه عمر بن حفص المكي
حديثا عن عطاء عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في السورتين حتى قبض ثم
قال ابن الجوزي عمر بن حفص اجمعوا على تركه وهذا ليس بانصاف فانه يوهم انه ليس في الجهر عن ابن عباس سوى هذا
الحديث الضعيف واما حديث انس بن مالك فالاحتجاج به من وجوه الاول ان في صحيح البخاري من حديث عمرو بن عاصم
الكلابي عن همام وجرير قالا حدثنا قتادة قال سئل انس بن مالك كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم واخرجه الدارقطني في سننه وقال
هذا حديث صحيح ورواته كلهم ثقات قال ابو بكر محمد بن موسى الحازمي هذا حديث صحيح لم نعرف له علة اخرجه البخاري

في كتابه

في كتابه وفيه دلالة على الجهر مطلقا وان لم يقيد بحالة الصلاة فيتناول وغيرها وبيانه لو كانت قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امر الجهر والاسرار تختلف في الصلاة وخارج الصلاة لقال انس لمن ساله عن اي قراءته تسال اعني التي في الصلاة
ام التي خارج الصلاة فلما اجاب مطلقا علم ان الحال لم تختلف في ذلك وحيث اجاب بالبسملة دون غيرها من ايات القران
دل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالبسملة في قراءته ولولا ذلك لكان انس اجاب بالحمد لله رب العالمين او غيرها
من الايات وايضا الظاهر ان السؤال لم يكن الا عن قراءته في الصلاة فان الراوي قتادة وهو راوي حديث انس الا في صليت
خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وقال فيه نحن سالنا عنه وقال ابو مسلمة سالت انس بن مالك اكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله رب العالمين او ببسم الله الرحمن الرحيم وكان ذلك كله استخبارا عن قراءته
في الصلاة الثاني في صحيح مسلم عن انس ايضا قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم
رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي انفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر
الى اخرها فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها في اول السورة جهرا خارج الصلاة فكذا في الصلاة كسائر الايات
وقد استدل ابو بكر الرازي الحنفي في اول كتاب احكام القران بهذا الحديث بعينه على المالكية في تركهم قراءة البسملة
مطلقا سرا وجهرا وقال هذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبدأ قراءة السورة في غير الصلاة بها وكان
سبيلها ان يكون ذلك حكمها في الصلاة ونحن نقول الجهر بها في الصلاة نعم هذا الدليل الذي اعتمد عليه الرازي وقد اخرج مسلم
هذا الحديث في صحيحه عقب الحديث المحتج به في نفي الجهر كالمتعلل له به لان الحديثين من رواية انس فان قال قلت انما جهر
النبي صلى الله عليه وسلم بها في هذا الحديث لانه تلا عليهم ما انزل عليه في ذلك الوقت فلزمه ان يبلغهم جميعه فجهر بها كما في السور

اجيب فذلك دليل لنا لانها حينئذ من السورة فيكون لها حكم باقيها من الجهر والاسرار الا ان يقوم دليل على خلاف ذلك
الثالث ما اعتمد عليه الشافعي رحمه الله اخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج قال اخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم
ان ابا بكر بن حفص بن عمر اخبره ان انس بن مالك قال صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
لام القران ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة ولم يكبر حين يهوي حتى قضى تلك الصلاة فلما سلم ناداه
من شهد ذلك من المهاجرين من كل مكان يا معاوية اسرقت الصلاة ام نسيت فلما صلى بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم في السورة
التي بعد ام القران وكبر حين يهوي ساجدا ورواه يعقوب بن سفيان الفارسي احد ائمة الحديث المتقدمين في
كتابه في الصلاة عن ابي بكر الحميدي واعتمد عليه يعقوب ايضا في اثبات الجهر بالبسملة واخرجه الحاكم ابو عبد الله في صحيحه
وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بعبد المجيد بن عبد العزيز وسائر رواته متفق على عدالتهم قال
البيهقي وتابعه على ذلك عبد الرزاق عن ابن جريج ورواه ابن خثيم باسناد اخر واخرجه الحافظ ابو الحسن الدارقطني في
سننه وقال كلهم ثقات قال الدارقطني حدثنا الحسن بن يحيى الجرجاني نا عبد الرزاق انا ابن جريج قال نا ابو بكر نا
الوسع انا الشافعي رحمه الله وذكره الا انه قال فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لام القران ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها فذكر
الحديث وزاد والانصار ثم قال فلم يصل بعد ذلك الا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم لام القران والسورة التي بعدها ورواه
الشافعي رحمه الله ايضا من وجه اخر وقال فناداه المهاجرون والانصار يا معاوية اسرقت صلاتك اين بسم الله الرحمن الرحيم
الرابع خرج الدارقطني في سننه بسنده عن المعتمر بن سليمان عن ابيه عن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم قال الدارقطني اسناده صحيح وفيه عن محمد بن ابي السري العسقلاني قال صليت خلف
المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت
المعتمر يقول ما الوا ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدارقطني كلهم ثقات واخرجه الحاكم في
المستدرك وقال رواة هذا الحديث عن اخرهم ثقات واخرج ايضا عن شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن انس بن مالك
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال الحاكم رواة هذا الحديث عن اخرهم ثقات ثم قال
وفي هذه الاخبار التي ذكرناها معارضة لحديث قتادة يعني عن انس وهو الحديث الذي انفرد به مسلم في ترك قراءة التسمية

أو عدم الجهر بها على ما سيأتي وقد صدق فإنه إذا صح ما تقدم عن أنس فعلا ورواية فكيف يظن به أنه يروي ما يفهم منه
خلافه فهو ممن اقتدى في جهره بها لم يقتد إلا برسول الله وفي الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال إني لا آلوا
أن أصلي بكم كما رأيت رسول الله فقد حصل عدة أحاديث جياد عن أنس بن مالك في الجهر بالبسملة وتعرض ابن الجوزي لتضعيف
بعض الروايات عنه وتعرض لرواته وطعن فيه وليس هذا بصحيح فإن سرا كان من رجال الصحيحين البخاري ومسلم وحسبنا
أن يستدل بحديث رواه من خرج عنه وارتضاه صاحبا الصحيح وفيما ذكر من الأحاديث الصحيحة المشهود لها بذلك ما يرد
قول ابن الجوزي إنه لم يثبت عن أنس شيء من هذا أي من أحاديث الجهر وأما حديث علي رضي الله عنه فهو الذي بدأ الدارقطني
بتخريجه في سننه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في صلاته قال الدارقطني هذا إسناد علوي
لا بأس به وقد احتج بهذا الحديث ابن الجوزي في تحقيقه على المالكية في تركهم قراءة البسملة في الصلاة ولم يحتج في المسألة
بغيره ثم ساق الدارقطني الروايات في ذلك عن غير علي من الصحابة ثم ختمها برواية عبد خير قال سئل علي عن السبع المثاني
فقال الحمد لله رب العالمين فقيل إنما هي ست آيات فقال بسم الله الرحمن الرحيم آية قال الدارقطني كلهم ثقات
يعني رجال إسناد هذا الحديث الموقوف وإذا صح لنا أن اعتقاد علي في البسملة أنها آية من الفاتحة فلها حكم ما بعدها من
الآيات جهرا وإسرارا ومما يؤيد أن مراده بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهر رواية أخرى عنه عن علي وعمار رضي الله عنهما
أنهما صليا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الخطيب أبو بكر وهو في سنن الدارقطني عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر في المكتوبات وفي رواية أخرى عن أهل البيت عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في السورتين جميعا وقد اعترض عليه في أن في بعض هذه الروايات المستشهد بها ضعفا وأجيب
بأنها مقوية بما عضده القياس وشهد به ومؤدى التسمية أنها من الفاتحة كما سبق فلها حكم باقي آياتها في الجهر والإسرار
والحديث الضعيف عند بعض الأئمة مقدم على القياس والجمهور على خلافه فإذا اعتضد فهو إجماع وأما حديث سمرة بن
جندب رضي الله عنه فأخرجه الدارقطني والبيهقي والخطيب بأسانيدهم إلى عفان بن مسلم نا حماد بن سلمة عن حميد عن
الحسن عن سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتتان سكتة إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وسكتة إذا فرغ
من القراءة فأنكر ذلك عمران بن حصين فكتبوا إلى أبي بن كعب فكتب أن صدق سمرة قال الدارقطني كلهم ثقات وقال
البيهقي رواة هذا الحديث كلهم ثقات وكان علي ابن المديني يثبت سماع الحسن بن سمرة قال الخطيب قوله إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
أي إذا أراد القراءة أن السكتة إنما هي قبل قراءة البسملة لا بعدها وقد قال تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أي فإذا
أردت قراءة القرآن فاستعذ احتج من يرى الإسرار بالبسملة ومن لا يقرأها أصلا بما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين والجواب أن الاختلاف بين السلف
وقع في مسئلتين أحدهما في تعيين الفاتحة في ابتداء القراءة والثانية ابتداء الفاتحة بالبسملة ولفظ الحديث صالح للجواب كل
من المسئلتين فجعله دليلا على تعيين الابتداء بالفاتحة أولى جمعا بين الأدلة ولأن البسملة مروية عن عائشة رضي الله عنها
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين والجواب فعلا ورواية عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولأن بذلك تحصل الجواب عن عموم الصلوات لقولها يفتتح الصلاة بالتكبير ولو أرادت نفي الجهر لكان
خاصا ولأن مثل هذه العبارة ورد أيضا عن ابن عمر وأبي هريرة ومما صح عنه أنه كان يرى الجهر فدل على أن مرادهم
بذلك اسم السورة كما لو قال بالفاتحة وقد ثبت أن أول الفاتحة البسملة فتعين الابتداء بها ومما في الصحيحين عن أنس صليت
خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين والجواب ما سبق مرارا وما
في مسلم فلم أسمع أحدا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم والجواب أن هذا رواية للفظ الأول بالمعنى على قدر ما فهمه الراوي عبر
عنه فأخطأ ولو بلغ الحديث على اللفظ الأول لأصاب لفظا ومعنى فإن ذلك اللفظ هو الذي اتفق الحفاظ عليه لم يخرج البخاري
وأبو داود والترمذي سواه والمراد به اسم السورة ودليله أيضا ما في سنن الدارقطني عن أنس قال كنا نصلي خلف النبي
صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وكانوا يستفتحون بأم القرآن فيما يجهر به قال الدارقطني هذا صحيح وقد ثبت عن أنس

وغيره

وغيره الجهر بالبسملة فلا محيص عن تأويل ظاهر خلافه **اعلم** أن الناس في حديث أنس على خمس طرق **الطريقة الأولى**
اختارها الحافظ أبو عمر بن عبد البر وهي أنه لا يجوز الاحتجاج به لاختلاف ألفاظه مع اختلاف المعاني قال فلا حجة عندي في شيء
منها لأنه قال مرة كانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين ومرة كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ومرة كانوا لا يقرؤونها
ومرة لم أسمعهم يقرؤونها ومرة سئل عن ذلك فقال كبرت ونسيت فحاصل هذه الطريقة أن هذه الروايات متعارضة ولا
يترجح بعضها على بعض فيسقط الجميع ويرجع إلى غير هذا الحديث ولم يوجد صحيح الإمام دال على الجهر أو ما لا ينافيه كحديث
عائشة الذي تقدم وحديث أبي هريرة قسمت الصلاة فإن قيل هل رد حديث أنس لاضطرابه ويتلونه نظير **أجيب**
أنه نقل أبو سليمان الخطابي في معالم السنن عن أحمد بن حنبل أنه رد حديث رافع بن خديج في المزارعة لاضطرابه وقال
هو حديث كثير الألوان **الطريقة الثانية** أنه رجح بعض ألفاظ هذه الروايات المختلفة على باقيها ورد ما خالفها
إليها ولا يوجد الرجحان إلا للرواية المتفق عليها وهي التي على لفظ عائشة رضي الله عنها أنهم كانوا يستفتحون بالحمد لله أي
بالسورة وهذه طريقة الشافعي رحمه الله ومتابعيه لأن أكثر الرواة على هذا اللفظ ولقوله في الرواية التي في سنن الدارقطني
بأم القرآن ولعل أنسا ذكر هذا الكلام محتجا على من جوز قراءة غير الفاتحة في الصلاة دونها أو تقدم غيرها عليها فأخبر عن سنة
النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في ذلك ثم إن الرواة لهذا الحديث افترقوا ثلاث فرق فمنهم من أداه كما
سمعه بهذا اللفظ فأصاب وأجاد ومنهم من فهم منه رأي مالك وأصحابه فعبر بقوله وكلهم كان لا يقرأ أو فلم أسمعهم
يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم ومنهم من فهم منه رأي أبي حنيفة فعبر بقوله كانوا لا يجهرون وبعضهم قالوا كانوا
لا يسرون قيل إذا اختلف ألفاظ حديث وبعضها يحتمل الأمرين وبعضها يظهر فيه أحدهما تعين حمله عليه وها هنا كذلك
فإن قوله يفتتحون بالحمد يحتمل الأمرين ورواية لا يجهرون تعين أحدهما **أجيب** بأن من رواية أم القرآن تعين الآخر
فاستويا وتلك الأحاديث المصرحة بالجهر عن أنس وغيره وتلك الأحاديث لا تحتمل تأويلا وهذه قد أمكن تأويلها بما ذكر
تأولت وجمع بين الألفاظ المختلفة والروايات المضطربة **الطريقة الثالثة** أن يقال ليس في هذه الروايات
ما ينافي أحاديث الجهر الثابتة التي سبق ذكرها أما الرواية المتفق عليها فظاهرة وأما قوله لا يجهرون فالمراد به نفي الجهر
المشديد الذي نهى الله تعالى بقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فإن أنسا نفى الجهر دون أصل
الجهر بدليل روايته الجهر في حديث آخر وأما من روى يسرون التوسط المأمور به الذي هو بالنسبة إلى الجهر المنهي
عنه كالإسرار وإنما ذكر لفظ يسرون مبالغة في نفي الجهر العالي المنهي عنه وهذا معنى ما روي عن ابن عباس أنه قال
الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قراءة الأعراب أراد الجهر الشديد قراءة الأعراب لجفائهم وشدتهم لأن ابن عباس ممن يرى
الجهر بالبسملة **الطريقة الرابعة** رد جميع الروايات إلى معنى أنهم كانوا يسرون بالبسملة دون الترك حملا وقد
ثبت الجهر بها بالأحاديث المتقدمة عن أنس وغيره ولعل أنسا بالغ في هذا الحديث ردا على من أنكر الإسرار بها فقال
أنا صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء فرأيتهم يسرون بها أي وقع ذلك منهم مرة أو مرات ولم يشر إلى
الدوام بدليل ما ثبت عنه من الجهر رواية وفعلا كما سبق ويكون أحاديث أنس قد دلت على جواز الأمرين ووقوعه
من النبي صلى الله عليه وسلم وهما الجهر والإسرار ولذلك اختلفت أفعال الصدر الأول فيهما فإن هذا مما يتكرر في
كل ليلة مرارا فهو كالاختلاف في الأذان والإقامة والأمر فيه واسع والمكلف مخير بينهما وقد نقل هذا المذهب
عن ابن أبي ليلى والحكم وإسحق ونص عليه أبو حاتم بن حبان وقال هو من اختلاف المباح والجهر أحب إلي فعلى هذا معنى
قول من روى لم يقرأ أي لم يجهر ولم أسمعهم يقرأون أي يجهرون **الطريقة الخامسة** أن يقال نطق أنس بهذه
الألفاظ كلها المروية في هذا الحديث على اختلاف معانيها في مجالس متعددة على قدر الحاجة إلى ذلك في الاحتجاج والبيان
فتارة أشار إلى قراءة السورة بقوله وكانوا يستفتحون بأم القرآن ردا على من جوز الصلاة بغير الفاتحة أو قدم
عليها غيرها من السور وتارة أخبر بجواز الإسرار بالبسملة ردا على من أوجب الجهر بها وتارة نقل ترك قراءتها جملة
لما رآه مالك بقوله فكانوا لا يستفتحون إلا بالحمد وفي رواية لمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة

ولأنّ اخرها وهذه الطريقة مقوية لقول من اختار ان البسملة في اوايل السور قرآن في بعض الاحرف السبعة دون بعض
فيجوز حذفها من القرآة على ذلك الحرف ويجوز قراتها بنا على الحرف الاخر ثم هي محتملة ان تكون من جملة السورة او اية مستقلة
بنفسها فان كانت من جملة السورة فلها حكمها من الجهر وان كانت مستقلة جاز الجهر بها ايضا كما يجهر بما يقرا بعد الفاتحة من القران
وجاز الاسرار بها فصلا بينها وبين ايات السورة كل هذا محتمل فيحمل اختلاف الروايات والاحاديث على هذا قيل الاولى ان
يحمل حديث انس على ان اخر الامرين من النبي صلى الله عليه وسلم ترك الجهر بدليل انه حكى عن الخلفا بعده **اجيب**
بانه لما روي عن انس انه جهر بها منع ذلك الحمل على ان اخر الامرين من النبي صلى الله عليه وسلم ترك الجهر بها لان الظاهر ان الذي
يختاره هو اخر الامرين وايضا من رواة الجهر بها ابو هريرة وهو انما صحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاث سنين
فالذي رواه ابو هريرة هو اخر الامرين شاهده انه كان يجهر ويقول انا اشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقول ما اسمعنا اسمعناكم وقيل يرجح الجهر بها فيما نقل عن انس بان هذه الرواية التي انفرد بها مسلم المصرحة بعدم قراة
البسملة في الصلاة او بعدم الجهر بها قد عللت وعورضت باحاديث الجهر الثابتة عن انس وغيره والتعليل يخرجها من حيز الصحيح الى
حيز الضعف فان من شرط الحديث الصحيح ان لا يكون شاذا ولا معللا وان كان منقولا عن عدل ضابط عن مثله الى اخر السند
فالتعليل يضعفه فيترك وان كانت الرواة له ثقاة لكونه اطلع فيه على علة خفية غامضة قادحة في صحته كاشفة عن
وهم دخل فيه على بعض رواته بحيث يغلب على الظن ذلك فيحكم به او يتردد فيه فيتوقف ويمتنع الحكم بصحته فلا ينتفع
من كتابنا بالصحيح وهو في نفس الامر في درجة الضعيف فان العلة ربما خفيت على اكثر الحفاظ واطلع عليها الفرد منهم فكيف
والامر هنا بالعكس ولذلك امتنع البخاري وغيره من اخراجه وكم في صحيح مسلم من حديث قد ضعفه الحفاظ من
جهة الاسناد والمتن كحديث ابن عباس ان ابا سفيان قال عندي اجمل العرب وحديث ابي هريرة اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيدي وقال خلق الله التربة يوم السبت واما حديث انس الثاني في الجهر بها فقد علل بامور الاول ان مالك بن انس
رواه في الموطا عن حميد عن انس فلم يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وانما قال صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان الثاني
ان لفظ رواية الاكثرين كانوا يستفتحون بالحمد من غير تعرض للبسملة فانهم الاقلون الذين رووه بالمعنى الذي فهموه
فاخطاوا الثالث جهر انس في صلاته الرابع رواية انس عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهر بها صريحا الخامس ذكر انس
لما سئل عن كيفية قراة النبي صلى الله عليه وسلم فقال يمد بسم الله الرحمن الرحيم ويمد الحمد وراوي الحديثين المعلل
وهذا عن انس واحد وهو قتادة السادس اخبار انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها لما نزلت الكوثر السابع ما
حكاه من قصة معوية بالمدينة وانكار الصحابة عليه لما تركها في الصلاة الثامن ان ابا مسلمة سعيد بن يزيد قال
سالت انسا اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله رب العالمين او ببسم الله الرحمن الرحيم فقال انك
لتسالني عن شي ما احفظه وما سالني احد قبلك اخرجه احمد بن حنبل في مسنده وابن خزيمة في كتابه والدارقطني في سننه
وقال هذا اسناد فدل هذا على ان انسا كان متوقفا في ذلك غير جازم باحد الامرين وروي عنه الجزم بكل
واحد منهما فاضطربت الاحاديث عنه وكلها صحيحة فتعارضت وسقطت وان رجح بعضها فالترجيح للجهر لكثرة احاديثه
ولانه اثبات فهو مقدم على النفي ولعل النسيان عرض له بعد ذلك قال ابن عبد من حفظ عنه حجة على من سأله في حال
نسيانه وقد حمله جماعة من اصحابنا على ان انسا حفظ باي السور كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح قراته في
الصلاة وهي سورة الحمد لله ولم يحفظ باي شي يفتتح الفاتحة بالبسملة ام بالحمد لله والدليل عليه قوله انك لتسالني عن
شي ما سالني عنه احد قبلك وفي صحيح مسلم ان قتادة قال نحن سألناه فاتضح ان سؤال قتادة كان غير سؤال ابي مسلمة
وهما مسالتان لكن هذا التاويل يقدح في صحة رواية الجهر فانه ما رواها الا وهو حافظها فالصواب ان يقال انه استمر
على حفظ السورة التي كان يفتتح النبي صلى الله عليه وسلم قراته بها وهي الفاتحة وعرض له النسيان في الذي كان يبتدي به
منها على ان حديث ابي مسلمة مروي على ثلثة اوجه احدها ما تقدم والثاني بلفظ او التي للشك او ما سالني الثالث
الاقتصار على قوله انك لتسالني عن شي ما سالني عنه فتعارضت الروايات في سبب حفظه لابتدا الفاتحة واتفقت

على ان السايل لم يسبق بسؤاله فلا يكون الجواب ذكر في هذا الحديث فاذا ثبت ان تلك الرواية من حديث انس قد دخلها
الضعف من جهة تعليلها بهذه الوجوه الثمانية المذكورة فتعارض لحديث فيه ضعف من جهة السند فيقابل ضعيفا
بضعيف وان اختلفت جهة الضعف وهو ما جاء من وجوه عن ابن عمر قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر فكانوا يجهرون وان اخرجه الدارقطني بسنده عن نافع قال صليت خلف ابن عمر فجهر فقيل له تجهر فقال
صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر فجهروا ببسم الله الرحمن الرحيم واحتج ايضا من لا يرى الجهر بالبسملة
ومن لا يرى قراتها اصلا بما رواه ابو نعامة قيس بن عباية عن ابن عبد الله بن مغفل قال سمعني ابي وانا اقرا بسم الله الرحمن الرحيم
فقال اي بني اياك والحدث اي قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وكانوا
يستفتحون بالحمد لله رب العالمين وفي رواية لم اسمع احدا منهم يقولها وفي رواية جهر بها اخرجه الترمذي والنسائي وابن
ماجة وغيرهم والجواب انه ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان راويه مجهول وهو ابن الصحابي قال ابن خزيمة وهو غير صحيح
من جهة النقل لانه عن ابن لعبد الله بن مغفل غير مسمى وقال ابن عبد البر ابن عبد الله بن مغفل مجهول والمجهول لا تقوم به
حجة ثم على تقدير صحته ولا بد من تاويله جمعا بينه وبين ما تقدم من الادلة وقد اول هذا من وجوه الاول قال
الفقيه سليم ان ذلك في الصلاة السرية دون الجهرية لان من الناس من يعتاد الجهر بها وبغيرها في السرية بحيث يسمعه من
قرب منه فنهاه ابوه عن ذلك وقال اياك والحدث فان السنة خلاف هذا وهو ان للبسملة حكم غيرها من القران في الجهر
والاسرار فلا جهر في شي من القراة في صلاة سرية كما لا اسرار بشي من القراة في الاولتين من صلاة جهرية هذه هي السنة
وما عداها بدعة وحدث في الدين الثاني جواب ابي بكر الخطيب قال ان عبد الله بن مغفل مجهول ولو صح حديثه هذا
لم يكن موثرا علة في حديث ابي هريرة وذلك ان عبد الله بن مغفل من احداث اصحاب رسول الله وابو هريرة كان من شيوخهم
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول لاصحابه ليليني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم وكان
ابو هريرة يقرب لسنه وعبد الله بن مغفل يبعد عنه لحداثته ومعلوم ان القاري يجهر بقراته في اثنا صلاته ويرفع
صوته اكثر من جهره بابتداها فلم يحفظ عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهر بالتسمية لانها مبتدا الها
ولبعد مقامه وحايل بينه وبين سماعها وحفظها ابو هريرة حفظها لقربه مع اتساعه وجوده حفظه وعظم عنايته بالحديث
وضبط الوجه الثالث ان يكون انه كان لم يستفتح بسورة غير الفاتحة وبسمل في اولها فقال له ابوه يا بني اياك والحدث
واراد بذلك كونه استفتح بغير الفاتحة وظن ابنه ان نهيه كان لجهره بالبسملة فصار يرويه بالمعنى الذي فهم فوهم واوهم
كما جرى لبعض رواة حديث انس واعتقاد هذا الوهم في ابن احدهما مجهول اولى من اعتقاد الوهم على جماعة من الصحابة رووا
الجهر بالبسملة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف وهم يرون اثباتا وهذا يروي نفيا فقد يخفى على جماعة من الصحابة اشيا
واقعة فنفوها واثبتها غيرهم من ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة كان معه بلال واسامة فاخبر بلال ان
النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه وقال اسامة لم يصل وقال ابن عباس لم يسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المفصل منذ تحول
الى المدينة واخبر ابو هريرة انه سجد مع النبي صلى الله عليه وسلم في اذا السما انشقت واقرا باسم ربك واعجب من ذلك انه
خفي على ابن مسعود نسخ التطبيق في الركوع وهو يصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم طول عمره ومع الخلفا الراشدين بعده
وهم وسائر الناس على وضع الايدي على الركب وخفي عنه على ما قيل ان الفاتحة والمعوذتين من القران والقول في كل ذلك
قول المثبت لا النافي واما البسملة كذلك وبما روي عن ابن مسعود ما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة مكتوبة
ببسم الله الرحمن الرحيم ولا ابو بكر ولا عمر **والجواب** ان رواية محمد بن جابر اليماني وهو ضعيف عن حماد عن ابرهيم
عن عبد الله وابرهيم لم يدرك عبد الله فهو منقطع وضعيف ثم انه نفي والاثبات مقدم عليه كما لو قال عبد الله بن مسعود
ما وضع رسول الله يديه على ركبتيه في الركوع لم يعمل به مع نقل غيره خلافه وبان الجهر بالبسملة منسوخ قال سعيد بن
جبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم بمكة وكان اهل مكة يدعون مسيلمة الرحمن فقالوا
ان محمدا يدعو الى اله اليمامة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخفائها فما جهر بها حتى مات **والجواب** ان هذا مرسل

فلا حجة فيه وقد روى موصولا بذكر ابن عباس وقال فانزل الله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فيسمع المشركون
فيهزؤن ولا تخافت عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا وفي رواية قال تخفض النبي صلى الله عليه وسلم
ببسم الله الرحمن الرحيم قال البيهقي يعني والله اعلم تخفض بها دون الجهر الشديد الذي يبلغ اسماع المشركين وقد كان يجهر بها
جهرا يسمعها اصحابه وهذا هو الحق لان الله تعالى كما نهاه عن الجهر بها نهاه عن المخافتة بها فلم يبق الا الحالة الوسطى وهو الجهر
بينهما الذي اشار اليه بقوله وابتغ بين ذلك سبيلا وليس هذا الحكم مختصا بالبسملة بل بجميع قراءة الصلاة وفي رواية
فانزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك فما جهر بها بعد اذ كان بمكة حتى قدم المدينة فكان يجهر بها فيما يجهر به من صلاته حتى فارق
الدنيا فهذه الرواية تعارض الاخرى وبان اسناد الاخفا من رواية أنس صحيح **والجواب** انه يعلل بثمانية من وجوه
سبق ذكرها فلا يصح الاحتجاج به وسرعنا ولله بطرق حسنه وكم من حديث او كظاهر اورد بسبب علة قادحة فيه من ترجيح
لرواية اخرى راجحة او معارض أو ناسخ او اجماع على خلافه او اضطراب أوجب عدم الوثوق بلفظه كترك مالك حديث البيعان
بالخيار لاجماع المدينة وترك ابو حنيفة ايضا احاديثا كثيرة صحيحة صريحة كحديث المصراة وايما رجل مات او افلس فصاحب
المتاع أحق بمتاعه لادلة قامت عنده واكثر الايمة يمسكا بظاهر أحاديث صحاح منها في الصحيحين عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في حق المحرم فلم يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين والمشهور من
مذهب احمد ان المحرم اذا لبس الخفين لعدم النعلين لم يلزم قطعهما وجات احاديث متعددة في الصحيحين بجواز الانتفاع
بجلد الميتة اذا دبغ فتركها أحمد قائلا لا يطهر جلد الميتة بالدباغ وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلثين وهذا نص قاطع لموضع الخلاف
في المسئلة فتركه الحنابلة وقالوا بخلافه وفي صحيح مسلم ان ابا ذر قال كان المتعة في الحج لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
خاصة يعني بها فسخ الحج الى العمرة فترك أحمد صراحة ذلك التخصيص وقال فسخ الحج الى العمرة جايز بل هو الاولى عنده وما ذاك
كله الا لادلة اوجبت الى مخالفة ما صرحت به هذه الاحاديث واكل من الايمة اجتهاد فليس مخالفة ظاهر رواية الاخفا
للادلة السابقة المتظاهرة بابعد من مخالفة ما صرحت به هذه الاحاديث وبانه سئل الدارقطني بمصر لما صنف كتاب
الجهر فقال لم يصح في الجهر حديث **والجواب** صحة هذه الحكاية غير مسلمة فان الدارقطني قد صحح في سننه كثيرا من
أحاديث الجهر كما ذكرناه وكتاب السنن صنفه الدارقطني بعد كتاب الجهر بدليل انه احال في كتاب السنن عليه
فان صحت تلك الحكاية فانه يحمل الامر على انه اطلع اخرا على ما لم يكن اطلع عليه أولا ويجوز ان يكون أراد ليس في الصحيحين منه
شئ وان كانت قد صحت في غيرهما وهو أيضا بعيد فقد استخرج من البخاري ومسلم احاديث انتزع منها المقصود منها قول
انس كان النبي صلى الله عليه وسلم يمد بسم الله الرحمن الرحيم وانه تلاها عند نزول سورة الكوثر وقول ابي هريرة ما اسمعنا
رسول الله اسمعناكم وقد صح جهر ابي هريرة بها اماما وبان بعض التابعين كان يقول الجهر ببسم الله بدعة **والجواب**
انه لا ضرر في ذلك فقد يقول بعض العلما بدعة فيما هو عنده مخالفة سنة الا ترى ان العقيقة وصلاة الاستسقاء سنة
عند المعظم وروى بعضهم انها بدعة وكل مجتهد يعبر عن الحكم على ما وصل اجتهاده اليه واداه اليه فغاية ما ذكروه انه
مذهب ذلك التابعي ولا اعتبار في باب الترجيح بالاستدلال بعض المذاهب على بعض فقد عرف ان المسئلة يختلف فيها انما
الاعتبار بالادلة الشرعية فمن قويت ادلته ترجح مذهبه وصحت فتواه وقد ثبت رجحان ما ذكر على انه يقال لو لم يرد
في كيفية قراءة البسملة في الصلاة شئ من الاحاديث اصلا من الجانبين لكان الاولى الجهر بها لانها لا تخلو اما ان يكون من الفاتحة
وحينيذ يكون لها حكم باقي اياتها من الجهر او لا يكون بها فالجهر بها مستفاد من اتفاق قرا الامصار على ذلك قديما وحديثا
وكل علم يوخذ من اربابه وقد اجمعوا على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة وعلى الجهر بها الا في بعض طرق شاذة روى
الاسرار بها عن بعضهم ولا ينبغي أن تختلف حال البسملة في قراتها وخارج الصلاة اذ لا معنى لذلك مناسبا في الاسرار بها في
الصلاة والجهر بها خارج الصلاة فوجب التسوية بينهما فيما اتفق القرا عليه فيل وجب ان لا يسوى بينهما قياسا على التعوذ
فان القرا يجهرون بها خارج الصلاة ويسرون به فيها **اجيب** بالفرق بينهما فان التسمية مرسومة في المصحف بخلاف

التعوذ ومذهب القرا قراءة ما في المصحف مطلقا وبذلك ورد الاثر عن عايشة وابن عمر وغيرهما اقرأوا ما في المصحف ولم يكتب
في المصاحف اذا لم تقرا على ان المروي من القرا ايضا الجهر بها في الصلاة عن ابن المسيبي قال كنا نقرا ببسم الله الرحمن الرحيم
في اول الفاتحة وبين السورتين في الصلاة وفي العرض هذا كان مذهب القرا بالمدينة وفي كتاب الفصل لابي طاهر بن ابي هاشم
قال حدثني ابو بكر شيخنا يعني ابن مجاهد امام القراة واول من جمع كتاب السبعة قال حدثني موسى بن اسحق المسيبي قال
حدثني ابي لما صلى بالناس بالمدينة جهر ببسم الله الرحمن الرحيم قال فاتاني الاعشى أبو بكر بن اخت مالك بن انس فقال ان ابا
عبد الله يقرا عليك السلام ورحمة الله ويقول لك من خفته على خلاف أهل المدينة فانك ممن لم اخافه وقد كان سلك شئ
قلت وما هو قال الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقلت فابلغه عني السلام كما بلغتني وقل له ان كثيرا ما سمعتك تقول لا تأ
تأخذوا عن اهل العراق فاني لم ادرك احدا من أصحابنا يأخذ عنهم وانما جبت في تركها عن حميد الطويل فان حجبت اخذنا
عن اهل العراق اخذنا هذا وغيره من قولهم والا تركنا حميدا مع غيره فلم يكن لك علي به حجة وقد سمعتك كثيرا ما تقول خذوا
كل علم من اهله وعلم القران بالمدينة عن نافع ابن ابي نعيم فسالته عن قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فأمرني بها وقال
اشهد انها من السبع المثاني وقال ان الله انزلها وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر انه كان يبتدي بها ويفتتح كل سورة
وحدثني ابن ابي ذيب عن ابن شهاب قال مضت السنة بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية فاخبرنا ان نافع ابن ابي
نعيم امام الناس في القراءة واخبرنا نافع بان السنة الجهر بالبسملة فهذه الحكاية افادت بان قراءة البسملة في الاعصار
الثلثة بالمدينة عصر الصحابة وعصر التابعين وتابعيهم فاي اجماع بالمدينة بدعيه مدع بعد هذا ويشهد لذلك ويقويه
وقصة معوية بالمدينة وما رواه مالك عن حميد غير مرفوع وجا عن الزهري اول من قرا بسم الله الرحمن الرحيم سرا بالمدينة
عمرو بن سعيد بن العاص وولي عمرو المدينة في زمن يزيد بن معاوية وتبعه من تبعه في ذلك فلهذا قال يحيى بن جعدة
اختلس الشيطان من الايمة اية البسملة يعني بالايمة الولاة لا العلما وقال الزهري في اية من كتاب الله تركها الناس وقال
مجاهد نسي الناس بسم الله الرحمن الرحيم والتكبير أي تركوهما ولما اشتهر تركهما من فعل الايمة نسي الناس ما كان
الامر عليه قبل ذلك ولا خير فيما أحدث بعد العصر الذي انكر فيه على معوية تركها وان اشتهر واستفاض فالحجة فيما
ينقل عن العلما دون افعال الولاة قيل لو لم يكن حقا لانكره العلما عليهم **اجيب** بانهم قد انكروه على معاوية فرجع فلما افضى
الامر الى غيره من الولاة الجبابرة بالمدينة كالاشدق والحجاج وحبيش بن دلجة ونظرائهم انكره بعضهم فلم يقبل
منه فتركه الباقون وراوا ان الجهر ليس بواجب بل مستحب والامر فيه واسع والاسرار جايز وان كان فيه ترك السنة
فامتنعوا من الانكار عليهم اتقا الفتنة قال ابن الزبير ما يمنع امراكم ان يجهروا بها الا الكبر ولعل عمرو بن سعيد الاشدق
هو اول من اسرها بالمدينة انما فعل ذلك مخالفة لابن الزبير لان مذهب ابن الزبير الجهر بها وكان بمكة مباينا
ليزيد بن معاوية وكان عمرو واليا بالمدينة من قبل يزيد فبالغ في مخالفة امر ابن الزبير في الجهر بالبسملة في الصلاة
واقتدى به من وليها بعده لبني مروان وغيرهم بعد ان قصد الاشدق ذلك فهو الذي بعث اليه البعوث يحاصره بمكة
وهو الحصار الاول وبه اقتدى الحجاج فحاصره الحصار الثاني وقتله واخرب الكعبة واخرج منها الحجر وغير ما كان
فعله ابن الزبير فيها فهم كانوا حريصين على مخالفته ما وجدوا الى ذلك سبيلا فامروا المداومة على اخفا البسملة لا يبعد
ان يكون من ذلك بل هو اقرب فانها مسئلة مختلف فيها قال بكر بن عبد الله صليت خلف عبد الله بن الزبير وكان يجهر ببسم الله
الرحمن الرحيم وفي رواية كان يستفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ويقول ما يمنعهم الا الكبر قيل لو كان الجهر ثابتا
لورد النقل به مستفيضا متواترا كوروده في سائر القراءة فلما لم يرد النقل به من جهة التواتر علمنا انه غير ثابت
اجيب بانه لا يلزم ان يتواتر قياسا على الاذان والاقامة فقد وردت أخبار مختلفة في التكبير فيهما اول الاذان
والترجيع وتثنية الاقامة وافراد قد قامت الصلاة وهو مكرر في اليوم والليلة مرارا في كل صلاة جهرية وسرية
واذا احسن الظن كان يجهر واسعا وواقعا ولم يلزم فيه واحد وبقي الاختلاف في الاولى من ذلك وترجح بطرق
وكذا الخلاف في الجهر بالبسملة والاسرار بها قبل البسملة ذكروني به بعد التكبير وقبل الحمد له فلم يكن من سننه الجهر

كدعا الافتتاح **أجيب** بانه لا يلزم ان يتواتر قياسًا على الاذان والاقامة فقد وردت اخبار مختلفة في التكبير
فيهما أول الاذان والترجيع وتثنية الاقامة وافراد قد قامت الصلاة وهو متكرر في اليوم والليلة مرارًا في كل صلاة
سرية وجهرية واذا احسن الظن كان الجهر واسعا وواقعا وامر يلزم هيئة واحدة وبقي الاختلاف في الاول من ذلك وترجح
بطريقه وكذا الخلاف في الجهر بالبسملة والاسرار بها قبل البسملة ذكر يؤتى به بعد التعوذ فسن الجهر له كالحمدلة بل هذا دليل
مستقل في اصل المسئلة فيقال ذكر ليس تقديم التعوذ عليه وكان قرانا حيث امر بقراءته والتعوذ قبله كما في الايات فليجهر بها
كغيرها **المسئلة** السابعة في ان قراة بسم الله الرحمن الرحيم واجبة في الصلاة كما يجب قراة سائر اجزا الفاتحة عند
من يجعل البسملة جزءًا من الفاتحة أية منها أو بعض اية فمن ترك قراءتها بطلت صلاته فان الصلاة لا تصح بدون الفاتحة
قال الشافعي رحمه الله اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة ابن الصامت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب قال البيهقي هذا الحديث أخرجه البخاري في الصحيح عن علي بن
المديني ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم كلهم عن سفيان ابن عيينة روى الثعلبي باسناده عن ابي هريرة
قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم تحدث اصحابه اذ دخل رجل يصلي فافتتح الصلاة
وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين ذلك فقال له رجل قطعت على نفسك الصلاة اما علمت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد
فمن تركها فقد ترك اية منها ومن ترك أية منها فقد قطع عليه صلاته فانه لا صلاة الا بها وباسناده عن طلحة بن عبيد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله فقد ترك اية من كتاب الله واما فضايل بسم الله الرحمن الرحيم
فقد روى الثعلبي باسناده عن ابن عباس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس وخير من يمشي على جديد
الارض المعلمون كلما خلق القران جددوه اعطوهم ولا تستاجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم
كتب الله براة للصبي وبراة للمعلم وبراة لابويه من النار وباسناده عن جابر قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم
الى المشرق وسكنت الريح وهاج البحر وأصغت البهايم باذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله بعزته لا يسمى اسمه
على شيء الا شفاه ولا يسمى على شيء الا بارك عليه ومن قرا بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة وباسناده عن عبد الله بن مسعود
قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فانها تسعة عشر حرفا ليجعل الله على كل حرف منها جنة من كل
واحد **واعلم** ان الوقف على وجوه ثلثة ناقص وهو وقف على كل كلام لا يفهم بنفسه وكاف وهو وقف على كلام مفهوم
المعنى لكن ما بعده يكون متعلقا به وكامل وهو الوقف على كلام تام يكون ما بعده منقطعا عنه وقد اتفقوا على ان الوقف
على قوله بسم ناقص قبيح وعلى قوله بسم الله او على قوله بسم الله الرحمن كاف صحيح وعلى قوله بسم الله الرحمن الرحيم تام كامل
والبا في بسم حرف جر متعلق بمحذوف اما فعل او اسم متصل بالفعل كالمصدر وعلى التقدير اما ان يكون المحذوف مقدما
نحو ابدا بسم الله او ابتداي بسم الله أو متاخرا نحو بسم الله ابدا وبسم الله ابتداي قال صاحب الكشاف بسم الله
اقرأ واتلوا من التلاوة التي تتلوا التسمية أي يتبعها مقروف فانه لما شرع في القرأة بعد التسمية علم ان المراد اقرأ باسم الله
فجاز حذفه فان الشروع في القرأة قرينة دالة على اقرا كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله أي ببركاته
كان المعنى بسم الله وببركاته احل وبسم الله وبركاته ارتحل ولذلك الذابح اذا قال بسم الله أي بسم الله اذبح وعلى كل فاعل
يبدأ في قوله بسم الله كان مضمرا للفعل الذي جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع
آيات الى فرعون اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعا للمعرس اي النازل في بيت المنكوحة بالرفا والبنين
اي اعرست بالرفا والبنين اي الاتفاق بينك وبين امراتك وولادة البنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست
ومنه قول الشاعر فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما الانس ايضا لغة في الانس وانشد
الاخفش أيضا على هذه اللغة أتوا ناري فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما فقلت الى الطعام فقال منهم
زعيم يحسد الانس الطعاما اي نحن الجن وعموا اي انعموا وهي كلمة تحية كانه محذوف من نعم ينعم بالكسر كما يقال كل
من اكل يأكل حذف منه الالف والنون استخفافا ومنهم ارتكبوا فيه سدود ابن الحاق العلامة في الدرج وتحريك النون

وطلاما

وطلاما تمسي وقيل طرف يزعم ان اتاه الجن عند ناره فسالهم منهم فلما ذكروا انهم الجن حياهم قال صاحب الانتصاف الذي
يقدره النحاة ابتداي وهو المختار لوجوه منها ان فعل الابتدا يصح تقديره في كل بسملة ابتدي بها فعل من الافعال بخلاف
القراة والعام اذا صح تقديره اولى ان يقدر الاتراهم يقدرون متعلق الجار الواقع خبرا او صفة او صلة او حالا اما الكون او الاستقرار
حيث ما وقع ويوثرونه لعموم صحته تقديره ومنها ان تقدير فعل الابتدا مستقل بالغرض من البسملة اذ الغرض منها
ان تقع مبتدا فتقدير فعل الابتدا اوقع بالمحل وانت اذا قدرت اقرا فانما تعني ابتدا القراة اذ لو وقع في اثنا التلاوة قراة
ايضا لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتدا ومنها ظهور فعل الابتدا في قوله صلى الله عليه وسلم كل امر خطير ذي بال لا
يبدا فيه ببسم الله فهو اقطع ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعل القراة في قوله اقرا باسم ربك فان فعل القراة انما
ظهر ثم لان الاسم هو القراة غير منظور الى ابتدائها الا ترى انه قد تقدم الفعل فيها على متعلقه لانه الاهم ولا كذلك في
البسملة فان الفعل المقدر كما بينا ما كان انما يقدر بعدها اذ لو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتدا الدال على انه
الاهم في البسملة فوجب تقدمه هذا كلام صاحب الانتصاف وفيه نظر اما في الوجه الاول فلان الابتدا امر من الافعال
الاضافية فان الابتدا يلزم ان يكون بالنسبة الى فعل من الافعال وحينئذ لا يخلو اما ان يقدر مطلقا او مضافا الى الفعل
يكون الابتدا بالنسبة اليه فان كان الاول فظاهر انه لا يفيد فايدة يعتد بها ولا يكون تقديره لائقا بالكلام البليغ وان كان
الثاني فتقدير ذلك الفعل أولى لقلة الاضمار وحصول المقصود ولان تقدير الابتدا والمضاف يفيدان ان ابتدا الفعل
باستعانة اسم الله او ابتداه متلبسا باسم الله وتقدير الفعل الواقع بعده يفيدان الفعل من أوله الى أخره باستعانة
اسم الله وملتبس باسم الله ولا شك انه اظهر وابلغ في افادة المقصود واما قوله العام اذا صح تقديره فهو اولى ان يقدر فالجواب
عنه ان ابتدا مطلق لا عام ولا نسلم ان المطلق اذا صح تقديره اولى ان يقدر فان المطلق اذا كان اضافيا وقد يريدون المضاف
لم يفد ومعه يلزم زيادة الاضمار وعدم افادة المقصود واما قولهم الا تراهم يقدرون متعلق الجار الواقع خبرا او صفة او حالا
بالكون والاستقرار واذا لم تظهر قرينة مخصصة لتقدير ما هو أخص منها لانه اذا لم تظهر قرينة مخصصة يلزم من تقدير ما هو احص
منها تخصيص بلا مخصص وهو غير جايز والكون والاستقرار لازم على جميع التقادير فاختاروا تقديرهما واما في الوجه الثاني فلا
يلزم ان يكون تقدير الابتدا مستقل بالغرض من البسملة قوله اذ الغرض منها ان تقع مبدا قلنا لا نسلم بل الغرض منها ان يستعان به
في الفعل نفسه أو مقارنته في جميع زمان وقوعه قوله وانت اذا قدرت اقرا فانما يعني ابتدا القراة قلنا ممنوع بل انما يعني به
وقوع القراة بها قوله اذ الواقع في اثنا التلاوة قراة أيضًا لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتدا قلنا مسلم ان الواقع في
اثنا التلاوة قراة أيضًا وتقدير البسملة مشروع في جميع القراة وهذا كما في النية تقديرها في جميع العبادة مشروع فاعتبروا
تحققها في ابتدا العبادة وتقديرها في ساير الاجزا واما في الوجه الثالث فالجواب عنه ان قوله عليه الصلاة والسلام
كل امر خطير ذي بال لا ابتدا فيه باسم الله فهو اقطع يدل على انه يبدا فيه باسم الله لان الفعل المقدر هو الابتدا بل نفهم
ان الفعل هو ذلك الامر الخطير فان كان ذلك الامر الخطير القرأة فالفعل المقدر اقرا وان كان الارتحال فارتحل قوله ولا يعارض
هذا ما ذكره من ظهور فعل القراة في قوله تعالى اقرا باسم ربك فان القراة انما ظهر ثم لان الاهم هو القراة غير منظور الى ابتداها
الا ترى انه يقدم الفعل فيها على متعلقه لان الاهم ولا كذلك في البسملة فان الفعل المقدر كما بينا ما كان انما يقدر بعدها اذ
لو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتدا الدال على انه الاهم في البسملة قلنا ها هنا أيضا الاهم قصد الفعل الذي
استعان فيه باسم الله واستصحبه فيحسن أن يقدر ذلك الفعل لا الابتدا فان المطلق لا يفيد والمضاف يطول ولا يفيد
المقصود ومن النحويين من ذهب الى ان اضمار الفعل ها هنا اولى من اضمار الاسم لان الاصل التعليق للافعال فاذا وجب
التقدير فالاصل اقرب واولى ومنهم من ذهب الى ان اضمار الاسم أولى لتقديره قراءتي باسم الله او ابتداي باسم الله لانه
خبر مبتدا والاصل فيه ان يكون مفردا فكان اولى قال الامام فخر الدين لقائل أن يقول بل اضمار الاسم اولى لانا
اذا قلنا تقدير الكلام بسم الله ابتدا كل شيء كان هذا اخبارا عن كونه مبتدا في ذاته لجميع الحوادث سوا قاله قايل
او لم يقله وسوا ذكره ذاكر أو لم يذكره ولا شك ان هذا الاحتمال اولى فعلى تقدير اضمار الفعل يكون باسم في موضع نصب

وعلى تقدير اضمار الاسم في موضع رفع والمحذوف يقدر متاخرا لان ههنا أمرين الفعل المحذوف والمتعلق به الذي هو
باسم الله والاهم منهما ذكر المتعلق به لانهم كانوا يبتدون باسم الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد
الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتدا وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله تعالى اياك نعبد حيث
صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله تعالى بسم الله مجريها ومرسيها قال صاحب الانتصاف
ولانك لو ابتدات بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدا به فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى اول نطقك
وهو الذي نبهت عليه انفا قال الامام التقديم اولى لوجوه الاول انه تعالى قديم واجب الوجود لذاته فيكون
وجوده سابقا على وجود غيره والسابق بالذات يستحق السبق في الذكر الثاني ان التقديم في الذكر ادخل في التعظيم
الثالث انه تعالى قال اياك نعبد واياك نستعين فههنا الفعل متاخر عن الاسم فوجب ان يكون في قوله بسم الله كذلك
الرابع ان الشيخ ابا القاسم الانصاري قال حضر الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير مع الاستاد ابي القسم القشيري قال الاستاد
المحققون قالوا ما راينا شيا الا وراينا الله بعده قال الشيخ ابو سعيد ذلك مقام المريدين اما المحققون فانهم ما راوا شيا
الا وكانوا قد راوا الله قبله وتحقيق ذلك ان الاستدلال بالمخلوق على الخالق مقام المبتدئين والاستدلال بالخالق على
المخلوق مرتبة الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه واليه الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد قال صاحب الكشاف فان قلت فقد قال اقرا باسم ربك
فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة فكان الامر بالقراة اهم قال صاحب المفتاح الوجه فيه عند
ان يحمل اقرا على معنى افعل القراة واوجدها على نحو قولهم فلان يعطي ويمنع غير معدى الى مفعول به وان يكون باسم ربك
مفعول اقرا الذي بعده وفي معنى تعلق اسم الله بالقراة وجهان احدهما ان تعلقه بالقراة تعلق القلم بالكتبة في قولك
كتبت بالقلم على معنى ان المومن لما اعتقد ان قراته لا تجي معتدا بها في الشرع واقعة على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله
لقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبدا فيه باسم الله فهو ابتر فاذا لم تصدر القراة بذكر اسم الله تكون قراة
كلا قراة جعل قراته مفعوله باسم الله كما تفعل الكتبة بالقلم والثاني ان تعلقه بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تعالى
بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرا وكذلك قول الداعي بالمعرس بالرفا والبنين معناه اعرست متلبسا بالرفا والبنين
وهذا الوجه اعرب اي ادخل في العربية لانه مفيد للمراد من غير تعسف وتكلف وانضمام امر اخر اليها بخلاف الوجه
الاول فان فيه تعسفا وتكلفا ولا يتم الا بانضمام اعتقاد الشرع والسنة اليه واحسن لانه يتم من غيرتا ويل بخلاف
الاول فانه لا يتم الا بتاويل قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرا قلت هذا مقول على
السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى اخره وكثير من القران على هذا المنهاج
ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه اعلم ان الحرف يطلق تارة ويراد بها
مدلولات اسما التهجي مثل ب الذي هو مدلول الاسم الذي هو البا وج الذي هو مدلول الاسم الذي هو الجيم ويطلق
تارة ويراد بها احد اقسام الكلمة الذي هو قسيم الاسم والفعل ويسمى حروف المعاني لان لها معاني بخلاف مدلول
الاسما التي يتهجى بها فانه ليس لها معان وقيل انما يسمى حروف المعاني لانها توصل معاني الاسما الى الافعال ومن حق حروف
المعاني التي جات على حرف واحد ان يبنى على الفتحة التي هي اخت السكون لان السكون عدم الحركة فهو قريب من الفتحة التي
هي اخف الحركات نحو كاف التشبيه ولام الابتدا وواو العطف وفايه وغير ذلك ولام الاضافة وبابها بنيتا على الكسر اما
اللام فللفصل بينها وبين لام الابتدا واما البا فلكونها لازمة للحرفيه والجر فكسرت لتناسب لفظها عملها ولكونها لا تدخل الا
على الاسما فخصت بالكسر الذي لا يكون الا في الاسما والاسم احد الاسما التي بنوا على السكون وهي ابن ابنم ابنة اسم است
اثنان اثنتان امرو امراة ايمن ايم فاذا ابتدا بها في النطق زيد همزة وصل لئلا يقع الابتدا بالساكن اذ الفصاحة
تقتضي الابتدا بالمتحرك والوقف على الساكن فعومل تلك المعاملة صيانة للغة الفصيحة عن اللكنة والشناعة ورعاية
لوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت هذه الاسما في الدرج لم يحتج الى زيادة الهمزة واسقطت في جميع

موارد

مواردة الدرج ولها استدل على زيادة الهمزة ومن العرب من لم يرد الهمزة واستغنى عنها بتحريك الاول الساكن فقال سم ٤
وسم وفيه خمس لغات اسم واسم بكسر الهمزة وضمها وسكون السين وسم وسم بكسر السين وضمها وبدون الهمزة للاستغنا عنها
بحركة السين قال بسم الذي في كل سورة سمه قد وردت على طرق يعلمه وقال اخر وعامنا اعجبنا مقدمه يدعى ابا السمح
وقرضاب سمه ينشد في البيتين بضم السين وكسرها وقرضاب الرجل اذا اكل شيا يابسا فهو قرضاب وسمى وهدى واصله سمو
قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقد استشهد بقول الراجز والله اسماك سما مباركا اثرك الله به ايثاركا وقال اخر
فدع عنك ذكر اللهو واعمد لمدحه بخير معد حلها اين ما انتمى لاعظمهم قدرا واكرمهم ابا واكثرهم ذكرا واحسنهم سما وهذا الاستشهاد
غير مفيد فانه يحتمل ان يكون اراد السم الذي على فعل واختلف النحويون في اصل الاسم فذهب البصريون الى انه من الاسما المحذوفة
الاعجاز كيد ودم من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت
والنبر قشر النخلة الاعلى والكلمات الثلاث وان كانت مشاركة في التنويه بالمسمى الا انه خص هذا القسم بهذا الاسم لكونه
اصلا بالنسبة الى القسمين الاخيرين واشرف منهما وذهب الكوفيون الى انه من الاسما المحذوفة الاوايل مشتق من الوسم الذي هو
العلامة لان الاسم علامة للمسمى فحذفت فاوه فوزنه على مذهب البصريين افع وعلى مذهب الكوفيين اعل وتصغيره على سمي
وجمعه على اسما والفعل منه سميته واسميته يدل لصحة مذهب البصريين ظاهرا اذ لو كان الوسم كما ذكر الكوفيون لكان تصغيره
وسيما وجمعه اوساما والفعل منه وسمت اسم لا يقال مذهب الكوفيين اظهر من جهة المعنى لان كون الاسم علامة وسمة للمعنى
ظاهر لانا نقول لو جعل هذا علامة للنقل يلزم اشتراك الثلاث في هذا المعنى ولم يظهر رجحان لتخصيص هذا القسم بهذا الاسم
بخلاف ما اذا جعل العلامة التنويه كما ذكر فانه يظهر حينيذ رجحان لتخصيص هذا الاسم لما ذكر وعلى مذهب الكوفيين
حذف من الوسم الذي هو اصله الواو وزيد في اوله همزة وعلى مذهب البصريين حذف الواو من اخره واخر الكلمة وسكن السين
لانها لما حذفت الواو وبقي حرفان احدهما ساكن والاخر متحرك فلما حرك الساكن سكن المتحرك تحصيلا للاعتدال وقيل على مذهب
البصريين من سمى يسمو ويسمي يسمي والامر منه اسم على تقدير الاول واسم على تقدير الثاني كقولنا ادع من دعوت وارم من
رميت ثم انهم جعلوا هذه الصيغة اسما وادخلوا عليها وجوه الاعراب واخرجوها من حد الافعال وهذا كما سمي النعت تعلا
قال الاخفش وهذا مثل الان فان الاصل ان يكون فعلا ماضيا فعاد بالاعتدال وادخلوا الالف واللام على الماضي من فعله
وابقوه مفتوحا وقد اختلفوا في ان الاسم هو التسمية او غيرها فذهبت الاشاعرة الى ان الاسم هو التسمية وذهبت
المعتزلة الى ان الاسم غير التسمية وهذا النزاع لفظي والظاهر انه غير التسمية وذلك لان الاسم بحسب اللغة يطلق
ويراد به اللفظ الموضوع لمعنى اعم من الاسم والفعل والحرف وبحسب العرف الخاص يطلق ويراد به اللفظ الموضوع
لمعنى الدال عليه بنفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة وعلى التقديرين يراد باللفظ ما يلفظ به اي الملفوظ
فلا يكون الاسم بالمعنيين مصدرا والتسمية مصدر فالاسم غير التسمية وقد اختلفوا في ان الاسم والمسمى
هل هما بمعنى واحد ولا والحق ان الاسم الذي هو الف وسين وميم قد يطلق في اللغة ويراد به العبارة الدالة
على المعنى وهو الاكثر من استعمالها فمن قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها ومنه قوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين
اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وهو غير المسمى لان المسمى مدلول العبارة ولا شك ان العبارة غير مدلولها
وقد يطلق ويراد به الذات فانه في لغة العرب قد يجري مجرى الذات يقال ذات ونفس واسم وعين بمعنى واحد
والاسم بهذا المعنى والمسمى بمعنى واحد وما نقل عن الشيخ ابي الحسن الاشعري له تاويل لطيف بيانه ان لفظ الاسم
اسم لكل لفظ دال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثه ولفظ الاسم كذلك فيكون الاسم غير المسمى من هذا
الوجه لا يقال كون الاسم اسما للمسمى من باب المضاف واحد المضافين يغاير الاخر لانا نقول تغاير الاعتبار كاف
في المضافين وههنا الاسم وان كان غير المسمى الا ان اعتبار كونه اسما غير اعتبار كونه مسمى وحذفت الف الاسم في الخط
في الخط مع الله وليست في غيره نحو قوله باسم ربك فقد اسعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتدا الذي عليه وضع الخط
لكثرة الاستعمال وطولت البا تعويضا من طرح الاسم وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول البا واظهر السينات

اسم لا لتعاقب الحركات عليها ثم لثقل
الدوران واعرست الميم لانها قابلة لتدرس
حذف الواو صح ح

ود ور الميم واما الله فالنظر فيه من وجوه الاول هذا اللفظ هل هو عربي اولي وعلى تقدير كونه عربيا هل هو علم اولا وعلى
تقدير أن يكون علما هل هو من الاعلام الغالبة او من الاعلام الموضوعة وعلى تقدير ان يكون من الاعلام الموضوعة هل هو
منقول او مرتجل وعلى تقدير ان يكون مرتجلا هل هو مشتق اولا وعلى تقدير ان يكون مشتقا هل يكون له اصل ماخوذ
منه فذلك الاصل اي شيء هو وهذه مباحث محتاجة الى التقرير والتحرير والتبيين ونورد كل بحث من هذه الابحاث
ونذكر على كل منها ما يتعلق به من الاسئلة والاجوبة بحسب المنة والطاقة الاول ذهب بعض الى ان لفظ
الجلالة ليس بعربي بل هو عبري او سرياني لانهم يقولون الاها ورحمانا ومرحانا فلما عرف جعل الله الرحمن الرحيم والانصاف
ان هذا القول السقيم بعيد عن الفهم المستقيم فان لفظ الجلالة مستعمل في لغة العرب في الجاهلية والاسلام في نظمهم ونثرهم
على لسان بلغائهم وفصحائهم موحديهم ومشركيهم قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يكن مبدا
ولا في لغة غير العرب الا بالاخذ منه فالذهاب الى انه عبري بعيد عن الصواب واما ما روي انهم يقولون الاها ورحمانا ومرحابا
فعلى تقدير صحته لا يورث ثبوتا بانه غير عربي فضلا عن ظن او اعتقاد فان المشابهة الحاصلة بين اللغتين في شيء من حروف الكلمة
لا يقتضي كون احدهما ماخوذة من الاخرى وعلى تقدير الاقتضا فالحكم بان العرب قد اخذوا من غير عكس تحكم محض وترجيح
بلا مرجح واستدل الامام فخر الدين الرازي على انه عبري بقوله تعالى هل تعلم له سميا فانهم اطبقوا على ان المراد منه لفظ الجلالة
وفيه نظر فانه لا يلزم من كونه لا سمي له ان يكون عربيا اصليا واستدل ايضا بقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وفيه نظر لانه ليس المراد منه لفظ الجلالة بل المراد منه المدلول فانه هو الخالق فلم يلزم ان يكون اللفظ المقول بالنسبة
الى كل هو لفظ الله ولئن سلم انه يلزم ان يكون اللفظ المقول بالنسبة الى كل هو لفظ الله فلا يثبت ان يكون عربيا وذهب الاكثرون الى
انه عربي وهو حق واضح لا يحتاج الى دليل واقول متى احتاج النهار الى دليل فانه متواتر ضروري ولو احتاج لفظ الجلالة في كونه
عربيا الى دليل لاحتاج كل لفظ اخر من الالفاظ الواقعة في لغة العرب في كونه عربيا الى دليل فان لفظ الجلالة لم يكن شيء
اظهر من غيره في كونه عربيا لم يكن غيره اظهر منه فيعسر اثبات عربية شيء من الالفاظ بل يتعذر. الثاني انهم اجمعوا
انه اسم من اسماء الله تعالى خاص لا يشاركه غيره فيه ولا يدعى به احد سواه قبض الله تعالى الالسن عن ذلك وهل هو علم اولا
قال الامام المختار عندنا ان هذا اللفظ اسم علم للباري سبحانه وتعالى وليس بمشتق البتة وهو قول الخليل وسيبويه
والاصوليين والفقهاء ويدل عليه وجوه الاول انه لو كان معناه كليا غير مانع من وقوع الشركة فيه واللازم باطل فالملزوم
مثله بيان الملازمة ان المشتق لا يفيد الا انه شيء ما حصل له المشتق منه وهذا المفهوم غير مانع من وقوع الشركة
فيه واما بطلان اللازم فلانه لو كان كليا لما كان قولنا لا اله الا الله توحيدا مانعا من وقوع الشركة واللازم باطل فالملزوم
مثله بيان الملازمة انه اذا كان كليا غير مانع من وقوع الشركة فاثباته لا يكون موجبا للتوحيد المحض فان اثبات المفهوم
فان اثبات المفهوم الذي لا يقتضي ان يكون منحصرا في شخص واحد واما بطلان اللازم فلان العلماء المتقدمين والمتاخرين
متفقون على ان قولنا لا اله الا الله توحيد حق تام وفيه نظر فانه لا منافاة بين كونه علما وبين كونه مشتقا كالعباس
والحسن لجواز كونه علما مع كونه مشتقا بحسب الاصل ان يكون كليا باعتبار مدلوله العلمي اللهم الا ان يراد بكونه
مشتقا كونه مشتقا باعتبار مفهومه تعالى وحينئذ لا يلزم من امتناع كونه كليا باعتبار مفهوم الجلالة ان لا يكون
مشتقا باعتبار الاصل الثاني انه علم وليس بصفة فانه يوصف ولا يوصف به يقال الله الحي القيوم الواحد الصمد ولا
بعكس ولا يقال الحي القيوم القادر الله وقد اعترض على هذا بانه تعالى قال في اول سورة ابراهيم العزيز الحميد الله الذي له
فقد جعله وصفا لغيره اجيب بان فيه قراءتين الرفع وحينئذ لم يرد الاعتراض لانه حينئذ يكون مبتدأ وثانيا
والجر ولا يلزم ان يكون وصفا بل يكون بيانا نحو قولك هذا الكتاب الفقه العالم الفاضل النحرير زيد فانه لا يكون المراد منه
ان زيدا وصف العالم الفاضل النحرير بل المراد منه البيان فانه لما قال هذا الكتاب الفقه العالم الفاضل النحرير بقي
الاشتباه في انه من العالم الفاضل فقيل زيد بعده ليزيل هذا الاشتباه. الثالث ان صفاته تعالى لا بد لها
من موصوف يجري عليه لانه لو جعل الجميع صفات بقيت غير جارية على موصوف بها وهذا محال ولم يكن غيره من الاسماء

سوصرنا

موصوفا باتفاق فيتعين ان يكون هو موصوفا. الرابع قوله تعالى هل تعلم له سميا ليس المراد من الاسم فيه الصفة
لانه يعلم له سمي بحسب الصفة فتعين ان يكون المراد منه اسما غير صفة وليس ذلك غير لفظ الجلالة صفة ليس بعلم بوجوه الاول
ان الاسم العلم قائم مقام اسم الاشارة ولا يصح الاشارة اليه فلا يصح الاسم العلم في حقه. الثاني ان العلم انما يصار اليه
ليتميز شخص من شخص اخر مماثل له في الحقيقة فاثبات اسم العلم له غير مفيد. الثالث قوله تعالى وهو الله في السموات
وقوله تعالى وهو الله الذي لا اله الا هو تقريره ان قوله الله في الموضعين يجب ان يكون صفة ولا يصح ان يكون علما
اذ لا يصح ان يقال هو زيد في البلد ويجوز ان يقال هو العالم الزاهد في البلد ولا يصح ان يقال هو زيد الذي لا فاضل الا
هو واذا ثبت انه صفة امتنع ان يكون علما لما بينهما من التضاد والجواب عن الاول ان العلم هو الموضوع للذات
المعينة ولا يشترط ان يكون مشارا اليه بالاشارة الحسية والجواب عن الثاني ان العلم وضع لذات معينة
ولا يشترط ان يكون مماثل في الحقيقة والجواب عن الثالث انه نظير قولنا هو زيد في البلد لا نظير له في العلم والز[هد]
ولا يلزم ان يكون زيد صفة فكذا ههنا. الثالث انه من الاعلام الموضوعة اما على تقدير ان تكون اللغات توقيفية
فظاهر وكذا على تقدير ان يكون اصطلاحية فان لفظ الجلالة لا يزال يستعمل في الذات المخصوصة الجامعة لصفات
الالوهية من غير ان يكون مستعملة في غيره او فيه لا على وجه العلمية ودخول الالف واللام لا ينافي كونه علما موضوعا
ولا يستدعي ان يكون من الاعلام الغالبة فانه يجوز ان يكون عند اعتبار الالف واللام موضوعا بطريق العلمية. الرابع
انه من الاعلام المرتجلة فانه لو لم يكن وقط هذا اللفظ لغير الذات المخصوصة المتصفة بصفات الالوهية فان قيل
غايته انه لم يستعمل في غيره وعدم الاستعمال لا يستدعي عدم الوضع اجيب بان مباحث الالفاظ يكفي فيها الظهور
وعدم الاستعمال في غيره اصلا ورأسا يظهر منه عدم الوضع فانه لو كان موضوعا لغيره لكان مستعملا على تقدير ان يكون له
اصل مستعمل في غيره لا يقتضي كون هذا اللفظ موضوعا لغيره. الخامس اختلفوا في انه مشتق اولا وهذا الخلاف مرتب
على اصل اخر وعلم ماخوذ من اصل اخر فان كان الاول فلا يكون مشتقا وحينئذ يكون هذه بعينها موضوعة على سبيل العلمية
ويكون الالف واللام جزءا من الكلمة لم يكن للتعريف وان قلنا انه ماخوذ من اصل اخر فحينئذ لا يخلو اما ان يكون ذلك
الاصل مشتقا فكون لفظة الجلالة مشتقا اذا عرفت ذلك فنقول نقل عن سيبويه انه اصل مرتجل للعلمية
من غير اعتبار اصل ماخوذ منه وقد حكى اصحابه عنه قولين في اصله احدهما ان اصل الله اله على فعال بمعنى مفعول
من اله اي عبد فاؤها همزة وعينها لام والالف زايدة ولامها ها فاله بمعنى مالوه اي معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول
لانه موتم به فحذفت الهمزة التي هي الفا تخفيفا لكثرته في الكلام لا على التخفيف القياسي لانه لو كان حذفا على التخفيف
القياسي لم يلزم عوض واللازم باطل فالملزوم مثله بيان الملازمة انها اذا حذفت على التخفيف القياسي لانه لو كان حذفا
على التخفيف القياسي لم يلزم عوض واللازم باطل مثله بيان الملازمة انها اذا حذفت على التخفيف القياسي كانت ملغاة
في اللفظ منفاة في النية وكان حكمها حكم المثبت فلم يحتج الى عوض واما بطلان اللازم فلان الالف واللام عوض عن الهمزة
المحذوفة يدل على ذلك قطع الهمزة الداخلة على لام التعريف في النداء مثل يا الله فلو لم يكن عوضا لم تثبت في غير هذا الاسم
ولما خص هذا الاسم بقطع الهمزة فيه علمنا ان ذلك المعنى ليس في غيره وهو كونها عوضا عن المحذوف الذي هو الفا وهكذا
لما اثبت الفا في الاله لم تقطع الالف فان قطع همزة الوصل لا يجوز. قال صاحب التسهيل ليس اصل الله الاله
كما زعم الاكثرون بل هو علم دال على الحق الاله الجامع لمعاني الاسماء الحسنى كلها ما علم منها وما لم يعلم ولذلك يقال في اسم سوى الله
من الاسماء الكريمة انه من اسماء الله ولا ينعكس ولو لم يرد على من زعم ان اصل الله الاله الا انه مدع ما لا دليل عليه لكان ذلك
كافيا لان الله والاله مختلفان في اللفظ والمعنى اما في اللفظ فلان احدهما في النظام الذي لا عدول عنه الا بدليل معتل
العين اي الله الباري مهموز الفا صحيح العين واللام فهما من مادتين فردهما الى اصل واحد تحكم وزيغ عن سبيل التصريف
واما اختلافهما في المعنى فان الله خاص بربنا تبارك وتعالى في الجاهلية والاسلام والاله ليس كذلك ولذلك ليستخص بدركاه
مدلولات جميع الاسماء ولا يستخص بالاله الا ما يستخص بالمعبود وهذا بين وقول بعض الانصار باسم الاله وبه بدينا ولو

عبدنا غيره شقينا ثم مراد من زعم ان اصله الاله لايخلوا من امرين احدهما حذف الهمزة ابتدا ثم ادغام اللام في اللام فهذا
باطل لان حاصله ادعا حذف فا بلا سبب ولا مشابهة سبب من كلمة ثلاثية وهو ابعد من حذف العين واللام لان الاواخر وما
يتصل بها اجدر بالتغيير من الاوائل واما حذف الفا بسبب كحذف واو عدة او بمشابه سبب كحذف واو وقه فهو ثابت
في اللغة ولولا ان وقه بمعنى وق لتعين الحاقه بالثاني المحذوف السين كسفه ولثه فان قيل قد حذف الفا بلا
سبب في الناس فان اصله اناس فليحكم بذلك في الله مع الاله اجيب بانه لو صح ان الناس فرع اناس لم يجز ان يحمل عليه
غيره لان ذلك على تقدير صحته شاذ والحمل على الشاذ زيادة ويكثر من مخالفة الاصل دون سبب ملجي الى ذلك فكيف والصحيح
ان ناسا واناسا لفظان بمعنى واحد من مادتين مختلفتين احدهما انس والاخرى نوس كما ان الوقه والوقه لفظان بمعنى
واحد من مادتين مختلفتين وهما اسمان لهم معجون بزيد اوسم الثاني نقل حركة همزة الاله الى اللام وهو احق بالبطلان
لانه يستلزم مخالفة الاصل من وجوه احدها نقل حركة همزة الى مثل ما بعد الهمزة وذلك يستلزم اجتماع مثلين
وهو اثقل من تحقيق الهمزة بعد ساكن الثالث اسكان ما نقل اليه الحركة فانه موجب كون النقل علا كلا
عمل لان المنقول اليه كان ساكنا ثم حرك بحركة الهمزة الفاعلية وصونا عليها من تمحض الحذف فاذا سكن فات ذلك وعاد
الحرف على ما كان عليه قبل النقل الرابع ادغام المنقول اليه فيما بعد الهمزة التي نقلت حركتها في تقدير الثبوت فادغام ما
قبلها فيما بعدها كادغام احد المنفصلين في الاخر وقد اعتبر ابو عمرو بن العلا في الادغام الكبير الفصل بمحذوف واجب
الحذف نحو ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلم يدغم الغين في الغين فلان يعتبر الفصل بمحذوف غير واجب الحذف اولى قال
صاحب الكشاف الله اصله الاله معاد الاله ان يكون لطمسه ونظيره الناس اصله الاناس الامنينا فحذفت الهمزة
وعوض عنها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع وفيما ذكره بحث فان انشاد قوله قال معاد الاله اما البيان
ان اصل الله الاله اولان الاله مستعمل في الجملة او في الله بركه لما بعينه وذكرها لا بعينه والرابع غير مفيد للمطلوب
فان اطلاق الاله على الله لا يقتضي اختصاصه وايضا غير مناسب للمقام فان قيل ذكره لبيان ان اصل الله الاله وهو تفيد
هذا الغرض فانهما لفظان يطلقان على الحق تبارك وتعالى بمعنى واحد وبينهما توافق في اكثر الحروف يمكن رد احدهما الى الاخر
ولا يكون الاله ماخوذا من الله بالاتفاق فتعين العكس اجيب بانا لا نسلم انهما يطلقان على تعالى بمعنى واحد فان الاله
اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا
وكذا السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق
على غيره وعلى تقدير ان يكون اطلاقهما على الحق تبارك وتعالى بمعنى واحد لا يلزم ان يكون احدهما اصلا والاخر فرعا وتوافقهما
في اكثر الحروف لا يستدعي فرعية احدهما واصلية الاخر وامكان الرد يستلزم ان يكون احدهما ماخوذا من الاخر لا
بقال لو لم يكن احدهما ماخوذا من الاخر يلزم ان يكونا مترادفين والترادف على خلاف الاصل لانا نقول جعل احدهما اصلا
والاخر فرعا لا يمنع الترادف ويلزم مخالفة الاصل من وجوه كثيرة كما ذكره صاحب التسهيل واما قوله نظيره الناس
اصله الاناس ففيه نظر من وجوه اما اولا فلانه ليس نظير الله فان الناس والاناس بمعنى واحد من غير تفاوت بخلاف
لفظ الجلالة والاله وايضا لفظ الجلالة والاله يطلقان على الواحد بخلاف الناس والاناس فان قيل اراد به نظيره
في حذف الهمزة اجيب بانا لا نسلم ان الناس اصله الاناس في سبيل المنع ما ذكره صاحب التسهيل واما ما
ذكره من قوله قال ان المنايا تطلع على الاناس الامنينا فالكلام فيه كالكلام في قوله قال معاد الاله قال صاحب
الكشاف ومن هذا الاسم اشتق تاله واله واستاله كما قيل استنوق واستحجر من الناقة والحجر وفيه نظر فان لفظ
الاله مشتق وله اصل على زعم صاحب الكشاف فكيف يكون الافعال مجردة ومزيده مشتقة من الاسما المشتقة
بل يكون الافعال مشتقة من المصادر او يكون المصادر مشتقة من الافعال كما هو مذهب الكوفيين واما ان الافعال
من المشتقات فلم يذهب اليه ذاهب واما تشبيهه باستنوق من الناقة واستحجر من الحجر فغير صحيح فان الناقة والحجر
ليسا من المشتقات التي يمكن اخذ الافعال من اصولها بخلاف الاله القول الثاني من القولين اللذين حكاهما

صاحب

ان صاحب سيبويه عنه ان اصل لفظ الجلالة على وزن فعل فاؤه لام والالف منقلبة من الحرف الذي هو عين ولامه هاء
والذي يدل على ذلك قول بعضهم لهي بالتخفيف ابوك بمعنى لله ابوك قال سيبويه نقلت العين وجعلت اللام التي هي
الها ساكنة اذ صارت مكان العين كما كانت العين ساكنة في لاه وترك اخر الاسم مفتوحا كما تركوا اخر ان مفتوحا وانما
فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرته في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروه بالالف على هذا القول منقلبة عن اليا
لظهورها في موضع اللام المقلوبة اي موضع العين وهي في الاول زايدة غير منقلبة عن شي كفعال قال صاحب
التسهيل نقلا عن ابي العلا الفارسي ان فتحه بالهي فتحة بنا وسبب البنا تضمن معنى حرف التعريف قال وهذا عندي
ضعيف لان الالف واللام في الله زايدة مع التسمية مستغنى عن معناها العلمية فاذا حذفت لم يبق لها معنى يضمن والذي
اراه ان لهي مبني لتضمن معنى حرف موضوع كما قال الجمهور في اسم الاشارة انه بني لتضمن معنى حرف الاشارة
ومرادهم بذلك ان الاشارة معنى من المعاني المتسمة الحقيقية بان توضع لها حرف فاستغنى باسم الاشارة عن وضع
حرف الاشارة فلذلك قيل في حد اسم الاشارة بني لتضمن معنى التعجب اذ لا يقع لهي في غير تعجب كما لا يقع اسم
في غير الاشارة وهو مع بنايه في موضع جر باللام المحذوفة واللام المجرورة في موضع الرفع بمقتضى الخبرية وابوك
مرفوع بالابتدا انتهى كلام صاحب التسهيل واعلم ان الله على تقدير الاشتقاق يحتمل وجوها منها ان يكون مشتقا
من اله بالفتح الاهة اي عبد عبادة ومنه قرا ابن عباس ويذرك والهتك بكسر الهمزة قال وعبادتك وكان
يقول ان فرعون كان يعبد او من اله بالكسر اذا اسكن من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان العقول لا تسكن الا
الى ذكره او من اله اذا تحير فيه ولم يهتد اليه فالعبد اذا تفكر فيه تحير لان ما يتخيله الانسان ويتوهمه فهو بخلافه
او من اله الفصيل اذا ولع بامه لان العباد مولعون بالتضرع اليه في كل الاحوال او من اله الرجل اذا فزع من امر
نزل به او من وله اذا اشتد تحيره ومن اخواته دله وعله يبسطها معنى التحير والدهشة وذلك لان الاوهام تتحير
في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح ومن لاه اذا ارتفع
فانه سبحانه وتعالى ارتفع عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات او من لاه اذا احتجب ومعنى كونه محتجبا من
وجوه منها انه بكنه صمديته محتجب عن العقول ومنها انه لو قدر ان الشمس واقفة في وسط السما غير طالعة
ولا غاربة لكانت الانوار ثابتة على الجدران غير زايلة عنها فقد يخطر بالبال ان هذه الانوار الثابتة على الجدران
ذاتية لكن لما شاهدنا ان الشمس تغرب وعند غروبها نزول هذه الانوار عن الجدران علمنا ان هذه الانوار فايضة
عن قرص الشمس وكذا ههنا الوجود الحاصل لجميع المخلوقات كالنور الواصل من جناب القدس فلو قدر انه يصح على
الله الطلوع والغروب والغيبة والحضور لكان عند غروبه زوال ضوء الوجود عن الممكنات فحينئذ كان يظهر
ان نور الوجود منه لكنه لما كان الطلوع والغروب عليه محالا لا جرم خطر ببال بعض المنافقين ان هذه الاشياء
موجودة بذواتها ولذواتها فثبت انه لا سبب لاحتجاب نوره الا كمال نوره ولهذا قال بعض المحققين
سبحان من احتجب عن العقول لشدة ظهوره واختفى عنها بكمال نوره واذا كان كذلك ظهر حقيقة الصمدية
محتجبة عن العقول فالحق محتجب والخلق محجوبون ولام الله مفخمة اي مغلظة اذا فتح ما قبل الكلمة او ضم ومرققة
اذا كسر ما قبل الكلمة لقرب الرقيق من الامالة ذكر الزجاج ان تفخيم اللام سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم
عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر وحذفت الالف التي هي بعد اللام خطا تخفيفا ولانه لا يشبه اللات
لان منهم من يكتب اللات بالها **الرحمن الرحيم** قيل هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم وسلمان وسليم
وطفان وطيف ومعناهما ذو الرحمة والرحمة ارادة الخير باهله فيكون صفة ذات وقيل الرحمة ترك عقوبة
من يستحق العقوبة وابتدا بالخير الى من لا يكون صفة فعل فحمل بينهما الاتساع وفرق طايفة بينهما فقالوا الرحمن
فعلان من رحم كغضبان من غضب وسكران من سكر وهذا البنا لا يقع الا على مبالغة الفعل فغضبان للممتلي
غضبا وسكران لمن غلبه السكر والرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شيء والرحيم فعيل لمن رحم كمريض وسقيم

من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم فان الزيادة في الدنيا لزيادة المعنى ولذلك قيل الرحمن
العاطف على جميع خلقه كافرهم ومومنهم برهم وفاجرهم بان خلقهم ورزقهم قال الله عز وجل ورحمتي وسعت
كل شي والرحيم فعيل من رحم كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم فان الزيادة
في الدنيا لزيادة المعنى ولذلك قيل الرحمن العاطف على جميع خلقه كافرهم ومومنهم برهم وفاجرهم بان خلقهم
ورزقهم قال الله عز وجل ورحمتي وسعت كل شي والرحيم بالمومنين خاصة قال الله تعالى وكان بالمومنين رحيما
وقال بعضهم رحمان الدنيا والاخرة ورحيم الاخرة فالرحمن من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق
لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسما التي لا يستعمل في غير الله واما قول بني حنيفة في بني مسيلمة
رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم
فالرحمن خاص اللفظ من حيث لا يجوز ان يسمى به احد غير الله عز وجل عام المعنى من حيث انه يعم جميع الموجودات
من طريق الخلق والرزق والنفع والعدل في الاخرة والرحيم عام اللفظ من حيث اشتراك المخلوقين في التسمية
به خاص من طريق المعنى لانه يرجع الى اللطف والترفق وهذا معنى قول جعفر الصادق الرحمن اسم خاص بصفة
عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة قال ابن عباس اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر والرحمة في الاصل العطف
والحنو اي الميل ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها ووصف الله به على طريق المجاز فرحمة الله على عباده هي انعامه عليهم لان
الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم
ومنعهم خيره ومعروفه وانما قدم الرحمن الذي هو ابلغ الوصفين على الرحيم الذي هو دونه والقياس الترقي من
الادنى الى الاعلا كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لان الرحمن يتناول جلايل النعم وعظايمها واصولها
فذكره اولا ثم اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف وروى الثعلبي باسناده عن مجاهد
قال الرحمن باهل الدنيا الرحيم باهل الاخرة وجا في الدعا يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وعن الضحاك الرحمن باهل
السماء حين اسكنهم السموات وطوقهم الطاعات وجنبهم الافات وقطع عنهم المطامع واللذات والرحيم باهل
الارض حين ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب وعن عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بماية رحمة اقتباسا
من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل مائة رحمة وانه انزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه
فيها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة وفي رواية اخرى
ان الله قابض هذه الى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة وقال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل
اعطى والرحيم الذي اذا لم يسئل غضب تدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لا يسئل الله يغضب عليه فنظمه الشاعر الله يغضب ان تركت سواله وبني ادم حين يسئل يغضب
وعن ابي بكر الوراق الرحمن بالنعما وهي ما اعطى وحبا والرحيم بالالاء وهي ما صرف وروى وقال محمد الترمذي
الرحمن بالانقاذ من النيران بيانه وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم الجنان بيانه
ادخلوها بسلام امنين وقال المحاسبي الرحمن برحمة النفوس والرحيم برحمة القلوب وقال السري الرحمن بكشف
الكروب والرحيم بغفران الذنوب وقال عبد الله بن الجراح الرحمن بتبيين الطريق الرحيم بالعصمة والتوفيق
وقال مطر الوراق الرحمن بغفران السيات وان كن عظيمات والرحيم بقبول الطاعات وان كن غير صافيات
وقال يحيى بن معاذ الرازي الرحمن بمصالح معايشهم والرحيم بمصالح معادهم وقال الحسن بن الفضل الرحمن الذي
يرحم ويقدر على كشف الضر ودفع الشر والرحيم الذي يرق وربما لا يكشف وقال ابو بكر الوراق
الرحمن بمن جحده والرحيم بمن وحده والرحمن بمن كفره والرحيم بمن شكره والرحمن بمن قال ندا والرحيم بمن قال
فردا واختلف في رحمن هل هو منصرف او غير منصرف قال صاحب الكشاف قسه على اخواته من بابه نحو عطشان
وغرثان من الغرث وهو الجوع وسكران فلا اصرفه ثم قال فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون

فعلان

فعلان فعلى واختصاصه بالله حظر ان يكون فعلان فعلى فلم يمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مونث
على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مونث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض
فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظايره تقرير الجواب ان يقال ان الاصل يقتضي ان
يكون للرحمن فعلى كاكثر اخواته نحو عطشان وغرثان وسكران وقد عرض اختصاصه بالله تعالى فمنع ان يكون له
مونث على فعلى لاختصاصه بالله تعالى كما منع ان يكون له مونث على فعلانة كندمانة وانتفا فعلى يقتضي الصرف
وانتفا فعلانه يقتضي الصرف وانتفا فعلانه يقتضي منع الصرف فتعارضا وانتفا فعلى وانتفا فعلانه لزما من العارض
الذي هو الاختصاص بالله فاذا لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض لان الاختصاص العارض كما اقتضى
انتفا فعلى المقتضي للصرف كذلك اقتضى انتفا فعلانه المقتضي لمنع الصرف فيقطع النظر عنه فوجب الرجوع الى الاصل
قبل الاختصاص العارض والاصل القياس على نظايره اي الحاقه بنظايره وهو يقتضي ان يكون له فعلى الحاقا باكثر
اخواته كعطشان وسكران لانه الحاق للفرد بالاعم الاغلب لان فعلان فعلى الاكثر وبه يندفع بهذا ما قال صاحب
الانتصاف ليت شعري بعد امتناع فعلانه وفعلى ما الذي عين قياسه على عطشان دون ندمان مع ان قياسه على
ندمان معتضد بما هو الاصل في الاسما وهو الصرف لان فعلان فعلى اكثر من فعلان فعلانه فالحاقه بما هو اكثر اولى وان
كان قياسه على ندمان معتضدا بالاصل في الاسما الذي هو الصرف لان هذا الاصل غير معتد به لبعده واعلم ان الالف
والنون المزيدتين من اسباب منع الصرف وقد اختلفوا في جهة كونه سببا فذهب بعض النحويين الى ان الاسم الذي
فيه الالف والنون كسكران لا ينصرف للالف والنون لا للمشابهة بشي اخر وقيل ان الالف والنون انما تكون سببا
لمنع الصرف لان النون في الاصل بدل من الهمزة فاصل سكران سكرى واستدل على ذلك بقول العرب في النسب
الى بهرا بهراني فابدلوا النون من الهمزة وهذا على خلاف القياس قال الجوهري بهرا قبيلة من قضاعة والنسبة
اليهم بهراني مثل بحراني على غير قياس لان قياسه بهراوي بالواو واذا كان شاذا لا يجعل اصلا في اثبات كون النون عوضا
من الهمزة في سكران وايضا لا مناسبة بين الهمزة والنون فلا وجه لجعل احدهما عوضا عن الاخر وقال
البصريون ليس للالف والنون دلالة على شي يصير به فرعا لا اصلا فلا يكون بانفراده سببا بل من حيث انه
شابه الفي التانيث يكون سببا قيل المراد بالفي التانيث وان كان الالف هو الاول لانه لمد الصوت
والثاني همزة لان اصل حمرا حمرى كسكرى فزيدت لمد الصوت الفا وليس هو الف التانيث لان علامة التانيث
لا تقع حشوا فالتقى ساكنان الالف والاولى الذي هو لمد الصوت والالف الثاني الذي هو التانيث فلم يحذف
الاول والالادى حلها الى حد فيكون الجلب عبثا ولا الثاني لانه علامة التانيث فتعين التحريك وتحريك
الاول يستلزم زوال المقصود الذي هو مد الصوت فتعين تحريك الثاني ولكون الثاني اقرب الى موضع
التغير وهو الطرف والالف المتحرك همزة وسمي الثاني الف التانيث نظرا الى الاول وسمي الاول ايضا الف
التانيث بالمجاوزة وقيل المراد بهما الف المقصور والثاني من الممدود فاذا اعتبر القول الاول فالمشابهة
تقع للالف والنون بمجموع الالفين فاذا اعتبر القول الثاني يعتبر المشابهة بكل منهما على انفراده ووجه
المشابهة ان الالف والنون زايدتان في اخر الاسم كما ان الفي التانيث كذلك وانهما لا يدخل عليهما تا التانيث
كما لا يدخل على الفي التانيث وان الاول من الزايدتين الالف وانهما زيدتا معا في اخر الاسم فانه لم يستعمل
سكرا ثم الحق به النون كما في حمرا والاخيران انما يعتبران على القول الاول فان قيل لم لا يجوز ان يكون الاصل سكرا
ثم الحق النون للمذكر اجيب بانه لا يجوز ان ينقلب الاصل فرعا والفرع اصلا فان المذكر اصل والتانيث
فرع كما ذكرنا ولحوق علامة التانيث متاخر عن المذكر فان قيل علامة المذكر لم تلحق الاسم الذي اطلق على المونث
في العدد فلم لا يجوز ان تكون هاهنا كذلك اجيب بان التا في العدد علامة تانيث الجماعة وحذفت في
التانيث للفرق فصار التا علامة للتذكير بالعرض ومنهم من شرط ان يكون قبل الالف ثلاثة احرف احترازا

رض

عن بدان و ندمان اذا سمي بهما وهذا ليس بشي فان الامتناع من الصرف انما هو بسبب زيادتهما مع المشابهة
المذكورة وكما لا يعتبر هذا الشرط في المونث لا يعتبر هنا واذا تقرر هذا فنقول الالف والنون اما ان يكونا في اسم
غير صفة او في صفة والاول شرط كونهما مانعا من الصرف العلمية لان العلمية تقوي شبههما بالالف والنون
بالفي التانيث وذلك لانه اذا كان علما امتنع دخول تا التانيث عليه كما امتنع دخول تا التانيث فيما فيه الفا التانيث
واذا لم يكن علما لا يمتنع دخول تا التانيث عليه ولهذا يقال للمذكور مرجان وللمونث مرجانة وكذلك سعدان
وسعدانة فعلى هذا الوسمي بندمان امتنع من الصرف وان كان صفة فقد اختلفوا فيه فقيل شرطه انتفا فعلانة
ليتحقق المشابهة بامتناع دخول التا وقيل شرطه وجود فعلى لانه اذا كان له فعلى لم يقل فيه فعلانة استغنا
بفعلى عنه فامتنع دخول التا فيحصل الشبه به ومن اجل هذا الاختلاف اختلف في رحمان دون سكران وندمان
وقد علم بالاستقرا منع الجمع بين فعلى وفعلانة دون الحلق فانه جايز فيهما فما تحقق فيه فعلى كسكران يكون ممتنعا
من الصرف بالاتفاق لوجود فعلى وانتفا فعلانة كندمان يكون منصرفا بالاتفاق لانتفا فعلى ووجود فعلانة وما لم
يتحقق فيه واحد منهما كرحمن فمختلف فيه فمن اعتبر انتفا فعلانة يكون عنده غير منصرف لوجود الشرط ومن اعتبر
وجود فعلى يكون منصرفا عنده لانتفا الشرط واعتبار الاول اي انتفا فعلانة اولى واليه ذهب الاكثرون لوجهين
احدهما ان ما فيه الالف والنون ممنوع من الصرف لشبه الالف والنون بالفي التانيث وشبههما بهما بامتناع دخول
التا عليه فانتفا فعلانة مصحح للشبه المانع من الصرف فاذا انتفى فعلانة فقد حصل المقصود والثاني انه لو قدر استوا
الامرين فانتفا فعلانة اولى بالاعتبار لانه الاكثر في كلامهم فيحمل على ما هو الاكثر الا ترى ان باب سكران اكثر من
باب ندمان فاذا احتمل ان يكون من كل منهما فحمله على ما هو الاكثر اولى **الحمد لله** اعلم ان هاهنا ثلاثة الفاظ متقاربة
المعنى وهي المدح والشكر والحمد فالمدح هو الثنا الحسن القولي للحي وغيره ثابت للانسان والحيوان غير الانسان
والجماد نحو اللولو والياقوت ولا يقتضي ان يكون في مقابلة الاحسان والحمد هو الثنا الحسن القولي على الجميل
للحي العالم القادر المختار من نعمة وغيرها يقال حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وهو ما يعد الانسان
من مفاخر ابايه ويقال حسبه دينه ويقال ما له حسب قال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم
يكن له اباء لهم شرف والشرف والمجد لا يكونان الا بالابا فالحمد اخص مطلقا من المدح وهو غاية المدح يقال حماد ل
اي فعل كذا اي قصاراك وغايتك ومن الملح ما قيل لما كان نهاية المدح بداية الحمد روعي هذا في اللفظ فجعل
الحا الذي هو اخر المدح اول الحمد ولا يقال المدح لله او مدحت الله لانه لا يدل على كونه فاعلا مختارا فلا يدل على اعترا
بانه فاعل مختار بخلاف الحمد لله فانه يدل على انه معترف بانه عالم قادر فاعل مختار والشكر هو الثنا الحسن بما اولاه
من المعروف فيكون الشكر على النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال الله تعالى اعملوا ال داود
شكرا وقد انشد صاحب الكشاف قول الشاعر • افادتكم النعما مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا •
في معرض بيان ان الشكر بالقلب واللسان والجوارح ولا يخفى انه لا يفيد الغرض والحمد باللسان وحده قال
تعالى • وقالوا الحمد لله وقالا الحمد لله • وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
فالحمد احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده لان ذكر النعمة باللسان
والثنا على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفا عمل القلب ولما في عمل الجوارح من
الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه فبين الحمد والشكر عموم
وخصوص من وجه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وقيل في الفرق بينهما ان المدح مطلق الثنا سوا
استحقه الممدوح اولا والحمد هو الثنا على من يستحقه سوا احسن الى الحامد اولا والشكر انما يكون لمن احسن الى
الشاكر وقيل الحمد الثنا على الرجل بما فيه والشكر الثنا عليه بما منه وقد يوضع الحمد موضع الشكر يقال حمدته
على معروفه عندي كما يقال شكرته ولا يوضع الشكر موضع الحمد فلا يقال شكرته على علمه وقيل الحمد لله على ما

حبا

حمد وهو النعما والشكر على ما زوي وهو البلاء وقيل الحمد على النعما الظاهرة والشكر على النعما الباطنة قال الله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل الحمد لله ابتدا والشكر جزا **واعلم** ان التعريف اما ان يعتبر
بالنسبة الى الحقيقة من حيث هي معقولة متحدة ممتازة عن ساير الحقايق وحينئذ ان عبر عنها باسم فقط يسمى
ذلك الاسم علم جنس كاسامة وثعالة وان عبر عنها باسم جنس معرف باللام يسمى تعريف جنس وقد يسمى تعريف
الحقيقة مثل قولهم الرجل خير من المراة والدينار خير من الدرهم واما ان يعتبر بالنسبة الى الافراد فان كان بحسب
العموم وعبر عنها باسم جنس محلى باللام يكون اللام للاستغراق مثل قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
وان كان بحسب الخصوص وعبر عنه باسم محلى باللام لتعريف العهد فثبت ان الالف واللام تستعمل تارة لتعريف
الجنس وتارة للعهد وتارة للاستغراق والذي للاستغراق تارة تكون حقيقة كما في قوله تعالى ان الانسان لفي
خسر الا الذين امنوا وتارة تكون مجازا لتقدير خصايص جمع الافراد في فرد على معنى انه الكامل في ذلك الجنس
الجامع لخصايصه كقولك الرجل كل الرجل والذي للعهد ينقسم الى قسمين عهد خارجي وعهد ذهني والعهد
الخارجي هو الذي يكون مسبوقا بتقدم ذكره تحقيقا كما في قوله تعالى الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ويسمى
عهدا حقيقة وتقديرا كقولك انطلق رجل والمنطلق شاعر ويسمى عهدا مجازا الا دلالة انطلق على منطلق المقدر
بطريق المجاز ويكون حاضرا مشاهدا كقولك لمن سدد سهما القرطاس والله والعهد الذهني هو ان يقصد الى الحاضر
في الذهن تحقيقا او تقديرا بان يكون الشي محتاجا اليه فكانه هو الحاضر في الذهن او بوجه اخر وهذه الوجوه تارة
تكون على وجه التهكم وتارة تكون على سبيل التحقيق واعلم ان الالف واللام يحتمل ان يكون موضوعا لخصوصية
كل منها اي من تعريف العهد وتعريف الجنس وتعريف العموم حتى يكون مشتركا اشتراكا لفظيا او تكون موضوعا
للقدر المشترك بين هذه الثلاثة حتى يكون اطلاقه عليها بطريق التواطو او يكون موضوعا لاحدهما واستعماله للاخر
بطريق المجاز وحينئذ اما ان يكون موضوعا للعهد واستعماله في العموم والجنس بطريق المجاز او يكون موضوعا
للجنس واستعماله في العهد والجنس بطريق المجاز والاولى ان يقال انه ظاهر في العموم فانه يستعمل لغير قرينة
والظاهر انه للتعريف بشرط العموم قال صاحب الكشاف التعريف في الحمد هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو
تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق
الذي يتوهمه كثير من الناس وهم وقيل كانه اراد صاحب الكشاف بهذا القول ان بعض الحمد لغير الله تعالى بنا
على مذهبه وهو ان افعال العباد مقدورة لهم وليس كذلك فانه لا حمد الا لله تعالى بعم تعريف الجنس ليس مما
يقتضي الاستغراق ولكن يحتمله فان لم يمنع مانع اقتضاه المقام كان مرادا منه ولما كان الحمد الوصف بالجميل
على جهة التعظيم والله تعالى خالق كل جميل وجمال وكمال وخالق من له الجمال والكمال وخالق لكل ما يستحق به
الحمد من الافعال فله الحمد بالحقيقة وان اضيف في الظاهر الى غيره وقيل الظاهر ان مراده ليس هذا فانه اراد
جعل الجنس ايضا يحصل هذا المعنى وهو ان الحمد كله لله لانه يكون معناه ان جنس الحمد مختص بالله تعالى
فان اللام في لله للاختصاص فلو كان لغيره حمد لا يكون جنس الحمد مختصا بالله تعالى وهذا ابلغ من ان يكون للاستغراق
والحق انه يصح ان يكون التعريف هاهنا بكل من المعاني اما الحقيقة فلان حقيقة الحمد المعقوله الممتازة عن ساير
الحقايق لله تعالى واما العموم بحسب الحقيقة فلان جميع افراد الحمد لله تعالى واما العموم بحسب المجاز فلان الفرد
من الحمد الجامع لخصايص جميع الافراد الكامل في جنس الحمد لله تعالى واما العهد الخارجي فلان الحمد الخاص الذي هو
المقارن لكل امر ذي بال لله تعالى واما العهد الذهني فلان الحاضر في الذهن تحقيقا او كالحاضر في الذهن للحاجة
اليه او بكونه عظيم الخطر معقود الهمم لله تعالى فيعتبر الحمد بجميع المعاني وينتسب الى الله بصحة اطلاق اللفظ
المشترك على جميع المعاني الحقيقية والمجازية اذا لم يكن بينها تضاد والحمد مبتدا خبره الظرف الذي هو لله قال
صاحب الكشاف واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبه العرب

ستغراق

بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك اي اسبحك سبحانك ومعاذ
الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة
والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتدا للدلالة على اثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال
سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على
معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه
بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاولى ان لا يجعل اصله النصب لانه حينئذ يحتاج الى
تقدير فعل والاصل عدم التقدير ثم واحسن لوجوه احدها انه لو قال احمد الله افاد كون القايل حامدا اما اذا قال
الحمد لله فقد افاد ذلك انه كان محمودا قبل حمد الحامدين فهو محمود من الازل الى الابد بحمده القديم وكلامه القديم
سوا حمد او لم تحمدوا وثانيها ان قوله الحمد لله يقتضي ان الحمد حق الله تعالى يستحقه لذاته بسبب كثرة اياديه واسباغ
نعمه الظاهرة والباطنة على العباد وقوله احمد الله لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد واللفظ المفيد لكونه مستحقا
للحمد اولى من اللفظ الدال على ان شخصا حمده وثالثها انه لو قال احمد الله لكان قد حمد لكن حمدا يليق به اما اذا قال
الحمد لله فكانه قال من انا حتى احمده لكنه محمود بجميع حمد الحامدين ورابعها ان الحمد عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد
كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والاجلال فاذا تلفظ الانسان بقوله احمد الله مع انه كان غافلا
عن معنى التعظيم اللايق بجلال الله كان كاذبا لانه اخبر عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك اما اذا قال
الحمد لله فسوا كان غافلا او مستحضرا لمعنى التعظيم فانه يكون صادقا لان معناه الحمد حق لله وهذا المعنى حاصل سوا
كان الانسان مشتغلا بمعنى التعظيم والاجلال او لم يكن فثبت ان قوله الحمد لله اولى من قوله احمد الله وقوله الحمد لله
اولى من قوله الشكر لله لان قوله الحمد لله ثنا ويدل على الجميل من نعمة وغيرها والشكر بحسب انعام وصل الى الشاكر
ولا شك ان الاول افضل واعلم انه لا يقال مدحت الله ولا المدح لله ولا يقال الحمد للملك ولا للانسان وغيره
اما الاول فالسر فيه ان المدح حاصل للحي وغيره وللفاعل المختار وغيره فاذا قيل المدح لله لم يدل ذلك على كونه فاعلا
مختارا اما اذا قيل الحمد لله فيدل على كون القايل مغيرا بانه فاعل مختار لا موجب بالذات واما الثاني فلانه لا يستحق
الحمد الا الله وقوله الحمد لله اولى من قوله الحمد لرب العالمين او للخالق او للقادر او للعالم او لغيرها من الاسماء
والصفات لان الله اسم للذات الجامعة لصفات الكمال فالحمد لله حمد له على جميع الصفات الكمالية بخلاف الحمد
لرب العالمين او للخالق واعلم ان اللام في قوله لله يحتمل الاختصاص اللايق نحو الجل للفرس والملك نحو الدار لزيد
والقدرة والاستيلا نحو البلد للسلطان فان الحمد لا يليق الا بالله تعالى لغاية جلاله ونهاية افضاله ولانه تعالى مالك
الكل فهو يملك كونهم مشتغلين بحمده ولانه موجد الكل قادر عليه والاستيلاء والقدرة له تعالى قيل الحمد لله يحتمل
ان يكون اخبارا اخبر الله تعالى به والفايدة فيه انه بين ان حقيقة الحمد لله وتحصيل كل الحمد له لا لغيره ويحتمل ان
يكون هذا ثنا اثنى به على نفسه علم عباده في اول كتابه ثنا عليه وشكر اله ويكسبون بقوله وبتلاوته اعظم الثواب
ويكون المعنى قولوا الحمد لله فيضمر القول ها هنا كما يضمر في قوله والذين اتخذوا من دونه اوليا ما نعبدهم الا
ليقربونا معناه يقولون ما نعبدهم والاحتمال الثاني ضعيف لان الاضمار انما يصار اليه لتصحيح الكلام وهذا الاضمار
موجب لفساد الكلام لان قوله الحمد لله اخبار عن كون الحمد حقا لله وملكا وهذا كلام تام في نفسه فالاضمار يزيل
هذا المعنى **قوله تعالى** رب العالمين الرب جا بمعنى المعبود قال الشاعر ارب يبول الثعلبان براسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب وبمعنى السيد المالك كقولهم رب العبيد والدار وبمعنى القايم بالامور المصلح لما يفسد
فيها قال لبيد واهلكن يوما رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر وقولهم اديم مربوب اي مصلح وبمعنى
الملك ومنه قول صفوان بن امية لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن وبمعنى
المربي من التربية التي هي تبليغ الشي الى كماله شيا فشيا قال الشاعر رب الذي ياتي من الخير انه اذا

فعل

فعل المعروف زاد وتمما يقول ربه يربه فهو رب كما يقول نم عليه ينم فهو نم مثل بر وطب ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة
كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك وقوله انه ربي احسن مثواي وذلك انه لا يملك الكل
غير الله عز وجل والالف واللام يدلان على العموم ورب العالمين بجميع المعاني يصح ان يوصف به تعالى فانه هو المعبود
المالك القايم بالامور المصلح لما يفسد فيها الملك المربي للعالمين جميع العالم وهو اسم لذوي العلم من الملايكة والثقلين
الجن والانس وقيل هم بنو ادم شاهده قوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين وقيل الانس والجن لقوله للعالمين نذيرا
وقيل اسم لكل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض وبالجملة اسم لجميع المخلوقات لان كلا من المخلوقات يعلم به الخالق
وانما جمع ليشمل كل جنس مما سمي بالعالم والتحقيق فيه ان كل ما جمع من اسما الاجناس ثم يعرف تعريف العموم يفيد
امرين احدهما ان ذلك الجنس تحته اجناس مختلفة والجمع يفيده وثانيهما انه مستغرق لكل جنس سمي به والتعريف
يفيده والعالم اسم غير صفة وانما جمع بالواو والنون لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم او العلامة اما
اذا كان الدلالة على معنى العلم فلاختصاصه بذوي العلم واما اذا كان الدلالة على معنى العلامة فالتغليب فانه لما
كان في المخلوقات ذوو العلم غلب جانبهم قال بعض المحققين من المتكلمين العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى
سمي به لدلالته على وجوده تعالى وكل ما سوى الله اما ان يكون متحيزا او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك والمتحيز
جسم ان قبل القسمة والا فجوهر فرد والجسم اما ان يكون من الاجسام العالية التي هي الافلاك والكواكب والعرش
والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة او من الاجسام السفلية وهي اما بسيطة وهي العناصر الاربعة
الارض والما والهوا والنار او مركبة وهي المعادن والنبات والحيوان على كثرة اجناسها وتباين انواعها وصفة
المتحيز هي الاعراض وهي اجناس كثيرة والتي ليست بمتحيز ولا صفة للمتحيز هي الارواح سفلية خيرة هم صالحو
الجن وشريرة خبيثة الشياطين وعلوية متعلقة بالاجسام وهي الارواح الفلكية وغير متعلقة بها وهي الارواح
المطهرة المقدسة فهذه اقسام العالم **قوله تعالى** الرحمن الرحيم وقف كاف لان النبي صلى الله عليه وسلم وقفه
ولان بعده ما فيه معنى القوة والجبروت وفيهما بعد عن الرحمة **قوله تعالى** مالك يوم الدين قرا عاصم والكسائي
مالك يوم الدين والباقون من السبعة ملك يوم قيل هما بمعنى واحد وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم
الى الوجود ولا قادر على ذلك الا الله وقيل مالك من الملك والملك بفتح الميم وكسرها وملك من الملك بضم الميم
قال صاحب الكشاف ملك هو الاختيار لقراة اهل الحرمين الذين هما موضع النزول ولقوله تعالى لمن الملك
اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص وقيل الملك هو الاختيار لان الله تعالى وصف نفسه بانه
مالك كل شي بقوله رب العالمين فذكر مالك يوم الدين بعده خال عن الفايدة وهذا ليس بشي لان ذكر الخاص بعد
العام قد يفيد فوايد جليلة وها هنا قد افاد عظم يوم الدين شاهده قوله تعالى الا يظن اوليك انهم مبعوثون
ليوم عظيم وفي القران وقع ذكر الخاص بعد العام كثيرا مثل وبالاخرة هم يوقنون بعد قوله يومنون بالغيب
والغيب يعم الاخرة وغيرها وقوله تعالى وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى هو الله الخالق البارئ
المصور وذكر الرحيم بعد الرحمن ولان الرب بمعنى الملك ايضا قال الراغب الملك هو المتصرف في جميع الاشيا والملك
هو المتصرف على الجمهور بالامر والنهي والمالك اجمع واوسع يقال الله مالك الطيور والدواب والوحوش وكل شي
ولا يقال ملك كل شي وانما يقال ملك الناس ولا يكون مالكا للشي وهو لا يملكه كقولهم ملك العرب والعجم والترك
وقيل المالك هو الاختيار لان فيه زيادة الحسنات وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القران فله بكل حرف
عشر حسنات ويوم الدين يوم الجزا اي يوم يدين الله العباد باعمالهم يقول العرب دنته بما فعل اي جازيته ومنه
قوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون ومنه قولهم كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى وبيت الحماسة ولم يبق سوى
العدوان دناهم كما دانوا ومعنى قوله تعالى مالك يوم الدين انه ينفرد في ذلك اليوم بالحكم بخلاف الدنيا فانه يحكم

فيها الولاة والقضاة ولا يملك احد الحكم في ذلك اليوم الا الله وتقدير الاية مالك يوم الدين الاحكام وحذف المفعول
للدلالة عليه واضيف اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع اجرى الظرف مجرى المفعول به لقولهم يا سارق الليلة اهل
الدار والمعنى على الظرفية اى مالك الامر كله فى يوم الدين لقوله لمن الملك اليوم واضافة اسم الفاعل ههنا اضافة
حقيقية لانه بمعنى الاستمرار او بمعنى الماضى مفيدة للتعريف فساغ وقوعه صفة للمعرفة وان جعلته بمعنى
الاستقبال يكون الاضافة لفظية غير مفيدة للتعريف فيكون بدلا لا وصفا وصح ان يكون اضافة اسم الفاعل ههنا
الى المفعول به بان يكون يوم الدين مفعولا به ويكون المعنى ان الله تعالى يملك يوم الدين ان يأتى به كما يملك ساير الامم
وخصصه بالذكر لعظمه فى جمعه وحوادثه واعلم ان بعد الدلالة على الاختصاص الحمد لله تعالى وان الحمد به حقيق
فى قوله الحمد لله اجرت هذه الاوصاف عليه سبحانه وتعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شى من ملكوته
وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله فى العاقبة
يوم الثواب والعقاب ليدل على ان من كانت هذه اوصافه حقيق بالحمد والثنا عليه بما هو اهله **فايدة**
انه تبارك وتعالى ذكر فى هذه السورة من الاسما الحسنى خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والملك والسر
فيه ان يقول خلقتك اولا فانا اله ثم ربيتك باسباغ النعم الظاهرة والباطنة فانا رب ثم عصيت فسترت فانا
رحمن ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد من ايصال الجزا فانا ملك يوم الدين وذكر الرحمن مرة فى التسمية
واخرى فى اثنا السورة فوقع التكرر فيها بخلاف الاسما الثلاثة تنبيها على ان العناية بالرحمن اكثر منه بساير الامور ثم
لما بين الرحمة المضاعفة ذكر مالك يوم الدين حذرا من الاغترار ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين قال صاحب الكشاف ايا ضمير منصوب منفصل واللواحق التى
تلحقه من الكاف والها والياء فى اياك واياه واياى لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لهذه اللواحق من
الاعراب كما لا محل للكاف فى ارايتك وليست هذه اللواحق باسما مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون
واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب فلما بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشى شاذ لا يعمل عليه حجة الاخفش
ان ايا على وجه واحد لاستواره عليه وجوه الاعراب وهو علامة كونه مضمرا فيمتنع اضافته الى ما بعده وهو مبهم
مبنى عن المنصوب زيدت الكاف والها تفرقة بين المخاطب والغايب والمتكلم وقال الخليل ان ايا اسم
مضمر اضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف فهذه اللواحق مجرورة المواضع باضافته اليها وحجته ما حكاه
واجيب بانه شاذ وهذا جواب عن قول من يقول ان ايا مظهر لان المضمر لا يضاف اذ لا معنى له سوى الاشارة
التى هى التعريف وعند الاضافة ينسخ الاسم عن التعريف فيلزم من تجويز الاضافة تعطيله عن المعنى راسا وذلك
غير جايز وقد اضيف هنا فلا يكون مضمرا وحكى عن بعض الكوفيين ان الكاف والها والياء اسما مضمرة لكنها
لا تقوم بانفسها ولا يكون الا متصلات فاذا تقدمت الافعال جعل ايا عمادا لها فيقال اياك واياه واياى واذا
تاخرت اتصلت بالافعال واستغنى عن ايا فالكاف والها والياء فى اياك واياه واياى كهى فى نصرك ونصره ونصرى
واياك عماد كالنون فى نصرى ووجه فساده ان الضمير لا يعمل بما هو اكثر منه وحكى عن بعضهم ان اياك بكماله اسم مضمر ولا
يعرف اسم مضمر يتغير اخره غيره واياك يستعمل متقدما على الفعل مثل اياك نعبد ولا يستعمل موخرا عن الفعل
الا ان يفصل بينه وبين الفعل فيقال ما نصرت الا اياك ونحوها والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
ثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة وقوة النسج وطريق معبد اذا كان مذللا بالاقدام وسمى العبد به لذلته
وانقياده لمولاه وذلك لم يستعمل الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وكان حقيقا باقصى غاية الخضوع
وقيل العبادة سياسة النفس على حمل المشاق فى الطاعة وقيل العبادة هى الفعل الذى يوتى به لغرض تعظيم
الغير اى نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك ونخصك بطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها ولا نستعين
غيرك يقال استعنته واستعنت به وقرنت الاستعانة بالعبادة جمعا بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين

ما يطلبونه

ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته وقدم العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة يستدعى
الاجابة اليها واطلقت الاستعانة لتناول الامور كلها قال صاحب الكشاف لتناول كل مستعان فيه
ثم قال والاحسن ان يراد الاستعانة به وتوفيقه على ادا العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة
كانه قيل كيف اعينكم قالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاوم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض
وانما كرر اياك ليكون ادل على الاخلاص فانه يفيد المبالغة فى تخليص الاستعانة كالمبالغة فى تخليص العبادة
وتخصيصه بها وقيل اياك نعبد لانك خلقتنا واياك نستعين لانك هديتنا وقيل اياك نعبد لانك الصانع
واياك نستعين لانا المصنوع لا غنى به عن الصانع اياك نعبد لتدخلنا الجنان واياك نستعين لتعيذنا من النيران
اياك نعبد لانا عبيدك واياك نستعين لانك كريم مجيد اياك نعبد لانك المعبود بالحقيقة واياك نستعين
لانك المستعان به فى كل شى وانما قدم المفعول ليفيد التخصيص وليكون نظرهم من الله الى العبادة لا من العبادة
اليه والمراد بالنون فى نعبد ونستعين نون الجمع لا نون التعظيم وانما قال نعبد ولم يقل اعبد ليكون ذاكر العبادته
مخلوطة بعبادة جميع العابدين تنبيها على ان عبادته لم تبلغ الى حيث يستحق ان يذكر وحدها لانها ممزوجة بجهات
من التقصير ولكنها يخلطها بعبادة جميع العابدين قال صاحب الكشاف فان قلت لم عدل عن لفظ
الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى التفات فى علم البيان ولا يختص الالتفات بنقل الكلام من لفظ
الغيبة الى لفظ الخطاب كما فى هذا الموضع ومن الخطاب الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين
بهم ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد يكون من التكلم
الى الغيبة نحو قوله تعالى ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم ومن الخطاب الى التكلم
ومن التكلم الى الخطاب واعلم ان محسنات الكلام على قسمين قسم يرجع الى اللفظ وقسم يرجع الى المعنى
والالتفات من القسم الثانى وهو بهذا الاعتبار من علم البيان وله اعتبار وهو اخراج الكلام لا على مقتضى
الظاهر وهو بهذا الاعتبار من علم المعانى والعرب يستكثرون منه وذلك على عادة افتنانهم فى الكلام
وتصرفهم فيه فانهم يرون ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع
واكثر ايقاظا للاصغا اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقع الالتفات بلطائف شريفة
وفوايد لطيفة وقد التفت امرء القيس ثلث التفاتات فى ثلثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلى
ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العاير الارمد وذلك من خبر جاءنى وخبرته عن ابى الاسود
قال صاحب المفتاح وليس امرء القيس يبعد ان يكون حين قصد تهويل الامر العظيم واستفظاعه
فى النبا والخبر المفجع المحرق للقلب والكبد فعلى ذلك منها فى الالتفات الاول على ان نفسه وقت ورود ذلك
النبا عليها ولهت وله الثكلى فاقامها مقام المصاب الذى لا يتسلى الا بنفح الملوك له وتحزنهم عليه واخذ يخاطبه
بتطاول ليلك تسلية ادنته على ان نفسه لفظاعة شان النبا ابدت قلقا وضجرا وكان من حقها ان تتثبت
وتتبصر فعل الملوك وجريا على سننها المسلوك عند طوارق النوايب وبوارق المصايب تجبن لم يفعل
شككته فى انها نفسه فاقامها مقام مكروب ذى حرق قايلا له تطاول ليلك مسليا وفى الالتفات الثانى
على ان الحزن تخرات صدق ولذلك لا متفاوت الحال خاطبتك اولم اخاطبك وفى الالتفات الثالث على ان
جميع ذلك انما كان لما خصه ولم يتعده الى من سواه او منبه فى الالتفات الاول على ان ذلك النبا اطار قلبه
وسرله ذخايرا فما فطن معه لمقتضى الحال من الحكاية فجرى على لسانه ما كان الفه من الخطاب الداير فى مجارى
امور الكبار امرا ونهيا والانسان اذا اصابه ما تدهش معه الفطن لا يكاد يسلم كلامه عن امثال ذلك اى العدول
عن مقتضى الحال وفى الالتفات الثانى على انه بعد الصدمة الاولى حين افاق شاعر كابعض الادراك ما
وجد النفس معه فبنى الكلام على الغيبة مايلا ومال فى الالتفات الثالث على ما سبق او نبه فى الالتفات الاول

على ان نفسه حين لم تثبت ولم تصبر غاظه ذلك فاقامها مقام المستحق للعتاب قايلا على سبيل التوبيخ والتعيير
تطاول ليلك وفي النهاية الثاني على ان الحامل للخطاب والعتاب لما كان الغيظ والغضب فحين سكت عنه الغضب
وبالعتاب الاول ولى عنه الوجه وهو بهذه مقابلا وبات وفي النهاية الثالث على ما تقدم قال صاحب الكشاف
ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم
عظيم الشان حقيق بالثنا عليه والخضوع والاستعانة لا نعبد غيرك في المهمات خوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك
الصفات فقيل اياك نعبد يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون
الخطاب ادل على العبادة له لذلك التمييز الذي لا تحق العبادة الا به قال صاحب المفتاح اذا كنت
في حديث مع انسان وقد حضر مجلسكما ذو النعم عليك كثيرة فاذا اخذت في تعديد نعمه عند صاحبك مستحضرا
تفاصيلها احسست من نفسك حالة كانها تطالبك بالاقبال على منعمك ويزين لك ذلك الاقبال ولا يزال
يتزايد ما دمت في تعداد نعمه حتى يحملك من حيث لا يدري على ان عدلك وانت معه في الكلام تثني عليه وتدعو له
وتقول باي لسان اشكر صنايعك وباي عبارة احصر عوارفك واذا وعيت ما قصصت عليك وتاملت
الالتفات في اياك نعبد واياك نستعين بعد تلاوتك لما قبله قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك
يوم الدين على الوجه الذي يجب وهو التامل القلبي علمت ما موقعه وكيف اصاب المحز وطبق مفصل البلاغة
لكونه منبها على ان العبد المنعم عليه بتلك النعم العظام الفايته الحصر اذا افتتح وانه ماثل بين يدي مولاه من حقه
اذا اخذ في القراءة ان تكون قراءته على وجه يجد معها من نفسه شبه محرك الى الاقبال على من يحمد صاير في اثنا
القراءة الى حالة شبيهة بايجاب ذلك عند ختم الصفات مستدعية انطباقها على المنزل على ما هو عليه والا لم يكن
قاريا والوجه هو انه اذا افتتح التحميد ان يكون افتتاحه عن قلب حاضر ونفس ذاكرة يعقل فيم هو وعند من هو
فاذا انتقل من التحميد الى الصفات ان يكون انتقاله محذوا به حذو الافتتاح فانه متى افتتح على الوجه الذي
عرفت محركا على لسانه الحمد لله اولا يجد محركا للاقبال على من يحمد من معبود عظيم الشان حقيق بالثنا عليه
والشكر مستحق للعبادة ثم اذا انتقل على نحو الافتتاح الى قوله رب العالمين واصلا الى كونه ربا مالكا للخلق
لا يخرج شي عن ملكوته وربوبيته اتظن ذلك المحرك لا يقوى ثم اذا قال الرحمن الرحيم فوصفه بما ينبي عن كونه
منعما على الخلق بانواع النعم جلايلها ودقايقها مصيبا اياهم بكل معروف افلا يتضاعف قوة ذلك المحرك
عند هذا ثم اذا ال الامر الى خاتمة هذه الصفات وهي مالك يوم الدين المنادية على كونه مالكا للامر كله
في العاقبة يوم الحشر للثواب والعقاب فما ظنك بذلك المحرك اسع ذهنك ان لا يصير الى حد يستدعي عليك
الاقبال على مولى شان نفسك معه منذ افتتحت التحميد ما تصوره فتستطيع ان لا تقول اياك يا من هذه صفاته
نعبد ونستعين لا غيرك فلا ينطبق على حرسان المدرك على ما هو عليه **قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم**
الهداية الدلالة والايصال الى المطلوب وهدى اصله ان يتعدى باللام كقوله تعالى ان هذا القران يهدي
للتي هي اقوم او بالى كقوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقد يتعدى بنفسه كهذه الاية قال
صاحب الكشاف عومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه وصيغة الامر والدعا واحدة لان كلا منهما
طلب وتفاوتهما بحسب الرتبة فان رتبة الامر الاستعلا ورتبة الدعا الخضوع والسفل ومعنى طلب الهداية
وهم مهتدون اما طلب زيادة الهدى قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى او طلب التثبيت عن علي
وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا او طلبهما وانما قال اهدنا ولم يقل اهدني لان الدعا مهما كان اعم كان الى
الاجابة اقرب السراط الجادة من سرط الشي اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي وسط
الطريق لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا فان الطا من الحروف المستعلية اي التي يرتفع
بها اللسان الى الحنك وهي الصاد والضاد والطا والخا والغين والقاف والسين من الحروف المنخفضة

التي

التي هي خلافها وبين المستعلية والمنخفضة تنافر فيكون بين السين والطا تنافر فقلب السين صادا لان الصاد
توافق الطا في الاستعلا فيندفع التنافر ويحسن الصوت ولا ينتقل بالكلية من المنخفضة الى المستعلية وبعضهم
ابدلوا السين زايا لان الزاي الى الطا اقرب الى الصاد اليه لان الزاي مجهور كالطا والصاد مهموس والمجهور ما
ينحصر جري النفس مع تحركه فيقوى فيه الصوت في الاعتماد عليه ويجمعها قولك زاد ظبي عنج لي ضمور اذا قطع
والمهموسة ما لا ينحصر فيه الصوت فيخفى فيه الصوت في الاعتماد عليه ويجمعها ستشحثك خصفه فلما كان الصاد
تخالف الطا ابدلوها زايا لتوافقهما في الجهر وبعضهم يشم الصاد صوت الزاي لانهم راوا جهر الطا واطباقه
فقربوا الصاد من الزاي مراعاة لاطباق الصاد وجهر الطا وقرا ابن كثير بالسين فيهما وحمزة والكسايي باشمام
الصاد الزاي والباقون بالصاد الخالصة وهي فصحاهن ولغة قريش والثابتة في الامام ويجمع الصراط على صرط نحو
كتاب وكتب ويذكر ويونث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام وعن علي بن ابي طالب انه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل وقيل طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحبيه من بعده ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال بكر بن عبد الله المزني رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام فسالته عن الصراط المستقيم فقال سنتي وسنة الخلفا الراشدين من بعدي وعن سعيد
ابن جبير طريق الجنة وعن محمد بن الحنفية دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وعن ابي بريدة صراط
محمد واله عليهم الصلاة والسلام وقيل طريق لا يزيغ به الاهوا يمينا ولا شمالا وقيل طريق الخوف والرجا وقيل طريق
العبودية وقيل طريق السنة والجماعة لان البدعة لا تكون مستقيمة وعن عبد الله بن مسعود قال خط رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطا وخطا عن يمينه وخطا عن شماله ثم قال هذه السبيل وعلى كل سبيل منها شيطان
يدعو اليه وهذا سبيل الله ثم قرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سور فيه
ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا
ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فاذا اراد فتح شي من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه
تلجه فالصراط الاسلام والسور حدود الله تعالى والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على الصراط كتاب الله
والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم وقيل الصراط المستقيم هو الوسط بين طرفي الافراط والتفريط
في كل الاخلاق فان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط وهما مذمومان والحق هو الوسط ويتاكد ذلك بقوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وذلك الوسط هو العدل والصواب الذي هو الخط المستقيم **قوله تعالى**
صراط الذين انعمت عليهم الذين لجماعة المذكرين في الاحوال الثلاث واللذون في الرفع على بعض اللغات
وهو اسم موصول يحتاج الى الصلة وعايد وهو مبني وكتب بلام واحدة تخفيفا لكثرة الاستعمال وقوله صراط
الذين انعمت بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا
صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن امن منهم قال صاحب الكشاف فان قلت ما فايدة
البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فايدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير
والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة
على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم
والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا
تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين
فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المومنون قال
صاحب الكشاف اطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم عليه بنعمة الاسلام لم يبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه

قال صاحب الانتصاف ليس بمسلم فان الفعل لا عموم له كمصدره والتحقيق ان الاطلاق يقتضي ابهاما وشيوعا
والنفس الى المبهم اتوق منها الى المقيد لتعلق الامل مع الابهام بكل نعمة تخطر بالبال وهذا ليس بشي قوله فان
الفعل لا عموم له كمصدره قلنا مسلم ولكن العموم غير مستفاد من ترك المفعول فان الحالة المقتضية لترك
مفعول الفعل المتعدي القصد الى التعميم والامتناع عن ان يقصر المسامع المفعول على ما يذكر مع الفعل
دون غيره مع الاختصار وانه احد انواع جنس الكلام والبلاغة حيث يتوصل بتقليل اللفظ الى تكثير
المعنى فان العقل يحكم على الفعل المتعدي بالمفعول فاذا لم يذكر المفعول فلا بد من تقديره والتقدير واحد
لا يختص عند عدم القرينة الداله على المعين وواحد منهم لا يليق بالكلام البليغ لقلة
الفعول على التعميم واما قوله والتحقيق ان الاطلاق يقتضي ابهاما وشيوعا فغير مستقيم فان
الاطلاق لا يقتضي الا الماهية المطلقة من غير ابهام وشيوع فان الابهام والشيوع انما هما باعتبار الافراد
والمتعلقات على ان قوله يقتضي شيوعا اينا في قوله ان الفعل لا عموم له قوله والنفس الى المبهم اتوق منها الى
المقيد لتعلق الامل مع الابهام بكل نعمة تخطر بالبال قلنا هذا الكلام ساقط فانا لا نسلم ان النفس الى المبهم
اتوق منها الى المقيد قوله لتعلق الامل مع الابهام بكل نعمة تخطر بالبال قلنا لا نسلم تعلق الامل مع الابهام بكل
نعمة تخطر بالبال فانه مع الابهام لا يخطر كل نعمة بالبال بل نعمة ما وتعلق الامل بنعمة ما لا يكون مستدعيا لزيادة
توقان النفس وقيل صراط الذين مننت عليهم بالتوفيق والرعاية والتوحيد والهداية وهم الانبيا والصديقون
والشهدا والصالحون الذين ذكرهم الله في قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا وعن ابن عباس هم اصحاب موسى وعيسى قبل التغير
انعم الله عز وجل عليهم شاهده قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقيل هم اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم واهل بيته انعمت عليهم بمتابعة سنة محمد عليه السلام وقيل انعمت عليهم بدوام النعمة وكم من
منعم عليه مسلوب واصل النعمة المبالغة والزيادة في الخير والنفع ومنه قول النبي عليه السلام وان ابا بكر
وعمر منهم وانعما اي زاد عليه وفي عليهم والهم ولديهم سبع قراات عليهم بكسر الها وسكون الميم وهي قراة العامة وبضم
الها وسكون الميم وهي قراة الاعمش وحمزة وبضم الها والميم والحاق الواو وهي قراة عيسى بن عمر وبكسر الها وضم
الميم والحاق الواو وهي قراة ابن كثير وبكسر الها والميم والحاق اليا وهي قراة الحسن وبكسر الها والميم مضمومة مختلسة
وهي رواية عن ابي عمرو وبكسر الها والميم واختلاس كسرة الميم وهي قراة عمرو بن فايد فمن ضم الها رده الى الاصل لانه
لو افرد لكان مضموما عند الابتدا ومن كسره فلاجل اليا الساكنة ومن كسر الها وسكن الميم فانه استثقل الضم مع
مجاورة اليا الساكنة واليا اخت الكسرة والخروج من الضم الى الكسرة ثقيل ومن ضم الها والميم اتبع الضمة الضمة
ومن كسر الها وضم الميم فانه كسر الها لاجل اليا وضم الميم والاختلاس للتخفيف والحاق الواو واليا للاشباع **قوله**
تعالى غير المغضوب عليهم الغضب حالة نفسانية تحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام والحالة النفسانية
التي هي الرحمة والفرح والسرور والغضب والحيا والعشق والتكبر والاستهزا والغم وغيرها اوايل وغايات مثلا
الغضب اوله غليان دم القلب وغايته ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليهم ولفظ الغضب في حق الله تعالى لا
يصح حمله على اوله الذي هو غليان دم القلب بل على غايته الذي هو ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليه وايضا
الحيا اوله انكسار يحصل في النفس وغايته ترك الفعل فلفظ الحيا في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس
فغضب الله هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من
تحت يده جنس من العقاب بضاد الرضا وقيل هو ذم العصاة على قبح افعالهم ولا يلحق غضب الله العصاة من
المومنين بل يلحق الكافرين نعوذ بالله من غضبه ونساله رضاه ورحمته ومحل عليهم الاولى النصب على المفعولية
والثانية محلها الرفع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وغير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان

المنعم

المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي
نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله عز وجل والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهي لا
تتعرف وان اضيف الى المعارف فانك اذا قلت رايت غيرك فكل شي سوى المخاطب غيره وما سوى المخاطب
لا يحصى لكثرة وجوه المغاير اجيب اولا بان الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه لانه اسم شايع لا يختص به معين
فيصح نعته بالنكرة فهو كقوله ولقد امر على اللييم يسبني وثانيا بان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم
عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابي عليه ان يتعرف فان غيرا اذا وقعت بين ضدين افادت اثبات الاول
ونفي ضده والسامع يعلم كونهما ضدين فوصفت احد الضدين بغير اضيفت غيرا الى الضد الاخر صار غير معرفة
نحو عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة لانه هو الحركة فكذلك انعمت عليهم والمغضوب
اضيف الى غير المغضوب عليهم الذي هو الضد الثاني صار معرفة فصح وصف الذين انعمت عليهم
الاول به غير المغضوب عليهم هم الذين انعمت عليهم **ولا الضالين** عن الهدى واصل الضلال الهلاك يقال
ضل اللبن في الما اذا ذهب وخفي ورجل ضال اذا اخفى الطريق وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لان ذكر غضب الله
على اليهود مكرر في كتاب الله تعالى لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وقوله وباوا بغضب من الله والضالون
هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وانما دخل لا في ولا الضالين لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين يقال انا زيدا غير ضارب مع امتناع انا زيدا مثل ضارب وذلك لان النحاة اتفقوا على امتناع
وقوع المعمول في موضع لا يقع عامله فيه مثلا يمتنع زيدا لم اضرب فان اضرب يمتنع تقدمه على لم فكذلك زيدا
الذي هو معموله فقولنا انا زيدا مثل ضارب ممتنع لان ضارب مضاف اليه فلا يتقدم على مثل الذي هو
مضاف فكذلك زيدا الذي هو معمول ضارب لا يتقدم على مثل وقولنا انا زيدا غير ضارب يقتضي القياس عدم
جوازه لان ضارب لا يجوز تقدمه على غير ضرورة امتناع تقدم المضاف اليه على المضاف فكذلك زيدا الذي هو
معموله لكن لما كان غيره متضمنا معنى لا كان انا زيدا غير ضارب بمثابة قولك انا زيدا لا ضارب ولا خلاف في
جواز ذلك لعرى الاضافة المانعة عنه اذ لا اضافة فيه فاذن الاضافة في قولك غير ضارب كعدم الاضافة فيجوز
فان قيل الغضب غير مختص باليهود والضلال غير مختص بالنصارى فان الغضب ثابت ايضا للنصارى والضلال
ايضا من صفة اليهود فلم خص كل فريق بذكر شي مفرد **اجيب** بان افعال اليهود من
وكفرهم مع رويتهم الايات وقتلهم الانبيا بغير حق تستدعي الغضب بحسب العادة
والنصارى لم يقع منهم من ذلك وانما ضلوا من دون كفرهم دون ان يقع منهم
بل هو الذي يعم الكفار ولهذا اخص اليهود بالغضب والنصارى بالضلال روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل بوادي القرى من هولا الذين يقاتلونك قال المغضوب عليهم واشار الى اليهود فقيل من هولا الطايفة الاخرى
قال الضالون واشار الى النصارى وقيل غير المغضوب عليهم بالمخالفة والعصيان ولا الضالين عن
الدين والايمان وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة وقيل المغضوب عليهم والضالون
عام في جميع ملل الكفر بتخصيصه اسلك بنا طريقا يوصلنا الى رضاك لا نضل فيه ابدا قال الامام في الاية سوال
اخر وهو ان من انعم الله امتنع ان يكون مغضوبا عليه وان يكون من الضالين فما الفايدة في ذكرهما بعده واجاب
عنه بان الايمان انما يكمل بالرجا والخوف كما قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا
فقوله صراط الذين انعمت عليهم يوجب الرجا الكامل وقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يوجب الخوف الكامل
وحينئذ يقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهي الى حد الكمال وقال وما الحكمة في انه تعالى جعل المقبولين
طايفة واحدة وهم الذين انعم الله عليهم والمردودين فريقين المغضوب عليهم ولا الضالين **واجاب**
بان الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فهولاء هم الذين انعم الله عليهم

فان اختل قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم كما قال تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا
فيها وغضب الله عليه ولعنه فان اختل قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال **امين**
المستحب ان يقول القاري بعد فراغه من قراة الفاتحة امين سوا كان في الصلاة او في غيرها وعند الشافعي رحمه الله
يجهر بها عن وايل بن حجر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فقولوا امين فمن وافق قوله قول الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لقنني جبريل امين عند فراغي من قراة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وعن الحسن لا يقولها الامام لانه
الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وهو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب
كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها ويرحم الله عبدا قال امينا
وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القران بدليل انه لم تثبت في المصاحف **تنبيهات** الاول في
بيان ان الفاتحة جامعة لما يحتاج اليه الانسان من معرفة المبدا والوسط والثنا والتعظيم وقوله رب العالمين
يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وليس في الوجود اله سواه وقوله الرحمن الرحيم يدل على ان كمال
الرحمة والفضل والاحسان في الدنيا والاخرة وقوله ملك يوم الدين يدل على ان لوازم حكمته ورحمته ان يحصل
بعد هذا اليوم يوم اخر يظهر فيه تمييز المحسن من المسي ويظهر منه الانتصاف للمظلومين من الظالمين ولو لم يحصل
هذا البعث والحشر لم يتحقق كونه رحمانا رحيما فهو يدل على كمال حكمته بسبب خلق دار الاخرة والى ههنا تم ما يحتاج
اليه في معرفة الربوبية وقوله اياك نعبد الى اخر السورة اشارة الى ما لا بد من معرفته في تقرير العبودية وهو
العمل الذي ياتي به العبد واليه الاشارة نعبد والعلم بانه لا يمكنه الاتيان بالعمل الا باعانته تعالى واليه الاشارة
بقوله واياك نستعين والاثر المرتب على العمل هو طلب الهداية والانكشاف واليه الاشارة بقوله اهدنا الصراط
المستقيم صراط الجامعين بين معرفة الحق والعمل الصالح واليه الاشارة بقوله انعمت عليهم دون المخلين بالعمل الصالح
اي الفسقة واليه الاشارة بقوله غير المغضوب عليهم ودون المخلين بالاعتقاد الصحيح اي اهل البدع والكفر واليه
الاشارة بقوله ولا الضالين **الثاني** في المسايل الفقهية المتعلقة بالفاتحة قراة الفاتحة في كل ركعة تحتم
فرض على كل مسلم يحسن القراة ولا يقوم ترجمتها ولا غيرها من القران مقامها وهي ركن في صلاة الامام والمنفرد
فرضا ونفلا والماموم يقرا الفاتحة خلف الامام وهو حتم فرض عليه الا في ركعة المسبوق ولا فرق بين ان يكون
الصلاة سرية او جهرية وحكى المزني قولا اخر عن الشافعي رحمه الله انه اذا اسر الامام قرا الماموم حتما
وان جهر بالقراة سقطت القراة عن الماموم وهذا مذهب مالك والمزني لم ينقل بنفسه عن الشافعي رحمه الله
الا هذا القول ونقل الاصحاب عن الشافعي رحمه الله القول الاول والدليل عليه ما روى البخاري في صحيحه
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب فان تركها
ناسيا ففيه قولان قال في القديم يجزيه لان عمر رضي الله عنه ترك القراة فقيل له في كتاب الله فقال
كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال لا باس وقال في الجديد لا يجزيه لان ما كان ركنا في الصلاة لم
يسقط فرضه بالنسيان كالركوع والسجود ولعموم قوله لا صلاة لمن لم يقرا الفاتحة وقال ابو حنيفة
قراة القران فرض في الصلاة لا تصح الصلاة بدونها لانه ثبت بدليل قطعي وهو قوله تعالى فاقروا ما تيسر
من القران واما قراة الفاتحة فواجبة تصح الصلاة بدونها وتقوم ترجمتها وغيرها من القران مقامها لانه
ثبت بدليل ظني وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب وقال لا تجب القراة في
الركعتين الاخيرتين وطرد مذهبه في جميع الحالات منفردا كان المصلي او اماما وقال لا تجب على الماموم اصلا
واستدل اصحابه عليه باحاديث عديدة كلها ضعيفة قد بين البيهقي علل جميعها وعلى تقدير صحتها باول

فيحمل على قراة السورة او المسبوق جمعا بين الدليل على وجوب القراة عليه وبينها ونقل عن الحسن بن صالح وابي بكر
الاصم انهما قالا لا يجب القراة اصلا بل هي مستحبة واستدل لهما بما روي من ان عمر صلى المغرب فلم يقرا فقيل له كيف
كان الركوع والسجود قال حسنا قال فلا باس **واجيب** عنه بانه ضعيف وعلى تقدير صحته محمول على اسراره
بها وبما روي ان رجلا قال لعلي اني صليت ولم اقرا قال اتممت الركوع والسجود قال نعم قال تمت صلاتك واجيب
بانه ضعيف ايضا وبما روي عن زيد بن ثابت ان القران سنة واجيب بانه اراد به انه لا يجوز الا على ما في المصحف
ولا يجوز مخالفته وان كان مستقيما من جهة العربية وحكي عن الحسن البصري وبعض اصحاب داود انه لا يجب
القراة الا في ركعة من كل الصلوات وعن اسحق بن راهويه ان القراة في اكثر الركعات مجزية وعن الثوري ان القراة
في ركعة من الصبح او الرباعية فقط غير مجزية وعن مالك ان ترك القراة في ركعة من الصبح غير مجزية بخلاف
من تركها في غيرها ونقل عن ابي حنيفة عند عدم تعين الفاتحة للاجزاء روايتان احداهما قراة اية طويلة او ثلاث
ايات قصار وبها قال ابو يوسف ومحمد والثانية يكفيه ان يقرا اية واحدة وان قصرت كقوله تعالى ثم نظر وقوله
تعالى مدهامتان والروح وقيل ان ابا حنيفة تمسك لمذهبه في الترجمة بقوله تعالى واوحي الي هذا القران
لانذركم به ومن بلغ والعجم لا يعقلون الانذار الا بترجمته وبان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل القران على
سبعة احرف واجيب بان ترجمة الفاتحة غير الفاتحة والخبر دال على تعيين الفاتحة للاجزا وبان الانذار
يحصل لهم بنقل معناه بالعجمية وبان المراد بالاحرف السبع سبع لغات للعرب لا يتجاوزها وهو يجوز الترجمة بكل
لسان والالسنة تزيد على سبعة ولا فرق في عدم اجزا الترجمة بين ان يكون بالعجمية او بلغة اخرى لبعض العرب
غير اللغة المقرها ومالك كما يمنع في الصلاة يمنع في غيرها في الصلاة بطلت والا سجد للسهو واعلم ان المتمكن من
قراة الفاتحة لزمته ثم يجب الاتيان بحروف الفاتحة من مخارجها فلو اخل بحرف لم يصح الصلاة ومن الاخلال
تخفيف المشدد فان المشدد حرفان مثلان اولهما ساكن فاذا خفف فقد اسقط حرف وفي ابدال الضاد ظاء
في قوله غير المغضوب ولا الضالين يسامح فيه بعض اصحاب الشافعي بنا على ان هذا لا يتبين الا للخواص والصحيح
القطع بان ذلك لا يجوز فان الضاد والظا حرفان متغايران فاذا حصل الابدال فما جاء به ليس الحرف المطلوب
ثم لو ترك قراة الفاتحة من وجبت عليه عامدا لم يصح صلاته ولو تركها ناسيا فالمنصوص عليه في الجديد وهو
المذهب ان الركعة التي خلت عن قراة الفاتحة لا يعتد بها وترك القراة ناسيا كترك الركوع والسجود ونسب
الى الشافعي قول قديم انه عذر التارك ناسيا وصحح الركعة وجعل النسيان بمثابة ادراك المقتدي الامام في
الركوع فانه يصير مدركا للركعة وان لم يقرا وهذا قول متروك لا تفريع عليه ولا يعتد به ثم يجب على القاري
رعاية الترتيب في القراة فلو قرا الشطر الاخير من الفاتحة اولا لم يعتد به فان القران معجز والركن الابين في
الاعجاز متعلق بالنظم والترتيب ويجب رعاية الولا في القراة فلا ينبغي ان يتخلل القاري بين قراته سكوتا طويلا
يقطع الولا او ذكرا ليس من القراة والسكوت القاطع للولا هو السكوت المشعر بان القراة قد انقطعت اما باختيار
او بمانع واما تخلل الذكر فالذي ذكره الايمة انه اذا ادرج القاري في اثنا القراة ذكرا تسبيحا او تهليلا ينقطع
موالاة القراة به وان كان ذلك الذكر قليلا واقعا في زمان لا ينقطع الولا بالسكوت في مثله فاذا اندرج الذكر
في اثنا القراة يوهم انه منها وذلك يغير النظم والترتيب ولو فرض سكوت في اثنا القراة لا يقطع مثله الولا وفرض
فيه ذكر يسير لا يصوت القراة بحيث لا ينقطع القراة فلا يبعد ان يقال لا يقطع القراة واذا امن الامام في اخر
الفاتحة وكان الماموم في اثنا قراة الفاتحة فامن عند تامين الامام فهل تنقطع قراته بهذا ذهب ذاهبون
الى ان القراة تنقطع وهذا قياس ما ذكرناه وصار صايرون الى انها لا تنقطع ولا يتجه هذا الوجه الا بما اشير
اليه من ان المحذور ان ينتظم بالقراة واذا كان الامام يقرا سورة والماموم في اثنا الفاتحة فانتهى الامام الى اية
الرحمة فقال الماموم اللهم ارزقنا فهل تنقطع القراة به فعلى وجهين وهو ملتحق بالمعنى الذي ذكر في مسئلة

التامين فان ارتباط ما يحل بما طرا من الامام بقطعه عن تخلل الانتظام بالقراة واذا انتهى الامام الى اية فيها سجدة
والماموم في اثنا قراة الفاتحة فسجد فالماموم يسجد متابعا لا محالة وهل تنقطع القراة فعلى ما ذكر من الوجهين
وحكى العراقيون من نص الشافعي رحمه الله ما دل على انه لو ترك الولا ناسيا لم يضر وهذا مفرع على انه لو ترك
القراة اصلا ناسيا لم يعتد بالركعة ومع هذا حكوا النص في ان ترك الولا ناسيا غير ضاير وهذا غير سديد فان
ترك الولا اذا كان يختل به القراة فاذا جرى على حكم النسيان فهو بمثابة ما لو ترك القراة ناسيا قيل ولو ترك الترتيب
في قراة الفاتحة ناسيا لم يعتد بقراته ولو اخل بالولا ناسيا احتسب بالقراة وقيل في تحقيق الفرق لو اخل
الرجل بترتيب الاركان ناسيا فسجد قبل الركوع لم يعتد بالسجود ولو طول ركنا قصيرا واخل بالموالاة بهذا
السبب لم يضر واعتد بما جا به فلذلك يفرق بين ترك الترتيب والموالاة على حكم النسيان في القراة وهذا غير
صحيح فان ترك الولا يخل بالقراة اخلال ترك الترتيب وقيل لو كرر القاري كلمة من الفاتحة لا باس به اذا كان
سبب ذلك اذا كان بسبب ذلك الشك من القاري في ان تلك الكلمة هل اتت على ما ينبغي ام لا فانه معذور وان
كرر كلمة منها قصدا من غير سبب فيلحق ذلك بما لو ادرج في اثنا الفاتحة ذكرا ترددوا والذكران ولا الفاتحة
لا ينقطع بتكرر كلمة منها كيف فرض الامر فان الذي عليه المعول في ادراج الذكر ما قدم من انتظام الذكر بالقراة
وافضى ذلك الى اختلال النظم واذا كرر القاري من الفاتحة لم يود ذلك التكرير الى ما اشير اليه فهذا مجامع القول
في قراة الفاتحة في حق من يحسنها ومن لم يحسن الفاتحة وهو الامي في اصطلاح الفقها فاما ان كان لا يحسن من
الفاتحة شيا او لا يحسن بعضها ويحسن بعضها فان لم يحسن منها شيا فلا يخلو اما ان كان يحسن شيا من القران
او كان لا يحسن شيا من القران فان كان يحسن من القران سورة او سورتين او سورا فعليه ان يقرا من القران
ما يقع بدلا عن الفاتحة فليات بسبع ايات ثم ان كان قصارا بحيث لا يبلغ عدد حروفها عدد حروف الفاتحة
ففيه وجهان احدهما انه يجزيه ما جا به نظرا الى مقابلة الاي بالاي ولا مواخذة بالحروف وعددها ومنهم من قال لا
بد من رعاية اعداد الحروف اذ بها حقيقة المقابلة والمماثلة واجزا القران كالاسباع وغيرها يعتبر بالحروف
وحكى الايمة انه لو قرا اية طويلة يبلغ عدد حروفها عدد حروف الفاتحة واقتصر عليها لا يجزي فعدد الاي
مرعي اذن وفي عدد الحروف خلاف ولعل سبب الوفاق في عدد الاي ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عد فاتحة
الكتاب سبع ايات وقال تعالى في ذكرها سبعا من المثاني والقران العظيم فاقتضى اعتنا الكتاب والسنة باياتها
عدد الاي في بدلها والحروف على التردد واذا روعي مقابلة الحروف فيجب رعاية الترتيب وهي ان ياتي في مقابلة
الاية باية تشتمل على عدد حروف تلك الاية او تزيد وان كان لا يحسن الا الايات القصار فيقابل الاية بالايتين
وهكذا الى تمام الفاتحة ولو قرا ست ايات من القصار التي لا تفي حروفها بعدد حروف الايات الست الاولى ثم
قرا اية طويلة تجبر ما كان من نقصان وتقابل حروف الاية الاخيرة وقد زيد هذا لا يجوز فانه لم يراع في الايات
الست المقابلة المشروطة فصارت الاية الاخيرة في حكم اية واحدة تقابل حروفها حروف جميع والظاهر ان هذا
لا معنى لاشتراطه بعد ما حصلت مقابلة الاي ورعاية عدد الحروف على الجملة ولو كان يحسن سبع ايات متفرقة
فياتي بها تجزيه ولو كان يحسن سبع ايات متفرقة لا تجزيه وفي الاتيان بسبع ايات متفرقات اذا كان لا يحسن
غيرها نظر في صورة واحدة وهي ان الاية المفردة قد لا تفيد معنى منظوما لو قرئت وحدها مثل قوله ثم نظر
فيظهر ان لا يكتفى بافراد هذه الايات ويرد الى الذكر وان كان لا يحسن من القران الا اية واحدة مثلا فقد ظهر
اختلاف ايمتنا في ان الواجب في بدل الفاتحة ماذا فقال بعضهم يكرر تلك الاية سبعا ويكفيه ذلك وقال بعضهم ياتي
بها مرة واحدة وياتي بالاذكار في مقابلة ست ايات ولم يوجب احد الجمع بين التكرار والذكر فان التكرار ان وجب
فعلى مقابلة الايات الباقية ولا يجب على مقابلتها بدلان التكرار والذكر وهذا امع الالتفات على رعاية الحروف
والخلاف في هذا كله فان كان لا يحسن الفاتحة وكان يحسن شيا من القران فانه ياتي بدلا عن الفاتحة بالاذكار

وينبغي

٥٠ وينبغي ان يكون اذكارا عربية ان كان يحسنها ثم ذكر الايمة التسبيح والتهليل ولا شك ان المراعى مقابلة
الحروف فانه ليس في الاذكار مقاطع وغايات على مقابلة الايات فليس الا اعتبار الحروف ثم ان جرد التسبيح
والتهليل جاز وان جرد الدعا ففيه احتمال ولعل الاشبه ان الدعوات التي تتعلق بامور الاخرة
تنزل منزلة التسبيح وما يتعلق بارب الدنيا فيبعد الاعتداد به مع القدرة على غيره ولو كان يحسن اية
واحدة من الفاتحة فهل يكفيه ان يكررها ام عليه ان ياتي بها وياتي بست ايات ان كان يحسنها من غيرها فعلى
وجهين فان قلنا يكفي التكرير فلو كان يحسن ايتين ففي التكرير احتمال يجوز ان يقال لو كررهما اربعا فقد كفى
فانه اتى بالسبع وزاد فهذا كله اذا كان لا يحسن الفاتحة ولا شيا من القران وذكر العراقيون ان النبي
عليه السلام علم اعرابيا كان لا يحسن شيا من القران ان يقول بدل القراة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ذكروا وجهين في هذه الاذكار هل تتعين ام لا ولا تعينها
بعيد فاما اذا كان يحسن بعض الفاتحة فيلزمه الاتيان بما يحسنه فان كان من صدر الفاتحة اتى به اولا ثم اتى
بالبدل عما لا يحسنه وان كان الذي يحسنه النصف الاخير فيلزمه ان ياتي بالبدل اولا ثم ياتي بما يحسنه
ورعاية الترتيب في هذا واجب وليس علة الترتيب في هذا علة الترتيب في تلاوة الفاتحة في حق من يحسنها
فان الترتيب يراعى في قراة الفاتحة محافظة على نظمها وليس بين الاذكار التي قدرت بدلا عن النصف الاول
وبين النصف الثاني انتظام ولكن هذا الترتيب يتلقى من اشتراط الترتيب في اذكار الصلوة فعليه فرض قبل
النصف الثاني فليقمه ثم ليات بالنصف الثاني ويجوز ان يقال ياخذ البدل حكم المبدل والترتيب مشروط
في الفاتحة نفسها بدل النصف الاول منزل في رعاية ترتيب النصف الاخير عليه والامي اذا تعلم الفاتحة
في اثنا الركعة فان تعلمها قبل ان يخوض في البدل فعليه قراة الفاتحة وان فرغ من البدل ولم يركع بعد
ففيه وجهان احدهما انه يلزمه قراة الفاتحة فان وقت القراة ومحلها باق وثانيهما لا يلزمه فان
البدل قد تم وسقط الفرض فيه فلا معنى لعود الفرض بعد سقوطه كما لو اتى من لزمته الكفارة
ببدل ثم وجد الاصل المبدل بعد الفراغ من البدل فلا اثر لوجود المبدل وللقايل الاول
يقول كون الاذكار بدلا وقوعها كذلك يتوقف على انقضا القيام فان من كان يحسن الفاتحة
قد يوقع اذكارا قبل القراة ولا يتبين وقوع الذكر بدلا الا عند الاكتفا به والتلبس بالركوع والقيام
الواقع بدلا عن الكفارة مصروف بالنية اليها واحاد الاركان لا يتناولها النية تخصيصا والامي
اذا افتتح الصلوة وقصد اقامة دعا الاستفتاح بدلا عن الفاتحة فانه يقوم مقامها ولو قصد
ان يقع مسنونا كما شرع فيجب القطع بان الفرض لا يسقط فليات عن الفاتحة ببدل ولو اتى باذكار سوى
دعا الاستفتاح ولم يقصد اقامتها بدلا فقد تردد صاحب التقريب في هذا وهو محتمل حسن
ولا يمتنع ان يقال لا بد من قصد ايقاعه بدلا فان الذكر لا يقع في عينه بدلا الا بانتقاضا وقته
ولو اشتغل بالذكر ولم ينقض بعد حتى تعلم الفاتحة فالاصح الذي يجب القطع به انه تجب قراة الفاتحة وقال
بعض الاصحاب لا تجب قراة الفاتحة فان الاشتغال بالبدل يسقط رعاية المبدل فان من شرع في صيام
شهرين متتابعين ثم وجد الرقبة لم يلزمه اعتاق الرقبة وهذا الوجه اطلقه الناقلون وهو خطا صريح فان من
كان يحسن نصف الفاتحة لزمه الاتيان بما يحسن والبدل عما لا يحسن فالقراة اذا تتبعض في هذا
الحكم فالوجه القطع بانه اذا اتى بنصف الاذكار مثلا وتعلم الفاتحة فيتعين الاتيان بالنصف الاخير
من الفاتحة وجها واحدا وفي قراة النصف الاول التردد وليس في ذلك كالاصل والبدل
في الكفارة فان بعض الرقبة لا يسد مسدا وهذا واضح ولو تعلم الفاتحة بعد الركوع فلا شك ان
تلك الركعة مضت معتدا بها واذا كرر الفاتحة في ركعة مرتين قصدا فالذي ذهب اليه معظم الايمة

ان الصلوة لا تبطل بهذا وذهب بعض الاصحاب الى ان الصلوة تبطل بهذا واحتج بان من زاد في الركعة
ركوعا قصدا بطلت صلوته والقراة ركن فاذا كررت كانت كالركوع تكرر والفرق ان الصلوة
انما تبطل بزيادة ركوع من حيث ان ذلك يظهر خروج الصلوة عن النظم والذي يوضح ذلك ان الفعل
القليل لا يبطل الصلوة لان النظم لا يفسد به ولا يختل واذا زيد ركن ظهر الاختلال به وان كان ركوع
واحد لا يبلغ مقدار الفعل الذي يفسد الصلوة لكثرته ولكنه كالفعل الكثير من جهة اختلال نظم الصلوة
ونظم الصلوة لا يختلف بتكرير الفاتحة فلا يوثر في بطلان الصلوة وذكر العراقيون عن نص الشافعي ان
الاخرس الذي لا ينطلق لسانه بالقراة يلزمه ان يحرك لسانه بدلا عن تحريكه اياه في القراة كالايماء بالركوع
والسجود وهذا مشكل فان التحريك بمجرده لا يناسب القراة ولا يدانيه فاقامته بدلا لا يبعد ثم يلزم
على قياس ما ذكروه ان يلزموا التصويت من غير حروف مع تحريك اللسان وهذا اقرب من التحريك المجرد
وعلى الجملة فالظاهر ان ذلك لا يكون بدلا عن القراة ثم اذا لم يكن بدلا فالتحريك الكثير يلتحق بالفعل
الكثير واذا كان المصلي في اثنا قراة الفاتحة فنوى قطعها عمدا ولم يقطعها فعلا فلا اثر لهذه النية
ولو نوى قطع الصلوة فان ذلك يتضمن قطع نية الصلوة وهي رابطتها فاذا تعمد قطعها بطلت وهذا
ظاهر ولكن لم ينقل منصوصا وقراة السورة بعد الفاتحة مسنونة في حق المنفرد والامام في الركعتين
الاولتين وفي ركعتي الصبح وهل يستحب قراة السورة في الثالثة من المغرب والركعتين الاخريين
من الصلوات الرباعية فعلى قولين منصوصين الجديد انها مستحبة في كل ركعة على اثر الفاتحة
كما روي عن ابي سعيد الخدري انه قال حزرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعتين الاولتين من
الظهر فكانت قدر سبعين اية وحزرنا قراته في الركعتين الاخريين فكانت على النصف من ذلك
والقول الثاني وعليه العمل ان قراة السورة لا تستحب بعد الركعتين الاولتين فان ما بعدهما من
الركعات على التخفيف ويشهد له انه لا يستحب فيها الجهر في الصلوة الجهرية ومن يرى قراة السورة
في الركعتين الاخريين يوثر ان يكون اخف من الركعتين الاولتين ويشهد له حديث ابي سعيد
الخدري واما المأموم فان كانت الصلوة جهرية وهو يسمع صوت الامام فلا يستحب له
قراة السورة بل يقتصر على قراة الفاتحة والاصل فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا كنتم خلفي فلا تقرؤا الا بفاتحة الكتاب فانه لا صلوة الا بها وتمام
الحديث ان اعرابيا اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا رسول الله والشمس
وضحاها فقراها الاعرابي فتعسرت القراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ
من صلاته قال اذا كنتم خلفي فلا تقرؤا الا بفاتحة الكتاب فانه لا صلوة الا بها
ولو كانت سرية او بعد موقفه عن الامام وكان لا يسمع صوت الامام فهل يقرا
السورة فعلى وجهين احدهما انه يقرا وهو القياس فان المقتدي عندنا كالمنفرد عنده
انه حيث يسمع يقدم الاستماع في السورة على القراة فاذا كان لا يسمع فلا معنى لترك
قراة السورة والوجه الثاني انه لا يقرا فانه عليه السلام قال اذا كنتم خلفي فلا تقرؤا
الا بفاتحة الكتاب ولم يفصل بين صلوة وصلوة والقائل الاول ينزل قوله على الحكاية
المروية في مراسلة الاعرابي اياه وتخصيص النهي عن قراة السورة بالسامع في الصلوة الجهرية

سورة البقرة مدنية

قال ابن عباس اول ما نزل بالمدينة نزلت
بمد دستي وقيل فيها اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقيل هذه

الاية ليست بمدنية فانها نزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع وهي خمس وعشرون الفا
وخمس مائة حرف وستة الف ومائة واحدى وعشرون كلمة ومائتان وست وثمانون
اية في العدد الكوفي وفي عد علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وقيل وخمس وثمانون وقيل وسبع
وثمانون ويقال سورة البقرة فسطاط القران لعظمها وبهائها وما تضمنت من الاحكام والمواعظ
وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلا والفسطاط بيت من شعر ومدينة مصر وروى ابو هريرة عن النبي عليه
السلام انه قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر فان البيت الذي يقرا فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وروى
ابو امامة عن النبي عليه السلام انه قال اقرؤا الزهراوين البقرة وال عمران فانهما ياتيان يوم القيامة
كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف اقرؤا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا
يستطيعها البطلة واراد بالزهراوين المنيرتين يقال لكل مستنير زاهر والغياية كل شي اظل الانسان
فوق راسه مثل السحابة والغبرة والظلة ونحو ذلك وغايا القوم فوق راس فلان بالسيف كانهم
اظلوه به وفرقان قطعتان والفرق القطعة من الشي ومنه قوله تعالى وكان كل فرق كالطود العظيم
والصواف المصطفة المتضامة لتظل قاريها والظلة السحرة وروى الحسن ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اي القران افضل قالوا الله ورسوله اعلم قال سورة البقرة ثم قال واي ايها افضل قالوا
الله ورسوله اعلم قال اية الكرسي ويقال ان معاني ايات الرحمة والرجا والعذاب ينتهي فيها الى ثلثمائة وستين
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين
من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وروى ابو هريرة
عن النبي عليه السلام انه قال لكل شي سنام وسنام القران سورة البقرة فيها اية سيدة اي القران هي اية
الكرسي وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شي سناما وسنام القران سورة
البقرة من قراها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلثة ايام ومن قراها في بيته ليلا لم يدخله شيطان
ثلث ليال وعن ابي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا ثم تبعهم يستقريهم القران فجاء
انسان منهم فقال ما ذا معك من القران حتى اتى على احدثهم سنا فقال له ما معك من القران
قال كذا وكذا وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير فقالوا يا رسول الله هو احدثنا
سنا قال معه سورة البقرة وفي صحيح البخاري عن ابي مسعود قال قال النبي عليه السلام من
قرا بالايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه بسم الله الرحمن الرحيم **الم** الالفاظ التي يتهجا بها
نحو الف لام ميم اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم سواء كانت ساكنة او متحركة
مفتوحة او مضمومة او مكسورة فقولك الف اسم يسمى به اوسط حروف قال ولام اسم
يسمى به اول من قال واول من يقول ولام من ملك وميم اسم يسمى به اوسط حروف قال من مالك اذا تهجيته
اي عددته باسمائها وكذلك با را اسمان لقولك به ره وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة
وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاسمائها والمسميات حروف وحدان بسيطة لا تركيب فيها
والاسامي مركبة من الحروف المبسوطة عدد حروفها مرتقي الى الثلاثة اي مركبة من حرفين نحو با را
او ثلثة نحو لام ميم اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يتركوا تلك الطريق
وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لان
الالف لا يكون الا ساكنا فلا يمكن ان يجعل صدرا ومما يشبه هذه التسمية في ان يدلوا في التسمية
على المسمى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكم هذه الاسما التي يتهجى بها ما لم تليها العوامل
ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما يقال واحد

اثنان ثلثه فاذا اوليها العوامل لحقها الاعراب لقولك هذه الالف وكتبت الفاو نظرت الى الف وهكذا
كل اسم قصدت الى تادية نفسه فحسب قبل ان تحدث فيه مدخول شي من تاثيرها فحقك ان تلفظ به ساكنا
الاترى انك اذا اردت ان تلقى على الحاسب اجناسا مختلفه ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها مجرده
من سمة الاعراب فيقول غلام جاريه فرس دار ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا واعلم ان هذه الاسماء
ثانى واقعه في التركيب مقارنه للعامل فكون معربه واما اذا وقعت غير مركبه مثل الف لام ميم فاختار
ابن الحاجب انها مبنيه على السكون لانتفا سبب الاعراب اعنى التركيب فيه وقيل لمشابهة الحروف فانها كلمات غير
عامله في شي ولا معموله لشي فاشبهت الحروف المهمله نحو بل ولو وعند قوم انها ليست بمعربه لانها لم تركب
مع عامل ولا مبنيه لسكون اخرها وصلا بعد ساكن نحو قاف صاد سين وليس في المبنيات ما يكون كذلك
وفيه نظر فانه لم يوجد في المبنيات الواقعه في التركيب كذلك واما الذي لم يقع في التركيب فيجوز ان يكون
خلافه ومنهم من ذهب الى انها معربه في الحكم لا في اللفظ ولا يلزم من كونها غير معربه لفظا ان لا تكون معربه
حكما لجواز ان تكون عصى وفتى ونحوهما لان سبب الاعلال في نحوها فتحة ما قبل اخره مع تحركه او تقدير
تحركه وايضا والملزوم من عدم كونها معربه لفظا ان لا تكون معربه تقديرا اللازم ان يكون الموقوف والمحكى
والمتبع مبنيه واللازم باطل بالاتفاق اما الملازمه فلان الموقوف والمحكى والمتبع غير معربه لفظا والغرض
ان ما ليس بمعرب لفظا لا يكون معربا حكما وفيه نظر فان كونها مبنيه لا يستدعى عدم تقدير تحركها ثم نحو فتى
وضع في اول احواله على تقدير الحركه في اخره والموقوف والمحكى والمتبع مركبه مع عامل مقتض للاعراب لفظا وحكما
بخلاف هذه الاسما فانها غير مركبه مع عامل فيمتنع تقدير الاعراب فيها حكما واختار صاحب الكشاف
انها معربه وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسما حيث لا مسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه
والدليل على ان سكونها وقف اى قطعها عما بعدها فانه التقا الساكنين للوقف وان وصلها بما بعدها فانه يكون
وصلا في نية الوقف وليس بناء انها لو بنيت لحذى بها حذو كيف واين وها ولا ولم يقل قاف صاد نون
مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي باخر الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه با ويا وها
وذلك ان نزنها وزن قولك لا مقصوره فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لا قلت هذا التخييل مضمحل
بالحطه من الدليل وهو ان سكونها وقف لا بنا والسبب في ان قصرت متهجاه ومدت حين مسها الاعراب ان حال
المتهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر وقد تبين انها اسما الحروف المعجم المبسوط وانها من قبيل
المعربه عند وقوعها في التركيب وانها عند وقوعها في التركيب مبنيه وسكونها سكون بنا على راى ومعربه
وسكون اعجازها عند الهجا لاجل الوقف على راى اخر فما وجه وقوعها على هذه الصوره فواتح السور اختلف
العلما في الحروف المعجمه المفتتحه بها السور على قولين احدهما انها من المتشابهات التى استاثر الله تعالى
بعلمها فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل الى الله تاويلها قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لله عز وجل في كل كتاب
سر وسر الله في القران اوايل السور وقال على ابن ابي طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوه وصفوه
هذا الكتاب حروف التهجي وقال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر اجرى منه واد ثم اجرى من الوادى
نهر ثم اجرى من النهر جدول ثم اجرى من الجدول ساقيه فلو اجرى الى الجدول ذلك الوادى لغرقه
وافسده ولو مال البحر الى الوادى لافسده وهو المراد من قوله تعالى انزل من السما ما فسالت اوديه بقدرها
فبحور العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اوديه ثم اعطت الرسل من اوديتهم انهارا الى العلما ثم اعطت
العلما الى العامه جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامه سواقى الى اهاليهم بقدر طاقتهم
وروى في الخبر للعلما سر وللخلفا سر وللانبيا سر ولله تعالى من ذلك سر فلو اطلع الخلفا على سر الانبيا
لخالفوهم ولو اطلع الانبيا على سر الملائكه لاتهموهم ولو اطلع الملئكه على سر الله تعالى لطاحوا حايرين والسبب في

بعد و

ذلك

في ذلك ان العقول الضعيفه لا تحتمل الاسرار القويه كما لا تحتمل ابصار الخفافيش نور الشمس فلما زيدت
الانبيا في عقولهم قدروا على احتمال ما عجزت العلما عنه ولذلك علما الباطن زيدت في عقولهم قدروا
على احتمال ما عجزت عنه علما الظاهر وثانيهما ان المراد من هذه الفواتح معلوم وذكر فيه اوجها احدها
وعليه اطباق الاكثر انها اسما السور وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه وقد ترجم
سيبويه الباب الذى ذكر فيه على ذلك الالفاظ التى يتهجى بها في حد ما لا ينصرف باب اسما السور وفي كونها
اسما للسور على ضربين احدهما ما لا ياتى فيه اعراب لانه لم يوجد على زنة مفرد نحو كهيعص والمر والثانى
ما ياتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما مفردا نحو صاد وقاف ونون او اسما عدة مجموعها على زنة مفرد
نحو حم وطس وليس فانها على زنة قابيل وهابيل وكذلك طسم وان كانت مركبه من ثلث كلمات تاتى فيها ان تفتح
نونها وتصير ميم مضمومه الى طس فيجعلا اسما واحدا نحو دار الجرد لو سمى بلد فالنوع الاول يحكى ليس الا
واما النوع الثانى فيسايغ فيه الامران الاعراب والحكايه قال قاتل محمد بن طلحه السجاد وهو شريح بن
اوفي العبسى يذكرنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف
وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببى منع الصرف فيها العلميه والتانيث والحكايه ان تجى بالقول
بعد نقله على استيفا صورته الاولى نحو قولك دعنى من تمرتان في جواب من قال كيف تمرتان وبدات بالحمد لله
وقراه سوره انزلناها وقال الطرماح وجدنا في كتاب بنى تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمه
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعى بلالا وقال الاخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم روحى
وروى منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من ان تاتى والاوجه في قراة من قرا صاد قاف ونون مفتوحات
ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكر وانتصبها بها بفعل
مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس وليس لو قرى به وحكى ابو سعيد
السيرافى ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال حرك لالتقا الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين قال
صاحب الكشاف فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واى الله
لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمه الا رب من قلبى له الله ناصح وقال اخر
فذاك امانة الله الثريد قلت ان القران والقلم بعد هذه الفواتح اى بعد صاد وقاف ونون
محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل
في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان
ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى
بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه
الاشيا على شي واحد ولو كان انقضى قسمه بالاول على شي لجاز ان يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك بالله
لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيره واو قسم
لا يجوز الا مستكرها قال الخليل وتقول وحياتى ثم حياتك لافعلن فثم ها هنا بمنزلة الواو وهذا والاستدلال
فيما نحن بصدده الى ان يجعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول في الاعراب فان قلت فقدرها
مجرورة باضمار الباء القسميه لا بحذفها فقد جا عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك
غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير منصرفه واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما
اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراه بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها

ما ذكرت من التحريك لالتقا الساكنين والذي يبسط من عذر المتحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكله
لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلا فان قلت هل يسوغ
في المحكية مثل ما سوغته في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو
قوله تعالى حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله عليه السلام حم
لا ينصرون فيصلح ان يقضى بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور
بهذه الالفاظ قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه
الالفاظ كما قال عز من قائل قرانا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصاحف على صور الحروف انفسها لا على صور
اسمائها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت
ان يلفظ بالاسما وان تقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا
فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد
نحو ق وص ون لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف
اشيا خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجا ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ
وبقا الخط وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله ابن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الميم في
الخط والهجا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط
عنه ما اسقطه وثانيها ان هذه الاسما اسما الله مقطعة لو احسن الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم
الذي اذا دعي به اجاب الا ترى انك تقول الر وتقول حم وتقول ن فيكون الرحمن ولذلك سلبها على هذا
الوجه الا انا لا نقدر على وصلها والجمع بينها سئل ابن عباس عن الر وحم ون فقال اسم الرحمن على الهجا وثالثها
هي اسما القران وهو قول الكلبي والسدي وقتادة ورابعها انها حروف اقسم الله بها قاله ابن عباس
وعكرمة قال ابن قتيبة ويجوز ان يكون اقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها كما يقول
القائل اب ت ث وهو يريد الحروف باسرها وكما تقول قرات الحمد يريد فاتحة الكتاب
فتسميها باول حرف وانما اقسم الله تعالى بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانها مباني كتبه المنزلة بالالسنة
المختلفة ومباني اسمائه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه
وكانه اقسم بهذه الحروف ان ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وخامسها ان كل
واحد منها دال على اسم من اسما الله وصفة من صفاته قال ابن عباس في الم الالف اشارة الى انه
اول آخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم اشارة الى انه ملك مجيد منان وقال في
كهيعص انه ثنا من الله على نفسه والكاف يدل على كونه كافيا والها على كونه هاديا والعين على العالم
والصاد على الصادق وذكر ابن جرير عن ابن عباس انه حمل الكاف على الكبير والكريم والها على
الهادي والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل والفرق بين الوجهين انه
في الاول خصص كل واحد من هذه الحروف باسم معين وفي الثاني ليس كذلك وسادسها
ان بعض هذه الحروف يدل على اسما الذات وبعضها على اسما الصفات قال ابن عباس في الم انا الله
اعلم وفي المص انا الله افصل وبعضها على اسما الصفات قال ابن عباس في الم انا الله اعلم
وفي الر انا الله ارى وسابعها كل واحد يدل على صفات الافعال والالف الاؤه واللام
لطفه والميم مجده ثامنها حرف الاني ذكر الاية ونعماه وتاسعها بعضها يدل على اسما الله وبعضها
يدل على اسما غير الله فقال الضحاك الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وتاسعها كل
واحد منها يدل على فعل من الافعال فالالف معناه الف الله محمدا فبعثه نبيا واللام لامه الجاحدون

والميم

والميم ميم الكافرون غيظوا وكبتوا بظهور الحق وقال بعض الصوفية الالف معناه انا واللام معناه
لي والميم معناه مني وعاشرها انها سكت الكفار وذلك ان رسول الله كان يجهر بالقراءة
في الصلوة كلها وكان المشركون يقولون لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون وربما
صفقوا وربما صفروا ولغطوا ليغلطوا النبي عليه السلام فلما راى ذلك رسول الله عليه السلام
اسر في الظهر والعصر وجهر في سائرها وكانوا ايضا يأتون ويؤذونه فانزل الله هذه الحروف
المقطعة فلما سمعوها بقوا متحيرين متفكرين فاشتغلوا بذلك عن ايذائه وتغليطه فكان ذلك سببا لاستماعهم
وطريقا الى انتفاعهم والحادي عشر ان كل حرف منها في مدة اقوام واجال اخرين والثاني عشر
هي للتنبيه على انقطاع كلام واستيناف كلام اخر والثالث عشر المراد من الم ترجمة ذلك الكتاب
اي نزل عليكم والرابع عشر الالف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة في اول الامر وهو رعاية
الشريعة قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الانحنا الحاصل عند المجاهدات
وهو رعاية الطريقة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والميم اشارة الى ان يصير
العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وبدايتها عين نهايتها وذلك انما يكون بالفنا
في الله بالكلية وهو مقام الحقيقة قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم الخامس عشر ان الالف من اقصى
الحلق وهو اول مخارج الحروف واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو
آخر المخارج فهذه اشارة الى انه لا بد وان يكون اول ذكر العبد ووسطه وآخره هو الله تعالى
على ما قال ففروا الى الله والسادس عشر ان يكون ورود هذه الاسما هكذا مسرودة على نمط
التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا الكتاب
المتلو عليهم وقد عجزوا عن الاتيان بسورة منه كلام منظوم من عين ما ينظمون منها كلامهم
ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن الاتيان
بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امرا الكلام وزعما الحوار وهم الحراص على التغالب
في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن
النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج
من قوى الفصحا ولم يقع ورا مطامح اعين البصرا الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر
قال صاحب الكشاف وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزلة اي عظيم ولناصر هذا
القول على الاول اي القول بانها اسما السور ان يقول ان القران انما نزل بلسان العرب
مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم
بمجموع ثلثة اسما واربعة وخمسة والقول بانها اسما السور حقيقة يخرج هذه الفواتح الى
ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت على ناصر هذا
القول بان القول بانها اسما السور فتقول على وجه الرمز وانه لا سبيل الى رده اجابك الناصر
لهذا القول بان له محملا سوى ما ذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت
الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله ويوصيكم الله في اولادكم والله
نور السموات وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والاي وانما تعني رواية القصيدة
التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الاية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية
واستفيد منه ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على
الوجه الاول ان يقول التسمية بثلثة اسما فصاعدا مستنكر لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا

جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من
باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا تابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق
او ببيت شعر وناهيك بتسوية بين التسوية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف
المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السور كلها بما تحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا
لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين
مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا السابع عشر
ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز
وذلك لان النطق بالحروف المبسوطة وان كان معتادا لكل احد كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون
منهم واهل الكتابة بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا وخالط اهل الكتاب وتعلم
منهم وكان مستبعدا مستغربا من الامي المتكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وكان حكم نطق الرسول بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن
اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القران التي لم يكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها
في ان ذلك حاصل من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة اي بغير العربية من غير ان
يسمعها من احد قال صاحب الكشاف اعلم انك اذا تاملت ما اورده الله عز وجل في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها
نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين
والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه
الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة ما يضعف الاعتماد
في موضعه فيجري النفس ومجموعها ستشحثك خصفه او حثه شخص فسكت وهي عشرة ونصفها الصاد والهاء
والكاف والسين والحاء ومن المهموزة ضدها ومجموعها ظل قو ربض اذ غزا جند مطيع وهي ثمانية عشر
نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة وهي
ما يشد الاعتماد في موضعه فلا يمتد معها الصوت ومجموعها اجدك قطبت وهي ثمانية نصفها الالف
والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة ما عدا الشديدة وهي عشرون نصفها اللام والميم والراء والطاء
والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة ما ينطبق به اللسان على الحنك الاعلى نصفها الصاد
والطاء والنصف الاخر الضاد والظاء ومن المنفتحة ضدها ما عدا المنطبقة وهي اربعة وعشرون نصفها
الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية
ما تصاعد الصوت به في الحنك الاعلى هي المطبقة والخاء والغين والقاف نصفها القاف والصاد والطاء
ومن المنخفضة ما عدا المستعلية وهي احد وعشرون نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف
والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة ما انضم فيها الى الشدة الضغط في
الوقف من مواضعها وهي الجيم والدال والباء والطاء والقاف نصفها الطاء والقاف ثم اذا استقريت
الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله تعالى ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة
منها اي مغلوبة بالكثرة اي المذكورة غالبة وغيرها مغلوبة فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت
ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته وكان الله عز وجل
عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم
ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر
وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح البقرة وال عمران والعنكبوت

والروم

والروم ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وهود ويوسف وابرهيم والحجر
و[illegible] جاءت مفرقة على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لان اعادة التنبيه على ان المتحدى
به مؤلف منها لا غير وتجديده في موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان
تفرد ذكره مرة ولذلك مذهب كل تكرير جاء في القران فمطلوب به تقرير المكرر وتمكينه في النفوس
وانما اختلفت اعداد حروفها وما جاءت على وتيرة واحدة فوردت ص وق ون على حرف
واحد وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة
احرف وكهيعص وحمعسق على خمسة احرف على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق
شتى ومذاهب متعددة وكما ان ابنية كلم العرب على حرف وحرفين وثلثة واربعة وخمسة لم تتجاوز ذلك
سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك واذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سوا
لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمرا لم يقل له
لم خصصت ولدك هذا بزيد وهذا بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال
لم سمي هذا الجنس بالرجل وذلك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود
وعد هذه الفواتح اية دون بعض علم بالتوقيف لا بالقياس كمعرفة السور والرحيم في جميع السور المفتتحة بها
وهي ست وكذلك المص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية وطسم في سورتها اية وطه ويس ايتان وطس ليست
باية وحم اية في سورها كلها وحمعسق ايتان وكهيعص اية واحدة وص وق ونون لم تعد اية هذا مذهب
الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها اية وعد ما هو في حكم كلمة واحدة اية على طريق التوقيف كما عد الرحمن
وحده اية ومدهامتان وحدها اية وتوقف في جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج
الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف
كقوله تعالى الم الله اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو ومن جعل هذه الفواتح اسماء للسور جعل لها
محلا من الاعراب فانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وتحتمل الرفع على الابتداء والنصب والجر على القسم بها او كونها
بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل من الاعراب عنده كما لا
محل للجمل المبتداة وللمفردات المعدودة **قوله تعالى** ذلك الكتاب ذا اسم اشارة يشار به الى المذكر
الغائب فان خاطبت جئت بالكاف قلت ذاك وذلك فاللام زائدة والكاف للخطاب لا موضع لها من
الاعراب وقيل اللام للاعتماد وقيل لبعد المشار اليه وللتاكيد والكتاب في الاصل مصدر كتبت
يقال كتبت كتابا وكتابة وكتبا ومصدر كاتبت كتابا ومكاتبة والمكاتبة بمعنى المكتوب كالحساب
والعماد معروف والجمع كتب وكتب والكتاب الفرض والحكم والقدر والكتب الجمع وهو ضم بعض الحروف
الى بعض ماخوذ من قولك كتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة او سير وكتبت القربة ايضا
كتبا اذا خرزتها فهي كتيب والكتاب والكتيبة قال ابن الاعرابي الكاتب عندهم العالم قال الله تعالى
ام عندهم الغيب فهم يكتبون والكتاب المكتب ايضا والكتاب ايضا سهم صغير مدور الراس يتعلم به
الصبي الرمي والكتيبة الجيش فان قيل ذلك اسم مبهم يشار به الى البعيد والمشار اليه ههنا الم وهو
حاضر فكيف صحت الاشارة بذلك اليه اجيب عنه من وجوه احدها انها وقعت الاشارة الى الم بعد ما
سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يتكلم المتكلم به ثم يقول وذلك تحقق ويحسب
الحاسب ثم يقول فلذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني
ربي وثانيها انه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعيد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته
شيئا احتفظ بذلك وثالثها ان معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به يوم الميثاق ورابعها ان معناه

ذلك الكتاب الذي اخبرتك اي اوجبه وخامسها ان معناه ذلك الكتاب الذي اخبرتك وسادسها
هو التوراة والانجيل والكتب المتقدمة وسابعها ان الله عز وجل كان قد وعد نبيه عليه السلام
ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القران قال هذا هو الكتاب الذي وعدتك
وثامنها ان الله عز وجل انزل قبل سورة البقرة بضع عشرة سنة سورا كذب بها المشركون ثم انزل
سورة البقرة بعدها فقال ذلك الكتاب يعني ما تقدم البقرة من القران وتاسعها ان القران لما اشتمل
على حكم كثيرة وعلوم عظيمة تمنع اطلاع القوة البشرية عليها باسرها كان كالغائب البعيد فاشير اليه
بذلك وعاشرها ان يكون ذلك بمعنى هذا عند كثير من اهل التفسير قال الفراء ان ذلك وهذا
حرف اشارة واصلهما ذا لانه اسم الاشارة قال الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والها للتنبيه
فاذا قرب الشيء اليسير اليه فقيل هذا اي تنبه ايها المخاطب لما اشرت اليه فانه حاضر لك بحيث تراه وقد
تدخل الكاف على ذا للمخاطبة واللام للتاكيد لمعنى الاشارة فقيل ذلك فكان المتكلم بالغ في التنبيه لتاخر
المشار اليه عنه فهذا يدل على ان ذلك لا يفيد البعد في اصل الوضع بل اختص في العرف بالاشارة الى البعيد
للقرينة التي ذكر فيحمل ها هنا على المعنى اللغوي لا على المدلول العرفي ولهذا يقام كل منهما مقام الاخر قال
الله تعالى واذكر عبدنا ابرهيم الى قوله وكل من الاخيار ثم قال هذا ذكر وقال وعندهم قاصرات
الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب وقال وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد
وقال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون ثم قال ان في هذا لبلاغا وقال فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
ولقائل ان يقول لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مونث وهو السورة اجيب لا نسلم ان المشار اليه
مونث لان المشار اليه اما الاسم او مسماه وليس واحد منهما بمونث نعم المسمى له اسم اخر وهو السورة والمتقدم
هو الاسم الذي ليس بمونث وايضا الكتاب اما خبر لذلك فيكون ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجرا
حكمه عليه في التذكير او صفة وحينئذ اشير بذلك الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس
الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان ام ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة
سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري واعلم انه ان جعلت الم اسم السورة ففي تاليف ذلك مع الكتاب
مع الم وجوه منها ان يكون الم مبتدا وذلك مبتدا ثان والكتاب خبر ذلك والجملة خبر الم واسم الاشارة
قام مقام الضمير كما في قول العوام بن خالد ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب
في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما يقال زيد ذلك الرجل اي الكامل في الرجولية
الجامع للخصال المرضية التي تكون في الرجال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد او الكتاب صفة
لذلك ومعناه الم ذلك الكتاب الموعود وحينئذ لا يلزم الحصر على سبيل المبالغة ومنها ان يكون الم
خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا للمبتدا المحذوف او بدلا على ان الكتاب صفة
ذلك على التقديرين او يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره والجملة خبر ثان للمبتدا المحذوف ومنها ان تكون
هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب
اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة ذلك والخبر ما بعد الكتاب او يقدر
مبتدا محذوف اي هو يعني المولف من هذه الحروف وذلك الكتاب خبره سواء كان ذلك الكتاب
موصوفا وصفة او مبتدا وخبرا **قوله تعالى** لا ريب فيه الريب مصدر رابني اذا حصل
فيك الريبة اي الشك وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله
عنهما دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة يعني ان كون الامر

مشكوكا

مشكوكا فيه مما تقلق النفوس من نوائبه وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بظبي حاقف في ظل شجرة فقال
لا يريبه احد بشيء اي لا تقلقه والحاقف هو الذي انحنى وتثنى في نومه قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي
كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع
فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم
وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يقدروا انفسهم ويجربوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة
ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل ظاهرها النفي
ومعناها النهي وتقديرها لا ينبغي لاحد ان يرتاب فيه لاتقانه واحكامه ومثله ما كان لنا ان نشرك
بالله من شيء اي ما ينبغي لنا ومثله لا رفث ولا فسوق وانما قدم الريب الذي هو اسم لا على خبرها الذي هو فيه
بخلاف قوله لا فيها غول حيث قدم الظرف على القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات
انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد ما يبعد عن المراد
وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال
العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس في خمر الجنة ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرئ لا ريب
فيه بالرفع والتنوين والفرق بينه وبين المشهور ان المشهور توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف
على ما فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب فيه ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره
قوله تعالى لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه
فيه هدى **قوله تعالى** هدى للمتقين هدى مصدر على فعل كسرى وبكا قال الجوهري
الهدى الرشاد والدلالة يونث ويذكر يقال هداه الله الدين هدى وقوله تعالى اولم يهد لهم
قال ابو عمرو بن العلاء اولم يبين لهم وهديته الطريق والبيت هداية اي عرفته هذه لغة اهل
الحجاز وغيرهم يقول هديته الى الطريق والى الدار حكاها الاخفش وهدى واهتدى بمعنى
وقوله تعالى ان الله لا يهدي من يضل قال الفراء يريد لا يهتدي قال صاحب الكشاف هو الدلالة
الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتدي ولان
اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع خلاف معنى اصله قال الامام فخر الدين
الرازي لو كان كون الدلالة موصلة الى البغية معتبرا في مسمى الهدى لامتنع حصول الهدى
عند عدم الاهتداء قال الله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اثبت الهدى
مع عدم الاهتداء واجاب عن الاول بان الفرق بين الهدى والاهتداء معلوم بالضرورة
فمقابل الهدى هو الاضلال ومقابل الاهتداء هو الضلال فجعل الهدى في مقابلة الضلال
ممتنع ولقائل ان يقول جعل الهدى في مقابلة الضلال في الايتين ويمكن ان يجاب عنه بان
الهدى في الايتين بمعنى الاهتداء على سبيل المجاز فيكون مقابله الضلال واما مفهومه الحقيقي
فهو مقابل الاضلال وعن الثاني بان المنتفع بالهدى يسمى مهديا وغير المنتفع لا يسمى مهديا لان
الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالمعدوم فلهذا يقال مهدي في موضع المدح كمهتد وعن
الثالث ان الائتمار مطاوع الامر يقال امرته فائتمر ولم يلزم منه ان يكون من شرط كونه امرا حصول الائتمار
فكذا لا يلزم من كونه هدى ان يكون مفضيا الى الاهتداء ولهذا يقال هديته فلم يهتد وقيل الهدى العلم
وليس بشيء فان الله تعالى وصف القران بانه هدى ولا شك ان القران نفسه ليس بعلم فثبت ان الهدى هو

الدلاله لا الاهتدا ولا العلم والمتقي اسم فاعل من اتقى في قولهم وقاه فاتقى اصله اوتقى على افتعل فقلبت الواو بالانكسار على ما قبلها وابدلت الواو منها التا وادغمت والوقايه فرط الصيانه ومنه فرس واق اذا كان يهاب الشي من وجع يجده في حافره والاتقا لغة الحجز بين الشيين يقال اتقاه بترسه اي جعل الترس حاجزا بينه وبين ما يخاف منه ومنه التقيه في الدين يجعل ما يظهره حاجزا بينه وبين ما يخشاه من المكروه ومنه الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله فكان اقربنا الى العدو والمتقي في الشريعه الذي يقي بنفسه تعاطي ما يستحق به العقوبه من فعل او ترك اي الذي يقي نفسه عن ترك الواجبات والاتيان بالمحرمات واختلفوا في الصغاير فقال بعضهم يدخل اجتناب الصغاير في التقوى فانها من المحرمات وقال بعضهم الصحيح انه لا يدخل فان ما يستحق به العقوبه لا يتناول الصغاير لانها تقع مكفره عن مجتنب الكباير والنزاع في وجوب التوبه عن الكل انما النزاع في انه اذا لم يتوق الصغاير هل يستحق هذا الاسم وقيل يطلق اسم المومن على الرجل الظاهر الحال ولا يطلق المتقي الا عن خبره كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر وقيل التقوى اخذ عده والورع دفع شبه فالتقوى متحقق السبب والورع مظنون السبب روي عن النبي عليه السلام انه قال لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس وعنه صلى الله عليه وسلم جماع التقوى في قوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الايه وعن ابن عباس المتقي الذي يحذر من الله العقوبه في ترك ما يميل الهوى اليه ويرجو رحمته بالتصديق بما جا منه وعنه المتقي الذي يتقي الشرك والكباير والفواحش وعن ابن عمر التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من احد وقال الحسن المتقي الذي يقول لكل من راه هذا خير مني وقال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حدثني عن التقوى قال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت وشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال عمر بن عبد العزيز ليس التقوى صيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقوى ترك ما حرم الله واداما افترض الله فما رزق الله فهو خير الى خير ايضا المتقي ملجم كالمحرم في الحرم وقيل التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله رجا ثواب الله وترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله وقيل المتقي الذي يترك ما لا باس به حذرا للوقوع فيما باس به وقال سفيان الثوري هو الذي يتقي الدنيا وافاتها وقال هو وفضيل هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه وقال الفضيل ايضا لا يكون العبد من المتقين حتى يامنه عدوه قال الجنيد اتدرون ما وقع لاستاذي سري سلم عليه ذات يوم صديق له وهو عابس لم يبش له فقلت له في ذلك فقال بلغني ان المرء اذا سلم على اخيه ورد عليه اخوه قسمت بينهما ماية رحمه فتسعون لابشهما وعشره للاخر فاحببت ان يكون لي التسعون وقال محمد بن علي الترمذي هو الذي لا خصم له وقال السري السقطي هو الذي يبغض نفسه قال الناطق الصادق فيه الا كل شي ما خلا الله باطل ومحمد بن حنيف التقوى مجانبه كل ما يبعدك عن الله القسم بن القسم هو المحافظ على اداب الشريعه وقيل هو التورع عن جميع الشبهات وقيل المتقي من اذا قال قال لله واذا سكت سكت لله واذا ذكر ذكر لله وقيل المتقي من تبرا من حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وقيل التقوى هو الاقتدا بالنبي عليه السلام وقيل هو ان يتقي بقلبه من الغفلات وبنفسه من الشهوات وبحلقه من اللذات وبجوارحه من السيئات فحينئذ يرجى له الوصول الى ملك الارض والسموات وقيل هو حسن الخلق وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر على ما فات وقيل المتقي الذي يتقي متابعة هواه وقيل ان لاهل التقوى علامات يعرفون بها الصبر عند البلا والرضا بالقضا والشكر عند النعم والتذلل لاحكام القران وقيل لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه

من الشريك الشحيح والسلطان الجاير وقيل بين يدي التقوى خمس عقاب من لا يجاوزها لا ينالها اختيار الشده على الرخا واختيار الجوع على الفضول واختيار الذل على العز واختيار الجهد على الراحه واختيار الموت على الحيوه وقال بعض الحكما لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا اذا كان بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق فطاف به في السوق لم يستحي من شي عليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق قال صاحب الكشاف فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته لقوله اهدنا الصراط المستقيم ومن وجه اخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتسا لباس التقوى متقين لقول رسول الله من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض ويضل الضاله وتكون الحاجه فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالا ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صايرا الى الفجور والكفر فان قيل فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاهم على الضلاله وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلاله فبقي ان يكون هدى لهولا فلو جي بالعباره المفصحه عن ذلك لقيل هدى للصايرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرايه على الطريقه التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السوره التي هي اول الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اوليا الله والمرتضين من عباده قيل ما فايده اختصاص الهدى بالمتقين فالجواب عنه من وجهين احدهما انه اراد المتقين لانتفاعهم به كقوله انما انت منذر من يخشاها وكان منذرا لمن يخشى ولمن لا يخشى والوجه ان يقال المتقون على مراتب والارتقا في درجات الهدى انما هو بملابسه التقوى الذي هو مناسب لتلك الدرجه شاهده قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهدى للمتقين خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا وخبره الظرف المتقدم ويجوز ان ينصب هدى على الحال والعامل فيه معنى الاشاره او الظرف قال صاحب الكشاف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغه ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة براسها او طايفه من حروف المعجم مستقله بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانيه ولا ريب فيه ثالثه وهدى للمتقين رابعه وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغه وموجب حسن النظم حيث جي بها متناسقه هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيها متاخيه متناسبه اخذ بعضها بعنق بعض فالثانيه متحده بالاولى معتنقه لها وهلم جرا الى الثالثه والرابعه بيان ذلك انه نبه اولا على ان الكلام المتحدى به هو المشار اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال وكان تقريرا لجهة التحدي وشدا لاعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهه وقيل لبعض العلما فيم لذتك قال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الجمل الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض باللطف وفي الرابعه حذف المبتدا ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الصفه التي هي هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين

قوله تعالى

الذين يومنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورا ومدح منصوب بتقدير اعني الذين يومنون او مرفوع بتقدير هم الذين يومنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتدا ومخبر عنه باوليك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما ويحتمل ان يكون هذه الصفه واردة بيانا وكشفا للمتقين لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك

وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات واصلها وذكر الصلوة والصدقة
لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما القياس الذي يقاس به غيره على غيرهما فان من كانت فيه هاتان
العبادتان كان ذلك دليلا على انه يقيم ساير العبادات الا ترى كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد
الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال تعالى
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار ساير العبادات
واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا ابان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي
اذا وجد لم يتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن هاتين العبادتين واما الترك
فكذلك انطوى تحت ذكر الصلوة الا ترى الى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل
ان لا تكون هذه الصفة بيانا وكشفا للمتقين بل مسروقة عند المتقين بعيد غير فائدتها ويكون صفة
براسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان لا تكون
هذه الصفة مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة
على ساير ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته
غيري فالهمزة للتعدية ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة واما تعديته
بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة
اي صحابا اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة بوجدان الصحابة فالهمزة للصيرورة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق واختلف اهل
القبلة في مسمى الايمان في عرف الشرع فافترقوا فرقا اربعا الاولى الذين قالوا الايمان اسم لافعال
القلب والجوارح اما الخوارج فقد اتفقوا على ان الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وكل ما وضع
الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب او السنة ويتناول طاعته في جميع ما امر به من الافعال
والتروك صغيرا كان او كبيرا فقالوا مجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك كل خصلة من هذه
الخصال كفر واما المعتزلة فقد اتفقوا على ان الايمان اذا عدي بالباء فالمراد به التصديق
الى معنى اخر ثم اختلفوا فيه على وجوه احدها ان الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت
واجبة او مندوبة او من باب الاقوال والافعال او الاعتقادات وهو قول واصل بن
عطاء وابي الهذيل والقاضي عبد الجبار وثانيها انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون
النوافل وهو قول ابي علي وابنه ابي هاشم وثالثها ان الايمان عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد
ثم يحتمل ان يكون من الكباير ما لم يرد فيه الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب ما ورد فيه
الوعيد وهو قول النظام ومن اصحابه من قال شرط كونه مؤمنا عندنا وعند الله اجتناب الكباير
كلها واما اهل الحديث فذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك
كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شيئا منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على
الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة
ولم يجعلوا شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد الجحود والانكار لان الفرع لا يحصل دون ما هو
اصله وهو قول عبد الله بن سعيد الثاني زعموا ان الايمان اسم للطاعات كلها وهو ايمان واحد
وجعلوا الفرايض والنوافل كلها من جملة الايمان ومن ترك شيئا من الفرايض فقد انتقص ايمانه
ومن ترك النوافل لا ينتقص ايمانه ومنهم من قال الايمان اسم للفرايض دون النوافل
وقد اختلف هؤلاء على اقوال ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب وهو قول ابي حنيفة

وعامة الفقهاء ثم هؤلاء اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من فسرها بالاعتقاد
الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او كان علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون
بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الدليل وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان
علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وصفاته على سبيل الكمال والتمام ثم انه لما كثر اختلاف
الخلق في صفات الله لا جرم اقدم كل طايفة على تكفير من عداه من الطوايف وقال اهل الانصاف
المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم
او عالما بذاته وبكونه مرئيا او غير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان القول الثاني ان الايمان
هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو قول بشر المريسي والشيخ ابي الحسن الاشعري والمراد بالتصديق من
القلب الكلام القايم بالنفس القول الثالث قول جماعة من الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص
بالقلب الفرقة الثالثة الذين قالوا ان الايمان هو الاقرار باللسان فقط وهم فريقان الاول
ان الاقرار باللسان فقط هو الايمان لكن شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب فالمعرفة شرط لكون
الاقرار اللساني ايمانا لا انها داخلة في مسمى الايمان فهو قول غيلان بن مسلم الدمشقي والفضل الرقاشي
وان كان الكعبي قد انكر كونه قولا لغيلان الثاني ان الايمان مجرد الاقرار باللسان وهو قول
الكرامية وزعموا ان المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين
في الاخرة الفرقة الرابعة الذين قالوا الايمان عبارة عن عمل القلب فقط وهؤلاء قد
اختلفوا على قولين احدهما ان الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه
ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان اما معرفة الكتاب والرسل
واليوم الاخر فقد زعم انها غير داخلة في حد الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة
الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام وثانيهما الايمان مجرد التصديق
بالقلب وهو قول الحسين بن الفضل البجلي فهذا مجموع اقوال الناس في مسمى الايمان في عرف
الشرع والذي ذهب اليه اهل التحقيق ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فنقول
الايمان عبارة عن التصديق بكل ما علم بالضرورة من دين محمد عليه السلام اما انه عبارة عن
التصديق فلان الخطاب الذي توجه علينا بلفظ آمنوا انما هو بلسان العرب ولم تكن العرب تعرف
الايمان غير التصديق والنقل عن اللغة لم يثبت فيه اذ لو صح النقل عن اللغة لروي ذلك لان
الايمان اكثر الالفاظ دورانا على السنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي
على معرفة ذلك المسمى ولاشتهر وبلغ الى حد التواتر فلما لم يكن كذلك علمنا انه بقي على اصل الوضع
ولانهم اجمعوا على ان الايمان المعدى بالباء مبقى على اصل اللغة فوجب ان يكون غير
المعدى به كذلك ولان الله تعالى في اي موضع ذكر الايمان في القران اضافه الى القلب
قال الله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال
كتب في قلوبهم الايمان وقال ولكن قولوا اسلمنا وقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولان الله
تعالى قرن العمل الصالح بالايمان ولو كان العمل الصالح داخلا في الايمان لكان ذلك تكرارا
ولانه تعالى كثيرا ما ذكر الايمان وقرنه بالمعاصي قال الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
وقال وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وقد نقل عن ابن عباس انه احتج على هذا بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى من ثلثة اوجه احدها ان القصاص انما يجب

على القائل المتعمد ثم انه خاطبه بقوله يا ايها الذين امنوا فدل على انه مومن وثانيها قوله فمن عفي له
من اخيه شي وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان لقوله تعالى انما المومنون اخوة وثالثها
قوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهذا انما يليق بالمومن ومما يدل على ذلك قوله تعالى والذين
امنوا ولم يهاجروا فبقى اسم الايمان لمن لم يهاجر مع عظم الوعيد في ترك الهجرة لقوله الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله ما لكم من ولايتهم من شي وهذا مع جعلهم مومنين واما ان الايمان هو التصديق
بالقلب وليس عبارة عن التصديق باللسان فلقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
وما هم بمومنين نفى كونهم مومنين مع التصديق اللساني واما ان الايمان ليس عبارة عن التصديق بالقلب
مطلقا ولان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مومنا في الشرع واما انه ليس عبارة عن التصديق
بجميع صفات الله ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحكم بايمان من لم يخطر بباله كونه تعالى عالما بذاته
او بالعلم ولو كان التصديق بامثاله معتبرا في تحقيق الايمان لما حكم النبي عليه السلام بايمان مثله فان قيل
من عرف الله بالدليل ومات ولم يجد من الوقت مقدار ما يتلفظ بكلمة الشهادة او وجد لكنه لم يتلفظ بها فلا يخلو
اما ان يحكم بانه غير مومن ولا يصح لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من
الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف لا يكون مومنا او يحكم بانه مومن وحينئذ يكون الاقرار
اللساني غير معتبر في تحقيق الايمان وهو خلاف الاجماع اجيب بان الغزالي منع هذا الاجماع
وحكم بكونه مومنا وان الامتناع عن النطق يجري مجرى المعاصي التي يوتى بها مع الايمان عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا
رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلوة وتوتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت
قال فاخبرني عن الايمان فقال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن
بالقدر خيره وشره قال صدقت فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسوول عنها باعلم من السايل قال فاخبرني عن اماراتها قال ان
تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق
فلبثت مليا ثم قال يا عمر اتدري من السايل فقلت الله ورسوله اعلم قال انه جبريل اتاكم يعلمكم
دينكم وهذا الحديث صريح في ان الايمان في الشريعة هو التصديق القلبي بما ذكر وهو غير
الاسلام جعل الاقرار باللسان واعمال الابدان ايمانا فعلى سبيل التجوز بوجه من المناسبة
وضرب من المقارنة اما لانها من سوابقه ولواحقه وعلاماته واماراته كما تقول رايت الفرح
في وجه فلان ورايت علم زيد في تصنيفه وانما الفرح والعلم في القلب عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان
وعمل بالاركان ايمانا على طريق التجوز بوجه من المناسبة فلان الاقرار باللسان والعمل
بالاركان علامة للايمان وكذا ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان
بضع وسبعون شعبة والحيا شعبة من الايمان وقال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق اعلم ان الايمان يتعلق
به امر الدنيا والاخرة اما امر الاخرة فلان الخلاص من النيران ودخول الجنان لا يرجى الا به واما

ام

امر الدنيا فمثل الاحكام المتعلقة بالمسلمين لكن لما كان التصديق القلبي وهو غير ظاهر جعل الامر الظاهر
الدال على التصديق القلبي قايما مقامه فجعل كلمة الشهادة الدالة على التصديق القلبي قايمة مقامه في الاستدلال
وقطع النظر عن التصديق القلبي فيحكم بايمان من يتلفظ بكلمة الشهادة سواء كان التصديق القلبي متحققا او لا ويحكم
بكفر من يتلفظ بها سوى تحقق التصديق القلبي او لا وجعل كل ما هو دال على التصديق القلبي ايمانا للايمان
في الخطابي واعلا ما يدل على الايمان من الامور الظاهرة شهادة ان لا اله الا الله فان لم يوجد ما هو اعلا
منها او في رتبتها في الدلالة على الايمان من الامور الظاهرة ولم يوجد ما هو ادنى من اماطة الاذى عن الطريق في
الدلالة على الايمان من الامور الظاهرة وبين الطرفين مراتب بعضها اظهر من بعض في الدلالة قال صاحب الكشاف فان قلت
ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق
ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق والغيب مصدر قولك غاب عنه غيبا ثم اقيم مقام الفاعل
فقيل للغايب غيب كما قيل للصايم صوم وللزاير زور وللعادل عدل وقوله بالغيب يحتمل ان لا يكون صلة
للايمان وان يكون في موضع الحال اي يومنون غايبين عن المومن به اي يومنون بالله حال
الغيبة كما يومنون به حال الحضور لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن وحقيقته ملتبسين بالغيب لقوله تعالى الذين يخشون
ربهم بالغيب وقوله ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويويده ما روي عن عبد الرحمن بن يزيد قال
كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فذكرنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا
به من روية النبي صلى الله عليه وسلم وصحبته فقال عبد الله بن مسعود امر محمد عليه السلام
كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن احد قط ايمانا افضل من ايمان بغيب ثم قرا
هذه الاية الى قوله واولئك هم المفلحون فعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغيبة والخفاء اي ملتبسين بالغيبة
والذي عليه الاكثر ان قوله بالغيب صلة للايمان فيكون الغيب بمعنى الغايب اما تسمية بالمصدر
كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب يسمي المطمئن من الارض
غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوبها كلاها يريد بالغيبة الخمصة اي النقرة
التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل واصله
قيل والمراد به الخفي الذي ينفذ فيه ابتدا الا علم اللطيف الخبير وانما نحن نعلم منه ما اعلمناه او
نصب لنا دليلا ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب فعلى هذا الغيب ما يكون غايبا
عن الحاسة وهو على قسمين احدهما ما عليه دليل والاخر ما ليس عليه دليل والمراد بما عليه
دليل عليه ان يتفكروا او يستدلوا ويومنوا به وعلى هذا ادخل فيه العلم بالله وبصفاته
وبالنبوات وما يتعلق بها وبالاخرة وما يتعلق بها من البعث والنشور والحساب والميزان
والصراط والوعد والوعيد وغير ذلك وقيل الغيب هو الله وقيل الوحي وقيل القران وقيل
هو قدر الله قوله تعالى ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من
ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه او يديمون ويحافظون قال
الله تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دايمون من قامت السوق
اذا نفقت اي راجت واقامها اي روجها قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشي النافق الذي يتوجه
اليه الرغبات ويتنافس فيه المخلصون واذا عطلت او ضيعت كانت كالشي الكاسد الذي

منه

لا رغبة فيه او يتجلدون ويتشمرون لادائها ولا يكون فيهم فتور ولا توان عنها من قولهم قام بالامر
اي تجلد وتشمر وقامت الحرب على ساقها اي تشمر اهل الحرب وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد اذا تاخر
وتوقف او يؤدون وهنا فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها اي يفعلونها كما عبر عن الاداء
بالقنوت والقنوت بالركوع والسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح في الصلوة فلولا انه كان من
المسبحين قال صاحب الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة
صلى حرك الصلوين وهما آصلا الفخذين الى الكعبين لان المصلي يحركهما في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي
اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان اي اصل الفخذين
وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد وحاصله ان حقيقة الصلوة تحريك الصلوين ثم
نقل الى الاركان المخصوصة ثم نقل الى الدعا فيكون بالنسبة الى الاركان مجازا في المرتبة الاولى وبالنسبة
الى الدعا مجازا في المرتبة الثانية وقيل ان الصلوة في الاصل الدعا قال الاعشى وصلى على دنها وارتسم
وقيل ماخوذ من الصلاء وهو النار من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها فالمصلي كانه يسعى في
تعديل ظاهره وباطنه مثل من حاول تقويم الخشبة بعرضها على النار وقال الشاعر فلا تعجل بامرك واستدمه
فما صلى عصاك كمستديم اي ما قوم امرك كالمتاني والمصلي تالي السابق لان راسه عند صلاه والصلوة
في الشرع عبارة عن الافعال المخصوصة يتلو بعضها بعضا مفتتحة بالتحريم ومختتمة بالتحليل وهذا الاسم
يقع على الفرض والنفل ولكن المراد بالصلوة ها هنا الفرض لانه الذي يتوقف الفلاح عليه فان النبي صلى
الله عليه وسلم لما بين صلى الصلوة المفروضة قال والله لا ازيد عليها ولا انقص منها فقال عليه السلام
افلح ان صدق فكان مقاتل اراد ها هنا الصلوات الخمس **قوله تعالى** ومما رزقناهم ينفقون
قال الله تعالى وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض والرزق الحظ قال
الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي حظكم من هذا الامر والحظ هو نصيب الرجل
وما هو خاص له دون غيره والرزق ها هنا ما يهيا للانتفاع به فان كان طعاما فللتغذي
وان كان للتدفي والتوقي وان كان مسكنا فللسكنى واما الرزق في غير الشرع فمختلف فيه
فقال ابو الحسن البصري الرزق تمكين الحيوان من الانتفاع بالشيء والحظر على غيره ان يمنعه من الانتفاع
به فاذا قلنا قد رزقنا الله الاموال فمعناه انه مكننا من الانتفاع بها واذا سالناه تعالى ان يرزقنا
مالا فانا نقصد بذلك ان يجعلنا بالمال اخص واذا سالناه ان يرزق البهيمة فانا نقصد به ان
يجعلها به اخص اذا امكنها من الانتفاع به ولم يكن لاحد ان يمنعها من الانتفاع به والمعتزلة لما
فسروا الرزق بذلك لم يجعلوا الحرام رزقا واصحابنا قالوا الرزق ما يهيا للانتفاع به والانتفاع
به على وجهين حلال وحرام فلذلك قالوا ان الله تعالى رزق الحلال والحرام وايضا الرزق هو
الحظ والنصيب لمن انتفع بالحرام فلذلك الحرام صار حظا له ونصيبا له فتعين ان يكون رزقا له وايضا
قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يعيش الانسان طول عمره لا ياكل الا من
الحرام فوجب ان يقال انه طول عمره لم ياكل من رزقه شيئا واحتج المعتزلة بوجوه احدها قوله تعالى
ومما رزقناهم ينفقون مدحهم على الانفاق مما رزقهم الله فلو كان الحرام رزقا لوجب ان يستحقوا المدح
اذا انفقوا من الحرام وهو باطل بالاتفاق وثانيها لو كان الحرام رزقا لجاز ان ينفق الغاصب منه
لقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم واجمع المسلمون على انه لا يجوز للغاصب ان ينفق منه بل يجب عليه
رده فدل على ان الحرام ليس برزق وثالثها قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق

فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم فبين ان من حرم رزق الله فهو مفتر على
الله فثبت ان الحرام لا يكون رزقا ورابعها ان الله تعالى منع المكلف من الانتفاع بالحرام
وامر غيره بمنعه من الانتفاع به ومن منع من اخذ الشيء والانتفاع به لا يقال انه رزقه اياه
الا ترى انه لا يقال ان السلطان قد رزق جنده مالا قد منعهم من اخذه وانما يقال انه رزقهم
ما مكنهم من اخذه ولا يمنعهم منه ولا امر بمنعهم منه والجواب عن الوجوه الثلاثة الاول بانه
وان كان الكل من الله تعالى ولكن لا يضاف اليه ذلك لما فيه من سوء الادب كما يقال يا خالق المحدثات
واللوح والكرسي ولا يقال يا خالق الكلاب والخنازير وقال تعالى عينا يشرب بها
عباد الله فخص اسم العباد بالمتقين وان كان الكفار من العباد فكذا ها هنا خص اسم الرزق
بالحلال على سبيل التشريف وان كان الحرام رزقا ايضا وعن الرابع بان الحرام هل يسمى رزقا
ام لا بحث لغوي لا مجال للدلايل العقلية فيه واصل الانفاق الانفاد والاخراج عن اليد
او عن الملك وانفق الشيء وانفده اخوان وقيل نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون
وعينه فاء فهو دال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك واسناد الرزق الى نفسه
للاعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله وادخل من التبعيضية
صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم المفعول دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون
بعض المال الحلال بالتصدق به ويجوز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باختها وشقيقتها
التي هي الصلوة وان يراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقا ان يتناول كل
منفق ولم يذكر المنفق عليه فقيل العيال والاهل وقيل الذين لهم الزكوة المفروضة وقيل
اهل الصدقات النوافل وقيل هم الفقرا الذين وجب الانفاق عليهم قبل وجوب الزكوة فانه
كان فرض على الرجل ان يمسك مما في يده مقدار كفاية يومه وليلته ويفرق باقيه على الفقرا
فعلى هذا الاية منسوخة باية الزكوة وغير هذا القول اثبت **قوله تعالى** والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اعلم ان قوله والذين يؤمنون يحتمل ان يكونوا
هم الاولون وانما وسط العاطف كما توسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد
وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة
الحارث الصابح فالغانم فالايب على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذا فعلى
هذا الاثبات في جميع المؤمنين سواء كانوا من العرب او من اهل الكتاب ويحتمل ان يكون
قوله الذين يؤمنون بالغيب عاما يتناول كل من آمن بمحمد عليه السلام سواء كان قبل ذلك
آمن بموسى او عيسى عليهما السلام او ما كان مؤمنا بهما وان يراد بقوله والذين يؤمنون
بما انزل اليك اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم
على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لا تمسهم الا اياما واجتماعهم على الاقرار
بالنشاة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افترقوا فرقتين منهم من قال يجري
حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون
فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في الدنيا من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل
واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ
والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه بل [illegible]

واعلم ان دلالة اللفظ العام على بعض ما دخل فيه ليست في القوة مثل دلالة اللفظ الخاص
على ذلك البعض لاحتمال العام التخصيص دون الخاص فلما كانت هذه السورة مدنية وقد شرف
الله المسلمين بقوله هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب فذكر بعد ذلك اهل الكتاب الذين
آمنوا بالرسل كعبد الله بن سلام ونظرائه بقوله والذين يؤمنون بما انزل اليك فان في هذا
التخصيص مزيد تشريف لهم واستدعاء ترغيب لامثالهم في الدين وقيل الاولى نزلت في مؤمني
العرب والاخرى في مؤمني اهل الكتاب لانه لم يكن للعرب كتاب كانوا يؤمنون به وعلى هذا
يحتمل عطفهم على الذين يؤمنون بالغيب فيكونون داخلين في جملة المتقين وكانت صفة التقوى
مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وعطفهم على المتقين فلم يدخلوا في المتقين
وكانه قيل هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك واريد
بقوله ما انزل اليك القرآن كله وقد عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على
ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد
تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله
يدل على ذلك قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله
منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكر ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو صحيح وما تكلم بشيء الا
وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي فحسب دون الاتي لكونه معقود العضه ببعض ومربوطا اتيه
بماضيه وما انزل من قبلك هو الكتب المتقدمة مثل التوراة والانجيل وصحف ابراهيم والزبور
وغيرها **قوله تعالى** وبالاخرة هم يوقنون والاخرة تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول
وهو صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة ولذلك الدنيا واليقين
هو العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه شاكا فيه فلذلك لا يقول القائل تيقنت وجود نفسي وتيقنت
ان السماء فوقي ويقال ذلك في العلم الحادث بالامور سواء كان العلم ضروريا او استدلاليا
فيقول تيقنت ما اردته بهذا الكلام وان كان قد علم مراده بالضرورة وتقول
تيقنت ان الاله واحد وان كان قد علمه بالاستدلال ولذلك لا يوصف الله بانه متيقن وفي
تقديم الاخرة وبناء هم يوقنون عليهم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة
على خلاف حقيقته وان قوله ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل
اليك وما انزل من قبلك **قوله تعالى** اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
اولئك على هدى مبتدأ وخبر والجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب
مبتدأ والا اي وان لم يكن الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين
اي على كون الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ او لا انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب
فقد ذهبت مذهب الاستيناف اي جواب سؤال وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص
المتقون بان يكون الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسال فيقول ما السبب في اختصاص
المتقين بان يكون الكتاب لهم هدى فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخره
اي الى قوله واولئك هم المفلحون كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين
المنطوية تحتها خصائصهم من الايمان بالغيب واقام الصلوة والانفاق ومما رزقناهم اي الذين
هذه خصائصهم احقاء بان يكونوا على هدى من ربهم وان يكونوا هم المفلحون ونظيره قولك
احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل المحبة

وان

وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمتقين المستقلين بهذه الصفات
قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون
الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا قال صاحب الكشاف ان هذا النوع من الاستيناف
يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان
وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة
صفته احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه ويحتمل ان يجري الذين يؤمنون
بالغيب على المتقين وان يرتفع الذين يؤمنون بما انزل اليك على الابتداء واولئك خبره على ان يجعل
اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي
هو اولئك ايذان بان ما يعقبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصائص التي عددت لهم
كما قال حاتم ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الاحداث والدهر مقدما فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة
ولا شبعة ان نالها عد مغنما اذا ما راى يوما مكارم اعرضت تيمم كبراهن ثمة صمما يرى رمحه او
نبله ومجنه وذا شطب عضب الضريبة مخذما واحناء سرج فاتر ولجامه عتاد فتى هيجا وطرفا مسوما
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ثم عدد له خصالا كالمضي على الاحداث
مقدما والصبر على اللاواء والانفة من ان يعد الشبعة مغنما وتيمم كبرى المكرمات وتصميمه
عليها والتاهب للحرب بادوا تها ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك البيت ومعنى الاستعلاء
في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من
اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم اقتعد غارب الهوى
وامتطى الجهل وجعل الغواية مركبا وتحقيق القول في كونهم على الهدى تمسكهم بموجب الدلائل لان الواجب على
المتمسك بالدليل ان يدوم على ذلك ويحفظ عن الشبهة والمطاعن فكانه تعالى لما مدحهم بالايمان بما
انزل عليه اولا مدحهم بالاقامة على ذلك والمواظبة على حفظه عن الشبهة ثانيا وذلك واجب على المكلف
لانه ان كان متشددا في الدين خائفا وجلا فلا بد من ان يحاسب نفسه في علمه وعمله ويتامل
حاله فيهما فاذا احرس نفسه على الاخلال كان ممدوحا بانه على هدى وبصيرة وانما نكر هدى
ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كما يقال لو ابصرت زيدا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير
الطير المربة بالضحى على خالد وقعت على لحم قال صاحب الكشاف معنى هدى من ربهم اي
ممنوح واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي
الى الافضل فالافضل والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فقيل الهدى من كبر ولا يبصره
الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدي بها الا العلماء وفي
تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فجعلت
كل واحدة من الاثرتين اي الاختصاصين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت لكفت
مميزة على انفرادها فان قيل لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله تعالى اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلنا قد اختلف الخبران هاهنا فلذلك دخل
العاطف بخلاف الخبرين ثمه فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم
شيء واحد لان التشبيه من حيث المعنى وهو الغفلة لا من حيث الخلقة والصورة فكانت
الجملة الثانية مقررة لما في الاولى متصلة بها كمال الاتصال فهي من العطف بمعزل وقوله

هم فصل وله فايدتان احداهما الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والاخرى ايجاب
ان المسند ثابت للمسند اليه دون غيره وحينئذ لا محل له في الاعراب وقيل هم مبتدا
والمفلحون خبره والجملة خبر اوليك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك
فاستخبرت منه فقيل زيد التايب اي الذي اخبرت بتوبته او الدلالة على ان المتقين هم
الذين ان حصلت اي صورة صفة المفلحين او تحققوا ما هم اي اي شي هم فهم هم اي المتقون المفلحون
لا يعدون تلك الحقيقة اي لا يتجاوزهم من صفة الفلاح الى غيرها كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد
وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز من قايل التنبيه على اختصاص
المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين
وتوسيط الفصل بينه وبين اوليك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم
ما قدموا ويثبطك اي يمنعك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا
تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته والمفلح الفايز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر
ولم تستغلق عليه والمفلح بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب
دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى اعلم ان هذه
الايات يتمسك بها الوعيدية من وجه والمرجية من وجه اما الوعيدية فقالوا ان قوله واوليك
هم المفلحون يقتضي الحصر فوجب ان لا يكون المخل بالصلوة والزكوة مفلحا فوجب القطع بوعيد
تارك الصلوة والزكوة وان ترتب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف للحكم فوجب ان يكون علة
الفلاح هي فعل الايمان والصلوة والزكوة فعند الاخلال بهذه الاشيا انتفى علة الفلاح فلا يحصل
الفلاح واما المرجية فقد احتجوا بان الله حكم بالفلاح على الموصوفين بالصفات المذكورة في هذه
الاية فوجب ان يكون الموصوف بهذه الاشيا مفلحا وان زنا وشرب الخمر وسرق واذا ثبت في هذه
الطايفة تحقق العفو ثبت في غيرهم ضرورة انه لا قايل بالفرق والجواب ان كل واحد من الاحتجاجين
معارض بالاخر فيتساقطان والجواب عن قول الوعيدية ان قوله اوليك هم المفلحون
يدل على انهم الكاملون في الفلاح فيلزم ان يكون صاحب الكبيرة غير كامل في الفلاح ونحن نقول
بموجبه فانه كيف يكون كاملا في الفلاح وهو غير جازم بالخلاص من العذاب بل مجوز له
خايف منه وعن الثاني ان نفي السبب الواحد لا يقتضي نفي المسبب فعندنا من اسباب الفلاح عفو الله
وايضا فان هذه الاشيا علة لكمال الفلاح فعند الاخلال بها ينتفي كمال الفلاح ولا يلزم من انتفا كمال
الفلاح انتفا الفلاح والجواب عن قول المرجية ان وصفهم بالتقوى يكفي لنيل الثواب لانه يتضمن
اتقا المعاصي واتقا ترك الواجبات **قوله تعالى** ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما قدم ذكر اوليايه وعباده المخلصين
بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى لهم خاصة وانهم هم
الفايزون بالفلاح اعقبه بذكر اضدادهم وهم الكفرة الذين لا ينفع فيهم الهدى وسواء
عليهم انذار الرسول وعدمه وقطعت قصتهم عن قصة المومنين ولم تعطف عليها كقوله
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين القصتين في الغرض والاسلوب فان الاولى
مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية مسوقة لبيان ان الكفار من صفتهم كيت وكيت
وعلى تقدير ان يكون الذين يومنون ابتداء غير جار على المتقين وبناء الكلام لصفة المومنين

أ

ثم عقبه بكلام آخر في صفة اضدادهم لا يكون مثل قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لان الكلام مبتدا عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سوال وذلك ادراج في حكم
المتقين وتابع في المعنى وان كان مبتدا في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه وان من الحروف
المشبهة بالفعل تنصب الاسم وترفع الخبر والجملة التي تدخل ان عليها تقع جوابا لسوال محقق او
مقدر وتحقيق ذلك انها للتاكيد فاذا كان الخبر بامر ليس للمخاطب ظن في خلافه لم يحتج هنالك الى ان
وانما احتاج اليها اذا كان للمخاطب ظن بخلافه والذين كفروا وان كان ظاهرا في الاستغراق
لا خلاف في انه ليس المراد منه العموم فان كثيرا من الكفار اسلموا قال صاحب الكشاف يجوز ان
يكون التعريف في الذين كفروا للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد ابن
المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا ينزجر بعده وغيرهم ودل على تناوله
للمصرين الحديث عنهم باستوا الانذار وتركه عليهم قال ابو العالية انها نزلت في قادة الاحزاب
وقال الضحاك انها نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته وقال ابن السايب انها نزلت في طايفة
من اليهود منهم حيي بن اخطب وقال مقاتل انها نزلت في مشركي العرب كابي جهل وابي طالب وابي لهب
وغيرهم ممن لم يسلم والكفر في اللغة التغطية ومنه قيل للحراث كافر لانه يستر البذر في الارض
قال الله تعالى اعجب الكفار نباته اي الزراع وقيل للبحر كافر والكفر القبر وظلمة الليل وسواده
والكافر الليل المظلم لانه يستر بظلمته كل شي والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطاه ولبسه فوقه وكل
شي غطى شيا فقد كفره ومنه سمي الكافر لانه يستر نعم الله عليه واما الكفر في الشريعة فهو عدم تصديق الرسول
في شي مما علم بالضرورة مجيه به وتحقيق القول فيه ان ما نقل عن النبي عليه السلام انه ذهب اليه وقال به
فاما ان يعرف صحة ذلك النقل بالضرورة او بالاستدلال او بخبر الواحد اما القسم الاول فمن صدقه في جميع
ذلك فهو مومن ومن لم يصدقه في جميع ذلك سواء كان مصدقا في البعض دون بعض او لم يصدقه في شي منه
فهو كافر مثاله من انكر وجود الصانع او كونه قادرا او عالما او مختارا او واحدا او منزها عن النقايص
والافات او انكر نبوة محمد او صحة القران او انكر الشرايع التي علمنا بالضرورة كونها دين محمد كوجوب
الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكوة والحج وحرمة الزنا والخمر فهو كافر لانه لم يصدق الرسول
فيما علم بالضرورة انه من دينه واما الذي علم بالدليل انه من دينه مثل كونه عالما بالعلم او بذاته وانه
مري او غير مري وانه خالق اعمال العباد ام لا فلم ينقل بالتواتر القاطع للعذر مجيه باحد القولين
دون الثاني بل انما يعلم صحة احد القولين وبطلان الثاني بالاستدلال فلم يكن انكاره والاقرار به
داخلا في حقيقة الايمان فلا يكون كفرا والدليل عليه انه لو كان ذلك داخلا في حقيقة الايمان لكان واجبا
على الرسول ان لا يحكم بايمان احد الا بعد ان يعرف هل عرف الحق في تلك المسالة ولو كان الامر كذلك لاشتهر
قوله في تلك المسالة بين جميع اصحابه ولنقل ذلك على سبيل التواتر فلما لم ينقل ذلك دل على انه عليه السلام
ما وقف الايمان عليها ولما كان كذلك وجب ان لا يكون معرفتها من الايمان ولا انكارها موجبا للكفر
ولاجل هذه القاعدة لا نكفر احدا من هذه الامة ولا نكفر ارباب التاويل واما الذي لا سبيل اليه الا بروايه
الاحاد فلا يكون التصديق به داخلا في الايمان ولا انكاره كفرا وقد اورد على عكس تعريف الكفر لبس الغيار
وشد الزنار وامثالهما فانه كفر مع ان ذلك شي اخر غير انكار ما علم بالضرورة مجيه صلى الله عليه وسلم
به واجيب بان هذه الاشيا ليست بكفر لان التصديق والانكار امر باطن لا اطلاع للخلق عليه
ومن عادة الشرع ان لا يبني الحكم في امثال هذه الامور على الامر الباطن لانه لا سبيل الى الاطلاع
عليه بل يجعل له معرفه وعلامات ظاهرة ويجعل تلك المظان الظاهرة مدارا للاحكام الشرعية وشد

والسنر

الزنا من هذا الباب فان الظاهر ان من يصدق الرسول لا ياتي بهذه الامور فحيث اتى به دل على عدم
التصديق لا انها في نفسها كفر وقيل الكفر على اربعة انواع كفر انكار وهو ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف
ما يذكر له من التوحيد وكفر جحود وهو ان يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر امية ابن ابي الصلت
ومنه قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وكفر معاندة
وهو ان يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يقبل ولا يتدين به ككفر ابي طالب حيث قال ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان
البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه وينكر بقلبه
سواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقال
في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاع سواء على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع
المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه
وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتدا وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه
والجملة خبر لان قال صاحب الكشاف فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف يصح الاخبار عنه في هذا الكلام
قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع
من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك ولو كان
عطف الفعل على الفعل لكانت التا مكسورة في تشرب فان قيل اطلاق انذرتهم ام لم تنذرهم وارادة انذارك
لهم وعدمه بطريق المجاز والعدول عن الحقيقة الى المجاز يستدعي فايدة زايدة اما في المعنى او في اللفظ
فما الفايدة هنا اجيب بان قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم معناه سواء عليك انذارك لهم وعدم
انذارك لهم بعد ذلك لان القوم كانوا قد بلغوا في الاصرار واللجاج والاعراض عن الايات والدلايل
الى غاية لا يرجى لهم القبول بوجه وقبل ذلك ما كانوا كذلك فلو قال سواء عليهم انذارك وعدم انذارك لما
افاد ان هذا المعنى انما حصل في هذا الوقت فكان ذلك بعد حصول الياس وقطع الرجا منهم وقد بينا ان
المقصود من هذه الاية ذلك والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستوا وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا
قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا
جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستوا استواهما في علم
المستفهم عنهما لانه علم ان احد الامرين كاين اما الانكار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين
والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي والقراءة انذرتهم بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية وادخال
الالف بينهما وتحقيقهما وتحقيق الاولى وابدال الثانية الفا لانه الف استفهام دخل على الف قطع وخالف
قال صاحب الكشاف فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين
احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله
الضالين وخويصة والثاني اخطا طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها [illegible]
فتك بهذا الطعن فيما هو من القراءات السبع المتواترة ومثله كفر وهذا ليس بصحيح لان القراءات السبع
متواترة فيما ليس من قبيل الادا كالمد والامالة وتخفيف الهمزة واما ما هو من قبيل الادا فلا يشترط
ان يكون متواترا فالطعن فيه لا يفضي الى الكفر لكن صاحب الكشاف مخطئ في التخطية لان قلب الهمزة الفا يشبع
الالف اشباعا زايدا على مقدار الالف ليكون الاشباع فاصلا بين الساكنين وما الالف المقلوبة والنون
ويقوم مقام الحركة كما في محياي باسكان اليا وصلا وايضا طريق التخفيف ليس مخطا لانه جا
مثله وقد ثبت مثله في كلام الفصحا ونقل عن القرا السبع ولا يصح الحكم بخطايه لانه وان لم يكن
متواترا فلا اقل من ان يكون بعينه ما نقله الاحاد بل مما نقله القرا اولى لانهم ناقلون عمن ثبت عصمته من

الغلط

الغلط وهو اعدل من النحاة فالمصير الى قولهم اولى نعم لو قيل اكثر اللغة بخلافه كان مستقيما وقوله
لا يؤمنون اما ان يكون جملة موكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض ويكون الوقف
على يؤمنون تاما وان علقت ختم ولا يؤمنون اي لا يؤمنون في حال الختم على قلوبهم لم يقف على يؤمنون وهذه الاية
خاصة فيمن حقت عليه كلمة العذاب والشقاوة في سابق علم الله فظاهرها استفهام ومعناها اخبار
احتج الاشاعرة بهذه الاية على تكليف ما لا يطاق ولنحرر اولا المذاهب فنقول الافعال التي هي متعلق
احكام الشرع لا تخلو اما ان تكون ممتنعة لغيرها كالافعال التي علم الله انها لا تقع او اخبر بانها لا تقع او لا تكون
ممتنعة او لا تكون ممتنعة لغيرها فهذه ثلثة اقسام والثالث لا نزاع في انه واقع التكليف به والثاني
انعقد الاجماع على جواز التكليف به فانهم اجمعوا على جواز التكليف عقلا بما علم الله تعالى انه لا يقع وعلى
وقوعه شرعا التكليف الكفار الذين ماتوا على الكفر والعصاة الذين صدر منهم المعاصي فان الله تعالى علم
ان الايمان لا يقع منهم وان المعاصي تصدر منهم ومع هذا كلفهم الله تعالى بالايمان وترك المعاصي والاول
كالجمع بين الضدين واعدام القديم وقلب الحقايق اختلف قول الشيخ ابي الحسن الاشعري فيه ومثله في
اكثر اقواله الى جواز التكليف به واليه ذهب اكثر اصحابه ولهذا نسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري جواز
التكليف به واليه ذهب اكثر اصحابه ولهذا نسب الى الشيخ بالمحال ومن اصحابه من قال لا يصح التكليف
به والذين قالوا بجوازه اختلفوا في وقوعه فمنهم من منع وهو الصحيح اما انه جايز عقلا فلان حكمه تعالى
لا يستدعي غرضا فيحكم ما يريد واحتج القايل بانه لا يصح التكليف به بانه لو صح التكليف بالممتنع لذاته
لكان مطلوب الحصول واللازم باطل فالملزوم كذلك بيان الملازمة ان التكليف طلب ما فيه كلفة
فالمكلف به مطلوب والمطلوب مستدعي الحصول لان معنى الطلب استدعا الحصول واما بطلان
اللازم فلان الممتنع لذاته يستحيل ان يكون مطلوب الحصول لان ما هو مطلوب الحصول يستلزم كونه
متصور الوقوع لان طلب حصوله فرع تصور وقوعه لامتناع طلب حصول ما لا يتصور وقوعه لكن الممتنع
لذاته لا يتصور وقوعه لانه لو تصور وقوعه وهو ممتنع الوقوع لزم تصور الشي على خلاف
ماهيته فثبت امتناع تصور وقوع الممتنع لذاته فاستحال ان يكون الممتنع لذاته مطلوب
الحصول فاستحال ان يكون مكلفا به والجواب عنه لا نسلم انه لو صح التكليف به لكان مطلوب
الحصول قوله ان التكليف طلب ما فيه كلفة فالمكلف به مطلوب والمطلوب مستدعي الحصول قلنا لا نسلم
الاستلزام ولئن سلم فلا نسلم ان الممتنع لذاته لا يتصور وقوعه قوله لانه لو تصور وقوعه
وهو ممتنع الوقوع لزم تصور الشي على خلاف ماهيته قلنا وقوع الشي او لا وقوعه لا مدخل له
في ماهيته فلا يلزم من تصور وقوع الشي على خلاف ماهيته بل غايته ان يتصور وقوعه
ويعلم انه ممتنع وقوعه والعلم بامتناع الوقوع لا ينافي تصور الوقوع ولا طلب الوقوع
فانه لا يلزم من طلب الوقوع امكان الوقوع فانه يجوز ان يكون طلب الوقوع لا للغرض او لغرض
غير الوقوع وهو الابتلا نعم لو كلفوا بالممتنع لذاته بعد علمهم بانه ممتنع لذاته انتفت فايدة التكليف
لان فايدته الامتثال او الابتلا والاختبار اما انتفا الامتثال فظاهر واما انتفا الابتلا
فلانه لا يتصور مع علم المكلف بعدم صدور الفعل منه ومثل هذا التكليف غير واقع لكن جايز
لان التكليف لا يقتضي فايدة وغرضا واما انه غير واقع فلانا استقرينا التكاليف الشرعية
فردا فردا فما وجدنا فيها ما هو تكليف بالممتنع لذاته ولقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فانه نفى وقوع التكليف بما ليس في الوسع والممتنع لذاته ليس في الوسع فلا يقع التكليف به
احتج القايل بوقوع التكليف بالممتنع لذاته بقوله تعالى ان الذين كفروا الاية بيانه

ان الله تعالى امر هولا المذكورين اباجهل وابالهب وغيرهما بالايمان بجميع ما انزل الله الى الرسول
ومن جملته انهم لا يومنون فيكونون مكلفين بالجمع بين النقيضين وهو ممتنع لذاته فيكون التكليف بالممتنع
لذاته واقعا اجيب بانا لا نسلم انهم بعد نزول الاية كلفوا بالايمان حتى يكون جمعا بين النقيضين
ضرورة عدم اتحاد الزمان الذي هو شرط التناقض وهذا الجواب ليس بمرضي اذ الاجماع منعقد على انهم
كانوا مكلفين ان هلكوا واجيب عنه ايضا بانهم كلفوا بتصديق الرسول فيما جا به وتصديق
الرسول فيما جا به امر ممكن في نفسه واخبار الله تعالى بانهم لا يصدقونه فيه لا يستلزم رفع الامكان
الثاني فان الممكن لا يخرج عن امكانه بخبر الله تعالى بعدم وقوعه بل غايته ان يكون ممتنعا بالغير
والامتناع بالغير لا ينافي الامكان بالذات فلا يكون تكليفهم بتصديق الرسول تكليفا بالممتنع لذاته
الذي هو المتنازع فيه ولقايل ان يقول تصديقهم فيما جا به الرسول متوقف على عدم تصديقهم
وعدم تصديقهم واجب فيكون تكليفا بالجمع بين النقيضين فيكون التكليف بالممتنع لذاته واقعا فان
قيل لا نسلم ان عدم التصديق واجب قوله لان تصديقهم متوقف على عدم تصديقهم وما يتوقف عليه
الواجب فهو واجب قلنا انما يكون واجبا اذا كان مقدورا فان ما يتوقف عليه الواجب اذا لم يكن
مقدورا لا يستدعي وجوب الواجب وجوبه وعدم تصديقهم ليس مقدورا فلا يكون واجبا قلنا
لا نسلم ان عدم تصديقهم غير مقدور فان التصديق ممكن فعدمه ايضا ممكن فان الامكان متساوي نسبته
الى طرفي الوجود والعدم ولين سلم ان عدم التصديق ممكن وغير مقدور لكن كف النفس عن التصديق
ممكن ومقدور وتصديق الرسول فيما جا به عليه السلام موقوف على كف النفس عن التصديق
فيكون واجبا فيكونون مكلفين بالتصديق وكف النفس عن التصديق فيكونون مكلفين بالجمع بين
الضدين والجمع بين الضدين ممتنع لذاته ولا مخلص عن هذا الا بان يقال اما ان يتوقف عليه الواجب
الشرعي انما يكون واجبا شرعا اذا كان من الشرايط الشرعية فلا وفيه نظر فان ما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب سوا كان شرطا شرعيا او سببا كمماسة النار لاحتراق الحطب او غير سبب اما
ان ترك ضد الواجب الذي لا يتم الواجب الا به او فعل ضد المحرم الذي لا يتم ترك الحرام الا به
او طريقا الى الاتيان بالواجب كالكف عن الايمان بالنسبة الى الايمان على التقدير المذكور ويمكن
ان يقال ان وجوب ما لا يتم الواجب الا به وجوب بالتبع فالتكليف به تكليف بالتبع والمراد
بقولنا التكليف بالممتنع لذاته غير واقع ان التكليف بالاصالة بالممتنع لذاته غير واقع
واما التكليف بالتبع فالممتنع لذاته جاز ان يكون واقعا وهاهنا التكليف بالجمع بين
النقيضين انما نشا من التكليف بالكف عن الايمان والتكليف بالكف عن الايمان تكليف بالتبع
فالتكليف بالجمع بين النقيضين تكليف بالتبع ضرورة كون التكليف باحد النقيضين وهو
التكليف بالكف عن الايمان بالتبع وهذا غاية ما يقال في هذا الموضع

قوله تعالى

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم لما ذكر في الاية
الاولى بانهم لا يومنون ذكر سبب ترك الايمان فقال تعالى ختم الله على قلوبهم
الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشي بضرب الخاتم عليه كتمانه وتغطيته لان لا يتوصل
اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطا فعالة من غطاه وهذا البنا لما يشتمل على الشي كالقلوب
جمع القلب وهو قطعة من دم جامد وهو مسكن في الفواد وقيل انه الشكل الصنوبري المعلق
بالوتين معلوما والوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وبالجملة بيت النفس ومسكن
العقل ومحل العلم والفهم ولهذا خصه بالختم والختم على الوعا يمنع الدخول فيه والخروج

منه

منه كذلك الختم على قلوب الكفار يمنع دخول الايمان فيها وخروج الكفر منها والسمع قوة في الصماخ
يسمع بها السامع ويدرك المسموعات ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم
تعيشوا تعقلون ذلك اذا امن اللبس كقولك فرسهم وثوبهم رفضوه فانه يحتمل ان يكون فرس الجميع ويحتمل
ان يقال السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه قوله تعالى وفي اذاننا وقر
فانه لما لم يكن الاذن مصدرا جمع ويحتمل ان يقدر مضاف محذوف اي وعلى حواس سمعهم قال
سيبويه انه ان وحد لفظ السمع الا انه ذكر ما قبله وما بعده بلفظ الجمع وذلك يدل على ان المراد
منه الجمع قال تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وعن اليمين وعن الشمايل قال الراعي بها جيف
الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اي جلودها ويحتمل ان يكون السمع داخلا في حكم
التغشية وفي حكم الختم والتعويل عليه يدل على ذلك قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة ووقفهم على سمعهم دون قلوبهم ولما كانت القلوب والاسماع مجوفة كان اسناد الختم اليهما
اولى والابصار لما كانت بارزة ادراكها متعلق بظاهرها كان الغشاوة لها اليق وفايدة تكرار الجار في قوله
وعلى سمعهم ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين فانه لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والسمع في تعدية واحدة
والابصار جمع بصر وهو نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب
وهو ما به يستبصر ويتامل وقيل كان البصر والبصيرة جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى في العين
والقلب آلتين للابصار والاستبصار ذهب بعض الناس الى ان السمع افضل من البصر لانه تعالى قدم
السمع على البصر في الذكر ولان السمع شرط النبوة بخلاف البصر ولهذا ما بعث رسول اصم وقد كان
منهم من هو مبتلى بالعمى ولان بالسمع تصل نتايج العقول من بعض الى بعض فالسمع له مدخل عظيم في استكمال
العقول بالمعارف والبصر لا مدخل له في غير المبصرات ولان السمع متصرف في الجهات الست
بخلاف البصر ولان السمع بطلانه يقتضي بطلان النطق بخلاف البصر ومن الناس من ذهب
الى ان البصر افضل لان آلة القوة الباصرة اشرف ولان متعلق القوة الباصرة هو النور ومتعلق
القوة السامعة هو الريح والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشي اذا
امسك عنه كما تقول نكل عنه اي منع ومنه العذب لانه يقطع العطش ويردعه بخلاف المالح فانه
يزيده ويدل عليه تسميته العذب نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته اي يكسره
على القلب اي على قلب بعض الحروف ثم اتسع في العذاب فسمي كل الم فادح اي مثقل عذابا وان لم
يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض
الحقير والكبير نقيض الصغير فان كان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في
الجثث والمعاني جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير في غشاوة ان على ابصارهم
نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطا التعامي عن ايات الله وفي عذاب وصفته انهم من بين
الالام العظام نوعا عظيما لا يعلم كنهه الا الله اعلم ان الناس اختلفوا في هذا الختم ووجه اسناده
الى الله تعالى اما القايلون بان افعال العباد مخلوقة لله تعالى فعلى مذهبهم ظاهر فمنهم من قال معنى
الاية طبع الله على قلوبهم واقفلها فليست تعي خيرا ولا تفهم يدل عليه قوله تعالى ام على قلوب اقفالها
ومنهم من قال معناه حكم الله عليهم بالكفر والشقاوة كما يقال للرجل ختمت عليك بالشقاوة
ولا تفلح ابدا وعلى سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به ومنهم من قال الختم خلق الكفر
في قلوب الكفار ومنهم من قال هو خلق الداعية اذا انضمت الى القدرة صار القدرة معها سببا
موجبا لوقوع الكفر تقريره ان القادر على الكفر ان لم يقدر على تركه كانت القدرة عليه موجبة

له فخلق الفعل يستلزم خلقه وان قدر على الترك كانت نسبتهما اليهما على السوآء وحينئذ ان لم يتوقف
صدورهما على انضمام مرجح اليها فقد وقع الممكن اي الكفر من غير مرجح وتجويزه يقتضي انسداد باب
الصانع وان توقف فذلك المرجح ان كان من الله وجب وقوعه والا يلزم الترجيح لا لمرجح او التسلسل
وهما محالان وان كان المرجح لا يكون من الله تعالى ولا من العبد يلزم حدوث شي لا لموثر او التسلسل وهما
محالان فثبت ان خلق الداعيه الموجبه للكفر من الله تعالى فيكون ختما على القلب ومنعا عن قبول
الايمان ولهذا لما حكم الله عليهم بانهم لا يومنون ذكر عقيبه ما يجرى مجرى السبب الموجب له لان العلم
بالسبب يفيد العلم بالمسبب والعلم بالمسبب لا يكمل الا اذا استفيد من السبب واما المعتزله الذين
قالوا ان الافعال الاختياريه الصادره عن الانسان انما هو بقدرته واختياره فقد قالوا لا يجوز اجرآ
هذه الايه على ظاهرها قال صاحب الكشاف لا ختم ولا تغشيه ثم على الحقيقه وانما هو من باب المجاز
ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه الاستعاره والتمثيل اما الاستعاره فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها
ولا يخلص الى ضمايرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو
عن الاصغا اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي ايات الله المعروضه
ودلايله المنصوبه كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك
واعلم ان هذه استعاره مصرح بها تحقيقيه تبعيه اما انها استعاره فلانه شبه عدم نفوذ الحق في قلوبهم
وعدم خلوص الحق الى ضمايرهم ومج سمعهم الحق ونبوه على الاصغا اليه وكراهة استماعه باشيآ فيها بالختم
وعدم اجتلا ابصارهم ايات الله ودلايله المنصوبه بالغطا عليها فحال القلوب والاسماع شبهه بالختم والاستيثاق
وحال الابصار بالغطا والغشاوه وذكر احد طرفي التشبيه فيكون استعاره واما انه استعاره مصرح
بها فلان الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به فان الختم والغشاوه هما المشبه بهما واما انها
تحقيقيه فلان المشبه المتروك وهو حال القلوب والاسماع والابصار شي متحقق عقلي واما انها تبعيه فلانها
وقعت في الفعل والصفه فالفعل ختم والصفه غشاوه قال واما التمثيل فان تمثل قلوبهم واسماعهم وابصارهم
حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينيه التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشيا ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها بالختم والتغطيه فهذه استعاره بالكنايه اما انها استعاره فلان القلوب والاسماع والابصار هي المشبهه
ولا شك ان كلا من الاستعاره المصرح بها التحقيقيه التبعيه والاستعاره بالكنايه من انواع المجاز
لان الاستعاره هو المجاز اللغوي المعنوي المفيد المتضمن للمبالغه وسمى صاحب الكشاف الاستعاره
بالكنايه التمثيل وجعله قسيما للاستعاره لانه اراد بالاستعاره المصرح بها التبعيه ثم قال وقد
جعل بعض المازنيين الحبسه في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس
على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر قال صاحب الكشاف فان قلت
فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه
وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه
ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشا ونظاير
ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله
تعالى فلوجوه الاول ان هذه الصفه في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشي الخلقي الا ترى الى قولهم فلان
مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك من ان الختم
مسند الى الله تعالى وقد وردت الايات ناعيه على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط
بذلك الوعيد بعذاب عظيم الثاني يجوز ان تضرب الجمله كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا لقولهم سال

به الوادي اذا هلك وطارت به العنقا اذا اطال الغيبه وليس للوادي ولا للعنقا عمل في هلاكه
وطول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال
من طارت به العنقا فكذا مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال ختم الله عليها
نحو قلوب الاغنام التي هي خلو عن الفطن كقلوب البهايم او بحال قلوب البهايم انفسها
او بحال قلوب ختم الله عليها حتى لا تعي شيا ولا تفقهه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق
ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك الثالث يجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله
فيكون الختم مسندا الى اسم الله تعالى على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقه بيان هذا ان للفعل
ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب
له فاسناده الى الفاعل حقيقه وقد يسند الى هذه بطريق المجاز المسمى استعاره
وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراته فيستعار له اسمه
فيقال في المفعول عيشه راضيه وما دافق وفي عكسه سيل مفعم فان السيل يفعم الوادي اي يملاه
فجعل الفاعل مفعولا وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذايل وفي الزمان نهاره صايم وليله قايم
وفي المكان طريق ساير ونهر جار واهل مكه يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينه
وناقه ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها والشيطان هو الخاتم في الحقيقه
او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند الختم اليه كما يسند الفعل
الى المسبب الرابع ان اعناقهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يومن ولا تغني عنهم الايات
والنذر ولا يجري عليهم الا الالطاف المحصله والمقربه ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم
بانه لا طريق الى انهم لم يومنوا طوعا واختيارا ولا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء
واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجيهم ثم لم يقسرهم ولم يلجيهم لئلا ينتقض الغرض في
التكليف عبر عن ترك القسر والالجا بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر
والاصرار عليه الى حد لا تنتهي عنه الا بالقسر والالجا وهي الغايه القصوى في
وصف لجاجهم في الغي واستشرايهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكايه لما كانت
الكفره يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنه مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكايه والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينه قال صاحب الانتصاف من الكشاف
فيه هذه اول عشوه خبطها في مهواه من الاهوا هبط فيها حيث زل عن منصة الايمان بالنص
الى حضيض تاويله ابتغا لفتنته واستبقا لما نبت عليه من المحنه فانطوى كلامه هذا
على ضلالات اعدها واوردها الاولى مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى
ومقتضاها انه لا حادث الا بقدرة الله تعالى لا شريك له في الاحداث والامتناع من
قبول الحق من جملة الحوادث فوجب انتظامه في سلك مخلوقات الله تعالى الحادثه
بقدرته العامه المتعلقه بالكاينات والممكنات الثانيه مخالفة دليل النقل المضافر
لدليل العقل مثل قوله تعالى الله خالق كل شي هل من خالق غير الله وهذه الايه ايضا
فان الختم فيها مسند الى الله فصار صاحب الكشاف لا يابى ذلك ولكنه يدعي الالتجا
الى تاويلها لدليل قام عنده عليه فاذا ثبت ان الدليل العقلي على وفق ما دلت عليه الايه
وجب تنزيلها على ظاهرها بل لو وردت على خلاف ذلك الظاهر لوجب تاويلها

قلوب

الا

بالدليل جمعا بين العقل والنقل الثالثة الفرار من نسبة ما اعتقده قبيحا الى الله تعالى تنزيها على زعمه
الى الاشراك به في اعتقاده ان الشيطان هو الذي يخلق الختم والكافر يخلقه في نفسه بقدرته على خلاف
مراد ربه فلقد استوخم من السنة المناهل العذاب وورد من حميم البدعة موارد العذاب الرابع
الغلط باعتقاد ان ما يقبح شاهدا يقبح غائبا فلما كان المنع من قبول الحق قبيحا في الشاهد وجب على زعمه ان
يكون قبيحا من العذاب وهذه قاعدة قد فرغ من ابطالها فيما فيها الخامسة اعتقاده ان ذلك لو
فرض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلما والله تعالى منزه عن الظلم بقوله وما انا بظلام للعبيد ومن
الظلم البين جهل حقيقة الظلم فانه التصرف في ملك الغير بغير اذنه فكيف يتصور حقيقة الظلم
لله تعالى وكل موجود ممكن ملك له فالملك لله الواحد القهار السادسة انه فر من اعتقاد
نسبة الظلم الى الله تعالى فتورط فيه الى عنقه فانه قد جزم بان المنع من قبول الحق
لو كان من فعل الله تعالى لكان ظلما فيقال له قد قام البرهان على انه من فعل الله تعالى
فيلزمك ان يكون ظالما تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والحال الذي
يدندن حوله هو لو ان افعال العبد لو كانت مخلوقة لله تعالى لما نعاها على عباده ولا
عاقبهم ولا قامت حجة الله عليهم وهذه الشبهة قد اجراها في ادراج كلامه
المتقدم فيقال لهم لم قلتم انها لو كانت مخلوقة لما نعاهم ولا عاقبهم ولا قامت
حجة الله عليهم فان استندوا الى هذه الملازمة فكذلك ينقلون الى قاعدة التحسين
والتقبيح وقالوا معاقبة الانسان بفعل غيره قبيحة في الشاهد لا سيما اذا كانت
المعاقبة من الفاعل فيلزم طرد ذلك غائبا قال الصاحب ابن عباد في فصل له
في هذا الباب كيف يامر بالايمان وقد منعه منه وينهاه عن الكفر وقد حمله
عليه وكيف يصرفه عن الايمان ثم يقول انى يصرفون ويخلق فيهم الافك ثم يقول
انى يؤفكون وانشا فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم لبس الباطل ثم
يقول لم تلبسون الحق بالباطل وصدهم عن سبيل الله ثم يقول لم تصدون
عن سبيل الله وحال بينهم وبين الايمان ثم قال وماذا عليهم لو امنوا وذهب بهم
عن الرشد فقال فاين تذهبون واضلهم عن الدين حتى اعرضوا ثم قال فما لهم عن
التذكرة معرضين وانه كان الله تعالى يقول رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل ثم قال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى فلو كان الكفر
بفعله لكان ذلك من اعظم الاعذار واقوى الوجوه الدافعة للعقاب عنهم قيل لهم
ويقبح في الشاهد ايضا ان يمكن الانسان عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه
ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على ردعه وترده فان الاول عنه فيقولون
اجل انه يقبح في الشاهد ولكن ثم حكمة استاثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد
والغائب فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على ان لا يقع منه
ولم يحسن ذلك في الشاهد وفي هذا الموطن تزل اقدامهم وتنتكس اعلامهم اذ
لاحت لهم قواطع اليقين وبوارق البراهين فيقال ما المانع من كون تلك الافعال
مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها لمصلحة وحكمة استاثر بها كما زعمتم منه الان فليسلك
احدكم الطريق المستقيم وينظر عاقبة هذا الامر فيصير اخره اوله ويفوض من الابتداء الى

خالقه

خالقه ويتلقى حجة الله بالقبول والتسليم ويسلك الطريق الاعدل متهديا بنور العقل ومقيدا
بدليل الشرع فان نازعته النفس وجاذبته الهواجس ورغب في مستند من حيث النظر يانس به
في مفاوز الفكر فليخطر بباله ما ذكر عند كل عاقل من التمييز بين الحركة الاختيارية والعسرية
ولا عبرة عنده في هذه التفرقة رأسا **قوله تعالى** ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم
السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر باطنا وظاهرا قلوبا والسنة
ثم ثلث بالذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه
وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في ايتين وحال الذين نافقوا
في ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم
وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين
عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة قال صاحب الكشاف
اصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفت الهمزة مع لام التعريف كاللازم
لا يكاد يقال الاناس قال صاحب الصحاح فيه ولم يجعلوا الالف واللام فيه عوضا عن الهمزة المحذوفة
لانه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه في قول الشاعر ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا
ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا به لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا وقيل سمي الانسان به لانه انس بحوا وقيل لانه انس بربه
ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في وزن قه افعل وليس معك
الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال قيل جمع رخل بكسر الخا الانثى من اولاد الضان
والذكر حمل وعند بعض ليس رخال بجمع بل هو اسم جمع وقيل الفرق بين الجمع المبني على
المفرد وبين اسم الجمع ان اسم الجمع في حكم الافراد بدليل جواز التصغير فيه ولا يجوز
تصغير الجمع الحقيقي اذا كان جمع كثرة واما اذا كان جمع قلة فيصغر كما هو وجمع الكثرة يرد الى
واحده او الى جمع قلته واما نويس فقياسه انيس لان اصل ناس اناس وعند
التصغير يرد الاسم الى اصله فنويس من المصغر الاتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل
تصغير انسان ورجل وذهب الكسائي الى انه من نوس وهو الحركة قلبت الواو الفا
لتحركها وانفتاح ما قبلها سموا بذلك لنسيانهم قال الله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي قال الشاعر فان نسيت عهودا منك سالفة فاغفر فاول ناس اول الناس
فوزنه على الاول عال وعلى الثاني فعل وعلى الثالث فلع قال صاحب الكشاف ولام التعريف
في الناس للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل
ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق
ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت بني فلان فلم يقروني والقوم لئام وقيل الوجه
ان يقال اللام للعهد ولا وجه للجنس لان من الناس خبر من يقول فلو كان للجنس لكان المعنى
من يقول بعض الناس فظاهر انه لا فائدة فيه واما اذا كانت للعهد فمعناه ومن الناس
المذكورين جماعة يقولون كذا ولم يلزم ان يكون من موصولة في العهد بل يجوز كلاهما

ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا لقوله تعالى من المومنين رجال
صدقوا ان جعلت اللام للجنس فان جعلتها للعهد فموصولة لقوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي لانك ان
جعلت اللام للجنس لم تفد تعريفا فناسب ان يكون من موصوفة لانها نكرة لا موصولة لانها معرفة
وان جعلت اللام للعهد افاد تعريفا فناسب ان يكون من موصولة لانها معرفة مناسبة الجنس
للجنس والعهد للعهد فان قلت كيف يجوز ان يجعل اللام في الناس للعهد والاشارة الى الذين
كفروا المار ذكرهم فيكون من يقول امنا اي المنافقون بعض اولئك اي الذين كفروا لانه حينئذ
يكون معناه المنافقون بعض الناس المعهودين وهم الذين كفروا اللذين كفروا وهم المختوم على
قلوبهم والمصممين المصرين الذين ختم على قلوبهم وصيرهم جنسا واحدا ولون المنافقين نوعا
من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الاخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة
والاستهزاء لاخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات
وقعت من بعضها وتلك المغايرات انما تاتي بالنوعية ولا تابى الدخول تحت الجنسية والحاصل
ان الذين كفروا عام شامل للفريقين المصممين المصرين المختوم على قلوبهم والمنافقين الذين لم يختم
على قلوبهم وخص هنالك بان اريد به الفريق الاول بقرينة وهذا لا خلل فيه فان ذكره بطريق
العهد لا يزيد على اعادته بعينه فانه لو اعيد بعينه واريد به المنافقون هنا مع ان
المراد به المصرون هنالك لكان صحيحا فلذا اذا ذكره بطريق العهد وهذا الجواب انما يصح على
تقدير ان يكون التعريف في الذين للجنس لا للعهد والحاصل ان التعريف في الذين
ان كان للعهد وجب ان يكون في الناس للجنس وان كان في الذين للجنس جوز ان يكون
في الناس للعهد والجنس ويقول فاعله ضمير عائد الى من وهو لفظ مفرد للعقلاء يعم الواحد
والجمع والمذكر والانثى وحد في يقول نظرا الى لفظ من وجمع في وما هم بمومنين نظرا الى
معناها والقول اللفظ الموضوع لمعنى حقيقة ويطلق على اللفظ الدال على ما اشتمل
على النسبة الاسنادية وعلى الكلام النفساني قال الله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول واصل تعديته لواحد نحو قلت خطبة ويحكى بعده جملة يكون في محل نصب
مفعولا بها وامنا فعل وفاعل بالله واليوم الاخر متعلقان به والجملة في محل نصب
بالقول والجملة اي يقول امنا لم يكن لها محل من الاعراب على تقدير ان يكون من موصولة
لانها صلة والصلة لا محل لها من الاعراب ومحلها الرفع على تقدير ان يكون موصوفة لكونها
صفة لمن ومن مرفوع المحل لانه مبتدا او اختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر
بالذكر لكشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة اي الفسق فان القوم كانوا
يهودا وايمان اليهود بالله وباليوم الاخر ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله واعتقادهم
في اليوم الاخر على خلاف صفته فكان قولهم امنا بالله واليوم الاخر خبثا مضاعفا
وكفرا موجها لان قولهم امنا بالله وباليوم الاخر لو صدر عنهم على وجه النفاق وعقيدتهم
عقيدتهم اي ان عزيرا ابن الله وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغيره فهو كفر لا ايمان
فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان
الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم جعلوا
الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله واخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا
كل واحد من الايمانين على صفة الصحة كما تقدم في على قلوبهم وعلى سمعهم والاستحكام قال

صاحب

صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمومنين قولهم امنا بالله وباليوم
الاخر والاول في ذكر شان الفعل اي احدثنا الايمان لا الكفر ليس لذكر شان الفاعل
والالقال نحن المومنون لا غيرنا والثاني وهو قوله تعالى وما هم بمومنين في ذكر شان
الفاعل اي ما هم بمومنين بل غيرهم لا لذكر شان الفعل والالقال ما امنوا بل كفروا فكيف تطابقان
قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه من الفعل بطريق ابلغ فسلك بذلك الطريق ادى الى
الغرض المطلوب الذي هو انكار ما ادعوه وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره
وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان يكون طائفة من طوائف المومنين وذلك ابلغ في
نفي ما ادعوه وقد تبين ان الثاني لنفي الفعل لكن بطريق ابلغ لانه اخراج ذواتهم من ان
يكون طائفة من طوائف المومنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد
عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة وهو خروج ذواتهم من ان يكونوا طائفة من طوائف المومنين
فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم بقولهم امنا على سبيل
القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها وما نافية ويحتمل ان تكون هي الحجازية ترفع الاسم وتنصب
الخبر فيكون هم اسمها وبمومنين خبرها والباء زائدة تاكيدا او ان تكون التميمية
فلا تعمل شيئا فيكون هم مبتدا وبمومنين خبره والباء زائدة ايضا واما نفي الايمان في الاول
مقيدا بقوله بالله وباليوم الاخر وفي الثاني مطلقا فيحتمل ان يراد في الثاني ايضا التقييد
وترك لدلالة المذكور اولا عليه وان يراد بالاطلاق ثانيا سلب الايمان مطلقا على معنى انهم ليسوا
من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما واليوم الاخر
يحتمل ان يكون هو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع سمي به لتاخره
عن الاوقات المنقضية وان يكون الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده
قوله تعالى يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما
يشعرون هذه الجملة الفعلية يحتمل ان تكون مستانفة خرجوا بالسوال مقدر وهو ما بالهم
قالوا امنا وما هم بمومنين فقيل يخادعون الله وان يكون بدلا من الجملة الواقعة صلة لمن
وهي يقول ويكون بدل الاشتمال لان قولهم كذا مشتمل على الخداع وعلى الوجهين لا محل
لها من الاعراب والجمل التي ليس لها محل من الاعراب اربعة المبتداة والصلة والمعترضة والمفسرة
وان يكون حالا من الضمير المستتر في يقول فيكون في محل النصب ولا يجوز ان يكون صفة
لقوله وما هم بمومنين ولا حالا من الضمير فيه لاستدعائه نفي خداعهم والخدع اصله
الاخفاء ومنه سميت الخزانة مخدعا والاخدعان عرقان في العنق لانهما خفيان واما حده
فهو اظهار ما يوهم السلامة والسداد وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير والتخلص منه
قال صاحب الكشاف الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم
ضب خادع وخدع اذا امر الحارس اي صائد الضب على جحره اوهمه اقباله عليه ثم
خرج من باب اخر واعلم انه لا يمكن اجراء قوله يخادعون الله والذين امنوا على ظاهره
لانه لا يصح مخادعة الله والمومنين لان الله تعالى يعلم السر واخفى لا يعزب عنه
مثقال ذرة في الارض ولا في السما فلا يخدع ولان المنافقين لم يعتقدوا ان الله بعث الرسول

باب ح

فلم يكن قصدهم في نفاقهم مخادعة الله فلا يخدع ولا يخدع لان الخدع صفة نقص والله تعالى منزه
عنه والمومنون وان جاز ان يخدعوا لم يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع
وقول ذى الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جا النعت بالانخداع ولم يات بالخدع فلا بد من
التاويل وهو على وجوه منها ان صورة صنع المنافقين مع الله حيث يتظاهرون بالايمان ويبطنون
الكفر صورة صنع المخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجرا احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد
شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المومنين معهم حيث
امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم بجريان التوارث واعطا السهم من الغنم وغيرهما ومنها
ان يكون قوله تعالى يخادعون ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان
ادعاوه الايمان بالله نفاقا ولم يكن عارفا بالله وصفاته ولا يعلم انه تعالى يعلم الكليات
والجزئيات والضماير والسراير فلم يبعد منه تجويز ان الله يخدع ويصاب بالمكروه من وجه خفي
وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم ومنها ان يذكر الله ويراد به رسوله صلى الله عليه وسلم
على عادتهم في تفخيم امره وتعظيم شانه لانه خليفته في ارضه والناطق بنواهيه وفرضه كما يقال
قال الملك كذا ورسم كذا وانما القايل والراسم وزير او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم
رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله ومنها ان يكون على طريق قولهم اعجبني زيد وكرمه اى اعجبني كرم زيد فيكون المعنى
يخدعون الذين امنوا بالله وفايدة هذه الطريقة قوة الاختصاص فقوى اختصاص كرمه ولما كان المومنون
من الله تعالى بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه اى ورسول الله
احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يوذون الله ورسوله اى يوذون رسول الله ونظيره في كلامهم
علمت زيدا وفضله الغرض فيه ذكر اخاطر العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما قديما كانه قيل
علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيد لذكر فضله ومنها ان قوله يخادعون بمعنى
يخدعون لكن ذكر في زنة المفاعلة لان زنة المفاعلة في اصلها للمبالغة والمباراة اى المعاوضة والفعل
متى غولب فيه فاعله جا ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي
اليه ويعضده قراة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ومخادعتهم عن اغراض لهم
ومقاصد منها متاركة المسلمين والمنافقين فلا يتعرض المسلمون لهم واعفاوهم عن المحاربة وعن ما يطرق
المسلمين به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم ما يصطنعون به المومنين من اكرامهم والاحسان
اليهم واعطايهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوايد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم به
على الاسرار التي كانوا احراصا على اذاعتها الى منابذيهم اى مخالفيهم فان قيل الله تعالى كان قادرا
على ان يوحى الى النبي عليه السلام بعينه امرهم وخداعهم فلم لم يطلع المومنين على المنافقين حتى
لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنهم اجيب بان الله تعالى قادر على استيصال
ابليس وذريته ولكنه تعالى لم يطلعهم عليه وابقاهم ووفاهم اما لانه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
لا يسال عما يفعل او لحكمة التي لا يطلع عليها الا هو قوله وما يخادعون قرا الحرميان
يخادعون والباقون يخدعون فيحتمل ان يكون القراتان بمعنى واحد فيجى يخدعون على
لفظ يخادعون على بابها ويراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا
انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما يقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه
اى دائرة الضرر راجعة اليه وغير متخطية اياه ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة اى وهم
ذلك

ذلك يخادعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم تخادعهم
حيث تمنيهم وتعدهم بالاماني والنفس ذات الشي وحقيقته ولا يختص بالاجسام قال
الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك يقال عندي كذا نفسا اي شيابة قيل للقلب
نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرا باصغريه القلب واللسان وكذلك بمعنى الروح وللدم
نفس وفي الحديث ما ليس لها نفس سايلة لا ينجس الما اذا ماتت فيه لان قوام النفس بالدم وللما
نفس لفرط حاجة النفس الى الما قال الله تعالى وجعلنا من الما كل شي حي وحقيقة نفس الرجل
بمعنى عين اصيب نفسه لقولهم صدر الرجل اى اصيب صدره وقولهم فلان يوامر نفسه اذا تردد
في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس فسموهما
نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما
بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هاهنا حقيقتهم وذواتهم والمعنى يخادعون ذواتهم
لان الخدع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد
بانفسهم قلوبهم ودواعيهم واراوهم قوله الا انفسهم الاحرف استثنا وهذا يسميه
النحويون الاستثنا المفرغ لانه فرغ العامل قبل الا بحذف المستثنى منه وجعل اعرابه
لما بعد الا وسمي باسمه وان كان في المعنى خارجا من مستثنى منه محذوف الا ترى الى معنى ما قام
الا زيد ما قام احد الا زيد والا لم يستقم الاستثنا ولم يفهم ومما يدل على انهم اعتبروا
ذلك قولهم ما قام الا هند وامتناع قام هند لان هندا في قولك قامت هند فاعل في التحقيق
وفي قولهم ما قام الا هند الفاعل في التحقيق المستثنى منه وهند مستثنى ولكنه لما حذف
المستثنى منه تفرغ العامل له فعمل عمله في المحذوف والاستثنا المفرغ في غير الموجب ليفيد مثل
ما ضربني الا زيد وهل ضربني الا زيد ولا تضرب الا زيدا هذا هو الاكثر في هذا الباب
لان المستثنى منه محذوف ولا بد من تقديره معنى وانما يقدر عاما من جنس المستثنى وهذا
التقدير انما يستقيم مع النفي وما يشبهه من النهي والاستفهام الا ترى انك اذا قلت
ما ضربني الا زيد استقام تقديره ما ضربني احد ولو قلت ضربني الا زيد لم يستقم فيه المعنى
مثل ذلك بوجه وقد جا في المثبت قليلا فيما كان فضلة والمعنى مستقيما نحو قرات الا يوم
كذا لانه يجوز ان يقرا الايام كلها الا يوما بخلاف ضربني الا زيد فانه لا يستقيم ان يضربه كل
احد ويستثنى زيد فيكون تقديره وما يخدعون احدا الا انفسهم فانفسهم منصوب
بيخدعون لانه مفعول به قوله وما يشعرون الشعور علم الشي علم حس من الشعار
وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس
لكنهم لتماديهم في الغفلة كالذي لا يحس وهذه الجملة الفعلية اى وما يشعرون يحتمل ان يكون
لها محل من الاعراب وهو ان يكون منصوبا على الحال من فاعل يخدعون على معنى والحال
انهم لا يشعرون انهم ما يخدعون الا انفسهم فان وبال خداعهم راجع على انفسهم ومفعول
يشعرون محذوف للشعور به تقديره وما يشعرون انهم ما يخدعون الا انفسهم وان وبال
خداعهم راجع الى انفسهم او اطلاع الله عليهم والاولى ان لا تقدير له مفعول لان الغرض
نفي الشعور على الاطلاق عنهم من غير تقييد بمتعلقه والاول يسمى حذف الاختصار
اى حذف الشي لدليل والثاني يسمى حذف الاقتصار وهو حذف الشي لا لدليل
قوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون

المرض بالاشتراك مقابل للالم ولصفة حالة او ملكة تقتضي صدور الافعال عن موضوع تلك
الصفة غير سليمة والاول اثر الثاني والثاني اثر تفرق الاتصال او سوء المزاج وقد
يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واتباع
الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة تشبيهه بالمرض كما استعيرت الصحة
والسلامة في نقائض ذلك ووجه الشبه ان الاثر الخاص بالقلب انما هو معرفة الله تعالى والايمان
به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره وطاعته وعبوديته والخوف منه
ونهي النفس عن الهوى فاذا وقع في القلب ما صار مانعا من هذه الاثار صارت الصفات المانعة من هذه
الاثار شبيهة بالمرض والمراد بالمرض هنا المعنى المجازي المستعار له وهو ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد
والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
غلا اي غشا وحسدا وحنقا اي غيظا ويبغضونهم البغضاء اي شدة البغض التي وصفها الله تعالى قد
بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسوءهم
وناهيك بما كان من عبد الله بن ابي روي انه عليه السلام مر بعبد الله بن ابي على حمار فقال
عبد الله للنبي عليه السلام نح حمارك يا محمد فقد اذتنا ريحه فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه
لرسول الله حين شكا رسول الله من عبد الله بن ابي اليه اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله
لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك ويحتمل ان يراد بالمرض ما داخل قلوبهم
من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يحدثون به ان ريح
الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملك قلوبهم الياس عند انزال
الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراتهم وحسارتهم في الحروب فضعفت
جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر قوله فزادهم الله مرضا هذه جملة
فعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها مسببة عنها فان زيادة المرض مسببة عن المرض والجملة الاسمية
مستانفة جواب لسؤال مقدر وهو ما بالهم يخادعون الله والذين امنوا فقيل في قلوبهم مرض ويحتمل
ان يكون جوابا لسؤال مقدر وهو ما بالهم لا يشعرون وعلى التقديرين لا محل لها من الاعراب
وضعف جعلها حالا من الضمير في يخدعون او يشعرون لعدم الواو وزاد يستعمل لازما يقال
زاد المال ومتعديا الى مفعولين ثانيهما غير الاول كاعطى وهنا فيجوز حذف مفعوليه واحدهما
اختصارا واقتصارا قال الله تعالى وزدناهم هدى فزادهم الله مرضا وزدت زيدا
ولا تذكر ما زدته وزدت مالا ولا تذكر من زدته والف زاد منقلبة عن ياء لقولهم زيد وقيل فزادهم
الله مرضا دعاء عليهم وقيل هو خبر ان الله تعالى فعل بهم ذلك اي زادهم غما على غمهم بما زيد في
اعلاء امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك من الوحي وظهر من البراهين او زادهم سوء الاعتقاد والكفر
على تقدير ان يكون المراد بالمرض في قلوبهم مرض سوء الاعتقاد والكفر فان الزيادة من جنس المزيد
عليه قال صاحب الكشاف بناء على اصله الفاسد وهو ان الله تعالى لا يفعل الكفر والقبيح معنى زيادة
الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم وكان الله هو
الذي زادهم ما ازدادوا واسناد الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض

ازدادوا

وما

ت

ازدادوا حسدا وغيظا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا ورجاهم وجبنا
وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع قال الامام الاولى ان يحمل المرض على الم القلب وذلك
لان الانسان اذا صار مبتلى بالحسد والنفاق ومشاهدة المكروه ربما صار ذلك سببا لتغير مزاج القلب
وتالمه فانه يكون حملا للفظ على مفهومه الحقيقي قوله ولهم عذاب اليم مقابل الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة
للمولم كما ان الجد للجاد قوله بما كانوا يكذبون متعلق بالاستقرار المقدر في لهم اي استقر لهم عذاب
اليم بسبب كذبهم والكذب الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به والجاحظ لا يسميه كذبا الا اذا اعتقد المخبر
ان الخبر على خلاف ما هو به والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وتعليق عذابهم الاليم بالكذب المطلق
اشارة الى ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم فيكون دالا على ان الكذب حرام قبيح ونحو قوله مما خطاياهم
اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها واما ما روي عن
ابرهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات احداها سارة اختي وثانيها اني سقيم وثالثها بل
فعله كبيرهم فالمراد به التعريض وهو خلاف التصريح وهو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر فيه كقولك ما اقبح
البخل تعريضا بانه بخيل ولكن لما كانت صورة ما قاله ابرهيم صورة الكذب وقد سمي به وقد رخص
في التعريض عند الحاجة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب
وعن ابي بكر رضي الله عنه موقوفا وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان اي
في جانب اخر غير جانب الايمان وما يجوز ان تكون مصدرية اي بكونهم يكذبون فلا حاجة الى
ضمير عائد على ما اي بالذي كانوا يكذبونه والعائد محذوف وجاز حذفه لكونه منصوبا متصلا
بفعل وليس ثم عائد اخر وقرئ يكذبون من كذبه نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة
في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى
الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا اجرى شوطا ثم وقف
لينظر ما وراءه لان المنافق متردد متوقف في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه
مرة والى هذه مرة قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما
نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون اذا ظرف زمان مستقبل
يتضمن معنى الشرط غالبا ولا يستعمل غالبا الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه فلذلك لم
يجزم الا في الشعر لمخالفتها اداة الشرط فانها للامر المحتمل وقد تكون للزمان الماضي
وقد تكون لمجرد الظرفية كقوله تعالى والليل اذا يغشى وللمفاجاة ايضا وهل هي حينئذ
باقية على زمانيتها او صارت ظرف مكان او حرفا ثلثة اقوال اصحها الاول استصحابا
للحال وقيل فعل ماض مبني للمفعول اصله قول استثقلت كسرة الواو فنقلت الى القاف بعد سلب
حركتها فسكنت الواو بعد كسرة فقلبت ياء هذه اللغة الغالبة وعليها العامة وقرا الكسائي
قيل وغيض وحيل وسيق وسيء وسيت باشمام الضمة فيها لتكون دالة على الواو
المنقلبة وكان ابن عامر يضم من ذلك ثلثة حيل وسيء وسيق واذا ظرف منصوب بالعامل
فيه جوابها وهو قالوا بعد والتقدير قالوا انما نحن مصلحون وقت قول القائل لهم
لا تفسدوا والجملة من قوله قيل وما في حيزه في محل الجر باضافة الظرف اليه عند الجمهور
واختار بعضهم ان الجملة التي بعد اذا ناصبها ليس في محل خفض بالاضافة لان اذا اداة

في

شرط فحكمها حكم الظروف التي يجازى بها فكما انك اذا قلت متى تقم اقم كان متى منصوبا
بفعل الشرط فكذلك اذا قال والذى يفسد ما ذهب اليه الجمهور اذا قمت فقم وقال
و وقوع اذا الفجائية جوابا لها وما بعد الفاء واذا الفجائية لا تعمل ما بعدهما فيما قبلهما قوله
جار ومجرور متعلق بقيل واللام للتبليغ ولا حرف نهي يجزم فعلا واحدا وتفسدوا
مجزوم بها علامة جزمه حذف النون لانه من الامثلة الخمسة وفي الارض متعلق به
والقائم مقام الفاعل هو الجملة وهو قوله لا تفسدوا لانه هو المقول في المعنى والتقدير
واذا قيل لهم هذا اللفظ وهذا الكلام فتكون الجملة في محل الرفع وقيل القائم مقام الفاعل
مصدر اي قول يفسره ما بعده والمعنى واذا قيل لهم قول سديد وجاءت الجملة بعده
وهي قوله لا تفسدوا مفسرة له ولا موضع لها من الاعراب ولا يجوز ان يكون لا تفسدوا
قائما مقام الفاعل لان الجملة لا تكون فاعلة ولا تقوم مقام الفاعل واجيب
بان الجملة اذا اريد بها لفظها نفسه يصح ان يكون مسندا اليها فلا يجوز ان يكون لهم قائما
مقام الفاعل الا على راي الكوفيين والاخفش اذ يجوز عندهم اقامة غير المفعول به مع وجوده
مقام الفاعل والقائل هو الله تعالى او الرسول او المؤمنون ولا يجوز ان يكون القائل من لا يختص
بالدين واذا قيل لهم معطوف على يكذبون فانك اذا قلت لهم عذاب اليم بما كانوا اذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض قالوا انما نحن مصلحون كلاما صحيحا ويجوز ان يكون يعطف على يقول امنا لانك لو
قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه من حيث انه يليه وهو
قريب وان كان اللفظ على المعنى لكونه بمعنى المستقبل لدخول اذا عليه والفساد خروج الشيء عن
حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة
والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد الارض وانتفاء الاستقامة
عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في
الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت
بين طي حرب الفساد وفي المراد بالفساد في هذه الاية خمسة اقوال احدها الكفر قاله ابن عباس
وثانيها العمل بالمعاصي قاله ابو العالية ومقاتل وثالثها الكفر والمعاصي قاله السدي ورابعها
ترك امتثال الاوامر وترك اجتناب النواهي قاله مجاهد وخامسها انه النفاق الذي صافوا
به الكفار وممايلتهم اياه ومما لاتهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي
الى هيج الفتن بينهم فلما كان من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل
لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته قوله انما نحن مصلحون
ان حرف مكفوف بما الزائدة عن العمل ولذلك يليها الجملة مطلقا وهي تفيد الحصر اما لقصر
الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب والسبب في افادة
انما معنى القصر هو تضمينه معنى ما والا فان ان لاثبات المذكور بعدها ونفيا لما سواه وقيل ان
للاثبات وما للنفي فاذا اجتمع بينهما فاما ان يعملا او احدهما وهو خلاف الاصل او يعملا
في المذكور بعدها او في غير المذكور فيقتضي الى التناقض او يعمل النفي للمذكور والاثبات
لغيره وهو باطل بالاتفاق فتعين العكس فيفيد الحصر ومع هذا بان ما لو كانت نافية لبطلت
صدريتها ولاجتمع حرف الاثبات والنفي بلا فاصل بل الوجه ان يقال ان كلمة ان لما كانت
للتاكيد ثم اتصلت بها ما المؤكدة ضاعف تاكيدها فناسب ان يضمن معنى القصر لان قصر الحكم

على شيء وبالعكس ليس الا تاكيدا للحكم على تاكيد واعلم ان ان واخواتها اذا وليها ما الزائدة
بطل عملها وذهب اختصاصها بالاسماء ونحن ضمير مرفوع منفصل للمتكلم ومن معه او للمعظم نفسه
ومصلحون خبره والجملة في محل النصب لانها محكية لقالوا ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة
المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والذين
قالوا انما نحن مصلحون هم المنافقون ولما كان ما نهوا عنه وهو الافساد في الارض كان قولهم
انما نحن مصلحون كالمقابل له فيظهر احتمالات منها انهم اعتقدوا ان دينهم هو الحق وكان
سعيهم لاصلاح دينهم لا جرم قالوا انما نحن مصلحون لانهم في اعتقادهم ما سعوا الا لتطهير
وجه الارض عن الفساد ومنها انا اذا امرنا لا تفسدوا ابتداء اراءة المنافقين والكفار فقولهم
انما نحن مصلحون يعني ان هذه المداراة ليست الا الاصلاح بين الفريقين ولذلك حكى الله عنهم انهم
قالوا ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وقد يستدل بهذه الاية على ان من اظهر الايمان وجب
اجراء حكم المؤمنين عليه وتوبة الزنديق مقبولة قوله تعالى الا انهم هم المفسدون
قيل الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام
اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا من التحقيق لا تكاد
تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم اي الجملة المحققة مثل ان ولام التاكيد
واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعهما اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي
ابكى واضحك وقيل الا حرف استفتاح وتنبيه وليست مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية
بل هي بسيطة مشتركة بين التنبيه والاستفتاح فيدخل على الجملة اسمية كانت او فعلية وانهم
ان واسمها وهم يحتمل ان يكون تاكيدا لاسم ان لان الضمير المرفوع المنفصل يؤكد به جميع ضروب
المضمر المتصل وان يكون فصلا وان يكون مبتدا والمفسدون خبره والجملة خبر ان وعلى
الاحتمالين الاولين المفسدون خبر لان رد الله تعالى ما ادعوه من قولهم انما نحن مصلحون
ابلغ رد وادله على سخط عظيم لانهم اخرجوا الجواب جملة اسمية مؤكدة بانما والمبالغة فيه من جهة
الاستيناف والاستفتاح والتنبيه وما في الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل وقوله لا يشعرون وفيه تاكيد ايضا لان الشعور علم الشيء علم حس فاذا نفي
شعورهم فكانه ادعى ظهور فساد وهو تاكيد ولكن لا يشعرون الواو عاطفة لهذه الجملة
على ما قبلها ولكن معناها الاستدراك وهو معنى لا يفارقها وتكون عاطفة في المفردات
ولا تكون الا بين المتنافيين ومعنى الاستدراك في هذه الاية انهم لما نهوا
عن الفساد فقابلوا ذلك بانهم مصلحون واخبر تعالى بانهم هم المفسدون وكانوا حقيقيين
بان يعلموا ان ذلك كما اخبر تعالى وانهم ليسوا بمصلحين فاستدرك عليهم هذا المعنى
فقال ولكن لا يشعرون ومفعول يشعرون محذوف اما حذف اختصار اي لا يشعرون
بانهم هم المفسدون واما حذف اقتصار وهو احسن اي ليس لهم شعور اصلا
قوله تعالى واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون قوله واذا قيل لهم امنوا الكلام فيه كالكلام على قوله واذا قيل
لهم لا تفسدوا وامنوا فعل وفاعل والفاعل امن والكاف في قوله كما في محل نصب
قيل لكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر اي امنوا ايمانا كايمان
الناس وعند سيبويه منصوب على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم
لان حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لا يجوز في مثل هذا الموضع وما

مصدريه في محل الجر بالكاف وآمن الناس صفتها قال صاحب الكشاف ما في كما يجوز ان تكون
كافة للكاف عن العمل مثلها في ربما قام قتيل ولا ضرورة تدعو الى هذا الا ان جعلها مصدريه
مبقي للكاف على ما عهد لها من العمل بخلاف من جعلها كافه واللام في الناس فيها وجهان
احدهما انها للعهد اي كما امن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام
واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابنا جنسهم لانهم كانوا يهوديين مثلهم اي كما امن اصحابكم واخوانكم
وثانيهما انها للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانيه ثم او جعل المومنون كانهم الناس على
الحقيقه ومن عداهم كالبهايم في فقد التميز بين الحق والباطل قال الله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل فان فضل الانسان على ساير الحيوانات بالعقل المميز بين الحق والباطل والذكر الهادي
والاستفهام في انومن للانكار واللام في السفها للعهد مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك
ان زيدا قد سعى بك فتقول او قد فعل السفيه فاللام في السفيه للعهد مشار بها الى معهود
مع انه من غير لفظه ويجوز ان تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم
لان المومنين عندهم اعرف الناس في السفه لان المنافقين لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف
انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولان
المنافقين كانوا في رياسه وبسطه في قومهم ويسار وكان اكثر المومنين فقرا ومنهم موالي
كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفها تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام
واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماته
بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم واعلم ان المومنين
اتوا المنافقين في النصيحه من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يفضي الى الفساد والفتنه
وهو قولهم لا تفسدوا وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم
في عدادهم وهو قولهم امنوا كما امن الناس فكان جوابهم في الاول انما نحن مصلحون وفي الثاني
انومن كما امن السفها سفهوهم لفرط سفههم وجهلهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسليه للعالم
مما يلقى من الجهله قيل ما الموت الاحمر اي الشديد فقال ان تجالس من لا تجانس
واما فصلت هذه الايه بلا يعلمون والايه التي قبلها بلا يشعرون لان النفاق وما فيه من
البغي المفضي الى الفساد في الارض والفتنه امر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس
خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان بينهم من التغاور اي اغارة بعضهم على بعض والتناحر
اي التقاتل واصله التضارب في النحر والتحازب اي التفرق من الحزب او من حزبه
امر اذا نابه فهو كالمحسوس المشاهد واما امر الديانه والوقوف على ان المومنين على الحق
وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفه وايضا فقد ذكر
السفه وهو جهل وكان ذكر العلم معه احسن طباقا **قوله تعالى** واذا لقوا الذين
امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون مساق هذه
الايه خلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين وهو قوله ومن الناس من يقول امنا
لان اول القصه في بيان مذهبهم والترجمه عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع
المومنين من التكذيب لهم والاستهزا بهم ولقاهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم
فاذا فارقوهم الى شياطينهم الذين اغووا اهلهم خبثا وذعارة صدقوهم ما في قلوبهم
وليست هذه الايه بتكرير لما سيقت له اول القصه عن ابن عباس رضي الله عنهما
كان عبد الله بن ابي بن سلول الخزرجي عظيم المنافقين من رهط سعد بن عباده وكان اذا لقي

سعدا

سعدا قال نعم الدين دين محمد وكان اذا رجع الى رؤسا قومه من اهل الكفر قال شدوا
ايديكم بدينكم ابا بكر فانزل الله تعالى هذه الايه في عبد الله بن ابي واصحابه وروي ان عبد الله
بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عبد الله ابن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد هولا السفها عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر
فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في
دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه
سيد بني هاشم ما خلا رسول الله عليه السلام فقال علي اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر
خليقة الله فقال له عبد الله مهلا ابا الحسن اتقول هذا والله ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم
ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا
عليه خيرا وقالوا لا نزال بخير ما عشت فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك
فانزل الله عز وجل واذا لقوا لقوا اصله لقيوا فاستثقلت الضمه على اليا فنقلت
الى القاف بعد اسقاط كسرتها فالتقى ساكنان اليا التي هي لام الفعل والواو التي هي ضمير جماعة
الذكور الغايبين فحذف اليا فصارت لقوا على وزن فعوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته
قريبا منه وخلوت بفلان واليه انفردت معه ويحتمل ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك
ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخاليه ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك
خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخريه بالمومنين الى شياطينهم وحدثوهم بها
كما تقول احمد فلانا اليك واذمه اليك واصل خلوا خلووا فقلبت الواو الاولى التي هي لام
الفعل الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فبقيت ساكنه وبعدها واو الضمير الساكنه فالتقى
ساكنان فحذفت اولاهما وهو الالف وبقيت الفتحه داله عليها وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين
في تمردهم جمع شيطان وهو المتمرد من الجن وقال ابو عبيده الشيطان اسم لكل عارم اي شرير
من الجن والانس والحيوانات وقد يطلق على كل قوه ذميمه في الانسان قال صلى الله عليه وسلم
الحسد شيطان والغضب شيطان وذلك لانهما يشينان عنه واختلف اهل اللغه في اشتقاقه
فقال جمهورهم هو مشتق من شطن يشطن اي بعد لانه بعيد من رحمة الله والصلاح والخير
وجعل سيبويه في موضع من كتابه نون الشيطان اصليه والدليل على اصالتها قولهم تشيطن
اي فعل فعل الشيطان فهذا كله يدل على انه من شطن لثبوت النون وسقوط الالف
في تصاريفه ووزنه على فيعال وقيل مشتق من شاط اذا بطل ومن اسما الباطل وقيل
شاط اي هاج واحترق وهذا موجود فيه فاخذ وابدال انه مشتق منها لكن لم يسمع
في تصاريفه الا ثابت النون محذوف الالف فعلى هذا وزنه فعلان فاذا سمي
بشيطان فهو منصرف لمجي شيطانه والا فعلى الاول منصرف وعلى الثاني غير منصرف قوله
تعالى انا معكم انا هو ان واسمها ومعكم خبرها واصل انا اننا لقوله تعالى اننا سمعنا مناديا
وانما حذفت احدى نون ان لما اتصلت بنون نا تخفيفا وكم في محل الخفض باضافة مع اليها
فيتعلق معكم بمحذوف وهو ظرف مكان اما انه ظرف فلانه يدل على الصحبه ومن
لوازمها الظرفيه واما انه ظرف مكان فلانه مخبر به عن الجثث نحو زيد معك وهي من
الاسما اللازمه للاضافه وقد تقطع لفظا فتنتصب حالا غالبا تقول جا الزيدان معا

فقوله انا معكم اى انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانا معكم على النصرة والمعاضده
مخاطبتهم المومنين بالجملة الفعليه وهى قولهم امنا ومخاطبتهم شياطينهم بالجملة الاسميه
محققة بان لان ما خاطبوا به المومنين غير جدير باقوى الكلامين واوكدهما لانهم فى مقام
ادعا حدوث الايمان منهم لا فى ادعا انهم اوحديون فى الايمان غير مسبوق فيه اعتبارهم
اى غير مسبوقين وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقايدهم باعث
ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحيه وصدق رغبه واعتقاد واما لانه
لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التاكيد والمبالغه وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه
وهو بين ظهرانى المهاجرين والانصار الذين مثلهم فى التوراة والانجيل الا ترى الى
حكاية قول المومنين ربنا اننا امنا واما مخاطبة شياطينهم فهم فيما اخبروا به
عن انفسهم من الثبات على اليهوديه والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزولوا
عنه على صدق رغبه ووفور نشاط وارتياح للتكلم وما قالوه من ذلك فهو رايج عنهم متقبل
منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد قوله انما نحن مستهزءون لقوله انا معكم مصلحون
والاستهزا السخريه والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزء
يهزء مات على المكان عن بعض العرب مشيت ولغبت وطئت لا هزان على مكانى اى لا موتن
وناقته تهزؤ به اى تسرع وتخف وقياس تخفيف همزة مستهزءون ونحوه ان يجعل بين بين
اى بين الهمزة والحرف الذى منه حركتها وهو الواو والاخفش يقلبها ياء محضه وقوله
انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشى المستخف به منكر له
ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشى تاكيد لثباته واما بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر واما استيناف كان شياطينهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا ان
صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون **قوله تعالى** الله
يستهزئ بهم لا يجوز الاستهزا على الله تعالى لانه نقص لانه من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله
اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين والنقص على الله محال بل المراد منه
انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذى يرميه هو طلب الخفة والزراية
بمن يهزا به وادخال الحقارة والهوان عليه والاستحقاق كما ذكر شاهد لذلك وقيل
انه التهكم فى كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدرا امرهم والدلالة على ان مذاهبهم
حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر فى
يخادعون من انه يجرى عليهم احكام المسلمين فى الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم من
العذاب وقيل سمى جزا الاستهزا استهزا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه وقيل الاستهزا بهم ان يفتح لهم باب الجنة وهم فى النار فيسرعون اليه فيغلق ثم يفتح باب
اخر فيسرعون اليه فيغلق فيضحك منهم المومنون روى عن ابن عباس وقيل انه اذا كان يوم
القيامه خمدت النار لهم كما تخمد الاهالة فى القدر فيمشون فتخسف بهم روى عن الحسن
البصرى وقيل الاستهزا بهم اذا ضرب بينهم وبين المومنين بسور له باب باطنه فيه الرحمه
وظاهره من قبله العذاب فيبقون فى الظلمه فيقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا
قاله مقاتل وقيل الاستهزا من الله التخطيه لهم والتجهيل فمعناه الله يخطى فعلهم ويجهلهم فى الاقامه
على كفرهم وقيل الاستهزا بهم ان يقال لاحدهم فى النار وهو فى غاية الذل ذق انك انت

العزيز

العزيز الكريم وقوله الله يستهزئ بهم لم يعطف على الكلام الذى قبله ولم يقل الله يستهزئ بهم
ليكون مطابقا لقولهم انما نحن مستهزءون اما انه لم يعطف فلانه استيناف فى غاية الجزاله
والفخامه وفيه ان الله عز وجل يستهزئ بهم الاستهزا الابلغ الذى ليس استهزاؤهم بالنسبة اليه
استهزا ولا يؤبه له فى مقابلة المومنين ولا يحرج المومنين ان يعارضوهم باستهزا مثله واما انه
لم يقل الله يستهزئ بهم لانه يستهزئ يفيد حدوث الاستهزا وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا
كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم قال الله تعالى اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين
وما كانوا يخلون فى اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول فى شانهم واستشعار حذر
من ان ينزل فيهم قال الله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزءوا
ان الله مخرج ما تحذرون **قوله تعالى** ويمدهم فى طغيانهم يعمهون من امد الجيش وامده
اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج
والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان فى الغى وامده اذا اواصله بالوساوس
حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فعلى هذا يكون يمد من المدد ومنهم من زعم انه المد فى العمر والامهال
وهو غير مستقيم لان قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم يدل
على انه من المدد دون المد ولان الذى بمعنى امهل انما هو مد له كاملى له اى امهله قال صاحب
الكشاف فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا فى الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله
واخوانهم يمدونهم يدل على انه من المدد دون المد ولان الذى بمعنى امهل فى الغى قلت اما ان يحمل
على انهم لما منعهم الله الطافه التى يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم
يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى قلوب المومنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند
الى الله لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجا واما ان يسند فعل الشيطان الى
الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخليه بينه وبين اغوايه عباده ومثل ما منعه ان يقرع على ظاهره
ويبقيه فى نصابه الا انه توحيد محض وحق صرف والعدليه من التوحيد على مراحل ثم قال فان قلت
فما حملهم اى المفسرين الاخرين على تفسير المد فى الطغيان بالامهال وموضوع اللغة لا يطاوع عليه
قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن
المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر
كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما
وقع به التحدى سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على
مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وان هولاء من اهل الطبع والطغيان
الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو قال صاحب الكشاف فان قلت فاى نكتة فى اضافة الطغيان اليهم
قلت فيه ان الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله برئ منه
رد الاعتقاد الكفرة القايلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد اليه ذاته
لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذى مر اضاف الطغيان اليهم
ليميط الشبهة ويقطعها ويدفع فى صدر من يلحد فى صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى
الشياطين اطلق الغى ولم يقيده فى الاضافة فى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى واعلم ان كل فعل صدر من العبد
بالاختيار فله اعتباران ان نظرت الى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص فانسب ذلك الى قدرة
الله وارادته لا شريك له وان نظرت الى تميزه عن القسرى الضرورى فانسبه من هذه الجهة الى العباد

من ح

وهي النسبه المعبر عنها شرعا بالكسب في مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله
تعالى بما كسبت ايديكم وهي المتحققه ايضا اذا عرضت في ذهنك الحركتين الاضطراريه كالرعشه والاختياريه
فانك تميز بينهما لا محاله بتلك النسبه فاذا تقرر تعدد الاعتبار فمدهم في الطغيان مخلوق لله تعالى فاضافه اليه
ومن حيث كونه واقعا منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب اضافه اليهم فمتفرع على اصول السنه
تجني ثمار فروعها في الجنه لا كما تفرع القدريه فانه يجنون وكل على انفسهم انما الله التحقيق وايدنا بالتوفيق
والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصه وهو التحير والتردد لا يدري
اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه الذي لا راي لهم بالطرق وسلك ارضا عمها لا امارات بها **قوله
تعالى** اولئك الذين اشتروا الضلاله بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اوليك مبتدا
خبره الذين وصلته اشتروا واصل اشتروا اشتريوا تحركت اليا وانفتح ما قبلها فانقلبت
الفا وحذفت لالتقا الساكنين وقيل استثقلت الضمه على اليا فسكنت وحذفت لالتقا
الساكنين وحركت الواو بعد للالتقا بالساكن بعدها وخصت بالضم للفصل بينها وبين واو
او ولو فانهما تحركان بالكسر ولم تحرك لانه واو جماعة فعل بها ما فعل بنون نحن ومعنى
اشتروا الضلاله بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعاره وجه شبهه
استبدال الضلاله بالهدى بالاشترا اعطا شي واخذ اخر ومنه اخذت بالجمه راسا ازعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا
وعن وهب قال الله عز وجل فيما تعيب به بني اسرائيل تتفقهون لغير الدين وتعلمون لغير
العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الاخره فان قيل كيف اشتروا الضلاله بالهدى وما كانوا على هدى
اجيب عنه بوجهين احدهما ان الدين القيم هو فطره الله التي فطر الناس عليها فكل من
ضل فهو مستبدل خلاف الفطره وثانيهما تمكنهم من الهدى وتيسرهم له بمنزله حقيقته لهم
ودخوله تحت ايديهم فاذا تركوه واستطووا الضلاله فقد عطلوه واستبدلوها به والضلاله
الجور عن القصد وفقدان الاهتدا ويقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب
عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الربح الشف اي الفضل من قولك
اشف بعضهم على بعض اذا افضله وهذا على هذا اشف اي فضل والتجاره صنعه التاجر وهو
الذي يبيع ويشتري للربح وناقه تاجره كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها واسناد مقابل الربح
الذي هو الخسران الى التجاره والمال انما الخسران لاصحاب التجاره من الاسناد المجازي وهو اسناد
الفعل الى شي هو من ملابسات الفعل في الحقيقه كما تلبست التجاره بالمشترين واذا اشترى الرجل
عبدا او جاريه فربح او خسر في العبد او في الجاريه يصح ان يقال ربح عبدك وخسرت
جاريتك على الاسناد المجازي اذا دلت الحال اي وجدت القرينه وكذلك الشرط اي دلاله
الحال في صحه رايت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال داله لم تصح قال صاحب الكشاف
فان قلت هب ان شرا الضلاله بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح
والتجاره كان ثم مبايعه على الحقيقه قلت هذا من الصنعه البديعيه التي تبلغ بالمجاز الذروه
العليا وهو ان تساق كلمه مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر
كلاما احسن ديباجه واكثر رونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد
كان اذني قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلاده فادعوا لقلبه اذنين
وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلاده تمثيلا يلحقها ببلاده الحمار مشاهده معاينه ونحوه

ولما رايت النسر عز ابن دايه وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب
اتبعه ذكر التعشيش والوكر وعن قول بعضهم فيا لجم في امه فما ام الردين وان ادلت بعالمه باخلاق الكرام
اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التوام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقاه
بالحبل المثنى المحكم يريد اذا احدثت واساءت الخلق اجتهدنا في ازاله غضبها واماطه ما يسوء من خلقها استعار
التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التوام فلذلك لما ذكر سبحانه الشرا اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما
يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارتهم وتصويرا لحقيقته ومعنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
ان الذي يطلبه التجار في تصرفاتهم شيان سلامه راس المال والربح وهولا قد اضاعوا المطلوبين معا لان راس
مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلاله وحين لم يبق في ايديهم الا الضلاله لم يوصفوا باصابه الربح وان
ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيويه لان الضال خاسر هالك ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا
مهتدين لطرق التجاره كما تكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر واعلم ان هذا النوع من المجاز
يسمى مجازا عقليا وحكميا وحاصله راجع الى ايقاع نسبه في غير موضعها عند المتكلم من النسبه بين الربح
والتجاره وقد جعل صاحب المفتاح هذا من قبيل الاستعاره فجعل التجاره استعاره بالكنايه عن الفاعل
الحقيقي بواسطه المبالغه في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعاره وجعل نسبه الربح قرينه الاستعاره
قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
لا يبصرون لما بين الله تعالى حال المنافقين وجا بحقيقه صفاتهم عقبها بضرب المثل زياده في الكشف
وتتميما للبيان والمثل في الاصل بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل اي المشبه مضربه اي الذي يضرب الان بمورده اي الذي قد ضرب فيه
اولا ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابه
من بعض الوجوه ومن اجل انه شبيه ما يضرب له المثل بما ورد فيه حوفظ على ما ورد ولم يغير عن اصله
ولضرب العرب الامثال واستحضار العلما المثل والنظاير شان ليس بالخفي في ابراز خفيات
الدقايق ورفع الاستار عن الحقايق تريك المتخيل في صوره المحقق والمتوهم في معرض المتيقن
والغايب كانه مشاهد وفي ضرب الامثال تبكيت للخصم الشديد الخصومه وقمع لصوره الجامح الابي
فانه يوثر في القلوب ما لا يوثر وصف الشي في نفسه ولامر ما اكثر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز
وفي ساير كتبه الامثال وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبيا والحكما قال الله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمه طيبه
كشجره طيبه اصلها ثابت وفرعها في السما توتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون ومن سور الانجيل سوره تسمى سوره الامثال وقوله مثلهم مبتدا
وكمثل جار ومجرور متعلق بمحذوف ساد مسد الخبر اي مثلهم مستقر كمثل وقيل جاز ان
يكون الكاف اسما هو الخبر ولا يتعلق بمحذوف ساد مسد الخبر اي مثلهم مستقر كمثل وسيبويه
لا يجيز ذلك الا في شعر والاولى ان يقال لكاف التشبيه ثلثه احوال فتعين فيها ان تكون اسما لكونها
فاعله او مجروره بحرف جر او اضافه كقول الشاعر اتنتهون ولن ينهى ذوي شطط كالطعن
يذهب فيه الزيت والفتل وقوله ورعن كالمراق اعوجي وقوله فصيروا مثل كعصف
ماكول وحال يتعين فيها ان تكون حرفا وهو الواقعه صله نحو جا الذي كزيد وما عدا ذلك نحو زيد
كعمرو وقول من زعم انها في الايه الكريمه زايده اي مثلهم مثل الذي بعيد فان قيل قوله تعالى مثلهم
كمثل الذي يقتضي تشبيه مثلهم بمثل المستوقد فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه احد

الذي كهذا وعن رفعه لزم الا

المثلين بالاخر بانه قد استعير المثل للحال او الصفه او القصه استعارة الاسد للمقدام اذا كان للحال او
الصفه او القصه شان وفيها غرابه كانه قيل حالهم العجيبه الشان كحال الذى استوقد نارا وكذلك
قوله مثل الجنة التى وعد المتقون اى وفيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبه ثم اخذ في
بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اى الوصف الذى له شان من العظمه والجلاله مثلهم فى التوراة صفتهم وشانهم
المتعجب منه ولما فى المثل من معنى الغرابه قالوا فلان مثله فى الخير والشر متعلق بقالوا لانه مثل اى يستعملون
هذه اللفظه فى الخير والشر فاستعقوا من المثل صفه اى مثله العظيم الشان والذى فى محل خفض وهو موصول
للمفرد المذكر ولكن اريد به ههنا الجمع ولذلك روعى معناه فى قوله ذهب الله بنورهم وتركهم فاعاد الضمير
عليه جمعا قال صاحب الكشاف فان قيل كيف مثلت الجماعه بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين
كقوله وخضتم كالذى خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين
ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذى لكونه وصله الى وصف كل معرفه بجمله وتكاثر وقوعه فى
كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته
ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى اسما الفاعلين والمفعولين والثانى ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره
بالواو والنون انما ذاك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات لفظ الجمع والواحد
فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذى استوقد نارا على ان المنافقين
وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعه بالواحد انما شبهت قصتهم بقصته
قيل فيما ذكره الزمخشرى فى الوجه الاول من الامرين اللذين سوغا وضع الذى موضع الذين
نظر اما اولا فلانه ظاهر فى كون الذى اصله الذين ثم حذفت النون تخفيفا ولو كان كذلك لوجبت
مطابقة الضمير جمعا كما فى قوله كالذى خاضوا فلما قال استوقد بلفظ الافراد تعين انه لا يكون
كذلك واما ثانيا فلانه يظهر من قوله ان ال الموصوله بقية الذى وليس كذلك بل ال
الموصوله اسم موصول مستقبل غير ماخوذ من شى على ان الراجح من جهة الدليل كون ال
الموصوله حرفا لا اسما قيل والاولى ان يقال ان الذى وقع وصفا لشى يفهم الجمع ثم حذف
ذلك الموصوف للدلالة عليه والتقدير مثلهم كمثل الجمع او الفوج الذى استوقد وقدر وعى
الوصف مره فعاد الضمير عليه مفردا فى قوله استوقد وحوله والموصوف اخرى فعاد
الضمير عليه مجموعا فى قوله بنورهم وتركهم واستوقد بمعنى اوقد كما استجاب بمعنى اجاب
قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب اراد فلم يجبه وهذا
قول الجمهور منهم الاخفش وابن قتيبه وقيل ان السين داخله للطلب اى كمن طلب نارا من غيره
ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقد فى الجبل اذا صعد وعلا والنار
جوهر لطيف مضى حار محرق والنور ضوؤها وضو كل نير وهو نقيض الظلمه واشتقاقها من
نار ينور اذا نفر لان فيها حركه واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءه فرط الانارة ومصداق
ذلك قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضيا والقمر نورا واضا جا لازما ومتعديا يقال ضا القمر
ضوا يضى اضاءة واضا غيره واضات فى الايه متعديه اى فلما اضات النار ما حول المستوقد
ويحتمل ان تكون غير متعديه مسنده الى ما حوله والتانيث فيحمل على المعنى لان ما حول المستوقد
اماكن واشيا ويعضده قراءة ابن ابى عبله ضات وهى لازمه وفيه وجه اخر اذ جعل اضات لازمه
وهو ان يستتر فى اضات ضمير النار ويجعل اشراق ضو النار حوله بمنزلة اشراق ضو النار نفسها
على ان ما مزيده لان النار لا بد وان حوله تقديره فلما اضات النار حول المستوقد او موصوله

معنى

معنى الاماكن ظرف لاضات وحوله نصب على الظرف اى جملة ظرفيه صلته اى فلما اضات النار فى الاماكن
التى هى حول المستوقد ويجوز ان تكون ما نكره موصوفه وحوله جملة ظرفيه صفته وتاليف الحول للدوران
والاطافه وقيل للعام حول لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم وحينئذ يكون الضمير
الذى اضيف اليه النور راجعا الى الذى استوقد لانه فى معنى الجمع وانما جمع هذا الضمير وتوحيده
فى حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى ويحتمل ان يكون محذوفا كما حذف فى قوله تعالى فلما ذهبوا
به تقديره فلما اضات ما حوله طفيت فبقوا حيارى خابطين فى ظلمات متحسرين على فوت الضو خايبين بعد
السعى فى احيا النار وانما جاز حذف الجواب لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وهو قوله ذهب الله
بنورهم والحذف احسن من الاثبات لما فيه من الوجازه مع الكشف التى حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ
فى اداء المعنى وحينئذ يكون قوله ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل وهى قوله مثلهم كمثل الذى
استوقد نارا الى اخره على سبيل البيان وعلى التقديرين الاستيناف والبدل يكون الضمير الذى اضيف
النور راجعا الى المنافقين ومعنى اسناد الفعل فى قوله ذهب الله بنورهم الى الله تعالى انه اذا طفيت
النار بسبب سماوى ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد فى هذا الوجه مستوقد نار
لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازيه كنار الحرب والفتنه والعداوه للاسلام وملة استعظامها
متقاصره قليله البقا انظر الى قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقه اوقدها
الغواه ليتوصلوا بالاضاءة بها الى بعض المعاصى ويهتدوا بها فى طرق العبث والافساد فاطفاها الله
وخيب امانيهم ووصف النار المجازيه باضاءة ما حول المستوقد هو خارج عن طريقة المجاز المرشح
وانما قال ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب الله بضوئهم حتى يكون مطابقا لقوله تعالى فلما اضات
لان الذهاب بالنور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزياده فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب
بالزياده وبقا ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا ولهذا ذكر عقيبه
وتركهم فى ظلمات فجمعها ونكرها واتبعها ما يدل على انها ظلمه مبهمه لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله
لا يبصرون وانما قال اضات ولم يقل انارت تنبيها على قوة ظهورها ولان للباطل صوله
ثم يضمحل ولريح الضلاله عصفه ثم تخفت اى تسكن ثم تسكن ونار العرفج مثل لهم وكل طماع العرفج
ياخذ سريعا فى الاشتعال ثم ينطفى وانما قال بنورهم ولم يقل بنارهم والمذكور فى اول الايه
لان فى النار شيين الحراره والنور فذهب بنورهم وبقيت الحراره عليهم والفرق بين اذهبه
وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا وذهب به استصحبه ومضى به معه وذهب
السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلا والمعنى اخذ
الله نورهم وامسكه وما يمسك فلا مرسل له وهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق
بمفعول واحد كقوله تركه ترك ظبى ظله فاذا علق بشيين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى افعال
القلوب كقول عنتره فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم فى ظلمات لا يبصرون
دخان تراك فغضب الحرين والظلمه عدم النور وانطماسه وقيل هى عرض يضاد النور واشتقاقها من
قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرويه والمفعول
الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح الذى لا يلتفت الى اخطاره بالبال
لا من قبيل المقدر المنوى كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون فى قوله ويمدهم فى طغيانهم يعمهون
وقوله لا يبصرون حال مؤكده لان من كان فى ظلمات لا يبصر وصاحبها اما الضمير المنصوب
او المرفوع المستكن فى الجار والمجرور ويجوز ان يكون لا يبصرون مفعولا ثانيا لتركهم وحينئذ

متعلق بظلمات وعلى تقدير ان يكون ترك متعديا الى واحد كان في ظلمات متعلقا بترك ولا
يبصرون حال موكدة ويجوز ان يكون في ظلمات حالا من الضمير المنصوب في تركهم فيتعلق بمحذوف
ولا يبصرون المنصوب في تركهم فيكون لهم حالان واما من الضمير المرفوع المستكن في الجار
والمجرور قبله فيكون حالان متداخلان اما وجه تشبيه حال المنافقين بحال المستوقد
فقد ذكر العلماء من وجوه منها ما نقل عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي
ان مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفى ورأى
ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وامن فبينا هو كذلك اذا طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا فكذلك
المنافقون اذا اظهروا كلمة الايمان واستناروا وامنوا بها واعتزوا بعزها وامنوا فناكحوا المسلمين
ووارثوهم وقسموهم الغنائم وامنوا على اولادهم فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا
في العذاب والنقمة ومنها ما نقل عن مجاهد ان اضاءة النار اقبالهم على المسلمين والهدى وذهاب
نورهم اقبالهم على المشركين والضلالة ومنها ما ذكره صاحب الكشاف ان المستوقدين عقيب الاضاءة خبطوا
في ظلمة وتورطوا في حيرة والاضاءة في حال المنافق ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة
على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الظلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى الظلمة سخط الله وظلمة
العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله المؤمنين على اسرارهم
وافتضاحهم بين المؤمنين واتسامهم بسمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله تعالى صم بكم عمي
فهم لا يرجعون وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا
التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها
وطبع على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم **قوله
تعالى** صم بكم عمي فهم لا يرجعون كانت مشاعرهم سليمة ولكن لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة
الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم
وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك لقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع ولقوله اصم عن الاشيا التي لا اريد واسمع خلق الله
حين اريد فاصمت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار وطريقة صم عند علماء البيان طريقة قولهم
هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا اي صم بكم في الصفات وذاك اي هم ليوث في
الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال والحروف جميعا تقول رايت ليوثا
ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام وافنا الحق ولد والموت وقد اختلف علماء البيان في تسمية ما
في الاية من قولهم صم بكم عمي استعارة والمحققون يسمونه تشبيها بليغا لان وجه الشبه مع حرف
التشبيه غير مذكور ولا يسمونه استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون ولا يطلقون
الاستعارة الا عند طي ذكر المستعار له ولا ينتقض الاستعارة بالكناية فان المستعار له
بمنزلة المستعار منه ادعاء واذا لم يذكر المستعار له يجعل الكلام خاليا عن ذكره صالحا لان
يراد به المنقول عنه اي المشبه به والمنقول اليه اي المشبه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام
لقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين
السحرة منهم كانوا يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد
حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وقال بعضهم لا تعجبوا ان في سرباله رجلا
فيه غيث وليث مسبل مشبل فان قيل صم بكم عمي خبر مبتدا محذوف تقديره هم صم بكم عمي

فقد

فقد طوى ذكر المشبهين عن الجملة بحذف المبتدا فيصح ان يسمى استعارة اجيب باجوبة منها
بان المبتدا المحذوف في حكم المذكور ونظيره قول من خاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر **قوله** تعالى فهم لا يرجعون جملة خبرية معطوفة على الجملة الخبرية
قبلها فان الجملة التي قبلها وهي قوله صم خبرية لا دعائية كما ظن بعضهم ورجع يكون لازما
من الرجوع ومتعديا من الرجع فاذا كان بمعنى عاد يكون لازما واذا كان بمعنى اعاد يكون
متعديا فاذا كان لازما يكون معنى قوله فهم لا يرجعون اي انهم لا يعودون الى الهدى
بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا اي حكما مؤكدا عليهم بالطبع او اراد انهم
بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون
ولا يدرون كيف يرجعون الى حيث ابتدأوا منه وقيل لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمى وقيل
في الاية يحتمل ان يكون متعديا والمفعول محذوف وتقديره لا يرجعون جوابا قال صاحب المفتاح
ان التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا عن عدة امور خص باسم التمثيل كالذي في قوله
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان وجه
تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الاية رفع الطمع الى تيسير مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقيب
الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب وانه امر توهمي غير حقيقي منتزع من عدة امور **قوله تعالى**
او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط
بالكافرين ثم ثنى الله سبحانه في شان المنافقين بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا بعد ايضاح
وكما يحسن للبليغ ان يجمل ويوجز في مقام يقتضي الحال الاجمال والايجاز فلذلك يحسن له ان يفصل ويشبع في مكان
التفصيل والاشباع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء
انظر الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذا ام مس بالوهبي اكرعه اذا التي ام خاطب بالسير تعبه
وقد ورد في القران تثنية التمثيل كثيرا منها قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات اعلم انه قد شبه المنافق في التمثيل
الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاستيقاد واشفاعه بالاضاءة وانقطاع انتفاعه
بانطفاء النار وفي التمثيل الثاني شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر
وما يتعلق بدين الاسلام من شبه المنافقين بالظلمات وما في دين الاسلام من الوعيد والوعد بالرعد
والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق واهل الظلم او مثل
ذوي صيب فحذف ذووا لدلالة قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم عليه وحذف مثل لما دل عليه عطفه على
قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا اذ لا يخفى ان التشبيه ليس بين مثل المستوقدين وهم صفتهم العجيبة
الشان وبين ذوات ذوي الصيب انما التشبيه بين صفة اولئك وبين صفة هؤلاء ونظيره قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله وانما المراد
كونوا انصار الله مثل كون الحواريين انصاره وقت قول عيسى من انصاري على ان ما مصدرية واستعمل
قوله ما قال استعمال مقدم الحاج ثم نظير المذكور في حذف المضاف والمضاف اليه قول القائل
اسال البحار فانتحى للعقيق وقوله الاخر وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي اسال سقيا سحابه
وذا مسافة اصبع وحذف المضافات من الكلام عند الدلالة سائغ من ذلك قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى تقديره فكان مقدار مسافة قرب جبريل مثل قاب قوسين قال صاحب الكشاف المراد كمثل
قوم اخذتهم السما على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا التشبيه اشيا باشيا فاين المشبهات

وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسي وفي
قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت
كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعمال كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب
فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون ورجلا سلما لرجل
والصحيح الذي عليه علما البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جهة التمثيلات المركبة دون
المفرقة لا يتكلف الواحد واحد شي يقدر شبهه وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب
تاخذ اشيا فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرؤ القيس
وجا في القران وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشيا قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيا واحدا بكيفية اخرى
مثلها لقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة واياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي
الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر بذلك الا بما يزيد فيه من الكد والتعب
قال صاحب المفتاح وجه التشبيه بين احبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا به لذلك
وبين الحمار الحامل الاسفار هو حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شي بالانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه وليس
بمشبه لكونه مركبا من عدة معان قال صاحب الكشاف وكقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا
كما انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض المراد قلة بقا زهرة الدنيا لقلة بقا الخضر فاما ان يراد تشبيه
الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض وغير مصيره شيا واحدا فلا فلذلك لما وصف وقوع المنافقين
في ضلالتهم وما خوطبوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت
ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السما في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من
الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره من التفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل
ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع
اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه
مفرد يتاتى التشبيه به او لم يليه الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الما الكاف
وليس الغرض تشبيه الدنيا بالما ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا المعنى قول لبيد وما
الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا
وسرعة زوالها وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم وتركها خلا خاوية فان قلت
اي التمثيلين اي تمثيل المستوقد وتمثيل الصيب ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر
وفظاعته ولذلك اخروهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت فلم عطف احد
التمثيلين على الاخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها
فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك في قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في
استصواب ان تجالسه ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم والكفور متساويان في
وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين
سوا في استقلال كل منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك
وقيل ان او ههنا للابهام فيما قد علم الله تحصيله فابهم عليهم ما لا يطيقون تفصيله وكانه قال مثلهم كاحد
هذين ومثله قوله تعالى فهي كالحجارة او اشد قسوة والعرب تبهم الافادة في تفصيله قال لبيد
تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اي هل انا الا من احد هذين الفريقين
وقد فنيا فسبيلي ان افنى كما فنيا وقيل انه بمعنى بل وانشد الفرا بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها

او انت في العين املح وقيل انه للتفصيل ومعناه بعضهم يشبه بالذي استوقد نارا وبعضهم باصحاب
الصيب ومثله قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى اي قال بعضهم وهم اليهود كونوا هودا وقال
بعضهم وهم النصارى كونوا نصارى وكذلك قوله تعالى فجاها باسنا بياتا او هم قايلون اي جا
بعضهم باسنا بياتا وجا بعضهم وقت القايلة وقيل انه بمعنى الواو كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او
بيوت ابايكم وقيل انه للشك في حق المخاطبين لتنزهه تعالى عن الشك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل
ويقع فيعل من الصوب وهو نزول المطر اصله صيوب ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق
الرعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسما تذكر
وتونث وتجمع على اسمية وسموات وهو كل ما علاك فاظلك واراد ههنا هذه المظلة وعن الحسن انها موج
مكفوف اي ممنوع عن ان يسيل والفايدة في ذكر قوله من السما وان كان الصيب لا يكون الا من السما انه جا بالسما
معرفة فنفى ان يتصوب من سما اي من افق واحد من بين ساير الافاق لان كل افق من افاقها سما كما ان كل طبقة
من الطبقات سما في قوله تعالى واوحى في كل سما امرها والدليل عليه ان كل افق من افاقها سما قوله ومن بعد
ارض بيننا وسما اي ومن بعد ارض بيننا وبين سما سمى بعض الارض ارضا وبعض السما سما وقوله وسما عطف
قوله ارض اراد بقوله ارض ما بينها من الارض وبقوله وسما ما يقابل من السما الى الارض التي بينهما والمعنى انه
غمام مطبق اي اصاب مطره جميع الارض اخذا بافاق السما او كما جا بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب
لانه من الصوب وهو غزارة المطر ومن جهة البنا فانه فيعل وانه من الصفات المشبهة وفيها مبالغة من جهة
الدلالة على معنى الثبوت فهي ابلغ من اسم الفاعل ومن جهة التنكير امد ذلك بان جعله مطبقا ومن الفايدة في ذكر
قوله من السما ان السحاب يتحدر منها ياخذ ماه لا كزعم من زعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل
من السما من جبال فيها من برد وقوله ظلمات مرتفع بالظرف اذا وقع وصفا لشي متقدم كما في الاية فان الظرف
فيه وصف لقوله صيب فارتفاعه بالفاعلية اما عند من لا يشترط الاعتماد لعمل الظرف فظاهر واما عند من
اشترطه فلاعتماده على الموصوف وهو الذي يرجع اليه الضمير في فيه والرعد الصوت الذي يسمع
في السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا اخذتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد
وقيل ان الرعد صوت ملك يزجر السحاب روى هذا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه
قال ابن عباس ومجاهد وفي رواية عن مجاهد انه صوت ملك يسبح وقال عكرمة هو ملك
يزجر السحاب كالحادي وراعي الابل وقيل ان الرعد ريح تختنق بين السما والارض وقيل
انه اصطكاك اجرام السحاب والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشي بريقا اذا لمع وقيل
البرق مخاريق يسوق بها الملك السحاب روى هذا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول
علي ابن ابي طالب وفي رواية عن علي هو ضرب بمخراق من حديد وعن ابن عباس انه ضربه
بسوط والمخاريق ثياب تلف ويضرب بها بعض القوم بعضا فيشبه الصوت الذي يضرب به السحاب
نارا او قال مجاهد البرق مصع ملك والمصع الضرب والتحريك وقيل ان البرق الما وحكى ان
البرق تلالؤ الما وقيل انه نار تنقدح من اصطكاك اجرام السحاب لسيره وضرب بعضه
لبعض والصيب يحتمل ان يراد به السحاب وحينئذ يكون الظلمات التي جعل الصيب
مكانا لها اذا كان اسحم مطبقا فظلمة اسحمته وتطبيقه ضم اليهما ظلمة الليل ويحتمل
ان يراد به المطر وحينئذ يكون الظلمات التي جعل مكانا لها ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع
القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل ولما كان الرعد والبرق في اعلا المطر ومصبه
وملتبسين في الجملة به جعل مكانهما وان كان مكانهما بالحقيقة السحاب كما يقال فلان في البلد

وما هو من البلد الا في حيز يشغل جرمه قال صاحب الكشاف فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا
بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات ثلاث
وفيه وجهان احدهما ان يراد العينان اي عين الرعد وعين البرق يعني ذات الرعد وذات البرق
لا الصوت ولا اللمعان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي
حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل ارعاد وابراق
وانما جاءت هذه الاسماء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف
وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال اوهم قائلون
لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه انظر الى حسان كيف عول على بقاء معنى المحذوف في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل
لقوله يجعلون لانه مستانف فانه لما ذكر الرعد والبرق على وجه يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا
قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤس الاصابع
هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم اجيب بان هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر
يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم اراد البعض الذي هو الى المرفق وقوله فاقطعوا ايديهما
اراد البعض الذي هو الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل لان فيه اشعارا بانهم
يبالغون في ادخال اصابعهم في اذانهم فوق الغاية المعتادة في ذلك فرارا من شدة الصوت فان قيل الاصبع
الذي تسد به الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص اجيب بان السبابة فعالة
من السب فكان اجتنابها اولى باداب القران فلهذا قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة
والمهللة والدعاءة ولم يذكر بعض هذه الكنايات لانها مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما
احدثوها بعد والحق انه لا وجه لهذين السؤالين اما الاول فلانه غير لازم ان يجعلوا السبابة في اذانهم
في تلك الحالة فانها حالة حيرة ودهشة فاي اصبع اتفق يجعلونه في اذانهم جعلوا غير معتمدين على ترتيب
معتاد في ذلك فذكر مطلق الاصابع ادل على الدهش والحيرة او نقول انهم في هذه الحالة يختارون سد
اذانهم بالوسطى لانها املا للاذن وامنع لوصول الصوت او بجميع اصابعهم مبالغة في الحذر عن الموت
واما الجواب عنه فان اجتنابها اولى باداب القران فليس بشيء لان هذا حكاية حالهم وبيان فعلهم
فلا استبشاع في ذكر ما فعلوه واما السؤال الثاني فمفرع على الاول فبطلانه يدل على بطلانه
ولم يذكر بعض هذه الكنايات لان الغرض من التمثيل تصور المعاني في الاذهان بصور المحسوسات
فالمقام يقتضي ذكر الصرائح دون الكنايات والصواعق جمع صاعقة وهي قصفة رعد اي صوته
الشديد ينقض اي يسقط معها شقة من نار وهي شظية تشظى من خشبة او لوح يقال للغضبان
احتد فطارت منه شقة وقيل الصاعقة نار تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه
وهي نار حديدة لطيفة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها سريعة الخمود ويحكى انها سقطت على نخلة
فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة
الصوت وهو الجزء الاول من الصاعقة او بالاحراق وهو الجزء الثاني منها فانها عبارة عن المجموع
ومنه قوله تعالى فخر موسى صعقا وصعقة الصاعقة اما للصفة اي تكون صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية يقال رجل راوية الشعر اي كثير الرواية والتاء للمبالغة
واما للمصدر كالكاذبة والعافية وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق
يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من العيمة اي من اجل العيمة وهي شهوة اللبن وقد عام

الرجل

الرجل يعيم ويعام عيمة فهو عيمان وامراة عيمى فيكون من للابتداء لان الابتداء معنى العلة حذر الموت
انتصب على انه مفعول مطلق عامله محذوف تقديره يحذرون حذرا مثل حذر الموت والمفعول له على
ثلثة اقسام قسم يكثر نصبه وهو ما كان غير معرف باللام ولا بالاضافة نحو جئتك اكراما لك وقسم يقل
نصبه وهو ما كان معرفا باللام وقسم يستوي فيه الامران وهو المضاف كقوله في الاية حذر الموت وكقوله
واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والعوراء الكلمة القبيحة والموت المقابل للحيوة
قيل يقابل العدم والملكة فبناء على هذا فسر بفساد بنية الحيوان بانه عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة
واضافة الحذر الى الموت اضافة المصدر الى المفعول في علة محذوف قوله والله محيط بالكافرين جملة
اعتراضية لا محل لها من الاعراب فان جملة قوله يجعلون اصابعهم وجملة قوله يكاد البرق شيء واحد لانهما من قصة
واحدة فوقع بينهما اعتراضا واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به
المحيط به حقيقة وفيه ثلثة اقوال احدها انه عالم بهم قال الله تعالى وان الله قد احاط بكل شيء علما
وثانيها قدرته مستولية عليهم والله من ورائهم محيط وثالثها مهلكهم فان الاحاطة الاهلاك
قال الله تعالى واحيط بثمره وقوله تعالى حكاية عن يعقوب الا ان يحاط بكم **قوله تعالى**
يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير يكاد مضارع كاد وهي لمقاربة الفعل يقول كاد
يفعل كذا يكاد كودا ومكادة اي قارب ولم يفعل تعمل كاد عمل كان الا ان خبرها لا يكون الا مضارعا
وشذ مجيئه اسما كما قال فابت الى فهم وما كدت ايبا والاكثر في خبرها تجرده من ان لان ان
تخلص الفعل للاستقبال وكاد لمقاربة الفعل فبينهما منافاة وقد شذ الاتيان بان بعدها تشبيها بعسى
قال رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا اي يذهب وينقطع واذا كانت مثبتة يكون خبرها منفيا
في المعنى لانها للمقاربة فاذا قيل كاد زيد يفعل كان معناه قارب الفعل ولم يفعل فاذا كانت منفية يكون خبرها
بطريق الاولى لان مقاربة الفعل اذا كانت منفية فبطريق الاولى ان يكون الفعل منفيا ولهذا قوله
لم يكد يراها ابلغ في نفي الرؤية من قولهم لم يرها لانه لم يقارب الرؤية فكيف يراها وذهب بعض النحويين
ان نفيها واثباتها نفي فقيل لما انشد ذو الرمة قوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
عيب عليه لانه يكون قد برح فغيره الى قوله لم يزل والذي غرهم قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون
قالوا فكاد ها هنا منفية وخبرها مثبت في المعنى والذي يدل على ان كاد اذا دخل عليها النفي
كان نفيا لذلك المعنى عما نسب اليه وهذا معلوم من لغتهم فوجب ان يندرج كاد في هذا الامر
العام المعلوم من لغتهم واما الجواب عما عيب به قول ذي الرمة فبان يقال لا عيب فيه الا ترى
الى قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ولو حمل هذا على انه يراها لفسد المعنى ويكون مثل قولك ظلمة
عظيمة ليس فوقها ظلمة لشدتها اذا اخرج الانسان يده يراها وهذا ظاهر الفساد فوجب حمله
على نفي المقاربة اي اذا اخرج يده لم يقارب رؤيتها ولا شك ان هذا ابلغ من نفي الرؤية لانه اذا
انتفت المقاربة كانت الرؤية ابعد فقول ذي الرمة لا ينبغي ان يخطا بل يحمل على هذا المعنى فيكون
قصده اذا غير النأي المحبين لم يقارب حبي التغير وهو ابلغ من نفي نفس التغير واما قوله وما
كادوا يفعلون فمعناه انهم ما قاربوا ان يفعلوا قبل الذبح يدل على ذلك ما تقدم من تعنتهم في قوله
اتتخذنا هزوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وهذا
التعنت دأب من لا يفعل ولا يقارب ان يفعل ففعلهم بعد ذلك لا ينافي نفي مقاربتهم الفعل قبله ولولا

ما دل على الذبح من قوله فذبحوها وشبهه لم يفهم من نفي الفعل الا نفي المقاربة ثم لا ينكر ان الفعل في مثل
ذلك جرى على نحو ذلك في المعنى فاذا قيل ما كاد زيد يسافر فمعناه سافر بعد ان لم يقارب ذلك وفاعل
الفعل الذي هو خبر كاد ضمير يعود على اسمها والخطف الاستلاب بسرعة وقوله يكاد البرق يخطف ابصارهم
جملة استينافية لا محل لها من الاعراب كانه جواب من قال كيف كان حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد البرق
يخطف ابصارهم قوله كلما كل نصب على الظرف لانها اضيفت الى ما الظرفية والعامل فيها جوابها وهو مشوا
وقيل ما نكرة موصوفة ومعناها الوقت ايضا والعايد محذوف تقديره كل وقت اضاء لهم مشوا فيه
فعلى الاول لا محل له لكونه صلة وعلى الثاني محله الجر لكونه صفة للمضاف اليه المجرور وقوله كلما اضاء لهم استيناف
ثالث فان الاستيناف الاول يجعلون اصابعهم والثاني يكاد البرق كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في
تارتي خفوق البرق وخفيته والمقصود تمثيل شدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم
فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وبما يذرون اذا اضاء فوامض البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم
انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا اخفى وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شا
الله لزاد في قصف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضا اما متعد بمعنى كلما نور البرق ممشى ومسلكا
اخذوه والمفعول محذوف واما لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه والمشي جنس
الحركة المخصوصة المشهورة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام
اذا لانهم حراص على وجود ما هم معقود همهم من امكان المشي وتاتيه وكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس
كذلك التوقف والتحبس لانه لا حرص لهم عليه فيكون كلما في طرف الاضاءة مناسبا لانه يفيد التكرار
والمشي متكرر عند تكرر الاضاءة قطعا ولا يكون كلما مناسبا في طرف الاظلام واظلم يكون غير متعد
وهو الظاهر وان يكون متعديا ماخوذا من ظلم الليل وجاء في شعر حبيب هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما
عن وجه امرد اشيب قال صاحب الكشاف حبيب بن اوس وان كان محدثا لا يستشهد بشعره فهو من
علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك
لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام
الماء جمد ومفعول شا محذوف لان الجواب الذي هو قوله لذهب بسمعهم وابصارهم يدل عليه وحذف
مفعول شا واراد والمعنى ولو شا الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم يدل عليه وحذف مفعول لذهب بها
لمن لا يكاد يظهر الا في الشي المستغرب كقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ولو اراد
الله ان يتخذ ولدا وقول الشاعر فلو شيت ان ابكي دما لبكيته والمراد ولو شا الله لذهب بسمعهم
بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق ولو لامتناع الشي لامتناع غيره ومنهم من منع ذلك زاعما
انه لا يفيد الا الربط بين الاول والثاني واحتج عليه بالاية والخبر اما الاية فقوله تعالى
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ان الله تعالى ما علم فيهم خيرا فما اسمعهم وقوله تعالى ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون انه تعالى ما اسمعهم فما تولوا لكن عدم توليهم خير فيكون قد علم الله فيهم خيرا
ولم يعلم فيهم خيرا فيلزم التناقض واما الخبر فقوله عليه السلام نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم
يعصه بيانه ان ما اقترن بلو وجوابه اذا كانا مثبتين يلزم نفيهما واذا كانا منفيين يلزم
اثباتهما وان كان الاول مثبتا والثاني منفيا يلزم نفي الاول واثبات الثاني واذا كان
بالعكس كان بالعكس وفي الخبر كلاهما منفيان فيلزم اثباتهما فيلزم ان صهيبا خاف الله
وعصاه فيلزم اجتماع المتنافيين فان خوف الله وعصيانه متنافيان فعلم ان لو لا تفيد
امتناع الشي لامتناع غيره والجواب عنه ان غالب استعمال لو في امتناع الشي لامتناع غيره

وقد يستعمل على خلاف الغالب وهو ارتباط الاول بالثاني على سبيل الفرض اي على ان الاول ملزوم
للثاني ولو في الاية والخبر مستعمل على هذا الوجه والمقصود من مثل هذا الاستعمال ان هذا المشروط ملزوم
لهذا الشرط يتبع ثم بعد عنه فلزومه لعدم اسماع الله اياهم اولى فلو في الجملة الاولى في الاية

الذي

وهو قوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم مستعملة على الغالب وفي الجملة الثانية فيها وهو قوله ولو
اسمعهم لتولوا مستعملة على خلاف الغالب والحاصل ان مقصود المتكلم من مثل هذا الكلام ان هذا
المشروط حاصل على كل تقدير لحصول الحصر ومثل هذا الكلام انما ياتي عند قيام القراين الدالة على ثبوت
الثاني قوله ان الله على كل شي قدير قال صاحب الكشاف ما صح ان يعلم ويخبر به وعنه قال سيبويه
الشي يقع على كل ما اخبر عنه وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم
تقول شي لا كالاشيا اي معلوم لا كساير المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شي
قدير وفي الاشيا ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر قلت مشروط في حد القادر ان لا
يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشيا كلها فكانه قيل على كل شي مستقيم
قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة
الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه اعلم ان المتكلمين اختلفوا في ان المعدوم شي فذهب
الاشاعرة والحكما الى ان المعدوم ليس بشي سوا كان ممكنا او مستحيلا على معنى انه ليس بثابت في الاعيان
متميز فيها وذهبت المعتزلة الى ان المعدوم الممكن اي الذي يصح وجوده شي على معنى انه ثابت
في الاعيان بالمعنى المذكور لا انه شي باعتبار انه يصح ان يعلم ويخبر عنه فانه لا ينبغي ان ينازع في
ذلك فان المعدوم الممكن والمستحيل يصح ان يعلم ويخبر عنه فيكون شيا بهذا الاعتبار ولا
محذور فيه من جهة الشرع ولا من جهة العقل وما وقع فيه النزاع والصواب ما ذهب اليه
الاشاعرة لما بين في اصول الدين والحق ان الشي مصدر شا فيطلق تارة ويراد به الشاي
اطلاقا للمصدر وارادة الفاعل ويطلق اخرى ويراد به المشي اطلاقا للمصدر وارادة المفعول
كما بين في المقدمة الثامنة عشر وفي مثل قوله تعالى ان الله على كل شي قدير يراد به المشي وحينئذ
يندفع ما قيل في الاشيا ما لا يتعلق بالقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر فان الشي اذا اريد به
المشي كما في قوله تعالى ان الله على كل شي قادر لا يتناول القادر والمستحيل فلا يفتقر الى التخصيص
وكذا اذا اريد به الشاي والمشي لا يتناول المستحيل وان اريد به كل ما يصح ان يعلم كما في قوله تعالى
والله بكل شي عليم يتناول الشاي والمشي والمستحيل ولا محذور فيه واما الفعل بين قادرين
فانه متفرع على اصل فاسد وهو ان ما تعلقه به قدرة العبد يستحيل ان يتعلق به قدرة الرب
اذ قدرة العبد خالقة فيستغني الفعل بها عن قدرة خالق اخر تعالى الله عما يشركون والحق ان
الخالق القادر هو الله تعالى وافعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا يتصور وقوع مقدور
بين قادرين لان القادر على كل المقدورات واحد هو الله تعالى وقد بين هذا في
المقدمة التاسعة عشر وقدير فعيل من قدرت على الشي اقدر قدرة وقدرانا والقدرة القوة
والاستطاعة وهو ابلغ من القادر قال صاحب الكشاف اشتقاقه من التقدير لانه يوقع
فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز وقوله ان الله على كل شي قدير
جملة استينافية مؤكدة لمعنى ما قبلها **قوله تعالى** يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما ذكر الله تعالى فرق المكلفين من المومنين والكفار
والمنافقين وصفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها

وتسقيها وحطيها عند الله تعالى ويزيدها اقبال عليهم بالخطاب وهو الالتفات المذكور عند قوله
اياك نعبد واياك نستعين ويوقف من الكلام جزل وفيه فوايد منها التنبيه وهز وتحريك
من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت
عليه ما فرط منه عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة
في مجاري امورك وتستوي على جادة الاستوا السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك
نحو فضل تنبيه واستدعيت اصغاه الى ارشادك زيادة استدعا واوجدته بالانتقال
من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا
الافتنان في الحديث والخروج من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش
الانفس للقبول ومنها انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول بيني وبينك والامر الان ازيد اكرامك
وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل للسامع المتنبه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة ومنها
انه مشعر بان العبد اذا كان مستغلا بالعبودية فانه ابدا يكون في الترقي بدليل انه في هذه الايه
انتقل من الغيبة الى الخطاب ومنها ان الايات المتقدمة كانت حكاية احوالهم واما هذه الايه
فانها امر ونهي وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلابد من راحة تقابل هذه الكلفة وتلك الراحة هي ان
يرتفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته كان العبد اذا الزم تكليفا شاقا
فلو شافهه المولى وقال اريد منك ان تفعل كذا فانه يصير ذلك التكليف لذيذا لاجل ذلك
الخطاب اختلف العلما فيمن عني بالناس في هذا الخطاب عن ابن عباس انه عام في جميع الناس
المكلفين وعن الحسن ومجاهد انه خطاب لليهود دون غيرهم وعن مقاتل انه خطاب
للمنافقين واليهود وعن السدي انه خطاب لمشركي مكة وغيرهم وعن علقمة
والحسن ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي وما فيه يا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله
يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة وقيل عليه ان سورة البقرة مدنية وفيها يا ايها الناس
اعبدوا ربكم وفيه يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا والنسا مدنية واولها يا ايها الناس
اتقوا ربكم وسورة الحج مكية وفيها يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا والظاهر انهما ارادا ان
الاعم والغالب كذلك وقيل هذا الذي ذكراه ان كان الرجوع فيه الى النقل فمسلم وان كان السبب
فيه حصول المومنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فهذا ضعيف لانه يجوز ان يخاطب المومنين
مرة بصفتهم ومرة باسم جنسهم وقد يومر من ليس بمومن بالعبادة كما يومر المومن بالاستمرار على
العبادة والازدياد منها والخطاب في الجميع ممكن فالاولى الحمل على جميع المكلفين ويا
حرف وضع في اصله لندا البعيد وهو صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما ندا القريب
فله اي والهمزة ثم استعمل في ندا من سها وغفل وان قرب تنزيلا منزلة من بعد فاذا نودي
به القريب الفطن فذلك للتاكيد الموذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا
واما يقول الداعي في دعايه يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد استبعادا لنفسه
من مظان الزلفى ومما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط
في جنب الله مع شدة الحرص على استجابة دعوته والاذان اي الاستماع لندايه وابتهاله
كي يتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم واي وصلة الى وصف المعارف باللام
واي اسم مبهم مفتقر الى ما يزيل ابهامه ويوضحه فيجب ان يتعقبه جنس من اجناس الناس او ما يجري
مجراه كاسم الانسان يتصف به اي حتى يصح المقصود بالندا فالذي يعمل فيه حرف الندا

فه

هو الذي اي الذي هو منادى اي وهو في محل النصب مبني على الضم لانه منادى مفرد معرفة
والاسم التابع له صفته كقوله يا زيد الظريف لكن لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من
الصفة وها حرف التنبيه مقحمة بين اي الموصوف وصفته لفايدتين احدهما معاضدة حرف
الندا بتاكيد معناه وثانيهما وقوعها عوضا مما تستحقه اي من الاضافة وفي هذا التدرج من
الابهام ضرب من التاكيد والتشديد وكثر في كتاب الله تعالى الندا على هذه الطريقة دون غيره
لان الندا على هذه الطريقة مستقلة باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة منها ما في يا من التاكيد
والتنبيه وما في ها من التنبيه وما في التدرج من الابهام الى التوضيح والمقام يناسب المبالغة
والتاكيد لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده
ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة اي الماضية على عباده وغير ذلك مما انطق الله به كتابه
امور عظام وخطوب جسام ومعان واجب عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصايرهم
اليها وهم عنها غافلون فاقتضى الحال ان ينادوا بالاكد الابلغ قوله اعبدوا قيل اي وحدوا
ربكم اقيمت العبادة مقام التوحيد لاستلزامها اياه وقيل اطيعوا والحق انهما جميعا مرادان
قال صاحب الكشاف لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المومنين والكافرين جميعا
او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمومنون عابدون ربهم فكيف امروا بما
هم ملتبسون وهل هو الا كقول القايل فلو انني فعلت كنت ممن يسلي وهو قايم ان يقوم واما الكفار
فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المومنين ازديادهم منها
واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط
على المامور بالصلوة والزكوة شرايطهما من الوضو والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج
تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون
ويعرفون به ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا
شيين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيا اخر
والاولى ان يقال يصح استعمال اللفظ الواحد في المعاني المختلفة لغير المتنافية كما بين في المقدمة
الحادية عشرة قال صاحب الكشاف فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين
ربوبيتين ربوبية الله وربوبية الهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد بربكم اسم يشترك فيه رب
السموات والارض والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة
مميزة وان كان الخطاب للفريقين جميعا فالمراد بربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه
على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اصح
واوضح وقوله يا ايها الناس اعبدوا خطاب للذين كانوا موجودين وقت الخطاب وليس
خطابا لمن بعدهم لكونه خطاب مشافهة فلا يتناول المعدومين وتعلق الحكم الذي هو
مقتضى ذلك الخطاب بمن لم يكن موجودا وقتئذ انما هو بدليل اخر من نص او اجماع او قياس
وقوله اعبدوا لا يقتضي طلب كل عبادة لان معناه طلب حصول حقيقة العبادة وهي بتحصيل
اتيان فرد منها فيحصل الامتثال باتيان فرد منها فان اريد ان يحمل على العموم
يقال الامر بالعبادة يدل على انه لاجل كونها عبادة لان ترتيب الحكم على الوصف مشعر
بالتعليل خصوصا اذا كان الوصف مناسبا للحكم ولا يخفى ان العبادة مناسبة للامر بها
لانها تعظيم الله واظهار الخشوع والتذلل له فيكون مناسبا وحينيذ يكون كل عبادة

ماموراً بها ضرورة حقق الحكم عند تحقق علته قوله الذي خلقكم لما امر الله تعالى بالعباده اردفه
بما يدل على وجوده وهو خلق المكلفين وخلق من قبلهم وهذا يدل على ان الاستدلال والنظر
طريق الى معرفة الله تعالى ولا يلتفت الى قول الحشويه القايلين بان الاشتغال بالنظر والاستدلال
بدعه والخلق ايجاد الشي على تقدير واستوا نقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس
لما امر الله عباده بالعباده وهو موقوف على معرفة وجوده لانه ضروري بل استدلالي
اورد ما يدل على وجوده وقد تقرر في اصول الدين ان الوصول الى اثباته اما الامكان
او الحدوث او مجموعهما والكل اما في الجواهر او في العرض فهذه سته الاول الاستدلال
بامكان الذات لقوله تعالى والله الغني وانتم الفقرا الثاني الاستدلال بامكان الصفات
لقوله الذي جعل لكم الارض فراشا والسما بنا والثالث الاستدلال بحدوث الاجسام واليه
الاشارة بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه الصلوة والسلام لا احب الافلين الرابع الاستدلال
بحدوث الاعراض وهذا اقرب الطرق الى افهام الخلق وذلك منحصر في امرين دلايل الانفس ودلايل
الافاق والكتب الالهيه في الاكثر مشتمله على هذين الوجهين وقد جمع الله بينهما اما دلايل الانفس
فهي ان كل احد يعلم بالضروره انه ما كان موجوداً قبل ذلك وانه صار موجوداً وان كل ما وجد بعد ما
لم يكن فلابد له من موجد لا يكون نفسه ولا الابوان ولا ساير الناس لان عجز الخلق عن مثل هذه التراكيب
معلوم بالضروره فلابد له من موجد يخالف هذه الموجودات حتى يصح منه ايجاد هذه الاشخاص
قوله الذي جعل لكم الارض فراشا من دلايل الافاق وجواب لسوال مقدر على دلايل الانفس
ويندرج في الافاق كل ما يوجد من تغيرات الاحوال من الرعد والبرق والسحاب والمطر
واختلاف الفصول وحاصله يرجع الى ان الاجرام الفلكيه والاجسام العنصريه متشاركه في
الجسميه فاختصاص بعضها ببعض الصفات من المقادير والاشكال والاحياز لا يمكن ان تكون للجسميه
ولا لشي من لوازمها والا لاشتراك الكل فيها فيجب ان يكون لامر منفصل غير جسم والا لعاد البحث في
اختصاصه بالمؤثريه من بين تلك الاجسام وغير الجسم لا يجوز ان يكون موجبا لامتناع اختصاص بعض
الاجسام ببعض الصفات فتعين ان يكون مختارا فثبت افتقار جميع الاجسام الى موثر قادر مختار
ليس بجسم ولا جسماني واما انه جواب لسوال مقدر هو انه لم لا يجوز ان يكون المؤثر في الانفس
الطبايع اي طبايع الفصول والافلاك والنجوم فلان هذه الاشيا مفتقره الى المحدث لما بينا وانما
خص الله تعالى في اول كتابه هذا النوع من الدلاله بالايراد لانه اقرب الطرق الى الافهام
وابينها للعقول السليمه والادله المذكوره في القران يجب ان يكون ابعدها عن الدقه واقربها
الى الافهام لينتفع به كل احد من الخواص والعوام ولانه ليس الغرض من الدلايل القرانيه
المجادله بل الغرض منها تحصيل العقايد الحقيقيه في القلوب وهذا النوع من الاستدلال
اقوى من ساير الطرق في هذا الباب لان هذا النوع من الدلايل كما يفيد العلم بوجود الخالق
المذكور يفيد ذكر نعم الخالق علينا فان الوجود والحيوه من النعم العظيمه علينا وتذكير النعم مما يوجب
المحبه وترك المنازعه وحصول الانقياد فلهذا السبب كان ذكر هذا النوع من الادله اولى من ساير
الانواع واعلم ان للسلف طرقاً لطيفه في هذا الباب منها ما روي ان بعض الزنادقه انكر
الصانع عند جعفر الصادق فقال جعفر رضي الله عنه هل ركبت البحر قال نعم قال هل رايت
اهواله قال بلى هاجت يوما رياح هايله فكسرت السفن وغرقت الملاحين فتعلقت انا ببعض
الواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فاذا انا مدفوع في تلاطم الامواج حتى دفعت الى الساحل

بلغ مقابله

فقال

فقال جعفر هل كان اعتمادك من قبل على السفينه والملاح ثم على اللوح ينجيك فلما ذهبت عنك
هذه الاشيا هل اسلمت نفسك للهلاك ام كنت ترجو السلامه بعد قال رجوت السلامه قال ممن ترجوها
فسكت الرجل فقال جعفر ان الصانع هو الذي كنت ترجوه ذلك الوقت وهو الذي انجاك من الغرق
فاسلم الرجل على يديه ومنها ما جا في كتاب ديانات العرب ان النبي عليه السلام قال لعمران بن الحصين
كم لك من اله قال عشره قال من لغمك وكربك ودفعه اذا نزل بك من جملتهم قال الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم ما لك من
اله الا الله ومنها ان ابا حنيفه رحمه الله كان سيفا على الدهريه وكانوا ينتهزون الفرصه ليقتلوه
وبينا هو في مسجده قاعد اذ هجم عليه جماعه بسيوف مسلوله وهموا بقتله فقال اجيبوني عن مسله ثم
افعلوا ما شئتم فقالوا هات فقال ما تقولون في رجل يقول اني رايت سفينه مشحونه بالاحمال
مملوه من الاثقال قد احتوشها في لجة البحر امواج متلاطمه ورياح مختلفه وهي من بينها تجري مستويه ليس
لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز ذلك في العقل قالوا لا هذا شي لا يقبله العقل فقال
ابو حنيفه سبحان الله اذا لم يجز في العقل سفينه تجري مستويه من غير متعهد ولا مجري فكيف يجوز
قيام هذه الدنيا على اختلاف احوالها وتغير اعمالها وسعة اطرافها وتباين اكنافها من غير صانع
وحافظ فبكوا جميعا وقالوا صدقت واغمدوا سيوفهم وتابوا ومنها سالوا الشافعي رضي الله عنه
ما الدليل على الصانع فقال ورقة الفرصاد طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم قالوا نعم
قال فتاكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيخرج منها العسل والشاه فيخرج منها
البعر وتاكلها الظبا فتنعقد في نوافجها المسك فمن الذي جعلها كذلك مع ان الطبع واحد فاستحسنوا
منه ذلك وامنوا على يديه ومنها سيل ابو حنيفه عن الصانع فقال الوالد يريد الذكر
فيكون انثى وبالعكس فدل على الصانع ومنها ان احمد بن حنبل تمثل بقلعه حصينه ملسا لا فرجه فيها
ظاهرها كالفضه المذابه وباطنها كالذهب الابريز ثم انشقت الجدران وخرج من القلعه حيوان سميع
بصير فلابد من الفاعل عني بالقلعه البيضه وبالحيوان الفرخ ومنها سال هرون الرشيد
مالكا عن ذلك فاستدل باختلاف الاصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات ومنها
سيل ابو نواس عنه فقال تامل في نبات الارض وانظر الى اثار ما صنع المليك اصول من لجين زاهرات
على اطرافها ذهب سبيك على قضب الزبرجد شاهدات بان الله ليس له شريك ومنها سيل الاعرابي
عن الدليل فقال البعره تدل على البعير والروث يدل على الحمير واثار الاقدام على المسير
فسما ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج اما تدل على العليم القدير ومنها
قيل لطبيب بما عرفت ربك قال باهليلج يجفف اطلق ولعاب ملين امسك ومنها حكم الدهريه
في قولهم ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله وفايدة قوله والذين من قبلكم من وجهين احدهما
ان طريقة العلم واحده فان الاستدلال بخلقهم كالاستدلال بخلق من قبلهم وثانيهما ان من
قبلهم كالاصول لهم وخلق الاصول يجري مجرى الانعام على الفصول كانه تعالى يذكرهم
عظم انعامه عليهم ويقول لا تظنون اني انما انعمت عليكم حين وجدتم بل كنت منعما عليكم
قبل ان وجدتم بالوف سنين بسبب اني كنت خالقا لاصولكم وابايكم قوله لعلكم تتقون
لعل للترجي والاشفاق في الاستعمالات وهي من الحروف المشبهه بالفعل ولم اسمها وتتقون
خبرها تقول لعل زيدا اكرمني للترجي ولعله يهينني للاشفاق قال الله تعالى لعله يتذكر او
يخشى للترجي وقال تعالى لعل الساعه قريب للاشفاق الا ترى الى قوله تعالى والذين
امنوا مشفقون منها اي من الساعه والترجي والاشفاق بالنسبه الى الله تعالى محال

لانهما انما يحصلان عند الجهل بالعاقبه وذلك على الله محال فلابد من التاويل وهو من وجوه
احدها ان لعل على بابها من الترجي ولكن بالنسبه الى المخاطبين اى اذا تاملتم حالكم مع عبادة
ربكم رجوتم لانفسكم التقوى وقوله لعله يتذكر او يخشى اى اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما
في ايمانه قال صاحب الكشاف قد جا لعل على سبيل الاطماع في مواضع من القران وقال
مقاتل وقطرب بن كيسان انها بمعنى كي وانشدوا وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف
ووثقتم لنا كل موثق يريد لكي نكف قال صاحب الكشاف لعل لا يكون بمعنى كي بل للاطماع ولكن
لما كان الاطماع اطماعا من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محاله لان اطماعه جرى
مجرى وعده المحتوم اى الواجب وفاه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولكن الحقيقه
ما لقيت عليك وايضا فان من ديدن الملوك اى خلقهم وعادتهم وما عليه اوضاع
امرهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى
ولعل ونحوهما من الكلمات او على ان يحيلوا الحالة او يظفر منهم بالرمز او الابتسامه
او النظر او الحلوم فاذا اعثر على شي من ذلك لم يبق للطالب شك في النجاح والفوز بالمطلوب
فعلى هذا الطريق ورد لفظ لعل في كلام الله مالك الملك ذى العز والكبريا او يجي على طريق
الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ثم قال صاحب الكشاف لعل في الايه ليست مما ذكرنا في شي لان قوله
خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجا الله تقواهم لان الرجا لا يجوز على عالم الغيب والشهاده
وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا لانهم ما كانوا راجين وقت خلقهم
ولكن لعل واقعه في الايه موقع المجاز لا الحقيقه لان الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف
وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العله في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع
في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح
امرهم وهم مختارون بين الطاعه والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل
ومصداقه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه
بالاختبار بنا امرهم على الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا
لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعه والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا
يفعل ومصداقه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب
ولقايل ان يقول لا نسلم ان الله تعالى اقدرهم فانه لا اقدره للمتعبد على الفعل ولا نسلم انه
اراد منهم الخير والتقوى بل اراد من كل احد ما فعله من خير وشر ولكن طلب الخير والتقوى
منهم اجمعين والطلب غير الاراده وغير مشروط بها كما بينه في اصول الدين وما ذكره
مبنى على معتقده وقوله وحمله ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا انما يستقيم
اذا جعل قوله لعلكم تتقون متعلقا بقوله خلقكم اما اذا كان متعلقا بقوله اعبدوا يكون
سديدا اى اعبدوا ربكم راجين التقوى من عذاب جهنم ثم ذكر صاحب الكشاف على تقدير
ان يتعلق قوله لعلكم تتقون بقوله خلقكم فقال فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون
فكذلك خلق الذين من قبلهم اجاب بانه لم يقتصر عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغايبين في اللفظ
والمعنى على ارادتهم جميعا ثم قال فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا
لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم اجاب بان التقوى ليست غير العباده حتى يودى

ذلك

ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم
الذى خلقكم للاستيلا على اقصى غاية العباده كان ابعث على العباده واشد الزاما لها واثبت لها في
النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يمينى الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل
خرايط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع وانت تعلم اذا تعلق قوله لعلكم تتقون بقوله اعبدوا
لم يرد السوالان ولا يحتاج الى الجواب عنهما قال ابن عطيه يتجه تعلقها بخلقكم اى لما ولد كل مولود
على الفطره فهو ان تامله متامل توقع له ورجا ان يكون متقيا وتتقون ماخوذ من الوقايه
اصله توتقيون نقلت حركة اليا الى القاف وحذفت اليا لالتقا الساكنين وادغمت الواو الاولى في
التا قوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسما بنا وانزل من السما ما فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون الذى كلمه موضوعه للمفرد المذكر
مستعمله لتعريف المفرد بقصه معلومه وهذا معنى قولهم انه مستعمل لوصف المعارف فالجمل
الموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا لربكم كالذى خلقكم او على المدح والتعظيم
بتقدير اعنى الذى او بدلا لربكم او مفعولا لقوله تتقون وقيل وصفا للموصول الاول وليس بشي
لان النعت لا ينعت واما ان يكون مرفوعا على الابتدا او فيه ما في النصب من المدح وخبره
قوله فلا تجعلوا والاولى ان يكون على الخبر اى هو الذى قيل في الرفع على الابتدا نظر من وجهين احدهما
ان صلته ماضيه فلم تشبه الشرط ولا يدخل الفا في خبره وثانيهما عدم الرابط الا ان يجعل الربط
بتكرر الاسم الظاهر اذا كان بمعناه فيجعل الجلاله مقام الضمير كانه قال الذى جعل لكم ولا تجعلوا له
اندادا وقوله الذى جعل لكم الارض فراشا يقتضى انهم كانوا معترفين بان الله تعالى جعل
الارض فراشا لهم لقوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ذكر الله
تعالى انواعا خمسه من الادله اثنين من الانفس وثلثه من الافاق فبدا اولا بقوله خلقكم
وثانيا بقوله والذين من قبلكم وثالثا بقوله جعل لكم الارض فراشا ورابعا بقوله والسما بنا وخامسا
بقوله وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ولهذا الترتيب سببان الاول
ان اقرب الاشيا الى الانسان نفسه وعلم الانسان باحوال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره
ولما كان المقصود من الاستدلال افادة العلم كان كلما هو اظهر من علمه باحوال غيره دلالة
كان اقوى افاده فكان اولى بالذكر فلهذا قدم ذكر نفس الانسان ثم ثناه بابايه وامهاته ثم ثلث
بالارض لان الارض اقرب الى الانسان من السما والانسان اعرف بحال الارض منه بحال
السما وانما قدم ذكر السما على نزول الما من السما وخروج الثمرات بسببه لان ذلك كالاثر
المتولد من السما والارض والسبب الثاني ان خلق المكلفين احيا قادرين اصل لجميع النعم واما
خلق الارض والسما والما فذلك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوه والقدره والشهوه
فلهذا قدم ذكر الاصول على الفروع قال صاحب الكشاف قدم الله سبحانه من موجبات عبادته
وما هو حق الشكر له خلقهم احيا قادرين اولا لانه سابقه اصول النعم ومقدماتها والسبب
في التمكن من العباده والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذى لابد لهم منه
وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السما التي هي كالقبه المضروبه والخيمه المطنبه
على هذا القرار ثم ما سواه الله تعالى من شبه عقد النكاح بين المقله والمظله بانزال الما منها
عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني ادم ليكون
لهم معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمه يتعرفونها فيقابلونها بلازم

السكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر
على ايجاد شي منها فيتبينوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثله حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا
وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه فجعل لكم الارض فراشا اما بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين
الارض اول وفراشا ثان او بمعنى خلق فيتعدى الى واحد هو الارض فراشا حال ومعنى جعلها فراشا
للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وجعلها فراشا لا يدل
على انها مسطحة وليست بكروية وانما يدل على ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسوا
كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها
وتباعد اطرافها واذا كان البنا متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول
والعرض اسهل وجعل الارض ساكنة شاهد قوله جعل الارض قرارا ليست في غاية الصلابة كالحجر حتى لا يكون
النوم عليه والمشي ليلا يولم الانسان ولا تتعذر الزراعة عليها وحفرها وتركيبها كما يراد ولا في غاية اللين
والرطوبة كالما تغوص فيه الرجل ولا في غاية اللطافة والشفافة كالهوا فان الشفاف لا يستقر عليه النوم
ولا يسخن من الشمس والكواكب فيبرد جدا فجعلت غبرا ليستقر النوم عليها وتسخن فيصلح ان تكون فراشا للناس
واخرج بعضها من الما كالجزيرة البارزة حتى صلحت لان تكون فراشا للناس كل ذلك بقدرة الله وعنايته
وحكمته ورحمته وللارض منافع لا يحصيها الا الله تعالى منها الاشيا التي خلقها الله تعالى فيها من المعادن
والنبات والحيوان والاثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومنها ان يعمر الرطب به
فيحصل التماسك في اجرام المركبات وفيها قطع ومتجاورات فمنها رخوة ومنها صلبة ورملية وجصية وسبخة قال
الله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وقال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج
الا نكدا ومنها اختلاف الوانها قال الله ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود ومنها انصداعها بالنبات قال الله تعالى والارض ذات الصدع ومنها انها تسكن الما
فيها قال الله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض ومنها انفجار العيون فيها قال
الله تعالى وفجرنا الارض عيونا وقال تعالى وجعل فيها رواسي وانهارا ومنها ما فيها من المعادن
والجبال قال الله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شي موزون
ومنها الخبا الذي تخرجه الارض من الحب والنوى قال الله تعالى يخرج الخبء في السموات والارض
ومنها حياتها بعد موتها قال الله تعالى فانظر الى اثر رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها ومنها
ما فيها من الدواب المختلف الالوان والصور والخلق واليه الاشارة بقوله ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه ومنها ما فيها من النبات المختلف الوانه وانواعه ومنافعه قال الله تعالى
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فمنها قوت الانسان ومنها قوت البهايم قال الله تعالى كلوا وارعوا
انعامكم ومنها ما للبشر من الطعام والادام ومنها الفاكهة المختلفة في الحلاوة والحموضة
ومنها كسوة البشر لان الكسوة اما نباتية وهي القطن والكتان واما حيوانية وهي الشعر
والصوف والابريسم والجلود ومنها ما فيها من الاحجار المختلفة ففي صغارها ما يصلح
للزينة كالياقوت والزمرد والفيروزج ومن المعادن الشريفة الذهب والفضة ثم تامل
فان البشر متمكن من استخراج حرف دقيقة وصنايع جليلة واصطياد السمك من قعر البحر والطير
من اوج الهوا عاجز عن عمل الذهب والفضة والسر فيه انه لا فايدة في وجودهما الا الثمنية وهذه الفايده
لا تحصل الا عند العزة فلو قدر الانسان على عملهما لبطلت هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا
مسدودا اظهارا لهذه الحكمة وابقا لهذه النعمة ومنها ما في الارض والجبال من الاشجار

قوله تعالى يخرج الخبء كل غائب وقيل كل مدخر مستور وقيل المراد
السر وقيل خبء السما المطر وخبء الارض
النبات وفي الحديث اتبعوا الرزق من خبء
الارض اى باثارتها للحرث والزراعة عمدة

تحوله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها اى الاصناف
وكذا ازواجا من نبات شتى او يزوجهم اى يصنفهم
فيجعلهم اصنافا قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين
تنبيه على ان الاشياء كلها مركبة من جوهر وعرض ومادة
وصورة وان لا شي من تركيب يقتضي كونه مصنوعا وانه
لا بد له من صانع منبهة انه تعالى هو الفرد وتنبيه ايضا
ان كل ما في العالم زوج من حيث ان له ضدا ما ومثلا ما
وتركيبا ما بل لا ينفك بوجه من تركيب عمدة الحفاظ

التي تصلح للبنا والحطب وما اشتد الحاجة اليه في الخبز والطبخ ومنها الانهار العظيمة كالنيل
والفرات والدجلة والجيحون والسيحون وغيرها ومنها الانهار الصغيرة التي لا تحصى لكثرة كلها مياها
عذبة للسقي والزرع وساير الفوايد وقد نبه الله تعالى على دلايل الارض ومنافعها في مواضع كثيرة
من القران بالفاظ يعجز عنها الفصحا نحو قوله تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ثم انه تعالى جمع هذه المنافع العظيمة فقال وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض وقال ويخلق ما لا تعلمون اشارة الى منافع كثيرة لا يعلمها الا هو والسما تذكر وتونث وتجمع
على اسمية وسموات والسما كل ما علاك فاظلك ومنه قيل لسقف البيت سما وكلما ارتفع عليك فهو
الهوا فهو سما والهوا نفسه علو يقال له سما ومنه الحديث خلق الله ادم طوله في السما ستون ذراعا
وهو من السمو والبنا مصدر بنيت قلب الما همزة لتطرفها بعد الف زايدة سمي به المبني بيتا كان او
قبة او خبا من الوبر او طرافا من الادم وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا
تزوجوا ضربوا عليها خبا جديدا اعلم ان الله تعالى ذكر امر السموات والارض في القران الكريم في
مواضع كثيرة وذلك يدل على عظم شانهما وعلى ان له فيهما اسرارا عظيمة وحكما بالغة لا يصل اليها افهام
الخلق ولا عقولهم قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون
واما فضايل السما فكثيرة منها انه زينها بمصابيح قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعل القمر فيهن نورا
وجعل الشمس سراجا وجعل السموات في الكرسي قال وسع كرسيه السموات والارض
وجعل العرش محيطا بالكل قال رب العرش العظيم بعضها ظاهرة وبعضها خفية مثبتة بالدلايل السمعية من الايات
والاخبار والادلة العقلية وسمى السموات باسما تدل على عظم شانها منها سما وسقفا محفوظا وسبعا شدادا
وسبعا طباقا ثم ذكر عاقبة امرها فقال واذا السما كشطت واذا السما انشقت يوم نطوي السما كطي
السجل وتكون السما كالمهل يوم تمور السما مورا فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان
وذكر مبداها فقال ثم استوى الى السما وهي دخان وقال ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما فهذا
الاستقصا والتشديد في كيفية ابداعها وفنايها يدل على ان الله تعالى خلقها محكمة بالغة على ما قال
وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وقد جعل الله تعالى السما قبلة الدعا
فالايدي ترفع اليها والوجوه تتوجه نحوها وهي منزل الانوار ومحل الضيا والصفا والطهارة
والعصمة عن الخلل والفساد وقيل خلق الله السموات والارض على صفة الاصول السموات بمثابة الابا
والارض بمثابة الام وقد ذكر السما على الارض في الاكثر وايضا في الاكثر ذكر السموات بلفظ الجميع
والارض بلفظ الواحد قيل لانه لا بد من السموات الكثيرة ليحصل منها الاتصالات الكثيرة المختلفة للكواكب
ويتغير مطارح الشعاعات واما الارض فواحدة لانها قابلة فيكفي واحدة وجعل لون السما في المرائي
ازرق فان الزرقة اشد الالوان موافقة للبصر وتقوية له فان صاحب الرمد قد يومر بالنظر
الى الزرقة فجعل الله تعالى لون السما انفع الالوان وهو المستنير وشكله افضل الاشكال وهو
المستدير المحيط بالارض ولهذا قال اولم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها
من فروج ولو كان سقفا غير مستدير ولم يكن محيطا بالارض لما كان كذلك ولكانت الفروج حاصلة اختلف
في ان السما افضل ام الارض فقيل السما افضل لانه معبد الملايكة وليس فيها بقعة عصي فيها ولهذا
لما اتى ادم عليه السلام في الجنة بما نهي عنه من قرب الشجرة قيل اهبط من الجنة ولانه قال تعالى وجعلنا
السما سقفا محفوظا وقال تبارك الذي جعل في السما بروجا ولم يذكر في الارض مثل ذلك
ولتقديم ذكر السما على الارض في الاكثر وقيل الارض افضل لان الله تعالى وصف بقاعا في الارض

بالبركة قال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقال في البقعة المباركة من الشجرة وقال
الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وقال مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وقال وجعل فيها رواسي من
فوقها وبارك فيها ولان الانبيا والمرسلين والصديقين والشهدا والصالحين خلقوا من الارض قال الله تعالى منها
خلقناكم ولم يخلق من السموات شيا ولان الارض جعلت مسجدا وترابها طهورا واما بيان فضايل ما في السما
والارض فهو ياتي في مواضعها قيل اذا تاملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعمر فيه جميع ما يحتاج اليه
فالسما مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كصاحب البيت
المتصرف فيه وضروب النبات مهياة لمنافعه وضروب الحيوان مصروفة في مصالحه فهذه جملة واضحة
دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة متناهية قوله وانزل من السما
ما عطف على جعل ومن السما متعلق به وهي لابتدا الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على ان يكون حالا
من ما لانه صفة النكرة اذا قدمت عليها نصبت حالا وحينئذ معناه التبعيض والمحذوف المتعلق به
مضاف اي من مياه السما ما واصل ما موه لقولهم ماهت الركية وجمعه مياه وامواه وتصغيره مويه فتحركت الواو
وانفتح ما قبلها فقلبت الفا فاجتمع حرفان خفيفان الالف والها فابدلوا من الها الهمزة التي هي اخته لانها
اقوى منها فاخرج عطف على انزل مترتب عليه وبه متعلق به والبا للسببية ومن الثمرات متعلق به ايضا
ومن للتبعيض وشاهده قوله من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ما ورزقا
يكتنفانه وقد حصل بتنكيرهما معنى البعضية فكانه وانزلنا من السما بعض الما فاخرجنا به الثمرات ليكون
بعض رزقكم وهذا هو المطلوب لصحة المعنى لانه ما انزل من السما الما كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات
ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فقه واذا كانت
من للتبعيض يكون من الثمرات في محل النصب فانه مفعول به لاخرج ورزقا منصوب على المفعول له ومحل لكم
النصب بانه مفعول به فقوله رزقا لانه المصدر المتعدي وقيل يجوز ان يكون حالا بمعنى المرزوق
ومحل لكم النصب على الصفة لرزقا واذا كانت من للبيان يكون من الثمرات في محل النصب على الحال
من رزقا فانه لو تاخر يكون صفة ورزقا بمعنى المرزوق منصوبا بانه مفعول اخرج ولكم في محل
النصب بان يكون صفة لرزقا فان قيل فالثمر المخرج بما السما كثير جم فلم قيل الثمرات التي هي
جمع قلة دون الثمر والثمار التي هي جمع كثرة اجيب بوجهين احدهما ان يقصد
بالثمرات جمع الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه يريد ثماره ونظيره قولهم
كلمة الحويدرة لقصيدته وانما هي كلمات مجتمعة متلاحق بعضها ببعض وقولهم للقرية المدرة
وانما هي مدر متلاحق وثانيهما ان الجموع يستعمل بعضها موقع بعض لالتقايهما في الجمعية
كم تركوا من جنات وثلثة قروء وقيل ان الله هو الخالق لهذه الثمرات عقيب وصول الما
اليها بمجرى العادة وقيل ان الله تعالى خلق في الما طبيعة موثرة وفي الارض طبيعة قابلة فاذا
اجتمعا حصل الاثر من تلك القوى التي جعلها تعالى وعلى كلا التقديرين لابد من الصانع الحكيم
ولا شك ان الله تعالى قادر على خلق هذه الثمار ابتدا من غير هذه الوسايط لان الثمرة لا معنى لها
الا جسم قايم به طعم ولون ورايحة ورطوبة والجسم قابل لهذه الصفات وهذه الصفات مقدورة
لله تعالى ابتدا لان المصحح للمقدورية اما الحدوث او الامكان او هما وعلى التقادير يلزم ان يكون
قادرا على خلق هذه الاعراض في الجسم ابتدا بدون هذه الوسايط ومما يويد هذا الدليل العقلي
من الدلايل السمعية ما ورد في الخبر انه تعالى يخترع نعيم اهل الجنة للمثابين من هذه الوسايط
لكن قدرته على خلقها ابتدا لا ينافي قدرته عليها بواسطة خلق هذه القوى المؤثرة والقابلة في الاجسام

واخراج

واخراج الثمرات وان كانت بقدرته ومشيته لكن لما جعل الما سببا في خروجها ومادة لها
كما النطفة في حق الولد قال فاخرج به فان قيل لما كان قادرا على خلق هذه الثمار بدون
هذه الوسايط فما الحكمة في خلقها بهذه الوسايط في هذه المدة المتطاولة اجيب بانه يفعل
الله ما يشا ولا يسال عما يفعل وبان في انشا الاشيا مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة
حكما ودواعي يجددونها للملايكة والنظار يعيون الاستبصار من عجائبه عبرا وافكارا وترتيبا
وبان المكلفين اذا تحملوا المشقة في الحرث والغرس طلبا للثمرات وكدوا انفسهم في ذلك حالا بعد
حال علموا انهم لما احتاجوا الى تحمل هذه المشاق الدنيوية لطلب المنافع الشريفة الاخروية كان اولى
فصار هذا كما قيل انه تعالى قادر على خلق الشفا من غير تناول الدوا لكنه اجرى عادته بتوقفه عليه
فانه اذا احتمل مرارة الادوية دفعا لضرر المرض فلان يتحمل مشاق التكليف دفعا لضرر العقاب
كان اولى وبانه تعالى لو خلقها دفعة من غير هذه الوسايط لحصل العلم الضروري باسنادها
الى القادر الحكيم وذلك كالمنافي للتكليف والابتلا ولهذا قيل لولا الاسباب لما ارتاب المرتاب
فان قيل قوله وانزل من السما ما يقتضي نزول المطر من السما وليس كذلك فان الامطار انما تتولد
من ابخرة ترتفع عن الارض وتتصاعد الى الطبقة الباردة من الهوا فتتكاثف هناك وتصير سحابا بسبب
البرد وتنزل بعد تكاثفه من خلاله المطر قال الله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه في السما كيف يشا ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله اجيب بان المراد
بالسما ههنا السحاب لان السما يطلق على كل ما علاك وبانه لما كان السما سببا لاثارة تلك
الاجزا الرطبة قال انزل من السما ما مبتدا بالنسبة الى السحاب ومن السحاب الى الارض والثمر
حمل الشجرة في الاصل ثم قيل لكل ما ينتفع به مما هو زيادة على اصل المال يقال ثمر الله مالك وعقل مثمر
اذا كان يهدي صاحبه الى رشده والثمر يستعمل فيما ينتفع به ويستمتع مما هو فرع الاصل وقيل المراد
بالثمرات جميع ما ينتفع به مما يخرج من الارض قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون الفا
للتسبيب ولا ناهية وتجعلوا مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون وتجعلوا بمعنى تصيروا
وقيل بمعنى تسموا وعلى التقديرين يتعدى الى مفعولين اولهما اندادا وثانيهما الجار والمجرور
قبله وهو واجب التقديم وقوله فلا تجعلوا لله اندادا فيما يتعلق به ثلاثة اوجه احدها
ان يتعلق بقوله اعبدوا ربكم اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة واساسها
التوحيد وان لا تجعل لله ندا ولا شريكا وثانيها ان يتعلق بقوله لعلكم على ان تكون لا نافية
وان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم فقوله تجعلوا منصوب باضمار ان في جواب
الترجي والمعنى خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تجعلوا لله اندادا اي لا تشبهوه بخلقه فانه
من اعظم موجبات العقاب وثالثها ان يتعلق بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا اذا رفعت
الذي على انه خبر المبتدا اي هو الذي جعل لكم الارض فراشا اي هو الذي خصكم بهذه
الايات العظيمة والدلايل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شريكا والند المثل
ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي اي المعادي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما
تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى
قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه وقيل الند المقاوم المضاهي سوا كان
مثلا او خلافا او ضدا ومن حيث قاوم وضاهى حصل مماثلا وعن ابي عبيدة الند الضد وقيل

الند الكفو قال حسان اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفدا اى لست بكفو قال صاحب
الكشاف فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا
يزعمون انها تخالف الله عز وجل وتناويه فلم قال ولا تجعلوا لله اندادا والند هو المناوي المنازع
اجاب بانهم لما تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على مخالفته ومضادته
فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم به بلفظ الند شنع عليهم واستفضع شانهم بان جعلوا
اندادا كثيرا لمن لا يصح ان يكون له ند قط واعلم انه لم يوجد في العالم الى الان احد يثبت
لله شريكا يساويه في وجوب الوجود والقدرة والعلم والحكمة لكن الثنوية يثبتون
الهين احدهما حكيم يفعل الخير والثاني سفيه يفعل الشر واما اتخاذ معبود سوى الله
ففي الذاهبين اليه كثرة منهم عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم قالوا ان الله تعالى
خلق هذه الكواكب مدبرات لهذا العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله
ومنهم الذين يعبدون المسيح ومنهم عبدة الاوثان ولا دين اقدم من دينهم فان اقدم
الانبيا الذين نقل الينا تاريخهم نوح عليه السلام وهو انما جا بالرد عليهم على ما اخبر الله
تعالى عن قومه في قوله وقالوا لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فعلم
ان هذه المقالة كانت موجودة قبل نوح عليه السلام وهي باقية الى الان بل اكثر اهل العالم مستمرون
على هذه المقالة والدين والمذهب والعلم بان هذه الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي
خلقني وخلق السماوات والارض ضروري فيستحيل اطباق الجمع العظيم عليه فيكون لعبدة الاوثان
غرض اخر سوى ذلك والعلما ذكروا فيه وجوها منها ما ذكره ابو معشر المنجم البلخي في مصنفاته
ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه تعالى جسم ذو صورة كاحسن
ما يكون من الصور وهكذا حال الملائكة ايضا في صورهم الحسنة وانهم كلهم احتجبوا عنا بالسماوات وان الواجب
عليهم ان يتخذوا تماثيل انيقة المنظر حسنة الرواء على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله
والملائكة فيعتكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله سبحانه وملائكته وكان الذين قال الله تعالى
فيهم والذين اتخذوا من دونه اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى منهم ومنها ما ذكره اكثر العلما
ان الناس راوا تغيرات احوال هذه الدار مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فان بحسب قرب
الشمس وبعدها عن سمت الراس تحدث الفصول المختلفة والاحوال المتباينة ثم انهم رصدوا احوال سائر
الكواكب فاعتقدوا ارتباط السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس
فبالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها اشيا واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم
ومنهم من اعتقد انها مخلوقة للاله الاكبر خالقة لهذا العالم فالاولون اعتقدوا انها هي الاله في
الحقيقة والاخرون انها هي الوسائط بين الله وبين البشر فاشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم راوا
الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين
بتلك العبادة الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ثم لما طالت المدة الغوا ذكر الكواكب
وتجردوا العبادة تلك التماثيل فهولا في الحقيقة عبدة الكواكب ومنها ان اصحاب الاحكام كانوا
يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك
الوقت على وجه خاص فانه ينفع في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الافات
وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون بها فلما بالغوا في ذلك التعظيم
صار ذلك كالعبادة ولما طالت مدة ذلك الفعل نسوا الامر واشتغلوا بعبادتها على الجهالة

باصل

باصل الامر ومنها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مجاب الدعوة ومقبول
الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته يعبدونه على ما اخبر الله عنهم في قوله هولا
شفعاونا عند الله ومنها لعلهم اتخذوها محاريب لصلواتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها
كما يسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن الجهال من العوام انه يجب عبادتها ومنها
لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل واعلم
ان اليونانيين قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بنا هياكل لهم معروفة باسما القوى الروحانية
والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم
الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهو هيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات
كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا
وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا
وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس عليهم وولي البيت الحرام
اتفقت له سفرة الى البلقا فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم فقالوا هذه ارباب نستنصر بها
فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل
فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك سابور ذي
الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة
بمدينة صنعا وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه ومنها نوبهار بلخ الذي بناه
منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل
وسواع لبني هذيل ويغوث باليمن لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع
واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة وكان قصي
جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله وكذلك
زيد بن عمرو بن نفيل وفي ذلك قال حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير
قوله وانتم تعلمون جملة من مبتدا وخبر في محل النصب على الحال ومعناه وحالكم
وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض
الاحوال والاصابة في التدابير والدها والفطنة بمنزلة لا تمد فعون عنه وهكذا
كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة
بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل المعرفة
والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه من امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو
غاية الجهل ونهاية سخافة العقل وقيل وانتم تعلمون انه لا يماثل وقيل معناه وانتم تعلمون ما بينها وبينه من التفاوت
وقيل معناه وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شي وقيل
معناه وانتم تعلمون انه خلق ما ذكر في هذه الايات وقيل معناه وانتم تعلمون انه ذكر ذلك في كتابكم التورية
والانجيل وقيل معناه وانتم تعلمون انها حجارة ولا امتناع في كون جميع هذه الامور مرادا **قوله تعالى**
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين
لما احتج عليهم بالبراهين القاطعة الدالة على الوحدانية المحققة لها المبطلة للاشراك الهادمة له وعلم الطريق
الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم الله عليه من معرفته

واساف ونايلة على
الصفا والمروه

وتمييز عطف على ذلك ماهو الحجة على اثبات نبوة محمد عليه السلام وما يدحض الشبهة في كون القران
معجزا وارايتم لستم تعرفون اهو قران من عند الله كما يدعي محمد ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشاد الله
اياهم الى ان يحرروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابنا جنسه واهل جلدته وذلك يدل على بطلان
قول التعليمية القايلين بان معرفة الله تعالى مستفادة من الرسول وقول الحشوية الذين يقولون لا تحصل
معرفة الله الا من القران والاخبار ولما كانت نبوة محمد عليه السلام مبنية على كون القران معجزا اقام
الحجة على كونه معجزا وكونه معجزا يمكن اثباته من طريقين احدهما ان يقال ان هذا الكلام اما ان يكون
مساويا لكلام البلغا او زايدا عليه بقدر غير خارق للعادة او بقدر خارق لها والاولان باطلان والا
لوجب ان ياتوا بمثل سورة منه مجتمعين او منفردين فان وقع التنازع ووقع الخوف من عدم القبول فالشهود
والحكام يزيلون الشبهة وذلك نهاية في الاحتجاج لانهم كانوا في معرفة كلام البلغا والاطلاع على
اساس البلاغة في الغاية وهم حراص على ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا ضروب
المهالك والمحن وكانوا في الحمية والانفة على حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل وكل ذلك يوجب الاتيان
بما يقدح في قوله والمعارضة اقوى القوادح فلما لم ياتوا بمثله علم عجزهم عنه وان القران ليس مساويا
لكلام البلغا بل زايد بقدر خارق للعادة فيكون معجزا والثاني ان يقال القران اما ان يكون معجزا بالغا
في البلاغة الى حد الاعجاز وحينئذ يكون معجزا او لا يكون كذلك وحينئذ امكن معارضته فعدم
معارضتهم مع توفر دواعيهم على الاتيان بها فانهم ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بما يرمى رموه باكثر
امر خارق للعادة فيكون معجزا فثبت ان القران معجز على التقديرين فيه دليل ان الله تعالى لم يكلف
معرفة التوحيد بالتقليد فكذا في معرفة النبوة لم يكلف بالتقليد واعلم ان ان حرف شرط يجزم فعلين
شرطا وجزاء كان من شانهما الجزم والاصل فيها الخلو عن الجزم بوقوع الشرط كما يقول القايل ان تكرمني
اكرمك وهو لا يعلم ايكرمه ام لا فاذا استعملت في مقام الجزم لم يخل عن نكتة ولامتناع الجزم بتحقيق الجزا
المعلق بالشرط الذي في تحققه تردد وشبهة قلما ترك المضارع في الجزا في بليغ الكلام الى الماضي المؤذن
بالتحقيق نظرا الى لفظه من غير نكتة ومحل كان الجزم وهي وان كانت ماضية لفظا فهي مستقبلة معنى
لان التعليق انما يكون في المستقبل وفي ريب خبر كان وهو مجاز من حيث انه جعل ظرفا محيطا بهم بمنزلة
الخبر بكثرة وقوعه منهم ومما يتعلق بمحذوف صفة لريب في محل جر من للبيان او لابتدا الغاية وما موصولة او نكرة
موصوفة والعايد على الوجهين محذوف قال صاحب الكشاف فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل
دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي
وذلك انهم كانوا يقولون لو كان من عند غير الله لخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما
سورة بعد سورة وايات عقيب ايات على حسب النوازل ووقوع الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه
اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيا فشيا حسب ما يعن لهم من
الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر مجموع خطبه
او رسايله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين
كفروا لولا انزل عليه القران جملة واحدة فان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل
وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او ايات
شتى في معربات وهذا التبكيت منتهى ازاحة العلل وقيل يجوز ان يكون من في مما نزلنا
السببية ويتعلق بريب اي ان ارتبتم من اجل والتضعيف في نزلنا للتعدية مرادفا للهمزة للتعدي
وقال بعضهم هذا الذي ذهب اليه صاحب الكشاف في تضعيف الكلمة هنا هو الذي عبر عنه

بالتكثير

بالتكثير اي يفعل مرة بعد مرة فيدل على ذلك بالتضعيف ويعبر عنه بالكثرة وذهل صاحب الكشاف
عن قاعدة وهي ان التضعيف الدال على ذلك من شرطه ان يكون في الافعال المتعدية قبل التضعيف غالبا
نحو جرحت زيدا وفتحت الباب ولا يقال جلس زيد ولم يكن متعديا قبل التضعيف وانما جعله متعديا
تضعيفه وقد جا التضعيف يجعل القاصر متعديا كما في موت المال ونزل كان قاصرا فصار بالتضعيف
متعديا فدل على ان تضعيفه للنقل لا للتكثير وايضا يحتاج قوله تعالى لولا نزل عليه القران جملة واحدة
الى تاويل وايضا جا التضعيف حيث لا يمكن فيه التكثير نحو قوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه وقوله
لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا الا ان يتعسف بجعل الدليل المعين على انهم اقترحوا تكرير نزول اية
على تكرير نزول ملك رسول هذا ما قاله وهو كلام طويل لا يجدي كثير نفع قال صاحب الكشاف ما فسر
التنزيل بما ذكره بالعقل وانما فسره بالنقل والسماع وهو معنى مستقيم مطابق لبلاغة القران واستعماله في غيره
لا يقتضي عدم جواز استعماله فيما ذكره ولا شك ان التنزيل بالمعنى الذي ذكره هو وغيره مجاز والمجاز لا يتوقف
على استعمال اهل اللغة ويجوز ان يستعمل لفظ واحد في معان كثيرة في موارد متعددة بحسب القراين الدالة
على ما هو المقصود وفي قوله تعالى نزلنا التفات من الغيبة الى التكلم لان قبله اعبدوا ربكم فلو جا الكلام
عليه لقيل مما نزل على عبده ولكنه التفت فيهما تفخيما لشان القران والرسول وتقريرا لكونه من عند الله
لا من عند غيره قوله فاتوا جواب الشرط والفا لازمة لان ما بعدها لا يصلح ان يكون شرطا بنفسه
واصل فاتوا ايتوا مثل اضربوا فالهمزة الاولى للوصل والثانية فا الكلمة اجتمع همزتان وجب قلب ثانيهما
يا على باب ايمان واستثقلت الضمة على اليا التي هي لام الكلمة فنقلت وسكنت اليا بعدها واو الضمير
ساكنة فحذف اليا لالتقا الساكنين وضمت اليا التي قبلها للتجانس فوزن ايتوا افعوا والسورة قد مر معناها
واصلها في المقدمة الثالثة وفايدة تفصيل القران وتقطيعه سورا كثيرة ولامر ما انزل الله التوراة
والانجيل والزبور وساير ما اوحى الله الى انبيايه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور اي
مفتتحة بترجمة اخرى وبوب المصنفون في كل كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوايده
ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون
بيانا واحدا اي ضربا واحدا ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ
في اخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب
بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه
ونشطه للسير ومن ثم جزا القرا القران اسباعا واجزاء واعشارا واخماسا ومنها
ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة
وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان
الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ومن ثم كانت القراة في الصلوة بسورة تامة افضل
ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظاير وملايمة بعضها لبعض وبذلك
تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوايد والمنافع وقوله من مثله متعلق بسورة
صفة لها اي بسورة كاينة من مثله وفي عود الضمير من مثله وجهان احدهما انه يعود الى ما
في قوله مما نزلنا معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان البليغ وعلو الطبقة وحسن النظم
وثانيهما انه يعود الى عبدنا معناه فاتوا بسورة ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا لم
يقرا الكتب ولم ياخذ من العلما ولا قصد الى مثل هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج
وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة

الامر من السلطان والقدرة وبسط اليد ولم يقصد احد ان يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى ما اوجه
لانه مطابق لساير الايات الواردة في باب التحدي لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله وقوله فاتوا بعشر سور مثله
وقوله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على احسن الاساليب
والكلام مع رد الضمير الى ما احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه
ان لا يفك الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم شيا يسيرا
بما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم
في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطايفة يسيرة
من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد اخر بمثل ما اتى به هذا الواحد
الامي ولانه لو عاد الضمير على عبدنا فلكونه معجزا انما يحمل بكمال حاله في البلاغة والفصاحة ولو عاد الضمير
على عبدنا فلكونه معجزا انما يحمل بتقرير كمال حاله في كونه اميا بعيدا عن العلم وهذا وان كان معجزا ايضا
الا انه لما لم يتم الا بتقرير نقصان في حقه صلى الله عليه وسلم كان الاول اولى ولانه لو عاد الضمير الى
عبدنا لكان يوهم ان صدور مثل هذا القران عمن لم يكن مثل محمد في كونه اميا ممكن ولو عاد الى ما لدل ذلك
على ان صدور مثله من الامي وغير الامي ممتنع فهو اولى لانه مطابق لقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولان الاول هو الملايم لقوله تعالى وادعوا
شهداكم قوله وادعوا شهداكم في محل الجزم لانه معطوف على قوله فاتوا بسورة ووزن ادعوا
افعوا لان لام الفعل محذوفة دالة على السكون في الامر والواو ضمير الفاعلين والشهدا جمع شهيد
بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة ومعنى دون ادون مكان من الشي ومنه الشي الدون وهو الدني الحقير
ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشيا ادنا بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك
اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر وحذف
خذه من واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول
من قال لعدوه وقد راه بالثنا عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين
اي لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي
اذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالها لم يقك غيره من دون الله ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداكم
فان علقته بشهداكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم
يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذا
من دونها وهي دونه اي تريك القذا قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفايها وفي امرهم ان
يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداكم
من دون الله اي من دون اوليايه ومن غير المومنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة
وارخا العنان والاشعار بان شهداهم وهم مدارة القوم اي زعما القوم والمتكلمون عنهم اي
الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تاى عليهم الطباع وتحجمهم الانسانية
والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال
الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعا في هذا الوجه جايز وحينئذ يكون معناه ادعوا من دون الله
شهداكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد بان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة
البينة على صحة دعواه وادعوا الشهدا من الناس الذين شهاداتهم بينة تصح بها الدعاوى عند

الكلام

الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم
الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض
العرب انه سيل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة وادعوا
شهداكم من دون الله لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناقكم واحكم والجن والانس شاهدوكم
فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون
كل شاهد من شهداكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما ذكر الاستعانة بلفظ الدعا على
عادة العرب في دعايهم القبايل للوقايع العظيمة والحروب والشدايد قوله ان كنتم صادقين شرط جزاوه
محذوف تقديره فافعلوا ومتعلق الصدق محذوف اي صادقين في قولكم ان القران ليس من عند الله روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل صادقين فيما قلتم انكم تقدرون على المعارضة يويد هذا القول
قوله تعالى حكاية عن الكفار لو نشا لقلنا مثل هذا وقيل صادقين في ان محمدا يقوله من تلقا نفسه وقيل
صادقين فيما قلتم من الريب قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة اعدت للكافرين ان الشرطية داخلة على جملة لم تفعلوا وهو مجزوم بلم كما تدخل ان الشرطية
على فعل منفي بلا نحو ان لا تفعلوا فيكون لم تفعلوا في محل جزم بان وقوله فاتقوا جواب الشرط ولن تفعلوا
لا محل لها لانها جملة اعتراضية وقعت بين الشرط وجوابه ولما ارشدهم الله الى الجهة التي منها يعرفون
امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جا به حتى يطلعوا على حقيقته وسره ويعثروا على امتياز حقه من باطله
قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وظهر لكم انه معجوز عنه وقد انكشف الحق عن محصه
ووجب التصديق فامنوا وخافوا العقاب المعد لمن كذب وفيه دلالة على انه معجز من ثلثة اوجه احدها
الاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله وقد وقع مخبر هذا الخبر على ما اخبر من وقت بعثته الى
هذا العصر الذي نحن فيه ولم يخل وقت من الاوقات من طوايف من اعدا الدين ولم يعارضوا قط وثانيها
انه علم بالتواتر ان العرب كانوا في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حراصا على ابطال
امره واضيف الى هذا مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان
بمثل سورة من القران لاتوا به فلما لم ياتوا به بان بانه معجز وثالثها ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان وافر العقل والفضل والمعرفة بالعواقب فلو لم يكن محققا عنده انه معجز لما تحداهم بل كان خايفا
وجلا عما يتطرق الى ما ادعاه خلل فان قيل انتفا اتيانهم بمثله واجب فهلا جي باذا الذي للوجوب
وجي بان الذي للشك اجيب عنه من وجهين احدهما ان يساق القول على حسب حسبانهم
وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لانهم بعد غير جازمين
بالعجز عن المعارضة لاعتمادهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام وثانيهما ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف
بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما
به والفايدة في التعبير عن الاتيان بالفعل وتركه اليه ان الاتيان فعل من الافعال يقال اتى
فلان فلانا فيقال ما فعل فيكون جاريا مجرى الكناية التي تفيد اختصارا ووجازة تغني عن طول المكني
عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته وتعد كيفيات
واقعا الافعال فيقال له بيس ما فعلت ولو ذكرنا جميل المذكور بما مقامه لطال ولذلك لو لم يعدل
عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة
من مثله قيل لو قال فان لم تاتوا ولن تاتوا لكان المعنى على ما ذكر ويكون قد حذف مفعوله اختصارا كما حذف
اختصارا مفعول لم تفعلوا ولن تفعلوا اجيب بان في نفي الفعل من المبالغة ما ليس في نفي الاتيان

من حيث ان نفي الفعل الذي هو الجنس في موضع نفي النوع الذي هو الاتيان كما تقول ما رايت حيوانا
مكان ما رايت انسانا ولا ولن اختان في نفي المستقبل ولن لا تفيد تابيد النفي ولكن تفيد توكيدا وتشديدا
تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك تقول لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وتختص بصيغة
المضارع وتنصبها وهي عند سيبويه واحدى الروايتين اصلها لا ان وعند الفرا اصلها لا ابدلت الفها نونا فانتفى ا
اصله اوتتقوا قلبت الواو يا وادغمت فيها والنار مفعول به والتي صفتها وقوله وقودها الناس جملة
من مبتدا وخبره قال صاحب الكشاف معنى اشتراط الله تعالى في اتقا النار انتفا اتيانهم بسورة من مثله
انهم اذا لم ياتوا بسورة من مثله وتحقق عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في انه من عند الله واذا صح عندهم صدقه في انه من عند الله ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يتابعوا استوجبوا
العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم عجزكم عن الاتيان بمثله فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضع
فاتركوا العناد فان اتقوا النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث ان ترك العناد من نتايج اتقا النار
لان من اتقى النار ترك المعاند ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد
فاتبعوني واطيعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكنايه التي هي شعبة البلاغه
وفايدة الايجاز الذي هو من حلية القران وتهويل شان العناد باتيانه اتقا النار مناه وابرازه في صورة
مستبعاذ للتهويل صفة النار وتفظيع امرها هذا ما قال صاحب الكشاف وهو مستقيم الا ان قوله هو من باب
الكنايه فيه ما فيه فان اتقا النار ملزوم لترك العناد وكذا الحذر من سخط الله ملزوم للطاعه واتباع
الامر فيكون من باب الكنايه ويكون ابلغ في افادة المقصود لان تحقق الملزوم يقتضي تحقق لازمه
قيل ان ترك العناد من نتايج اتقا النار ونتيجة الشي ملزومه لامتناع وجود نتيجة الشي من حيث انه
نتيجه بدون ذلك الشي وهذا ليس بشي لان نتيجة الشي لازمة له نظرا الى ذاتها وانما يكون نتيجة له من حيث
ذاتها لا من حيث انه نتيجه قيل اراد صاحب الكشاف ان بين الانتقال من اللازم الى الملزوم انما يكون
كنايه اذا كان بينهما مساواه ولقايل ان يقول هذا صحيح لكن الشان في المساواه فان ترك العناد
لا يكون مساويا لاتقا النار فانه قد يترك العناد من غير ان يتقي النار الوقود بالفتح ما يرفع به النار
وبالضم المصدر وقد جا في المصدر الفتح قال سيبويه سمعنا من العرب من يقول وقدت النار
وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب قال صاحب الكشاف فان قلت صلة الذي والتي
يجب ان يكون قصه معلومه للمخاطب فكيف علم اوليك ان نار الاخره توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع
ان يتقدم بذلك سماع من اهل الكتاب او من رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الايه قوله
تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة والالف واللام في النار للعهد لتقدم ذكرها في سورة
التحريم وانما جاءت النار موصوفه بهذه الجمله منكره في سورة التحريم ومعرفه ههنا لان الايه التي في
سورة التحريم نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفه بهذه الصفه ثم نزلت هذه بالمدينه مشارا بها الى ما عرفوه
اولا ومعنى قوله وقودها الناس والحجارة انها نار ممتازه عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس
والحجارة وذلك يدل على قوتها من وجهين احدهما ان غيرها من النيران اذا اريد احراق الناس بها
او احما الحجارة اوقدوا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه واحماوه وتلك اعاذنا الله منها برحمته
الواسعه توقد بنفس ما تحرق وتحمى في النار وثانيهما انها لافراط حرها وشدة ذكايها اذا اتصلت
بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها واعلم ان نار الجحيم ليس كلها موقدا بالناس والحجارة
بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكرها في قوله قوا انفسكم واهليكم
نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل للكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس

نارا وقودها هم جزا لكل جنس بما يشاكله من العذاب وانما قرنت الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا لانهم قرنوا
بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الايه مفسرة لما نحن فيه بقوله انكم وما تعبدون من دون الله
في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم بمعنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها
الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها
محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم
وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت لانها اشد الاشيا حرا اذا حميت قال صاحب الكشاف وهو تخصيص
بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل وقيل ان اهل النار اذا عيل
صبرهم بكوا وشكوا فنشات سحابة سودا مظلمة فيرجون الفرج ويرفعون رؤوسهم اليها فتمطر حجارة عظاما
كحجارة الرحا فتزداد النار اتقادا والتهابا كنار الدنيا اذا زيد حطبها قوله اعدت فعل ماض
مجهول والقايم مقام الفاعل ضمير مستتر عايد على النار والتا واجبه لاسناد الفعل الى ضمير المونث وللكافرين
متعلق به ومعناه خلقت وهيئت للكافرين وجعلت عدة لعذابهم وهذه الجمله تاكيد للجمله المتقدمه
لان اتقادها بالكافرين واعدادها لهم متقاربان في المعنى او دل عليها او استيناف وليس لها
محل من الاعراب كانها جواب لمن قال لو كان وقودها الناس والحجارة اجيب لانها اعدت للكافرين
فانها لما حقت ان تعد للكافرين كانوا احقا بان يحرقوا وقودا مقرونين بالهتهم وفيه دليل على ان النار مخلوقة
لان المعد لا يكون الا موجودا قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم
فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون ومن عادة الله ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع
البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف اي يقرب والتثبيط عن اقتراف ما يتلف
فلما ذكر الكفار واوعدهم بالعذاب قفاهم ببشارة عباده الذين جمعوا بين الايمان والاعمال الصالحات
بالثواب والبشارة هي الخبر الاول بما يظهر سرور المخبر والتبشير هو ايراد الخبر السار الذي يظهر اثر
السرور في بشرة السامع ومن ثم قال العلما اذا قال الرجل لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه
فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سرور المخبر دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا
جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اول ضوئه هذا هو الاصل
واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزا الزايد في غيظ المستهزا به وتالمه
واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتنوا بالصلح والصالحه
نحو الحسنه في جريها مجرى الاسم قال الحطيئه كيف الهجا وما تنفك صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتيني
والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل الكتاب والسنه قال عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله
وعملوا الصالحات اخلصوا الله تعالى الاعمال يدل عليه قوله تعالى فليعمل عملا صالحا لان المنافق والمرايي
لا يكون عمله صالحا وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه اقاموا الصلوات المفروضات دليله قوله
واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقال ابن عباس رضي الله عنهما عملوا الطاعات فيما بينهم
وبين ربهم قال معاذ بن جبل العمل الصالح الذي يكون فيه اربعة اشيا العلم والنيه والصبر والاخلاص
وقال سهل بن عبد الله لزموا السنه لان عمل المبتدع لا يكون صالحا وقيل ادوا الامانه يدل
عليه قوله عز وجل وكان ابوهما صالحا اي امينا وقيل تابوا دليله قوله عز وجل وكونوا من بعده

قوما صالحين اى ثابتين والكل مراد قال صاحب الكشاف واللام فى الصالحات للجنس والفرق بين لام الجنس
داخله على المفرد وبينها داخله على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لانه
وزانه فى تناول الجمعيه فى الجنس وزان المفرد فى تناول الجنسيه والجمعيه فى حمل الجنس لا فى وحدانيته
فالمراد بهذا المجموع مع اللام الجمله من الاعمال الصحيحه المستقيمه فى الدين على حسب حال المومن فى مواجب التكليف
والمامور بقوله بشر يجوز ان يكون رسول الله وان يكون كل احد كما قال صلى الله عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد
بالنور التام يوم القيامه لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل
لانه يوذن بان الامر لعظمه وفخامه شانه حقيق بان يبشر به كل من قدر على البشاره قال صاحب الكشاف فان قلت
علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهى يصح عطفه عليه قلت ليس الذى اعتمد بالعطف هو الامر حتى
يطلب له مشاكل من امر او نهى يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جمله وصف ثواب المومنين فهى معطوفه
على جمله وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمروا بالعفو والاطلاق
ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبه ما جنيتم وبشر يا فلان
بنى اسد باحسانى اليهم وفيه نظر لان فاتقوا جواب الشرط وقوله وبشر لا يصلح ان يكون جواب الشرط اذ لا يصح
ان يقال فان لم تفعلوا فبشر الذين امنوا وايضا فى المثال الذى اورده لعطف الامر على الامر نظر لانه
عطف فيه الجمله الندائيه المشتمله على الطلب وهو قوله وبشر يا فلان على جمله مثلها وهى يا بنى تميم احذروا
وليس فيه عطف الامر على الامر قال صاحب المفتاح وعندى ان قوله معطوف على قل مقدرا مرادا
قبل يا ايها الناس اعبدوا ربكم لكون ارادة القول بواسطه انصباب الكلام الى معناه غير عزيز فى القران
من ذلك وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا اى قلنا او قائلين كلوا ومن ذلك واذ استسقى موسى لقومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشره عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا اى قلنا او قائلا
انت يا موسى كلوا واشربوا ومن ذلك واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا اى قلنا او قائلين
خذوا وكذلك عطف قوله وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبه على قل مرادا قبل يا ايها الذين
امنوا استعينوا بالصبر والصلوه وكذا عطف وبشر المومنين فى سوره الصف عندى على قل مرادا قبل
يا ايها الذين امنوا هل ادلكم ويحتمل ان يكون معطوفا على قل قبل قوله فان لم تفعلوا ايانه ذلك
انه تعالى لما اقام الحجه على توحيده فى نبوه نبيه امر النبى صلى الله عليه وسلم بتخويف الكافرين وبشاره
المومنين ولما ذكر الايمان وعطف عليه العمل الصالح دل على ان العمل غير داخل فى الايمان والا لزم
التكرار والاصل عدمه قوله ان لهم جنات تجرى اسم ان نصبه بالكسر لانها جمع مونث سالم ولهم
خبر مقدم عليه ولا يجوز تقديم خبر ان واخواتها الا اذا كان ظرفا او جارا ومجرورا وتقديره بان
لهم فحذف حرف الجر وهذا الحذف مطرد مع ان وان الناصبه للمضارع بشرط امن اللبس بسبب
طولهما بالصله وعند الخليل والكسائى ان مع اسمها وخبرها فى محل جر لان حرف الجر فى حكم الثابت
وعند سيبويه والفرا فى محل نصب لانه اذا حذف الحرف نصب والجنه البستان من النخل والشجر
المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير سقى جنه سحقا اى نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى
الستر كانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنه التى هى المره من مصدر جنه اذا ستره كانها ستره واحده
لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنه لما فيها من الجنان والحق ان الجنه مخلوقه لقوله تعالى يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنه ولانها جاءت فى القران على نهج الاسماء الغالبه اللاحقه بالاعلام كالنبى والرسول
والكتاب والاعلام لا تكون الا للموجود والوجه فى جمعها وتنكيرها ان الجنه اسم لدار الثواب كلها وهى
مشتمله على جنان كثيره مرتبه مراتب على حسب حال اهلها لكل طبقه منهم جنات من تلك الجنان قال صاحب

الكشاف

الكشاف فان قلت اما يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام
على الكبائر وان لا يندم على ما اوجد من فعل الطاعه وترك المعصيه فلا اشترط ذلك قلت لما جعل الثواب
مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشاره مختصه بمن يتولاها وركز فى العقول ان الاحسان انما يستحق
فاعله عليه المثوبه والثنا اذا لم يعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا
واعلم بقوله لنبيه عليه السلام وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمومنين ولا تجهروا
له بالقول ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظها من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر اعلم ان صاحب الكشاف
اورد هذا السوال على اصول قومه واجاب عنه بما هو مقتضى اصولهم ولنبين اولا ما بناه على اصولهم
السوال فقوله لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح بناء على ان الثواب مستحق بالايمان والعمل الصالح
وهو باطل بل الثواب انما يحصل للمومن الذى عمل الصالح بفضل الله تعالى لا بايمانه وعمله الصالح كما بين فى اصول
الدين وفى صحيح البخارى عن ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ينجى احدا منكم عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته وفيه عن عائشه رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سددوا وقاربوا واعلموا ان لن يدخل احدا منكم عمله الجنه والعمل الصالح علامه لحصول الثواب
واما قوله يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام
على الكبائر وان لا يندم على ما اوجد من فعل الطاعه وترك المعصيه فليس بمستقيم فان الكبائر لا تحبط الايمان
والعمل بل الموت على الارتداد يحبط العمل بقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم قوله وركز فى العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبه
والثنا اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا
لقائل ان يقول هذا بالنسبه الى المثيب الذى ينتفع باحسان فاعله ويتضرر بتركه واما
بالنسبه الى من لا ينتفع باحسان فاعله ولا يتضرر بتركه ولا يستقل العقل به بل يستفاد من النبى عليه السلام
بان انزل الوحى اليه والانهار جمع النهر والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال
بردى نهر دمشق والنيل نهر مصر ومدار التركيب على السعه واسناد الجرى من الاسناد المجازى
فان النهر لا يجرى بل الماء فى النهر يجرى وذلك كقولهم بنو فلان يطوهم الطريق وصيد عليه يومين اى نطاهم اهل
الطريق وهذا وصف لهم بالكرم وانهم مقصد للعفاة وصيد على الفرس وحوش يومين وتعريف الانهار
للجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب وانواع الفواكه يشير الى الانواع
التى فى علم المخاطب او تعريفها باللام عوضا من التعريف بالاضافه كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا اى راسى
او تعريفها باللام للعهد يشار به الى الانهار المذكوره فى قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من
لبن لم يتغير طعمه الايه وصوره جرى الانهار من تحتها تجرى الانهار الجاريه تحت الاشجار النابته على شواطئها
وعن مسروق انها انهار الجنه تجرى فى غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظلله والانهار
فى خلالها مطرده ولولا ان الماء الجارى من النعمه العظمى واللذه الكبرى وان الرياض والجنان وان كانت
آنق شى واحسنه لا يروق النواظر ولا يبهج الانفس ولا يجلب الاريحيه والنشاط حتى يجرى فيها الماء وان لم
يجر الماء كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياه
لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجاريه من تحتها مسوقين على قران واحد
كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها قوله كلما رزقوا منها قالوا ومنها اى
ومن الجنات متعلق برزقوا ومن فى منها ومن ثمره لابتداء الغايه وذلك كهما فى قولك كلما اكلت من
بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمره موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات

هذا الذي رزقنا من قبل فمن من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا
الاولى والثانية كلتاهما لابتدا الغاية لان الرزق قد ابتدا من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدا
من ثمرة وتنزيله ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فيقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من
بستانه فيقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتدا من
ضمير الجنات مبتديا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة المفردة على هذا التفسير
وانما المراد النوع من انواع الثمار قال صاحب الكشاف ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج
قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة
قيل وفي هذا الوجه نظر لان من شرط ذلك ان تجعل محلها موصولا وان يكون ما قبلها محلا باللام للجنس
فليس قبلها شي تبين بها ولو بها بيانا لما بعدها حدا ورزقا مفعول ثان لرزقوا وهو بمعنى مرزوق ولو به
مصدر البعيد لقوله هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها والمصدر لا يوتى به متشابها انما يوتى
بالمرزوق لذلك قوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل مبتدا او خبر في محل النصب بالقول والعايد
الى الموصول محذوف لاستكماله الشروط اي رزقناه ومن قبل متعلق به ومن لابتدا الغاية ولما قطعت قبل
بنيت وهذه الجملة وهي قوله كلما رزقوا الى الاخر اما في محل النصب بانه صفة ثانية لجنات او في محل الرفع
بانه خبر مبتدا محذوف او لا محل لها من الاعراب بانها جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل
خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية
لا يعلمها الا الله تعالى فان قيل كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر
عندهم بعينه هو الذات الذي رزقوه في الدنيا اجيب عنه بانه اشار بقوله هذا الى النوع
فان الشخص هو النوع المقيد بالعوارض المشخصة ووجوده بعينه وجود النوع فالاشارة الحسية
الى الشخص هي بعينها الاشارة الى النوع وبانه لما اتحد بالنوع وان تغايرا بالتعين صح ان يقال
هذا هو الذي رزقنا من قبل بحسب النوع فان الوحدة النوعية لا تنافي التعدد بالشخص وبان معناه
هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا القول ابو يوسف ابو حنيفة
تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته والضمير في به راجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله
هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين لانه لما كان التقدير مثل الذي
رزقناه كان قد انطوى على المرزوقين معا ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى
بهما اي بجنسي الغني والفقير بدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو اعتبر عود الضمير
الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد اذ التقدير ان يكن احدهما فالله اولى به ولذا لو اعتبر عود
الضمير الى المتكلم به في قوله واتوا به لقيل واتوا بهما وانما تشابه ثمر الجنة وثمر الدنيا ولم يكن ثمر الجنة
اجناسا اخر لان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة
وتفاوتا بينه وبين ما عهده بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنهه
النعمة وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا
كذلك ولا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان
الكبرى لا ينفصل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن اي اهل الدار والنفقة اي ثمرة
السدر الذي يتخذ من السويق من نبق الدنيا في حجم الفلكة اي المغزل ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر
كما راوا ظل الشجر في الجنة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها
مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان

يفاجئوا

يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل
ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت
العظيم هو الذي يستمل تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها اي ثمارها
منضودة ولا يكون لطلعها ساق وثمرتها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى والعنقود
اثنى عشر ذراعا وروي عن ابن عباس والضحاك ومقاتل ان معنى قوله هذا الذي رزقنا من قبل
هذا الذي طعمنا من قبل فرزق الغداة كرزق العشي وقيل ان ثمر الجنة اذا جني خلفه مثله واذا راوا ما
خلف اشتبه عليهم فقالوا هذا الذي رزقنا من قبل فهذا اشارة الى الخارج في موضع المجتبى وعن الحسن
ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم يختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضا
وقال ابن عباس ليس شي في الجنة مما في الدنيا سوى الاسما واما الذوات فمتباينة وقيل معناه هذا الذي
وعدنا قبله في الدنيا فكانهم قد رزقوا في الدنيا اذ وعد الله منجز وعن ابن عباس ومجاهد والحسن
في قوله واتوا به متشابها ان معناه يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في الطعم يحكى عن الحسن يوتى احدهم
بالصحفة فياكل منها ثم يوتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون
واحد والطعم يختلف وعن عكرمة يشبه ثمر الدنيا في المنظر ويباينه في جل الصفات وعن قتادة متشابها
معناه خيارا لا رذل فيه لقوله كتابا متشابها كانه يريد متناسبا في ان كل صنف هو اعلى جنسه وقيل متشابها
اي مع ثمر الدنيا في الاسما لا في غيرها من هيئة او طعم ولا محل لقوله واتوا به متشابها في الاعراب
ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق
بالكلام معترضة للتقرير وقيل هو عطف على قالوا وقيل محلها النصب على الحال من فاعل قالوا اي قالوا هذا
الكلام في هذه الحالة قيل على لسان اهل المعرفة ان كمال سعادة الانسان معرفة ذات الله تعالى
وصفاته وافعاله والملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات
وهذه المعارف انما تحصل بامتثال اوامر الشرع والاجتناب عما نهي عنه وتزكية الباطن عن الاخلاق
الرذيلة وتحليته بالاخلاق الحميدة فانه اذا امتثل اوامر الله ولم يفعل عما نهى الله عنه وزكى نفسه عن الاخلاق
صارت نفسه مرآة مجلوة يحاذي بها شطر القدس فتنتقش فيها صور عالم القدس والمعارف
لكن لا يحصل بها كمال الابتهاج والسرور لان العلائق الدنية عائقة عن ظهور تلك اللذات
فاذا زال هذا العائق تجرد الى عالم القدس ووصل الى الحق اليقين حصلت السعادة العظمى والبهجة الكبرى
وقال اللذة العصوى فيقول هذا الذي رزقنا من قبل اي هذا الابتهاج والسرور هو الذي كان
حاصلا في الدنيا لكن لم يكن كاملا بسبب وجود العلائق العائقة عنه وكماله حصل في الاخرة
بسبب زوال العوائق والاولى ان يقال ان الجميع مراد اذ لا منافاة بينهما قوله
ولهم فيها ازواج مطهرة لهم خبر مقدم وازواج مبتدا وهي جمع زوج والزوج احد الرجل والمراة
والفرد والنوع واللون وقد يقال للمراة زوجة ايضا قال الفرزدق وان الذي يسعى ليفسد
زوجتي كساع الى اسد الشرى يستبيلها وقال عمار بن ياسر في شان عايشة ام المومنين والله اني لاعلم
انها زوجته في الدنيا والاخرة ولكن الله ابتلاكم ذكر البخاري وغيره الحديث مطولا وفيها
متعلق بالاستقرار الذي تعلق به لهم وقوله مطهرة صفة وجات الصفة مجموعة كالموصوف
وغير مجموعة هما لغتان فصيحتان يقال النسا فعلن وهن فاعلات وفي اعل والنسا فعلت وهن فاعلة
ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالعذارى تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى
جماعة ازواج مطهرة والمراد تطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنسا من الحيض والاستحاضة
وطبع الاخلاق اي دنس الاخلاق الذي عليه النسا مما يكتسبن بانفسهن وما ياخذنه من اعراق السوء

قال صاحب الكشاف في قوله لهو الفلان احسن فلانة ونعم ما فعل اراد ... الراي كذا او كان صوابا م

والمناصب الرديه والمناشئ المفسده ومن ساير عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن ومن الاقذار
والادناس وانما قال مطهره ولم يقل طاهره لان في مطهره فخامة ليست في طاهره وهي الاشعار
بان مطهرن طهرن وليس ذلك الا الله عز شانه المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزيه فيما اعد
لهم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ازواج اهل الجنه
ليغنين ازواجهن باحسن اصوات ما سمعها احد قط وانه مما يغنين به نحن الخيرات الحسان ازواج
قوم كرام ينظرون بقرة اعيان وان مما يغنين به نحن الخالدات فلا نموت نحن الامنات فلا نخاف
نحن المقيمات فلا نظعن وقال يحيى بن ابي كثير ان الحور العين ليبادرن ازواجهن باصوات حسان
ويقلن طالما انتظرناكم نحن الراضيات الناعمات الخالدات انتم حبنا ونحن حبكم ليس دونكم مقصد ولا وراكم
معدل وقال الحسن هن عجايزكم العمص الرمص العمش طهرن من قذرات الدنيا قوله تعالى وهم فيها خالدون
مبتدا خالدون خبره فيها متعلق به وقدم ليوافق روس الاي والخلد الثبات الدايم والبقا اللازم الذي لا
ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرو القيس الا انعم صباحا ايها
الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال
العصر والعصر واحد والاستفهام في قوله وهل ينعمن في معنى النفي والاوجال جمع وجل وهو الخوف
والخلد من الاسما الغالبه بمعنى كالدابه للعين لانه وضع في الاصل للدوام الذي ينقطع ثم غلب استعماله في الدوام
الذي لا ينقطع والجملتان اي ولهم فيها ازواج مطهره وقوله وهم فيها خالدون عطف على الجملة
المتقدمه وقيل الجملتان مستانفتان ويجوز ان تكون الثانيه حالا من الضمير في لهم والعامل فيها معنى
الاستقرار وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنه فقال
من يدخل الجنه يحيى لا يموت وينعم ولا يبوس ولا تبلى ثيابهم ولا يبلى شبابهم وقال ان اهل الجنه ياكلون
ويشربون ولا يتفلون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون قيل فما بال الطعام قال جشا ورشح
من اعضايهم كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس قيل يا رسول الله كيف بناوها قال لبنة
من ذهب ولبنه من فضه بلاطها مسك اذفر وترابها الزعفران وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للمومن في الجنه ثلثون زوجه فقلنا يا رسول الله اوله قوه قال انه يعطى مايه قوه واعلم انه اتى
بجامع اللذات اما المسكن او المطعم او المنكح فوصف الله تعالى المسكن بقوله جنات تجري من تحتها
الانهار والمطعم بقوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا والمنكح بقوله ولهم فيها ازواج مطهره ثم هذه
الاشيا اذا حصلت وقارنها خوف الزوال كان النعيم متنغصا فبين ان هذا الخوف زايل عنهم
بقوله وهم فيها خالدون فصارت الايه داله على كمال النعيم والسرور قوله تعالى
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما
يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون وجه اتصال هذه الايه بما تقدم انه تعالى
لما بين ان القران معجز وانه من عند الله واستنكره الجهله والسفها واهل العناد والمراد من الكفار
واستغربوه من ان يكون المحقرات من الاشيا كالنحل والذباب والنمل والعنكبوت مضروبا بها
المثل فان هذه لا يليق ذكرها بكلام الفصحا فاشتمال القران عليه يقدح في فصاحته وبلاغته فضلا
عن كونه معجزا ورد هذه لبيان ان ما استنكروه واستغربوه ليس في محل الاستنكار والاستغراب لان التمثيل
انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادنا المتوهم من المشاهد
فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به عظيما وان كان حقيرا كان حقيرا لذلك فليس العظم والحقاره

بلغ مقابله

والحقاره في المضروب به المثل اذا الا امر يستدعيه حال المتمثل له فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك
القضيه اعتبر الحق فانه لما كان جليا ساطعا كيف يمثل له بالضيا والنور والباطل فانه لما كان بضد صفته
كيف يمثل له بالظلمة ولما كان الالهة التي جعلها الكفار انداد الله لا حالا احقر منها واقل ولذلك جعل بيت
العنكبوت مثلها في الوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضه فالذي دونها
مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضه لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سابق للمثل
على قضيه مضربه محتذ على مثال ما تحتكم وتستدعيه ولبيان ان المومنين الذين عادتهم الانصاف والعمل
على العدل والتسويه والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا يحول
حوله الشبهه والصواب الذي لا يرتع الخطا في مرتعه وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على
بصايرهم ولا يتفطنون ولا يلقون اسماعهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسه وهوا الالف والعادة
لا يخليهم ان ينصفوا اذا سمعوه وعاندوا وكذبوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك
سبب زيادة هدى المومنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما
زال الفصحا والبلغا يضربون الامثال بالبهايم والطيور وحشاش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال
العرب بين ايديهم مسيره في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشيا فقالوا اجمع من ذره واجرا
من الذباب واسمع من قراد واصرد من جراده واضعف من فراشه واكل من السوس وقالوا في البعوضه
اضعف من بعوضه واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشيا
المحقره كالزوان والنخاله وحبة الخردل والحصاه والارضه والدود والزنابير والتمثيل بهذه
الاشيا واحقر منها لا يخفى استقامته وصحته على من به ادنى مسكه ولكن داب المحجوج المبهوت الذي لا يبقى
له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيره والعجز عن اعمال الحيله بدفع الواضح وانكار
المستقيم والتعويل على المكابره والمغالطه اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
والحسن وقتاده ومقاتل لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون
الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وطعن في اصنامهم ونزل قوله تعالى كمثل العنكبوت اتخذت بيتا شبه
عبادتها ببيت العنكبوت قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب المثل بهما وضحكوا وقالوا
ما يشبه كلام الله فانزل الله هذه الايه وروى السدي عن اشياخه انه لما ضرب الله المثلين المتقدمين
وهما قوله كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب طعن المنافقون وقالوا الله اجل واعلى من ان يضرب
بالنار والظلمات والرعد والبرق فنزلت هذه الايه وقيل ان الطعن من المشركين والكل يحتمل لان المشركين
والمنافقين واليهود متوافقون في ايذا الرسول وقد سبق ذكر المومنين واليهود فاشار في هذه
الايه الى صفة الكل بقوله فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اشار الى صفة المومنين واما
الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اشار الى صفة المشركين والمنافقين واليهود فان
كلهم من الذين كفروا وقوله يضل به كثيرا اشار الى المستمرين على الكفر من الاصناف الثلاثه وقوله
وما يضل به الا الفاسقين اشار الى المستمرين على الكفر مع زيادة بيان والحيا تغير وانكسار يعتري
الانسان من تخوف ما يعاب ويذم واشتقاقه من الحيا يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي
الفرس اذا اعتلت هذه الاعضا نسي الرجل فهو نسي على فعلي اذا اشتكى نساه وهو بالفتح مقصور
عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فاذا اسمنت الدابه
انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان واذا هزلت الدابه اضطربت
الفخذان وماجت الربلتان اي باطن الفخذين وخفي النسا وحشي بالكسر اذا اشتكى الحشا اذا اصابه

الربو والشظى عظم مستدق يلزق بالذراع فاذا تحرك من موضعه قيل شظي الفرس بالكسر
وبعض الناس يحمل الشظى اشتقاق العصب جعل الحيي من الانسان والبصر منكس العوم منقص
الحيوة كما قالوا فلان هلك حيا من كذا ومات حيا من كذا ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحيا وذاب
حيا وجمد في مكانه خجلا قال صاحب الكشاف كيف جاز وصف القديم سبحانه بالحيا ولا يجوز عليه التغيير
والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحي اذا
رفع العبد يديه اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه
تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حيا منه وكذلك
معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز
ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت
فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه
قول ابي تمام من مبلغ افنا يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال
انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ
بنا الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بنا الدار لم يصح بنا الجار ولولا سبوطة الشهادة
لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها
فنا من فنون البلاغة الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحيا
فيما لا يصح فيه اذا ما يستحيي المتعرض بنفسه لدعي نسب في اناس من الورد قال صاحب الانصاف
ولقايل ان يقول ما الذي دعاه الى تاويل الاية مع ان الحيا الذي يخشى نسبته ظاهر الى الله
مسلوب في الاية لقوله الله ليس بجسم ولا جوهر في معرض التنزيه والتقديس واما تاويله الحديث
فمستقيم لان الحيا فيه مثبت لله عز وجل وللزمخشري ان يجيب بان السلب في مثل هذا
انما يتطرق الى ما يمكن نسبته الى المسلوب عنه اذ مفهوم نفي الاستحيا عنه في شي خاص
يستلزم ثبوت الاستحيا له في غيره فالحاجة داعية الى تاويله لما افضى اليه مفهومه وانما
يتوجه السؤال لو كان الاستحيا مسلوبا مطلقا كقولنا الله لا يحول ولا يزول فان ذلك
لا يثبت حالا بل هو سبحانه تعالى يتقدس عن الحيلولة والزوال منزه مطلقا وضرب المثل اعتماده
وصنيعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما
وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي
في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا
اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة
فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن قال صاحب الكشاف ووجه
اخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم
بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شا من الاشيا المحقرة مثلا
مثلا بعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله
ان يمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شي اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي
لا يتجزى وبما لا يدرك لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول
العرب فلان اقل من لا شي في العدد ولقد الم به قوله تعالى ما تدعون من دونه من شيء

وهذه القراءة اي قراءة الرفع تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم
المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهونه بالحسن البصري في الفصاحة قال صاحب الكشاف
وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه اي الاستفهام وهو المطابق لفصاحته
قال صاحب الانتصاف حمل ما على الاستفهام منه بالمعنى الذي ذكر فيه نظر لان قوله تعالى
فما فوقها اما ان يراد به فما فوقها في الحقارة فيكون معناه فما دونها واما ان يراد فما هو
اكبر منها حجما وعلى كلا التقديرين يتعذر الاستفهام لانه انما يستعمل في مثل ما دينار وديناران
للتنبيه على المستفهم عنه بما هو اولى منه مسبوقا عنه ومعنى الكلام فلان لا يبالي بعطا الكثير الجم
فما دينار وديناران اي اذا جاد بالكثير فما القليل واذا ذهبت في الاية هذا المذهب
لم تجد لصحته مجالا اذ يكون المراد ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا بالمحقرات فما البعوضة وما هو
احقر منها وقد فرضنا انها في احد الوجهين نهاية في الحقارة وفي الوجه الاخر ليست نهاية
بل النهاية في قوله فما فوقها اي فما دونها فاذا استعمل ما بعد الاستفهام على النهاية في الوجهين
جميعا لم ينتظم التنبيه المذكور بل ينعكس الغرض منه اذ المقصود في مثل قولنا فلان لا يبالي بعطاء
الالوف فما الدينار الواحد تنبيه على ان عطا القليل منه محقق لعطايه الكثير بطريق الاولى
ولا يتحقق في الاية على هذا التقدير انه لا يستحيي من ضرب المثل بالمحقرات التي لا تبلغ النهاية فكيف
يستحيي من ضرب المثل بما يبلغ النهاية في الحقارة كالبعوضة وهذا عكس نظم الاولوية وان
كانت الاية مثلا واردة على غير هذا النظم نحو قول القايل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا بالبعوضة
التي هي نهاية في الحقارة فما الانعام التي هي ابهى من البعوضة والعدم منها عن الحقارة بما لا يخفى لكن
تقدير الزمخشري متوجها وما اراه والله اعلم الا وهم في هذا الوجه وما طولت النفس ووسعت
العبارة في الاعتراض الا لانه محل ضيق ومعنى متغامض لا يخلص الى الفهم الا بهذا المزيد من البسط
وناهيك بموضع انعكس على فهم الزمخشري مع نفوذ فهمه واصابة سهمه خصوصا في تشقيق المعاني
وتفصيله والله الموفق وانا ابحث بالعثور الذي ظن ان رؤبة ابن العجاج راعاه في قراءته
فكلام ركيك يوهم ان القراءة موكولة الى راي القاري وتوجيهه لها وبصيرته بالعربية وفصاحته
وليس الامر كذلك بل القراءة على اختلاف وجوهها وتعدد طرقها سنة متبعة وسماع
يتلقى بنقله الفصيح وغيره على حد سوا لا حيلة للفصيح في تغيير شي منه عما سمعه عليه وما
يصنع بفصاحته في القران الذي بذ كل فصاحة وعز كل بلاغة فالصحيح والمعتقد
ان كل قاري معزول الا عما سمعه فوعاه وتلقفه من الافواه فاداه الى ان ينتهي ذلك الى
السماع من افصح من نطق بالضاد محمد عليه افضل الصلوة والسلام والحق ان صاحب الانتصاف
تجاوز عن حد الانصاف وسلك طريق الاعتساف اما قوله في بيان النظر ان قوله
فما فوقها اما ان يراد به فما فوقها في الحقارة واما ان يراد به ما هو اكبر منها حجما فقوله
يتعذر الاستفهام قلنا لا يتعذر الاستفهام على هذا التقدير لانه حينئذ يكون
رد القول الكفار الذين قالوا ان الله لا يضرب المثل بالنحل والعنكبوت والذباب
والنمل مما بلغ وجهه هو ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب للانداد ما هو احقر الاشيا مثلا
ما بعوضة فما فوقها حتى لا يضرب الله المثل به مثل له ان يضرب المثل بما هو احقر من ذلك
بكثير ولا شك انه ابلغ في افادة المقصود وظهر ان صاحب الكشاف ما كان واهما
في هذا الوجه وما طولت النفس ووسعت العبارة في الاعتراض عليه لانه محل ضيق

ومعنى دقيق لا يخلص الى الفهم الا بهذا المزيد من البسط ومع هذا انعكس على فهم كثير من الافاضل
وما جزم صاحب الكشاف بان رؤبة العجاج ذهب الى هذا الوجه في هذه القراة الى دفع
بعوضة وقوله هذا لا يوهم ان القراة موكولة الى راي القارى بل غايته ان هذا الوجه في هذه
القراة ذهب اليه رؤبة فان الضحاك وابرهيم بن ابي عبلة ايضا قد قرا بعوضة بالرفع وروى الاصمعي
عن نافع بعوضة بالرفع وانتصب بعوضة على انها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال
عن النكرة مقدمة عليه او انتصب مثلا وبعوضة مفعولين جريا بالضرب مجرى جعل والاحسن ان
يكون ضرب متعديا الى واحد بمعنى بين ومثلا مفعول به وما صفة لمثلا وبعوضة بدلا عنه
لا عطف بيان واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه
البعوض والشد لغوا البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشي لانه
قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش قوله فما فوقها فيه
معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك
لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك يريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة
والنذالة والثاني ما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب
والعنكبوت لانها اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شي فيقال
فلان بخيل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه وهو
الدرهم والدرهمان كانك قلت هو لا يبالي بنخل بنصف درهم فضلا عن الدرهم والدرهمين
ونحو في الاحتمالين ما في صحيح مسلم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عايشة رضي الله عنها
وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم فقالوا فلان خر على طنب فسطاط وكادت عنقه
او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم
يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها
في القلة وهو نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على
الفسطاط قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة
وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك اي ليست البعوضة هي النهاية في الصغر فان جناح
البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا
وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة
لا يكاد يجليها للطافتها البصر الحاد الا بتحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت
لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك تلك وصورة اعضائها الظاهرة
والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها وابلغ
واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشد
لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في
نحرها والمخ في تلك العظام النخل اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه في الزمان الاول
والفاء في فما فوقها للعطف وما في فما فوقها منصوبة معطوفة على بعوضة ان نصبت
بعوضة موصولة بمعنى الذي وصلتها الظرف او موصوفة وصفتها الظرف وان رفعت
بعوضة وجعل ما الاولى موصولة او استفهامية تكون الثانية معطوفة على الاولى عطف
المفرد على تقدير كونها موصولة وعطف الجمل على الجمل على تقدير ان تكون استفهامية وان جعلت

او

او صفة لنكرة وبعوضة خبر لهو محذوفا وكانت ما معطوفة على بعوضة قوله فاما الذين امنوا
اما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شي فزيد
ذاهب وما ذكره سيبويه يفيد فائدتين احداهما بيان كونه تاكيدا والثانية انه في معنى الشرط
قال صاحب الكشاف وفائدة اما في الكلام ان تعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت
توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب من زيد عزيمة قلت اما زيد فذاهب
وفي ايراد الجملتين مصدرتين بها ما وهما فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا احماد عظيم للذين امنوا بمحمد وبالقران واعتداد بعلمهم ونعي
على الذين كفروا بمحمد وبالقران اغفالهم حظهم وعنادهم وردهم بالكلمة الحمقا والحق الثابت الذي لا يسوغ
انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وقال بعض النحويين
اما تفصيل لما اجمله المتكلم او ادعاه المخاطب ولا يليها الا المبتدا ولا تحذف الفا في جوابها الا مع قول ظاهر
او مقدر كقوله تعالى واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم اي فيقال لهم اكفرتم ولا يجوز ان تليها الفاء
مباشرة ولا تتاخر عنها بجزئي جملة ولا يجوز اما زيد منطلق ففي الدار ويجوز ان يتقدم معمول ما بعدها
الفا عليها فيليها كقوله فاما اليتيم فلا تقهر ولا يجوز الفصل بين اما والفا بمعمول خبر ان خلافا للمبرد ولا
بمعمول خبر ليت ولعل خلافا للفرا وان وقع بعدها مصدر نحو اما علما فعالم فان كان نكرة جاز نصبه
على التمييز وضعف رفعه وان كان معرفة التزم فيه الرفع واجاز الحجازيون فيه الرفع والنصب نحو اما
العلم فعالم ونصب المنكر عند سيبويه على الحال والمعرف مفعول به واما الاخفش فنصبهما عنده
على المفعول المطلق والنصب بفعل الشرط المقدر او بما بعد الفا ما لم يمنع مانع فيتعين فعل الشرط
اما علما فلا علم له او فان زيدا عالم لان لا وان لا يعمل ما بعدهما فيما قبلهما واما الرفع فالظاهر
انه بفعل الشرط المقدر اي مهما تذكر علما او العلم فزيد عالم به وجاز الابتدا بالنكرة لانه موضع
تفصيل والذين امنوا في محل رفع بالابتدا وفيعلمون خبره والفا في فيعلمون جواب اما لتضمنه
معنى الشرط وانه الحق ساد مسد المفعولين عند الجمهور ومسد المفعول الاول فقط عند
الاخفش والمفعول الثاني محذوف اي فيعلمون حقيقة ثابتة وقال الجمهور لا حاجة الى ذلك
لان وجود النسبة فيما بعد ان كاف في تعلق العلم او الظن به والضمير المنصوب الذي هو اسم ان عايد
على المثل المفهوم او على ان يضرب لانه في معنى المصدر وقيل على ترك الاستحيا وقوله من ربهم في محل
نصب على الحال من الحق اي كاينا من ربهم ومن لابتدا الغاية وفي ماذا وجهان احدهما ان ما تكون
اسم استفهام وذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون ماذا اسمين فيكون ما مرفوعا على الابتدا وخبره
ذا مع صلته التي هي الجملة الواقعة بها والعايد محذوف والاصوب في جوابه ان يكون مرفوعا
ليطابق الجواب السوال وقد جوز والنصب كما تقول في جواب من قال ما الذي رايت خيرا
اي رايت خيرا وقد قرئ قوله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب وثانيهما ان تكون
ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فهو على هذا منصوب المحل في حكم ما وحدها لو قلت ما اراد الله
والاصوب في جوابه ان يكون منصوبا ليطابق الجواب السوال وقد جوز الرفع كما تقول في جواب
من قال ماذا رايت خير اي المراي خير والارادة من الصفات النفسانية التي يجدها العاقل من نفسه
ويدرك بالبديهة التفرقة بينها وبين علمه وقدرته وطلبه ولذته والمه ولا يفتقر الى التعريف بحسب
الحقيقة وتعرف بحسب اللفظ وقال المتكلمون انها صفة ثبوتية تعقل عند زائدة على العلم والقدرة
والطلب يفيد بعض اختصاص الممكنات بالوقوع دون بعض واختصاص ما اختص بها بالوقوع

بزمان دون زمان وقال الجاحظ والكعبي وابو الحسين البصري ارادة الله هي علمه تعالى باشتمال
الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي او الصارف وقيل ان معنى ارادته لافعاله
هو انه فعله وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها وقال الكرامية ان ارادة
الله تعالى صفة حادثة قايمة بالله تعالى وقيل انها صفة حادثة موجودة لا في محل قال صاحب
الكشاف الارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشي اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك ولقايل
ان تقول لا نسلم ان قول القايل اردت الشي معناه طلبته فان الطلب غير الارادة فانه يعلم بالوجدان
ان الطلب غير الارادة وقد بين ذلك في اصول الفقه وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب
للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان
للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهي امر زايد على كونه عالما غير ساه ولا مكره
وفي قول الكفار ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار للمثل كما قالت عايشة في عبد الله
بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا او مثلا نصب على التمييز لقولك لمن اجاب بجواب غث
اي ضعيف ردي ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او نصب
على الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية وعلى تقدير ان تكون حالا فلا بد ان صاحبها اسم الاشارة والعامل
فيها معنى الاشارة وقيل الله اي متمثلا وقوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اخبار الله سبحانه
وتعالى بان المومنين يعلمون ان المثل هو الحق من ربهم وحكى عن الكفار استحقارهم كلام الله تعالى
بقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا اورد قوله يضل به الى اخره جاريا مجرى التفسير للجملتين
المصدرتين باما والبيان لان الفريق الذين يعلمون انه الحق من ربهم والفريق الذين يقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد
به المومنون نورا الى نورهم وان الجهل عن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا
في ظلماتهم فلا محل لهما من الاعراب والثاني ان الجملتين للسببية وكلاهما من كلام الله تعالى
وقيل الجملتان في محل النصب لانهما صفتان لمثلا اي مثلا يضل به كثيرا وعلى هذا انهما من كلام
الكفار وقيل يجوز حالا لان من الله اي مضلا به كثيرا وهاديا به كثيرا او ضمير الفاعل في يضل
ويهدي لله والضمير في به فيهما الى المثل او ضرب المضاف الى المثل تقديرا وقيل الضمير الاول
للتكذيب والثاني للتصديق وقال ابن عطية يحتمل هو ان يكون قوله يضل به كثيرا من
كلام الكفار ويهدي به كثيرا الى اخر الاية ردا من الله تعالى على قول الكفار يضل به
كثيرا وهذا غير ظاهر لان الناس في التركيب واسناد الاضلال الى الله بطريق الحقيقة
فانه تعالى فاعل الضلال وخالقه هذا هو الحق المبين بيان ذلك مجملا في المقدمة
الثامنة عشر ومفصلا في اصول الدين قال صاحب الكشاف واسناد الاضلال الى الله تعالى
اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب به المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم
وهداهم وعن مالك بن دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى
اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي
فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وهذا
بنا على اصله وهو ان افعال العباد غير مخلوقة لله تعالى وانه تعالى غير خالق للقبيح والشر
عصمنا الله من الاعتقاد الباطل قال صاحب الكشاف فان قلت لم وصف المهديون
بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة

وجدت

وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة
انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وان
قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
قال صاحب الانتصاف جوابه صحيح وتنظيره بالبيت وهم لان الشاعر انما ذهب الى ان عدد
الكرام وان كان قليلا في نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام الالف من
جنسه وعدد اللئام وان كثروا فالاكثرون منهم يعدون بواحد من غيرهم لغل ايديهم وانقباضها
عن الجود وعدم تعدي نفع منهم الى غيرهم قول صاحب الانتصاف ان تنظيره بالبيت وهم خارج
عن الانصاف بل هو وهم فان البيت نظير المعنى الثاني للاية ولا طايل فيما ذكره من الكلام في
البيت نعم يرد على ما ذكره صاحب الكشاف ان المناسب للمعنى الثاني في الاية ان يقال
يضل به قليلا ويهدي به كثيرا حتى يكون نظير البيت والجواب عنه ان البيت اورده نظيرا بالنسبة الى
المهتدين والحاصل ان الكثير في قوله يضل به كثيرا بحسب العدد وكثيرا في يهدي به كثيرا بحسب
الحقيقة قوله وما يضل به الا الفاسقين الفسق الخروج عن القصد اي الطريق المستقيم قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوايرا قال الفراء الفاسق اصله من فسقت الرطبة من قشرها اي خرجت فالفاسق
الخارج عن طاعة الله الى معصيته لا عن الايمان قال صاحب الكشاف الفاسق في الشريعة الخارج عن امر
الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي منزلة المومن والكافر وقالوا اول من حد له
هذا الحد ابو حذيفة واصل ابن عطا وكونه بين بين ان حكمه حكم المومن في انه يناكح ويوارث
ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد
عداوته وانه لا تقبل له شهادة ومذهب مالك ابن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزي خلفه
ويقال للخلفا المردة الفسقة وقد جا الاستعمال في كتاب الله بيس الاسم الفسوق بعد الايمان
يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون اختلف اهل القبلة في ان الخارج عن امر الله
بارتكاب الكبيرة هل هو مومن ام لا فعند اصحابنا انه مومن ولا يخرج عن الايمان بارتكاب الكبيرة
وعند الخوارج انه كافر وعند المعتزلة لا مومن ولا كافر كما ذكره صاحب الكشاف مستقصا في
علم الكلام وفي المراد بالفاسقين هنا ثلاثة اقوال احدها انهم اليهود وهو قول ابن عباس
ومقاتل وثانيها المنافقون وهو قول ابن ابي العالية والسدي وثالثها جميع الكفار وهذا
الاستثنا مفرغ والمستثنى منه الذي يذكر مفعول وما يضل به قوله الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه النقض الفسخ وفك التركيب وبعبارة اخرى الهدم وافساد ما
ابرمته من حبل او بنا ونقيض الشي ما ينقضه اي يهدمه ويرفع حكمه قال صاحب الكشاف
فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل
على سبيل الاستعارة لما في العهد من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان
في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك
واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطايفها ان يسكتوا عن ذكر الشي
المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شي من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قول
القايل شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امراة فاستوثر عالم
نقل بها الاو قد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد
والعهد والامان واليمين والذمة والوصية والموثق اي الميثاق وعهد اليه في كذا

اذا وصاه به ووثقه وقوله ينقضون في محل النصب على انه نعت للفاسقين او على الذم او في محل
الرفع على الابتدا وخبره الجملة التي هي قوله اوليك هم الخاسرون او على انه خبر مبتدا محذوف اي
هم الذين ينقضون والمراد بهولا الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون ومنافقوهم
او الكفار جميعا وذكر المفسرون في المراد من العهد الله وجوها منها عهد الله الذي اخذ من بني
آدم يوم الميثاق بالاقرار بربوبيته وما ركز في عقولهم من الحجة من التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه وهو
قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ومنها اخذ الميثاق
عليهم بانه اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدم من الكتب
المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى عليه الصلوة والسلام سانزل
عليكم كتابا فيه نبا بني اسرائيل ونبا ما اريته اياهم من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي
واثقوا به وما صنعوا من عهدي اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله ووفوا بعهده ونظرهم ايام
وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا
باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود والفوا به كما لفوا به وسهما اخذ الله العهد اليهم ان لا يسفكوا
دماءهم ولا يبغي بعضهم على البعض ولا يقطعوا ارحامهم وذلك قوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا
تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون والاولى ان يحمل على الكل فان عهد الله الى خلقه
ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذ على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد
خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد
خص به العلما وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه وقوله من بعد
متعلق بينقضون ومن لابتدا الغاية كانه قال ابتدا نقض العهد من بعد ميثاقه والضمير في ميثاقه للعهد
وقيل لله تعالى وعلى التقديرين فللميثاق معنيان اما اذا كان الضمير راجعا الى العهد فاحد المعنيين
هو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم وثانيهما ان يكون ميثاق العهد بمعنى توثقته
كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واما اذا كان الضمير راجعا الى الله تعالى فاحد المعنيين التوثقه
اي من بعد توثقته تعالى عليهم وثانيهما ما وثق به عهده اي من بعد ما وثق الله به عهده من اياته
وكتبه وانذار رسله قوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل عطف على ينقضون فهي صلة ايضا
وما في قوله ما امر الله به موصولة وامر الله به صلتها وعايدها وقوله ان يوصل في محل الجر
على البدل من الضمير في به اي ما امر الله بوصله او في محل النصب على ان يكون بدلا من ما امر الله
بدل الاشتمال او مفعولا له على تقدير كراهة ان يوصل او في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي هو ان يوصل ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام والقرابة وموالاة المومنين
قاله ابن عباس وقتاده والسدي وقيل قطعهم ما بين الانبيا من الوصلة والاتحاد والاجتماع على
الحق في التفريق بينهم في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض قاله مقاتل وقيل قطعهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه قاله الحسن والامر طلب الفعل وبعثه عليه وزاد بعضهم ممن هو دونك
وبه سمي الامر لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به
بالمصدر كانه مامور به قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت
قصده قوله ويفسدون في الارض عطف ايضا على ينقضون اي على الصلة وفي الارض
متعلق به قال ابن عباس يحكمون بغير الحق ويستدعون الناس الى الكفر وقيل يفسدون في الارض
بالمعاصي قاله السدي ومقاتل وقيل يعوقون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل

كام

والعهد

وقيل يقطعون الطريق على من جا مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليمنعوا الناس من الاسلام وقيل المراد
يصدون الناس عن طاعة الرسول لان تمام الصلاح في الارض بطاعة الرسول لان الناس بالتزام الشريعة
يلتزم كل ما الزمه ويترك التعدي الى الغير وفيه زوال التظالم وفي زواله العدل الذي به قامت السموات
والارض والحمل على الكل اولى قوله اوليك هم الخاسرون يحتمل ان يكون خبرا عن الذين ينقضون اذا جعل
الذين مبتدا فيكون الجملة في محل الرفع واذا لم يجعل الذين ينقضون مبتدا يكون هذه الجملة مستانفة ولا محل
لها من الاعراب والخسران في التجارة هو نقصان راس المال هذا هو الاصل ثم قيل لكل صاير الى مكروه خاسر لنقصان
حظه من الخير وانما هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفا والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقاب النقض
والقطع والفساد بثواب الوفا والوصل والصلاح وقيل انهم خسروا نعيم الجنة لانه لا احد الا وله في الجنة اهل ومنزل
فان اطاع الله ورسوله وجده وان عصى الله ورسوله ورثه المومنون فذلك قوله تعالى اوليك هم الوارثون الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقال ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو
الخسران المبين وقيل انهم خسروا حسناتهم التي عملوها لانهم احبطوها بكفرهم فلم يحصلوا منها خيرا ولا ثوابا
والاية في اليهود ولهم اعمال في شريعتهم وفي المنافقين وهم يعملون في الظاهر ما يعمله المخلصون فيحبط ذلك
كله وقيل انهم انما اصروا على الكفر خوفا من ان يفوتهم اللذات العاجلة ثم انها تفوتهم اما عند ما يصير الرسول
ماذونا في الجهاد او عند موتهم وبالجملة ان الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملا لا يجدي عليه فيقال له
خاسر كالرجل الذي يعني ويصرف في امر فلم يحصل منه على نفع فيقال له قد خاب واذا اعطى شيا ولم ياخذ بازايه
ما يقوم مقامه قيل له قد خسر فسمى الكفار الذين يشترون الضلالة بالهدى خاسرين قال الله تعالى ان الانسان
لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقال هل انبيكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون لما تكلم
في دلايل التوحيد والنبوة وما اعد للكافرين من النار واذيالها وما اعد للمومنين من الجنات
وما فيها وبشرهم بما ذكر في هذه الاية على سبيل الانكار وطريق التعجب لغير الكافرين الذين حالهم
انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم ثم يحييهم وكيف اسم استفهام سوال عن الحال وبني لتضمنه معنى
همزة الاستفهام وكيف في الاية في محل النصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه اي في اي حال تكفرون
وعلى الحال عند الاخفش اي على اي حال تكفرون والعامل فيها على الحالين تكفرون وصاحب الحال
الضمير في تكفرون ومعنى الاستفهام الذي في كيف المقصود به التقرير والتوبيخ تقريره وتحكيم كيف
تكفرون بالله قال العجاج اطربا وانت قيسري اراد اتطرب وانت شيخ كبير وقيل للانكار والتعجب
ونظيره قوله وهذا التعجب للمومنين اي اعجبوا من هولاء كيف تكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم
قال صاحب الكشاف ومعنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعك ما يصرف عن الكفر
ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره اتطير بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما
ذكر من الامانة والاحيا قلت قد اخرج الكفر في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عنه والداعي الى
الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف
عنه فما تقول في كيف حيث كان انكار الحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشي تابعة لذاته فاذا امتنع
ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها
انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر
ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده بحال
ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا

الكفار

بحال والجملة في محل النصب فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير
ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى
ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم
فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها
مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا قلت هو العلم بالقصة وباولها واخرها
فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت
قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه
قيل اما اعجب لكفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم
فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بها بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك
بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل اسم ملك
وفي الحالتين والوجهين اقوال قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين
قبل ان تخلقوا دارسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم خلقتم واخرجتم الى الدنيا فاحياكم ثم يميتكم
الموت المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيامة وقيل ان الله تعالى اخرج نسم بني ادم امثال الذر ثم اماتهم
بعد ذلك فهو قوله وكنتم امواتا فاحياكم بالاخراج الى الدنيا ثم يميتكم الموت المعهود ثم يحييكم
للبعث يوم القيامة وقيل كنتم امواتا بالخمول فاحياكم بان ذكرتم وشرفتم بهذا الدين والنبي الذي جاءكم
والقول الاول اولى لانه تحميد للكفار عن الاقرار به في اول ترتيبه ثم قوله اولا كنتم امواتا معدومين
ثم للاحياء في الدنيا في الاماتة فيها قوي عليهم لزوم الاحياء الآخر وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها قال
صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحيوة
من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير
احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس وهذا السوال انما يتوجه
على من اختار ان المراد بقوله امواتا نطفا في اصلاب ابائكم كما اختار صاحب الكشاف واما قوله
انما يقال ميت فيما يصح فيه الحيوة من البنى فهو بنا على مذهب المعتزلة ان شرط الحيوة البنية قال صاحب
الكشاف يجوز ان يراد بالاحياء الثاني الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد بالاحياء الثاني
النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء قوله ثم اليه ترجعون اي ثم الى الله ترجعون اي الى الحكمة
لانه تعالى يبعث من في القبور ويجمعهم في المحشر وذلك هو الرجوع الى الله تعالى وانما وصف بذلك
لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم الا الله كقولهم رجع امر فلان الى الامير اي لا يحكم غيره او ثم يرجعون
الى موضع الحساب والمعنى يرجعون الى ارادته ومشيئته لا انه تعالى في جهة فيرجعون اليها كما توهمت
المجسمة وتمسكوا به على انه تعالى جسم تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانما عطف قوله فاحياكم على ما
قبله بالفاء والباقية بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ والاماتة تحصل متراخية
عنه والاحياء الثاني متراخ عنها ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمن قوله
تعالى هذا يعلم تراخيه عنها والرجوع الى الحساب وحكم الله تعالى ايضا متراخ عن النشور احتج
من انكر عذاب القبر بهذه الاية فانه تعالى بين انه يحييهم مرة في الدنيا واخرى في الاخرة ولم يذكر
عذاب القبر ويؤكده ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولم يذكر حياة فيما بين
هاتين الحالتين والجواب انه لا يلزم من عدم الذكر في هذه الاية عدمها بل لقائل ان يقول
ان الله تعالى اشار الى عذاب القبر في هذه الاية لان قوله ثم يحييكم ليس هو الحيوة الدائمة بدليل

٤

عليه قوله تعالى ثم اليه ترجعون فان الحيوة الدائمة عقيبها الرجوع الى الله تعالى والاحياء الذي
هو مذكور قبل الرجوع اليه لا يكون عقيبه الرجوع الى الله تعالى لقوله تعالى ثم اليه ترجعون فتكون الحيوة
المستفادة من قوله تعالى ثم يحييكم بين الاماتة وبين الحياة الدائمة وهي عذاب القبر قال الحسن ما ذكر
في هذه الاية من الحيوة والموت والاماتة والاحياء انما هو للعامة فاما بعض الناس فله موتتان لما
يدل عليه قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته
الله مائة عام ثم بعثه وقوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وقوله فاخذتكم الصاعقة وانتم
تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وقوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى وقوله
وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها واعلم ان هذه الاية دالة على
انه لا يقدر على الاحياء والاماتة الا الله تعالى فيكون ردا على اهل الطبائع ما ظنوه من قولهم ان هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وعلى صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل
العقلي الدال عليه لانه تعالى بين انه احيا بعد الموت في المرة الاولى فيصح في المرة الثانية وانكار
وجود الكفر حالة العلم بالقصة التي ذكرها في الاية من حيث انها مشتملة على ايات بينات صارفة
عن الكفر وعلى نعم عظام حقها ان يشكر موليها ولا يكفر به واحتجاج المعتزلة بهذه الاية على ان الكفر
ليس بخلق فاعل من العباد بسبب اسناده اليهم وانكاره عليهم وتوبيخه اياهم باطل بما ذكر في المقدمة
الثامنة عشر مجملا وفي اصول الدين مفصلا **قوله تعالى** هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم لما ذكر في الاية المتقدمة
ما يقتضي امتناع الكفر بالله من الاحياء بعد الموت ثم الاماتة بعد الاحياء ثم الاحياء ثم الرجوع
الى الله تعالى التي هي ايات بينات صارفة عن الكفر ونعم جسام باعثة على الشكر ذكر في هذه الاية
ما هو اعلى رتبة في افادة المقصود قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس مترقيا
من الاعلى الى الادنى كما هو مقتضى البلاغة وقوله هو مبتدا والموصول مع صلته خبره ولكم متعلق
اي خلق لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فلمصالح ابداننا والتقوي
على الطاعة واما الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع الحكيم القادر وما
فيه من التذكر بالاخرة وثوابها وعقابها فان ما في الارض جميعا مشتمل على اسباب الانس واللذة
من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى
اسباب الوحشة والالم من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم
والغموم والمخاوف وكانه سبحانه وتعالى قال كيف تكفرون بالله وهو قادر على الاحياء والاماتة
ثم الاحياء والاعادة على خلق ما في الارض منعم عليكم بهذه النعم العظام وما موصول وفي الارض
صلته والموصول مع صلته في محل النصب على انه مفعول خلق وجميعا حال من المفعول بمعنى كل
ولا دلالة له على المعية في الزمان وهذا هو الفارق بين قولك جاؤا جميعا وبين قولك جاؤا معا
وقيل هنا حال مؤكدة لان قوله ما في الارض عام قال اصحابنا الله تعالى لا يفعل فعلا لغرض
والا لكان مستكملا بذلك الغرض وتمسكوا بهذه الاية واجيب عنه بان عود ذلك الغرض
الى غيره هو اولى لله تعالى من لا عوده اليه او ليس باولى والاول يقتضي الاستكمال بالغير لحصول
ما هو اولى له والثاني لم يكن غرضا واما قوله لكم وان كان يدل على الغرض ظاهرا لكن البرهان
القطعي صارف عن حمله على ظاهره فهو متاول وتاويله انه تعالى لما فعل ما لو فعله غيره

جسام

لكان فعله لان لك الشي لاجل الغرض اطلق عليه اللفظ الدال على الغرض بسبب هذه المشابهة قال
صاحب الكشاف قد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشيا التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات
في العقل مثل السموم والبول وغيره من القاذورات خلقت في الاصل مباحة مطلقة لكل احد
ان يتناولها ويستنفع بها مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري ومن تابعه ان افعال العقلا قبل الشرع
لا حكم لها لان القول بالقبح والحسن العقليين باطل لان العقل لا يحكم في فعل يتعلق حكم الله به اي فعل
المكلفين بان ذلك الفعل حسن او قبيح وعدم الشرع واما المعتزلة فقالوا الافعال اما ان تكون اضطراريه
كالتنفس في الهوا ونحوه اولا والاول يجب القطع باباحته والثانية اما ان يكون للعقل فيه
حسن او قبح اي يهتدي العقل الى حسنه او قبحه او لا يقتضي اي لا يهتدي العقل الى حسنه او قبحه فالاولى
تنقسم الى خمسة اقسام لان قضا العقل فيه اما بالحسن واما بالقبح والاول اما ان لا يترجح وجوده على
تركه وهو المباح او يترجح وجوده على تركه وحينئذ اما ان يلحق فاعله الذم وهو الواجب اولا وهو
المندوب والثاني اما ان يلحق فاعله الذم وهو الحرام اولا وهو المكروه والثانيه وهو ان لا يقتضي
العقل فيه حسن ولا قبح اختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب الاول الحظر وهو مذهب معتزلة بغداد
والثاني الاباحه وهو مذهب معتزلة البصرة الثالث التوقف عن الحظر والاباحه احتج القائلون
بالاباحه بهذه الايه تقرير الاحتجاج ان الله تعالى خلق ما ينتفع به من المطعوم وغيرها لنا
بقوله تعالى خلق لكم ما في الارض وليست للاضرار بالاتفاق فهو للانتفاع وهو اما التلذذ او
الاجتناب مع الميل او الاستدلال على الصانع اذ الاصل عدم الغير ولا يحصل شي منها الا بالتناول
فيكون التناول مباحا والجواب انا لا نسلم انه خلقها لنا لان افعال الله تعالى لا تعلل بالاغراض
والايه مأولة بما ذكرنا ولئن سلمنا انه خلقها لنا فلا نسلم ان الانتفاع لا يحصل بدون التناول
فانه يجوز ان يكون خلقه ليصير المكلف على ترك التناول فيثاب على الصبر ومن المفسرين من زعم
ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها فانه اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبرا كما يذكر السماء
ويراد بها الجهات العلويه والغبرا وما فيها واقعة في الجهات السفلية قوله ثم استوى الى
السما فسواهن سبع سموات الاستوا في كلام العرب على جهتين احدهما ان يستوي الرجل وينتهي
شبابه وقوته او يستوي من اعوجاج فهذان وجهان ووجه ثالث ان يقول كان فلان مقبلا
على فلان ثم استوى علي والي يكلمني على معنى اقبل الي وعلى هذا معنى قوله ثم استوى الى السما
وسال احمد بن يحيى ثعلبا عن الاستوا في صفة الله فقال الاقبال على الشي قال الجوهري في الصحاح
استوى الى السماء اي قصد وقال الزجاج قال قوم في قوله ثم استوى الى السما اي عمد وقصد الى
السما كما تقول فرغ من بلد كذا ثم استوى الى بلد كذا معناه قصد بالاستوا اليه وقول ابن عباس
استوى الى السما اي صعد معناه صعد امره الى السما وحكى اهل اللغة ان العرب تقول
كان الامير يدبر اهل الشام ثم استوى الى الحجاز اي تحول فعله وتدبيره اليهم قال صاحب الكشاف
الاستوا الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شي ومنه استعير قوله
ثم استوى الى السما اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما
بين ذلك خلق شي اخر والمراد بالسما جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والتسويه جعل
الشيين على استوا يقال سويت الشيين فاستويا والضمير المرفوع المستتر الذي هو الفاعل
في قوله استوى وسواهن يعود على الله تعالى والضمير المنصوب الذي هو مفعول سوى قيل راجع الى

يحصل

السما لان السما في معنى الجنس وقيل لان السما جمع سماه قال صاحب الكشاف الضمير في فسواهن ضمير
مبهم وسبع سموات تفسيره كقوله ربه رجلا وهذا الوجه هو العربي لما فيه من الابهام ثم التفسير
فان المبهم اذا بين كان افخم واعظم من ان يبين اولا لانه اذا ابهم تشوفت النفوس الى الاطلاع عليه
فاذا بين بعد ذلك حصل للنفس لذة ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاه من العوج والفطور واتمام
خلقهن وما فسر به الاستوا من القصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض لا يناقضه ثم وان كان يعطي
معنى التراخي والمهلة لان ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على الارض
لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لا يناقضه لان المعنى
حين قصد الى السما لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر وقوله ثم استوى لا
يناقض قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض خلقه قبل خلق السما ودحوها اي بسطها متاخر
عن خلق السما وعن الحسن خلق الله في الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر اي الحجر مل الارض
عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط
منه الارض فلذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وهو الالتزاق قال الامام ولقائل ان يقول
هذا مشكل من وجهين احدهما انها متاخرة عن خلق السما وفيه نظر فان الامتناع انفكاك خلقها عن
التدحيه ممنوع فانه يجوز ان يكون جرمها قبل التدحية صغيرا وعند التدحية عظم فانه لا امتناع في ان يكون
الجسم الصغير يخلخله مقدارا صغيرا ثم يقبل مقدارا اكبر بطريق التخلخل وثانيهما ان قوله خلق لكم
ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما يدل على ان خلق الارض وخلق كل ما فيها مقدم على خلق
السما وحينئذ يتحقق التناقض وفيه نظر فانه يجوز ان يكون الخلق بمعنى التقدير فيكون معنى قوله
خلق لكم ما في الارض قدر لكم ما في الارض فيكون تقدير ما في الارض مقدما على تسويته السما سبع
سموات ولا تناقض ومنهم من دفع التناقض بان قوله والارض بعد ذلك دحاها يقتضي تقديم
خلق السما على دحو الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السما مقدمة على خلق الارض فلا تناقض
قال الامام ولقائل ان يقول قوله تعالى انتم اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها فسواها
يقتضي ان يكون خلق السما وتسويتها مقدمين على دحو الارض لكن دحو الارض ملازم لخلق
ذات الارض وحينئذ يعود السوال وفيه نظر فانه لا نسلم ان دحو الارض ملازم لخلق ذات
الارض وسند المنع ما ذكرتم قال الامام والجواب الصحيح ان قوله ثم ليس للترتيب
هنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله قول الرجل لغيره اليس قد اعطيتك النعم
العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك ولعل بعض ما اخر في الذكر قد تقدم هكذا ههنا
وسبع سموات منصوب على انه بدل من الضمير المنصوب الذي هو مفعول سوى في قوله فسواهن
واعلم ان اصحاب الارصاد والهيات قالوا الاجسام تنقسم الى فلكيه وعنصريه والعنصريه
تنقسم الى بسايط ومركبات والبسيط هو الذي لا يكون فيه تركيب قوى وطبايع والمركب بخلافه
والبسايط كرية الشكل والعناصر البسيطة اربعة كرة النار ومكانها الطبيعي ان تكون فوق
الهوا بان يكون شاملا للهوا مشمولا لمقعر فلك القمر وكرة الهوا ومكانه الطبيعي ان يكون
مشمولا لمقعر كرة النار شاملا للما والارض وكرة الما محيطة بثلاثة ارباع الارض وكان
حقه ان يحيط بالارض احاطة النار بالهوا الا انه لما حصل في جوانب الارض تلال
ووهاد سال الما الى الاغوار وانكشفت المواضع المرتفعة فصار الما والارض بمنزلة كرة
واحد وذلك حكمة من الله تعالى ورحمة منه ليكون منشا للنبات ومسكنا للحيوانات

واما المركبات فانما خلقها الله تعالى من امتزاج هذه الاربعه الارض والما والهوا والنار وهي المعادن
والنبات والحيوان واما الفلكيه فهي بسايط تنقسم الى افلاك وكواكب والافلاك طريق اثباتها الاستدلال
بالحركات الموجوده بالرصد بعد تقرير اصولهم وهي استناد كل حركه الى جسم متحرك بالذات وحركه محويه بالعرض
ووجوب الاتصال في حركاتها المستديره البسيطه ووجود التشابه فيها وامتناع الخرق والالتيام على
اجرامها والطريق الى معرفه وجود الكواكب هي المشاهده لا غير واما الافلاك فهي اما كليه يظهر منها حركه واحده
بسيطه او مركبه واما جزئيه تنفصل الكليه اليها والافلاك الكليه الثابته بالارصاد على الوجه الذي اثبتها المتاخرون
تسعه يحيط بعضها ببعض بحيث يماس مقعر الحاوي محدب المحوي ومركز الجميع مركز الارض الذي يقال
له مركز العالم واحد من التسعه غير مكوكب يحيط بالثمانيه الباقيه يتحرك ويحركها بالحركه اليوميه من المشرق
الى المغرب تسمى الفلك الاعظم والفلك الاطلس والعرش العظيم والجسم المحيط بساير الاجسام والمحدد للجهات
ثم فلك الثوابت المتحرك بالحركه البطيه من المغرب الى المشرق على قطبين ومنطقه غير قطبي الفلك الاعظم
ومنطقته ويسمى فلك البروج والكرسي ثم فلك زحل ثم فلك المشتري ثم فلك المريخ ثم فلك الشمس على راي
الاكثرين منهم ثم فلك الزهره ثم فلك عطارد ثم فلك القمر وهذه السبعه تسمى ممثلات بفلك البروج فهذه
هي الافلاك الكليه واما الافلاك الجزئيه فلكل فلك من الافلاك الكليه للكواكب السياره سوى الشمس يشتمل
على فلك تدوير غير محيط بالارض في ثخن الخارج المركز يماس محدبه سطحيه على نقطتين يسمى ابعدهما عن مركز
الارض اوجا والاقرب منه حضيضا واما الشمس فانما يكتفى فيها باحد الفلكين اعني خارج المركز او التدوير
من غير رجحان لاحدهما على الاخر لكن المتقدم راى اثبات خارج المركز او التدوير من غير رجحان لاحدهما
على الاخر فلعطارد فلكان خارج المركز يشتمل الممثل على احدهما اشتمال ساير الممثلات على امثالها وهو
المسمى بالمدير ويشتمل المدير على الثاني اشتمال الممثل عليه وهو المسمى بالحامل لفلك التدوير وقد اثبتوا
للقمر فلكا اخر مشتملا على فلكيه خارج المركز والتدوير ويسمى ذلك الفلك بالمايل وممثل القمر يحيط بالمايل
ويسمى بفلك الجوزهر فيكون جميع الافلاك اربعه وعشرين عشره منها موافقة المركز لمركز الارض وثمانيه
خارج المركز عن مركز الارض وسته افلاك تداوير يتحرك الفلك الاعلى بالحركه الاولى اليوميه السريعه
ويتحرك ما دونه بحركته ويتحرك فلك الثوابت بالحركه الثانيه البطيه ويتحرك ما دونه بها ولكل فلك
من الافلاك الباقيه حركه خاصه الا الممثلات السته التي فوق القمر فانها لا تتحرك غير الحركتين المذكورتين
واما الكواكب فهي اجسام بسيطه شفافه كريه مركوزه في الافلاك مضيه بالذات الا القمر فانه يستفيد
الضوء من الشمس ويشهد له تفاوت نوره بحسب قربه من الشمس وبعده عنها وسبعه منها سياره
كل فلك على الترتيب الذي ذكروه من السياره الخمسه متحيره لها رجوع واستقامه ووقوف
وهو ما عدا الشمس والقمر واما الثوابت فغير محصوره وقد رصد منها الف ونيف
وعشرون كوكبا كلها في الفلك الثامن وهو فلك البروج ويمكن ان يكون في افلاك كثيره ثم
قالوا هذه الافلاك هي التي دل الرصد عليها ويجوز ان يكون افلاك اخر غيرها اذ لا جزم بنفي غيرها
غاية ما في الباب انه لا دليل على وجودها وعدم الدليل على وجودها لا يدل على عدمها ولهذا
قال بعض المحققين من اصحاب الرصد انه ما تبين الى الان ان فلك الثوابت كره واحده او كرات
يحيط بعضها ببعض فان الذي استدل به على انه كره واحده تشابه حركاتها فانه يدل على انها لكون
في كره واحده ولقايل ان يقول لا نسلم انها متشابهه في نفس الامر وعلى الحقيقه بل غايته انها
متشابهه في الحس والتشابه في الحس لا يدل على التشابه في نفس الامر ولين سلم التشابه في نفس الامر
فلا يلزم وحدتها فانه يجوز ان يكون كل واحد من الكواكب الثابته في كره ويكون تلك الكرات

بعض

بعضها ببعض فان الذي استدل به على انه كره واحده تشابه حركاتها فانه يدل على انها لكونه
في كره واحده ولقايل ان يقول لا نسلم انها متشابهه في نفس الامر وعلى الحقيقه بل غايته انها متشابهه
في الحس والتشابه في الحس لا يدل على التشابه في نفس الامر ولين سلم التشابه في نفس الامر فلا يلزم
وحدتها فانه يجوز ان يكون كل واحد من الكواكب الثابته في كره ويكون تلك الكرات محيطا بعضها
ببعض وحركات الجميع متشابهات كما في ممثلات السياره فانها في حركاتها متشابهه بحركه فلك الثوابت
فانه يحتمل ان يكون الفلك الاعظم المتحرك بالحركه اليوميه ليس جرما واحدا بل اجراما كثيره متشابهه
في حركاتها على ان بعضهم اثبت فلكا فوق فلك الثوابت تحت الفلك الاعظم بسبب اختلاف مقدار
الميل الكلي بين منطقتي الفلك الاعظم وفلك البروج وقيل ان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض
جميعا اريد به قدر لكم ما في جهة السفل فيشمل العناصر الاربعه والمركبات من الجبال والمعادن
والنبات والحيوان وقوله ثم استوى الى السما اي قصد جهة العلو فسواهن سبع سموات
اي الممثلات السبع السياره وتسويتهن عباره عن تساويهن في المناظر والمراكز والحركات والفلك
الثامن هو الكرسي والتاسع هو العرش واعلم ان اصحاب الارصاد اضطربوا اضطرابا كثيرا
في جرم الشمس واختلفوا في العوده هل يكون في ازمنه متساويه او مختلفه فمنهم من زعم ان اختلاف
حركتها بسبب حركه الاوج ومنهم من زعم ان سببه انتقال فلك البروج وارتفاع قطبيه وانحطاطه
وهذا الاضطراب والاختلاف مما ينبهك على انه لا سبيل للعقول البشريه الى ادراك هذه
الاشيا وانه لا يحيط بها الا علم فاطرها وخالقها الذي احاط بكل شي علما فينبغي ان يقتصر فيه
على الدلايل السمعيه والتنصيص على سبع سموات لا يدل على نفي الزايد قوله وهو بكل شي عليم
مبتدا وعليم خبره والجار والمجرور متعلق بالخبر والعلم يتعدى بنفسه وقد ضمن معنى الاحاطه
او التعلق فيتعدى بالبا ولما كان الله عليما بكل شي خلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت
وخلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم تفضلا ولطفا فان الخالق
على الوصف المذكور يكون عالما بكلياتها وجزئياتها مفصلها ومجملها ولا حاجه لقول الفلاسفه
القايلين بانه عالم بالكليات دون الجزئيات تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فانه تعالى
خالق هذه الاجسام على سبيل الاحكام والاتقان والفاعل على سبيل الاحكام يجب ان يكون
عالما بما فعله فهذه الدلاله ذكرها الله تعالى في هذا الموضع فانه قال هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات وعقبه بقوله وهو بكل شي عليم
ويعلم من هذا فساد قول المعتزله وهو ان العبد موجد لافعال نفسه لانه لو كان موجدا
لافعال نفسه لكان عالما بها وبتفاصيلها في العدد والكيفيه لانه سبحانه بين ان الخالق
على سبيل التحديد والتقدير يجب ان يكون عالما به وبتفاصيله لان خالقه قد خصصه
بقدر دون قدر لا يتصور الا بارادة مخصصه لامتناع الرجحان من غير مرجح والاراده
لا تفارق العلم فلما لم يحصل للعبد هذا العلم علم انه غير موجد لافعال نفسه
واذ قال ربك للملايكه اني جاعل في الارض خليفه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون اعلم انه تعالى
لما ذكر انه خلق لبني ادم ما في الارض والسموات بيانا لعظم نعمه عليهم عقبه بذكر ما يدل
على [illegible] بتعظيم الله تعالى ادم فيكون ذلك انعاما على بني ادم مقتضيا لان يعبدوه ولا
يجعلوا له اندادا انقل عن ابي عبيده انه قال اذ صله زايده ملغاه لكن العرب يعتادون

حقائق

التكلم بها والقران نزل بلغتهم وتقدير الكلام وقال ربك وتابعه ابن قتيبه وعاب ذلك عليهما
ابن القاسم والزجاج وغيرهما من المفسرين فقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الغاوه وليس
في القران ما لا معنى له واذ معناه الوقت قيل نصب باضمار اذكر فاضمر لان المعنى معروف ولانه تعالى قد كشف
ذلك في كثير من المواضع لقوله واذكر اخا عاد واذكر عبدنا والقران كله كالجملة الواحدة ولا يبعد ان
تكون هذه المواضع المصرحه نزلت قبل هذه السوره فتركها هاهنا اتكالا على ذلك فيكون مفعولا به
واورد عليه بانه لا ينصرف فلا يكون مفعولا به وقيل اذ ظرف زمان ماض كما اذا ظرف زمان مستقبل
وقد يوضع احدهما موضع الاخر اذا جا اذ مع المضارع تخلصه للمعنى نحو قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك واذ يقول زيد واذ يمكر واذا جا اذا مع الماضي كان معناه مستقبلا لقوله تعالى
فاذا جاءت الطامة والصاخة واذا جا نصر الله اي يجي وبني اذ لشبهه بالحرف في الوضع والاحتياج
ويليه الجمل فعليه او اسميه واذا كانت فعليه ضعف تقديم الاسم وتاخير
الفعل نحو اذ زيد قام ولا ينصرف الا باضافة الزمان اليه نحو يومئذ وحينئذ وقد تحذف
الجمله المضاف هو للعلم بها ويعوض عنها تنوين لقوله تعالى وانتم حينئذ تنظرون وهو منصوب
بقالوا اتجعل وقال ربك جمله فعليه في محل خفض باضافة الظرف اليها واضافة الرب الى الرسول
صلى الله عليه وسلم ومخاطبته بالكاف تشريف من الله له واظهار لاختصاصه به وللملائكة متعلق
بقال واللام للتبليغ والملئكة جمع ملاك على الاصل كالشمايل في شمال والحاق التا لتانيث الجمع
فان الكاف اصله والهمزه فيه زايده ثم نقلت حركة الهمزه الى اللام وحذفت الهمزه تخفيفا والجمع جاء
على الاصل وهو مشتق من الالك اي ارسل ففاوه همزه وعينه لام ولامه كاف ثم قلبت العين
الى موضع الفا والفا الى موضع العين فصار ملاكا على وزن معفل فيكون وزن ملكا فعلا حذف
الفا وقيل هو مشتق من لاك اي ارسل ايضا ففاوه لام وعينه همزه ولامه كاف ثم نقلت
حركة الهمزه وحذفت كما تقدم فوزن ملايكه على القول الاول معافله بالقلب وعلى القول
الثاني مفاعله قال الامام من الناس من قال الكلام في الملايكه ينبغي ان يكون مقدما
على الكلام في الانبيا لان الله تعالى قدم ذكر الايمان بالملايكه على ذكر الايمان بالرسل
في قوله والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابدوا بما بدا الله به ولان الملك واسطه بين الله والرسول في تبليغ الوحي والشرع
فكان مقدما على الرسول ومنهم من قال الكلام في النبوات مقدم على الكلام في الملايكه
لانه لا طريق لنا الى معرفة وجود الملايكه بالعقل بل بالسمع فكان الكلام في النبوات اصلا للكلام في
الملايكه فيجب تقديم الكلام في النبوات وهذا احسن واعلم انه لا نزاع بين العقلا في ان
اشرف الرتبه للعالم العلوي هي ما فيه الملايكه كما ان اشرف الرتبه للعالم السفلي ما فيه الانسان
لكن اختلف الناس في حقيقة الملايكه وطريق ضبط المذاهب ان يقال لا بد وان يكونوا ذوات
قايمة بانفسها ثم ان تلك الذوات اما ان تكون متحيزه او لا والاول فيه اقوال احدها
انها اجسام لطيفه هوايه قادره على التشكل باشكال مختلفه مسكنها السموات والى هذا
ذهب اكثر المتكلمين وثانيها ان الملايكه هي الملايكه بالاسعاد والانحاس فانها احيا
ناطقه منها مسعدات هي ملايكة الرحمه ومنحسات هي ملايكة العذاب وهو معتقد طوايف
من عبدة الاوثان وثالثها ان هذا العالم مركب من اصلين ازليين وهما النور والظلمه
وهما في الحقيقه جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصوره

مختلف

مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور خير نقي طيب كريم النفس يسر ولا يضر ينفع ولا يمنع ويحيى ولا يبلي
وجوهر الظلمه ضد ذلك ثم ان جوهر النور لم يزل يولد الاولياء وهم الملايكه على سبيل تولد الحكمة
من الحكيم والضوء من المضي وجوهر الظلمه لم يزل يولد الاعداء وهم الشياطين على سبيل تولد السفيه
لا على سبيل التناكح وهذا قول معظم المجوس والثنويه والثاني وهو ان الملايكه ذوات قايمة
بانفسها وليست متحيزه فيه قولان احدهما ان الملايكه في الحقيقه هي النفوس الناطقة المفارقه
لابدانها على نعت الصفا والخيريه فان هذه النفوس الناطقه ان كانت صافيه خالصه فهي الملايكه
وان كانت كدره خبيثه فهي الشياطين وهذا قول طوايف من النصارى وثانيهما انها جواهر مجرده
قايمه بانفسها ليست بمتحيزه وانها بحقايقها مخالفه لحقيقة النفوس الناطقه البشريه وانها اكمل قوة منها
واكثر علما منها وانها للنفوس الناطقه البشريه جاريه مجرى الشمس للاضواء ثم ان هذه الجواهر على قسمين منها
ما هو بالنسبه الى اجرام الافلاك والكواكب كنفوسنا الناطقه بالنسبه الى ابداننا ومنها ما هو اعلى شانا من
تدبير اجرام الافلاك بل هي مستغرقه في معرفة ومحبته مشتغله بطاعته وهذا القسم هم الملايكه المقربون
ونسبتهم الى الملايكه الذين يدبرون السموات كنسبة الملايكه المدبرين الى نفوسنا وهذا قول
حكما الاسلام وقد اتفقوا على اثبات هذين القسمين ومنهم من اثبت نوعا اخر من الملايكه وهي
الملايكه الارضيه المدبره لاحوال هذا العالم السفلي ثم ان مدبرات هذا العالم ان كانت خيره فهم
الملايكه وان كانت شريره فهم الشياطين فهذا تفصيل مذاهب الناس في الملايكه وقد اختلفوا في
انه هل يمكن اثبات وجودها بالعقل او لا سبيل الى اثباتها الا بالسمع فزعم الحكما ان في العقل دلايل
تدل على وجود الملايكه وقد اوردوها في كتبهم وللمحققين من اصحابنا الاشاعره ابحاث دقيقه
عميقه مذكوره في كتبنا في اصول الدين لا وجه لايرادها هاهنا ولكن قد ذكر بعض الناس وجوها
عقليه اقناعيه فلا باس بايرادها هاهنا منها ان المراد من الملك الحي الناطق الذي لا يكون ميتا
والقسمة العقليه تقتضي وجود اقسام ثلثه فان الحي اما ان يكون ناطقا وميتا وهو الانسان او يكون ميتا
ولا يكون ناطقا وهم البهايم او يكون ناطقا ولا يكون ميتا وهم الملك ولا شك ان اخس الاقسام هو
الميت غير الناطق واوسطها الناطق الميت واعلاها الناطق الذي ليس بميت فاذا اقتضت
الحكمة الالهيه والعنايه الربانيه ايجاد اخسها واوسطها فالاولى ان تقتضي ايجادها ومنها
ان الفطرة السليمه تشهد بان العالم العلوي اشرف من هذا العالم السفلي وتشهد بان الحيوه
والنطق من امداد ادنيها فيبعد في العقل ان تقتضي الوجود الالهي الحيوه والنطق في العالم السفلي
الكدر الظلماني ولا تقتضي في العالم العلوي الذي هو عالم النور والصفا والشرف ومنها ان اصحاب
المجاهدات الذين في حال حيوتهم كانوا لم ينصوا جلابيب ابدانهم وتجردوا الى عالم القدس اثبتوها من
طريق المكاشفه وجهة المشاهده واصحاب الحاجات والضرورات اثبتوها من طريق اخر وهي ما
يشاهد من عجايب اثارها في الهدايه الى المعالجه النادره الغريبه وتركيب المعجونات واستخراج
تاليف التريافات ومما يدل على ذلك الرويا الصادقه فهذه الوجوه اقناعيه عند من سمعها ولا يمارسها
قطعيه عند من جربها وشاهدها واطلع على اسرارها واما الدلايل السمعيه فانه علم بالتواتر
ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم باجمعهم اثبتوا الملايكه فقال عليه السلام اطت السما وحق
لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك راكع او ساجد والاطيط من الاطيط وهو صوت الرحل
والابل من ثقل احمالها فقال لا اتيك ما اطت الابل وروي ان بني ادم عشر الجن والجن وبنو ادم
عشر حيوانات البر وهولا كلهم عشر الطيور وهولا كلهم عشر حيوانات البحر وهولا كلهم عشر ملايكة الارض الموكلين

البهائم

وكل هولاء عشر ملائكه سما الدنيا وهولا كلهم عشر ملائكة سما الثانيه وعلى هذا الترتيب الى ملايكة
سما السابعه ثم الكل في ملائكة الكرسي نزر قليل ثم هولاء عشر ملائكه السرادق الواحد من سرادقات
العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات
والارض وما فيهما وما بينهما فانها كلها تكون شيا يسيرا وقدرا صغيرا وما من مقدار شبر الا
وفيه ملك ساجد او راكع او قايم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هولا في مقابلة الملايكه
الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعلم عددهم الا الله تعالى قال الله تعالى وما يعلم جنود
ربك الا هو ثم هولا ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه الصلوة والسلام والملائكة الذين هم جنود
جبرايل عليه الصلوة والسلام وهم كلهم سامعون مطيعون لا يفترون مشتغلون بعبادته رطبوا الالسنه
بذكره وتعظيمه يتسابقون في ذلك منذ خلقهم لا يستكبرون عن عبادته اناء الليل ولا يسامون لا يحصى اجناسهم
ولا مدد اعمارهم ولا كيفية عباداتهم قال الامام رايت في بعض كتب التذكير ان النبي عليه السلام حين
عرج به راى ملايكة في موضع بمنزلة سوق يمشي بعضهم تجاه بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا
منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالوا واحدا منهم فقيل له منذ كم خلقت قال لا ادري غير ان الله تعالى يخلق
كوكبا في كل اربعمائة الف سنة فخلق مثل ذلك الكوكب منذ خلقني اربعمائة الف مرة فسبحانه من اله ما اعظم
قدرته وما اجل كماله واعلم ان الله تعالى ذكر في القران اصنافهم واوصافهم فاما الاصناف فاحدها حملة
العرش وهو قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وثانيها الحافون حول العرش على ما قال سبحانه
وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وثالثها اكابر الملائكة منهم جبريل وميكايل
قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ثم انه سبحانه وصف
جبريل بانه صاحب الوحي الى الانبيا قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين الثاني
انه تعالى ذكره قبل ساير الملايكة في القران قال تعالى قل من كان عدوا لجبريل ولان جبريل صاحب
الوحي والعلم وميكاييل صاحب الارزاق والاغذيه والعلم الذي هو الغذا الروحاني اشرف
من الغذا الجسماني فيكون جبريل اشرف من ميكاييل الثالث انه تعالى جعله ثاني نفسه قال
الله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين الرابع سماه روح القدس قال
في حق عيسى واذ ايدتك بروح القدس الخامس انه تعالى مدحه بصفات ستة فقال انه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فهو من الله الى جميع الانبيا
فجميع الانبيا والرسل امته وكرمه على ربه انه جعله واسطة بينه وبين اشرف عباده وهم
الانبيا وقوته انه رفع مداين لوط الى السما وقلبها ومكانته عند الله انه جعله ثاني نفسه في قوله
فان الله هو مولاه وجبريل وكونه مطاعا انه امام الملايكة ومقتداهم وكونه امينا فهو قوله
نزل به الروح الامين على قلبك ومن اكابر الملايكة اسرافيل وعزرايل وقد ثبت وجودهما
بالاخبار وثبت بالخبر ان عزرايل ملك الموت على ما قال قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
واما قوله تعالى حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا فذلك يدل على وجود ملايكة موكلين بقبض
الارواح وقال تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة يضربون وجوههم وادبارهم
واما اسرافيل فقد دلت الاخبار على انه صاحب الصور على ما قال ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ورابعها
ملايكة الجنة قال تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وخامسها

ملايكه

بلغ مقابلة

ملايكة النار قال تعالى عليها تسعة عشر وقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة ورئيسهم مالك
وهو قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك واسما جملتهم الزبانيه وسادسها الموكلون ببني ادم لقوله تعالى عن
اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من امر الله وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة وسابعها كتبة الاعمال وهو
قوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وثامنها الملايكة الموكلون باحوال هذا العالم
وهم المرادون بقوله والصافات صفا الى قوله فالتاليات ذكرا وبقوله والذاريات ذروا
الى قوله فالمقسمات امرا وبقوله والنازعات غرقا الى قوله فالمدبرات امرا وعن ابن عباس قال ان لله
تعالى ملايكة سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فاذا اصاب احدهم عرجة بارض فلاة فليناد
اعينوا عباد الله واما اوصاف الملايكة فمن وجوه احدها ان الملايكة رسل الله قال الله تعالى جاعل
الملايكة رسلا اولي اجنحة اما قوله الله يصطفي من الملايكة رسلا فهو يدل على ان بعضهم رسل وثانيها
قربهم من الله يمتنع ان يكون بالمكان والجهة فلم يبق الا ان يكون ذلك القرب بالشرف وهو المراد
بقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وقوله بل عباد مكرمون وقوله يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وثالثها وصف طاعتهم وذلك من وجوه الاول قوله تعالى حكاية عنهم ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك وقال في موضع اخر وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون والله تعالى ما كذبهم
في ذلك فثبت بذلك مواظبتهم على العباده الثاني مبادرتهم الى امتثال امر الله تعظيما له وهو قوله
فسجد الملايكة كلهم اجمعون الثالث انهم لا يفعلون الا بوحيه وامره قال تعالى لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون ورابعها وصف قدرتهم وذلك من وجوه الاول ان حملة العرش
وهم ثمانية يحملون العرش والكرسي الذي هو اصغر من العرش واعظم من جملة السموات والارض
لقوله وسع كرسيه السموات والارض فانظر الى نهاية قدرتهم وقوتهم الثاني ان علو العرش شي
لا يحيط به الوهم ويدل عليه قوله تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة ثم انهم لغاية قدرتهم وسرعة قوتهم ينزلون منه في لحظة واحدة الثالث قوله
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا
هم قيام ينظرون فصاحب الصور بلغ في القوة الى حيث ينفخه واحدة منه يصعق من في السموات
والارض وبالنفخة الثانيه يعودون احيا فاعرف عظم هذه القوة الرابع ان جبريل
بلغ من قوته ان قلع جبال ال لوط وبلدهم دفعة واحدة وخامسها وصف خوفهم
ويدل عليه وجوه انهم مع كثرة عباداتهم وعدم اقدامهم على الزلات البتة يكونون خايفين
وجلين حتى كان عباداتهم معاصي قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال وهم من خشية
ربهم مشفقون الثاني روى البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس قال بينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل اذا انشق افق السما فاقبل جبريل يتضال ويدخل بعضه في بعض
ويدنو من الارض فاذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله فقال يا محمد ان ربك يقريك
السلام ويخيرك بين ان تكون نبيا عبدا او بين ان تكون نبيا ملكا قال جبريل عليه السلام
الي بيده اي تواضع فعرفت انه لي ناصح فقلت عبدا نبيا فعرج ذلك الملك الى السما فقلت يا جبريل
قد كنت اردت ان اسالك عن هذا فرايت من حالك ما شغلني عن المسالة فمن هذا يا جبريل
قال اسرافيل خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافا قدميه لا يرفع طرفه وبين الرب وبينه
سبعون نورا ما منها نور يدنو منه الا احترق بين يديه اللوح المحفوظ فاذا اذن الله في شي من

من السما او من الارض ارتفع بذلك اللوح حتى يضرب جبينه فينظر فيه فان كان من عملي امرني
به وان كان من عمل ميكايل امره به وان كان من عمل ملك الموت امره به قلت على اي شي انت
قال على الرياح والجنود قلت على اي شي ميكايل قال على النبات قلت على اي شي ملك الموت قال
على قبض الانفس وما ظننت انه هبط الا لقيام الساعه وما ذاك الذي رايت مني الا خوفا من
قيام الساعه واختلفوا في ان المراد من الملايكه في قوله واذ قال ربك للملايكه كل الملايكه
او بعضهم قال السدي نقلا عن اشياخه انهم جميع الملايكه وقال ابو صالح عن ابن عباس انهم الذين
كانوا مع ابليس حين اهبط الى الارض ونقل انه كان في الارض قبل ادم خلق فافسدوا فيها وسفكوا
الدما وقتل بعضهم بعضا فبعث الله ابليس في جماعة من الملايكه فقتلهم ابليس بعسكره حتى اخرجهم من الارض
والحقوهم بجزاير البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفه وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل
على المبتدا والخبر والمفعول الاول خليفه والثاني في الارض ومعناه مصير في الارض خليفه والخليفه
من يخلف غيره والقايم مقامه يقال خلف فلان وخليفته والاصل خليف بغير ها فدخلت الها
للمبالغه في مدحه بهذا الوصف كما قالوا علامه ونسابه والمعنى خليفه منكم لان الملايكه كانوا
سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته وذلك ان الله تعالى خلق السموات والارض وخلق الملايكه
والجن فاسكن الملايكة السموات واسكن الجن الارض فغبروا في الارض دهرا طويلا في الارض
ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله اليهم جندا من الملايكه يقال لهم الجن راسهم
ابليس وهو خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنه فهبطوا الى الارض وطردوا الجن عن وجوهها الى شعاب
الجبال وجزاير البحور وسكنوا الارض وكانوا اخف الملايكه عبادة لان اهل السما الدنيا اخف
عبادة من الذين فوقهم ولذلك اهل كل سما هولا الملايكه الاصار واسكان الارض خفف الله عليهم العباده
فاحبوا البقا في الارض وكان الله تعالى قد اعطى ابليس ملك الارض وملك السما الدنيا وخزانة الجنان
وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنه فاعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله على
ما انطوى عليه من الكبر فقال له ولجنده اني جاعل في الارض خليفه وهو قول ابن عباس والحسن
ولم يقل خلايف او خلفا فانه اراد بالخليفه آدم واستغنى بذكره عن ذكر ذريته كما استغنى
بذكر ابي القبيله في قولك مضر وهاشم او اراد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقيل المعنى خليفه
عن الله تعالى في اقامة شرعه ودلايل توحيده والحكم في خلقه وهو قول ابن مسعود ومجاهد
لان ادم خليفة الله في ارضه ولذلك كل نبي قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
وقيل المراد بقوله خليفه ولد ادم وانما سماهم خليفه لانهم يخلفون بعضهم بعضا وهو قول الحسن
ويويده قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلايف الارض والخليفه اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح
للذكر والانثى والارض هاهنا الغبرا باسرها من المشرق الى المغرب وروي عن عبد الرحمن بن
سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دحيت الارض من مكه وكانت الملايكه تطوف بالبيت
وهو اول من طاف به وهو الارض التي قال الله اني جاعل في الارض خليفه ليسلوا ذلك
السوال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل وجود بني ادم صيانة للملايكه
عن اعتراض الشبهه في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاوره في امورهم قبل ان يعقدوا
عليها وعرض الامور على ثقاتهم ونصحايهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغه غنيا عن المشاوره وقيل
ان الله تعالى علم في نفس ابليس كبرا فاحب ان يطلع الملايكه عليه وان يظهر ما سبق في علمه رواه
الضحاك عن ابن عباس والسدي عن اشياخه والثاني انه اراد ان يبلو طاعة الملايكه قاله

الحسن

الحسن والثالث انه لما خلق النار خافت الملايكه فقالوا ربنا لمن خلقت هذه قال لمن عصاني
فخافوا وجود المعصيه منهم وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم فقال لهم اني جاعل في الارض خليفه
قاله ابن زيد والرابع انه اراد اظهار عجزهم عن الاحاطه بعلمه فاخبرهم حتى قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها فاجابهم اني اعلم ما لا تعلمون والخامس انه اراد تعظيم ادم بذكره بالخلافه قبل وجوده
ليكونوا معظمين له اذا وجد والسادس انه اراد اعلامهم بانه خلقه ليسكنه الارض وان كان ابتدا
خلقه في السما قوله تعالى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما الهمزه في اتجعل الاستفهام على
بابها وقيل للتعجب وقيل ان ظاهر الهمزه الاستفهام ومعناه الايجاب تقديره ستجعل قاله ابو عبيده وقيل
انهم قالوا للاستعلام ووجه الحكمه لا على وجه الاعتراض ذكره الزجاج وقيل انهم سالوا عن حال انفسهم
فتقديره اتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبح بحمدك ام لا قال صاحب الكشاف اتجعل فيها تعجب من
ان يستخلف مكان اهل الطاعه اهل المعصيه وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير
وفيه رايحة الاعتزال وفيها الاولى متعلقه بتجعل ان قيل ان قوله تجعل بمعنى تخلق ومن لا من نفسه مفعول
به لتجعل وان قيل ان قوله تجعل بمعنى تصير يكون فيها الاولى مفعولا ثانيا قدم على الاول وهي من
نفسها تحتمل ان تكون موصوله صلتها يفسد وحينيذ لا محل للجمله التي هي بعد من وان تكون موصوفه
صفتها يفسد وحينيذ يكون محلها النصب لانها صفة لقوله من الذي هو في محل النصب على انه مفعول به
وفيها الثانيه متعلقه بيفسد ويسفك عطف على يفسد والسفك هو الصب ولا يستعمل الا في الدم وقال
الجوهري يستعمل في الدمع ايضا والدما جمع دم وهو اسم معرب فيلزمه ان يكون لامه محذوفا
ويجوز ان يكون واوا وان يكون يا لقولهم في التثنيه دموان ودميان ووزنه فعل بسكون العين
او فعل بفتحها قولان واصل الدما الدماو او الدماي قلب حرف العله همزه لوقوعها طرفا بعد الف
زايده وقد اختلفوا في ان اخبار الملايكه عن الفساد وسفك الدما حصل عن الوحي او قالوه استنباطا
وظنا فمنهم من قال ذكروا ذلك استنباطا وظنا ثم ذكر فيه وجهان الاول عن ابن عباس
والكلبي انهم قاسوا احد الثقلين اعني الانس على الاخرى اي الجن حيث اسكنوا الارض قبل آدم
فافسدوا فيها قبل سكنى الملايكه والثاني انهم عرفوا خلقته وعرفوا انه مركب من الاخلاط الاربعه
الصفرا والدم والسودا والبلغم وتولد الشهوه والغضب اللذين يقتضيان الفساد والسفك
من لوازمها ومنهم من قال عرفوا ذلك يقينا روي ذلك عن ابن مسعود وجمع من الصحابه ثم ذكروا
فيه وجوها احدها انهم عرفوه باخبار عن الله تعالى فانه لما قال للملايكه اني جاعل في الارض
خليفه قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفه قال يكون له ذريه يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما وثانيها لما كتب القلم
في اللوح وثالثها انه ثبت في علمهم ان الملايكه وحدهم هم المعصومون وكل من خلق سواهم ليسوا على
صفتهم قوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك التسبيح تمجيد الله عن السو من سبح في الارض والسما
وكذا تقديسه من قدس في الارض اذا ذهب فيها والبعد والتبعيد عن السو التسبيح والتبعيد
عن الخير اللعن والتبعيد عن السو يشمل التبعيد عن السو في الذات والصفات والافعال اما
في الذات فانه لا يكون محلا للامكان فان منع السو عن الذات نفي الامكان المستلزم لنفي الكثره المستلزم
لنفي الجسميه والعرضيه ونفي الضد والند واما في الصفات فبان يكون منزها عن الجهل فيكون
عالما لا يعزب عنه مثقال ذره في السموات والارض وعن العجز فيكون قادرا على المقدورات
وعن التغيرات فيلزم ان يكون صفاته قديمه واما في الافعال فبان يكون منزها عن جلب منفعه

فيه رايحة الاعتزال

او دفع مضرة وعن الاستكمال بشي منها وعن الانتقاص بترك شي منها فيكون غنيا على الاطلاق وقيل
التسبيح في القران تارة بمعنى التنزيه واخرى بمعنى التعجب اما الاول فجا على وجوه منها
انه المنزه عن النظير والشريك سبحانه هو الله الواحد القهار ومنها انه المدبر للسموات والارض
ومنها انه المدبر للعالمين سبحان الله رب العالمين ومنها انه المنزه عن قول الظالمين سبحان
الله رب العرش عما يصفون ومنها انه الغني سبحانه هو الغني ومنها انه الذي بيده ملكوت
كل شي فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي ومنها انه العالم بالغيب سبحانه عالم الغيب
ومنها انه المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه ان يكون له ولد ومنها انه المنزه عما يصفون
سبحانه وتعالى عما يصفون واما الثاني وهو التعجب فمنه انه الذي سخر لنا البهايم القويه
سبحان الذي سخر لنا هذا ومنها هو الذي اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون سبحانه
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ومنها انه الذي لا علم لاحد الا بتعليمه سبحانك لا علم
لنا الا ما علمتنا والواو في قوله ونحن نسبح للحال والجملة من مبتدا وخبر في محل النصب على الحال
وبحمدك متعلق بمحذوف لانه في موضع الحال والبا فيه للمصاحبة اي نسبح ملتبسين بحمدك اي حامدين
لك فهما حالان متداخلان اي حال في حال وقيل البا للسببيه وقيل يحتمل ان يكون بحمدك
اعتراضا بين الكلامين كان الملايكة قالوا ونحن نسبح ثم اعترضوا على جهة التسليم اي وانت المحمود
في الهدايه الى ذلك ونقدس لك فكانه جعل البا للسببيه وجعل متعلقه بفعل محذوف مناسب
للمعنى اي يحصل لنا التسبيح والتقديس بسبب حمدك والحمد مصدر مضاف الى المفعول وفاعله محذوف
اي حصل لنا التسبيح والتقديس بسبب حمدنا اياك ونقدس عطف على نسبح ومفعوله محذوف اي نقدس
ونطهر لاجلك قلوبنا من الشرك والالتفات الى غيرك وابدانا عن معصيتك وقيل معنى قولك
نقدس لك اي نعظمك ونطهر ذكرك مما لا يليق بك فتكون اللام زايده لان ما قبلها متعد
بنفسه قيل هذا ضعيف لان اللام لا تزاد الا مع تقديم المعمول او يكون العامل فرعا وقيل اللام
للتعديه نحو سجدت لله وقيل للبيان كهي في قولك سقيا لك فعلى هذا تتعلق بمحذوف ويكون
خبر مبتدا مضمر اي تقديسنا لك قيل معناه نحن نسبح بحمدك فلولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك
كما قال داود عليه السلام يا رب كيف اقدر ان اشكرك وانا لا اصل الى شكر نعمك الا بنعمك
فاوحى الله اليه الآن قد شكرتني حيث عرفت ان كل ذلك مني قال الحسن معناه نقول سبحان الله
وبحمده وهو صلوة الملايكة وتسبيحهم وعليه يرزقون يدل عليه الحديث المروي عن ابي ذر انه سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله عز وجل للملايكة سبحان الله
وبحمده وقيل معناه ونحن نصلي لك بامرك والتسبيح يكون بمعنى الصلوة ومنه قيل للصلوة سبحه
وقيل معناه نصلي ونقرا فاتحة الكتاب وقيل في الايه تقديم وتاخير والتقدير نحن نسبح ونقدس لك
بحمدك لانه اذا حملت الايه على الثنا وبل الاول اضاهي قول الملايكة التزكيه والادلال بالعمل
واذا حملت على هذا الثنا وبل صار هي قولهم التحدث بنعمة الله واضافة التسبيح الى الله تعالى فكانهم
قالوا ان سبحنا ونقدسنا واطعنا وعبدنا فذلك كله بحمدك لا بانفسنا اتفق الجمهور من علما
الدين على عصمة الملايكة من الذنوب وخالفهم طايفة من الحشويه ثم احتج الاولون بقوله
تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وبقوله تعالى يخافون ربهم من
فوقهم ويفعلون ما يومرون فقوله ويفعلون ما يومرون يشمل جميع فعل المامورات
وترك المنهيات وبقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وبقوله يسبحون الليل

والنهار

والنهار لا يفترون ومن كان هذا شانه امتنع عصيانه احتج المخالف بقوله تعالى قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها الايه وهذا يقتضي صدور الذنب عنهم لان هذا اعتراض على الله تعالى وهو من
اعظم الذنوب ولانهم طعنوا في ادم بالفساد وسفك الدم وهو غيبه والغيبه ذنب ولانهم بعد
الطعن في بني ادم مدحوا انفسهم بما قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وبما قالوا وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وهذا للحصر فكانهم نفوا عن غيرهم ذلك وذلك يشبه العجب والغيبه وهو من
الذنوب المهلكه قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من المهلكات وذكر فيها اعجاب المرء بنفسه وقال
تعالى ولا تزكوا انفسكم ولان قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا يشبه الاعتذار والاشتغال بالاعتذار
دليل صدور الذنب ولان قوله انبوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين يدل على انهم كانوا كاذبين
والكذب ذنب ولان قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون يدل على انهم ما كانوا عالمين بذلك قبل هذه الواقعة وانهم كانوا شاكين في ان الله
تعالى عالم بكل المعلومات ولانهم قالوا اتجعل فيها عن الاستنباط والظن والقدح
في الغير على سبيل الظن لا يجوز لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله ان الظن
لا يغني من الحق شيا والجواب عن قولهم انهم اعترضوا على الله وهذا من اعظم الذنوب
انه ليس غرضهم من هذا السوال الاعتراض على الله تعالى ولا التنبيه على شي كان غافلا عنه
فان اعتقاد ذلك كفر بل المقصود من هذا السوال امور منها ان الانسان اذا كان
قاطعا بحكمة غيره ثم راى ان ذلك الغير يفعل فعلا لا يطلع على وجه الحكمة فيه فيقول
اتفعل هذا كانه يتعجب من كمال حكمته وعلمه ويقول اعطا هذه النعم العظيمه لمن يفسد
ويسفك مما لا يهتدي العقول فيها الى وجه الحكمه فاذا انت تفعله واعلم انك لا تفعلها
الا لحكمة بالغة انت مطلع عليها فما اعظم حكمتك واجل علمك فالحاصل ان قوله اتجعل فيها
من يفسد فيها كانه تعجب من كمال علم الله واحاطة حكمته بما خفي على اولي الالباب
ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب المزيل له مستحسن فاوردوا هذا الاشكال
ليعلموا جوابه ومنها ان الشرور ان كانت واقعة في تركيب هذا العالم السفلي
لكنه من لوازم الخيرات الحاصلة منه فخيرها غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل
الشر القليل شر عظيم فالملايكة ذكروا تلك الشرور فاجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون
يعني ان الخير الحاصل فيهم اكثر من الشر الذي ذكرتم والحكمه تقتضي ايجادهما هذا شانه
وهذا جواب الحكما ومنها ان سوالهم كان صادرا عن شدة حبهم لله تعالى فان العبد
المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه وعن قولهم انهم طعنوا في بني ادم
بالفساد والسفك وهو غيبه بان من اراد السوال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال
لا لغيره فلهذا ذكروا من بني ادم هاتين الصفتين وعن قولهم انهم مدحوا انفسهم وذلك
يورث العجب والتزكيه بان مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا لقوله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث وبانه يحتمل ان يكون قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لم يرد به مدح
النفس بل مقصودهم ان هذا السوال ما اوردناه لنقدح به في حكمتك فانا نسبح بحمدك
ونقدس لك ونعترف لك بالالهيه والحكمه بل اوردناه لطلب وجه الحكمه على سبيل
التفصيل وعن قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا يشبه الاعتذار الدال على صدور الذنب بان
هذا السوال وان لم يكن معصيه لكن تركه اولى فلما تركوا هذا الاولى كان ذلك

ذلك لاعتقادهم ترك الاولى لارتكاب الذنب وعن قوله تعالى ان كنتم صادقين بدليل على انهم كانوا
كاذبين بل اتاه لام على سبيل العرض ليعلموا على سبيل التحقيق وعن قولهم ان قوله تعالى الم اقل لكم
انى اعلم غيب السموات والارض الى اخره يدل على انهم ما كانوا عالمين وانهم كانوا شاكين فى ان الله تعالى
عالم بكل المعلومات بانه لا يدل على ذلك اصلا لا على سبيل القطع ولا على وجه الظهور وعن قوله انهم قالوا
عن الاستنباط والظن لا على وجه القدح والطعن بل على وجه الحكمة قوله تعالى قال انى اعلم ما لا تعلمون
فاعل قال هو الله واصل انى اننى فاجتمع ثلاث نونات ثالثها نون الوقاية فحذفت الثانية والجملة
فى محل النصب لانه معمول قال واعلم فعل مضارع وما مفعول به اما موصولة او نكرة موصوفة وعلى
التقديرين العايد محذوف اى تعلمونه ولا يلتفت الى قول من يقول اعلم اسم بمعنى عالم وما فى محل جر
بالاضافة او نصب باعلم ولم ينون اعلم لعدم انصرافه ولا الى قول من يقول اعلم على بابها من كونها للتفضيل
والمفضل عليه محذوف اى اعلم منهم وما منصوب به بفعل محذوف دل عليه افعل اى علمت ما لا تعلمون
فان اداه ما اسلفه فى الاية الكريمة بعيد عن البلاغة وقوله قال انى اعلم ما لا تعلمون جواب عن السوال
الذى ذكره الملايكة وفيه اقوال منها ان معناه اعلم ما فى نفس ابليس من البغى والمعصية قال
ابن عباس كان ابليس قد اعجب ودخله الكبر لما جعله الله خازن السماء الدنيا وشرفه وقيل لما بعثه
الله لقتال الجن الذين كانوا افسدوا فى الارض فهزمهم وقتلهم بجنده فاعتقد ان ذلك لمزية
له واستحق الكفر والمعصية فى جانب ادم فلما قالت الملايكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهم لا يعلمون
ان فى نفس ابليس خلاف ذلك قال الله تعالى لهم انى اعلم ما لا تعلمون يعنى ما فى نفس ابليس ومنها انى
اعلم انه سيكون من ذلك الخليفة الانبياء والصالحون قاله قتادة ومنها انى اعلم ما لا تعلمون من تفضيل
ادم عليكم وما اتعبدكم به من السجود وافضله به عليكم من تعليمه الاسماء وذلك لانهم قالوا فيما بينهم ليخلق
ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا افضل ولا اكرم عليه منا وان كان خيرا منا فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله
ورأينا ما لم يره فلما اعجبوا بعلمهم فضل الله ادم عليهم ومنها انى اعلم انهم يذنبون فيستغفرون
الى ويقولون ربنا ظلمنا انفسنا وانى اغفر لهم ومنها انى اعلم من المصالح والحكم فى ذلك ما هو
خفى عليكم وان مصلحتكم ان تعلمون ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفى عليكم وجه الحسن
والحكمة فابين لكم بعض ذلك على وجه التفصيل

قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم
على الملايكة فقال انبيونى باسماء هولاء ان كنتم صادقين لما سال الملايكة عن وجه الحكمة فى ذلك فاجابهم
على سبيل الاجمال بقوله انى اعلم ما لا تعلمون اراد ان يزيدهم بيانا وان يفصل لهم ذلك المجمل فبين
تعالى لهم من فضل ادم ما لم يكن معلوما لهم وذلك بان علم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر كماله
فضله وقصورهم عنه فى العلم فيتاكد الجواب الاجمالى بالجواب التفصيلى قوله وعلم هذه الجملة
يحتمل ان تكون استينافا ولا يكون لها محل من الاعراب وان تكون عطفا على قوله قال ربك فيكون فى محل
الجر لكونها مضافا اليها اذ وعلم متعدية الى مفعول واحد لانها بمعنى عرف فتعدت بالتضعيف الى مفعولين
وفاعل علم ضمير مستتر عايد الى قوله ربك ومفعولها الاول ادم والثانى الاسماء والادم جمع ادمة بسمرة
وبه سمى وجه الارض اديما والادمة باطن الجلد الذى يلى اللحم والبشرة ظاهرها والادمة السمرة
والادمة ايضا الوسيلة الى الشى والادم بين الناس الاسمر والادم ابو البشر قيل انه مشتق من
الادمة وهى السمرة وهى حمرة تضرب الى السواد وقيل انه مشتق من اديم الارض وهو وجهها وهو
على القولين ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل لانه افعل بهمزتين ولكن لينوا الثانية فاذا احتجت
الى تحريكها جعلتها واوا فقلت اوادم فى الجمع لانه ليس لها اصل فى اليا معروف فجعلت الغالب عليها الواو

واستقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب لانه تعقب عيص الولادة
وادريس من الدرس وابليس من الابلاس اى ابلاس الناس عن رحمة الله تعالى واما آدم الاسم اعجمى واقرب
امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك هذه الاسماء كلها اولاد ادم
واحتج من قال اللغات توقيفية بظاهر هذه الاية بيانه انه لو لم تكن اللغات توقيفية لم تكن معلمة من عند
الله تعالى واللازم باطل فالملزوم كذلك والملازمة ظاهرة اما بطلان اللازم فلان قوله تعالى
وعلم ادم الاسماء كلها يدل على ان الاسماء معلمة من عند الله واذا ثبت التعليم فى الاسماء ثبت فى الافعال
والحروف اذ لا قايل بالفصل ولان التكلم بالاسماء وحدها متعذر فلا بد مع تعليم الاسماء من تعليم الافعال
والحروف وايضا الافعال والحروف اسماء من حيث انها ترفع المسمى الى الاذهان او سمة
والتخصيص بهذا النوع من الالفاظ من اصطلاح اهل العربية واورد على هذا الدليل بانه لم لا يجوز ان يكون
المراد من قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها انه تعالى الهمه الاحتياج الى هذه الالفاظ واعطاه
من العلوم ما لاجله قدر على وضع الاسماء فيكون المراد من التعليم فعلا صالحا لترتب العلم عليه لا ايجاد
العلم فلذلك يقال علمته فلم يتعلم ولو كان التعليم ايجاد العلم لما صح ذلك الكلام ولين سلم انه ليس المراد
الالهام ولكن لم لا يجوز ان يكون اصطلاحات قوم خلقهم الله تعالى قبل خلق ادم فعلمه الله سبحانه
وتعالى الاصطلاحات السابقة واجيب عن المنعين بانه خلاف الظاهر فان الاصل فى
التعليم ايجاد العلم لا الالهام وكذا الاصل عدم اصطلاح سابق وان كان خلاف الظاهر ولا يصار
اليه الا بدليل واورد ايضا على الدليل المذكور بان قالوا المراد من الاسماء فى الاية المذكورة حقايق
الاشيا وصفاتها فيكون معنى قوله وعلم ادم الاسماء ان الله تعالى علم ادم حقيقة كل شى وصفته مثل
ان الخيل حقيقته كذا وانه يصلح للكر والفر والجمل للحمل والثور للزرع والذى يدل على ان المراد الحقايق
لا الالفاظ قوله تعالى ثم عرضهم لانه لما كان الضمير راجعا الى الحقايق وفيها ذووا عقول اختار
ضمير العقلاء تغليبا لهم فلو كان المراد من الاسماء الالفاظ لقال عرضها اجيب بان المراد من الاسماء الالفاظ
لا الحقايق بدليل قوله تعالى انبيونى باسماء هولاء فانه اضاف الاسماء الى هولاء فلو كان المراد من الاسماء الحقايق
لزم اضافة الشى الى نفسه والضمير فى قوله تعالى ثم عرضهم راجع الى المسميات ولا منافاة بين كونه
راجعا الى المسميات وبين كون الاسماء الفاظا ولنرجع الى تفسير الاية الاسماء كلها اى اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم يستلزم المسمى
وعوض عن المضاف اليه اللام لقوله تعالى واشتعل الراس قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والضحاك علمه اسم كل شى حتى القصعة والقصيعة قال مقاتل خلق الله تعالى كل شى الحيوان والجماد
وغيرهما ثم علم ادم اسماءها وقال له يا ادم هذا فرس هذا حمار هذا بغل فجعل تعليمه اسماء
المسميات انه ارى ادم الاجناس التى خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير
وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا حتى انتهى الى اخرها وعلمه احوال الاجناس وما يتعلق بها من
المنافع الدينية والدنيوية وقيل علم ادم اسماء معدودة لمسميات مخصوصة ثم فيها اربعة اقوال
احدها اسماء الملايكة وهو قول ابى العالية وثانيها اسماء ذريته قاله عبد الرحمن بن زيد وثالثها
اسماء الاجناس دون انواعها نحو انسان وملك وجنى وطاير وهو قول عكرمة ورابعها اسماء ما
خلق فى الارض من الدواب والهوام والطير وهو قول الكلبى ومقاتل وابن قتيبة وقيل
معناه وعلم ادم مسميات الاسماء فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ورد بان التعليم
يجب تعليقه بالاسماء لا المسميات لقوله انبيونى باسماء هولاء وانبيهم باسمائهم وانباهم وجب تعليق التعليم بها

قوله ثم عرضهم على الملائكة العرض لغة الاظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند ويقال عرضت المتاع على البيع اذا اظهرته للمشتري قال الله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا اي ابرزناها حتى راوها اي عرض المسميات العقلا فغلبهم قال ابن عباس الملائكة ههنا هم الذين كانوا مع ابليس خاصة قوله فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين النبا الخبر يقال نبا ونبا وانبا اي اخبر واصل انبا ان يتعدى الى مفعولين اولهما بنفسه وثانيهما بالبا كما في هذه الاية وقد تحذف البا قال تعالى من انباك هذا وقد يتضمن معنى اعلم اليقينية فيتعدى الى ثلاثة مفاعيل ونبا وخبر واخبر وحدث مثل انبا وهذا امر تعجيز اراد الله تعالى ان يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون ولا يظنون انهم اعلم من الخليفة الذي يجعل الله في الارض وتمسك [illegible] الناس من تمسك بقوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق لانه تعالى امر الملائكة بان ينبئوا ما لم يعلموا وهو عالم بعجزهم عنه وهو ضعيف لقوله تعالى انما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانبا على سبيل التبكيت فان قرينة الحال داله على ان المراد بانبئوني ليس طلب وجود الانبا بل اظهار عجزهم وتبكيتهم قوله تعالى ان كنتم صادقين فانبئوني وما تقدم قرينة داله على الجواب المحذوف وقيل ما تقدم جواب وهو ضعيف لان ان تقتضي ان يكون صدر الكلام ولان قولهم انت ظالم ان فعلت يمنع ان يكون انت ظالم جوابا لوجب الفا معه متاخرا قوله ان كنتم صادقين في زعمكم ان الخليفة الذي اجعله في الارض يفسد فيها ويسفك الدما اراد الله تعالى بذلك الرد عليهم اي كيف تدعون علم ما لم يكن بعد وانتم لا تعلمون علم ما ترون وتعاينون قال الحسن وقتاده ان كنتم صادقين اني لا اخلق خلقا الا انتم اعلم وافضل منه وقيل انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في ذلك الانبا وقيل انبئوني ولا تقولوا الا صدقا وحقا فيكون الغرض منه التوكيد لما نبههم عليه من القصور والعجز لانه متى ثبت في نفوسهم انهم ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل علموا ان ذلك متعذر عليهم وقيل ان كنتم صادقين في قولكم انه لا شي مما تعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن مسعود وابن عباس

قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم سبحانك منصوب على المصدر عند الخليل والفرا اذا قلت سبحان الله فكانك قلت سبحت الله تسبيحا فجعل السبحان في موضع التسبيح كما تقول كفرت عن يميني كفرانا وكبرت تكبيرا وكلمته كلاما وسلمت سلاما قال الله تعالى وسرحوهن سراحا قال سيبويه يقال سبحت الله تسبيحا وسبحانا فالمصدر تسبيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر وقيل مصدر وهو من الاسما اللازمة للاضافة وقد يفرد فيكون غير منصرف للتعريف والالف والنون والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبت منه قال الاعشى اقول لما جاني فخره سبحان من علقمة الفاجر يقول العجب منه اذا افتخر واضافته ههنا الى المفعول لان المعنى نسبحك نحن وقيل اضافته الى الفاعل والمعنى تنزهت تباعدت عن السو والعامل في سبحانك منصوب المحل بالقول فقالت الملائكة اقرارا بالعجز واعتذارا سبحانك والتقدير الملائكة قالوا نسبح سبحانك قال ابن عباس تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم الغيب احد سواك وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك قوله لا علم لنا كقوله لا ريب فيه والا حرف استثنا وما موصولة وعلمتنا صلتها والعايد محذوف على ان يكون علم بمعنى معلوم ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي في محل على الاستثنا ولا يجوز ان يكون منصوبة بقوله لا علم لانه مبني ولا يعمل الا اذا كان معربا وقيل ما في محل رفع على البدل قيل هذا اعتراف من الملائكة بالعجز عن علم ما لم يعلمهم الله فكانهم قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا وليس هذا مما علمتنا فجا الكلام مختصرا وقيل ان الملائكة انما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك اعلمتنا انه يفسد في الارض ويسفك الدما وانا

الاسما فانك ما اعلمتنا فكيف نعلمها والذين اعتقدوا ان الملائكة اتوا بالمعصية في قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما قالوا ان الملائكة لما عرفوا خطاهم في هذا السوال رجعوا وتابوا واعتذروا واحتج اصحابنا بقوله لا علم لنا الا ما علمتنا على ان المعارف والعلوم مخلوقة لله تعالى وقالت المعتزلة التعليم عبارة عن افادة الامر الذي يترتب عليه العلم مع تحقق الشرط وانتفا المانع ولذلك قال علمته فما تعلم والامر الذي يترتب عليه العلم هو وضع الدليل والله قد فعل ذلك والجواب التعليم تحصيل العلم في الغير كالتسويد هو تحصيل السواد في العين واحتج اهل الاسلام بهذه الاية على انه لا سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة والعرافة ونظيره قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قوله انت العليم الحكيم انت ضمير مرفوع منفصل للمفرد المذكر المخاطب ويحتمل ان يكون تاكيدا للاسم ان فيكون في محل النصب وان يكون مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان وان يكون فصلا لا محل له في الاعراب وقيل له محل من الاعراب اعراب ما قبله فيكون في محل النصب او اعراب ما بعده فيكون في محل الرفع والعليم من صفات المبالغة في العلم والمبالغة التامة لا تتحقق الا عند الاحاطة بكل المعلومات وما ذلك الا الله سبحانه فلذلك قال انك انت العليم الحكيم على سبيل الحصر وصاحب الحكم والمتقن للامور والاول صفة ذات والاخر صفة فعل واصل الحكم في كلام العرب المنع من الفساد ويقال للحديدة المعترضة في فم الدابة حكمة اللجام لانها تمنع الدابة عن الاعوجاج والحكمة تمنع من الباطل قالت الملائكة انك انت العليم الذي يكون عالما بكل المعلومات الفاعل لما لا اعتراض لاحد عليه فعلى الاول يقال انه تعالى حكيم في الازل وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل خليفة في الارض وهذه الاية داله على شرفه وفضله فان الله سبحانه ما اظهر كمال حكمته في جعله في الارض خليفة الا بان اظهر علم الخليفة فلو كان وجود شي اشرف من العلم في الامكان لكان من الواجب اظهار فضله بذلك الشي لا بالعلم

قوله تعالى قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ادم مبني على الضم لانه مفرد معرفة والمنادى المفرد المعرفة يبنى على ما يرفع به ورفعه بالضم وهو في محل النصب لانه واقع موقع المفعول به وانبئهم امر وفاعله ضمير مستتر عايد الى ادم وهم مفعوله الاول عايد على الملائكة وباسمائهم متعلق بانبئهم وهو المفعول الثاني والضمير الذي اضيف اليه الاسما عايد الى المسميات قال المفسرون لما ظهر عجز الملائكة عن علم اسما المسميات قال الله عز وجل يا ادم انبئهم باسمائهم فسمى كل شي باسمه والحق كل شي بجنسه فلما انباهم باسمائهم قال لما ظرف زمان ماض متضمن معنى الشرط ولاقتضائها جملة بعدها كاقتضا اذا ولا تضاف الا الى الجملة الفعلية لما فيها من معنى الشرط ولا تكون الا للامر المحقق وتقتضي جملتين احداهما الشرط والاخرى جوابها وكلتا الجملتين فعليتين ماضيتين والعامل فيها مختلف فمنهم من يقول شرطها ومنهم من يقول جوابها وهم الاكثرون لان وضعها للوقت المعين ولا يتعين الا بنسبته الى ما تعين به من شرطه فيصير مضافا الى الشرط ويتعذر عمل المضاف اليه في المضاف لانه مودي الى ان يكون الشي عاملا معمولا من وجه واحد فوجب ان يكون العامل هو الجواب ولقايل ان يقول لا معنى لتقدير اضافة لما الى الفعل ونسلم ان لما الوقت معين ولكن لا نسلم ان وقتها انما يكون باضافتها الى الفعل بل تعين وقتها حاصل بذكر الفعل بعدها كما يحصل في قولك زمنا ما طلعت فيه الشمس فانه يحصل فيه التعيين ولا يلزم الاضافة واذا لم يلزم الاضافة لم يلزم فساد عمل الشرط وقوله انباهم باسمائهم شرط وقوله قال جوابه وفاعل انبا ومفعوله الاول

ومفعوله الثاني كما في انباهم باسمايهم وقوله فلما انباهم عطف على قوله قال يا ادم والمعنى فلما اخبر
ادم الملايكه باسما المخلوقات قال الله تعالى للملايكه الم اقل لكم والهمزه للتقرير اذا دخلت على نفي قررته
فيصير اثباتا واقل مجذوف فلم حذفت عينه التي هي الواو والتي لالتقا الساكنين ولكم متعلق به واللام
للتبليغ والجمله من قوله اني اعلم في محل نصب بالقول وغيب السموات اي ما غاب فيهما عنكم واعلم
ما تبدون من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما وما اظهروه من السمع والطاعه لله حين مروا
على جسد ادم فقال ابليس في نفسه لين فضلت عليه لاهلكنه وان فضل علي لاعصينه وما كنتم تكتمون من
اعتقادكم ان الله لا يخلق خلقا اكرم منكم او ما اسره ابليس من الكبر والعصيان ان الله بين للملايكه بعض ما اجمله
من ذكر المصالح في استخلاف ادم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جا على وجه ابسط من ذلك واشرح وقيل ان الاقسام
التي يمكن ان تقع في الوجود خمسة خير محض وشر محض وخير غالب وشر غالب والذي تعادل فيه الخير
والشر فالحكمه تقتضي ايجاد الخير الغالب لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كبير فالملايكه ذكروا
الافساد والسفك وهو شر قليل بالنسبه الى ما يحصل منه من الخيرات فقوله اني اعلم غيب السموات والارض
فاعرف ان خيرهم غالب على هذه الشرور فاقتضت الحكمه ايجاده ولما كان ما ابدوه من قولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها حال اخبار الله تعالى اياهم اني جاعل في الارض خليفه على سبيل التجدد وما كتموا من اعتقادهم
ان الله لا يخلق خلقا اكرم منهم قبل اخبار الله اياهم على سبيل الاستمرار قال ما تبدون وما كنتم تكتمون
واعلم ان هذه الايه داله على شرف العلم وفضله فان الله سبحانه ما اظهر كمال حكمته في خلق ادم الا بان اظهر
علمه فلو كان في الوجود ما هو اشرف من العلم لاستدعى ان يظهر فضله به لا بالعلم قالت المعتزله ان ما ظهر
من ادم من علمه بالاسما معجزه داله على نبوته في ذلك الوقت والاقرب انه كان مبعوثا الى حوا ولا يبعد
ان يكون مبعوثا الى من توجه التحدي اليهم من الملايكه لان جميعهم وان كانوا رسلا فقد يبعث الى
الرسول كبعثة ابرهيم الى لوط واحتجوا عليه بان حصول ذلك العلم له خارق للعاده فوجب ان
يكون معجزا واذا ثبت كونه معجزا ثبت كونه رسولا في ذلك الوقت قال الامام ولقايل ان يقول لا نسلم
ان ذلك العلم خارق للعاده لان حصول العلم بالاسما لمن علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه الله ليس بخارق للعاده
ولين سلم انه خارق للعاده فلا يلزم ان يكون معجزا لجواز ان يكون من باب الكرامات او من باب الارهاص
واحتج من قطع بان ادم لم يكن نبيا في ذلك الوقت بانه لو كان نبيا في ذلك الوقت لكان قد صدرت
المعصيه منه بعد النبوه وذلك غير جايز فلا يكون نبيا في ذلك الوقت بيان الملازمه ان صدور المعصيه
منه كان بعد هذه الواقعه بالاتفاق وتلك المعصيه كبيره والاقدام عليها يقتضي استحقاق الطرد
والتحقير واللعن وكل ذلك على الانبيا غير جايز وبان قوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
دل على انه تعالى انما اجتباه بعد المعصيه فيكون قبل المعصيه ما كان مجتبى ولا يكون رسولا
لان الرساله والاجتبا متلازمان لان الاجتبا عباره عن التخصيص بانواع التشريفات وكل
من جعله الله رسولا فقد خصصه بذلك قوله تعالى واذ قلنا للملايكه اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين اعلم انه تعالى ذكر اولا تخصيص
ادم بالخلافه ثم تخصيصه بالعلم الذي عجزت الملايكه عن الوصول اليه ثانيا ثم ذكر بلوغه الى
رتبه تكون الملايكه مامورين بالسجود له وهذه ايضا من النعم العظام التي انعم الله سبحانه
وتعالى على ادم وذريته واذ نصب باضمار اذكر وقيل العامل فيها محذوف دل عليه
قوله فسجدوا وتقديره واذ قلنا للملايكه اسجدوا لادم اطاعوا فسجدوا والان السجود

لسا

ان فضل عليكم هذا اما تصنعون فقالوا نطيع ربنا فقال ابليس م

نشا عن الطاعه وقيل معطوف على اذ المتقدمه ورد بانه لا يصح لاختلاف الوقتين وقوله قلنا في
محل جر بالظرف على تقدير ان يكون اذ ظرفا لا مفعولا به وفيه التفات من الغيبه الى التكلم للتعظيم
وضمير الجمع للزياده التعظيم واللام للتبليغ واختلفوا في الملايكه الذين امروا بالسجود لادم فقال
السدي عن اشياخه انهم جميع الملايكه حتى جبريل وميكاييل لانه تعالى قال فسجد الملايكه كلهم اجمعون
وفي هذا تاكيد للعموم وقيل طايفه من الملايكه وهم الذين كانوا مع ابليس في الارض روي عن ابن عباس
والسجود الخضوع والتذلل وغايته وضع الجبهه على الارض واسجدوا امر في محل نصب بقلنا واللام في لادم
متعلقه باسجدوا ومعناها التعليل اي لاجله وكان سجود الملايكه لادم سجود تعظيم وتحيه لا سجود صلوه
وعباده نظيره قوله تعالى في قصه يوسف وخروا له سجدا او تعظيم بعضهم بعضا ولم يكن وضع الجبهه على
الارض انما كان على الانحنا والتقبيل فلما جا الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي الحديث ان معاذ
بن جبل رجع من اليمن فسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم وقال ما
هذا فقال رايت اليهود يسجدون لاحبارهم والنصارى يسجدون لقسيسهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مه يا معاذ كذب اليهود والنصارى انما السجود لله عز وجل وقيل كان سجودا على
الحقيقه واللام بمعنى الى اي الى جهه جعل ادم قبله لهم والسجود لله تعالى كما جعلت قبله لصلوه المومنين
والصلوه لله تعالى قال ابن مسعود امرهم الله عز وجل بان ياتموا بادم فسجدت الملايكه وادم لله تعالى
فتكون اللام بمعنى مع وقال ابي ابن كعب معناه اقروا لادم بانه خير واكرم على الله منكم فاقروا بذلك
والفا للتعقيب والتقدير فسجدوا له حذف الجار والمجرور للشعور به الا ابليس الا حرف
استثنا وابليس قال اكثر اهل اللغه والتفسير سمي به لانه ابلس من رحمه الله اي ييس والابلاس
الانكسار والحزن والمبلس المكتيب الايس وقيل لا يجوز ان يكون مشتقا من ابلس لانه لو كان كذلك
لانصرف ونون كانون اكليل ونابه وترك تنوينه في القران يدل على انه اعجمي معرفه والاعجمي لا يعرف له
اشتقاق نصب على الاستثنا نصبا لازما لانه بعد الا لاعتبار الصفه في كلام موجب والعامل فيه قيل
ما قبل الا بواسطه وقيل الا وحده وقيل الفعل وحده وقيل ان بعد الا وقيل استثني بعد الانضما
واختلفوا في ان الاستثنا متصل او منقطع وهذا مبني على انه هل كان من الملايكه قال مجاهد
وطاوس عن ابن عباس كان ابليس يرتكب المعصيه ملكا من الملايكه الذين يسمون الجن ولم يكن من
الملايكه اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابى السجود لادم وعصاه لعنه وجعله
شيطانا وسماه ابليس وهذا قول ابن مسعود وابن جريج وقتاده واكثر المفسرين وقال الجاحظ
ان الملايكه والانس والجن جنس واحد فمن كان خيرا فهو ملك ومن كان شريرا فهو شيطان
ومن كان بين بين فهو جن وقال اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزله انه لم يكن منهم واحتجوا بوجوه احدها
انه كان من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملايكه لان الجن جنس مخالف للملايكه
ورد بان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الستر ولهذا سمي الجنين جنينا لاجتنانه وقد ذكر ان التركيب
داير على الستر والملايكه مستورون عن الاعين فجاز ان يطلق الجن عليهم فهذا القدر لا يفيد المقصود
قيل ان ابليس كان من الجن فلا يكون من الملايكه لقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملايكه اهولا اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
فانه صرح في الفرق بين الملك والجن فان قيل لا نسلم انه كان من الجن اما قوله كان من الجن فيحتمل
ان يكون من الجنه على ما روي عن ابن مسعود انه كان من الجن اي انه كان خازن الجنه سلمنا ذلك
ولكن يحمل قوله كان من الجن اي صار من الجن كما ان قوله وكان من الكافرين اي صار من

الكعبة

ان يكون

الجن كما ان قوله وكان من الكافرين اي صار من الكافرين سلمنا ان ما ذكرتم يدل على انه من الجن فلم قلتم ان كونه
من الجن ينافي كونه من الملايكة وما ذكرتم من الاية معارض باية اخرى وهي قوله تعالى وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا وذلك لان قريشا قالت الملايكة بنات الله فهذه الاية داله على ان الملك يسمى جنا اجيب بانه لا يجوز
ان يكون المراد من قوله كان من الجن انه كان خازن الجنة لان قوله الا ابليس كان من الجن يشعر بان ترك السجود بسبب
كونه جنيا ولا يمكن ان يكون تركه للسجود بسبب كونه خازنا للجنة قوله كان من الجن اي صار قلنا خلاف الظاهر فلا
يصار اليه الا للضرورة قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قلنا يحتمل ان يكون بعض الكفار اثبت ذلك النسب
في الجن كما اثبته في الملايكة وايضا فان الجن بحسب اللغة هو كل ما يستتر سوا كان ملكا او غيره وبحسب العرف اختص
بالبعض كما ان لفظ الدابة بحسب اللغة يعم كل ما يدب وبحسب العرف اختص ببعض ما يدب فيحتمل ان يكون هذه
الاية على اصل اللغة وثانيها ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اوليا من دوني والملايكة لا ذرية لها
لان الذرية انما تحصل من الذكر والانثى والملايكة لا انثى فيها لقوله تعالى وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم انكر على من حكم عليهم بالانوثة وثالثها ان الملايكة معصومون لقوله تعالى لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وابليس لم يكن كذلك واحتج القايلون بكونه من الملايكة بامرين الاول ان
الله استثناه من الملايكة فيكون منهم لان الاستثنا يفيد اخراج ما لولاه لدخل فيه لا يقال هذا الاستثنا
منقطع والاستثنا المنقطع في كلام العرب قال الله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني برا مما تعبدون الا
الذي فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض
وقال وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا لانا نقول حمل على الاستثنا المنقطع على خلاف الاصل فلا يصار اليه
الا عند الضرورة والدلايل التي ذكرتموها في انه ليس من الملايكة لا اعتماد فيها الا على العمومات فلو جعلناه من الملايكة
لزم تخصيص ما عولتم عليه من العمومات ولو قلنا انه ليس من الملايكة لزمنا حمل الاستثنا على المنقطع وتخصيص العمومات
الكثيرة في كتاب الله من حمل الاستثنا على المنقطع فكان تخصيص العموم اولى الثاني لو لم يكن ابليس من الملايكة
لكن نشا معهم وطال خلطته بهم فلهذا تناوله الخطاب ولين سلم ان الخطاب غير متناول لكن امره الله تعالى
بالسجود بلفظ اخر يشاهد قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك لانا نقول ان المخالطة لا تقتضي تناول الخطاب
فان خطاب الذكور لا يتناول الاناث مع شدة المخالطة وان ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعلية فذكر الابا والاستكبار
عقيب قوله واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم مشعر بان الابا انما حصل بسبب مخالفة هذا الامر لا
بسبب مخالفة امر اخر اذا عرفت هذا فقد اتفقوا من ذهب الى ان ابليس من الملايكة جعل الاستثنا منقطعا الا
صاحب الكشاف فانه ذهب الى انه ليس منهم وجعل الاستثنا متصلا فانه قال الا ابليس استثنا متصل
لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملايكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى
منهم استثنا واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا قوله ابى واستكبر جملتان على سبيل الاستيناف
كانه جواب لمن قال فما فعل ابليس فقيل في جوابه ابى واستكبر فيكون الوقف على ابليس تاما ولا محل لهما من
الاعراب وقيل الجملتان في محل النصب على الحال من ابليس تقديره ترك السجود ممتنعا ومستكبرا
عنه فالوقف على واستكبر وكان من الكافرين ايضا استينافا او حالا والابا الامتناع وهو من الافعال
المفيدة للنفي ولذلك وقع بعده الاستثنا المفرغ قال صاحب الكشاف اي امتنع مما امر به واستكبر فيه
وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر لقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه
اختلف العقلا في ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان كافرا فمنهم من قال انه كان كافرا ابدا ايدل على ذلك
ما نقل عن شارح الاناجيل الاربعة انه وقع المناظرة بين الملايكة وبين ابليس بعد الامر بالسجود وابايه
قال ابليس للملايكة اني اسلم ان الله خالقي وخالق الخلق لكن لي على حكمه اسولة سبعة الاول ما الحكمة في

الخلق

الخلق لاسيما اذا كان عالما بان الكافر لا يستوجب عند خلقه الا الالم الثاني ما الفايدة في التكليف مع
تنزهه عن عود الفايدة اليه وما يعود على المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير توسط التكليف الثالث
انه كلفني معرفته وطاعته فلماذا كلفني السجود لادم الرابع لما عصيته بترك السجود لادم فلم
لعنني واوجب عقابي مع انه لا فايدة له ولا لغيره فيه ولي فيه اعظم الضرر الخامس ثم لما فعل ذلك
فلم مكنني من الدخول في الجنة ووسوسة ادم السادس ثم لما فعل ذلك فلم سلطني على اولاده ومكنني
من اغوايهم واضلالهم السابع ثم لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلم امهلني ومعلوم ان العالم
لو كان خاليا عن الشر لكان ذلك خيرا فاوحى الله اليه من سرادقات الجلال يا ابليس انك ما عرفتني ولو
عرفتني لعلمت انه لا اعتراض علي في شي من افعالي فاني انا الله لا اله الا انا لا اسال عما افعل اعلم انه
لا جواب عن هذه الشبهات الا الجواب الذي ذكره الله ومنهم من قال انه كان مومنا ثم كفر وقال
معنى قوله وكان من الكافرين اي في علمه اي الله تعالى كان عالما في الازل بانه سيكفر فصفة كان
متعلقة بالعلم لا بالمعلوم وقيل انه لما كفر في وقت معين بعدما كان مومنا فبعد مضي كفره صدق
عليه انه كان من الكافرين وقيل المراد من كان صار ثم اختلفوا فمنهم من قال ان قوله وكان من الكافرين
يدل على انه وجد قبل ابليس جمع من الكافرين لان من للتبعيض فيقتضي وجود قوم اخرين من الكفار لكون
هو بعضا منهم يشاهده ما روي عن ابي هريرة ان الله خلق خلقا من الملايكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فقالوا لا نفعل ذلك فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم
وكان ابليس من اوليك الذين ابوا ومنهم من قال هذه الاية لا تدل على ذلك فان معنى الاية انه صار من الذين
وافقوهم في الكفر بعد ذلك ومنهم من قال ان هذا اضافة فرد من افراد الماهية الى تلك الماهية فلا
تقتضي وجود تلك الماهية كما ان الحيوان الذي خلقه الله اولا يصح ان يقال انه فرد من افراد الحيوان
لا بمعنى انه فرد من افراد الحيوان الموجود خارج الذهن بل بمعنى انه فرد من افراد هذه الماهية وتفرع
على هذا ان ابليس هو اول من كفر بتلك المعصية واجيب بانه اذا كان ابليس كافرا من اول الامر فلا
حجة فيها واذا كان مومنا قبل هذا فالكفر انما هو باستكباره واعتقاده انه محق في الابا والاستكبار
واستدلاله على ذلك بقوله انا خير منه ولما كان هذه الاية مما يستدل به على تفضيل ادم على الملايكة
ناسب ان نذكر هذه المسالة ها هنا ذهب اكثر اهل السنة والشيعة الى تفضيل الانبيا على الملايكة مطلقا
وذهب الحكما والمعتزلة والقاضي ابو بكر الباقلاني وابو عبد الله الحليمي الى ان الملايكة العلوية
افضل من الانبيا دون الملايكة السفلية احتج الاولون بوجوه الاول انه تعالى امر الملايكة بالسجود
لادم وهذا السجود سجود تواضع وتعظيم لا سجود عبادة فيكون ادم افضل منهم لان الله تعالى لا يامر الافضل
بغاية التواضع ونهاية التعظيم للمفضول الثاني ان ادم اعلم من الملايكة لانه تعلم الاسما كلها والملايكة
لا يعلمونها يشاهده قوله تعالى ثم عرضهم على الملايكة فقال انبيوني باسما هولا ان كنتم صادقين قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبيهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم قال الم اقل
لكم اني اعلم الاية والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون الثالث قوله
تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين اي اصطفاهم على جميع المخلوقات
والملايكة منهم ترك العمل به فيمن لم يكن نبيا من الاولين فيبقى معمولا به في حق الانبيا فيكون الانبيا افضل
من الملايكة فان قيل هذا مشكل بقوله تعالى يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين فانه يلزم ان يكون بنو اسرايل افضل من محمد ومن الملايكة وهو باطل بالاتفاق اجيب
بان قوله تعالى واني فضلتكم على العالمين خطاب مع الانبيا الذين كانوا ابنا يعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم

ايضا لكن موجودا في ذلك الوقت فلا يكون من العالمين لان غير الموجود لا يكون من العالمين فلا يلزم من
تفضيلهم على العالمين في ذلك الوقت ان يكونوا افضل من محمد واما جبريل وغيره من الملائكة فهم موجودون
حين قال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين فيلزم ان يكون الله تعالى
قد اصطفاهم على جبريل وايضا فبان تلك الاية قد خصصت لقيام الدليل عليه فمنا لا دليل يوجب
التخصيص فيجب اجراوه على ظاهره في العموم الرابع قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
والملائكة منهم فيكون محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لهم فيكون افضل منهم الخامس ان طاعة البشر اشق من طاعة
الملك لان طاعة البشر مع الموانع من الشهوة الداعية الى الفساد والغضب الداعي الى سفك الدما ووسوسة
الشيطان الداعية الى المعصية والشبهة الصارفة عن الطاعة والحاجة الى الاستنباط وطاعة
الملك خالية عن هذه الموانع والصوارف والفعل مع الموانع والصوارف اشق منه بدونها فيكون افضل
لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادة احمزها اي اشقها السادس انه تعالى خلق الملائكة عقولا بلا
شهوة وللبهائم شهوة بلا عقل وللبشر عقلا وشهوة فالبشر بالعقل فوق البهائم وبالشهوة دون الملائكة فتغلبه
شهوته على عقله يصير دون البهائم قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقال ثم رددناه اسفل
سافلين فاقتضى غلبة عقله على شهوته ان يصير اعلا رتبة من الملائكة اعتبارا لاحد الطرفين بالاخر
قال الله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون السابع قوله صلى الله عليه وسلم
ان لي وزيرين في السما ووزيرين في الارض اما اللذان في السما فجبريل وميكايل واما اللذان
في الارض فابو بكر وعمر ولا شك ان صاحب الوزير اجابوا عن الوجه الاول بانه لا محذور
في امر الله تعالى الملائكة الذين هم اشرف من ادم بسجودهم له فان الحكمة قد تقتضي ذلك كثيرا من عجب الاشرف
واظهار الهيبة الانقياد والطاعة وايضا يفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد ولا تعلل افعاله وعن
الثاني بانا لا نسلم ان ادم اعلم منهم غاية ما في الباب ان ادم كان عالما بجميع اللغات وهم ما علموها فيحتمل ان
يكونوا عالمين باشيا لم يكن ادم عالما بها والذي يدل على هذا انا توافقنا ان محمدا افضل من ادم مع ان
محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن عالما بجميع اللغات وعن الثالث انه لا يترك العمل به في من لم يكن نبيا من الاولين
وترك العمل به في الملائكة العلوية بالدلايل الدالة على شرفهم وعن الرابع بانه لا يلزم من كونه صلى الله عليه
وسلم رحمة لهم ان يكون افضل منهم فانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم رحمة لهم من وجه
اخر وعن الخامس بانه منقوض بتحمل كثير من اهل المجاهدة المشاق والمتاعب في طريق المجاهدة
مع علمنا بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحمل مثلها وهو افضل من الكل وعن السادس بانه جمع بين الطرفين
من غير جامع واحتج الاخرون بوجوه الاول قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته الى قوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون والاستدلال به من وجهين احدهما انه ليس المراد من هذه العندية المكان
والجهة بل عندية القرب والشرف وهذا القرب والشرف لا لغيرهم ورد بان هذه العندية
حاصلة في الاخرة لاحاد المومنين شاهده قوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر
واما في الدنيا فقد قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عنه تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم وهذا الكلام
اشعار ايا التعظيم له لا لانه انه تعالى عندهم ولا شك ان كون الله تعالى عندهم ادخل في التعظيم
من كون الملائكة عنده تعالى وثانيهما انه احتج بعدم استكبارهم على ان غيرهم ينبغي ان لا يستكبروا
ولو كان البشر افضل منهم لما تم هذا الاحتجاج فان السلطان اذا اراد ان يقرر فوقا على
وجوب طاعتهم له يقول الملوك لا يستكبرون عن طاعتي فمن هولا المساكين حتى يستكبروا عن طاعتي
ولقايل ان يقول لا نزاع في ان الملائكة اشد قوة وقدرة من البشر ويكفي في صحة الاحتجاج

هذا

هذا القدر من التفاوت فانه تعالى يقول ان الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات
والارض وامنهم من الهرم والمرض وطول عمرهم لا يتركون العبادة لحظة واحدة فالبشر مع نهاية ضعفهم ووقوعهم
في المرض في اسرع الاوقات والهرم وانواع الافات اولى ان لا يستكبر وامثال هذا القدر كاف في صحة هذا
الاحتجاج ولا نزاع في حصول التفاوت في هذا المعنى انما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب فلم قلتم
ان هذا الاحتجاج لا يصح الا اذا كان الملك اكثر ثوابا من البشر ولا بد فيه من دليل مع ان المتبادر الى الفهم
هو الذي ذكرناه الثاني ان عبادة الملائكة اشق من عبادة البشر لان الملائكة كل واحد منهم مواظب على عمل
واحد لا يعدل الى غيره قال الله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن
الصافون وانا لنحن المسبحون وكانت عبادتهم اشق فيكون افضل لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها
ولقايل ان يقول لا نسلم ان من كان عبادته اشق يكون ثوابه اكثر فان بعض السالكين قد يتحمل في طريق المجاهدة
من المشاق والمتاعب ما نقطع بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحمل بعض ذلك ثم انا نقطع بان النبي صلى الله عليه
وسلم افضل منه فعلمنا ان كثرة المشقة في العبادة لا تقتضي كثرة الثواب ولا تحصل الا بنا على الدواعي والمقصود فلعل
الفعل الواحد ياتي به مكلفان على السوا فيما يتعلق بالافعال الظاهرة ويستحق احدهما به ثوابا عظيما
دون الاخر لما ان اخلاص احدهما اشق واكثر من اخلاص الثاني فان كثرة العبادات ومشقتها لا تقتضي التفاوت
في الفضل ولين سلمنا ان الاشق افضل ولكن لا نسلم ان عبادات الملائكة اشق فلم المواظبة على نوع واحد من العمل
شاقة قلنا لا نسلم بل الامر بالعكس فان من اعتاد نوعا واحدا من العبادة صار كالمجبور الذي لا يقدر خلافه
وكان اسهل الثالث عبادة الملائكة ادوم لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون والادوم اشق
والاشق افضل ولقايل ان يقول لا نسلم ان الادوم اشق وان الاشق افضل لما ذكرنا ان كثرة الثواب
راجع الى الدواعي والمقصود فيجب ان يكون الطاعة القليلة تقع من الانسان على وجه يترتب عليه ثواب
اكثر والطاعات الكثيرة تقع على وجه لا يترتب عليها الا القليل من الثواب الرابع ان الملائكة اسبق السابقين
في كل العبادات بالاجماع والسابقون افضل لقوله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون ورد هذا
بانه منقوض لان ادم اسبق في العبادة من محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكون افضل منه والتحقيق ان كثرة الثواب
راجع الى الدواعي والمقصود لا الى السبق الخامس ان الملائكة رسل الانبيا والرسول افضل من المرسل
اليه ولقايل ان يقول ان الرسل افضل من المرسول اليه اذا كان حاكما عليه واما اذا كان الرسول حاكما عليه
بل رسولا للخبر عن بعض الامور فلا والملائكة بالنسبة الى الانبيا على الوجه الثاني فلا يكونون افضل من
الانبيا بخلاف الانبيا بالنسبة الى اممهم فانهم مرسلون اليهم على الوجه الاول فلا جرم كانوا افضل من اممهم
السادس قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون خرج مخرج التاكيد
للمتقدم ومثل هذا التاكيد انما يكون بذكر الافضل والترقي من الادنى الى الاعلا يقال هذا العالم لن يستنكف
الامير من خدمته ولا السلطان ولا يقال لا يستنكف الامير من خدمته ولا البواب ولقايل ان يقول سياق الاية
اقتضى الترقي من الادنى الى الاعلا لا يقتضي ان يكون الملائكة المقربون افضل بيان ذلك ان النصارى
لما وجدوا عيسى ولد من غير اب من جنس البشر اخرجوه من زمرة العبيد واعتقدوا انه لا يكون عبدا لله تعالى
والله سبحانه وتعالى رد عليهم بان كون المسيح مولودا بلا واسطة اب من جنس البشر لا يقتضي خروجه
عن زمرة العبيد فان المسيح وان خلق بلا واسطة اب لا يستنكف ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
الذين خلقهم الله تعالى بلا واسطة فالترقي من الادنى الى الاعلى في الشرف السابع قوله حكاية عن ابليس
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ولولم يكن متقررا عند ادم وحوا ان الملك افضل من
البشر لم يقدر ابليس على ان يغرهما بذلك ولا كان ادم وحوا يغتران بذلك ولقايل ان يقول هذا قول

خير ح

تعالى ح

لكن ح

هذا قول ابليس فلا يكون حجة لا يقال ان ادم اعتقد صحة ذلك والا لما اعترض واعتقاد ادم ليس حجة لانا
نقول لعل ادم اخطا في ذلك اما الان الزلة جائز على الانبيا ولانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب
انه حجة لكن ادم لم يكن قبل الزلة نبيا فلم يلزم من فضل الملك عليه في ذلك الوقت فضل الملك عليه حال ما صار
نبيا وايضا فبت انه لا يدل على ان الملك افضل من البشر في بعض الامور المرغوبة فلم قلتم انه يدل
على فضل الملك على البشر في باب الثواب وذلك انه لا نزاع ان الملك افضل من البشر في باب
القدرة والقوة وفي باب الحسن والجمال وفي باب الصفا والنقا عن الكدورات الحاصلة بسبب التركيبات
فان الملئكة خلقوا من الانوار وادم مخلوق من التراب فلعل ادم وان كان افضل منهم في كثرة الثواب
الا انه رغب في ان يكون مساويا لهم في تلك الامور التي عددناها فكانا من هذا
الوجه الثامن قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك
ولقائل ان يقول يحتمل ان يكون المراد ولا اقول لكم اني ملك في شدة القوة والذي يدل على صحة
هذا الاحتمال ان الكفار طالبوه بالامور العظيمة وهذه الامور لا يمكن تحصيلها الا بالقدرة الشديدة
التاسع قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولقائل ان يقول فقوله تعالى وقال
نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال
مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت
اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من
الصاغرين ظاهر بل كالصريح في ان مراد النسا بقولهن ان هذا الا ملك كريم تعظيم امر يوسف في الصورة
والجمال لا في السيرة والكمال فان ذلك لا يناسب شدة عشقها له فان ذلك لا يناسب سلب عشقها له
العاشر قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا تقريره ان المخلوقات اما المكلفون او غيرهم
ولا خلاف في ان المكلفين افضل من غيرهم والمكلفون انواع اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين
ولا شك ان الانس افضل من الجن والشياطين فتعين ان يكون الملئكة افضل من الانس والا لم يكن لقوله
تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فايدة بل ينبغي ان يقال وفضلناهم على جميع من خلقنا تفضيلا
ولقائل ان يقول هذا تمسك بدليل الخطاب لان التصريح بقوله على كثير ممن خلقنا لا يدل على ان الباقي افضل
منهم بل غايته انه يدل بدليل الخطاب على انه تعالى ما فضلهم على الباقي ولم يلزم ان يكون الباقي افضل منهم
الا بالتصريح ولا بدليل الخطاب ولئن سلم انه يدل على ان جنس الملائكة افضل من جنس بني ادم ولكن لا يلزم من كون
احد الجنسين افضل من الجنس الاخر ان يكون كل واحد من افراد احد الجنسين افضل من افراد الجنس الثاني
الحادي عشر الانبيا ما استغفروا لاحد الا بدوا بالاستغفار لانفسهم ثم لغيرهم قال ادم ربنا ظلمنا
انفسنا وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وقال ابرهيم رب اغفر لي ولوالدي وقال
موسى رب اغفر لي ولاخي وقال لمحمد واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات والملئكة لم تستغفر لانفسهم
ولكنهم طلبوا المغفرة للمومنين من البشر يدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك وقال ويستغفرون للذين امنوا ولو كانوا محتاجين الى الاستغفار لبدوا بانفسهم لان دفع
الضرر عن النفس مقدم على دفع الضرر عن الغير قال صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك ثم بمن تعول وهذا
يدل على ان الملك افضل ولقائل ان يقول هذا يدل على ان الملئكة ليس من شانهم صدور المعصية وان البشر من
شانه ذلك والتفاوت في ذلك لا يقتضي التفاوت في الفضيلة ومن الناس من قال ان استغفارهم للبشر كالعذر
عما طعنوا فيه بقوله اتجعل فيها من يفسد فيها الثاني عشر قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وهذا عام

والقدرة

لان ظهور عذرها في شدة عشقها انما يتحقق بسبب فرط يوسف في حسن الصورة والجمال لا في السيرة والكمال
م

في جميع المكلفين من بني ادم فيدخل فيه الانبيا وغيرهم وهذا يقتضي كونهم افضل من البشر لان الحافظ للمكلف
من المعصية لا بد وان يكون ابعد عن الخطا والزلل من المحفوظ وذلك يقتضي كونهم ابعد من المعاصي
واقرب الى الطاعات من البشر وهذا يدل على زيادة الفضل لان الله تعالى جعل كتابتهم حجة للبشر في الطاعات
وعليهم في المعاصي وذلك يقتضي ان يكون قولهم اولى بالقبول من قول البشر ولو كان البشر اعظم حالا
منهم لكان الامر بالعكس ولقائل ان يقول لا يلزم ان يكون الحافظ افضل من المحفوظ فان الملك قد يوكل
بعض العبيد على ولده ولا يكون الحافظ اشرف من المحفوظ ولا يلزم ان يكون من كان قوله اولى بالقبول افضل
فان الشاهد قد يكون ادون حالا من المشهود عليه الثالث عشر قوله تعالى والمومنون كل امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله بدا بنفسه وثنى بملائكته وثلث بالكتب وربع بالرسل وقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم وقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة فان
العرب تستقبح تقديم الادون على الاشرف فان الشاعر لما قال كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال عمر رضي الله
عنه لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقع التنازع
في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعوية وهذا يدل على ان التقديم في الذكر يدل على مزيد
الشرف فيكون في الشرع كذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ولقائل ان
يقول التقديم في الذكر لا يدل على التقديم في الشرف بدليل تقديم سورة الاخلاص الرابع عشر
قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فجعل صلوة الملائكة
على النبي كالتشريف له وهذا يدل على انهم اشرف منه ولقائل ان يقول هذا ينتقض بقوله يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما فامر المومنين بالصلوة عليه ولم يلزم ان يكونوا افضل منه الخامس عشر فضل جبريل
عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين وما صاحبكم بمجنون وصف جبريل بست صفات كونه رسولا وكريما على الله وذا قوة عند الله ومكينا
عند الله ومطاعا في السموات وامينا في كل الطاعات ثم وصف النبي بقوله وما صاحبكم بمجنون وهذا
يدل على ان جبريل عليه السلام افضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولقائل ان يقول الاجماع حاصل
بان للنبي صلى الله عليه وسلم فضائل اخرى ما ذكرها ها هنا من انه ليس بمجنون فيجوز ان يكون تلك الفضائل
التي هي غير مذكورة ها هنا تكون مقتضية لان يكون النبي صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وقد وصف
الله النبي صلى الله عليه وسلم بصفات ثمان وهي قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا السادس عشر الملك اعلم من البشر لان جبريل كان معلما لمحمد صلى الله عليه وسلم
فيكون افضل منه لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولقائل ان يقول لا نسلم انه
اعلم من النبي ولكن لا يلزم ان يكون افضل منه لما علمت انه لا يلزم ان يكون الاعلم اكثر ثوابا من غيره
السابع عشر قوله صلى الله عليه وسلم رواية عن الله تعالى اذا ذكرني عبدي في ملا ذكرته في ملا
خير من ملائه وهذا يدل على ان الملا الاعلى اشرف ولقائل ان يقول هذا خبر واحد وايضا يدل
على ان ملا الملائكة افضل من ملا البشر وملا البشر عبارة عن العوام لا عن الانبيا فلا يلزم ان يكون الملك افضل
من البشر الثامن عشر ان الملائكة هي الارواح السماوية مبراة عن القوى التي هي مبادي الافعال المختلفة
فالارواح السماوية ابسط من الارواح البشرية وما هو ابسط اشرف ورد هذا بانا لا نسلم ان ما
هو ابسط اشرف فان الارواح السماوية ليس لها الا جانب واحد والارواح البشرية لها جانبان
وما له جانبان اشرف مما له جانب واحد وهذا هو السر في امر الله تعالى الملائكة بالسجود لادم التاسع
عشر الارواح السماوية مبراة عن الشهوة التي هي منشا الفساد والغضب الذي هو منشا سفك الدما

والارواح البشريه مقارنه لها والخالي عن مبدا الشر اشرف من المتلبس به ورد بان الارواح البشريه
وان كانت مقارنه لها الا ان لها كمالا فوق كمال قوى الارواح السماويه يدل عليه قوله تعالى ثم عرضهم على
الملايكه فقال انبيوني باسما هولا ان كنتم صادقين وقوله قال يا ادم انبيهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم
قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ولهذا صار ادم مسجود الملايكه العشرون الارواح
السماويه مبراه عن طبيعة القوه وان كل ما امكن لها حسب انواعها التي هي في اشخاصها فقد حصل
بالفعل والارواح البشريه بخلافها ولاشك ان ما بالفعل اشرف مما بالقوه ورد بانا لانسلم ان الارواح
السماويه مبراه عن طبيعة القوه بل في بعضها بالقوه فان تحريكها للسما لاستخراج التعقلات التي هي بالقوه الى
الفعل فان الحركات التي لها بالنسبه اليها كالحركات الفكريه والتخييليه بالنسبه الى الارواح البشريه لاستخراج
التعقلات التي هي بالقوه الى الفعل الحادي والعشرون الارواح السماويه نورانيه علويه لطيفه
والارواح البشريه ظلمانيه كثيفه سفليه وبديهة العقول السليمه شاهده بان النور والعلو واللطف
اشرف من الظلمه والسفل والكثيف ورد بانا لانسلم ان الارواح البشريه بهذه الصفات ولا يلزم من كون
الاجساد البشريه بهذه الصفات كون الارواح البشريه كذلك وهذا الوجه هو حجة ابليس حيث قال
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ثم هذه الوجوه التي ذكرها الفريقان بعض حججهم ولم يفد شي منها
القطع قال الله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيا وليس من شرط صحة الايمان العلم بتفضيل احد الجنسين
على الاخر فانه لو كان العلم به شرطا لصحة الايمان لكان واجبا على الرسول ان لا يحكم بايمان احد الا
بعد ان يعرف انه هل عرف الحق في هذه المسله ام لا ولو كان الامر كذلك لاشتهر قوله صلى الله عليه
وسلم في تلك المسالة من اصحابه ولنقل ذلك على سبيل التواتر فلما لم ينقل دل على انه صلى الله عليه وسلم ما وقف
الايمان عليه فالاولى ان نتوقف في هذه المسله ولا نذكر تفضيل احد الجنسين على الاخر قوله تعالى

وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنه وكلا منها رغدا حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجره فتكونا
من الظالمين قلنا عطف على قلنا اي اذكر اذ قلنا يا ادم وقيل عطف على اذ قلنا لا على قلنا وحين زمانهما
اسكن امر من سكن يسكن سكونا اي اتخذ الجنه مسكنا وماوى وليس معناه لا تتحرك فان هذا اللفظ مشترك
قال صاحب الصحاح سكن الشي سكونا وسكنه غيره تسكينا وسكنت داري واسكنتها غيري والاسم
منه السكنى كما ان العتبى اسم من الاعتاب وهم سكان فلان والسكان ايضا ذنب السفينه وانت
تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه اذا كان المعطوف عليه ضميرا مرفوعا متصلا ولا يشترط
الفاصل ان يكون تاكيدا بل لابد من فاصل نحو ما اشركنا ولا اباونا وزوجك عطف على الضمير المستكن
في اسكن ومنع بعضهم ان يكون زوجك عطفا عليه لان حق المعطوف حلوله محل المعطوف عليه ولا يصح
حلول زوجك محل الضمير المستكن في اسكن لانه فاعل الامر الواحد المذكر وفاعله لا يكون الا ضميرا
مستكنا فلا يصح وقوع الظاهر موقعه اذ لا يصح وقوع اسكن زوجك فان الغايب لا يومر بلفظ الحاضر
وهذا ليس بشي فان الغايب يندرج في حكم الحاضر قضية للعطف فينسحب حكمه عليه فانه لا خلاف في صحة قولك
تقوم هند وزيد ولا يصح تقوم زيد والجنه مفعول به لا ظرف نحو سكنت الدار وقيل هي ظرف على الاتساع
وكان الاصل تعديته بفي لكونها ظرف مكان معين وما بعده قلنا في محل النصب به قوله وكلا
هذه الجمله معطوفه على اسكن فهو في محل نصب بقلنا واصل كل اكل بهمزتين الاولى همزة وصل
والثانيه فا الفعل فلو جات على الاصل لقيل اوكل بابدال الهمزة الثانيه الساكنه حرفا مجانسا لحركة
ما قبلها الا ان العرب حذفت الهمزة التي هي فا الفعل في الامر تخفيفا فاستغنت حينيذ عن همزة الوصل
فوزنه عل ومثله خذ ومر ولا ثالث على هذه الثلاث غيرها ومن للتبعيض وها عايد الجنه ومنها

متعلق

متعلق بقوله كلا ولابد من حذف مضاف اي من ثمارها والاحسن ان يجعل من لابتدا الغايه ورغدا
وصف لمصدر محذوف اي اكلا رغدا اي واسعا رافها يقال عيشة رغد ورغد اي واسعه
طيبه وقيل الرغد ان ياكل ما شا متى شا حيث شا وقيل رغدا نصب على الحال اكلا طيبين متهنيين
حيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنه شيتما والمشهور انها مبني لشبهها بالحرف في الافتقار الى الجمله
وبنيت على الضم تشبيها بقبل وبعد ونقل الكسائي اعرابها وهي لازمة الظرفيه لا تتصرف وقد تجر كقوله من حيث
امركم الله وهي لازمه للاضافه الى جمله مطلقا ولا تضاف الى المفرد الا نادرا وقد تزاد ما فتجزم فعلين
شرطا وجزا والعامل فيها كلا وشيتما في محل الخفض باضافة الظرف اليه وكسر الشين كقولك هيتما وخفتما
لان شا فعل بكسر العين وقيل الكسره محوله من فتحه لتدل على اليا نحو بعتما لان شا فعل بفتح العين قوله ولا تقربا
من قربت الشي اقربه بالفتح قربانا اذ دنوت منه وقرب الشي يقرب بالضم فيهما اي دنا وقيل ولا تقربا بالفتح
معناه لا تلتبس بالفعل ولا تقرب بالضم معناه لا تدن منه ولا ناهيه وتقربا مجزوم بها حذفت نونه والالف فاعل
وهذه مفعول به اسم اشارة المونث والشجره واحد الشجر اسم جنس وهي ما لها ساق يبقى في الشتا قال صاحب
الصحاح فيه الشجر والشجره ما كان على ساق من نبات الارض والنجم من النبات ما لم يكن على ساق قال الله
تعالى والنجم والشجر يسجدان نعت لهذه وان كان وصفها للذات لان هذه دلالتها على الذات فيتعين دلالة
الشجره على المعنى لتقدم ما دل على الذات وهو معنى الصفه ولا يوصف غير اسم الاشاره لا دلاله فيه على حقيقة الذات
فاحتيج الى بيان حقيقتها فاتى باسم الجنس لذلك ومثل اسم الاشاره في ذلك قولهم يا ايها الرجل ومنهم من
قال الشجره بدل من هذه لان النعت يجب ان يكون مشتقا وقيل الشجره نعت لهذه لتناولها بمشتق اي هذه
الحاضره من الشجر وعند المحققين كلما دل على معنى في متبوعه يصح ان يكون نعتا سوا كان مشتقا او غيره
ولكن لما كان الاكثر في هذا المقصود وضع المشتق توهم كثير من النحويين ان الاشتقاق شرط حتى تاولوا غير
المشتق الى المشتق قوله فتكونا من الظالمين فيه وجهان احدهما ان يكون مجزوما عطفا على تقربا والثاني
ان يكون منصوبا على جواب النهي لقوله تعالى لا تطغوا فيحل والنصب باضمار ان عند البصريين وبالفا نفسها عند
الجرمي وبالخلاف عند الكوفيين ومن الظالمين خبر كان والظلم اصله وضع الشي في غير موضعه ومن امثال
العرب من اشبه اباه فما ظلم قال الاصمعي اي ما وضع الشبه غير موضعه فقوله من الظالمين اي من
العاصين الذين وضعوا امر الله في غير موضعه وقيل قوله اسكن امر على الحقيقه عن قتاده ان الله
تعالى ابتلى ادم باسكان الجنه كما ابتلى الملايكه بالسجود فكلفه بان يسكن الجنه ياكل منها حيث شا فنهاه عن شجره
واحده ان ياكل منها فما زال به البلا حتى وقع فيما نهي عنه فبدت سوته عند ذلك واهبط من الجنه
فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع انه منعه عن تناوله من اشد التكاليف وقيل اباحه لان الاسكان
في موضع الطيب المتنزه الذي يمتنع فيه لا يدخل تحت التعبد كما ان اكل الطيبات لا يدخل تحت التعبد قوله
وزوجك اراد بها حوا ان الله لما امر الملايكه بالسجود لادم وابى ابليس السجود صيره الله ملعونا ثم امر ادم
بان يسكن الجنه مع زوجه حوا واختلفوا في الوقت الذي خلقت فيه زوجته حوا فذكر السدي عن ابن مسعود
وابن عباس وناس من الصحابه ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنه واسكن ادم الجنه فبقي فيها وحده وحيدا لم يكن
له من يجالسه ويوانسه فالقى الله عليه النوم فخلق الله زوجه حوا من قصيراه اي الضلع التي هي الشاكله وهي
الواهنه في اسفل الاضلاع من شقه الايسر من غير ان احس ادم بذلك ولا وجد له الما ولو الم من ذلك
لما عطف رجل على امراه فلما هب ادم من نومه اذا هو بحوا جالسه عند راسه كاحسن ما خلق الله
فقال لها من انت قالت زوجك خلقني الله عز وجل لك لتسكن الي واسكن اليك فقالت الملايكه عند
ذلك امتحانا لعلم ادم يا ادم ما هذه قال امراه قالوا وما اسمها قال حوا قالوا ولم سميت حوا قال لانها

خلقت من حي قالوا اتحبها يا ادم قال نعم قالوا لحوا اتحبيه يا حوا قالت لا وفي قلبها اضعاف ما في قلبه
من حبه قالوا فلو صدقت امراة في حبها لزوجها لصدقت حوا وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من
الملايكة فحملوا ادم وحوا على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب
مكلل بالياقوت واللولو وعلى ادم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة والاول من الخبرين
دال على ان حوا خلقت في الجنة والثاني دال على انها خلقت قبل ادخال الجنة واختلفوا في الجنة المذكورة في
هذه الاية هل كانت في الارض او في السما وعلى تقدير كونها في السما هل هي جنة الخلد التي هي دار الثواب والجزا
او غيرها فذهب ابو القسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني الى انها لم تكن جنة الخلد بل هي في الارض وكان بستانا من
بساتين الدنيا واحتجا عليه بوجوه منها انها لو كانت جنة الخلد لما لحق ادم الغرور من ابليس بقوله هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى ومنها ان من دخل جنة الخلد لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين
ومنها انه لا يكون فيها ابتلاء وتكليف ومنها انها لا ينقطع نعيمها لقوله تعالى اكلها دايم وقوله تعالى واما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الى ان قال عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع واجيب بان اللوازم
الاربعة انما هي بالنسبة الى من دخلها للثواب لا لمن لا يدخلها للثواب وذهب الجبائي الى انها في السما السابعة
وهي جنة عدن والدليل عليه اهبطوا فان الهبوط الاول كان من السما السابعة الى السما الدنيا والهبوط
الثاني منها الى الارض وذهب جمهور اصحابنا الى انها جنة الخلد والدليل عليه ان الالف واللام فيها
للعهد لا للعموم لان سكنى جميع الجنان غير متصور والمعهود بين المسلمين هي دار الثواب فيصرف اللفظ اليها وقيل
الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة غير مفيدة للقطع والمسلة علمية لا يحتج عليها بالادلة الظنية فوجب
التوقف قوله وكلا هذا الامر للاباحة بقرينة قوله حيث شيتما قوله ولا تقربا قيل نهي التنزيه
لان الصيغة وردت فيه وفي التحريم والاصل عدم الاشتراك فيجعل اللفظ حقيقة للقدر المشترك
دفعا للاشتراك والمجاز والقدر المشترك رجحان الترك على الفعل من غير ان تقيد بالمنع من
الفعل او بالاطلاق والاطلاق كان ثابتا بالاصل فان الاصل في المنافع الاباحة فيضم هذا الى مدلول
اللفظ فيصير المجموع مفيدا للتنزيه وهذا اولى بهذا المقام على هذا التقدير رجع معصية
ادم الى ترك الاولى وما افضى الى عصمة ادم الى ترك الاولى وما افضى الى عصمة الانبيا اولى
وقيل نهي التحريم بقرينة قوله فتكونا من الظالمين فان لما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه الاباحة
والتوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات
من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة من بين اشجارها الغاية للحصر قوله ولا
تقربا هذه الشجرة معناه ولا تقرباها بالاكل لان ادم عصى بالاكل منها لا بان قربها فهي نهي بابلغ
لفظ وقال بعض العلما وقع النهي على جنس من الشجر وقال اخرون وقع النهي على شجرة مخصوصة
واختلفوا فيها فقال ابن عباس وابن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وقتادة وعطية
العوفي ومحارب بن دثار ومقاتل هي السنبلة وقيل انها الكرم روي عن ابن مسعود وسعيد بن جبير
وجعدة بن هبيرة وقيل انها التين روي عن الحسن وعطا بن ابي رباح وقيل انها شجرة تعالى الها شجرة
العلم فيها من كل شي روي عن قتادة وابي صالح وقيل انها شجرة الكافور نقل عن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه وقيل هي النخلة روي عن ابي مالك وقيل هي شجرة الخلد والاختلاف في جنسها وزعم
اليهود انها الحنظلة كانت حلوة فمرت من حينيذ وقيل هي شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي ان
يكون في الجنة حدث وليس في شي من هذه التعيينات ما يعضده خبر صحيح ولا حاجة الى بيانه
لانه ليس المقصود من هذا الكلام ان يعرفنا عين تلك الشجرة وما ليس بمقصود في الكلام لا يجب على
الحكيم

واحد

بلغ مقابلة

الحكيم ان يبينه بل ربما كان بيانه عبثا والصواب ان الله تعالى نهى ادم وفي نهي ادم ما يدل على ان سكناه
في الجنة لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شي ولا يومر ولا ينهى **قوله تعالى** فازلهما الشيطان عنها
فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قرا حمزة
فازالهما والباقون فازلهما الاول من الزوال عن المكان اي ازالهما من الجنة ان كان الضمير في عنها للجنة
او ازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة ان كان الضمير في عنها للشجرة وقيل معناه صرفهما عن طاعة الله فاوقعهما في الزلة
لان اغواءه وايقاعه لهما في الزلة سبب للزوال والثاني من الزلة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسبب الشجرة وتحقيقه
فاصدر الشيطان زلتهما عن هذه الشجرة فعلى هذا عن فيه معنى السببية نحو هذا مثلها في قوله تعالى وما فعلته عن
امري اي ما صدرت الفعل عن امري او كوني فاعلا ما صدر عن امري وفي قول الشاعر ينهون عن اكل وعن شرب وقيل
فازلهما عنها اي اذهبهما عن الجنة وابعدهما عنها كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنها وزل
من الشهر كذا وعنها متعلق بقوله فازلهما في القرايتين والضمير في عنها عايد على الجنة في الوجه الاول من معنى القراة
وفي الوجه الثاني من معنى القراة الثانية وعلى الشجرة في الوجه الثاني من معنى القراة الاولى وفي الوجه الاول
من معنى القراة الثانية وعن فيه بمعنى السببية على الوجه الاول من معنى القراة الثانية وعلى الوجوه الثلاثة
الاخر عن على بابها من المجاوزة وقيل الضمير في عنها للطاعة وللحالة او للسما وان لم يجر لها ذكر لدلالة السياق عليها
وهذا بعيد جدا قوله فازلهما عطف على قوله وقلنا يا ادم اسكن قوله هما مفعوله والشيطان فاعله
والمفعول هنا واجب التقديم لانه ضمير متصل والفاعل مظهر وقيل قوله فازلهما معطوف على جملة محذوفة
يدل عليه السياق اي فاكلا قوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه متعلق باخرج وفي قوله ما في مما يجوز ان تكون
موصولة اسمية وان تكون نكرة موصوفة اي فاخرجهما من المكان او النعيم الذي كانا فيه والجملة التي هي قوله
كانا فيه على التقدير الاول صلة لما لا محل لها من الاعراب وعلى التقدير الثاني صفة لما لها محل من الاعراب
وهو الجر ومن لابتدا الغاية قيل اذا جعل فازلهما بمعنى ازال عن المكان كان قوله فاخرجهما مما كانا فيه تاكيدا
اذ قد يمكن ان يزلهما عن مكان كانا فيه الى مكان اخر قيل عليه هذه التسمية شي بالتاسيس لا للتاكيد
لافادته معنى جديد او لقايل ان يقول المراد من التوكيد ها هنا تقوية المعنى المقصود وهو لا ينافي
التاسيس قيل كيف يوصل الشيطان الى ابليس الجان لاالهما وان التهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم
اجيب بانه منع من دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملايكة ولم يمنع من دخولها على جهة
الوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل كان يدنو من السما فيكلمهما وقيل انه وقف على باب الجنة وناداهما فاله
الحسن وقيل ان ابليس اراد الدخول ليوسوس ادم وحوا فمنعته الخزنة فاتى الحية وكانت من احسن
الدواب لها اربع قوايم كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت صديقا لابليس فسالها ان يدخل الجنة
في فمها اي بحيها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان ادم لما دخل الجنة وراى ما فيها من
النعيم والكرامة فقال لو ان خلدا فاغتنم الشيطان ذلك منه فاتاه من قبل الخلد فلما دخل الجنة وقف
بين يدي ادم وحوا وهما لا يعلمان انه ابليس فناح عليهما نياحة احزنتهما وبكا فقالا له ما يبكيك فقال
ابكي عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس
ثم اتى بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لمن
الناصحين فاغترا وما كانا يظنان ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم
حتى اكلها وقيل ما اكل ادم من الشجرة وهو يعقل وقيل حوا اسقته حتى اذا سكر قادته اليها فاكل وقيل
ان حبه لحوا اغطى على قلبه فغفل عن امر ربه فاكل فلما اكل تهافتت اي تساقطت ثيابهما وبدت سواتهما
واخرجهما من الجنة قيل ولعنت الحية وردت قوايمها في جوفها وجعل العداوة بينها وبين بني ادم وقيل

لحوا كما ادميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم كل شهر ولذلك تحملين كرها وتضعين كرها تشرفين به على الموت
مرارا وقيل ويصيبك النفاس وتكونين سفيهة وقد كنت حليمة قال الامام الاخير من الاقوال قول القصاص
روي عن وهب بن منبه والسدي عن ابن عباس وينبغي ان لا يلتفت اليه لان ابليس لو قدر على الدخول في
فم الحية لقدر ان يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة ولانه لما دخلت الحية ذلك فلم عوقبت مع انها ليست بعاقلة
مكلفة واختلف العلماء في معصية ادم بالاكل فقال قوم انه نهي عن شجرة بعينها فاكل من جنسها وقال اخرون
تاول الكراهة في النهي دون التحريم واختلفوا في عصمة الانبيا والاختلاف فيها راجع الى اربعة اقسام
الاول ما يقع في باب الاعتقاد الثاني ما يقع في باب التبليغ الثالث ما يقع في باب الاحكام والفتيا الرابع
ما يقع في افعالهم وسيرهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند جل الامة وقال اكثر الفضيلية
من الخوارج انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر فلا جرم قالوا بوقوع الكفر واجازت الامامية
عليهم اظهار الكفر تقية واما الثاني فقد اجمعت الامة على انهم معصومون عن الكذب والتحريف فيما يتعلق
بالتبليغ والا لارتفع الوثوق بالتبليغ واتفقوا على ان ذلك كما لا يجوز وقوعه منهم عمدا لا يجوز ايضا سهوا
ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن عادة واما الثالث فاجمعوا
على انه لا يجوز خطاؤهم فيه على سبيل العمد وهو قول الحشوية وثانيها انه لا يجوز عليهم الكبائر ولكنه
يجوز عليهم الصغائر على سبيل العمد الا الصغيرة المنفرة كالكذب وتطفيف حبة وهو قول اكثر المعتزلة
وثالثها انه لا يجوز ان ياتوا بكبيرة ولا صغيرة على سبيل العمد البتة الا على جهة التاويل ورابعها
انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا لكنهم مواخذون بما يقع منهم على هذه الجهة وان كان موضوعا
عن امتهم وذلك لان معرفتهم اقوى ودلائلهم اكثر وانهم قادرون على ما لا يقدر غيرهم عليه وخامسها
انه لا يقع الذنب منهم لا الكبيرة ولا الصغيرة لا قصدا ولا سهوا ولا تاويلا ولا خطا وهو مذهب الرافضة واختلفوا
في وقت العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من مولدهم وهو قول
الروافض وثانيها قول من ذهب الى ان وقت عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوز منهم ارتكاب الكفر والكبيرة
قبل النبوة وهو قول المعتزلة وثالثها قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز وقت النبوة واما قبل
النبوة فجائز وهو قول اكثر اصحابنا وابي الهذيل وابي علي من المعتزلة والمختار عندنا انه لم يصدر
عنهم الذنب حين حالة النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة ويدل عليه وجوه احدها
انه لو صدر الذنب عنهم لكانوا ادنى درجة من عصاة الامة واللازم باطل بالاجماع بيان الملزوم
ان درجات الانبيا كانت في غاية الجلال والشرف وكل من كان كذلك فصدور الذنب عنه
افحش الا ترى الى قوله يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
والمحصن يرجم وحد العبد نصف حد الحر وثانيها انه لو صدر منهم ذنب لكانوا لا تقبل شهادتهم
لانه لو صدر منهم ذنب لكانوا فساقا والفاسق لا تقبل شهادته لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا واللازم باطل والا لكان اقل حالا من عدول الامة وكيف لا تقبل شهادتهم ولا معنى للنبوة
والرسالة الا الشهادة على الله تعالى بانه شرع هذا الحكم وذلك ايضا فهو يوم القيامة شاهد
على الكل لقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وثالثها انه لو اقدم النبي على الكبيرة
لوجب زجره عنه واللازم باطل والا لكان ايذاؤه محرما لكنه محرم لقوله تعالى ان الذين
يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ورابعها انه لو اتى النبي بالمعصية لوجب
علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوني فيفضي الى الجمع بين الحرمة والوجوب في محل واحد
واذا ثبت ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم ثبت في حق سائر الانبيا اذ لا قائل بالفرق وخامسها

رجم وغيره صح

هو

قوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظ الخيرات للعموم فيتناول الكل ويدخل فيه
فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي وهو مناف لصدور الذنب عنهم وسادسها قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار وهذا يتناول الاصطفاء والخيرية في جميع الافعال والتروك وكانوا في كل الامور ولا يصدر منهم
ذنب وسابعها انه قال تعالى حكاية عن ابليس فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فاستثنى
منهم المخلصين فثبت عصمتهم فثبت عصمة الكل اذ لا قائل بالفرق اما المخالف فقد تمسك في كل واحد
من الاقسام الاربعة بايات اما في باب الاعتقاد فبقوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها
زوجها ليسكن اليها فالنفس الواحدة هي ادم وزوجها حوا المخلوقة منه حوا فمن ثم الكنايات باسرها عائدة
الى زوجها التي هي حوا وقوله تعالى جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون يقتضي صدور الشرك عن
ادم وحوا والجواب انا لا نسلم ان النفس الواحدة هي ادم وليس في الاية ما يدل عليه بل
الخطاب لبني قصي والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوج عربية ليسكن اليها فلما اتاهما ما
طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي والضمير
في يشركون لهما ولاعقابهما وبقوله تعالى حكاية عن ابرهيم هذا ربي ورب ارني كيف تحيي الموتى فدل الاية
الاولى على ان ابرهيم عليه السلام ما كان عالما بالله والثانية انه ما كان عالما باحيا الموتى والجواب ان قوله
هذا ربي استفهام على سبيل الانكار وان قوله ارني ليس طلبا للعلم بل طلبا للمعاينة لاطمئنان القلب فان اطمئنان
القلب من المعاينة فوق اطمئنانه من العلم وبقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرون الكتاب
من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فانه يدل على ان النبي كان في شك مما اوحي اليه والجواب
ان كونه في شك الفرض ولا يستدعي وقوع الشك واما في باب التبليغ فبقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء
فهذا الاستثناء يدل على وقوع النسيان في الوحي والجواب ليس النهي عن النسيان الذي هو ضد الذكر لان
ذلك غير داخل في الوسع بل النسيان بمعنى الترك فنحمله على ترك الاولى وبقوله وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته وجوابه سياتي في سورة الحج واما في باب الفتيا
فبقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث وسياتي في سورة الانبيا وبقوله تعالى ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فلولا انه اخطا في الحكومة والا لما عوتب وبقوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم والجواب عن الكل انما نحمله على ترك الاولى اما في الافعال فكثيرة منها قصة ادم وتمسكوا
بها من وجوه الاول انه عصى وغوى لقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى فقد صدر منه الذنب
الثاني انه تاب والتوبة من الذنب الثالث انه ارتكب المنهي لقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقوله تعالى فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الى قوله فدلاهما بغرور
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن
تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين الرابع انه ظالم لقوله تعالى فتكونا من الظالمين
وقد اكلا والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والملعون صاحب الكبيرة
الخامس انه اعترف بانه لولا مغفرة الله اياه والا لكان خاسرا لقوله تعالى وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وذلك ان يكون صاحب كبيرة السادس انه اخرج من الجنة
بسبب وسوسة الشيطان وادلاء له جزاء على ما اقدم عليه من طاعة الشيطان وذلك يدل على انه صاحب
كبيرة ثم قيل هب ان كل واحد من هذه الوجوه لا يدل على صدور الكبيرة منه لكن مجموعها يدل عليه قطعا
ولا يبعد دلالة المجموع على كون ذلك ما صدر منه كبيرة وان لم يدل كل واحد عليه والجواب

الله

يقتضي صح

عنها ان كلامكم لا يتم الا بان يثبت ان ما صدر منه حال النبوة وهو ممنوع فانه لا يحتمل ان يكون نبيا حين
صدور هذه الزلة عنه ثم لو فرض صدورها عنه بعد النبوة فذهب طائفة من المتكلمين الى ان صدورها
كان حال النسيان لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما فيل قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وقوله
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدلان على انه ما نسي النهي حال الاقدام ولانه لو كان ناسيا لما عوتب على
ذلك الفعل واللازم باطل لقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة واجيب بانا لا نسلم ان ادم وحوا
قبلا من ابليس ذلك الكلام وصدقاه لانه لو قبلاه لكانت معصيتهما في ذلك اعظم من اكلها لانه يلزم من القبول
منه سوء الظن بالله وترك التسليم لامره وترك الرضا بحكمه واعتقاده ان ابليس ناصح لهما وان الله قد
غشهما ولاشك ان هذه الاشيا اعظم من اكلها وبان العتب انما حصل من قلة التحفظ من اسباب النسيان وهذا
الضرر موضوع عن المسلمين وقد كان يجوز ان يواخذوا به وليس بموضوع عن الانبيا لعظم خطرهم والانصاف
ان هذا الجواب غير صحيح شاهد قوله تعالى فدلاهما بغرور وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين وقوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وذهب قوم الى ان ذلك كان عمدا فمنهم من حمل النهي
على الكراهة والظاهر خلافه ومنهم من ذهب الى انه عمد وكبيرة وجوز صدور الكبيرة عن الانبيا وقد عرفت افساده ومنهم
من ذهب الى انه عمد وكبيرة وجوز صدور الكبيرة عن الانبيا صدر منه مع الوجل والوجل صيرها في حكم الصغيرة
وهذا ليس بشي فان صدور الكبيرة مع الوجل لا يصيرها في حكم الصغيرة ومنهم من ذهب الى انه اقدم
على الاكل باجتهاد اخطا فيه فلا يكون الذنب كبيرة فانه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة ظن ان
النهي عن تلك الشجرة المعينة فتركها وتناول غيرها من نوعها لكنه مخط في ذلك الاجتهاد لان المراد من
هذه الشجرة نوعها لا الشخص والاجتهاد في الفروع اذا كان خطا لا يوجب استحقاق العقاب لاحتمال
كونها صغيرة مغفورة وهذا ليس بشي فان المجتهد مكلف بحمل اللفظ على مفهومه الحقيقي اذا لم يجد قرينة صارفة
وادم لما حمل لفظ هذه الشجرة على المعينة كان قد فعل الواجب ولا يجوز له حمله على النوع فيكون اجتهاده
غير معصية ولا يكون هذا التاويل صحيحا وان هذه المسئلة ظنية والاجتهاد فيها جايز فان قلنا كل
مجتهد مصيب فلا يتحقق الخطا فيها اصلا وان قلنا المصيب واحد فالمخطي فيه معذور بالاتفاق ولا يكون
معصية مقتضية لنزع لباس ادم عنه واخراجه من الجنة واهباطه الى الارض قوله تعالى وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عطف على قوله وقلنا يا ادم اسكن قوله اهبطوا جملة امرية في محل النصب
بقول قبله والهبوط النزول من علو الى سفل وقيل التحول من موضع الى غيره كقوله اهبطوا مصرا
وفي من انصرف هذا الخطاب اليه ستة اقوال احدها انه خطاب لادم وحوا والحية قاله ابو صالح
عن ابن عباس والثاني انه لادم وحوا والحية وابليس حكاه السدي عن ابن عباس والثالث انه لادم
وابليس قاله مجاهد والرابع لادم وحوا وابليس قاله مقاتل والخامس لادم وحوا فحسب ولفظ
الجمع واقع على التثنية لقوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهو العلة في قول مجاهد والسادس لادم وحوا
والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهم الانس كلهم والدليل على صحة
هذا القول قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم والظاهر ان هذا الامر للاباحة واختلف العلما هل
اهبطوا جملة ام متفرقين على قولين احدهما اهبطوا جملة لكنهم نزلوا في بلاد متفرقة قاله كعب
ووهب والثاني انهم اهبطوا متفرقين فنزل ادم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال
له بوذ وقيل واسم وحوا بجدة وابليس بالابلة قاله مقاتل والحية بنصيبين وقيل باصفهان [illegible]

عن ابن عباس ان الله تعالى امر جبريل باخراج ادم فقبض على ناصيته وخلصه من الشجرة التي قبضت
عليه فقال ايها الملك ارفق بي قال جبريل اني لا ارفق على من عصى الله تعالى فارتعد ادم واضطرب
وذهب كلامه وجبريل يعاتبه في معصيته ويعدد نعم الله عليه قال وادخل الجنة ضحوة واخرج
منها بين الصلاتين فمكث فيها نصف يوم خمسماية عام مما يعد اهل الدنيا قوله بعضكم لبعض عدو البعض في
الاصل مصدر بعض الشي يبعضه اذا قطعه فاطلق على القطعة من الناس لانها قطعة منه وهو يماثل كلا
وحكمه حكمه في لزوم الاضافة وانه معرفة بنية الاضافة ولا يدخل عليه اللام وينتصب عنه الحال يقول
مررت ببعض جالسا والعدو الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث وقيل افرد لفظ عدو وان كان
المراد به جمعا لوجهين اما اعتبارا بلفظ بعض فانه مفرد واما لان عدوا اشبه المصادر في الوزن كالقبول
ونحوه وقيل انه مصدر كالقبول والولوع فلذلك لم يجمع قال تعالى فانهم عدو لي وقال فاحذرهم هم
العدو واشتقاقه من عدا يعدو اذا ظلم وقيل من عدا يعدو اذا جاوز وقيل من عدوتي الجبل
وهما طرفاه واللام في لبعض متعلقة بعدو ومقوية له ويجوز ان يكون في الاصل صفة لعدو فلما قدم عليه
انتصب حالا فيتعلق اللام بمحذوف وقوله تعالى بعضكم مبتدا وقوله عدو خبره والجملة في محل
نصب على الحال في ضمير اهبطوا اي اهبطوا متعادين ولا يحتاج الى تقدير الواو لان الربط حصل
بالضمير وان كان الاكثر في الجملة الاسمية الواقع حالا ان يقترن بالواو وقيل لا محل لها لانها استيناف
اخبار بالعداوة وفي العداوة المذكورة هنا ثلثة اقوال احدها ان ذرية آدم بعضها اعدا
لبعض وهو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض قاله مجاهد والثاني ان
ابليس عدو لادم وحوا وهما عدو له قاله مقاتل والثالث ان ابليس عدو للمومنين وهم اعداوه قاله
الزجاج قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع المستقر مستفعل من القرار وهو اللبث ولذلك سمي الارض
قرارا ويجوز ان يكون اسم مكان او مصدرا فمعناه موضع استقرار او استقرار ومتاع هو ما تمتعت
به من اي شي كان وكل ما حصل التمتع به فهو متاع وقيل تمتع بالعيش والحين قطعة من
الزمان طويلة كانت او قصيرة قال الجوهري الحين الوقت يقال حينيذ قال خويلد كابي الرماد
عظيم القدر جفنته حين الشتا اللعف والحين ايضا المدة ومنه قوله تعالى هل اتى على
الانسان حين من الدهر وحان له ان يفعل كذا يحين حينا اي آن وحان حينه اي قرب وقته
واحينت بالمكان اذا اقمت به حينا وحينت الناقة اذا جعلت لها في كل يوم وقتا تحلبها فيه وفلان
ياكل الحينة والحينة وربما ادخلوا عليه التا قال العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون
زمان ما من مطعم والجملة التي هي قوله ولكم في الارض مستقر يجوز فيها الوجهان المتقدمان
في الجملة التي قبلها من الاستيناف والحالية كانه قيل اهبطوا متعادين ومستحقين الاستقرار
ولكم خبر مقدم وفي الارض متعلق بما تعلق به على وجهين احدهما انه حال والثاني انه غير
حال بل كسائر الظروف ويجوز ان يكون في الارض هو الخبر ولكم متعلق بما تعلق به هو من
الاستقرار ولكن لا على انه حال لئلا يلزم تقديم الحال على عاملها المعنوي على ان بعض النحويين
اجاز ذلك اذا كانت الحال نفسها ظرفا او حرف جر كهذه الاية فيكون في لكم ايضا وجهان وقيل
لا يجوز ان يكون في الارض متعلقا بمستقر سوا جعل مكانا او مصدرا اما كونه مكانا فان اسما الامكنة
لا تعمل واما كونه مصدرا فلان المصدر الموصول لا يجوز تقديم معموله عليه وللقايل ان يقول فهو متعلق به
على انه مصدر لكن غير موول بحرف مصدري والى حين الظاهر انه متعلق بمتاع فيكون من باب
تنازع العاملين لان كلا من قوله مستقر ومتاع يتوجه من جهة المعنى اليه وجا الاعمال

الاول لاضمر فى الثانى قيل من شرط الاعمال ان يصح تسليط كل من العاملين على المعمول ومستقر لا يصح تسلطه
عليه لانه لا يصح الفصل بين المصدر ومعموله والمصدر بتقدير الموصول بانه انما لا يصح الفصل فى
المصدر الذى يراد به الحدث وهذا المراد به حدث فلا يؤول بموصول وفى المستقر قولان احدهما
ان المراد به القبور حكاه السدى عن ابن عباس وثانيهما انه موضع الاستقرار قاله ابو العاليه وابن زيد
والزجاج وابن قتيبه وهو اصح قوله الى حين يريد الى يوم القيمه او الى الموت روى عن ابرهيم بن ادهم او رثنا
تلك الاكله حزنا طويلا فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم تلقى استقبل والفاء
عاطفه هذه الجمله على ما قبلها وقراه العامه برفع ادم ونصب كلمات وقراة ابن كثير بنصب ادم
ورفع كلمات والاول معناه استقبل ادم كلمات بالاخذ والقبول وعمل بها قال قتيبه كان الله اوحى اليه
ان يستغفره بكلام من عنده ففعل فتاب عليه والثانى معناه استقبلت ادم كلمات بالاخذ والقبول
وعمل بها ان بلغته واتصلت به والكلمات جمع كلمه وهى لفظه وضعت لمعنى مفرد وقد تطلق على الجمل المفيده
مجازا تسمية للكل باسم الجزء قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم ثم فسرها بقوله ان لا نعبد الا الله
وقال كلا انها كلمة يريد قوله رب ارجعون الى اخره وقال لبيد الا كل شى ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زايل فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه فقال اصدق كلمه قالها شاعر لبيد
وفى الكلمات اقوال احدها انه قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
قاله بن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعطا الخراسانى وعبيد بن عمرو بن كعب
وابن زيد وثانيها انه قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال الم تنفخ فى الروح من روحك
قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك الى قبل غضبك قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال
فلم اخرجتنى منها قال بشوم معصيتك قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعى انت الى الجنه قال
نعم حكاه السدى عن ابن عباس وثالثها انه قال اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب
انى ظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فتب
على انك انت التواب الرحيم ورواه ابن كثير عن مجاهد وعن ابن عباس ان احب الكلام الى الله
تعالى ما قاله ابونا حين اقترف الخطيه سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله
الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت واكتفى بذكر توبة ادم دون توبة
حوا لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النسا فى اكثر القران والسنه فى ذلك وقد ذكرها فى قوله
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وقيل ان المراة مستوره فاراد الله تعالى الستر لها ولذلك لم يذكرها فى
المعصيه فى قوله وعصى ادم ربه قوله فتاب عليه عطف على ما قبله ولا بد من تقدير
جملة قبلها اى فقالها فتاب عليه والتوبه فى اللغة الرجوع كالاوبه يقال تاب يتوب
توبة وتوبا ومتابا فهو تايب وتواب كما يقال آب يوب اوبا واوبه فهو آيب واواب
والتوبه لفظ يشترك فيها الرب والعبد فاذا وصف بها العبد يكون معناه رجوع العبد
من المعصيه الى الطاعه فان العاصى كالهارب من ربه فاذا تاب فقد رجع عن هربه الى
ربه واذا وصف به الرب يكون معناه رجع عليه بالمغفره والقبول ومعنى قوله فتاب
عليه اى عاد عليه فغفر ذنوبه وقبل طاعته قال الغزالى التوبه تتحقق من ثلثه امور
علم وحال وعمل فالعلم اول والحال ثان والعمل ثالث والعلم موجب للعمل ايجابا اقتضاه سنه
الله فى الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة ما فى الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد
ورحمة الله فاذا عرف ذلك معرفة محققه حصل من هذه المعرفه تالم القلب بسبب

فوات المحبوب فان القلب متى شعر بفوات المحبوب تالم فان كان فواته بفعل من جهته تاسف بفوات
المحبوب على الفعل الذى كان سببا لذلك الفوات فسمى ذلك التاسف ندما ثم ان ذلك الندم اذا
تاكد حصلت منه اراده جازمه لها تعلق بالحال وبالمستقبل وبالماضى اما تعلقها بالحال فترك الذنب
الذى كان ملابسا له واما بالمستقبل فالعزم على ترك ذلك الفعل المفوت للمحبوب الى اخر العمر واما
بالماضى فبتلافى ما فات بالجبر والقضا ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات
واعنى به اليقين بان هذه الذنوب سموم مهلكه فهذا اليقين نور وهذا النور موجب نار الندم
فيتالم القلب حيث ابصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان فى
ظلمه فيطلع عليه النور بانقشاع السحاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران الحب فى قلبه
فينبعث من تلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والقصد المتعلق بالترك فى الحال والاستقبال والتلافى
فى الماضى ثلثه معان مترتبه فى الحصول يطلق اسم التوبه على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبه على الندم
وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمه والترك كالثمره والتابع المتاخر وبهذا الاعتبار قال النبى صلى الله عليه
وسلم الندم توبه اذ لا ينفك الندم عن علم اوجبه وعن عزم يتبعه فيكون الندم محفوظا بطرفيه اعنى مثمره
وثمرته وقال القفال لا بد فى التوبه من ترك الذنب ومن الندم على ما سبق ومن العزم ان لا يعود الى مثله
ومن الاشفاق فيما بين ذلك كله اما الدلاله على الترك فلانه لو لم يترك لكان فاعلا له فلا يكون تايبا واما
الندم فلانه لو لم يندم لكان راضيا بكونه فاعلا والراضى بالشى قد يفعله والفاعل للشى لا يكون تايبا عنه
واما العزم على ان لا يعود الى مثله فلان فعله معصيه والعزم على المعصيه معصيه واما الاشفاق فلانه
مامور بالتوبه فلا سبيل له الى القطع بانه اتى بالتوبه كما لزمه فيكون خايفا ولهذا قال يحذر الاخره ويرجو
رحمة ربه وقال عليه السلام لو وزن خوف ابن ادم ورجاوه لاعتدلا والتوبه واجبه لقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا واحتج المعتزله على وجوب التوبه بان التوبه
دافعة للضرر الذى هو العقاب او الخوف منه ودفع الضرر واجب فما به يدفع الضرر ايضا يكون
واجبا وبان الندم على فعل القبيح او الاخلال بالواجب واجب قطعا فتكون التوبه واجبه
قالوا ويجب على التايب ان يندم على فعل القبيح لقبحه اذ لو لم يكن الندم على القبيح لقبحه لا تنتفى التوبه
فانه من ندم من المعصيه ليحفظ صحة بدنه او لغرض اخر لا تحصل التوبه له وان كان غاية التوبه هو خوف
النار لم تتحقق التوبه لان توبة الخايف ليس ندما لقبح الفعل فيكون كمن ندم حفظا لسلامة بدنه
وكذا الاخلال بالواجب انما يكون الندم عليه توبة اذا كان الندم لانه اخلال بالواجب واما اذا
كان الندم عليه حفظا لسلامة بدنه او لخوف النار لم تكن توبة وذهب ابو هاشم الى انه لا يصح الندم
من قبيح دون قبيح لانه اذا ندم من قبيح دون قبيح فقد ظهر انه لم يتب من القبيح لقبحه كذلك يجب عليه
فعل الواجب لوجوبه فلو لزم من اشتراك القبايح فى القبح عدم صحة الندم على قبيح دون قبيح لزم
من اشتراك الواجبات فى الوجوب عدم صحة الاتيان بواجب دون واجب ورد بالفرق
بان ترك القبيح لكونه نفيا يكون للتعميم فلا يحصل الا بترك جميع القبايح بخلاف الاتيان بالواجب
فانه لكونه مثبتا لا يكون للتعميم فيحصل باتيان واجب دونه ولذلك فان من حلف لا ياكل الرمان
لحموضته يجب ان يجتنب عن اكل كل رمان حامض ولو اعتقد التايب فى بعض القبايح الحسن صحت توبته
عن قبيح اعتقد قبحه دون قبيح اعتقد حسنه لحصول شرط التوبه وهو الندم على القبيح لقبحه واذا
استحقر احد الفعلين من حيث القبح والاخر استعظمه من حيث القبح حتى اعتقد بالتحقير ان وجوده
بالنسبة الى العظيم كعدمه فتاب عن العظيم تقبل توبته لانه تاب عنه لقبحه ويصح التوبه عن قبيح دون قبيح

اذا كانت دواعي الجميع متساويه وذلك لان ترجح الدواعي الى الندم عن البعض لسبب ترجح داعيه ولم يحصل الندم عن البعض وان اشترك الجميع في الدواعي لان رجحان الداعي يخصص ذلك البعض بالوقوع ولا يكون عدم الندم عن البعض الاخر دالا على انه ما ترك القبيح لقبحه بل لان داعي ذلك الندم الغير الواقع ما ترجح وذلك كما في الدواعي الى الفعل فان الافعال تقع بحسب الدواعي فاذا كان داعيه لبعض الافعال راجحة على داعية لبعض اخر اختص الفعل الذي يكون داعيته راجحة بالوقوع وان اشترك مع غيره في الدواعي واذا تشارك الدواعي في الترجيح اشترك وقوع الندم فلا يصح الندم عن بعض دون بعض وبهذا يؤول كلام علي واولاده من ان التوبه لا تصح عن بعض القبائح دون بعض فانه لو لم يؤول بهذا لزم الحكم ببقا الكفر على التائب ببقا الكفر المقيم على صغيره مثل الكذب وهو خلاف الاجماع ثم التوبه ان كان عن ذنب يتعلق بحق الله تعالى فان كان عن فعل قبيح كشرب الخمر والزنا كفى فيها الندم والعزم وان كان عن الاخلال في الواجب اختلف حكمه في بقايه وقضايه وعدمهما فبعضه يسقط عنه بمجرد الندم والعزم على ترك المعاوده وبعضه يحتاج الى القضا كالصلوه وبعضه الى ان يودي كالزكوه وان كانت عن ذنب يتعلق بحق الادمي استتبع ايصاله ان كان ظلما ولم يتعذر الايصال بان كان صاحب الحق او وارثه باقيا وانما يصل الحق الى المستحق بان يرد المال ويسلم البدن والعضو للقصاص الى الاوليا المقتول لاستيفا الحق وان تعذر وجب العزم على ترك المعاوده وان كان الذنب الذي يتعلق بحق الادمي اضلالا لا وجب ارشاد من اضله ورجوعه عما اعتقد بسببه ان امكن ذلك وهذه التوابع ليست جزا من التوبه فان العقاب يسقط بالتوبه وقيام المكلف بالتوابع اتمام التوبه فان ترك التوابع لا يمنع سقوط العقاب بالتوبه واذا كان الذنب الذي يتعلق بحق الادمي هو الاغتياب وجب على المغتاب الاعتذار ممن اغتابه ان بلغ الاغتياب اليه لانه اوصل اليه ضررا من الغم بسبب الاغتياب فوجب عليه الاعتذار منه والندم عليه وان لم يبلغ اليه لا يلزم الاعتذار لانه لم يوصل اليه بسبب الاغتياب غما لكن يجب في كلا القسمين فانه خالف نهيه في العزم على الترك والمعاوده وقيل يجب على التائب التفصيل ان كان يعلم القبائح مفصلا بان يتوب عن كل واحد منها وان كان يعلم القبائح مجملا يجب عليه التوبه عن القبائح مجملا وان علم بعضها مفصلا وبعضها مجملا وجب عليه التوبه عن المفصل بالتفصيل وعن المجمل بالاجمال وفيه نظر لان الاحرا امكن ان يحصل بالندم على كل قبيح صدر منه وان لم يذكره مفصلا وقيل اذا تاب المكلف عن المعصيه ثم ذكرها يجب عليه تجديد التوبه لانه اذا ذكر المعصيه ولم يندم عليها تصدر منه وفيه نظر لانه لا يجوز ان لا تصدر المعصيه منه عند ذكرها من الندم واذا صدر الفعل عن المكلف وجب الندم عن الفعل مع المعلول كما اذا رمى فاصاب فان الرمي علته الاصابه فيجب الندم على الرمي والاصابه وذهب بعض المعتزله الى وجوب سقوط العقاب بالتوبه فان من اسا الى غيره واعتذر اليه وعرف منه الارتجاع عن تلك الاساه بالكليه فانه يلزمه عند العقلا ان يقبل اعتذاره وندمه بعد الاعتذار والعقاب يسقط بالتوبه لا بكثره ثواب التوبه على معنى ان التوبه اذا وقعت على شروطها اسقطت العقاب من غير اعتبار امر زايد وقال قوم انها تسقط العقاب بكثره ثوابها واحتج على الاول بوجوه الاول ان التوبه قد تقع محبطه بغير ثواب كتوبة الخارجي من الزنا فانه يسقط بها عقابه من الزنا ولا ثواب لتوبته اصلا الثاني انه لا يسقط العقاب بالتوبه وحدها بل بكثره ثوابها لا يبقى الفرق بين تقديم التوبه على المعصيه وتاخيرها عنها واللازم باطل اما الملازمه فانه حينئذ

تكون

تكون التوبه كغيرها من الطاعات التي تسقط العقاب بكثره ثوابها والطاعات التي هي غيرها لا فرق بين تقديمها وتاخيرها عن المعاصي اذا كثر او سقط عنه العقاب الثالث انه لو اسقطت التوبه العقاب بكثره ثوابها لا يبقى اختصاص بعض العقاب بالاسقاط دون بعض لان الثواب لا اختصاص له ببعض العقاب واللازم باطل لان بعض العقاب يختص بالسقوط بان يكون التوبه عن ذنب يستحق ذلك العقاب فان قيل لو كانت التوبه بذاتها مسقطة للعقاب لا بكثره ثوابها لكانت مقبوله في الاخره اجيب بانها لم تقبل في الاخره لانتفا الشرط لان التوبه مشروطه بان يقع ندما على القبيح لقبحه وفي الاخره يقع الالجا لا انتفا الشرط لان التوبه مشروطه قال صاحب الكشاف الخطيه التي اهبط بها آدم ان كانت كبيره فالكبيره لا تجوز على الانبيا وان كانت صغيره فلم جرا عليه ما جرا بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنه والاهباط من السما كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمه والحاجه الى التوبه قلت ما كانت الا صغيره مغموره باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحه التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيه وتفضيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقا المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنه بخطيه واحده فكيف يدخلها ذو خطايا جمه قوله تعالى انه هو التواب الرحيم هذه الجمله استينافيه لا محل لها من الاعراب وبنيه التواب للمبالغه والتكثير اي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله ولا يقال لغير الله التواب ولا يطلق عليه تايب وان صرح بفعله مسندا اليه تعالى وقدم التواب على الرحيم لمناسبة فتاب عليه ولانه موافق لختم الفواصل بالرحيم وايضا لما كان قبول التوبه من ازالة العقاب يقتضي حصول الثواب وكان الثواب من جهة نعمته ورحمته وصف نفسه مع كونه توابا بانه رحيم وقوله هو التواب الرحيم نظير قوله انك انت العليم الحكيم

تنبيه في هذه الايه فوايد منها تحريض العبد على التوبه روى ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يصر الذنب من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مره وروي ان رجلا سال عليا رضي الله عنه عن الرجل يذنب ثم يستغفر قال علي ثم يستغفر ابدا حتى يكون الشيطان هو الخاسر فيقول لا طاقة لي معه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مره والغين شي يغشى القلب فيغطيه بعض التغطيه وهو كالغيم الرقيق الذي في الهوا فلا يحجب عين الشمس ولكن يمنع ضوؤها ولهذا الحديث تاويلات احدها ان الله اطلع النبي على ما يكون في امته من الخلاف والمعاصي فكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر الله لامته وثانيها ان القلب لا يخلو عن الخطرات والخواطر والشهوات وانواع الميل والارادات فكان يستعين بالله في دفعها وثالثها انه صلى الله عليه وسلم كان ينتقل من حاله الى حاله ارفع من الاولى فكان الاستغفار لذلك ورابعها ان الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبه حتى يصير فانيا عن نفسه بالكليه فاذا عاد الى الصحو كان الاستغفار من ذلك الصحو عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيمن كان قبلكم

فسق

ستر

وجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال
انه قد قتل تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى
ارض كذا فان بها اناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد معهم ولا ترجع الى ارضك فانها
ارض سوء فانطلق حتى اتى نصف الطريق فاتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاه ملك في صورة ادمي
وتوسط بينهم وقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايهما ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه
ادنى الى الارض التي اراد السير اليها فقبضته ملائكة الرحمة عن ثابت البناني بلغنا ان
ابليس قال رب انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال الله جعلت
صدورهم مساكن لك فقال يا رب زدني فقال لا يولد ولد لادم الا ولد لك عشرة
قال رب زدني قال تجري مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكا ادم الى ربه قال يا رب انك
خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضا وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك
قال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني
قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغر
عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب
مسيء النهار وبالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تغرب الشمس من مغربها رواه مسلم عن علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه قال كنت اذا سمعت حديثا ينفعني الله به ما شاء ان ينفعني واذا
حدثني احد من الصحابة استحلفته فاذا حلف لي صدقته وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن
الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين فيستغفر الله تعالى الا غفر له ثم قرا والذين اذا فعلوا
فاحشة الى قوله فاستغفروا لذنوبهم ومن فوائدها ان ما ظهر من ادم عليه السلام
من البكاء على زلته تنبيه لنا ايضا لانا احق بالبكاء من ادم روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود لكان بكاء داود اكثر
ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل
الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح وبكاء ادم على خطيئته لكان بكاء ادم اكثر سئل
ذو النون المصري عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة اولهن الندم على ما مضى
والثاني العزم على ترك الذنوب في المستقبل والثالث اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك
وبين الله والرابع اداء المظالم الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس اذابة
كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن الم الطاعات كما اذاق حلاوة
المعصية قوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كرر قلنا اهبطوا للتاكيد ولما نيط بكل منهما حكم غير حكم
الاول فعلق بالاول عداوة بعضهم لبعض وعلق بالثاني اتيان الهدى قال
الجبائي الهبوط الاول غير الثاني فالاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء
الدنيا الى الارض ورد بانه قال في الهبوط الثاني اهبطوا منها جميعا والضمير في
منها عائد الى الجنة وذلك يقتضي كون الهبوط الثاني من الجنة قال الامام

ان ادم عليه السلام لما
يستغفر مع علو شانه
فالواحد منا اولى بذلك
ومن فوائدها صح

وعندي

وعندي فيه وجه ثالث اقوى من الوجهين وهو ان ادم وحواء لما اتيا بالزلة امرا بالهبوط فتابا
بعد الامر بالهبوط ووقع في قلبهما ان الامر بالهبوط لما كان من الزلة فبعد التوبة وجب ان لا يبقى الامر
بالهبوط فاعاد الله الامر بالهبوط مرة ثانية فعلمنا ان الامر بالهبوط ما كان جزاء على ارتكاب الخطيئة حتى
يزول بزوالها بل الامر بالهبوط باق بعد التوبة لان الامر بالتوبة كان تحقيقا للوعد المتقدم
في قوله اني جاعل في الارض خليفة وجميعا حال من فاعل اهبطوا اي مجتمعين اما في زمان واحد
او في ازمنة متفرقة لان المراد من الاشتراك في اصل الفعل وهذا هو الفرق بين جاءوا جميعا
وجاءوا معا فيفيد مجيئهم في زمن واحد لان مع يدل على الاصطحاب بخلاف جميعا فانه لا يفيد
الا انه لم يتخلف احد منهم من المجيء من غير تعرض لاتحاد الزمان وجميع في الاصل من الالفاظ التي
هي للتاكيد قوله فاما الفاء مرتبة معقبة واما اصلها ان الشرطية زيدت عليها ما
تاكيدا وياتينكم في محل جزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل
مبني مطلقا وقيل ان باشرته بني والا اعرب وبني على الفتح طلبا للخفة وقيل
بني على السكون وحرك بالفتح لالتقاء الساكنين وذهب الزجاج والمبرد الى ان الفعل الواقع
بعد ان الشرطية المؤكدة بما يجب تاكيده بالنون ولذلك لم يقع في القران الا مؤكدا به وذهب
سيبويه الى انه جائز لا واجب لكثرة ما جاء منه في الشعر غير مؤكد ومني لابتداء الغاية متعلق
بياتين ويجوز ان يكون في محل حال من هدى لانه في الاصل صفة نكرة قدم عليها ونظيره قوله
من ربه كلمات وهدى فاعل ومن شرطية مبتدا وتبع في محل جزم لانه فعل شرط وخبر لمن وقوله
فمن شرط ثان وقوله فلا خوف جوابه والشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك ولا في قوله فلا خوف يحتمل ان تكون عاملة
عمل ليس فيكون خوف اسمها وعليهم في محل نصب خبرها ويجوز ان تكون غير عاملة فيكون
خوف مبتدا وعليهم في محل رفع خبره وهذا اولى مما قبله لان عملها عمل ليس قليل ولان الجملة
التي بعدها وهي ولا هم يحزنون يتعين ان تكون لا فيها غير عاملة لانها لا تعمل في المعارف
فجعلها غير عاملة فيه مشاكلة لما بعدها والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم
وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله
فمن تبع هداي قوله فلا خوف عليهم اي فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من العذاب
والخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة ضد الامن ويستعمل في الامور
الدينية والدنيوية ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا والخوف لامر مستقبل والحزن
لامر ماض قال صاحب الكشاف فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا
محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل
وانزال الكتب وانه لو لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا
لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال قال صاحب
الانتصاف ها هنا زلتان لمما يلمها في قرن الاولى ايراد السؤال بناء على ان الهدى
على الله واجب والثانية بناء الجواب على ان الوجوب الشرعي يثبت بالعقل قبل
ورود الشرع والحق ان الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى الله عن الايجاب رب الارباب
وانما يدخل تحت ربقة التكاليف المربوب لا الرب واما وجوب النظر في ادلة التوحيد
فانما ثبت بالسمع لا بالعقل وان كان حصول المعرفة بالله وتوحيده غير موقوف

على ورود السمع بل محض العقل كاف فيه باتفاق قال الامام الهدى المراد به عندنا كل دلالة
وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام نزل على نبي وفيه تعظيم نعم الله على ادم وحوا فكانه قال
وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بالعود بكم الى الجنة مرة اخرى مع الدوام
الذي لا ينقطع فمن تبع هداي بالاقدام على ما امر الله به والاحجام عما نهى الله عنه يصير الى حالة
لاخوف فيها ولاحزن فهذه الجملة على اختصارها تجمع كثيرا من المعاني لان قوله تعالى فاما ياتينكم
مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية الواردة للبيان وجميع
ما لايتم ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجميع قوله فمن تبع هداي تامل الادلة والنظر فيها واستنتاج
المعارف منها والعمل بها وجمع قوله فمن تبع هداي تامل الادلة والنظر فيها واستنتاج
فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليايه لان زوال الخوف يتضمن السلامة
من جميع الافات وزوال الحزن يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات وقدم عدم الخوف
على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغي مقدم على طلب ما ينبغي وهذا يدل على ان المكلف الذي
اطاع الله لا يلحقه خوف في القبر ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط كما قال لا يحزنهم
الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون وقيل قوله تعالى فمن تبع هداي
يدل على امور منها ان الهدى قد يتحقق بدون الاهتدا والاهتدا لا يتحقق بدون الهدى
ومنها بطلان القول بان المعارف ضرورية ومنها استحقاق الجنة باتباع الهدى
ومنها ابطال التقليد لان المقلد لا يكون متبعا للهدى **قوله تعالى** والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون لما وعد متبع الهدى بعدم
الخوف والحزن عقبه بايعاد الذين كفروا وكذبوا والذين مبتدا وما بعده جملة وعاياتنا
وباياتنا متعلق بكذبوا ويجوز ان يكون كفروا وكذبوا تنازعاها لان كلا منهما يطلبها ويكون
الاعمال للثاني والحذف من الاول والتقدير والذين كفروا بها وكذبوا
باياتنا واوليك مبتدا ثان واصحاب النار خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان
يكون اوليك بدلا من الموصول او عطف بيان له واصحاب خبر المبتدا الموصول
وقوله هم فيها خالدون جملة اسمية في محل نصب على الحال للتصريح بذلك في
مواضع قال تعالى اصحاب النار خالدين ويحتمل ان يكون في محل رفع
خبر الاوليك ايضا فيكون قد اخبر عنه بخبرين احدهما مفرد وهو اصحاب النار والاخر جملة ومنها
متعلق بخالدون وقيل وقد حذف من الكلام الاول ما اثبت في الثاني والتقدير فمن
تبع هداي فلا خوف ولا حزن يلحقه وهو صاحب الجنة ومن كفر وكذب يلحقه الخوف والحزن
وهو صاحب النار والمراد بالايات ايات الكتاب التي تتلى وقيل معجزات الانبيا وقيل
القران وقيل وقد حذف من الكلام الاول ما اثبت في الثاني والتقدير فمن تبع هداي
دلايل الله في مصنوعاته واصحاب النار سكانها سموا اصحاب النار لصحبتهم اياها بالملازمة قال
الامام وههنا اخر الايات الدالة على النعم التي انعم الله بها على جميع بني ادم اوجادته فلها
محدث وعلى النبوة من حيث ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر عنها موافقا لما في التورية والانجيل من غير
تعلم وعلى المعاد من حيث ان من قدر على خلق هذه الاشيا ابتدا اقدر على خلقها اعادة
قوله تعالى يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي
فارهبون اعلم ان الله سبحانه وتعالى لما اقام دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اولا ثم

عقيبها

عقيبها بذكر الانعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود كسرا
لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة واستمالة لقلوبهم بذكرهم اولا تلك النعم على سبيل الاجمال
فقال يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وفرع على ذكرها
الامر بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ثم عقبها بذكر الامور
التي تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ثم عقبها
ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الاجمال ثانيا بقوله يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تنبيها
على غاية غفلتهم ثم اردف هذا التكرير بالترهيب البالغ بقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيا الى اخر الاية ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ومن تامل وانصف
علم ان هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع
بني اسرايل منادى منصوب لانه مضاف وعلامة نصبه اليا لانه جمع مذكر سالم وحذفت نونه
للاضافة وهو شبيه بجمع التكسير لتغير مفرده ولذلك عاملته العرب ببعض معاملة جمع التكسير
فالحقوا في فعله المسند اليه تا التانيث نحو قالت بنو فلان قال الله تعالى حكاية عن
فرعون امنت بالذي امنت به بنو اسرايل واسرايل مخفوض بالاضافة غير منصرف
للعلمية والعجمة واتفق المفسرون على ان اسرايل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وهو مركب
تركيب الاضافة فقيل ان اسرا في لغتهم هو العبد وايل هو الله وقيل اسرا بالعبرانية هو الانسان
فكانه قيل رجل الله وقيل معناه صفوة الله فقوله يا بني اسرايل خطاب مع جماعة اليهود
الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد صلى الله عليه وسلم والذكر بكسر الذال
وضمها بمعنى واحد يكونان باللسان وبالجنان وقال الكساي هو بالكسر باللسان وبالضم
بالقلب والذي بالقلب ضد النسيان والذي باللسان ضد الصمت والنعمة اليد والصنيعة
والمنة وما انعم عليك ولفظها واحد ومعناها جمع يدل على ذلك قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وحد النعمة بالمنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى
الغير لانه لو كان نفعا وقصد الفاعل نفسه لا نفع المفعول به كمن احسن الى جارية ليربح
عليها او اراد استدراجه الى ضرر كمن اطعم خبيصا مسموما ليهلكه لم يكن ذلك
نعمة فاما اذا كانت المنفعة مفعولة على قصد الاحسان الى الغير كانت نعمة واعلم
ان كل ما يصل الينا في الدنيا والاخرة من المنافع ودفع المضار فهو من الله تعالى قال
تعالى وما بكم من نعمة فمن الله واعلم ان النعمة على ثلثة اوجه احدها نعمة تفرد الله
بها نحو ان خلق ورزق وثانيها نعمة وصلت الينا من جهة غيره بان خلقها وخلق
المنعم ومكنه من الانعام وخلق فيه قدرة الانعام وداعيته ووفقه اليه وهداه اليه
فهذه النعمة في الحقيقة هي من الله تعالى ولهذا قال تعالى ان اشكر لي ولوالديك فبدا
بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس وثالثها نعمة وصلت
من الله سبحانه وتعالى بواسطة طاعاتنا وهي ايضا من الله لانه لولا ان الله وفقنا
للطاعة واعاننا عليها وهدانا اليها وازاح عنا الاعذار لما وصلنا الى شي منها فظهر ان
جميع النعم من الله تعالى ونعم الله على عبده مما لا يمكن عدها وحصرها قال الله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها بيان ذلك ان كل ما اودع فينا من المنافع واللذات
التي ننتفع بها والجوارح والاعضا التي نستعملها في جر المنافع ودفع المضار وما خلق في العالم

مما ينتفع به ويستدل به على وجود الصانع ومما وجد في العالم مما يحصل برؤيته الانزجار
عن المعاصي مما لا يحصى عدده وكل ذلك منافع لان المنفعة هي اللذة او ما يكون وسيلة الى اللذة
وجميع ما خلق الله كذلك لانه اما يلتذ به او وسيلة الى اللذة اليه او وسيلة الى دفع الضرر
والذي لا يكون جالبا للنفع الحاضر ولا دافعا للضرر الحاضر فهو صالح لان يستدل به على الصانع
الحكيم ووسيلة الى معرفته وطاعته وهما وسيلتان الى اللذات الابدية فثبت ان جميع مخلوقاته
نعمة على العبد والعقول قاصرة عن تعديدها ولا يحصل العلم بها فالامر بتذكرها في قوله
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم من قبيل تكليف ما لا يطاق واجيب بان العقول قاصرة عن
تعديد اشخاصها وانواعها لا عن تعديد اجناسها والامر بتذكرها انما هو بحسب اجناسها فان
تذكر اجناسها كاف في العلم بالصانع الحكيم واول ما انعم الله على عبده هو انه احياهم قال الله تعالى كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وهذه النعم يشترك فيها المؤمن والكافر والصالح والطالح قيل
ليس لله نعمة على الكافر لا في الدنيا ولا في الاخرة اما في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلان نعم الله عليه
في الدنيا لما كانت مؤدية الى الضرر الدائم في الاخرة لم تكن نعمة فان من جعل السم في الحلوا واطعم غيره
فمات لم يعد منعما لما كان ذلك سبيلا الى الضرر العظيم ولهذا قال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما
نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ومنهم من قال ان الله تعالى وان لم
ينعم على الكافر بنعمة الدين فقد انعم عليه بنعمة الدنيا يدل على ذلك قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل
من السماء ماء نبه على انه يجب على الكل طاعته وعبوديته لمكان هذه النعم التي هي نعمة الخلق والرزق
وقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الى اخر الاية ذكر ذلك في معرض الامتنان وشرح
النعم ولو لم يصل اليهم شيء من النعم لما صح ذلك وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وهذا
صريح في ان الله تعالى انعم على الكافر اذ المخاطب بذلك اهل الكتاب وكانوا من الكفار وقوله
تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قالت المعتزلة ان الله
تعالى قد انعم على المكلفين بنعمة الدنيا ونعمة الدين وسوى بين الجميع في النعم الدينية والدنيوية
اما في الدينية فلان كل ما كان في المقدور من الالطاف فقد فعل بهم والذي لم يفعله غير داخل
في القدرة اذ لو قدر على لطف لم يفعله بالمكلف لبقي عذر المكلف واما في الدنيا فعلى قول
معتزلة بغداد خاصة لان عندهم يجب رعاية الاصلح في الدنيا وعند معتزلة البصرة لا يجب
وفي المراد بالنعمة في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ثلاثة اقوال
احدها انها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس
وثانيها ما انعم الله به على ابائهم واجدادهم اذ نجاهم من ال فرعون واهلك عدوهم واتاهم
التوراة ونحو ذلك قاله الحسن والزجاج وانما من عليهم بما انعم الله على ابائهم لان فخر الاباء
وعارهم على الابناء وثالثها جميع نعمه على تصريف الاحوال والمراد من ذكرها شكرها والاعتداد بها
واستعظامها وطاعة مانحها قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون اوفوا
جملة امرية عطف على الامرية التي قبلها اوفيت بالشيء ووفيت بالحق في اتمامه ووفيت مخففا
ايضا اتممته ووفا واوفى بمعنى اي ترك الغدر من الوفا وهو ضد الغدر والعهد الامان واليمين
والموثق والذمة والحفاظ والوصية وقد عهدت اليه اي اوصيته ومنه اشتق العهد الذي
يكتب للولاة وتقول على عهد الله لافعلن كذا والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالا فحالا قال الخليل

اصله الاحتفاظ بالشيء والعهد المنزل الذي لا يزال القوم اذا انتجعوا عنه رجعوا اليه ويسمى الموثق
عهدا للزومه ومراعاته والعهد يضاف الى المعاهد اي المفعول جميعا كقوله تعالى ومن اوفى بعهده من
الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى اوفوا بعهدي اوفوا بما عاهدتموني عليه وفي المراد
بعهده اربعة اقوال احدها ما عهد اليهم في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيبعثه على ما قال

ط الثاني

الله تعالى في الاعراف ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر رواه صالح عن ابن عباس والثالث الاسلام قاله ابو العالية والرابع انه العهد المذكور في
قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الاية قاله قتادة قال صاحب
الكشاف واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة لي لقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي
الايمان والطاعة ومنهم من عاهد الله اي على الايمان والطاعة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف
بعهدكم ما عاهدتكم عليه من ادخالكم الجنة قاله ابن عباس وقيل اتمم جزاءكم بالقبول وحسن الثواب على حسناتكم
قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وقوله اوف مجزوم على جواب الامر وهل الجازم الجملة الطلبية
بنفسها او لما تضمنته من معنى الشرط او حرف شرط مقدر تقديره ان توفوا بعهدي اوف قولان وهكذا كل ما
جزم في جواب طلب يجري فيه هذا الخلاف قال الامام عن ابن عباس انه قال ان الله كان عهد الى بني اسرائيل
في التوراة اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي ياتي به اي القران اغفر له ذنبه
وادخله الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وانبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد
النبي الامي من ولد اسمعيل وتصديق هذا في القران في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته قيل لو كان كذلك فكيف يجوز من جماعتهم ان يجحدوا واجيب بان هذا
العلم عند العلماء في كتبهم لكن لم يكن لهم العدد الكثير فجاز منهم كتمان ذلك وبان ذلك النص كان خفيا لا جليا
فجاز وقوع الشك والشبهة فيه ولنذكر ما جاء في كتب الانبياء المتقدمين من البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم
منها ما جاء في الفصل التاسع في السفر الاول من التوراة ان هاجر لما غضبت عليها سارة تمثل لها ملك
فقال لها يا هاجر اين تريدين ومن اين اقبلت قالت اهرب من سيدتي سارة فقال لها ارجعي الى سيدتك
واخضعي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا وتسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع تبتلك
وخضوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع والاستدلال بهذا
الكلام انه خرج مخرج البشارة وليس يجوز ان يبشر الملك بامر لا يتم الا بالكذب على الله ومعلوم ان اسمعيل وولده
لم يكونوا متصرفين في الكل اي في معظم الدنيا ومعظم الامم ولا كانوا مخالطين للكل على سبيل الاستيلاء الا
بالاسلام لانهم كانوا محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في اوائل العراق واوائل الشام
الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الشرق والغرب بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم
ومازجتهم الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة فلو لم يكن المراد به النبي عليه السلام
لكان الملك كاذبا في هذه المخاطبة والبشارة والله تعالى لا يبشر بهذا الشيء ومنها ما جاء في
الفصل الحادي عشر في السفر الخامس ان الرب الهكم يقيم لكم نبيا من بينكم ومن اخوتكم وفي هذا الفصل
ان الرب تعالى قال لموسى عليه السلام اني اقيم لهم نبيا من بين اخوتهم وايما رجل لم يسمع كلامي الذي يؤديه
انا انتقم منه وهذا الكلام يدل على ان النبي الذي يقيمه الله تعالى ليس من بني اسرائيل كما ان من قال
لبني هاشم انه سيكون من اخوتكم امام عقل منه ان لا يكون من بني هاشم وان يعقوب هو اسرائيل
ولم يكن له اخ الا العيص ولم يكن للعيص ولد سوى ايوب وانه كان قبل موسى فلا يجوز ان يكون مبشرا به

واما اسمعيل فانه كان اخا لاسحق والد يعقوب ثم ان كل نبي بعث قبل موسى كان من بني اسرائيل والنبي
عليه السلام ما كان منهم لكنه كان من اخوانهم لانه من ولد اسمعيل الذي هو اخو اسحق عليه السلام فان قيل
قوله من بينكم يمنع ان يكون محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لم يقم من بني اسرائيل قلنا بل قام من بينهم لانه عليه السلام
ظهر بالحجاز فبعث بمكة وبها تكامل امره وقد كان حول المدينة بلاد اليهود خيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم
وايضا ارض الحجاز تقارب الشام وجمهور اليهود كانوا اذ ذاك بالشام فمتى قام محمد بالحجاز فقد قام من بينهم
وايضا فانه اذا كان من اخوانهم فقد قام من بينهم لانه ليس ببعيد منهم قوله تعالى فاياي فارهبون اياي
ضمير منصوب منفصل ونصبه بفعل محذوف يفسره الظاهر بعده والفعل المحذوف بعد اياي لان تقديم
الفعل مقدما على اياي لا يحسن لانفصاله والتقدير اياي ارهبوا فارهبون ولا يجوز ان يكون انتصاب
اياي بقوله فارهبون لانه مشغول بالضمير والفاء في قوله فارهبون جواب امر مقدر اي وتنبهوا فارهبون
ثم حذف تنبهوا فاجتمع حرفا عطف فاخرت الفاء وقدم المفعول عليها ثم اعيد تاكيدا ولتكميل الفاصلة ولا يبعد
تاكيد ضمير المنفصل بالعكس نحو اكرمته اياه ونظيره قوله زيدا فاضرب تقديره تنبه فاضرب زيدا ثم حذف تنبه
فوقع الفاء صدرا فقدم الاسم ليلا يقع الفاء صدرا ودخول الفاء لربط الجملتين والرهبة الخوف
والخوف من الله تعالى هو الخوف من عقابه والخوف على وجهين احدهما مع العلم والاخر مع الظن اما العلم
فاذا كان على يقين من انه اتى بكل ما امر به واحترز عن كل ما نهى عنه فان خوفه انما يكون عن المستقبل وعلى هذا
تتصف الملائكة والانبيا بالخوف قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم واما الظن فاذا لم يقطع بانه فعل
المامورات واحترز عن المنهيات فحينئذ يخاف ان لا يكون من اهل الثواب واعلم انه كل من خاف
وكان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيامة اكثر وبالعكس روي انه ينادي مناد يوم القيمة
وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين وقال العارفون الخوف خوفان خوف العقاب وخوف
الجلال والاول نصيب الظاهر والثاني نصيب اهل القلب والاول يزول والثاني لا يزول
قال صاحب الكشاف واياي فارهبون ولا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد
في افادة الاختصاص من اياك نعبد فيه وجوه من التاكيد تقديم الضمير المنفصل وتاخير
المتصل والفاء الموجبة معطوفا عليه تقديره واياي فارهبون وان احدهما مضمر والثاني مظهر
وما في ذلك من تكرار الرهبة واثناي فارهبون يدل على ان المرء يجب ان لا يخاف احدا الا الله

قوله تعالى وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا
قليلا واياي فاتقون قوله وامنوا جملة امرية معطوفة على الامرية التي قبلها وما في قوله بما
انزلت مصدقا موصولة وانزلت صلتها والعايد محذوف ومصدقا حال من الضمير المحذوف
الذي هو مفعول انزلت والعامل فيه انزلت وقيل حال من الموصول والعامل فيه امنوا والمخاطبون
بقوله امنوا هم بنو اسرائيل وقوله بما انزلت هو القران ومعنى قوله مصدقا انه حصلت
البشارة بمحمد وبالقران في التوراة والانجيل فكان الايمان بالقران وبمحمد تصديقا للتوراة
والانجيل فيلزم الايمان به لان التوراة والانجيل قد شهدا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
وانما ذكر الله هذا الكلام ليكون حجة على بني اسرائيل في وجوب الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وهذا الكلام يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجهين الاول ان شهادة كتب الانبيا
عليهم السلام لا تكون الا حقا والثاني انه صلى الله عليه وسلم لم يقرا كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك
الامر قبل الوحي قوله ولا تكونوا اول كافر به الاول نقيض الاخر افعل ومؤنثه اولى قال
سيبويه اصله اوول فاؤه وعينه واوان ولم يستعمل عنه فعل لاعتلال عينه وفائه واستثقال

اجتماع الواوين ولم يحفظ ما فاؤه وعينه من جنس واحد الا ددن وبقس وببن وعند
الكوفيين افعل من وال اذا نجا اصله فابدلوا من الهمزة الثانية واوا مفتوحة وادغمت
الاولى فيها وقيل افعل اصله اوءل من ال يؤول ثم قلبت اوال كافعل ثم خففت بابدال
الهمزة واوا وادغمت قال صاحب الصحاح اول اذا جعلته صفة لم تصرفه تقول لقيته عاما اول
واذا لم تجعله صفة صرفته تقول عاما اولا قال ابن السكيت لا تقول عام الاول وتقول ما رايته
مذ عام اول فمن رفع الاول جعله صفة لعام كانه قال اول من عامنا ومن نصبه جعله كالظرف كانه قال
عام قبل عامنا واذا قلت ابدا بهذا اول ضممته على الغاية كقولك افعله قبل وان اظهرت المحذوف
نصبت قلت ابدا به اول فعلك كما تقول قبل فعلك وتقول ما رايته اول من امس ولم تجاوز
ذلك وتقول هذا اول بين الاولية وقيل يستعمل اول استعمالين احدهما ان يجري مجرى الاسما فيكون
مصروفا وتليه العوامل كافكل وانكل افعل الرعدة ولا شيء منه فعل يقال اخذه افكل اذا
ارتعد من برد او خوف وهو منصرف واذا كان اول يجري مجرى الاسما فيكون مصروفا وتليه
العوامل يكون معناه قديما وعليه قول العرب ما تركت له اولا واخرا اي قديما وحديثا وثانيهما
ان يجري مجرى افعل التفضيل فيستعمل من ملفوظا بها او مقدرة او باللام او بالاضافة واذا
اضيف افعل التفضيل الى نكرة غير صفة بقي مفردا مذكرا او طابقت النكرة ما قبلها تقول
زيد افضل رجل وهند افضل امراة والزيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال
وان كانت صفة فقد جاءت المطابقة والافراد مع تقدم الجمع في الصفة تاويل بين او
تقدر وصفا المفرد يؤدي معنى الجمع وحذف الموصوف واقامت الصفة مقامه فتقدير قوله
اول كافر به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به وقيل التجوز في الجمع فتقديره
ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به وقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان
يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه
والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على
العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى
قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم
تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير
في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدق ما معكم فقد كفروا به يعني لا تكونوا اول
كافر بالتوراة لانكم اذا كفرتم بالقران الذي يصدق التوراة فقد كفرتم بالتوراة قوله
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون الاشترا استعارة للاستبدال كقوله اشتروا
الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله فاني شريت الحلم بعدك بالجهل
يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا فانه لو لم يكن المعنى على الاستبدال لكان الثمن هو المشترى
به لا المشترى باياتي صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا عرضا يسيرا من الدنيا وهو الرياسة
التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستبدلوا الرياسة وهو بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير وكل
كثير بالنسبة اليه قليل وحقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت سفلتهم وعامتهم يعطون احبارهم
من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم

لم ما صعب عليهم من الشرايع وكان سلولهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا فخافوا
ان اتبعوا صفته محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه تفوتهم تلك الماكل والرياسه فاختاروا الدنيا
على الاخره واما قوله تعالى فاياى فاتقون فيقرب معناه من قوله واياى فارهبون
والفرق بينهما ان الخوف واما الاتقا فانما يحتاج اليه عند الجزم بحصول ما يتقى منه فكانه
تعالى امرهم بالرهبه لاجل ان جواز العذاب قايم ثم امرهم بالتقوى لان يقين الخطا قايم وقيل
الفرق ان الرهبه مقرون بها وعيد واتقى **قوله** ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق وانتم تعلمون اللبس بالضم مصدر قولك لبست الثوب واللبس بالفتح مصدر قولك لبست عليه
الامر اى خلطت من قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون واللبس بالفتح اختلاط الظلام وفي الامر
لبسه بالضم اى شبهة ليس بواضح تلبسوا جزم بالنهى وتكتموا عطف عليه فى موضع جزم داخل تحت
حكم النهى يعنى ولا تكتموا ويجوز ان يكون فى موضع نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع ويسمى واو
الصرف اى يصرف الى المعطوف عن اعراب المعطوف عليه اى ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك
لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت فعلى ما ذكر يلزم جواز اللبس بدون الكتمان اجيب بان
الكتمان مقيد بقوله وانتم تعلمون اى ولا تكتموا الحق حال كونكم عالمين بانه حق اى لا يكون منكم لبس حق
مع علمكم وكتمان الحق فالنهى عن جمع اللبس مع العلم بكتمان الحق واللبس الذى لم يكن مع العلم منهيا عنه
لان اللبس الذى لا يعلم به لا يعاقب فى ارتكابه لان الاحتراز عنه غير معتقد ورد صاحب الكشاف
فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل
فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان ممكن مفارقة احدهما عن الاخر فان لبس الحق بالباطل
هو كتبتهم فى التوراه ما ليس منه وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد فى التوراه صفة محمد
او حكم كذا او ان يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه والبا فى قوله بالباطل هى صلة
كالبا فى قولك لبست الشى بالشى وخلطته به اى لا تكتبوا فى التوراه ما ليس منه فيختلط الحق
الذى انزل عليكم من صفة محمد بالباطل الذى تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وتبديل نعته حتى
حتى لا يميز بين حقهما اى التوراه وباطلكم ويحتمل ان يكون البا للاستعانه كالتى فى قوله كتبت بالقلم
اى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم اى بسبب باطلكم الذى تكتبونه وقيل ان اليهود اقروا
ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا البعض ليصدقوا فى ذلك فقال الله تعالى ولا تلبسوا
الحق الذى تقرون به وتبينونه بالباطل يعنى بما تكتمونه فالحق بيانهم والباطل كتمانهم
وقيل معناه ولا تلبسوا الحق يعنى صفة محمد ونعته بالباطل بصفة الدجال وتكتموا الحق
اى ولا تكتموا الحق لقوله تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم اى ولا تخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون فى حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لكم لان الجهل بالقبح ربما عذر
راكبه والمقصود النهى عن الاغوا والاضلال فان لاضلال الغير طريقين احدهما ان ذلك الغير
قد سمع دلايل فتشوش عليه بالشبهات والاخر اخفا تلك الدلايل عنه ومنعه من الوصول
اليها فقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل نهى عن الاول وقوله وتكتموا الحق نهى عن الاخر
والايه داله على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه وهذا الخطاب وان ورد
فيهم فهو تنبيه لساير الناس وتحذير من مثله **قوله تعالى** واقيموا الصلوه واتوا الزكوه
واركعوا مع الراكعين امرهم الله تعالى بالايمان اولا ثم نهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمان دلايل النبوه
ثانيا ثم امرهم بالصلوه والركوع لان هاتين اما العبادات البدنيه والماليه وهما العيار على

ان الرهبه
م

صاحبه م

بلغ مقابلة

غيرهما فان النبي صلى الله عليه وسلم سمى الصلوه عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر
ترك الصلوه وسمى الزكوه قنطرة الاسلام وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوه
فلما كانتا بهذه المثابه خصصهما بالذكر من بين ساير العبادات فان من شانهما استجرار ساير العبادات
واستتباعها وبعنى صلوة المسلمين اى وزكوتهم وحافظوا على الصلوات الخمس بمواقيتها وركوعها
وسجودها واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع فى صلوتهم وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم فى دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوه كما يعبر عنها بالسجود وان يكون
مع المصلين فى الجماعه كانه قيل واقيموا الصلوه وصلوا مع المصلين لا منفردين والزكوه فى اللغه
عباره عن النما يقال زكى الزرع اذا نمى والطهاره قال الله تعالى اقتلت نفسا زاكيه اى طاهره وفى
الشرع المقدار المخرج من الاموال سمى بها لان فى اخراج ذلك القدر تنمية للباقى قال عليه
الصلوه والسلام عليك بالصدقه فان فيها ست خصال ثلثه فى الدنيا وثلثه فى الاخره فاما التى فى الدنيا
فتزيد فى الرزق وتكثر المال وتعمر الديار واما التى فى الاخره فستر العوره وتصير ظلا فوق الراس
وتكون سترا من النار وتطهيرا للمخرج عن الذنوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقه تطهرهم وتزكيهم بها
وهذه الايه تدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع فانها خطاب مع اليهود وقيل انما امر الله تعالى
بنى اسرايل بالزكوه لانهم كانوا لا يؤتون الزكوه واليه الاشاره بقوله تعالى واكلهم السحت واكلهم اموال
الناس بالباطل فاظهر الله تعالى فى قوله تعالى ما كان مكتوبا ان يفضحهم فى ساير اسرارهم ومعاصيهم فيصير
هذا كالاخبار عن الغيب الذى هو احد دلايل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم واعلم ان القايلين بجواز تاخير
بيان المجمل عن وقت الخطاب قالوا هذا الخطاب مجمل فانهم ما عرفوا ان الصلوه ما هى وقد ورد
بدون بيانه والغايه ان يوطن السامع نفسه على الامتثال اذا بين والقايلون بعدم جواز
تاخيره عن وقت الخطاب قالوا انما ورد قوله واقيموا الصلوه بعد ان كان النبى صلى الله عليه وسلم وصف
اركان الصلوه وشرايطها فكانه تعالى قال واقيموا الصلوه التى عرفتموها **قوله** تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون لما امرهم الله تعالى بالايمان والشرايع
بعد امرهم بذكر ما خصهم به من النعم لرغبتهم فى ذلك بنى على ما خذ اخر وهو ان امر الناس بالبر مع نسيان
انفسهم يستقبح عقلا اذ المقصود من امر الناس بالبر اما النصيحه او الشفقه وليس من العقل
ان يشفق الانسان على غيره او ينصح غيره وينسى نفسه فحذرهم الله تعالى بان قرعهم بهذا الكلام وقد
نزلت هذه الايه فى علما اليهود فان الرجل منهم كان يقول لصهره وقريبه ورضيعه وطبيعه من
المسلمين فى السر اذا ساله عن محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على الدين الذى انت عليه وما يامركم به الرجل
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فان امره حق وقوله صدق فانزل الله تعالى اتامرون الهمزه للتقرير
مع التقريع والتعجب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه
قولهم صدقت وبررت حين قال المؤذن الصلوه خير من النوم اى فعلت برا فى هذا الصدق وهذا كما
يقال كذب وفجر اى فجر فى كذبه قيل كان الاحبار يامرون من نصحهم فى السر من اقاربهم وغيرهم
باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقه ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها
خانوا فيها وقيل ان اليهود كانوا يامرون غيرهم باتباع التوراه ثم انهم اختلفوا لانهم وجدوا
فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم ما امنوا والنسيان عباره عن السهو الحادث
بعد حصول العلم والناسى غير مكلف ومن لا يكون مكلفا لا يجوز ان يذمه الله تعالى على ما صدر منه
فالمراد بقوله تنسون انفسكم انكم تتركونها من البر كالمنسيات **قوله** وانتم تتلون الكتاب
جمله حاليه تبكيت لهم مثل قوله وانتم تعلمون تقراون التوراه وفيها نعت محمد وفيها الوعيد

يكون امرا بان
م

على الخيانه وترك البر ومخالفة القول العمل واصل التلاوه من قولهم تلاه يتلوه اذا اتبعه والتلاوه
اتباع الحروف بالقراءه قوله تعالى افلا تعقلون والعقل هو الادراك الذى به يمتاز الانسان عن
جميع الحيوانات سمى عقلا لانه يعقله اى يمنعه عن التورط فى الهلكه والفا فى افلا للعطف والمعطوف
عليه يتلون والاصل تقديم حرف العطف على الهمزه لكن روعى صداره الاستفهام فقدم الهمزه على الفاء
العاطفه وقيل ان حرف العطف واقع فى موقعه والهمزه تستدعى فعلا مدلولا على معناه بقراين سياق
الكلام فيكون التقدير اتتلون الكتاب فلا تعقلون وهذا توبيخ عظيم وتعجب بليغ بمعنى افلا تعقلون
قبحه فما قدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه فكانكم فى ذلك مسلوبو العقل لان العقول
تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون وسبب التعجب وجوه منها ان من
وعظ ينبغى ان يكون وعظه موثرا فى القلوب والاقدام على ما يمنع الغير منه منفر عن القبول
فالمقصود من الوعظ التاثير فى القلب والاقدام على ما يمنع الغير منه يقتضى عدم التاثير والجمع بينهما لا يكون
مقتضى العقل ومنها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ارشاد الغير الى تحصيل المصلحه
وتحذيره عما يوقعه فى المفسده والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك معلوم بحسب
العقل والنقل ومن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بفعل متناقض لا يرتكبه الا من لا عقل له عن انس ابن مالك
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليله اسرى بى على اناس تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من هولاء يا جبريل فقال هولاء خطباء اهل الدنيا ممن كانوا يامرون الناس بالبر وينسون
انفسهم وقال مثل الذى يعلم الناس ولا يعمل به كالسراج يضى للناس ويحرق نفسه قيل
ليس لتارك المامور به والمرتكب للمنهى عنه ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لقوله تعالى اتامرون الناس بالبر
الايه فانه ذكر فى معرض الذم ولقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما
لا تفعلون ولانه لو جاز ذلك لجاز لمن يزنى بامراه ان ينكر عليها فى اثناء الزنا على كشفها وجهها اجيب
بان المكلف مامور بشيين احدهما ترك المعصيه والثانى منع الغير عنها والاخلال باحد الواجبين
لا يستدعى الاخلال بالاخر واحتجت المعتزله بهذه الايه على ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى فقالوا
اتامرون الناس الايه فقالوا انما يصح ويحسن لو كان ذلك الفعل منهم فاما اذا كان مخلوقا فيهم على
سبيل الاضطرار فلا يحسن اذ لا يجوز ان يقال للاسود لم لا تبيض لما كان السواد مخلوقا فيه وقد
عرف جوابه فى المقدمه الثانيه والعشرين والجواب الحق انه لا يسال عما يفعل
قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوه وانها لكبيره الا على الخاشعين اختلفوا
فى المامورين بقوله واستعينوا فقالت طايفه هم المومنون لان من ينكر الصلاه اصلا
والصبر على دين الاسلام يبعد ان يقال لهم استعينوا بالصبر والصلوه ولا يمتنع ان
يكون الخطاب اولا فى بنى اسرايل ثم رجع الى خطاب المسلمين فامرهم ان يستعينوا على
ما يطلبونه من رضا الله تعالى ونيل جنته بالصبر والصلوه قال الامام والاقرب ان
المخاطبين هم بنو اسرايل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكك النظم واما قولهم
من ينكر الصلوه والصبر على دين الاسلام يبعد ان يقال لهم استعينوا بالصبر والصلوه فيقال
لا نسلم لبعد فانه تعالى لما امرهم بالايمان وترك الاضلال والتزام الشرايع وهى الصلوه والزكوه
وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه عالج الله
هذا المرض بقوله بالصبر والصلوه وذكر وجوه فى المستعان عليه منها استعينوا على حوايجكم
الى الله بالصبر والصلوه اى بالجمع بينهما بان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوه متحملين
لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب

قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك
تغ قاضى عضد

والاحتراس

والاحتراس من المكاره مع الخشيه والخشوع واستحضار العلم فانه انتصاب بين يدى جبار
السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوه واصطبر
عليها والا لتجا الى الصلوه عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر اى اصابه
امر فزع الى الصلوه اى التجا الى الصلوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه نعى اليه اخوه قثم وهو فى سفر
فاسترجع اى قال انا لله وانا اليه راجعون وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم
قام يمشى الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوه وقيل الصبر الصوم لانه حبس النفس
عن المفطرات من الطعام والشراب وقضا شهوه الفرج ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر فان
الصايم صابر عن المفطرات فيزول عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوه استنار القلب
بانواع معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوه لان تاثيره فى التخليه عما لا ينبغى وتاثيرها
فى التحليه بما ينبغى والتخليه مقدمه على التحليه ويجوز ان يراد بالصلوه الدعا فيكون معناه
واستعينوا على البلايا بالصبر وبالدعاء اى وبالالتجا الى الدعا والابتهال الى الله فى دفعه
قوله وانها لكبيره الضمير الذى هو اسم ان للصلوه لانها الاقرب والاغلب والافضل والاهم
كقوله تعالى يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها واذا راوا تجاره او لهوا انفضوا اليها والاستعانه
المعلومه من قوله واستعينوا اى بجميع الامور التى امر بها بنو اسرايل ونهوا عنها من قوله اذكروا
نعمتى الى قوله واستعينوا قوله لكبيره لشاقه ثقيله من قولك كبر على هذا القول وكل ما ثقل على الانسان
كبر عليه كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المطيعين الساكنين الى الطاعه
والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعه الرمله المطمينه واما الخضوع واللين والانقياد
ومنه خضعت بقولها اذا لينته وانما لم تثقل على الخاشعين لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين
والمصلين على المتاعب فهون عليهم واما من لم يوقن بالجزا ولم يرج الثواب كانت عليه مشقه خالصه
فثقلت عليه كالمرايين باعمالهم والمنافقين فان من وعد على بعض الاعمال والصنايع اجره
على مقدار عمله فتراه تراوله برغبه ونشاط وانشراح صدر ومضاحكه لحاضريه كانه يستلذ
بمزاولته بخلاف عامل يسخره بعض الظلمه ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عينى فى الصلوه وكان يقول يا بلال روحنا فان قيل ان كانت ثقيله على هو لا غير ثقيله على الخاشعين
يجب ان يكون ثوابهم اكثر وثواب الخاشعين اقل وذلك منكر من القول اجيب بان
المراد من لا يلحقهم من التعب ليس اكثر مما يلحق الخاشع وكيف يكون ذلك والخاشع يستعمل عند صلوته جوارحه
وقلبه وسمعه وبصره ولا يغفل عن تدبر ما ياتى به من الذكر وعن التذلل والخضوع واذا
تذكر الوعيد لم يخل من حسره وغم واذا كان هذا فعل الخاشع فالثقل بفعل الصلوه اعظم
والمراد بقوله انها ثقيله على من لم يخشع من حيث انه لا يعتقد فى فعلها ثوابا ولا فى تركها عقابا
فيصعب عليه فعلها قوله الذين يظنون والظن الاعتقاد الذى يقارنه تجويز النقيض
اعتقادا راجحا الا ان العلم راجح مانع من النقيض والظن راجح غير مانع من النقيض فلما اشترك
من الوجه المذكور صح اطلاق اسم احدهما على الاخر مجازا قال الله تعالى انى ظننت
انى ملاق حسابيه وقال الا يظن اولئك انهم مبعوثون ذكر الله تعالى انكارا عليهم وبعثا
على الظن ولا يجوز ان يمدحهم على الاعتقاد المجوز للنقيض فيكون المراد بالظن هنا العلم
وقال وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وقال انى ظننت انى ملاق فالظن فى جميع هذه
الايات بمعنى اليقين وقال دريد فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد

اي ايقنوا والظن في قوله الذين يظنون بمعنى العلم لان الظن الحقيقي يقتضي ان يكون صاحبه
غير جازم بلقاء ربه وهذا الشرك والكفر مذموم والله تعالى مدح على هذا الظن فتعين ان يكون
المراد بالظن هاهنا العلم وقيل المراد في هذا الظن هو المعنى الحقيقي ثم هاهنا وجوه الاول
ان يجعل ملاقاة الرب عبارة عن الموت بطريق المجاز وذلك لان ملاقاة الرب مسبب عن
الموت فاطلق المسبب واريد السبب فيكون المعنى الذين يظنون انهم يموتون في كل لحظة
وذلك لان من كان متوقعا للموت في كل لحظة فانه لا يفارق قلبه الخشوع الثاني ان يراد بملاقاة
الرب ملاقاة ثواب الرب بل يظن ذلك والظن يحمل على الخشوع ويكون معناه الذين يتوقعون
انهم ملاقوا ثواب ربهم ومطعون فيه الثالث ان المعنى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم
لان الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وباعماله فيحمله على الخشوع واستدل بعض الاصحاب
بقوله ملاقوا ربهم على رؤية الله تعالى ووجه الاستدلال ان اللقا لغة وصول احد الجسمين الى
الاخر بحيث يماسه يقال لقي هذا ذاك اذا ماسه واتصل وملاقاة احد الجسمين للاخر سبب لحصول
الادراك ان كان من شان الجسم الادراك بحيث يمتنع اجرا اللفظ على ظاهره يحمل على الادراك
فان اطلاق اسم السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فتعين حمل الملاقاة على الادراك
لاستحالة مفهومه الحقيقي قالت المعتزلة اللقا لا يفيد الرويه والدليل عليه القران والخبر والعرف
اما القران فقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه وقوله ومن
يفعل ذلك يلق اثاما وقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه فهذا يتناول المومن والكافر
والكافر لا يرى الله واما الخبر فقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين يقتطع بها مال امري
مسلم لقي الله وهو عليه غضبان وليس المراد راى الله لان ذلك وصف اهل النار واما العرف
فهو قول المسلمين من مات لقي الله ولا يعنون انه راى الله واجيب بان صرف اللقا عن الادراك
في هذه الصور لمانع يخصها فلا يلزم صرفه عن الادراك في غيرها قوله وانهم اليه راجعون عطف
على قوله انهم ملاقوا ربهم اي يصدقون بالبعث ويقرون بالنشاة الثانية وجعل رجوعهم بعد
الموت الى المحشر رجوعا الى ربهم وذلك لان رجوعهم الى المحشر رجوع الى حيث لا يكون لهم مالك
سوى ربهم ولا يملك احد لهم نفعا ولا ضرا غير ربهم كما كانوا كذلك في النشاة الاولى فجعل
مصيرهم الى مثل ما كانوا عليه رجوعا الى الله وقد احتج المعتزلة بهذه الاية فان الرجوع
الى غير الجسم محال وقد اثبت الاية الرجوع الى الله تعالى فيكون جسما والتناسخية احتجوا
بها بان الرجوع الى الشي مسبوق بكونه عنده فتكون الارواح قديمة والجواب علم من معنى
الرجوع **قوله تعالى** يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على
العالمين اعاد هذا الكلام توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وقرنه بنعمة اخرى عظيمة وهو تفضيلهم على العالمين وبالوعيد وهو قوله واتقوا يوما كانه
قال ان تطيعوا لاجل النعمة العظيمة التي هي التفضيل وللخوف من عقابي في المستقبل واني
فضلتكم في محل النصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي وهذا التفضيل هو ما ذكره في قوله اذ جعل
فيكم انبيا قيل وقوله واني فضلتكم على العالمين يقتضي ان يكونوا افضل من محمد صلى الله عليه وسلم
اجيب عنه من وجوه احدها ان المراد بالعالمين الجم الغفير من الناس لقوله تعالى باركنا فيها
للعالمين يقال رايت عالما من الناس يريد الكثرة وثانيها يعني عالمي زمانهم قاله ابن عباس وابو العالية
ومجاهد وابن زيد قال ابن قتيبة من العام الذي اريد به الخاص والمراد تفضيل سلفهم ولكن
في

بالظن و

حمله على

في تفضيل الابا شرف الابنا لان الله قال لهم واني فضلتكم على العالمين والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
موجودا في ذلك الوقت فلا يلزم من تفضيل بني اسرائيل على عالمي زمانهم تفضيلهم على النبي صلى الله عليه وسلم
وثالثها قوله واني فضلتكم على العالمين عام في العالمين ولكنه مطلق في التفضيل والمطلق يحصل صدقه
بصورة واحدة فيقتضي تفضيلهم على العالمين في امر ما وهو لا يقتضي تفضيلهم على كل العالمين في كل الامور فيجاز
تفضيل غيرهم عليهم فيما عدا ذلك الامر فعلى هذا لا يصح الاستدلال بهذه الاية وامثالها على فضل الانبيا
على الملايكة وقيل اراد بالمخاطبين المومنين لان غير المومنين منهم مسخ اقرده وخنازير على ما قال
تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وقال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل قيل قوله واني فضلتكم
على العالمين يدل على ان الاصلح لا يجب على الله تعالى لان تفضيلهم ان وجب لم يجز جعله منة عليهم لان من
اتى بما وجب عليه لا منة له على احد وان لم يجب مع انه خص البعض به دون البعض فقد
دل على ان الاصلح لا يجب على الله تعالى لان تفضيلهم ان وجب لم يجز جعله منة عليهم لان من اتى بما وجب
عليه لا منة له على احد وان لم يجب مع انه خص البعض به دون البعض فقد دل على ان الاصلح
لا يجب عليه تعالى **قوله تعالى** واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها شفاعة ولا
يوخذ منها عدل ولا هم ينصرون لما امرهم بذكر النعم العظيمة اردف ذلك بامرهم بالحذر
عن العذاب الشديد الذي لا دافع له بسبب المخالفة والعصيان فان المخالفة والعصيان
مع عظم النعم يكون اقبح واشد والخشي يوما يريد يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف
لان الامر بالتقوى لا يقع يوم القيامة واتقا اليوم اتقا لما يقع فيه من العقاب والشدايد
لان نفس اليوم لا يتقى اي اتقوا واخشوا عقاب يوم ثم حذف العقاب واقيم اليوم مقامه
تنبيها على انه لا خلاص من العقاب في ذلك اليوم قيل يصح ان يكون نصبه على الظرف
ومفعول اتقوا محذوف وهو العذاب والعامل في الظرف المحذوف لا اتقوا قوله
لا تجزي جملة منصوب المحل صفة لقوله يوما والعايد محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه
ما انشد ابو علي ترى او حي احدى ان تقيلي اي ما احدى بان تقيلي فيه روحي من الرواح وتقيلي
من القيلولة اي اطلبي بالرواح اي بالسير بعد الزوال ما احدى واحدى منصوب
لانه مفعول ترى وحي مكانا احدى ذلك المكان بان تقيلي فيه من مكان انت فيه ومن البصريين
من قال التقدير لا تجزي فيه ثم اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار واتصل
الضمير فصار تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف من نحو قوله اوما لا اصابوا اي اصابوه
تقول جزى عني هذا الامر اي قضى لا تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك اي تقضي
وشيا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزا لقوله ولا يظلمون
شيا ومعنى التنكير في النفسين والشي ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس من الانفس
شيا من الاشيا قوله ولا يقبل يقال قبلت الشي اقبله قبولا وقبولا ويقال
على فلان قبول اذا اقبلته النفس ومعنى الشفاعة كلام الشفيع من هو فوقه في حاجة
يسالها لغيره وهو من الشفع الذي هو خلاف الوتر وذلك ان سوال الشفيع يصير شفعا
لسوال المشفوع له قرا ابن كثير وابو عمرو بالتا والباقون باليا لان التانيث فيه غير
حقيقي قوله ولا يوخذ منها عدل العدل خلاف الجور يقال عدل عليه في القضية فهو
عادل وبسط الوالي عدله ومعدلته وفلان من اهل المعدلة اي من اهل العدل ورجل
عدل اي رضي ومقنع في الشهادة وهو في الاصل مصدر وقوم عدل وقد عدل الرجل
بالضم عدالة قال الاخفش العدل بالكسر المثل وبالفتح اصله من قولك عدلت بهذا عدلا

حسنا جعله اسما للمثل ليفرق بينه وبين عدل المتاع وقال الفراء العدل ما عادل الشيء من غير
جنسه والعدل بالكسر المثل ليفرق بينه وبين عدل غلامك وعدل شاتك اذا كان غلاما يعدل
غلاما او شاة تعدل شاة فاذا اردت قيمته من جنس نصبت العين وربما كسرها بعض العرب وكانه
منهم غلط قال وقد اجمعوا على واحد الاعدال انه عدل بالكسر وعدل في الاية معناه فدية لانها معادلة
للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي فدية ولا توبة ومعنى التنكير في الشفاعة
والعدل كالتنكير في النفسين والشيء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع والضمير في قوله ولا
يقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية غير المجزي وهي التي لا يؤخذ منها عدل ولا تقبل
منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على معنى
ان النفس الاولى لو شفعت للنفس الثانية لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا
عنها للنفس الثانية لم يؤخذ منها اي من النفس الاولى قوله ولا هم ينصرون ضمير الجمع
باعتبار النفوس الكثيرة التي دلت عليها النفس المنكرة والتذكير باعتبار معنى العباد والاناسي
كما تقول ثلثة انفس والنصر انما يكون في الدنيا بالخلة والقرابة وقد اخبر الله تعالى انه يوم لا
بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وانه لا انساب بينهم يومئذ وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وقيل النصر يراد به المعونة كقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما وفيه معنى الاستعانة
تقول العرب ارض منصورة اي ممطورة والغيث ينصر البلاد اذا انبتها فكانما اغاث اكلها كذا
اهلها وقيل ان كان في قوله من كان يظن ان لن ينصره الله اي يرزقه الله كما يرزق الغيث البلاد
ويسمى الانتقام نصرة قال تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا قيل معناه
فانتقمنا له وقوله ولا هم ينصرون يحتمل هذه الوجوه فان يوم القيامة لا يعاونون
ولا يغاثون ولا يجدون من ينتقم لهم من الله وفي الجملة النصرة هو دفع الشر فاخبر الله تعالى انه لا
دافع هناك عن عذابه اجمع الامة على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم شفاعة في الاخرة وحمل على
ذلك قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى
واجمعوا على انه ليس لاحد الشفاعة في حق الكفار ثم اختلفوا في ان شفاعته عليه السلام لمن تكون
فذهبت المعتزلة الى ان الشفاعة للمؤمنين المستحقين للثواب وتاثير الشفاعة زيادة المنافع
على قدر ما استحقوه وذهب اصحابنا ان الشفاعة لاصحاب الكبائر المستحقين العذاب وتاثيرها
في اسقاط العقاب عن المستحقين له اما بان يشفع لهم في عرصة القيامة حتى لا يدخلوا النار فان دخلوا
النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة احتج اصحابنا بانه تعالى امر الحبيب صلى الله عليه
وسلم بالاستغفار لذنوب المؤمنين لقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وصاحب
الكبيرة مؤمن فيستغفر له امتثالا للامر وصيانة لعصمته صلى الله عليه وسلم عن مخالفة امره
واذا استغفر له النبي صلى الله عليه وسلم قبل توبته تقبل الله شفاعته صلى الله عليه وسلم تحصيلا
لرضاه لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى فثبت ان شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
مقبولة في حق صاحب الكبيرة قبل التوبة وفي صحيح البخاري حدثنا سليمن بن حرب حدثنا حماد
بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال اجتمعنا ناس من البصرة فذهبنا الى انس ابن
مالك وذهبنا معنا بثابت البناني اليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة فاذا هو في قصره
فوافقناه يصلي الضحى فاستاذنا فاذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن
شيء اول من حديث الشفاعة فقال يا ابا حمزة هؤلاء اخوانك من اهل البصرة جاؤا
يسألونك عن حديث الشفاعة فقال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة

ماج

ماج الناس بعضهم في بعض فياتون ادم فيقولون اشفع لنا الى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم
بابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله فياتون
موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد فياتوني فاقول انا لها فاستاذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد احمده بها لا تحضرني الان
فاحمده بتلك المحامد واخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع
فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان فانطلق
فافعل ثم اعود فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه
فاقول يا رب امتي امتي فيقول انطلق فاخرج من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة
خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل فلما خرجنا من عند انس قلت لبعض اصحابنا لو مررنا
بالحسن وهو متوار في منزل ابي خليفة فحدثناه بما حدثنا به انس بن مالك فاتيناه فسلمنا عليه فاذن
لنا فقلنا يا ابا سعيد جئناك من عند اخيك انس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة فقال
هيه فحدثناه بالحديث فانتهى الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزد لنا على هذا فقال لقد حدثني
وهو جميع منذ عشرين سنة فلا ادري انسي ام كره ان تتكلوا قلنا يا ابا سعيد فحدثنا فضحك وقال خلق الانسان
عجولا ما ذكرته الا وانا اريد ان احدثكم حدثني كما حدثكم به ثم قال اعود الرابعة فاحمده بتلك
المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول
فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله واحتج المعتزلة على ان شفاعة النبي صلى الله
لا اثر لها في اسقاط العذاب بايات منها قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا دل على انه لا تجزي نفس
عن نفس شيئا على سبيل العموم فان النكرة في سياق النفي تفيد العموم وتاثير الشفاعة في اسقاط العذاب
مناف لمقتضاه فلا يثبت وقوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة دل على انه لا تجزي تقبل شفاعة
من احد لاحد لانها نكرة في سياق النفي تعم جميع انواع الشفاعة من كل احد لاحد وقوله
تعالى ولا هم ينصرون دال على ان العصاة لا ينصرون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم شفيعا لاحد من
العصاة لكان ناصرا له وهو مناف لمقتضى الاية ومنها قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
نفى الله سبحانه وتعالى ان يكون للظالمين شفيع على سبيل العموم والعصاة ظالمون ولا شفيع لهم
والجواب عن هذه الايات بانها غير عامة في الاعيان ولا في الازمان فلا يلزم تناولها محل
النزاع ولئن سلم عمومها في الازمان والاعيان فهي مخصصة بما ذكرنا من الايات الدالة على ثبوت شفاعة
النبي صلى الله عليه وسلم في حق العصاة فتاول الايات بتخصيصها بالكفار جمعا بين الادلة واما
الاية المذكورة هاهنا فقد قال الزجاج ان اليهود زعموا ان اباها الانبيا تشفع لهم يوم القيامة
فايسهم الله بهذه الاية وقال صاحب الكشاف في هذه الاية دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة
لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم
انها لا تقبل للعصاة وقيل ليس في الاية دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة لمنكرها لان قوله يوما
اخرجه منكرا ولا شك ان في القيامة مواطن ويومه معدود بخمسين الف سنة فبعض اوقاته ليس
زمانا للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر صلى الله عليه وسلم وقد
وردت ايات تشير الى تعدد ايامها واختلاف اوقاتها منها قوله تعالى فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون فيتعين حمل الايتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين احدهما محل السؤال
والاخر ليس محلا له وكذلك الشفاعة وادلة ثبوتها لا تحصى كثرة رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في

ادري م

عليه وسلم

زمرة السفه والجاعة قيل في تأويل الشفاعة ان الباري عز اسمه عام الفيض تام الجود فحيث لا يحصل
فانما لا يحصل لعدم استعداد القابل ومن الجائز ان لا يكون الشيء مستعدا لقبول الفيض من الباري تعالى
الا بواسطة الفيض منه الى متوسط فيقبل الفيض من المتوسط مثاله في عالم الشهادة ان الشمس لا تضيء
الا للمقابل وسقف البيت لما لم يكن مقابلا لها لم يكن مستعدا لقبول النور عن الشمس فاذا وضع
طست مملوء ماء صافيا في مقابلة الشمس وضع ضوؤها انعكس الضوء من ذلك الماء الى السقف الذي
هو غير مقابل لها فارواح الانبياء كالوسائط بين الباري عز شانه وبين ارواح ساير الناس في وصول
الفيض من الله تعالى الى ارواحهم **قوله تعالى** واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اعلم ان الله سبحانه لما امر بني اسرائيل
بذكر نعمه على سبيل الاجمال شرع فامر بذكر تلك النعم على سبيل التفصيل ليكون ابلغ في التذكير
واعظم في الحجة قوله واذ نجيناكم عطف على قوله نعمتي فيكون في محل نصب على انه مفعول
به والعامل فيه اذكروا اي اذكروا نعمتي وتفضيلي ووقت انجائكم ويكون جملة واتقوا يوما اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ظرف لانه لا ينصرف والعامل فيه اذكروا الفعل مقدرا اي
واذكروا اذ نجيناكم والانجاء والتنجية التخليص وتنحية الشيء من الشيء حتى لا يتصل به ويقال
للمكان العالي نجوة لان من صار اليه نجا اي تخلص ولان الموضع المرتفع باين مما انحط عنه فكانه تخلص منه
واصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان
كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وقيل الاهل اعم من الآل يقال اهل الكوفة
واهل البلد واهل العلم ولا يقال آل الكوفة وآل البلد وآل العلم وآل الرجل اهله وعياله
والذين اتباعه قيل اصله من الاول وهو الرجوع كانه يؤول اليك وفي آل فرعون ثلثة
اقوال احدها انهم اهل مصر قاله مقاتل وثانيها اهل بيته خاصة قاله ابو عبيدة وثالثها
اتباعه على دينه قاله الزجاج واراد ههنا بآل فرعون الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل
وفرعون اسم اعجمي علم لمن ملك العمالقة وقيصر لمن ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس والعمالقة قوم ينسبوا
الى عمليق من اولاد سام بن نوح وهم كانوا ولاة مصر وقيل العمالقة اولاد لاو اولاد ابن عملاق
بن سام بن نوح وكانوا سكان مكة وقيل العمالقة جمع عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح
وقيل فرعون لقبه وفي اسمه اربعة اقوال احدها الوليد بن مصعب قاله الاكثرون والثاني
قابوس قاله مقاتل والثالث مصعب بن ريان حكاه جرير الطبري والرابع مغيث ذكره
بعض المفسرين قال ابن وهب ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وليس بصحيح اذ كان بين دخول
يوسف وبين ان دخلها موسى اكثر من اربعمائة سنة ولقبوا الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان
اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه موسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه
يصف محوا والموسى ما يحلق به الراس والعرام سوء الخلق يسومونكم من سامه خسفا اي اولاه
ظلما وذلا واصله ان يكلفه المشقة والذل قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا
واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدون عليه والسوء مصدر
السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما والمعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده
وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سايره قوله يسومونكم رفع على الاستيناف او الجملة في موضع نصب
على الحال اي سايمين لكم سوء العذاب ويجوز ان لا يقدر هذا الحال ويكون وصف حال ماضية
قوله يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف لقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون

ابناكم

مصر

ابناكم وانما سوء العذاب استخدامهم في اصعب الاعمال وقال الفراء الموضع الذي طرحت فيه
الواو تفسير لصفات العذاب والموضع الذي فيه الواو يبين انه قد مسهم من العذاب غير الذبح فكانه
قال يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح قوله ويستحيون نساءكم اي يتركونهن احياء فلا يقتلونهن بل يستخدمونهن قيل
معنى يذبحون ابناءكم يذبحون رجالكم يسمون ابناء لانهم كانوا كذلك شاهده قوله تعالى نساءكم في مقابلة ابناءكم
والنساء البالغات فانهم يقتلون الرجال الذين يخافون منهم الخروج عليهم فاستحيا لافساد امرهم واكثر
المفسرين على ان المراد بالابناء الاطفال دون البالغين حملا للفظ الابناء على ظاهره ولانه يتعذر قتل
جميع الرجال على كثرتهم لانهم كانوا محتاجين اليهم في استعمالهم في الصنايع الشاقة ولانه لو كان كذلك لم
يكن لالقاء موسى في التابوت معنى وبالنساء الاطفال الاناث تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه فان البنات
لما لم يقتلن بل وصلن الى حد النساء صح اطلاق اسم النساء عليهن وقيل المراد بقوله يستحيون يفتشون
فروجهن هل بها حمل ام لا وهذا ليس بشيء والبلاء اسم مصدر من البلو وهو الاختبار والتجربة يقال
بلاه يبلوه بلوا اذا جربه والبلاء يكون حسنا ويكون سيئا والله تعالى يبلو عباده بالصنيع الحسن ليمتحن شكرهم
عليه ويبلوهم بالبلوى التي يكرهونها ليمتحن صبرهم وقيل للحسن بلاء وللسيء بلاء لان اصلهما المحنة ومنه قوله
تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والذي في هذه الآية يحتمل
الوجهين فان حملته على النعم كان المعنى وفي انجائكم من آل فرعون نعمة عظيمة وهو قول مجاهد والسدي
وان حملته على النقمة كان معناه في تذبيح الابناء واستحياء البنات للخدمة محنة عظيمة وهو قول ابن
عباس في رواية عطاء والكلبي قيل سبب ذلك ان فرعون راى في منامه نارا اقبلت من بيت المقدس
حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك ودعا
بالسحرة والكهنة وسالهم عن ذلك فقالوا انه يولد في بني اسرائيل و وكل بكل عشر نساء رجلا يحفظ من يحمل
منهن وقيل وكل بذلك القوابل والفائدة في ذكر هذه النعمة من وجوه منها ان هذه الاشياء
التي ذكرها الله تعالى لما كانت من اعظم ما يمتحن بها الناس من جهة الملوك والظلمة صار انجاء الله
اياهم عن هذه المحن من اعظم النعم وذلك لانهم عاينوا اهلاك من حاول هلاكهم وشاهدوا اذلال
من بالغ في اذلالهم ولا شك ان ذلك من اعظم النعم وعظم النعم يوجب الانقياد والطاعة ويقتضي
نهاية قبح المخالفة فلهذا السبب ذكر الله هذه النعمة العظيمة مبالغة في الزام الحجة عليهم وقطعا لعذرهم
ومنها انهم لما عرفوا انهم كانوا في نهاية الذل وان خصمهم في نهاية العز ولكنهم كانوا محقين وكان
خصمهم مبطلا فاعز الله المحقين واذل المبطلين وكانه قال لا تغرنكم وفرتكم وقلة انصاركم في
الحال فانه يحق فيصير العز الى جانبه والذل الى جانب اعدايه **قوله تعالى** واذ فرقنا بكم
البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صار
فيه مسالك لكم وفي معنى بكم اوجه احدها ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم
فكانما فرق بهم بين الشيئين بان توسط بينهما وثانيها ان يراد فرقنا بسببكم وبسبب انجائكم وثالثها
ان يكون في موضع الحال بمعنى فرقنا ملتبسا بكم كقول المتنبي تدوس بنا الجماجم والتريبا اي الخيل
تدوس الجماجم والترب في الحال التي نحن راكبوها روي انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى
ان يامر بني اسرائيل ان يستعيروا حلي القبط ليخرج خلفهم لاجل المال ولتبقى اموالهم في ايديهم
ثم نزل جبريل بالعشي فقال لموسى اسر ببني اسرائيل من مصر ليلا وهو المراد من قوله واوحينا الى
موسى ان اسر بعبادي ليلا فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم الى الصبح واخرج الله كل ولد زنا
في القبط من بني اسرائيل واخرج كل ولد زنا في بني اسرائيل من القبط اليهم حتى رجع كل واحد
منهم الى ابيه والقى الله تعالى على القبط الموت فمات كل ذكر لهم فاشتغلوا بدفنهم حتى طلعت الشمس وخرج

نعمة اخرى في نعمة

على عدد الاسباط وكانوا اثنتي عشرة

موسى في ستمائة الف نفس لانهم كانوا اثني عشر سبطا كل سبط خمسون الفا وقيل في ستمائة الف وعشرين الفا
مقاتلين لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره سوى الذرية فلما ارادوا المسير ضرب عليهم
التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرايل وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما
حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسالهم عن موضع
قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي فقال انشد الله كل من يعلم اين موضع قبر يوسف الا اخبرني ومن لم يعلم
فصمت اذناه عن قولي فكان يمر بالرجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت ارايتك ان
دللتك على قبر يوسف اتعطيني كل ما سالتك فابى موسى عليها وقال حتى اسال ربي فامره الله عز وجل
بايتاء سولها فقالت انا عجوز كبيرة لا استطيع المشي فاحملني واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما
في الاخرة فاسالك ان لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في جوف الماء في النيل
فادع الله حتى يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا ان يوخر طلوع الفجر الى ان يفرغ من امر
يوسف فحفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه في صندوق من مرمر وحمله حتى دفنه بالشام وفتح
لهم الطريق فساروا وموسى على ساقتهم وهرون على مقدمتهم ونذر بهم فرعون فجمع قومه وامرهم
ان لا يخرجوا في طلب بني اسرايل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فلما اصبحوا دعا فرعون
بشاة فذبحت وقال لا افرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى يجتمع الي ستمائة الف وكان فيهم سبعون الفا
من دهم الخيل وكل واحد منهم على فرس حصان فسارت بنو اسرايل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة
فاتبعهم فرعون وجنوده وهو قوله تعالى فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون فبقوا متحيرين فقالوا
يا موسى كيف نصنع وما الحيلة فرعون خلفنا والبحر قدامنا فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فلما سار
موسى واتى البحر قال ليوشع بن نون ان يسوق فرسه في البحر وكان يمشي في الماء حتى بلغ الغمر وهو عليه ثم
رجع وقال له يا موسى اين امرك ربك فقال البحر والله ما كذب وما كذبت ففعل ذلك ثلاث مرات
فاوحى الله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله عز وجل اليه ان كنه فضربه موسى بعصاه
وقال انفلق يا ابا خالد باذن الله عز وجل فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فانفرق اثني عشر فرقا في كل فرق
طريق لكل سبط طريق فقال له ادخل وكان فيه وحل فارسل الله تعالى ريح الصبا والشمس على قعر البحر
فصار طريقا يبسا كما قال تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا قال سعيد بن جبير ارسل معوية الى ابن
عباس فساله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فكتب انه المكان الذي انفلق من البحر
لموسى فخاض بنو اسرايل كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم البعض فخافوا
وكل سبط قالوا قد قتل اخواننا فقالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل
طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال موسى اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل
بعصاك هكذا فاشار بها الى الحيطان في الماء فصار فيها كوى فتراءوا وسمعوا كلامهم حتى عبروا البحر سالمين
فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر اي فلقناه وميزنا الماء يمينا وشمالا فانجيناكم ثم اتبعهم فرعون
بجنوده فلما وصل الى البحر راه منفلقا قال لقومه انظروا البحر انفلق لهيبتي حتى ادرك عبيدي
واعدائي الذين ابقوا مني فاقتلهم فراى ابليس وقفاتهم عن الدخول وهاب قومه ان يدخلوه
ولم يكن في خيل فرعون انثى وانما كانت كلها ذكورا فجاء جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق
اي مريد للفحل فتقدمهم وخاض البحر فلما شمت خيول فرعون ريحها اقتحمت البحر في اثرها
حتى خاضوا كلهم البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا باصحابكم
حتى اذا خرج جبريل من البحر وهموا ان يخرجوا اوحى الله تعالى الى البحر ان ياخذهم فالتطم
عليهم فغرقهم اجمعين وذلك بمراى من بني اسرايل وذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون

وانتم

وانتم تنظرون الى التطام امواج البحر بفرعون وقومه وقيل ان موسى عليه السلام سالهم ان يريهم
الله حالهم فسال موسى ربه ان يريهم اياهم فلفظهم البحر الف الف نفس ومائة الف نفس وفرعون
معهم فنظروا اليهم طافين وان البحر لا يقبل واحدا منهم لشوم كفرهم فهو قوله تعالى فاليوم ننجيك
ببدنك لتكون لمن خلفك اية من مضيق الى سعة الفضا ليراك الناس وتكون عبرة لمن خلفك
واعلم ان هذه الواقعة تضمنت نعما عظيمة كثيرة في الدنيا والدين اما نعم الدنيا في حق بني اسرايل
فهي انهم لما وقعوا الى ذلك المضيق الذي من ورائهم فرعون وجنوده وقدامهم البحر فان توقفوا
ادركهم فرعون واهلكهم باشد العذاب وان ساروا اغرقوا فلا خوف اعظم من ذلك ثم ان الله تعالى
نجاهم بفرق البحر فلا فرح اشد من ذلك وان الله خصهم بهذه النعمة الظاهرة والمعجزة الباهرة
وهذا يدل على كرامتهم على الله وانهم شاهدوا ان الله تعالى اهلك اعداءهم واورثهم ارضهم
وديارهم وهو من اعظم النعم وانه لما اغرق آل فرعون وانجا بني اسرايل كان نعمة عظيمة
فانه لو خلص موسى وقومه من تلك الورطة وما اهلك فرعون وقومه لكان الخوف باقيا
من حيث انهم ربما اجتمعوا واحتالوا حيلة وقصدوا ايذا موسى وقومه ولكن الله تعالى لما اغرقهم
فقد حسم مادة الخوف بالكلية وانه وقع الاغراق بحضر من بني اسرايل واما نعم الدين في
حق بني اسرايل فهي انهم لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة زالت عن قلوبهم الشكوك والشبهات
فان دلالة هذه المعجزة على وجود الصانع الحكيم وعلى صدق موسى تقرب من العلم الضروري
فكانه تعالى دفع عنهم تحمل النظر الدقيق والاستدلال الشاق وانهم لما عاينوا ذلك صار داعيا
الى ترك تكذيب موسى والاقدام على تكذيب فرعون وان عرفوا ان الامور بيد الله تعالى
فانه لا ممكن في الدنيا اتم مما كان لفرعون ولا اشد مما كان لبني اسرايل ثم ان الله تعالى في
لحظة واحدة جعل العزيز ذليلا وذلك يستدعي قطع العلائق والاقبال بالكلية على عبادة الخالق
والتوكل عليه في كل الامور واما النعم الحاصلة لامة محمد صلى الله عليه وسلم من ذكر هذه
القصة فكثيرة منها انه جا بحجة محمد صلى الله عليه وسلم انه كان اميا لم يقرا ولم يخالط اهل
الكتاب فاذا اورد عليهم من اخبارهم المفصلة ما لا يعلمه الا الاكثر علموا انه اخبر عن الوحي وانه
صادق فصار ذلك حجة له على اليهود وحجة لامة محمد صلى الله عليه وسلم في تصديقه ومنها
انهم اذا تصوروا ما جرى لبني اسرايل وعلمهم بهذه الامور العظيمة علموا انه اخبر عن الوحي
وانه صادق فصار ذلك حجة له على اليهود ان من خالف الله شقي في الدنيا والاخرة ومن
اطاعه فقد سعد في الدنيا والاخرة فصار ذلك مرغبا لهم في الطاعة ومنفرا لهم عن المعصية
ومنها ان امة موسى عليه السلام مع انهم خصوا بهذه المعجزات الظاهرة والبراهين
الباهرة فقد خالفوا موسى في امور حتى قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة واما امة محمد
عليه السلام مع ان معجزتهم هي القران الذي لا يعرف كونه معجزا الا بالدلائل الدقيقة انقادوا
لمحمد صلى الله عليه وسلم وما خالفوه قط في امر وهذا يدل على ان امة محمد صلى الله عليه
وسلم افضل من امة موسى شاهده قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا
على الناس فان قيل هذه النعم انما كانت بالنسبة الى اسلاف اليهود الذين كانوا في زمن
النبي عليه السلام فكيف خاطبهم الله تعالى واعتدها منة عليهم اجيب بانهم نجوا بنجاتهم
ومآثر الاباء مفاخر الابناء قوله تعالى واذ وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل
من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وان هذه هي النعمة الثالثة

قرا ابو عمرو وعدنا موسى بغير الف في السور الثلاث البقرة والاعراف وطه لان الله هو المنفرد
بالوعد والقران ينطق به كقوله تعالى ان الله وعدكم وعد الحق ونحوها والباقون بالالف فيها لان
الله تعالى وعده الوحي وموسى وعده المجي للميقات الى الطور وقيل المفاعلة تجي من واحد كقولك
عاقبت اللص وطارقت النعل وعافاك الله وقيل ان الوعد من الله وقبوله من موسى وقبول الوعد
يشبه الوعد لان القابل يقول اقبل ذلك قال القفال ولا يبعد ان يكون الادمي يعد الله ويكون
معناه يعاهد الله ومنه قوله تعالى اخلفوا الله ما وعدوه وقيل انه امر جرى بين اثنين
فجاز ان يقال واعدناه وقيل وعد بغير طلب وواعد بطلب وموسى غير منصرف للعلمية والعجمة
قيل مركب من اسمين بالعبرانية مو وهو الما وشا وهو الشجر فلما عرب ابدلوا شينه سينا وانما سمي به
لان امه جعلته في التابوت والقته في البحر فدفعته امواج البحر حتى ادخلته عند اشجار عند بيت
فرعون فخرجت جواري اسيه امراة فرعون يغسلن فوجدن التابوت فاخذته فسمي باسم
المكان الذي اصيب فيه وهو الما والشجر وقيل موسى مفعل من اوسيت راسه اذا حلقته
والموسى ما يحلق به فالميم فيه زائدة وقيل فعلى من ماس يميس اذا تبختر في مشيته فانه عليه السلام
كان يمشي كذلك فالميم اصلية وابدلت الياء واوا لانضمام ما قبلها كما قالوا طوبى وموسى
مفعول اول لواعدنا واربعين مفعول ثان له على انها الموعود او على حذف مضاف
اي اتمام اربعين او انقضا اربعين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب
باعرابه كما قيل في قوله واسئل القرية ولا يجوز ان ينصب اربعين على الظرفية لانه معدود
فيلزم وقوع العامل في كل فرد من افراده ولم يقع المواعدة كذلك ليلة منصوب على
التمييز والعامل فيه اسم العدد شبيه بضاربين ولا يتقدم التمييز عليه اجماعا وانما ذكر
الليل دون النهار لان شهور العرب وضعت على سير القمر والهلال انما يهل بالليل واول الشهر الليلة
فصارت الايام تبعا لليالي وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء والليل خلق قبل النهار قال
الله عز وجل واية لهم الليل نسلخ منه النهار قوله ثم اتخذتم العجل اتخذت الشي اخذته تناولته
والاخذ بالكسر الاسم والامر منه خذ واصله اؤخذ الا انهم استثقلوا الهمزتين فحذفوهما
تخفيفا وقولهم خذ عنك اي خذ ما اقول ودع عنك الشك والمرا ويقال اخذه الخطا
وخذ بالخطام والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال
التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التا اصلية فبنوا منه فعل يفعل فقالوا تخذ
يتخذ وقرئ لتخذت عليه اجرا وقول من قال انه افتعال من وخذ او تخذ لانه اثبات
بنية لا دليل عليها وقيل اصل اتخذ ايتخذ فابدلت الهمزة واوا وفيه اوتخذ ثم قلبت الواو
تاء وادغمت في التا ففي اصل اتخذ ثلاثة اقوال احدها من وخذ وثانيها من تخذ وثالثها
من اخذ وعلى هذا ابدلت الهمزة واوا ثم قلبت الواو تاء كما قيل واتخذ متعد
الى واحد كقوله تعالى اتخذت بيتا والى اثنين بمعنى صير كقوله تعالى ارايت من اتخذ
الهه هواه وههنا يحتمل تعديته الى واحد وحينئذ يحتاج الى تقدير جملة يدل عليها
المعنى اي اتخذتم العجل وعبدتموه او الى اثنين والثاني محذوف اي اتخذتم العجل الها
قوله من بعده من لابتدا الغاية قيل يتعارض من مع ثم لانهما تقتضي ابتدا الغاية في التعدية
تلي المواعدة اذ التقدير من بعد الوعاد لامتناع تعديه الذات وثم تقتضي تراخيا
فلا بد من تجوز في من او ثم باستعمالها في غير موضعها والاولى ان تقدر من بعد مضيه

الى الطور كما قدره صاحب الكشاف ولا تعارض حينئذ لان ابتدا الغاية في تعدية المعنى الى الطور
والتراخي للاتخاذ عن المواعدة فلم يردا على شي واحد وبعد ظرف زمان وحكمه حكم قبل في
بنائه على الضم اذا قطع عن الاضافة وفي اعرابه بالنصب والجر وانتم ظالمون اي باشراككم
جملة من مبتدا وخبر في موضع الحال قال المفسرون ان الله تعالى لما انجى موسى وبني اسرائيل
واغرق فرعون وقومه وامنوا من عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة
ينتهون اليه فوعد الله موسى ان ينزل عليهم التوراة فيها بيان ما ياتون وما يذرون وضرب
له ميقاتا فواعده اربعين ليلة ثلاثين من ذي الحجة وعشرا من المحرم واستخلف عليهم اخاه
هرون وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما اتى
الوعد جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحيوة لا تصيب شيا الا حيي وذهب الى ربه اي الطور
لمناجاة ربه فلما راى السامري وكان في عسكر موسى الى البحر وكان رجلا صائغا اسمه ميخا
وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون
البقر فدخل حب البقر في قلبه فلما راى جبريل على ذلك الفرس قال ان لهذا شانا واخذ قبضة
من تربة حافر فرس جبريل وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرة من قوم فرعون
حين ارادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم فاهلك الله قوم فرعون وبقيت تلك الحلي في ايدي بني
اسرائيل فلما فصل موسى قال السامري لبني اسرائيل ان الامتعة والحلي التي استعرتموها
من ال فرعون غنيمة ولا تحل لكم فاحفروا حفيرة فادفنوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رايه
ففعلوا ذلك فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري وصورها عجلا ثم القى القبضة التي اخذها من
حافر فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كاحسن ما يكون وخار خورة قال
السدي كان يخور ويمشي فقال السامري هذا الهكم واله موسى فنسي موسى اي تركه ههنا
وخرج يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم والليلة يومين فلما مضت
عشرون يوما ولم يرجع موسى وراوا العجل وسمعوا قول السامري افتتن بالعجل ثمانية الف رجل
منهم وعكفوا عليه يعبدونه من دون الله فذلك قوله عز وجل واذ واعدنا موسى اربعين ليلة
ثم اتخذتم العجل من بعده قيل انما سمي عجلا لانهم تعجلوا قبل رجوع موسى من بعد مضيه للعجل
للميعاد وانتم ظالمون ضارون لانفسكم بالمعصية وواضعون العبادة في غير موضعها قوله
ثم عفونا عنكم اي محونا عنكم الذنوب ماخوذ من قولهم عفت الرياح الاثار اذا درستها ومحتها
وعفو الله محو الذنوب عن العبد وقيل ثم عفونا عنكم اي تركناكم فلم نستاصلكم من قوله عليه الصلوة
والسلام اعفوا اللحى من بعد ذلك من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوي عنكم
وصنيعي اليكم قال صاحب الكشاف ارادة ان تشكروا نعمتي في العفو عنكم تفسير لعل الارادة
على اصله في ان مراد الرب منه ما يقع ومنه ما يتعذر وعند الاصحاب لا يصح تفسير لعل
بالارادة لان الله تعالى لو اراد الشكر لشكروا لان ما اراد الله ان يقع البتة والتفسير الصحيح
عند الاصحاب لتكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل على نعمه فينصرف الرجا اليهم واختلف
العلما في حقيقة الشكر فقال ابن عباس هو طاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية
وقال الحسن شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال الفضيل
شكر كل نعمة ان لا يعصي بعد تلك النعمة وقال ابو بكر الوراق الشكر معرفة المنعم
ان لا تعرف لنفسك في النعمة حظا بل تراها من الله عز وجل قال الله تعالى وما بكم من

وصنعوا اخس الاشيا مكان اشرف الموجودات

الشكر

نعمة من الله بذلك عليه ما روي عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال موسى يا رب
كيف استطاع آدم ان يودي شكر ما اجريت عليه من نعمك خلقته بيدك واسجدت له ملائكتك
واسكنته جنتك فاوحى الله تعالى اليه ان آدم علم ان ذلك مني ومن عندي فذلك شكره وعن
وهب بن منبه قال قال داود الهي كيف لي ان اشكرك وانا لا اصل الى شكرك الا بنعمتك فاوحى
الله تعالى اليه الست تعلم ان الذي بك من النعم مني قال بلى يا رب قال ارضى بذلك شكرا
قال وهب وكذلك قال موسى انعمت علي بالنعم السوابغ وامرتني بالشكر لها وانما شكري
اياك نعمة منك علي فقال الله له يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوته علم حسبي من عبدي ان يعلم ان ما
به من نعمة فهو مني وقال الجنيد حقيقة الشكر العجز عن الشكر وروي عن داود عليه الصلاة
والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة
وقال بعضهم ان الشكر ان لا ترى النعمة البتة بل ترى المنعم وقال ابو عثمان الحيري صدق
الشكر ان لا تمدح بلسانك غير المنعم عليك وعن الشبلي الشكر التواضع تحت رؤية المنة وقيل الشكر
خمسة اشياء مجانبة السيئات والمحافظة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل الطاعات ومراقبة
جبار الارض والسموات وقيل الشكر الشاكرين الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد
في النوافل بعد ادا الفرائض يعد نفسه من المقصرين والراضي بالقليل من الدنيا يعد نفسه من
الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين والداب في العمل يعد نفسه من
البطالين فهذا شكر الشاكرين وعن ذي النون المصري يقول الشكر لمن فوقك بالطاعة ولنظيرك
بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال وذكر الامام في هذه القصة فوايد منها
انها تدل على ان امة محمد صلى الله عليه وسلم خير الامم لان اليهود مع انهم شاهدوا تلك البراهين
الباهرة اغتروا بهذه الشبهة الركيكة جدا واما امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم مع انهم محتاجون
في ثبوت كون القران معجزا الى الحجج الدقيقة لم يغتروا بالشبهات العويصة وهذا يدل على
ان هذه الامة خير من اولئك واكمل عقلا وازكى خاطرا ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
استفاد هذا من الوحي ومنها تحذير عظيم من التقليد والجهل بالحجج فان اولئك لو عرفوا
بالدليل معرفة تامة لما وقعوا في شبهة السامري ومنها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى وكانه تعالى امره بالصبر على ذلك كما صبر موسى
في هذه الواقعة المنكرة فانهم بعد ان انجاهم الله من فرعون واراهم المعجزات العجيبة من
اولها الى ظهور موسى الى ذلك الوقت اغتروا بتلك الشبهة الركيكة ثم ان موسى صبر على ذلك
ولان يصبر محمد صلى الله عليه وسلم على اذية قومه كان ذلك اولى ومنها ان اشد
الناس مجادلة مع الرسول وعداوة له هم اليهود وكانه تعالى قال ان هولاء يفتخرون باسلافهم
ثم ان اسلافهم في البلادة والجهالة والعناد الى هذا الحد فكيف هولاء الاخلاف والمعتزلة
استدلوا بهذه الاية على ان المعاصي ليست بخلق الله تعالى لان الله تعالى ذمهم عليها ولو كانت
مخلوقة لله تعالى لكانوا مطيعين لله تعالى بفعلها لان الطاعة عبارة عن فعل المراد ولانه لو كان العصيان
مخلوقا لله تعالى لكان الذم بسببه يجري مجرى الذم بسبب لونه اسود وابيض وطويلا وقد
علم جوابه في المقدمة التي هي في بيان خلق الافعال وفي الاية تنبيه على ان ضرر الكفر لا يعود
الا اليهم فانهم ظلموا انفسهم بسبب الكفر وذلك يدل على ان الله تعالى منزه عن الاستكمال بطاعة
العبد والاستضرار بمعصية الاشقيا قالت المعتزلة المراد من قوله ثم عفونا عنكم ان العفو

بسبب اتيانهم بالتوبة وهي قتل بعضهم بعضا وهو ضعيف لان قبول التوبة عندهم واجب قطعا عقلا
فلو كان المراد ذلك لما جاز عده في معرض الانعام لان ادا الواجب لا يعد من باب الانعام والمقصود من
هذه الايات تعديد نعم الله تعالى عليهم ولان العفو عبارة عن اسقاط العذاب المستحق واسقاط ما يجب
اسقاطه لا يسمى عفوا ثم انه معلوم ان التوبة حاصلة في هذه الصورة يدل عليه فتوبوا الى باريكم فاقتلوا
انفسكم فعلم ان قبول التوبة غير واجب شرعا وعقلا وهذا خلاف قول المعتزلة واذا ثبت انه
عفا عن كفار قوم موسى فلان يعفو عن فساق امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم خير امة اخرجت للناس
كان اولى **قوله تعالى** واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون هذه
هي النعمة الرابعة وموسى مفعول اول لاتينا والكتاب والفرقان مفعول ثان له والكتاب هو
التوراة واما الفرقان ففيه خمسة اقوال احدها انه نعت للتوراة يعني الجامع من كونه
كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود
والجراة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى يعني الكتاب الجامع
بين كونه فرقانا وضياء وذكرى قاله الكسائي وانشد في ذلك الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم وثانيها البرهان الفارق بين الكفر والايمان من انفلاق البحر والعصا
واليد وغيرهما من الايات ذكره الفرا والزجاج وابن القاسم وثالثها الشرع الفارق بين الحلال
والحرام ورابعها النصر على الاعدا الذي بينه وبين عدوه بان نصر الله تعالى موسى واهلك فرعون
وقومه يدل عليه قوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يريد يوم بدر قاله
ابن عباس وخامسها القران ومعنى الكلام ولقد اتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان
ذكره الفرا وهو قول قطرب لعلكم تهتدون بما اتيناه من الكتاب والفرقان واستدل
المعتزلة بقوله لعلكم تهتدون على ان الله اراد الاهتدا من الكل وذلك يبطل قول من يقول
اراد الكفر من الكافر وقد علم جوابه في قوله لعلكم تشكرون **قوله تعالى** واذ قال موسى
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم
عند باريكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم هذه هي الخامسة قيل هذه الاية وما بعدها
منقطعة عما تقدم من التذكير بالنعم المتقدمة لانها امر بالقتل والقتل لا يكون نعمة ورد بان الله
نبههم على ذنوبهم ثم نبههم على ما به يتخلصون عن ذلك الذنب العظيم وذلك من النعم في الدين واذا كان الله
قد عد التوبة لما لم يكمل وصفها الا بتقدمه ذكر المعصية كان ذكرها ايضا من تمام النعم فصار كل ما
تضمنته هذه الاية معدودا في نعم الله فجاز التذكير بها وبانه تعالى لما امرهم بالقتل رفع ذلك عنهم
قبل افنايهم بالكلية وكان ذلك نعمة في حق الباقين منهم وفي حق الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم قوله واذ قال اي اذكروا اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل بعد ما رجع من الوعد
الذي وعده ربه فراهم قد اتخذوا العجل والقوم اسم جمع قال صاحب الصحاح القوم الرجال
دون النسا لا واحد له من لفظه قال تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نسا من نسا قال
زهير وما ادري وسوف اخال ادري اقوم ال حصن ام نسا وربما دخل النسا فيه على وجه
التبع يا قوم منادى مضاف الى يا المتكلم حذف منه اليا واجتزا عنها بالكسرة وهو اكثر ما جا
في القران والمنادى اذا اضيف الى يا المتكلم جاز فيه ثلاث لغات حذف اليا واثباتها وفتحها
فحذف اليا كقوله يا قوم والاثبات كقوله يا عبادي والفتح كقوله يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم قراه من فتح اليا انكم ظلمتم انفسكم اي نقصتم حظ انفسكم او ضررتم بانفسكم فان الظلم

جمهور الكتب بين ثعالبي

هو الاهر الذي ليس يستحق ولا فيه نفع ولا ضرر بسبب اتخاذهم العجل الها وذلك لان اتخاذ العجل
الها يودي الى ضرر الابد فيكون اعظم انواع الظلم ولذلك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم قوله
فتوبوا الى باريكم هذا القول من موسى بامر الله والفا للسببيه لان الظلم سبب التوبه
والبارى هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفه والصور المتباينه قرا غير ابي عمرو باظهار
الهمز وكسرها وابو عمرو باسكان الهمز وروى سيبويه عنه اختلاس الحركه وهو احسن والتسكين
حسن في توالي الحركات وقال المبرد لا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الاعراب
وقراءة ابي عمرو باريكم لحن ورد بان هذا متواتر وفيه نظر فان التواتر ليس بشرط فيما هو من هذا
القبيل قال ابن عطيه قد روي عن العرب التسكين في حرف الاعراب قال الشاعر اذا اعوججن قلت صاحب قوم
بالتسكين وقال امرو القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل ومن انكر التسكين
في حرف الاعراب فحجته انه لا يجوز من حيث انه كان علما للاعراب واما حركة البنا فقال ابو
علي الفارسي لا خلاف بين النحاه في جواز تسكينها مع توالي الحركات وانما اختص هذا الموضع
بذكر البارى تقريعا لهم بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال
المختلفه بريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوه والبلاده في امثال
العرب البلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفكك ما ركبه من خلقهم وينثر ما
نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمه وعظموها بعبادة من لا يقدر على شي منها قوله
فاقتلوا انفسكم قيل على ظاهره وهو البخع اي يقتل كل احد نفسه بخعا اي قتلها غما قال
بعض المفسرين ان المفسرين اجمعوا على انهم ما قتلوا انفسهم بايديهم ولو كانوا مامورين بذلك لصاروا
عصاة بتركه قال القاضي عبد الجبار ان القتل هو نقض البنيه الذي عنده يجب ان يخرج عن كونه
حيا وما عدا ذلك مما يودي الى الموت قريبا او بعيدا يسمى قتلا على طريق المجاز ولا يجوز ان يامر
الله تعالى به لان العبادات الشرعيه انما تحسن لكونها مصالح لذلك المكلف ولا مصلحة له في قتل نفسه
وهذا بخلاف ما يفعله الله تعالى من الاماته لان ذلك يحسن منه اذا كان صلاحا لمكلف اخر
وبخلاف ان يامر الله تعالى بان يجرح نفسه او يقطع عضوا من اعضائه ولا يحصل الموت عقيبه
لانه اذا بقي بعد ذلك الفعل لم يمتنع ان يكون ذلك الفعل صلاحا في الافعال المستقبله قال
الامام ولقائل ان يقول لا نسلم ان القتل اسم للفعل المزهق للروح في الحال بل هو فعل مود الى الزهوق
في الحال او بعد والدليل عليه انه لو حلف لا يقتل انسانا فجرحه جراحة سرت الى النفس بعد
زمان فانه يحنث في يمينه وتسميه اهل اللغه قاتلا والاصل في الاستعمال الحقيقه ولئن سلم ان
القتل اسم للفعل المزهق في الحال فلا نسلم انه لا يجوز ورود الامر به قوله لانه ليس في ورود
الامر به مصلحه مستقبله قلنا لا نسلم ان ورود الامر بالشي يقتضي مصلحه والدليل عليه امر من
علم موته على الكفر بالايمان ولا مصلحه في ذلك ولئن سلم انه يقتضي مصلحه ولكن لا نسلم عود
المصلحه اليه فلم لا يجوز ان يقال ان قتله نفسه مصلحه لغيره فالله تعالى امره بذلك لينتفع
به الغير ثم انه تعالى يوصل العوض اليه ولئن سلم انه يقتضي عود المصلحه اليه في الاستقبال
لم لا يجوز ان علمه مامورا بذلك الفعل مصلحه له فانه اذا اعلم انه مامور بذلك الفعل يصير
ذلك العلم داعيا له الى ترك القبائح من ذلك الزمان فسقط ما قاله القاضي والوجه هو الاول
لا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره فقيل معناه قتل بعضهم بعضا اي اقتلوا انفسكم معناه ليقتل

بعضكم

بعضكم بعضا وهو كقوله في موضع اخر فاقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضهم بعضا وتحقيقه ان المومنين
كالنفس الواحده وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبده قال قتاده جعل الله توبة بني اسرائيل
القتل لانهم ارتدوا والكفر يبيح القتل ولما امرهم الله بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا بالافنيه محتبين
واصلت القوم عليهم الخناجر وكان الرجل يبصر ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي
لامر الله عز وجل فقالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله تعالى ضبابه وسحابه سودا لا يتباصرون تحتها
اي لا يبصرون بعضهم بعضا وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين لم يعبدوا العجل
سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون امين
فكانوا يقتلونهم الى المسا فلما كثر فيهم القتل دعا موسى وهرون وبكيا وتضرعا وجزعا وقالا يا رب
هلكت بنو اسرائيل البقيه البقيه فكشف الله عنهم السحابه وامرهم ان يرفعوا السلاح عنهم ويكفوا عن القتل
فكشف عن الوف من القتلى قيل كانت القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله عز وجل
اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنه وكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفورة عنه ذنوبه
فذلك قوله تعالى فتاب عليكم والفا في قوله فاقتلوا انفسكم للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبه فاقتلوا
انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى
فتوبوا فاتبعوا التوبه القتل تتمه لتوبتكم فالفا للتعقيب ايضا وقيل ان قلنا التوبه نفس القتل يكون الجمله
بدلا من قوله فتوبوا والفا للتسبيه كما في قوله تعالى عوان بين ذلك اي بين الفارض والبكر قوله
خير افعل التفضيل حذف همزته لكثرة دورانه في الكلام فنقص بناوه فانصرف قال صاحب الصحاح الخير ضد الشر
تقول منه خرت يا رجل فانت خاير وخار الله لك وقد نطقوا بهمزته في الشعر قال بلال خير
الناس وابن الاخير وقد يجي لغير التفضيل يقال في زيد خير اي خصال حميده ومخففا من خير
ويمكن ان يكون فيهن خيرات حسان منه قال صاحب الصحاح رجل خير وخير مشدد ومخفف
وكذلك امراه خيره وخيره وقال تعالى اوليك لهم الخيرات جمع خيره وهي الفاضله من كل شي وقال
تعالى فيهن خيرات حسان فاذا خلوا فيه الها للمونث ولم يريدوا به افعل فان اردت التفضيل قلت
فلانه خير الناس ولم تقل خيره وفلان خير الناس ولم يقل اخير لا يثنى ولا يجمع لانه في معنى افعل
واما قول الشاعر الا كرام الباغي بخيري يحي اسد العمرو ابن مسعود وباسيد الصمد فانما
ثناه لانه اراد خيري بخفي مثل ميت وميت وهين وهين قوله لكم خير لكم جمله من مبتدا
وخبر ذكرها تنبيها على ما لاجله يمكن تحمل هذه المشقه وذلك لان حالتهم كانت دايره بين ضرر
الدنيا وعقاب الاخره والاول مما يحتمل لانه متناه وضرر الاخره غير متناه ولان الموت لا بد منه
فليس في تحمل القتل الا التقديم والتاخير واما الخلاص من العقاب والفوز بالثواب فذلك
الغرض الاعظم قوله فتاب عليكم الفا متعلقه بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى فيتعلق
بشرط محذوف كانه قال موسى فان فعلتم ذلك فقد تاب عليكم فيكون الفا الجزا الشرط واما ان
يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات من التكلم الى الغيبه فيكون الفا لجزا الشرط التقدير ففعلتم
ما امركم الله به وموسى فتاب عليكم باريكم فيكون الفا للعطف ويكون فصيحه قوله
تعالى واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهره فاخذتكم الصاعقه وانتم تنظرون ثم
بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون هذه هي النعمه السادسه ولما تم وصفها الا بتقدمه
ذكر المعصيه لان ذكرها ايضا من تمام النعمه فصار كل ما تضمنته هذه الايات معدودا في نعم الله
فجاز التذكير به وفي التذكير به فوايد منها ان فيه تحذيرا لمن كان في زمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

عن فعل ما يستحق منه ان يفعل به ما فعل باوليك ومنها تشبيههم في جحودهم معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم بجحود اسلافهم نبوة موسى عليه السلام مع مشاهدتهم عظم تلك الايات الظاهرة وتنبيهها
على انه تعالى انما لا يظهر على النبي صلى الله عليه وسلم مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها
لاستحقوا العقاب مثل ما استحقوا اسلافهم ومنها ان فيها تسلية النبي عليه السلام مما كان يلاقي منهم
وتثبيتا لقلبه على الصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ان التشبيه من يقول انه لو صح
نبوة محمد عليه السلام لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب لانهم عرفوا خبره فان الله تعالى
بين ان اسلافهم مع مشاهدتهم تلك الايات الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوة موسى كانوا يرتدون
كل وقت ويتحكمون عليه ويخالفونه ولا تعجب من مخالفتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وان وجدوا
في كتبهم الاخبار عن نبوته ومنها انه لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه القصص مع انه
كان اميا لم يشتغل بالتعلم والتعليم كان دليلا قاطعا على انه انما اخبر من الوحي اختلف
المفسرون في وقت هذه الواقعة في اي وقت اختارهم فقيل اختارهم ليستغفروا لبني اسرائيل
وهو الاصح ثم اختلف هولا فقيل كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل بقتل انفسهم قال محمد بن اسحق
لما رجع موسى عليه السلام من الطور الى قومه فراى ما هم عليه من عبادة العجل وقال للسامري ولاخيه
ما قال وحرق العجل والقاه في البحر قالت طايفة ممن لم يعبد العجل نحن لم نكفر ولكن اسمعنا كلام ربك
فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين فلم يجد الا ستين فاوحى الله اليه ان اختر من الشباب عشرين
ففعل فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين على السبعين فتشاجروا فيمن
يتاخر فاوحى الله اليه ان من تاخر له اجر من مضى فتاخر يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فامرهم ان
يتجنبوا النسا ثلاثا ويغتسلوا في اليوم الثالث واستخلف هرون عليه السلام على قومه فلما
خرجوا قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسال موسى عليه السلام فاجابه الله اليه ولما
دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى حتى دخل فيه وقال للقوم
ادخلوا وعوا وكان موسى متى كلمه ربه اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من بني ادم
النظر اليه وسمع القوم كلام الله عز وجل مع موسى فلما تم انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه
قال السدي سمعوا كلام الله يامر وينهى فلم يطيقوا استماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون
موسى سامعا ويعبر لهم ففعل فلما فرغوا وخرجوا بدلت طايفة منهم ما سمعت من كلام الله فذلك
قوله تعالى وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فاضطرب ايمانهم
او امتحنهم الله بذلك فقال هولا القوم بعد ذلك لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
فماتوا جميعا وقام موسى رافعا يديه الى السما يدعو ويقول يا الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين
رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي واحد منهم فما الذي يقولون لي
فلم يزل موسى مشتغلا بالدعا حتى رد الله عليهم ارواحهم وطلب توبة بني اسرائيل من عبادة
العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما
تاب بنو اسرائيل من عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله تعالى ان ياتيه موسى في ناس
من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور
قالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وماتوا وقام موسى يبكي ويقول يا رب
ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بقيتهم هولا فاذا رجعت
اليهم ولا يكون معي احد فماذا اقول لهم فاوحى الله تعالى الى موسى ان هولا السبعين ممن اتخذ

العجل

العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك الى قوله انا هدنا اليك ثم انه تعالى احياهم فقاموا ونظر
كل واحد الى الاخر كيف يحييه الله وقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيا الا اعطاك وليس في
الاية ما يدل على ترجيح القولين وفي القايلين لموسى قولان احدهما انه السبعون المختارون وهو قول
ابن عباس وابن مسعود والثاني جميع بني اسرائيل الا من عصمهم الله منهم قال وذلك انه اتاهم
بكتاب الله فقالوا والله لا ناخذ بقولك حتى نرى الله جهرة فيقول هذا كتابي وليس في هذه
الاية ما يدل على ان الذين سالوا الرويه هم الذين عبدوا العجل او غيرهم قوله لن نومن لك
لتضمين معنى الاقرار اي لن نقر لك وقيل للعلة اي لن نومن لاجلك حتى ها هنا للغاية جهرة عيانا
وهو مصدر من قولك جهر بالقراة وبالدعا كان الذي يرى بالعين جاهر بالرويه والذي يرى بالقلب
خافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرويه فنصبت بفعل الرويه كما نصب القرفصا
بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وهذا من باب الاستعارة لان الجهر لا يستعمل الا في الصوت
فشبهوا احدهما بالاخر كما هو طريق الاستعارة وانما قالوا جهرة موكدا لئلا يتوهم متوهم ان المراد
بالرويه العلم او التخيل على ما يراه النايم والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت
من السما فاحرقتهم وقيل صيحة من السما وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين
ميتين يوما وليلة او موسى عليه السلام لم يكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله تعالى فلما
افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله تعالى وانتم تنظرون اي وانتم تنظرون الى
الصاعقة التي هي النار كيف تنزل بكم وقيل معناه ينظر بعضهم الى بعض كيف يقع ميتا وقيل
ينظر بعضكم الى احيا بعض وانما اخذتهم الصاعقة لامتناعهم من الايمان بموسى بعد ظهور
معجزته ولا يجوز اقتراح المعجزة عليهم فلهذا عاقبهم الله قال صاحب الكشاف وفي هذا دليل
على ان موسى عليه السلام رادهم اي رد عليهم القول وعرفهم ان رويه ما لا يجوز عليه
ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرويه جعله في جهة وكل ما هو في جهة
متحيز وكل متحيز اما ان يكون في محل او لا فان لم يكن في محل فهو اما منقسم او غير منقسم
فان كان غير منقسم فهو الجوهر الفرد وان كان منقسما في جهة واحدة فهو الخط
وفي جهتين فهو السطح وفي الجهات الجسم فالمتحيز الذي لم يكن في محل فهو من جملة
الاعراض فثبت ان من استجاز على الله الرويه فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض
فرادوا اي فرد قوم موسى عليهم بعد بيان الحجة ووضوح البرهان على عدم الرويه
ولجوا وكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على اولئك اي عبدة
العجل القتل بين الكفرين عبادة العجل وطلب الرويه ودلالة على عظمها تعظيم المحنة
اختلف الناس في صحة الرويه فذهب اهل السنة والجماعة الى انه يجوز ان يرى في الاخرة
بمعنى انه ينكشف لعباده المومنين في الاخرة انكشاف المرئي من غير ارتسام صورة المرئي في
العين او اتصال شعاع خارج من العين الى المرئي وحصول مواجهة وذهبت الكرامية
والمشبهة الى جواز رويته تعالى رويه على سبيل المواجهة لاعتقادهم كونه في الجهة والمكان
وذهبت المعتزلة الى عدم جوازها مطلقا والمراد بالرويه الحالة التي يجدها الانسان
حين ما يرى الشي بعد علمه به فانا ندرك تفرقة بين الحالتين وتلك التفرقة لا يجوز عودها
الى ارتسام صورة المرئي في العين او اتصال شعاع خارج من العين الى المرئي عند
المواجهة فهي حالة اخرى مغايرة للحالة الحاصلة عند العلم يمكن حصولها من غير ارتسام

او خطا او سطحا
هو اما هو منقسم في جهة او جهتين او جهات
فالخط والسطح والجسم
والذي لم يكن في محل فهو من
جملة الاجسام والاعراض

وخروج الشعاع فتصح الرويه بهذا المعنى اما الاول وهو صحة الرويه بالمعنى المذكور فيدل
عليه من وجوه الاول ان موسى عليه السلام سال الرويه فلو استحالت الرويه لكان سوال موسى جهلا
وعبثا لايقال سوال موسى عن لسان قومه بدليل قوله تعالى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة لانا نقول
ان قوله تعالى ارني انظر اليك وقوله لن تراني صريح في ان السوال لم يكن على لسان قومه فانه لو كان
السوال من لسانهم لقال رب ارهم ينظروا اليك وقوله لن نومن لك حتى نرى الله جهرة وقوله
افتهلكنا بما فعل السفهاء منا وقوله فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة لا يدل
على ان سوال موسى عن لسانهم فان سوال موسى الرويه غير مقيد بقوله جهرة وسوالهم الرويه
مقيد بقوله جهرة وانما اخذتهم الصاعقه لامتناعهم من الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا
ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزتهم ولا يجوز اقتراح المعجزات عليهم فلهذا عاقبهم
الله قال صاحب الكشاف وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام اراد بقوله ارني ان يرد القول
وعرفهم ان رويته مما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استحال على الله الرويه جعله
في جهة وكل ما هو في جهة متحيز وكل متحيز اما ان يكون في محل او لا فان لم يكن في محل فهو اما
غير منقسم او منقسم فان كان غير منقسم فهو الجوهر الفرد وان كان منقسما في جهة واحدة فهو الخط
وفي جهتين فهو السطح وفي الجهات الجسم والمتحيز الذي لم يكن في محل فهو اما غير منقسم او منقسم فان كان
غير منقسم فهو الجوهر الفرد وان كان منقسما في جهة واحدة فهو الخط وفي جهتين فهو السطح هو اما جوهر
فرد او خط او سطح او جسم والجوهر الفرد والخط والسطح اجزا الجسم فالمتحيز الذي لم يكن في محل من جملة الاجسام
وان كان في محل فهو من جملة الاعراض فثبت ان من استحال على الله الرويه فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض
فراد واي فرد قوم موسى عليه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان على عدم الرويه ولجوا وكانوا في الكفر كعبدة العجل
فسلط عليهم الصعقة كما سلط على اوليك اي عبدة العجل القتل تسويه بين الكفرين عبادة
العجل وطلب الرويه ودلالة على عظمها بعظم المحنة اختلف الناس في صحة الرويه فذهب اهل السنة والجماعة
الى انه يصح ان يرى في الاخرة بمعنى انه ينكشف لعباده المومنين في الاخرة انكشاف
المرى من غير ارتسام صورة المرى في العين او اتصال شعاع خارج من العين الى
المرى وحصول مواجهة وذهبت الكرامية والمشبهة الى جواز رويته تعالى
رويه على سبيل المواجهة لاعتقادهم بكونه في الجهة والمكان وذهبت المعتزلة الى عدم
جوازها مطلقا والمراد بالرويه الحالة التي تجدها الانسان حين ما يرى الشي
بعد علمه به فانا ندرك تفرقة بين الحالتين وتلك التفرقة لا يجوز عودها الى ارتسام
صورة المرى في العين او اتصال شعاع خارج من العين الى المرى عند المواجهة
فهي حالة اخرى مغايرة للحالة الحاصلة عند العلم يمكن حصولها من غير ارتسام وخروج الشعاع
فتصح الرويه بهذا المعنى اما الاول وهو صحة الرويه بالمعنى المذكور فيدل عليه
من وجوه الاول ان موسى عليه السلام سال الرويه فلو استحالت الرويه لكان سوال موسى
جهلا وعبثا لا يقال سوال موسى عن لسان قومه بدليل قوله تعالى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة
لانا نقول ان قوله تعالى ارني انظر اليك وقوله لن تراني صريح في ان السوال
لم يكن على لسان قومه فانه لو كان من لسانهم لقال رب ارهم ينظروا اليك وقوله
لن نومن لك حتى نرى الله جهرة وقوله افتهلكنا بما فعل السفهاء منا وقوله فقد سالوا موسى
اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة لا يدل على ان سوال موسى عن لسانهم فان سوال

عليهم

بلغ مقابله

فان سوال موسى الرويه غير مقيد بقوله جهرة وسوالهم الرويه مقيد بقوله جهرة واحدهما غير الاخرى
الثاني ان الله تعالى علق الرويه باستقرار الجبل واستقرار الجبل امر ممكن والمعلق على الممكن ممكن لا يقال
لا نسلم انه علق على استقرار الجبل مطلقا بل علقها على استقرار الجبل حال تحركه لان لفظة ان اذا دخلت على
الماضي صار بمعنى المستقبل اي لو صار مستقرا في المستقبل فسوف تراني وما صار مستقرا في الزمان المستقبل
والا لوجب حصول الرويه لوجوب حصول المشروط عند وجود شرطه الذي يتم به العلة فان ما دخل عليه
اذ هو شرط يتم به عليه العلة ولم يتحقق الحصول بالاتفاق فلم يستقر الجبل فيكون متحركا بالضرورة اذ لا واسطة
بينهما فاذن الجبل حال ما علق الله الرويه باستقراره كان متحركا واستقرار الجبل من حيث هو متحرك محال
فالتعليق عليه لا يدل على امكان الرويه لان التعليق على الشرط الممتنع لا يدل على امكان المشروط لانا نقول
ان سلمنا ان الجبل في تلك الحال كان متحركا لكن الجبل بما هو جبل يصح السكون عليه والمذكور في الايه ليس الا ذات
الجبل والمقتضي لاستحالة السكون هو حصول الحركة فاذن القدر المذكور في الايه منشا لصحة الاستقرار
وما هو المنشا لامتناع الاستقرار فغير مذكور فيها فوجب القطع بالصحة قيل عليه ان المذكور في الايه هو وقوع
الاستقرار في حال النظر الى الجبل الذي عبر عنه بقوله تعالى فان استقر مكانه لا صحة الاستقرار التي تلزم الجبل
عند عدم الاشتراط بالحركة وتلك الحال تستلزم الحركة ولا يصح معها الاستقرار ولقايل ان يقول سلمنا ان
المذكور في الايه وقوع الاستقرار في تلك الحال ممتنع لكن لا نسلم امتناعه في تلك الحالة عدم صحته بحسب الذات
فان الممتنع بالغير ممكن بالذات فيكون المعلق عليه ممكنا بالذات والا كان ممتنعا بالغير ليكون المعلق ايضا
ممكنا بالذات وان كان ممتنعا بالغير والمطلوب ههنا هو امكان الرويه بالذات قوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وجه الاحتجاج ان النظر اما الرويه او تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرويته والثاني
ممتنع لاقتضايه كونه تعالى فيتعين الاول وهو المطلوب قيل النظر لا يدل على الرويه ولهذا يقال نظرت الى الهلال
فلم اره واذا لم يدل النظر على الرويه لم يتعين الرويه للارادة بل يجوز ان يراد غيرها على ان له تاويلا اخر وهو ان
يحمل الى على وجه واحد الالا وحينئذ يكون معناه وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها ناظرة اي منتظرة او يحمل على
حذف المضاف وهو الثواب وحينئذ المراد ناضرة الى ثواب ربها ناظرة قيل التاويلان باطلان اما الاول
فلان الانتظار سبب الغم والايه مسوقة لبيان النعم واما الثاني فلان النظر الى الثواب لا بد وان يحمل على رويه
الثواب لان تقليب الحدقة نحو الثواب من غير الرويه لا يكون من النعم البتة واذا وجب اضمار الرويه لا
محالة كان اضمار الثواب زيادة من غير دليل اجيب بان الايه دالة على ان ذلك الوقت قبل
استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بدليل قوله وجوه يومئذ باسرة تظن ان
يفعل بها فاقرة اي تظن ان يفعل بها فعل في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر
واذا كانت تلك الحالة سابقة على الاستقرار كان انتظار النعمة بعد البشارة سرورا به تستتبع نضارة
الوجه ومثل ذلك الانتظار لا يكون مستدعيا للغم كما ان انتظار اكرام الملك وعطايه لا يكون
موجبا للغم اذا تيقن وصوله اليه وانتظار العذاب بعد الانذار بوصوله مما يستتبع بسارة الوجه
اي شدة عبوسه كانتظار عقاب الملك اذا تيقن عقابه ولا حاجة الى اضمار الرويه
في النظر الى الثواب بمعنى الانتظار لان النظر عبارة عن تقليب الحدقة وتقليب الحدقة نحو الثواب
بعد البشارة انتظار لوصوله من النعم ولقايل ان يقول لا نسلم ان انتظار النعم لا يخلو عن الغم فانه
كلما كانت النعمة اعظم كان الوصول اليها الذ فحالة الانتظار حالة عدم الوصول فيقتضي غما والما ونعلم من
هذا ان انتظار العقاب لا يكون في الشدة والفظاعة كوقوع العقاب الرابع قوله تعالى كلا انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون وذلك يدل على ان المومنين يومئذ غير محجوبين عن ربهم والا لم يكن الاخبار عن

الكفار على سبيل الوعيد انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فان قيل واذا لم يكن المومنون يومئذ عن
ربهم محجوبين فيرونه واما الثاني وهو ان يرى من غير ارتسام صورة المرئي في العين وايصال
شعاع الى المرئي وحصول مواجهة فلان الله تعالى مقدس عن الجهة منزه عن المكان متعال عن المواجهة
احتجت المعتزلة بوجوه الاول قوله تعالى لا تدركه الابصار بدليل استعمال كل من القولين في تكذيب
الاخر وصدق احد النقيضين مستلزم لكذب الاخر وصدق قوله لا تدركه الابصار يوجب كذب قولنا
تدركه الابصار وكذبه يستلزم كذب قولنا يدركه بصر واحد او بصران اذ لا قايل بالفصل واجيب
بان الادراك هو الاحاطة التامة وهو روية الشي من جميع جوانبه لان اصله اللحوق والاحاطة انما
تتحقق في المرئي الذي يكون له جوانب فمعنى الاية نفي الروية على سبيل الاحاطة ولا يلزم من نفي
الروية على سبيل الاحاطة نفي الروية فان نفي الخاص لا يستلزم نفي العام ورد هذا الجواب
بان قولكم الادراك روية الشي من جميع جوانبه ليس بصحيح فانهم يقولون ادركت النار ولا يريدون رويتها
من جميع جوانبها واجيب ايضا بان الابصار جمع معرف باللام مفيد للعموم فقولنا لا تدركه الابصار
لا ينافي قولنا تدركه بعض الابصار فقولهم صدق قولنا لا تدركه الابصار يستلزم قولنا تدركه الابصار
كذب
قلنا لا نسلم فانهما مطلقتان فلا يستلزم صدق احدهما كذب الاخر ولئن سلمنا فلا نسلم ان كذبه يستلزم كذب
قولنا لا يدركه بصر واحد وبصران ممنوع قوله اذ لا قايل بالفرق قلنا ممنوع فان المومنين عندنا يدركونه
ولا تدركه الكفار ولئن سلمنا هذا الدليل فنقول بموجبه ولا يلزم المطلوب فانه لا يلزم من قولنا لا تدركه
الابصار اي لا ترى فان الروية لاصحاب الابصار لا للابصار ولا يلزم من عدم ادراك الابصار عدم ادراك اصحاب
الابصار والحق ان الله تعالى نفى الادراك بالابصار الذي من شرطه ارتسام الشبح او خروج الشعاع
ولا يلزم منه نفي الروية التي لم يكن فيها احدهما الثاني قوله تعالى لموسى لن تراني ووجه الاحتجاج به
ان كلمة لن لتابيد النفي بدليل قوله قل لن تتبعونا فنفي الروية على التابيد في حق موسى فيلزم نفيها في حق
غيره اذ لا قايل بالفصل اجيب بالمنع اولا فانا لا نسلم ان كلمة لن لتابيد النفي بل لتاكيد النفي بدليل
قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فانه قيد بقوله ابدا ومع هذا لم يستلزم تابيد النفي لانهم
يتمنونه في الاخرة على ان نفي الروية على التابيد لا يقتضي نفي صحة الروية الثالث قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي الاية ووجه الاحتجاج انه تعالى
نفى الروية وقت الكلام فانه تعالى نفى التكليم الا على احد الوجوه الثلاثة الوحي ومن وراء حجاب وارسال
رسول وكل منها يستلزم عدم الروية اما بالوحي فلانه لما لم يكن بمشافهة ولا يكون عند الروية
واما من وراء حجاب وارسال رسول وايحاء فانه يدل على عدم المشافهة المستلزم لعدم الروية
واذا ثبت نفي الروية وقت الكلام يلزم نفيها في غير وقت الكلام اذ لا قايل بالفصل اجيب
عنه بانا لا نسلم انه نفى الكلام وقت الروية قوله لانه نفى التكليم الا على احد الوجوه الثلاثة قلنا مسلم قولهم
كل منها يستلزم عدم الروية ممنوع قولهم اما الوحي فلا يكون مشافهة ممنوع لان الوحي كلام يسمع
بسرعة سوا كان المتكلم به محجوبا عن السامع او لم يكن الرابع انه استعظم طلب الروية ورتب الوعيد والذم
عليه فقال يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك
فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا
الملايكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا اي قال الكفار لولا انزل علينا الملايكة
ليخبروا بان النبي عليه السلام مرسل او نرى ربنا ليامرنا باتباعه وتصديقه فاقسم الله تعالى فقال
لقد استكبروا في انفسهم في طلب الروية وعتوا عتوا كبيرا اي طغوا بطلبهم الروية طغيانا كبيرا وقال تعالى

واذ

واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون قال عبد الجبار
لو كانت الروية جايزة لكانوا اذا التمسوا امرا جايزا فوجب ان لا تنزل بهم العقوبة كما التمسوا النقل من قوت
الى قوت ومن طعام الى طعام في قوله تعالى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض وقال ابو الحسين ان الله
تعالى ما ذكر سوال الروية الا استعظمه وذلك في ايات احداها هذه الروية فان الروية لو كانت لكان قولهم
لن نومن لك حتى نرى الله جهرة كقول الامم لانبيايهم لن نومن لك الا باحيا ميت مع انه لا استعظم ولا تاخذهم الصاعقة
وثانيها قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا
ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم فسمى ذلك ظلما وعاقبهم في الحال فلو كانت الرويا جايزة لجرى سوالهم
مجرى من يسال المعجز الزايد فان قلت اليس انه تعالى قد اجرى انزال الكتاب من السما مجرى الروية
في كون كل واحد منهما عتوا كما ان انزال الكتاب غير ممتنع في نفسه فكذا سوال الروية قلت الظاهر
يقتضي كون كل واحد منهما ممتنعا ترك العمل به في انزال الكتاب فبقي معمولا به في الروية اجاب الامام بان هذه
الوجوه مشتركة في حرف واحد وهو ان الروية لو كانت جايزة لما كان سوالها عتوا ومنكرا وذلك ممنوع قوله
اذا طلبها لمنافع من النقل من طعام الى طعام لما كان ممكنا لم يكن طالبه عاتيا وكذلك القول في طلب ساير
المعجزات قلنا ولم قلت انه لما كان طلب ذلك الممكن ليس بعتو وجب ان يكون طلب كل ممكن غير عات والاعتماد في
مثل هذا الصنع يدل على ضرب الامثلة لا يليق باهل العلم وان الله تعالى ما ذكر الروية الا وذكر معها
شيا حكمنا عليه بالامكان وهو اما نزول الكتاب من السما او نزول الملايكة واثبت صفة العتو فدل على انها
ما حصلت لاجل كون المطلوب ممتنعا اما قول ابي الحسين الظاهر كون الكل ممتنعا ترك العمل به في البعض
فبقي معمولا في الباقي قلنا انك ما اقترحت دليلا على ان الاستعظام لا يتحقق الا اذا كان المطلوب ممتنعا
وانما عولت فيه على ضرب الامثلة والمثال لا ينفع في هذا الباب فبطل قولك الظاهر كون الكل ممتنعا
فظهر بما قلناه سقوط كلام المعتزلة فان قال قايل فما السبب في استعظام سوال الروية فالجواب
انه يحتمل ذلك وجوه منها ان روية الله تعالى لا تحصل الا في الاخرة فكان طلبها في الدنيا مستنكرا
ومنها انهم طلبوا الروية على سبيل التعنت والعناد والمتعنت يستوجب التعنيف والعقوبة ومنها
انه لا يمتنع ان يعلم الله تعالى ان في منع الخلق عن رويته في الدنيا ضربا من المصلحة المهمة فلذلك استنكر طلبها في الدنيا
كما علم ان انزال الكتاب من السما وانزال الملايكة من السما مفسدة عظيمة فلذلك استنكر طلب
ذلك والحق ان طلب الروية التي هي مشروطة بارتسام صورة المرئي وشبحه او بخروج الشعاع ممتنعة
في حق الله تعالى وقولهم ارنا الله جهرة طلب للروية على هذا الوجه فانه طلب المحال وطلب المحال
علو واستكبار ومنكر ولنرجع الى التفسير قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم هو جملة معطوفة على قوله
فاخذتكم الصاعقة واصل البعث اثارة الشي من محله قال المفسرون لما هلكوا جعل موسى
يبكي ويتضرع ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرايل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شيت
اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفها منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله جميعا رجلا بعد
رجل قال قتادة بعثهم الله ليستوفوا بقية اجالهم وارزاقهم ولو ماتوا باجالهم لم يبعثوا ولكنه
ذلك الموت عقوبة لهم وانما قال من بعد موتكم لان البعث قد لا يكون بعد الموت لقوله تعالى فضربنا
على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ولم يحتمل موسى في
هذا الخطاب لانه خطاب مشافهة ولا يجب ان يتناول موسى عليه السلام وعلى تقدير تناوله وجب
تخصيصه لقوله تعالى في حق موسى فلما افاق ولان الافاقة انما تستعمل في غير الموت قوله تعالى لعلكم
تشكرون نعمة البعث او نعمة الله من بعد ما كفرتموها اذ رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت

قال الزجاج والاية احتجاج على مشركي العرب الذين لم يؤمنوا بالبعث فاحتج النبي عليه السلام
باحيا من بعد موتهم في الدنيا فيما يوافقه اليهودي والنصراني **قوله تعالى** وظللنا عليكم
الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
وظللنا هذه الجملة معطوفة على قوله ثم بعثناكم اي وجعلنا الغمام عليكم ظلة اي ساترا لكم عن الشمس
بالغمام والظل لغة الستر يقال لا ازال الله عنا ظل فلان اي ستره وظل الشجر ستره ويقال لظلمة الليل
ظل لانها تستر الاشيا ومنه قوله تعالى كيف مد الظل والغمام جمع غمامه وهي السحاب سمي غماما لانه
يغم السماء اي يسترها وكلما ستر شيا فهو غمه قال مجاهد هو ابرد من السحاب وارق واصفا وهو
الذي ياتي الله فيه يوم القيامه وهو ابيض رقيق وليس بسحاب المطر فانه ارق منه واطيب
هذه النعم السابغه وظاهر الاية ان هذا الاظلال كان بعد ان بعثهم وذلك في التيه وذكر المفسرون
ان بني اسرائيل لما كان من امرهم ما كان من القتل وبقي منهم من بقي حصروا في التيه بين مصر والشام
وامروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا فدعا موسى عليهم فعوقبوا بالبقا
في التيه اربعين سنه يتيهون في مقدار خمسة فراسخ او ستة روي انهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون
للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة امس فندم موسى ع على دعايه فقيل لا تاس على القوم الفاسقين.
وروي انهم ماتوا باجمعهم في التيه ونشا بنوهم على خير طاعه فهم الذين خرجوا من التيه وقاتلوا
الجبارين واذ كان جميعهم في التيه قالوا لموسى من لنا من حر الشمس فظلل الله عليهم الغمام تسير
بسيرهم تظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه قالوا من لنا بالطعام فانزل الله
عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الشمس لكل انسان صاع وقيل صمغه حلوه وقيل الذي
ينزل على الشجر اليوم فياكله الناس وقيل شي يشبه الرب الغليظ وقيل شراب حلو وقيل خبز
رقاق مثل الذرة او النقي وقيل عسل وقيل الترنجبيل وفي بعض هذه الاقوال بعد وقيل المن مصدر
يعني به جميع ما من الله به مجملا وقال النبي عليه السلام الكماة مما من الله به على بني اسرايل وماوها
شفا للعين فقيل اراد عليه السلام ان الكماة نفسها مما انزل الله نوعه على بني اسرايل وقيل انه اراد
انه لا تعب في الكماه ولا جداد ولا حصاد فهي منه دون تكلف من بني اسرايل في انه كان دون تكلف
وقيل ينزل عليهم فياخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه فان ادخر فسد عليه الا في يوم الجمعه فانهم كانوا يدخرون
ليوم السبت فلا يفسد عليهم لان يوم السبت يوم عبادته والمن اسم جمع لا واحد له من لفظه والسلوى
هي السماني فبعث الله الجنوب وهو ريح من مقابل القطب من يمين من هو متوجه الى الشرق فيحشر
عليهم السلوى فيذبح الرجل منها ما يكفيه قيل جمع وواحد بلفظ واحد قال الخليل السلوى جمع
وواحده سلواه وقال الكسائي السلوى واحد وجمعها سلاوى والسلوى اسم مقصور لا يظهر فيه
الاعراب قالوا من لنا بالما فامر الله موسى ان اضرب بعصاك الحجر قالوا من لنا باللباس فاعطوا ان لا يبلى
ثيابهم ولا تبلى **قوله** كلوا على ارادة القول اي قلنا لهم كلوا فحذف اختصارا لدلالة الظاهر عليه
قوله من طيبات من للتبعيض طيبات حلالات لذيذه والطيب الحلال لانه طاب والحرام يكون خبيثا
واسم الطيب الطاهر سمي الحلال طيبا لانه طاهر لم يتدنس بكونه حراما ما رزقناكم ما موصوله والعايد
محذوف اي رزقناكموه وقيل مصدريه بمعنى المفعول اي من رزقكم ولا يحتاج الى تقدير ضمير وما
ظلمونا يعني فظلموا بان لم يؤمنوا هذه النعمه وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه اي ما
نقصونا بالمعصيه ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ظلموا انفسهم ونقصوا حظ انفسهم وصرفوا باستيجابهم
عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا كلفه ولا مشقه في الدنيا والاحساب

النبي ٧

ولا تبعة في العقبى ولكن احسن مواقعها ان يكون متضادين او نقيضين وفي وقوعها بين الخلافين خلاف
نحو ما زيد قايم لكن ضاحك واتفقوا على انها لا تقع بين المتماثلين وقد وقعت ها هنا احسن موقع لتقدم
النفي عليه ومجي الايجاب بعدها وطباق الكلام ان يجب ما بعد لكن على نحو ما نفي قبلها لقوله تعالى وما
ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم لكن دخلت هنا كان مشعرة بان ذلك شانهم انفسهم مفعول يظلمون ويظلمون مضارع
اللفظ ماضي المعنى وقدم المفعول عليه ليوافق روس الاي والاعتنا باخبار من حل به العقاب والاختصاص
قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القريه فكلوا منها حيث شيتم رغدا وادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين اي واذكروا اذ قلنا هذه النعمة الثامنه
وهي معطوفه على الايات السابقه المذكوره للنعم فانه تعالى لما بين نعمه عليهم بان ظلل الغمام عليهم وانزل
عليهم من المن والسلوى وهو من النعم العاجله اتبعه الله عليهم بنعمه في باب الدين حيث امرهم بما يمحو
ذنوبهم وبين لهم طريق المخلص بما استوجبوه من العقاب والقريه المدينه من قريت اي جمعت
والمقراه الحوض يجمع فيه الما يقال قريت الما في الحوض اي جمعته ويقال لبيت النمل قريه لانه يجمع النمل
والقريه يجمع اهلها وهذه في محل النصب على الظرف لانها اشارة الى المكان قال سيبويه دخل متعدد
الى الظرف المكان المحض الحقيقي بغير واسطة في والى المكان المجازي يتعدى بواسطة في نحو دخلت
في الامر وذهب الاخفش والجرمي الى انه هذه في محل النصب على انه مفعول به والقريه منصوبه
على انها نعت لهذه وهي بيت المقدس قاله ابن مسعود وابن عباس وقتاده والسدي والربيع وروي
عن ابن عباس انها اريحا واريحا هي ارض بيت المقدس وقيل انها قريه من اداني قرى الشام قاله
ابن وهب قال المفسرون واما الشيوخ فما توا فيه وروي ان موسى وهرون ماتا في التيه وحكى
الزجاج ان موسى وهرون لم يكونا في التيه لانه عذاب والاول اكثر والامر بالدخول تكليف لان
الامر بدخول الباب سجدا تكليف لانه فعل شاق ودخول الباب سجدا مشروط بدخول
القريه وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب لوجوبه فهو واجب ولقوله ادخلوا الارض المقدسه
التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فكلوا منها حيث شيتم رغدا موسعا عليكم طيبا وادخلوا الباب
قال مجاهد والضحاك وقتاده انه باب من ابواب الحطه وقيل هو باب القبه التي كانوا
يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى وقيل بابا من ابواب القريه وكان لها
سبع ابواب وعن مجاهد انه باب في الجبل الذي كلم عليه موسى كالفرجه قوله سجدا
جمع ساجد حال من فاعل ادخلوا امروا بالسجود عند الانتها الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا
وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل
طوطي لهم الباب ليخفضوا روسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من
الحط وهو وضع الشي من علا الى اسفل يقال حط الحمل على الدابه والسيل حط الحجر عن الجبل
قال امرو القيس كجلمود صخر حطه السيل من عل فالحطه من الحط مثل الرده من الرد وهي خبر مبتدا
محذوف اي مسالتنا حطه او امرك حطه والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطه وانما رفعت
لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل وكلانا مبتلا والاصل صبرا على اصبر صبرا وقيل امرنا حطه
اي نحط في هذه القريه ونستقر وقيل ان الله تعالى بعد ان امرهم بدخول الباب على وجه الخضوع
امرهم بان يقولوا ما يدل على التوبه وذلك لان التوبه صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد
بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته وان لم يوجد منه الكلام بل الاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب
الى التوبه والاجل ازالة التهمه عن نفسه وكذا لمن عرف بمذهب خطا ثم ظهر له الحق فانه يلزمه ان يعرف

اخوانه الذين عرفوا منه ذلك المذهب لتزول عنه التهمة في الثبات على الباطل وليعودوا الى الاته
بعد معاداته فلهذا السبب الزم الله تعالى بني اسرايل مع الخضوع الذي هو صفة القلب ان يذكروا
اللفظ الدال على تلك التوبة وهو قوله حطة فالحاصل انه امرهم ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع
وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح
والاستغفار باللسان وقيل ان هذه اللفظة من الفاظ اهل الكتاب لا يعرف معناها في العربية
وروي عن ابن عباس انهم امروا بهذه اللفظة بعينها وقيل انهم امروا بان يقولوا قولا دالا على التوبة
والندم والخضوع حتى انهم لو قالوا مكان الحطة اللهم انا نستغفرك ونتوب اليك لكان المقصود
حاصلا من التوبة اما القلب واما اللسان اما القلب فالندم واما اللسان فذكر لفظ يدل
على حصول الندم في القلب وذلك لا يتوقف على ذكر لفظة بعينها **قوله** نغفر لكم قرا نافع اليا للمفعول
بالتا وابن عامر عليه بالتا والباقون بالنون وابو بكر عن عاصم بفتح اليا اي يغفر الله والمعنى
في هذه القرات واحد لان الخطايا اذا غفرها الله تعالى فقد غفرت واذا غفرت فانما يغفرها
الله والفعل اذا اسند الى ظاهر هو مونث غير حقيقي حال بينهما حايل صح التذكير والتانيث وفي
قراة ابي بكر التفات لان صدر الاية واذ قلنا ويحتمل ان تكون في قراته تكون الفاعل ضميرا
عايد الى القول المفهوم من قوله وقولوا واسناد الغفران اليه مجاز باعتبار ان القول سبب
الغفران وقراة الباقين هي الجارية على قوله واذ قلنا وعلى ما بعده وهو قوله وسنزيد
وجزم نغفر على جواب الامر **قوله** خطاياكم قال صاحب الصحاح الخطا ضد الصواب وقد
يمد وقري بهما قوله تعالى ومن قتل مومنا خطا تقول منه اخطات وتخطات بمعنى واحد
ولا تقل اخطيت وبعضهم يقوله والخطا الذنب في قوله تعالى ان قتلهم كان خطا كبيرا تقول منه
خطى يخطى خطا وخطاة على فعلة والاسم الخطيية على فعيلة ولك ان تشدد اليا لان كل يا ساكنة
قبلها كسرة او واو ساكنة قبلها ضمة وهما زايدتان للمد لا للالحاق ولا هما من نفس الكلمة فانك تقلب الهمزة
بعد اليا يا وبعد الواو واوا وتدغم فتقول في خبي خبي وفي مقرو مقرو وتشديد اليا والواو
وجمع الخطيية خطايا وكان الاصل خطاي على فعايل فقلبت اليا همزة فصار خطايي فالهمزة
الاولى بدل من اليا الزايدة في خطيية والهمزة الثانية لام الفعل فاستثقل الجمع بين الهمزتين
فاعلت الثانية بقلبها يا فصار خطايي ثم فتحت الهمزة الاولى المنقلبة عن يا المد في خطيية
فصار خطاءي على فعالى ثم فتحت الهمزة فصار خطاءي فانقلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
فصار خطااا فوقعت همزة بين الفين وهي شبيهة بالالف فكانه قد اجتمع ثلاثة امثال
فابدلوا من الهمزة يا فصار خطايا كهدايا فلا وقع فيه خمس مراتب من الاعلال والاخير
فيه اربع والقرا السبعة على خطاياكم **قوله** وسنزيد المحسنين اي الذين لم يكونوا من اهل
تلك الخطيية احسانا وثوابا قال صاحب الكشاف اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا
في زيادة ثوابه ومن كان مسيا كانت له توبة ومغفرة وقيل كان من بني اسرايل من دخل كما امر
وقال لا اله الا الله وهم المحسنون **قوله تعالى** فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل
لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما بما كانوا يفسقون بدل يتعدى الى المفعول الثاني بالبا
نحو بدلت دينارا بدرهم اي اخذت مكان درهم دينارا وقد تحذف اليا لفهم المعنى قال
الله تعالى فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وما دخل عليه البا هو المتروك والاخر هو الباقي
وتبديل الشي ايضا تغييره وان لم يوت ببدل ذهب ابو مسلم الى ان التبديل ههنا هو

التغير

التغيير من غير بدل اي انهم لم يفعلوا ما امروا به لانهم اتوا له ببدل فيكون المعنى انهم لما امروا
بالتواضع وسوال المغفرة لم يمتثلوا امر الله ولم يلتفتوا اليه وذهب جمهور المفسرين الى ان التبديل ههنا
هو التغيير الى بدل اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني امرهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار
فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ الحطة فجاوا بلفظ اخر
لانهم لو جاوا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يواخذوا به كما لو كان مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم
اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمرا
استهزا منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وقيل استهزوا بموسى وقالوا
موسى ما يشا الا ان يلعب بنا ما حطة وانما وصفهم الله بقوله الذين ظلموا اما لانهم سعوا في نقصان خيراتهم في الدين
والدنيا او لانهم اضروا بانفسهم وذلك ظلم وفي تكرير الذين ظلموا وايراد المظهر مكان المضمر الذي هو اخراج الكلام على
مقتضى الظاهر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في الاعراف فارسلنا عليهم على
الاضمار على الاصل وهو اخراج الكلام على مقتضى الظاهر والرجز العذاب روي انهم مات منهم في ساعة
بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا وقيل انه اهلك به سبعون الفا قوله بما كانوا يفسقون بسبب
انهم خرجوا من طاعة الله الى معصيته **قوله تعالى** واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
هذه هي النعمة التاسعة من النعم المعدودة على بني اسرايل وهو جامع لنعم الدنيا والدين اما الدنيا فلانه تعالى
ازال عنهم الحاجة الشديدة الى الما ولولاه لهلكوا في التيه كما انه لولا انزاله المن والسلوى لهلكوا قال الله تعالى
وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وقال وجعلنا من الما كل شي حي بل الانعام بالما في التيه اعظم من الانعام بالما
المعتاد لان الانسان اذا اشتدت حاجته الى الما في المفازة وقد انسدت عليه ابواب الرجا في كونه في مكان لا ما
فيه ولا نبات فاذا رزقه الله الما من حجر ضرب بالعصا فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا علم ان هذه النعمة لا يكاد
يعادلها شي من النعم واما الدين فلانه من اظهر الدلايل على وجود الصانع وقدرته وعلمه ومن اصدق الدلالة على
صدق موسى في دعوى الرسالة واذ متعلق بفعل مضمر تقديره واذكر اذ استسقى ومعناه طلب السقيا سقيت فلانا
واسقيته اي قلت له سقيا وسقاه الله الغيث واسقاه والاسم السقيا والف استسقى منقلبة عن الياء من السقي
ومفعوله محذوف وهو المستسقى منه اي استسقى موسى ربه كقوله اذا استسقاه قومه وقيل وحذف
مفعوله الاخر وهو المستسقى اي استسقاه اتفق جمهور المفسرين على ان هذا الاستسقا كان في التيه لان الله
تعالى لما ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى ولا تتسخ خافوا العطش وقالوا
يا موسى من اين لنا الشراب فاستسقى لهم موسى فقال الله تعالى اضرب بعصاك الحجر قيل كانت عصا
اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من اس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة
نورا واسمها عليق وكان ادم عليه السلام حملها معه من الجنة الى الارض فتوارثها الاصاغر عن الاكابر حتى وصلت
الى شعيب فاعطاها موسى واللام في الحجر للاشارة الى حجر معلوم روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا
مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط
الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبط مع ادم من الجنة
فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه الى موسى مع العصا وقيل الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل
اذ رموه بالادرة ففر الحجر بثوبه على ملا من بني اسرايل حتى علموا انه ليس به ادرة فلما وقف الحجر اتاه جبريل فقال
يا موسى ان الله عز وجل يقول ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله موسى في
مخلاته وكان اذا احتاج الى الما ضربه بعصاه وروي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بثوبه ومر

انه قال كانت بنوا اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوآت بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا
والله ما منع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه
قال فجمح موسى اي اسرع في اثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنوا اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا
والله ما بموسى من باس فقام الحجر بعد ما نظروا اليه فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال ابو هريرة
والله انه ندبا اي اثر الجرح بالحجر ستة او سبعة اثر ضرب موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر بعد ما نظروا
اليه فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال ابو هريرة وقيل كان موسى يضربه ثنتي عشرة ضربة وكان يظهر على كل ضربة مثل
ثدي المراة ثم يعرق وهو الانبجاس ثم ينفجر بالانهار المطردة واما الجنس اي ضرب الشي الذي يقال له الحجر وعن
الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وقيل كان موسى يقرع لهم اقرب
حجر من عرض الحجارة فتنفجر له عيونا لكل سبط عين ثم انهم قالوا ان فقدنا بنا لو افضينا الى الرمل او الى ارض ليست
فيها حجارة فحمل موسى حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله الى موسى لا تقرع الحجارة ولكن كلمها تطيعك لعلهم يعتبرون وقيل
كان من رخام وقيل كان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان قوله فانفجرت الفا متعلقة بمحذوف
اي فضرب فانفجر فيكون قوله فانفجرت جملة معطوفة على جملة محذوفة ليدل على وجود الانفجار مرتبا على ضربه
او فان ضربت فقد انفجرت فعلى الاول الفا للعطف وعلى الثاني للجزا وعلى التقديرين هي فا فصيحة لانها تدل على
معنيين على ما تقدم من المحذوف وعلى معنى في نفسه ولا يقع الا في كلام بليغ ورد التقدير الثاني بان الشرط وفعله
لا يحذوف ولو سلم فيلزم هاهنا فساد المعنى والتركيب لان قوله فانفجرت ماض لفظا ومعنى اذ الفا لا تدخل
على الماضي الا اذا كان الفعل ماضيا لفظا ومعنى ويلزم مع الفا قد ايضا وحينئذ لا يصلح ان يكون جوابا للشرط
لان الشرط مستقبل وجوابه المرتب عليه يستقبل قطعا وانفجرت ماض لفظا ومعنى لما ذكر ولانه المفهوم من الايه
ولهذا قال تعالى قد علم كل اناس مشربهم ورد بانه يجوز حذف الشرط وفعله وقد يقال هاهنا انه ليس من
هذا القبيل لتقدم الامر المتضمن معنى الشرط وهو قوله اضرب ولزوم فساد المعنى والتركيب ممنوع فانه
مثل قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ويقال ان قام زيد فقد قام عمرو امس وهذا ليس
بجواب في الحقيقة اذ لا يتقدم المسبب على سببه وانما الجواب محذوف تقول ان جيتني فقد اعطيتك اي لم
تنكر لاني قد اعطيتك فمنوحها استغني فيه بالسبب عن مسببه وهو كثير والتقدير في الايتين على هذا النحو
اي وان يكذبوك فلا باس فقد كذبت رسل من قبلك وان ضربت تنشق لانه قد انفجرت اي انشقت والانفجار
الانشقاق والفجر في اللغة الشق وسمي فجر النهار لشقه ظلمة الليل منه لابتداء الغاية ويتعلق بقوله
فانفجرت والضمير عائد الى الحجر وقيل يجوز ان يكون منه للسببية والضمير عائد الى الضرب المفهوم
قيل هل يجوز ان يامر الله تعالى به بان يضرب بعصاه الحجر ومن قبل ان يضرب ينفجر على قدر الحاجة
حتى يستغني عن تقدير المحذوف اجيب بانه يجوز ذلك ولو وقع على هذا الوجه لكان اقرب وابلغ
في الاعجاز لكن الصحيح انه ضرب فانفجر فانه ورد في الاخبار انه ضرب فانفجر ولانه لو انفجر من غير ضرب
صار الضرب بالعصا عبثا لانه لا فايدة فيه وليس يستحيل عقلا خروج الما الكثير من الحجر الصغير
وان كان خارقا للعادة لان القادر المختار قادر على ان يخلق الما فيه كما خلق البحار وغيرها والقلب
ايضا يجوز ونه لان هيولى العناصر الاربعة مشترك عندهم قابلة للكون والفساد فيصح انقلاب
الهوا ما او بالعكس واعلم انه يحتمل ان الما خلقه الله تعالى ابتدا في الحجر او قلب الله الهوا اليه وهذه
المعجزة كالمعجزة التي كانت لنبينا صلى الله عليه وسلم بين يديه لو يتوضا فجهش اي فزع الناس اليه
فقال ما لكم قالوا ليس عندنا ما نتوضا ولا نشرب الا ما بين يديك فوضع يديه في الركوة فجعل الما يفور

من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضانا قيل كم كنتم قال لو كنا مايه الف لكفانا كنا خمس عشرة مايه
وكل من معجزة نبينا ومعجزة موسى باهر قاهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اقوى لان نبوع الما من
الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد البتة والحكمة في جعل الما اثني عشرة عينا
ان الاسباط كانوا اثني عشر فاكمل الله هذه النعمة بان عين لكل سبط عينا لا يختلط ما وها بالغير لئلا يقع
بينهم تشاجر فانه اذا اشتدت الحاجة الى الما ثم وجدوه فانه يقع بينهم تشاجر وتنازع وربما افضى
ذلك الى الفتن العظيمة والعادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين
واعلم ان الانفجار المذكور يدل على الاعجاز من وجوه منها نفس ظهور الما ومنها خروج الما من الحجر
الصغير ومنها خروج الما عند الضرب بالعصا ومنها انقطاع الما عند الاستغنا عنه فيعلم
قطعا ان هذه الوجوه لا يمكن تحصيلها الا بقدرة تامة نافذة في الممكنات وعلم نافذ في جميع الممكنات
وعلم نافذ في جميع المعلومات وحكمة بالغة في المخلوقات وما ذاك الا للواحد القهار قوله قد علم
كل اناس مشربهم اي علم كل سبط عينهم التي يشربون منها لئلا يتشاجروا وعند الحاجة الى الما واضاف
المشرب اليهم لانه لما ابيح كل سبط عينا صار ذلك كالملك لهم فصح اضافته اليهم كلوا واشربوا اي
وقلنا لهم كلوا واشربوا من المن من رزق الله اي مما رزقكم الله من الطعام والما الذي ياتيكم
بلا مشقة ولا مونه ولا تبعة وهذا هو السر في اضافة الرزق الى الله تعالى وقيل الما ينبت منه
الثمار والزرع فهو رزق يوكل منه ويشرب فيكون من رزق الله متعلقا باشربوا على مختار البصريين
في اعمال الثاني قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين والعثي اشد الفساد اي وقلنا لهم لا تتمادوا
في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على
طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون كان سبب هذا القول منهم في التيه قال الحسن كانوا فلاحة اهل كراث وابصال
واعداس فنزعوا الى عكرهم اي اصلهم السو واشتاقت طباعهم الى ما جرت عليه عادتهم فاجموا اي كرهوا
ما كانوا فيه من النعمة فقالوا لن نصبر على طعام واحد والطعام اسم جامع لما يوكل ارادوا
ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وانما قالوا واحد وهما طعامان لانهم ارادوا بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا
طعاما واحدا اراد بالواحد نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريد انهما ضرب واحد لان المن
والسلوى معا من طعام اهل التلذذ والترف اي التنعم ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد
الا ما الفناه وضرينا به من الاشيا المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك قوله فادع لنا اي سل
لنا وادع لاجلنا ربك يخرج لنا ما يظهر لنا ويوجد مما تنبت الارض من للتبعيض وما موصولة
وتنبت الارض صلتها والعايد محذوف وقوله مما تنبت الارض في محل النصب صفة لمفعول
محذوف اي يخرج لنا ماكولا مما تنبت الارض من بقلها بدل من قوله مما تنبت الارض على
اعادة حرف الجر والبقل ما انبته الارض من الخضر فيكون نباتا لا يبقى له ساق اذا رعته
الماشية والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكراث والكرفس واشباهها
وقثائها وهو نوع من الخضراوات والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل هو الثوم
ويدل عليه قراة ابن مسعود وثومها وهو العدس والبصل او فق قوله قال اتستبدلون الذي هو

العظيم

من المن والسلوى

ادنى بالذى هو خير قال موسى على سبيل الانكار اتستبدلون الذى هو ادنى اى اقرب منزلة وادون
مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار يقال هو دانى المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن
عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة فى العلو بالذى هو خير بالرفيع الجليل
ومعناه اتتركون الذى هو ... يريدون الشر ويجوز ان يكون الخير والشر منصرفين الى اجناس الطعام
وانواعه ويجوز ان يكونا منصرفين الى اختيار الله لهم واختيارهم لانفسهم ويجوز ان يكون معنى
الدنو فى قرب القيمة اى اتستبدلون الذى هو اقل قيمة بالذى هو خير فى القيمة ومعنى الاية
اتستبدلون البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل الذى هو ادنى بالمن والسلوى
الذى هو خير والوجه الذى يقتضى فضل المن والسلوى على ما طلبوه يحتمل تفاضلهما فى القيمة لان
هذه البقول لا خطر لها ويحتمل ان يكون تفاضلهما لانه الطعام الذى من الله به وامرهم باكله
وفى استدامة امر الله وشكر نعمته اجر وذخر فى الاخرة وما طلبوه عار من هذه الخصال وكان
ادنى من هذا الوجه ويحتمل ان يتفاضلا فى الطيب واللذة والبقول لا محالة ادنى من هذا
ويحتمل ان يتفاضلا فى الطيب واللذة وحسن الغذاء ونفعه فالمن والسلوى خير لا محالة من هذا الوجه
ويحتمل ان يكون تفاضلهما لانه الطعام الذى من الله به وامرهم باكله وفى استدامة امر الله يتفاضلا
من جهة انه طعام لا كلفة فيه ولا تعب ويحتمل ان يتفاضلا فى طيبه وخلوصه لنزوله من عند [illegible]
طلبوه يتخللها اليبوسة والغصوب ويدخلها الشبه والاولى ان يحمل على جميع هذه الوجوه وفى الكلام
حذف تقديره فدعا موسى ربه فاجابه فقال لهم اهبطوا مصرا اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهى اثنا عشر فرسخا
فى ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما
العجمة والتعريف وان يريد مصرا من الامصار وفى مصحف عبد الله وقراءة الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين
لقوله تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله امنين قال ابو صالح عن ابن عباس اراد مصر فرعون وهذا قول
ابى العالية والضحاك واختاره الفرا واستدلوا بما اقتضاه القران من امرهم بدخول القرية وبما
تظاهرت به الروايات انهم سكنوا الشام بعد التيه قوله فان لكم ما سالتم الفا جواب الامر المضمن
معنى الشرط وهو اهبطوا وفى الجملة ضمير ان محذوف فان احدهما ربط الجملة بما قبلها والثانى يعود
الى ما الموصولة اى فان لكم فيه ما سالتموه من نبات الارض فانه لا يكون الا فى القرى والامصار قوله
وضربت عليهم الذلة والمسكنة الذلة فعلة من الذل الذى هو ضد العز كانها الهيئة والحال والمسكنة مصدر
تمسكن اذا صار مسكينا والمسكين الفقير وقد يكون بمعنى الذليل والضعيف وكان ابن يونس يقول
المسكين اشد حالا من الفقير وقال وقلت لاعرابى افقير انت فقال لا والله بل مسكين وفى الحديث ليس المسكين
الذى ترده اللقمة واللقمتان وانما المسكين الذى لا يسال ولا يفطن له فيعطى وقال الشافعى الفقير اسوا حالا
لقوله تعالى واما السفينة فكانت لمساكين وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى وجعلت الذلة والمسكنة محيطة بهم
مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب
الطين على الحائط فلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم
وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية قال الحسن وقتادة ضربت عليهم الذلة هى انهم يعطون الجزية عن يد
وهم صاغرون وقال عطاء بن السايب هى زى اليهود والمسكنة زى الفقر فتراهم كانهم فقراء وان كانوا
مياسير وقيل الذلة فقر القلب فلا ترى فى اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود قوله وباؤوا
بغضب من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اى صاروا احقاء بغضب

الله

الله وقال الاخفش وباؤوا بغضب من الله رجعوا به اى صار عليهم وقال الكسائى اى انصرفوا به ولا يكون باؤوا
الا بخير واما بشر يقال باء يبوء ولا يكون باء بمعنى مطلق الانصراف وقال ابو عبيدة والزجاج باؤوا بالغضب احتملوه
يقال قد بؤت بهذا الذنب اى احتملته ومنه قوله انى اريد ان تبوء باثمى واثمك وغضب الله ارادة الانتقام وانزال
العقوبة به وتنكير غضب من الله يفيد التعظيم اى بغضب عظيم من الله صفة لغضب ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب المسكنة
والذلة والبوء بالغضب اى ذلك بسبب الكفر بايات الله قال ابن عباس يريد بها الحكمة التى انزلت على محمد صلى الله عليه وسلم
قيل يحتمل ان يراد الايات التسع وغيرها مما يخرق العادة وهو علامة لصدق الانبياء ويحتمل ان يراد ايات التوراة
التى هى كايات القران ويقتلون النبيين النبيون جمع النبى والنبى فعيل اما من النبوة وهى ما ارتفع من الارض
وحينئذ يكون معناه الذى شرف على ساير الخلق فاصله غير المهموز وهو فعيل بمعنى مفعول والجمع انبيا واما من
النبا الذى هو الخبر تقول نبا ونبا وانبا اذا اخبر فالنبى من انبا عن الله وهو فعيل بمعنى فاعل قال سيبويه
ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة غير انهم تركوا الهمز فى النبى كما تركوه فى الذرية والخابية الا اهل مكة
فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون فى غيرها وجمع النبى نبا قال الشاعر يا خاتم النباء انك مرسل بالخير كل
هدى السبيل هداكا وجمع ايضا على انبيا لان الهمز لما ابدل والزم الابدال جمع جمع ما اصل لامه حرف
العلة ونبات من الارض الى الارض اذا خرج من ارض الى اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابى بقوله
يا نبىء الله الخارج من مكة الى المدينة فانكر عليه الهمز وقيل النبى هو الطريق ومنه يقال للرسل عن الله انبيا لكونهم
طريق الهداية اليه هذا بحسب اللغة واما بحسب الشرع فالنبى من اصطفاه الله تعالى للتبليغ عنه تعالى وقيل ان النبى
من كان مختصا بخواص ثلاث الاطلاع على الغيب وسلامة اتصاله بالمبادى العالية من غير سابقة كسب وتعلم
ولكونه بحيث يطيعه الهيولى العنصرية القابلة للصور المفارقة الى بدل مشاهدته الملائكة على صور متخيلة
وسماع كلام الله بالوحى ويقتلون عطف على يكفرون اى ذلك بانهم كانوا يقتلون النبيين بغير الحق واليهود
لعنهم الله قتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم قال صاحب الكشاف فان قلت قتل الانبيا لا يكون الا بغير الحق فما
فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لان الانبيا لم يقتلوا ولا افسدوا فى الارض وانما نصحوهم
ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سيل اليهود وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل
عندهم ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بارتكابهم انواع المعاصى واعتدائهم لانهم انهمكوا اى جدوا ولجوا فى العصيان
والاعتداء وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبيا ويحتمل ان يكون البا فى قوله بما عصوا
بمعنى مع ويكون معناه ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا **قوله تعالى** ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى والصابين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اعلم ان الله تعالى اذا ذكر وعدا او وعيدا اعقبه بما يضاده ليكون الكلام
تاما قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ولما ذكر فى الاية السابقة حكم الكفرة من اهل الكتاب
وما حل بهم من العقوبة اخبر فى هذه الاية بما للمومنين من الاجر العظيم والثواب الكريم دالا على انه سبحانه وتعالى
يجازى الايمان بايمانهم والكافرين بكفرهم قوله ان الذين امنوا اى بالانبيا الماضين ولم يومنوا بمحمد
وقيل ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب اى ولم يومنوا بقلوبهم وهم المنافقون
وقيل الذين امنوا بعيسى قبل ان يبعث محمد قاله ابن عباس وقيل الذين امنوا بموسى وعملوا بشريعته
الى ان جاء عيسى فامنوا به وعملوا بشريعته الى ان جاء محمد هذا قول السدى عن اشياخه وقيل الذين كانوا
يطلبون الاسلام كقس بن ساعدة وبحيرا وورقة بن نوفل وسلمان الفارسى وقيل انهم المومنون
من هذه الامة والذين هادوا اى تهودوا يقال هاد يهود اذا دخل فى اليهودية وهو هايد والجمع
هود قال الزجاج هادوا معناه تابوا وروى عن ابن مسعود ان اليهود سموا بذلك لقول موسى

هدنا اليك لما تابوا عن عبادة العجل لزمهم هذا الاسم وقال بعضهم لانهم هادوا اي مالوا عن الاسلام
وعن دين موسى يقال هاد يهود هودا اذا مال قال امرؤ القيس قد علمت سلمى وجاراتها انى من الناس
لها هايد اي لها مايل وقال ابو عمرو بن العلا لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التورية ويقولون
ان السموات والارض تحركتا حين اتى الله عز وجل التورية لموسى والنصارى جمع نصران يقال
رجل نصران وامراة نصرانة كقولهم ندمان وندمانة وندامى قال نصرانه لم يحنف يحنف الرجل
اذا اسلم يعني عمل عمل الحنيفية والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا بها لانهم نصروا المسيح وقال
مقاتل لانهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة بالشام فنسبوا اليها وقال الزجاج يجوز ان يكون جمع نصري مثل
بعير مهري وابل مهارى والصابئين من صبا الرجل صبوا اخرج من دين الى دين قال عمر رضي الله عنه
هم طايفة من اهل الكتاب ذبايحهم ذبايح اهل الكتاب وبه قال السدي وقال مجاهد هم قبيلة نحو
الشام بين اليهود والمجوس لا دين لهم وكان لا يراهم من اهل الكتاب وهو قول ابي حنيفة وقال
قتادة ومقاتل هم قوم يقرون بالله عز وجل ويعبدون الملايكة ويقرون الزبور ويصلون الى الكعبة
اخذوا من كل فرقتين شيا وقال السدي هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون وسط روسهم ويجبون
مذاكيرهم وقال ابن زيد هم قوم يقولون لا اله الا الله فقط وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي وقيل
انهم يعبدون الكواكب وقيل هم درجوا وانقرضوا فلا عين لهم ولا اثر قوله من امن موصول وصلته
وفاعل امن ضمير مفرد عايد على لفظ من ويحتمل ان يكون من في محل الرفع على انه مبتدا وقوله فلهم
اجرهم جملة اسمية اجرهم مبتدا وقوله فلهم خبره والجملة خبر من والعايد ضمير الجمع في قوله فلهم حملا
على معنى من والفا لتضمن من معنى الشرط والجملة كما هي خبر ان والرابط محذوف اي من امن منهم ولا
الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا اي محكما وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستحقونه
بايمانهم وعملهم ويحتمل ان يكون من في محل النصب على ان يكون بدلا من اسم ان والمعطوف عليه
وقوله فلهم اجرهم خبر ان وان غير مانع من دخول الفا في الخبر قيل على التقديرين يلزم تغاير الايمانين
اذ لا يصح ان يقال ان الذين امنوا من امن منهم لا على الخبرية ولا على البدلية اجيب
بانه يصح ان يقال ان الذين امنوا والذين هادوا من امن منهم على ان يكون المراد بالايمان الثاني
المداومة على الايمان في حق الذين امنوا والابتدا في حق غيرهم ولا محذور في الجمع بين الحقيقة
والمجاز ومنهم من اختار ان يكون من بدلا من الاصناف الثلثة المعطوفة على اسم ان اي ان الذين
امنوا من الاصناف الثلاثة ومن امن من الاصناف الثلثة فلهم اجرهم قوله ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون قيل لا يناليهم خوف في الدنيا وقيل في الاخرة وهذا اصح لان قوله ولا خوف عليهم عام
في النفي وهذه الصفة لا تحصل في الدنيا خصوصا في المكلفين لان في كل وقت لهم خوفا
وحزنا اما في اسباب الدنيا واما في امور الاخرة فكانه سبحانه وتعالى وعدهم في الاخرة
بان لهم اجرا ثابتا عند ربهم مكتوبا عليه ثم بين انه من صفة ذلك الاجر ان يكون خاليا عن الخوف
والحزن وذلك يوجب ان يكون نعيمهم دايما لانهم لو جوزوا كونه منقطعا لاعتراهم الخوف
العظيم والاجر مصدر بمعنى المفعول وعند ربهم ظرف عمل فيه استقر العامل في لهم ويحتمل ان يكون
منصوبا على الحال والعامل فيه محذوف اي كاينا عند ربهم وقوله عند ربهم ايضا يدل
على عدم انقطاعه **قوله تعالى** واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل
الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين يعني هي النعمة العاشرة فان اخذ ميثاقهم لاجل

مصلحتهم

مصلحتهم والطور اسم للجبل وقال ابن عباس ايضا الطور كل جبل ينبت وكل جبل لا ينبت فليس بطور
وهذا كله على ان اللفظة عربية وقال ابو العالية الطور الجبل بالسريانية وتكلمت به العرب قال
العجاج داني جناحيه من الطور فمر والظاهر انه اسم للجبل وبالغلبة صار علما للذي نوجي موسى عليه
قوله واذ اخذنا ميثاقكم معطوف على التي قبله ورفعنا معطوف على اخذنا قيل لما جا موسى الى بني
اسرايل من عند الله تعالى بالالواح فيها التورية قال لهم خذوها والزموها فابوا ان يقبلوها ويعملوا
بما فيها للاصار والاثقال التي كانت فيه وكانت شريعة ثقيلة وقالوا لن نومن الا ان يكلمنا الله بها كما كلمك
فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها فابوا فامر الله تعالى الملايكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله
فرسخ في فرسخ على قدر عسكرهم فرفعه الله فوق روسهم مثل الظلة واضرم نارا من قبل وجوههم واخرج البحر الملح
من خلفهم فقيل لهم خذوا ما اتيناكم اي اعطيناكم بقوة اي بجد واجتهاد قاله ابن عباس وقتادة والسدي
وقال ابو العالية بطاعة وقال مجاهد بالعمل بما فيه وقال ابن زيد بصدق وكان فيما اتاهم الله الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم وفيه اضمار اي وقلنا لهم خذوا واذكروا ما فيه اي ما في ما اتيناكم اي احفظوا ما في التوراة
من الحلال والحرام وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وقيل ما فيه من الثواب والعقاب لعلكم تتقون
اي لكي تتقوا محارمي فتتركوها وقال ابن عباس تتقون العقوبة قال صاحب الكشاف رجاء منكم ان تكونوا
متقين او وقلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا او بمعنى الارادة وهذا لا يستقيم الا على اصل المعتزلة وفيه ما فيه
وقيل لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فان قبلتموه وفعلتم ما امرتم به والا رضختكم بهذا
الجبل واغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما راوا ان لا مهرب منه قبلوا ما فيه واخذوه
بالميثاق وسجدوا من الفزع وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فمن اجل ذلك يسجد اليهود على
انصاف وجوههم فهذا معنى اخذ الميثاق وكان في حال رفع الجبل فوقهم لان في هذه الحال قيل
لهم خذوا ما اتيناكم بقوة فسجدوا اتوبة لله واخذوا التوراة بالميثاق ولو اخذوها اول مرة
لم يكن عليهم ميثاق فلما رحمهم الله قالوا لا سجدة افضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها قال ابن
عطية والذي لا يصح سواه ان الله اخترع وقت سجودهم الايمان في قلوبهم لا انهم امنوا كرها وقلوبهم
غير مطمئنة قوله ثم توليتم التولي اصله الاعراض عن الشي بالجسم ثم استعمل في الاعراض
عن الامور والدين اي اعرضتم عن امر الله وتركتم طاعته من بعد اخذ الميثاق ورفع الجبل ولولا
حرف امتناع الشي لوجود غيره فيكون لها جواب ويكون بعدها اسم مرفوع بالابتدا عند البصريين
وخبره محذوف وهو موجود وقيل جملة الجواب هي الخبر وقال الكسايي مرفوع بفعل محذوف
وهو حصل ونحوه وقال مرفوع بها والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته موجودان بان لم يعاجلكم بالاهلاك
لتكونوا من ذريتكم من يومن لكنتم من الخاسرين من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والاخرة
هذا اذا كان توليهم بالكفر اما اذا كان توليهم بالمعاصي يكون المعنى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته بالتوبة والامهال اليها لكنتم من الخاسرين وقيل المراد بالمخاطبين من لحق محمدا صلى
الله عليه وسلم وبالفضل والرحمة القران ويكون معناه ولولا فضل الله عليكم بالاسلام ورحمته
بالقران لكنتم من الخاسرين ويحتمل ان يراد بالفضل والرحمة ادراككم زمان محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين لما عدد الله تعالى وجوه النعم عليهم
شرع في ذكر ما وجب اليهم من انواع التشديدات لاعتدايهم هذا هو النوع الاول
قوله ولقد علمتم اللام للتوكيد وتسمى لام الابتدا وعلمتم بمعنى عرفتم فتتعدى الى مفعول وهو

الموصول اي الذين والمخاطبون هم اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم اعتدوا وجاوزوا
ما حد لهم اي ما امروا به من التجرد للعباده وتعظيمه وترك الصيد واشتغلوا بالعباده بالصيد والسبت
القطع يقال سبت راسه اذا حلقه وقطع الشعر منه ويقال نعل سبتية اذا كانت مدبوغة بالقرظ محلوقة
الشعر وسمي السبت من الايام به لان الله تعالى ابتدا الخلق فيه وقطع فيه بعض خلق الارض ولان الله تعالى
امر فيه بني اسرائيل بقطع الاعمال وتركها وقيل سمي به لان الله تعالى امرهم بالاستراحة فيه من الاعمال
والسبت الراحه وقيل السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت منكم في موضع نصب
على الحال اي كائنين منكم واعتداوهم ان الله تعالى امر موسى بيوم الجمعه وعرفه فضله كما امر به سائر
الانبيا فذكر ذلك موسى لبني اسرائيل عن الله وامرهم بالتشرع فيه فابوا وتعدوا الى يوم السبت فاوحى
الله تعالى الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك فامرهم بترك العمل وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد
عليهم المحنه الى زمن داود عليه السلام فلما كان زمن داود كان ممن حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت
قوم بارض يقال لها ايله على ساحل البحر بين المدينه والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل
ارض في شهر من السنه حتى لا يرى الما من كثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة وهي القرية المذكورة
في قوله تعالى وسلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت بعد يوم السبت وكان اذا دخل
يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهن من الما لامنها فاذا مضى يوم السبت
تفرقن ولزمن مقر البحر وذلك قوله اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فعمد رجال
فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كان عشية يوم الجمعه فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج
بالحيتان الى الحياض ولا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الما فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل
كانوا ينصبون الحبايل والشصوص يوم الجمعه ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ثم انتشروا واستغنوا
بذلك وكثرت اموالهم وهم خايفون من انزال العقوبه فلما طال العهد ولم ينزل عقوبه بهم قست قلوبهم
وتجروا على المعصيه فقالوا ما نرى السبت الا وقد احل لنا ففعلوا ذلك يوم السبت وصادوا علانية
وباعوا في الاسواق وصار اهل القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلثة اصناف صنف كرهوا الصيد
في يوم السبت ونهوا الصايدين عنه وصنف كرهوه وما نهوا عنه وصنف انتهكوا الحرمه وصادوا وكان
الذين نهوا اثني عشر الفا فابوا المنتهكين قبول نصحهم وقالوا نحن في هذا العمل وما زادنا الله به الا عزا وشرفا
فقيل لهم لا تغتروا فربما نزل بكم من العذاب وقال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية
بجدار وغبروا ذلك سنين فلعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصيه فخرج الناهون ذات
يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم احد فلما ابطاوا تسوروا عليهم الحايط فاذا هم
جميعا قردة فمكثوا ثلثة ايام ثم هلكوا ولم تمكث مسخ فوق ثلثة ايام ولم يتوالدوا فذلك قوله تعالى
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين مطرودين بلغة كنانة قردة خاسئين خبر كان اي كونوا جامعين
بين القردية والخسو وهو الصغار والطرد وروي عن مجاهد انه تعالى مسخ قلوبهم وردت افهامهم كافهام
القردة لان الله سبحانه مسخ صورهم ومثل قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان تقول الاستاذ
المعلم للمتعلم البليد الذي لا ينجح تعليمه فيه كن حمارا واستدل على امتناعه بان الانسان هو هذا
الهيكل المشاهد والبنية المحسوسة فاذا ابطلها واحدث في تلك صورة القرد وشكلها كان اعداما
للانسان وايجادا للقرد لا مسخا واجيب بان الانسان ليس تمام هذا الهيكل لانه قد يصير سمينا بعد
ان كان هزيلا وبالعكس فالهيكل والشكل متبدل والانسان المعين هو الذي كان موجودا والباقي غير الزايل
فالانسان امور وراء هذا الهيكل المحسوس وذلك الامر اما ان يكون جسما ساريا في البدن او في بعض جوانب

جزأ ح

جوانب البدن كقلب او دماغ او موجودا مجردا وعلى جميع التقادير فلا امتناع في بقا ذلك مع تطرق
التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ فثبت جواز المسخ فصح اجرا الاية على ظاهرها ولا حاجة الى تاويله
وقيل خاسئين يعني خرسا لا يتكلمون دليله قوله تعالى قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون وقيل مبعدون من كل خير
وقوله تعالى كونوا امر تسخير لا طلب لانهم ما كانوا قادرين على ان يقلبوا انفسهم على صورة القرد بل المراد
منه سرعة التكوين كقوله تعالى انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله ائتيا طوعا او كرها
وقوله يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي والمعنى انه تعالى قادر على ما اراد انزاله من العقوبة بهم لما قال لهم
كونوا قردة صاروا كذلك اي لما اراد بهم ذلك صاروا كما اراد قوله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها
وما خلفها وموعظة للمتقين فجعلناها اي المسخة قاله الفرا وقال الكسائي والزجاج الامة التي مسخت
وقال قتاده وابن قتيبه القرية والمراد اهلها وروى عطيه عن ابن عباس انها العقوبة نكالا قال
ابن قتيبه والزجاج عبرة ينكل من اعتبر بالمسخة اي يمنع ومنه النكل بالكسر القيد لمنعه عن المشي والنكل
ايضا حديدة اللجام وقال ابو عبيدة النكل اللجام الرديء ورجل نكل ونكل مثل شبه وشبه كانه
ينكل به اعداءه ورماه الله بنكلة اي بما ينكله ويقال نكل به تنكيلا اذا جعله نكالا وعبرة لغيره وقال
مقاتل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لما قبل هذه المسخة وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان
مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين فما في قوله لما بين يديها وما
خلفها عبارة عن الامم فيكون بمعنى من او عن القرون ويراد بالقرون اهل القرون قال عطية عن ابن عباس
وقال عكرمة عن ابن عباس لما بين يديها الاجيال ما مضى وتقدم من ذنوبهم وما خلفها عبارة عن الامم
فيكون بمعنى من او عن القرون ويراد بالقرون اهل القرون يعني لمن بعدهم من بني اسرائيل ان
يستنوا بسنتهم ويعملوا بعملهم وما الثانية تكون بمعنى من وروي محمد بن الحصين عن ابن عباس يعني ما بين
يديها من القرى وما خلفها يعتبرون بهم فلا يعملون عملهم وموعظة عظة وتذكرة وعبرة للمتقين الذين نهوهم
عن الاعتدا من قومهم او لكل متق سمعها الى يوم القيامة قال ابن عباس او لامة محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين واذ قال عطف على قوله واذ اخذنا وهذا هو النوع الثاني من
التشديدات وجد في بني اسرائيل قتيل اسمه عاميل ولم يدروا من قتله واختلفوا في قاتله والسبب في قتله
فقال عطا والسدي رجل كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه
وقال بعض المفسرين كانت تحت عاميل بنت عم له مضروب مثلا في بني اسرائيل في الحسن والجمال فقتل ابن عمها
لينكحها وقال ابن اخيه لينكح ابنته فلما قتله حمله من قريته الى قرية اخرى فالقاه هناك وقيل القاه بين
قريتين وقال عكرمه كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب
سبط قتل وجر الى باب سبط اخر فاختصم السبطان فيه وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله
فوضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يطلب بثاره ودمه ويدعيه قال فجا اوليا القتيل الى موسى واتوا
باناس وادعوا عليهم القتل وسالوا القصاص فسالهم موسى عن ذلك فجحدوا واشتبه امر القتيل
على موسى ووقع الخلاف فيه قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسالوا موسى ان يدعوا
الله ليبين لهم ذلك فسال موسى ربه فامرهم بذبح بقرة فقال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
فقالوا اتتخذنا هزوا اتهزا بنا او الهزو نفسه لفرط الاستهزا حين نسالك عن القتيل وتامرنا
بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في الظاهر وجهلهم بحكمته والبقر اسم جنس والبقرة تقع
على الذكر والانثى ودخول التا على انه واحد من الجنس والله تعالى امر بذبح بقرة من بقر الدنيا وهذا

هو الواجب المخير فدل ذلك على صحة قولنا بالواجب المخير وقرا ابو عمرو باختلاس ضمة الرا في
يامركم وابدال الهمزة الفا والباقون بضم الرا ان تذبحوا مفعول ثان لكما مر وهو على اسقاط
البا اي بان تذبحوا فان الامر من الافعال التي يجوز معها حرف الجر كما قيل امرتك الخير وان
يجوز معها حذف الحرف اذا لم يلبس وقرا حمزة هزوا باسكان الزاي وبالهمزة وحفص بضم الزاي
وبالواو وبدل الهمزة والباقون بضم الزاي وبالهمزة وكذلك كفوا وانتصابه به على انه مفعول ثان
لقوله اتتخذنا وهذا القول من بني اسرائيل ظاهر في فساد اعتقادهم فانه لا يصح الايمان لمن يقول
لنبي قد ظهرت معجزته قال ان الله يامركم بكذا اتتخذنا هزوا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض
اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وجب تكفيره وقيل ان ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفا والمعصية
على نحو ما قال القائل للنبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم حنين ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله
وكما قال الاخر اعدل يا محمد قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي اعوذ بالله واتمنع به
ان اكون من المستهزئين بالمومنين وقيل استعاذ بالله من الجهل كما جهلوا في قولهم اتتخذنا هزوا
لمن يخبرهم عن الله **قوله تعالى** قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تومرون لما علم القوم ان ذبح البقرة عزم من الله عز وجل
سالوه الوصف ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزت عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وقالوا لموسى ادع سل لنا ربك يظهر لنا ما هي ما تلك البقرة التي نذبحها لاجل القتيل
سالوا عن حالها وصفتها لا عن ماهيتها وشرح حقيقتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة مذبوحة
يضرب ببعضها ميت فيحيا لنا فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر
فلهذا حسن ذكر الصفات الخارجة عن الحقيقة في الجواب قال موسى ان الله يقول انها بقرة
لا فارض اي لا مسنة قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل
سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت اخرها يقال فرضت البقرة فروضا اي كبرت
وطعنت في السن قال تواعم بين ابكار وعون وفي المثل العوان لا تعلم الخمرة يقول منه
عونت المراة تعوينا وعانت تعون عونا قوله فرضت البقرة فروضا اي كبرت وطعنت في السن
فارض وبكر صفة لبقرة والصفة اذا كانت منفية بلا وجب تكرارها عوان خبر مبتدا اي هي
عوان والجملة تفسير لما تضمنه قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك بين يعني وسط تقول
جلست بين القوم كما تقول وسط القوم بالتخفيف وهو ظرف فيما اذن فيه النسبة قال صاحب
الكشاف ان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى
شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مونثين
وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار
في الكلام كما جعلوا فعل نايبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا
كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت
لروبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها
وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك وتلك والذي حسن منه ان اسما الاشارة
تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جا الذي بمعنى الجمع قوله
فافعلوا ما تومرون اي ما تامرونه بمعنى تومرون به قال امرتك الخير فافعل ما امرت به واخر
المصراع يدل على حذف البا من الخبر فان الامر لا يستعمل الا بالبا فحذف الجار ايجازا وامنا من الالباس

ثم

ثم حذف الضمير هذا اذا كان ما موصوله ويحتمل ان يكون مصدرية ويكون المعنى امركم بمعنى ماموركم
لتسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير والمعنى فافعلوا ما تومرون به من ذبح البقرة ولا تكرروا السوال
وهذا تحريض للامر وتنبيه على ترك التعنت **قوله تعالى** قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه
علينا وانا ان شا الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا
الان جيت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون لما سالوا عن حال السن وبين الله تعالى لهم سالوا عن حال اللون
فاجابهم الله تعالى انها بقرة صفرا فاقع اي شديدة الصفرة وقد فقع لونه يفقع ويفقع فقوعا والفقوع
اشد ما يكون من الصفرة وانصعه اي اخلصه يقال في التوكيد اصفر فاقع وناصع ووارس والورس نبت
اصفر باليمن يتخذ منه الغمرة للوجه يقال اورس المكان واورس الرمث اي اصفر ورقه بعد الادراك فهو
وارس ولا يقال له مورس وهو من النوادر ويقال اسود حالك وحانك وابيض ناصع ويقق ولهق
واحمر قاني وذريحي واخضر ناضر ومدهام وازرق خطباني واربد رادي قال صاحب الكشاف فان قلت
لم يقع خبرا عن اللون وانما وقع في قولك الصفرا قلت فاقع واقع هنا خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا
لصفرا الا انه ارتفع به اللون ارتفاع الفاعل واللون سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفرا
فاقعة وصفرا فاقع لونها كقولك هند حاملة الوشاح وهند حامل وشاحها فان قلت هلا قيل صفرا فاقعة وا
فايدة في ذكر اللون قلت الفايدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهو الصفرة فكانه قيل شديدة
الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان
شعاع الشمس يخرج من جلدها يسر الناظرين السرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله
عنه من لبس نعلا صفرا قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفرا فاقع لونها سودا
شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر
وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ومعنى تسر الناظرين تعجب الناظرين
لحسنها وصفا لونها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشي الحسن قوله قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي مرة ثانية تكرير السوال عن حالها وصفتها سايمة ام عاملة واستكشاف ليزدادوا
بيانا لوصفها قال صاحب الكشاف وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة
فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصا شوم وعن بعض الخلفا انه كتب
الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال
ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي صنف ام ما عرفت بنيت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك
قلت اسود ام ابيض فاذا امرتك بشي فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن
شي لم يحرم فحرم لاجل مسالته قوله تعالى ان البقر تشابه علينا وانا اي ان البقر الموصوف
بالتعوين والصفرة كثير واشتبه علينا ايها نذبح وذكر الفعل لان فاعله ضمير عايد الى البقر
لان البقر مذكر قال المبرد سيل سيبويه عن هذه الاية فقال كل جمع حروفه اقل من
حروف واحده فان العرب تذكره واحتج بقول الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحلون وقال
الزجاج البقر اسم جنس معناه ان جنس البقر تشابه علينا قال الله تعالى اعجاز نخل منقعر وقوله
ان شا الله شرط جوابه محذوف يدل عليه مضمون الجملة اي ان شا الله اهتدينا توسط بين
اسم ان وخبرها ليحصل توافق روس الاي قوله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها هذا
قول او الى ما خفي علينا من امر القاتل وقيل انا ان شا الله على هدى في استقصاينا في السوال

في السوال عن اوصاف البقرة اي لسنا على ضلال فيما نفعل من هذا البحث ثم قال موسى انه
يقول انها بقرة لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني انها لا تثير الارض والكراب
اي قلبها للحراثة وفي المثل الكراب على البقر ومعنى اثارة الارض قلبها للزراعة ولا تسقي الحرث
وليست هي بسانية تسنى عليها لسقي الحرث والسانية الناضحة وهي الناقة التي يستقى عليها وفي
المثل سير السواني سفر لا ينقطع يقال سنت الناقة تسنو اسقت الارض والحرث الزرع ويراد به ههنا
الارض المهياة للزرع ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي
على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول وساقية مسلمة سلمها الله من العيوب قال ابن عباس وقتادة
والربيع وقال الحسن من العمل اي معناه من العمل سلمها اهلها منه لقوله او معبر الظهر لبني عن وليته
ما حرثته في الدنيا ولا اعتمر وقيل خالصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شي من الالوان
لا شية فيها لا لمعة في نقبتها اي لونها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفرا كلها حتى قرنها وظلفها
وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشى القوايم
قالوا الان الوقت الذي جيت فيه بالحق اي بحقيقة وصف البقرة البين التام الذي دل على
التمييز من اجناسها وما بقي اشتباه واشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة
لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وما كادوا يفعلون استثقال لاستيصالهم واستبطالهم وانهم
لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سوالاتهم وما كاد ينقطع
خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور
القاتل وقال محمد بن كعب وما كادوا يجدونها باجتماع اوصافها وروى السدي وغيره
ان رجلا من بني اسرائيل كان بارا بابيه فبلغ من بره به ان رجلا اتاه بلولو فابتاعها بخمسين
الفا وكان فيها فضل فقال للبايع ان ابي نايم ومفتاح الصندوق تحت راسه فامهلني
حتى يستيقظ فاعطيك الثمن قال فايقظ اباك واعطني الثمن فقال ما كنت لافعل ولكن
ازيدك عشرة الف وانظرني حتى ينتبه ابي فقال الرجل فانا احط عنك عشرة الف ان
ايقظت اباك وعجلت النقد فقال وانا ازيدك عشرين الفا ان انتظرت انتباه ابي فلم
يفعل ولم يوقظ الرجل اباه فاعقبه الله ببره بابيه ان جعل تلك البقرة عنده وامر بني اسرائيل
ان يذبحوا تلك البقرة بعينها وقال ابن عباس ووهب وغيرهما كان في بني اسرائيل شيخ صالح
له ابن طفل وكانت له عجلة فاتى بها الغيضة وهي الاجمة وهي مغيض ما يجتمع فينبت فيه الشجر
وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر اي يسن وكان برا بوالديه ومات الشيخ
فشبت وصارت عوانا وكانت من احسن البقر واسمنه وكانت تهرب من كل من راها فلما
كبر الابن وكان يقسم الليل ثلثة اقسام يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح
انطلق واحتطب على ظهره فياتي به السوق فيبيعه بما شاء الله تعالى ثم يتصدق بثلثه وياكل
ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه ان اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا
واستودعها الله فانطلق اليها وادع اله ابرهيم واسحق ويعقوب ان يردها عليك
وان من علاماتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت
تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفا لونها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها وقال
اعزم عليك باله ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى وقفت بين يديه

فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله عز وجل وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني
فان ذلك اهون عليك فقال ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة
باله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق
معك لفعل لبرك لوالدتك فسار الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال ايها الفتى

فانطلق

اني رجل راع من رعاة البقر اشتقت الى اهلي فاخذت ثورا من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي
حتى اذا بلغت شطر الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وصعد الجبل وما قدرت عليه واني اخشى
على نفسي الهلكة فان رايت ان تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت واعطيك اجرها بقرتين مثل بقرتك
فلم يفعل الفتى وقال اذهب وتوكل على الله فلو علم الله منك الصدق لبلغك بلا زاد ولا راحلة
فقال ابليس ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها فاعطيك عشرة مثلها فقال الفتى ان
امي لم تامرني بذلك فبينما هما كذلك اذ طار طاير من بين يدي الفتى ونفرت البقرة هاربة في الفلاة
وغاب الراعي فدعاها الفتى باسم اله ابرهيم فرجعت اليه وقالت ايها الفتى البار بوالدته الم تر الى
الطاير الذي طار انه ابليس عدو الله اختلسني اما انه لو ركبني لما قدرت علي ابدا فلما دعوت اله
ابرهيم جا ملك فانتزعني من يد ابليس وردني اليك لبرك بامك وطاعتك لها فجا بها الفتى الى امه
فقالت له امه انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق
فبع هذه البقرة وخذ ثمنها قال بكم ابيع قالت بثلثة دنانير ولا تبع بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة
في ذلك الوقت ثلثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق فبعث الله عز وجل ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر
الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلثة دنانير
واشترط عليك رضا والدتي فقال له الملك بستة دنانير ولا تستامر امك فقال الفتى لو اعطيتني
وزنها ذهبا لم اخذه منك الا برضى امي فردها الى امه واخبرها بالثمن فقالت له ارجع وبعها
بستة دنانير على رضاي قال فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق واتى الملك فقال استامرت
امك فقال الفتى انها امرتني ان لا انقصها عن ستة على ان استامرها قال الملك اني اعطيك اثني عشر
على ان لا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك قالت ان ذلك الرجل الذي ياتيك ملك
من الملائكة ياتيك في صورة ادمي ليختبرك فاذا اتاك فقل له اتامرني ان ابيع هذه البقرة ام لا ففعل
ذلك فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى ابن عمران يشتريها منك
لقتيل يقتل من بني اسرائيل فلا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكوا البقرة فقدر الله عز وجل
على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وامرهم بها فما زالوا يستوصفون ويتوصف لهم حتى وصف
لهم تلك البقرة بعينها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فطلبوها فلم يجدوها بكمال
اوصافها الا عند الفتى فساموها الفتى وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وقال
السدي اشتروها بوزنها عشر مرار ذهبا اختلف العلماء في ان قوله تعالى اذبحوا بقرة هل هو
امر بذبح بقرة معينة غير مبينة او امر بذبح بقرة غير معينة فذهب طايفة الى الاول واخرى الى
الاخر واحتج للاول بوجوه منها انه سبحانه وتعالى عينها بعد سوالهم عن البقرة وطلبهم
بيانها ولو لم تكن البقرة معينة لم تكن للسوال والجواب معنى ومنها انه لو لم تكن البقرة معينة لكان
لكان المامور بها في الاية الثانية معينة وفي الاولى غير معينة فيكون المامور بها في الاية الثانية
متجددة ومنها ان المامور بها لو كانت غير معينة لما طابقت المامور بها المذبوح لان البقرة
المذبوحة معينة واللازم باطل بدليل مطابقة المامور بها المذبوح ومنها ان قوله تعالى ادع لنا ربك

ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما لونها وما هي وقوله تعالى انها بقرة لا فارض ولا بكر انها بقرة صفرا انها
بقرة لا ذلول ينصرف الى ما امروا بذبحه من قبل وهذه الكنايات تدل على ان المامور به ذبح بقرة وسمه (؟)
ان الصفات المذكورة في الجواب عن السوال الثاني اما ان يقال انها صفات البقرة التي امروا بذبحها اولا و
صفات بقرة وجبت عليهم عند ذلك السوال ونسخ ما كان واجبا عليهم قبل ذلك والاول هو المطلوب والثاني ان
يقع الاكتفا بالصفات المذكورة اخرا وان لا يجب حصول الصفات المذكورة قبل ذلك لكن اجمع المسلمون على ان
تلك الصفات باسرها معتبرة علمنا فساد هذا القسم واحتج للاخرى بوجوه منها ان البقرة المامور
بها غير معينة لقوله تعالى اذبحوا بقرة فانها نكرة والنكرة غير معينة بحسب الظاهر خلاف الاصل ولا يصح القول
ومنها قول ابن عباس لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزاتهم لكنهم شددوا في السوال فشدد الله عليهم وذلك دليل
على ان البقرة غير معينة لان طلب زيادة البيان ليس بتشديد ومنها ان البقرة لو كانت معينة
لما عنفهم الله تعالى على طلب البيان لان طلب البيان يوجب استحقاق المدح واللازم باطل لقوله تعالى وما كادوا
يفعلون قال صاحب الكشاف كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر اي فرد من افرادها غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لا اشتغال
الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الحكم جائز على ان الخطاب كان لازما مرتبا ولا هذه البقرة الموصوفة
كان تناول غيرها وايضا لو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فلذلك اذا وقع
مثلها عليها بعد التخصيص ويتفرع على هذا القول ان التكاليف متغيرة وكلفوا في الاول بقرة ما
وفي الثاني ان تكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا فلما لم يفعلوا ذلك بل كلفوا ان تكون صفرا فلما لم يفعلوا كلفوا
ان تكون مع ذلك لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القايلون بهذا القول منهم
من قال في التكليف الواقع اخرا يجب ان تكون مستوفيا صفة تقدم حتى تكون البقرة مع جميع الصفات
المترتبة في الاجوبة ومنهم من قال انه لا يجب ان تكون مستوفيا صفات تقدمت بل تكون البقرة مع الصفة
الاخيرة فقط وهذا الاشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات
وبطريقة التشديد عليهم واذا ثبت ان البيان لا يتاخر ولابد من كونه تكليفا بعد تكليف وذلك يدل
على ان الاسهل قد نسخ بالاشق ويدل على جواز النسخ قبل الفعل ولكنه لا يدل على جواز النسخ قبل وقت الفعل
ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى وله ايضا تعلق بمسالة ان الزيادة على هذا النسخ هل هو نسخ ام لا ويدل
على حسن التكليف ثانيا لمن عصى ولم يفعل ما كلف اولا ويتفرع على القول بجواز تاخير بيان المجمل الى وقت
الحاجة فان البقرة غير معينة بحسب الظاهر لانها نكرة وكان المراد بها بقرة معينة فيكون مجملا ولم تقترن بها بيان
اصلا واحتج القايلون بان الامر للوجوب بهذه الاية فانه لم يوجد في هذه الصورة الا مجرد الامر ثم انه تعالى
ذم التثاقل فيه والتكاسل في الامتثال وهذا يدل على الوجوب ورد بانه اقتضى الوجوب بقرينة صارفة
عن غيره فانه اذا كان الغرض من المامور به ازالة الشر وفتنة على وجه ما والشر المخوف فيهم والتحرز
من هذا الجنس من المضار واجب وبانه ليس ببعيد ان التعبد بالقران كان واجبا في تلك الشريعة
وتقدم علمهم بذلك فافاد الامر بالذبح الوجوب بهذا الاعتبار اجيب بان المذكور مجرد قوله
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فلما ذكر التوبيخ على ترك المامور علمنا ان ذلك الذم هو بمجرد ورود
الامر به فان ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته له واحتج القايلون بان الامر يفيد الفور
بهذه الاية فان التعنيف على ترك المامور به عقيب مجرد الامر دال على انه للفور والله اعلم
قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا
اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون هذا عطف على قوله واذ قلتم

يامو

يا موسى والذكر مضمر ههنا كانه قال واذكروا اذ قتلتم نفسا واضاف القتل اليهم واذا كان القاتل
واحدا على ما هو عادة العرب انهم يضيفون فعل البعض الى جماعة القبيلة فيقولون
فعلتم كذا وان كان بعضهم فعل ذلك وهذه الاية هي اول القصة فان حقها ان يقدم ذكر
القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها وانما لم يقص على ترتيبها لان كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص
لتعديد ما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم على تلك الجنايات ولما وجد فيهم من الايات العظام وهاتان
قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على
الاستهزا وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه
من الايات العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة
ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استونفت الثانية استيناف قصة براسها ان
وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين
انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وبينه باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة
واحدة بالضمير الراجع الى البقرة قوله فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شان النفس لان المتخاصمين
يدرا بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه اطلق ادارأتم واذا اختصمتم اطلاقا للازم وارادة للملزوم
فان التدارؤ لازم للاختصام فيكون كناية او تدافعتم بمعنى طرح قتله بعضكم على بعض فدفع المطروح
عليه الطارح فانه اذا طرح هذا القتل على ذاك دفعه ذاك واذا طرح ذاك على هذا دفعه
هذا فيتحقق معنى المدافعة او لان الطرح في نفسه دفع فان الطارح دفع المطروح عليه او دفع
بعضكم بعضا على البراءة واتهمه يعني اذا قال بعضكم انا بري من القتل دفع البعض الاخر براته واتهمه
بالقتل وادارأتم اصله تدارأتم ثم ادغمت التاء في الدال وادخلت الهمزة للوصل ليسلم سكون
الحرف الاول ومثله اثاقلتم واطيرنا والله مخرج ما كنتم تكتمون تخفون وتسترون من امر القتيل
لا يتركه مكتوما وانما اعمل مخرج وهو في معنى المضي لانه قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ
وكما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه وهما فادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على
تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون من امر القتيل
ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به القتيل لسانها وقيل عجبها اي اصل ذنبها
وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين
والمعنى فضربوه فيحيى فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه
قام القتيل باذن الله عز وجل واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه
ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا
للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كما احيا الله عاميل يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم
اياته اي دلايله على انه قادر على احيا الموتى لعلكم تعقلون لكي تعملوا على قضية عقولكم وان من
قدر على احيا ميت واحد قادر على احيا الموتى كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث
واما ان يكون خطابا للمنكرين البعث في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
صاحب الكشاف فان قلت هلا احياه ابتدا ولم شرط في احيايه ذبح البقرة وضربه
ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوايد وانما شرط ذبح البقرة وضربه ببعضها

لما في ذبح البقره من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربه على الطلب
واما في التشديد عليهم تشديدهم من اللطف بهم ولاخرين في ترك التشديد والمسارعه الى امتثال
اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سوال ونفع اليتيم بالتجاره الرابحه والدلاله
على بركه بر الوالدين والشفقه وتجهيل الهازي بالا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام
الحكما وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن
غير قحم اي مسنه ولا ضرع اي ضعيف الحركه حسن اللون بريا من العيوب يونق من نظر اليه
وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبه بثلثمايه دينار وان الزياده
في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جايز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادايه
الى البدا وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحياه عقيبه ان الموثر هو المسبب لا الاسباب
لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياه. **قوله تعالى** ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجاره او اشد قسوه وان من الحجاره لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون. ثم وضعت
للمهله والتراخي والمراد هاهنا بعد التصور اي استبعاد القسوه من بعد ما ذكر ما يوجب
لين القلوب ورقتها فانه لما كان قسوة القلب من بعد الامور المذكوره الموجبه لعدم امترائكم
بعيد التصور ولهذا قال ثم يقال قسا قلبه قسوه وقساوه وقسوا اشتدت وصلبت
يقال حجر قاس اي صلب وارض قاسيه لا تنبت شيا لصلابتها الشي الذي من شانه ان يقبل
الاثر ثم عرض له ما لاجله صار بحيث لا يقبل الاثر يقال لذلك التعليل انه صار صلبا غليظا قاسيا فالجسم
من حيث انه جسم يقبل الاثر عن الغير فاذا عرض له صفة الحجريه صار غير قابل للاثر لذلك
القلب من شانه ان يتاثر عن مطالعة الدلايل والايات والعبر وتاثيرها عباره عن ترك التمرد
والعتو والاستكبار واظهار الطاعه والخضوع لله والخوف فاذا عرض للقلب عارض اخرجه
عن هذه الصفه صار في عدم التاثر شبيها بالحجر فيقال قسي القلب وغلظ ويحتمل ان يكون الخطاب
لبني اسرايل الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام من بعد ذلك اي من بعد احيا الميت
لكم بعضو من اعضا البقره فان هذه ايه عظيمه يجب على من شاهدها ان يلين قلبه ويخضع فهي
كالحجاره ويحتمل ان يراد من بعد ذلك من بعد جميع ما تقدم من الايات المعدوده والمواثيق
المذكوره ويحتمل ان يكون الخطاب لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اي قست
قلوبكم من بعد البينات اي التي جا بها النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الامور التي جرت على
اسلافكم والعقاب الذي نزل بمن اصر على المعصيه والايات التي جاتهم بها انبياوهم والمواثيق
التي اخذوها على انفسهم فاخبر بذلك عن طغيانهم وجفاهم على ما عندهم من العلم بايات الله
التي تلين عندها القلوب وانما شبه قلوبهم بالحجاره في الشده والغلظ ولم تشبه
بالحديد وهو اصلب من الحجاره لان الحديد يلين بالنار وقد لان لداود عليه السلام
باذن الله تعالى حتى صار كالعجين ولا تلين الحجاره بمعالجة ابدا ولان في الحديد
تلك المنافع التي لا توجد في الحجر تشبيه الله قلوبهم بالحجاره لقسوتها ولعدم المنفعه بها
فهي كالحجاره فهي في قسوتها مثل الحجاره او اشد قسوه او اشد معطوف على الكاف اما على معنى
او مثل اشد قسوه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراة الاعمش او اشد
قسوه بفتح الدال من اشد عطفا على الحجاره وعلى هذا لا يكون الضمير في اشد عايدا على الموصوف

المحذو

منه

المحذوف اذ التقدير او مثل شي اشد قسوه واما على او هي في انفسها اشد قسوه وافرد اشد وان
كان خبرا عن الجمع لانه استعمل بمن لكنها حذفت وهو حسن لوقوعها خبرا واو هاهنا للتساوي في غير الشك
والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجاره او بجوهر اقسى منها او من عرفها شبهها بالحجاره او قال
هي اقسى من الحجاره وقيل او هاهنا للتنويع وكانه قسم قلوبهم الى قسمين فبعضها كالحجاره وبعضها اشد
وقيل او هاهنا للتنويع وكانه قسم قلوبهم الى قسمين فبعضها كالحجاره وبعضها اشد الى وقيل او هاهنا
بمعنى بل اي فهي كالحجاره بل اشد قسوه منها وقسوه منصوب على التمييز قيل وهو من حيث المعنى يقتضيه
الكاف ويقتضيه افعل التفضيل لان كلا منهما ينتصب عنه التمييز يقول زيد كعمرو حلما وقال
صاحب الكشاف فان قلت لم قيل اشد قسوه وفعل القسوه مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب
قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوه ووجه اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد
وصف القسوه بالشده كانه قيل اشتدت قسوة الحجاره وقلوبهم اشد قسوه فان في اشد دلاله على
اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زياده في القسوه لا في شبه القسوه وترك ضمير المفضل
عليه ولم يقل منها لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجاره
بيان لفضل قلوبهم على الحجاره من شدة القسوه وتقرير لقوله اشد قسوه وهذا يدل على
ان الاولى ان يجعل او هاهنا بمعنى بل قوله لما يتفجر لما اسم ان واللام للابتدا ومن الحجاره
خبرها وما موصوله ويتفجر صلتها والضمير في منه عايد على ما والتفجر التفتح بالسعه والكثره
والمعنى وان من الحجاره ما فيه خروق واسعه يتسيل منها انهار اي ما كثيرا غزيرا وان
منها لما يشقق اصله يتشقق ادغمت التا في الشين اي يتشقق انشقاقا بالطول او بالعرض
فينبع منه الما ايضا وان منها لما يهبط اي يتردى وينزل من اعلى الجبل الى اسفله من خشية
الله وقلوب هولا لا تنقاد ولا تخشع ولا تخشى الله ولا تلين لانهم عارفون بصدق محمد وبان من كذبه
كانت النار عاقبته ثم لا يومنون به فقلوبهم اشد قسوه من الحجاره ثم اوعدهم على ترك الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم فقال وما الله بغافل عما تعملون اي انه يجازيكم على ذلك وما يحتمل ان يكون حجازيه
فموضع بغافل نصب على انه خبرها ويحتمل ان يكون تميميه فموضعه رفع على انه خبر مبتدا وما في عما
موصوله ويجوز ان يكون مصدريه وقرا الجمهور بالتا فيكون المخاطبه للنبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من
بعد ما عقلوه وهم يعلمون ذكر الله اولا قبايح افعال اسلاف اليهود الى هاهنا ثم شرع في قبايح
افعال اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفيما ذكر الله تعالى من قصص بني اسرايل
في هذه السوره وايه شبهه الدلاله على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عنها من
غير تعلم وسماع من احد فيكون بالوحي ويشترك في الانتفاع بهذه الدلاله اهل الكتاب والعرب
اما اهل الكتاب فلانهم يعلمون هذه القصص فلما سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم من غير
تفاوت اصلا علموا لا محاله انه ما اخذها الا بطريق الوحي واما العرب فلما شاهدوا من اهل
الكتاب انهم يصدقون محمدا في هذه الاخبار علموا انه نبي ومنها تعديد النعم على بني اسرايل
وما من الله تعالى به على اسلافهم من انواع الكرامه والتفضيل كالانجا من ال فرعون بعد ما كانوا
مقهورين مستعبدين وتصييره اياهم انبيا وملوكا وتمكينه لهم في الارض وفرقه بهم البحر
واهلاك عدوهم وانزال النور والصفح عن الذنوب الذي ارتكبوها عن عبادة العجل
ونقض المواثيق وسوالهم روية الله جهره ثم ما اخرجه لهم في التيه من الما العذب من الحجر

الصلب وانزل الله عليهم المن والسلوى ووقاهم من حر الشمس بتظليل الغمام فذكرهم الله هذه النعم
القديمة والجديدة ومنها اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بتقادم كفرهم وخلافهم وشقاقهم
وتعنتهم على الانبيا ومعاندتهم لهم وبلوغهم في ذلك ما لم يبلغه احد من الامم قبلهم
فانهم بعد مشاهدتهم الايات الباهرة عبدوا العجل بعد مفارقة موسى اياهم بالمدة اليسيرة
فدل ذلك على بلادتهم ثم لما امروا بدخول الباب سجدا وان يقولوا حطة ووعدهم ان يغفر
لهم خطاياهم ويزيد في ثواب محسنهم فبدلوا القول وفسقوا ثم سالوا الفوم والبصل بدل
المن والسلوى ثم امتنعوا من قبول التورية بعد ايمانهم بموسى عليه السلام واخذ الميثاق بان
يومنوا به وينقادوا لما ياتي به حين رفع فوقهم الجبل ثم استحلوا الصيد في السبت ثم اعتدوا
ثم امروا بذبح البقرة فشافهوا موسى بقولهم اتتخذنا هزوا ثم لما شاهدوا احيا الموتى ازدادوا
قسوة فكان الله يقول اذا كانت هذه افعالهم بنبيهم ومعاملتهم مع نبيهم الذي اعزهم الله به
وانقذهم من الرق والاسر بسببه فغير بديع منهم ما يعاملون به اخلافهم محمدا صلى الله عليه وسلم اي فليهن
عليكم ايها النبي والمومنون ما يفعلون من عنادهم واعراضهم عن الحق ومنها تحذير اهل
الكتاب الموجودين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم من نزول العذاب عليهم كما نزل على اسلافهم
في تلك الوقايع ومنها تحذير مشركي العرب ان ينزل بهم العذاب كما نزل على اوليك اليهود
ومنها انه احتجاج على مشركي العرب المنكرين الاعادة مع اقرارهم بالابتدا وهو المراد بـ
قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى اذا عرفت هذا فنقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد
الحرص على الدعا الى الحق وقبولهم الايمان منه ولو كان يضيق صدره بسبب عنادهم وتمردهم فقص الله
تعالى عليه اخبار بني اسرايل في العناد العظيم مع مشاهدة الايات الباهرة تسلية لرسوله
صلى الله عليه وسلم فيما ظهر من اهل الكتاب في زمانه من قلة القبول والاستجابة فقال
تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم الهمزة للانكار والتعجب والفا للعطف على ما قبل الهمزة عليه اعتنا
بالاستفهام وقيل للعطف على فعل محذوف بعد الهمزة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة قاله ابن عباس ومقاتل وقيل للانصار فانهم لما اسلموا احبوا اسلام اليهود للرضاعة
التي بينهم ذكره النقاش وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين ان يومنوا
لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم لقوله فامن له لوط والضمير الذي هو فاعل
يومنوا عايد على اليهود وقد كان فريق منهم اي جماعة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله يعني ما
يتلونه من التوراة يحرفونه كتحريفهم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم قاله مجاهد
والسدي في اخرين فيكون سماعهم لكلام الله بتبليغ نبيهم وتحريفهم تغيير ما فيه وقيل كانوا
مع السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى
فلما جاوا الى قومهم قالوا انه قال كذا وكذا وقال في اخر قوله ان لم تستطيعوا ترك ما انهاكم
عنه فافعلوا ما تستطيعون هذا قول مقاتل والاول اصح وقد انكر بعض اهل العلم
منهم الترمذي صاحب النوادر هذا القول انكارا شديدا وقال انما خص بالكلام
موسى وحده والا فاي مزية وجعل هذا من الاحاديث التي رواها الكلبي وكان كذابا
من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وعلموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته
وهم يعلمون انهم لم يفعلوا ذلك عن خطا ونسيان بل فعلوه عن قصد وتعمد وانهم كاذبون
مفترون وقيل يعلمون ان التحريف موجب للعقاب والمعنى ان كفر هولا وحرفوا فلهم سابقة

في

في كفرهم وتحريفهم **قوله تعالى** واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون هذا هو النوع الثاني
من قبايح افعال اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس والحسن
وقتادة يعني منافقي اليهود كانوا اذا راوا المومنين قالوا امنا بانكم على الحق وان محمدا نبي
صادق مبشر به نجده في كتابنا نعته • واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا • قالوا
عاتبين لهم على ذلك لايمين لهم على ذلك • اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين الله لكم في التوراة من صفة
محمد انه النبي المبشر به او قال المنافقون لاعقابهم الى بقايا الذين نافقوا اروهم التصلب في دينهم
اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليكم شيا في كتابهم فيما نافقوا المومنين وينافقون اليهود • ليحاجوكم
ليجادلوكم ويحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا احتجاجهم به وقولهم هو في كتابكم هذا احتجاجا
عند الله تعالى الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد اي
جعلوا محاجتهم بما في كتاب الله كمحاجتهم عند الله قال ابن الانباري معناه في حكم ربكم كما يقال
هذا حلال عند الشافعي اي في حكمه وهذا حل عند الله اي في حكم الله والمعنى ليكون لهم الحجة عليكم
عند الله في الدنيا والاخرة • افلا تعقلون • هذا من كلام رؤسائهم لهم في لومهم اياهم وقيل
هو خطاب من الله للمومنين اي افلا تعقلون ان بني اسرايل لا يومنون وهم بهذه الاحوال
فقال الله تعالى • اولا يعلمون يعني اليهود ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم
الكفر والتكذيب واعلانهم الايمان والتصديق • ومنهم اميون اي من اليهود لما وصفهم الله تعالى بالعناد
وازال الطمع عن ايمانهم بين فرقهم فالفرقة الاولى هي الضالة المضلة وهم الذين يحرفون كلام الله والفرقة
الثانية المنافقون والفرقة الثالثة الذين يعاتبون المنافقين ويلومونهم والفرقة الرابعة الاميون قال
الزجاج معنى الامي في اللغة المنسوب الى ما عليه جبلة الامة اي لا يكتب فهو على ما ولد عليه وقيل
للذي لا يكتب امي لان الكتابة مكتسبة اي هو على ما ولدته امه لم يتعلم الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا
ما فيها • لا يعلمون الكتاب التوراة • الا اماني • الاماني جمع امنية واصلها امنوية على وزن افعولة
اجتمع الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء وكسر ما قبلها فصار
امنية وجمع على افاعيل وادغم الياء في الياء وقيل من تمنى الرجل معناه لا يعلمون التوراة الا ما هم
عليه من امانيهم ومن ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم ومن اباهم الانبيا يشفعون لهم
والاماني اخبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل من تمنى الكتاب اذا قرا ومنه قوله
تعالى اذا تمنى القى الشيطان في امنيته ومنه قول الشاعر تمنى كتاب الله اول ليلة واخره لاقى حمام المقادر
فمعنى الاية انهم لا يعلمون الكتاب الا سماع شي يقرا لا علم لهم بصحته وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها
من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب في شي حدث به اهذا شي رويته ام تمنيته
اي اختلقته والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني مقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق
والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثنا المنقطع • وان هم الا يظنون • قال
ابن عباس لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه وهم يجحدون نبوتك بالظن قال الواحدي قال
اصحاب المعاني ذم الله تعالى بهذه الاية قوما من اليهود لا يحسنون شيا وليسوا على بصيرة الا ما
يحدثون به والا ما يقرؤونه من غير علم به فنبه حثا على تعلم العلم حتى لا يحتاج الانسان الى تقليد غيره
واخذ شيا لا يكون له به معرفة قال صاحب الكشاف ذكر الله تعالى الذين عاندوا بالتحريف

مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سوا لان العالم عليه ان يعمل
بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم **قوله تعالى** فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
قال الجوهري ويل كلمة مثل ويح الا انه كلمة عذاب يقال ويله وويلك وويلي وفي الندبة ويلاه
قال الاعشى ويل عليك وويل منك يا رجل وقد تدخل عليه الهاء فيقال ويله قال مالك بن جعدة التغلبي
لامك ويلة وعليك اخرى فلا شاة تمل ولا بعير وتقول ويل لزيد وويلا لزيد فالنصب على اضمار الفعل
اي الزمه الله ويلا والرفع على الابتداء اذا لم تضفه فاذا اضفت فليس الا النصب لانك لو رفعته
لم يكن له خبر قال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حرها وقيل هو دعاء الكفار
على انفسهم بالويل والثبور يكتبون الكتاب المحرف وذلك ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال
رياستهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اليهود عن الايمان به فعمدوا الى صفة
محمد في التوراة وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال
ازرق سبط الشعر فاذا سالهم سفلتهم عن محمد صلى الله عليه وسلم قروا عليهم ما كتبوه فيجدونه مخالفا لصفته
فيكذبونه قوله بايديهم تاكيد حسن بليغ وهو من مجاز كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك
هذه ثم يقولون هذا من عند الله فالمراد ان من كتب هذا المحرف في نهاية الرداءة ذنبه عظيم فاذا اسنده
الى الله تعالى وادعى انه من عند الله يكون ذنبه اعظم فان الكذب فيما يفضي الى الضلال في غاية القبح
فاذا افترى على الغير يكون افحش واذا اسند الى الله يضاعف الذنب قال الله تعالى ومن اظلم ممن افترى على
الله الكذب قوله ليشتروا به ثمنا قليلا اي طلبا لشي قليل من المال والجاه قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون يعني ان كتبتهم لما كتبوه ذنب عظيم بانفراده وكذلك اخذهم المال عليهم هذا الطريق
واختلفوا في قوله مما يكسبون فقيل المراد به ما كانوا ياخذون على هذا الكتب والتحريف فقط وقيل
المراد به ساير معاصيهم والاول اقرب من جهة السياق والثاني من جهة العموم قال والاول ترجح لانه
متى لم يقيد لكسبهم لم يحسن الوعيد عليه لان الكسب يتناول الحلال والحرام فلابد من تقييده والاولى
ان يقيد بما تقدم ذكره **قوله تعالى** ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون

هذه الاية وقعت في غير موقعها

البينات العصا واليد وفلق البحر وما اوتي موسى من الدلايل الواضحات ثم اتخذتم يدل على ان اتخاذهم
العجل بعد مهلة من النظر في الايات وهذا اعظم في ذنبهم والضمير في قوله من بعده عايد على موسى اي
من بعد زمان غيبته عنكم في المناجاة ويجوز ان يكون عايدا على المجي وهذه الاية رد على اليهود في ان من اسس
بالزال عليهم لم يتخذ العجل وتوبيخ لهم على كفرهم وعبادتهم العجل بعد ما راوا ايات موسى وبيان انهم كفروا بمحمد
فليس بعجب من كفرهم في زمن موسى قوله وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم
العجل واضعين العبادة غير موضعها ويجوز ان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم والفرق
بين **قوله تعالى** وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون هذا هو النوع الثالث من قبايح اعمالهم واقوالهم
وهو اعتقادهم وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة واياما اصله ايوام الا اياما واستثنا
مفرغ معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة ويهود تقول انما هذه الدنيا سبعة الف وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما واحدا
ثم ينقطع عنا العذاب والمعدودة معناها القليلة كقولهم دراهم معدودة فقال الله عز وجل
قل لهم يا محمد اتخذتم الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة استغني بهمزة الاستفهام واتخذ يتعدى

هنا ك

هنا الى واحد ويحتمل ان يتعدى الى اثنين ثانيهما الظرف اي عند الله فيتعلق بمحذوف قوله
فلن يخلف الله وعده قال صاحب الكشاف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده وقيل انه اعتراض كانه يراد بين الجملتين اللتين وقع التعادل بينهما وهما اتخذتم ام
تقولون فلا موضع لها من الاعراب وقيل انه مفعول لقول محذوف وذلك القول منصوب
في جواب الاستفهام تقديره فنقول لن يخلف الله ام متصلة معادلة بمعنى اي الامرين كاين على
سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهو قولهم على الله ما لا تعلمون لقوله تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة فتقدر ببل والهمزة وهو استفهام انكار
لانه قد وقع منهم **قوله تعالى** بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون بلى اثبات لما بعد حرف النفي قال الفراء بلى يكون جوابا للكلام فيه جحد تقول الست
تقوم فتقول بلى ونعم جواب لكلام لا جحد فيه يقال هل تقوم فتقول نعم قال الله تعالى الست بربكم
قالوا بلى وقال تعالى هل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم والاية رد على اليهود في قولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة اي بلى تمسكم النار ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون والسيئة
الفعل القبيح اي الحرام سوا كان كفرا او غيره صغيرة او كبيرة قرا اهل المدينة خطيئاته بالجمع
والباقون خطيئته على الواحد لما اضيف الى المفرد جمع وجمع في قوله خطاياكم لاضافته
الى الجمع والخطيئة وان كانت مفردة لا يمتنع وقوعها على الكثرة كقوله وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها والعدد انما هو في الكثرة والجمع باعتبار المعنى فانه الكثرة والضمير المضاف اليه
جمع في المعنى بدليل قوله فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والخطيئة والسيئة متقاربان لكن اكثر
استعمال الخطيئة فيما لم يقصد اليه في نفسه بل قصد الى شي اخر وتولد منه ذلك كمن رمى صيدا
فاصاب انسانا وليس المراد بالسيئة هاهنا الفعل القبيح مطلقا قال صاحب الكشاف من كسب سيئة من السيئات
يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها
بالتوبة وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن عنها فقال سبحان الله
فكل اية نهى فيها الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة وقال اصحابنا
اهل السنة والجماعة المراد بالسيئة هاهنا الشرك وقال ابن عباس والضحاك وابو وايل
وابو العالية والربيع وابن زيد هي الشرك يموت عليه الانسان لان الله تعالى اوعد بالخلود في النار
من كسب سيئة والمومن وان كان صاحب كبيرة لا يخلد في النار واحاطت به خطيئته يدل على ان
المراد بها الشرك اي سدت عليه مسالك النجاة والخروج من النار كما ان السور المحيط بالمدينة
سد مسالك الخروج منها وهذا شان الشرك قالت المعتزلة الاحاطة حقيقة هي اشتمال جسم على
جسم كاحاطة السور بالمدينة ولا يمكن حمله على المفهوم الحقيقي ههنا فيحمل على ما اذا كانت السيئة
كبيرة فان الكبيرة لكونها محبطة لثواب الطاعة كالساتر لتلك الطاعات كما ان المحيط ساتر للمحاط به فالسيئة
متحققة من هذا الوجه وكالمستولي على الطاعات كاحاطة عسكر العدو بالانسان بحيث لا يمكنه
التخلص منه فان قيل الاية نزلت في حق اليهود اجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
ومنعت المعتزلة كون صاحب الكبيرة لا يخلد في النار واحتجوا على ان صاحب الكبيرة يخلد في النار
بالعمومات الواردة في هذا الباب منها قوله تعالى في اية المواريث تلك حدود الله الى قوله ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها بيانه ان من ترك الصلوة والزكوة والصوم والحج
والجهاد وارتكب شرب الخمر والزنا وقتل النفس المحرمة فهو متعد حدود الله وكل من تعدى حدود

الله

يدخله نارا خالدا فيها لان كلمة من في معرض الشرط تفيد العموم فحمله على الكافر خلاف الاصل وتماديه
على انه غير مختص بالكافر قوله تلك حدود الله فانه اشارة الى الحدود المذكورة ثم علق بالطاعة
فيها الوعد وبالمعصية فيها الوعيد فاقتضى سياق الاية تعليق الوعيد بالمعصية في هذه الحدود فقط من
غير ضم تعدي حدود اخر الى ذلك ولهذا المؤمن مزجورا بهذا الوعيد في تعدي هذه الحدود فقط
وقوله حدوده وان كان جمعا مضافا الى الضمير غير مفيد للعموم هاهنا للقراين الصارفة عن العموم
منها تقدم قوله تلك حدود الله فان قوله حدوده تنصرف اليها ومنها الاجماع على ان الامة
مزجور بهذه الاية عن المعاصي فلو عم لم يكن المومن مزجورا بها ومنها لو عم لم يكن الوعيد بها الا ان
احدا من المكلفين لا يتعدى جميع حدود الله فان فيها حدودا لا يمكن الجمع بينها في التعدي
لتضادها ولم يوجد في المكلفين من يعصي الله في جميع المعاصي ومنها قوله تعالى في قاتل المومن
عمدا ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها دلت الاية على ان ذلك جزاؤه فيجب ان
يحصل هذا الجزاء لقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ومنها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا الى قوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد
باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ومنها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الى قوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ومنها
قوله تعالى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى بين ان الكافر والفاسق من اهل العقاب الدايم كما ان المومن من
اهل الثواب الدايم ومنها قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما وصاحب الكبيرة قد حمل ظلما
فهو داخل في الوعيد ومنها قوله تعالى بعد تعداد المعاصي ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف
له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا بين ان الفاسق والكافر في انه يخلد فيه مهانا الا من
تاب من الفساق وامن من الكفار ومنها قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار
دلت على ان العاصي كله متوعد عليه ومنها قوله تعالى فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هي الماوى ومنها قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فهذه هي الايات التي تمسكوا بها
لاشتمالها على صيغة من في معرض الشرط اما بيان ان لفظ من في معرض الشرط تفيد العموم ففي
اصول الفقه وقد تمسكوا بالايات المشتملة على صيغة الجمع وغيره ما يفيد العموم منها قوله
تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا ومنها قوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ومنها
قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يوخرهم الى اجل مسمى
بين ان عقابهم موخر الى يوم اخر وذلك انما يصدق لو حصل عقابهم في ذلك اليوم ومنها قوله تعالى
وان الفجار لفي جحيم ومنها قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
ومنها قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
ومنها قوله تعالى ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم ومنها قوله تعالى انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا فبين ما على الفاسق من
العذاب في الدنيا والاخرة ومنها قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومنها قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
وترهقهم ذلة ومنها قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به وقد احتجوا
ايضا بالاخبار المشتملة على صيغة من والجمع المفيد للعموم وهي مذكورة في كتب الحديث

والجواب

والجواب عنها من وجوه الاول لا نسلم ان صيغة من في معرض الشرط للعموم ولا نسلم ان صيغة الجمع
المعرفة باللام او الاضافة للعموم فانه قد يدخل عليها هاتين اللفظتين كل وبعض فيقال كل من دخل داري
اكرمته وبعض من دخل داري اكرمته وكل الناس كذا او بعض الناس كذا ولو كانت هاتان اللفظتان تفيدان العموم
لكان ادخال لفظ كل عليهما تكرارا وادخال لفظ البعض عليهما نقضا ولان سلم انهما يفيدان معنى العموم على سبيل
القطع لكن انما يلزم الاحتجاج بها اذا لم يوجد شي من المخصصات اذ لا نزاع في جواز تخصيص العام فلم قلتم
انه لم يوجد شي من المخصصات غاية ما في الباب ان بعد بحثنا فلم نجد شيا من المخصصات لكن عدم الوجدان
لا يدل على عدم الوجود كيف وايات العفو مخصصة لها لان ايات العفو بالنسبة الى ايات الوعيد خاصة ولين سلم
انه لم يوجد تخصيص ولكن عمومات الوعيد معارضة لعمومات الوعد فلا بد من الترجيح وهو معنا من وجوه منها
ان الوفا بالوعد ادخل في الكرم من الوفا بالوعيد ومنها ان رحمة الله سابقة على غضبه وغالبة
عليها فكان ترجيح عمومات الوعد اولى ومنها ان الوعد حق العبد والوعيد حق الله تعالى وحق العبد
اولى بالتحصيل من حقه تعالى ولين سلم انه لم يوجد المعارض لكن هذه العمومات نزلت في حق الكفار
فلا تكون قاطعة في العموم ومن الناس من قطع بنفي العقاب عن اصحاب الكباير واحتج عليه بامور منها
قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وقوله تعالى ان العذاب على من كذب وتولى دلت
الاية الاولى على ان الخزي مختص بالكفار والاية الثانية ان العذاب مختص بمن كذب وتولى ومنها قوله
تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا بين الله تعالى بانه يغفر
كل الذنوب ولم يعتبر التوبة ولا غيرها وهذا يفيد القطع بغفران كل الذنوب ومنها قوله تعالى وان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وكلمة على تفيد الحال لقولك رايت فلانا على اكله اي رايته حال اشتغاله
بالاكل وتبين انه يغفر الذنوب حال اشتغالهم بها ويستحيل حصول التوبة حال الاشتغال بالظلم فيحصل
الغفران بدون التوبة ومنها قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى
ومنها قوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شي ان انتم الا في ضلال كبير والجواب عن المعارضة بعمومات الوعيد والكلام في تفسير كل
واحد من هذه الايات يجي في موضعها وذهب اصحابنا اهل السنة والجماعة الى القطع بعفو الله عن بعض
العصاة وعن بعض المعاصي والتوقف بالبعض في حق كل احد على التعيين والقطع بانه اذا عذب احدا
منهم فانه لا يعذب ابدا بل ينقطع عذابه وقد احتجوا من القران بايات دالة على كون الله تعالى عفوا منها
قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيات ومنها قوله تعالى او يوبقهن بما كسبوا
ويعفو عن كثير وايضا اجمعت الامة على ان الله تعالى يعفو عن عباده فان من جملة اسمايه العفو والعفو لا يتصور
عن عقاب من لا يحسن عقابه فيتعين ان يكون العفو عن عقاب من يحسن عقابه وهو العاصي واعلم ان الاحتجاج
والاعتراض والمعارضة في المذاهب الثلاث لتبين مذكورة في كتب الاصول ونحن نذكر ما يتعلق بكل اية من المباحث
على سبيل التفصيل في موضعه ان شاء الله تعالى **قوله تعالى** والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون ان الله سبحانه وتعالى ما ذكر في القران اية في الوعيد الا وذكر بجنبها اية في الوعد ليظهر
بوعيده كمال حكمته وبوعده كمال رحمته دلت الاية على ان العمل الصالح خارج عن الايمان ضرورة تغاير المعطوفين
وعلى ان صاحب الكبيرة قد يدخل الجنة وذلك لان من امن وعمل الصالحات فيدخل في قوله اولئك اصحاب الجنة
فبطل قول من قال الكبيرة محبطة لثواب الطاعات واحتج الجبائي بهذه الاية على ان من يدخل الجنة لا يدخل
تفضلا لان قوله اولئك اصحاب الجنة للحصر فدل على ان من دخل الجنة انما هو بسبب الايمان والعمل الصالح
فلا يدخل تفضلا والجواب ان الايمان والعمل الصالح علامة لكون الشخص من اصحاب الجنة ولما كانت العلامة

مشابهة للسبب من حيث انه لا يفارق استعملت استعمال السبب ويجوز تحقق الشيء بدون العلامة
قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى
واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون
معناه واذكروا إذ أخذنا والميثاق هو ميثاق أخذ عليهم وهم عقلاء في حياتهم على لسان موسى وغيره من أنبيائهم
عليهم السلام وقيل هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذر وهذا نوع آخر من النعم
التي خصهم الله بها لأن التكاليف بهذه الأشياء تفضي إلى أعظم النعم وهو الجنة ثم بين تعالى أنه كلفهم بأشياء
الأول أن لا تعبدوا إلا الله قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعبدون بالياء من أسفل والباقون بالتاء
وجه الأول أنهم غيب والثاني حكاية لما خوطبوا به قوله لا تعبدون إلا الله إخبار في معنى النهي كما
تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر قيل وهو أبلغ من صريح النهي كأنه وقع المسارعة إلى الامتثال
والانتهاء فهو يخبر عن الامتثال والانتهاء ويدل على أنه إخبار في معنى النهي قوله وقولوا لأن المناسب
عطف الإنشاء على الإنشاء أو ما في معناه وقرأ عبد الله وأبي لا تعبدوا وأنصر القول بأنه إخبار
في معنى النهي ولا بد من إرادة القول أي وقلنا لا تعبدوا أو قيل لا تعبدون جواب قوله أخذنا ميثاق
بني إسرائيل أجرى القول أخذنا مجرى أقسمنا كأنه قيل وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون أو قلنا لهم بالله لا تعبدون
قال سيبويه لا تعبدون متلق للقسم والمعنى وإذ استحلفناكم والله لا تعبدون وقيل إن مراده معناه
أن لا تعبدوا أي إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا فحذف حرف الجر ثم حذفت أن فلما حذفت أن
رفع الفعل كقول الشاعر ألا أيها الزاجري أحضر الوغا وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي الوغا
الصوت ومنه قيل للحرب الوغا والتقدير أن أحضر الوغا فلما حذف أن حذف أثره يقول الشاعر وهو طرفة
أيها اللائمي على حضور الحرب وشهود اللذات هل تخلدي إن كففت عنه ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا
تعبدوا ويحتمل أن تكون في أن لا تعبدوا مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل
أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقيل أن لا تعبدوا إلا الله في موضع الحال أي أخذنا ميثاقهم عابدين
إلا الله أي أخذنا ميثاقهم موحدين وقال ابن عطية وهذا إنما يتجه على قراءة ابن كثير ونظام الآية يدفعه
مع كل قراءة وهذه الحال حال مصاحبة ومقدرة لأنهم كانوا وقت أخذ ميثاقهم موحدين والتزموا
الدوام على التوحيد ولو جعلتها حال مصاحبة فقط على أن يكون التقدير أخذنا ميثاقهم ملتزمين
الإقامة على التوحيد جاز ولو جعلتها حالا مقدرة على أن يكون التقدير أخذنا ميثاقهم مقدرين التوحيد أبدا
ما عاشوا جاز قوله وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا أو وقدم بالوالدين للاهتمام
فعلى هذا الباء تتعلق بتحسنون أو بأحسنوا وقيل الباء متعلقة بالميثاق عطفا على الباء المقدرة أو على قول
من قال التقدير بأن لا تعبدوا وقيل تتعلق بقوله إحسانا والتقدير قلنا لهم لا تعبدوا إلا الله وأحسنوا
إحسانا بالوالدين ويلزم هذا القول أن المصدر قد تقدم عليه ما هو معمول له وفي الإحسان يدخل
أنواع بر الوالدين كلها والتنكير يفيد عظم الإحسان أي إحسانا لا يدرك كنهه وأتبع عبادة الله بالإحسان
إلى الوالدين لأن نعم الله تعالى على العبد أعظم النعم ولا بد من تقديم شكره على شكر غيره ثم بعد نعمة الله نعم الوالدين
أعظم النعم لأن الوالدين هما الأصل والسبب في وجود الولد وتربيته ولأنهما لا يطلبان على الإنعام على الولد
عوضا ماليا ولا ثوابا كما أن الله تعالى لا يطلب على إنعامه على العبد عوضا البتة ولأنهما لا يملان من
الإنعام على الولد كما أن الله تعالى لا يمل من الإنعام على العبد ولو أتى العبد بأعظم الجرائم فلهذا جعل الإحسان
إلى الوالدين تاليا لعبادة الله تعالى ولهذا أوجب تعظيم الوالدين وإن كانا كافرين وعدم التقييد بالإيمان
يدل على هذا قال الله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر

لي ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا
قوله وذي القربى عطف على الوالدين والأقربين والقربى بمعنى القرابة وهو مصدر كالرجعى والعقبى
والقربى القرابة في الرحم وحق ذي القربى كالتابع لحق الوالدين لأن الإنسان إنما يتصل به أقرباؤه بواسطة
اتصالهم بالوالدين والاتصال بالوالدين مقدم على الاتصال بذي القربى قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يبسط
له في رزقه وينسأ له في أثره أي يؤخر فيه فليصل رحمه وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت
الرحم فأخذت بحقوي الرحمن فقال مه قالت رب هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن
أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذلك لك وقال الرحم شجنة من الرحمن أي مشتقة
من الرحمن أو مشتبكة به اشتباك العروق واليتامى جمع يتيم كندامى ونديم وفعيل على فعالى قليل واليتم في بني
آدم فقد الأب وفي البهائم فقد الأمهات وقال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد البلوغ وحكى الماوردي أن اليتيم يقال
في بني آدم في فقد الأم وهذا يتضمن الرأفة باليتامى وحفظ أموالهم والمساكين جمع مسكين أخذ من السكون
كأن شدة حاله وقلة ماله قد سكنه والمساكين أسوأ حالا من الفقير عند أبي حنيفة وجمع من أهل اللغة لقوله تعالى
أو مسكينا ذا متربة أي ملتصق بالتراب لشدة حاله أو مطروح في المزابل لا يلتفت إليه وعند الشافعي الفقير أسوأ
حالا لأن الفقير اشتقاقه من فقار الظهر كأن فقاره انكسر لشدة حاجته والذي يدل عليه قوله تعالى أما
السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ودرجتهم متأخرة عن اليتامى لأن المسكين قد ينتفع به في الاستخدام
فالميل إلى مخالطته أكثر من الميل إلى مخالطة اليتامى ولأن المسكين يمكنه الاشتغال بتعهد نفسه ومصالح
معيشته وقولوا للناس حسنا قرأ حمزة والكسائي بفتح الحاء والسين على معنى الوصف للقول كأنه قال
قولوا قولا حسنا والباقون بضم الحاء وسكون السين أي قول حسن هو في نفسه لإفراط حسنه ووصف
بالمصدر للمبالغة نحو رجل عدل قال الواحدي الحسن لغة في الحسن كالبخل والبخل والرشد والرشد
وحكى الزجاج عن الأخفش هذا القول فقال زعم الأخفش أنه يجوز أن يكون حسنا في معنى حسنى
وقرئ حسنى مثل فعلى ورده سيبويه لأن أفعل وفعلى لا يجيء إلا معرفة إلا أن يزال عنه معنى التفضيل
ويبقى مصدرا كالعقبى فذلك جائز وهو وجه القراءة بها وإلى هذا أشار صاحب الكشاف
بقوله وحسنى على المصدر كبشرى وأما وجه عطف الأمر على الخبر ففيه وجوه أحدها أنه على طريقة
الالتفات وثانيها قد حذف قلنا أي أخذنا وقلنا لهم قولوا وثالثها عطف على لا تعبدون
فإنه إخبار في معنى النهي كأنه قيل لا تعبدوا وقولوا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج
ومقاتل والأكثرون معناه قولوا للناس صدقا وحقا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه
وبينوا له صفته ولا تكتموا أمره ولا تغيروا نعته وقال محمد الباقر والربيع وعطاء هذا على
العموم في تحسين المقالة للناس كلهم وقال الحسن والثوري يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي مروهم
بما أمرهم الله به وانهوهم عما نهاهم الله عنه وعن ابن عباس أن المراد بالناس ههنا محمد عليه السلام
لقوله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فكأنه يقول قولوا للنبي صلى الله عليه وسلم
حسنا ومن توهم أن قوله تعالى وقولوا للناس حسنا منسوخ بآية السيف فقد سها لأن الخبر
عن بني إسرائيل فيما أمروا به فلا نسخ وما خوطب هذه الأمة به في صدر الإسلام وعلى تقدير
أن تكون هذه الأمة خوطبت به يجوز أن يكون المراد بالناس المؤمنين فلا منافاة بينه وبين
آية السيف وعلى تقدير أن يكون المراد بالناس جميعهم فلا منافاة بينه وبينها أيضا لأن المراد بالقول
الحسن قول لم ينه عنه شرعا فيندرج فيه القول الواجب والمندوب والمباح فيشمل جميع ما
ذكر من الأقوال وغيره وزكاتهم هي التي يصعدونها وتنزل النار على ما يقبل ولا ينزل على ما لم يتقبل

ولم تكن كذلك انتم وعن ابن عباس انه قال الزكوة التي امروا بها طاعة الله والاخلاص ثم توليتم على طريق الالتفات
اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه والخطاب لمعاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم اسند اليهم تولي اسلافهم
فانهم على الطريق وقليلا نصب على الاستثناء اي قليلا منكم هم جميع المؤمنين منهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام
وغيره وقيل هم الذين اسلموا منهم والقلة في عدد الاشخاص ويحتمل ان تكون القلة في الايمان اي لم يبق
حين عصوا وكفر اخرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الا ايمان قليل لا ينفعهم وهذا ليس بقوي وانتم معرضون
اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية والجملة اعتراض لا حال **قوله تعالى** واذا اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون قيل خطاب
لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل خطاب لاسلافهم اي اخذنا ميثاق اباءكم وقيل خطاب
للاسلاف وتقريع للاخلاف والسفك صب الدم والدماء جمع دم اصله دمي وتثنيته دميان وقيل
اصله دمو بسكون الميم وحركت في التثنية ليدل على التحرك الذي في الواحد ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي
الحركة
لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او لما كانت ملتهم واحدة وامرهم
واحدا كانوا في الامم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم لبعض ونفي بعضهم بعضا لانفسهم ونفيا لها
وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم اي قبلتم بعد سلفكم ان هذا الميثاق اخذ
عليكم والزمتموه ويجوز ان يكون من الاقرار الذي هو مقابل الجحود فيتعدى بالباء ومن الاقرار الذي
هو ابقاء الامر على حاله اي اقررتم هذا الميثاق ملتزما قوله وانتم تشهدون قيل الخطاب
يراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهود اي حضور اخذ الميثاق والاقرار يقال فلان مقر على نفسه
بكذا شاهد عليها وقيل ان المراد من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اي وانتم تشهدون يا معشر
اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق **قوله تعالى** ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفدوهم وهو محرم عليكم
اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في
الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ثم انتم هؤلاء
استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم
والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني الحاضرون لحكي انكم قوم اخرون غير اولئك
المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به
وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء كانه لما قيل ثم انتم هؤلاء قالوا كيف نحن فقيل
تقتلون انفسكم تفسيرا له فهؤلاء لا له على ان المخاطبة للحاضرين لا اعتبارا دالا للاسلاف وكان
حق الكلام ان يقال ثم انتم بعد اخذ الميثاق عليكم واقراركم به وشهادتكم عليه نقضتم العهد فتقتلون
انفسكم جملة مبينة مستقلة لتفيد ان الذي هو الذات فان الذات الموصوفة بتلك
الصفات يبعد ان يكون بعينه موصوفة بصفات مناقضة لتلك الصفات لما عليهم بسبب وكان
اخذ الميثاق ثم تساهلهم فيه وقلة المبالاة به وقيل تقدير الكلام ثم انتم يا هؤلاء بحذف حرف
النداء ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات لا تقول هذا اقبل وقيل هؤلاء موصول
بمعنى الذي تقديره ثم انتم الذين تقتلون فتقتلون صلة هؤلاء وهذه الاية خطاب لقريظة
والنضير حلفاء الاوس وقينقاع حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل حلفاءه واذا غلبوا خربوا
ديارهم اي مباني الاقامة ومحلة القوم دارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين
جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا امرنا ان
نفديهم

نفديهم وحرم قتالهم علينا ولكن نستحي ان تذل حلفاؤنا تظاهرون **قرأ** عاصم وحمزة والكسائي
تظاهرون بتخفيف الظاء وهذا على حذف التاء الثانية من تتظاهرون كراهة لاجتماع المثلين
وقرأ البقية السبعة بالتشديد على ادغام التاء في الظاء لمقاربتهما والمعنى على القراءتين تتعاونون
على اهل ملتكم بالمعصية وهو ماخوذ من الظهر كان المتظاهرين يسند كل واحد منهما ظهره الى صاحبه
والاثم العهد الراتبه على العبد من المعاصي والعدوان الافراط في الظلم وتجاوز الحد في
قوله وان ياتوكم اسارى حسن لفظ الاتيان من حيث هو في مقابلة الاخراج فيظهر التضاد
المقبح لفعلهم في الاخراج اي ان اتوكم ماسورين يطلبون الفداء فديتموهم **وقرأ** حمزة اسرى
تفدوهم ونافع وعاصم والكسائي اسارى تفادوهم وابو عمرو وابن عامر وابن كثير
اسارى تفدوهم وهما جمع اسير ماخوذ من الاسر وهو الشد سمي بذلك لانه يوسر اي يشد
وثاقه ثم كثر استعماله فصار اسما وان لم يكن ثم ربط ولا شد والاسير فعيل بمعنى مفعول ولا يجمع
بواو ونون وانما يجمع على فعلى نحو لديغ ولدغى وقتيل وقتلى وجريح وجرحى فالاسرى هو
القياس ومن قال اسارى شبهه بكسالى وذلك ان الاسير لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه
للاسر كما ان الكسلان محتبس عن ذلك لعادته شبه به فقيل في جمعه اسارى كما قيل كسالى وقال سيبويه
قالوا في جمع كسلان كسلى شبهوه باسرى كما قالوا اسارى شبهوه بكسالى وفعالى انما يجيء اذا كان
افة يدخل على المرء تفادوهم اي تطلقونهم بعد ان تاخذوا عنهم شيئا يقال فادى الاسير اذا اطلقه واخذ
عنه ومعنى فديته بالشيء اي خلصته به وجعلته عوضا منه صيانة له ومعناهما واحد وهما فعلان
يتعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف جر تقول فديت زيدا بمال وفاديته بمال والمفعول
الثاني محذوف في الاية لان المعنى تفدوهم او تفادوهم بالمال **قيل** في قراءة تفادوهم
مفاعلة في اسرى باسرى **قوله** وهو محرم الضمير راجع الى الاخراج الذي تقدم ذكره
في قوله وتخرجون فريقا بين لتراخي الكلام ان ذلك الذي حرم الاخراج فقال وهو محرم
عليكم ولو اقتصر على هذا القدر اشبه ان يرجع ذلك الى فداء الاسرى فاظهر المكنى عنه واعاده
فقال اخراجهم ونظم الاية على التقديم والتاخير لان التقدير وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم والمحرم الممنوع منه وقيل هو ضمير
الشان تقديره والشان محرم عليكم اخراجهم وقيل يجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم تقديره
والامر محرم عليكم وسر الامر بالاخراج **قوله** افتؤمنون ببعض الكتاب يعني التورية اي بفداء
الاسرى وتكفرون ببعض اي بالقتال والاخراج من الديار وهذا توبيخ لهم وبيان لقبح فعلهم فما
جزاء من يفعل ذلك منكم استفهام في معنى توبيخ الاخرى والخزي هو الفضيحة والعقوبة يقال
خزي الرجل يخزى اذا ذل من الفضيحة والخزي في الحيوة الدنيا قتل قريظة واسرهم واجلاء
بني النضير وقيل الجزية في الدنيا ماخوذ من دنا يدنو واصل الياء واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء
والصفات ثم اعلم الله تعالى ان الخزي في الحيوة الدنيا غير مكفر عنهم ذنوبهم فقال ويوم
القيامة يردون يرجعون الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وما الله بغافل عما تعملون **قرأ**
نافع وابن كثير يعملون بالياء على ذكر الغائب فالخطاب بالاية لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاية
واعظة لهم بالمعنى لان الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص **وقرأ** الباقون بالتاء على الخطاب
المحتمل ان يكون في نسق ما قبله وهو الاظهر ويحتمل ان يكون لامة محمد روي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال ان بني اسرائيل قد مضوا وانتم الذين تعنون بهذا يا امة محمد **قوله تعالى**

اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون جعل الله
ترك الاخرة واخذ الدنيا مع قدرتهم على التمسك بالاخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف
عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية والهوان ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولذلك عذاب الاخرة
قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات
وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
الكتاب التورية اتاه اياه جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب
وقفاه به اذا اتبعه اياه اى فارسلنا على اثره الكثير من الرسل لقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم
يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع
ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكل رسول جاء بعد موسى فانما جاء باثبات التورية والامر
بلزومها الى عيسى وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية
من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه والزير هو الرجل
الذى يكثر زيارة النساء ومريم التى تكثر زيارة الرجال كانها سميت بذلك كما يقال كافور للاسود ووزن
مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت فى الابنية كما ثبت عثير وعلب والعثير الغبار
ولا ينفتح العين فيه وعلب يسكنون الفاء وضم العين واذا لم يجى على مفعل غيره وقيل بعده وهو غير
منصرف للتانيث والعلمية والبينات المعجزات الواضحات والحجج التى اعطاها الله عيسى كاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه اى ايدناه والايد القوة بروح القدس
قال قتادة والربيع والضحاك والسدى وعطاء عن ابن عباس انه جبريل وكان قرينه يسير معه
حيث سار وصعد به الى السماء لما قصد قتله ومثله قوله قل نزله روح القدس يعنى جبريل
وانما سمى بذلك لان الغالب على جسمه الروحانية لرقته وكذلك سائر الملائكة واضيف الى القدس
قال صاحب الكشاف اى بالروح المقدسة كما يقول حاتم الجود ورجل صدق فهو من باب اضافة
الموصوف الى الصفة للمبالغة فى الاختصاص كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب
للكرامة وقيل وصفها بالقدس لانه لا تمسه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل ايده
بالانجيل سمى الانجيل بالروح كما قال فى القران روحا من امرنا وقيل ايده باسم الله الاعظم الذى كان
يحيى الموتى بذكره فاضافه الى القدس اضافة الملك الى المالك وقيل القدس الطهارة وقيل
البركة افكلما جاءكم يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا يوافق انفسكم والهوى اكثر ما يستعمل
فيما ليس بحق استكبرتم تعظمتم عن الايمان به وذلك لانهم كانت لهم الرياسة وكانوا متبوعين فاثروا
الدنيا على الاخرة توسط بين الفاء فى كلما وما تعلقت به اى اتينا وايدناهم التوبيخ والتعجب
من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم فعلى الاول دخلت
الفاء لربط ما بعدها بما قبلها والهمزة للتوبيخ على الثانى فاعقبوا الاتيان بمحذوف وهو قوله
فعلتم ما فعلتم فهو كناية عن غير التكذيب والقتل من قبائحهم وعنادهم ثم استانف الكلام
موبخا لهم مصدرا الجملة بهمزة الانكار قائلا افكلما جاءكم رسول على تقدير الفرتم وجالفتم وكلما جاءكم
رسول ويجوز ان يكون ففعلتم ما فعلتم كناية عن جميع القبائح الصادرة عنهم ثم خصص التكذيب
والقتل من بينها لانها اقبح من باقى القبائح الصادرة منهم قال صاحب الكشاف فان قلت
هلا قيل وفريقا قتلتم وقال وفريقا تقتلون قلت هو على وجهين ان تراد الحال
الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب وفريقا تقتلونهم

لعدا الم حول قتال محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحروه وسموه له الشاة وقال صلى الله عليه وسلم
عند وفاته يا عايشة ما ازال اجد الم الطعام الذى اكلته بخيبر وهذا اوان انقطاع ابهرى من ذلك السم
قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون غلف جمع اغلف وكل شئ فى غلاف
فهو اغلف يقال سيف اغلف ورجل اغلف اذا لم يختتن اى قلوبنا مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء
به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختتن قال ابن عباس قالوا استهزاء وانكار لما اتى به محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل المعنى هى اوعية العلم والمعارف فكذبهم الله فيما قالوا بقوله بل لعنهم الله بكفرهم اى ابعدهم
من رحمته وطردهم واللعن لغة الابعاد ثم يسمى التعذيب والسب لعنا اى ليس كما ذكروا من ان قلوبهم فى الغلاف
او اوعية للعلوم والمعارف ولكن الله لعنهم واخزاهم ولم يجعل لهم الى فهم ما يقول محمد سبيلا وان
فهموا حرموا الانتفاع به باقامتهم على الكفر وتركهم الايمان جزاهم على ذلك ان لعنهم الله قال صاحب الكشاف
اى قلوبنا خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم
يختتن لقولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة
والتمكن من قبول الحق بل لعنهم الله وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين اغلقوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن
الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التى تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين على ما تقتضيه مذهبه والجواب
عنه لا نسلم ان معنى قولهم قلوبنا غلف اى خلقة وجبلة مغشاة باغطية فان قولهم غلف معناه مغشاة باغطية
سواء كانت مخلوقة كذلك او طارية عليها ولو نزل مستعارا من الاغلف الذى لم يختتن لا يستدعى ان يكون خلقة
وجبلة وحينئذ نسلم ان الله تعالى رد ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك بل رد الله تعالى ان تكون قلوبهم غلفا سوا
فسر غلف بالاول او الثانى ولا يلزم من لعنهم بسبب كفرهم انهم غلقوا واحدثوا الكفر وتسببوا بذلك لمنع
الالطاف قوله فقليلا ما يؤمنون اى فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب
ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اى عدم الايمان كما يقال قل ما رايته فقط ويجوز ان يكون قلة الايمان
لان من آمن من المشركين اكثر ممن آمن من اليهود وما صلة وانتصاب قليلا على الحال على تقدير فيؤمنون قليلا
كعبد الله بن سلام واصحابه ولا يجوز ان تكون ما مصدرية او نافية لانه حينئذ لا يبقى لقوله قليلا ناصب
لان المصدر لا يعمل فيما قبله ولا النفى **قوله تعالى** ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق
لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين
كتاب من عند الله هو القران مصدق لما معهم اى التورية لا يخالفه لانه جاء على ما تقدم به الاخبار
فى التوراة فهو مصدق للتوراة وكان اليهود من قبل مجئ هذا الكتاب يستفتحون يستنصرون على
الذين كفروا على المشركين بالقران والنبى المبعوث فى اخر الزمان قال سعيد بن جبير عن ابن عباس
كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء وقالت اللهم انا نسالك
بحق النبى الامى الذى وعدتنا ان تخرجه لنا فى اخر الزمان ان تنصرنا عليهم وكانوا اذا التقوا دعوا بهذا
الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله هذه الاية وهو قوله
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اى بالكتاب بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة وذلك انهم كانوا قد
قرءوا فى التورية ان الله يبعث فى اخر الزمان نبيا ينزل عليه قرانا مبينا روى ان قريظة والنضير وجميع
يهود الحجاز فى ذلك الوقت كانوا يستفتحون على سائر العرب وبسبب خروج النبى المنتظر نقلتهم الى
الحجاز وسكناهم به فانهم كانوا علموا اصبع المبعوث ونظر من هذه الايات عنادهم وان كفرهم كان مع
معرفة ومعاندة وقيل يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين
للمبالغة اى يسلون انفسهم الفتح عليهم كالسين فى استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا

ان نفتح علیهم قوله علی الکافرین ای علیهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة علی ان اللعنة لحقتهم لکفرهم
واللام للعهد ویجوز ان یکون للجنس ویدخلوا فیه دخولا اولیا ای ابتدائیا علی سبیل القصد بخلاف ان یجعل جنسا ویدخل
فیه سیا فسیا من غیر قصد کما اذا اطلمک انسان فتقول لعنة الله علی الظالمین فیدخل فیه من ظلمک دخولا اولیا ثم یدخل غیره
وجواب لما الاولی محذوف نحو کذبوا به واستهانوا بمجیه وما اشبه ذلک حذف للاستغنا عنه بدلالة الظاهر
من الکلام علیه قال المبرد جوابهما ای لما الاولی والثانیة فی هذه الایة کفروا واعیدت لما الثانیة لطول
الکلام ویفید ان ذلک تقریر للذنب وتاکیدا له قال الفرا جواب لما الاولی فی الفا وما بعدها وجواب لما
الثانیة کفروا قال ابو البقا هذا ضعیف لان لما لا تجاب بالفا الا ان یذهب به مذهب الاخفش **قوله تعالی**
بئس ما اشتروا به انفسهم ان یکفروا بما انزل الله بغیا ان ینزل الله من فضله علی من یشاء من عباده فباءو بغضب
علی غضب وللکافرین عذاب مهین بئس فعل وضع لانشاء ذم وما فی بئسما نکرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنی
بئس الشی شیا اشتروا به انفسهم بالکفر والمخصوص بالذم ان یکفروا ای بئس الشی شیا اشتروا به انفسهم بالکفر
والمخصوص بالذم ان یکفروا مبتدا وما قبله خبر له وکان الاصل الکفر بئس الشی شیا اشتروا به انفسهم
واستغنی بالجملة التی هی الخبر عن العاید الی المبتدا لان فاعل بئس هو المبتدا فی المعنی فلم یحتج الی رابط
اذ هو مرتبط بنفسه والظاهر قد یقوم مقام المضمر وهذا اخیر من قول القایل انما استغنی الجملة التی هی خبر
عن عاید لما فی الفعل من معنی العموم لان جعله للعموم غلط وانما عبر عن الاصل ای تقدم المبتدا وتاخیر
الخبر بتقدیم الخبر وتاخیر المبتدا لیحصل الابهام والتفسیر وذهب سیبویه الی ان ما فاعل بئس ودخلت
علیها بئس کما تدخل علی اسما الاجناس والنکرات لمشابهتهما فی الابهام فالتقدیر علی هذا بئس الذی
اشتروا به انفسهم ان یکفروا کقولک بئس الرجل زید وما فی هذا القول موصولة والجملة خبر لقوله ان یکفروا
متقدم علیه واشتروا بمعنی باعوا قوله بما انزل الله ای بالقران ویحتمل ان یراد به التوریة لانهم
اذا کفروا بمحمد صلی الله علیه وسلم فقد کفروا بالتوریة ویحتمل ان یکون المراد به الجمیع ای التوریة والانجیل
والقران لان الکفر بالبعض یستلزم الکفر بالکل قوله بغیا ای حسدا وطلبا لما لیس لهم مفعول له وهو علة اشتروا
قرا ابن عمرو وابن کثیر ان ینزل مضموم الاول بالتخفیف والباقون بالتشدید وهو نصب علی المفعول له
وعلته بغیا او فی موضع الجر بتقدیر علی او الباء ای بغیا ای حسدوه علی ان ینزل الله او بان ینزل الله
من فضله الذی هو الوحی علی من یشاء یعنی محمدا الا انهم حسدوه لما لم یکن منهم وکان من العرب قال ابن عباس
ان کفر الیهود لم یکن شکا ولا اشتباها ولکن بغیا منهم حیث صارت النبوة فی ولد اسمعیل فباءو
بغضب فصاروا احقا بغضب مترادف لانهم کفروا وابوا الحق وبغوا علیه وقال قتاده الاول
بکفرهم بعیسی والانجیل والثانی بکفرهم بمحمد والقران وقال السدی الاول بعبادة العجل والثانی بمحمد
وباجابه وقیل بمحمد بعد قولهم عزیر ابن الله وقولهم ید الله مغلولة وغیره ذلک من انواع کفرهم
وللکافرین یعنی الجاحدین نبوة محمد صلی الله علیه وسلم عذاب مهین یهانون فیه ولا یعزون
قوله تعالی واذا قیل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن بما انزل علینا ویکفرون بما وراءه
وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبیا الله من قبل ان کنتم مومنین هذا هو النوع
من قبایح افعالهم واذا قیل لهم ای الیهود امنوا بما انزل الله ای بکل ما انزل الله والقایلون
بعموم ما احتجوا بهذه الایة علی ان لفظة ما بمعنی الذی تفید العموم والا لما حسن الذم قالوا
نومن بما انزل علینا ای بالتوریة قوله ویکفرون بما وراءه ای قالوا ذلک والحال انهم یکفرون بما وراء
التوریة ای بما بعد التوریة یرید الانجیل والقران وقیل بما وراءه بما سواه قال الفرا وذلک
کثیر فی العربیة یتکلم الرجل بالکلام الحسن فیقول السامع لیس وراء هذا الکلام شی وهو الحق

ای والحال ان ما وراءه ما انزل علیهم ای الانجیل والقران هو الحق مصدقا لما معهم ومصدقا حال موکدة
لان معناها متحقق فی قوله هو الحق وفیه رد لما قالوه لانهم اذا کفروا بما یوافق التوریة فقد کفروا بها ثم اعترض
علیهم بقتلهم انبیا الله ولذلک فی قوله نومن بما انزل علینا فان ادعایهم الایمان بما انزل علیهم کذب لان ما
انزل علیهم ای التوریة لا یسوغ قتل الانبیا وجا تقتلون بلفظ الاستقبال والمراد به الماضی وجاز ذلک
لانه لا یذهب الوهم الی غیره لقوله من قبل یدل علی هذا قوله تعالی قد جاءکم رسل من قبلی بالبینات
وبالذی قلتم فلم قتلتموهم وسوق الماضی فی لفظ المستقبل تصویره علی سبیل المشاهد فی القلوب
واستحضار فی النفوس واضاف القتل الی المخاطبین وان کان اسلافهم قد قتلوا لانهم علی مذهبهم
وان کانوا راضین بفعلهم واذا کانوا کذلک فقد شرکوهم قال ابن عباس کلما عملت معصیة فمن انکرها
بری ومن رضیها کان کمن شهدها قوله ان کنتم مومنین ان بمعنی الشرط وجوابها محذوف لدلالة ما
قبله تقدیره ان کنتم مومنین فلم تقتلون انبیا الله لانه لیس سبیل المومنین ان یقتلوا الانبیا وقیل ان نافیة
قوله تعالی ولقد جاءکم موسی بالبینات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون البینات العصا
والید وفلق البحر وما اوتی موسی من الدلالات الواضحة ثم اتخذتم یدل علی ان اتخاذهم العجل
بعد مهلة من النظر فی الایات وهذا اعظم فی ذنبهم ای من بعد زمان غیبته عنکم فی المناجاة ویجوز
ان یکون عایدا علی المجی وهذه الایة رد علی الیهود فی ان من آمن بما انزل علیهم لم یتخذ العجل وتوبیخ
لهم علی کفرهم وعبادتهم العجل بعد ما راوا الایات موسی وبیان انهم کفروا بمحمد فلیس باعجب من کفرهم
فی زمن موسی قوله وانتم ظالمون یجوز ان یکون حالا ای عبدتم العجل واضعین العبادة غیر
موضعها ویجوز ان یکون اعتراضا بمعنی وانتم قوم عادتکم الظلم والفرق بین الاعتراض والحال
ان الحال لبیان هیئة المعمول والاعتراض لتاکید الجملة بتمامها وایضا الاعتراض یقع بین کلام
او کلامین متصلین معنی **قوله تعالی** واذا اخذنا میثاقکم ورفعنا فوقکم الطور خذوا ما اتیناکم
بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصینا واشربوا فی قلوبهم العجل بکفرهم قل بئسما یامرکم به ایمانکم ان کنتم
مومنین کرر رفع الطور لما علق به من زیادة لیست مع الاولی وهی فی قوله واشربوا مع ما فی التکریر
من التوکید واسمعوا ما امرتم به ای ما فیه من حلاله وحرامه واطیعوا اولیس المراد السماع فقط
قالوا سمعنا قولک وعصینا امرک قال صاحب الکشاف فان قلت فکیف طابق قوله جوابهم قلت
طابقه من حیث انه قال لهم اسمعوا ولیکن سماعکم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولکن لا سماع طاعة
واشربوا الاشراب خلط لون بلون یقال ابیض مشرب بحمرة اذا کان یخالطه حمرة ای یداخلهم حب
العجل والحرص علی عبادته کما یداخل الثوب الصبغ الذی هو الحب واقیم المضاف الیه مقامه
افادة لشدة تمکن حب العجل وقوله فی قلوبهم بیان لمکان الاشراب بین ان محل ذلک الحب قلوبهم
وان الخلط حصل فیها فاسند الفعل اولا الی الجملة ثم خص القلوب کما تقول ضربوا علی راسهم بکفرهم
ای بسبب کفرهم قل بئسما امرکم ان یحبهم ای بئس الایمان ایمان یامر بالکفر واسناد الامر الی ایمانهم تهکم
کما قال قوم شعیب اصلواتک تامرک قوله ان کنتم مومنین تشکیک فی ایمانهم وقدح فی صحة دعواهم
وجواب الشرط محذوف دل ما تقدم علیه ان کنتم مومنین بئس الایمان ایمان یامرکم بالکفر **قوله تعالی**
قل ان کانت لکم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان کنتم صادقین ولن
یتمنوه ابدا بما قدمت ایدیهم والله علیم بالظالمین کانت الیهود تقول لن یدخل الجنة الا من کان هودا وقیل
امرهم ان یحبهم خالصة نصب علی الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة ای سالمة لکم خاصة بکم لیس لاحد فیها
سواکم حق ان کانت الناس للجنس او لیس للمومنین فیها حق ان کان الناس للعهد ان کنتم صادقین عند انفسکم

والضمیر فی قوله من بعده عاید الی موسی

وصح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا فتمنوا الموت فان من كان لا يشك انه صاير الى الجنة اشتاق
اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدنيا التى هى ذات الشوايب كما روى عن المبشرين
بالجنة انهم يتمنون الموت روى ان عليا رضى الله عنه كان يطوف بين الصفين صف اصحابه وصف الفئة
الباغية فى غلالة قميص رقيق فقال له ابنه الحسن ما هذا بزى المحاربين فقال له يا بنى لا يبالى ابوك
على الموت سقط ام عليه الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة
اى حال لو نا محتاجين اى وقت حاجة لا افلح من ندم يعنى على التمنى وقال عمار بصفين الآن الاقى
الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت وعن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان
منهم بغصة فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى ثم اخبر انهم لا يتمنون الموت وقال ولن يتمنوه ابدا
امر الله تعالى نبيه ان يدعوهم الى تمنى الموت وان يعلمهم ان من تمناه منهم مات ففعل النبى ذلك فعلم اليهود
صدقه فاحجموا عن تمنيه فرقا من الله بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من معاصيهم ومن الكفر بمحمد وبما جاء
به وتحريف كتاب الله ومعرفتهم بكذبهم فى قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا فاسند ذلك الى اليد لان اكثر
الجنايات تكون باليد فيسند الى اليد الجنايات باسرها وان لم تكن لليد فيها عمل وقوله ولن يتمنوه
من المعجزات لانه اخبار بالغيب فكان كما اخبر به قال صاحب الكشاف فان قلت ما ادراك انهم لن يتمنوا
قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من
اولى المطاعن فى الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل فان قلت التمنى من اعمال القلوب
وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوا قلت ليس التمنى من اعمال القلوب انما هو قول
الانسان بلسانه ليت لى كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمنى ومحال ان يقع التحدى بما فى الضماير
والقلوب ولو كان التمنى بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت فى قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك
فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكى عنهم من اشيا قالوها للمسلمين من الافترا على
الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه وما لا محمل له الا الكذب البحت الخالص
ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمنى من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان
يكونوا صادقين فى قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق
مع احتمال ان يكون كاذبا لان امره خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين
ظاهر الخبر وتضمنه التهديد والوعيد اى عليم بظلمهم ومجازاتهم وفايدة تخصيص الظالمين
تخصيصهم حصول الوعيد **قوله تعالى** ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين
اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون
دخلت اللام والنون لان القسم مقدر تقديره والله لتجدنهم يعنى علما اليهود الذين
تمنوا امر محمد صلى الله عليه وسلم احرص الناس على حيوة لانهم علموا انهم صايرون الى النار
اذا ماتوا ولتجدن من وجد المتعدى الى مفعولين فى قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ يعنى
علم والمفعول الاول هم والثانى احرص قوله على حيوة بالتنكير اى حيوة مخصوصة وهى
الحيوة المتطاولة ومعنى الحرص شدة الطلب ومن الذين اشركوا اى واحرص من الذين اشركوا
محمول على المعنى لان المعنى احرص الناس احرص من الناس حذف من واضيف والمعنى
على اثبات من وانما جى بمن فى الثانى دون الاول لان الفعل اذا اضيف الى جنسه لم يحتج
الى ذكر من يقال زيد افضل الناس واذا اضيف الى غير جنسه احتاج الى ذكر من
يقال زيد افضل من اخوته ولا يقال زيد افضل اخوته لان اخوة زيد غيره وهو خارج عنهم

ولما

سقط

ولما كان علما اليهود من جنس الناس لم يحتج الى ذكر من فقال احرص الناس ولم يكن من المشركين لان معنى
الاشراك عبادة غير الله مع الله والمشرك هو الذى يجعل عبادته مشتركة بين الله وغيره
قال ابو العالية والربيع اراد بالذين اشركوا المجوس فانهم يقولون بالنور والظلمة ويزدان
واهرمن وهم موصوفون بالحرص على الحيوة ولهذا جعلوا التحية بينهم هزار سال بزى اى عش الف
سنة قال ابن عباس اراد بالذين اشركوا منكرى البعث ومن انكر البعث احب الحيوة لانهم
لا يرجون بعثا بعد الموت والذين اشركوا داخلون تحت الناس وانما افردوا بالذكر لشدة حرصهم على
الحيوة ويجوز ان لا يكون ومن الذين اشركوا محمولا على المعنى بل يراد واحرص من الذين اشركوا
فحذف احرص لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يومنون بعاقبة
ولا يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها غير مستبعد لانها جنتهم فاذا كان علما اليهود زادوا عليهم فى
الحرص وهم معترفون بعاقبة وبعث وجزاء كانوا جديرا باعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على حرص
الذين اشركوا لانهم يعلمون انهم صايرون الى النار لا محالة والذين اشركوا لا يعلمون ذلك وقيل ومن
الذين اشركوا كلام مبتدا اى ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم على حذف الموصوف لقوله
وما منا الا له مقام معلوم تقديره وما منا احد الا له مقام معلوم والذين اشركوا على
هذا اشارة الى اليهود قالوا عزير ابن الله اقيم المظهر مقام المضمر تنبيها على ان اليهود هم
المشركون واشعارا بان الموحد يحب لقا الله كما ان المشرك يكره لقا الله يود احدهم اى يود احد
اليهود يقال وددت اوده ودا وودادا وودادة لو يعمر الف سنة يقال عمرك الله تعميرا
اذا اطال عمرك وقوله يود على الوجه الاول والثانى هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف
ولو هاهنا بمعنى ليت التى لامتناع الشى لامتناع غيره وانما هى بمعنى ان المصدرية وفيها معنى التمنى
والمعنى يتمنى احدهم ان يعمر الف سنة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود
احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنى وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على
لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن والضمير فى وما هو يعود الى احدهم
اى وما احدهم بمزحزحه بمبعده من العذاب والزحزحة الابعاد والتنحية وان يعمر
فاعل بمزحزحه اى وما احد بمزحزحه من النار تعميره اى وان عمر فعاقبته النار وقيل
الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب
تعميره ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه قوله والله بصير البصير قد يراد به انه
على صفة لو وجدت المبصرات لابصرها والبصير بالمعنى الاول هاهنا يصح اطلاقه
على الله تعالى وكذا بالمعنى الثانى الا ان يقال ان الاعمال لا يصح ان يرى فيجب حمله
على العلم **قوله تعالى** قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمومنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ان قوله قل من كان عدوا لجبريل لا بد له من
سبب وامر قد ظهر حتى يامر الله تعالى بان يخاطبهم بذلك والمفسرون ذكروا اسبابا
قال ابن عباس ان حبرا من احبار اليهود من فدك يقال له عبد الله بن صوريا حاج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وساله عن اشيا فلما توجهت الحجة عليه قال من ياتيك بالوحى من السما قال
جبريل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه فقال ذاك عدونا من الملائكة ولو كان
ميكاييل لامنا بك ان جبريل نزل بالعذاب والقتال والشدة وقد عادانا مرارا اشدها

ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر واخبرنا
بالحين الذي يخرب فيه فلما قرب وقته بعثنا رجلا من اقوياء بني اسرائيل في طلبه ليقتله فانطلق
في طلبه حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا ليس له قوة فاخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل
وقال ان كان ربكم اذن في هلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هذا فعلى اي حق تقتله
فصدقه صاحبنا ورجع الينا وكبر بخت نصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا
نتخذه عدوا وانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت هذه الاية في اليهود قالوا ان جبريل
عدونا امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وقال قتادة وعكرمة
والسدي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ارض باعلا المدينة وممرها على مدارس اليهود
جمع مدراس فكان عمر اذا اتى ارضه جلس اليهم وسمع كلامهم وكلمهم فقالوا يا عمر ما في
اصحاب محمد احب الينا منك انهم يمرون بنا فيؤذوننا وانت لا تؤذينا وانا لنطمع فيك فقال
عمر رضي الله عنه والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم
لازداد بصيرة في امر محمد وارى اثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه
من الملائكة قال جبريل قالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل عذاب
وخسف وسنة وشدة وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال عمر لهم اتعرفون
جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله فقالوا
جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون
فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر
ومن كان عدوهما كان عدو الله ثم رجع عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل
قد سبقه بالوحي فقرا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات وقال صلى الله عليه
وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اشد من الحجر
قرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز بوزن قنديل
وحمزة والكسائي جبرئيل بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء ويا بعد الهمزة بوزن فعشاليل
وابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز ومنع الصرف فيه للتعريف
والعجمة وقيل معناه عبد الله فان جبر العبد بالسريانية وايل الله فانه نزله اي فان جبريل
نزل القران على قلبك يعني قلب محمد صلى الله عليه وسلم واضمار القران وان لم يسبقه ذكر
لفخامة شانه فان اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل
على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمه لك فيه
معنى الاستيلاء والاستعلاء يعني اذا نزل جبريل بالقران على قلبك استولى على قلبك
وجعل جامعه معمورا به وتمكن فيه فلا ينسى منه شيء باذن الله بامر الله قال صاحب
الكشاف فان قلت كيف حق الكلام ان يكون على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه
قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام
قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب
فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا
له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في
عداوته انه نزل عليك القران مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقران

والموافقة

تقاله

ملخ تفاسله

ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسات
اليه قوله مصدقا لما بين يديه لما قبله من كتب الانبياء ولا معنى لتخصيص كتاب دون كتاب وعليه اكثر المفسرين
ومنهم من خصه بالتورية زاعما انه اشارة الى ان القران يوافق التورية في الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله وهدى وبشرى اي القران مشتمل على بيان ما وقع به التكليف من افعال القلوب واعمال الجوارح
وبيان ان الاتي بهما كيف يكون ثوابه فمن الوجه الاول هدى ومن الوجه الثاني بشرى والاول مقدم
على الثاني في الوجود فقدم الله تعالى لفظ الهدى على لفظ البشرى وخصهما الله بالمؤمنين لانهم هم الذين
اهتدوا بالكتاب والبشرى لا يكون الا لهم لانها الخبر الدال على حصول الخير العظيم وهذا لا يحصل الا للمؤمنين
اعلم ان من كان عدوا للرسول الله كان عدوا للرسل ومن كان عدوا للكتاب من كتب الله كان عدوا
لجميع كتبه ومن كان عدوا للملك من الملائكة كان عدوا للملائكة ومن كان عدوا لهؤلاء كان عدوا لله فان
عداوة واحد منهم تستلزم عداوة الجميع والمراد بعداوة الله كراهة القيام بطاعته وعبادته
وافرد الملكان بالذكر وان دخلا في ملائكته لفضلهما كانهما من جنس اخر فان التغاير في الوصف
قد ينزل منزلة التغاير في الذات اعلم ان عداوة اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم بعينه عداوة
رسله فلهذا لم يفرد الرسول بالذكر وعداوة الرسول بسبب نزول الكتب ونزول الكتب
بتنزيل الملائكة في الذكر تفضيلهم على الرسل لان للتقديم وجها اخر غير الشرف واما تقدم جبريل
على ميكائيل فليس ببعيد ان يكون للشرف كما ان تخصيصهما بالذكر لفضلهما قرا ابو عمرو و
حفص ميكال بغير همز ولا ياء ونافع ميكائل بهمزة مكسورة من غير ياء والباقون ميكائيل بياء بعد الهمزة
قوله فان الله عدو للكافرين اي لهم اقام الظاهر مقام المضمر ليدل على ان الله تعالى انما عاداهم
لكفرهم قال صاحب الكشاف وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال
الملائكة وهم اشرف باعثه على هذا الكلام التعصب والالبس للكلام اشعار به وعداوة الله تعالى
للكافرين عبارة عن عقابه اشد العقاب قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات
وما يكفر بها الا الفاسقون قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك اية بينة فنتبعك لها فانزل الله هذه
الاية والبينة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة لانها من ابانة احد الشيئين عن الاخر
فيزول الالتباس بها والمراد بالايات البينات القران مع ساير الدلائل نحو ما سمعتم من تمني الموت
وساير المعجزات والفسق خروج الانسان عما حد له قال الله ففسق عن امر ربه وتقول العرب للنواة
اذا خرجت من الرطبة فسقت والفاسقون هم الخارجون عن اديانهم واليهود خرجوا بالكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم عن شريعة موسى واذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم
ذلك النوع من كفر وغيره واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون لليهود قوله تعالى
او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون الواو في اوكلما للعطف على محذوف
معناه الكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا وادخل عليه همزة الاستفهام لان لها صدر الكلام
وكلما نصب على الظرف والعامل فيه نبذه لا عاهدوا لانه صلة ما او صفتها والنبذ الرمي
بالذمام ورفضه قال فريق منهم لان منهم من لم ينقض واليهود موسومون بالغدر
ونقض العهد وكم اخذ الله تعالى الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة قال المفسرون
ان اليهود عاهدوا وقالوا فيما بينهم لئن خرج محمد لنؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب

عن الحسن و

فلما بعثه الله تعالى نقضوا العهد ولعزوا به وقال عطا هي العهود التي كانت بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين اليهود فنقضوها لفعل قريظة والنضير عاهدوا على ان لا يعينوا
عليه احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشا يوم الخندق بل اكثرهم لا يومنون بالتوراة
وليسوا من الدين في شي فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به وقيل اكثرهم لا
يومنون لانهم من بين كافر بنقض العهد او كافر بجحد امر محمد صلى الله عليه وسلم **قوله**
تعالى ولما جاهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون مصدق لما معهم من التورية اي من نعته وصفاته
جاهم على النعت الذي نعت به في التورية نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
التورية لانهم بكفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم نبذوا التوراة وقيل كتاب
الله القران نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لانهم علموه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم
عنه مثل عارفي وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات اليه واستخفافا به قال الشعبي
هو بين ايديهم يقراونه وانما نبذوا العمل به وقال سفين بن عيينه ادرجوه في الحرير
والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ قوله
كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا
وقيل اعلم الله انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم بعظم ما يفعلون حتى كانهم لا يعلمون
ما يستحقون من العذاب ثم اخبر انهم رفضوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين **قوله**
تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هروت ومروت وما يعلمان من احد حتى يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من
احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة
من خلاق ولبيس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون اي اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا
ما تتلوا الشياطين قال ابن عباس المراد من كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ابن زيد والسدي من كان في عهد سليمان وقيل الجميع وتتلوا قال عطا يقرا من التلاوة
وقال ابن عباس يتبع كانها الحيا القوم يتلو بعضهم بعضا وتتلو بمعنى تلت وضع المستقبل
موضع الماضي وقال الكوفيون المعنى ما كانت تتلوا وقوله على ملك سليمن اي على عهد ملك
سليمان وفي زمانه فيلزم تقدير مضاف وعلى بمعنى في ويحتمل ان يكون تتلو مضمنا معنى الاملا
فعدي بعلى ولا بد من تقدير المضاف والمعنى واتبعوا ما املا الشياطين على الناس اي على
ناس عهد ملك سليمن وقيل المعنى في ملك سليمان في قصصه واخباره وصفاته قال
الطبري اتبعوا بمعنى فضلوا اي على ملك سليمن اي على شرعه ونبوته وحاله اي فضل اليهود ما تتلوا
الشياطين على شرع سليمان ونبوته وحاله قيل ان الشياطين كانت تصعد الى السما فتقعد
منها مقاعد للسمع فيسترقون السمع فيسمعون كلام الملايكة فيما يكون في الارض من موت او غيره
فياتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا الكذب او زوروا في كل كلمة سبعين كذبة ويلقونها الى الكهنة
ودونوها في كتب يقراونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في بني اسراييل زمن سليمان حتى
قالوا ان الجن تعلم الغيب فاطلع سليمان على ذلك فبعث في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في
صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشياطين يعلمون الغيب الا

حزبت

حزبت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلما الذين كانوا يعرفون امر سليمان ودفنه الكتب
وخلف من بعدهم خلف تمثل شيطان على صورة انسان فاتى نفرا من بني اسراييل وقال الا ادلكم
على كنز لا تاكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية
فقالوا ادن قال لا ولكني هنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسي
الا احترق فحفروه فوجدوا تلك الكتب فلما اخرجوها قال الشيطان هذا علم سليمان وما تم
لسليمان ملكه الا بهذا وبه يسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره ثم طار الشيطان وفشا في الناس
ان سليمان كان ساحرا واتخذ بنو اسراييل تلك الكتب فاكثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جا محمد صلى الله
عليه وسلم خاصمته اليهود بها فبرا الله سليمن من ذلك وانزلت هذه الاية وقيل ان الشياطين كتبوا السحر
والنيرنجات على لسان اصف هذا ما علم اصف بن برخيا سليمن الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حين
نزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمن فلما مات عليه السلام استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا انما ملككم
سليمان بهذا فتعلموه فاما علما بني اسراييل وصلحاوهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمن وان
كان هذا علمه لقد هلك سليمن واما السفله فقالوا نعم هذا علم سليمان واقبلوا على تعلمه ورفضوا
كتب انبيايهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم فانزل عذر سليمان على لسان محمد واظهر
براته فيما رمي به فقال تعالى واتبعوا وقيل كان سليمان لا يصبح يوما الا نبتت في محرابه
ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول اسمي كذا فيقول لاي شي انت فتقول لكذا وكذا فيامر
بها فتقطع ويزرع في الخزاين ويغرس منها في البساتين حتى نبتت الخروبة الشامية فقال لها ما
انت قالت انا الخروبة قال لاي شي نبت قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان الله ليخربه وانا
حي انت الذي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايط له فلم يلبث ان
توفي فجعل الناس يقولون في مرضاهم لو كان مثل سليمان فكتبت الشياطين كتابا وجعلوه في مصلى
سليمان فقالوا نحن ندلكم على ما كان سليمن يداوي به فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب فاذا فيه سحر
ورقى فانزل الله عذر سليمان وانزل الشياطين واليهود على نبيه قوله وما كفر سليمان لكن نسب
للشياطين لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا اي لم يكن كافرا ساحرا يعتقد
السحر ويعمل به ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه قرا نافع وعاصم وابن كثير
وابو عمرو بتشديد النون من ولكن ونصب الشياطين وقرا حمزة والكسائي وابن عامر بتخفيفها
وبرفع الشياطين ولكن كلمة لها معنيان نفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل وهذا الحرف
اذا ثقلت نصبت ما بعدها من الاسما كما ينصب بان المثقله وان خففتها لم تعمل النصب قوله
يعلمون الناس السحر يعني الشياطين كفروا اذ حدثوا بالسحر وتحلوا به والقوه فيما بين الناس وقصدوا
اغواهم واضلالهم والناس المعلمون اتباع الشياطين من بني اسراييل والسحر مفعول ثان ليعلمون
وموضع يعلمون نصب على الحال او رفع على خبر ثان والسحر لغة ما خفي ولطف وقيل العلم
والحذق بالشي قال الله وقالوا يا ايها الساحر ادع اي العالم وقيل هو التمويه بالشي
حتى يتوهم المتوهم انه شي ولا حقيقة له كالسراب غر من راه واخلف من رجاه قال الله تعالى
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله
بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة
وخبث النفس فان التناسب شرط في التظام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي
واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد

فعليه حرام وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه لا اصل لما خفي سببه وقد
اختلفوا في ان تعلم السحر هل هو حرام ام لا على ثلثة اوجه احدها حرام وثانيها مكروه
وثالثها مباح والحق ان كان تعلمه ليعمل به فهو حرام وان كان ليتوقاه ولا يغتر به فهو مباح
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه وفعله حرام من الكباير واعتقاد حله كفر قوله وما انزل على
الملكين عطف على السحر اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين وقيل هو عطف
على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل على الملكين فعلى الاول محله نصب على ان يكون مفعولا ثانيا لقوله
يعلمون وعلى الثاني نصب على انه مفعول اتبعوا ومعنى انزل على الملكين علما والهما وقذف
في قلوبهما من علم التفرقة بين المرء وزوجه وقيل هو رقية وليس بسحر يدل على هذا عطفه على السحر
فان العطف يقتضي تغاير المعطوفين فان قيل على الوجه الاخر وهو انه معطوف على قوله ما تتلوا
ولم يلزم ان يكون غير سحر اجيب بان ما تتلوا سحر ايضا بدليل قوله ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر والرخصة في الرقية وارده عن عوف بن مالك الاشجعي قال كنا نرقي في
الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقا ما لم
يكن فيه شرك وفيه نظر لانه يجوز ان يكون نوعا من السحر غير النوع الاول فيصح العطف
وهروت وماروت عطف على بيان الملكين علمان لهما وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
ولا يكونان من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم والا لكانا منصرفين وبابل لا ينصرف
للتانيث والتعريف وهي بقعة من الارض قيل هي بابل العراق قال ابن مسعود لاهل الكوفة
انتم بين الحيرة وبابل وقال قتاده هي من نصيبين الى راس العين وقيل انما انزل
عليهما علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس من تعلمه منهم وعمل به واعتقد حله كان كافرا
وما يعلمان اي الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار
فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس
من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا للتفريق بين المرء
وزوجه من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغض والنشوز
والخلاف ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه اختلفوا في ان السحر له حقيقة روي عن ابي
جعفر الاسترابادي من اصحاب الشافعي انه قال لا حقيقة للسحر وانما هو تخييل والصحيح انه
حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلما ويدل عليه الكتاب والسنة قال الامام
الخلاف في ان الساحر هل يبلغ بسحره الى حيث يخلق الله عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام
والحياة وتغيير البنية والشكل ام لا فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك لانه لا يعرف
حينئذ صدق الانبيا واجيب ان من ادعى النبوة وكان كاذبا فيه يمتنع عادة من الله تعالى
اظهار هذه الاشيا على يديه لئلا يحصل التلبيس وما هم اي السحرة وقيل الشياطين بضارين بالسحر من
احد الا باذن الله والمراد بالاذن ارادة التكوين اي لا يضرون بالسحر احدا الا باذن
الله تعالى ان يحصل بذلك الضرر واختلف العلما في تعليم الملكين السحر فذكر اهل التفسير واصحاب
المعاني فيه وجهين احدهما انهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه ويامران
باجتنابه وكانا يعلمان الناس ما يسالونهما عنه ويامران باجتناب ما حرم عليهم وطاعة الله فيما
امروا به ونهوا عنه وفي ذلك حكمة لان سايلا لو سال ما الزنا وما اللواط لوجب ان يوقف عليه
ويعلم انه حرام فلذلك اعلام الملكين السحر وامرهما السايل باجتنابه بعد الاعلام والاخبار انه كفر ولكن

هذا الوجه ما روى ابو العباس عن ابن الاعرابي انه قال علم بمعنى اعلم وذلك ان التعليم لا ينفك
من الاعلام كما تقول تعلم بمعنى علم لان من تعلم شيا فقد علمه وبوضع التعلم موضع العلم قال ابن الاعرابي
ومن هذا قوله تعالى وما يعلمان من احد قال معناه ان الساحر ياتي الملكين فيقول اخبراني عما نهى الله
عنه حتى انتهي فيقولان نهى عن الزنا فيستوصفهما الزنا فيصفانه فيقول وعن ماذا فيقولان عن اللواط
ثم يقول وعماذا فيقولان عن السحر فيقول وما السحر فيقولان كذا فيحفظه وينصرف فيخالف فيكفر فهذا
معنى يعلمان انما هو يعلمان ولا يكون تعليم السحر اذا كان اعلاما كفرا ولا تعلمه اذا كان على معنى الوقوف
عليه كفرا كما ان من عرف الزنا لم ياثم بالعمل الوجه الثاني ان الله عز وجل امتحن الناس بالملكين في
ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكفر بتعلمه ويومن
بترك التعلم ولله تعالى ان يمتحن عباده بما يشا كما امتحن نهر طالوت في قوله ان الله مبتليكم
بنهر يدل على صحة هذا قوله انما نحن فتنة فلا تكفر اي محنة من الله نخبرك ان علم السحر كفر بالله
وننهاك عنه فان اطعتنا في ترك العمل بالسحر نجوت وان عصيتنا في ذلك هلكت وقصة
الملكين على ما ذكره ابن عباس والمفسرون ان الملايكة راوا ما يصعد الى السما من اعمال بني ادم
الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم بذلك ودعوا عليهم
وقالوا هولا الذين جعلتهم في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى
الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم ما ركبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال
الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا
من اصلح الملايكة واعبدهم قال الكلبي قال الله تعالى لهم اختاروا ثلاثة فاختاروا عزا وهو هروت
وعزايا وهو ماروت غير اسميهما لما قارفا كما غير ابليس وعزاييل وركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في
بني ادم وانزلهم الى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير
الحق والزنا والشرب فاما عزاييل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وساله ان
يرفعه الى السما فاقاله فسجد اربعين سنة ثم رفع راسه ولم يزل بعد ذلك مطاطيا
راسه حيا من الله تعالى واما الاخران فانهما ثبتا على ذلك فجعلا يحكمان بين الناس يومهما
فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السما وقال قتاده فما مر عليهما اشهر حتى
افتتنا قالوا جميعا انهما اختصمت اليهما ذات يوم امراه من احسن الناس واجملهم
قال علي رضي الله عنه وكانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما راياها اخذت
بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا
مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا
النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشيا فان الله عز وجل نهانا عنها فانصرفت
ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها
عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون
الثلاثة شرب الخمر فشرباها وانتشيا ووقعا بالمراة وزنيا فلما فرغا راهما انسان
فقتلاه قال الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ المراة عند ذلك كوكبا قال علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه والسدي والكلبي انها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني
بالذي تصعدان به الى السما فقالا باسم الله الاعظم قالت فما انتما بمدركاني حتى تعلمانيه
فقال احدهما لصاحبه علمها فقال اني اخاف الله قال الاخر فاين رحمة الله فعلماها

ذلك فتكلمت به وصعدت الى السما فما لاقا باسم الله الاعظم فمسخها الله تعالى كوكبا فعلى قوله هو لاهي الزهره
بعينها فقالوا هي الكوكبة الحمرا واسمها بالفارسية ناهيد وبالنبطية بيدخت قال الثعلبي يدل على صحة
هذا ما روي عن علي رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى سهيلا قال لعن
الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهره فانها فتنت الملكين وروي عن مجاهد قال
كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال ارمق الكوكبة فاذا طلعت فايقظني فلما طلعت ايقظته فجعل
ينظر اليها ويسبها سبا فقلت رحمك الله تسب نجما ساما مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقي الملكان
منها ما لقيا وروي عن نافع قال كان ابن عمر اذا راى الزهره قال لا مرحبا بها ولا اهلا وروي
عن ابن عباس ان المراة التي فتن بها الملكان مسخت في هذه الكوكبة الحمرا يعني الزهره وانكر الاخرون
هذا القول ان الزهره من الكواكب السبع السياره التي جعلها الله قواما للعالم واقسم بها فقال
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وانما كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امراة كانت اسمها
زهره من جمالها فلما بغت جعلها الله شهابا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهره ذكر هذه
المراه لموافقة الاسمين فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
النجم ذكره فلعنه يدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصه قال كانت امراة فضلت
على النسا بالحسن كما فضلت الزهره على ساير الكواكب وسلم قال كعب الاحبار وغيره والله اعلم قالوا فلما
امسى هروت ومروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السما فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما
ماحل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل
وقالا له انا راينا يصعد لك من العباده ما لا يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك
ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله عز وجل بين عذاب الدنيا وعذاب الاخره فاختارا عذاب الدنيا
اذ علما انه ينقطع قال عطا فبلغني انهما معلقان بشعورهما مصوبه رووسهما تحت اجنحتهما ببابل
وروي عن عبد الله بن مسعود قال هما معلقان بشعورهما الى يوم القيامه وقال قتاده كبلا
من اجنحتهما اقدامهما الى اصول افخاذهما وقال مجاهد ان جبا مليت نارا فجعلا فيها
وقيل معلقان منكسان في السلاسل وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد وروي ان رجلا
اراد ان يتعلم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما
مسوده جلودهما ليس بين السنتهما وبين الما الا قدر اربعة اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما
راى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله وقد نهي عن ذكر الله فلما سمعا كلامه قالا من انت قال انا
رجل من الناس قالا ومن اي امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا او قد بعث محمد صلى
الله عليه وسلم قال نعم قالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل ومما استبشاركما قالا
انه نبي الساعه وقد دنا انقضاء عذابنا قالوا ومن ثم استغفار الملائكة لبني ادم قوله
ويتعلمون ما يضرهم في الاخره ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر ولقد علموا اي هولا
اليهود لمن اشتراه اي اختاره ما له في الاخره من نصيب ولبيس ما شروا به اي باعوا
به حظ انفسهم حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله لو كانوا يعلمون عاقبة ما يصير
اليه من حسن حظه من الاخره اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد
القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون لانهم كانوا لا يعملون بالعلم فجعلوا حيث لم يعملوا
به كانهم منسلخون عنه قوله تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله
خير لو كانوا يعلمون لما بين فيهم الوعيد بقوله ولبيس ما شروا به انفسهم اتبعه بالوعد

جامعا بين الترغيب والترهيب كما هو عادته لان الجمع بينهما ادعى الى الطاعه وترك المعصيه
اي ولو ان اليهود الذين تقدم ذكرهم امنوا بمحمد الذي هو مصدق لما معهم وبكتاب الله
الذي نبذوه وراء ظهورهم اي القران او التوراه واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من
نبذ كتاب الله واتباع ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن لمثوبة من عند الله خير لو
كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم الله لترك العمل بالعلم
واختيار الجمله الاسميه على الجمله الفعليه في جواب لو لما في الاسميه من الدلاله على ثبات
المثوبه واستقرارها كما اختيار الرفع على النصب في سلام عليكم لذلك وانما قال لمثوبة من عند
الله ولم يقل لمثوبة الله خير بيانا لان شيا من الثواب من عند الله خير لهم جمع من الدوام
والقلة ايذانا بان قدرا يسيرا من الثواب في الاخره مع الدوام خير من كثير ثواب الدنيا
مع الانقطاع فكيف وثواب الله كثير دايم ويجوز ان يكون لو ههنا للتمني لايمانهم كانه قيل وليتهم
امنوا تنبيها من الله تعالى على انه لا يمكن ايمانهم لان الله تعالى يريد الكفر منهم لطلب المحالات
التي يتمناه الانسان ثم ابتدا لمثوبة من عند الله خير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم راعنا من المراعاة المراقبه وحفظ ما يكون من
احوال الشي يقال راعنا سمعك اي اسمع منا حتى نفهمك وتفهم عنا والعرب تقول راعنا سمعك وارعنا
سمعك بمعنى واحد كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيا من
العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهمه ونحفظه وكان راعنا
بلسان اليهود سبا قبيحا فلما سمعوا بقول المومنين لرسول الله اعجبتهم فكانوا ياتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويخاطبونه بها ويعنون به تلك المسبه ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد
بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا اعدا الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لين
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالت اليهود
اولستم تقولونها فانزل الله هذه الايه ونهوا عنها وهذا النهي اختص بهذا الوقت
قال الواحدي لاجماع الامه على جواز المخاطبه بهذا اللفظ الان وقولوا انظرنا
اي انتظرنا يقال نظرت فلانا اي انتظرته اي اصبر حتى نفهم منك ما تقول ويجوز ان
يكون انظرنا انظر الينا فحذف الجار وامرهم ان يقولوا بدل راعنا انظرنا قوله واسمعوا اي
ما يقال وما تومرون به سماع قبول وطاعه ولا يكون سماعكم مثل سماع اليهود حيث
قالوا سمعنا وعصينا اي فاسمعوا ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم
من المسايل باذان واعيه واذهان حاضره حتى لا تحتاجوا الى الاستعاده وطلب
المراعاة او واسمعوا ما امرتم به حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك
الكلمه وللكافرين اي اليهود الذين تهاونوا برسول الله عذاب اليم قوله تعالى
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من
ربكم والله يختص برحمته من يشا والله ذو الفضل العظيم ان المسلمين كانوا اذا قالوا
لحلفايهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه
بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الاية تكذيبا لهم وتحذيرا
للمومنين منهم بوصفهم بما يوجب الحذر ما يود اي ما يحب وما يريد الذين كفروا من اهل الكتاب

يعني اليهود ولا المشركين من العرب ان ينزل عليكم من خير من ربكم اى من خير ومن صلة مولده لاستغراق
الخير من ربكم فمن في قوله من اهل الكتاب للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
ومن في قوله من خير مزيدة لاستغراق الخير لان خير نكرة واقعة في سياق النفي مفيدة للاستغراق فدخول
من فيه تفيد تاكيدا لاستغراق ومن في قوله من ربكم لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة والمعنى
انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص
بالوحي والنبوة من يشاء يقال خصه بالشيء واختصه اذا افرده به دون غيره والله ذو الفضل العظيم
اشعار بان الوحي والنبوة من الفضل العظيم لقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وفي جعل الذين كفروا
فاعل ما يود وجعل كفروا صلة الذين وبيانه بقوله من اهل الكتاب واقامة المظهر مقام المضمر
اشعار بان كفرهم يدعوهم الى متابعة الحق لكن كفرهم منعهم وفيه ان الكفر شر كله لانه هو الذي
يورث الحسد ويحمل صاحبه على ان يبغض الخير ولا يحبه وان الايمان خير كله لانه هو الذي يحمل
صاحبه على تفويض الامور كلها الى الله تعالى واقامة الرحمة مقام ضمير المنزل من خير
اشعار بان تنزيل الوحي الذي هو الخير عين الرحمة لان ارساله محض الرحمة لقوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واقامة لفظ الجلالة مقام ضمير ربكم وتقديمه
على قوله يختص اشعار بان الله هو جامع لصفات الالوهية يختص برحمته من يشاء لا غيره

قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على
كل شيء قدير روي ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين طعنوا في القران فقالوا
الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع
عنه غدا ما هذا القران الا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضا
فنزلت هذه الاية وقرا ابن عامر ما ننسخ بضم النون الاولى وكسر السين والباقون ننسخ بفتح
النون والسين قال صاحب الكشاف نسخ الاية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها
الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها قال الواحدي النسخ
ابطال الشيء واقامة الاخر مقامه تقول العرب نسخت الشمس الظل اي اذهبته وحلت محله
فهذا النسخ الى بدل لان الظل يزول ويبطل ويكون الشمس بدلا عنه ويجوز النسخ لا الى بدل
وهو رفع الحكم وابطاله من غير ان يقيم له بدلا يقال نسخت الريح الاثار اي ابطلتها
وازالتها والمعروف من النسخ في القران ابطال الحكم مع اثبات الخط وهو ان تكون
الاية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة الا ان المنسوخة لا يعمل بها مثل عدة
المتوفى عنها زوجها كانت سنة لقوله تعالى متاعا الى الحول غير اخراج ثم نسخت
بقوله يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وقوله ان يكن منكم عشرون صابرون وان
الاية ثم نسخت بقوله يتربصن بانفسهن الان خفف الله عنكم الاية وننسخ بضم النون من
انسخت الاية اي وجدتها منسوخة كقولهم احمدت الرجل واكذبته واجبنته
واكلته اي وجدته على هذه الاحوال فيكون معنى قوله ننسخ نجده منسوخا فانما
نجده كذلك لنسخه اياه واذا كان كذلك كانت القراءتان متفقتين في المعنى وان
اختلفتا في اللفظ قال الثعلبي النسخ في التغيير والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان
يحول من كتاب الى كتاب فينقل ما فيه اليه قال الله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر

الملائكة

الملائكة بنسخها قال ابن عباس في هذه الاية الستم قوما عربا هل يكون نسخة الا من اصل
كان قبل ذلك فبهذا القران كله منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ فانزله الله على
النبي عن ابن عباس قال انزل الله القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء
الدنيا ثم انزله جبريل على محمد اية بعد اية والنسخ ايضا في اللغة رفع الشيء وابطاله
يقال نسخت الشمس الظل اي ذهبت به وابطلته واياه عني بقوله ما ننسخ من اية وهذا
الوجه على نوعين احدهما ان يثبت اللفظ وينسخ الحكم وثانيهما ان يرفع الحكم واللفظ
من الكتاب وبعضها من قلوب الرجال ايضا روي ان رجلا كانت معه سورة فقام
يقراها من الليل فلم يقدر عليها وقام اخر يقرؤها فلم يقدر عليها فاصبحوا فاتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يا رسول الله قمت البارحة لاقرا سورة كذا وكذا فلم
اقدر عليها وقال الاخر يا رسول الله ما جئت الا لذلك وقال الاخر وانا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها نسخت البارحة او ننسها قرا نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي بضم النون وكسر السين وابن كثير وابو عمرو بفتح النون مهموزة من النساء
بمعنى التاخير يقال نسات الابل عن الحوض اي اخرتها عنه ومعنى التاخير في الاية ان يؤخر
التنزيل فلا ينزل ولا يعلم ولا يعمل به ولا يتلى والمعنى يؤخر الى وقت ثان فياتي بدلا منها في
الوقت المتقدم ثم يقوم مقامها قال الواحدي والانساء منقول من النسيان يقال نسي الشيء
وانسيته الشيء اي جعلته ينساه ومعنى الاية انا اذا رفعنا اية من جهة النسخ او الانساء لها ناتي
بخير من الذي نرفعه باحد الوجهين النسخ والانساء لها ومعنى بخير منها اي اصلح لمن تعبد
بها وانفع لهم واسهل عليهم واكثر لاجرهم لا ان تكون اية خيرا من اية او مثلها في المنفعة والمثوبة
بان يكون ثوابها كثواب التي قبلها والفائدة في ذلك ان يكون الناسخ اسهل في الماخذ من المنسوخ
والايمان به والناس اليه اسرع نحو القبلة التي كانت على جهة ثم حولت الى الكعبة فهذا وان كان السجود
الى سائر النواحي متساويا في العمل والثواب فالذي امر الله به في ذلك الوقت كان الاصلح
والادعى للعرب وغيرهم الى الاسلام قال صاحب الكشاف نسؤها اخرها واذهابها لا الى
بدل وانساها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل اية يذهب بها على ما توجبه المصلحة
من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات باية خير منها
للعباد اي بان العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك وما في قوله ما ننسخ شرطية
ومحلها النصب وعاملها ننسخ وهو مجزوم بها ولا امتناع في كون كل منهما عاملا ومعمولا
بالنسبة الى الاخر لاختلاف الجهتين فان فعل الشرط عامل في اسم الشرط باعتبار تعلقه
واسم الشرط عامل في فعله باعتبار تضمنه حرف الشرط ونات مجزوم لانه جواب الشرط
واعلم ان النسخ في عرف علماء الشرع رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متراخ فقوله
رفع الحكم كالجنس يشمل النسخ وغيره وقوله الشرعي يخرج رفع براءة الذمة قبل
الشرع التي نعبر عنها بالمباح الذي ثبت بالاصل لان براءة الذمة قبل الشرع ليست
بحكم شرعي لان العقل حكم بانتفاء شغل الذمة عند انتفاء الشرع وقوله بدليل شرعي يخرج
رفع الحكم الشرعي بالنوم والغفلة فان رفع وجوب الصلوة عن النائم والغافل بالنوم
والغفلة وقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلث لا يقتضي ان يكون رفع الحكم
عنهما بدليل شرعي فانه يدل على ان الرافع هو النوم والغفلة لان هذا القول هو

الرافع وقوله متراخ يخرج الحكم الشرعي بالمتصل متصلا كما اذا قيل اقتلوا المشركين لا تقتلوا
اهل الذمة او غير مستقر كالرفع بالاستثنا كما اذا قيل صوموا هذا الشهر الا اليوم
العاشر منه وكالرفع بالغاية مثل صل الى اخر الشهر وكالرفع بالشرط مثل صل ان كنت صحيحا واراد برفع
الحكم الشرعي رفع الحكم المتعلق بفعل المكلفين التعلق التنجيزي فلا يرد قولهم الحكم قديم والقديم لا يرتفع
لان الحكم بهذا المعنى لم يكن ثم حدث لان الحكم بهذا المعنى مشروط بالعقل لامتناع تكليف الغافل
والعقل حادث والفرق بين التخصيص والنسخ ان التخصيص يفيد عدم الارادة المخرج من العام
في الاصل والنسخ يفيد ارادة المنسوخ في الاصل لكن غير مستمر وان التخصيص غير مشروط بالتراخي
بخلاف النسخ وان التخصيص غير مشروط بالنص بخلاف النسخ واجماع المسلمين على جواز النسخ ووقوعه
وخالفت اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني في الوقوع وانعقاد الاجماع على الوقوع مع مخالفة
ابي مسلم محمول على ان الاجماع ليس بصريح اعرب عنه الجميع واما على ان مخالفة الواحد لا
تخل بالاجماع تمسك اليهود في استحالة النسخ بشبه منها ان الله ان كان عالما باستمرار الحكم المنسوخ
ابدا فلا نسخ والا يلزم خلاف ما علم الله اجيب باختيار الشق الاول فانه تعالى عالم باستمرار
الحكم بالنسخ وعالم برفع الحكم بالنسخ وعالم بانه لولا طريان النسخ لاستمر حكمه ومنها انه لو نسخت
شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة موبدة عليكم ما دامت السموات والارض
واللازم باطل لان موسى رسول صادق باتفاق بيان الملازمة ان قوله يدل على شريعة
موبدة عليكم فلو نسخت بطل قوله اجيب بان هذا القول مفترى نقل افتراه ابن الراوندي
ليعارض دعوى الرسالة من النبي صلى الله عليه وسلم والحق انه لو كان صحيحا عندهم لنقضت
العادة بذكرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها انه لو نسخ لحكمة ظهرت له لم تكن ظاهرة له
قبل النسخ يلزم البدا الا انه ظهر ما لم يكن ظاهرا وان لم يكن لحكمة ظهرت له يلزم العبث اجيب
بان هذه الشبهة مبنية على اعتبار المصلحة والحكمة وهي قاعدة الحسن والقبح العقليين
وهي باطلة وعلى تقدير التسليم فالمصالح تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة
شرب دوا في وقت او حال وضرره في اخر واحتج على الجواز بانا نقطع انه لا يستحيل
على الله تعالى ان يامر عباده بفعل في وقت ثم يرفعه عنهم وان اعتبرت المصالح كما هو مذهب
المعتزلة فالجواز ايضا ثابت للقطع بان المصلحة قد تختلف بالاوقات كما تختلف بالاشخاص
وايضا قد ورد في التوراة ان الله تعالى امر ادم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك بعده
باتفاق واحتج على الوقوع باجماع الصحابة على ان شريعتنا ناسخة لما لفها وبان الوجوب بالتوجه
الى بيت المقدس منسوخ بوجوب التوجه الى الكعبة وبان وصية الوالدين والاقربين منسوخة
باية المواريث وذلك كثير كنسخ تقديم الصدقة بين يدي الرسول على مناجاته ونسخ صوم عاشورا
واختلف العلما في جواز النسخ قبل وقت الفعل والمختار جوازه مطلقا والمعتزلة مثل
ان تقول حجوا هذه السنة ثم تقول قبل الحج لا تحجوا واحتج عليه بانه ثبت ان التكليف
يتوجه قبل المباشرة فوجب جواز رفع التكليف الثابت قبل الفعل بالناسخ كما جاز رفعه
بالموت وبان كل نسخ كذلك اي تكليف قبل وقت الفعل لان النسخ رفع التكليف والرفع لا يكون الا
قبل الفعل لان التكليف بعد الفعل منقطع ومعه ممتنع احتج المعتزلة بان المكلف ان كان
مامورا بالفعل في وقته فلو نسخ في ذلك الوقت لزم توارد النفي والاثبات على شي واحد في زمان واحد
وهو محال وان لم يكن مامورا به في ذلك الوقت فلا نسخ اجيب بانه لم يكن مامورا به في ذلك

الوقت

كل شريعة

لوجود الناسخ فيه بل كان مامورا به قبله وانقطع التكليف عند دخول وقته
بالناسخ كما ينقطع التكليف عند الموت ذهب اكثر الاصوليين الى جواز نسخ الامر المقيد بالتابيد
مثل صوموا ابدا بخلاف الخبر المقيد بالتابيد مثل الصوم واجب مستمر ابدا فان اكثرهم على
انه لا يجوز نسخه للزوم التناقض واحتج على جواز الاول بان قوله صوموا ابدا لا يزيد في الدلالة على
تعيين الوقت والتنصيص عليه على قوله صم غدا ثم ينسخ قبل دخول الغد لما ذكر وكما جاز
نسخ قوله صم غدا قبل دخول الغد فكذلك جاز نسخ قوله صوموا ابدا قيل الامر المقيد بالتابيد
يوجب التناقض لان صيغة التابيد تقتضي الايجاب ابدا ونسخه يقتضي عدم الايجاب في بعض
الاوقات فيتناقض اجيب بانه لا منافاة بين ايجاب صوم غد وبين انقطاع التكليف
قبل الغد بالموت وذهب اكثر الاصوليين الى جواز نسخ الحكم من غير بدل والدليل عليه
ان الحكم ان تبع المصالح فيجوز نسخه بلا بدل لان مصلحة المكلف قد تكون في رفع التكليف
عنه من غير بدل وان لم يتبع المصالح فجوازه اظهر لانه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وايضا
وقع نسخ وجوب الامساك بعد الفطر ونسخ تحريم ادخار لحوم الاضاحي من غير بدل
والوقوع دليل الجواز المانعون من جواز النسخ بلا بدل قالوا قوله تعالى ما ننسخ من اية
او ننسها نات بخير منها او مثلها يدل على عدم جواز النسخ بلا بدل اجيب بانه
غير محل النزاع فان الخلاف في جواز نسخ الحكم بلا بدل لا في اللفظ والاية تدل على
الاتيان بالبدل في نسخ اللفظ لان الضمير يرجع الى الاية والاية لفظ ولئن سلم ان هذه
الاية تتناول نسخ الحكم ايضا لكن خصص الحكم بما ذكرنا من الصور ولئن سلم بقاؤها
على العموم لكن الاية تدل على عدم النسخ بدون الاتيان بما هو خير والنسخ بلا بدل خير
من ابقا الحكم لمصلحة يعلمها الله تعالى ولئن سلم ان الاية تدل على النسخ لا يقع بدون بدل
فمن اين ثبت انه لا يجوز فان عدم الوقوع لا يقتضي عدم الجواز احتج القايلون بوقوع
النسخ بهذه الاية وقد اجيب عنه بهذا الجواب واحتج القايلون بالجواز بها فورد
بان صدق الشرطية لا يقتضي جواز الطرفين يدل على ذلك قوله تعالى قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين وبان المنكرين للجواز اليهود فلا يحتج بها عليهم واحتج القايلون
بعدم جواز النسخ ببدل اثقل بهذه الاية بانه ان بدل المنسوخ يجب ان يكون
خيرا من المنسوخ او مثله والاثقل لا يكون خيرا ولا مثلا اجيب بانه خير للمكلف
باعتبار الثواب وذهب الجمهور الى جواز نسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس ونسخهما
معا والدليل على جواز نسخ التلاوة الوقوع اما الاول فلما روي عن علي رضي الله عنه
انه قال كان فيما انزل الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة وقد نسخ تلاوته ولم ينسخ
حكمه واما الثاني فلان قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج قد نسخ حكمه دون تلاوته واما الثالث فلما
روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان فيما انزل عشر رضعات محرمات فنسخن
بخمس وقد كان منسوخ التلاوة ايضا والاشبه ان منسوخ التلاوة يجوز مسه للمحدث
ويجوز نسخ تكليفنا بالاخبار عن شي بتكليفنا بالاخبار عن نقيضه خلافا للمعتزلة مثل
ان كلفنا بالاخبار عن وجود زيد ثم تكليفنا بالاخبار عن عدمه واما مدلول الخبر فان كان
مما لا يتغير فنسخه باطل مثل الوحدانية وكونه سميعا بصيرا وان كان مما يتغير فلنسخه

باطل على المختار خلافا لبعض المعتزلة كايمان زيد وكفره واستدل لان المجوزين جواز
نسخ مدلول الخبر اذا كان حكما مثل انتم مامورون بصوم كذا ثم ينسخ يرتفع الخلاف
بين المجوزين والمانعين لان هذا الخبر بمعنى الامر نحو والوالدات يرضعن اولادهن
حولين كاملين فيجوز نسخه عند المانعين ايضا ولا يكون نسخا لمدلول الخبر بل لمدلول
الامر فارتفع الخلاف بينهم وجوز نسخ القران بالقران كنسخ العدة بالحول بالعده
باربعة اشهر وعشرا وذهب الجمهور الى جواز نسخ القران بالسنة المتواترة ومنع الشافعي
جوازه حجة الجمهور ان كلا من القران والخبر المتواتر من الله تعالى ولا يمنع نسخ احدهما بالاخر
لذاته ولا لغيره اذ الاصل عدمه حجة الشافعي ان الناسخ لابد وان يكون خيرا من منسوخ
او مثله لقوله تعالى نات بخير منها او مثلها والسنة ليست بخير من القران ولا بمثله
وايضا قال تعالى نات بخير منها والضمير في نات لله تعالى فيكون الاتي بالناسخ هو
الله تعالى اجاب الجمهور عن الاول ان المراد بالنسخ في الاية نسخ الحكم لا اللفظ
لان القران لا تفاضل فيه بحسب اللفظ ويجوز ان يكون حكم السنة خيرا من
حكم القران او مثلا انه لا يجوز ان يكون حكم السنة اصلح للمكلف من حكم القران او مثلا
له وعن الثاني انه يصح اطلاق ناتي على ما اتى به الرسول صلى الله عليه وسلم لان ما اتى
به الرسول انما هو من عند الله لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولقايل ان يقول قولهم ان المراد بالنسخ هو نسخ الحكم لا اللفظ خلاف الظاهر
فان الاية فيها لفظ وحكم فتخصيصها بالحكم تخصيص بلا مخصص على ان الاية ورودها
في شان اهل الكتاب ورد وداديتهم ان لا ينزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه
وسلم هذا الكتاب فينسخ به كتابهم لفظا وحكما ورد انه لم اختص به دونهم وانه
هو الذي يبديه من تلقا نفسه لشهادة سبب النزول وسياق الاية فقوله تعالى
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم وان
قولهم انه يصح اطلاق ناتي على ما اتى به الرسول مردود لان الضماير في ننسخ وننسها ونات
دالة على تعظيم الفاعل وبادية على جلالته واسناده بما فعله بحمله على الغير
مع انه خلاف الظاهر مفوت للمطلوب وان ضمير الخطاب في قوله الم تعلم
اذا خص بالنبي او عم والاستفهام المفيد للتقرير ينافي اشتراكه في تلك الضماير
وتخصيصه باسم الذات مكررا والاستدلال بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى ضعيف لان الكلام هنا في المنزل لان الكفار كانوا ينسبونه الى الجن
ويسمون قايله مجنونا يدل عليه قوله علمه شديد القوى قوله الم تعلم ان الله على
كل شي قدير على النسخ والتبديل وعلى الخير وعلى مثله **قوله تعالى** ام تريدون
ان تسالوا رسولكم كما سيل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء
السبيل قيل المخاطبون في هذه الاية المسلمون يدل على ذلك قوله اخر الاية ومن
يتبدل الكفر بالايمان وهذا انما يصح في حق المسلمين وعن ابن عباس ان المخاطبين اهل
مكة قال ان عبد الله بن امية المخزومي ورهطا من قريش قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا
ذهبا ووسع لنا ارض مكة وفجر الانهار خلالها تفجيرا نومن بك وقال مجاهد لما
قالت قريش هذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وهي كالمايدة لبني اسرائيل

عن الربيع بن انس عن ابي العالية في قوله تعالى ام تريدون
ان تسالوا الاية قال قال رجل يا رسول الله لو كانت كفاراتنا
كفارات بني اسرائيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا نبغيها
ثلاثا ما اعطاكم الله خير مما اعطى بني اسرائيل اذا اصاب احدهم
الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له
خزيا في الدنيا وان لم يكفرها كانت خزيا في الاخرة فما اعطاكم الله خير مما اعطى بني
اسرائيل قال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما وقال الصلوات الخمس من الجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن وقال من هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت
سيئة واحدة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة
وان عملها كتبت له عشر امثالها
ولا يهلك على الله الا هالك
فانزل الله ام تريدون ان تسالوا
رسولكم الاية
ابن جرير
ابن ابي حاتم

ان لم تومنوا عذبتم فابوا ورجعوا وقيل ان عبد الله بن امية المخزومي قال ايتني
بكتاب من السما فيه من رب العالمين الى ابن امية اعلم اني قد ارسلت محمدا الى الناس
والظاهر انها نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد ايتنا بكتاب من السما جملة كما اتى موسى
بالتورية فان هذه السورة مدنية ويصدق هذا قوله يسالك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك ووجه اتصالها بما قبلها
انه لما بين لهم انه مالك الامور ومدبرها على حسب مشيته اراد ان يوصيهم بالثقة
فيما تعبدهم به ونزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه ابا اليهود على موسى
من الاشيا التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة ذلك وام
منقطعة معناه بل تريدون فهو استفهام منقطع بما قبله قال الزجاج معنى الاية
انهم نهوا ان يسالوا رسول الله ما لا خير لهم في السوال عنه والسوال بعد قيام
البراهين كفر لذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان اي ترك الثقة بالايات المنزلة وشك
فيها واقترح غيرها فقد ضل سوا السبيل اي ذهب عن الاستقامة والضلال الذهاب
وسوا السبيل وسطه **قوله تعالى** ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى
ياتي الله بامره ان الله على كل شي قدير نزلت هذه الاية في نفر من اليهود منهم فنحاص بن
عازورا وزيد بن قيس وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة
احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير
لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد
قال فاني عاهدت الله ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا
وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران
اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اي تمنى واراد
كثير من اهل الكتاب لا جميعهم لان من امن منهم القليل كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار
لو يردونكم يا معشر المومنين كفارا حسدا من عند انفسهم يجوز ان يكون من عند انفسهم
متعلقا بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم
ومن قبل شهوتهم لا من قبل الدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين
لهم انكم على الحق وكيف يكون تمنيهم من قبل الحق وان يكون متعلقا بحسدا اي حسدا متبالغا
منبعثا من اصل نفوسهم اي فهذا الحسد مذهب لهم لم يوجروا به من بعد ما تبين لهم الحق
في التورية ان قول محمد صدق ودينه حق فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو
والصفح عن مساوي كلامهم وغل قلبهم حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل قريظة واجلا بني النضير
وفتح خيبر وفدك واذلالهم بضرب الجزية عليهم وقال قتادة بامره بالقتال في قوله
قاتلوا الذين لا يومنون الى قوله وهم صاغرون قوله بما تعملون بصير واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير
لما امر الله تعالى المومنين بالعفو والصفح عن اليهود عقبه الامر بالصلوة والزكوة
تنبيها على انه كما الزمهم صلاح غيرهم بالعفو والصلح لزمهم صلاح انفسهم باقامة

الصلوة وايتاء الزكوة الواجبتين عند ابي عبد الله وقيل
اراد بالخير المال لقوله عز وجل ان ترك خيرا فتحمد المرء والقسمة
في الاخرة مثل احد ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه القليل ولا الكثير
من الاعمال لا يضيع عنده عمل عامل وهذا ترغيب في العمل الصالح
والخير وتحذير من خلافه والعمل السيء والشر في الحديث
اذا مات العبد قال الناس ما خلف قالت الملائكة ما قدم عن انس
ابن مالك قال لما ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل علي ابن ابي طالب عليه السلام الدار وانشا يقول لكل اجتماع

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل
وان افتقادي فاطما بعد احمد ... دليل على ان لا يدوم خليل
يود الفتى ان لا يفارق اهله ... وليس الى ما يبتغيه سبيل

ثم دخل المقابر فقال السلام عليكم يا اهل القبور اموالكم قسمت ودوركم
سكنت ونساؤكم نكحت هذه اخبار ما عندنا فما خبر ما عندكم فهتف به هاتف
وعليكم السلام ما اكلنا ربحنا وما قدمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا

قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن
فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي وقال اهل
الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان
هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا فلف بين القولين
ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي
بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او
نصارى تهتدوا والهود هم اليهود هادوا يهودون هودا اي
تابوا من عبادة العجل قال الفرا اراد يهود فحذف الياء الزائدة
وقال الاخفش الهود جمع هائد كعائذ وعوذ والعوذ من الظباء
والابل والخيل هي الحديثة النتاج توصف بذلك الى عشرة ايام من
وقت نتاجها او خمسة عشر وحائل وحول وبازل وبزل وفاره وفره
قوله الا من كان هودا وحد الاسم حملا على لفظ من وجمع الخبر حملا
على معناه تلك امانيهم اي شهواتهم الباطلة تلك اشارة الى الاماني
المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المومنين من خير من ربهم وامنيتهم
ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة
المذكورة امانيهم ولا يكون اشارة الى قولهم لن يدخل الجنة وحده او اريد
اماني تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه وبعد المشار اليه لعظم
شانها وقيل الامنية الواحدة جمعت اشعارا بانها بلغت منهم كل مبلغ كما قالوا
معا جياعا جمعت لزيادة تاكيد الواحد وابانة زيادتها على نظرائه

وقيل

وقيل انما جمع ليدل على تردد الامنية في نفوسهم وتكررها فتصير
اماني حقيقة وقيل ان الاماني هي الاباطيل والاقاويل وهذه الجملة
اقاويل لانها نفت دخول غيرهم الجنة ودخول النصارى الجنة وهي
اباطيل واقاويل وقوله تلك امانيهم اعتراض وقوله قل هاتوا برهانكم
متصل بقوله لن يدخل الجنة قل هاتوا برهانكم اي هلموا حجتكم اي قرروا
حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا
اهدم شيء لمذهب المقلدين ودليل على ان كل قول لا برهان عليه فهو باطل
قيل هاتوا اصله اتوا قلبت الهمزة هاء وقيل هات صوت بمنزلة ها في
معنى احضر ثم قال تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم بلى اي ليس كما قالوا لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى بلى من اسلم وجهه لله اي
اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وقيل اخلص دينه لله وقيل فوض امره
الى الله وقيل تواضع لله واصل الاسلام الاستسلام والاخضاع والانقياد
وانما خص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بغيره من سائر جوارحه
وهو محسن في عمله وهو ان يعمل كانه يرى الله فان لم يكن يرى الله فانه
يراه وقيل وهو مومن وقيل مخلص فله اجره الذي وعده الله لا اجره الذي
تستوجبه كما قال صاحب الكشاف فان الاجر على العبادات بمقتضى وعد لا باستحقاق
لا نتفاء ان دخول الفاء في قوله فله اجره يدل على ان حصول
الاجر انما هو باستيجاب اسلام الوجه لله على وجه الاحسان لانا نقول
لما كان وعد الله تعالى لا يخلف صار الموعود بسبب الجزم بوقوعه بمثابة
المسبب الذي يمتنع انفكاكه عن السبب فاستعمل استعمال المسبب مجازا لا يقال
هذا عدول عن الظاهر فلا يصار اليه لان الاصل عدمه لانا نقول
يصار اليه اذا دل عليه دليل يقتضي صرفه عن الظاهر وههنا قد دل
الدليل عليه وهو الدليل الدال على ان حصول الاجر على الطاعة لا باستيجابها
اياه بل بمقتضى وعده وقوله من اسلم مبتدا ويكون من متضمنا معنى الشرط
وجوابه فله اجره ويكون جوابا عن سوال مقدر وبيانه ان اهل
الكتاب لما نفوا دخول الجنة عن غيرهم واثبتوا لانفسهم رد عليهم هذا
القول الباطل بلى اي ليس الامر كما تزعمون ثم اتجه لسائل ان يقول فما القول
الحق فقيل من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه يعني الجنة ويجوز ان
يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره
كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وبيانه ان اهل الكتاب لما ادعوا انهم يدخلون
الجنة وان غيرهم لا يدخلونها حيث بنوا كلامهم على النفي والاثبات المفيد للحصر
فقيل لهم بل يدخل غيركم ولما اريد ان يطلعهم على خطائهم في تلك المقالة على
وجه يبعثهم على التفكير وتوخي الصواب ولم يبعد غيرهم الى تحري ما به يفوزون
بالفلاح عاجلا واجلا قال من اسلم وجهه لله وهو محسن اي يدخل الجنة من
اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره واجتنب الشرك الجلي والخفي عقيدة وعملا

وتواطأ ظاهره مع باطنه اخلاصا واحسانا كائنا من كان واذا نظر الزاعمون في
هذا الكلام الذي سلك فيه طريق الانصاف وتفكروا في حال انفسهم وما هم فيه
من مساوي الاعتقاد والاعمال والاقوال وحال المؤمنين واخلاصهم لله ظاهرا
وباطنا وصدقهم في المقال اذعنوا الى الحق ان شاء الله ثم انه تعالى لما اكتفى بهذا
القدر من الجواب بل ضم اليه على وجه التتميم قوله فله اجره عند ربه واطلق
الاجر ليشمل ما لا يدخل تحت الوصف وجعل من عنده مالكهم ومدبر امره الرؤوف
الرحيم واورد فيه ما ينبئ عن حصول الامر التام عاجلا واجلا فقال لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون **قوله تعالى** وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون لما شرع
من قدح اهل الكتاب في غيرهم اتبعه بما يختص بهم وبما منهم من القدح ولما
جمعهم في الخلال الاول فصلهم في هذه ونزلت هذه الاية في يهود المدينة ونصارى نجران
روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار
اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقال لهم اليهود ما انتم على شيء من الدين
وكفروا بعيسى والانجيل وقالت لهم النصارى ما انتم على شيء وكفروا بموسى
والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة قال صاحب
الكشاف لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق الشيء على ما
عليه اليهود او النصارى فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا
كقولهم اقل من لا شيء قيل لا يصح قول صاحب الكشاف على مذهب اهل السنة ولا
المعتزلة لان الاباطيل التي يستحيل وجودها لا تسمى شيئا اتفاقا اعلم ان اهل
السنة يقولون المعدوم ليس بشيء في الخارج اي ليس له ثبوت في الخارج والمعتزلة
يقولون المعدوم الممكن شيء في الخارج اي ثابت فيه واتفقوا على ان المحال
ليس بثابت في الخارج ولا يقولون ان المحال والمعدوم لا يسمى شيئا فان المحال
والمعدوم يحكم عليهما وكل ما يحكم عليه يكون متصورا لامتناع الحكم على ما لا يتصور
اصلا واذا كان كذلك يصح اطلاق اسم الشيء عليه ولا يكون مخالفا لمذهب
اهل السنة والمعتزلة قوله وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام في الكتاب
للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة
او الانجيل او غيرهما من كتب الله وامن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد
من الكتابين مصدق للاخر شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق
بعضها بعضا فدل بهذا على ضلالتهم ثم بين ان سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في
الانكار لدين الله من مشركي العرب وغيرهم فقال كذلك قال الذين لا
يعلمون مثل قولهم اي مثل ذلك القول الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال
الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم
قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم

مع

مع علمهم في سلك من لا يعلم فعلى هذا الكاف في قوله كذلك في موضع رفع
بالابتداء او الجملة بعده اي قوله قال الذين لا يعلمون خبره والضمير
العائد الى المبتدأ محذوف اي قاله الذين لا يعلمون ومثل قولهم
صفة مصدر محذوف او مفعول ليعلمون والمعنى مثل قول اليهود والنصارى
قاله الذين لا يعلمون اعتقاد اليهود والنصارى ويجوز ان يكون الكاف
في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف منصوب بقال وهو مصدر مقدم
على الفعل التقدير قولا مثل قول اليهود والنصارى قال الذين لا يعلمون
فعلى هذا مثل قولهم منصوب بيعلمون على انه مفعول به وفي التشبيه مبالغة
نحو قوله تعالى انما البيع مثل الربوا وقيل الذين لا يعلمون اباؤهم الذين مضوا
قاله مقاتل لا يعلمون مشركو العرب لذلك قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه ونقل عن عطا انه قال الذين لا يعلمون امم قبل اليهود والنصارى
مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في نبيهم انه ليس على
شيء قوله فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى خص اليهود والنصارى
لان المراد توبيخهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم شيئا فالواجب
تقديرهم خاصة والدليل عليه الفاء في قوله تعالى فالله يحكم بينهم وايقاع لا يعلمون
على مثل قولهم يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي وعدهم به
وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار **قوله تعالى** ومن اظلم
ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم
قال ابن عباس نزلت هذه الاية في ططوس الرومي واصحابه من النصارى وذلك
انهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة
وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان
خرابا الى ان بناه المسلمون في ايام عمر بن الخطاب وقال قتادة والسدي
نحو بخت نصر واصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس واعانهم على ذلك النصارى
ططوس الرومي واصحابه من الروم من اجل انهم قتلوا يحيى بن زكريا وقيل
نزلت في مشركي اهل مكة ومنعهم رسول الله واصحابه من ذكر الله تعالى في المسجد
الحرام وقيل نزلت في الذين صدوا رسول الله عن المسجد الحرام حين
ذهب اليه من المدينة عام الحديبية واستشهد بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام وقوله وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام
وقيل لما حولت القبلة الى الكعبة شق على اليهود فكانوا يمنعون الناس من الصلوة
عند توجههم الى الكعبة ويسعون في تخريب الكعبة بان حملوا بعض الكفار على
تخريبها وسعوا ايضا في تخريب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا
يصلوا فيه متوجهين الى الكعبة فعابهم الله تعالى بذلك ومن سوء طريقتهم فلهذه
وهذا الوجه اقرب الى رعاية النظم فان المذكور في الايات السابقة
مقابح افعال اليهود والنصارى فكيف يليق في هذه الاية ان يحملوا ان

يكون المراد منها قبايح افعال المشركين في صدهم عن المسجد الحرام واما وجه اتصال
هذه الاية بما قبلها فمن حملها على النصارى وخراب بيت المقدس قال تتصل بما قبلها من حيث
ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة فقط فقيل لهم كيف تكونون كذلك قال
الذين لا يعلمون مثل قولهم فوجه الذم في هذه الاية الى المشركين ومن اظلم
اي اكفر واعتا ممن منع مساجد الله ان يذكر في محل النصب بان يكون مفعولا ثانيا لقوله
منع لان المنع يتعدى الى مفعولين يقال منعته كذا ومنه قوله وما منعنا ان نرسل بالايات وما منع
الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ويجوز نصبه بان يكون مفعولا له
تقديره على الاول فمن اظلم ممن منع مساجد الله لذكره وعلى الثاني منع مساجد الله كراهة ان
يذكر وهذا الحكم عم جنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم فان قلت
فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس
او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجي الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول
لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين وكما قال تعالى ويل لكل همزة
لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر وتخريب
البنيان وينبغي ان يراد من منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا
باعيانهم من اوليك النصارى او المشركين اوليك المانعون ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا
مساجد الله الا خايفين حال البهت وارتعاد الفرايص من المومنين ان يبطشوا
بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المومنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب
الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم
وثبت في اللوح ان الله ينصر المومنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خايفين روي انه
لا يدخل بيت المقدس من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا
يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة
وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام
مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقد اختلف الفقها في دخول الكافر
المسجد فجوزه ابو حنيفة مطلقا ولم يجوزه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين
المسجد الحرام وغيره وقيل ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين خبر في معنى
النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه اي اجهضوهم بالقتال كي لا
يدخلها احد منهم من القتل والسبي لقوله تعالى وما كان لكم ان توذوا
رسول الله قوله لهم في الدنيا خزي اي عذاب وهوان وقال قتادة
هو القتل للحربي والجزية للذمي وقيل فتح مداينهم الثلاث قسطنطينية وعمورية
ورومية قال السدي اذا قام المهدي فتحت قسطنطينية فتقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم
فذلك خزيهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو النار روي عن ابي هريرة
قال لا تقوم الساعة حتى تفتح مدينة هرقل ويؤذن المؤذنون فيها ويقتسم
المال فيها بالترسة فيقبلون باكثر اموال راها الناس قط فبيناهم كذلك اذا تاهم
صريخ ان الدجال قد خلفكم في اهاليكم فيلقون ما في ايديهم ويجيونه فيقاتلونه
قوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم

اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فالاكثرون انها نزلت في امر مختص بالصلوة والاقلون
انها نزلت فيما لا تعلق بالصلوة والاول اقوى لانه المروي عن الصحابة والتابعين ثم اختلف
هولا فذهب فريق الى انه تعالى اراد تحويل المومنين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة
فبين تعالى ان المشرق والمغرب وجميع الاقطار والجهات مملوكة له سبحانه ومخلوقة له
فاينما امركم الله باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى
جعلها قبلة فان جعل الكعبة قبلة فلا تنكروا ذلك فانه يدبر عباده كيف يشا فانه تعالى
واسع الرحمة عليم بالمصالح فكانه تعالى ذكر ذلك بيانا لجواز نسخ القبلة من جانب الى جانب
اخر فيصير ذلك مقدمة لما كان يريد تعالى من نسخ القبلة وقال ابن عباس لما تحولت
القبلة من بيت المقدس انكرت اليهود ذلك فنزلت الاية ردا عليهم وقيل ان اليهود والنصارى
كل واحد منهم قال ان الجنة له لا لغيره فرد الله عليهم بهذه الاية لان اليهود انما استقبلوا بيت
المقدس لانهم اعتقدوا ان الله تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا
المشرق لان عيسى ولد هناك على ما حكى الله ذلك في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ
انتبذت من اهلها مكانا شرقيا وكل منهما وصف معبوده بالحلول في المكان ومن
كان كذلك فهو مخلوق لا خالق فكيف تخلص لهم الجنة فهم لا يفرقون بين الخالق والمخلوق
وقال قتادة ان الله تعالى نسخ بيت المقدس بالتخيير الى اي جهة شاوا بهذه الاية
فكان للمسلمين ان يتوجهوا الى حيث شاوا في الصلوة الا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يختار التوجه الى بيت المقدس مع انه كان له ان يتوجه حيث شا ثم نسخ ذلك بتعيين
الكعبة فان له ان يستقبلها من اي جهة شا وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزاة في ليلة سودا مظلمة فنزلنا منزلا ولم نعرف القبلة فجعل
الرجل ياخذ الاحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما اصبحنا اذا نحن صلينا الى غير القبلة
فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه الى غير القبلة فانزل الله تعالى هذه الاية وهذا
الحديث يدل على انهم كانوا اقل نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة وبعد
تحويل القبلة وقال ابن عمر نزلت هذه الاية في صلوة المسافر يصلي حيثما توجهت
به راحلته تطوعا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته جاييا من مكة الى
المدينة وقال عكرمة نزلت في تحويل القبلة لما حولت الى الكعبة انزل الله تعالى
ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله اي فاينما تولوا وجوهكم ايها المومنون
في سفركم وحضركم فثم وجه الله اي جهة الله التي وجهكم اليها فاستقبلوها يعني
الكعبة وقال ابو العالية لما صرفت القبلة الى الكعبة عيرت اليهود المومنين في انصرافهم
من بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه الاية جوابا لهم وقال عطا وقتادة نزلت في النجاشي
قد مات فصلوا عليه فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي على رجل
مات وهو الى غير قبلتنا وكان النجاشي يصلي الى البيت المقدس حتى مات فانزل الله هذه
الاية وقال مجاهد والحسن والضحاك لما نزلت قوله تعالى ادعوني استجب لكم
قالوا اين ندعوه فنزلت ولله المشرق والمغرب ملكا وخلقا فاينما تولوا تحولوا وجوهكم
فهناك وجه الله قال الكلبي والقتيبي معناه فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله
تعالى يريدون وجه الله اي يريدونه بالدعا وقوله كل شي هالك الا وجهه

وقيل ان الاية في حق من اشتبه الكعبة

اى الامو قوله ويبقى وجه ربك اى يبقى ربك وقوله انما نطعمكم لوجه الله اى لله ه
وقال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة ومقاتل فثم قبلة الله اضافها الى نفسه
تخصيصا وتفضيلا كما يقال رسول الله وناقة الله والوجه والجهة والوجهة القبله
ان الله واسع المغفرة لا تتعاظم مغفرته ذنب والواسع الغنى يقال فلان يعطى من
سعة اى من غنى قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته وقال الفرا الواسع
الجواد الذى يسع عطاه كل شى وقيل الواسع العالم الذى يسع علمه كل شى قال
الله عز وجل وسع كرسيه السموات والارض اى علمه عليم بنياتهم حيثما صلوا قال
بعض السلف دخلت ديرا فجاوقت الصلوة فقلت لبعض من فى الدير من النصارى
دلنى على بقعة طاهرة اصلى فيها فقال لى طهر قلبك عما سواه وقف حيث شئت قال فخجلت منه
والاقرب انها لما حولت القبلة الى الكعبة كان اليهود يمنعون الناس من الصلوة عند
توجههم الى الكعبة ويسعون فى تخريب الكعبة بان حملوا بعض الكفار على تخريبها وسعوا
ايضا فى تخريب مسجد الرسول فعابهم تعالى على ذلك بقوله ومن اظلم ممن منع
مساجد الله الاية ثم وسع الامر ويسر عليهم فنزلت هذه الاية اى بلاد المشرق والمغرب
كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا اى فى اى مكان فعلتم التوليه اى تولية وجوهكم
شطر الكعبة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله اى جهته التى امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا
فى المسجد الحرام او فى بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا فى اى
بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التوليه فيها فان التوليه ممكنه فى كل مكان لا تختص
امكانها فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون مكان قوله تعالى وقالوا اتخذ
الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون بديع السموات
والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون هذا من قبايح افعال
اليهود والنصارى والمشركين قرا ابن عامر قالوا بغير واو على الاستيناف كان سايلا
سال هل انقطع حبل افترايهم على الله او اشتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا اعظم
من ذلك وهو نسبة الولد الى الله سبحانه وقرا الباقون وقالوا بالواو معطوفا
على قوله وقالت اليهود وضمير الجمع فى قالوا عايد على اليهود والنصارى والمشركين
فان اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون قالوا الملايكة
بنات الله قوله سبحانه كلمة تنزيه نزه بها ذاته عما قالوه ثم احتج على هذا التنزيه
بقوله بل له ما فى السموات والارض هو خالقه ومالكه وعزير والمسيح والملئكة من
جملته كل له اى كل ما فى السموات والارض منقادون له لا يمتنع شى منهم على تكوينه
وتقديره ومشيته ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد لكن تقرير هذا المعنى
هو انه تعالى عم جميع الخلق بقوله ما فى السموات والارض واذا كان
سوق الكلام فيمن جعل لله ولدا لقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا اتى بما
لاولى العلم غير اولى العلم للاعلام بان عزيرا والمسيح والملايكة فى غاية البعد عن
معنى الربوبيه وفى نهاية النزول الى معنى العبوديه اهانة بهم وتنبيها
على اثبات مجانستهم للمخلوقات المنافيه للالوهيه ثم ثنى بتغليب العقلا

ع

على غيرهم فى قوله كل له قانتون ايذانا بان كل ما فى السموات والارض فى التسخير والانقياد
بمنزلة المطيع المنقاد الذى يومر فيمتثل لا يتوقف عن الامر ولما كان القصد فى الايراد الى نفى اتخاذ الولد ان
العقلا انخرطوا فى سلك وسط هذا السلك انخراطا اوليا ايذانا بان من كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد
ان يكون من جنس الوالد ويجوز ان يراد بقوله كل له قانتون كل من جعلوه ولدا لله له قانتون مطيعون عابدون مقرون
بالربوبيه قايمون بالشهاده منكرون لما اضيف اليهم وحينيذ لا يكون ما فى السموات عاما بل يجرى للعقلا بارادة الوصفيه
التى هى المملوكيه والمخلوقيه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جا بما الذى لغير اولى العلم مع قوله قانتون الذى لاولى العلم
قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا اى سبحان الملك القادر الذى سخركن لنا لجلال ملكوته وتمام قدرته وعظمته
فانه ليس من شانكن ان تكن مسخرات لفرط الدهاء والمكر وكانه جا بما فى قوله له ما فى السموات دون من تحقيرا لهم وتصغيرا
لشانهم كقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لهذه العلة سماهم جنة وهم ملايكة مكرمون لانهم جعلوا بين الله وبين
الجنة نسبا والفرق بين الوجهين ان التحقير فى الاول يعلم من نفس قوله تعالى له ما فى السموات بطريق الكنايه والتسخير من قوله
كل له قانتون لا بطريق الكنايه وفى الثانى بطريق التصريح قوله بديع قال الواحدى البديع الذى ابتدع
الاشيا اى احدثها مما لم يكن وبديع بمعنى مبدع قال ابو اسحق الزجاج بديع السموات والارض منشيها على غير مثال وكل
من انشا ما لم يسبق اليه فقد ابدع ولهذا قيل لمن خالف السنه مبتدع لانه احدث فى الاسلام ما لم يسبق
اليه السلف قال صاحب الكشاف يقال بدع الشى فهو بديع كقولك نزع الرجل فهو نزيع اى ظريف
وحسن فهو ظريف وبديع السموات من اضافة الصفه المشبهه الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه
وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع فى قول عمرو ابن ريحانه الداعى السميع بمعنى المسمع
وفيه نظر لجواز ان يكون السميع فى البيت بمعنى السامع على انه شاذ قوله واذا قضى القضا فى الاصل
القطع يقال قضى القاضى لفلان على فلان لانه قطع للدعوى ولهذا قيل حاكم فيصل اذا كان
قاطعا للخصومات وحكى الانبارى عن اهل اللغة انهم قالوا القاضى معناه القاطع للامور
وقولهم قضى حاجته معناه قطعها عن المحتاج ودفعها عنه والقضا فى القران يجى على
وجوه احدها بمعنى الخلق قال الله تعالى فقضاهن سبع سموات اى خلقهن وثانيها
بمعنى الامر قال الله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وثالثها الاخبار قال الله تعالى
وقضينا الى بنى اسرايل فى الكتاب اى اخبرناهم ورابعها الفراغ قال الله فلما قضى
ولوا الى قومهم منذرين يعنى لما فرغ من ذلك وقال تعالى وقضى الامر واستوت
على الجودى يعنى فرغ من اهلاك الكفار اذا عرف هذا فقوله فاذا
قضى امرا اى قدره واراد خلقه والمراد بالامر ههنا الفعل والشى قوله فانما يقول
له كن فيكون من كان التامه اى احدث فيحدث قرا ابن عامر فيكون بالنصب
على جواب الامر باعتبار ظاهر اللفظ والباقون بالرفع بالعطف على يقول ومثله
يوم ياتيهم العذاب فيقول او بالاستيناف والمعنى فهو يكون لان الكلام تم عند
قوله كن ثم قال فيكون ما اراد الله قال صاحب الكشاف لا قول ثم اى حال الايجاد
كما لا قول فى قول الشاعر اذا قالت الانساع للبطن الحق قدما فاضت كالفنيق المحنق الانساع
جمع النسعة وهى التى تنسج عريضا للتصدير الحق امر من لحق بالكسر لحوقا اى صير ما
بطن لاحقا بالصلب للهزال من الكرم والمحنق من التحنيق وهو الخفة قال الجوهرى
معنى قدما لم تعرج ولم تنثن يعنى سريعا بل هذا مجاز من الكلام وتمثيل اى وارد على
سبيل الاستعارة التمثيليه وانما المعنى انه ما قضاه من الامور واراد كونه يتكون ويدخل تحت

الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون
منه الاباء فيقول افعل كذا فيمتثل ثم استعير لهذه الحالة ما كان مستعملا في تلك الحالة فاذا الاقوال
ثمة الكن مهيدا استبعادا للولادة فان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لحال الاجسام
في توالدها **قوله تعالى** وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من
قبلهم مثل قولهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون قال الحسن وقتادة هم الجهلة من المشركين وقيل
من اهل الكتاب قال ابن عباس هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ونفى عنهم العلم لانهم
لم يعملوا به لولا هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا وعتوا وقيل قال مشركو العرب
لمحمد صلى الله عليه وسلم لا نؤمن لك حتى يكلمنا الله انك رسوله او تأتينا آية مثل الآيات التي اتت بها
الرسل جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها لذلك قال الذين من قبلهم يعني كفار الامم
الخالية اعلم الله ان كفرهم في التعنت وطلب الآيات على اقتراحهم ككفر الذين من قبلهم في قولهم لموسى ارنا
الله جهرة وما اشبهه تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والكفر والقسوة ومسالة
الحال لقوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قد بينا الآيات لقوم يوقنون ينصفون ويطلبون
الحق فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها نحو
المسلمين ومن لم يعاند من علماء اليهود لان القرآن بيانها كاف شاف **قوله تعالى** انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم لما قال قد بينا الآيات لقوم يوقنون او ضح
الآيات فقال انا ارسلناك بالحق قال ابن عباس الحق القرآن لقوله حتى جاءهم الحق وقوله
بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقال ابن كيسان الحق هنا الاسلام نحو قوله وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا والباء في قوله بالحق بمعنى مع لقوله قد دخلوا بالكفر وهم
قد خرجوا به والحق والصدق اعتبر فيهما مطابقته لما في نفس الامر ومطابقة الشيء للشيء من
الجانبين اي كما ان هذا مطابق لذاك فذاك مطابق لهذا فاذا اعتبر مطابقته لما في نفس الامر
ومطابقة الشيء للشيء من الجانبين اي كما ان هذا مطابق لذاك فذاك مطابق لهذا فهو الصدق وان
اعتبر مطابقة ما في نفس الامر له فهو الحق فاعتبر في المرسل به مطابقة ما في نفس الامر له على معنى انه الاصل
في المطابقة مبالغة في حقيته قوله بشيرا ونذيرا هو فعيل بمعنى فاعل من بشر يبشر بشرا بمعنى مبشرا ونذيرا
اي منذرا يعني مخوفا محذرا كالبديع بمعنى المبدع اي ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على
الايمان فهو قصر وادى وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه اي اكشاف عنه لانه صلى الله
عليه وسلم كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر قوله ولا تسأل قراءة غير نافع بضم التاء
والرفع على الخبر ونافع بفتح التاء والجزم على النهي اما الرفع فعلى وجهين احدهما انه استيناف كانه قيل ولا
ولا نسألك يا محمد عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم لقوله تعالى
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وثانيهما انه حال اي ارسلناك غير مسؤول عن اصحاب الجحيم
واما الجزم فاما ان يجري النهي على ظاهره والمخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى الله تعالى
الرسول عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم واما ان يكون
النهي لتعظيم ما وقع فيه اصحاب الجحيم من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال
لك لا تسأل عنه والمخاطب كل من يأتي منه السؤال ووجه التعظيم اما عائد الى المسؤول اي المسؤول يحترز
ان يجري على لسانه البلية التي هو فيها لفظاعتها فلا تسأله ولا تكلفه ما لا يضجره واما عائد الى السائل
اي انت يا سائل لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السائل واضجاره فلا تسأل والجحيم النار العظيمة المتلظية

يتار

يقال جحمت النار بجحم جحوما فهي جاحمة وجحيم **قوله تعالى** ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل
ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير
قال المفسرون كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه
ويرونه انه ان هادنهم وامهلهم اتبعوه ووافقوه فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس هذا في القبلة
وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون ان يصلي النبي صلى الله عليه وسلم الى قبلتهم فلما صرف
الله القبلة الى الكعبة شق ذلك عليهم وايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى هذه
الآية اتصالها بما قبلها انه لما بين في الآية المتقدمة اصرارهم وتصميمهم على الكفر والتكذيب
مع تبيين الآيات الدالات على حقية الاسلام ودين الاسلام عقب ذلك بانه بلغ حالهم
في تشديدهم وثباتهم على كفرهم انهم يريدون مع ذلك ان تتبع ملتهم اي كانهم قالوا لن
نرضى عنك وان ابلغت في ابتغاء رضانا حتى تتبع ملتنا اي ديننا وقبلتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى
على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى
بالحق وهو الذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما
يدعون الى اتباعه ليس بهدى وانما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت
اهواءهم اي ملتهم اي اهواءهم وبدعهم بعد الذي جاءك من العلم بان دين الله الاسلام بالبراهين الصحيحة
وان القبلة هي الكعبة التي هي قبلة ابراهيم ما لك من الله من ولي ولا نصير اي معين يعصمك
ويذب عنك بل الله يعصمك من الناس اذا اقمت على الطاعة والاعتصام بحبله وفي الآية مبالغات
اما المبالغات فمنها اضافة الهدى الى الله تعالى ومقارنته بان واعادة الخبر نحو
انا ابو النجم وشعري شعري وتسمية الدين بالهدى لجميعه جوابا عن قولهم ملتنا وجعله مصدرا
وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر بلام الجنس واما الدلالات فمنها ان من علم الله منه
انه لا يفعل الشيء يجوز ان يتوعده على فعله فان الله علم انه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم ومع ذلك
فقد توعده عليه ومنها ان قوله تعالى من بعد ما جاءك من العلم يدل على انه لا يجوز الوعيد
الا بعد نصب الادلة ولان صح ذلك فبان لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة وان صح ذلك
فبان لا يجوز الوعيد الا بعد القدرة اولى فيبطل به قول من يجوز تكليف ما لا يطاق
ومنها ان اتباع الهوى لا يكون الا باطلا فيدل على بطلان التقليد **قوله تعالى**
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون
نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة
وكانوا من اهل الكتاب آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال
الضحاك نزلت في مؤمني اليهود مثل عبد الله بن سلام وغيره لما ذكر
المتعنتين الحاسدين الطالبين الرياسة ذكر ان من كان من اهل الكتاب
غير متعنت ولا حاسد ولا طالب رياسة يتلون الكتاب حق تلاوته لا يحرفونه عن مواضعه
ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلون حلاله ويحرمون
حرامه ويتبعونه اتباعه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون علم ما اشكل عليهم الى عالمه
اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر بالكتاب من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الضلالة بالهدى **قوله تعالى** يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني

فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون

قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما
قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين لما استقصى الله فى بيان وجوه نعمه على
بنى اسرايل ثم بيان قبايحهم فى اديانهم وختم هذا الفصل بما به مبدا وهو قوله
يابنى اسرايل اذكروا نعمتى التى الى قوله ولاهم ينصرون شرع فى نوع اخر من
البيان وهو ان ذكر قصة ابرهيم وكيفيه احواله والسر فيه ان ابرهيم يعترف
بفضله جميع الطوايف اهل الملل والمشركون فحكى الله عن ابرهيم امورا توجب على المشركين
وعلى اليهود وعلى النصارى الايمان به والاعتراف برسالته قوله واذا ابتلى الابتلا
الاختبار والامتحان قال صاحب الكشاف اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار
احد الامرين كما يريد الله ومايشتهيه العبد كانه يمتحنه مايكون منه حتى يجازيه
على حسب ذلك يعنى مكن الله تعالى ابرهيم على الفعل والترك وان يختار ايهما شا قوله ما
يريد الله ومايشتهيه العبد على قاعدة الاعتزال من ان افعال العباد باختيارهم فان
كان الفعل حسنا اراده الله تعالى وان كان قبيحا لايريده والابتلا فى الشاهد لاستفادة
علم خفى على الممتحن من الممتحن وذلك غيرجايز فى حق الله لان الله تعالى عالم بالمعلومات
التى لانهاية لها من الازل الى الابد يعلم السر واخفى يعلم خاينة الاعين وماتخفى الصدور
ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السما فالابتلا من الله تعالى يعود الى علامه
لا الى استعلامه قيل الابتلا فى الاصل التكليف بالامر الشاق من الابتلا الذى هو بمعنى
ايصال المكروه لان البلا الذى هو الامتحان فان البلا عند تطلق على ثلاثة معان الامتحان
وايصال المكروه وايصال النعمة وابرهيم غير منصرف للعجمة والتعريف قرا ابن عامر
ابراهام بالالفين وقرا الباقون بالف قبل الها وبيا بعدها والعامل فى اذ اما
مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلى كان كيت وكيت واما قال انى جاعلك فعلى
الاول موقعه استيناف كانه قيل فماذا قال ربه حين اتم الكلمات فقيل قال انى
جاعلك للناس اماما وعلى الثانى جملة معطوفة على ماقبلها فيكون قال فى التقدير
مقدما على اذ رتبة لانه عامله وموخرا عن حرف العطف والجملة معطوفة على
جملة قبلها وهى قوله يابنى اسرايل ويجوز ان يكون قال بيانا لقوله ابتلى والعامل
فى اذ اذكر قوله بكلمات قيل انها عشر خصال خمس فى الراس وخمس فى الجسد فالتى
فى الراس الفرق والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك والتى فى الجسد
تقليم الاظفار وحلق العانة والختان والاستنجا ونتف الابط عن ابن عباس
اوحى الله الى ابرهيم ياخليلى تطهر فتمضمض فاوحى الله اليه ان تطهر فاستاك
فاوحى الله اليه ان تطهر فاخذ من شاربه فاوحى الله اليه ان تطهر ففرق شعره
فاوحى الله اليه ان تطهر فاستنجى فاوحى الله اليه ان تطهر فحلق عانته فاوحى الله اليه
ان تطهر فقلم اظفاره فاوحى الله اليه ان تطهر فاقبل بوجهه على ساير جسده ينظر
ماذا يصنع فاختتن بعد عشر ومايه سنة روى البخارى ومسلم عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابرهيم بالقدوم وهو ابن ثمانين سنة عن
سعيد بن المسيب عن ابى هريرة انه قال اختتن ابرهيم النبى بالقدوم وهو ابن
عشرين ومائة سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وكان ابن المسيب يقول كان

ابرهيم

ابرهيم اول الناس اضاف الضيف واول الناس اختتن واول الناس
قص شاربه وقلم اظفاره واستحد واول الناس راي الشيب فلما راه
قال يارب ماهذا فقيل له هذا الوقار قال يارب فزدنى وقارا
وقيل ابتلاه من شرايع الاسلام بثلاثين سهما عشر فى براءة التائبون
العابدون وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر فى المومنون
وسال سايل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هى مناسك
الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والتعريف اى الوقوف بعرفه
وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح
ولده والنار والهجرة وقيل هى الايات التى بعدها فى قوله انى جاعلك من
الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام الذى هو قبل الامامه
وقيل هى قول ابرهيم واسمعيل اذ يرفعان القواعد من البيت ربنا تقبل منا
ورفعاها بسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل هو محاجته
قومه قال الله تعالى وحاجه قومه الى قوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه
وقيل هى قوله الذى خلقنى فهو يهدين الى اخر الايات وقيل ان الله تعالى
ابتلاه فى ماله وولده ونفسه وقلبه فسلم ماله الى الضيفان وولده الى القربان
وقلبه الى الرحمان فاتخذه خليلا وقيل هى سهام الاسلام وهى عشرة شهادة
ان لا اله الا الله وهى الملة والصلاة وهى الفطرة والزكوة وهى الطهرة
والصوم وهو الجنة والحج وهو الشريعة والغزو وهو النصرة والطاعة
وهى العصمة والجماعة وهى الالفة والامر بالمعروف وهو الوفا والنهى عن
المنكر وهى الحجة قوله فاتمهن اى قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية
من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذى وفى والامام اسم من يوتم
به على زنة الاله كالازار لما يوتزر به اى ياتمون بك فى دينهم اصله من
الام القصد قال ابرهيم ومن ذريتى عطف على الضمير المخاطب الذى اضيف
اليه جاعل كانه قال وجاعل بعض ذريتى ويقال لمثل ذلك عطف على التلقين كانه
يلقنه بان يقول كذا كما يقال لك ساكرمك فتقول وزيدا واصل الذرية
الاولاد الصغار مشتق من الذر لكثرته وقيل من الذرء وهو الخلق بحذف
الهمزة وادخل التشديد عوضا من الهمزة وموضع قال على الاستيناف كانه
قيل فماذا قال ابرهيم حين قال له ربه انى جاعلك للناس اماما فقيل قال ومن
ذريتى اى نفسى منقادة مطاوعة لاتتابى عن امرك للامامة التى تفضلت بها على
وجعلتنى اهلا لها فاجعل ايضا بعض اولادى ايمة يقتدى بهم قوله قال لاينال
عهدى الظالمين موقع قال ايضا على الاستيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين
قال ابرهيم ومن ذريتى فقيل قال لاينال عهدى الظالمين قيل العهد عهد الامامة
المذكور فيما قبل اى من كان ظالما من ذريتك لاينال له استخلافى وعهدى اليه بالامامة وانما
ينال عادل برى من الظلم قالوا وفى هذا دليل على ان الفاسق لايصلح للامامة قال
صاحب الكشاف وكيف يصلح لها من لايجوز حكمه وشهادته ولاتجب طاعته ولايقبل

خبر ولا تقدم للصلوة وكان ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي وحمل
المال عليه والخروج معه على اللص المتغلب المسمى بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه
وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل
فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا ان ابنا مسجدا وارادوني
على عد آجره ما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة
والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب
ظلم ومن زعم ان الامامة لا تثبت الا بالنص تمسك بهذه الاية وانه صلى الله عليه وسلم انما
صار اماما بسبب التنصيص على امامته وهذا ضعيف لان المراد بالامامة هاهنا النبوة ولئن
سلم ان المراد بها مطلق الامامة ولكن الاية تدل على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع
فيه انما النزاع في انه هل تثبت الامامة بغير النص وليس في هذه الاية تعرض له لا بالنفي ولا
بالاثبات والروافض احتجوا بهذه الاية على القدح في امامة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
لانهما قبل البعثة ظالمان ولا ينالهما العهد والجواب ان الاسلام يجب ما قبله ولا يبقى
للشرك والكفر قبل البعثة اثر **قوله تعالى** واذ جعلنا البيت مثابة للناس المثاب والمثابة
مصدران لقولهم ثاب يثوب اذا رجع والمراد هاهنا الموضع الذي يثاب اليه اي مثابة
مرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه
وامثالهم قال ابن عباس معادا ومرجعا لا يقضون منه وطرا كلما اتوه وانصرفوا
اشتاقوا اليه قوله وامنا اي مامنا موضع امن لقوله حرما امنا لان من سكن فيه امن من خطف
الناس ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض اليه فيامن حتى يخرج واسند امنا الى البيت
مبالغة قال ابن عباس من دخله كان امنا فمن احدث حدثا خارج الحرم ثم لجا اليه امن
ان يهاج فيه ولكن لا يووى ولا يخالط ولا يبايع فاذا خرج منه اقيم عليه الحد فيه
وهذا مذهب ابي حنيفة وهو ان الجاني اذا لاذ بالحرم امن ومذهب الشافعي انه لا يامن
بالالتجاء اليه ويستوفي منه ما وجب عليه في الحرم لان حق القصاص على الفور فلا يوخر واما في
المسجد الحرام وفي ساير المساجد فلا يستوفي فيه ويخرج الجاني من المسجد الحرام وغيره
من المساجد للاقتصاص وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل ابيه في الحرم فلا يتعرض له
وهذا شي كانوا توارثوه من دين اسمعيل فبقوا عليه الى ايام النبي صلى الله عليه وسلم
فاليوم من اصاب في الحرم حدا اقيم عليه الحد بالاجماع قوله واتخذوا قرا نافع
وابن عامر بفتح الخاء على الخبر بلفظ الماضي ويدل ان الذي قبله والذي بعده خبر على لفظ
الماضي وهو قوله وجعلنا وعهدنا فيكون عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم
الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها والباقون بالكسر على الامر
على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار
والاستحباب لا الوجوب **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقام بالمقام فقال
عمر يا رسول الله اليس هذا مقام ابينا ابرهيم قال بلى قال عمر اولا نتخذه مصلى يريد افلا
نوثره لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم قال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت واتخذوا وعن انس قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت
مقام ابرهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله انه يدخل

عليك

عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فانزل الله اية الحجاب قال وبلغني
شي كان بين امهات المومنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم قال فدخلت عليهن فجعلت استقراهن واحدة واحدة
قلت والله لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ليبدلن الله له ازواجا خيرا منكن حتى
اتيت على زينب فقالت يا عمر ما كان في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت فانزل
الله عز وجل عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن امروا بالصلوة عنده
ولم تومروا بمسحه ولا تقبيله وقيل مصلى مدعى والمقام لغة موضع القدمين حيث يقوم
عليه الانسان ومقام ابرهيم هو الحجر الذي فيه اثر قدمي ابرهيم وعن انس قال رايت
المقام وفيه اصابعه واخمص قدميه والعقب غير انه اذهبه مسح الناس بايديهم وعن
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت سبعا وصلى
خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر الله له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت وعنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ
عمد الى مقام ابرهيم فصلى فيه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعن عبد الله
بن عمرو بن العاص انه قال اشهد بالله اشهد بالله اشهد بالله لسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما
طمس لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب وعن ابن عباس انه قال ما في الارض من الجنة
الا الركن والمقام وانهما جوهرتان من جواهر الجنة ولولا مسهما من الشرك ما مسهما ذو عاهة
الا شفاه الله وعن عطا مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لان ابرهيم قام في هذا
الموضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم واسمعيل اي امرناهما واوصينا اليهما
ان طهرا بيتي بان طهرا او اي طهرا مفسرة من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحايض
كلها واخلصاه للطايفين والعاكفين والركع السجود لا يغشه غيرهم قيل الطايفون من اعراه
من بلد غيره والعاكفون اهل البلد والركع السجود اهل الصلوة وقيل اذا كان طايفا فهو من
الطايفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز
ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القايمين في الصلوة كما قال للطايفين والقايمين والركع
السجود والمعنى للطايفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيات المصلي **قوله**
تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم
بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبيس المصير اي
اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا آمنا كل موضع من الارض عامرا وعمارا مسكونا او خال
بلد او القطعة منه بلدة امنا اي ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نايم
وعن ابن عباس يريد حراما محرما لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه قوله وارزق
اهله من الثمرات اي انواع حمل الاشجار من اي نوع كان فاستجاب الله دعا ابرهيم
في المسلمين جميعا وذكر المفسرون ان الله بعث جبريل الى الشام حتى اقتلع الطايف من موضع
الاردن ثم طاف بها حول الكعبة فسميت الطايف ثم انزلها تهامة ومنها يجبى الى مكة الثمرات
قوله من آمن منهم بدل من اهله بدل البعض عن الكل اي وارزق المومنين من اهله
خاصة وانما خص ابرهيم المومنين بطلب الرزق لان الله تعالى ادبه بقوله لا ينال
عهدي الظالمين فتوهم انه كما لا ينال عهده الا اذا كانوا مومنين كذلك لا يرزق اهل

مكة الا ان يكونوا مومنين فقال الله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا وهو عطف على من آمن كما عطف
ومن ذريتي على الكاف في جاعلك قال صاحب الكشاف فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله وسلامه
عليه المومنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف
استرعا يختص بمن ينصح وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون
استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان
يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله تعالى فامتعه جوابا للشرط اى ومن كفر
فانا امتعه قرا ابن عامر فامتعه بضم الالف وسكون الميم من الامتاع والباقون بالتشديد
من التفعيل وعليه التنزيل لقوله يمتعكم متاعا حسنا متعناه متاع الحيوة الدنيا ومتعناهم
الى حين وافعل قد يكون بمعنى فعل نحو فرحته وافرحته ونزلته وانزلته ومعنى
قليلا اى زمانا قليلا يعني مدة عمره وانما وصف بالقلة لنفاده وان طال قوله
ثم اضطره اى الجيه واصل الاضطرار عدم الامتناع عن الشي قهرا الى عذاب النار
الجا لا يمكنه الامتناع منه وبئس المصير وبئس المرجع عذاب النار في الاخرة **قوله**
تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب
علينا انك انت التواب الرحيم يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة
وهو الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قوله
قعدك الله اى اسال الله ان يقعدك اى يثبتك ورفع الاساس البنا عليه لانها
اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر
ويجوز ان يكون المراد بالقواعد سافات البنا اى عروق الحائط لان كل ساف
قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبنا لانه اذا وضع
سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد
من البيت اى استوطا يعني جعل هيئة القاعدة المستوطنة مرتفعة عالية بالبنا وقيل خلق
الله تعالى موضع البيت قبل الارض بالفي عام فكانت زبدة بيضا على الما فدحيت
الارض من تحتها فلما اهبط الله ادم كان راسه يمس السما حتى صلع واورث اولاده
الصلع ونفرت من طوله دواب الارض فصارت وحشا من يومئذ وكان يسمع كلام اهل
السما ودعاهم وتسبيحهم وانس اليهم فهابته الملائكة واشتكت نفسه فنقصه الله تعالى الى
الستين ذراعا بذراعه فلما فقد ادم ما كان يسمع من اصوات الملائكة وتسبيحهم وشكى
ذلك الى الله تعالى فانزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة لها بابان من زمرد اخضر
باب شرقي وباب غربي وفيه قناديل من قناديل الجنة فوضعه على موضع البيت الان ثم
قال يا ادم اني اهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى
حول عرشي وانزل عليه الحجر الاسود ليمسح به دموعه وكان ابيض فلما لمسه الحيض في
الجاهلية اسود فتوجه ادم من ارض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله عز وجل
له ملكا يدله على البيت قيل لمجاهد يا ابا الحجاج الا كان يركب قال واي شي كان يحمله
فوالله ان خطوته مسيرة ثلثة ايام وكان موضع وضع عليه قدمه وما تعداه مفاوز وقفار
فاتى مكة وحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة بر حجك يا ادم لقد حججنا

هذا

هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على
رجليه فهذا بدو امر الكعبة حرسها الله تعالى الى ايام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء
الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى
يوم القيامة وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له عن الغرق
وكان موضع البيت خاليا الى زمن ابرهيم بعد ان ولد له اسمعيل واسحق فامر ببنا بيت
يعبد ويذكر فيه فلم يدر ابرهيم اين يبني فسال الله عز وجل ان يبين له موضعه فبعث الله
اليه السكينة تدله على موضع البيت كطوى الحية وامر ابرهيم حيث تستقر السكينة بالبنا
فبنى وهذا القول روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقال ابن عباس بعث الله
سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة تسير وابرهيم يمشي في ظلها الى ان وافت مكة ووقفت
على موضع البيت ونودي منها ان يا ابرهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص فبنى حيالها
وقال بعضهم ارسل الله جبريل ليدله على موضع البيت وذلك قوله واذ بوانا لابرهيم
مكان البيت فبنى ابرهيم البيت واسمعيل يناوله الحجارة وقيل كان ابرهيم يتكلم بالسريانية
واسمعيل يتكلم بالعربية وكل واحد منهما يعرف ما يقول صاحبه ولا يمكنه التفوه به فكان
ابرهيم يقول هب لي كبا يعني ناولني حجرا ويقول له اسمعيل هاك الحجر فخذه قالوا فبقي
موضع حجر فذهب اسمعيل يبغيه فجا جبريل بحجر من السما فاتى اسمعيل وقد ركب ابرهيم
الحجر في موضعه فقال يا ابت من اتاك بهذا الحجر في موضعه فقال اتاني من
لم يتكل على بنايك فاتم البيت فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من
البيت فبناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وبنا قواعده
من حرا فلما انتهى ابرهيم الى موضع الحجر الاسود قال ابرهيم جئني باحسن من هذا
فمضى اسمعيل يطلبه فقال ابو قبيس يا ابرهيم ان لك عندي وديعة فخذها فاخذ
الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى امد ابرهيم واسمعيل بسبعة املاك
يعينونهما على بنا البيت وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه في ايام
الطوفان قوله ربنا اى يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال
ومعناه يرفعانها قايلين ربنا انك انت السميع العليم لدعائنا وبنائنا قال صاحب الكشاف
فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد
من تفخيم شان المبين ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه
او مستسلمين لك يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا
اخلاصا او اذعانا لك او ثبتنا على الاخلاص والاذعان ومن ذريتنا اى واجعل
من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض وانما خصا ذريتهما بالدعا لان الذرية احق
بالشفقة والنصيحة يدل عليه قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبيا
اذا اصلحوا اصلح بهم غيرهم وتابعوهم على الخير الا ترى ان المقدمين من العلما والكبرا
اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم قوله امة كل قوم ينسبوا
الى نبي واضيفوا اليه فهي امته وكل جيل من الناس امة على حدة قال ابن عباس اراد
بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله وارنا منقول من راى بمعنى ابصر او عرف
ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وهي المواضع التي تتعلق

بها النسك ليفعله و نقضي نسكا فيه نحو المواقيت التي يحرم منها و الموضع الذي يوقف فيه
بعرفه و موضع الطواف و موضع السعي و موضع رمي الجمار و كل متعبد فهو منسك و من هذا
قيل للعابد الناسك قرا ابن كثير بسكون الرا كل القران و قرا ابو عمرو باختلاس كسر الرا و الباقون
بكسر الرا و الاصل فيه ارينا بالهمزة فحذف الهمزة استخفافا فمن قرا بسكون الرا قال ذهبت الهمزة
و ذهبت حركتها و بقيت الرا ساكنة قال صاحب الكشاف واسترذلت لان الكسرة منقوله من
الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف و من كسر نقل حركة الهمزة المحذوفة الى الرا و ابو
عمرو طلب الخفة فاجاب الله دعاهما و بعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات
قال يا ابرهيم عرفت قال نعم فسمي الوقت عرفة و الموضع عرفات و تب علينا اي تجاوز
عنا و ارجع علينا بالرافة و الرحمة انك انت التواب المتجاوز الرجاع بالرحمة على عباده
الرحيم **قوله تعالى** ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة
و يزكيهم انك انت العزيز الحكيم اي في الامة المسلمة رسولا من انفسهم روي انه قيل
له قد استجيبت لك و هو في اخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله
عليه وسلم انا دعوة ابي ابرهيم و بشرى عيسى و رويا امي يتلو عليهم اياتك اي يقرا عليهم اياتك
اي كتابك و يبلغهم ما يوحى اليه من دلايل وحدانيتك و صدق انبيايك و يعلمهم الكتاب اي
القران و الحكمة اي الشريعة و بيان الحلال و الحرام و المواعظ و قيل العلم و العمل و لا يسمى
الرجل حكيما حتى يجمعهما و قيل كل كلمة وعظتك او زجرتك او دعتك الى مكرمة او نهتك
عن قبيح فهي حكمة و قيل الحكمة كل صواب من القول ورث فعلا صحيحا او حالا صحيحا و قيل
الحكمة جند من جنود الله يرسلها الله الى قلوب العارفين حتى يروح عنها وهج الدنيا و قيل
وضع الاشيا موضعها و قيل كلما وجب عليك فعله و قيل هي الاحكام و القضا و قيل هي السنة
و يزكيهم يطهرهم من الشرك و الذنوب و قيل ياخذ زكوة اموالهم و قيل يشهد لهم يوم القيامة
بالعدالة اذا شهدوا للانبيا بالبلاغ شاهده قوله تعالى و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا العزيز الذي ليس له مثل قال الله تعالى ليس
كمثله شي و قيل المنتقم ممن يشا قال الله عز وجل و الله عزيز ذو انتقام و قيل العزيز الغالب
قال الله عز وجل و عزني في الخطاب اي غلبني و قيل العزيز الذي لا يعجزه شي قال الله و ما
كان الله ليعجزه من شي في السموات و لا في الارض و قيل العزيز المنيع الذي لا تناله الايدي و لا
يرد له امر و لا يغلب فيما اراد قال ان ربك فعال لما يريد و قيل بمعنى قال الله تعالى و تعز
من تشا و قيل هو القوي قال الله فعززنا بثالث اي قوينا و الاولى ان يحمل على الحكمة و قوله
و يزكيهم و قوله العزيز على جميع المعاني المذكورة فاستجاب الله دعا ابرهيم و بعث فيهم محمدا
سيد الانبيا و خاتم النبيين **قوله تعالى** و من يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه
و لقد اصطفيناه في الدنيا و انه في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة و مهاجرا فقال لهما قد علمتما ان الله
عز وجل قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى
و رشد و من لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة و ابى مهاجر ان يسلم فانزل الله و من يرغب انكار
و استبعاد لا يكون في العقلا من رغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم اي ترك دين
ابرهيم و شريعته يقال رغبت في الشي اذا اردته و رغبت عنه اذا تركته و اصل

الرغ

الرغبة رفع الهمة عن الشي و اليه يقال رغب فلان في و اليه اذا سمت نفسه اليه و الاصل
فيه السعة في الشي و الكثرة فمعناه يرفع نفسه عنها و من مرفوع المحل لانه مبتدا خبره يرغب الا
من نصب استثنى و يرفع بدلا من الضمير في يرغب و جاز البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد
الا زيد سفه نفسه امتهنها اي احتقرها و استخف بها لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط
فقد بالغ في اذلال نفسه و تعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة و اصل السفه الخفة و منه زمام
سفيه قال الزجاج معنى سفه نفسه جهل نفسه ضمن نفسه معنى الجهل لانه لازمه و عدي
بتعديه لان من عبد حجرا او قمرا او شمسا فقد جهل نفسه لانه لم يعلم خالقها و لم يعلم ما يحق الله
عليه و العرب تضع سفه في موضع جهل و منه الحديث الكبر ان تسفه الحق و تغمص الناس
اي تستحقرهم و لم ترهم شيا و يويد هذا القول ما روي في الحديث من عرف نفسه عرف
ربه فقيل معناه انما يقع الناس في البدع و الضلالات بجهلهم انفسهم و ظنوا انهم يملكون النفع
و الضر دون الله و حكي عن ابي بكر الوراق انه قال في معنى هذا الحديث من عرف نفسه
مخلوقة مرزوقة بلا حول و لا قوة عرف ربه خالقا رازقا بالحول و القوة و قد اوحى الله
الى داود عليه السلام كيف عرفتني و كيف عرفت نفسك فقال عرفتك بالقدرة و القوة
و البقا و عرفت نفسي بالضعف و العجز و الفنا قال الان عرفتني فاذا كان من عرف نفسه
عرف ربه كان من جهل نفسه جهل ربه حتى رغب عن ملة ابرهيم قيل رغب عن ملة ابرهيم
اليهود و النصارى و اتخذوا اليهودية و النصرانية ديانة بدعة ليست من الله و تركوا ملة
ابرهيم و قيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار لقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني و قيل انتصاب
النفس على التمييز نحو غبن رايه اي نقص فهو غبين اي ضعيف الراي و المراسه و جاز تعريف
المميز في شذوذ نحو قوله و لا بفزارة الشعر الرقابا الشعر جمع اشعر كثير الشعر بالرقبة
اوله فما قومي بثعلبة ابن بكر و ثعلبة و فزارة قبيلتان و قوله اجب الظهر ليس له سنام اوله
و ان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس و الشهر الحرام و نمسك بعده بذناب عيش الشعر
للنابغة يمدح النعمن ابن المنذر و ربيع الناس سبب طيب عيشهم و اريد بالشهر الحرام الامن
و ذناب الوادي منتهاه مضى صلاح وجهه و بقي خبثه و ما لا خير فيه و استشهد بنصب
الرقابا في البيت الاول و الظهر في الثاني على التمييز قيل يجوز الضح البيتين على التشبيه
بالمفعول لا على التمييز لقولك الحسن الوجه و قيل نفسه تاكيد لقوله من الذي
هو منصوب على الاستثنا كما يقال ما قام احد الا زيد انفسه قوله و لقد اصطفيناه
بيان لخطار اي من رغب عن ملة ابرهيم لان من اجتباه تعالى للرسالة و جمع الكرامة
عند الله في الدنيا بان كان صفوته و خيرته و في الاخرة بان كان مشهودا له بالاستقامة
في الخير و بانه من الصالحين لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه و اصل الطا فيه التا
حولت طا لقرب مخرجهما و لتطوع اللسان به قيل اراد بالصالحين الفايزين لان الصالح في الاخرة
فايز قوله اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر
استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت ليعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب
عن ملته عن ابن عباس رفع ابرهيم الصخرة من باب السرب ثم خرج منه فنظر الى
الكوكب و القمر و الشمس كما ذكر الله عنه في قوله فلما جن عليه الليل فقال له ربه اسلم
اي اخلص دينك لله بالتوحيد او اسلم نفسك الى الله و فوض امرك اليه او اذعن و اطع

او اخطر ببالك النظر في الدلايل الموديه الى المعرفه والاسلام فقال اسلمت اي اخلصت بلا
اله الا الله بقلبه ولسانه وجوارحه وقيل اي نظرت وعرفت **قوله تعالى** ووصى
بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون قرا نافع وابن
عامر واوصى بالالف مخففا والباقون بغير الف مشددا يقال وصى يوصي توصية
ووصاة يقال اوصيته بكذا ووصيته به اذا امرته به مثل انزل ونزل وكلا امثله
من الكتاب مثال التشديد قوله فلا يستطيعون توصية وقوله ووصينا الانسان
بوالديه ومثال المخفف قوله تعالى يوصيكم الله وقوله من بعد وصية يوصون بها قيل
وصى ابلغ من اوصى لان اوصى جاز ان يكون قال لهم مرة واحدة ووصى لا يكون الا مرات
كثيرة واصل الوصية الامر والتقدم الى غيرك متصلا بوعظ ومنه تواصا النبات اتصل بعضه
ببعض وارض واصيه متصلة النبات وقيل التوصيه هي التقدم الى الغير بفعل الوصي والضمير
في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمه والجملة ونحو رجوع الضمير وجعلها كلمة باقية
قال الله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه
دليل على ان التانيث على تاويل الكلمه ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه وذلك ان
ابرهيم ومن بعده اوصيا اولادهما بلزوم التوحيد وقالا لهم يا بني ان الله اصطفى لكم
الدين قال ابن عباس يريد دين الاسلام الحنيفيه يا بني على اضمار القول عند البصريين
وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القايل رجلان من ضبة اخبرانا
انا راينا رجلا عريانا ان يكسر الهمزة فهو بتقدير القول عند البصريين وعند الكوفيين
يتعلق بفعل الاخبار ان الله اصطفى اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام
ووفقكم للاخذ به لا تعدلوا بالله شيا ولو نشرتم بالمناشير وقرضتم بالمقاريض وحرقتم
بالنار قوله فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في
الحقيقه عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقوله لا تصل الا وانت خاشع ولا نهاه عن
الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته قال صاحب الكشاف فان قلت فاي نكته في ادخال
حرف النهي على الصلوة وليست بمنهي عنها قلت النكته في اظهار ان الصلوة التي لا خشوع
فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله صلى
الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل
الا في المسجد وكذلك المعنى في الايه اظهار ان موتهم لا على الثبات على الاسلام موت لا خير
فيه وانه ليس بموت السعدا وان من حق هذا الموت الا يحل فيهم ويقول في الامر ايضا مت
وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن ما لكون على صفة الشهدا اذا مات وانما امرته
بالموت اعتدادا منك بميتته اظهارا لفضلها على غيرها فانها حقيقة بان تحث عليها **قوله**
تعالى ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا
نعبد الهك واله ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون نزلت
هذه الايه في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات
اوصى بنيه باليهوديه ام كنتم ام المنقطعه الكاينه بمعنى بل والهمزه كانه قيل بل اكنتم شهدا
اذنت بالاضراب عما قبله والهمزه للانكار فيدل على نفي ما بعدها اي ما كنتم شهدا
والاضراب الاعراض عن الشي بعد الاقبال عليه فان الله تعالى اخبر اولا ان

ابرهيم

ابرهيم ويعقوب وصيا بنيهما بالاسلام ثم اعرض عن هذا الخبر واقبل على الاستفهام تنبيها
على ان الاستفهام على سبيل الانكار وههنا اهم فقال ام كنتم حاضرين والشهدا جمع الشهيد
بمعنى الحاضر اذ حضر يعقوب الموت اي حين احتضر والخطاب للمومنين يعني ما شاهدتم ذلك
وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي امتنانا منه لان المومنين كانوا يقولون ان ابرهيم
حرض بنيه على التوحيد وملة الاسلام ويفتخرون بذلك وقيل الخطاب لليهود على هذا
القول ايضا وعلى هذا القول ايضا وقعت ام في الخبر لانه لما اخبر عن الوصيه اعرض
عن الاخبار واقبل على الاستفهام على سبيل الانكار لانهم كانوا قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهوديه فقال تعالى ام كنتم
شهدا انكارا اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال رد صاحب
الكشاف هذا القول وقال انهم لو شهدوا يعقوب وسمعوا قوله لبنيه وما قاله
بنوه حين احتضر لعلموا حرصه على الاسلام ولم يقولوا انه اوصى بنيه باليهوديه فالايه
منافيه لقولهم لما ذكرنا من قوله نعبد الهك واله ابايك فيمتنع ان يقال لهم
ام كنتم شهدا انكارا عليهم فان الانكار عليهم انما يصح لو كان مضمون هذه الايه موافقا
لقولهم بان يقال مثلا بدل قوله نعبد الهك نكون يهوديا ولكن على تقدير
ان يكون الخطاب في الايه لليهود فالوجه ان تكون ام متصله ولما لم يجز ان يقع
المتصل الا في الاستفهام يقدر قبل ام محذوف نحو اتدعون ان الانبيا كانوا هودا
ثم يعطف عليه بام المتصله فقال ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت على سبيل التقرير
للمشاهده والانكار للدعوى كما في قوله قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
ام تقولون على الله ما لا تعلمون وقوله قل انتم اعلم ام الله اي اوايلكم من بني اسراييل
كانوا مشاهدين لاذا اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فكانكم
شاهدتم ذلك فما لكم تدعون عليهم ما هم منه برآء قيل في حمل ام على المتصله اشكال
لان ام المتصله تقتضي السوال عن تعيين احد الامرين وههنا كل واحد من دعوى
اليهوديه على الانبيا وحضور اوايلهم حين احتضر يعقوب ووصى بنيه معلوم عند المتكلم
اجيب بان السوال سوال تبكيت والزام سيلوا عن امرين ايهما اختاروا
لزمهم الحجه كانه قيل ايها المعاندون اتدعون على الانبيا اليهوديه
دعوى مجرده من غير دليل ام تدعون حضور اوايلكم حين وصى يعقوب بنيه
ولا بد ان يختاروا الثاني فيقولوا ان اوايلنا كانوا مشاهدين له اذا اراد
بنيه فيقال لهم انتم قد علمتم حضور اوايلكم عند الوصيه بالتوحيد فما لكم تعاندون
وتدعون على الانبيا ما هم عنه برآ وتمام تقريره ان نقول ان كان المراد بالهمزة
وام حقيقة الاستفهام يدل على ثبوت احدهما ويكون السوال عن التعيين والمراد
ههنا ليس حقيقة الاستفهام بل التقرير اي ثبوت احدهما وتقريره من غير معنى
استفهام فيكون اشارة الى ان احدهما وهو كونهم شهدا حاصل ويلزم منه انكار
ادعا اليهوديه لان شهودهم ينافي تلك الادعا قال الكلبي لما دخل يعقوب مصر راهم
يعبدون الاوثان والنيران فجمع ولده وخاف عليهم فقال لهم ما تعبدون من بعدي
قال ابن عباس ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحيوة فلما خير

يعقوب قال انظروني حتى اسأل ولدي واوصيهم ففعل الله ذلك به وجمع ولده وولد
يعقوب وقال لهم قد حضر اجلي وانا اريد ان اسألكم ما تعبدون من بعدي يعني اي شي
تعبدون وما عام في كل شي يسأل عن كل شي ما لم يعلم فاذا علم انه عاقل فرق بما ومن اي اذا
علم انه عاقل اختص بمن وكفاك دليلا على عموم ما عند الابهام قول العلماء من لما يعقل
لانه يعلم منه استعمال فيه ما وان كان عاقلا في الواقع ولو قيل من تعبدون لم يعلم الا اولي
العلم وحدهم ويجوز ان يكون ما تعبدون سوالا عن صفة المعبود كما تقول ما زيد
افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات قالوا نعبد الهك الذي لا اله الا هو
واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك اسمعيل في جملة الاباء وكان
اسمعيل عم يعقوب لان العرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما لانخراطهما في سلك
واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل
صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال صلى الله عليه
وسلم في العباس هذا بقية آبائي وقال صلى الله عليه وسلم ردوا علي ابي فاني اخشى
ان يفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود يعني العباس الها واحدا بدل من اله
آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة لان النكرة الموصوفة يصح ان تقع بدل الظاهر
المعرف او على الاختصاص اي نريد باله ابائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من
فاعل نعبد او من مفعول نعبد لرجوع الضمير في له اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة
على نعبد وان يكون جملة اعتراضية موكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون
التوحيد او مذعنون قوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسألون عما كانوا يعملون تلك اشارة الى الامة المذكورة يعني ابرهيم وبنيه ويعقوب
وبنيه قد خلت مضت لها ما كسبت من العمل ولكم ما كسبتم والمعنى ان احدا لا ينفعه
كسب غيره متاخرا كان او متقدما فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم
لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بابائهم ونحوه ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما
كانوا يعملون الى حسابهم عليكم وانما تسألون عن اعمالكم لا عن اعمالهم قوله تعالى
وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا
نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون قال ابن عباس نزلت في رؤس يهود المدينة
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابي ياسر ابن اخطب وفي
نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المسلمين في الدين
كل فرقة تزعم انهم احق بدين الله من غيرهم فقالت اليهود نبينا موسى افضل
الانبيا وكتابنا التورية افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل
ومحمد والقران وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبيا وكتابنا الانجيل
افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بمحمد والقران وقال كل واحد
من الفريقين للمومنين كونوا على ديننا ولا دين الا ذاك ودعوهم الى دينهم

يا معشر اليهود
م

فقال الله عز وجل قل يا محمد بل ملة ابرهيم اي بل نتبع ملة ابرهيم وقيل بل
نكون ملة ابرهيم كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين حنيفا قيل
نصب على القطع اراد بل ملة ابرهيم الحنيف فلما اسقطت الالف واللام لم يتبع النكرة
المعرفة فانقطع منه فنصب قاله نحاة الكوفة وقال اهل البصرة نصب على الحال
من المضاف اليه وانتصاب الحال من المضاف اليه لا يحسن حتى يكون المضاف والمضاف
اليه متصلين او ملتبسين جاريين مجرى شي واحد كقوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم
اخيه ميتا فميتا حال من اخيه لان اللحم واخيه كالشي الواحد وفي قوله تعالى
بل ملة ابرهيم حنيفا الاتصال حاصل بين الملة وابرهيم فان الملة معنى له كالبعض
منه ولهذا اصح قولهم رايت وجه هند قايمة والحنيف المايل عن الاديان كلها الى دين
الاسلام والحنف الميل في القدمين الى داخل وتحنف اذا مال وانشد خلقنا اذ خلقنا
حنيفا ديننا عن كل دين وسمي الاسلام الحنيفية لانها مالت عن اليهودية والنصرانية
قال الاصمعي ومن عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عند العرب وقال الاخفش
الحنيف المسلم وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت حنيف لان العرب لم تتمسك
في الجاهلية بشي من دين ابرهيم غير الختان وحج البيت فلما جا الاسلام عادت الحنيفية
وقال مجاهد الحنيفية اتباع ابرهيم فيما اتى به من الشريعة التي صار بها اماما للناس
وما كان من المشركين تعريض لاهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو
على الشرك قولوا خطاب للمومنين علمهم مجرى التوحيد وطريق الايمان ويجوز ان يكون
خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم
يجوز ان يكون على معنى بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته وما انزل الينا اي
القران وما انزل الى ابرهيم وهو عشر صحف واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اولاد
يعقوب والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه
وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنايه الاثني عشر سموا بذلك لانه ولد لكل واحد
منهم جماعة من الناس قال الزجاج الاسباط في ولد اسحق كالقبايل في ولد
اسمعيل قيل اصل السبط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الاغصان ملتفة من شجرة واحدة كذلك
الاسباط كانوا من ولد يعقوب وكان في الاسباط انبيا لذلك قال وما انزل اليهم وما
اوتي موسى اي التورية وعيسى اي الانجيل وما اوتي النبيون من ربهم من المعجزات والكتب
لا نفرق بين احد منهم اي لا نكفر ببعض ونومن ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى
الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون مخلصون ديننا عن الشرك بالله نقل عن
الحسن انه قال علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسما الانبيا الذين ذكرهم الله في كتابه
حتى يومنوا بهم ويصدقوا بما جاوا به وقالت العلما لا يكون الرجل مومنا حتى يومن
بساير الانبيا السابقين وجميع الكتب التي انزلها الله على الرسل فيجب على الانسان ان
يعلم صبيانه ونساه اسما الانبيا السابقين ويامرهم بالايمان بجميعهم اذ لا يبعد ان يظنوا
انهم كلفوا الايمان بمحمد فقط قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا
وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن
احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قيل لما نزلت قوله تعالى قولوا امنا الاية

قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى وقال ان الله امرني بهذا
فلما سمعت اليهود بذكر عيسى انكروا وكفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس بمنزلة سائر الانبيا
ولكن ابن الله فانزل الله عز وجل فان امنوا قيل معناه فان امنوا بمثل ايمانكم فزيدت
البا للتاكيد كما زيدت في قوله وهزي اليك بجذع النخلة وقيل معناه فان امنوا بمثل ما امنتم به
كما امنتم بكتابهم فالمثل ههنا المراد به الكتاب وقيل معناه فان امنوا بما امنتم به وقد
يذكر المثل ولا يراد به الشبه والنظير كقول الشاعر يا عاذلي دعني من عذلكا مثلي لا يقبل من مثلكا
اي انا لا اقبل منك وكان ابن عباس يقرا فان امنوا بما امنتم به وهذا يدل على ان المثل
في قراتنا صلة قال صاحب الكشاف قوله بمثل ما امنتم به من باب التبكيت لان دين
الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان امنوا بذلك الدين
المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم في الصحة والسداد فقد
اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى
وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي
الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من
رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رآه لا راي وراءه ويجوز ان
يكون البا صلة وتكون للاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا
في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي امنتم بها وان تولوا عما يقولون لهم ولم
ينصفوا واعرضوا عن الايمان بكتابكم ونبيكم فما هم الا في شقاق في خلاف وعداوة
ومناواة ومعاندة لا غير والشقاق والمشاقة المخالفة يقال شاق يشاق مشاقة
وشقاقا اذا خالف كان كل واحد ياخذ في شق غير شق صاحبه قوله فسيكفيكهم
الله وعد من الله لرسوله بكفاية امر من عاداه من امر مخالفته ثم انجز الله
وعده فكفاه امر اليهود بالقتل والسبي في قريظة والجلا والنفي في بني النضير
والجزية والذلة في نصارى نجران ومعنى السين ان ذلك كاين لا محاله
وان تاخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما
يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه ووعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بمعنى يسمع ما تدعو ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك
وموصلك الى المراد قوله صبغة الله الصبغ ما يكون في الثياب والصبغ المصدر
والصبغة فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهو الهيئة التي يقع عليها الصبغ فهي مصدر
منتصب مؤكد عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله عن قوله سيغلبون في قوله
ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم اذ الوعد هو الاخبار
عن شي واقع قبل وقوعه في الاتي من الزمان وذلك بمنزلة المنزل والمعنى تطهير الله
لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا اذا ولد لاحدهم ولد
فاتى عليه سبعة ايام غمسوه في ما اصفر يسمونه ما المعمودية وصبغوه به ويقولون
هو تطهير لهم مكان الختان واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الان صار
نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا وصبغنا الله بالايمان صبغة

صبغة ولم يصبغ صبغتكم على تقدير ان يكون قولوا ابتدا امر وانما جي بلفظ الصبغة
على طريقة المشاكلة كما يقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان يريد رجلا يصطنع الكرام
وقيل صبغة الله وجهة الله يعني القبلة وقيل حجة الله التي احتج بها على عباده وقيل
خلقة الله الخلق اي ان الله تعالى ابتدا الخلقة على الاسلام لقوله تعالى فطرة الله
التي فطر الناس عليها اي دين الله فانها حلية الانسان كما ان الصبغ حلية المصبوغ يوضحه
قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه
كما تنتجون البهيمة فهل تجدون فيها من جدعا حتى تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت
من يموت وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين وقيل سنة الله وقيل هي الختان
لانه يصبغ صاحبه بالدم وقيل صبغة الله صاحبه بالدم وقيل صبغة الله بدل من ملة
ابرهيم وقيل انتصابه بفعل محذوف اي اتبعوا دين الله وقيل صبغة الله منصوب به
على قوله بل نتبع ملة ابرهيم اي نتبع صبغة الله او على بل نكون اهل صبغة الله
وقيل صبغة الله نصب على الاغرا ومن احسن من الله صبغة لانه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم
به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته قال صاحب الكشاف ونحن
له عابدون عطف على امنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من
ابرهيم او نصب على الاغرا بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن
التيامه واتساقه لانه يلزم تخلل الاجنبي لانه حينئذ لا يكون صبغة الله اجنبيا من قوله
امنا **قوله تعالى** قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
ونحن له مخلصون خاصمت يهود المدينة ونصارى نجران رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا ان انبيا الله كانوا منا وديننا هو الاقدم وكتابنا هو الاسبق ولو كنت
نبيا لكنت منا فانزل الله تعالى قل اتحاجوننا استفهام ومعناه التوبيخ اي اتخاصموننا
في دين الله وقيل في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون ان لو
انزل الله على احد لانزل علينا وترون انكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم
اي نحن وانتم عبيده له نصيب برحمته وكرامته من يشا من عباده من فوض في ذلك الاصطفا
لا يختص به عجمي دون عربي ولنا اعمالنا نجازى بحسبها وانتم في اعمالكم على مثل سبيلنا
لا يوخذ بعضنا بذنب بعض ونحن له مخلصون حتى انما هو علامة الكرامة اي نحن
له موحدون نخلصه بالايمان قيل في الاية اضمار ونحو وانتم غير مخلصين فحذف
اكتفا بقوله ونحن له مخلصون ومعنى الاية لا حجة لكم علينا في دين الله اذا كنا
نخلص له ولا نعبد معه سواه وانتم تجعلون له الشركا والاخلاص قيل ان
يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله احدا وقيل ترك
العمل من اجل الناس شرك والاخلاص لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله
عنهما وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث
والدم وقيل هو ما لا تكتبه الملكان ولا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الانسان
وقال رويم هو ارتفاع رؤيتك من الفعل وقيل هو ما يراد به الحق ويقصد به
الصدق وقيل هو ما لا يشوبه الافات ولا يتبعه رخص التاويلات وقيل ما استتر
من الخلايق واستصفى من العلايق وقيل هو ان يستوي افعال العبد في الظاهر
والباطن وقيل ان يكتم حسناته كما يكتم سياته وقيل هو الافلاس روي ان رسول

قال الجنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا الشيطان فيفسده ولا الهوى فيميله شيخ زاده

الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عن الاخلاص ما هو قال سالت
رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال هو سر من اسراري استودعه قلب من احببت من عبادي
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص
حتى لا يحب ان يحمد على شي من عمل الله قوله تعالى ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون قرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وخلف وحفص بالتا من فوق والباقون باليا من تحت فمن قرا بالتا فلان ما قبله
من قوله قل اتحاجوننا وما بعده من قوله قل ءانتم اعلم ومن قرا باليا فلان
المعنى لليهود والنصارى وهم غيب وام على قراءة التا تحتمل ان تكون معادلة
للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكم الله ام ادعا اليهودية
والنصرانية على الانبيا والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى
بل يقولون والهمزة للانكار ايضا وعلى قراءة اليا لا تكون الا منقطعة لانتقال الكلام
من الخطاب الى الغيبة قل ءانتم اي ان الله اخبرنا ان الانبيا كان دينهم الاسلام
في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ولا احد اعلم من
الله قوله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه
شهد بها وهي شهادة لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا
اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه
الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفي الثاني تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد
صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وساير شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من
الله مثلها في قولك هذه شهادة لمني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله
اي شهادة كاينة من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وبراءة واصلة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم على كتمانهم شهادة عندهم
من الله وهو مجازيهم على ذلك قوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسالون عما كانوا يعملون هذه الاية اعيدت ههنا لان الحجاج اذا اختلفت
مواطنه حسن تكريره للتذكير به قوله تعالى سيقول السفها من الناس ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشا الى صراط مستقيم
هذه الاية نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة والسفها الخفاف الاحلام جمع السفيه
قيل السفيه الذي يعمل بغير الدليل اما ان لا يلتفت الى دليل ولا يتوقف الى ان لاح
له بل يتبع هواه او ان يرى غير الدليل دليلا وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة
وانهم لا يرون النسخ والمنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزا والمشركون فانهم
قالوا رغب عن قبلة ابايه ثم رجع اليها والله ليرجعن على دينهم ما ولاهم اي عدلهم
وصرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنون بيت المقدس والقبلة التوجه وهي
الفعلة من المقابلة والعرب تقول ما له قبلة ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره والفايدة
في الاخبار بقولهم قبل وقوعه ان مخافاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد
من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل

الحاجة اقطع للخصم واردّ لشغبه فان قيل الرمي راش السهم وليعد له القوس قل لله المشرق
والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها ملكه والخلق عبيده اي له ان يامر بالتوجه
الى اي جهة شا يهدي من يشا الى صراط مستقيم اي الى دين مستقيم ودين الله سمي
الصراط المستقيم لانه يودي الى الجنة كما يودي الصراط المستقيم الى المطلوب قوله
تعالى ولذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت
لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم
الكاف منصوب المحل على المصدر ومعنى المثال الذي يعطيه هو الصفة والحالة لا النظير
والشبه والمشار اليه ما يفهم من مضمون قوله يهدي من يشا الى صراط مستقيم
وهو الامر العجيب الشان اي ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا وذلك انهم
لما طعنوا بقولهم ما ولاهم عن قبلتهم جي بقوله يهدي من يشا الى صراط مستقيم
جوابا له وجعل لله المشرق والمغرب توطية للجواب وهو نظير قوله يهدي الله لنوره
من يشا فعلم من قوله من يشا تعظيم المسلمين وانهم المختصون بهذا الفضل دون ساير
الناس ومن قوله صراط مستقيم تعظيم التوجيه الى القبلة وانه هو النور وهو
الصراط المستقيم يعني كما جعلناكم في الاخرة شهدا على الناس تشهدون كما تشهد الانبيا
على اممهم امة وسطا عدلا خيارا والاسم وسط للامة وهو الاسم الذي وسط الشي ولذلك
استوى فيه المذكر والموث والواحد والجمع ونحو قوله صلى الله عليه وسلم واعطوا
الشيخة اي اعطوا الوسطة بين السمينة والعجفا وصفا بالشيخ وهو انه وسط الظهر الا انه
الحق تا التانيث مراعاة لحق الوصف تقول العرب انزله وسط الوادي
اي خير موضع فيه ويقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو اوسط قريش نسبا اي
خيرهم قال الله تعالى قال اوسطهم اي خيرهم واعدلهم وقيل للخيار وسط لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والاعوار اي الفساد والاوساط محمية محوطة قال الطاي كانت
هي الوسط التمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا قال زهير هم وسط يرضى

في وسط الدار وجلست م

الانام بحكمهم اذا انزلت احدى الليالي بمعظم والوسط بالتحريك اسم لعين ما بين
طرفي الشي كمركز الدايرة وبالسكون اسم مبهم لداخل الدايرة مثلا ولذا كان ظرفا
لاول يجعل مبتدا او فاعلا ومفعولا به ودخلا عليه حرف الجر ولا يصح شي من هذا
في الوسط بالسكون تقول وسطه خير من طرفه وحسن وسطه وضربت وسطه
وجلست وسطها بالسكون لا غير والوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب
من بعض اي اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في الدين
قوله لتكونوا شهدا على الناس اي جميع الامم يوم القيامة روي ان الله يجمع الاولين
والاخرين في صعيد واحد ثم يقال لكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون
ما جانا من نذير فيسال الانبيا عن ذلك فيقولون كذبوا وقد بلغناهم واعتذرنا اليهم
فيجحدون تبليغ الانبيا فيطالب الله الانبيا بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم اقامة للحجة
فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية
من اين علموا ذلك وبيننا وبينهم مدة مديدة فيقولون قد علمنا ذلك باخبار الله تعالى

ايانا في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدا وشهادة النبي صلى الله عليه وسلم لهم لا عليهم لكن
لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له ضمن معنى الرقيب او جئ بحرف
الاستعلا الذي يتعدى الرقيب به ومنه قوله تعالى والله على كل شئ شهيد كنت انت الرقيب
عليهم وانت على كل شئ شهيد وقيل لتكونوا شهدا على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول
مثل امة محمد صلى الله عليه وسلم شهدا على من ترك الحق من الناس اجمعين حين جاه
الهدى والايمان ويكون الرسول عليكم شهيدا اي يشهد على انهم آمنوا بالحق حين جاهم
وقبلوه وصدقوا به قال صاحب الكشاف اخرت صلوة الشهادة اولا وقدمت آخرا لان
الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم
قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وما جعلنا القبلة التي كنت عليها القبلة هي المفعول
الاول لقوله جعلنا والتي هي المفعول الثاني له وليست بصفة للقبلة والقبلة يحتمل ان يكون
هي الكعبة التي كنت عليها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة فنقول
وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك
اليها الا امتحانا للناس وابتلا لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف
اي على وجه واحد وهو ان يعبد على السرا دون الضرا ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد
لقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وعلى الثاني يريد ان اصل امرك ان تستقبل
الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة
الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس ليمتحن الناس وينظر من يتبع
الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس كان قبلته بمكة بيت المقدس
الا انه يجعل الكعبة بينه وبينه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قال لنعلم
ولم يزل عالما بذلك قلت معناه علما يتعلق به الجزا وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بعد
ان علم انه سيوجد ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين واعلم
ان المسلمين اتفقوا على ان الله عالم بالجزئيات قبل وقوعه ثم قال ابو الحسين البصري من
المعتزلة العلم يتغير عند تغير المعلوم لان العلم بكون العالم غير موجود وانه
سيوجد لو بقي حال وجود العالم لكان جهلا واللازم باطل فلم يبق ذلك العلم حال
وجوده فيلزم التغير وقال اهل السنة والجماعة لا يلزم تغير العلم عند تغير المعلوم
لان حال وجود العالم تغير التعلق فانه قبل وجوده تعلق العلم بانه سيوجد وعند
وجوده تغير هذا التعلق وحدث تعلق انه وجد في الحالين لم يتغير العلم ولم يلزم حدوث
علم الله بل تغير التعلق وحدث تعلق آخر وقيل ليعلم رسول الله والمومنون وانما
اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل ليميز التابع من الناكص
كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم يقع به التمييز وقيل
المراد من قوله الا لنعلم الا لعلمنا من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه فانه
سبق ذلك في علمه ان تحويل القبلة سبب هداية قوم وضلالة آخرين وليس المراد
من اقتران علمه بالحال والاستقبال حدوثه في الحال او الاستقبال بل وجوده

في الحال والاستقبال فيكون معناه ان علمه الذي في الازل ثابت في الحال
والاستقبال مستمر من الازل من غير تجدد وحدوث وان كانت لكبيرة
ان هي المخففة التي كنت عليها من التولية اي تولية القبلة وتحويلها او الردة
او الجعلة وقيل راجعة الى القبلة بعينها لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين
هدى الله اي ثبتهم على اتباع الرسول وقال صاحب الكشاف الا على
الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا
للطفه وهذه دسيسة منه اوقعه فيها حرصه على تقرير مذهبه
لا ان الاية تدل عليه قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي تصديقكم
بامر تلك القبلة وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم
الثواب العظيم والمفسرون يجعلون الايمان ههنا بمعنى الصلوة اي وما
كان الله ليبطل صلاتكم قبل بيت المقدس عن ابن عباس قال كان رجال
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واله قد ماتوا على القبلة
الاولى منهم اسعد بن زرارة وابو امامة احد بني النجار والبراء بن
معرور احد بني سلمة في اناس آخرين فجاءت عشايرهم فقالوا يا رسول
توفي اخواننا وهم يصلون الى القبلة الاولى وقد صرفك الله الى قبلة
ابرهيم فكيف باخواننا فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس
لروف رحيم قرا نافع وابن كثير وابن عامر روف بهمزة مضمومة
بعدها واو ساكنة على فعول فان اكثر اسما الله على فعول وفعيل والباقون
بهمزة مضمومة من غير واو بعدها على وزن فعل والرافة اشد من الرحمة
فمن عم الناس اراد رحمته اياهم في الخلق والرزق والصحة ومن خص
اراد رحمته للمومنين خاصة **قوله** تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من
ربهم وما الله بغافل عما يعملون قيل اول ما نسخ من امور الشرع امر القبلة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى
الكعبة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقدمها لليلتين خلتا
من ربيع الاول امره الله تعالى ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون اقرب
الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته
في التوراة هذا اقوال عامة المفسرين وقيل قال الله تعالى لنبيه
فاينما تولوا فثم وجه الله فقال رسول الله هولا يهود يستقبلون بيتا من
بيوت الله فلو استقبلناه فاستقبله النبي فصلى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا وقيل ستة عشر شهرا وكانت الانصار قد
صلوا قبل بيت المقدس سنتين قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت
الكعبة احب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها قبلة ابيه ابرهيم
وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود

وقيل لان اليهود قالوا محمد خالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا وقيل لما امر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يصلي نحو بيت المقدس قالت اليهود يزعم محمد انه نبي وما نراه
احدث في نبوته شيا اليس يصلي الى قبلتنا ويستن بسنتنا فان كانت هذه نبوة فنحن اقدم
واوفر نصيبا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه وزاده شوقا الى
الكعبة وقيل لما استقبل النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس بلغه ان اليهود
تقول والله ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى اهديناهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجبريل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فاني ابغضهم
وابغض موافقتهم فقال جبريل انما انا عبد مثلك ليس لي من الامر شي وانت كريم
على ربك فادع ربك وسله فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديم النظر الى السما رجا ان ينزل جبريل بالذي سال ربه فانزل الله تعالى قد
نرى تقلب وجهك اي ربما نرى ومعناه كثرة الرويه لقوله قد نرى القرآن مصفرا
اناملهٔ تقلب وجهك تردد وجهك في النظر الى السما فلنعطينك ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون
سمت بيت المقدس او لنصيرنك تستقبل بوجهك قبلة ترضاها تحبها وتهواها
لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها فول اي اقبل وحول وجهك شطر اي نحو المسجد الحرام
واقصده وحيث ما كنتم في بر او بحر سهل او جبل شرق او غرب فولوا وجوهكم
شطره عند الصلوة فحولت القبلة الى الكعبة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال
بدر بشهرين وقيل نزلت هذه الاية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني
سلمة قبله من الانصار وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل
الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين عن البرا
ابن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما قدم المدينة صلى قبل
بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل
البيت وانه صلى اول صلوة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه
فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وفي رواية عن مسلم وابي داود
عن انس وهم ركوع في صلوة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى الا ان القبلة حولت فمالوا
كما هم نحو الكعبة وشطر المسجد نصب على الظرف قال صاحب الكشاف اي اجعل توليته
الوجه تلقا المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم
على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة
دون العين روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان البيت كله قبلة وقبلة البيت
الباب والبيت قبلة اهل المسجد والمسجد قبلة الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها
ولما حولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما امرت بهذا وانما هو شي تبتدعه
من تلقا نفسك فانزل الله وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق اي ان
اليهود ليعلمون ان التحويل الى الكعبة هو الحق من ربهم لا شي ابتدعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من تلقا نفسه لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى

روى البخاري ومسلم
والترمذي والنسائي وابن
ماجه

بلغ مقابلة
باصل نصح

الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين وما الله بغافل عما يعملون قرا ابن عامر وحمزة والكسائي
بالتاء والباقون بالياء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المومنين تبتغون مرضات الله وما
الله بغافل عما تعملون فيثيبكم ويجازيكم وان اليهود يطلبون سخط الله وما الله بغافل
عما يعملون فيخزيهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم قوله تعالى ولين اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم
بتابع قبلة بعض ولين اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين
قال اهل التفسير ان يهود المدينة ونصارى نجران قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ايتنا باية كما اتى بها الانبيا قبلك فانزل الله ولين اتيت واللام موطية للقسم المحذوف
تقديره والله لين اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل برهان قاطع ان التوجه الى
الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة يزيلها ايراد الحجة انما هو
عن مكابرة وعناد مع علمهم انك على الحق لما في كتبهم من نعتك فقوله ما تبعوا جواب
القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة
بعض يعني ان اليهود والنصارى مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى
اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك فلا اليهود تستقبل المشرق التي هي قبلة النصارى ولا النصارى
تستقبل بيت المقدس الذي هو قبلة اليهود اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هم
فيه وثباته عليه فالمحق اي النبي صلى الله عليه وسلم لا يزول عما هو عليه لانه متمسك بالعروة
الوثقى التي لا انفصام لها والمبطل اي اليهود والنصارى لا يرجع عن باطله لا شرابه في فواد
وشدة شكيمته في عناده قوله ولين اتبعت اهواءهم وصليت الى قبلتهم من بعد ما جاءك من
العلم ان قبلة الله الكعبة انك اذا لمن الظالمين اي الخارجين من الظالمين انفسهم [illegible]
والخطاب في الظاهر له صلى الله عليه وسلم وهو في المعنى لامته قال صاحب الكشاف قوله
ولين اتبعت كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولين اتبعت اهواءهم مثلا بعد
وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك
لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى
وتهييج والهاب للثبات على الحق واضاف قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
لان كلا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة قوله
تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي اليهود يعرفون رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنعته ومبعثه واسمه معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين
المشخص كما يعرفون ابناءهم فكيف يا عبد الله هذه المعرفة فقال لا تشتبه عليهم ابناؤهم
من الصبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن سلام قد انزل الله عز
وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
فكيف يا عبد الله هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه يا عمر لقد عرفته
فيكم حين رايته كما اعرف ابني اذا رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة بمحمد
صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذلك يا ابن سلام فقال لاني اشهد

ان محمدا رسول الله حقا ويقينا وانا لا اشهد بذلك على ابني لاني لا ادري ما احدث
النساء فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت
واصبت وضمير المفعول في يعرفونه راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار
وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه
تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القران
او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام
وان فريقا من الذين اوتوا الكتاب ليكتمون الحق اي صفة محمد وهم يعلمون لان الله
تعالى بين في كتابهم ثم قال الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق وحينئذ يكون من ربك خبرا بعد خبر وحالا ويكون اللام في الحق للعهد
والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الذي في قوله
ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك ويحتمل ان يكون الحق مبتدا
خبره من ربك واللام في الحق للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت
انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه الذين اوتوا الكتاب
هو الباطل فلا تكونن من الممترين في امر القبلة وفي كتمانهم الحق مع علمهم انه من ربك
وفي امتناعهم من الايمان بك والمرية الشك ومنه الامترا والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم فيه وفيما قبله والمراد به غيره **قوله** تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير اي ولكل اهل دين
وجهة اي قبلة والوجهة اسم لكل متوجه اليه هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين
فان ولى يتعدى الى مفعولين احدهما الذي اضيف مولى اليه والاخر محذوف و
وقيل هو لله تعالى اي الله تعالى موليها اياه وقرا ابن عامر هو مولاها اي مصروف
اليها والمعنى لكل ولي جهة والمعنى لكل اهل دين قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم
فاستبقوا الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره قال ابن عباس يريد
تنافسوا فيها وعيسكم [illegible] من الخير فلكل علاى ثوابه وقيل معنى اخر وهو ان يراد
ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبيه او شماليه او شرقيه او
غربيه فلا تدروا الى القبلة من [illegible] لو اوجهكم حيث امر الله اين تولوا
اينما تكونوا يجمعكم الله للحساب فيجزيكم باعمالكم قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون
المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلف
اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى
جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام **قوله** تعالى ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم
نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ثم اكد الله تعالى استقبال القبلة بهاتين الايتين
وانما كررت الايتان لان هذا من مواضع التاكيد لاجل النسخ الذي نقلوا من جهة
الى جهة فان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى

النفصل

النفصل بينه وبين البدا فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم
ينط بالاخر فاختلف فوائدها وحيث من الظروف المبنية وانما بنيت لاحتياجها الى جملة معها
كاحتياج الحرف الى جملة معه وانما احتاج الى جملة من جهة ان وضعها المكان منسوب الى
نسبته وتلك النسبة لا تحصل الا بالجملة فلذلك لا تضاف الا الى جملة في الاكثر وحيث ظرف
مكان لا غير وبنيت على الضم لشبهها بالغايات من حيث ملازمتها الاضافة وقد تدخل ما حيث
فيقول حيثما ويكون شرطا للمجازاة اي ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد
الحرام اذا صليت وما بعد هذا الى قوله لئلا يكون معنى تفسيره واللام في لئلا لام كي ودخلت
على ان لا في قوله للناس قال اكثر المفسرين الناس هاهنا اليهود كانوا يحتجون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين في صلاتهم الى بيت المقدس ويقولون ما درى محمد واصحابه
اين قبلتهم حتى هديناهم نحن ويقولون يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا وهذا كان حجتهم
التي كانوا يحتجون بها على وجه الخصومة والتمويه بها على الجهال فلما صرفت القبلة الى الكعبة
بطلت هذه الحجة والحجة فعلة من الحج وهو القصد ومنه المحجة وهي الطريق لانه اوضح
المسلوك لانه مقصود ويقال للمخاصمة محاجة لقصد كل واحد من الخصمين الى اقامة بينته
وابطال ما في يد صاحبه ثم قال الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون
حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا وتحول الى الكعبة الا ميلا الى
دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء ولو لم تحول لكانت تكون للمشركين
منهم حجة في ان يقولوا ما لم يحول الى قبلة ابيه ابرهيم [illegible]
فاحترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين واطلق الحجة على قول المعاندين لانهم
يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المراد بالناس العرب ومعناه لئلا يكون للعرب
عليكم حجة واعتراض على ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي
العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابيه
ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم في انصرافكم الى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم في
المحاجة وفي مطاعنهم فانهم لا يضرونكم واخشوني في تركها ومخالفة امري ولاتم نعمتي
اللام محذوف معناه ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام
النعمة دخول الجنة وعن علي تمام النعمة الموت على الاسلام **قوله** تعالى كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون الكاف للتشبيه فيحتاج الى شيء يتعلق به واما
ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال
الرسول وقيل ان ابرهيم دعا بدعوتين احداهما قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا امة مسلمة لك والثانية قوله ربنا وابعث فيهم رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم
ووعد في هذه الاية بان يجعل في ذريته امة مسلمة فمعنى الاية ولاتم نعمتي عليكم ببيان الشرائع
ملتكم الحنيفية واهديكم لدين خليلي ابرهيم كما ارسلنا فيكم رسولا يعني وكما اجبت دعوته
ببعث الرسول لذلك اجيب دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واما ان يتعلق بما
بعده وهو فاذكروني اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم
بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعماي **قوله** تعالى

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ٢ الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا ايها الذين ان الله مع الصابرين
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احيا ولكن لا تشعرون ولنبلونكم
بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اوليك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون قيل استعينوا بالصبر على طلب الاخرة
على الفرايض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب ان الله مع الصابرين
اي اني معكم انصركم ولا اخذلكم واظهر دينكم على ساير الاديان لان من كان الله
معه هو الغالب قوله تعالى ولا تقولوا نزلت في شهدا بدر وكانوا اربعة عشر
رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وذلك ان الناس كانوا يقولون
لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل هم احيا ولكن لا تشعرون كيف
حالهم في حياتهم اي ما هم فيه من الكرامة والنعيم روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهدا في اجواف طيور خضر تسرح في ثمار الجنة
وتشرب من انهارها وتاوي بالليل الى قناديل من نور معلقة بالعرش وعن الحسن
ان الشهدا عند الله احيا تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح
كما تعرض النار على ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع قوله ولنبلونكم الكون
في الناس ... الا مع ... وقت تقديره والله لنبلونكم والمعنى ولنعاملنكم
معاملة المختبر لاحوالكم لان الله تعالى يعلم عواقب الامور ولا يحتاج الى الابتلا ليعلم
العاقبة ولكن ليصيبهم ... ليشبه فعل المختبر لاحوالهم هل يصبرون ويثبتون
على ما هم عليه من الطاعات ويسلمون لامر الله وحكمه ام لا فمن صبر اثابه على صبره ومن لم يصبر
لم يستحق الثواب بشي قليل من الخوف اي خوف العدو والجاعة والقحط وانما قال بشي ليوذن
انه ... اصابة الاشيا ... فما ... ابتلا اليه والتخفيف عنهم وليريهم ان رحمته معهم
في كل حال ... اليهم ... قبل ... لو طنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شي او
على الخوف يعني وشي من نقص الاموال اي الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي
والانفس يعني بالموت والقتل والمرض والشيب والثمرات يعني الجوايح وان لا تخرج الثمرة
كما كانت تخرج ويقل عن المنافع ... ولنبلونكم بشي من الخوف يعني خوف
الله عز وجل والجوع يعني صيام شهر رمضان ونقص من الاموال اي ادا الزكوات والصدقات
والانفس اي الامراض ... ان يكون بالسبا ... في الجهاد والثمرات موت الاولاد لان
ولد الرجل ثمرة قلبه يدل على ذلك ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات
ولد العبد قال الله عز وجل للملايكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة
فواده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ثم ختم الاية ببشر الصابرين ليدل على ان من صبر على هذه المصايب
واسترجع عند البلايا والرزايا على وعد الثواب من الله تعالى والخطاب في وبشر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة ثم نعت الصابرين فقال
الذين اذا اصابتهم مصيبة اي ما التمس نكبة مما ذكر قالوا انا لله اي نحن واموالنا لله يصنع

بنا

من البانها تعالى

قال ... فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تبغون
فقالوا يا ربنا واي شي نبغي وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك ثم عاد اليهم بمثل
هذا فلما راوا انهم لا يتركون من ان يسالوا
قالوا نريد ان ترددنا الى الدار الدنيا
فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة
اخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول
الرب جل جلاله اني كتبت انهم اليها لا يرجعون
كعب بن مالك عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نسمة المومن طاير تعلق في شجر
الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه
ففيه دلالة لعموم المومنين ايضا وان كان
الشهدا قد خصوا بالذكر في القران تشريفا لهم
وتكريما وتعظيما
ابن كثير

بنا ما بنا وانا اليه راجعون قيل انا لله اقرار منا له بالملك وانا اليه راجعون
اقرار على انفسنا بالهلاك ومعنى الرجوع الى الله الرجوع الى انفراده بالحكم اذ
قد ملك في الدنيا قوما الاحكام فاذا زال حكم العباد رجع الامر الى الله عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مصيبة يصاب بها المومن الا كفر الله
بها عنه حتى الشوكة يشاكها وروي انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل يا رسول الله امصيبة هي قال نعم كل شي
يوذي المومن فهو له مصيبة وعن سعيد بن جبير ما اعطي احد في المصيبة ما
اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع ولو اعطيه احد لاعطي يعقوب الم تسمع الى قوله
في قصة يوسف يا اسفا على يوسف وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
استرجع عند المصيبة جبر الله عزاه واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا وعن ام
سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من قال عند مصيبة انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني
في مصيبتي واخلف لي خيرا منها قالت ام سلمة فلما هلك ابو سلمة قلت من خير من ابي سلمة
ثم عزم الله لي فقلتها فاخلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصيب بمصيبة فليذكر مصيبته في فانها اعظم
المصايب وعنه صلى الله عليه وسلم ما اصاب عبدا مصيبة اما باحدى خلتين
اما بذنب لم يكن الله ليغفره له الا بتلك المصيبة او بدرجة لم يكن الله ليبلغه اياها
الا بتلك المصيبة وعن الشعبي ان شريحا قال اني لاصاب بالمصيبة فاحمد الله
عليها اربع مرات احمد اذ لم يكن اعظم منها واحمد اذ رزقني الصبر عليها واحمد
اذ وفقني للاسترجاع لما ارجو فيه من الثواب واحمد اذ لم يجعلها في ديني قوله
اوليك اي اهل هذه الصفة عليهم صلوات اي حنو وتعطف ووضعت موضع
الرافة وجمع الصلوات لانه عنى بها رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واوليك
هم المهتدون الى طريق الصواب حيث استرجعوا او سلموا الامر الله قوله تعالى ان
الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع
خيرا فان الله شاكر عليم روى البخاري انه نزلت هذه الاية في ناس من الانصار
كانوا اذا اهلوا لمناة في الجاهلية فلم يحل لهم ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما
قدموا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحج ذكروا ذلك له فانزل الله هذه الاية وروى
مسلم انه كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له اساف وعلى المروة صنم على صورة
امراة تدعى نايلة زعم اهل الكتاب انهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين ووضعهما
على الصفا والمروة ليعتبر بهما الناس فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان
اهل الجاهلية اذا طافوا بينهما مسحوا الوثنين فلما جا الاسلام وكسرت الاصنام كره المسلمون
الطواف بينهما لاجل الصنمين فانزل الله هذه الاية الصفا هي الصخرة الصلبة الملسا
والمروة من الحجارة ما لان وصغر وفي الاية الصفا والمروة علمان للجبلين بمكة معروفان
الشعاير جمع شعيرة وهي العلامة من شعاير الله من متعبداته التي اشعرها الله اي جعلها
الله علامة مناسكه لنا وكل ما كان معلما للقربان يتقرب به الى الله عز وجل من دعا وصلاة

ونسيكه واداء فرض فهي شعيرة واصله من الاشعار وهو الاعلام على الشي ومنه اشعار الهدي
فمن حج البيت اصله في اللغة زيارة شي تعظيمه قال الزجاج اصل الحج القصد وكل من
قصد شيا فقد حجه والاعتمار القصد وقيل الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارة
النسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم للثريا والبيت للكعبة في الاعيان
فلا جناح الجناح الاثم من جنح اذا مال عن القصد يقال جنح الليل اذا مال بظلمته
وجنحت السفينة اذا مالت الى الارض قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها
ومنه جناح الطاير ان يطوف بهما ان يدور بهما واصل يطوف يتطوف فادغم
التا في الطا فان قيل رفع الجناح عن التطواف بهما يفيد ان التطوف بهما ليس بحرام
فيدور الامر بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه فلا يلزم ان لا يكون مكروها
اجيب بان الصحابة قالوا يا رسول الله لا نطوف بين الصفا والمروة فانه شرك كنا
نصنعه في الجاهلية فلما جا الاسلام تحرجوا من السعي بينهما فرفع الله عنهم الجناح الذي اعتقدوه
وثبت واحد من الاربعة الباقية بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل
والترك كقوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله تعالى فمن تطوع خيرا
فهو خير له ويروى كونه تطوعا عن انس وابن عباس وابن الزبير وينصره قراءة ابن مسعود
فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن لانه ثبت بدليل ظني
وهو قوله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا فان عاد تارك الطواف
بينهما لقضايه فحسن وان لم يعد فعليه دم لان حكم الطواف بينهما حكم رمي بعض الجمار
والوقوف بالمشعر الحرام وطواف الصدر وما اشبه ذلك مما يجبر تاركه من تركه
فديه ولا يلزمه العود لقضايه بعينه وعند الشافعي ومالك ركن لقوله صلى الله عليه وسلم
اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقال الحسن الطواف بين الصفا والمروة فرض و [illegible]
في كتاب الله والسنة قال الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعاير الله فروى جعفر
بن محمد عن ابيه عن جابر قال لما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الصفا
والمروة من شعاير الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا وعن عايشة لعمري ما
حج من لم يسع بين الصفا والمروة لان الله عز وجل يقول ان الصفا والمروة من شعاير
الله فعلى بلد كر الاعادة تركهما ناسيا او عامدا ومن تطوع قرا حمزة والكساي يطوع
بالياء وتشديد الطا اي يتطوع ادغم التا في الطا وجزم العين بمن من شرط
وخيرا مفعول به وتقديره بخير وقرئ به فلما حذف الجار تعدى الفعل فنصب
او صفة محذوف اي تطوعا خيرا او في تطوع ضمير يرجع الى من وقرا الباقون تا وفتح
العين فعلا ماضيا فمن بمعنى الذي ودخل الفا في الخبر لما فيه من الابهام كالذي
واصل التطوع التبرع من طاع يطوع تبرع قال الحسن يعني به الدين كله اي فعل
غير المفترض عليه من طواف وصلوة وزكوة وحج وعمرة اي تبرع بما لم يجب عليه وقيل
تطوع بالصفا والمروة تطوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من السنن وقيل
تطوع خيرا ازداد في الطواف بعد الواجب وقيل تطوع بالعمرة فان الحج فريضة والعمرة
تطوع وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء حجته وعمرته الواجبتين عليه فان الله
شاكر اي مجاز بعمله ومعنى الشاكر في وصف الله المجازي على الطاعة بالثواب

بدليل آخر واختلف في السعي فمن قال هو تطوع

علم

عليم بنية المتطوع يقبل اليسير ويعطي الكثير ويغفر الكثير واصل الشكر من قول العرب
دابة شكور اذا كان يظهر عليها اثر السمن فوق ما تعلف قوله تعالى ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اوليك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاوليك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم
نزلت في علما اليهود وكتمانهم اية الرجم ما انزلنا في التورية من البينات الرجم
والحدود والاحكام من الحلال والحرام ونعت محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اية
بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه اوضحناه ولخصناه للناس لبني اسرايل
في الكتاب في التورية لم يدع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فوضع فعمدوا
الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اوليك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين
يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملايكة والمومنون من الثقلين واصل اللعن الطرد ولعن الله
ابليس طرده اياه حين قال اخرج منها فانك رجيم ثم كثر ذلك حتى صار قولا اي يسالون
الله تعالى ان يلعنهم ويقولون اللهم العنهم وقال الضحاك ان الكافر اذا وضع في حفرته
قيل له من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا ادري فيقال له لا دريت ثم يضرب
ضربة بمطرقة فيصيح صيحة يسمعها كل شي الا الثقلين الانس والجن فلا يسمعه شي الا لعنه
فذلك قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون وقال البرا بن عازب ان الكافر اذا وضع في
قبره اتته دابة كان عينيها قدران من نحاس معها عمود من حديد فتضربه ضربة بين
كتفيه فيصيح فلا يسمع احد صوته الا لعنه ولا يبقى شي الا سمع صوته غير الثقلين وقال
ابن مسعود ان الرجل يلعن صاحبه فترتفع اللعنة في السما ثم تنحدر فلا تجد صاحبها الذي
قيلت له اهلا لذلك فترجع الى الذي تكلم بها فلا تجد لها اهلا فتنطلق فتقع على اليهود
فهو قوله عز وجل ويلعنهم اللاعنون فمن تاب منهم ارتفعت اللعنة عنه فكانت فيمن بقي
من اليهود وقال مجاهد اللاعنون البهايم تلعن عصاة بني ادم اذا اشتدت السنة
وامسك المطر قالت هذا شوم ذنوب بني ادم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها
حتى الخنافس والعقارب والبهايم يقولون منعنا القطر بذنوب بني ادم وانما قال
لهذه الاشيا اللاعنون ولم يقل اللاعنات لانه من شان العرب اذا وصفت شيا من البهايم
والجمادات وغيرها سوى الناس بما هو صفة الناس من قول او فعل الحقته بجمع من مذهب
بني ادم وجمعهم كقوله للاصنام بل فعله كبيرهم وقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقوله
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ثم استثنى فقال تعالى الا الذين تابوا من بعد الكتمان واصلحوا
السريرة وما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابه فكتموا او بينوا
للناس ما احدثوه ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم
من المفسدين فاوليك اتوب عليهم اقبل توبتهم واتجاوز عنهم واعود عليهم بالرحمة وانا التواب
الرجاع بقلوب عبادي المنصرفة عني الي الرحيم بهم بعد اقبالهم علي قوله تعالى ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اوليك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين خالدين فيها لا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون يعني الذين ماتوا من هولا الكاتمين ولم يتوبوا ذكر
لعنتهم احيا ولعنتهم امواتا واراد بالناس اجمعين من يعتد بلعنه وهم المومنون اجمعون
وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا وقال السدي لا يتلاعن اثنان مومنان ولا كافران

فيقول احدهما لعن الله الظالم الا وجبت تلك اللعنه على الكافر لانه ظالم فكل واحد من الخلق
يلعنه خالدين فيها في اللعنه وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون للرجعه ولا للتوبه ولا للمعذره او لا ينظر اليهم
نظر الرحمه **قوله** تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم قال ابن
عباس في روايه الكلبي قالت كفار قريش يا محمد صف وانسب لنا ربك فانزل الله سوره
الاخلاص وهذه الايه وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس كان للمشركين ثلثمايه
وستون صنما يعبدونها من دون الله فبين الله انه واحد وانزل الله هذه الايه
قال الازهري الواحد في صفات الله تعالى له معنيان احدهما انه واحد لا نظير له
وليس كمثله شي والعرب تقول فلان واحد قومه وواحد الناس اذا لم يكن له نظير والمعنى
الثاني اله واحد ورب واحد ليس له في الهيته وربوبيته شريك لان المشركين اشركوا معه
الهه فكذبهم الله فقال والهكم اله واحد وقال اصحابنا حقيقه الواحد في وصف الباري
انه سبحانه واحد لا قسيم له في ذاته اي ليس لذاته فرد اخر ولا بعض له في وجوده اي لا تركيب
فيه ولا بعض له بخلاف الجمله التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازا كقوله دار واحد وشخص
واحد وعبر بعض اصحابنا عن التوحيد فقال هو نفي الشريك والقسيم والتشبيه فالله
تعالى واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في ايجاد المصنوعات وواحد في ذاته لا قسيم
له وواحد في صفاته لا يشبهه الخلق فيها لا اله الا هو تقرير للوحدانيه بنفي غيره واثبات له
الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شي سواه بهذه الصفه فان كل ما سواه اما
نعمه او منعم عليه **قوله** تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السما من ما فاحيي به الارض بعد موتها
وبث فيها من كل دابه وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض لايات لقوم يعقلون
قيل لما نزلت قوله تعالى والهكم اله واحد عجب المشركون وقالوا ان محمدا يقول
ان الهكم اله واحد فليأتنا بايه ان كان من الصادقين فانزل الله هذه الايه وعلمهم
كيفيه الاستدلال على الصانع وعلى توحيده وردهم الى التفكر في اياته والنظر في مصنوعاته
وجمع السموات لانها اجناس يخالفه كل سما من جنس غير الاخرى ووحد الارض لانها
كلها من تراب واختلاف الليل والنهار يعني تعاقبهما في الذهاب والمجي والاختلاف الافتعال
من خلف يخلف خلوفا يعني كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب احدهما جا الاخر
خلافه لعله ونصف افسير قوله تعالى جعل الليل والنهار خلفه وقدم الليل
على النهار لانه هو الاصل والاقدم قال الله تعالى وايه لهم الليل نسلخ منه النهار وهكذا
كتقدم الصوامع والبيع والصلوات على المساجد والفلك التي تجري يعني السفن
واحده وجمعه سوا قال الله تعالى وايه لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وقال
اذ ابق الى الفلك المشحون وقال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبه يذكر
ويونث فالتذكير على لفظ الواحد والتانيث على معنى الجمع بما ينفع الناس بالذي
ينفعهم من ركوبها والحمل فيها للتجارات والمكاسب وانواع المطالب فهي تنفع الحامل
لانه يربح والمحمول اليه لانه ينتفع بما حمل اليه او ينفع الناس فيكون ما مصدريه
وما انزل الله من السما من ما يعني المطر قيل ثلثه ما نظن يعلمهن الا الله الرعد

والبرق

والبرق والغيث ما ادري من اين هي وما هي فقيل ان الله انزل من السما ما قال نعم ولا
ادري امطر من السما على السحاب ام خلق في السحاب فاحيا به الارض بعد موتها اراد
بعد جدوبتها ويبوستها سماه موتا مجازا وذلك ان الارض اذا لم يصبها مطر لم تنبت
ولم تنم نباتا فكانت من هذا الوجه كالميت واذا اصابها المطر انبتت وانمت فكان احيا
قوله وبث اي بث البث النشر والتفريق ومنه قوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونسا
وقوله كالفراش المبثوث قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض من جميع الخلق من
الناس وغيرهم قال صاحب الكشاف فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا
قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصله لان قوله فاحيا به الارض
عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشي الواحد وكانه قيل وما انزل في
الارض من ما وبث فيها من كل دابه ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر
الارض وبث فيها من كل دابه بالخصب ويعيشون بالحيوه والحاصل ان احيا ليس مستقلا
بنفسه فيصح عطفه على الصله الموصول على ان يكون ايه اخرى مثل انزال الما من
لاجل فا السببيه فالانزال والاحيا كالسبب والمسبب فصارا جميعا كالشي الواحد
وصله واحده بخلاف قوله وبث اذ يصح جعله صله معطوفه على الصله الاستقلال له
واشتماله على ما يبين الموصول من قوله من كل دابه فيكون ايه اخرى مثل انزال
من السما ما فاحيا به الارض الا ترى كيف صرح بالبيانين في قوله وما انزل في الارض
من ما وبث فيها من كل دابه والمطلوب تكثير الايات وكان هذا العطف ظاهرا
واما اذا عطف على فاحيا وكان من تتمه الصله مسببا عن المعطوف عليه مسبب عنه
اي مسبب عما احيا مسبب عنه محتاج الى تقدير حرف التسبب واظهار السبب الذي
هو الما وجعل من في قوله من كل دابه زايده وكان التقدير وبث فيها كل دابه
بسبب الما لان يبعها به ولا شك ان هذا التقدير زاد في معنى واخفى من الاول
لانه حينيذ على وزان قوله تعالى وانزلنا من السما ما طهورا لنحيي به بلده ميتا ونسقيه
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا واعلم انه اذا عطف على فاحيا يصح تبيته على انزل في
العباره كانه ثابت في الواقع بلا فصل او عطف على انزل فانه لا يفيد الترتيب في العباره
ولا شك ان الاول ابلغ في العباره وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا
وشمالا وفي احوالها حاره وبارده ولينه وعاصفه وعقيما ولواقح وقيل تاره بالرحمه
وتاره بالعذاب قرا حمزه والكسائي الريح بغير الف على الافراد والباقون الرياح بالجمع قال
ابن عباس الرياح للرحمه والريح للعذاب وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح يقول
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا والريح تذكر وتونث ووجه الجمع ان كل واحده
من هذه الرياح مثل الاخرى في دلالتها على الوحدانيه بتصرفها ووجه التوحيد انه
اريد بالريح الجنس فيفيد ما يفيده الجمع والسحاب المسخر اي المذلل المطيع لله سمي
سحابا لانه ينسحب اي يسير في سرعته كانه يسحب اي يجر وقيل بتسخير الرياح تقلبه
في الجو بمشيه الله يمطر حيث شا وقيل لا ينزل ولا يصعد ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدها
لانه لو كان كثيفا يقتضي النزول وان كان لطيفا يقتضي الصعود وان كان متوسطا بينهما
يقتضي الانقشاع لايات اي هذه الاشيا التي ذكرت دلالات وعلامات على وحدانيته

لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل على عظيم القدرة وباهر الحكمة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها والمج
في الاصل قذف اللعاب من الفم اعلم ان العالم الذي هو عبارة عما سوى الله تعالى اي
الممكنات الموجودة دالة على وجود الباري ووحدانيته وهو على قسمين قسم من شانه ان
يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى في عرف اهل الشرع الشهادة والخلق والملك وقسم لا يدرك
بالحواس الظاهرة ويسمى الغيب والامر والملكوت والقسم الاول يدركه عامة الناس والثاني
يدركه اولوا الالباب الذين عقولهم خالصة عن الوهم ووساوس الشياطين والقسم
الاول هو السموات والارض وما بينهما وما فيهما وما عليهما وكل واحد منها اية تدل على وحدانيته
تعالى قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد
وهو يحتوي على جمل وتفاصيل يستدل بها على وحدانيته بعضها اوضح من بعض وعقول الناس في
قبولها متفاوتة فان عقل بعض الناس قد يكون له قابلية ان ياخذ من بعض هذه الموجودات ولا
يكون له قابلية من بعض اخر والله بكمال عنايته ورافته ورحمته في القران الكريم بين الوحدانية
بجملها وتفاصيلها من وجوه متعددة وطرق متكثرة حتى يحصل لكل احد نصيب اللهم الا ان يكون من اهل
الشقاء فحينئذ لا ينفع وما دلالة هذه الايات المذكورة على وجوده تعالى ووحدانيته من وجوه
كثيرة تعجز القوة البشرية عن بيان تفاصيلها ولنذكر وجها مجملا ان الامور المذكورة في هذه الاية ممكنة
واقعة على احسن النظام واتقنه مع امكان ان يوجد على خلافه فلا بد لها من موجد قادر عالم
مريد حكيم اوجدها على ما يقتضيه ارادته واختياره وحكمته من غير معارض ومنازع واذ لا
يركب واقعا على هذا النظام البديع قال الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اعلم
انه ذكر اولا امورا وذكر اظهرها وهو السموات والارض قال الله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وهو اول الاسباب في عالم المشاهدة اوضح اليه اختلاف الليل والنهار
الذي هو من اسباب الحوادث المتجددة التابع لخلق السموات والارض الدال على كمال القدرة
فلا اله ظاهر لتحدده بهما على شمول التعاقب ثم ذكر الفلك التي تجري بما ينفع الناس فان جري
الفلك على الماء اقوى الدلائل على وحدانية الخالق القادر الحكيم ولهذا اذا
غشيهم موج دعوا الله ثم ذكر ما انزل الله من السماء من ماء ايضا من الايات الظاهرة
التي تفتقر اليهما على وجه الارض من الحرث والشجر والدواب قال الله تعالى وجعلنا
من الماء كل شيء حي ثم ذكر ما انزل الله من السماء من ماء ايضا من الايات الظاهرة التي تفتقر
اليهما على وجه الارض من الحرث والشجر والدواب قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل
شيء حي ثم ذكر ما يترتب عليه وبعثه فقال فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وهو من الايات البينات ولما كان الظاهر تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
من الحوادث الدالة على وجود المحدث ووحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته ادرجهما في الايات
المذكورة ثم بين ان هذه الامور المذكورة ايات لقوم يعقلون الذين لا يتخذون اندادا من دون
الله يحبونهم كحب الله فان من اتخذ اندادا من دون الله فقد فسد فطرته التي فطر الله الناس
عليها وزال عقله ودخل في زمرة الاشقياء لم ينتفع بالايات ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب

مخلصين له
الدين حم

ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب
وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار لما ذكر الله الايات الدالة على وحدانيته
اعلم ان قوما بعد هذه الدلالة البينة يتخذون الانداد اندادا من الاصنام المعبودة من دون
الله وقيل سادتهم ورؤساؤهم الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم في معصية الله وينزلون
على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم
يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه
مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي
يحبونهم كما يحبون الله اي يشركون بين الله وبين الانداد في محبتهم كانهم كانوا يقرون بالله
ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فعلى هذا لا يكون المصدر
من المبني للمفعول والذين امنوا اشد حبا لله اي اثبت وادوم لانهم لا يعدلون عنه الى
غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه
ويخضعون له ويجعلونهم وسايط بينهم وبين الله فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون
صنما فاذا راوا شيئا احسن منه تركوا ذلك واقبلوا على عبادة الاحسن او ياكلونه كما اكلت
باهلة الهامن حيس عام المجاعة وقيل لان حب المشركين لاوثانهم مشترك لانهم يحبون الله
وحده وقيل لان حبهم هواي وحب المومنين عقلي وقيل لان حبهم بالتقليد وحبهم لله بالدليل
وقيل لان الله احب المومنين اولا ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اشد
قوله ولو يرى قرا غير نافع وابن عامر بالياء على الغيبة وقرا نافع وابن عامر بالتاء على
خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب بيانه على الاول ولو يرى الذين ظلموا ا
باتخاذهم من دون الله اندادا حين يرون العذاب الشديد يوم القيامة
ان القوة لله جميعا اي القدرة التامة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون
اندادهم لندموا على الكفر ولامنوا ولعلموا مضرة الكفر ولكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف
من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله تعالى
ولو ان قرانا سيرت به الجبال وقوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت وقولهم
لو رايت فلانا والسياط تاخذه فيستغني عن ذكر الجواب لان المعنى مفهوم فعلى
هذا يكون قوله ان القوة لله جميعا في محل النصب على انه مفعول يرى وبيانه على
الثاني ولو ترى يا محمد او يا مخاطب الذين ظلموا باتخاذهم من دون الله اندادا اذ يرون
العذاب الشديد من الله لرايت ان القوة لله جميعا فعلى هذا قوله ان القوة لله جميعا
مفعول لقوله رايت الذي هو الجواب ومنهم من قدره هكذا لرايت امرا عظيما فيكون
ان القوة لله جميعا في موضع قوله امرا عظيما فيكون الفعل مع المفعول محذوفا وقرا ابن
عامر اذ يرون بضم الياء من الاراءة لا الرؤية وقرا الباقون بفتح الياء من الرؤية
واذ يستعمل للماضي ووقع هاهنا للمستقبل كما ان قوله ونادى اصحاب الجنة وضع
للماضي واستعمل هاهنا للمستقبل جميعا نصب على الحال وان الله شديد العذاب
عطف على قوله ان القوة لله جميعا قوله اذ تبرا بدل من قوله اذ يرون العذاب
اي تبرا المتبوعون الذين هم رؤساء من الذين اتبعوا اي من التابعين اي السفلة والاتباع

ورا وا العذاب او وللحال اي تبروا في حال روئيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرا
اي عنهم الاسباب في اللغة الحبال ثم قيل لكل شي وصلت به الى موضع اوحاجة تريدها
سبب ويقال للطريق سبب لانك بسلوكه تصل الى الموضع الذي تريده قال الله تعالى
فاتبع سببا اي طريقا والمودة بين القوم يسمى سببا لانهم بها يتواصلون والاسباب في الاية
هي الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الاسباب والحاب والاتباع
والاستتباع لقوله لقد تقطع بينكم وقال الذين اتبعوا عطف على قوله وتقطعت
والذين اتبعوا هم الاتباع لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم جواب لو لان لو في معنى
التمني ولذلك اجيب بالفا الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم في الدنيا
كما تبروا منا اليوم كذلك اي كتبري بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم حسرات في الاخرة
وقيل لقوله مثل ذلك الارا الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث
مفاعيل يريهم ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا الحسرات مكان اعمالهم وما
هم بخارجين من النار افاد تقديم هم الاختصاص فان العصاة من المسلمين سوا كانوا اصحاب
الكباير او الصغاير يخرجون من النار وهذا هو الحق قال صاحب الكشاف هم بمنزلته في قوله
هم يفترون الليل كل طرح في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص لما عرفت
ان تقديم المسند اليه على المسند اذا كان المسند فعلا او ما في معناه انما يكون لتقوي
الاسناد لا الاختصاص فلذلك هاهنا ولقايل ان يقول وما هم بخارجين ليس نظيره لتسلط
حرف النفي على الفاعل المعنوي ولين سلم انه نظيره فلا نسلم ان البنية لا يفيد الاختصاص
فالحصر والتخصيص يطلبا لادعا قوله وما هم بخارجين نظير قوله تعالى وما انت علينا بعزيز
واتفق علما هذا الفن ان مثل هذا التركيب مفيد الاختصاص قال صاحب الكشاف
الانتصاف فلما احتج الزمخشري في قوله ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون وهو الاخرة
هم يوقنون لكن هذا الاختصاص لا يوافق مذهبه فاعمل الحيلة في صرف الكلام عنه فجعلها مفيدة
للاحتية فان العصيان وان خلد واعمل فالكفار احق منهم بالخلود فسبحان من بلاه بالمحنة مع
حدة وفطنته قال صاحب الانصاف الاية تفيد ان اختصاص انداد امن الكفار والكفر اعم من
ذلك وجميعا هلدنيا ليسوا بخارجين من النار والاختصاص لهم لا بالخلود دون غيرهم من
الكفار والذي قاله الزمخشري صحيح وفيما قاله صاحب الانصاف نظر لان التخصيص انما يعتبر
بالنسبة الى من هو يخالف المسند اليه فيما هو مقتضى ثبوت المسند له والكفر وان كان اعم
من اتخاذ الانداد لكن ساير الكفار مشارك الذين اتخذوا من دون الله اندادا
في عدم الخروج من النار الكفر فلا يعتبر التخصيص بالنسبة الى غيرهم من الكفار بل
عامة في جميع من خالف المومنين من اهل الملل المختلفة لان انداد افي قوله ومن الناس من
يتخذ من دون الله انداد اداروسا يتبعونهم ويطيعونهم كما صرح الزمخشري به واستدل بقوله
اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ويومي ولو يرى الذين ظلموا فانه عام لجميع الكفار
والاصل عدم تخصيصه بالذين اتخذوا الانداد وابدال اذ تبرا من اذ يرون
توجيه لان الكلام في المتبوع والاتباع سوا مشركين او غير مشركين وما يدل على ان
الاية عامة في جميع من خالف المومنين من اهل الملل المختلفة ما روى البخاري ومسلم
والنساي عن ابي سعيد في حديث طويل اذا كان يوم القيامة اذن موذن ليتبع كل

امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون
في النار حتى اذا لم يبق من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير اهل الكتاب فيدعا
اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ
الله من ولد ولا صاحبة الى قوله يشركون فيتساقطون في النار ثم يدعا النصارى
فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من
صاحبة ولا ولد الحديث على تقدير ان يكون الاية مخصوصة بعبدة الاصنام فهي مقابلة
للمومنين بدليل قوله يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله فيكون الكلام للمومنين وفي
هولا القوم فلا مدخل في الاختصاص عنهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا مما في الارض
حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون قال ابن عباس في رواية ابي صالح نزلت في ثقيف وخزاعة
وعامر بن صعصعة وبني مدلج حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسايبة والوصيلة
والحام وقال في رواية عطا يعني المومنين خاصة والامر للاباحة ادخل من للتبعيض لانه ليس كل ما
في الارض يمكن اكله ويحل اكله والحلال المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه يقال حل الشي
يحل حلالا وحلالا منصوب على انه مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة
والاصل في الطيب ما يستلذ ويستطاب ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه لان النجس
تكرهه النفس فلا يستلذ والحرام ايضا غير مستلذ لان الشرع يزجر عنه ولما وصف الحلال
بالطيب وصف الحرام بانه خبيث قال الله تعالى لا يستوي الخبيث والطيب واراد بالحلال
الطيب ما احل الله اكله مما حرمه المشركون على انفسهم من الزرع والانعام وهو قوله عز
وجل وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من ولا تتبعوا خطوات الشيطان قرا
نافع وحمزة في رواية ابي بكر وحمزة وابو عمرو وابن كثير في رواية البزي خطوات بسكون الطا
في جميع القرآن وقرا ابن عامر والكسائي بضم الخا والطا فمن خففها ابقاه على الاصل
وطلب الخفة لانها جمع خطوة ساكنة الطا ومن ضم الطا تبعها ضمة الخا والخطوة ما بين
القدمين ومعنى قوله لا تتبعوا لا تتبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقه ولا تقفوا اثره
ولا تاتمروا به ولا تطيعوه فيما زين لكم من تحريم حلال واستحلال حرام في الشرع
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفا به فانه ابى السجود لادم ابيكم واخرجه
من الجنة ثم بين الله عداوته فقال انما يامركم بالسوء والفحشاء لا يامركم بخير قط والسوء
كل ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه وسوته فسي اذا احزنته
تحزن قال الله تعالى فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا قال الشاعر
ان يك هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سرني الدهر الامر عندي فيهما واحد
لذا الصبر ولذا الشكر والسوء هاهنا عصيان الله وقيل القبيح والفحشاء
ما تجاوز الحد في القبح من العظايم وهو مصدر كالباساء والضراء ويجوز ان يكون
نعتا وقيل السوء من الذنوب ما لا حد فيه والفحشاء ما لاحد فيه الحد وقيل الفحشاء
ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقيل هو البخل وقيل هو الزنا وقيل ان جميع ما في
القرآن من ذكر الفحشاء هو الزنا الا قوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فانه
منع الزكوة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم

سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى
انكم بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان
الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لأمارة بالسوء لما كان الانسان
بطبعه يعطيها ما اشتهت ولقايل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف وصرف اللفظ
عن الحقيقة فان الامر حقيقة هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء وكيف لا وقد قال
انا خير وان تقولوا على الله عطف على قوله بالسوء ما لا تعلمون من تحريم الحرث والانعام
قيل المخاطبون هم المشركون وكفار اهل الكتاب يعني في نسبتهم اشياء ما شرعوها الى الله
كما ذكر الله عنهم في قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها
قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا او لو
كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون قيل دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود
الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
فهم كانوا خيرا واعلم منا فانزل الله هذه الاية فعلى هذا تكون قصة مستانفة والضمير
في لهم راجع الى غير مذكور وقيل هذه الاية متصلة بما قبلها والضمير في لهم للناس وعدل
بالخطاب عنهم الى الغيبة على طريق الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد
كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وقيل هم مشركو العرب وكفار
قريش قالوا بل نتبع ما الفينا وجدنا عليه اباءنا من الدين فقال الله تعالى اولو كان اباؤهم
الهالك والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من
التوحيد ومعرفة الله ولا يقرون للحجة البالغة وقيل لا يعقلون شيئا اصلا او لا يعقلون
شيئا من امر الدين ولا يهتدون للصواب ثم ضرب مثلا للكفار فقال ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون قيل لا بد
من مضاف محذوف اما بعد مثل وقيل الذين واما بعد كمثل وقيل الذي فعلى الاول
تقديره ومثل واعظ الذين كفروا وداعي الذين كفروا الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعا
الا جرس النغمة وذوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الذي ينعق بالبهايم
التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا اخر ولا تعي
كما يفهم العقلاء ويعون شبه داعي الذين كفروا براعي البهايم والذين كفروا بالبهايم ودعاءه
الذين كفروا بدعا الذي ينعق بالبهايم واراد بما لا يسمع البهايم ويجوز ان يراد بما لا يسمع الرجل
الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والصوت لا غير من
غير فهم للحروف وهذا امثل الاول الا انه فسر في الاول ما لا يسمع بالبهايم وفي هذا بالرجل
فيكون تقديره ومثل داعي الذين كفروا الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعا الا جرس
النغمة وذوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الذي ينعق بالرجل الاصم
الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم
للحروف عبر عن الرجل الاصم المذكور بما والتكلم معه بالنعيق لانه في سلك ما لا يعقل
وعلى الثاني تقديره ومثل الذين كفروا في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل بهايم الراعي
الذي ينعق بما لا يسمع الا ظاهر الصوت ولا يفهم ما تحته فكذلك الذين كفروا يتبعون اباءهم على
ظاهر حالهم ولا يفقهون انهم على حق ام باطل والمراد بما لا يسمع البهايم ووضع ما موضع المضمر

لكون المرجوع اليه محذوفا وقيل لا حاجة الى تقدير مضاف لا في المشبه ولا في المشبه به والمعنى
ومثل الذين كفروا في دعائهم للاصنام كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء لا يساعد
عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا يقال نعق الراعي بالضان ينعق نعيقا ونعاقا ونعقانا ونعاقا اذا صاح
به زجرا قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا ثم وصفهم الله فقال
صم اي هم صم عن الحق فلا يسمعونه بكم عن الحق فلا ينطقون به عمي عن الحق فهم لا يبصرون فهم لا يعقلون
شيئا من التوحيد ومعرفة الله تعالى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون الامر ههنا للاباحة من طيبات حلالات ما رزقناكم
من الحرث والانعام وما حرمه المشركون منها على انفسهم وساير المأكولات عن ابي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه طيب لا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين
بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل
السفر يمد يده الى السما يقول يا رب اشعث اغبر مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي
بالحرام فانى يستجاب له قال صاحب الكشاف من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما
رزقه الله لا يكون الا طيبا لا تعليل لتفسير الطيبات بالمستلذات لان قوله ما رزقناكم محمول
على الحلال لان ما رزق الله لا يكون الا حلالا الا عند المعتزلة وعند اهل السنة ما رزقه
الله اعم من ان يكون حلالا او حراما وهو الحق فيفسر الطيبات بالحلالات ليكون الاكل
المامور به حلالا واشكروا لله على نعمه ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولي
النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد
غيري وارزق ويشكر غيري ثم بين ما حرم عليهم قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم
انما كافة للحصر والميتة ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح والدم اراد به الجاري يدل عليه
قوله تعالى او دما مسفوحا كانت العرب تجعل الدم في المباعر وتشويها ثم تاكلها فحرم الله تعالى
الدم وخصت الميتة والدم بالسنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما
الميتتان فالجراد والسمك واما الدمان فالكبد والطحال وقيل قصد بالميتة ما يتعاطاه الناس
ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القايل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك
والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الوهم الى الكبد والطحال والاعتبار العادة والتعارف قالوا
من حلف لا ياكل لحما لم يحنث باكل السمك وان اكل لحما باعتبار الحقيقة اللغوية قال الله تعالى لتاكلوا
منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولحم الخنزير اراد الخنزير بجميع اجزايه وبحل فيه
لانه معظمه وقوامه ولانه المقصود بالاكل قال صاحب الكشاف لان اللحم كونه تابعا له وصفة
فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم وما اهل به لغير الله الاهلال في اللغة رفع
الصوت ومنه اهلال الحج وهو رفع الصوت بالتلبية قال ابن احمر يصف فلاة يهل بالفرقد كما يهل
الراكب المعتمر ومنه اهلال الصبي واستهلاله وهو صياحه عند خروجه من بطن امه
ومنه اهلال المطر واستهلاله وانهلاله وهو صوت وقوعه بالارض وما اهل به لغير
الله اي وما ذبح به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذكر عليه غير اسم الله وذلك قول اهل
الجاهلية باسم اللات والعزى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله سبعة من خلقه

ولعن الله كل واحد منهم لعنة تكفيه قال ملعون ملعون ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من
ذبح لغير الله ملعون من اتى شيا من البهايم ملعون من جمع بين امراة وابنتها ملعون من عق والديه
ملعون من انتمى الى غير مواليه ملعون من غير حدود الارض وقوله فمن اضطر قرا عاصم
وحمزة بكسر النون فيه وفي اخواته مثل ان اقتلوا او اخرجوا لان الساكن يحرك بالكسر وقرا الباقون
بضم النون لما سكنوا اول الفعل الذي يليه لاجل الوصل نقلوا ضمته الى النون لما سكنوا
اول الفعل الذي يليه ومعناه الجي واحوج والجي الى ذلك وهو افتعل من الضرورة
قال الازهري معناه من ضيق عليه الامر بالجوع وقيل معناه اكره عليه كالرجل ياخذه العدو فيكرهه
على اكل لحم الخنزير غير باغ نصب على الحال وقيل على الاستثنا واذا رايت غير يصلح في موضعها
لا فهي حال واذا اصلح في موضعها الا فهي استثنا اصل البغي قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي
بغيا اذا ترامى الى الفساد ومنه قيل للزنا بغيا والبغي الظلم ايضا قال الله تعالى والذين
اذا اصابهم البغي هم ينتصرون واصل العدو ان الظلم يقال عدا يعدو وعدوا وعدوانا
وعدوا اذا ظلم واختلف المفسرون في معنى قوله غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه
ولا عاد سد الجوعة وقيل غير باغ غير قاطع للطريق ولا عاد مفارق للايمة مشاق
للامة خارج عليهم بسيفه فمن خرج يقطع الرحم او يخيف ابن السبيل ويفسد في الارض
او ابق من سيده او فر من غريمه او خرج عاصيا باي وجه كان فاضطر الى الميتة لم
يحل اكلها او اضطر الى الخمر عند العطش لم يحل له شربها لا رخصة له ولا كرامه فاما اذا
خرج مطيعا او مباحا له ذلك فانه يرخص له فيه وهو مذهب الشافعي قال اذا لجا له
ذلك فقد اعانه على الفساد والظلم لكن يتوب ويستبيح ذلك وقيل هذا البغي وهذا
العدو وان راجعان الى الاكل واليه ذهب ابو حنيفة واباح تناول الميتة للمضطر وان كان
عاصيا وقيل غير باغ باكله من غير اضطرار ولا عاد متعد بتعدي الحلال الى الحرام اي
فياكله تلذذا او عاد باكل حتى يشبع منه ولكن ياكل منها قوتا مقدار ما يمسك رمقه وقيل
غير باغ اي يجاوز للقدر الذي يحل له ولا عاد ولا مقتصر فيما يحل له فيدعه ولا ياكله
قال مسروق يلغني انه من اضطر الى الميتة ولم ياكلها حتى مات دخل النار وقد اختلف
العلماء في مقدار ما يحل للمضطر اكله من الميتة فقال بعضهم مقدار ما يمسك به رمقه وهو
احد قولي الشافعي واختيار المزني والقول الاخر ان ياكل منها حتى يشبع وقيل لا
يزداد على ثلاث لقم وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق للجماعه ولا عاد مبتدع
مخالف للسنه فلم يرخص للمبتدع تناول المحرمات عند الضرورات فلا اثم عليه ولا حرج
عليه في اكله ان الله غفور للعاصي وفيه اشارة الى انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يواخذ
بما جعل فيه الرخصه رحيم حيث رخص للمضطر في اكل الميتة قوله تعالى ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا
النار ولا يكلمهم الله يوم القيامه ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا
الضلاله بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد عن ابن عباس سالت الملوك
اليهود قبل مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما الذي تجدون في التوراة قالت
اليهود انا لنجد في التوراة ان الله يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد بتحريم الزنا

عز وجل
م

والخمر والملاهي وسفك الدما فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ونزل المدينة
قالت الملوك لليهود هذا الذي تجدون في كتابكم فقالت اليهود طمعا في اموال الملوك
ليس هذا بذلك النبي فاعطاهم الملوك الاموال فانزل الله عز وجل هذه الايه تكذيبا
لليهود وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في روسا اليهود
وعلمايهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل وكانوا يرجون ان يكون النبي
المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال
رياستهم فعمدوا الى صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا
هذا نعت النبي الذي يخرج في اخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي بمكة فاذا نظرت
السفله الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد عليه الصلوة والسلام فلا يتبعونه
فانزل الله عز وجل ان الذين يكتمون اولئك ما ياكلون في بطونهم ملا بطونهم اكل فلان
في بطنه واكل في بعض بطنه ذكر البطون هاهنا للتوكيد لان الانسان قد يقول
اكل فلان مالي اذا افسده ويقال كلمه من فيه لانه قد يكلمه مراسله ومكاتبه ونا وله
من يد ونحوها قال الشاعر نظرت فلم تنظر بعينك منظرا الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس
بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار يعني ما يوردهم النار وهو الرشوة وثمن
الدين والاسلام لما كانت عاقبته النار سماه في الحال نارا لقوله تعالى ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا يعني ان عاقبته تول الى النار وقوله
صلى الله عليه وسلم في الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم
اخبر عن الماال في الحال قال صاحب الكشاف لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة
عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدله
قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال ياكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف
فسماه اكافا لتلبسه به لكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله يوم القيمه كلاما ينفعهم ويسرهم
تعريض لحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامهم وقيل لا يكلمهم الله معناه
يغضب عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه والا يزكيهم لا يطهرهم من دنس
ذنوبهم ولا يثني عليهم قوله فما اصبرهم على النار قيل ما للتعجب واصبرهم فعل
التعجب تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما يقول
لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن يريد انه لا يتعرض
لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب نقل عن الكساي انه قال اخبرني قاضي اليمن
ان خصمين اختصما اليه فوجبت اليمين على احدهما فحلف فقال له خصمه ما اصبرك على
الله اي ما اجراك عليه وقيل فما اصبرهم على عمل يوديهم الى النار لان هولا كانوا علما
بان من عاند النبي صلى الله عليه وسلم صار من اهل النار وقيل معناه فما اصبرهم
على عمل اهل النار اي ما ادومهم عليه وقيل ما اعلمهم باعمال اهل النار وقيل ما
ابقاهم في النار وقيل ما للاستفهام اي فما الذي صبرهم على النار واي شي حبسهم
على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل يقال اصبره كذا وصبره بمعنى وهذا
اصل معنى فعل التعجب وقيل هذا على وجه الاستهانة ذلك اي ذلك العذاب
الاليم بسبب ان الله انزل الكتاب اي التوراة بالحق فاختلفوا في الكتاب

اى فعلنا ذلك بهم بان الله عز وجل نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه وكفروا وان الذين
اختلفوا في كتب الله فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل
وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او ذلك اشارة
الى كفرهم اى كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق كعلم اهل الكتاب وان
الذين اختلفوا من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق
بعيد يعني ان اوليك المشركين لو لم يختلفوا ولم يشاقوا الملاحسرهولاء اى اهل
الكتاب ان يكفروا قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
ولكن البر من آمن بالله والملايكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسايلين وفي الرقاب واقام الصلوة
واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباسا والضرا وحين
الباس اوليك الذين صدقوا واوليك هم المتقون قرا حمزة وحفص ليس البر
بنصب الرا والباقون بالرفع فمن رفع البر جعله اسم ليس وجعل خبره قوله ان تولوا
تقديره توليتكم وجوهكم ومن نصب جعل ان وصلتها في موضع الرفع على اسم ليس توليتكم
وجوهكم البر قيل عنى الله تعالى بهذه الاية اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانت
تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم ان البر في
ذلك فاخبر الله ان البر غير دينهم وعلمهم ولكن البر ما بيناه في هذه الاية وقيل المراد
بهذه الاية المومنون وذلك ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فانزل
الله عز وجل هذه الاية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل فتلاها عليه
وقد كان الرجل قبل نزول الفرايض اذا شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
وصلى الصلوات الخمس الى اي ناحية كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وحولت القبلة الى الكعبة وحدت
الحدود انزل الله تعالى هذه الاية فقال ليس البر كله ان تصلوا ولا تعملوا غير ذلك
ولكن البر من آمن اسم عين والبر اسم معنى فلا يصح ان يكون خبرا عنه اذ لا يقال
البر زيد بل يحتاج الى تاويل اما تقدير مضاف في الاول او في الثاني اى لكن ذو البر
من آمن او لكن البر بر من آمن واما بان يجعل البر نفس المومن كان المومن متجسد من البر
لكثرة البر فيه كما قال فانما هي اقبال وادبار جعلت الناقة لكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبتهما
عليها وانه ليس لها حال غيرهما كانها قد تجسمت من الاقبال والادبار قرا ابن عامر
ونافع ولكن البر بالتخفيف ورفع الرا والباقون بالتشديد ونصب الرا والكتاب
جنس كتب الله لانه اسم جنس فيجوز وقوعه على الكثير واتى المال على حبه مع حبه
والشح به عن ابن عباس وابن مسعود هو ان تؤتيه وانت صحيح تامل الغنى وتخشى الفقر
ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير راجع الى الله
اى واتى المال على حب الله وقيل على حب الايتا يريد ان يعطيه وهو طيب النفس
باعطايه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على
المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة
على ذي الرحم الكاشح قوله وابن السبيل المسافر المنقطع من اهله يمر عليك جعل ابنا

السبيل لملازمته كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لان ابن
السبيل رغبته والسايلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسايل حق وان
جا على ظهر فرسه وفي الرقاب يعني المكاتبين اى في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم
وقيل فدا الاسارى وفك رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها ذكر ايتا المال في هذه
الوجوه ثم ذكر ايتا الزكوة بعده يحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على
نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي
ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون بعهدهم عطف على من آمن اى بعهدهم فيما بينهم
وبين الله وفيما بينهم وبين الناس اذا عاهدوا واذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا
ونذروا اوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ايتمنوا ادوا وقيل في هذه الاية فمن
اعطى عهد الله ثم نقضه فالله سبحانه ينتقم منه ومن اعطى ذمة للنبي صلى الله عليه وسلم
ثم غدر فالنبي صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة والصابرين منصوب على الاختصاص
والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدايد ومواطن القتال على ساير الاعمال والباسا الشدة
والفقر والضرا المرض والزمانة وحين الباس وقت القتال في سبيل الله والباس اسم
للحرب لما فيها من الشدة اوليك اى اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم
فمن شرايط البر وتمام شرايط البار ان تجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها
لم يستحق الوصف بالبر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر
بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه
باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم قيل سبب
نزول هذه الاية ازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان اليهود
كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى كانوا يوجبون العفو والعرب تارة يوجبون القتل
واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كل من الحكمين اما القتل فلانه
اذا وقع القتل بين قبيلتين احدهما اشرف من الاخرى فالاشرف كانوا يقولون نقتل
بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون
جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك واما الدية فانهم ربما جعلوا
دية الشريف اضعاف دية الرجل الخسيس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص وانزل هذه الاية كتب
اى فرض فانه مستعمل في الشرع قال الله تعالى كتب عليكم الصيام وقال كتب عليكم اذا
حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية ومنه الصلوات المكتوبات اى المفروضات وقال
عليه السلام ثلاث كتب علي ولم تكتب عليكم مشعرة بالوجوب قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت
والقصاص فعال من المقاصة وهي المساواة في النفوس والجراحات والديات واصله
من قص الاثر اذا اتبعه فكان المفعول به يتبع ما عمل به فيعمل مثله في القتلى اى بسبب
القتلى لان كلمة في قد تستعمل في السببية لقوله في النفس المومنة ماية من الابل
فان قيل لو وجب القصاص اما ان يجب على القاتل نفسه وهو باطل لان القاتل لا يجب
عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه او على الولي وهذا ايضا باطل لانه مخير في القتل والدية
على تركه مندوب او على الاجنبي وهو باطل لان الاجنبي لا تعلق له به ولان معنى الاية ايجاب

التسويه في القتل ولا يلزم منه ايجاب القتل اجيب بان المراد ايجاب اقامة القصاص
على الامام او من يجري مجراه فانه متى حصل شرايط وجوب القود لا يحل للامام ان يترك
القود والتقدير يا ايها الامة كتب عليكم استيفا القصاص ان اراد الولي وايجاب تسليم القاتل
نفسه عند مطالبة الولي بالقصاص فانه لا يجوز للقاتل ان يمتنع وبان ايجاب التسوية
في القتل والتسويه في القتل صفة القتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الموصوف
ومذهب ابي حنيفه ان موجب العمد القصاص واحد قولي الشافعي ان موجب العمد
اما القصاص او الديه فظاهر الايه ان الموجب هو القصاص لكن لولي الدم العفو بعوض او
بدونه والشافعي يراعي في المماثله جهة القتل الاول فان كان بقطع اليد قطع يد القاتل
فان مات عنه والا حز رقبته وابو حنيفه يقول ان المراد بالمثل تناول النفس حجه
الشافعي ان الله تعالى اوجب التسويه من جميع الوجوه الممكنه بدليل صحة الاستثنا اذ يصح
ان يقال كتب التسويه في القتل الا في كيفية القتل فيكون التسويه في كيفية القتل
داخلا تحت النص وبانه لو لم يحكم به لانه تدل الايه على التسويه في جميع الامور صارت
الايه مجمله ولو حكم فيها بالعموم صارت مخصوصه في بعض الصور والتخصيص اولى من الاجمال
ثم تاكد هذا النص بالنصوص المقتضيه للمماثله كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ثم تاكدت هذه
النصوص المقتضيه للمماثله بالخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله من حرق
حرقناه ومن غرق غرقناه وروي ان يهوديا رضخ راس صبيه بالحجارة فقتلها فامر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يرضخ راس اليهودي بالحجارة حجة ابي حنيفه قوله صلى الله عليه وسلم
لا قود الا بالسيف وقوله عليه الصلوة والسلام لا يعذب بالنار الا ربها والجواب
ان الاحاد لا تعارضه فمثل النصوص فيعمل بها ثم اتفقوا ان هذا القاتل اذا لم يتب
واصر على ترك التوبه يكون القصاص مشروعا في حقه عقوبه من الله تعالى اما اذا
كان تائبا فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبه لان توبته مقبوله لقوله تعالى
وهو الذي يقبل التوبه عن عباده ويعفو عن السيئات واذا صارت التوبه مقبوله
امتنع استحقاقه لقوله صلى الله عليه وسلم التوبه تمحو الحوبه ثم قال اصحابنا اهل السنة
والجماعه يفعل الله ما يشاء ولا اعتراض عليه في شي وقالت المعتزله انه شرع القصاص
ليكون لطفا ثم سالوا انفسهم كيف يكون هذا القتل لطفا له ولا تكليف بعد القتل واجابوا
عنه بان هذا القتل منفعه لولي المقتول من حيث التشفي ولساير المكلفين من حيث انه زجر
لساير الناس عن القتل ومنفعه للقاتل من حيث انه متى علم انه لا بد وان يقتل ترك الاصرار
والتزم قوله الحر بالحر روي انه كان بين حيين من احيا العرب دم في الجاهليه وكان
لاحدهما طول على الاخر وكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور فقتل الاوضع منهما من الشريف
فقال الشريف لنقتلن الحر بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت فامرهم ان يتباووا ومذهب
الشافعي ان الحر المسلم كفو للحر المسلم وكذلك العبد للعبد والذكر للذكر والانثى للانثى ولم تدل
الايه منطوقه على ان الذكر لا يقتل بالانثى ولا ان العبد لا يقتل بالحر لكن بحسب المفهوم يدل
على ان الحر لا يقتل بالعبد لان تقييد الحكم باحد وصفي الذات يدل على نفي الحكم

عما

بلغ مقابلة باصله فصح

عما عدا الوصف وهو مذهب الشافعي فان قيل لا يخلو اما ان يعتبر مفهوم الصفة
او لا فان لم يعتبر لم يلزم ان لا يقتل العبد بالحر اجيب بان مفهوم الصفة معتبر
ولكن اذا لم يكن غير المذكور اولى بالحكم من المذكور او متساويا له او لم يكن
الحر واراد النفي الباطل فيكون المفهوم معتبرا ولا يقتل الحر بالعبد وانما التقييد
في قوله الحر يقتضي ان يكون غير المذكور الذي هو العبد لا ينتفي عنه الحكم لان العبد
اولى بالحكم من الحر لان الحر الذي هو اشرف اذا كان يقتل بالحر فالعبد اولى ان يقتل
بالحر فالمفهوم يعتبر في الاول دون الثاني وكذلك يعتبر المفهوم في قوله
العبد بالعبد في الاول لانه ليس باولى ولا مساويا له ولا يرد الا الباطل ولم يعتبر
في الثاني لان غير المذكور الذي هو الحر اولى وكذلك لا يعتبر المفهوم في قوله والانثى
بالانثى لان غير المذكور في الطرفين مساو للمذكور في الحكم فيقتل الذكر بالانثى والانثى
بالذكر ومذهب ابي حنيفه واصحابه انها منسوخه بقوله النفس بالنفس والقصاص
ثابت بين الحر والعبد ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافا دماؤهم
وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان الجماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به والجواب
اما عن قولهم انها منسوخه بقوله تعالى ان النفس بالنفس فلا نسلم انها منسوخه بقوله ان النفس
بل مخصصه ومفسره له فانه اذا دار اللفظ بين كونه مخصصا للعام ومفسرا للابهام سوا
كان بمفهومه او بمنطوقه وبين كونه منسوخا فالحمل على انه مخصص ومفسر اولى وايضا
قوله ان النفس بالنفس وارد لحكاية ما كتب في التورية على اهلها لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها فلا يجوز ان تكون
منسوخه به واما عن الاستدلال بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافا دماؤهم
فانه مخصص بمفهوم قوله تعالى الحر بالحر واما عن قولهم ان التفاضل غير معتبر في الانفس
مطلقا فممنوع وان اريد به في بعض الصفات فمسلم ولا يلزم منه ان يكون التفاضل
في الحريه والرق غير معتبر في الانفس مطلقا فممنوع قوله فمن عفي له من اخيه شي
العفو اسقاط الواجب من عقوبة ذنب او من ارش جناية والضمير المجرور
في له واخيه راجع الى من وهو القاتل واخوه ولي المقتول وشي مفعول
مطلق معناه فمن عفي له من جهة اخيه شي من العفو كقولك سير بزيد بعض
السير وطايفه من السير ولا يصح ان يكون شي في معنى المفعول به لان عفي لا
يتعدى الى المفعول به بنفسه ويطالب القاتل به كما يقول الرجل قل لصاحبك
كف المن بينه وبينه ادنى ملابسه او ذكر ولي المقتول بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسيه والاسلام اعلم ان عفا الله تعديته
الى الجاني والى الذنب بعن يقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله
تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عما سلف وقال عفا الله عنها وقد ينزع الخافض
عن الذنب فيقال عفوت له ذنبه فاذا تعدى الى الذنب سوا بعن او بدونه
قيل عفوت لفلان عما جنى وعلى هذا ما في الايه كانه قيل فمن عفي له عن جنايته
فاستغنى عن ذكر الجنايه قال صاحب الكشاف فان قلت هلا فسرت عفا بترك
حتى يكون شي في معنى المفعول به قلت لان عفا الشي بمعنى تركه ليس بثبت ولكن

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحا فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا
محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن امحي له من اخيه شي قلت عبارته قلقة في مكانها
العفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال
الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا
العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعا
على العرب ما لا تعرفه وهذه جراءة يستعاذ بالله منها ثم قال فان قلت لم قيل شي من العفو
قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه
بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف اما فاعل
لفعل محذوف وتقديره فليكن اتباع بالمعروف او خبر او مبتدا محذوف وفداي فالامر
اتباع وهذه توصية لولي المقتول الذي هو العافي وللقاتل الذي هو المعفو عنه
جميعا يعني وليؤد القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه وليتبع الولي
القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة ذلك الحكم المذكور من القصاص
والدية والعفو اي التخيير بين هذه الاشيا تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية
كتب عليهم القصاص وحرم عليهم العفو والدية واهل الانجيل كتب عليهم العفو وحرم
عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلثة القصاص والدية والعفو تخفيفا
وتيسيرا وتوسعة عليهم فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف والتخيير فتجاوز ما شرع له
فقتل غير القاتل او قتل القاتل بعد اخذ الدية فله نوع عظيم من العذاب شديد
الالم في الاخرة قيل كان الرجل في الجاهلية اذا قتل قتيلا فر الى قومه فيجي قومه
فيصالحون بالدية فيقول ولي المقتول اني اقبل الدية حتى يامن القاتل ويخرج
فيقتله ثم يرمي اليهم بالدية فذلك الاعتدا وقيل عذاب اليم معناه في الدنيا ولا
تعفي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا اعافي رجلا قتل بعد اخذ الدية وفي الاخرة عذاب
النار وفي هذه الاية دليل على ان القاتل الذي هو متعمد لا يصير كافرا بالقتل ولا يبقى
خالدا في النار ابدا اباه الله لان الله عز وجل خاطبهم فقال يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
القصاص ولا خلاف في ان القصاص واقع في العمد فلم يسقط عنه اسم الايمان بارتكاب هذه
الكبيرة وقال في اخر الاية فمن عفي له من اخيه شي فسمى القاتل اخا وقال ذلك تخفيف
من ربكم ورحمة وهما يليقان المومنين دون الكفار قال ابن عباس سمى الله القاتل في اول
الاية مومنا وفي وسطها اخا ولم يويسه في اخرها من التخفيف والرحمة قوله تعالى
ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون كلام فصيح بليغ لما فيه من الغرابة
اللطيفة الحسنة الوجيزة فان القصاص الذي هو قتل مزيل للحيوة جعله ظرفا للحيوة
والظرف انما يحوي المظروف يمنعه من التفويت ومن اصابة سحر البلاغة تعريف القصاص
وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك
انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة وتقع
بينهم التقاتل والتناحر فلما جا الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة اي حياة اي نوع
من الحياة عظيم وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لحصول علم القاتل بالاقتصاص
لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود

وكان

وكان القصاص سبب حيوة نفسين بل سبب حيوة اكثر الناس وقوله في القصاص حيوة هو العلم
في الاتحاد واصابته المحز بفضله على ما كان عندهم اوجز كلام في ذلك المعنى
وذلك قولهم القتل انفى للقتل فانه اربعة عشر حرفا وليس فيها الا النفي والقتل
ومع هذا لا يفي بالمقصود الا بتقدير قصاصا بعد القتل السابق وظلما بعد اللاحق
كانه قال القتل قصاصا انفى للقتل ظلما وقوله في القصاص حيوة هو العلم في الاختيار
واصابته المحز بفضله احد عشر حرفا ليس فيها قتل ولا نفي بل فيها الحيوة الصادقة
للقتل واف بالمقصود من غير تقدير شي اخر يا اولي الالباب اي العقول
الصرفة الصارفة عن نزغات الشيطان المانعة من النظر في العواقب المشكلة
لاستعمال القوة الغضبية فيما امر به الشيطان من الامور المتضادة لمقتضيات
الدين والعقل لعلكم تتقون من كل معصية مستدعية لدخول النار قوله تعالى
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين
بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله
سميع عليم اي اذا فرض اذا حضر اي دنا منه وظهرت اماراته ومقدماته من الامراض
خيرا قيل مالا قليلا او كثيرا فان الخير يراد به المال في كثير من القران كقوله تعالى
وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد من خير فقير وهذا لا يدل على ان المال
القليل خير بل غايته انه اطلق الخير واريد به المال وقيل اراد به خيرا ههنا مالا
كثيرا روي ان رجلا قال لعائشة رضي الله عنها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك
قال ثلثة الف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله عز وجل ان ترك خيرا وانما
هي شي يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمية
فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اذا ترك سبع مائة درهم فلا يوصي فان بلغ ثمان مائة درهم اوصى وعن قتادة
الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم وقيل غير مقدر بمقدار معين
بل يختلف ذلك باختلاف حال الرجل لانه قد يوصف الرجل بمقدار من المال بانه
غني وغيره لا يوصف بانه غني بهذا المقدار بسبب كثرة العيال وكثرة النفقة والوصية
مرفوع بكتب لاقامتها مقام الفاعل وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى الايصا ولذلك
ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه واختلف العلما في حكم هذه الاية فقيل
كانت الوصية للوالدين والاقربين فرضا واجبا على من مات وله مال في بدء الاسلام
فنسخت باية المواريث في سورة النسا وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل
ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان
كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته
وقيل نسخت الوصية للوالدين والاقربين الذين يرثون وبقي فرض الوصية
للاقارب الذين لا يرثون وللوالدين اللذين لا يرثان بكفر او رق على من كان له
مال فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية فقال الا ان
الله عز وجل قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فبين ان الميراث
والوصية لا يجتمعان فاية الميراث هي الناسخة وقول رسول الله صلى الله عليه

وسلم هو المبين وقيل هو منسوخ والوارث جمع له بين الوصيه والميراث بحكم الايتين وقيل
ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين
والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب عليكم اذا احضر احدكم الموت
ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص
من انصبايهم بالمعروف اي بالعدل الذي لا يستنكر يعني لا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني
ويدع الفقير كما قال ابن مسعود الوصية للاخل فالاخل اي الاحوج فالاحوج
حقا مصدر موكد اي حق ذلك حقا اي وجب على المومنين وجوبا وقيل مفعول
به اي جعل الوصيه حقا على المتقين على المومنين الذين يتقون الشرك قال
الواحدي كان السبب في نزول هذه الايه ان اهل الجاهلية كانوا يوصون
باموالهم للبعدا ريا وسمعة فصرف الله بهذه الايه ما كان يصرف الى البعدا الى الاهل
والاقربا فعمل بها ما كان العمل صالحا ثم نسختها ايه المواريث في سورة النسا وكانت
الوصيه للوالدين والاقربين فرضا على من مات وله مال حتى نسخ حكم الايه
ولا يجب على احد وصيه لاحد قريب او بعيد واذا اوصى فله ان يوصي لكل من شا
من الاقارب والاباعد الا الوارث روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا يجوز لوارث وصيه عن نافع عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرء ان يبيت ليلتين وله مال يريد ان يوصي فيه
الا ووصيته مكتوبه اي فمن غير الايصا الواقع على الوجه المشروع من الاوصيا
او الاوليا او الشهود بعد ما سمعه عن الموصي الميت وحققه فانما اثمه التبديل
اي وما اثم التبديل الا على الذين يبدلون الايصا دون الموصي الميت لانه بري
من الحيف ان الله سميع سمع ما قاله الموصي عليم بنيته وما اراد وعليم بما يفعله
الوصي وعيد للمبدل قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا
اثم عليه ان الله غفور رحيم قيل كان الاوليا والاوصيا يمضون وصية الميت
بعد نزول الايه المتقدمه وان كانت مستغرقه للميراث فانزل الله هذه الايه
فمن خاف توقع وعلم واستعمال الخوف بمعنى التوقع والعلم شايع يقال اخاف ان يرسل
السما اي اتوقع واظن ظنا غالبا جاريا مجرى العلم لان في الخوف طرفا من العلم
فان القايل اذا قال اخاف ان يقع امر كذا كانه يقول اعلم وانما اخاف لعلمه بوقوعه
فاستعمل الخوف في العلم ومنه قوله تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا
وقوله الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله من موص قرا ابن كثير وابو عمرو
ونافع وابن عامر وحفص بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد قوله جنفا اي ميلا
عن الحق بالخطا في الوصيه يقال جنف يجنف جنفا مال ولذلك المجانف ومنه
قوله تعالى غير متجانف او اثما او تعمدا للجنف قال المفسرون الجنف الخطا والاثم
العمد قيل معنى الايه ان من حضر مريضا وهو يوصي فخاف ان يخطي في وصيته
فيفعل ما ليس له او يتعمد جورا فيها فيامر بما ليس له ولا حرج على من حضره ان يصلح
بينه وبين ورثته باجرايهم على العدل وطريق الشرع لان تبديله تبديل باطل
الى حق ذكر من بدل بالباطل ثم من بدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يوثم قوله

تعالى

تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما
معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية
طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان
الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد
منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون كتب فرض
عليكم الصيام مصدر صام كالقيام من قام واصله في اللغة الامساك عن الشي والترك
له ومنه قيل للصمت صوم قال الله تعالى اني نذرت للرحمن صوما وصام النهار اذا
اعتدل وقام قايم الظهيرة لان الشمس اذا بلغت كبد السما وقفت وامسكت عن السير
سويعة قال الراجز حتى اذا صام النهار واعتدل وسال للشمس لعاب فنزل
وصامت الريح اذا سكنت وامسكت عن الهبوب وصام الفرس اذا وقف وامسك عن المسير
قال النابغه خيل صيام وخيل غير صايمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة
الصيام هو الامساك من حين طلوع الفجر الى غروب الشمس عن المفطرات من الطعام
والشراب والجماع وغيرها مقرونا بالنيه قوله كما كتب على الذين من قبلكم على الانبيا
والامم من لدن ادم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم ادم يعني ان الصوم عباده
اصليه قديمه ما اخلا الله امة من ايجابه عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم وفايدة هذا الكلام
ان الصوم عباده شاقه والشي الشاق اذا عم سهل تحمله وفي موضع كما اوجه احدها
انه منصوب على المصدر وما في كما مصدريه المعنى فرض عليكم مثل الذي كتب على الذين من
قبلكم وثانيها انه منصوب على انه صفة مصدر محذوف تقديره فرضا كالفرض الذي
كتب على الذين من قبلكم وثالثها في موضع النصب على الحال تقديره كتب عليكم الصيام
مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون لتكونوا من المتقين الذين اثنيت عليهم واعلمت
ان الكتاب هدى لهم بالمحافظة عليها وتعظيما لاصالتها فان المحافظة على الصوم تورث
التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى فانه يردع عن الاشر والبطر
ومواقعة السو قال صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فان الصوم له وجا
ولعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه كتب عليكم الصيام
كصوم الذين من قبلكم يعني النصارى في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل
الانجيل فاصابهم موتان بالضم موت يقع على الماشيه فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه
خمسين يوما وقيل كان وقوع صومهم فيما تفق في الحر الشديد والبرد الشديد كان
يضرهم ويشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فاجتمع راي علمايهم ورو سايهم على ان
يجعلوا صيامهم في فصل من السنه بين الشتا والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا
فيه عشرة ايام كفارة لتحويله عن وقته فصار اربعين يوما ثم ان ملكا لهم اشتكى فمه فجعل
لله ان هو برا من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فزادوا فيه اسبوعا ثم مات
ذلك الملك ووليهم ملك اخر فقال اتموه خمسين يوما وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم
ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشا وبعد ان يناموا قوله اياما معدودات
اياما انتصابها بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعه ومعدودات موقتات

خ سريعه

على قولين الاول غير رمضان وهو قول معاذ وقتادة وعطا ورواه عن ابن عباس ثم اختلف هولاء

بعدد معلوم او قلايل كقوله دراهم معدودات واصله ان المال القليل يقدر بالعدد
واختلفوا في هذه الايام فقيل ثلاثة ايام من كل شهر عن عطا وقيل ثلثة ايام من كل شهر وصوم
عاشورا عن قتادة ثم اختلفوا هولا فقيل بل ثلاثة ايام ايضا فقال بعضهم انه كان تطوعا ثم فرض
وقيل بل كان واجبا واتفق هولا على انه منسوخ بصوم رمضان قبل قتال بدر بشهر وايام واحتج
القايلون بان المراد بهذه الايام غير رمضان بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
صوم رمضان نسخ كل صوم فانه يدل على انه قبل وجوب صوم رمضان كان صوم آخر
وبانه تعالى ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية ثم ذكر حكمهما ايضا في الاية التي بعد هذه
الاية الدالة على صوم رمضان فلو كان هذا الصوم صوم رمضان لكان تكريرا محضا من غير فايدة
وبان قوله تعالى في هذه الاية وعلى الذين يطيقونه فدية يدل على ان هذا الصوم واجب على
التخيير يعني ان شا صام وان شا اعطى الفدية واما صوم رمضان فواجب على التعيين فوجب
ان يكون صوم هذه الايام غير صوم رمضان والثاني وهو اختيار اكثر المحققين كابن عباس والحسن
وابي مسلم ان المراد بهذه الايام المعدودات شهر رمضان بيانه انه تعالى قال اولا كتب
عليكم الصيام وهذا يحتمل يوما ويومين واياما ثم بينه بقوله اياما فزال بعض الاحتمال
ايضا ثم بينه بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران فعلى هذا التقدير يجوز ان يجعل الايام
المعدودات بعينها شهر رمضان واذا جاز ذلك فلا وجه لحمله على غيره واثبات النسخ اما
تمسكهم بقوله صلى الله عليه وسلم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فلم لا يجوز ان يكون المراد نسخ كل
صوم في الشرايع المتقدمة فيكون وجوب صوم رمضان ناسخا لوجوب صوم الشرايع
المتقدمة واما قولهم ان هذه الايام لو كانت رمضان لكان حكم المريض والمسافر مكررا
فالجواب ان في الابتدا كان صوم رمضان واجبا على التخيير بينه وبين الفدية وكان المريض
والمسافر رخص لهما في الفطر ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو لم يذكر المريض والمسافر
لظن ان الرخصة التي لهما نسخت فكرر حكم المريض والمسافر دفعا لهذا الظن واما قولهم ان صوم
هذه الايام مخير واجب وصوم شهر رمضان واجب معين فالجواب ان صوم رمضان كان
واجبا مخيرا ثم صار معينا قوله فمن كان اي فمن كان منكم مريضا او راكب فافطر
فعليه عدة لقوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية اي فحلق او
قصر فعليه فدية والعدة العدد من ايام اخر غير ايام مرضه او سفره واخر غير منصرف
فلهذا انجر بالفتح والمرض عبارة عن الحالة التي تقتضي صدور الافعال عن الاعضا غير
سليمة سلامة تليق بها واختلفوا في المرض المبيح للفطر فقيل اي مرض كان لان الله تعالى
لم يخص مرضا دون مرض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل
بوجع اصبعه وسيل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به
مرض يضجعه فقال انه في سعة في الافطار وقيل ان هذه الرخصة مختصة بالمريض
الذي لو صام لوقع في مشقة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل الاحوال وقيل هو الذي يودي
الى ضرر النفس او زيادة في العلة وهو اختيار الشافعي واصل السفر الكشف وسمي السفر
سفرا لانه يكشف عن وجوه المسافرين واخلاقهم ويظهر ما كان خافيا منه واختلف الفقها
في قدر السفر المبيح للفطر فقيل اي سفر كان طويلا او قصيرا لان الحكم متعلق بمن كان على
سفر وهو اعم من الطويل والقصير وقيل حد السفر الذي يجوز فيه الافطار ستة عشر
فرسخ

فرسخا فصاعدا كل فرسخ ثلثة اميال كل ميل اثني عشر الف قدم وهو اربعة الاف خطوة وقيل
الافطار في السفر عزيمة واجبة وليس برخصة فمن صام في السفر فعليه القضا اذا اقام
وهو قول عمر وابن عباس وابي هريرة وعلي بن الحسين وعروة ابن الزبير والضحاك واحتجوا
عليه بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وبما روي عن عبد الرحمن بن عوف
انه قال الصايم في السفر كالمفطر في الحضر وقيل الافطار في السفر رخصة من الله والفرض
الصوم فمن صام ففرضه ادى ومن افطر فرخصة الله تعالى اخذ ولا قضا على من صام اذا
اقام وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقها عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فمنا الصايم ومنا المفطر فلم يكن يعيب بعضنا على بعض وعن عايشة رضي الله عنها ان
حمزة بن عمرو قال يا رسول الله اني كنت اسرد الصوم افاصوم في السفر قال ان شئت
فصم وان شئت فافطر وعن حمزة ابن عمرو انه قال يا رسول الله اجد لي قوة على الصيام في السفر فهل علي جناح
قال هي رخصة من الله عز وجل فمن اخذها فحسن ومن احب ان يصوم فلا جناح عليه
واما قوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر فان تمام الخبر يدل على تاويله
وهو ما اخبر عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل في ظل شجرة
يرش عليه الما فقال ما بال صاحبكم هذا قالوا يا رسول الله صايم قال انه ليس من البر ان
تصوموا في السفر وعليكم برخصة الله التي رخص لكم فاقبلوها وكذلك تاويل قوله صلى الله
عليه وسلم الصايم في السفر كالمفطر في الحضر يدل عليه حديث مجاهد عن ابن عمر انه مر برجل
ينضح الما على وجهه وهو صايم فقال له افطر ويحك فاني اراك لو مت على هذا دخلت النار
والجامع لهذه الاخبار والموفق لها هو الصحيح ما روي عن عروة وسالم انهما كانا عند عمر
ابن عبد العزيز اذ هو امير على المدينة فتذاكروا الصوم في السفر فقال سالم كان ابن
عمر لا يصوم وقال عروة كانت عايشة تصوم فقال ابن سالم انما اخذت عن ابن عمر وقال
عروة انما اخذت عن عايشة حتى ارتفعت اصواتهما فقال عمر بن عبد العزيز اللهم غفرا اذا كان
يسرا فصوموا واذا كان عسرا فافطروا ثم اختلفوا في المستحب منهما فقال قوم الصوم افضل
وهو قول معاذ بن جبل وانس وابرهيم ومجاهد يروى ان انس بن مالك امر غلاما له
بالصوم بالسفر فقيل له في هذه الاية فقال نزلت ونحن نرتحل يومين جياعا وننزل على غير
شبع فمن افطر فبرخصة ومن صام فالصوم افضل وقال آخرون المستحب الافطار لما روي عن
جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عام الفتح حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس
فبلغه ان الناس قد شق عليهم الصوم فدعا بقدح ما بعد العصر فشرب والناس ينظرون
فافطر بعض الناس وصام بعض فبلغه ان ناسا صاموا فقال اوليك العصاة وعن انس
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصايم ومنا المفطر فنزلنا في يوم حار
واتخذنا ظلالا فسقط الصوام وقام المفطرون فسقوا الركاب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالاجر واختلف في القضا فعامة الفقها على
التخيير بين التتابع وعدمه عن ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص
لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضايه ان شيت فواتر وان شيت ففرق ولان
قوله فعدة من ايام اخر نكرة في سياق الاثبات فيكون ذلك امرا بصوم ايام على عدد تلك
الايام مطلقا فيكون التقييد بالتتابع خلاف الظاهر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله

عليه وسلم على ايام رمضان افيجوز ان نقضيها متفرقا فقال له لو كان عليك دين فقضيته الدرهم والدرهمين اما كان يجزيك قال نعم قال والله احق ان يعفو ويصفح قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اى فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتى بها الا على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة قوله وعلى الذين يطيقونه اى وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية قراة اهل المدينة والشام فى رواية ابن ذكوان لان هشاما نون الفدية وجمع مساكين فدية طعام مضافا مساكين جمعا اضافوا الطعام الى الفدية لان الفدية اسم للقدر الواجب والطعام اسم يعم الفدية وغيرها وهذا كقولك ثوب خز وخاتم حديد وجمع المساكين لان الذين يطيقونه فافطروا جماعة كل واحد منهم يلزمه طعام مسكين والفدية البدل وقد مر ذكره وقرا الباقون فدية منونة طعام رفعا مسكين خفضا على الواحد جعل ما بعد الفدية تفسيرا لها ووحد المسكين لان المعنى على كل واحد لكل يوم طعام مسكين ومثل هذا قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وليس جميع القاذفين يفرق فيهم جلد ثمانين بل على كل واحد منهم ذلك وقال ابو زيد يقال اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة واختلف العلماء فى تاويل هذه الايات وحكمها فقال قوم كان ذلك فى اول ما فرض الصوم وذلك ان الله تعالى لما انزل فرض صيام شهر رمضان على رسوله وامر اصحابه بذلك شق عليهم الصوم وكانوا قوما لم يتعودوا الصيام فخيرهم الله تعالى بين الصيام والاطعام فكان من شاء صام ومن شاء افطر وافتدى بالطعام ثم نسخ الله ذلك بقوله فمن شهد وعلى هذا القول معاذ بن جبل وانس بن مالك وسلمة بن الاكوع وابن عمر وعلقمة وعكرمة وعمرو بن مرة والشعبى والزهرى وابرهيم والضحاك وهى احدى الروايات عن ابن عباس وقال آخرون بل هذا خاص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة الذين يطيقان الصوم ولكن يشق عليهما رخص لهما ان شاءا ان يفطرا مع القدرة ويطعما لكل يوم مسكينا ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد وثبتت الرخصة للذين لا يطيقون وقالت طايفة ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك لان المسافر والمريض قد يكون منهما من لا يطيق الصوم ومنهم من يطيق الصوم اما الذين لا يطيقون الصوم فقد علم حكمهم من قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر واما الذين يطيقون الصوم منهما فعليهما فدية فكانه تعالى اثبت للمريض والمسافر حالتين احداهما ان لا يطيقا الصوم فلهما ان يفطرا وعليهما القضا بعد والثانية ان يطيقا الصوم فيكونان مخيرين بين ان يصوما وبين ان يفطرا مع الفدية ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد وعلى الاقوال الثلاثة الاية منسوخة وقال قوم لم تنسخ هذه الاية ولا شى منها وانما تاويل ذلك وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال شبابهم وفى حال صحتهم وقوتهم ثم عجزوا عن الصوم فدية طعام مساكين اضمروا فى الاية كان قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه مما استدل المعتزلة به على اثبات القدرة على الفعل للانسان فان الضمير المنصوب عايد على الصوم فاثبت القدرة على الصوم والجواب كجواب الايات الدالة على اسناد الفعل الى العبد قوله فمن تطوع خيرا

وزاد

وزاد على مقدار الفدية بان يطعم المسكين الواحد اكثر من القدر الواجب او اطعم مسكينا فصاعدا او جمع بين الصوم والطعام فهو خير له وان تصوموا ايها المطيقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم فى الخطاب المريض والمسافر فيكون خطابا مع كل من تقدم وهذا اولى لان اللفظ عام ولا يلزم من اتصاله بقوله وعلى الذين يطيقونه ان يكون حكمه مختصا بهم يعنى والصوم خير لكم ان كنتم تعلمون ان الصوم عليكم فاعلموا ان الصيام خير لكم لانه يورث التقوى ويجوز ان يكون المراد منه ان كنتم من اهل العلم لان اهل العلم يعلمون ما فى الصوم من المنافع اعلم ان البالغين المومنين فى افطار شهر رمضان اربعة احدهم عليه القضا والكفارة والثانى عليه القضاء دون الكفارة والثالث عليه الكفارة دون القضا والرابع لا قضا عليه ولا كفارة اما الاول فهو المفرط فى قضا شهر رمضان حتى دخل رمضان اخر والحامل والمرضع اذا خافتا على اولادهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة فان خافتا على انفسهما فهما كالمريض حكمهما كحكمه وهذا قول ابن عمر ومجاهد ومذهب الشافعى وقال بعضهم فى الحامل والمرضع اذا خافتا على انفسهما وولدهما ان عليهما الكفارة ولا قضا وهو قول ابن عباس وقال قوم عليهما القضاء ولا كفارة وهو قول ابرهيم والحسن وعطا والضحاك ومذهب اهل العراق ومالك والاوزاعى ومن تابعهم واما الثانى فالمريض والمسافر والحايض والنفساء فعليهم القضاء دون الكفارة واما الثالث الذى عليه الكفارة دون القضا فالشيخ الهرم والشيخة الكبيرة ومن به مرض دايم لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة ولا قضا وهذا قول عامة الفقهاء وروى عن ربيعة ابن عبد الرحمن وخالد بن الدرمك انهما قالا فى الشيخ والشيخة ان استطاعا صاما والا فلا كفارة عليهما وليس عليهما شى اذا افطرا وقال مالك لا ارى ذلك واحبا عليهما واحب ان لا يفعلا واما الرابع فالمجنون واختلف فى قدر الفدية فقال اهل العراق القدر الواجب نصف صاع من قمح او صاع من تمر او زبيب او ساير الحبوب وقال بعض الفقهاء ما كان قوت المفطر يومه الذى افطره وقال محمد بن الحنفية يطعم مكان كل يوم مدا الطعامه وسدا لادامه وقال ابن عباس يعطى مسكينا واحدا عشاءه حتى يفطر وسحوره حتى يتسحر وقال بعضهم يطعم لكل يوم مسكينا واحدا مدا وهو قول ابى هريرة وعطاء ومحمد بن عمر وابن حزم والليث بن سعد ومالك بن انس والشافعى وعامة فقهاء الحجاز ثم بين الله تعالى ايام الصيام فقال شهر رمضان الذى انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر قال الفراء شهر رمضان ارتفع على البدل من الصيام المعنى كتب عليكم شهر رمضان وقال الاخفش ارتفع على انه خبر مبتدا محذوف اى هى شهر رمضان وقيل ذلكم شهر رمضان وقيل فاعل فعل محذوف اى اتاكم شهر رمضان وقيل مبتدا اما بعده خبره ورمضان غير منصرف للتعريف والالف والنون مثل عثمان وسعدان واختلفوا فى اشتقاقه فقيل مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء اى الحجر والرمض حر الحجارة من شدة حر الشمس والاسم الرمضاء والارض

رمضة اضيف اليه الشهر وجعل علما سمى هذا الشهر رمضان لان الصوم فيه عبادة
قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه
ناتقا لانه كان ينتقهم اى يزعجهم اضجارا لشدته عليهم وحكى الاصمعي عن ابن
عمرو انه سمى الشهر رمضان لان وجوب صومه وافق شدة الحر وحكي عن
الخليل ان ماخذه من الرمض وهو مطر ياتي في الخريف فسمي هذا الشهر رمضان
لانه يغسل الابدان من الاثام غسلا ويطهر قلوبهم تطهيرا قال صاحب الكشاف
فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث
من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك
رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس انزل فيه القران
قيل ابتدا فيه انزاله فكان ذلك في ليلة القدر عن ابن عباس ان عطية
بن الاسود ساله فقال انه قد وقع الشك في قوله شهر رمضان الذي
انزل فيه القران وقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله انا انزلناه
في ليلة مباركة وقد نزل في ساير الشهور وقال الله عز وجل
وقرانا فرقناه الاية وقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة الاية
فقال انزل القران في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة من
اللوح المحفوظ في بيت العزة في السما الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد عليهما
الصلوة والسلام نجوما نجوما عشرين سنة فذلك قوله تعالى بمواقع النجوم
وقال داود بن ابي هند قلت للشعبي شهر رمضان الذي انزل فيه
القران اما كان ينزل عليه في ساير السنة قال بلى ولكن جبريل كان يعارض
محمدا عليه السلام في رمضان ما نزل الله فيحكم الله ما يشا ويثبت ما يشا عن
النبي صلى الله عليه وسلم انزلت صحف ابرهيم في اول ليلة من رمضان
وانزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل الانجيل على عيسى
في ثلث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثماني عشرة ليلة
مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابع والعشرين
من رمضان وقيل شهر رمضان الذي انزل في شانه القران وهو قوله كتب
عليكم الصيام كما تقول في عمر كذا وفي علي كذا قوله هدى نصب على الحال
اي انزل القران وهو هداية للناس من الضلالة الى الحق وهو آيات واضحات
مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكرا ولانه هدى
ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى الله به وفرق به بين الحق والباطل
من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال
عن انس ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضر شهر رمضان قال سبحان
الله ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم قالها ثلثا فقال عمر بن الخطاب يا رسول
الله وحي نزل او عدو حضر قال لا ولكن الله يغفر في اول ليلة من رمضان لكل
اهل هذه القبلة عن سلمان الفارسي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر
يوم من شعبان فقال يا ايها الناس قد اظلكم شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة

خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة
من خصال الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فيه فريضة كان كمن ادى
سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر
يزاد فيه في رزق المومن وشهر اوله رحمة واوسطه مغفرة واخره عتق من النار
وكان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شي قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر
الصايم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الله هذا الثواب من فطر صايما على مذقة
لبن او تمرا او شربة من ما ومن اشبع صايما سقاه الله من حوضي شربة لا يظما حتى يدخل
الجنة وكان كمن اعتق سبعين رقبة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له واعتقه
من النار فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما
اما الخصلتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنى
بكم عنهما فتسالون الله الجنة وتعوذون من النار عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان فتحت ابواب الرحمة وغلقت ابواب جهنم
وسلسلت الشياطين عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت امتي في رمضان
خمسا لم يعطهن احد من قبلي اما الاول فاذا كان اول ليلة من رمضان نظر الله اليهم ومن نظر
الله اليه لم يعذبه ابدا واما الثانية فانهم يمسون وخلوف افواههم اطيب عند الله
من ريح المسك واما الثالثة فان الملايكة تستغفر لهم في ليلهم ونهارهم واما
الرابعة فان الله يامر جنته ان استعدي وتزيني لعبادي فيوشك ان يذهب عنهم
نصب الدنيا واذاها ويصيرون الى جنتي وكرامتي واما الخامسة فاذا كان آخر ليلة
غفر الله لهم جميعا فقال قايل اهي ليلة القدر يا رسول الله فقال الم تر الى العمال اذا فرغوا
من اعمالهم وفوا عن ابي اوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الصايم
عبادة وصمته تسبيح ودعاوه مستجاب وعمله مضاعف عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام يقول الله الصيام لي وانا اجزي به
وخلوف فم الصايم عند الله اطيب من ريح المسك قوله فمن شهد اي فمن كان شهد
اي شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر وانتصاب الشهر على الظرف
وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به لقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر
كلاهما شاهد ان للشهر والمفعول به محذوف اي فمن شهد منكم البلد او بيته في الشهر
فليصمه قال ابن عباس فليصمه معناه فليصم ما شهد منه لانه ان سافر في خلال الشهر كان له
الافطار قوله ومن كان مريضا او على سفر اعاد تخيير المريض والمسافر وترخيصهما في
الافطار لان الله ذكر في الاية الاولى تخيير المقيم والمسافر والمريض ونسخ في الثانية
تخيير المقيم بقوله فليصمه فلو اقتصر على هذا احتمل ان يعود النسخ الى التخيير الجميع
فاعاد بعد النسخ ترخيص المسافر والمريض ليعلم انه باق على ما كان قوله يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
اليسر السهولة يقال تيسر الامر اذا سهل ولان المعنى يريد الله بكم اليسر بالرخصة للمسافر
والمريض ولا يريد بكم العسر لانه لم يشدد ولم يضيق عليكم وقد نفى الحرج في الدين وامركم
بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا

في المسجد يطيل الصلوة فاتاه فاخذ بمنكبيه ثم قال ان الله رضى لهذه الامة اليسر
وكره لهم العسر قالها ثلاث مرات وان هذا اخذ بالعسر وترك اليسر
قال الشعبي اذا اختلف عليك امران فان ايسرهما اقربهما الى الحق لان الله تعالى
يقول يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة الواو واو استيناف
واللام للتعليل والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق والتقدير ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع جملة على ما ذكر من امر
الشاهد بصوم رمضان وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص
على اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة الامر بما علمكم
من كيفية القضا والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة التيسير والترخيص
وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبيينه الا النقاب اي الرجل
الذي ينقب عن الامور اى يفتش المحدث الذي ينطق الملك على لسانه من علماء
البيان وانما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلا لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا
الله حامدين على ما هداكم ولا يبعد ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل
لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا لقوله
تعالى يريدون ان يطفئوا والمراد بالتكبير تعظيم الله على ما ارشدكم من الشرايع والثنا
عليه وقيل هو التكبير عند الاهلال وكان ابو سلمه وعروة وسعيد بن المسيب
يجهرون بالتكبير ليلة الفطر لقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم قال ابن عباس وزيد
ابن اسلم في هذه الايه حق على المسلمين اذا روى هلال شوال ان يكبروا الى ان يخرج
الامام في الطريق والمسجد فاذا حضر الامام لغوا ولا يكبر الا بتكبيره والاختيار في لفظ
التكبير ثلاثا نسقا قوله تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون عن ابن عباس قال يهود
اهل المدينه كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السما مسيرة خمسمائة
عام وان غلظ كل سما كذلك فنزلت هذه الايه وقيل سال بعض الصحابه رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله هذه
الايه واذا سالك يا محمد عبادي عني فاني قريب قال اهل المعاني فيه اضمار
كانه قال فقل لهم انى قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه
حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد وقال اهل الاشارة رفع الواسطة اظهار للقدرة
اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا بالطاعة اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما انى اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم يقال اجاب واستجاب بمعنى واحد واجابة العبد
لله تعالى الطاعة وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد
وهي نقيض الغي فان قيل ما وجه قوله اجيب دعوة الداع وقوله ادعوني
استجب لكم وقد يدعا كثيرا فلم يجب اجيب بان معنى الدعا الطاعة ومعنى الاجابة
الثواب كانه قال اجيب دعوة الداعي بالثواب اذا اطاعني وقيل معنى الايتين
خاص وان كان لفظهما عاما تقديرهما اجيب دعوة الداعي ان شئت واجيب

دعوة الداعي اذا وافق القضا واجيب دعوة الداعي اذا لم يسال محالا واجيب دعوة
الداعي اذا كانت الاجابة خيرا له يدل عليه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مسلم دعا الى الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه الله
بها احدى ثلاث خصال اما ان يعجل دعوته واما ان يدخرها له في الاخرة واما ان يدفع
عنه من السوء مثلها قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال الله اكثر وقيل هو عام وليس
في الايه اكثر من اجابة الدعوة فاما اعطا المنية وقضا الحاجة فليس بمذكور في الايه
وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سوله فالاجابة كاينة لا محالة عند حصول
الدعوة لان قوله اجيب واستجيب خبر والخبر لا يعترض عليه النسخ لانه اذا نسخ صار
المخبر كذابا تعالى الله عما يقول الظالمون عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من فتح له في الدعا فتحت له ابواب الاجابة واوحى الله عز وجل الى داود قل للظلمة
لا يدعوني فاني اوجبت على نفسي ان اجيب من دعاني واني اذا اجبت الظالمين لعنتهم
وقيل ان الله يجيب دعا المومنين في الوقت الا انه يوخر اعطا مراده ليدعوه فيسمع صوته
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليدعو الله
وهو يحبه فيقول يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته واخرها فاني احب ان لا ازال
اسمع صوته وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي هذا
حاجته باخلاصها فاني اكره ان اسمع صوته وعن يحيى ابن سعيد انه قال رايت رب
العزة في المنام فقلت يا رب كم ادعوك فلا تستجيب فقال يا يحيى اني احب ان اسمع صوتك
وقيل ان للدعا آدابا وشرايط هي اسباب الاجابة ونيل المنية فمن راعاها واستكملها كان
من اهل الاجابة ومن اغفلها واخل بها فهو من اهل الاعتدا في الدعا وحكي عن ابرهيم ابن ادهم
انه قيل له ما بالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا فقال لانكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول
فلم تتبعوا سنته وعرفتم القران فلم تعملوا به واكلتم نعمة الله فلم تودوا شكرها وعرفتم الجنة
فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم
الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب
الناس قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس
لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما
كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود
الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون كان الرجل في اول فرض الصوم
اذا امسى فافطر حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشا الاخرة فلو رقد قبل
الصلوة ولم يفطر حرم عليهم الطعم والشرب والجماع الى مثلها من القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه
واقع اهله بعد صلوة العشا الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر اليك والى الله من نفسي هذه الخاطيه
اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا الاخرة فوجدت رايحة طيبة فسولت لي نفسي
فجامعت اهلي فهل تجد لي من رخصه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر
فقام رجال فاعترفوا بالذي كانوا صنعوا بعد العشا الاخرة فنزلت في عمر واصحابه

١

احل لكم اي اطلق وابيح لكم ليلة الصيام الرفث كناية عن الجماع وفي الاصل هو الافصا
بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وهو من لوازم الجماع فاطلق اللازم واريد الملزوم
فيكون كناية وعن ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم فما ذكر الله في القران من المباشره
والملابسه والافضا والدخول والرفث فانما يعني به الجماع قال العتبي الرفث هو
الافصاح بما يجب ان يكنى به من ذكر النكاح واصله الفحش وقال الزجاج الرفث كلمه
جامعه لكل ما يريد الرجال من النسا قال الشاعر ويرين من انس الحديث زوانيا
ويصن عن رفث الرجال نفار وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين
بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند
النسا وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو عن
شي من ذلك قال صاحب الكشاف فان قلت لم كنى عنه هاهنا بلفظ الرفث الدال
على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن
اولمستم النسا دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن
فلا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم
وانما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى الافضا هن لباس اصل اللباس ما يلبسه الانسان
مما يواري جسده ثم المراة تسمى لباس الرجل والرجل يسمى لباس المراة لاشتمال كل
واحد منهما على صاحبه في عناقه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي
يلبسه فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا فكنى عن اجتماعهما
متجردين في فراش واحد باللباس يدل على صحة هذا التاويل قول الربيع ابن
انس في هذه الايه هن لحاف لكم وانتم لحاف لهن وقيل يقال لما ستر الشي وواراه
لباس فيجوز ان يكون كل واحد منهما استر لصاحبه عما لا يحل كما ورد في الخبر
من تزوج فقد احرز دينه وسترا ايضا فيما يكون بينهما من الجماع عن ابصار
الناس والمفسرون يقولون هن سكن لكم وانتم سكن لهن والمعنى انكم ملابسوهن
ومخالطوهن بالمساكنه وهن كذلك وقوله هن لباس استيناف كالبيان لسبب
الاحلال وهو انه اذا كان بينكم وبينهن مثل هذه المخالطه والملابسه قل
صبركم عنهن وصعب عليكم احتسابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن علم الله انكم
يقال خانه واختانه اذا لم يف له والمعنى علم الله انكم كنتم تظلمون انفسكم بالمجامعه
بعد العشا الآخرة في ليالي الصوم وتخونونها بالمعصيه اي لا تؤدون الامانه
بالامتناع عن المباشره والاختيان من الخيانه كالاكتساب من الكسب فيه زياده وشده
فتاب عليكم بالرخصه وعفا عنكم ما فعلتم قبل هذا فالآن باشروهن الآن حد مشترك
من زمانين ماض ومستقبل والامر للاباحه والمباشره المجامعه سميت المجامعه مباشره
لتلاصق البشرتين وابتغوا اي اطلبوا ما قدر الله لكم واثبت في اللوح المحفوظ
من الولد بالمباشره اي لا تباشروا لقضا الشهوه وحدها ولكن لابتغا ما وضع الله له
النكاح من التناسل وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب
لكم من المحل المحرم وقيل هو نهي عن العزل وقيل وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحه بعد
الحظر وقيل وابتغوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها

وقمتموها قال صاحب الكشاف هو قريب من بدع التفاسير قال الامام هو قول
معاذ بن جبل وابن عباس وجمهور المحققين استبعدوه وعندي انه جايز وذلك ان
الانسان اذا قضى وطره من المباشره ويصير فارغا من داعية الشهوه المانعه عن التفرغ
للطاعه يمكنه ان يتفرغ لها اذا تخلصتم من تلك الخواطر المانعه عن الاخلاص
فابتغوا ما كتب الله لكم من الاخلاص في العبوديه من الصلوه والذكر وطلب
ليلة القدر وكلوا واشربوا امر للاباحه نزلت في رجل من الانصار وذلك انه ظل
نهاره يعمل في ارض له وهو صايم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام
فارادت المراة ان تطعمه شيا سخنا فاخذت تعمل له سخينه وكان في الصوم الاول
من صلى العشا الآخرة او نام حرم عليه الطعام والشراب والجماع فلما فرغت من طعامه
اذا هي به قد نام وكان قد اعيا فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل
واصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى رسول الله فلما
راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما لك امسيت طليحا قال ظللت امس في النخل
نهاري كله فاتيت اهلي فارادت ان تطعمني شيا سخنا فابطات علي فنمت فايقظت وقد
حرم علي الطعام والشراب وطويت فاصبحت وقد اجهدني الصوم فاغتم بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فكلوا والخيط الابيض اول ما يبدو
من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش
الليل اي البقيه من الليل وهو ظلمة اخر الليل شبهها بخيطين ابيض واسود قال
ابو داود فلما اضات لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من
الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما
بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله وهذا من
باب التشبيه فان قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعاره كما ان قولك رايت
اسدا مجازا فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وانما زيد من الفجر حتى كان تشبيها ولم
يقتصر به على الاستعاره التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحه لان من شرط المستعار
ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران
فزيد من الفجر وكان تشبيها بليغا وخرج عن ان يكون استعاره عن عدي بن حاتم
قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوه قال صل كذا وكذا وصم فاذا
غابت الشمس فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الابيض من الخيط الاسود وصم ثلثين يوما
الا ان ترى الهلال قبل ذلك فاخذت خيطين من شعر ابيض واسود فجعلتهما تحت
وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما ولا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت
غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى بدت نواجذه وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا
انما ذاك بياض النهار من سواد الليل قال صاحب الكشاف فكيف التبس على عدي
بن حاتم مع هذا البيان قلت قد غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه
وسلم وساده او قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته قال وانشدتني
بعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه

وعن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه
الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا فانزل الله عز وجل من الفجر
فعلموا انما يعني بذلك الليل والنهار فان قيل هذا الحديث يدل ظاهره على تاخير البيان
عن وقت الحاجه وهذا يقتضي جواز تكليف الغافل وهو باطل اجيب بان من جوز تكليف
الغافل يجعل ان التكليف لا يقتضي فايده لا الامتثال ولا الابتلا يمنع بطلان تكليف الغافل
ومن لم يجوز تكليف الغافل بنى على انه عبث والعبث على الله محال فمنهم من يجوز تاخير
البيان التفصيلي دون الاجمالي عن وقت الحاجه فيقول لا نسلم ان تاخير التفصيلي يقتضي
العبث فان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد
به والحق انه لا يجوز تاخير البيان مطلقا عن وقت الحاجه وعليه اكثر الفقها والمتكلمين
وحينيذ يكون الجواب عنه انا لا نسلم انه قبل نزول من الفجر يكون الايه مجمله وانما يلزم
ذلك لو لم يكن هذه الاستعاره مشهوره متعارفه عندهم وهو ممنوع قال الشاعر
فلما اضات لنا عدوق ولاح من الصبح خيط انارا وقال اخر الخيط الابيض
وقت الصبح منصدع والخيط الاسود جون الليل مركوم وقوله من الفجر زياده
البيان فكان في ابح الناس في فهم المعاني من الاستعاره متفاوته فبعضهم يفهم
بسرعه وبعضهم في فهمه بطو وبعضهم يحتاج الى زياده بيان وقول صاحب الكشاف
اما من لا يجوز تاخير البيان وهو اكثر الفقها والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي
هاشم فلا يصح عندهم هذا الحديث ليس بشي فان الحديث رواه البخاري ومسلم
فكيف يقال لم يصح قوله ثم اتموا الصيام الى الليل قال عبد الله بن ابي اوفى كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وهو صايم فلما غربت الشمس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا وغابت الشمس
فقد افطر الصايم قيل فيه دليل على جواز النيه بالنهار في صوم رمضان وعلى
جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال اما الاول فوجهه ان معنى
قوله ثم اتموا الصيام بعد قوله كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود اتوا بالصوم تاما فيكون اتيان الصوم مامورا به بعد الفجر وهو
مسبوق بالامر بالشروع والشروع المامور به قبل الاتمام لا يلزم ان يكون
بعد الفجر ليكون مع الفجر والنيه قبل الشروع فيكون في الليل وفيه نظر فانه ان
اريد ان الاتمام المامور به بعد الفجر متصلا به فهو ممنوع لان ثم للتراخي وان اريد
التراخي فيجوز ان يسبق الشروع والنيه قبل الاتمام وبعد الفجر والحق انه
ليس في الايه ما يوجب النيه ولا يتعين زمانها ولا ما ينافيه وليس فيها الا الامر
بالاتمام ووجوب النيه وتعيين زمانها مستفاد من الحديث اما وجوب
النيه فمن قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما يتعين زمانها
فمن قوله صلى الله عليه وسلم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له واما الثاني
وهو جواز تاخير الغسل الى الفجر فوجهه ان المباشره اذا كانت مباحه الى الفجر
لم يمكنه الاغتسال الا بعد الصبح واما الثالث وهو نفي صوم الوصال

فوجهه انه تعالى جعل غاية الصوم الليل وغاية الشي منقطعه ومنتهاه وما بعد
الغايه يخالف ما قبله ولا يكون بعده صوم وفيه نظر فانه تعالى بين الغايه وهو لا يفيد
حرمة الوصال وانما حرم الوصال بالسنه وهي ما روي عن عايشه رضي الله عنها انها قالت
نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم قالوا انك تواصل قال
اني لست كهيتكم اني يطعمني ربي ويسقيني وتمسك الحنفيه بهذه الايه في ان صوم النفل
يجب اتمامه واجيب بان الالف واللام في الصيام للعهد والمعهود صوم الفرض
فان الايه وارده لبيانه والقراين معينه له ولا تباشروهن العكوف والاعتكاف
اللبث والاقامه يقال عكفت بالمكان اذا اقمت به قال الله تعالى فاتوا على قوم
يعكفون على اصنام لهم قال الفرزدق يصف القدور ترى حولهن المعتفين كانهم
على صنم في الجاهلية عكف وقال الطرماح فبات بنات الليل حولي عكفا عكوف
البواكي بينهن صريع والاعتكاف في الشرع لبث المسلم العاقل بمحل في المسجد وقيل
المباشره التي نهي المعتكف عنها هي المجامعه خاصه معناه ولا تجامعوهن ما دمتم
معتكفين في المساجد فان الاعتكاف يفسد بالجماع قيل نزلت هذه الايه في نفر من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم حاجة
الى اهله خرج اليها فجامعها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا ان يجامعوا نساهم ليلا
ونهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم وقيل المباشره الجماع وغير الجماع من اللمس والقبله وانواع
التلذذ فالجماع يفسد الاعتكاف بالاجماع واما المباشره غير الجماع فهو على ضربين ضرب
يقصد به التلذذ بالمراة فهو مكروه ولا يفسد الاعتكاف عند اكثر الفقها وقال مالك
يفسده قال ابن جريج قلت لعطا الجماع المباشره قال الجماع نفسه قلت له فالقبله في المسجد
واللمسه قال اما الذي حرم فالجماع وانا اكره كل شي من ذلك في المسجد والضرب
الثاني ما لا يقصد به التلذذ بالمراة فهو مباح كما جا في خبر عايشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل اليها راسه من المسجد فترجله وهو معتكف
قيل فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد
وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثه لقوله عليه السلام لا تشد
الرحال الا الى المساجد الثلاثه وقيل الا في مسجد جامع وقيل الا في مسجد جماعة
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المعتكف هو معتكف عن
الذنوب ويجري له من الحسنات كعامل الحسنات كلها وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام
والاعتكاف حدود الله الحد في اللغة المنع قيل للبواب حداد ومنه حدود
الدار والارض وهو ما يمنع غيرها ان يدخل فيها وسمي الحديد به لانه يمنع الاعدا
ويقال حدت المراة على زوجها واحدت اذا منعت نفسها من الزينه فحدود
الله عز وجل هي ما منع الله منها او منع من مخالفتها والتعدي الى غيرها وقيل شروط
الله وقيل فرايض الله وقيل معصية الله وقيل الحد الموقف الذي يقف الانسان
عليه ويصفه له حتى يميز من ساير الموصوفات والحد فصل ما بين الشيين والحد
منتهى الشي وقال الخليل الحد الجامع المانع قال الزجاج ما منع الله من مخالفتها

فلا تقربوها ولا تغشوها اي لا تاتوها يقال قربت الشي اقربه وقربت منه بضم الراء اذا دنوت منه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب كذلك يبين الله اي مثل هذا البيان الذي ذكر يبين الله اياته للناس لكي يتقوا ما حرم الله وشرع منه **قوله** تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون قيل نزلت هذه الاية في امري القيس ابن عابس الكندي وفي عبدان ابن اشوع الحضرمي وذلك انهما اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم في ارض فاراد امرؤ القيس ان يحلف فانزل الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فقراها النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يحلف وحكم عبدان في ارضه ولم يخاصمه فانزل الله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه واصل الباطل الشي الذاهب الزايل يقال بطل يبطل بطولا وبطلانا اذا ذهب والباطل في الشرع ما لم يكن مشروعا اعم من ان يكون باصله او بوصفه او بهما ويراد به الفاسد ويقابله الصحيح وعند الحنفيه الصحيح المشروع باصله ووصفه والباطل ما ليس بمشروع باصله ولا بوصفه والفاسد ما هو مشروع باصله دون وصفه قال ابن عباس بالباطل اي باليمين الباطله الكاذبه يقتطع الرجل بها مال اخيه المسلم والاكل بالباطل على وجهين احدهما ان يكون على جهة الظلم من نحو الغصب والخيانه والسرقه والثاني على جهة الهزء واللعب كالذي يوخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك وتدلوا بها الى الحكام اي تلقوا امر تلك الاموال بينكم والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طايفه من اموال الناس بالاثم بالباطل والاثم التقصير في الامر جعل التقصير في امر الله اثما وقيل بشهادة الزور او باليمين الكاذبه او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم اي لا تصانعوا بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقا لغيركم وانتم تعلمون انه لا يحل لكم وانكم على الباطل وارتكاب المعصيه مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينه فيجحد المال ويخاصمهم فيه الى الحكام وهو يعرف ان الحق عليه ويعلم انه اثم اكل حرام قال صلى الله عليه وسلم للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه فلا ياخذن منه فانما اقضي له منه قطعه من النار وقال كل منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ليحلل كل واحد منكما صاحبه ومعنى الادلا في اللغه ارسال الدلو والقاوه في البير يقال ادلى دلوه اذا ارسلها ومنه قوله تعالى فادلى دلوه

فيكا م

ثم

ثم جعل كل القاء قول او فعل ادلا يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصل الى مراده ادلا المستقي الدلو ليصل الى مطلوبه من الماء وفلان يدلي الى الميت بقرابه او رحم اذا كان ينتسب اليه ويدلو مجزوم داخل في حكم النهي معناه ولا تاكلوا ولا تدلوا او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق **قوله** تعالى يسلونك عن الاهله قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون نزلت هذه الايه في معاذ بن جبل وثعلبه بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة فانزل الله يسالونك يا محمد عن الاهله وهي جمع هلال وهي غرة القمر حين يراها الناس سمي هلالا لان الناس يهلون بذكر الله اي يرفعون اصواتهم مواقيت جمع الميقات من الوقت وهو الزمان المحدود للشي والفرق بينه وبين المده والزمان ان المده المطلقه امتداد حركة الفلك من مبداها الى الزمان والزمان مده مقسومه والوقت الزمان المفروض لامر ما ومعنى قوله مواقيت للناس معالم يوقت الناس بها مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وعدد نسايهم وايام حيضهن ومدد حملهن وصومهم وفطرهم وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته انما فعل هذه الهيات المختلفه ليعلم الناس بها ما ذكرنا ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دايمه على حالة واحدة وليس البر قال المفسرون كان الناس في الجاهليه وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم بالحج والعمرة لم يدخل حايطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخيمة او الفسطاط ولا يدخل من الباب ولا يخرج منه حتى يخرج من احرامه ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم قريش وكنانه وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعه وبنو نصر ابن معويه سموا احمسا لتشددهم في دينهم والحماسه الشده والصلابه قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعة بن تابوت على اثره من الباب وهو محرم فانكر عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم قال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمس فقال الرجل ان كنت احمس فاني احمس ديننا واحد ولقد رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله عز وجل وليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله قال صاحب الكشاف فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سوالهم عن الاهله وعن الحكمه في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السوال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شي وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل هذا امثيلا لتعاكيسهم في سوالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب الدار ويدخل من ظهرها والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسايلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجهها التي يجب ان يباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان

جميع افعال الله عز وجل حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك
حتى لا يسال عنه لما فى السوال من الايهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون
قرا حمزة والكسائي وعاصم فى رواية ابى بكر ونافع فى رواية قالون البيوت بكسر البا فى جميع
القران لمكان اليا والباقون بضمه على الاصل واتقوا الله لعلكم تفلحون فاندرج فيها جميع
ما يجب ان يعتبر فيها من الافعال والتروك فعطف على واتقوا الله بعض ما كان مشتملا عليه وهو القتال
ليشير به الى انه يهتم بشانه بحسب اقتضا الوقت فالعطف من باب قوله تعالى فاكهة ونخل ورمان
قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قيل هذه
اول اية نزلت فى القتال والمقاتلة فى سبيل الله والجهاد لاعلا كلمة الله واعزاز الدين
فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت
واقتلوا المشركين فنسخت هذه الاية وامر بالقتال مع المشركين كافة فهذه الاية منسوخة الذين
يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله
وقاتلوا المشركين كافة او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ
والصبيان او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم فى حكم المقاتلة
قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل المناصبة المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبيه وصالحوه
على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضا التى احرم بها عام الحديبيه وحلل
عنها بسبب الاحصار خاف المسلمون ان لا يفى لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم فى الحرم
وفى الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت هذه الاية واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم فى الحرم
والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح فى ذلك ولا تعتدوا اى لا تبداوهم ولا تناجزوهم بالقتال
قبل تقديم الدعوة وقيل لا تعتدوا بقتال ما نهيتم عن قتاله اى لا تقتلوا النسا والصبيان
والشيخ الكبير ولا من القى اليكم السلم وكف يده فان فعلتم ذلك فقد اعتديتم وقيل لا تعتدوا
بقتال الذين بينكم وبينهم عهد وقيل لا تعتدوا بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة
قيل كتب الى عمر بن عبد العزيز يسال عن قوله وقاتلوا فى سبيل الله الذين
يقاتلونكم ولا تعتدوا فكتب فى الجواب ان ذلك فى النسا والذرية والرهبان ومن لم ينصب
الحرب منهم وقيل الاعتدا ترك قتالهم والاولى ان يحمل الاعتدا على جميع ما ذكر ولهذا اطلق
قوله ولا تعتدوا ولم يقيد بشى وهذا من كمال البلاغة بان اختصر اللفظ وافاد زيادة
المعنى وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث اميرا على سرية او جيش وصاه
بتقوى الله ومن معه من المسلمين وقال اغزوا باسم الله وفى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله
اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وروى انه لما استعمل ابو بكر رضى
الله عنه زيد بن ابى سفيان على الشام خرج معه يشيعه ابو بكر ماشيا وهو راكب فقال له
زيد يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما ان انزل فقال ابو بكر ما انت بنازل
ولا انا براكب انى احتسبت خطاى هذه فى سبيل الله انى اوصيك بوصية ان انت حفظتها
انك ستمر على قوم قد حبسوا انفسهم فى الصوامع زعموا انهم فى سبيل الله فدعهم وما حبسوا
له انفسهم وستمر على قوم قد فحصوا عن اوساط روسهم وتركوا منها شعورهم امثال العصائب
فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف ثم لا تقتلوا امراة ولا صبيا ولا شيخا فانيا ولا تعقروا شجرا مثمرا
ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوا قوما ولا تذبحوا بقرة ولا شاة الا للاكل ولا تخربوا عامرا قوله تعالى واقتلوهم

طاعة

بلغ مقابلة باصله فصح

حيث

حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزا الكافرين وان
انتهوا فان الله غفور رحيم اى واقتلوهم حيث وجدتموهم فى حل وحرم والثقف وجود
على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفونى
فاقتلونى فليس الى خلود من سبيل قيل اصل الثقافة الحذق والبصر بالامر يقال رجل
ثقف لقف اذا كان حاذقا فى الحرب بصيرا بمواضعها جيد الحذر فيها فمعناه واقتلوهم
حيث ابصرتم مقاتلهم وتمكنتم من قتلهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقيل فعل
رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اى المحنة والبلا الذى ينزل بالانسان
ويتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكما ما اشد من الموت قال الذى يتمنى
فيه الموت ومنه قول القايل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق
وقيل الفتنة الشرك يعنى شركهم بالله عز وجل اعظم من قتلكم اياهم فى الحرم فانهم كانوا لا
لا يستعظمون القتل فى الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل الشرك الذى هم عليه اشد
واعظم مما يستعظمونه وقيل الفتنة العذاب فانهم كانوا يعذبون من اسلم فقال تعذيبهم
من اسلم اشد من قتلكم اياهم فى الحرم وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم ويجوز
ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم فى الحرم او من قتلهم
اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم والاولى ان يحمل على جميع هذه الامور قوله ولا تقتلوهم
قرا حمزة والكسائي ثلاثتها بغير الف من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم جعل وقوع
القتل فى بعضكم كوقوعه فيهم يقول العرب قتلنا بنى تميم وانما قتلوا البعض لفظه عام ومعناه
خاص وقال فان تقتلونا نقتلكم وقرا الباقون ثلاثتها بالالف من القتال نهوا عن ابتدائهم بقتلهم
او قتال فى الحرم حتى يبتدى المشركون به كذلك جزا الكافرين ان يقتلوا حيث ما وجدوا
فان انتهوا عن الكفر والقتال فان الله غفور رحيم يغفر ما كان فى شركهم ويرحمهم اذا اسلموا
كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قيل هذه الايات منسوخة نهوا عن الابتدا فى القتال
ثم نسخ ذلك بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وقيل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث ادركتموهم
فى الحل والحرم نسختها قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم نسختها اية السيف فى
براة فهى ناسخة ومنسوخة وقيل هذه الاية محكمة ولا يجوز الابتدا بالقتال فى الحرم
قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على
الظالمين اى وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة شرك اى قاتلوهم حتى يسلموا فليس يقبل من
المشرك الوثنى جزية ولا يرضى منه الا بالاسلام وليسوا كاهل الكتاب قيل والحكمة فيه ان
مع اهل الكتاب كتبا منزلة فيها الحق وان كانوا قد حرفوها فامهلهم الله تعالى لحرمة تلك الكتب
من القتل وامرنا باصغارهم بالجزية ولينظروا فى كتبهم وليتدبروا فيها فيقفوا على الحق
منها فيتبعوه كفعل مومنى اهل الكتاب ولم يكن لاهل الاوثان ما يرشدهم الى الحق وكان
امهالهم زايدا فى شركهم فابى الله تعالى ان يرضى عنهم الا بالاسلام او القتل عليه ويكون
الدين الطاعة والعبادة لله وحده خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فلا يعبد دونه شى
فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين قال صاحب الكشاف ولا تعدوا
على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على

المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم ومقاتلة الظالمين اي غير المنتهين حق
وصواب واصل الكلام فان انتهوا عن الشرك فلا تقاتلوهم ثم وضع على يريد ان هذا
الخبر في موضع الطلب فيكون قوله فلا عدوان الا على الظالمين كناية عن قوله
فلا تعتدوا على المنتهين وذلك لان اثبات العدوان على الظالمين على سبيل الحصر في
هذا المقام معناه النفي العدوان عن المنتهين فقوله لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم
تعليل لوضع الا على الظالمين موضع المنتهين يعني مقاتلة المنتهين عدوان وظلم
ومقاتلة الظالمين اي غير المنتهين حق وصواب واصل الكلام فان انتهوا عن الشرك
فلا تقاتلوهم ثم وضع فلا عدوان عليهم موضع فلا تقاتلوهم ثم وضع قوله فلا عدوان
على المنتهين موضع فلا عدوان عليهم ثم لنفي عن معنى قوله فلا عدوان على المنتهين
بقوله فلا عدوان الا على الظالمين غير المنتهين قوله او فلا تظلموا معطوف على
قوله فلا تعتدوا وافعل هذا الا على الظالمين واقع في موضعه لكن فلا عدوان
وضع موضع لا تقاتلوا او لا تتعرضوا على سبيل المشاكلة بحسب المعنى ولهذا قال
فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة لقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم
من يعدو عليكم قال الواحدي فلا عدوان اي لا نهب ولا قتل ولا استرقاق الا على
الظالمين الكافرين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها وسمي ما عليهم عدوانا الا ان
ما يكون منهم من الكفر عدوان فسمي جزاء ذلك عدوانا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
قيل فلا عدوان فلا سبيل ولا حجة الا على الظالمين يدل عليه قوله تعالى قال ذلك
بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي اي فلا سبيل علي قوله تعالى الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا
الله واعلموا ان الله مع المتقين نزلت في عمرة القضاء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صالح اهل مكة عام الحديبية على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل
على ان يخلو له مكة ثلثة ايام فيدخلها هو واصحابه فيعتمرون ويطوفون بالبيت ويفعلون
ما احبوا على ان لا يدخلوا الا بسلاح الراكب في غمده ولا يخرجوا باحد معهم من اهل مكة
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك ورجع العام القابل في ذي
القعدة ودخلوا مكة واعتمروا وطافوا ونحروا واقاموا بها ثلثة ايام فانزل الله
الشهر الحرام بالشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتمرتم وقضيتم منها
وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صددتم فيه عن البيت ومنعتم من
مرادكم سنة ست قال صاحب الكشاف قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام
وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضا وكراهتهم القتال وذلك في ذي
القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني يهتكون
حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء
يريد ان قاتلوكم في الشهر الحرام فاقتلوهم في مثله والحرمات جمع الحرمة كالظلمات
جمع الظلمة والحرمة ما يجب حفظه ويحرم انتهاكه وانما جمع الحرمات لانه اراد الشهر
الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل

بالفاعل

بالفاعل كما فعل فمن هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة فان هتكوا حرمة
شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم اي فمن ظلم عليكم فقاتل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم اي جازوا
باعتدائه وقاتلوه فسمى الثاني اعتداء للمشاكلة واتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه في
حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين
بالعون والنصر قوله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
واحسنوا ان الله يحب المحسنين كل ما امر الله تعالى به من الخير فهو من سبيل الله واكثر
ما يستعمل في الجهاد لانه السبيل الذي يقاتل فيه والباء في بايديكم مزيدة في مثلها في اعطى
بيده للمنقاد والتهلكة مصدر بمعنى الاهلاك وهو تفعلة من الهلاك قيل لم يوجد
في كلام العرب مصدر على مفعلة بضم العين الا هذا قيل التهلكة كل شيء يصير عاقبته
الى الهلاك اي لا تجعلوا التهلكة آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل ولا تلقوا بايديكم اي
لا تاخذوا في ذلك ويقال لكل من اخذ في عمل القى يديه اليه وفيه ومنه
قول لبيد حتى اذا القت يدا في كافر يعني الشمس اخذت في المغيب وقيل بايديكم
وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده
اذا تسبب في هلاكها قال الواحدي والمعنى لا تقربوا ما يهلككم لان من القى بيده
الى الشيء فقد قرب منه وهذا مبالغة في الزجر وتاكيد في النهي وكان المعنى
لا تقربوا من ترك الانفاق في سبيل الله اي لا تمسكوا ولا تبخلوا لانه سبب الهلاك
وقيل المعنى الاسراف في النفقة حتى يفتقر نفسه ويضيع عياله او النهي عن الاستقتال
والاخطار بالنفس وعن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا
من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب
الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنصرناه وشهدنا معه المشاهد واثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا نصلحها ونقيم
فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وعن ابن عباس انفق
في سبيل الله وان لم يكن الا سهم او مشقص ولا يقولن احدكم لا اجد شيئا واحسنوا
ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس احسنوا الظن بالله فانه يضاعف الثواب
ويخلف لكم النفقة وقيل واحسنوا اي جاهدوا في سبيل الله والمجاهد المحسن
قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية
من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب قيل معناه
اتموا الحج والعمرة بمناسكهما وحدودهما وشرائطهما وسننهما لوجه الله من غير توان
ولا نقصان يقع منكم فيهما قال ذو الرمة تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة
اللثام جعل الوقوف عليها لبعض مناسك الحج الذي لا يتم به نقل عن بعض السلف
الصالحين انه حج فلما قضى نسكه قال لصاحبه هل تم حجنا الم تسمع قول ذي الرمة وحقيقته

ما قال انه لما قطع البوادي حتى وصل الى حرم الله سعى ان يقطع اهوا النفس
ويخرق الحجب من القلب حتى يصل الى مقام المشاهد ويبصر انا وكرمه بعد الرجوع
عن حرمه وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل اتمامهما ان تفرد لكل واحد
منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل تمام الحج ان ياتي بمناسكه كلها
حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة وقيل اتمامهما ان يكون النفقة
حلالا ولا ينتهي عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخلصوهما للعبادة بان تخرج من اهلك
لهما لا تريد غيرهما ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة عن انس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ياتي على الناس زمان يحج اغنيا الناس للنزهة واوساطهم للتجارة وقراؤهم
للريا والسمعة وفقراؤهم للمسئلة ولهذا المعنى كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
يقول الوفد كثير والحاج قليل اختلف الفقهاء في العمرة فقال قوم هي سنة وليست
بفريضة ولا واجبة وهو مذهب اهل العراق ومالك بن انس وابي ثور وقول
الشافعي في القديم واختيار محمد بن جرير الطبري واحتجوا بقراة الشعبي واتموا
الحج والعمرة لله رفعا وبما روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه سئل عن العمرة او اجبة هي فقال لا وان تعتمروا خير لكم وفي خبر
آخر الحج فريضة والعمرة تطوع وقالوا ايضا لما ذكر الله عز وجل فرض الحج لم يذكر معه
العمرة فقال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال آخرون العمرة
فريضة وهي الحج الاصغر وهو قول علي وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين وعطا
وقتادة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وقول الشافعي في الجديد والاصح
من مذهبه واختيار احمد بن حنبل واسحق بن راهويه واحتجوا في ذلك بقراة العامة
والعمرة نصب على معنى واتموا فرض الحج والعمرة لله وبما روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال
والله ان العمرة لقرينة الحج في كتاب الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله وقال ليس من
خلق الله احد الا وعليه حجة وعمرة واجبتان ان استطاع الى ذلك سبيلا كما قال
الله تعالى فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع وقال مسروق امرنا في كتاب الله باربع
اقام الصلوة وايتا الزكوة والحج والعمرة فنزلت العمرة من الحج منزلة الزكوة من الصلوة ثم
تلا هذه الاية واتموا الحج والعمرة لله سئل سعيد بن جبير عن العمرة فريضة ام تطوع
قال فريضة فقيل ان الشعبي قال انها تطوع قال كذب الشعبي واتموا الحج والعمرة لله ومن
قال ان العمرة ليست بفرض تاول الاية على معنى اتموها اذا دخلتم فيها ولم يرد ابتدا
الدخول فيه كالمتطوع بالحج لا خلاف فيه انه اذا احرم به ان عليه المضي فيه واتمامه
وان يكن فرضا ابتدا فكذلك فيه كالمتطوع بالحج لا خلاف فيه انه اذا اعتمر به
فكذلك العمرة ومثله روى وهب عن ابن زيد قال ليست العمرة واجبة
على احد من الناس قال فقلت له قول الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله قال
ليس لاحد من الخلق ينبغي له اذا شرع في امر الا ان يتمه فاذا شرع فيها لا ينبغي له ان
يهل يوما او يومين ثم يرجع كما لو صام يوما لا ينبغي له ان يفطر في نصف النهار وكذلك
هذا التاويل قوله تعالى فاعتوا اليهم عهدهم الى مدتهم لم يرد به الابتدا وانما اراد

به اتمام ما مضى من الجهد والقصد ومن اوجب العمرة تاول الاتمام على معنى الابتدا
والالزام اي اقيموهما وافعلوهما يدل عليه قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن
اي فعلهن وقام بهن وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل اي ثم ابتدوا الصيام واتموا لانه ذكر
عقيب الاكل والشرب وهذا هو الاصح والاوضح لانه جمع بين الايتين وحمل الاية على عمومها فمعناه
ابتدوا العمرة فاذا دخلتم فيها فاتموها فيكون جامعا بين وجهي الاتمام ولان من اوجبها اكثر والاخبار
في ايجاب الحج والعمرة مقترنين اظهر عن ابي رزين العقيلي انه قال يا رسول الله ان ابي شيخ كبير
لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حج عن ابيك واعتمر
قال صاحب الكشاف فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما
ولا دليل في ذلك على كونهما واجبتين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع
جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قرآة من قرا واقيموا الحج والعمرة والامر
للوجوب من اصله الا ان يدل دليل على خلاف ذلك الوجوب كما دل الدليل على نفي الوجوب
وهو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك
وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال اني وجدت الحج والعمرة مكتوبتين علي
اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام وكانت
واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر
فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها
قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبتين عليه اهللت بهما جميعا واذا
اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من
صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال فانك
تامر بفرض وتطوع وقرا علي وابن مسعود رضي الله عنهما والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم
قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب انتهى كلام صاحب الكشاف وفيه نظر اما
اولا فلان قوله ولا دليل في ذلك على كونهما واجبتين او تطوعين غير صحيح فانه يدل ظاهرا
على ان كل واحد من الحج والعمرة مامور باتمامهما والامر للوجوب ووجوب الاتمام دال على
وجوب الاصل ظاهرا فيكون دليلا على ان كلا من الحج والعمرة واجب قوله فقد يؤمر باتمام
الواجب والتطوع جميعا قلنا خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا بدليل قوله الا ان تقول
الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراة من قرا واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب من اصله
الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب قلنا دلالة وجوب الاتمام على وجوب الاصل كدلالة
وجوب الادا او وجوب الاقامة على وجوب الاصل ولا حاجة الى صرف اللفظ عن ظاهره .
قوله فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل
الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع قلنا معارض بقوله صلى
الله عليه وسلم ليس من خلق الله احد الا وعليه حجة وعمرة واجبتان ان استطاع الى ذلك
سبيلا وبقوله صلى الله عليه وسلم لابي رزين حج عن ابيك واعتمر واما ثانيا فلان قوله
قلنا كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر قلنا دلالته على كونها
قرينته في الوجوب اظهر من دلالته على ان القارن يقرن بينهما يقترنان في الذكر على ان يكون

القارن يقرن بينهما وانما يقترنان في الذكر يصلح ان يكون قرينه داله على الاقران بينهما في الوجوب
واما ثانيا فلان قوله واما حديث عمر فقد فسر الرجل لو بهما مكتوبين عليه اهللت بهما جميعا قلنا
انه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس يعني انما
اهللت بهما لاني وجدتهما مكتوبين علي واما قوله الدليل الذي ذكرنا اخرج العمره
عن صفة الوجوب لما عرفت قوله فيهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال
قلنا ممنوع ولين سلم فلم قلت ان قولك صم شهر رمضان وستة من شوال افاد انك
تامر بفرض وتطوع بل يدل ظاهرا انك تامر بفرضين الا ان يدل دليل يصرفه عن
الظاهر واما ثالثا فلان قوله في قراءة علي وابن مسعود كانه قصد وابد لله اخراجها
عن حكم الحج وهو الوجوب قلنا وهذا ايضا قرينه داله على انه نفيه ووجوب العمرة ظاهرا
فان احصرتم الحصر والاحصار الحبس والمنع يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف
او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان
تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصره اذا حبسه عدو عن المضي او سجن
ومنه للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم والحصر والاحصار
بمعنى المنع في كل شي مثل صده واصده اختلف العلما في المراد من الاحصار المذكور في الايه فقيل
كل منع من عدو وكان او مرض او حبس او جرح او كسر او خوف او لدغ او ذهاب نفقة او
ضلال راحلة او غيرها من الاعذار معتبر في حكم الاحصار وعليه قول ابي حنيفه والحسن
ومجاهد وعطا وقتاده وعروه ابن الزبير ومقاتل والكلبي وقيل الاحصار هو حبس عدو
او قاهر من بني ادم عن الوصول الى البيت فاما المرض وساير الاعذار فهو غير داخل
في هذه الايه وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعبد الله ابن الزبير ومقاتل والكلبي وسعيد
ابن المسيب وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب ومذهب الشافعي واهل المدينه واحتج
الاولون بان الاحصار في كلام العرب هو منع لعلة من المرض واشباهه غير القهر والغلبه
فاما منع العدو والحبس بالقهر من سلطان قاهر فان ذلك الحصر لا الاحصار كذا قاله
الكسائي وابو عبيدة والفرا قالوا وانما جعلنا حبس العدو احصارا قياسا على
المرض لا بدلالة الظاهر قال صاحب الكشاف فهذا هو الاكثر والحصر والاحصار
بمعنى واحد فحينيذ يكون حبس العدو والقاهر بدلالة الظاهر لا بالقياس وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل واحتج الاخرون
بان نزول هذه الايه في قصة الحديبيه وذلك احصار عدو ويدل عليه ايضا
قوله في سياق الايه فاذا امنتم لا يكون الامن الا من الخوف وفي الحديث لا حصر الا
من حبس العدو وقال ثعلب تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور
واحصره العدو واذا منعه من السير فهو محصر وذكر يونس عن ابي عمرو وقال
اذا منعته من كل وجه فقد حصرته واذا منعته من التقدم فقد احصرته وقال
الشافعي فاذا احصر اما بخصوصه او بعموم الحجيج عن الوقوف بعرفات او عن البيت
لطواف الركن بعدو كافر او مسلم او سلطان يحبسه في سجن تحلل بنية التحلل مع الحلق
وهو ازالة الثلاث شعرات او تقصيرها ومع ذبح شاة حيث احصر ليفرق اللحم على مساكين
موضع الاحصار ولا قضا عليه اللهم الا ان يكون واجبا فيقضي وعند ابي حنيفه

ان

ان كان خاصا فينحر بالحرم متى شا في ايام الحج بعث به ويجعل للمبعوث على يديه يوم امار
اي يقول للمبعوث على يديه اخر يوم كذا افاد اجا ذلك اليوم وغلب على ظنه انه نحر فحينيذ
يتحلل وعند ابي يوسف ومحمد يختص نحرا ايام النحر بالحرم وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت قوله
فما استيسر رفع بالابتدا اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر يقال يسر
الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب من الهدي جمع هديه مثل جدي جمع جديه
بتسكين الدال الشي محشو تحت دفتي السرج والهدي ما يهدى الى بيت الله تعالى سمي به لانه
تقرب الى الله تعالى بمنزلة الهديه يهديها الانسان الى غيره متقربا به اليه والمعنى فان
منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من
الهدي من بعير او بقره او شاه فقال علي وابن عباس رضي الله عنهم شاه وهو اولى الاقوال
بالصواب لانه اقرب الى اليسر ولان الله تعالى سمى الشاه هديا في قوله تعالى هديا بالغ
الكعبه وفي النظير شاه وقال الحسن وقتاده اعلاه بدنه واوسطه بقره وادناه شاه
وقال ابن عمر ما استيسر من الهدي الابل والبقر ناقه دون ناقه وبقره دون بقره
سن دون سن وانكر ان يكون الشاه من الهدي وقال بعض الفقها اذا لم يقدر على
الهدي يتحلل بالنيه والحلق والطعام المساوي لقيمة الشاه المتفرق على مساكين ذلك
الموضع الذي احصر فيه او الصيام لكن لا يلزمه الصوم في موضع الاحصار ولا يتوقف
التحلل عليه بل يصوم متى شا حيث شا واعلم ان المريض ايضا يتحلل بالنيه ووحدها
ان شرط التحلل في الاحصار وعند المرض فان شرط في الاحرام انه حلال عند المرض
فيحصل التحلل ايضا من غير النيه اعلم ان كل ما وجب على المحرم في ماله من فديه وجزا
وهدي وصدقه ولا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا في موضعين احدهما دم
الاحصار بالعدو فانه ينحر حيث حبس ويحل والاخر من ساق هديا فعطب في طريقه
وذبحه وخلى بينه وبين المساكين لم يجز له ولا لرفقايه ان ياكلوا منه شيا وان كانوا مساكين
فان كان ما ساقه لغرض مثل ان يكون قارنا او متمتعا جاز له ان ياكل ويطعم غيره قوله
ولا تحلقوا رووسكم حتى يبلغ الهدي اي لا تتحللوا من احرامكم حتى ينحر الهدي حيث يحل
ذبحه واكله والانتفاع به كقوله صلى الله عليه وسلم في اللحم الذي تصدق به على بريرة قال
قربوه فقد بلغ محله يعني قد بلغ تحل طيبه وحلاله بالهديه اليها بعد ان كان صدقه على بريره
وهذا قول من جعل الاحصار احصار العدو ويدل عليه فعل النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم بالحديبيه حين صدوا عن البيت نحروا هديهم
بالحديبيه والحديبيه ليست من الحرم وروي في قصة الحديبيه انه لما كتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتاب القضيه التي بينه وبين مشركي قريش عام الحديبيه قال
لاصحابه قوموا فانحروا واحلقوا فما قام احد منهم حتى قال ثلث مرات فلما لم يقم احد منهم
قام فدخل على ام سلمه فذكر ذلك لها فقالت ام سلمه يا نبي الله اخرج لا تكلم احدا منهم بكلمة
حتى تنحر بدنك وتدعو حلاقك فيحلق فخرج ولم يكلم احدا حتى فعل ذلك فلما راوا ذلك قاموا
فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل غما ولان المحصر سوا كان في الحل والحرم
مامور بنحر الهدي واقل درجات التكلف ان يكون له التمكن من الفعل المامور به ولانه تعالى
انما شرع التحلل للمحصر ليتخلص من الخوف في الحال ولو فرض ضرب يوم امارات لطالت عليه المدة

سيما اذا احصر بعيدا من الحرم وفات المقصود من شرعية هذا الحل ولان
الموصل الى الحرم هو الخائف ولكنه يوم بهذا الفعل مع قيام الخوف و لربما
لم يجد الغير ليبعثه فيأثم لذلك ولان قوله تعالى فما استيسر من الهدي يدل على ان الله
تعالى بين امر الهدي بنفسه على السهولة واليسر فكيف يشدد في محله وموضع
عذره ولا ارتياب ان امر المرض واذى الراس ايسر من الاحصار وقد بنى الامر فيهما على
التخيير والسعة حيث قال فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من
صيام او صدقة او نسك ايذانا بان الامر على التسهيل وعدم الحرج قال صاحب
الكشاف قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب للمحصرين اي
لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب
نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفه فان قلت
فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حين احصر قلت كان محصره طرف الحديبيه الذي
اذا اسفل مكه وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر
هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبيه هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة
قوله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففديه من صيام او صدقه او
نسك معنى الايه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الى ان تضطروا الى حلقه
اما لمرض يحتاج الى مداواة او اما لاذى براسه من هوام وصداع وغير ذلك
فحلق اوتداوى ففديه من صيام ثلثه ايام او صدقه على سته مساكين لكل مسكين
نصف صاع او نسك هو مصدر وقيل جمع النسيكه وهي الذبيحه اعلاها بدنه واوسطها
بقره وادناها شاه وهذه الفديه على التخيير ايها شا فعل كما دل عليه ظاهر الايه
نزلت هذه الايه في كعب بن عجره قال مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبيه
ولي وفره من شعر فيها القمل والصيبان تتناثر على وجهي وانا اطبخ قدرا لي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايوذيك هوام راسك قلت نعم يا رسول الله
قال احلق راسك وصم ثلاثه ايام او اطعم سته مساكين او انسك شاة قوله تعالى فاذا
امنتم الاحصار ومن خوفكم وبرأتم من مرضكم وكنتم في حال امن وسعة وصحة
فمن تمتع بالعمرة هو ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج على مسافة القصر من الحرم من
ميقات بلده فاذا اقضى عمرته اقام حلالا بمكة ثم يحرم بالحج من جوف مكة في عام
العمرة من غير عود الى ميقات فاستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب
بها الى الله تعالى وقيل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة
ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فمعناه التلذذ واصله التزود والمتاع
الزاد ثم جعل لكل تلذذ قال الفقهاء التمتع الذي يجب عليه الهدي هو ان يجتمع
فيه شرائط اربعه وهي ان يحرم في اشهر الحج وان يحرم بالحج من عامه ذلك
من مكة وان لا يرجع الى الميقات وان يكون من غير الحرم فمتى انخرم شي من هذه
الشرائط سقط عنه الدم ولا يكون متمتعا قوله فما استيسر من الهدي هو هدي
المتعه وهو عند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا ياكل منه ويجوز ذبحه اذا احرم
بحجه وعند ابي حنيفه هو نسك وياكل منه ويذبحه يوم النحر وقيل معناه فمن احصر

حتى فاته الحج ثم قدم مكه فخرج من احرامه بعمل عمرة واستمتع باحلاله ذلك بتلك
العمرة الى السنة المستقبله ثم حج واهدى فيكون متمتعا بذلك الاحلال من لدن
حل الى احرامه الثاني من القابل وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم
بعد الاحصار ولم تقضوا عمرة تخرجون بها من احرامكم بحجكم ولكنكم احللتم حين احصرتم
بالهدي واخرتم العمرة الى السنة القابلة فاعتمرتم في اشهر الحج ثم حللتم
واستمتعتم باحلالكم الى حجكم فعليكم ما استيسر من الهدي وقيل فاذا
امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فان اخر العمرة حتى جمعها مع الحج فعليه الهدي
وقيل معناه فمن نسخ حجه بعمرة فجعله عمرة واستمتع بعمرته الى حجه
فعليه ما استيسر من الهدي اعلم ان الحج على ثلاثه اقسام الافراد
والاقران والتمتع اما التمتع فقد عرفت واما الافراد فهو ان يحج ثم
بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في
تلك السنه واما القران فهو ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج
ثم يحج في تلك السنه وان ينوي بهما بقلبه وكذا لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل
الطواف ادخل عليها الحج يصير قارنا وعند الشافعي الافضل من هذه
الثلاثه الافراد ثم التمتع وعند مالك التمتع افضل من الافراد وعند ابي
حنيفه القران افضل ثم الافراد وهو قول المزني وابي اسحق المروزي
وعند ابي يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع حجة الشافعي من وجوه
الاول واتموا الحج والعمرة لله بيانه ان الايه اقتضت عطف العمرة على الحج
والعطف يقتضي المغايرة وهي لا تتحقق الا عند الافراد فان عند القران
الموجود شي واحد وذلك مانع من صحة العطف واقتضت الافراد يدل
على ذلك قوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي والقارن يلزمه قربانان
عند الخصم ولان الايه تدل على وجوب الاتمام والاتمام لا يحصل الا عند
الافراد الثاني ان الافراد يقتضي كونه اتيا بالحج مرة ثم بالعمرة بعد ذلك
فتكون الاعمال الشاقه في الافراد اكثر فوجب ان يكون افضل لقوله عليه
السلام افضل الاعمال احمزها اي اشقها الوجه الثالث انه عليه السلام
كان مفردا لان الصحابه اختلفت رواياتهم في هذا المعنى فروى مسلم في صحيحه
عن عائشه رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم افرد الحج وروى جابر
وابن عمر انه افرد واما انس فقد روى عنه انه قال كنت واقفا
عند جران ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لعابها يسيل على كتفي
فسمعته يقول لبيك بحجة وعمرة معا رجح الشافعي رواية عائشه وابن عمر وجابر
على رواية انس من وجوه احدها بحال الرواة اما عائشه فلانها كانت عالمة
ومع علمها كانت اشد الناس التصاقا برسول الله صلى الله عليه وسلم
واشد الناس وقوفا على احواله واما ابن عمر فانه كان مع فقهه اقرب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اخته حفصه كانت زوجة النبي صلى الله
عليه وسلم واما جابر فانه كان اقدم صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

من انس وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قليل العلم والثاني ان عدم القران
متاكد بالاستصحاب والثالث ان الافراد يقتضي تكثير العبادة والقران يقتضي تقليلها
وكان الحاق الافراد بالنبي اولى واذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مفردا وجب
ان يكون الافراد لانه صلى الله عليه وسلم كان يختار الافضل لنفسه حجة ابي حنيفه
من وجوه الاول التمسك بقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله فانه يحتمل ان يراد ايجاب
كل واحد والجمع بينهما على سبيل التمام والحمل على الاول لا يفيد الثاني وعلى الثاني لا
يفيد الاول فكان الثاني اكثر فايده فيحمل اللفظ عليه لان حمل كلام الله على ما هو
اكثر فايده اولى الثاني ان القران جمع بين النسكين فيكون افضل من الاتيان بنسك
واحد الثالث ان في القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك مسارعة الى
احد النسكين فالقران افضل لقوله تعالى وسارعوا والجواب عن الاول انا بينا
ان هذه الايه تدل من ثلثه وجوه على ان الافراد وما ذكرتموه بمجرد حسن ظن
حسب فلم حمل اللفظ على ما هو اكثر فايده اولى واذا كان كذلك كان الترجيح لقولنا
والجواب عن الثاني والثالث ان كل ما يفعله القارن يفعله المفرد ايضا الا ان
القران كله حيله في اسقاط الطاعه فينتهي الامر فيه ان يكون رخصا فيه فاما ان
يكون افضل فلا وبالجملة الشافعي لا يقول ان الحجه المفرده بلا عمرة افضل من
الحجه المقرونه لكنه يقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فمجموع هذين
الامرين افضل من الاتيان بالحجه المقرونه قوله فمن لم يجد الهدي فعليه صيام
ثلثه ايام في وقت اشتغاله بالحج وهو بعد احرام الحج ولا يصح صومه بعد احرام
العمرة قبل احرام الحج عند الشافعي وقال ابو حنيفه يصح قبل احرام الحج بعد
احرام العمرة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى
هذا الوقت لم يجزيه الا الدم حجة الشافعي وجوه الاول انه صام قبل وقته
فلا يجوز كمن صام رمضان قبله وكما اذا صام السبعه قبل الرجوع وانما قلنا انه صام
قبل وقته لان الله تعالى قال فصيام ثلاثة ايام في الحج واراد به احرام الحج لان ساير
افعال الحج لا يصلح ظرفا للصوم والاحرام يصلح فوجب حمله عليه الثاني ان ما قبل
الاحرام بالحج ليس بوقت للهدي الذي هو اصل فلان لا يكون وقتا للصوم الذي
هو بدله اعتبارا بساير الاصول والابدال وتحقيقه ان البدل حال عدم الاصل
فيقوم مقامه فيصير في الحكم كانه الاصل فلا يجوز ان يحصل في وقت لو وجد
الاصل لم يجز اذا عرفت هذا فنقول قد اتفقوا على انه يجوز بعد الشروع
في الحج الى يوم النحر والاصح انه لا يجوز يوم النحر ولا ايام التشريق لقوله عليه
السلام لا تصوموا في هذه الايام والمستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث
يكون يوم عرفة مفطرا او قوله وسبعه اذا رجعتم قال الشافعي في
الجديد هو الرجوع الى الاهل والوطن وقال ابو حنيفه اذا رجعتم بمعنى اذا
نفرتم وفرغتم من افعال الحج فاذا صام الايام السبعه بعد الرجوع عن الحج وقبل
الوصول الى وطنه لا يجزيه عند الشافعي ويجزيه عند ابي حنيفه ح ثم اما
قوله تلك عشرة كاملة فقد طعن الملحدون لعنهم الله فيه من وجهين احدهما

انه معلوم بالضرورة ان الثلثه والسبعة عشرة فذكره ايضاح للواضح والثاني
ان قوله كاملة يوهم وجود عشرة غير كاملة في كونها عشرة وذلك محال والعلما
ذكروا انواعا من الفوايد منها ان الواو قد تجي للاباحة في نحو قولك جالس
الحسن وابن سيرين اي جالس هذا او هذا الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا
منهما كان ممتثلا فقد ذكرت تلك تنبيها لتوهم الاباحة ومنها ان فايدة الفذلكة في كل
حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم
وفي امثال العرب علمان خير من علم كقول الاعشى ثلاث بالغداة فهن حسبي
وست حين يدركني العشاء فذلك تسعة في اليوم ريي وشرب المرء فوق الري داء وقال
الفرزدق ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل الى شمام وكذلك كاملة
تاكيد اخر وفيه زيادة توصيه بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص عن عددها
كما يقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر
وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وقيل كاملة شروطها وحدودها
وقيل لفظه خبر وحكمه امر اي فكملوها ولا تنقصوها ذلك اشارة الى امر تقدم
واقرب الامور المذكورة ذكر ما يلزم المتمتع من الهدي وبدله وهو الصيام
وابعد منه ذكر تمتعهم فلهذا اختلفوا فقال الشافعي ذلك اشارة الى الاقرب
وهو لزوم الهدي وبدله الذي هو الصيام على المتمتع انما يكون اذا لم يكن المتمتع
من حاضري المسجد الحرام اي لمن لم يكن اهله من اهل الحرم فاما اذا كان
من اهل الحرم فلا يلزمه الهدي ولا بدله وذلك لان عند الشافعي هذا
الهدي انما لزم الافاقي لانه كان من الواجب عليه ان يحرم عن الحج في الميقات
فلما احرم في الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فقد حصل
هناك الخلل فجعل مجبورا بهذا الدم او بدله اعني الصيام اذا لم يجد الهدي
والمكي لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فاقدامه على التمتع لا يوقع خللا في
حجه فلا جرم لا يجب عليه الهدي ولا بدله وحاضروا المسجد الحرام عند الشافعي
اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة اقل من مسافة القصر وقال ابو حنيفه
ذلك اشارة الى التمتع وعنده لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام ومن تمتع منهم
او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن والمتمتع من
اهل الافاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وحاضروا المسجد الحرام اهل
المواقيت وهي ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق وكل من كان
من اهل ميقات من هذه المواقيت وما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد
الحرام وقال مالك هم اهل مكة واهل ذي طوى قال فلو ان اهل منى احرموا
بالعمرة من حيث يجوز لهم ثم اقاموا بمكة حتى حجوا اكانوا متمتعين وسيل مالك
عن اهل الحرم ايجب عليهم ما يجب على المتمتع قال نعم وليسوا مثل اهل مكة قيل
له فاهل منى قال لا ارى ذلك الا لاهل مكة خاصة قال الامام مذهب مالك
موافق لظاهر الايه لان اهل مكة هم الذين يشاهدون المسجد الحرام ويحضرونه
فلفظ الايه لا يدل الا عليهم الا ان الشافعي قال كثيرا ما ذكر الله المسجد الحرام

والمراد منه الحرم قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
ورسول الله انما اسري به من الحرم لا من المسجد الحرام وقال ثم محلها الى البيت
العتيق والمراد الحرم لان الدما لا تراق في البيت والمسجد اذا ثبت هذا فنقول
المراد من المسجد الحرام هاهنا ما ذكرناه ويدل عليه وجهان الاول الحاضر ضد
المسافر فكل من لم يكن مسافرا كان حاضرا ولما كان حكم السفر انما يثبت في مسافة
القصر فكل من كان دون مسافة القصر لم يكن مسافرا وكان حاضرا الثاني ان
العرب تسمي اهل القرى حاضرة وحاضرين واهل البر بادية وبادين ومشهور
كلام الناس اهل البدو والحضر يراد به اهل الوبر والمدر وقالت الفراء
والكلام قوله لمن معناه على اي ذلك الهدي او بدله واجب على من لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام اي لم يكن هو حاضر المسجد الحرام فذكر الله حضور
الاهل واراد به حضور المحرم لان الغالب على الرجل ان يسكن حيث
اهله ساكنون فكل من كان دان على مسافة لا تقصر اليها الصلوة من مكة واتقوا الله
في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان
الله شديد العقاب لمن خالف وتهاون في حدوده قوله تعالى الحج اشهر
معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما
تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي وقت
الحج اشهر كقولك البرد شهران وانما الصيف شهران اي وقتهما وانما الطيلسان
ثلثة اشهر اي وقت لبس الطيلسان وقيل معناه اشهر الحج اشهر معلومات شوال
وذو القعدة بالاتفاق من اشهر الحج وتسع من ذي الحجة وليلة يوم النحر عند
الشافعي وعند ابي حنيفة عشر من ذي الحجة وعند مالك ذو الحجة كله حجة
مالك من وجوه الاول ان الله تعالى ذكر الاشهر بلفظ الجمع واقله ثلاثة الثاني
ان ايام النحر تفعل فيها بعض ما يتصل بالحج وهو رمي الجمار والمراة اذا حاضت
فقد تؤخر الطواف الذي لابد منه الى انقضا ايام بعد العشر ومذهب
عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر والجواب عن الاول من وجهين
الاول ان لفظ الجمع يشترك فيه ما ورا الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما والثاني انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما رايته
في ساعة منها والجواب عن الثاني ان رمي الجمار يفعله الانسان وقد حل
بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا
طافت بعد فكانه في حكم القضا لا في حكم الادا حجة الحنفية من وجهين
الاول ان جمعا من المفسرين زعموا ان يوم الحج الاكبر يوم النحر والثاني ان يوم النحر
وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة حجة الشافعي ان الحج
يفوت بطلوع الفجر يوم النحر والعبادة لا تكون فائتة مع بقاء وقتها فان
قيل اشتهر عن اكابر الصحابة انهم قالوا من اتمام الحج ان يحرم المرء من دويرة
اهله ومن بعدت داره البعد الشديد لا يمكن ان يحرم من دويرة اهله
بالحج الا قبل اشهر الحج غير مقيد بزمان مخصوص اجاب الامام بان
النص

النص لا يعارضه الاثر المروي عن الصحابة والحق ان الاحرام من دويرة اهله انما يصح
اذا امكن المسير من الدار في اشهر الحج واما اذا لم يمكن ذلك فلا قوله معلومات
اي انما يكون الحج في السنة مرة واحدة في اشهر معلومات من شهورها ليست كالعمرة
التي يؤتى بها في السنة مرارا واحال معرفة تلك الشهور على ما كانوا علموه قبل نزول هذا
الشرع فعلى هذا لم يجي الشرع على خلاف ما علموه وانما جاء مقررا له وقيل والمراد
بها معلومات ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بها موقتة في اوقات
معينة لا يجوز تقديمها ولا تاخيرها لا كما يفعله الذين انزل فيهم انما النسي زيادة في الكفر
واعلم ان من احرم بالحج قبل اشهره لم يجزه ذلك عن حجه ويكون ذلك كله عمرة كمن دخل
في صلوة قبل وقتها تكون نافلة وهو مذهب الشافعي واحمد وقال مالك وابو حنيفة
يجوز ان يكون جميع السنة حجة الشافعي قوله تعالى الحج اشهر والاشهر جمع قلة على سبيل
التنكير ولا يتناول الكل بل يكون من ثلثة الى عشرة واذا كان ينصرف الى الادنى
فثبت ان اشهر الحج ثلثة والمفسرون اتفقوا على ان تلك الثلاثة شوال وذو القعدة
وذو الحجة واذا ثبت هذا فنقول وجب ان لا يجوز الاحرام ويدل عليه ثلاثة اوجه
الاحرام بالعبادة قبل وقت الادا لا يصح قياسا على الصلوة الثاني ان الخطبة في صلوة
الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها اقيمت مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام
وهو مشروع في العبادة اولى الثالث ان الاحرام لا يبقى صحيحا لادا الحج اذا ذهب وقت
الحج قبل الادا فلان لا ينعقد صحيحا لادا الحج قبل الوقت اولى لان البقا اسهل من الابتدا
حجة ابي حنيفة وجهان الاول قوله تعالى يسلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج وهي ليست بمواقيت الحج فثبت اذا انها مواقيت الاحرام ويجوز ان يسمى الاحرام حجا
مجازا كما سمي الوقت حجا في قوله تعالى الحج اشهر بل هذا اولى لان الاحرام الى الحج اقرب
من الوقت الثاني ان الاحرام التزام للحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذور والجواب عن الاول
ان الاية التي ذكرناها اخص من الاية التي تمسكتم بها وعن الثاني ان الفرق بين النذر و
وبين الاحرام ان الوقت معتبر للادا ولا اتصال للنذر بالادا بدليل ان الادا لا يتصور
الا بعقد مبتدا واما الاحرام فانه مع كونه التزاما فهو ايضا مشروع في الادا وعقد
عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قوله تعالى فمن فرض فيهن اي فمن اوجب على نفسه في
الاشهر الحج بالاحرام اي بالنية عند الشافعي فانه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير
حاجة الى التلبية وبالنية مع التلبية عند ابي حنيفة فانه لا يصح الشروع في الاحرام
بمجرد النية حتى تنضم الى النية التلبية او سوق الهدي حجة الشافعي ظاهر قوله صلى الله
عليه وسلم لكل امرئ ما نوى والقياس وهو ان ابتدا الحج كف عن المحظورات فيصح
الشروع فيه بالنية كالصوم حجة ابي حنيفة ما روى ابو منصور الماتريدي في
تفسيره عن عايشة انها قالت لا يحرم الا من اهل او لبى وان الحج عبادة لها تحليل وتحريم
فلا يشرع فيه بنفس النية كالصلوة قوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال قرا ابو عمرو
وابن كثير برفع الاولين وتنوينهما ونصب الثالث والباقون قروا الثلاث بالنصب
والفرق بين القرائتين مسبوق بمقدمتين الاولى ان كل اسم له جوهر واحوال طارية عليه
كما ان المسمى ايضا كذلك وجوهر الاسم دال على جوهر المسمى واحواله دالة على احواله

فقولك رجل يفيد الماهيه المخصوصه وحركتا خرم اى رفعه اونصبه اوجره داله
على احوال تلك الماهيه وهي الفاعليه والمفعوليه والاضافه وهذا هو الترتيب
الاصلي حتى يكون الاصل بازا الاصل والصفه بازا الصفه فعلى هذا الاسما الداله
على جوهر المسمى ينبغي ان يتلفظ بها ساكنه الاواخر فيقال رجل فرس شجر حجر لانه لما
وضعت الحركات لتعريف احوال مختلفه في ذات المسمى فحيث اريد تعريف المسمى من غير
التفات الى تعريف شي من احواله وجب جعل اللفظ خاليا عن الحركات فان اريد في بعض
الاوقات تحريكه وجب ان يختار النصب لانه اخف الحركات واقربها الى السكون الثانيه
اذا قلت لا رجل بالنصب فقد نفيت الماهيه وانتفا الماهيه يوجب انتفا جميع افرادها
قطعا اما اذا قلت لا رجل بالرفع والتنوين فقد نفيت رجلا منكرا مبهما وهذا بوضعه
لا يوجب انتفا جميع افراد هذه الماهيه الا بدليل منفصل فثبت ان قولك لا رجل بالنصب
ادل على عموم النفي من قولك لا رجل بالرفع والتنوين فلنذكر الفرق بين القراتين
اما نصب الثلاثه فلا اشكال واما رفع الاولين والتنوين فقد نفيت رجلا منكرا مبهما
وهذا الموضعه لا يوجب انتفا جميع افراد هذه الماهيه الا بدليل منفصل فثبت ان قولك
لا رجل بالنصب ادل على عموم النفي من قولك لا رجل بالرفع والتنوين ونصب الثالث
فيدل على ان الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق لان الرفث
عبارة عن قضا الشهوه والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشيه قوله والفسوق
عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما تقدم على الايذا او الايحاش
المودي الى العداوه والبغضا فلما كان الجدال مشتملا على جميع انواع القبح لاجرم
خصه الله في هذه القراه بمزيد الزجر والمبالغه في النفي وقيل رفع الاولين محمول على
النهي كانه قيل فلا يكون رفث ولا فسوق والثالث على الاخبار بانتفا الجدال
كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير العرب
فتقف في المشعر الحرام وساير العرب يقفون بعرفه وكانوا يقدمون الحج سنة
ويوخرونه اخرى وهي النسي فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفه فاخبر
الله عز وجل انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث
والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج
كهيئته يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال واختلف المفسرون في تفسير الرفث
هنا فقال ابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم والحسن وعمرو بن دينار
ومجاهد وقتاده وابرهيم والربيع والزهري والسدي وعطا بن ابي رباح وعكرمه
والضحاك الرفث الجماع قيل لانه يفسد الحج وقال طاوس وابو العاليه الرفث
التعريض للنسا بالجماع وذكره بين ايديهن وقال عطا الرفث قول الرجل للمراه في حال
الاحرام اذا احللت اصبتك قيل كان ابن عباس في الاحرام فقال وهن يمشين بنا هميسا
ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت وانت محرم فقال انما الرفث ما قيل
عند النسا وقيل الرفث كل ما يتعلق بالجماع فالرفث باللسان ذكر الجماع وما يتعلق
به والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث الفحش
والقول القبيح والفسوق الخروج عن حدود الشريعه وقيل الفسوق

المعاصي

المعاصي كلها وقيل التنابز بالالقاب يدل عليه قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق
بعد الايمان وقيل الذبح للاصنام دليله قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه وانه لفسق وقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به وقيل هو السباب دليله
صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل هو ما نهى الله عنه المحرم
في حال احرامه نحو قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الاشعار والجدال
قيل ان تماري صاحبك وتخاصم حتى تغضبه وقيل هو السباب والمنازعة
وقيل كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هولا حجنا اتم من حجكم وقال هولا
حجنا اتم من حجكم وقيل هو ان يقول بعضهم الحج اليوم وبعضهم يقول الحج غدا
وقيل كانوا يقفون مواقف مختلفه يتجادلون كلهم يدعي ان موقفه موقف
ابرهيم فقطعه الله عز وجل حين اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بمناسكهم وقيل
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من لم يكن معه هدي فليحل من
احرامه وليجعلها عمره فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا اهللنا بالحج فذلك جدالهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من
ذنوبه كيوم ولدته امه قال الامام والحكمه في ذكر هذه الالفاظ الثلاثه
لا ازيد ولا انقص انه قد ثبت في العلوم العقليه ان الانسان فيه قوى اربعه
شهوانيه بهيميه وغضبيه سبعيه ووهميه شيطانيه وعقليه ملكيه والمقصود من
جميع العبادات قهر القوى الثلاث اعني الشهوانيه والغضبيه والوهميه
فقوله لا رفث اشاره الى قهر القوه الشهوانيه وقوله ولا فسوق اشاره الى قهر
القوه الغضبيه وقوله ولا جدال اشاره الى قهر القوه الوهميه التي تحمل الانسان
على الجدال في ذات الله تعالى وصفاته واحكامه وافعاله واسمايه وهي الباعثه
للانسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمه معهم في كل شي فلما كان منشا الشر
محصورا في هذه الامور الثلاثه لاجرم قال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
في الحج اي فمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله والانخراط
في سلك الخواص من عباده وهذه اسرار نفيسه هي المقصد الاقصى من
هذه الايات فلا ينبغي ان يكون العاقل غافلا عنها ومن الله التوفيق في كل الامور
واعلم ان الجدال على قسمين جدال في تقرير الباطل وطلب المال والجاه
وهو مذموم قال الله ولا جدال في الحج وقال تعالى ما ضربوه لك الا جدلا
بل هم قوم خصمون وجدال في تقرير الحق ودعوة الخلق الى الحق والذب عن دين
الله قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه وجادلهم
بالتي هي احسن وقال تعالى حكاية عن قوم نوح قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا فاتنا بما تعدنا ولا شك ان ذلك الجدال ما كان الا لتقرير اصول
الدين واثبات الحق وقال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله امر الله تعالى في الايه المتقدمه بفعل
الخير والطاعه فقال واتموا الحج والعمره لله ونهى عن فعل الشر والمعصيه فقال
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم عقبهما بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله

حض الخير بانه يعلمه الله لفوايد ولطايف منها انه تعالى اذا علم منك الخير ذكره
واذا علم منك الشر ستره لتعلم انه اذا كانت رحمته بك في الدنيا هكذا فكيف
في العقبى ومنها ان السلطان اذا قال لعبده المطيع كل ما تتحمله من انواع المشقة
والخدمة في حقي فانا عالم به كان هذا وعدا له بالثواب العظيم ولو قال ذلك
لعبده المذنب المتمرد كان توعدا بالعقاب الشديد ولما كان الباري عز سلطانه
اكرم الاكرمين ذكر ما يدل على الوعد بالثواب ولم يذكر ما يدل على الوعيد بالعقاب
ومنها ان العبد اذا علم اطلاع السيد على جميع ما يفعله كان حذره في اداء الطاعات
واحترازه عن المحظورات اشد مما اذا لم يكن كذلك ولهذا اعقب الامر باتمام
الحج والنهي عن الرفث والفسوق والجدال بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله
قال صاحب الكشاف حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الحسن
ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه
ونصرح قوله وتزودوا اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقا القبايح فان خير
الزاد اتقاوها اذ كرهم الله تعالى سفر الاخرة وحثهم على التزود للدارين فان التقوى
زاد الاخرة قال الشاعر الموت بحر موجه غالب يذهب فيه حيلة السابح
يا نفس اني قايل فاسمعي مقالة من مشفق ناصح لا يصحب الانسان في قبره غير التقي والعمل الصالح
وقال الاعشى اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد لما كان ارصدا وقيل كان ناس من اهل
اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيتوصلون
بالناس ويكونون كلا على الناس وربما ظلموا الناس وغصبوهم فامرهم الله ان يتزودوا ولا
يظلموا ولا يكونوا كلا ووبالا على الناس فقال تعالى وتزودوا ما تتبلغون به
وتكفون به وجوهكم واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد
التقوى قوله واتقون يا اولي الالباب يا اصحاب العقول الخالصة عن شوب الوهميات
المزاحمة المحجوبة عن الوساوس والنزغات الشيطانية فان قضية اللب تقوى الله
ومن لم يتقه من الالبا فكانه لا لب له قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه
كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم عطاء
منه وتفضلا وهو الربح بالتجارة والنفع قيل كان ناس من العرب لا يتجرون في
ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن الشرا والبيع فلم تقم لهم سوق كانوا يسمون من يخرج
الى الحج ومعه التجارة الداج ويقولون هولاء الداج وليسوا بالحاج والداج هم
الذين يكونون مع الحاج مثل الاجرا والجمالين والخدم واشباههم فانزل
الله تعالى الاية واباح التجارة في الحج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا
في الجاهلية كانوا يتجرون فيها في ايام المواسم وكانت اكثر معايشهم منها فلما جا الاسلام
كانهم تاثموا بها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله الاية
فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة عن ابن عمر ان رجلا

رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما يزعمون انه لا حج لنا فقال الستم
تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون قلت بلى قال بل حجاج
جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الذي سالتني عنه فلم يرد عليه
حتى نزلت هذه الاية فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل
كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج قوله تعالى
فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم بكثرة واصله فاضتم انفسكم فترك ذكر المفعول
كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران
وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث ومضوا فيه وعرفات علم للموقف
سمي بجمع كاذرعات ولم يمنع من الصرف لانه ليس فيها الا سبب واحد وهو التعريف
وليس فيها تانيث لان التا التي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة
جمع المونث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التا لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها
كما لا تقدر تا التانيث في بنت لان التا التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث
كتا التانيث فابت تقديرها قيل سميت بعرفات لان ادم لما اهبط وقع بالهند
وحوا بجدة فجعل ادم يطلب حوا وهي تطلبه واجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا
فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم
عليه السلام عدا من فلسطين فحلفت ساره ان لا ينزل من على ظهر دابته حتى يرجع
الينا من العرب فاتى اسمعيل ثم رجع فحبسته ساره سنة ثم استاذنها فاذنت له
فخرج حتى بلغ مكه وجبالها فبات ليلة يسير ويسعى حتى اذن الله له عز وجل
له في تلك الليلة الاخرة عند جبل عرفه فلما اصبح عرف البلاد والطريق فجعل الله عرفات
حيث عرف وقيل انما سميت عرفات لان جبريل كان يري ابرهيم المناسك فيقول
عرفت ثم ربه فيقول عرفت فسميت عرفات وقيل بعث الله تعالى جبريل الى ابرهيم
عليهما السلام فحج به حتى اذا اتى عرفات قال قد عرفت وكان قد اتاها مرة قبل
ذلك فسميت عرفات وقيل ان جبريل اري ابرهيم في ذلك اليوم بقاع مكه ومشاهدها
فكان يقول يا ابرهيم هذا موضع كذا وهذا الموضع كذا فيقول قد عرفت قد عرفت
ولما اذن ابرهيم في الناس بالحج اجابوه بالتلبيه واتاه من اتاه امره الله عز وجل
ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة واستقبله الشيطان على الجمرة
الاولى فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانيه فرماه
فكبر فوقع على الجمرة الثالثه فرماه فكبر فلما راى انه لا يطيقه ذهب فانطلق
ابرهيم حتى اتى ذا المجاز فلما نظر اليه لم يعرفه فلذلك سمي ذا المجاز
ثم انطلق حتى وقف بعرفات فلما نظر اليها عرفها بالنعت فقال عرفت فسمي عرفات
وسمي ذلك اليوم عرفه حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسميت المزدلفه وقيل
ان ابرهيم راى ليلة التروية في منامه انه يومر بذبح ابنه فلما اصبح روى يومه
اجمع اي فكر امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فسمي اليوم من فكرته ترويه
ثم راى ليلة عرفه ذلك ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله سبحانه والاصل
فيه ان ادم عليه السلام لما امر بالحج فوقف بعرفات يوم عرفه فقال ربنا

ظلمنا انفسنا وقيل هي ماخوذه من العرف وهو الطيب قال الله عز وجل عرفها لهم
اي طيبها فان منى موضع يمنى الدم اي يصب ولذلك سميت منى ففيه الفروث والاقذار
والدما فليست طيبه وعرفات ليس فيها تلك الاقذار فهي طيبه فلذلك سميت عرفات
ويوم الوقوف عرفه وقيل لان الناس يتعارفون بها وقيل اصل هذين الاسمين
من الصبر يقال رجل عارف اذا كان صابرا خاضعا خاشعا وفي المثل يقال
النفس عروف وما حملتها تحمل وقال ذو الرمه عروف لما حطت عليها المقادر
اي صبور على قضا الله فسميا بهذا الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعاء
وانواع البلاء واحتمال الشدايد والمشقات لاقامة هذه العباده وقال صاحب
الكشاف عرفات من الاسما المرتجله لان العرفه لا تعرف في اسما الاجناس الا ان يكون
جمع عارف فحينئذ يكون من الاعلام المنقوله قوله فاذكروا الله بالتلبيه والتهليل
والتكبير والثنا والدعا وقيل بصلوة المغرب والعشا عند المشعر الحرام وما بين جبل
المزدلفه ما زمي عرفه الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام
وقيل المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وقوله تعالى عند
المشعر معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمه
ولو لم تحمل على الفضل لا يستقيم المعنى لان المزدلفه كلها موقف الا وادي محسر وجعلت
عند المشعر الحرام اعقاب المزدلفه اي اطرافها لكونها في حكم المشعر الحرام ومتصله
به تسميه الكل بالجز والمشعر الحرام المعلم من الشعار اي العلامه لانه معلم الحج والصلاه
والمقام والمبيت به والدعا عنده من معالم الحج وقيل سمي المشعر لانه اشعر المومنون
انه حرام كالبيت ومكه اي اعلموا ووصف بالحرام لحرمته وقيل وصف بالحرام
لانه ممنوع من ان يفعل فيه ما حرم ولم يوذن في اتيانه واصل الحرام من المنع
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليله جمع فقال لقد ادركت الناس
في هذه الليله لا ينامون وقيل سميت المزدلفه وجمعا لان ادم اجتمع فيها مع
حوا وازدلف اليها اي دنا منها وقيل لانها يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز
ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف
ولنشر الى ترتيب اعمال الحج حتى يسهل الوقوف على معنى الايه فمن دخل محرما مكه

محرما في ذي الحجه او قبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم
واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات فان كان متمتعا طاف وسعى وحلق
وتحلل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات وحينئذ يحرم من
جوف مكه بالحج ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكه والسنه للامام ان يخطب
يوم السابع من ذي الحجه بعد ما صلى الظهر خطبه واحده يامر الناس فيها بالذهاب
غدا بعد ما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون
يوم التروبه الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر
والعصر والمغرب والعشا والصبح من يوم عرفه ثم اذا طلعت الشمس على
ثبير يتوجهون الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنه ان لا يدخلوا بل ينزل الامام
بنمره وهي قريبه من عرفه فينزلون هنالك حتى تزول الشمس فيخطب الامام خطبتين

بين لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف ثم اذا فرغ من الخطبه
الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبه الثانيه والموذنون ياخذون في الاذان
معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ الموذنين من الاذان ثم ينزل
فيقيم الموذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال ويصلي بهم العصر وهذا
الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوه يتوجهون الى عرفات فيقفون عند
الصخرات لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبله
يذكرون الله ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به
فمن فاته الوقوف في وقته وموضعه فقد فاته الحج ووقت الوقوف يدخل
بزوال الشمس من يوم عرفه ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف
يوم وليله كامله واذا حضر الحاج هناك في هذا الوقت لحظه واحده من ليل او
نهار فقد كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفه الى طلوع
الفجر يوم النحر واذا غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوه المغرب حتى
يجمع بينها وبين العشا بالمزدلفه ثم اذا اتى الامام المزدلفه جمع المغرب والعشا
باقامتين ثم يبيتون بها فان لم يبيت بها فعليه دم شاه فاذا طلع الفجر صلوا الصبح
بغلس والغلس بالفجر هنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح
اخذوا منها الحصا للرمي ياخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر
الحرام فيرقى الجبل ان امكنه او وقف بالقرب منه ان لم يمكنه ويحمد الله ويهلل
ويكبر ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور
كما في عرفه ثم يذهبون منه الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر يستحب لمن كان
راكبا ان يحرك دابته ومن كان ماشيا فيسعى سعيا شديدا قدر رميه فاذا
اتوا منى رموا جمره العقبه من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبيه اذا ابتدا
الرمي ثم بعد ما رمى جمره العقبه ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنه
لو تركه لا شي عليه لانه ربما لا يكون معه هدي ثم بعد ما ذبح الهدي يحلق
راسه او يقصر والتقصير ان يقطع اطراف شعره ثم بعد الحلق ياتي مكه ويطوف
بالبيت طواف الافاضه ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروه ثم
بعد ذلك يعودون الى منى في بقيه يوم النحر وعليهم البيتوته بمنى ليالي التشريق
لاجل الرمي واتفقوا على انه متى حصل الرمي والحلق والطواف فقد حصل التحلل
والمراد من التحلل حل اللبس والقلم والجماع فهذا هو الكلام في اعلام الحج واهل
الجاهليه كانوا قد غيروا مناسك الحج عن سنه ابرهيم صلوات الله وسلامه
عليه وذلك ان قريشا وقوما اخرين سموا انفسهم بالحمس وهم اهل الشده
في دينهم والحماسه الشده يقال رجل احمس وقوم حمس ثم ان هولا كانوا لا يقفون
في عرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعه وكان غيرهم
يقفون بعرفه ويفيضون قبل ان تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفه يفيضون
اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير ومعناه اشرق ثبير بالشمس
كيما ندفع من مزدلفه وندخل في غور الارض وهو المنخفض وذلك

انهم اذا جاوزوا المزدلفه صاروا في غور من الارض فامر الله تعالى النبي صلى
الله عليه وسلم بمخالفة القوم قبل طلوع الشمس والايه لا دلاله فيها على ذلك بل السنه
دلت على هذه الاحكام قيل في الايه دليل على وجوب الوقوف بعرفه لان الايه
داله على وجوب ذكر عند المشعر الحرام عند الافاضه من عرفات والافاضه من عرفات
مشروطه بالحصول في عرفات وما لا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب
فثبت ان الايه داله على ان الحصول في عرفات واجب في الحج فاذا لم يات به لم يكن آتيا
بالحج المامور به فيجب ان لا يخرج عن العهده وفيه نظر فان غاية ما في الباب ان تلك الايه
داله على ان الحصول في عرفات شرط لبعض الواجبات التي يحصل الحج بدونه حتى ان
كثيرا من العلما ذهبوا الى ان الايه لا دلاله فيها على ان الوقوف شرط ونقل عن الحسن
ان الوقوف بعرفه واجب الا انه ان فاته ذلك قام الوقوف بجمع مقامه وسائر الفقها
انكروا ذلك واتفقوا على ان الحج لا يحصل الا بالوقوف بعرفه وقوله فاذكروا الله عند
المشعر الحرام يدل على ان الحصول عند المشعر الحرام واجب ويكفي فيه المرور
كما في عرفات فان الوقوف هناك مسنون وروي عن علقمه والنخعي انهما قالا الوقوف
بمزدلفه ركن بمنزلة الوقوف بعرفه وحجتهما قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام وذلك لان الوقوف بعرفه لا ذكر له صريحا في الكتاب
وانما وجب باشارة الايه او بالسنه والمشعر الحرام فيه امر جزم وقال
جمهور الفقها انه ليس بركن واحتجوا بقوله عليه السلام الحج عرفه فمن وقف بعرفه فقد تم
حجه وبقوله من ادرك عرفه فقد ادرك الحج ومن فاته عرفه فقد فاته
الحج وفي الايه اشاره الى ما ذكر لان الله تعالى قال فاذا افضتم من عرفات فاذكروا
الله عند المشعر الحرام امر بالذكر لا بالوقوف فعلم ان الوقوف بالمشعر الحرام
تبع وليس باصل واما الوقوف بعرفه فهو اصل الا انه قال فاذا افضتم من عرفات
ولم يتعرض للذكر بعرفات قوله واذكروه كما هداكم ما مصدريه او كافه
والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هدايه حسنه واذكروه كما علمكم كيف
تذكرونه ولا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف
تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففه من الثقيله واللام هي الفارقه قوله تعالى
ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا
ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس اي من عرفات ولا تكون من المزدلفه
والامر بالافاضه من حيث افاض الناس لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس
والتعالي عليهم وبعضهم ان يساووهم في الموقف وهو قولهم نحن اهل الله وقطان
حرمه ولا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات وموقع ثم نحو موقعها
في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان
الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضه
من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب
والاخرى خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفه
الى منى بعد الافاضه من عرفات اي افاضتكم من المزدلفه بعد افاضتكم من عرفات

ولا يكون افاضتكم من المزدلفه ابتدا من غير ان يتقدمها افاضتكم من عرفات قيل وهذا
القول اشبه بظاهر القران لان الافاضه من عرفات قبل الافاضه من جمع بلا شك فكيف يسوغ
ان يقول فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الا ان جمهور اهل التاويل على ما ذكر قبل وتوجيه موقع
ثم على الوجه الذي ذكر لا يخلو عن تكلف وتعسف قيل ووجهه على قولهم ان في الكلام تقديما
وتاخيرا تقديره فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم افيضوا من حيث افاض
الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام فعلى الاول الناس غير الحمس
وعلى الثاني الحمس وقيل الناس الحمس وقيل الناس هم اهل اليمن وربيعه وقيل الناس
هاهنا ابرهيم عليه السلام يدل عليه قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من
فضله اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقوله تعالى الذين قال لهم الناس يعني
نعيم بن مسعود الاشجعي ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان وانما يقال للذي يقتدى
به ويكون لسان قومه وامامهم لقوله ان ابرهيم كان امة قانتا فذكر الواحد بلفظ الجمع
وقيل الناس هاهنا ادم عليه السلام دليله قراة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث
افاض الناسي وقال هو ادم نسي ما عهد اليه عن ابن عباس رضي الله عنهما افاض رسول
الله صلى الله عليه وسلم من عرفه وعليه السكينه ورديفه اسامه وقال ايها الناس
عليكم بالسكينه فان البر ليس بايجاف الخيل والابل قال فما رايتها رافعه يديها عاديه
حتى اتى جمعا وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا بكر الصديق على الحج وامره ان يخرج بالناس جميعا الى عرفات
فيقف بها حتى اذا غربت الشمس افاض بالناس منها حتى ياتي بهم جمعا فيبيت بها
حتى اذا اصبح بها صلى الفجر ووقف بالناس في المشعر الحرام ثم ينفض بهم الى منى قال
فتوجه ابو بكر رضي الله عنه نحو عرفات فمر بالحمس وهم وقوف بجمع فلما ذهب ليجاوزهم
قالت له الحمس ان تجاوزنا ابو بكر الى غيرنا هذا مقبض آبائك ولا تذهب حتى يفيض
اهل اليمن وربيعه من عرفات فمضى ابو بكر لامر الله وامر رسوله صلى الله عليه وسلم
حتى اتى عرفات وبها اهل اليمن وربيعه وهم الناس في هذه فوقف بها حتى غربت
الشمس ثم افاض بالناس الى المشعر الحرام حتى وقف بها حتى اذا كان عند طلوع الشمس
افاض منها واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الحجاج والعمار وفد الله عز وجل ان دعوه اجابهم وان استغفروه
غفر لهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحجاج
قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله كذكركم اباكم او اشد ذكرا فمن الناس
من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخره من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا
حسنه وفي الاخره حسنه وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب
فاذا فرغتم من عبادتكم الحجيه ونفرتم يقال نسك الرجل ينسك نسكا ونسكا ونسكا
اذا ذبح نسكه والمنسك المذبح مثل المشرق والمغرب والمناسك جمع المنسك الذي
هو المصدر بمنزلة النسك وابو عمرو يدغم الكاف في الكاف فيه وفي اخواته
وفي كل القران مثل سلككم لانهما مثلان فاذكروا الله الفا في قوله فاذكروا
يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر فلهذا اختلفوا في ان هذا

الذكر اي هو فمنهم من حمله على الذكر الذي هو التكبيرات بعد الصلوات في يوم النحر وايام
التشريق على حسب اختلافهم في وقته اولا وآخرا الان بعد الفراغ من الحج لا ذكر بخصوص
الا هذه التكبيرات فاذكروا الله اي فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر اباكم
ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل
فيعدد كل فضائل اباهم ويذكرون محاسن اباهم في السماحة والحماسة وصلة الرحم
ويتناشدون فيها الاشعار ويتكلمون بالمنثور من الكلام ويريد كل واحد منهم من ذلك
الفعل حصول السمعة والرفعة بماثر سلفه فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم
لربهم لا لاباهم قال صاحب الكشاف قوله او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما
اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباهم او قوم اشد منهم ذكرا
قال ابن الحاجب فيه نظر لانه يلزم العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار
وذلك لا يجوز عنده ورد قراءة حمزة اي تساءلون به والارحام بالجر
ولقائل ان يقول ان طائفة من النحويين فرقوا بين المجرور بالاضافة والمجرور
بحرف الجر فجوزوا في الاول دون الثاني وصاحب الكشاف رد في النساء العطف
على الضمير المجرور بدون اعادة الجار وذلك لعله بشدة الاتصال على ان من الجائز
ان يكون الفاصل بين المعطوفين هو المصحح للعطف على المرفوع المتصل ثم قال صاحب الكشاف
او اشد في موضع نصب عطف على اباكم بمعنى او اشد ذكرا من اباكم على ان ذكرا
من فعل المذكور على انه من صفة المفعول قال ابن الحاجب وفيه نظر لما يؤدي ان يكون
افعل للمفعول وهو شاذ لا يرجع اليه الا بثبت وفعل لا يكون الا للفاعل كقولهم هو اضرب
الناس على انه فاعل للضرب سواء اضفته او نصبت عنه تمييزا ولقائل ان يقول المصدر
ياتي من فعل كما ياتي من فعل لقوله تعالى من بعد غلبهم المعنى من بعد كونهم مغلوبين فكذلك
قوله او اشد ذكرا من ذكر اباكم فيكون الكاف نعتا لمصدر محذوف واشد حالا
وهذا اولى لانه جرى الكاف على ظاهرها ولا يلزم ما ذكروه من ان المعطوف يشارك
المعطوف عليه في العامل لان ذلك في المفردات قوله فاذكروا الله يعني توفروا
على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الاباء وابذلوا جهدكم في الثناء على الله وشرح الائه
ونعمائه كما بذلتم جهدكم في الثناء على اباكم لان هذا اولى واقرب الى العقل من الثناء
على الاباء فان ذكر مفاخر الاباء ان كان كذبا فذاك يوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة
في العقبى وان كان صدقا فذاك يوجب العجب والكبر وكل ذلك امهات المهلكات
فثبت ان اشتغالكم بذكر الله اولى من اشتغالكم بمفاخر اباكم فان من لم يحصل الاولويه
فلا اقل من التساوي وقيل المعنى اذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباكم بالوحدانية
فان الواحد منهم لو نسب الى والدين لتاذى واستنكف منه ثم كان يثبت لنفسه الهة
فقيل لهم اذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباكم بالوحدانية بل بالمبالغة في التوحيد
ها هنا اولى من هناك وهذا هو المراد بقوله او اشد ذكرا وقيل اشد ذكرا معناه
بل اشد ذكرا لان مفاخر اباهم كانت قليلة وهمية او ظنية اما صفات الكمال لله غير متناهية
يقينية فيجب ان يكون اشتغالهم بذكر مفاخر اباهم قوله فمن الناس بين الله تعالى اولا
تفصيل مناسك الحج ثم امر بذكر الله على الاطلاق فقال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا

الله

الله عند المشعر الحرام ثم امر بذكر الله على الاطلاق فقال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا
الله عند المشعر الحرام ثم امر بذكره على الوجه الذي هداه الله اليه فقال واذكروه كما
هداكم ثم اشار الى انهم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا ضالين فلا يكون ذكرهم
الا على الوجه الضلال ثم بين ان الاولى ان يترك عز الدين كانوا عليه في وقت الضلالة
والجاهلية وان تقتصر على ذكره فقال اذكروا الله كذكركم اباكم او اشد ذكرا ثم بين بعد
الذكر كيفية الدعا فقال فمن الناس من يقول ربنا وما احسن هذا الترتيب وابلغ فان تقدم
العبادة واجب لكسر النفس وازالة لعصيانه ثم بعد العبادة لا بد من الاشتغال بذكر الله
لتنور القلب بتجلي نور جلاله ثم بعد الذكر يشتغل المرء بالدعا فان الدعا انما يكمل اذا كان
مسبوقا بالذكر كما حكي عن ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه انه قدم الذكر على الدعا فقال
الذي خلقني فهو يهدين ثم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين فقدم الذكر على الدعا قوله
فمن الناس معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من مقل همته قاصرة لا تطلب بذكر الله
الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين واعلم ان الفا في فمن الناس تفصيلية والمجمل
ما عليه الناس في نفس الامر نعلم من سياق الايات وبيان النظم وذلك انه تبارك
وتعالى لما بين الارشاد المهدي الى النسك الاعظم الشان قال فاذا قضيتم مناسككم اي
اذا فرغتم من عبادتكم الحجية ونفرتم الى اوطانكم لا تقولوا قضينا ما علينا بل اذكروا
الله ذكرا كثيرا ثم قسم الناس اربع فرق احدها الكافرون الذين غاية مقصدهم
وهمتهم اغراض الدنيا والاعراض عن المولى وهم المرادون بقوله فمن الناس من يقول
ربنا آتنا في الدنيا وثانيهم المقتصدون الذين يطلبون خير الدنيا والاخرة
وهم المرادون بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وثالثهم المنافقون
الذين كانت تحلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر وهم المرادون بقوله ومن الناس
من يعجبك ورابعهم السابقون الباذلون نفوسهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته وهم
المرادون بقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والثاني في مقابلة
الاول والرابع في مقابلة الثالث فلهذا ذكرهم على الترتيب ارشادا لهم الى اختيار
ما هو الاصوب وايثار ما يزلفهم الى الله والاعراض عما يبعدهم عن رضوانه ولما فرغ
من ذلك اراد ان يشرع في قصة بني اسرائيل اي بما تخلص منه اليها قال
يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة قوله فمن الناس من يقول ربنا اعطنا
في الدنيا ابلا وبقرا وغنما وعبيدا حذف المفعول ليفيد عموم اغراض الدنيا عن
ابن عباس رضي الله عنهما هم المشركون كانوا يسالون المال الابل والغنم وكانوا
يقولون اللهم اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ولا يسالون حظا في الاخرة
لانهم كانوا غير مؤمنين بالاخرة وما لهم في الاخرة من خلاق وهو النصيب او ما لهذا
الداعي في الاخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول هؤلا المؤمنون
يسالون الحظ في الدنيا والاخرة واختلفوا في الحسنتين فقيل ما هو طلبه الصالحون
في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الاخرة من الثواب
وعن علي كرم الله وجهه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحورا وعذاب
النار امراة السوء وقيل حسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقيل

وكان الرجل يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني ما اعطيته معالم

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رض كان قوم من الاعراب يجيئون الى الموقف فيقولون اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن لا يذكرون من امر الاخرة شيئا فانزل الله فيهم فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وكان يجيء بعدهم آخرون فيقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فانزل الله اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ولهذا امدح من ساله للدنيا والاخرى فقال ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فان الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هني وثناء جميل الى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ابن كثير

في الدنيا حسنة رزقا حلالا واسعا وعملا صالحا وفي الاخرة حسنة النجاة والرحمة وقيل
في الدنيا حسنة اولادا ابرارا وفي الاخرة حسنة مرافقة الانبيا عليهم السلام وقيل
في الدنيا حسنة المال والنعمة وفي الاخرة حسنة وهو تمام النعمة وهو الفوز من النار
ودخول الجنة وقيل في الدنيا حسنة الثبات على الايمان وفي الاخرة حسنة السلامة
والرضوان وقيل في الدنيا حسنة الدين واليقين وفي الاخرة حسنة اللقاء والرضى
وقيل في الدنيا حسنة الاخلاص وفي الاخرة حسنة الخلاص وقيل في الدنيا حسنة
حلاوة الطاعة وفي الاخرة لذة الرؤية وقيل في الدنيا السنة وفي الاخرة الجنة
وقيل من اتاه الله عز وجل الاسلام والقران واهلا ومالا وولدا فقد اوتي في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة قيل لانس بن مالك ادع لنا فقال اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي
الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا قال ما تريدون
قد سالت الله لكم خير الدنيا والاخرة قوله حسنة في الموضعين على التنكير اي حسنة عظيمة
لا يكون وراها حسنة فيشمل جميع الحسنات في الدنيا والاخرة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكثر ان يدعو بها اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا
عذاب النار اولئك لهم نصيب اي الداعون بالحسنتين وهو الثواب الذي هو المنافع
الحسنة او من اجل ما كسبوا القولة ما خطايا بانهم اعزفوا فلهم نصيب مما دعوا به يعطيهم
ما ينفعهم في الاخرة والدنيا وسمي الدعا كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة
بالكسب ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
والله سريع الحساب سريع فعيل بمعنى فاعل من السرعة يقال سرع ويسرع سرعا وسرعة
فهو سريع الحساب مصدر كالمحاسبة يعني اذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا
وعي صدر ولا روية فكر وقيل اسرع من لمح البصر وفي الخبر ان الله عز وجل يحاسب
الخلق في قدر حلب شاة وقيل هو انه اذا حاسب واحدا فقد حاسب جميع الخلق
ومعنى الحساب تعريف الله عز وجل عباده مقادير الجزا على اعمالهم وتذكيره اياهم
ما قد نسوه من ذلك يدل عليه قوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه
الله ونسوه وفيه وعد ووعيد وبشارة وانذار ووصف لنفسه بسرعة حساب
الخلايق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه
ورجا الرحمة قال الله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم **قوله** تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم
عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون يعني ايام
التشريق ايام منى ورمي الجمار سماها معدودات لقلتها كقوله دراهم معدودة
وهي ثلثة ايام بعد يوم النحر اولها يوم القر وهو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة
يستقر الناس فيه بمنى والثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا
اليوم من منى والثالث يوم الثالث عشر وهو يوم النفر الثاني وهذه الايام الثلثة
مع يوم النحر كلها ايام النحر وايام رمي الجمار وهذه الايام الاربعة بعد يوم عرفة ايام
التكبير والذكر المامور به التكبير عند الجمرات يكبر مع كل حصاة وادبار الصلوات وغيرها خلف الصلوات
من الاوقات قال نافع كان عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما يكبران بمنى تلك الايام جميعا
يز

وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط والطرق ويكبر الناس بتكبيرهما واجمعوا على ان التكبير
في هذه الايام سنة واختلفوا في قدرها ووقتها والاشهر من مذهب الشافعي انه يبتدي
بالتكبير من صلوة الظهر يوم النحر الى صلوة الفجر من اخر ايام التشريق اقتدا بالحجاج لانهم يقطعون
التلبية وياخذون في التكبير يوم النحر في صلوة الظهر والصبح من اخر ايام التشريق اخر
صلوة تصليها الحاج بمنى والناس لهم تبع وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يكبر من صلوة
الغداة من يوم عرفة الى صلوة العصر من اخر ايام التشريق واليه ذهب ابو يوسف ومحمد
رحمهما الله وهو اجمع الاقاويل وكان ابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهم يكبران من صلوة
من صلوة الظهر من يوم النحر الى صلوة العصر من اخر ايام التشريق وهو قول عطا وكان عبد
الله بن مسعود يكبر من صلوة الغداة من يوم عرفة الى صلوة العصر من يوم النحر واليه ذهب
ذهب ابو حنيفة واما لفظ التكبير فكان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله اكبر الله اكبر
الله اكبر ثلثا نسقا وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه واهل المدينة وكان ابن مسعود يكبر اثنتين
وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه واهل العراق وروي عن مالك انه كان يقول الله اكبر الله
اكبر ثم يقطع فيقول الله اكبر لا اله الا الله وروي عن قتادة انه كان يقول الله اكبر كبيرا الله اكبر
على ما هدانا الله اكبر ولله الحمد عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايام منى
ايام اكل وشرب وذكر الله وعن جعفر بن محمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث منادا يا
فنادى في ايام التشريق الا انها ايام اكل وشرب وبعال فمن تعجل فمن عجل في النفر او
استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين
يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر كما بين ذلك في قوله
قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل فانه قابل المستعجل بالمتاني فجعل
المستعجل مطاوعا لاجل المتاني الذي هو لازم في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي
يسميه اهل مكة يوم الروس لانهم ياكلون فيه روس الاضاحي واليوم بعده ينفر اذا فرغ من
رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي وروي عن قتادة وعند ابي حنيفة
واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث فرمى الجمار ثم نفر مع
الناس ولا يجوز تقديم الرمي في اليوم الثالث على الزوال عند الشافعي وعند ابي
حنيفة يجوز قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل
والتاخر جميعا قلت دلالة على ان التعجيل والتاخير مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا
فان قلت اليس التاخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير
المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل التخيير بين الفاضل والمفضول
يوجب التساوي وينافي طلب احد الطرفين وكيف يستقيم اجتماع ما طلب ورجح وجوده
وما ليس كذلك انما الزمخشري اخل في التفسير فاما وهو غير لازم فان نفي الحرج عن الامرين
لا يلزم منه التخيير وغايته اشتراكهما في رفع الحرج لكن احدهما مطلوب دون الاخر
ولا يحتاج الى الجواب لاندفاع السوال وفيه نظر فان الافعال التي يتعلق بها الحكم
اعني خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين بالاقتضا والتخيير خمسة اقسام واجب
ومندوب ومباح ومكروه وحرام والاربعة الاول مشتركة في نفي الحرج في فعله والاخير
متميز عنها بالحرج في فعله والثلاثة التي هي بين الاول والاخير متميزة عن الاول بعدم

الحرج في تركهما بخلاف الاول فان في تركه حرجا ومتميز عن الاخير بعدم
الحرج في فعلها بخلاف الاخير فان في فعله حرجا والثلاثة المذكورة مشاركة
في عدم الحرج في الفعل والترك والوسط متميز عن الطرفين بعدم ترجيح
كل من الفعل والترك على الاخر وبعدم طلب احدهما والطرف الاول من الثلاثة
متميز عن الطرف الثاني بترجيح الفعل على الترك بخلاف الطرف الثاني فانه
يترجح تركه على الفعل والطرف الاول مطلوب الفعل والطرف الثاني مطلوب
الترك والطرف الاول الذي ترجح فعله على تركه على مراتب بعضها ارجح من
بعض فيجوز التخيير بين الراجح والارجح ولا يوجب التخيير التساوي الا ترى
ان الواجب الموسع مثل صلاة الظهر المكلف مخير بين ايقاعها في اول الوقت
ووسطه واخره مع ان الايقاع في اول الوقت افضل لقوله صلى الله عليه
وسلم اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله فان قيل ما الفائدة في ايراد التخيير
فيه بنفي الاثم اجيب بان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل
المتعجل اثما ومنهم من جعل المتاخر اثما فورد القران بنفي الاثم عنهما جميعا رفعا
لاعتقاد الفريقين مع حصول المقصود قوله لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي
الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي تضييع شيا مما حده الله وامر به
حتى لا يتضرر ان من تعجل او تاخر رهقه اثم فان المتقي حذر متحرز من كل
ما يريبه وقيل لمن اتقى شيا في حجه مما نهى الله عز وجل وقيل لمن اتقى عبادة
الاوثان وقيل لمن اتقى معاصي الله اما قوله تعالى واتقوا الله طلب التقوى
في المستقبل وهو مخالف لقوله لمن اتقى الذي هو خبر عن التقوى في الماضي
فليس ذلك بتكرار واما قوله واعلموا انكم اليه تحشرون فهو توكيد للامر
بالتقوى وحث على التشديد فيه لان من علم انه لا بد من حشر وحساب
وسؤال وجنة ونار بعد الموت تقوى به الداعي الى التقوى والحشر
اسم واقع على اول خروجهم من الاجداث الى انتهاء الموقف لانه لا يتم لونهم
هناك الا بجميع هذه الامور والمراد بقوله اليه انه لا مالك سواه
ولا ملجا الا اياه ولا يستطيع احد دفعا عن نفسه كما قال تعالى يوم لا تملك نفس
لنفس شيا والامر يومئذ لله قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة
الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد نزلت هذه الايات في الاخنس
بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وسمي الاخنس لانه خنس يوم بدر
بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزلوا بجحفة
فقال لهم يا بني زهرة ان محمدا ابن اختكم فان يك صادقا فلن تقتلوه وكنتم اسعد
الناس بصدقه وان يك كاذبا فانتم احق الناس من كف عنه لقرابتكم وكفاكما اياه
اوباش العرب قالوا نعم الراي رايك فسر كما شئت نتبعك فقال اذا نودي في الناس
بالرحيل فاني اخنس بكم فاتبعوني ففعل وفعلوا فسمي لذلك الاخنس وكان

وكان رجلا حلو المنطق حسن المنظر وكان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجالسه
ويظهر الاسلام ويخبره انه يحبه ويحلف بالله على ذلك وكان منافقا وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدنيه في مجلسه ويقبل عليه ولا يعلم انه يضمر خلاف ما يظهر ثم انه كان بينه وبين
ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم وكان حسن العلانية سيئ
السريرة قيل مر بزرع للمسلمين وحمر فاحرق الزرع وعقر الحمر وقيل خرج الى الطائف
مقتضيا مالا على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا وهذه الايات وان نزلت فيما ذكر
فلا يمتنع ان تكون عامة في كل من كان موصوفا بهذه الصفات قوله ومن الناس اشارة
الى البعض فيحتمل الواحد ويحتمل الجمع اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجب الذي
يعظم في النفس يقال في الاستحسان والمحبة اعجبني كذا وفي الانكار والكراهية عجبت
من كذا والتعجب حالة تغشى الانسان عند ادراك كمال مجهول السبب ووصف هذا
المذكور بخمس صفات اولاها قوله يعجبك قوله في الحيوة الدنيا وقوله في الحيوة الدنيا
متعلق بقوله اي يعجبك قوله ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاء المحبة بالباطل
يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكلامه اذن في الدنيا لا في الاخرة ويجوز ان يتعلق
بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه في الموقف
من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه وثانيها قوله
ويشهد الله على ما في قلبه اي يقر بصدقه في كلامه ودعواه بالاستشهاد بالله اي يحلف
ويقول والله اني احبك في قلبي وثالثها قوله وهو الد الخصام اي شديد المخاصمة
يقال منه لددت يا هذا وانت تلد لدا ولدادة واذا اردت انه غلب خصمه
قلت لده يلده لدا ويقال رجل الد وامراة لداء ورجال ونساء لد قال الله تعالى وتنذر
به قوما لدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم
قيل اشتقاقه من لديدي العنق وهما صفحتاه وتاويله انه ان اخذ في اي وجه من
يمين وشمال في ابواب الخصومة غلب في ذلك والخصام مصدر خاصمه خصاما ومخاصمة
واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر والخصومة حقيقة التعمق في البحث
عن الشيء والمضايقة فيه ويجوز ان يجعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام
جمع خصم كصعب وصعاب اي اشد الخصوم خصومة وقيل الد الخصام اي اعوج الخصومة
وقيل لا يستقيم على خصومة وقيل هو كاذب القول وقيل شديد القسوة في معصية الله
جدل بالباطل عالم باللسان جاهل بالقلب يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة ورابعها قوله
واذا تولى اي تولى عنك وذهب بعد اخلاف القلب والالانة في الكلام سعى في الارض اي
اجتهد في ايقاع الفساد واصل السعي هو المشي بسرعة ولكنه يستعار لايقاع الفتنة
والتضريب بين الناس ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى اي واذا كان
واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض ليقطع الرحم ويسفك دماء المسلمين
والفساد اسم لجميع المعاصي اي ليعصي الله في جميع اوامره ونواهيه وقيل ليشتغل بادخال
الشبه في قلوب المؤمنين وفي استخراج الحيل في تقوية الكفر قال الله تعالى حكاية عن
قوم فرعون حيث قالوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي ليزيلوا اقوامك عن دينهم

ونفسه واعليهم شريعتهم وقال ايضا انى اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض
الفساد وانما سمى هذا المعنى فسادا في الارض لانه يوقع الاختلاف بين الناس ويفرق
كلمتهم ويودى الى ان يتبرا بعضهم من بعض فتنقطع الارحام وتسفك الدما قال
الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فاخبر انهم ان
تولوا عن دينه لم يحصلوا الا على الفساد في الارض وقطع الارحام وذلك من حيث قلنا
وهو لنشره في القران وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل
والحرث شق الارض واراد به هاهنا ما يحرثون من النبات والنسل نسل كل دابة
والناس منهم يعم الولد اشتقاقه من نسل ينسل اذا خرج فسقط والنسل الولد لخروجه عن
ظهر الاب وبطن الام وسقوطه ومن فسر الفساد بالقا الشبهة قال كما ان فعل النساد
فالله تعالى ذكره لامن ذلك الانسان القاء الشبهات وهو المراد بقوله ويهلك الحرث
والنسل والله لا يحب اى لا يرضى الفساد والعمل بالمعاصي وقيل الفساد قطع الدراهم
وشق الثياب والخراب لا على وجه المصلحة واستدل المعتزلة به على ان الله تعالى لا يريد
القبايح بنا على ان المحبة هي الارادة ويلزم منه ان لا يكون خالقا للقبيح لان الخلق لا يمكن
الا مع الارادة فصارت هذه دالة على مسالة الارادة وخلق الافعال غير صحيح فان
الارادة غير المحبة كما ذكرنا في المقدمات وخامسها قوله واذا قيل له اتق الله اخذته
هكذا اذا احملته عليه والزمته اياه اى حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم
الذي نهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلى عنه ضرارا ولجاجا وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعاه الى اجابة الله تعالى في ظاهره وباطنه فدعاه الانفة والكبر الى
الاثم والظلم ومعنى العزة هاهنا المنعة والقوة وقيل معناه اخذته العزة الحاصلة بسبب
الاثم الذي في قلبه فان العزة انما حصلت بسبب ما في قلبه من الكفر والجهل وعدم النظر
في الدلايل نظيره قوله تعالى في عزة وشقاق فاقام البا مقام اللام قوله فحسبه جهنم
اى يكفيه جهنم جزاء له وعذابا يقال حسبك درهم اى كفاك قال امرو القيس
وحسبك من غنى شبع وري اى يكفيك الشبع والري وجهنم اسم لمكان النار التي يعذب
الله بها في الاخرة قيل هي اعجمية وقيل جهنم اسم عربي سمي مكان نار الاخرة بها لبعد قعرها
عن رؤبة انه قال ركية جهنام بعيدة القعر ولبيس المهاد اى المهاد جهنم على معنى
بيس الموضع والمقر والمهاد جمع المهد وهو الموضع المهيا للنوم **قوله** تعالى ومن
الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله روف بالعباد نزلت هذه
الاية في صهيب بن سنان الرومي مولى عبد الله بن جدعان التيمي اخذه المشركون في
رهط من المومنين ارادوا قتلهم على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم صهيب
انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا
مالي فقبلوا منه ماله وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فاقام بمكة ما شا الله ثم خرج
الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما في رجال فقال له ابو بكر رضى الله
عنه ربح بيعك يا ابا يحيى فقال صهيب وبيعك لا يخسر ماذاك فقال انزل الله
فيك هذه الاية وقيل اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر
من مشركي قريش فنزل عن راحلته ثم قال يا قريش لقد علمتم انى من ارماكم

ولبيس

رجلا والله لا اضع سهما مما في كنانتي الا في قلب رجل وايم الله لا تصلون الي حتى ارمي بكل
سهم في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم فقالوا دلنا على بيتك ومالك
بمكة ونخلي عنك وعاهدوه ان دلهم ان يدعوه ففعل فلما قدم على النبي صلى الله عليه
وسلم قال ابا يحيى ربح البيع ربح البيع ابا يحيى وانزل الله ومن الناس من يشري نفسه
والشرا من الاضداد يقال شرى اذا باع وشرى اذا اشترى قوله يشري نفسه يبيعها
اى يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل سمع عمر ابن الخطاب انسانا
يقرا هذه الاية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون
قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل عن جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه
وسلم سيد الشهدا يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جاير فامره ونهاه
فقتله ونصب ابتغاء مرضات الله على المفعول له والمرضاة الرضى يقال رضى رضا ومرضاة
والله روف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهدا **قوله** تعالى يا ايها الذين
امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم
من بعد ما جاتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم قيل نزلت في مومني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه وذلك انهم حين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قاموا بشرايعه
وشرايع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحمان الابل والبانها بعد ما اسلموا فانكر ذلك عليهم المسلمون
فقالوا انا نقوى على هذا وعلى هذا وقالوا يا رسول ان التورية كتاب الله فدعنا فلنقم
بها في صلاتنا بالليل فانزل الله عز وجل الاية فعلى هذا الخطاب لمومني اهل الكتاب لانهم
امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمومنين قرا ابن كثير
ونافع والكساى السلم بفتح السين وكذا في قوله وان جنحوا للسلم وقوله وتدعوا الى السلم
وقرا عاصم في رواية ابي بكر بن عياش بكسر السين في هذه التي في البقرة وحدها
وبفتح السين في الانفال وفي سورة محمد والسلم بالفتح والكسر الاستسلام والطاعة اى
استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام وهو
اسم جمع بمنزلة المصدر كالعطاء من اعطيت والنبات من انبت ويجوز ان يراد بالكسر والفتح
الصلح والمراد بالصلح الاسلام لان الاسلام صلح الا ترى ان القتال بين اهله موضوع
وانهم اهل اعتقاد واحد ويد واحدة في نصرة بعضهم بعضا فسمي الاسلام صلحا لذلك
كافة من كففت الشي اذا امنعته وضممت بعضه الى بعض والكافة الحاجز المانعة
لغة والكافة اسم للجملة الجماعة لانها تمنع من التشذذ والتفرق وهي حال من الواو
الذي هو ضمير الفاعل في ادخلوا والمعنى ادخلوا في السلم جميعا حتى تمنعوا احدا
من ان لا يدخل فيه ويجوز ان يكون حالا من السلم لانها تونث كما تونث الحرب
قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى ادخلوا
في شرايع الاسلام جملة ما نعه من شرايعه لم تدخلوا فيه ولا تخلوا بشي منها وادخلوا
في الطاعات كلها وان لا تدخلوا في طاعة دون طاعة قال الامام اعلم انه
تعالى لما حكى عن المنافق انه يسعى ليفسد في الارض ويهلك الحرث والنسل امر
المسلمين بما يضاد ذلك وهو الموافقة في الاسلام وفي شرايعه فقال يا ايها الذين
امنوا ادخلوا وفي الاية اشكال وهو ان كثيرا من المفسرين حملوا السلم على الاسلام والايمان

بلغ

هو الاسلام فيصير تقدير الايه يا ايها الذين امنوا ادخلوا في الايمان او يا ايها الذين اسلموا ا
ادخلوا في الاسلام وهذا غير جائز ذكر المفسرون وجوها في تاويل هذه منها
ان الخطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي اثار تزيينه وغروره في الاقامة على النفاق يدل
عليه ورودها عقيب ما مضى من ذكر المنافقين وهو قوله ومن الناس من يعجبك
الايه فلما وصف المنافق بما ذكر دعاهم في هذه الايه الى الايمان بالقلب وترك النفاق
ومنها ان هذه نزلت في مومني اهل الكتاب امرهم ان يدخلوا في السلم كافه ولا يتمسكوا
بشي من احكام التورية لانها صارت منسوخة ومنها ان الخطاب لاهل الكتاب
الذين لم يومنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتاب المتقدم
ادخلوا في السلم كافه اي اكملوا طاعتكم في الايمان بان تومنوا بجميع انبيايه وكتبه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان في تحسينه عندكم الاقتصار على دين التورية بسبب انه دين
اتفق الكل على انه حق وبسبب انه جا في التورية تمسكوا بالسبت ما دامت السموات
والارض وبالجمله فالمراد من خطوات الشيطان الشبهات التي يتمسكون بها في بقا تلك الشريعه
ومنها انها خطاب للمومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا اي دوموا على الاسلام ولا تخرجوا
منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي ولا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اصحاب
الضلاله والمنافقون قيل الموصوف بالشي يقال له دم عليه ولا يقال له ادخل فيه
اجيب بان الكائن في الدار اذا علم ان له في المستقبل خروجا منها جاز ان
يومر بدخولها في الاستقبال حالا بعد حال وان كان كائنا فيها في الحال لان حال
كونه فيها غير الحال التي امر ان يدخلها فاذا كان في الوقت الثاني قد خرج عنها
صح ان يومر بدخولها ومعلوم ان المومنين قد يخرجون عن خصال الايمان بالنوم
والسهو وغيرهما من الاحوال ولا يمتنع ان يامرهم الله بالدخول في المستقبل
في الاسلام ومنها ان يكون السلم الصلح والمعنى يا ايها الذين امنوا ادخلوا في
السلم اي كونوا موافقين مجتمعين في نصره الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان بان يحملكم على طلب الدنيا والمنازعه مع الناس لقوله ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم ومنها ان الايمان غير الاسلام فان الايمان هو التصديق
القلبي والاسلام هو الانقياد والاستسلام في الاعمال الصالحه وترك المنهيات
فان الحق ان الايمان باق مع الاشتغال بالمعاصي قوله فان زللتم ذلت قدمه
زلا وزللا وزلولا اذا دحضت ومعنى زللتم تنحيتم عن القصد والشرايع في تحريم
السبت ولحوم الابل او عن الدخول في الاسلام من بعد ما جاتكم البينات يعني القران
ومواعظه ونواهيه واوامره والحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول
فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز حكيم عزيز غالب في انتقامه لا يعجزه الانتقام منكم
حكيم فيما شرع لكم من دينه لا ينتقم الا بحق روي ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي
فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر
الغفران عند الزلل لانه اغرا عليه قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام والملايكه وقضي الامر والى الله ترجع الامور

هل استفهام يراد به ههنا النفي والانكار وينظرون بمعنى ينتظرون يقال نظرته
وانتظرته ومنه قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم والمعنى ما ينتظر التاركون
الدخول في الاسلام والمتبعون خطوات الشيطان الا العذاب يوم القيامه يريد
لا ثواب لهم فلا ينتظرون الا العذاب قوله الا ان ياتيهم الله اجمع العقلا
الذين هم اولوا الالباب على انه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا منزه
عن الاتيان والمجي والذهاب يدل على ذلك وجوه منها ان كل ما يصح عليه
الاتيان والذهاب جسم وكل جسم مركب والمركب مفتقر في تحققه الى اجزايه
التي هي غيره فكل مركب مفتقر الى غيره والله تعالى منزه عن الافتقار الى الغير
والوجوه كثيره في استحالة الاتيان والذهاب على الله والكلام المستقصى فيه في
اصول الدين ثم اختلف اهل الاسلام في تاويل الاتيان المسند الى الله تعالى فمذهب
السلف الصالح انه لما ثبت بالدلايل القطعيه ان الاتيان والذهاب على الله محال
علمنا انه ليس مراد الله تعالى فمذهب السلف الصالح من هذه الايه هو الاتيان وان
مراده شي اخر وتعيين المراد بالنسبه الينا يحتمل الخطا فالاولى السكوت عن التاويل
وتفويض المراد من الاتيان في هذه الايه الى الله تعالى وهذا المذهب بنا على
وجوب الوقف على الله في قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله ومذهب جمهور
المتكلمين انه لا بد من التاويل على سبيل التفصيل ثم ذكروا في تاويله وجوها منها
ان المراد اتيان ايات الله فجعل اتيان الايات اتيانا له وتفخيما لشان الايات
كما يقال اتى الملك اذا اتى جيش عظيم من جهته ومنها ان المراد اتيان امر الله
وباسه كقوله تعالى او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا وليس في التاويل الا حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وهذا مجاز مشهور وقوله او ياتي امر ربك
محكم مفسر لهذا المتشابه فان هذه الايه وارده في واقعه واحده لم يبعد حمل
بعضها على بعض ومنها ان يكون الماتي به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه
او بنقمته او بما وعد من العذاب للدلاله عليه بقوله فان الله عزيز وانما حذف
ما ياتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما ياتي به كان اسهل عليهم في باب الوعيد
واذا لم يذكر كان ابلغ لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه ومنها
ان يكون في بمعنى الباء وتعاقب حروف الجر سايغ مشهور في كلام العرب
تقديره الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام قوله في ظلل جمع ظله وهو ما
يستظل به من الشمس وقيل ما اظلك سمي السحاب ظله لانه يستظل بها ومنه
قوله عذاب يوم الظله اراد غيما تحته سموم والملايكه عطف على الله والتقدير
وياتيهم الملايكه يمكن حمله على الحقيقه فلا يعدل عن ظاهره فصار المعنى انه
ياتي امر الله واياته والملايكه مع ذلك ياتون ليقوموا بما امروا به من اتيانه

السلم
م

او تعذيب او غيرهما من احكام يوم القيمه و انما ياتيهم العذاب في الغمام لان الغمام
مظنة الرحمه فاذا انزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جا
من حيث لا يحتسب كان اشق فكيف اذا جا من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقه
من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين
في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر
اي فرغ لهم مما توعدون به بان قدر ذلك عليهم واعد لهم وقيل معناه واتم امر
اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه والى الله ترجع الامور قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
ترجع بضم التا على معنى ترد يقال رجعته اي رددته قال الله تعالى ولئن رجعت
الى ربي وفي موضع اخر ولئن رددت الى ربي وفي موضع اخر ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق وقال تعالى رب ارجعون اي ردوني وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
ترجع بفتح التا وكسر الجيم اي تصير لقوله الا الى الله تصير الامور والى الله مرجعكم
اي في الجزا من الثواب والعقاب لان العباد لا يجازون على اعمالهم ثم يصيرون
فيعذب من يشا ويرحم من يشا قال اهل التوحيد انه تعالى ملك عباده في الدنيا
كثيرا من امور خلقه فاذا صاروا الى الاخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه كما قال
والامر يومئذ لله وهذا كقولهم رجع امرنا الى الامير اذا كان يختص بالنظر فيه
واذا كان كذلك فهو اهل لان يتقى ويطاع فيدخل في السلم كما امر ويحترز عن
خطوات الشيطان كما نهى قوله تعالى سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة
ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب سل اصله اسأل حذفت
الهمزة التي هي عين الفعل لكثرة الدور في الكلام تخفيفا ونقلت حركتها الى الساكن الذي
قبلها فاستغني عن همزة الوصل فصار سل امر للرسول او لكل احد وهذا السؤال
سؤال التقريع والتبكيت للمسؤل عنه لانه يعرف منه كما تقول سله كم انعمت عليه فكفر نعمتي وكم
خبرية ويحتمل ان تكون استفهامية ومعنى الاستفهام فيها التقرير اتيناهم من اية
بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن
والسلوى ونتق الجبل وتكليم الله موسى او من اية في الكتب شاهدة على صحة دين
الاسلام ومن حجية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نعلمها صادقة ومن يبدل
نعمة الله من بعد ما جاءته التبديل تصيير الشي على غير ما كان ونعمة الله اياته وهي اجل
نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله تعالى
اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله تعالى فزادتهم
رجسا الى رجسهم او تبديلهم اياها بان حرفوا الايات الكتب الدالة على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم قوله من بعد ما جاءته اي من بعد ما تمكن من معرفتها او من بعد
ما عرفها كقوله تعالى ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها
فكانها غايبة عنه هذا اذا فسرنا النعمة باثبات الايات والدلايل واما اذا فسرنا
النعمة بما يتعلق بالدنيا من الصحة والامن والكفاية فتبديلها اياها ان الله تعالى
اتاهم ليكون سببا لشكرهم فجعلوها سببا للكفر انهم فكفرانهم اقبح ولهذا قال فان

الله شديد العقاب قيل فيه اضمار اي شديد العقاب لمن فعل ذلك والاولى ترك هذا الاضمار
لان المقصود من الاية التخويف بكونه في ذاته موصوفا بانه شديد العقاب من غير التفات
الى كونه شديد العقاب لهذا او ذاك والعقاب عذاب يعقب الجرم قوله تعالى
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامه
والله يرزق من يشا بغير حساب لما ذكر الله من قبل حال من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته
وهم الكفار الذين كذبوا بالايات والدلايل وبدلوها اتبعه بذكر السبب الذي من
اجله كانت هذه طريقتهم فقال زين لتعريف المومنين ضعف عقول الكفار في ترجيح
الفاني على الباقي قيل نزلت هذه الاية في مشركي العرب ابي جهل واصحابه كانوا يسخرون من
فقرا المسلمين كابن مسعود وعمار وصهيب وسالم مولى ابي حذيفة وابي عبيدة بن الجراح
وبلال وخباب فانه بسط لهم في الدنيا فيكذبون بالمعاد ويسخرون من الذين امنوا الذين
الذين يرفضون الدنيا ويقبلون على عبادة الله تعالى وطاعته ويقول هولا المشركون
لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا والله ما اتبعه الا الفقرا وقيل نزلت في المنافقين عبد الله
ابن ابي واصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفا المومنين وفقرا المهاجرين ويقولون
انظروا الى هولا الذين زعم محمد انه يغلب بهم وقيل نزلت في علما اليهود ورؤساهم من بني قريظه
والنضير وقينقاع سخروا من فقرا المهاجرين فوعدهم الله ان يعطيهم اموال بني قريظه والنضير بغير قتال
ويحتمل نزولها في الجميع قال صاحب الكشاف المزين الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم
بوساوسه وحببها اليهم ولا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى
استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراه من قرا زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا على البنا للفاعل والحق ان المزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شي الا
هو فاعله قال الله تعالى الله خالق كل شي اي مشي والمشي المقدور الذي تعلق به المشية والمقدور
الذي تعلق به المشية هو الممكن الواقع فيكون الله خالق كل ممكن واقع والتزيين ممكن واقع فيكون
الله خالقه وخلقه للاشيا على اختلافها بغير وسط او بوسط او بوسايط يفعل الله ما يشا ولكن خلقه
لغرض لا يسال عما يفعل وان كان الخلق موافقا للحكمة فليس على سبيل الوجوب بل على وجه التفضل
والله ذو الفضل العظيم ذلك فضل الله يوتيه من يشا ويسخرون من الفقرا المومنين الذين لا حظ لهم
من الدنيا ويعيرونهم بما لقوا ويقولون هولا المساكين تركوا طيبات الدنيا ولذاتها وشهواتها
ويتحملون المشاق والمتاعب لطلب الاخرة وما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وهذه السخريه
منقلبة عليهم لان من اعرض عن الله العظمى وجنة الخلد وملك لا يبلى واقبل على الدنيا ونعيم
لا يبقى لم يكن احد احق بالسخرية منه واولى والذين اتقوا الشرك هولا الفقرا فوق الذين يسخرون
منهم يوم القيامه لانهم في جنة عالية وهم في نار هاوية هذا ان قدر ان يكون الفوقية بحسب
المكان واما اذا كانت الفوقية بحسب الرتبة فلانهم في كرامة وسعادة والذين يسخرون
في ملامة وشقاوة وهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هولا عليهم في الدنيا ويرون
الفضل عليهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون فتطاولهم وعلوهم في الاخرة فوق تطاولهم
وعلوهم في الدنيا وانما قال من الذين امنوا ثم قال والذين اتقوا ليريهم ان الذين امنوا هم الذين
اتقوا الشرك ولا يسعد عنده الا المتقي عن الشرك والمومنون هم المتقون عن الشرك فيكون بعثا
للناس على الايمان اذا سمعوا ذلك والله يرزق من يشا بغير حساب حين بسط للكافرين

ويقتر على المومنين بغير حساب من غير ان يكون ذلك مبنيا على كون ذلك المعطى مومنا او
كافرا محسنا او مسيا بل بمحض المشيه فقد وسع الدنيا على قارون وضيقها على ايوب
فلك التوسعه عليه والتضييق من الله تعالى بمحض المشيه لا لغرض فانه منزه عن ان يفعل
لغرض وقيل المعنى ان الله يرزق من يشا في الدنيا من مومن وكافر بغير حساب لاحد
عليه ولا ينبغي ان يقول الكافر لو كان المومن على الحق لوسع عليه في الدنيا فانه لا يسال عما
يفعل وقيل الله يرزق من يشا في الاخره وهم المومنون بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا
لا فناله ولا انقطاع لقوله فاولئك يدخلون الجنه يرزقون فيها بغير حساب لان ما دخل
تحت الحساب محصور متناه وقيل الرزق للمومنين في الاخره على سبيل التفضل وما هو
على وجه التفضل بغير حساب وقيل بغير حساب اي بغير استحقاق يقال لفلان على فلان
حساب اذا كان له عليه حق وهذا يدل على انه لا يستحق عليه احد شيا وليس لاحد عليه حساب
بل ما اعطاه الله تعالى على سبيل التفضل والاحسان قوله تعالى كان الناس امه واحده
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم لما بين الله تعالى اصرار
الكفار على كفرهم وحب الدنيا بين في هذه الايه ان هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان بل
كان في الازمنه المتقادمه فان الناس كانوا امه واحده ثم اختلفوا وما كان اختلافهم الا بسبب
البغي والحسد وحب الدنيا والتنازع في طلبها والامه القوم المجتمعون على الشي الواحد
يقتدي بعضهم ببعض وهو ماخوذ من الايتمام دلت الايه على انهم كانوا امه واحده
ولا يدل على وحدتهم في الحق ام الباطل واختلف المفسرون فيه على اقوال القول الاول
ان الناس كانوا امه واحده متفقين على دين الاسلام والقران وعليه اكثر المحققين فبعث الله
اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف فاختلفوا لدلاله قوله تعالى وما كان الناس الا امه واحده
فاختلفوا والفا في فبعث الله يدل على ان بعثه النبيين بعد الاختلاف ولو كانوا قبل ذلك
امه واحده في الكفر لكانت بعثه النبيين قبل هذا الاختلاف اولى لان بعثتهم عند كون الكل
على الكفر اولى من بعثتهم عند كون بعضهم على الكفر وبعضهم على عدمه وقوله وما اختلف فيه
يدل ظاهرا على ان المراد من هذا الاختلاف الاختلاف الحاصل بعد الاتفاق المشار اليه
بقوله كان الناس امه واحده ثم حكم على هذا الاختلاف بانه انما حصل بسبب البغي وهو لا يليق الا
بالمذاهب الباطله فدلت الايه على ان المذاهب الباطله حصلت بعد الاتفاق فالاتفاق الذي
كان قبل المذاهب الباطله انما كان في الحق لا في الباطل ثم اختلفوا في انه متى كان الناس امه
واحده متفقين على دين الحق فقيل كان ادم واولاده متفقين على الحق مسلمين مطيعين لله تعالى
ولم يحدث فيما بينهم اختلاف في الدين الى ان قتل هابيل قابيل فاختلفوا حينئذ فبعث
الله النبيين وقيل من وقت وفاة ادم الى مبعث نوح امه واحده فانه كان بين ادم وبين
نوح عشرة قرون على شريعه من الحق والهدى فاختلفوا في زمن نوح فبعث الله نوحا اليهم
وكان اول نبي بعث نوح ثم بعث بعده النبيين وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينه كانوا
مومنين كلهم فاختلفوا بعد وفاة نوح وقيل كل احد بحسب الفطره يكون على الحق وانما
ينصرف الى الباطل لاسباب خارجه يدل عليه قوله تعالى صبغة الله ومن احسن من الله

صبغه ونحن له عابدون ولا يمكن ان يكون الا بحسب الفطره خال عن شوب الباطل وقوله
تعالى ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين وقوله صلى الله عليه
وسلم كل مولود يولد على الفطره فابواه يهودانه ويمجسانه دل الحديث على ان المولود لو ترك مع
فطرته الاصليه لما كان على شي من الاديان الباطله وانما يقدم على الدين الباطل لاسباب خارجه
وحض الابوين لان الاعتقاد الباطل بحسب الغالب انما هو باتباع الاباء قال الله تعالى واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا انا وجدنا اباءنا على امه وانا على اثارهم مهتدون و
وامثال ذلك في القران كثير وقيل ان المراد من الناس ههنا اهل الكتاب ممن امن بموسى
لانه قد تبين ان هذه الايه متعلقه بما تقدم من قوله يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم
كافه وزعم كثير من المفسرين ان الايه نازله في اليهود فقوله تعالى كان الناس امه واحده
اي كان الذين امنوا بموسى امه واحده على دين واحد ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد فبعث
الله النبيين وهم الذين جاوا بعد موسى وانزل معهم الكتاب كما بعث الزبور الى داود والانجيل
الى عيسى والقران الى محمد صلى الله عليه وسلم لتكون تلك الكتب حاكمه في تلك الاشيا التي اختلفوا
فيها وهذا القول مطابق لنظم الايه وموافق لما قبلها القول الثاني انه كان الناس امه واحده كفارا
كلهم ثم اختلفوا في انه متى كان الناس امه واحده كفارا عن ابن عباس كان الناس على عهد ابرهيم
عليه السلام امه واحده كفارا كلهم وولد ابرهيم عليه السلام في جاهليه فبعث الله عز وجل
اليهم ابرهيم وغيره من النبيين وقيل من وفاة ادم الى زمن نوح كانوا كفارا ثم سالوا انفسهم سوالا وقالوا
اليس فيهم من كان مسلما نحو هابيل وشيث واجابوا بان الغالب كان هو الكفر والحكم للغالب ولا يعتد بالقليل
في الكثير كما لا يعتد بالبر القليل في الشعير الكثير القول الثالث ان الناس كانوا على امه واحده
في التمسك بالشرايع العقليه وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته وشكر نعمه والاجتناب عن القبايح
العقليه كالظلم والجهل والعبث وامثالها والذي يدل على هذا ان لفظ النبيين يفيد
العموم والاستغراق وحرف الفا يفيد التاخير فقوله فبعث الله فظهر من هذا ان بعثه جميع
الانبيا كانت متاخره عن كون الناس امه واحده فتلك الوحده تكون في شريعه مستفاده من العقل
وايضا العلم بحسن شكر المنعم وطاعه الخالق والاحسان الى الخلق والعدل والصدق وبقبح الظلم
والكذب والجهل مشترك فيه بين الكل وهذا العارفون به منكروا النبوه فالظاهر ان الناس
كانوا في اول الامر على ذلك ثم اختلفوا بعد ذلك لاسباب طاريه فان قيل اليس اول الناس
ادم عليه السلام وانه كان نبيا فكيف يصح اثبات الناس مكلفين قبل بعثه الرسل اجيب
بانه يحتمل انه عليه السلام مع اولاده كانوا مجتمعين بالتمسك بالشرايع العقليه وهذا القول
متفرع على اثبات قاعده تحسين العقل وتقبيحه وفيه ما فيه القول الرابع ان الايه
دلت على ان الناس امه واحده وليس فيها انهم كانوا على الايمان او الكفر فهو موقوف
على الدليل فبعث الله سبحانه النبيين وجملتهم مايه واربعه وعشرون الفا والرسل
منهم ثلثمايه وثلثه عشر والمذكور في القران باسم العلم ثمانيه وعشرون نبيا مبشرين
ومنذرين وصف النبيين بصفات ثلاث الاول كونهم مبشرين بالثواب لمن امن واطاع
والثانيه بالعقاب على من كفر وعصى الاول جار مجرى حفظ الصحه والثاني جار مجرى
ازاله المرض والاول مقصود بالذات فقدم في الذكر الثالثه قوله وانزل معهم
الكتاب يريد الجنس اي الكتب او مع كل واحد كتابه بالحق بالصدق والعدل ليحكم الله او

او الكتاب او النبي المنزل عليه لان قوله ليحكم يستدعي مظهرا او لم يوجد او مضمرا تقدم ذكره والذي
تقدم ذكره امور ثلثه اقربها الكتاب ثم النبي الذي اشتمل عليه لفظ النبيين ثم الله ولكل واحد منهم ترجيح
اما الكتاب فلانه اقرب واما النبي فلانه هو المظهر واما الله فلانه هو الحاكم في الحقيقه فيصح اضمار كل
من الثلاثه والاولى اضمار الله ثم اضمار الكتاب ثم اضمار النبي فلهذا ذكر على هذا الترتيب فيما اختلفوا
فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف في الحق وقيل
فيما اختلفوا فيه من الاحكام وما اختلف في الكتاب والمراد بالكتاب المختلف فيه التوراه فعلى
الاول الكنايتان فيه في الموضعين راجعتان الى الحق وعلى الثاني الى الكتاب قوله الا الذين
اوتوه اي الكتاب يعني الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي اليهود ازدادوا
الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا لشدة الاختلاف واستحكامه وذلك
بتبديل بعضهم وتحريفهم من بعد ما جاتهم البينات الدلالات الواضحات في شان محمد صلى الله عليه وسلم
واله وصحة نبوته والظاهر ان ايتا الله تعالى اياهم الكتاب كان بعد مجي البينات فتكون مغايرة للكتاب
فتكون البينات الدلايل العقليه التي نصبها الله على اثبات الاصول التي لا يمكن القول بالنبوه
الا بعد ثبوتها فان ما لا يصح اثبات النبوه الا بعد ثبوته لا يمكن اثباته الا بالدلايل العقليه والا
جا الدور فهذه الدلايل هي البينات المقدمه على ايتا الله الكتاب اياهم بغيا بينهم حسدا
وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف وذلك لان اثبات الحق اما هو بقامة الدلايل وهي اما
سمعيه وقد حصلت بالبينات المتقدمه على ايتا الكتب واما عقليه وقد حصلت بالبينات المتقدمه
على ايتا الكتب وعند ذلك قد تمت البينات ولم يبق العدول عن الحق عذر فلو حصل
الاعراض والعدول لم يكن ذلك الا بسبب البغي والحسد والحرص على طلب الدنيا اما قوله
تعالى فهدى الله فاعلم انه تعالى لما وصف حال اهل الكتاب وانهم بعد كمال البينات
اصروا على الكفر والجهل بسبب البغي والحسد بين ان حال الذين امنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم بخلاف ذلك فان الله عصمهم عن الزلل والبغي وهداهم للحق الذي اختلف فيه
من اختلف ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه قيل هديهم للسنه والى الشي قيل اختلفوا في القبله
فصلت اليهود الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق فهدانا الله للكعبه واختلفوا
في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في يوم الجمعه فاخذت اليهود السبت والنصارى
الاحد فهدانا الله له واختلفوا في ابرهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان
نصرانيا فهدى الله الذين امنوا للحق من ذلك فقال انه كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى
فجعلته اليهود لفرية وجعلته النصارى ربا فهدى الله الذين امنوا للحق من ذلك وبانه عبد الله
ورسوله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامه
بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه فاليوم لنا وغدا
لليهود وبعد غد للنصارى باذنه اي بعلمه وارادته فيهم قال ابن عباس رضي الله عنه كان ذلك
في قضاي وقدري قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم البأسا والضرا وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا
ان نصر الله قريب قال الله تعالى في الايه السابقه والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم
والمراد به انه يهدي للحق وطلب الجنه فبين في هذه الايه ان ذلك الطلب لا يتمضي الى
المطلوب الذي هو دخول الجنه الا باحتمال الشدايد في التكليف فقال ام حسبتم

فمنهم من يصوم بعض يوم
ومنهم من يصوم بالليل صح

ان تدخلوا الجنه عن ابن عباس رضي الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينه اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت
اليهود العداوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عليه تطييبا لقلوبهم وقيل نزلت في
غزوه الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والحزن والشده والحر في حرب احد
لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون انفسكم وترجون
الباطل لو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكم الاسر والقتل فانزل الله هذه الايه ام حسبتم ام منقطعه
ومعنى الهمزه فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده وام استفهام متوسط بخلاف هل
فانه استفهام سابق فيجوز ان تقول هل عندك رجل ولا يجوز ان تقول ابتدا ام عندك
رجل فاذا كان متوسطا جاز سوا كان مسبوقا باستفهام اخر او لا يكون اما اذا كان مسبوقا
باستفهام اخر فكقولك انت رجل لا تنصف افمن جهل تفعل هذا ام سلطان واما الذي
لا يكون مسبوقا باستفهام فكقوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام
يقولون افتراه وهذا القسم يكون في تقدير القسم الاول والتقدير افيؤمنون بهذا ام
يقولون افتراه فكذلك تقدير هذه الايه فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق
فصبروا على استهزا قومهم بهم افتسلكون سبيلهم ام تحسبون ان تدخلوا الجنه من غير
سلوك سبيلهم لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجي البينات
تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا
عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم قال لهم على طريقه الالتفات
التي هي ابلغ ام حسبتم ولما ياتكم وما صله قال صاحب الكشاف ولما فيها معنى التوقع وهي
في النفي نظير قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر قال المبرد اذا قال
القايل لم ياتني زيد فهو نفي لقولك ما اتاك زيد واذا قال لما ياتني فمعناه انه لم ياتني بعد
وانا اتوقعه تلخيصه ام حسبتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنه بمجرد الايمان وتصديق
رسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم له وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من
اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقه ومكابدة الضر والبوس في المعيشه ومقاساة
الاهوال في مجاهدة العدو كما قال لذلك من قبلكم من المومنين وهو المراد من قوله
ولما ياتكم مثل الذين والمثل هو المثل والشبه وهما لغتان مثل ومثل كشبه وشبه
الا ان المثل مستعار لحال غريبه او قصه عجيبه لها شان ومنه قوله تعالى ولله
المثل الاعلى اي الصفه التي لها شان عظيم ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في
الشده ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قايلا قال كيف ذلك المثل فقال
مستهم البأسا والضرا البأسا الفقر الشديد والضرا المرض والجوع وزلزلوا
وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزله مما اصابهم من انواع البلايا والرزايا
والاهوال والافزاع حتى يقول الرسول متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر وبلغ منهم الجهد الى ان استبطاوا
النصر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان
الشده وفي هذه الغايه دليل على تناهي الامر في الشده وتماديه في العظم لان الرسل
لا تقادر اي لا تعارض ولا تقابل قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم
يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغايه في الشده التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب

والذي [illegible]
العيش [illegible]
العلوب [illegible]

على اراده القول يعني فقيل لهم الان نصر الله قريب اجابة لهم الى طلبهم
من عاجل النصر قرا نافع والباقون بالنصب وجه الرفع ان الفعل الواقع
بعد حتى في معنى الحال كقولك سرت الابل حتى يجي البعير يجر بطنه الا انها حال
ماضيه محكيه ثم هذا انما يصدق عند انقضا السبب وحده دون المسبب كقولك
سرت حتى ادخلها يحتمل ان السير والدخول قد وجدا او حصلا ويحتمل ان يكون
قد وجد السير والدخول بعد لم يوجد وجه النصب ان حتى اذا نصبت الفعل
المضارع على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم للاستقبال وفي هذه تكون الفعل
الذي قبل حتى والفعل الذي بعدها قد وجدا او مضيا تقول سرت حتى ادخلها
اي الى ان ادخلها فالسير والدخول قد وجدا وفي الايه تدل على ان الزلزال
والقول قد وجدا قوله تعالى يسلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم
بين الله تعالى حال من زين له الحيوة الدنيا وحال من اعرض عنها واقبل على الاخرة
ثم شرع في بيان الاحكام التكليفيه وهو من هذه الايه الى قوله الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف فان عادة القران ان يكون بيان التوحيد
والوعظ والنصيحه والاحكام مختلطا بعضها بالبعض ليكون كل واحد مقويا
للاخر وموكدا له وهذه الايه مشتمله على الحكم الاول عن ابن عباس نزلت هذه
الايه في عمرو بن الجموح الانصاري وكان شيخا كبيرا عنده مال عظيم فقال ما
ذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت هذه الايه وقيل نزلت في رجل اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي دينارا فقال عليه السلام انفقه على نفسك
قال ان لي دينارين فقال انفقهما على اهلك فقال ان لي ثلاثه فقال انفقها
على خادمك قال ان لي اربعه قال انفقها على والديك قال ان لي خمسه قال
انفقها على قرابتك قال ان لي سته قال انفقها في سبيل الله وهو احسنها
في ماذا وجهان احدهما ان يجعل ماذا بمنزله الاسم الواحد ويكون في موضع
النصب على ان يكون منصوبا بالفعل الذي بعده فماذا ههنا منصوب
بينفقون وثانيهما ان يجعل ذا بمعنى الذي فيكون ما رفعا بالابتدا وذا
خبرها فعلى هذا يكون تقدير الايه يسلونك ما الذي ينفقون فان قيل
سوالهم عماذا ينفقون لا عمن يصرف النفقه اليهم فكيف طابق الجواب
السوال اجيب بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه
وهو كل خير الذي دل عليه ما انفقتم على سبيل الابهام والعموم وقوله من
خير بيان لما ينفقونه وهو كل خير فيكون الجواب مطابقا له وبني الكلام على
ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقه لا تعتد بها الا ان تقع موقعها
ان الصنيعه لا تكون صنيعه حتى يرى بها طريق المصنع المصنع محل الصنيعه
او مصدر ميمي قدم الوالدين في الانفاق عليهما لانهما من اسباب الوجود
وتربيا في الحال الذي كان في غاية الضعف وكان انعامهما على الانسان
اعظم من انعام غيرهما عليه ولذلك قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه

وبالوالدين

وبالوالدين احسانا وفيه اشارة الى انه ليس بعد رعاية حق الله شي اوجب
من رعاية حق الوالدين لان الله تعالى هو الذي اخرج الانسان من العدم
الى الوجود في الحقيقه والوالدان هما اللذان اخرجاه الى الوجود في عالم
الاسباب الظاهره فثبت ان حقهما اعظم من حق غيرهما فلهذا اوجب تقديمهما على
غيرهما في رعاية الحقوق ثم ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان غير
قادر على القيام بمصالح جميع الفقرا والقيام بمصالح البعض يستدعي ترجيحه
والترجيح يستدعي مرجحا والقرابه صالحه للترجيح لان قريب الانسان جار
مجرى الجز منه والانفاق على النفس او من يجري مجرى النفس اولى من
الانفاق على الغير فلهذا السبب الانفاق على القريب اولى من الانفاق على
البعيد ثم ذكر بعد الاقربين اليتامى وذلك لانهم لا يقدرون على الاكتساب
لصغرهم وليس لهم احد يكتسب لهم فاليتيم في معرض الضياع فيفتقر الى نفقه
لسد خلته ثم ذكر بعدهم المساكين لان حاجتهم اقل من حاجة اليتامى لان
قدرتهم على التحصيل اكثر من قدرة اليتامى ثم ذكر بعدهم ابن السبيل فانه بسبب
انقطاعه عن بلده قد يقع في الاحتياج والفقر فهذا هو الترتيب الصحيح الذي
رتبه الله في كيفية الانفاق ثم اردف هذا التفصيل الحسن الكامل بما هو
مجمل فقال وما تفعلوا من خير فان الله به عليم اي في كلما فعلتموه من خير مع هولا
المذكورين او مع غيرهم حسبة لله وطلبا لجزيل ثوابه وهربا من اليم عقابه
فان الله به عليم اي في كلما فعلتموه من خير مع هولا المذكورين او مع غيرهم حسبة لله
وطلبا لجزيل ثوابه وهو مبالغه في انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا
في السما فيجازيكم احسن الجزا عليه قال الله تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا
وقال اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى وقال فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره والخير المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقال
ان ترك خيرا والمعنى وما تفعلوا من انفاق شي من المال قل او كثر وقيل وما
تفعلوا من خير يتناول هذا الانفاق وساير وجوه البر عن السدي ان هذه
الايه منسوخه بفرض الزكوة قال ابن الانباري ان عمرو بن الجموح سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقه لمن يخص بها عند الموت فلما نزلت ايه المواريث
نسخت من هذه الايه التصدق على الوالدين ويقال ان الانفاق في هذه
الايه لا يراد به الصدقه عند الموت انما يراد به النفع في الدنيا والايثار
بما يتقرب به الانسان الى الله تعالى فاخبر الله ان من قصد ذلك ينبغي له
ان يبر بذلك هولا المذكورين وهذه الايه محكمه لم ينسخ منها شي كثير من اهل
التفسير هذا كان قبل فرض الزكوة فلما فرضت الزكوة بالايه التي في سورة براءه
نسخت الزكوة هذه الايه وهذا ضعيف لانه يمكن حمل هذه الايه على وجوه
لا يتطرق النسخ اليها منها قال ابو مسلم الانفاق على الوالدين واجب

فائدة

عند قصورهما عن المكسب والملك والمراد بالاقربين الولد وولد الولد
وقد تلزم نفقتهم عند فقد الملك واذا حملنا الاية على هذا الوجه فلا وجه
لنسخها باية المواريث لان هذه النفقة تلزم في حال الحيوة والميراث يصل
بعد الموت وايضا ما يصل بعد الموت لا يسمى نفقة ومنها ان يكون المراد
من احب التقرب الى الله في باب النفقة فالاولى به ان ينفقه في هذه
الجهات فيقدم الاولى فالاولى فيكون المراد به التطوع قوله تعالى
كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون اعلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان غير ماذون له في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن له في قتال
من يقاتله من المشركين ثم اذن له في قتال المشركين عامة ثم فرض الجهاد واختلف
العلماء في هذه الاية فقال قوم انها تقتضي وجوب القتال على الكل وعن
مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر رضي الله
عنهما وعطا ان هذه الاية تقتضي وجوب القتال على اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك الوقت فقط حجة الاولين ان قوله كتب يقتضي وجب
وقوله عليكم يقتضيه ايضا والخطاب بالكاف في قوله عليكم لا يمنع من
الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد بعد ذلك الا بدليل منفصل وهو الاجماع
وتلك الدلالة مفقودة هنا فوجب ان يبقى على الوضع الاصلي قالوا ومما دل على صحة
هذا القول قوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد مضيعا فرضا لما كان
موعودا بالحسنى اللهم الا ان يقال الفرض كان ثابتا ثم نسخ لكن التزام النسخ من غير
ان يدل عليه دليل غير جائز ويدل عليه ايضا قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا
كافة والقول بالنسخ غير جائز على ما بيناه والاجماع اليوم منعقد على انه فرض كفاية
الا ان يدخل المشركون دار المسلمين فانه يتعين الجهاد حينئذ على الكل وهو اي
القتال كره لكم والكره المشقة يقال قمت على كره اي على مشقة والكره بالفتح الاجبار
يقال اقامني على كره اذا اكرهك عليه وبهذا المعنى لم يقراها هاهنا الكره بالفتح
كما قرئ في سائر المواضع بالضم والفتح لان المشقة الداخلة على النفس والمال من المؤنة
لا انهم كانوا يكرهون فرض الله قال صاحب الكشاف كره من الكراهة بدليل
قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار اوله لكنها رثت حتى اذا
ادركت كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول
كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم قال الراغب قيل هما واحد وقيل
الكره بالفتح المشقة التي تنال الانسان من خارج مما يحمل عليه باكراه وبالضم
ما يناله من ذاته وهو ما يعافه اما طبعا او عقلا او شرعا ولهذا يصح ان يقول
الانسان في الشيء الواحد اني اريده من حيث الطبع واكرهه من حيث الشرع

اما

اما الكره من حيث الطبع فلما يدخل فيه على المال من المؤنة وعلى النفس من المشقة
وعلى الروح من الخطر واما الارادة من حيث الشرع فلما فيه من الحسنيين وعسى
فعل ترك مضارعه واستعمل ماضيه في اكثر تصاريفه يقال منه عسيتما وعسيتم
قال الله تعالى فهل عسيتم يرتفع الاسم بعده كما يرتفع بعد الفعل فيقول عسى ربك كما تقول
قام زيد ومعناه قرب قال الله تعالى عسى ان يكون ردف لكم اي قرب فقوله عسى زيد
ان يقوم تقديره عسى قيام زيد وعسى ان تكرهوا شيئا من حيث الطبع وهو خير لكم من
حيث الشرع كالغزو فانه ربما يكرهونه من حيث الطبع لما يدخل فيه على المال من المؤنة
وعلى النفس من المشقة وعلى الروح من الخطر وهو خير لكم من حيث الشرع لما فيه من احدى
الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا كالقعود عن الغزو
وهو شر لكم لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر وعسى توهم
الشك مثل لعل وهي من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدخل على حصول
الشك للمستمع وعلى هذا التقدير لا يحتاج الى التاويل اما انها بمعنى لعل فالتاويل
فيه هو الذي ذكر في قوله تعالى لعلكم تتقون قال الخليل عسى من الله واجب
في القران قال الله تعالى عسى الله ان ياتي بالفتح وقد وجد وعسى الله ان ياتيني بهم
جميعا وقد اتاه بهم جميعا والشر السوء واصله من شررت الشيء اذا بسطته يقال
شررت اللحم والثوب اذا بسطته ليجف والشرر اللهب لانبساطه وعلى هذا الشر
انبساط الاشياء الضارة والله يعلم ما فيه مصالحكم ومنافعكم وانتم لا تعلمون فبادروا
الى ما يامركم به وان شق عليكم والمقصود منه الترغيب في الجهاد لان الانسان اذا علم
ان الله يعلم كثيرا من الاشياء التي لا يعلمها ثم علم انه سبحانه لا يامر العبد الا بما فيه
خيره وصلاحه علم قطعا ان الذي امر الله وجب امتثاله سواء كان مكروها
بحسب طبعه او لم يكن فكانه قال يا ايها العبد فاعلم اني اعلم ما لا تعلم فاشتغل
بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك فهذه الاية في هذا المقام تجري مجرى قوله
تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون قوله تعالى يسألونك عن الشهر
الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام
واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى
يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
قيل السائلون هم المسلمون قال الله تعالى لما كتب عليهم القتال وقد كان
عند القوم الشهر الحرام والمسجد الحرام اعظم حرمة في المنع من القتال
لم يبعد عندهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بان يكون في غير الشهر الحرام
فدعاهم ذلك الى هذا فنزلت هذه الاية وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين

على راس سبعه عشر شهرا من مقدمه المدينه وبعث معه ثمانيه رهط من المهاجرين
سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشه بن محصن الاسدي وعتبه بن غزوان
السلمي وابو حذيفه بن عتبه بن ربيعه وسهل بن بيضا وعامر بن ربيعه
وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال
سر باسم الله عز وجل ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح
الكتاب فاقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك على
السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل بطن نخله فترصد بها عير
قريش لعلك ان تاتينا منه بخير فقال عبد الله سمعا وطاعه لامره ثم قال لاصحابه
من احب منكم الشهاده فلينطلق معي فاني ماض لامره ومن كره ذلك فليرجع ثم مضى ومضى
معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم احد حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له
بحران اضل سعد ابن ابي وقاص وعتبه بن غزوان بعيرهما فاذن لهما فتخلفا في طلبه
ومضى عبد الله ببقيه اصحابه حتى نزلوا ابطن نخله بين مكه والطايف فبينما هم كذلك
مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجاره من تجار الطايف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم
بن كيسان وعثمان ابن عبد الله بن المغيره ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا
منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار
لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك اول يوم في رجب وهم يظنونه من جمادى الاخره
فتشاور القوم فيهم وقالوا لين تركتموهم هذه الليله ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا
امرهم في مواقعه القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله
وكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان وكانا اول اسيرين في الاسلام
وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينه فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر
فيه الناس لمعايشهم فسفك فيه الدما وعير بذلك اهل مكه من كان بها من المسلمين وقالوا
يا معشر الصباه استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وتفاالت اليهود بذلك وقالوا واقد
وقدت الحرب فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش واصحابه ما
امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين فابى ان ياخذ من ذلك شيا
فعظم ذلك على اصحاب السريه وظنوا انهم قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا
يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري في رجب
اصبناه ام في جمدى واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الايه فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين
اصحاب السريه وكان اول غنيمه في الاسلام وبعث اهل مكه في فدا اسيرهم فقال
بل حتى تقدم سعد وعتبه وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم

بن

بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينه حتى قتل يوم بير معونه
شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكه فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه
يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله
وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفه
خبيث الديه فهذا سبب قوله يسالونك وقيل هذا السوال من الكفار فانه لما قتل ابن
الحضرمي ركب وفد كفار قريش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا احل القتال
في الشهر الحرام فانزل الله تعالى الايه قوله عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال
فيه ولعظم حرمته ولذلك كان يسمى في الجاهليه منزع الاسنه ومنصل الال لانهم كانوا ينزعون
الاسنه والنصال عند دخول رجب انطوا على ترك القتال فيه وكان يدعى الاصم لانه لا يسمع
فيه قعقعة السلاح فنسب الصمم اليه كما يقال ليل نايم وسر كاتم يدل عليه قوله صلى الله عليه
وسلم ان رجبا شهر الله ويدعى الاصم وكان الجاهليه اذا دخل رجب يعطلون اسلحتهم
ويضعونها وكان الناس يامنون وتامن السبل فلا يخاف بعضهم بعضا حتى ينقضي قوله
تعالى قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر قل قتال فيه مبتدا مخصص بقوله فيه فحسن
جعله مبتدا على التنكير لتخصصه كبير اي اثم كبير حسن وعن عطا انه سيل عن القتال
في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام
الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخه بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله اي منع عن سبيل الله على الابتدا وخبره اكبر وذلك
حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت عام الحديبيه وكفر به
اي بالله والمسجد الحرام بخفض بالعطف على سبيل الله وعن المسجد واخراج اهل
المسجد منه اكبر قدرا واعظم وزرا عند الله مما فعلته السريه من القتال
في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبنا على الظن واهل المسجد الحرام رسول
الله صلى الله عليه وسلم والفتنه الاخراج او الشرك او المحنه التي تصيب المومنين
من جهة الدين تارة بالقا الشبهات واخرى بالتعذيب اكبر من القتل اي من قتل الحضرمي
ولا يجوز ان يعطف المسجد الحرام على الها في به عند البصريين لانهم لا يجوزون العطف
على المضمر المجرور الا باعادة الجار ولانه يفسد المعنى اذ لا معنى لقولنا وكفر
بالمسجد الحرام قيل يجوز عطف المسجد الحرام على سبيل الله لانه حينيذ يكون
سبيل الله والمسجد الحرام من صله الصد لان المعطوف على الصله في حكم الصله
فلزم عطف وكفر به على قوله وصد عن سبيل الله قبل الفراغ منه وهذا
لا يصح اجيب عنه من وجهين احدهما ان قوله وكفر به في معنى
الصد عن سبيل الله فاتحادهما هو الذي سوغ ذلك كانه قال صد عن سبيل
الله وعن المسجد الحرام الا ترى الى قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام والحاصل ان قوله وكفر به عطف على وصد عن سبيل
الله على سبيل التفسير كانه قيل وصد عن سبيل الله اي بالله وعن المسجد
الحرام الا ترى الخ وثانيهما ان موضع وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام
الا انه قدمه لفرط العنايه عليه كما في قوله لم يكن له كفوا احد كان من حق

واصحابه م

الكلام ان يقال ولم يكن احد كفوا له الا انه قيل ولم يكن له فقدم قوله له لفرط
العناية قال ابو البقا والجيد ان يكون متعلقا بفعل محذوف دل عليه الصد اي
ويصدون عن المسجد الحرام لقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام وقيل هو عطف على الشهر فقد عظموا القتال في الشهر وفي المسجد الحرام فسالوا
عنهما ولما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن جحش الى مومني مكة اذا عيركم المشركون
بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول من مكة ومنع المومنين
عن البيت ثم قال ولا يزالون يعني المشركين يقاتلونكم ايها المومنون حتى يردوكم
عن دينكم الاسلام الى الكفر ان استطاعوا اخبر عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم
لا ينفكون عن العداوة حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك فلان يعبد الله حتى
يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول
الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ثم ذكر حكم من يرجع عن
الاسلام الى الكفر فقال ومن يرتدد اي ومن يرجع منكم عن دينه الاسلام الى دينهم
الكفر ويطاوعهم على رده اليهم فيمت على الرده وهو جزم بالعطف على يرتدد وليس
جوابا للشرط بل الجواب قوله فاولئك حبطت اعمالهم اي حسناتهم في الدنيا والاخرة
لما يفوتهم باحداث الرده مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت
عليها من ثواب الاخرة يقال حبط عمله يحبط حبطا وحبوطا واحبطه الله احباطا
اعلم ان ظاهر هذه الاية يقتضي ان الارتداد انما يتفرع عليه الاحكام المذكورة اذا مات
المرتد على الكفر اما اذا تاب بعد الرده لم يثبت شي من هذه الاحكام وقد تفرع على
هذه النكتة بحث اصولي وبحث فروعي اما الاول فهو ان جماعة من المتكلمين زعموا
ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافاه فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات
المومن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات الكافر عليه لان من كان مومنا ثم ارتد والعياذ
بالله لا يكون ذلك الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة والا لاستحق عليه الثواب الابدي
ثم بعد كفره يستحق العقاب الابدي فاما ان يبقى الاستحقاقان وهو محال
واما ان يقال الطاري يزيل السابق وهو محال لان المنافاة حاصلة بين السابق والطاري
فليس كون الطاري مزيلا للسابق اولى من كون السابق دافعا للطاري بل الثاني اولى
لان الدفع اهون من الرفع ولقائل ان يقول الايمان والكفر قابل للزوال والتجدد
فيكون الايمان حاصلا حقيقة ثم زال بطريان الكفر وكذا الكفر يزول بطريان الايمان
وكل منهما يترتب عليه احكامه الدنيوية حال تحققه لا بحسب استحقاقه بالذات
لتلك الاحكام بل بحسب الشرع واما الاحكام الاخروية فانه باعتبار تحققه
عند الموت فان كان الايمان متحققا عند الموت ترتب عليه في الاخرة
احكام الايمان وان كان الكفر متحققا عند الموت ترتب عليه في الاخرة
احكام الكفر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في
بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك
ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه

الرو

الروح فان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل
النار واما البحث الفروعي فهو ان المسلم اذا صلى ثم ارتد في الوقت ثم اسلم قال الشافعي
لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة لزمه قضاوها وكذلك الحج حجة الشافعي قوله تعالى
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم شرط في حبوط العمل
ان يموت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وهذا الشخص لم يوجد في حقه هذا الشرط فلا
يصير عمله محبطا قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم قيل ان عبد الله بن جحش واصحابه قالوا
يا رسول الله ان سلمنا من الاثم بالقتال في الشهر الحرام وبقتل الحضرمي فيه فهل نطمع ان يكون
هذه غزوة نعطى فيها اجر المجاهدين في سبيل الله فانزل الله فيهم قوله ان الذين آمنوا
بمحمد والقران والذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وعشايرهم من الهجر الذي هو ضد الوصل
ومنه قيل للكلام القبيح الهجر لانه مما ينبغي ان يهجر والهاجر وقت يهجر فيه العمل وجاهدوا
المشركين اي حملوا انفسهم على الجهد والمشقة في قتالهم ويجوز ان يكون المراد بالمهاجرة
ان الاحباب والاقارب هجروهم بسبب هذا الدين وهم ايضا هجروهم بهذا السبب وكان
ذلك مهاجرة وبالمجاهدة بذل الجهد في قتال العدو وعند فعل العدو مثل ذلك
فتصير مفاعلة ويجوز ان يكون معنى المجاهدة ضم جهدك الى جهد اخيه في نصرة دين
الله كما ان المساعدة عبارة عن ضم الرجل ساعده الى ساعد اخيه ليحصل التاييد والقوة
اولئك يرجون رحمة الله الرجا ظن المنافع التي يتوقعها والمراد ان اولئك يطمعون في
ثواب الله لان اصحاب السرية ما قطعوا بالفوز والثواب في عملهم بل يرجونه
وانما جعل الوعد معلقا بالرجا الرحمة دون القطع بالرحمة لان الثواب على الايمان
والعمل غير واجب عقلا بل بحكم الوعد فلهذا علقه بالرجا ولانه معلق بان لا يكفر
وهذا الشرط غير متيقن لان العاقبة مستورة فلا يحصل له الا الرجا قال اهل
التحقيق ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله يستقصرون انفسهم في
حق الله وعبادته فلا يجزمون بثواب الله بل يرجون رحمة الله ويخافون عذابه
ان الله يحقق لهم رجاهم اذا ماتوا على الايمان ويغفر لهم ويرحمهم عن قتادة هولاء
خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجا كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن
خاف هرب قوله تعالى يسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس واثمهما اكبر من نفعهما نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وهو المسكر وكان المسلمون يشربونها وهي يومئذ
لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر
فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية فيهما اثم كبير ومنافع للناس
فتركها قوم لقوله فيهما اثم كبير وقالوا لا حاجة لنا في شي فيه اثم كبير
وشربها قوم لقوله ومنافع للناس وكانوا يجتنبون ما فيه اثمها ويستمتعون بمنافعها
الى ان صنع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه طعاما فدعا ناسا من اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فاتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلوة المغرب فقدموا
بعضهم ليصلي بهم فام او قرا قل يايها الكافرون اعبد ما تعبدون هكذا الى اخر السورة
بحذف لا فانزل الله تعالى يايها الذين امنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون فحرم السكر في اوقات الصلوة فقل من يشربها وتركها قوم وقالوا لا خير في شي يحول
بيننا وبين الصلوة وقال قوم نشربها ونجلس في بيوتنا فكانوا يتركونها وقت الصلوة
ويشربونها في غير وقت الصلوة فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان الله عز وجل يقارب
في النهي عن شرب الخمر وما اراه الا سيحرمها ثم اتخذ عتبان بن مالك صنيعا ودعا قوما فيهم
سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى راس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى اخذت
منهم ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار وانشد سعد اشعارا فيه هجا
الانصار وفخر لقومه فقام رجل من الانصار فاخذ لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه
موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله عز وجل تحريم الخمر في سورة المائدة انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم
منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب
وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بحر فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها ولو
وقعت قطرة في بحر ثم جف ونبت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر لو دخلت اصبعي فيه لم
تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته قال انس حرمت
ولم يكن للعرب يومئذ عيش اعجب منها وما حرم عليهم شي اشد من الخمر قال فاخرجنا الحباب
الى الطريق فصببنا ما فيها فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولقد غودرت
ازقة المدينة بعد ذلك حينا كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاح منها ريحها
اعلم ان هذه الاية دالة على تحريم الخمر فيتوقف على معرفة الخمر قال الشافعي كل شراب
مسكر خمر وقال بعض العلماء الخمر ما غلا بنفسه واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب
وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد
ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو
والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول
مرة هو حرام ولان اخر من السما فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة
وعند اكثر الفقهاء والشافعي رضي الله عنه هو حرام كالخمر وكذا كل ما اسكر من كل شراب
وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما سميت
بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والذي يدل على ان كل شراب مسكر خمر وجوه
منها ما روي عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر
والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل ووجه الاستدلال به من ثلاثة
اوجه احدها ان عمر رضي الله عنه اخبر ان الخمر حرمت يوم حرمت وهي تتخذ
من الحنطة والشعير كما انها كانت تتخذ من العنب والتمر وهذا يدل على انهم يسمونها
خمرا وثانيها انه قال حرمت يوم حرمت وهي تتخذ من هذه الاشيا الخمسة
وهذا كالتصريح بان تحريم الخمر يتناول تحريم هذه الانواع الخمسة وثالثها ان عمر

الحق

عتبان خ

الحق بها كل ما خامر العقل من شراب ولاشك ان عمر رضي الله عنه كان عالما باللغة وروايته
ان الخمر اسم لكل ما خامر العقل معتبرة ومنها ما روى ابو داود عن النعمان بن بشير
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من العسل خمرا وان
من البر خمرا وان من الشعير خمرا والاستدلال به من وجهين احدهما ان هذا اصرح في
ان هذه الاشيا داخلة تحت اسم الخمر فتكون داخلة تحت الاية الدالة على تحريم الخمر
وثانيهما انه ليس مقصود الشارع تعليم اللغات فوجب ان يكون مراده من ذلك
بيان ان الحكم الثابت في الخمر ثابت فيها قال الخطابي وتخصيص الخمر بهذه الاشيا
الخمسة ليس لاجل ان الخمر لا يكون الا من هذه الخمسة باعيانها وانما جرى ذكرها خصوصا
لكونها معهودة في ذلك الزمان فكل ما في معناها من ذرة وسلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة
كما ان تخصيص الاشيا الستة في خبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا في غيرها ومنها ما روى
ابو داود عن عايشة رضي الله عنها انها قالت سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع
فقال كل شراب يتخذ من العسل وفيه ابطال كل تاويل يتخذه اصحاب تحليل الانبذة وافساد
لقول من قال ان القليل من المسكر مباح لانه صلى الله عليه وسلم سيل عن نوع واحد من الاشربة
فاجاب عنه بتحريم الجنس فيدخل فيه القليل والكثير منها ولو كان هناك تفصيل في
شي من انواعه ومقادير لذكره ولم يهمله ومنها ما روي عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام ومنها ما روي عن عايشة
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه
الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيلة يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان
ان الحرمة شاملة لجميع اجزا الشراب ومنها ما روي عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في
الاعضا ولاشك ان هذا يتناول جميع انواع الاشربة فهذه الاحاديث دالة على ان كل مسكر
فهو خمر وهو حرام ومما يدل على ان كل مسكر خمر الاستقاق الخمر لغة التغطية سمي
الخمار خمارا لانه يغطي راس المراة والخمر ما واراك من شجر وغيره من وهدة واكمة
وخمرت راسي الانا اي غطيته وقيل سميت خمرا لانها تخامر العقل يقال خامره
الدا اذا خالطه وانشد للكثير هنيا مريا غير دا مخامر فهذه الاستقاقات دالة
على ان الخمر ما يكون ساترا للعقل كما سميت سكرا لانها تسكر العقل اي تحجزه وكانها سميت
بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة ويرجع حاصله الى ان الخمر هو المسكر لان السكر
يغطي العقل ويمنع من وصول عنره الى الاعضا فهذه الاستقاقات من اقوى الدلايل
على ان مسمى الخمر هو المسكر فكيف اذا اضيف اليها الاحاديث الكثيرة لا يقال
هذا اثبات اللغة بالقياس وهو غير جايز لانا نقول ليس هذا اثباتا للغة
بالقياس بل هو تعيين المسمى بواسطة هذه الاستقاقات كما ان اصحاب ابي حنيفة
يقولون ان مسمى النكاح هو الوطي ويثبتونه بالاستقاق ومسمى الصوم هو الامساك
ويثبتونه بالاستقاق ومما يدل على ان الخمر هو المسكر ان الامة مجمعة على ان الايات
الواردة في الخمر ثلثة اثنان منها وردتا بلفظ الخمر احداهما هذه الاية والثانية
اية المايدة والثالثة وردت في السكر وهو قوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى

وهذا يدل على ان المراد من الخمر هو المسكر ومنها ان سبب تحريم الخمر هو ان عمر
ومعاذا قالا يا رسول الله ان الخمر مسلبة للعقل مذهبة للمال فبين لنا فيه فهما انما طلبا
الفتوى من الله ورسوله بسبب كون الخمر مذهبة للعقل فوجب ان يكون كلما كان مساويا
للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر في هذا الحكم ومنها ان
الله تعالى علل تحريم الخمر بقوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر يقينا فعلى
هذا يكون نصا في ان حرمة الخمر معللة بكونها مسكرة فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر
وان لم يكن كذلك فلابد من ثبوت الحكم في كل مسكر وكل من انصف وترك العناد علم ان هذه
الوجوه ظاهرة جلية في اثبات هذا المطلوب حجة ابي حنيفة وجوه احدها قوله
تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله تعالى
باتخاذ السكر والرزق الحسن وما تخذ فيه مسكر ورزق حسن فوجب ان يكون مباحا
لان المنة لا تكون الا بالمباح وثانيها ما روى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اتى السقاية
عام حجة الوداع فاستند اليها وقال اسقوني فقال العباس لا نسقيك مما ننبذ في بيوتنا
فقال ما يسقي الناس فجاء بقدح من نبيذ فشمه فقطب وجهه ورده فقال العباس
يا رسول الله افسدت على اهل مكة شرابهم فقال صلى الله عليه وسلم ردوا علي القدح
فردوه عليه فدعا بماء زمزم وصب فيه وشرب وقال اذا اغتلمت عليكم هذه الاشربة
فاقطعوا متونها بالماء وجه الاستدلال ان التقطيب لا يكون الا من السكر
وان المزج بالماء انما كان لقطع الشدة وان اغتلام الشراب شدته كاغتلام البعير سكره
اجيب عنهما بان قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا نكرة في الاثبات
فلم قلتم ان ذلك السكر والرزق الحسن هو هذا النبيذ ثم اجمع المفسرون على ان تلك
الآية كانت نازلة قبل هذه الآيات الثلاثة الدالة على تحريم الخمر فكانت هذه الثلاثة
ناسخة او مخصصة لها واما حديث العباس فلعل ذلك النبيذ كان ما نبذ فيه تمرات
لتجذب الملوحة فتغير طعم الماء وطبعه قليلا الى الحموضة وطبعه صلى الله عليه وسلم
كان في غاية اللطافة فلم يحتمل ذلك الطبع فلذلك قطب وجهه والمراد بصب الماء
فيه ازالة ذلك القدر من الحموضة او الرائحة وبالجملة فكل عاقل يعلم ان الاعراض
عن تلك الدلائل التي ذكرنا بهذا الاستدلال الضعيف غير جائز واعلم ان هذه الآية
دالة على تحريم الخمر من وجوه منها ان هذه الآية دالة على ان الخمر مشتملة على الاثم
والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم
والبغي فكان مجموع هاتين الآيتين دليلا على تحريم الخمر ومنها ان الاثم قد يراد به العقاب
وقد يراد به ما يستحق به العقاب من الذنوب وايهما كان فلا يصح ان يوصف به
الا المحرم ومنها انه تعالى قال واثمهما اكبر من نفعهما صرح برجحان الاثم
والعقاب وذلك يوجب التحريم فان قيل لا يدل على ان شرب الخمر اثم بل
يدل على ان فيه اثما وهب ان ذلك الاثم حرام فلم قلتم ان شرب الخمر لما حصل فيه ذلك
الاثم وجب ان يكون حراما احيب بان السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر
فلما بين تعالى ان فيه اثما كان المراد ان ذلك الاثم لازم له على جميع التقديرات

وكان شرب الخمر مستلزما لهذه اللازمة المحرمة ومستلزم المحرم محرم فوجب
ان يكون الشرب محرما ومنهم من قال هذه الآية لا تدل على حرمة الخمر واحتج عليه
بوجوه منها انه تعالى اثبت فيهما منافع للناس والمحرم لا يكون فيه منفعة ومنها انه لو دلت
هذه الآية على حرمتها فلم لم يمتنعوا حتى نزلت آية المائدة وآية تحريم الصلوة ومنها انه
تعالى اخبر ان فيهما اثما كبيرا فمقتضاه ان ذلك الاثم الكبير يكون حاصلا ما داما
موجودين فلو كان ذلك الاثم الكبير سببا لحرمتها لوجب القول بثبوت حرمتها في سائر
الشرائع والجواب عن الاول ان حصول النفع العاجل فيه في الدنيا لا يمنع كونه
محرما واذا كان كذلك لم يكن حصول النفع فيهما مانعا من حرمتهما لان صدق الخاص يوجب
صدق العام وعن الثاني انا روينا عن ابن عباس انها نزلت في تحريم الخمر والتوقف
الذي ذكر غير مروي عنهم وقد يجوز ان يطلب الكبار من الصحابة ما هو آكد من هذه
الآية في التحريم كما التمس ابراهيم صلوات الله عليه مشاهدة احياء الموتى ليزداد سكونا
وطمانينة وعن الثالث ان قوله فيهما اثم كبير اخبار عن الحال لا عن الماضي وعندنا
ان الله تعالى علم ان شرب الخمر مفسدة لهم في ذلك الزمان وعلم انه ما كان مفسدة
للذين كانوا قبل هذه الامة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما
يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد
ولا تعب او من اليسار لانه سبب ايسار وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية
يخاطر على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب بماله واهله قال الشاعر
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون اي الغالبون
في القمار بالميسور اي المغلوب في القمار ييسرونني اي يقتسمونني كما يقسم اعضاء الجزور
في الميسر وقيل الميسر من يسرت الشيء اذا قسمته اي قسمته فالجزور نفسه يسمى
ميسرا لانه يجزا فكانه موضع التجزئة والياسر الجازر لانه يجزئ اللحم الذي للجزور
ثم قيل للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور انهم ياسرون وقيل سمي
لتيسر الشيء اذا اوجب ييسر يسرا وميسرا والياسر الواجب بقداح وجب ذلك او صاحبه
او غيرهما ثم قيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر وقيل سمي ميسرا لانهم كانوا
يقولون يسروا لنا ثمن الجزور وكان اصل الميسر في الجزور وذلك
ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا ويجزئونها اجزاء اما
صفة الميسر كانت لهم عشرة قداح الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد ولكل
واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية
وعشرون الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم في الدنيا
سهام ليس فيهن ربح واسامي فهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم
سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى
سبعة يجعلونها في الربابة وهي الخريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها
ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات
الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له

لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء للفقراء ولا يأكلون منها
ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال متمم بن نويره
ولا برما تهدي النساء لعرسه اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا فهذا اصل القمار الذي
كانت العرب تفعله وقيل انما عنى الله تعالى بالميسر في هذه الاية انواع القمار كلها عن
طاوس ومجاهد وعطاء انهم قالوا كل شيء قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز
والكعاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشومتين فانهما من
ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين
كل شيء فيه خطر فهو من الميسر وقال الشافعي رضي الله عنه اذا خلا الشطرنج عن الرهان
واللسان عن الطغيان والصلوة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر
لان الميسر ما يوجب دفع مال او اخذ مال وهذا ليس كذلك وشرحه مذكور
في كتاب السبق والرمي من كتب الفقه قوله قل فيهما اثم كبير اي وزر
كبير من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وزوال العقل
والمنع من الصلوة واستحلال مال الغير بغير الحق قرا حمزة والكسائي كثير
بالثاء المنقوطة من فوق والباقون بالباء المنقوطة من تحت وجه الاول
ان الله تعالى وصف انواعا كثيرة من الاثم في الخمر والميسر وهو قوله
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة ولان الاثم في هذه الاية كالمضاد للمنافع لانه قال
فيهما مضار كثيرة ومنافع كثيرة وجه الثاني ان المبالغة في تعظيم الذنب
انما تكون بالكبر لا بالكثرة يدل عليه كبائر الاثم وكبائر ما تنهون عنه انه كان حوبا
كبيرا اي وايضا اثمهما اكبر من نفعهما ومنافع للناس وهي ما كانوا يصيبونها
في الخمر من التجارة واللذة عند شربها لقول الاعشى لنا من ضحاها خبث نفس وكآبة
وذكرى هموم ما تغب اذاتها وعند عشاها طيب نفس ولذة ومال كثير عدة
نشواتها ومنفعة الميسر ما يصاب من القمار ويرتفق به الفقراء واثمهما
وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار
والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل
من مطاعمهم ومشاربهم وعطاياهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على
الابرام قال المفسرون اثم الخمر هو ان الرجل يشرب فيسكر فيؤذي الناس
واثم الميسر ان يقامر الرجل فيمنع الحق ويظلم وقيل المنافع قبل التحريم والاثم
بعد التحريم قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك
يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة ويسألونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله
لاعنتكم ان الله عزيز حكيم لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا على من نتصدق
وماذا ننفق فانزل الله هذه الاية وهذا السؤال قد تقدم ذكره واجيب عنه
بذكر المصرف واعيد ها هنا فاجيب بذكر الكمية واصل العفو في اللغة
الزيادة قال الله تعالى حتى عفوا اي زادوا على ما كانوا من العدد واريد ها هنا

ما فضل من المال عن العيال وقيل هو ان تجهد مالك في النفقة ثم تقعد تسأل
الناس قال صاحب الكشاف العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ
انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي
ويقال للارض السهلة العفو وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة
من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه
من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا
لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس
انما الصدقة عن ظهر غنى وقيل الوسط من النفقة ما لم يكن اسرافا ولا اقتارا
وقيل الطاهر وقيل ما اتوك به من شيء قليل او كثير فاقبله منهم وقيل ما عفى
ويسر والعفو اليسير من كل شيء وقيل العفو الطيب اي افضل مالك واطيبه وكله
متقارب في المعنى والعفو ايضا ما يفضل الانسان فيه فيما خف او يعطيه سهلا
بلا تكلف من قول العرب خذ ما عفى اي ما اتاك سهلا من غير اكراه قال اهل
التفسير كان الرجل بعد نزول هذه الاية اذا كان له ذهب او فضة او زرع
او ضرع نظر الى ما يكفيه وعياله لنفقة سنة امسكه وتصدق بسائره فان كان ممن
يعمل بيده امسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك وتصدق بالباقي حتى نزلت اية
الزكوة المفروضة فنسخت هذه الاية وكل صدقة امروا بها قبل نزول
الزكوة قرا ابو عمرو العفو بالرفع والباقون بالنصب وجه الرفع ان تجعل
ذا بعد ما بمعنى الذي وينفقون صلته والصلة مع الموصول خبر المبتدا وهو
ما كانه قيل ما الذي ينفقون فقيل جوابه هو العفو فيكون العفو خبر مبتدا
محذوف ووجه النصب ان تجعل ماذا اسما واحدا في موضع نصب
بينفقون المذكور وتجعل العفو منصوبا بمقدر تقديره ينفقون العفو ليكون
الجواب وفق السؤال كذلك اشارة الى ما بين في الانفاق يبين لكم الايات قيل
انما وحد ذلك على الواحد وهو مخاطب الجماعة لان الجماعة معناها القبيل كانه
قال كذلك ايها القبيل يبين الله لكم وجاز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد خطاب امته كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء في الدنيا والاخرة
اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون في امر الدنيا والاخرة
فتعرفوا فضل الاخرة على الدنيا اي فتاخذوا بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو
اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على
النجاة من العقاب العظيم قال المفسرون لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها
فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها واما ان يتعلق بيبين على معنى
يبين الله لكم الايات في امر الدنيا والاخرة وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون فيها لما نزلت

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وقوله ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي
أحسن اعتزلوا أموال اليتامى وعزلوا طعامهم من طعامهم واجتنبوا مخالطتهم في كل
شيء حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك
عليهم وكان يوقعهم في الحرج فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى ويسألونك
عن اليتامى قل إصلاح لهم خير أي الإصلاح لأموالهم خير من مجانبتهم وإن تخالطوهم
فتشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومطاعمكم ومساكنكم وخدمكم
ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم على ما تصيبون من أموالهم
فهم إخوانكم والإخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم مال بعض على وجه
الإصلاح والرضا قيل مخالطتهم ركوب الدابة وخدمة الخادم وشرب اللبن إذا
إذا قام على مال اليتيم قالت عائشة رضي الله عنها إني لأكره أن يكون مال اليتيم
عندي كالعدة حتى أخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي قيل هذا أصل شاهد
للذي يفعله الرفاق في الأسفار ألا ترى أنهم يخرجون النفقات بالسوية ويتناسبون
في قلة المطعم وكثرته فلما جاز هذا في أموال اليتامى واسعا كان في غيرهم بحمد الله
أوسع والله يعلم المفسد من المصلح أي لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح
فيجازيه على حسب مداخلته فاتقوا الله في مال اليتيم ولا تجعلوا مخالطتكم إياهم
ذريعة إلى فساد أموالهم وأكلها بغير حق ولا تحروا غير الإصلاح ولو شاء الله لأعنتكم
لحملكم على العنت وهو المشقة التي لا تطاق وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم يقال أعنت
فلان فلانا أي أوقعه فيما لا يستطيع الخروج منه قال ابن عباس رضي الله عنهما
ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا وقيل لو شاء الله لكلفكم ما يشتد عليكم
وأثمكم في مخالطتهم ومعناه التذكير بالنعم في التوسعة إن الله عزيز غالب على أن
يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف نفسا إلا وسعها قوله تعالى
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين
حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى
الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون نزلت هذه الآية في مرثد
بن أبي مرثد الغنوي وكان شجاعا قويا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج
منها ناسا من المسلمين فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في
الجاهلية فأتته وقالت يا مرثد ألا تخلو فقال لها ويحك يا عناق إن الإسلام
حال بيننا وبين ذلك فقالت هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره ثم أتزوجك فقالت أبي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه
ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى بمكة حاجته وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيحل لي أن
أتزوجها فأنزل الله الآية والنكاح لغة الجماع ثم استعمل في العقد في الشرع فهو

حقيقة

حقيقة شرعية في العقد مجاز شرعي في الجماع وفي اللغة بالعكس والذي يدل على أنه حقيقة
شرعية في العقد تبادر العقل إلى الفهم عند التجرد عن القرائن وذهبت الحنفية إلى أنه حقيقة
في الوطء لأنه لغة الضم ومعنى الضم في الوطء أتم منه في العقد فوجب حمله عليه وأجيب بأن معنى
الضم حاصل في العقد ولا نسلم أن الضم في الوطء أتم منه في العقد فإن العقد الشرعي اعتبر
فيه الضم على أتم الوجوه ونقل عن أبي علي الفارسي أن العرب فرقت بالاستعمال فرقا لطيفا حتى
لا يحصل الالتباس فإذا قالوا نكح فلان فلانة أرادوا أنه تزوجها وعقد عليها وإذا قالوا نكح امرأته
أو زوجته لم يريدوا غير المجامعة لأنه إذا ذكر أنه امرأته أو زوجته فقد استغني عن ذكر
العقد فلم يحتمل الكلام غير المجامعة فهذا أيضا دليل على أنه حقيقة في العقد مجاز في الجماع
لتوقف فهم الجماع منه على القرينة بخلاف فهم العقد والأكثر على أن المشركات تتناول
أهل الكتاب لأن اليهود والنصارى لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله تعالى إن الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء دلت الآية على أن ما سوى الشرك فقد يغفره الله في الجملة
فلو كان كفر اليهود والنصارى ليس بشرك لوجب بمقتضى الآية أن يغفره الله في الجملة ولما كان ذلك
باطلا علمنا أن كفرهما شرك ولقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا
إله واحد دلت على أن النصارى جعلوا الآلهة ثلاثة فهم مشركون فيكون اليهود أيضا مشركين
إذ لا قائل بالفرق ووقوع اسم المشرك على الكافر ليس من الأسماء اللغوية بل من الأسماء الشرعية
إذا عرفت فمن قال إن اسم المشركات لا يتناول إلا عبدة الأوثان قال إن قوله تعالى
ولا تنكحوا المشركات نهي عن نكاح الوثنية فتكون الآية ثابتة لا منسوخة ولا مخصصة ومن قال
اسم المشرك يتناول اليهود والنصارى فالآية عنده إما منسوخة إن ثبتت الحرمة نكاح اليهودية
والنصرانية ثم زالت الحرمة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإما
مخصصة به إن لم تثبت حرمته قوله حتى يؤمن إلا الإقرار بالشهادة والتزام أحكام الإسلام واحتجت
الكرامية بهذه الآية على أن الإيمان عبارة عن مجرد الإقرار وقالوا إن الله تعالى جعل الإيمان
هاهنا غاية التحريم والذي هو غاية التحريم هاهنا الإقرار فثبت أن الإيمان في عرف
الشرع عبارة عن الإقرار والجواب أنا قد بينا في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب
أن الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب والإيمان يتعلق به أحكام في الآخرة وهو الخروج من
النار والدخول في الجنة وأحكام في الدنيا مثل عصمة الدم وجواز التزوج وأخذ الميراث
وتصديق القلب حتى لا يمكن الاطلاع عليه فأقيم الإقرار باللسان الذي هو بحسب الغالب غير
مفارق للتصديق القلبي مقامه كما هو عادة الشرع فإنه إذا كان مناط الحكم أمرا خفيا يحتمل أمر
ظاهر للمناط الخفي بحسب الغالب قائما مقامه نقل عن الحسن أن هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه
من تزوج المشركات قال القاضي تزوجهم المشركات قبل نزول هذه الآية إن كان على سبيل
العادة لا من قبل الشرع امتنع وصف هذه الآيات بأنها ناسخة لأنه ثبت في الأصول أن الناسخ
والمنسوخ يجب أن يكونا حكمين شرعيين وإن كان من جهة الشرع كانت هذه الآية ناسخة قوله
ولأمة مؤمنة خير من مشركة قيل اللام في قوله ولأمة في إفادة التوكيد تشبه لام القسم ولأمة
مبتدأ ومؤمنة صفتها وخير خبرها والنكرة إذا قربت من المعرفة صح أن تكون مبتدأ ومما قربها
إلى المعرفة كونها موصوفة لأنها إذا اتصفت تخصصت فقربت من المعرفة وجعل المعرب هاهنا
كونها موصوفة قال ابن الحاجب في شرح المفصل المراد كل أمة مؤمنة ومثل ذلك

ليست الصفة فيه مصححة للابتدا بل مثلها في قولك في الدار رجل عالم والذي يوضح ذلك صحة
قولك رجل خير من امراة وقولهم تمرة خير من جرادة وذلك جار في كل نكرة لم يتصف بها واحد
مختص فكان معنى العموم وذلك مصحح مستقل وللقايل ان يقول قولهم رجل خير من امراة انما لم
يقصد به واحد مختص لان خيرية الرجل انما هي باعتبار حقيقة الرجل التي هي غير مختصة
بواحد دون غيره لا باعتبار خصوصية الواحد فكان معنى العموم وذلك مصحح مستقل وكذا
قولهم تمرة خير من جرادة واما قوله تعالى ولامة مومنة من غير ان يوصف بكونها مومنة لم يفد خيريتها
لان خيريتها لا تكون باعتبار حقيقة الامة بل باعتبار كونها موصوفة بها فلا يكون في معنى العموم
ولا يكون مصححا مستقلا فان قيل مع الصفة تفيد العموم فان خيرية الامة المومنة باعتبار
حقيقة الموصوف مع الصفة لا باعتبار خصوصية الواحد فالمصحح كونه مفيدا للعموم لا كونه
موصوفا بخلاف قولهم في الدار رجل عالم فان المصحح كونه عالما لا كونه مفيدا للعموم فانه غير مفيد
للعموم اجيب بانه لما كانت الصفة افادت معنى العموم جعلت مصححة بخلاف رجل خير من
امراة وتمرة خير من جرادة فان العموم مستفاد من حقيقة الرجل والتمرة فلم يجعل المصحح الصفة بل معنى
العموم المستفاد من الحقيقة قال صاحب الكشاف ولامة مومنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد
مومن اي ولرجل مومن حرا كان او مملوكا لان الناس كلهم عبيد الله وامآوه والاولى ان لا يعدل
عن الظاهر بحمل الامة على المراة والعبد على من هو شامل للحر والمملوك ويعلم خيرية الحرة والحر
بطريق الاولى والمعنى ان المشرك لو كانت نافعة في النسب والمال والجمال فالامة المومنة خير
منها لان الايمان متعلق بالدين والنسب والمال والجمال متعلق بالدنيا والدين خير من الدنيا
لانه اشرف الاشيا عند كل احد فعند التوافق في الدين تكمل المحبة فتكمل منافع الدنيا من
الصحبة والطاعة وحفظ الاموال والاولاد وعند الاختلاف في الدين لا تحصل المحبة فلا
تحصل شي من منافع الدنيا ولم يذكر الموصوف لمشركة ليعم الحرة والامة تنبيها على ان خيرية الامة
المومنة على المشركة انما هي باعتبار الشرك لا باعتبار الحرية قوله ولو اعجبتكم ولو كان الحال
ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان الامة المومنة خير منها قيل ان الاية دالة على ان القادر على طول الحرة
يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة وذلك لان الاية دلت على ان الواجد لطول الحرة
المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة وهذا الاستدلال لطيف
في هذه المسلة وفيه نظر فان الاية لا تدل الا ان الامة المومنة خير من مشركة ولم يوجد فيها
تعرض لشرط نكاح الامة ولا لعدمه ولا يدل على ان القادر على طول الحرة يجوز له نكاح الامة
لا بالمنطوق صريحا او غير صريح ولا بالمفهوم قيل ولا تنكحوا المشركات يقتضي جواز التزوج
بالمشركة لان افعل يقتضي المشاركة في الصفة ولاحدهما مزية اجيب بان نكاح المشركة فيه
نفع الدنيا ونكاح المومنة فيه نفع الدنيا والاخرة فالنكاحان يشتركان في اصل النفع الا ان نكاح
المومنة نفعه ازيد واعظم قوله ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا الاخلاف في ان المراد
الكل فان المومنة حرة او مملوكة لا يحل تزوجها كتابيا او غيره قوله اوليك اشارة
الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون
بينهم وبين المسلمين الا المناصبة والقتال وقوله يدعون الى النار معناه يدعون الى ما
يودي الى النار فان الظاهر ان النكاح مظنة الالفة والمحبة وكل ذلك يوجب موافقة في المطالب
والاغراض وربما ادى ذلك الى انتقال المسلم عن الاسلام بسبب موافقة حبيبه فان قيل
احتمال المحبة حاصل من الجانبين وكما يحتمل ان يصير المومن كافرا بسبب المحبة يحتمل ان يصير

الكافر

من الكافر ٢

الكافر مسلما بسببها واذا تعارض الاحتمالان تساقطا فيبقى الاصل وهو الجواز اجيب
بان الرجحان لهذا الجانب لان بتقدير ان ينتقل المسلم عن الاسلام استحق به العقوبة العظيمة
والاقدام على هذا داير بين ان يلحقه مزيد نفع وبين ان يلحقه ضرر عظيم فيجب الاحتراز عن الضرر
فلهذا السبب رجح الله جانب المنع على جانب الجواز وقيل اوليك يدعون الى النار ومعناه انهم
يدعون الى ترك المحاربة والقتال وفي تركهما وجوب استحقاق النار والعقاب وعلى هذا
يتحقق الفرق بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على القتال والله يدعوا اي واوليا
الله وهم المومنون يدعون الى الجنة والمغفرة باذنه بتيسير الله وتوفيقه وما يوصل اليهما
فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يوثروا على غيرهم فكانه قيل اعدا الله يدعون الى
النار واوليا الله يدعون الى الجنة والمغفرة فينبغي للعاقل ان لا ينكح المشركات اللاتي هن عدوات
الله وان ينكح المومنات فانهن يدعون الى الجنة والمغفرة باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل
الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقيل والله يدعوا الى التوبة والتوحيد والعمل الموجب لهما
باذنه اي بامره اي باوامره يدعوكم قوله تعالى ويسلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النسا في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ان الله تعالى ذكر قوله يسالونك في ستة مواضع فذكر الثلاث الاول بغير
الواو وذكر الثلاث الاخيرة بالواو والسبب ان سوالهم عن الحوادث الاول وقع في احوال
متفرقة لا اتصال بينها فلم يوت فيها بحرف العطف لان كل واحد من تلك السوالات سوال
مبتدا وسوالهم عن المسايل الثلاث الاخيرة في وقت واحد فجي بحرف الجمع لذلك كانه قيل
يجمعون لك بين السوال عن الخمر والميسر والسوال عن المنفق والسوال عن اليتامى والسوال عن
المحيض روي ان العرب في الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم
يجالسوها على فراش ولم يجالسوها على فراش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس
فسال ابو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف
نصنع بالنسا اذا حضن فانزل الله تعالى الاية فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن
من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب
هلك ساير اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل
ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شي فامر الله
بالاقتصاد بين الامرين والمحيض مصدر يقال حاضت محيضا وحيضا ومحاضا واصل الحيض الانفجار هو
اذى اي الحيض شي يستقذر ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا اي فاجتنبوا مجامعتهن
اذا حضن قال الامام قد ذكر العلة وهو الاذى فرتب الحكم عليه وهو وجوب الاعتزال فان قيل
ليس الاذى الا الدم وهو حاصل في وقت الاستحاضة غير واجب الاعتزال فقد انتقضت هذه العلة
قلنا العلة غير منقوضة لان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة المراة من طريق الرحم
ولو احتبست تلك الفضلة لمرضت المراة فذلك الدم جار مجرى البول والغايط وكان اذى وقذرا
واما دم الاستحاضة فليس كذلك بل هو دم صالح يسيل من عرق ينفجر من عنق الرحم فلا يكون اذى قال
هذا ما عندي في هذا الباب وهو قاعدة طيبة اعلم ان دم الحيض يخرج من الرحم قال
الله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قيل في تفسيره المراد منه دم الحيض

ودم الاستحاضة لايخرج من الرحم بل من عروق تنقطع في فم الرحم قال صلى الله عليه وسلم في صفة
دم الاستحاضة انه دم عرق انفجر ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم دم الحيض بصفات منها انه
اسود ومنها انه ثخين ومنها انه محتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه يخرج برفق ولا يسيل
سيلانا ومنها ان له رايحة كريهة بخلاف ساير الدما فانه من الفضلات التي تدفعها الطبيعة ومنها
انه بحراني وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل منه كدورة تشبيها له بما البحر ومن الناس من قال دم
الحيض يتميز عن دم الاستحاضة فكل دم كان موصوفا بهذه الصفات فهو دم حيض وما لا يكون لذلك
لا يكون دم حيض وما اشتبه الامر فيه فالاصل بقا التكاليف التي كانت واجبة ومن الناس من قال
هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التامل في تلك الدما وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة
فالشارع قدر وقتا مضبوطا فمتى حصلت الدما فيه كان حكمها حكم الحيض كيف كانت تلك الدما ومتى
حصل خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف ما كانت صفة تلك الدما والمقصود من هذا
اسقاط العسر والمشقة عن المكلف ثم الاحكام الشرعية للحيض هي المنع من الصلوة والصوم ثم يلزمها
قضا الصوم ولا يلزمها قضا الصلوة عن معاذة العدوية ان امراة سالت عايشة رضي الله عنها ما بال
الحايض تقضي الصوم ولا تقضي الصلوة فقالت لها احرورية انت قالت لست بحرورية ولكني اسال
فقالت كان يصيبنا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضا الصوم ولا نؤمر بقضا
الصلوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم
من احداكن فقيل له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليس شهادة المراة مثل نصف شهادة الرجل فذلك من نقصان عقلها اوليس اذا حاضت لم تصل
ولم تصم قال بلى قال فذلك من نقصان دينها ومنع ايضا من قراءة القران وقد رخص فيها مالك
لعذر الحيض اذا طالت المدة احترازا من نسيان القران والفقها على خلافه ويمنع من مس المصحف
ودخول المسجد والاعتكاف والطواف بالبيت ومن الوطي اتفق الامة على حرمة الجماع وحل
الاستمتاع بما فوق السرة ودون الركبة وهذا الاختلاف ناش من الاختلاف في الاعتزال
فذهب الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف وجوب اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن
وجوب اعتزال الفرج لا غير حجتهم قول ام سلمة رضي الله عنها نال مني ما ينال الرجل من امراته
الا ما تحت الازار وما روي ان عبد الله بن عمر سال عايشة رضي الله عنها هل يباشر الرجل
امراته وهي حايض فقالت تشد ازارها على اسفلها ثم ليباشرها ان شا وما روي ان معاذا
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الحايض فقال عليه الصلوة والسلام ما فوق الازار وما روي
ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حايض قال لتشد عليها
ازارها ثم شانك باعلاها اي استمتع بما فوق فرجها فانه غير مضيق عليك وشانك منصوب باضمار
فعل ورفعه بالابتدا حجته ما روي عن عايشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك
والشعار العلامة وشعار الدم الخرقة او الفرج على الكناية لان كلا منهما علم للدم وقيل اريد بشعار
الدم الازار فعلى هذا لا يكون حجة عليه لا له وعلى الاول يكون حجة له وما روي عن انس انه
قال انزل الله ويسلونك عن المحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعلوا كل شي الا
الجماع والجمهور راجح ولا تقربوهن اي ولا تجامعوهن يقال قرب الرجل من امراته اذا جامعها
هذا اذا اريد بالاعتزال التنحي عما تحت الازار فمعناه حينئذ لا تقربوا ما تحت الازار وهذا
اظهر حتى يطهرن قرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي يطهرن بتشديد الطا اي حتى يغتسلن

والتطهر

والتطهر الاغتسال وقرا الباقون يطهرن مخففا اي حتى يطهرن من حيضهن والطهر انقطاع
الدم الحيض اختلف الفقها في وقت الحيض وفي قدره وماخذهما الاستقرا قال الشافعي رضي الله
عنه اعجل من سمعت النسا حيضا نسا تهامة يحضن لتسع سنين قيل ويقال للطاعن فيه بنت
تسع وقيل بعد ستة اشهر قلنا مجاز واقله يوم وليلة ونقل يوم والمراد بليلته وقال
مالك لا يتقدر بذلك لان العادة والكرم فان وجد ساعة فهو حيض وان وجد اياما فكذلك
لانها ترك العبادة اول ما رات وينقض بما اذا جاوز الاكثر وقال ابو حنيفة ثلثة ايام
بلياليهن قلنا قال الزهري وعطا في نسائنا من تحيض يوما وليلة وفيهن من تحيض خمسة عشر
وهو اكثره وقد روي في الحديث المشهور تقعد احداكن شطر عمرها لا تصلي وعند ابي
حنيفة اكثره عشرة ايام واقل الطهر خمسة عشر يوما وفاقا فلو اطرد خلاف ذلك اعتبر اذ
التعويل على الوجود وقيل لا وقيل ان خالف الجمع لان بحث الاولين اوفى واختلف
الفقها في الحايض متى يحل وطيها فقال ابو حنيفة وصاحباه اذا طهرت المراة لعشرة ايام
حل وطيها دون ان تغتسل وان طهرت لما دون العشرة لا يحل وطيها الا باحدى ثلث ان تغتسل
او تمضي عليها اقرب وقت الصلوات فيحكم بذلك بحكم الطاهرات في وجوب الصلاة في ذمتها او تتيمم
قال الواحدي من قرا بالتخفيف فهو من طهرت المراة تطهر طهرا وطهارة ومعناه حتى
يفعلن الطهارة التي هي الغسل وقال الشافعي لا يحل وطي الحايض الا بشرطين انقطاع الدم
والاغتسال والدليل عليه ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان
وامكن الجمع بينهما وجب الجمع بينهما والتخفيف والتثقيل قراءتان والجمع بينهما ممكن فوجب
حمل دلالة الاية على وجوب الامرين فوجب ان لا تنتهي حرمة الا عند حصول الامرين
وقوله فاذا تطهرن فاتوهن علق الاتيان على التطهير بكلمة اذا وكلمة اذا للشرط في اللغة
والمعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهير
حجة ابي حنيفة ولا تقربوهن حتى يطهرن نهى عن قربانهن وجعل غاية ذلك النهي ان يطهرن
يعني ينقطع حيضهن واذا كان انقطاع الحيض غاية لهن وجب ان لا يبقى هذا النهي
عند انقطاع الحيض اجاب القاضي عنه بانه لو اقتصر على قوله حتى يطهرن كان ما ذكرتم
لازما اما لما ضم اليه قوله فاذا تطهرن صار المجموع هو الغاية فلا بد مع انقطاع الحيض
من التطهير وقد اختلفوا في ذلك التطهير فقال الشافعي رضي الله عنه واكثر الفقها هو
الاغتسال وقال بعضهم غسل الموضع وقال عطا وطاوس هو ان تغسل الموضع وتتوضا
والصحيح هو الاول يدل على ذلك ان ظاهر قوله فاذا تطهرن حكم عايد الى ذات المراة
فوجب ان يحصل هذا التطهير في كل بدنها لا في بعضه قوله فاتوهن اي جامعوهن
من حيث امركم الله به وحلله لكم وهو القبل يقال ائت الامر من ماتاه اي من الوجه
الذي يوتى منه وقيل معناه في حيث امركم الله وهو الفرج لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة ان الله يحب التوابين من الذنوب
والمتطهرين بالما من الاحداث والحيض والجنابات والنجاسات بيانه قصة اهل قبا رك

يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين وقيل يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من ادبار النسا
ان ياتوها قيل من اتى امراة في دبرها فليس من المتطهرين فان دبر المراة مثله من الرجل وقيل
المتطهرين من الشرك وقيل التوابين من الذنوب لا يعودون فيه والمتطهرين منها لم يصيبوها وقيل
التوابين من الكباير والمتطهرين من الصغاير وقيل التوابين من الافعال والمتطهرين من الاقوال
وقيل التوابين من الاثام والمتطهرين من الاجرام التوابين من الجراير والمتطهرين من خبث السراير
التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيوب والتواب الذي كلما اذنب تاب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مر رجل ممن كان قبلكم في بني اسرايل بجمجمة فنظر اليها فقال اي رب انت انت وانا
انا انت العواد بالمغفرة وانا العواد بالذنوب ثم خر ساجدا فقيل له ارفع راسك فانا العواد
بالمغفرة وانت العواد بالذنوب فرفع راسه فغفر له **قوله** تعالى نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم
انى شيتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المومنين عن جابر ان اليهود
قالوا للمسلمين من اتى امراة في دبرها جا ولدها احول فانزل الله هذه الاية وقيل ان عمر
رضي الله عنه جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت وحكى بوقوع ذلك منه فانزل الله تعالى
هذه الاية وقيل ان عمر رضي الله عنه وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار
اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا ويتلذذون منهن
مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار
فذهب يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انما كنا نوتى على حرف فان شيت فاصنع ذلك والا فاجتنبني
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساوكم حرث لكم مواضع حرث لكم
وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور
والحرث مصدر ولهذا وحد الحرث فكان المعنى نساوكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون
الولد بحذف المضاف وايضا قد يسمى موضع الشي باسمه على سبيل المبالغة كقوله فانما هي
اقبال وادبار ويقال هذا امر الله اي مامور وهذا شهوة فلان اي مشتهاه
ولذلك حرث الرجل محرثه فاتوا حرثكم انى شيتم تمثيل باعتبار تشبيه المجموع من اتيان
قبل المراة انى شيتم بمجموع اتيان الاراضي التي يراد حرثها فان وجه التشبيه اذا كان مجموعا
ماخوذا من الامور يسمى تمثيلا اي فاتوهن كما ياتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها
من اي جهة شيتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد
ان يكون الماتي واحدا وهو موضع الحرث قال صاحب الكشاف هو اذى فاعتزلوا النسا من
حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شيتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه
واشباهها في كلام الله اداب حسنة على المومنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها
في محاوراتهم ومكاتباتهم وعن سعيد بن المسيب هذا في العزل يقول ان شيتم فاعزلوا وان شيتم
فلا تعزلوا والدليل عليه انه سيل ابن عباس عن العزل قال حرثك ان شيت فاعطش وان شيت
فارو وقيل يستامر الحرة في العزل ولا يستاذن الامة قال الثعلبي وفي هذه الاية ادل دليل على
تحريم ادبار النسا لانها موضع الفرث لا موضع الحرث وانما قال نساوكم حرث لكم وهذا من اظرف
كنايات القران حيث عبر بالحرث عن الفرج فقال نساوكم حرث لكم اي مزدرع ومنبت للولد
واراد به المحرث والمزدرع ولكنهن من اسباب الحرث جعلن حرثا وقال اهل المعاني تقدير

الاية

الاية نساوكم حرث لكم كقوله حتى اذا جعله نارا اي كنار والعرب تسمي النسا حرثا قال الشاعر
اذا اكل الجراد حروث قوم فحرثي همه اكل الجراد يريد امراتي وقال حبذا من هبة الله
الصالحات هن للنسل وللزرع وهن المحترثات جعل الله لنا فيها يسا البركات انما الارحام ارضو
محترثات فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات وقد وهم بعض الفقها في تاويل هذه الاية
وتعلق بظاهر خبر روي عن مالك عن انس عن نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه
نساوكم حرث لكم فقال اتدري فيمن نزلت هذه الاية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراة
في دبرها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه ذلك فنزلت نساوكم حرث لكم فاتوا
حرثكم انى شيتم وعن المزني سمعت ابن وهب ونحن نسمع منه رواية مالك حتى ذكر اتيان الدبر
فسكت فقام رجل فقال له فتيان بن ابي السمح فقال يا ابا محمد اروا لنا ما رويت فامتنع عليه
وقال له احدكم يصحب العالم فاذا تعلم منه لم يوجب له من حقه ما منعه من اقبح ما روي عنه
وابى ان يروي لنا قول مالك في الدبر قال الثعلبي ولقد اصاب ابن وهب فاحشا امساك له
عن ذكر ذلك العلما وزجر عن تتبع رخص الفقها واما حديث ابن عمر رضي الله عنهما فانه سال
بسالم بن عبد الله فقيل له يا ابا عمر ما حديث يحدث نافع عن عبد الله بن عمر قال وما هو قال زعم
انه لم يكن يرى باسا باتيان النسا في ادبارهن قال كذب العبد واخطا انما قال عبد الله
يوتون في فروجهن من ادبارهن والدليل على تحريم الادبار ما روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل نساوكم حرث لكم
قال لا يكون الحرث الا من حيث يكون النبات وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحي من الحق لا تاتوا النسا في ادبارهن وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل اتى امراة في دبرها
وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها وايضا
ان الله قال في اية المحيض هو اذى فاعتزلوا النسا في المحيض جعل قيام الاذى علة الحرمة
اتيان موضع الاذى ولا معنى للاذى الا ما يتاذى الانسان منه وها هنا يتاذى الانسان بنتن
رايحة ذلك الدم وحصول هذه العلة في محل النزاع اظهر فاذا كانت تلك العلة قايمة
ها هنا وجب حصول الحرمة وايضا قوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله وظاهر الامر
للوجوب ولا يمكن ان يقال انه يفيد وجوب اتيانهن لان ذلك غير واجب فوجب ان يقال
ان المراد منه ان من اتى امراة وجب ان ياتيها من ذلك الموضع الذي امر الله به ثم هذا
غير محمول على الدبر لان ذلك غير واجب بالاجماع فتعين حمله على القبل ومن جوز اتيان
دبرهن تمسك بوجوه الاول بهذه الاية من وجهين الاول انه تعالى جعل الحرث اسما
للمراة فقال نساوكم حرث لكم ولم يجعل اسما للموضع فيكون المراد من قوله فاتوا حرثكم
انى شيتم فاتوا نساكم انى شيتم فيكون اطلاقا في اتيانهن على جميع الوجوه فيدخل
فيه محل النزاع الثاني كلمة انى معناها اين قال الله تعالى انى لك هذا اي من اين لك هذا قالت
هو من عند الله والتقدير من اين لك هذا فصار تقدير الاية فاتوا حرثكم اين
شيتم وكلمة اين شيتم تدل على تعدد الامكنة يقال اجلس اين شيت كان هذا تخييرا بين

الامكنة اذا ثبت هذا فنقول ظهر انه لا يمكن حمل الاية على الاتيان من قبلها او من دبرها في قبلها
لانه على هذا التقدير المكان واحد والتعدد انما وقع في طريق الاتيان واللفظ اللائق به
ان يقال اذهبوا اليه كيف شئتم فلما لم يكن المذكور ههنا لفظة حيث بل المذكور لفظة
انى وثبت ان لفظة انى مشعرة بالتخيير بين الامكنة ثبت انه ليس المراد ما ذكرتم الثاني
التمسك بعموم الاية قوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك العمل به في حق
الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق النساء الثالث توافقنا على انه لو قال
للمراة دبرك على حرام ونوى الطلاق انه يكون طلاقا وهذا يقتضي كون دبرها حلالا له
اجيب بان ما يدل على انه يجوز ان يكون المراد من هذه الاية اتيان النساء في غير
المأتى وجوه الاول ان الحرث اسم لموضع الحراثة ومعلوم ان المراة بجميع اجزائها ليست
محلا للحراثة فامتنع اطلاق اسم الحرث على ذات المراة فمقتضى هذا الدليل ان لا يطلق لفظ
الحرث على ذات المراة الا انا تركنا العمل بهذا الدليل في قوله نساؤكم حرث لكم لان الله
تعالى صرح ههنا باطلاق لفظ الحرث على ذات المراة فحملنا ذلك على المجاز المشهور من
تسمية كل الشيء باسم جزئه وهذه الصورة مفقودة في قوله فأتوا حرثكم فوجب حمل الحرث
فيه على موضع الحراثة على التعيين فثبت ان هذه الاية لا دلالة فيها الا على اتيان النساء
الثاني الروايات المشهورة في ان سبب نزول هذه الاية اختلافهم في جواز الاتيان من الدبر
في القبل وسبب النزول لا يكون خارجا عن الاية فوجب ان تكون الاية بيانا لهذه الصورة
ومتى حملناها على هذه الصورة لم يكن بنا حاجة الى حملها على الصورة الاخرى فثبت ان ما ذكروه
ليس مرادا من الاية والجواب عن هذه الوجوه التي ذكروها على التفصيل اما الوجه الاول فنقول بيانا
ان معناه فأتوا موضع حرثكم واما الثاني فلانه لما كان المراد بالحرث في قوله فأتوا حرثكم ذلك
الموضع المعين لم يكن حمل انى شئتم على التخيير في المكان وعند هذا نضم فيه زيادة وهي ان يكون المراد
من انى شئتم فيضمر لفظ من لا اتصال ليس حمل لفظة الحرث على حقيقته والزام هذا الاضمار
اولى من لفظ الحرث على سبيل المجاز لانا نقول بل هذا اولى لان الاصل في الابضاع الحرمة
واما الثالث فجوابه ان قوله دبرك على حرام انما يكون كناية عن الطلاق لانه محل
الملامسة والمجامعة فصار ذلك كقوله يدك على حرام قوله وقدموا لانفسكم ما
يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد
وقيل هو التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحا وقيل التسمية على الجماع وقيل اذا اتى اهله
فليدع عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد احدكم ان ياتي اهله
فليقل بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان قدر بينهما ولد
لم يضره الشيطان وقيل قدموا لانفسكم في كل ما احل الله لكم وحرم عليكم وما تعبدكم به فان
تصدقكم الله ورسوله بكل ما احل لكم وحرم عليكم وما تعبدتم به فقد مر ملاقيكم عن ربكم
واتقوا الله فيما امركم ونهاكم فامتثلوا اوامره ولا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه
فتزودوا وما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين خاصة بالثواب والكرامة والمراد رعاية
الترتيب المعتبر في القرآن وهو ان يجعل مع كل وعيد وعدا قال صاحب الكشاف فان قلت

ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم مما قبله قلت موقعه موقع البيان
والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث
ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء
الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة نهيا عن
قطيعة ختنه على اخته بشير بن النعمان وذلك انه كان بينهما مخاصمة فحلف عبد الله ان لا يدخل عليه ولا
يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له وجعل يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني
فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف لا ينفق على مسطح
حين خاض في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم
ما يعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه
تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر اي المنصوب له قال
فلا تجعلوني عرضة للوائم والحاصل ان العرضة المانع من الشيء يقول العرب هو له دون عرضة
اذا كان يمنعه من الوصول اليه على الاول وعلى الثاني المنصوب للامر وقيل العرضة اصله
الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر وتعد له عرضة لقوتها عليه يقال عرضت
ناقة لكذا اي اتخذتها له ثم قيل لكل شيء هو عرضة له حتى قالوا المراة هي عرضة للنكاح
اذا صلحت له وقويت عليه وفلان عرضة للسفر والحرب وقال حسان وقال الله قد يسرت جندا
من الانصار عرضتها اللقاء قال المفسرون هذا في الرجل يحلف بالله على بعض الخيرات
مثل ان لا يصل رحمه او لا يكلم قرابته او لا يتصدق او لا يصنع خيرا ولا يحسن الى احد ولا
يصلح بين اثنين فعصيانه او احدهما فيحلف بالله لا يصلح بينهما ثم يقول اخاف الله
ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقال الله لا تجعل عرضة ليمينه اي
حاجزا لما حلف عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي
هو خير ولتكفر عن يمينك اي على شيء مما حلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا عطف بيان
لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وقوله ان تبروا
معناه ان لا تبروا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا وقال امرؤ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي يعني لا ابرح واللام
في لايمانكم متعلق بقوله ولا تجعلوا الله لايمانكم عرضة اي برزخا وحاجزا ويجوز ان
يكون متعلقا بعرضة لما فيها اي في العرضة من معنى الاعتراض اي المنع يعني لا تجعلوا
الله شيئا يعترض البار اي يمنعه من اعترضني لذا اي منعني والحاصل ان اللام متعلق بقوله
ولا تجعلوا الله او بقوله عرضة فعلى الاول يجعل متعد الى ثلاثة مفاعيل احدها بالواسطة
وعلى الثاني الى مفعولين وايمانكم على التقديرين بمعنى المحلوف عليه وان تبروا بيان له ويجوز
ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بقوله ولا تجعلوا فيكون قوله ولا تجعلوا متعديا
الى ثلاثة مفاعيل ثانيها عرضة وثالثها ان تبروا بواسطة حرف الجر ثم حذف حرف الجر
لان حذفه مع ان قياس مستمر فلا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ويجوز

ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بقوله عرضة وهي مفعول ثان لقوله ولا تجعلوا الله
وعلى التقدير من قوله لايمانكم مفعول له والايمان جمع اليمين بمعنى المصدر واذا
جعل العرضة بمعنى العرض للشي يكون معناها ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة
الحلف به نهى عن الجراة على الله بكثرة الحلف به فان من اكثر من شي في معنى من المعاني
فقد جعله عرضة له يقول الرجل قد جعلتني عرضة للومك قال الشاعر ولا تجعلني عرضة للوايم
وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل
الحلاف مقدمتها والعرب كانوا يمدحون الانسان بالاقلال من الحلف والحكمة في الامر
بتقليل الايمان ان من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك ولا يبقى لليمين في قلبه وقع
ولا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة فيختل ما هو الغرض الاصلي من اليمين وايضا كلما كان الانسان
اكثر تعظيما لله تعالى كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم ان يكون ذكر الله اجل واعلا عنده
من ان يستشهد به في غرض من الاعراض الدنيوية واما قوله ان تبروا فهو علة للنهي اي ارادة
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم له فلا يكون برا تقيا ولا يثق به الناس
ولا يدخلونه في وساطتهم واصلاح ذات بينهم والله سميع لحلفكم عليم بما في قلوبكم ونيتكم ان تركتم
الحلف تعظيما لله واجلالا لان من ان يستشهد باسمه الكريم في الاعراض العاجلة قوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما
لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو قال ذو الرمة ويطرح بينها المرى لغوا كما الغت في الدية الحوارا
يريد المائة التي تساق في الدية اذا وضعت ناقة منها حوارا لم يعتد به والمرى منسوب
الى امرئ القيس بن زيد واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي
لا عقد معه والدليل على انه لا عقد له قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فقال الشافعي هو ما
يسبق به لسان الانسان من الايمان على سرعة وعجلة لصلة به كلامه من غير عقد ولا قصد
مثل قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف
ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله
الف مرة عن عايشة رضي الله عنها لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو قول الانسان لا والله
وبلى والله وقد رفعه بعضهم فهذا لا كفارة فيه ولا اثم وقال ابو حنيفة واصحابه هو ان
يحلف الانسان على الشي يظنه على ما حلف عليه اي يرى انه صادق فيه ثم يظهر خلافه فهو
خطا منه غير عمد ولا كفارة فيه ولا اثم وقيل لغو اليمين في حال الغضب والضجر من غير عقد
ولا عزم يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا يمين في غضب وقيل هو اليمين في المعصية
لا يؤاخذ الله بالحنث بل يحنث في يمينه ويكفر وقيل ليس فيه كفارة وقيل كفارته ان
يتوب منها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نذر فيما لا يملك ولا نذر له ومن حلف
على معصية فلا يمين له وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حلف على قطيعة رحم او معصية فبره ان يحنث فيها ويرجع عن يمينه وقيل ان
حلف على نفسه هو ان الرجل اعمى الله بصري ان لم افعل كذا او كذا اخرجني الله من مالي ان
لم اتك غدا او يقول هو كافر ان فعل كذا فهذه كله لغو او كان باللسان دون القلب
لا يؤاخذه الله بها حتى يكون ذلك من قلبه وقيل هو اليمين المكفر وسمي لغوا لان الكفارة

نته

تسقط الاثم تقديره لا يؤاخذكم الله بالاثم في اليمين اذا كفرتم وقيل هو ان يحلف الرجل
على الشي ثم ينسى فيحنث ناسيا فلا يؤاخذه الله به يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي
الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه قوله يؤاخذكم اي يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو
اليمين الغموس وقيل لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن
يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده
والله غفور ساتر للذنوب مسقط عقوبتها على طريق المبالغة حليم لا يعجل بالعقوبة بل يؤخر عقوبة الكفار
والعصاة والحليم في كلام العرب ذو الاناة والسكون واعلم ان الايمان على وجوه منها على طاعة
كقوله والله لاصلين او لاصومن او لاحجن او لا تصدقن ونحوها فان كان فرضا عليه فالواجب
ان لا يحنث فان حنث فعليه الكفارة لانه كان فرضا عليه وزاده تاكيدا باليمين وان كان تطوعا
ففيه قولان احدهما ان عليه الكفارة بالحنث فيه وثانيهما ان عليه الوفاء بما قال لا يجزيه غيره
ومنها ان يحلف على معصية وقد سبق ومنها ان يحلف على امر مباح فهو على ضربين ماض
ومستقبل فاليمين على المستقبل مثل ان يقول والله لا افعلن كذا فعليه الكفارة بالحنث فيه
بلا خلاف واليمين على الماضي مثل ان يقول والله لقد كان كذا ولم يكن كذا وقد كان بخلافه
وهو عالم به فهو اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الاثم لانه تعمد الكذب وتلزمه الكفارة
عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا تلزمه الكفارة واحتج الشافعي على وجوب الكفارة في اليمين الغموس
فان الله تعالى ذكرها هنا ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وعقد اليمين يحتمل لان يكون المراد
منه عقد القلب ولان يكون المراد به العقد الذي يضاده الحل فلما ذكرها هنا قوله بما كسبت
قلوبكم علم ان المراد من ذلك العقد هو عقد القلب وذكر المؤاخذة ها هنا ولم يبين ان تلك
المؤاخذة ما هي وبينها في المائدة بقوله فكفارته ان المؤاخذة هي الكفارة وكل من الايتين مجملة من
وجه ومبينة من وجه اخر فصار كل منهما مفسرا للاخرى وحصل من كل واحدة منهما ان كل يمين
ذكر على سبيل الجد وربط القلب فهو كفارة واجبة فيها ويمين الغموس كذلك وكانت الكفارة
واجبة فيها ثم اليمين في الشريعة تحقيق ما يمكن خلافه بذكر اسم الله او صفة من صفاته
وانما ينعقد بذكر ما لا يطلق الا على الله تعالى كالله والرحمن ورب العالمين والحي الذي لا
يموت والخالق والرب مجردا او بما يطلق عليه وعلى غيره بالنية كالحي والعالم والرحيم والموجود
وبصفاته ان لم ينو مجازا كقدرة الله تعالى وعلمه وعظمته وكلامه ونحوها او بكنايات اليمين كقوله
ايم الله وحق الله ولعمر الله فهذه تعتبر فيها النية فان نوى اليمين فذاك وان قال لم ارد به
اليمين قبلنا واما الحلف بغير الله مثل ان يقول والكعبة والصلوة واللوح والعلم وحق
محمد وابي وحياتي وحياة فلان ورأس فلان ونحوها فهذا ليس بيمين ولا يلزم الكفارة
بالحنث فيه وهو يمين مكروه قال الشافعي واخشى ان تكون معصية عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال كانت قريش تحلف بابايها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله
ولا تحلفوا بابايكم وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله ولا تحلفوا
بابايكم وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر يقول وابي فنهاه عن ذلك فقال عمر ما حلفت
ذاكرا ولا اثرا قوله تعالى للذين يؤلون من نسايهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان
الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم الايلا الحلف يقال الى يولي ايلاء

والاسم الالية قال الشاعر على الية وصيام شهر امسك طائعا الا لكني هذا بحسب اصل اللغة وفي
عرف اللغة اليمين على ترك الوطي كما اذا قال والله لا اجامعك ولا اباضعك ولا اقربك قال قتادة
كان الايلا طلاق اهل الجاهلية كان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها
ابدا فكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المراة وكانوا يفعلون ذلك
في الجاهلية وفي الاسلام فازال الله ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتامل فان راى المصلحة
في ترك هذه المضارة فعلها وان راى المصلحة في المفارقة عن المراة فارقها فجعل الاجل الذي
يعلم به ما عند الرجل في المراة اربعة اشهر وانزل الله سبحانه للذين يولون والايلا بحسب حلف الرجل
على الامتناع من وطي المنكوحة فوق اربعة اشهر او مطلقا قوله من نسايهم فيه سوال وهو
ان يتعدى بعلى يقال الى على كذا فكيف عدي بمن والجواب عنه من وجهين احدهما انه قد
ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسايهم مولين وثانيهما ان يراد
لهم من نسايهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا فيتعلق بقوله لهم وقوله تربص مبتدا
خبره للذين يولون ومن يتعلق بالجار والمجرور لا بالصلة اي للذين يولون تربص اربعة اشهر
حاصل لهم من نسايهم ومن الابتدا او فولهم عبارة عن قوله للذين يولون وضع الضمير موضع الموصول
مع صلته ليظهر تعلق من بالجار والمجرور واختلفوا في مدة الايلا فعن ابن عباس انه لا يكون موليا
حتى يحلف انه لا يطا ابدا وعن الحسن البصري ان اي مدة حلف عليها كان موليا وان كانت يوما
وذهب ابو حنيفة والثوري انه لا يكون موليا حتى تكون المدة اربعة اشهر وصاعدا وذهب
الشافعي انه لا يكون موليا حتى تزيد المدة على اربعة اشهر وحكم ذلك انه اذا فا اليها في المدة بالوطي ان
امكنه او بالقول ان عجز حنث ولزمته كفارة اليمين وان مضت بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند
الشافعي لا يصح الايلا الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولى فاما ان يفي واما ان يطلق وان ابى طلق
عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاوا في الاشهر حجة الشافعي ان الفا في قوله فان فاوا فان الله غفور
رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم تقتضي كون هذين الحكمين مشروعين متاخرين عن انقضا الاربعة
الاشهر لا يقال لا نسلم ان الفا في قوله فان فاوا تقتضي كون هذين الحكمين متاخرين عن انقضا الاربعة
الاشهر وذلك لان قوله فان فاوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يولون من نسايهم والتفصيل يعقب
المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اي وجدتكم محمودا اقمت عندكم الى اخر
والا لم اقم الا ريثما اتحول لانا نقول هذا ضعيف لان قوله للذين يولون من نسايهم تربص اربعة
اشهر اشارة الى حكمين احدهما صدور الايلا عنهم والثاني وجوب تربص هذه المدة على النسوان
والفا في قوله فان فاوا ورد عقيب ذكرهما معا فلا بد وان يكون هذا الحكم مشروعا عقيب
الامرين الايلا والتربص في هذه المدة بخلاف ما ذكرتم وهو انا نزيلكم هذا الشهر لان الفا هنالك
صارت مذكورة عقيب شي واحد وهو النزول وقال الشافعي ان قوله وان عزموا الطلاق
صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج لا بمضي المدة لا يقال الايلا طلاق في نفسه
فالمراد من قوله وان عزموا الطلاق الايلا لانا نقول هذا بعيد لان قوله وان عزموا الطلاق
معناه وان عزم الذين يولون من نسايهم فجعل المولى عازما وهذا يقتضي ان يكون الايلا
والعزم قد اجتمعا واما الطلاق فهو متعلق العزم متاخر عن العزم والايلا مقارن للعزم
او متقدم عليه ولا يكون الطلاق هو الايلا حجة ابي حنيفة قراة ابن مسعود فان فاوا فيهن
والجواب ان القراة الشاذة ليست بحجة اما قوله فان فاوا اي فان رجعوا والفي لغة رجوع

الى

الشي الى ما كان عليه من قبل ولهذا قيل لما تنسخه الشمس من الظل ثم يعود فيا وفرق اهل
العربية بين الفي والظل فقالوا الفي ما كان بالعشي لانه الذي نسخته الشمس والظل ما كان بالغداة
لانه لم تنسخه الشمس وفي الجنة ظل وليس فيها في لانه لا شمس فيها قال الله تعالى وظل ممدود فقوله
فان فاوا اي فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور للمولين ما عسى يقدمون عليه
من طلب ضرر النسا بالايلا وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد
من الغيل رحيم لهم لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة اما قوله وان عزموا الطلاق العزم
عقد القلب على الشي يقال عزم الشي يعزم عزما والطلاق مصدر طلقت المراة ومعناه حل
عقد النكاح بما يكون حلا في الشرع فان الله سميع لما قاله المطلق عليم بما في قلبه قال صاحب الكشاف
فان قلت عزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا
يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا
الله كما يسمع وسوسة الشيطان هذا ما يتعلق بتفسير الاية واما الاحكام فكثيرة ونذكر هاهنا بعض ما
يستخرج به من الاحكام كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه معتبرا في الشرع فانه يصح منه الايلا
وهذا القيد معتبر طردا وعكسا اما الطرد فهو ان كل ما كان كذلك صح ايلاوه ويتفرع عليه احكام
الاول يصح ايلا الذمي وهو قول ابي حنيفة والدليل عليه ان قوله تعالى للذين يولون من
نسايهم عام يتناول الكافر والمسلم وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاوه بالله ويصح بالطلاق
والعتاق الثاني قال الشافعي مدة الايلا لا تختلف بالحر والرق سوا كان الزوجان حرين
او رقيقين او احدهما حرا والاخر رقيقا وعند مالك يتنصف بالرق الا ان ابا حنيفة
قال يتنصف برق المراة وقال مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق حجة الشافعي عموم قوله
تعالى للذين يولون والتخصيص خلاف الظاهر وان تقدير المدة انما كان لاجل معنى يرجع الى
الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة
الرضاع ومدة العنة ويصح الايلا عن المراة سوا كانت في صلب النكاح او كانت مطلقة طلقة رجعية
فان الرجعية يصح وقوع الطلاق عليها لانها من نسايه ولهذا لو قال نسايي طوالق وقع الطلاق عليها واما
العكس وهو ان ما لا يتصور منه الجماع فلا يصح ايلاوه وفيه حكمان الاول ايلا الخصي صحيح
لانه يجامع كما يجامع الفحل انما المفقود في حقه الانزال ولا انزال له ولانه داخل تحت
عموم الاية الثاني المجبوب ان بقي منه ما يمكنه ان يجامع به صح ايلاوه وان لم يبق فيه قولان
احدهما لا يصح وهو قول ابي حنيفة والثاني يصح لان قصد المضارة باليمين قد حصل منه
ولعموم الاية والقيد الثاني ان يكون زوجا فلو قال لاجنبية والله لا اجامعك ثم نكحها لم يكن
موليا لان قوله تعالى للذين يولون من نسايهم يفيد ان هذا الحكم لهم لا لغيرهم اما المحلوف
به والحلف اما ان يكون بالله او بغيره فان كان بالله كان موليا ثم ان جامعها في مدة الايلا
خرج عن الايلا وهل يجب عليه كفارة اليمين فيه قولان الجديد وهو الاصح وقول ابي حنيفة
انه يجب عليه كفارة اليمين والقديم انه اذا فا بعد مضي المدة او في اثنايها فلا كفارة عليه
حجة الجديد ان الدلايل الموجبة للكفارة عند الحنث في اليمين بالله عامة واي فرق بين ان
يقول والله لا اكلمها ثم يكلمها حجة القديم قوله فان فاوا فان الله غفور رحيم والاستدلال
به من وجهين احدهما ان الكفارة لو كانت واجبة لذكرها الله هاهنا لان الحاجة هاهنا
ماسة الى معرفتها وتاخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز والثاني انه تعالى لما لم يذكر وجوب
الكفارة نبه على سقوطها بقوله فان الله غفور رحيم والغفران يوجب ترك المواخذة

والجواب انه لم يذكر الكفارة هاهنا لانه بينها في القران على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ساير المواضع وقوله غفور رحيم يدل على عدم العقاب لكن عدم العقاب لا ينافي وجوب
الفعل كما ان التايب عن الزنا والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما
ان كان الحلف في الايلا بغير الله كما اذا قال ان وطيتك فعبدي حر او انت طالق او ضرتك طالق او
الزم امرا في الذمة فقال ان وطيتك فلله علي عتق رقبة او صدقة او صوم او حج او صلوة فهل
يكون موليا للشافعي فيه قولان القديم لا يكون موليا وبه قال احمد في ظاهر الرواية ودليله ان
الايلا معهود الجاهلية وثبت ان معهود الجاهلية في هذا الباب هو الحلف بالله وايضا روي انه
صلى الله عليه وسلم قال من حلف فليحلف بالله فمطلق الحلف يفهم منه الحلف بالله والجديد وهو قول ابي حنيفة
ومالك وجماعة العلما انه يكون موليا لان لفظ الايلا يتناول الكل وعلى القولين فيمينه منعقدة فان كان
قد علق به عتقا او طلاقا فاذا وطيها يقع ذلك المعلق وان كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما
في نذر اللجاج وفيه اقوال اصحها ان عليه كفارة اليمين والثاني ان عليه الوفا بما سمى والثالث انه
يتخير بين كفارة اليمين وبين الوفا بما سمى وفايدة هذين القولين انا ان قلنا انه يكون موليا فبعد مضي
اربعة اشهر يضيق الامر عليه حتى يفي او يطلق وان قلنا لا يكون موليا لا يضيق عليه الامر قوله
تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن
يومن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ذكر الله تعالى للطلاق احكاما اولها هذه وجوب العدة
واراد بالمطلقات المدخول بهن من ذوات الاقرا قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جازت ارادتهن
خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجا لاحد ما يصلح له
كالاسم المشترك بيانه ان المطلقات للمطلقات المدخول بهن وللمطلقات اللاتي لم يدخل بهن وللمطلقات
ذوات الاقرا وللمطلقات ذوات الاشهر وللمطلقات الحوامل وما يمتاز بسبب كل واحد من تلك الجموع
عن الاخرى بمنزلة المشخصات المميزة للافراد فنسبة المطلقات الى هذه الجموع كنسبة الانسان الى زيد وبكر
وعمرو وخالد فكما ان الانسان بالنسبة الى افراده وكذا المطلقات بالنسبة الى هذه الجموع وهذا
لا ينافي كون المطلقات عاما فان عمومها باعتبار اخر وهو النظر الى كل واحد واحد من الافراد التي يصدق
عليها انها مطلقة لهذه المطلقة المدخول بها وتلك المطلقة المدخول بها فالمطلقات بالنظر الى كل واحدة
من مطلقة مطلقة عام وباعتبار الجمعية المشتركة بين الجموع مطلقة قال الامام واعلم ان المطلقة
هي المراة التي اوقع الطلاق عليها وهي اما ان يكون اجنبية او منكوحة فان كانت اجنبية فاذا اوقع
الطلاق عليها فهي مطلقة بحسب اللغة لكنها غير مطلقة بحسب عرف الشرع والعدة غير واجبة عليها
بالاجماع واما المنكوحة فان لم يكن مدخولا بها فلا يجب عليها العدة لقوله ثم طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وان كانت مدخولا بها فان كانت حاملا فعدتها بوضع
الحمل لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان لم يكن حاملا فاذا امتنع الحيض في
حقها اما لصغر مفرط او لكبر مفرط كانت عدتها بالاشهر لقوله تعالى واللاي يئسن من المحيض من نسايكم
وان لم يمتنع الحيض في حقها فان كانت رقيقة كانت عدتها بقرئين وان كانت حرة كانت ثلاثة اقرا
على ما بين الله في هذه الاية فان قيل العام انما يحسن تخصيصه اذا كان الباقي بعد التخصيص اكثر من
حيث انه جرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب وهذه الاية ليست كذلك فان المخرج خمسة اقسام
والباقي قسم واحد اجيب بان الاجنبية غير داخلة في المطلقات بحسب الشرع وعرف الشرع
مقدم على عرف اللغة ولا نسلم ان الاربعة المخرجة اكثر من القسم الثاني فانه يجوز ان يكون قسم واحد

اكثر

اكثر بحسب كثرة افراده من اقسام كثيرة باعتبار قلة افرادها قوله يتربصن اي ينتظرن ولا يتزوجن
وهو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صيغة الخبر تاكيد للامر واشعار
بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله وكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم
في الدعا رحمك الله اخرج في صورة الخبر تاكيد الامر واشعارا بثقة للاجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها
وبناوه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فالبنا على المبتدا
يفيد التاكيد بل التخصيص ايضا والباقي بانفسهن للتعدية والفايدة في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص
وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن فان انفس النسا طوامح اي نواظر الى الرجال
فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقرو جمع قرء او قرو وهي جمع
الكثرة وجمع القلة اقرا قال صاحب الكشاف فان قلت لم جا المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي
الاقرا قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الاخر لاشتراكهما في
الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع
قرء من الاقرا فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع
وثلثة منصوب على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلا اي يتربص ثلثة قروء وقال صاحب
الكواشي نصب ثلثة ظرف وكذا كل عدد مضاف الى زمان او مكان والقرو يقع على الحيض والطهر
قال ابو عبيدة القرو من الاضداد في كلام العرب المشهور انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض
جميعا وقال الاخرون انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر ومنهم من عكس الامر ومنهم من قال انه موضوع
بحسب معنى واحد مشترك بين الحيض والطهر والقايلون بهذا القول اختلفوا على ثلثة
اقوال الاول ان القرو هو الاجتماع في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع
الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفرا والكسائي والثاني انه عبارة عن الانتقال
من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيدة والثالث ان القرء هو الوقت يقال اقرات النجوم اذا طلعت
واقرات اذا افلت ويقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها وانشد والهذلي اذا هبت
لقاريها الرياح واذا ثبت ان القرء هو الوقت دخل فيه الحيض والطهر لان لكل واحد منهما وقتا معينا
واعلم ان الله تعالى امر المطلقة ان تعتد بثلثة اقرا والظاهر يقتضي انها اذا اعتدت بثلثة اشيا
تسمى ثلثة اقرا ان تخرج عن عهدة التكليف الا ان العلما اجمعوا على انه لا يكفي ذلك بل عليها
ان تعتد بثلثة اقرا من احد الجنسين واختلفوا فيه فمذهب الشافعي رضي الله عنه انها الاطهار
روي ذلك عن ابن عمر رضي الله عنه وزيد وعايشة ومالك واهل المدينة وربيعة واحمد
في رواية ومذهب ابي حنيفة رحمه الله انها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابي
موسى الاشعري ومجاهد ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري واهل الكوفة وفايدة
الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعنده اطول حتى لو طلقها في حال الطهر او سن
الحيضة تحسب بقية الطهر قروا وان حاضت في الحال فاذا شرعت في الحيضة
الرابعة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق
في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضا عدتها
ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض
عدتها حتى تغتسل او تتيمم حجة الشافعي وجوه الاول قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
اي في وقت عدتهن قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة اي في يوم القيامة
واقم الصلوة لدلوك الشمس اي وقت دلوكها وهذا الوقت لا ينبغي ان يكون وقت

وقت الحيض لانه الطلاق فيه منهي عنه لما روينا في صحيحي البخاري ومسلم والموطا وسنن ابي داود
والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنه انه طلق امراته وهي حايض فذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بدا له
ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا اجاب صاحب
الكشاف عنه فقال معنى الايه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر
تريد مستقبلات لثلث وعدتهن الحيض الثلاث والحاصل ان المعنى مستقبلات لحيضهن واستقبال
الحيض انما يتحقق اذا كانت في الطهر قال الامام هذا الكلام يقوي استدلال الشافعي رضي الله
لان قول القايل لثلاث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلاث عقيبه فكذا هاهنا
معناه فطلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الاذن بالتطليق حاصلا في جميع
زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة تقريره ان العدة عبارة
عن الزمان الذي تتربص فيه المراه بعد الفراق وله مبدا او منتهى ومبداه عقيب حصول الفراق
سوا كان طهرا او حيضا وتعينه بدليل خارجي بدليل ان ابن عمر رضي الله عنهما لم يفهم من
الاية المراد حتى بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فتلك العدة التي امر الله الثاني
ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت هل تدرون الاقرا الاطهار قال الشافعي رضي
الله عنه والنسا بهذا اعلم لان هذا انما يبتلى به النسا الثالث القرء عبارة عن الجمع
يقال ما قرات الناقة سلا قط اي ما جمعت في رحمها ولدا قط ومن قولهم ومن قولهم قرات
القران اي تلفظت به وسمي القران قرانا لاجتماع حروفه وكلماته او لاجتماع العلوم الكثيرة فيه
وقرا القاري اي جمع الحروف بعضها الى بعض ومنه قول عمرو بن كلثوم هجان اللون لم
تقرا جنينا وقال الاخفش يقال ما قرات حيضة اي ما ضمت رحمها على حيضة وسمي الحوض مقراة
لانه يجتمع فيه الما واقرات النجوم اذا اجتمعت للغروب اذا ثبت هذا فنقول وقت اجتماع
الدم انما هو زمان الطهر لان الدم يجتمع في ذلك الزمان في البدن فان قيل لم لا يجوز ان يقال
في زمان الحيض اولى بهذا الاسم لان الدم في هذا الزمان يجتمع في الرحم قلنا الدم لا يجتمع
في الرحم البته بل ينفصل قطرة قطرة اما وقت الطهر فالكل يجتمع في البدن فكان الاجتماع وقت الطهر
اتم وتمام التقرير فيه ان اسم القرء لما دل على الاجتماع فاكمل احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم
اخر الطهر اذا لم تنتقل تلك المغايص لما سال الى الخارج فمن اول الطهر ياخذ في الاجتماع والازدياد
الى الحين والاخر هو حال كمال الاجتماع فكان اخر الطهر هو القرء في الحقيقة الرابع ان
الاصل ان لا يكون لاحد على احد من العقلا المكلفين حق الحبس والمنع من التصرفات تركنا
العمل به عند قيام الدليل وهو اقل ما يسمى بالاقرا الثلاثه وهي الاطهار لان الاعتداد بالاطهار
اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فاثبتنا الاقل ضرورة للعمل بهذه الايه وطرحنا الاكثر وفاء
بالدلايل الداله على ان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره قدرة الحبس والمنع الخامس ان ظاهر
قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء تقتضي انها اذا اعتدت بثلثة
اشيا تسمى اقرا ان تخرج عن العهدة وكل واحد من الطهر والحيض يسمى بهذا الاسم
فوجب ان تخرج المراه عن العهدة وكل واحد من الطهر والحيض يسمى بهذا الاسم فوجب
ان تخرج المراه عن العهدة بايهما كان على سبيل التخيير الا انا بينا ان مدة العدة بالاطهار
اقل من مدة العدة بالحيض فعلى هذا القول المراة مخيرة بين ان تعتد بالمدة الناقصة
او بالمدة الزايدة واذا كان كذلك كانت متمكنة من ان تترك القدر الزايد لا الى بدل

وكلا

وكلما كان كذلك لم يكن واجبا فاذا الاعتداد بالقدر الزايد على مدة الاطهار غير واجب
وذلك يقتضي ان لا يكون الاعتداد بهذه الحيضة واجبا عند ابي حنيفة من وجوه الاول ان
الاقرا في اللغة وان كانت مشتركة بين الاطهار والحيض الا انه في الشرع غلب استعمالها في الحيض بدليل
قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرايك الثاني قوله صلى الله عليه وسلم طلاق
الامه تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران واجمعوا على ان عدة الامة نصف عدة الحرة
فوجب ان تكون عدة الحرة هي الحيض الثالث انه تعالى نقل الى الشهور عند عدم الحيض
فقال واللاي يئسن من المحيض من نسايكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض
دون الاطهار وايضا لما كانت الاشهر شرعت بدلا عن الاقرا والبدل يعتبر بتمامه فان الاشهر
لا بد من اتمامها وجب ايضا ان يكون الكمال معتبرا في المبدل فلا بد وان تكون القروء كاملة
والقروء الكاملة هي الحيض اما الاطهار فالواجب فيها قرءان وبعض الرابع اجمعنا على ان
الاستبرا في شرى الجواري يكون بالحيضة فكذا العدة تكون بالحيض لان المقصود من الاستبرا
والعدة استبرا الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر الخامس ان القول
بان القرء هو الحيض احتياطا وتغليب لجانب الحرمه لان المطلقه اذا مر عليها بقية الطهر وطعنت
في الحيضه الثالثه فان جعلنا القرء هو الحيض فحينئذ يحرم للغير التزوج بها وان جعلنا القرء طهرا
فحينئذ يحل للغير التزوج بها وجانب التحريم اولى بالرعاية لقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع الحلال
والحرام الا وغلب الحرام الحلال ولان الاصل في الابضاع الحرمه ولان هذا اقرب الى الاحتياط
فكان اولى لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك السادس ان القول بالاقرا حيض
يمكنه معه استيفا ثلاثة اقرا بكمالها لان هذا القايل يقول ان المطلقه يلزمها تربص ثلثه
حيض وانما تخرج عن العهده بزوال الحيضه الثالثه ومن قال انه طهر يجعلها خارجه من
العده بقرءين وبعض الثالث لان عدة المطلق اذا طلقها في اخر الطهر يكون ذلك قرا فاذا كان في احد
القولين يكمل الاقرا الثلاثه دون القول الاخر كان القول الاول اليق بالظاهر اجاب
الشافعي رضي الله عنه عن ذلك بان قال قال الله تعالى الحج اشهر معلومات والاشهر جمع واقله
ثلثه ثم انا حملنا الايه على شهرين وبعض الثالث وذلك شوال وذو القعده وبعض ذي الحجه فكذا
ههنا جاز ان نحمل هذه الثلاثه على طهرين وبعض طهر اجاب الجبائي من شيوخ المعتزله عن هذا
الجواب من وجهين الاول انا تركنا الظاهر في تلك الايه لدليل فلم يلزمنا ان نترك الظاهر هنا
من غير دليل الثاني ان في العدة تربصا متصلا فلا بد من استيفا الثلاثه ولا كذلك اشهر الحج لانه ليس فيها
فعل متصل فكانه قيل هذه الاشهر وقت الحج لا على سبيل الاستغراق واجاب المتاخرون
من اصحابنا عن هذه الحجه من وجهين الاول كما ان حمل القرء على الاطهار يوجب النقصان عن الثلثه
فحمله على الحيض يوجب الزياده لانه اذا طلقها في اثنا الطهر كان ما بقي من الطهر غير محسوب
من العدة فتحصل الزياده وعذرهم عنه ان هذه الزياده لا بد من تحملها لاجل الضرورة لانه لو جاز
الطلاق في الحيض لامرناه بالطلاق في اخر الحيض حتى تعتد باطهار كامله واذا اختص الطلاق
بالطهر كانت تلك الزياده متحمله بالضرورة فنحن ايضا نقول لما صارت الاقرا مفسره بالاطهار
والله تعالى امرنا بالطلاق في الطهر صار تقدير الايه يتربصن بانفسهن ثلثة اطهار طهر الطلاق
وطهران اخران ثم لزم من كون الطهر الاول طهرا للطلاق ان يكون ذلك الطهر ناقصا ليعقل
وقوع الطلاق فيه والثاني انا بينا ان القرء اسم للاجتماع وكان الاجتماع انما يحصل في اخر الطهر
وكان في الحقيقه الجزء الاخير من الطهر اسما تاما وعلى هذا التقدير لم يلزم دخول النقصان في

سبى من الغرقال الامام واعلم انه عند تعارض هذه الوجوه تضعف الترجيحات ويكون حكم
الله في حق كل احد ما ادى اليه اجتهاده قوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن اعلم
ان انقضا العدة لما كان مبنيا على انقضا القرء في حق ذوات الاقرا وعلى وضع الحمل في حق الحامل
وكان الوصول الى ذلك العلم للرجال متعذرا جعلت المراة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت
انقضا قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو على مذهب الشافعي اثنان وثلثون يوما ولحظتان لحظة
للطهر الاول ولحظة للشروع في الحيض وثلثون يوما للطهرين الباقيين ويومين للحيضتين المتخللتين
بين الطهر الاول والثاني وبين الطهر الثاني والثالث لانه يحتمل انها طلقت في اخر الطهر فحاضت بعد
لحظة يوما وليلة وهو اقل مدة الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما وهو اقل الطهر ثم حاضت يوما
وليلة ثم طهرت خمسة عشر يوما ثم حاضت فقد انقضت عدتها بحصول ثلثة اطهار فمتى ادعت هذا
او اكثر من هذا قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا وادعت انها اسقطت كان القول قولها لانها على
اصل امانتها وللمفسرين في قوله تعالى ما خلق الله في ارحامهن ثلثة اقوال الاول انه الحمل
والحيض معا وذلك لان للمراة اغراضا في كتمانها اما كتمان الحمل فلان انقضا عدتها بالقرا اقل زمانا
من انقضا عدتها بوضع الحمل فاذا كتمت الحبل قصرت عدتها فتتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة
الزوج وربما احبت التزوج بزوج اخر او احبت ان يلحق ولدها بالزوج الثاني فلهذه الاغراض
تكتم الحمل واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المراة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقرا فقد تحب تطويل عدتها
لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب قصر عدتها لتبطل رجعته ولا يتم لها ذلك الا بكتمان بعض الحيض
في بعض الاوقات لانها اذا حاضت اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها
فقد طولت العدة واذا كتمت الحيض واظهرت الطهر فقد قطعت حق الرجعة على زوجها فقد ثبت انه
كان لها غرضا في كتمان الحمل فكذلك في كتمان الحيض فوجب حمل النهي على مجموع الامرين القول الثاني
ان المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا ولان الحيض خارج
عن الرحم لا مخلوق في الرحم ولان حمل قوله تعالى ما خلق الله في ارحامهن على الولد الذي هو جوهر شريف
اولى من حمله على الحيض الذي هو شي في غاية الخساسة والقذارة وهذه الوجوه ضعيفة لان المقصود
منع المراة عن اخفا هذه الاحوال التي لا اطلاع لغيرها عليها وبسببها تختلف احوال الحل والحرمة في النكاح
فوجب حمل اللفظ على الكل والقول الثالث ان المراد منه النهي عن كتمان الحيض لان هذه الايه
وردت عقيب ذكر الاقرا ولم يتقدم ذكر الحبل وهذا ايضا ضعيف لان قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن كلام مستانف بنفسه من غير ان يرد الى ما تقدم فيجب حمله على كل ما يخلق في
الرحم ان كن يومن بالله واليوم الاخر ليس المراد ان ذلك النهي مشروط بكونها مومنة بل تعظيم لفعلهن
وان من آمن بالله وبعقابه لا يجتري على مثله من العظايم قوله وبعولتهن احق بردهن البعول
جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة وبعولتهن اي ازواجهن ويجوز ان يراد
بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن يقال تبعلت المراة اذا تزوجت
ومنه قيل للجماع بعال وانما سمي الزوج بعلا لقيامه بامور زوجته واصل البعل السيد والمالك
يقال من بعل هذه الناقة كما يقال من ربها وبعل اسم صنم كانوا يتخذونه ربا قال الله تعالى
اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين قوله احق بردهن اي برجعتهن في ذلك اي
في زمان التربص والمعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابت المراة وجب ايثار قوله على قولها
وكان هو احق منها لان له حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن
ولم يريدوا مضارتهن وذلك ان الرجل في الجاهلية كان اذا اراد الاضرار بامراته طلقها

ولم

واحدة وتركها حتى اذا قرب انقضا عدتها راجعها ثم طلقها ثم راجعها ليضرها بذلك فجعل الله الزوج
احق بالرجعة على وجه الاصلاح لا على وجه الاضرار فان قيل ما معنى الرد في المطلقة الرجعية وهي ما
دامت في العدة كانت زوجته كما كانت فالجواب ان الرد يتضمن ابطال التربص والتحري في العدة فهي
ما دامت في العدة كانها كانت جارية الى ابطال حق الزوج وبالرد يبطل ذلك لا جرم سميت الرجعة ردا
لا سيما مذهب الشافعي رضي الله عنه انه يحرم الاستمتاع بها الا بعد الرجعة ففي الرد على مذهب
الشافعي معنيان احدهما ردها من التربص الى خلافه الثاني ردها من الحرمة الى الحل وفايدة
قوله في ذلك ان حق الرد انما ثبت في الوقت الذي هو وقت التربص فاذا انقضى ذلك الوقت فقد بطل
حق الرد والرجعة فان قيل كلمة ان للشرط والشرط يستدعي انتفا المشروط عند انتفايه فيلزم اذا لم
يوجد ارادة الاصلاح ان لا يثبت حق الرجعة والجواب ان الارادة صفة باطنة لا اطلاع
لنا عليها فالشرع لم يوقف صحة المراجعة عليها بل جوازها فيما بينه وبين الله تعالى موقوف على
هذه الارادة حتى انه لو راجعها على قصد المضارة استحق الاثم قوله ولهن مثل الذي عليهن لما بين
انه يجب ان يكون المقصود من المراجعة اصلاح حالها لا ايصال الضرر اليها بين ان لكل واحد من
الزوجين حقا على الاخر ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكر في الشرع وعادات الناس ولا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد
الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل ولا يجب عليه
اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابلها بما يليق بالرجال روي ان امراة معاذ قالت
يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال ان لا يضرب وجهها ولا يقبحها وان يطعمها مما ياكل ويلبسها
مما يلبس ولا يهجرها عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فانهن عندكم
عوار لا يملكن لانفسهن شيا وانما اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عن ميمونة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار الرجال من امتي خيرهم
لنسايه وخير النسا من امتي خيرهن لازواجهن يكتب لكل امراة منهن كل يوم وليلة اجر الف شهيد قتلوا
في سبيل الله صابرين محتسبين ولفضل احداهن على الحور العين كفضل محمد صلى الله عليه وسلم على ادنى
رجل منكم وخير النسا من امتي من تاتي مسرة زوجها في كل شي يهواه ما خلا معصية الله وخير الرجال
امتي من تلطف باهله لطف الوالدة بولدها يكتب لكل رجل منهم في كل يوم وليلة اجر مائة شهيد قتلوا
في سبيل الله صابرين محتسبين فقال عمر رضي الله عنه وكيف يكون للمراة اجر الف شهيد وللرجل اجر مائة
شهيد قال اوما علمت ان المراة اعظم اجرا من الرجال وافضل ثوابا وان الله تعالى ليرفع للرجل في الجنة
درجات برضى زوجته عنه في الدنيا ودعايها له اوما علمت ان اعظم وزر بعد الشرك بالله المراة اذا
عصت زوجها الا فاتقوا الله في الضعيفين فان الله يسالكم عنهما اليتيم والمراة فمن احسن اليهما فقد
بلغ طاعة الله ورضوانه ومن اسا اليهما فقد استوجب من الله سخطه حق الزوج على المراة كحقي عليكم
فمن ضيع حقي فقد ضيع حق الله ومن ضيع حق الله فقد باء بسخط من الله وماواه جهنم وبيس المصير
قوله وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة والدرجة المنزلة واصلها من درجت الشي ادرجه
درجا اذا طويته ودرج القوم قرنا بعد قرن اي فنوا ومعناه انهم طووا اعمارهم شيا فشيا والمدرجة
قارعة الطريق لانها تطوى منزلا بعد منزل والدرجة المنزلة من منازل الطي ومنها الدرجة التي يرتقى
فيها قيل للرجل الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها وسوق المهر اليها وقيل بالعقل وقيل
بالميراث وقيل بالدية وقيل بالجهاد وقيل بصلاحيته للامامة والقضا والشهادة وله ان يتزوج
عليها وان يتسرى عليها وليس لها ان تفعل ذلك مع الزوج وله القدرة على تطليقها وعلى مراجعتها شات

المراة او ابن بخلاف المراة وان نصيب الرجل في سهام الغنيمه الزم نصيبها والله عزيز غالب لا يمنع حكيم بصيب
في احكامه وافعاله لا يتطرق اليهما احتمال العبث والسفه والغلط والباطل **قوله تعالى** الطلاق
مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا الا ان يخافا ان لا
يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا
تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم عن
عايشه رضي الله عنها ان امراة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها ويسترجعها مضارا بها بذلك وكان الرجل
في الجاهليه اذا طلق امراته ثم راجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مره لم يكن للطلاق
عندهم حد فذكرت عايشه ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق
ثلثا فهذه الايه ليست كلاما مبتدا بل هي متعلقه بما قبلها فانه تعالى بين في الايه التي قبلها ان حق الرجعه ثابت
للزوج ولم يذكر ان ذلك ثابت دايما او الى غايه معينه فكان ذلك كالمجمل المفتقر الى المبين او كالعام المفتقر
الى المخصص فبين في هذه الايه ان ذلك الطلاق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعه هو ان يوجد طلقتان
واما بعد الطلقتين فلا يثبت البته حق الرجعه بان يطلقها ثم يراجعها فبعد الطلقتين فامساك بمعروف ببقا الطلقه
الثالثه او تسريح باحسان بعدها ولا يضارها فان طلقها واحده او اثنتين فهو املك لرجعتها مادامت في العده
فان انقضت العده فهي احق بنفسها وجاز ان يراجعها عن تراض منهما بنكاح فان طلقها الثالثه بانت منه بينونه
كبرى وكانت احق بنفسها ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والالف واللام في قوله الطلاق للمعهود السابق
يعني بعد ذلك الطلاق الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعه فيه هو ان يوجد طلقتان وانما قال مرتان ولم يقل
طلقتان تنبيها على ان الاولى ان يطلق مرتين لا دفعه واحده والواجب ان يطلق مرتين على اختلاف
القولين ولما كان الاهم بيان عدم المراجعه دايما التي عليها اهل الجاهليه وبيان الحق الذي يبقى
اليه حق الرجعه للزوج صرح بذلك ونبه على الحكم الاخر روي ان سايلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين الثالثه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او تسريح باحسان والامساك خلاف الطلاق والتسريح
الارسال وتسريح الشعر تخليصه بعضه من بعض وسرح الماشيه سرحا اذا ارسلها لترعى قوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان اما مبتدا محذوف الخبر اي فعليه امساك بمعروف وعليه تسريح باحسان فتقدير
الايه ذلك الطلاق الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعه للزوج هو ان يوجد مرتين ثم بعد المرتين اما
امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعنى الامساك بالمعروف هو ان يراجعها لا على قصد المضاره بل على
قصد الاصلاح والانتفاع ومعنى تسريح باحسان هو الطلقه الثالثه اي يطلقها ولا يظلمها ولا ينقص
من حقها شيا وقيل معنى تسريح باحسان اي يترك المراجعه حتى تبين بانقضا العده قال الامام هذا
الوجه هو الاقرب لوجوه احدها ان الفا في قوله فان طلقها تقتضي وقوع هذه الطلقه متاخره
عن ذلك التسريح ولو كان المراد بالتسريح هو الطلقه الثالثه لكان قوله فان طلقها طلقه رابعه
وانه لا يجوز وهذا البين مستقيم وذلك لان قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان هو تخيير بين
الامساك والتسريح الذي هو التطليق لانه تعيين التطليق حتى يلزم ان يكون قوله فان طلقها طلقه
رابعه والحاصل انه بعد الطلقتين خيره بين الامساك وبين التطليق فان اختار التطليق فلا تحل
له بعد هذا التطليق حتى تنكح زوجا غيره ولا يلزم ان يكون هذا التطليق تطليقه رابعه وانما قال
وان طلقها ولم يقل فان سرحها او لم يقل او تطليق باحسان حتى يعلم ان التسريح ايضا من صرايح
الطلاق **ثانيها** ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الثالثه هي تسريح باحسان وثالثها انا
لو حملنا التسريح على ترك المراجعه كانت الايه متناوله لجميع الاحوال لانه بعد الطلقه الثانيه اما ان
يراجعها وهو المراد بقوله او تسريح باحسان او يطلقها وهو المراد بقوله وان طلقها وكانت الايه

مشتمل

مشتمله على بيان كل الاقسام واما لو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام الثلاثه ولزم التكرير
في ذكر الطلاق وكلام لا طايل له لان ليس المقصود ههنا بيان الاقسام الثلثه بل المقصود بيان انه بعد التطليقتين
مخير بين الامساك الذي هو المراجعه بنكاح او بغير نكاح وبين التطليق وانه اذا اختار التطليق فطلقها
لا يبقى له هذا التخيير بل لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولم يلزم تكرير لما مر وثانيها ان ظاهر التسريح
الارسال والاهمال فحمل اللفظ على ترك المراجعه اولى من حمله على التطليق وهذا ايضا غير مستقيم فان
التسريح وان كان بحسب اصل اللغه الارسال لكن بحسب العرف والشرع التطليق فحمله على المدلول
العرفي والشرعي اولى من حمله على المدلول اللغوي وقيل ان قوله الطلاق مرتان حكم مبتدا ومعناه
ان التطليق الشرعي يجب ان يكون تطليقه بعد تطليقه على التفريق دون الجمع والارسال دفعه واحده
وهذا قول من قال الجمع بين الثلاث حرام قال صاحب الكشاف لم يرد بالمرتين التثنيه ولكن التكرير
لقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كره بعد كره لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير
قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح
باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النسا بحسن العشره والقيام بمواجبهن
وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وهذا عند ابي حنيفه واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث
بدعه والسنه ان لا يوقع عليها الا واحده في طهر لم يجامعها فيه حجته ان لفظ الطلاق يفيد الاستغراق
لان الالف واللام اذا لم يكن للمعهود افاد الاستغراق فصار تقديره كل الطلاق مرتان ومره ثالثه
ولو قال هكذا لافاد ان الطلاق المشروع متفرق لان المرات لا تكون الا بعد تفرق الايقاع وهذا
الكلام وان كان لفظه لفظ الخبر الا ان معناه هو الامر اي طلقوا مرتين يعني دفعتين وانما وقع العدول
عن لفظ الامر الى لفظ الخبر لان التعبير عن الامر بلفظ الخبر يفيد تاكيد معنى الامر فثبت ان هذه الايه
داله على الامر بتفريق الطلقات وعلى التشديد في ذلك الامر والمبالغه فيه ثم القايلون بهذا القول
اختلفوا على قولين الاول وهو اختيار كثير من العلما اهل البيت انه لو طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا
الواحده وهذا القول هو الاقيس لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسده راجحه والقول
الثاني وهو قول ابي حنيفه انه وان كان محرما الا انه يقع نظرا على ان النهي لا يدل على البطلان وهذا
ضعيف لانا اذا حملنا هذا الكلام مبتدا كان قوله الطلاق مرتان يقتضي حصر كل الطلاق في المرتين
وهو باطل بالاجماع لا يقال انه ذكر الطلقه الثالثه وهو قوله او تسريح باحسان فصار تقدير
الايه الطلاق مرتان ومره لانا نقول ان قوله او تسريح باحسان عطف على قوله فامساك بمعروف
وعلى هذا القول تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين الامساك والتخيير وحينيذ لا يفيد الا
التخيير بين الامساك ابدا وبين التسريح ابدا وقد مر ان سبب نزول هذه الايه ان امراة شكت الى
عايشه رضي الله عنها ان زوجها يطلقها ويراجعها ليزا بسبب المضاره وقد اجمعوا على ان سبب النزول
الايه لا يجوز ان يكون خارجا عن عموم الايه وكان تنزيل هذه الايه على هذا المعنى اولى وقيل معناه
الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعه بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعه او تسريح باحسان
اي بان لا يراجعها مراجعه يريد بها تطويل العده عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثه في الطهر
الثالث وقيل الحكمه في اثبات حق الرجعه ان الانسان ما دام يكون مع صاحبه لا يدري انه هل
يشق عليه مفارقته ام لا فاذا فارقه بعد ذلك يظهر فلو جعل الله الطلقه الواحده مانعه من الرجوع
لعظمت المشقه على الانسان بتقدير ان تظهر المحبه بعد المفارقه ثم ان كمال التجربه لا يحصل بالمره الواحده فلا
جرم اثبت تعالى حق المراجعه بعد المفارقه مرتين وعند ذلك قد جرب الانسان نفسه في تلك المفارقه

وعرف حال قلبه في ذلك الباب فان كان الاصلح له تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهذا التدريج والترتيب
يدل على كمال رحمته ورافته قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا في حال الاستبدال والطلاق مما آتيتموهن
شيئا من المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله نزلت هذه الاية في
جميلة بنت عبد الله بن ابي اوفى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها حبا شديدا
فكان بينهما كلام فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يسيء الي ويضربني فقال لها ارجعي الى زوجك
فوالله اني لاكره للمراة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها فرجعت اليه الثانية وبها اثر الضرب
فشكت اليه فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله لا اعيب عليه في دين ولا خلق
ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا
واقصرهم قامة واقبحهم وجها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فقال يا ثابت مالك
ولاهلك قال والذي بعثك بالحق نبيا ما على ظهر الارض احب الي منها غيرك قال لها ما تقولين فكرهت
ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها قالت صدق رسول الله ولكني خشيت ان يهلكني
فاخرجني منه يا رسول الله فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لي فقل لها فلترد ها علي وانا اخلي سبيلها
فقال لها ما تقولين تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم وانا ازيده قال لا حديقته فقط
قالت يا رسول الله مالت احدثك اليوم حديثا نزل عليك خلافه غدا هو من اكرم الناس حبا لزوجته
ولكني ابغضه فلا انا ولا هو فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها فاختلعت منه بها
وهو اول خلع كان في الاسلام فانزل الله تعالى ولا يحل لكم قال صاحب الكشاف فان قلت لمن الخطاب
في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فان
الخطاب فيه للائمة والحكام وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهم ولا بمؤتيهن قلت يجوز الامران
جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القران وغيره وان
يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون
قوله الا ان يخافا اي يعلم الزوجان والخوف يكون بمعنى العلم لان في الخوف طرفا من العلم
لانك تخاف ما تعلم وما لا تعلم لا تخافه كما ان الظن لما كان فيه طرف من العلم جاز ان يكون علما اي خافت
المراة ان لا تقيم حدود الله فيما يلزمها من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها وعصيان
الله تعالى في امر زوجها بغضا له وخاف الزوج اذا لم تطعه امراته ان يتعدى عليها ولا جناح على الرجل
فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر
والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم روي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر
رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ
كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز
منها فان كان منه كره ان ياخذ منها شيئا قرا حمزة بضم الياء والباقون بفتحها قال صاحب الكشاف
وجه قراءة الضم الذي هو البناء للمفعول ابدال ان لا يقيما من الف الضمير الذي هو قائم مقام الفاعل
وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا
ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن وللفقهاء
في الخلع قولان احدهما انه فسخ للعقد لا طلاق وهو قول ابن عباس وقول الشافعي في القديم
بالعراق ثم رجع عنه بمصر وثانيهما ان الخلع تطليقة بائنة وهو قول عثمان بن عفان والقول الجديد من

مذهب

من مذهب الشافعي حجة من قال انه طلاق ان الامة اجمعوا على انه فسخ او طلاق والاول باطل
والا لما صح فالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وانه لو كان فسخا فاذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يجب
عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكر له فثبت ان الخلع طلاق حجة من ادعى انه فسخ
انه قال فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ثم ذكر الطلاق فقال فان طلقها
فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وقد عرفت انه لم يلزم
ان يكون الطلاق اربعا فان قوله تسريح باحسان لم يذكر لان يكون طلاقا بل ذكر ليكون قسما لقوله
فامساك بمعروف ومن حجتهم ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة امراته مع ان
الطلاق في زمن الحيض وفي طهر جامعها فيه حرام فلو كان الخلع طلاقا لكان الواجب على النبي ان يستكشف
الحال في ذلك فلما لم يستكشف بل امر بالخلع مطلقا دل على ان الخلع ليس بطلاق وفيه نظر فانه ليس
كل طلاق في الحالين يكون حراما اختلفوا في الاستثناء في قوله تعالى الا ان يخافا متصل او منفصل
وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسالة فقهية وهي ان اكثر المجتهدين قالوا يجوز الخلع في غير حالة
الخوف والغضب وقال الزهري والنخعي وداود لا يجوز الخلع الا عند الغضب والخوف من ان
لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد وحجتهم ان هذه الاية صريحة
في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من المراة عند طلاقها شيئا ثم استثنى الله حالة مخصوصة فقال الا
ان يخافا فكانت الاية صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الخوف واما جمهور المجتهدين فقالوا الخلع
جائز في غير حالة الخوف والدليل عليه قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان تحصل لنفسها شيئا بازائها بدل كان ذلك في الخلع الذي
تصير بسببه مالكة لنفسها والاستثناء منقطع كما في قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا
خطا لكن ان كان خطا فدية مسلمة الى اهله اختلفوا في القدر الذي يجوز الخلع به فقيل
لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطى حتى يكون الفضل له واكثر الفقهاء جوزوا المخالعة بالازيد
والمساوي والاقل حجة الاول قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم قال
بعد ذلك ولا جناح عليهما فيما افتدت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها واذا كان
كذلك لم يدخل فيما اباحه الله تعالى الا قدر ما آتاها من المهر وما روي ان ثابتا لما طلب
من جميلة ان ترد عليه حديقته قالت جميلة وازيد فقال عليه الصلاة والسلام لا حديقته
فقط والقياس فانه استباح بضعها فلو اخذ منها ازيد مما دفع اليها لكان ذلك اجحافا
بجانب المراة والحاقا للضرر بها واجيب عنه بان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما آتيتموهن شيئا معناه انه لا يحل اخذ شيء بدون المخالعة واما عند المخالعة فيجوز
ان ياخذ اكثر منه يدل على ذلك قوله تعالى ولا جناح عليهما فيما افتدت به اعم من
ان يكون مساويا للمهر او اقل او اكثر واما قوله صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط فهو بناء
على ان ثابت بن قيس ما طلب الا رد حديقته ولم يدل على انه لا يجوز الخلع باكثر مما
اعطاها واما القياس فلا يقتضي ان يكون العوض في الخلع مثل الصداق بل يقتضي ان
يكون العوض في الخلع يجوز ان يكون اكثر قياسا على العوض في النكاح فانه كما جاز
ان يكون العوض في النكاح اكثر من مهر المثل جاز ان يكون العوض في الخلع اكثر وكما ان العوض
في النكاح غير مقدر بمقدار معين فكذلك العوض في الخلع حجة الفقهاء ان الخلع
عقد معاوضة فلا يجب ان يقدر العوض فيه بمقدار معين فكما ان للمراة ان لا ترضى

عند عوض النكاح الا بصداق كثير فكذا للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بعوض كثير لا سيما
وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ويتاكد هذا بما روي عن عمر
رضي الله عنه من حبس المراة في بيت الزبل روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه جاءت امراة
قد اختلعت من زوجها بكل شي لها وبكل ثوب عليها الا درعها فلم ينكر عليها واعلم ان ظاهر هذه
الاية يدل على ان الشرط في الخلع حصول الخوف للرجل والمراة قال الامام لا بد ههنا من مزيد
بحث فنقول الاقسام الممكنة في هذا الباب اربعة لانه اما ان يكون الخوف من قبل المراة
فقط او من قبل الزوج فقط او من قبلهما معا او لم يكن خوف من قبل واحد منهما اما القسم الاول
مثل ان تكون المراة باسرها مبغضة للزوج فيحل للزوج اخذ المال منها ويدل على ذلك حديث جميلة
فانها اظهرت البغض فجوز رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل فقد شرط في الاية خوفهما معا
اجيب بان الخوف وان كان اوله من جهة المراة الا انه قد يترتب عليه الخوف من قبل
الزوج لان المراة تخاف على نفسها من عصيان الله في امر الزوج والزوج يخاف انها اذا لم تطع
فانه يضربها ويشتمها وربما زاد على قدر الجائز فكان الخوف حاصلا لهما جميعا وقد يكون ذلك منهما
لامر يتعلق بالزوج يجوز ان تكره المراة مصاحبة ذلك الزوج لفقره او لقبحه او لمرض ينفر منه
وعلى هذا التقدير يكون المراة خائفة من معصية الله في ان لا تطيع الزوج ويكون الزوج خائفا
من معصية الله من ان يقع منه تقصير في بعض حقوقها واما القسم الثاني مثل ان يضربها
ويوذيها حتى تلتزم الفدية فهذا المال حرام بدليل اول هذه الاية وبدليل سائر الايات كقوله
تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الى قوله وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا
وهذه مبالغة عظيمة في تحريم اخذ المال واما القسم الثالث فاخذ المال حرام ايضا
لان الايات التي تلوناها تدل على حرمة اخذ ذلك المال لما كان السبب حاصلا من قبل
الزوج وليس فيه تفصيل بعيد ان يكون من جانب المراة سبب لذلك ام لا ولان الله تعالى افرد
لهذا القسم اية اخرى وهي قوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من
اهلها ولم يذكر فيه حل اخذ المال واما القسم الرابع فقد ذكرنا ان قول اكثر المجتهدين
ان هذا الخلع جائز والمال الماخوذ حلال وتقييد اقترانها بالخوف في الاية ليس
لان الافتداء لا يجوز عند عدم الخوف بل لان الغالب انما تفتدي عند حصول الخوف
واعلم ان جميع الذي ذكر من هذه الاقسام انما هو بين المكلفين وبين الله واما في الظاهر
فهو جائز هذا قول الفقهاء قوله تعالى تلك حدود الله اي ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة
والخلع من شرائع الدين التي حدها الله تعالى ولا تعتدوها الى غيرها اي فلا تجاوزوا عنها الى غيرها
ثم بعد هذا النهي الموكد اتبعه بالوعيد فقال ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون انفسهم
قال الامام وفيه وجوه احدها انه تعالى ذكر في سائر الايات الا لعنة الله على الظالمين فذكر الظلم
ههنا تنبيها على حصول اللعن وثانيها ان الظلم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم يكون جاريا
مجرى الوعيد وثالثها انه اطلق لفظ الظلم تنبيها على انه ظلم من الانسان على نفسه حيث اقدم
على المعصية وظلم ايضا للغير بتقدير ان لا يتم المراة عدتها او لم تمت سيما خلق الله في رحمها
او الرجل ترك الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان او اخذ من جملة ما اتاها شيئا لا
بسبب نشوز من جهة المراة ففي كل هذه المواضع يكون للغير فلما اطلق لفظ الظالمين دل

على كونه ظالما لنفسه وظالما لغيره وفيه اعظم التهديدات قوله تعالى فان طلقها
فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا
ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون لما خير بين الامساك بالمعروف
وبين التسريح بالاحسان بعد الطلاق مرتين قال فان طلقها اي فان اختار التطليق فصارت مطلقة
ثلاثا فلا تحل له من بعد فقوله فان طلقها اشارة الى الطلقة الثالثة وهي احد شقي التقسيم
المخير فيه قال الامام الذي قالوا ان قوله او تسريح باحسان اشارة الى الطلقة الثالثة قالوا
ان قوله فان طلقها تفسير لقوله تسريح باحسان لكن بينا ان الاولى ان لا يكون المراد من قوله
تسريح باحسان الطلقة وقد عرفت ان ما ذكره الامام غير مستقيم فان قوله تسريح باحسان
اشارة الى الطلقة الثالثة لا الى ايقاعها وقوله فان طلقها اشارة الى ايقاعها قال صاحب
الكشاف فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان
واستوفى نصابه او كان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين والاول لا يدل اللفظ عليه لكن لما فسر اولا
قوله الطلاق مرتان بانه احتاج الى هذا التعسف والتكلف وعلى الوجه الذي ذكرنا ظاهر
مطابق لما هو المقصود واعلم ان وقوع اية الخلع فيما بين هاتين الايتين كالاجنبي ونظم
الاية الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى
تنكح زوجا غيره لكن لما كان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة فاما بعد الطلقة
الثالثة فلا يصح لا الرجعة ولا الخلع ذكر حكم الرجعة ثم اتبعه بحكم الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة
لانها كالخاتمة لاحكام الطلاق قوله فلا تحل اي فلا تحل الطلقة من بعد التطليقة
الثالثة للزوج المطلق حتى تنكح المطلقة زوجا غير المطلق والنكاح يسند الى المراة كما يسند
الى الرجل كالتزوج والزوج يطلق على المراة كما يطلق على الرجل ومذهب جمهور المجتهدين ان المطلقة
الثلاث لا تحل للزوج المطلق الا بخمس شرائط تعتد من المطلق وتتزوج من الثاني ويطاها
ثم يطلقها ثم تعتد منه وقال سعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد واختلف العلماء فقيل ان شرط
الوطي ثبت بالسنة وقيل الامران معلومان بالكتاب قال الامام هذا هو المختار وقبل الخوض
في الدليل لا بد من التنبيه على مقدمة قال عثمان بن جني سالت ابا علي عن قولهم نكح المراة فقال
فرقت العرب بالاستعمال فاذا قالوا انكح فلان فلانة ارادوا انه عقد عليها واذا قالوا
نكح امراته او زوجته ارادوا به المجامعة واقول هذا الذي قاله ابو علي كلام محقق
حسب القوانين الاصلية لان الاضافة الحاصلة بين الشيئين مغايرة لذات كل واحد من المضافين
فاذا قيل نكح فلان زوجته فهذا النكاح امر حاصل بينه وبين زوجته مغاير له ولزوجته
ثم الزوجية ليست اسما لتلك المراة بحسب ذاتها بل اسم لتلك الذات بشرط كونها موصوفة بالزوجية
فالزوجة مركبة من الذات ومن الزوجية والمفرد مقدم على المركب اذا ثبت هذا فنقول
اذا قلنا نكح فلان زوجته فالناكح متاخر عن المفهوم من الزوجة والزوجية مقدمة على
الزوجة من حيث انها زوجة تقدم المفرد على المركب واذا كان كذلك لزم القطع بان ذلك
النكاح غير الزوجية اذا ثبت هذا كان قوله حتى تنكح زوجا غيره يقتضي ان يكون ذلك
النكاح غير الزوجية وكل من قال بذلك قال انه الوطي فثبت ان الاية تدل على الوطي
وقوله زوجا يدل على العقد واما قول من يقول ان الاية غير دالة على الوطي وانما
ثبت الوطي بالسنة فضعيف لان الاية تقتضي نفي الحل ممدودا الى غاية وهي قوله حتى تنكح وما

كان غاية للشيء بحسب اثبات الحكم عند ثبوته فيلزم انتهاء الحرمة عند حصول العقد فكان رفعها بالخبر نسخا
للقران بخبر الواحد وانه غير جائز اما اذا حملنا النكاح على الوطي وحملنا قوله زوجا على العقد لم يلزم
هذا الاشكال واما الخبر المشهور في المسئلة فلما روي ان تميمة بنت عبد الرحمن القرظي كانت تحت
رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي ابن عمها تزوجها وطلقها ثلثا فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير
ثم طلقها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت
بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب وانما طلقني قبل ان يمسني افارجع
الى ابن عمي زوجي الاول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى
رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وابو بكر رضي الله عنه جالس عند النبي
صلى الله عليه وسلم وخالد بن سعيد بن العاص جالس بباب الحجرة فطفق خالد ينادي يا ابا بكر
الا تزجر هذه عما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والعسيلة اسم الجماع واصلها
من العسل شبه اللذة التي ينالها الانسان في تلك الحالة بالعسل يقال منه عسلها يعسلها
عسلا اذا جامعها فلبثت ما شاء الله ان تلبث ثم رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان
زوجي قد مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول
فان زوجي الاخر قد مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اتيتيه وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال عمر لئن رجعت اليه لارجمنك فان الله تعالى قال فان
طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اعلم ان المقصود من توقيف حصول الحل
على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر ان يستفرش
زوجته رجل آخر وهذا الزجر لا يتحقق الا بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس
فيه زيادة نفرة ولا يحصل جعله مانعا وزاجرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل
له وعن النبي صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على التيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال
المحلل والمحلل له وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يخطب على المنبر
وهو يقول والله لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان
رجلا طلق امراته ثلثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحللها للاول فقال لا الا نكاح
رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مذهب الشافعي رضي الله
عنه انه اذا تزوج بالمطلقة ثلثا للغير على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما
فهذا نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها اذا احلها للاول
ففيه قولان احدهما الاصح والثاني يصح ويكره ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها
مطلقا معتقدا انه اذا احلها طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك ويأثم وقال مالك والثوري
واحمد هذا النكاح باطل دليل مذهب الشافعي ان الاية دلت على ان الحرمة تنتهي
بوطي مسبوق وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وحيث حكمنا بفساده
فوطئها هل يقع به التحليل فيه قولان والاصح انه لا يقع به التحليل وقال الشافعي اذا طلق
زوجته واحدة او ثنتين ثم نكحت زوجا اخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد
لم يكن عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت له من الطلقات الاول وقال ابو حنيفة

بلغ مقابلة

الزم

الزوج الثاني يهدم الطلقة او الطلقتين بل يملك عليها ثلاثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلاث حجة الشافعي
ان هذه طلقة ثالثة فوجب ان تحصل الحرمة الغليظة وانما قلنا انها طلقة ثالثة لانها طلقة وجدت بعد
الطلقتين والطلقة الثالثة موجبة للحرمة الغليظة لقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح
وقوله فان طلقها اعم من ان يطلقها الطلقة الثالثة مسبوقا بنكاح غيره او غير مسبوق فكان الكل داخلا
فيه قوله فان طلقها الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة وقد وطئها ولا جناح على
المراة المطلقة الثلاث وعلى الزوج الاول ان يتراجعا بنكاح جديد فذكر لفظ النكاح بلفظ التراجع
لان الزوجية كانت حاصلة بينهما قبل ذلك فاذا تناكحا فقد تراجعا الى ما كانا عليه من النكاح
وقوله ان يتراجعا في محل الخفض باضمار الخافض تقديره في ان يتراجعا وقال الفرا محلها النصب
بنزع الخافض وظاهر قوله فان طلقها يقتضي ان عند ما طلقها الزوج الثاني تحل المراجعة للزوج
الاول لكن خصص بقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وقد عول سعيد بن المسيب هذا الظاهر
في ان التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطي لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة وهذه الاية تدل على سقوط
العدة لان الفا في قوله فلا جناح عليهما يدل على ان حل المراجعة حاصل عقيب طلاق الزوج الثاني قوله
ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما
لا يعلمه الا الله قال صاحب الكشاف ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم اي غلط وسها من طريق اللفظ
والمعنى اما اللفظ فانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم واما المعنى فلان الانسان لا يعلم
ما في الغد وانما يظن ظنا قوله تلك الاحكام التي تقدمت هي حدود الله يبينها كمال البيان على
لسان نبيه لقوم يعلمون فانهم الذين ينتفعون بالايات وغيرهم بمنزلة من لا يعتد بهم وقيل العرب لعلمهم
باللسان والمقصود انه لا يكلف الا عاقلا عالما بما يكلفه لانه حينئذ قد ازيح عذر المكلف فان العاقل
هو الذي يعلم ان الله انزل الكتاب وبعث الرسول ليمتثلوا امره وينتهوا عما نهوا عنه قوله
تعالى واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا
لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم فان قيل معنى هذه الاية
بعينه هو معنى قوله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فذكر هذه الاية بعد
ذكر تلك تكرارا من غير فائدة اجيب بان من حمل تلك الاية على انه كلام مبتدا مفيد لعدم مشروعية
الجمع بين الطلقات سقط عنه هذا السوال لان تلك الاية في بيان كيفية الجمع والتفريق وهذه
الاية في بيان كيفية الرجعة ومن حمل تلك الاية على بيان كيفية الرجعة فهذا السوال وارد عليه
وله ان يقول ان من ذكر حكما يتناول صورا كثيرة وكان اثبات ذلك الحكم في بعض تلك الصور
اهم لم يبعد ان يعاد بعد ذلك الحكم العام تلك الصورة الخاصة مرة اخرى ليدل ذلك التكرار على ان في
تلك الصورة من الاهتمام ما ليس في غيرها وههنا كذلك لان قوله الطلاق مرتان فامساك بمعروف
او تسريح باحسان فيه بيان انه لا بد في مدة العدة من احد هذين الامرين واما في هذه الاية
ففيها بيان انه عند مشارفة العدة عند الزوال لا بد من رعاية احد هذين الامرين ومن المعلوم
ان رعاية هذين الامرين عند مشارفة زوال العدة اولى بالوجوب من سائر الاوقات التي قبل هذا
الوقت وذلك لان اعظم انواع الايذا ان يطلقها ثم يراجعها مرتين عند اخر الاجل حتى يبقى في العدة
سبعة اشهر فلما كان اعظم انواع المضار حسن اعادة حكم هذه الصورة تنبيها على ان هذه الصورة
اعظم الصور واشتمالا على المضار واولاها بان يحترز المكلف عنها قوله فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن

وسار فى منتهاها والاجل يقع على العدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى ينتهى به اجل
وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتدا الغاية والى لانتها الغاية وقال الشاعر اذا انتهى امد
ويتسع فى البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا اشارفه وداناه ويقال قد وصلت وما وصل وانما شارف
ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضى الاجل لا رجعة له لانه بعد تقضيه غير زوجة له وفى غير عدة منه
ولا سبيل له عليها قوله فامسكوهن بمعروف اشارة الى المراجعة واختلف العلما فى كيفية المراجعة فقال
الشافعى لما لم يكن نكاح ولا طلاق الا بكلام لم يكن الرجعة الا بكلام وقال ابو حنيفة والثورى تصح الرجعة
بالوطى وقال مالك ان نوى الرجعة بالوطى كانت رجعة والا فلا حجة الشافعى ما روى ان ابن عمر رضى الله
عنهما لما طلق زوجته وهى حائض سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال عليه السلام مره
فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر امره النبى صلى الله عليه وسلم بالمراجعة مطلقا واقل درجات الامر الجواز
فقد كان ماذونا بالمراجعة فى زمان الحيض ولم يكن ماذونا بالوطى فى زمان الحيض فلا يكون الوطى رجعة
حجة ابى حنيفة انه تعالى قال فامسكوهن بمعروف امر بمجرد الامساك واذا وطيها فقد امسكها فيكون الوطى
كافيا وظاهر مذهب الشافعى ان الاشهاد على الرجعة مستحب ليس بواجب وبه قال ابو حنيفة ومالك
وقال الشافعى فى الاملا واجب وهو اختيار محمد بن جرير الطبرى والحجة فيه قوله تعالى فامساك
بمعروف ولا يكون معروفا الا اذا عرفه الغير واجمعنا انه لا يجب عرفان غير الشاهد فتعين عرفان
الشاهد واجيب بان المراد بالمعروف المراعاة وايصال الخير والمراجعة من غير طلب ضرار بالمراجعة
ويحتمل ان يكون المراد بالمعروف الامساك بالقول فانه معروف لا الوطى فانه ليس بمعروف او
طلقوهن بمعروف على وجه الاكرام والاحسان وايصال حقها اليها وقيل اتركوهن حتى تنقضى عدتهن
ويكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا وانتم لا حاجة بكم اليهن لتعتدوا لتظلموهن بتطويل
العدة وقيل لتلجئوهن الى الافتدا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها
لا عن حاجة ولكن لتطويل العدة عليها فهو الامساك ضرارا قيل لا فرق بين ان يقال امسكوهن بمعروف
وبين ان يقال لا تمسكوهن ضرارا لان الامر بالشى نهى عن ضده او مستلزم له فما الفايدة فى ذكره
اجيب بان الامر لا يفيد التكرار ولا يتناول كل الاوقات والنهى يتناول كل الاوقات
فلعله يمسكها بمعروف فى الحال ولكن فى قلبه ان يضارها فى المستقبل فلما قال تعالى ولا تمسكوهن
ضرارا اندفعت الشبهات وزالت الاحتمالات والضرار المضارة ومعناه راجع الى اثارة العداوة
وازالة الالفة وايقاع الوحشة وموجبات النفرة وقيل الضرار سو العشرة وتضييق النفقة
وفى الجاهلية كانوا يفعلون اكثر هذه الاعمال رجا ان تختلع المراة منه بمالها قوله ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله وتفويت منافع الدين والدنيا عليها فانه اذا اشتهر
بهذه المعاملة القبيحة لا يرغب فى التزوج به ولا فى معاملته احد واما الدين فالثواب
الحاصل على حسن المعاشرة مع الاهل والثواب الحاصل على الانقياد لاحكام الله تعالى وتكاليفه
ولا تتخذوا ايات الله هزوا اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا
فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد فى الامر انما انت لاعب وهازى ويقال
كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراه وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة واذكروا
نعمة الله عليكم بالاسلام وببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم من القران والحكمة السنة
وذكرها مقابلتها بالشكر والله يعظكم بما انزل عليكم واتقوا الله فى اوامره ولا تخالفوه فى نواهيه

واعلموا

واعلموا ان الله بكل شى عليم **قوله تعالى** واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم
واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون عن معقل بن يسار انها نزلت فيه قال كنت زوجت اختا لى من رجل
فطلقها حتى انقضت عدتها جا يخطبها واراد مراجعتها وكان رجل صدق وكانت المراة تحب
مراجعته فقلت له زوجتك واكرمتك وافرشتك فطلقتها ثم جيت تخطبها لا والله لا تعود اليها ابدا
فانزل الله تعالى هذه الاية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقلا وتلى عليه فقال فانى او من
بالله واليوم الاخر فانكحها اياه وكفر يمينه رواه البخارى عن احمد بن حفص هذا قول اكثر
المفسرين وقال السدى نزلت هذه الاية فى جابر بن عبد الله الانصارى وكانت له بنت عم
فطلقها زوجها تطليقة واحدة وانقضت عدتها ثم اراد رجعتها فابى جابر وقال طلقت
ابنة عمى ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المراة تريد زوجها فانزل الله واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن بلوغ انقضا وانتها على الحقيقة والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
نشب بيضها اى علق فلم يخرج وانشد لابن هرمة وان قصايدى لك فاصطنعنى عقايل قد
عضلن عن النكاح عقايل خبر ان قد عضلن صفة لها اى لا امدح بشعرى لغيرك وانما هو مختص
بك فارع حقى واحفظنى وعن الشافعى رضى الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين
البلوغ الاول فى قوله تعالى واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف والثانى واذا
طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساهن بعد
انقضا العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركوهن يتزوجن من شين من الازواج والمعنى
ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاوليا فى عضلهن
ان يرجعن الى ازواجهن قال الامام اختلف المفسرون فى ان قوله ولا تعضلوهن خطاب
لمن فقال الاكثرون انه خطاب للاوليا وقال بعضهم انه خطاب للازواج وهذا هو
المختار يدل عليه ان قوله تعالى واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن جملة واحدة
مركبة من شرط وجزا فالشرط قوله واذا طلقتم النسا خطاب مع الازواج فوجب
ان يكون الجزا وهو قوله ولا تعضلوهن خطابا معهم ايضا والا لصار تقدير الاية اذا طلقتم
النسا ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاوليا وحينيذ لا يكون بين الشرط والجزا مناسبة
اصلا وذلك يوجب تفكك النظم وكلام الله منزه عن مثله ثم انه يتاكد بوجهين اخرين
الاول ان من اول اية الطلاق الى هذا الموضع كان الخطاب كله مع الازواج ولم
يجر للاوليا ذكر فكان صرف هذا الخطاب الى الاوليا على خلاف النظم الثانى ان ما قبل
هذه الاية خطاب مع الازواج فى كيفية معاملتهم مع النسا قبل انقضا العدة كان
مثل هذا الترتيب حسنا لطيفا وكان صرف الخطاب الى الازواج اولى حجة من
قال هذه الاية خطاب للاوليا وجوه الاول وهو عمدتهم الكبرى ان الروايات
المشهورة فى سبب نزول هذه الاية دالة على انها خطاب مع الاوليا لا مع الازواج
قال الامام ويمكن ان يجاب عنه بانه لما وقع التعارض بين هذه الحجج كان الحجة
التى ذكرناها اولى بالرعاية لان المحافظة على نظم كلام الله اولى من المحافظة
على خبر الواحد وايضا فان الروايات متعارضة عن معقل وعن جابر واذا تعارضت
الروايتان تساقطتا فبقى ما ذكرناه من التمسك بنظم كلام الله سليما عن المعارض

الثاني انها لو كانت خطابا مع الازواج فاما قبل انقضا العدة وهو باطل لان ذلك مستفاد من الاية
الاولى فيلزم تكرار لا فايدة فيه وايضا فقد قال تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا
بينهم بالمعروف فنهى عن العضل حال حصول التراضي ولا يحصل التراضي بالنكاح الا بعد التصريح بالخطبة
ولا يجوز التصريح بالخطبة الا بعد انقضا العدة قال الله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب
اجله واما بعد انقضا العدة فباطل ايضا لانه حينئذ ليس للزوج قدرة على عضل المراة فكيف يصرف
هذا النهي اليه قال الامام ويمكن ان يجاب عنه بان الرجل يمكن ان يستند ندمه على مفارقتها
بعد انقضا العدة وتلحقه الغيرة اذا راى من ينكحها وحينئذ يعضلها عن ان ينكحها غيره اما بان
يجحد الطلاق او يدعي بانه كان راجعها او يدس الى من خطبها بالتهديد والوعيد ويسي القول
فيها او ينسبها الى امور تنفر الرجال عن الرغبة فيها فالله تعالى نهى الازواج عن هذه الافعال
وعرفهم ان ترك هذه الافعال ازكى لهم واطهر من دنس الاثام الثالث ان قوله تعالى
ان ينكحن ازواجهن معناه ولا تمنعوهن من ان ينكحن الذين كانوا ازواجهن قبل ذلك وهذا
الكلام لا ينتظم الا اذا جعل الخطاب للاوليا لانهم كانوا يمنعونهن من العود الى ازواجهن قبل ذلك
فاما اذا جعلنا الاية خطابا للازواج فهذا الكلام لا ينتظم ويمكن ان يجاب عنه بان معنى قوله
ان ينكحن ازواجهن اي من يريدن ان يتزوجنه فيكونون ازواجا لهن وتسمي العرب الشي باسم ما يؤول
اليه قال صاحب الكشاف في الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا
وجد وهم راضون كانوا في حكم العاضلين اعلم ان الشافعي تمسك بهذه الاية في ان النكاح بغير
ولي لا يجوز وبنى ذلك على ان المخاطب في هذه الاية الاوليا لانه حينئذ يكون التزويج الى الاوليا
لا الى النسا لانه لو كان للمراة ان تزوج نفسها او توكل من يزوجها لما قدر الولي على عضلها من
النكاح ولو لم يقدر الولي على عضلها لما نهى الله عن العضل وحيث نهاه عن العضل كان قادرا عليه
ولا يكون المراة متمكنة من النكاح قال الامام هذا الاستدلال بنا على ان المخاطب الاوليا وقد
تقدم ما فيه ثم لو سلم هذه المقدمة لم لا يجوز ان يراد بقوله ولا تعضلوهن ان يخليها ورايها في ذلك
لان الغالب في النسا الايامى ان يرجعن الى راي الاوليا في النكاح وان كان الاستيذان الشرعي
حاصلا لهن وان يكن تحت رايهم وتدبيرهم وحينئذ يكونون متمسكين من منعهن لتمكنهم من
تخليتهن فيكون النهي محمولا على هذا الوجه وايضا فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه
مهما عضل انعزل واذا انعزل لا يبقى لعضله اثر وعلى هذا الوجه لا يتصور صدور العضل منه
والجواب ان الخطاب للناس فيدخل فيه الاوليا والازواج فيتصور عضل الاوليا ولا تمكين المراة
من تزوجها بنفسها واما المنع على الوجه المذكور فهو المستشار ومنع المستشار لا يكون
عضلا وثبوت العضل للولي غير ممتنع فانه يجوز ان يعضل فيما بينه ولم يثبت عند الحاكم
فلم ينعزل ولهذا قال الفقها لا يتحقق العضل حتى يمتنع بين يدي الحاكم وذلك بان يحضر
الخاطب والمراة والولي ويامره الحاكم بالتزويج فيقول لا افعل او يسكت وحينئذ يزوجها
القاضي وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح بغير ولي جايز وقال
انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها
من ذلك ولو كان ذلك التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه وهذا متاكد بقوله حتى
تنكح زوجا غيره وبقوله فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف
وتزوجها نفسها من الكفو فعل بالمعروف فوجب ان يصح وحقيقة هذه الاضافة على المباشرة

دون الطلب اجاب اصحابنا بان الفعل كما يضاف الى المباشر قد يضاف الى المسبب يقال بنى الامير
دارا وضرب دينارا وهذا وان كان مجازا الا انه يجب المصير اليه لدلالة الاحاديث على بطلان
هذا النكاح قوله اذا تراضوا اي اذا تراضى الخطاب والاوليا والنسا بالمعروف بما يحسن
في الدين والمروة من الشرايط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل
من مهر مثلها فللاوليا ان يعترضوا لقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف وهو مهر المثل قوله
ذلك يوعظ به الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد لما بين حكمة التكليف قرنها بالتهديد فقال
ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر لان من حق الوعظ ان يتضمن التحذير من المخالفة كما يتضمن
الترغيب في الموافقة وكانت الاية تهديدا من هذا الوجه وخصص هذا الوعظ بالمومنين لانهم المنتفعون به
كقوله هدى للمتقين ولان بيان الاحكام وان كان عاما في حق المكلفين الا ان كون ذلك البيان وعظا يختص بالمومنين
لان التكاليف انما تتوجه على الكفار بالدليل الملزم القاهر اما المومن الذي يقر بحقيقتها فانما يذكر له على سبيل
الوعظ والتحذير ومن تمسك بهذه الاية على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان ذلك اشارة الى ما
تقدم ذكره من بيان الاحكام فلما خصص ذلك بالمومنين دل على ان التكليف بفروع الاسلام غير حاصل الا في حق
المومنين فقد اخطا لان التكليف بهذه عام للمكلفين ولكن على سبيل الوعظ مختص بالمومنين وعلى سبيل
الالزام والافحام للكفار قوله ذلكم ازكى لكم قال ازكى الزرع اذا نمى فقوله ازكى لكم اشارة الى استحقاق
الثواب الدايم واطهر اشارة الى ازالة الذنوب اي اطهر من ادناس الاثام وقيل ازكى واطهر افضل
واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاة والطهارة وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون من الاحكام
والشرايع وانتم تجهلونه قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها
ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح
عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير والوالدات سواء كن مطلقات او مزوجات فان اللفظ عام ولم يظهر ما يخصصه
وقيل المطلقات فان الله تعالى ذكر هذه الاية عقيب الطلاق وهذه الاية تتمة تلك الايات ظاهرا
ووجه ربط هذه الاية بما قبلها انه اذا حصلت الفرقة حصل التباغض والتعادي وذلك يحمل
المراة على ايذا الولد من وجهين احدهما ان ايذا الولد يتضمن ايذا الزوج المطلق وثانيهما انها
ترغب في التزوج بزوج اخر فتهمل امر الطفل فلهذا ندب الله الوالدات المطلقات الى
رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشانهم فقال والوالدات اولادهن والمراد المطلقات وقال
السدي والمراد بالوالدات المطلقات لان الله تعالى قال بعد هذه الاية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
ولو كانت الزوجية باقية لوجب على الزوج ذلك بسبب الزوجية لا لاجل الارضاع ولقايل ان يقول
هذه الاية مشتملة على حكم مستقل بنفسه فلم يجب تعلقها بما قبلها وليس يبعد ان يستحق المراة قدرا من
المال لمكان الزوجية وقدرا اخر لمكان الرضاع فانه لا منافاة بينهما قال الواحدي الاولى ان يحمل
على الزوجات في حال بقا النكاح لان المطلقة لا تستحق الكسوة وانما تستحق الاجرة فان قيل اذا كانت
الزوجية باقية فهي مستحقة النفقة والكسوة بسبب النكاح سواء ارضعت الولد ام لم ترضعه فما وجه
تعليق الاستحقاق بالارضاع اجيب بان النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت
بالحضانة والارضاع لم تتفرغ لخدمة الزوج فربما يتوهم متوهم ان نفقتها وكسوتها تسقط بالخلل الواقع
في خدمة الزوج فقطع الله ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت المراة بالارضاع قوله

يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهو امر ندب لا امر ايجاب يريد انهن احق بالارضاع
من غيرهن اذا اردن ذلك من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح من لبن غيرها ومن حيث ان
شفقة الام اكثر ولو وجب عليهن الارضاع ما وجبت لهن الاجرة وقد اوجب لهن الاجر في سورة
الطلاق هذا اذا لم يبلغ الحال في الولد الى حد الاضطرار بان لا يوجد غير الام او لا يرضع الطفل الا منها
فانه يجب حينئذ على الام الارضاع كما يجب على كل احد مواساة المضطر في الطعام عند الاستطاعة حولين
سنتين من حال الشي يحول اذا انقلب فالحول منقلب من الوقت الاول الى الثاني كاملين توكيد لرفع
التوهم من انه على مثل قولهم اقمت بمكان كذا حولين ولم يستكملهما بل اقام حولا وبعض الآخر وهذا تحديد
بقطع التنازع بين الزوجين اذا اشتجرا في مدة الرضاع فجعل الحولين ميقاتا لهم يرجعان اليه عند
الاختلاف وهذا ليس بتحديد ايجاب وقيل المقصود من هذا التحديد اثبات حكم خاص للرضاع في الشريعة
وهو قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب على معنى ان الارتضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد
هذا الحكم قوله لمن اراد بيان لمن توجه اليه الحكم لقوله تعالى هيت لك بيان لكم ثبت به اي
هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع يقال رضع المولود يرضع رضاعة ورضاعا والمعنى ان هذا التقدير
والبيان لمن يريد اتمام الرضاعة من الاب والام وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف
فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان
لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين
لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا
تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة
ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وعلى المولود
وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو عليهم في المغضوب
عليهم وانما قال المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء
ولذلك ينسبون الى الآباء لا الى الامهات وانشد للمأمون ابن الرشيد فانما امهات الناس
اوعية مستودعات وللابناء آباء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظئار الا
ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيا واعلم انه تعالى كما امر الامهات بتربية الاولاد في قوله والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين اوجب على الآباء رزق الامهات وكسوتهن بالمعروف علم الله تعالى
تفاوت احوال خلقه في الغنى والفقر فقال بالمعروف اي على قدر الميسرة وجعل الحضانة على
الام والنفقة على الاب قال صاحب الكشاف بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما
ما ليس في وسعه والتكليف الالزام يقال كلفه الامر فتكلف وقيل ان اصله من الكلف وهو الاثر
على الوجه من السواد فمعنى تكلف الامر اجتهد ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع
ما يسع الانسان فيطيقه اخذ من سعة المسلك الى الغرض ولو ضاق لعجز عنه فالسعة بمنزلة القدرة
ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة والمعنى ان المولود له لا يكلف من الانفاق على الام الا ما يتسع به
مقدرته لان الوسع في اللغة ما يتسع به المقدرة ولا يبلغ الاستغراق وبين انه لا يلزم المولود له
الا ذلك وهو قريب من قوله تعالى في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ثم قال
وان تعاسرتم فسترضع له اخرى ثم بين في النفقة انها على قدر الامكان بقوله لينفق ذو سعة من سعته
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها والمعتزلة تمسكوا بهذه الآية

على ان الله تعالى لا يكلف العباد الا ما يقدرون عليه لانه اخبر انه لا يكلف احدا الا ما تتسع له
قدرته فبان لا يكلفه ما لا يقدر عليه اولى ولا يخفى ان هذه الآية داله على ان التكليف بما ليس في الوسع
غير واقع اما انه غير جائز فلا والنزاع فيه قوله لا تضار قرأ ابن كثير وابو عمرو بضم الراء مشددة والباقون
بفتح الراء مشددة اما الضم فهو الرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل ويكون الاصل تضارر بكسر الراء
الاولى وللمفعول ويكون الاصل تضارر بفتحها وعلى التقديرين ادغمت الراء في الراء فصارت
تضار بالضم مشددة واما الفتح فعلى النهي والاصل لا تضارر فادغمت وحركت الراء الاخيرة لالتقاء الساكنين
وفتحت لانها اخف الحركات على القراءتين معناه لا تضار والدة المولود له بسبب ولدها وهو ان
تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول
بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له والده بسبب ولده بان يمنعها شيا
مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك
اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرر من قبل الزوج وان يلحق الضرار بالزوج من قبلها
بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها ولا تسي
غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها
او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد ولما نهيت الوالدة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها
عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك لما نهي المولود له عن المضارة اضيف اليه الولد
استعطافا له عليه وانه ليس باجنبي منه فمن حقه ان يشفق عليه قوله وعلى الوارث عطف على
قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه فكان المعنى وعلى الوارث مثل ما وجب على المولود له من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له
لزم الوارث ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب
الضرار ولما تقدم ذكر المولود له وذكر الولد وذكر الوالدات احتمل ان يكون الوارث مضافا الى
كل منهم فلذلك اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد وارث المولود له وقيل هو وارث
الولد الذي لو مات الولد ورثه ثم اختلفوا اي وارث من ورثته فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه من
الرجال والنساء يجبر على قدر النصيب من الميراث وعند ابي حنيفة هو من كان ذا رحم محرم اي الذي
لا يجوز له النكاح مثل العم والاخ وابن الاخ فمن لم يكن محرما مثل ابن العم والولي وما اشبههما فليسوا ممن
عناهم الله تعالى بقوله وعلى الوارث مثل ذلك ولا يجبرون على النفقة قال لا يجبر على النفقة الا
ذو رحم محرم وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي لا نفقة للاصل على غير الفرع ولا للفرع
على غير الاصل فان كان الولد له مال فاجرة رضاعه في ماله وان لم يكن له مال اجبرت امه
على رضاعه اذا كان المولود له توفي ولا يجبر على نفقة الولد الا الوالدان وقيل الوارث هو
عصبته كائنا من كان من الرجال دون النساء مثل الجد والاخ من الاب وابنه والعم وابن العم
ونحوهم وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومذهب سفيان قال اذا لم يبلغ نصيب الصبي
ما ينفق اجبرت العصبة الذين يرثونه على ان يسترضعوه وقيل المراد وارث المولود له وورثته
وجب عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه
وقيل على الوارث اي الباقي من الابوين بعد وفاة الآخر منهما عليه مثل ما كان على الاب من اجرة
الرضاع والنفقة والكسوة من قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث منا اي واجعله الباقي
منا اول الدعاء الماثور اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا واجعل

ثارنا على من ظلمنا اى واجعل كل واحد من المذكورات فى لزومه لنا مدة الحيوة كانه باق بعد الموت
وقيل معنى اجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا اى واجعل كل واحد من المذكورات فى لزومه
لنا مدة الحيوة كانه باق بعد الموت وقيل معنى اجعله الوارث اي اجعل كل واحد من المذكورات فى
لزومه لنا مدة الحيوة كانه باق بعد الموت السمع والبصر صحيحا سليما الى ان اموت وقيل اراد
بقا كل منهما عند الكبر واختلال القوى النفسانية فيكون السمع والبصر وارثى ساير القوى والباقين
بعدها قيل ومن اسما الله تعالى الوارث وهو الذى يرث الخلايق ويبقى بعد فنايهم قوله
فان اراد اى الوالدين فصالا فطاما قبل الحولين او بعدهما واصل الفصل القطع اى فصالا
صادرا عن تراض منهما به واتفاق عليه وتشاور وهو استخراج الراي واصله من شرت
الدابه وشورتها اذا اختبرت ما عندها من العدو والشوار متاع البيت لانه يظهر للناظر
والانسان اخراج ما فى نفسك واظهاره للمخاطب بالنطق وبغيره فلا جناح عليهما فيما زاد على
الحولين او نقصا وقيل المراد من هذه الايه ان الفطام قبل الحولين جايز لان ما قبل الايه لما دل
على ان الفطام عند تمام الحولين كان دليلا على جواز الزيادة على الحولين واذا كان كذلك بقيت هذه
الايه داله على جواز الفطام قبل تمام الحولين فقط ووجه الاول ان الولد قد يكون ضعيفا
فيحتاج الى الرضاع ويضره قطعه كما يضره ذلك قبل الحولين اجيب بان المضرة فى الفطام
بعد الحولين نادر وحمل الكلام على المعهود متعين والايه داله على ان الفطام فى اقل
من حولين لا يجوز الا عند تراض من الوالدين وتشاور مع ارباب التجارب لان الام
قد تمل من الارضاع فتحاول الفصال والاب ايضا قد يمل اعطا الاجر على الارضاع فقد
يحاول الفصال دفعا لذلك لكنهما قل ما يتفقان على الولد لغرض النفس ثم بتقدير توافقهما
اعتبر المشاور مع غيرهما وعند ذلك يبعد ان تحصل موافقة الكل على ما يكون فيه الاضرار بالولد
وعند اتفاق الكل يدل على ان الفطام قبل الحولين لا يضره البته فانظر الى لطف الله تعالى
واحسانه فى حق الولد الصغير لم يشرط فى جواز فطامه دفعا للمضار عنه ثم نعمة اجتماع
كل هذه الشرايط لم يصرح بالاذن بل قال لا جناح عليكم وهذا يدل على ان الانسان كلما كان
اكثر ضعفا كانت رحمة الله له اكثر وعنايته به اشد قوله وان اردتم ان تسترضعوا
منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبى واسترضعتها الصبى فتعديه الى مفعولين كما تقول
استنجح الحاجه ولابد لمن استنجحه وكذلك كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاخر قال
الواحدى اى ان تسترضعوا لاولادكم مراضع غير الوالده حذفت اللام اكتفا به لان الاسترضاع
لا يكون الا للاولاد فلا اثم عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف اى اذا سلمتم الى الام اجرتها بمقدار
ما ارضعت وقيل اذا سلمتم ما اردتم ايتاه لقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة قرا غير ابن كثير اتيتم
بالمعروف وابن كثير اتيتم بالقصر من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده
ماتيا اى مفعولا وليس التسليم بشرط الجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا
على ان يكون الشى الذى تعطاه المرضع من اهنى ما يكون لتكون طيبة النفس راضيه فيكون ذلك اصلاحا
لشان الصبى واحتياطا لامره فامر باتيانه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن
بالمعروف متعلق بتسليم امروا ان تكونوا عند تسليم الاجر مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطمينين
لا نفس المراضع بما امكن حتى يومن تفريطهن بقطع معاذيرهن ثم اوصى بالتقوى فقال واتقوا الله
واعلموا ان الله بما تعملون بصير اى فلا يترك جزا شى من اعمالكم لانه بصير بها قوله تعالى

والذين

والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن
فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير يتوفون يقبضون ويموتون
واصل التوفى اخذ الشى وافيا يقال توفى الشى واستوفاه اى وازواج الذين يتوفون منكم
يتربصن بعدهم اسقط بعدهم لظهوره كقولهم السمن منوان بدرهم وقيل التقدير والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا ازواجهم يتربصن واضمار المبتدا ليس بغريب قال الله تعالى قل اونبيكم بشر من
ذلكم النار اى هو النار والمبتدا المضاف ايضا ورد اضماره قال الله تعالى قل اونبيكم بشر من ذلكم
النار لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل اي تقلبهم متاع قليل قوله ويذرون ازواجا
اي يتركون ولا يستعمل منه الماضى ولا المصدر ومثله ايضا يدع فى رفض مصدره وماضيه ازواجا
اي يتربصن اربعة اشهر وعشرا ذكر العشر بلفظ التانيث والمراد بها الايام تغليبا لليالى على الايام
وذلك لان ابتدا الشهر يكون بالليل يقال صمنا خمسا من الشهر فيغلبون الليالى على الايام لان ليلة كل يوم
قبله وابتدا العدة من حين وفاة الزوج لان السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم
بلغها وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة التى لا علم لها يكفى فى انقضا
عدتها هذه المده وقيل سببها العلم بالوفاه فما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضا الايام فى العدة
واحتجوا بانه تعالى قال يتربصن بانفسهن ويتربصن بانفسهن لا يحصل الا اذا قصدن هذا التربص والقصد
الى التربص لا يحصل الا مع العلم بذلك وقيل انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح فى
العشر بعد الاربعه فاذا بلغن اجلهن اى فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاوليا فى تخليه
سبيلهن ليفعلن فى انفسهن بالمعروف ما يرون من تزوج الاكفا ويرون ان يتولوهن بالمعروف
وقيل فلا جناح عليكم ايها الايمه وجماعة المسلمين فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف
بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الايمه ان يكفوهن وان فرطوا
كان عليهم الجناح والمراد من تربصها بنفسها الامتناع عن الخروج من المنزل الذى توفى زوجها
فيه والامتناع عن التزين وهذا اللفظ كالمجمل لانه ليس فيه بيان انها تربص فى اى شى الا انا
نقول الامتناع عن النكاح مجمع عليه واما الامتناع عن الخروج من المنزل فواجب الا عند الضرورة
او الحاجه واما ترك التزين فهو واجب لما روى عن عايشه وحفصه ام المومنين رضى الله عنهما
لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا
وعن عايشه رضى الله عنها انها كانت تفتى المتوفى عنها زوجها ان لا تلبس مصبوغا وتلبس
البياض ولا تلبس حليا ولا تكتحل بالاثمد ولكنها تكتحل بالصبر وما بدا لها من الاكحال
سوى الاثمد مما ليس فيه طيب وعن ام سلمة ان امراة من قيس جاءت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت ان ابنتى توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها حتى خفت على عينها وهى تريد الكحل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت احداكن تلبس اطمار ثيابها وتجلس فى اخس بيوتها
ويمكث حولا فى بيتها فاذا كان الحول خرجت فرمت بكلب فرمته ببعرة اولا اربعة اشهر وعشرا وقال
الشعبى والحسن هو غير واجب لان الحديث يقتضى حل الاحداد لا وجوبه واحتجوا بما روى
عن اسما بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلبى ثلثا ثم اصنعى ما شيت
وهذه العدة واجبه فى كل امراة مات عنها زوجها الا فى صورتين احداهما ان تكون
امة فانها تعتد عند الاكثر لعفتها بنصف عدة الحرة وقال ابو بكر الاصم عدتها عدة الحرة اير
وتمسك بظاهر الايه وايضا ان الله تعالى جعل وضع الحمل فى حق الحامل بدلا عن هذه المدة

فيجب ان يستر كافيه وساير الفقها قالوا التنصيف في هذه المدة ممكن وفي وضع الحمل غير ممكن فظهر
الفرق وثانيهما ان تكون المراة حاملا فتنقضي عدتها بوضع الحمل فاذا وضعت الحمل حلت وان كان
بعد وفاة الزوج بساعة وعن علي رضي الله عنه انها تتربص بابعد الاجلين والدليل عليه القران
والسنة اما القران فقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن الناس من جعل
هذه الاية مخصصة لعموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا والشافعي رضي الله
عنه لم يقل بذلك لوجهين الاول ان كل واحد من هاتين الايتين اعم من الاخرى من وجه واخص من
وجه اخر لان الحامل قد يتوفى عنها زوجها وقد لا يتوفى كما ان التي يتوفى عنها زوجها قد تكون
حاملا وقد لا تكون واذا كان كذلك امتنع جعل احدى الايتين مخصصة للاخرى الثاني ان قوله
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وانما ورد عقيب ذكر المطلقات لا في المتوفى عنها زوجها
فلهذين السببين لم يعول الشافعي في هذا الباب على القران وانما عول على السنة ومن ذلك ما
روى ابو داود باسناده ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية كانت تحت سعد بن خولة فتوفي
عنها في حجة الوداع وهي حامل فولدت بعد وفاة زوجها فقال بعض الناس ما انت بناكح حتى يمر
عليك اربعة اشهر وعشرا قالت سبيعة فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قالت فافتاني باني قد
حللت حين وضعت حملي فامرني بالتزوج ان بدا لي اذا عرفت هذا فها هنا تفاريع الاول لا فرق
في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة واذا تمت اربعة اشهر وعشرا انقضت عدتها اذا لم تر عادتها
من الحيض وقال مالك لا تنقضي عدتها حتى ترى عادتها من الحيض في تلك الايام مثلا ان كانت عادتها
ان تحيض في كل شهر مرة فعليها اربع حيض وان كان عادتها ان تحيض في كل شهرين مرة فعليها حيضتان
وان كان عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة فها هنا يكفيها الشهور وقال الشافعي ان الاية
دلت على ان المتوفى عنها زوجها عدتها اربعة اشهر وعشرا ولم يزد عليها فتكون كافية ثم قال الشافعي انها
ان ارتابت استبرات نفسها من الريبة كما ان ذات الاقرا لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط واذا مات الزوج
فان كان بقي من شهر الوفاة اكثر من عشرة ايام فالشهر الثاني والثالث والرابع يوخذ بالاهلة سواء خرجت
ناقصة او كاملة ثم تكمل الشهر الاول بالخامس ثلثين ثم تضم اليه عشرة ايام وان مات وبقي من الشهر اقل
من عشرة ايام اعتبر اربعة اشهر بعد ذلك بالاهلة وكمل العشر من الشهر السادس واجمع الفقها على
ان هذه الاية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت متقدمة في التلاوة غير ابي مسلم
الاصفهاني فانه ابى نسخها والتقدم في التلاوة لا يمنع التاخر في النزول اذ ليس ترتيب المصحف على ترتيب
النزول احتج من قال ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرايع بقوله تعالى والذين يتوفون منكم فانه
خطاب مع المومنين فقط اجيب بان المومنين لما كانوا هم العاملين بذلك خصهم بالذكر كقوله انما انت منذر
من يخشاها قيل قوله تعالى فيما فعلن في انفسهن دال على وجوب الاحداد فان ظاهره يقتضي ان يكون
المراد منه ما تنفرد المراة بفعله والنكاح ليس كذلك فانه لا يتم الا مع الغير فتعين حمله على ما يتم بالمراة
فقط من التزيين والتطيب وغيرهما وتمسك الحنفية بهذه الاية في جواز النكاح بغير ولي فان
قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن يدل عليه لان اضافة الفعل الى الفاعل
محمول على المباشرة حقيقة وتمسك اصحاب الشافعي في ان هذا النكاح لا يصح الا من الولي لان قوله
لا جناح عليكم مع الاوليا ولولا ان هذا العقد لا يصح الا من الولي والا لما صار الولي مخاطبا قوله
تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النسا او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن
ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله

واعلموا

واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم ولا جناح عليكم يا معشر الرجال
والتعريض لغة ضد التصريح ماخوذ من عرض الشي وهو جانبه يقال اضرب به عرض الحيوم كانه
يحوم حوله ولا يظهره والتعريض قد يسمى تلويحا والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان يذكر
لازم الشي ويريد الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والتعريض ان يذكر كلاما ظاهرا في معنى
ويقصد به غير معناه الظاهر ولكن لا يفهم المقصود الا بالقراين كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جيتك
لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امال الكلام الى
عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريد والخطبة التماس النكاح وهو مصدر قولك
خطب الرجل يخطب خطبة وخطبا قيل ان الخطبة من الخطب الذي هو الامر والشان يقال ما خطبك اي ما
شانك فقوله خطب فلان فلانة اي سالها امرا وشانا في نفسها وقيل من الخطاب الذي هو الكلام
يقال خطب المراة خطبة لانه خاطب في عقد النكاح وخطب خطبته اي خاطب بالزجر والوعظ والخطب
الامر العظيم لانه يحتاج فيه الى خطاب عظيم كثير والنسا في حكم الخطبة على ثلاثة اقسام التي يجوز خطبتها تعريضا
وتصريحا وهي التي تكون خالية عن الازواج والعدة لانه لما جاز نكاحها في هذه الحالة جاز خطبتها بطريق
الاولى نعم يستثنى عنه صورة ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يخطبن احدكم على خطبة اخيه وفيه
ثلثة اقوال الاول اذا خطب امراة فاجيب صريحا لا يحل لغيره خطبتها للحديث الثانية اذا وجد
صريح الاباء عن الاجابة يحل لغيره الخطبة الثالثة اذا لم يوجد صريح الرضا ولا صريح الرد للشافعي
قولان احدهما انه يجوز للغير الخطبة لان السكوت لا يدل على الرضا والثاني انه لا يجوز لان السكوت
وان لم يدل على الرضا لا يدل على الكراهة فربما كانت الرغبة حاصلة من بعض الوجوه فتصير الخطبة
الثانية مزيلة لتلك القدر من الرغبة القسم الثاني لا يجوز خطبتها لا تصريحا ولا تعريضا وهي ما اذا
كانت منكوحة للغير لان خطبته اياها ربما صار سببا لتشويش الامر على زوجها من حيث انها اذا علمت
رغبة الخاطب فربما حملها ذلك على الامتناع من تادية حقوق الزوج والتسبب الى هذا حرام وكذا
الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان
القسم الثالث التي يفصل في حقها من التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية وهي ايضا
على ثلثة اقسام القسم الاول وهي التي تكون في عدة الوفاة فيجوز خطبتها تعريضا لا تصريحا اما
جواز التعريض فلقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النسا فظاهرها انها للمتوفى
عنها زوجها لان هذه الاية مذكورة عقيب تلك الاية واما انه لا يجوز التصريح فقال الشافعي
رضي الله عنه لما خصص التعريض بعدم الجناح وجب ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يوكد ذلك
وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فلا يومن ان يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضا العدة
قبل اوانها بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك ولا يدعوها الى الكذب القسم الثاني المعتدة
عن الطلقات الثلاث قال الشافعي في الام ولا احب التعريض لخطبتها وقال في الاملا والقديم
يجوز لانها ليست في النكاح فاشبهت المعتدة عن الوفاة يومن عليها بسبب الخطبة من الخيانة في امر العدة
فان عدتها تنقضي بالاشهر اما ها هنا عدتها تنقضي بالاقرا فلا يومن عليها الخيانة بسبب رغبتها
في هذا الخاطب وكيفية الخيانة هي ان تخبر في انقضا عدتها قبل ان تنقضي عدتها القسم الثالث
البائن التي يجوز لزوجها التصريح والتعريض لانه لما كان له نكاحها في عدتها فالتصريح اولى واما
غير الزوج فلا شك في انه لا يحل التصريح وفي التعريض قولان احدهما يحل كالمتوفى عنها زوجها
والمطلقة ثلاثا والثاني وهو الاصح انه لا يحل لانها معتدة يحل للزوج ان يستبيحها في عدتها

فلم يجعل التعريض لها كالرجعية وتعريض الخطبة المذكور في الاية وهو ان يقول لها وهي في العدة
انك لجميلة او صالحة او نافقة وان من عزمي ان اتزوج واني فيك لراغب واني عليك لحريص
وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ولعل الله ان يسوق اليك خيرا ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد
نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك
ولا باس ان يهدي لها ويقوم بشغلها في العدة وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته
سكينة بنت حنظلة قالت دخلت على ابي جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال يا بنت حنظلة قد علمت قرابتي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك يا ابا جعفر اتخطبني وانا
في عدتي وانت يوخذ عنك اي العلم فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وموضعي منه قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة
فتوفي عنها زوجها فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده
حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله على يده فما كانت تلك خطبة قوله او اكننتم في انفسكم
اسررتم واضمرتم في انفسكم فلم تذكروه بالسنتكم لا تعريضا ولا تصريحا اي اضمرتم خطبتهن او نكاحهن
يقال كننت الشي واكننته وقيل اكننت الشي اخفيته في نفسي وكننته سترته قال السدي هو ان يدخل
فيسلم ويهدي ان شا ولا يتكلم بشي علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولكن لا تواعدوهن سرا او المستدرك
محذوف لدلالة قوله ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا
تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الجماع لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها
عليك حراما فانكحن او تابدا ثم بالسر النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح قال بعضهم
هو الزنا وكان الرجل يدخل على المراة من اجل الريبة وهو يعرض بالنكاح فيقول لها دعيني
فاذا اوفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهى الله عز وجل عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمراة لا تفوتيني بنفسك
فاني ناكحك وقيل لا ياخذ ميثاقها ان لا تنكح غيره وقيل لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول
اتيتك الاربعة والخمسة واصل السر ما اخفيته في نفسك وانما قيل للنكاح والزنا والجماع
سر لانه يكون بين الرجل والمراة في خفا ويقال للفرج ايضا سر لانه لا يظهر ثم استثنى سبحانه وتعالى
فقال الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا وحق الاستثنا متعلق بقوله
لا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن
الا التعريض والتعريض غير موعود وقيل ولكن معنى قوله ولكن لا تواعدوهن جماعا وهو ان
يقول ان نكحتك كان كيت وكيت ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني غير
رفث والفحش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة
عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب مما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تواففا ان لا تتزوج غيره قوله ولا تعزموا عقدة النكاح
من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة لان
العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام
لمن لم يعزم الصيام من الليل قال الواحدي اي لا تصححوا عقدة النكاح يعني لا تتزوجوا المعتدة حتى
يبلغ الكتاب ما كتب وفرض من العدة اجله اي اخر المدة حتى تنقضي العدة وانما سماها كتابا لانها
فرض من الله كقوله تعالى كتب عليكم الصيام قال الواحدي الكتاب القران والمعنى حتى يبلغ

فرض

فرض الكتاب اي ما فرض في القران من العدة والاجل المضروب لها واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من
العزم على ما لا يجوز فاحذروه فخافوه ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة
قوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين نزلت في رجل من الانصار
تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها فانزل الله هذه الاية
المطلقات اربع احدها المطلقة التي تكون مفروضا لها ومدخولا بها وقد ذكر الله تعالى فيما تقدم
احكام هذا القسم وهو ان لا يوخذ منهن على الفراق شي على سبيل الظلم ثم اخبر ان لهن كمال المهر
وان عدتهن ثلثة قروء والثانية المطلقة التي تكون مفروضا لها المهر ولكن لا تكون مدخولا بها
وهي المذكورة في الاية التي بعد هذه الاية وهي قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن والثالثة
المطلقة التي تكون مدخولا بها ولكن لا تكون مفروضا لها وحكم هذا القسم مذكور في قوله تعالى
فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن الرابعة المطلقة التي لا تكون لها فرض ولا مدخو
بها وهو الذي ذكره الله في هذه الاية وذكر انه ليس لها مهر وان لها المتعة بالمعروف
واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال ثم البدل اما ان يكون مذكورا او
غير مذكور فان كان البدل مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وهذا حكم المطلقات
اللاتي ذكرهن الله قبل هذه الاية وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق
وهذا حكم المطلقات اللاتي ذكرهن الله تعالى في الاية التي تجي بعدها وان لم يكن البدل
مذكورا فان لم يحصل الدخول فهي هذه المطلقة التي ذكر الله حكمها في هذه الاية
وحكمها انه لا مهر لها ولا عدة عليها وتجب المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور
في هذه الاية الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل ولنرجع الى تفسير الاية
وقوله لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن قرا حمزة
والكساي تماسوهن بالالف على المفاعلة لان بدن كل واحد منهما يلاقي بدن
صاحبه ويتماسان جميعا شاهده قوله تعالى من قبل ان يتماسا وقرا الباقون تمسوهن
بغير الف لان الغشيان انما هو من فعل الرجل شاهده قوله تعالى حكاية عن
مريم ولم يمسسني بشر قال الزجاج اعلم الله في هذه الاية ان عقد التزويج
بغير مهر جايز وانه لا اثم على من طلق من تزوج بها بغير مهر كما انه لا اثم على من طلق من
تزوج بمهر فان قيل ما الوجه في نفي الجناح عن المطلق وهل على الرجل جناح
لو طلق قبل المسيس اجيب بانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما بال اقوام يلعبون بحدود الله يقولون طلقتك راجعتك وقال صلى الله
عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا عن ريبة فان الله لا يحب الذواقين والذواقات
وقال صلى الله عليه وسلم ابغض الاشيا الى الله الطلاق وقال ان الله يبغض كل
مطلاق مذواق فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ظنوا انهم ياثمون في ذلك
فاخبر الله تعالى انه لا جناح في تطليق النسا اذا كان على الوجه المندوب
وربما كان الفراق اروح من الامساك وقيل لا جناح عليكم اي لا تبعة عليكم
من ايجاب مهر اي لا يجب المهر على من طلق قبل الدخول او تفرضوا لهن فريضة

الا ان تفرضوا لهن فريضه او حتى تفرضوا لهن فريضه وفرض الفريضه تسمية المهر وذلك لان
المطلقه غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم فليس لها نصف المهر
ولكن المتعه والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضه فنصف ما فرضتم اثبات الجناح المنفي ثمه فلما كان المثبت هاهنا هو
لزوم المهر وجب ان يقال الجناح المنفي هناك هو لزوم المهر وان اصل الجناح في اللغة
الثقل يقال جنحت السفينه اذا مالت بثقلها والذنب يسمى جناحا لما فيه من الثقل قال
الله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ولزوم اداء المال ثقل فكان جناحا واعلم ان
هذه الايه مشتمله على بيان حكم ثلثة اقسام من الاربعة المذكوره فانها افادت ان المطلقه لا
مهر لها اذا لم تكن ممسوسه ولا مفروضا لها وعلم منها انها اذا كانت ممسوسه ولم تكن مفروضا
لها يجب المهر وانها اذا كانت مفروضا لها ولم تكن ممسوسه ومدخولا بها حكمه مذكور في الايات
المتقدمه قوله او تفرضوا اي تقدروا لهن مقدارا من المهر توجبونه على انفسكم لان الفرض
في اللغة التقدير ومتعوهن اي زودوهن واعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمطلقه
قبل الجماع وقبل تسمية المهر مستحقه للمتعه بالاجماع ولا مهر لها والمتعه والمتاع ما يبلغ به
من الزاد على الموسع الذي له سعه وهو الغني قدره وعلى المقتر الضيق الحال
اي الفقير قدره اي مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يحضره قرا ا
حمزه والكسائي بفتح الدال فيهما والباقون يسكنونها لغتان وقد نطق
بهما القران قوله تعالى فسالت اودية بقدرها وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
وتقول العرب القضا والقدر بالفتح ومنهم من يقول القضا والقدر بالسكون وقيل
القدر بالسكون المصدر وبالفتح الاسم متاعا نصب على المصدر اي متعوهن متاعا بالمعروف
ما يعرفون انه القصد وقدر الامكان وقيل بما امركم الله به من غير ظلم وقوله حقا صفة
متاعا اي واجبا عليهم او نصب على المصدر اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون
الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه
اختلف العلما في متعة المطلقه غير المذكوره فقال قوم لكل مطلقه متعه كاينه من كانت
وعلى اي وجه وقع الطلاق فالمتعه واجبه تقضى بها من مال المطلق كما تقضى عليه بساير
الديون الواجبه عليه سوا دخل بها او لم يدخل بها فرض لها او لم يفرض اذا كان الطلاق
من جهته فان كان الطلاق من قبلها فلا متعة لها ولا مهر لقوله تعالى وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين اوجب المتعه لجميع المطلقات ولم يفرق ومعنى الايه على
هذا القول ولا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضه او لم تفرضوا
لهن فريضه ان المتعه بقوله لا جناح عليكم ان طلقتم النسا المفروضات لهن من قبل ان تمسوهن
وغير المفروض لها اذ لا معنى لقول القايل لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تفرضوا لهن فريضه
او لم تفرضوا لهن فريضه ثم قال ومتعوهن الجميع وقال اخرون المتعه واجبه لكل مطلقه سوى
المطلقه المفروض لها اذا طلقت قبل الدخول فانه لا متعة لها وانما لها نصف الصداق
المسمى هو مذهب الشافعي وقول ابن عمر ونافع وعطا ومجاهد وعلى هذا معنى الايه لا جناح عليكم
ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضه الالف زايده لقوله تعالى او يزيدون
والذي سوا الظاهر من الايه ان الجناح هو المهر والمعنى لا تبعة عليكم من ايجاب المهر

ان طلقتم النسا قبل المسيس الا ان تفرضوا لهن المهر قبل الطلاق فانه حينئذ يجب عليكم نصف المهر
ثم بين حكم اللاتي طلقتموهن قبل المسيس ولم يكن لهن مهر فمتعوهن فعلم ان المطلقات قبل المسيس
اللاي لم يفرض لهن المتعه ولم يحتج الى ان يجعل الالف زايده وقال الزهري متعتان تقضى باحداهما
السلطان ولا تقضى في الاخرى بل يلزمه فيما بينه وبين الله فاما التي تقضى بها السلطان فهو فيمن
طلق قبل ان يفرض لها ويدخل بها فانه يوخذ بالمتعه وهو قوله حقا على المحسنين واما التي
يلزمه فيما بينه وبين الله ولا تقضى بها السلطان هي فيمن طلق بعد الدخول بها او يفرض لها وهي قوله
حقا على المتقين وقال بعضهم ليس شي من ذلك بواجب واما المتعه احسان والامر بها امر ندب
واستحباب لا امر فرض وايجاب روى ابن سيرين ان رجلا طلق امراته وقد دخل بها فخاصمته
الى شريح في المتعه فقال شريح لا تاب ان تكون من المحسنين ولا تاب ان تكون من المحسنين ولا تاب
ان تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك واختلفوا في قدر المتعه ومبلغها قال ابن عباس اعلاها خادم
واوسطها ثلثة اثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقايه او شي من الورق وهذا
مذهب الشافعي قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها اقل ما له ثمن قال وحسن
ثلثون درهما وكان شريح يمتع بخمس مئة درهم ومتع عبد الرحمن بن عوف ام ابي سلمه حين طلقها بجاريه
سودا والحسن بن علي رضي الله عنه متع امراة له بعشرة الف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق
وقال ابو حنيفه درع وملحفه وخمار على حسب الحال الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من
نصف مهر المثل ومن المتعه ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم ولا ينقص من
نصفها والصحيح ان الواجب من ذلك على قدر عسر الرجل ويسره كما قال عز وجل ولو كان المعتبر فيه المهر
لكان يقول ومتعوهن على قدرهن وقدر نصف مهر مثلهن فلما قال على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره دل على ان المعتبر فيه حال الزوج لا حال المراة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي
شي قال متعها بقلنسوتك قال صاحب الكشاف وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها
وتستحب لساير المطلقات ولا تجب قوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضه فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير لما ذكر حكم المطلقه
غير الممسوسه التي لم يفرض لها مهر تكلم في المطلقه غير الممسوسه التي فرض لها مهر وان طلقتم
النسا من قبل ان تجامعوهن وقد فرضتم اي سميتم لهن فريضة اي مهرا مقدرا فنصف ما فرضتم واجب
ليس لهن اكثر من ذلك ولا عدة عليهن والمس هاهنا الجماع وقالت الحنفيه ان خلا رجل بامراة
خلوة صحيحة ولم يجامعها حتى فارقها فان المهر الكامل يلزمه والعدة يلزمها والخلوة الصحيحه
ان يخلو بها وليس مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض او يكون معهما ثالث وان كان
نايما والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض والاحرام المطلق سوا كان فرضا
او نفلا وقال الشافعي ان الخلوة بدون الدخول لا يقرر الا نصف المهر ولا يلزمها العده حجة
الحنفيه ما روي انه قضى الخلفا الراشدون فيمن اغلق بابا وارخى سترا ان لها المهر وعليها العده
حجة الشافعي قوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضه فنصف
ما فرضتم فانه ظاهر في انه قبل المسيس لا يقرر الا نصف المهر والمسيس هو الجماع بحسب عرف
اللغة فيكون حقيقة عرفيه فتعين حمله عليه وما روي عن الخلفا الراشدين لا يقتضي ان الخلوه

الصحيحه موجبه لكمال المهر ولزوم العدة فانه يجوز ان يكون اغلاق الباب وارخا الستر كنايه عن الجماع
فانهم يستبشعون التصريح بالوطى ولهذا تارة يعبرون عنه بالجماع وتارة بالدخول
او المسيس او غير ذلك قوله وقد فرضتم لهن فريضه حال من مفعول طلقتموهن
فنصف ما فرضتم لهن واجب عليكم ان لم تسوقوا اليهن المهر وردّ اليكم ان سقتم اليهن المهر
الا ان يعفون اى المطلقات والفرق بين قولك الرجال يعفون والنسا يعفون ان الواو
فى الاول ضمير الرجال الذى هو الفاعل والنون ضمير النسا الذى هو الفاعل والفعل مبنى
لا اثر للعامل فى لفظه سوا كان ناصبا او جازما وهو فى محل النصب بدخول الناصب
ويعفو منصوب معطوف على محله والذى بيده عقدة النكاح هو الزوج يعنى الا ان يعفوا
المطلقات عن النصف الواجب لهن عليه ان لم تسوقوا اليهن المهر ولا يطالبنه به وتقول المراة
ما مسنى ولا استمتع به فكيف اخذ شيا او يعفو الزوج عن النصف الذى يجب عليها رده ان
ساق اليها المهر كاملا ويقول انا احق بالعفو منها ولما ذكر الله تعالى عفو المراة عن النصف
الواجب لها عليه على تقدير عدم اخذ المهر ذكر عفو الزوج عن النصف الذى يجب عليها رده
اليه على تقدير اخذها كل المهر فيحسن لها ان تعفو ولا تطالبه بشى وللزوج ان يعفو ولا
يسترد شيا اختلف العلما فى الذى بيده عقدة النكاح فقال بعضهم هو المولى الذى يلى
عقد نكاحهن ومعنى الايه الا ان تعفون اى يهبن ويتركن النصف فلا يطالبن الازواج به اذا كن ثيبات
بالغات رشيدات جايزات الامر او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وهو وليها فيترك ذلك النصف
اذا كانت بكرا او غير جايزة الامر فيجوز عفوه عليها وان كرهت فان عفت المراة وابى الولى فالعفو
جايز وان عفا الولى وابت المراة فالعفو جايز بعد ان لا يريد ضررا وهذا قول علقمه
واصحاب عبد الله وابرهيم وعطا والحسن والزهرى والسدى وابى صالح وابى زيد وربيعه
وقال عكرمه اذن الله تعالى فى العفو ورخص به فاى امراة عفت جاز عفوها فان شحت وضنت
عفا وليها وجاز عفوه وهو القول القديم للشافعى ومذهب فقها الحجاز الا انهم قالوا يجوز عفو ولى
البكر فاما ان كانت ثيبا فلا يجوز عفوه عليها وقال بعضهم الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج
ومعنى الايه الا ان يعفو النسا فلا ياخذن شيا من المهر او يعفو الزوج فيعطيها الصداق كاملا
وهذا قول على رضى الله عنه وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد ومحمد بن كعب القرظى ونافع
والربيع وقتاده والضحاك ورواية عمار بن ابى عمار عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو مذهب
اهل العراق والقول الجديد للشافعى الذى هو المذهب ولا يرون للولى سبيلا على شى من صداقها
الاباذنها ثيبا كانت او بكرا قالوا الاجماع على ان ولى المراة لو ابرا زوجها من مهرها قبل
الطلاق لا يجوز فكذلك ابراوه وعفوه بعد الطلاق والاجماع على انه لو وهب وليها من مالها
لزوجها درهما بعد البينونه بغير اذنها لم يكن له ذلك وكانت الهبه باطله والمهر لانه مال
من اموالها فوجب ان يكون حكمه حكم ساير اموالها روى ان شريحا قال سالنى على رضى الله عنه
عن الذى بيده عقدة النكاح فقلت ولى المراة فقال لا بل هو الزوج وروى ان رجلا زوج اخته
وطلقها زوجها قبل ان يدخل عليها فعفا اخوها عن المهر فاجازه شريح ثم قال انا اعفو عن نسا
بنى مره فقال الشعبى لا والله ما قضى شريح قضا اردى ولا هو احمق منه ان يجيز عفو
الاخ فرجع بعد شريح عن قوله وقال هو الزوج وروى ان اشياخ الكوفه كانوا ياتون شريحا
فيخاصمونه فى قوله الذى بيده عقدة النكاح حتى يجثو على ركبتيه فيقول شريح انه الزوج

وعن سعيد بن جبير هو الزوج وروى ان طاوسا ومجاهدا قالا هو الولى فكلمانى فى ذلك فرجعا عن
قولهما وقالا هو الزوج وروى ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يبنى بها فاكمل لها
الصداق وقال انا احق بالعفو وتاول قوله تعالى او يعفو الذى بيده عقدة النكاح فيكون وجه
الايه على هذا التاويل الذى بيده عقدة نكاح نفسه فى كل حال قبل الطلاق وبعده فلما ادخال لام
واللام حذف المضاف اليه لقوله تعالى فان الجنه هى الماوى يعنى ماواه قال النابغه لهم شيمه لم يعطها
الله غيرهم من الناس والاحلام غير عوازب يعنى واحلامهم وكذلك قوله عقدة النكاح عقدة
نكاحه قال الامام احتج من قال الذى بيده عقدة النكاح الزوج بان الذى بيد الولى عقد
النكاح فاذا عقد حصلت العقده لان بنا الفعله يدل على المفعول كالاكله واللقمه فاما المصدر
العقد كالاكل واللقم ثم من المعلوم ان العقده الحاصله بعد العقد فى يد الزوج لا فى يد
الولى قال صاحب الكشاف الظاهر انه الولى فان تسميه الزيادة على الحق عفوا فيه نظر الا ان
يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان
يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبه فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق
المشاكله وعن جبير ابن مطعم انه دخل على سعد بن ابى وقاص فعرض عليه بنتا فتزوجها
فلما طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها على فكرهت رده
قيل له فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل قوله وان تعفوا خطاب للرجال والنسا
جميعا على التذكير وموضعه الرفع بالابتدا وخبره اقرب واللام فى للتقوى بمعنى الى
والمعنى عفو بعضكم عن بعض اقرب الى التقوى لان من سمح بترك حقه فهو محسن فيستحق الثواب
فيتقى به العقاب ولان العفو ندب فاذا انتدب اليه علم انه لما كان فرضا اشد استعمالا
ولما كان منهما اشد تحسا ولا تنسوا الفضل والفضل التفضل اى ولا تنسوا ان يتفضل
بعضكم على بعض وليس المراد النهى عن النسيان لان ذلك ليس فى الوسع بل المراد منه الترك اى ترك
الزوج النصف الذى له ان يسترد على تقدير السوق اليها وترك المراة النصف الذى لها ان
تطالبه به على تقدير عدم السوق اليها وترك المراة النصف الذى لها ان تطالبه به على
تقدير عدم السوق اليها حث الله تعالى الزوج والمراة على التفضل والاحسان وامرهما جميعا
ان يستبقا الى العفو فان الرجل اذا تزوج بالمراة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس
تاذت عنه وان المراة اذا كلفته ان يبذل لها مهرا من غير ان ينتفع بها البته صار ذلك سببا
لتاذيه عنها فندب الله تعالى كل واحد منهما الى ما يزيل التاذى عن قلب الاخر فندب
الزوج الى تطييب قلبها بان لا يسترد منها شيا وندب المراة الى تطييب قلبه بان لا تاخذ
شيا منه ثم ختم الايه بما يفيد الوعد على الاحسان والوعيد على الاساه على تبيين عادته
فقال ان الله بما تعملون بصير قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم
تكونوا تعلمون لما بين الله تعالى للمكلفين الاحكام المتعلقه بمصالح الدنيا امرهم بعدها بالمحافظه
على المصالح التى هى من مصالح الاخرى حافظوا على الصلوات اى واظبوا وداوموا
على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وجميع ما يجب فيها من شرايطها اعنى طهارة البدن
والثوب والمكان وستر العوره واستقبال القبله واركانها قيامها وقراتها وركوعها
وسجودها وقعودها وتشهدها والاحتراز عن مبطلاتها سوا كان من اعمال القلوب

او من اعمال اللسان او من اعمال الجوارح والاهم فيها رعاية النية فانها هي المقصود الاصلي قال
صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات والمحافظة انما تكون بين اثنين اما بين الله وبين العبد
او بين العبد وبين الصلوة فكانه قيل احفظ الصلوة ليحفظك الله الذي امرك بالصلوة وذلك كقوله
اذكروني اذكركم واما بين العبد والصلوة فكانه قيل احفظ الصلوة تحفظك الصلوة وحفظ الصلوة
للمصلي من الفحشا والمنكر قال الله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر ومن البلايا والمحن قال
الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة والصلوة الوسطى اي الوسطى من الصلوات او الفضلى من
قولهم الافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوة لانفرادها بالفضل واختلف العلما
في الصلوة الوسطى فذهب بعضهم الى ان الله لم يبين ان الصلوة الوسطى ما هي لانه لم يبين بطريق قطعي
لا في هذه الاية ولا في خبر متواتر وهذا ظاهر والطريق الظني من خبر الواحد والقياس لا يعتد لان
المسلة لا تكون علمية حتى تفيد الطريق الظني والسر فيه انه تعالى لما خصها بمزيد التوكيد مع انه لم يبينها
جوزوا في كل صلوة انها الوسطى فيكون ذلك داعيا الى محافظة الكل على نعت الكمال عن محمد بن سيرين
ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوات تصبها وعن الربيع انه ساله
واحد عنها فقال يا ابن عم الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارايت
لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سايرهن قال السايل لا فقال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت
على الوسطى وقال بعضهم ان الوسطى هي مجموع الصلوات الخمس لان هذه الخمس هي الوسطى من الطاعات
وتقريره ان الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق فهي واسطة بين الطرفين وقال بعضهم انها صلوة الصبح وهو قول عمر ومعاذ وابن عباس
وابن عمر وجابر ومن التابعين عطا وعكرمة ومجاهد لانها بين صلاتي النهار وصلوة الليل
ولانها تصلى في الغلس فاولها يقع في الظلام فاشبهت صلوة الليل واخرها يقع في الضوء فاشبهت
صلوة النهار ولانها تودى بعد طلوع الصبح وقبل طلوع الشمس وهذا القدر من الزمان
لا يكون الظلمة فيه تامة ولا يكون الضوء ايضا تاما فكانه ليس بليل ولا نهار فكان متوسطا بينهما
قيل هذه المعاني حاصلة في صلوة المغرب اجيب بانه رجح الصبح بكثرة فضايل صلوة الصبح
ولان الظهر والعصر يجتمعان في وقت واحد وكذا المغرب والعشا وصلوة الفجر منفردة بوقت
واحد وكان وقت الظهر والعصر وقتا واحدا ووقت المغرب والعشا وقتا واحدا او وقت
الفجر متوسط بينهما ولان الله تعالى قال ان قران الفجر كان مشهودا وقد ثبت بالتواتر ان المراد
منه صلوة الفجر وانما جعلها مشهودا لانها تودى بحضرة ملائكة الليل والنهار فافراد الله صلوة الصبح
بالذكر دال على فضلها ثم خص الصلوة الوسطى بزيادة التاكيد فغلب على الظن انها صلوة الفجر
لما ثبت انها افضل تلك الاية وجب ان تكون هي المراد بالتاكيد المذكور في هذه الاية ولان
الملائكة تتعاقب بالليل والنهار ولا تجتمع ملائكة الليل والنهار في وقت واحد الا في صلوة الفجر
فثبت ان صلوة الفجر قد توسطت بين الليل والنهار ولان الله تعالى قال بعد ذكر الصلوة
الوسطى وقوموا لله قانتين فقرن هذه الصلوة بذكر القنوت وليس في الشرع صلوة يقنت
فيها بالاخبار الصحيحة الا في الصبح فدل على ان المراد بالصلوة الوسطى صلوة الصبح ولان
الله تعالى انما افردها بالذكر لاجل التاكيد وصلوة الصبح احوج الصلوات الى التاكيد
لانها اشق منها فانها تجب على الناس في الذ الاوقات النوم حتى ان العرب كانوا يسمون
نوم السحر العسيلة للذتها ولا شك ان ترك النوم اللذيذ الطيب في ذلك الوقت واستعمال الما

بلغ مقابلة

البرد

الما البارد والخروج الى المسجد والذهاب للصلوة شاق صعب على النفس فيجب ان تكون هي المرادة
بالصلوة الوسطى اذ هي اشد الصلوات حاجة الى التاكيد ولان صلوة الصبح افضل الصلوات فوجب
ان يكون هي الصلوة الوسطى والدليل على انها افضل الصلوات وجوه منها ان الله تعالى ختم
طاعاتهم الشريفة وعباداتهم الكاملة بذكر كونهم مستغفرين بالاسحار حيث قال الصابرين
والصادقين الى قوله والمستغفرين بالاسحار فوجب ان تكون اعظم انواع الاستغفار اداء الفرض
لقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه لن يتقرب المتقربون الى بمثل ادا ما افترضت عليهم فيكون
افضل الطاعات بعد الايمان صلوة الصبح ومنها انه ثبت بالاخبار الصحيحة ان صلوة الصبح
مخصوصة بالاذان مرة قبل طلوع الفجر ومرة اخرى بعده لان المقصود من المرة الاولى ايقاظ الناس
حتى يقوموا ويتشمروا للوضوء ومنها ان الله تعالى سماها باسما فقال في بني اسرائيل وقران الفجر
وقال في النور من قبل صلوة الفجر وقال في الروم وحين تصبحون وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
المراد من قوله تعالى وادبار النجوم صلوة الفجر ومنها انه تعالى اقسم به فقال والفجر وليال عشر
ولا يعارض هذا بقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر لانا لا نسلم ان المراد منه القسم بصلوة العصر ولين
سلمتم ان المراد منه القسم بصلوة العصر لكن في صلوة الفجر تاكيد وهو قوله اقم الصلوة طرفي النهار فكما ان
احد الطرفين هو الصبح وهو واقع قبل الطلوع فالطرف الاخر هو المغرب لانه هو الواقع بعد الغروب
فقد اجتمع في الفجر القسم به مع التاكيد لقوله اقم الصلوة طرفي النهار ومنها ان التثويب في اذان الصبح
معتبر وهو ان تقول بعد الفراغ من الحيعلة الصلوة خير من النوم مرتين ومثل هذا التاكيد لا
يوجد في ساير الصلوات ولانه روي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه سيل عن الصلوة الوسطى
فقال كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه الصلوة الوسطى وقال
بعضهم انها صلوة الظهر روى هذا عن عمر وزيد وابي سعيد الخدري واسامة بن زيد
وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف
المبالغة اليه اولى عن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة وكان اثقل الصلوة
على اصحابه وربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان احرق
على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية ولان صلوة الظهر تقع وسط النهار وليس في
المكتوبات صلوة تقع في وسط النهار غيرها ولانها بين البردين برد الغداة وبرد العشي ولانها اول
صلوة فرضت واول صلوة توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى الكعبة وهي
التي ترفع فيها الدعوات ولان صلوة الجمعة اشرف الصلوات وهي صلوة الظهر وقال بعضهم انها صلوة
العصر وهو مروي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ومن الفقها النخعي
وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة لما روي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم وقبورهم
نارا وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم وساير الايمة وهو عظيم الموقع في هذه المسئلة
وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ولانه روي في صلوة العصر من التاكيد
ما لم يرو في غيرها قال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وايضا
اقسم الله به فقال والعصر ان الانسان لفي خسر فدل على انه احب الساعات الى الله تعالى ولان
العصر بالتاكيد اولى لان المحافظة على ساير الصلوات اخف واسهل من المحافظة على وقت صلوة العصر
والسبب فيه ان وقت صلوة العصر اخفى الاوقات لان دخول صلوة الصبح بطلوع الفجر الصادق ودخول

الظهر بظهور الزوال ودخول المغرب بغروب القرص ودخول العشا بغروب الشفق والعصر
لا يظهر وقتها الا بنظر دقيق وتامل عظيم في حال الظل فلما كانت معرفته اشق لا جرم كانت الفضيله
فيها اكثر وان الناس عند العصر يكونون مشتغلين بالمهمات فكان الاقبال على الصلوة اشق وكان حرف
التاكيد الى هذه الصلوة اولى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوة الوسطى العصر
وفي بعض الاخبار هي التي فرط فيها سليمن عن البرا بن عازب قال نزل حافظوا على الصلوات وصلوة
العصر فقراناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شا الله ثم نسختها حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى صلوة العصر عن عروة ابن الزبير قال كان في مصحف عايشه رضي الله عنها
حافظوا على الصلوة والصلوة الوسطى صلوة العصر ولان العصر متوسطه بين صلوة نهاريه وصلوة
ليليه ولانها بين صلوتين بالنهار وصلوتين بالليل وقال بعضهم انها صلوة المغرب لانها بين
بياض النهار وسواد الليل وهذا المعنى وان كان في الصبح الا ان المغرب ترجح بوجه اخر
وهو انه ازيد من الركعتين كما في الصبح واقل من الاربع كما في الظهر والعصر والعشا فهو وسط
في الطول والقصر ولان صلوة الظهر هي الصلوة الاولى لابتدا جبريل فيها بالامامه فتكون الوسطى
هي المغرب وقال بعضهم انها صلوة العشا لانها متوسطه بين الصلوتين لا تقصران وعن عثمان بن
عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى العشا الاخرة في جماعه كان كقيام نصف ليله
ولما كان دلايل هذه الاقوال ظنيه متقاربه في القوة والضعف وترجيح بعضها على البعض لا يخلو
عن تكلف وتعسف اعرضنا عنه واستدل بهذه الايه على ان الوتر ليس بواجب والا لكانت الصلوة
الواجبه ستا فلم يكن لها وسطى والايه دلت على حصول الوسطى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون
المراد هو الوسطى في الفضيله او في الزمان او في المقدار او في الصفه والاولى ان يستدل على
عدم وجوب الوتر بما روي عن طلحه بن عبيد الله رضي الله عنه قال جا رجل من اهل نجد ثاير الراس
يسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسال عن الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم
خمس صلوات في اليوم والليله فقال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع قال فادبر الرجل وهو
يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح الرجل ان
صدق وقوموا لله قانتين قال الزجاج القنوت العباده والدعا لله في حال القيام
ويجوز ان يقع في ساير الطاعات لانه ان لم يكن قيام بالرجلين فهو قيام بالشي بالنيه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قانتين مطيعين وقال مقاتل والكلبي لكل اهل دين صلوة يقومون فيها عاصين
فقوموا في صلوتكم مطيعين وقوموا لله في الصلوة ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر
الله قياما وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل حرف في القران
ذكر فيه القنوت فهو طاعة وعن مجاهد القنوت الخشوع والركود وخفض الجناح
وسكون الاطراف من رهبة الله وروي انه اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره
او يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشي او يحدث نفسه بشي من امور الدنيا الا ناسيا ما دام في
صلوته قوله فان خفتم اي عدوا او سبعا او غيرهما فصلوا رجالا وهو جمع راجل مثل
تاجر وتجار او جمع رجل كسبع وسباع يقال رجل رجل اي راجل او ركبانا جمع راكب مثل
فارس وفرسان ومعنى الايه فان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين للصلوة حقها فصلوا مشاة على
ارجلكم وركبانا على ظهور دوابكم واعلم انه اذا التحم القتال ولم يكن لاحد ترك القتال فمذهب
الشافعي انهم يصلون مشاة على اقدامهم او ركبانا على دوابهم الى القبله والى غير القبله يومون بالركوع

والسجود

والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح اذ لا ضرورة فيه وقال
ابو حنيفه لا يصلي الماشي بل يوخر واحتج الشافعي بهذه الايه من وجهين الاول ان ابن عمر
رضي الله عنهما قال فرجالا مستقبل القبله وغير مستقبلها قال نافع لا ارى ابن عمر
ذكر ذلك الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان الخوف الذي يجوز معه الصلوة
مع الرجال والمشي ومع الركوب والركض لا يمكن معه المحافظة على الاستقبال فصار قوله
فرجالا او ركبانا يدل على الرخصة في ترك التوجه وترك الركوع والسجود الى الايما الا ان مع
الخوف الشديد من العدو ولا يامن الرجل على نفسه ان وقع في مكانه ان لا يتمكن من الركوع
والسجود ولنتكلم فيما سقط عنه عند الخوف وفيما لا يسقط فنقول ان الصلوة لا تتم الا بفعل
القلب الذي هو النيه ولا تسقط لانه لا يتبدل حال الخوف بسبب ذلك وبفعل اللسان
وهي القراه وهي لا تسقط عند الخوف ولا يجوز ان يتكلم حال الصلوة بكلام اجنبي ولا ان
يصيح صيحا حال الاضرورة اليه وباعمال الجوارح والقيام والقعود منها يسقطان
عنه لا محاله والاستقبال ايضا ساقط والركوع والسجود يقوم مقامهما الايما فيجب
ان يكون ايما السجود اخفض من ايما الركوع لان هذا القدر ممكن واما ترك الطهارة
فغير جايز لاجل الخوف فانه يمكنه بالما او بالتراب التطهير انما الخلاف في انه اذا وجد
الما وامتنع عليه التوضي به فهل يجوز ان يتيمم بالغبار الذي لا يتمكن منه حال ركوبه والاصح
انه يجوز لانه اذا كان خوف العطش رخص التيمم فالخوف على النفس اولى ان يرخص
فيه والاعتماد فيه على قوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم
واحتج ابو حنيفه بانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق فوجب علينا ايضا ذلك
والجواب ان يوم الخندق لم يبلغ الخوف هذا الحد ومع ذلك انه صلى الله عليه
وسلم اخر الصلوة فعلمنا ان هذه الايه ناسخه لذلك الفعل قوله فان خفتم يتناول الخوف
في القتال الذي يباح فيه الهرب والخوف من الحرق والغرق والسبع ومن المطالب بالدين
اذا كان معسرا خايفا من الحبس عاجزا عن بينه الاعسار لان قوله فان خفتم مطلق يعم الجميع
قوله فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله اي فصلوا الصلوات الخمس تامه بحقوقها
كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
وقوموا لله قانتين وكما بينه بشروطه واركانه لان سبب الرخصة الخوف فاذا زال
عاد الوجوب كما كان من قبل والصلوة قد تسمى ذكرا لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله
لان المقصود الاعظم من الصلوة ذكر الله قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وقال اقم
الصلوة طرفي النهار وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعباده
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن ثم ان
اصحابنا فسروا هذا التعليم بخلق العلم فينا والمعتزله فسروه بوضع الدلايل وفعل الالطاف
وتفسير اصحابنا ظاهر وتفسيرهم ماول ولا ضرورة فيه وقوله ما لم تكونوا تعلمون
اشارة الى ما قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم من زمان الجهاله والضلاله
تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير
اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون

قرأ ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون بالنصب أما الرفع فبأن يجعل خبر مبتدأ محذوف تقديره ووصية الذين يتوفون وصية لأزواجهم فالمحذوف هو المبتدأ المضاف والمضاف باق وحينئذ إما أن يقام مقام المضاف فيكون في محل الرفع أو لم يجعل قائما مقام المضاف ويكون المضاف في حكم المذكور فيكون المضاف إليه في محل الجر ويكون قد أضيف إليه الأهل الذي هو خبر المبتدأ ثم حذف الأهل وأقيم الوصية مقامه تقديره والذين يتوفون منكم أهل وصية لأزواجهم ومنهم من جعل مبتدأ وخبره محذوف وتقديره فعليهم وصية لأزواجهم وأما النصب فتقديره والذين يتوفون يوصون وصية كقوله إنما أنت سير البريد بإضمار تسير أو ألزم الذين يتوفون وصية فالذين مفعول ووصية مفعول ثان قوله متاعا أي متعوهن متاعا بالإنفاق عليهن إلى الحول وقيل متاعا نصب بالوصية إلا إذا أضمرت يوصون فإنه نصب بالفعل مذهب المبرد أنه يعمل المصدر إعمال الفعل وحينئذ يكون متاعا منصوبا بالفعل الذي هو يوصون قوله إلى الحول صفة لقوله متاعا أو متعلق به تقديره متعوهن متاعا حولا أو وصية متاعا حولا قوله غير إخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول لما ذكر أنهم يوصون لأزواجهم بما يتمتعن به حولا دل على أنهن لا يخرجن فأكد ذلك بقوله غير إخراج تقديره يسكن في البيوت إسكانا غير إخراج أو بدل من متاع أو حال من الأزواج أي غير مخرجات والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهم واعلم أن في هذه الآية ثلاثة أقوال الأول اختيار جمهور المفسرين أنها منسوخة فإن الحكم في ابتداء الإسلام أنه إذا مات الرجل لم يكن لامرأته شيء من الميراث إلا النفقة والسكنى سنة وكان الحول عزيمة عليها في الصبر عن التزوج ولكنها كانت مخيرة في أن تعتد في بيت الزوج أو تخرج قبل الحول لكنها متى خرجت سقطت نفقتها وهذه الوصية واجبة مفسرة بالمتاع والنفقة إلى الحول وبالسكنى إلى الحول ثم ذكر تعالى أنهن إن خرجن فلا جناح عليكم يا أولياء الميت فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب والتشوف للنكاح والتصنع للأزواج من معروف مما ليس بمنكر شرعا وفي معنى رفع الجناح عن الرجال بفعل النساء وجهان أحدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إن خرجن قبل انقضاء الحول وثانيهما لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها حولا في بيت زوجها غير واجب عليها خيرها الله في ذلك إلى أن نسخه فثبت أن هذه الآية توجب النفقة والسكنى من مال الميت سنة توجب المنع من التزوج بزوج آخر في هذه السنة ثم نسخ هذان الحكمان أما الوصية بالنفقة والسكنى فلأن القرآن دل على ثبوت الميراث لها والسنة دلت على أنه لا وصية لوارث فصار المجموع ناسخا للوصية للزوجة بالنفقة والكسوة في الحول وأما وجوب العدة فنسخ بقوله يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فهذا القول هو الذي اتفق عليه أكثر المتقدمين والمتأخرين من المفسرين والثاني وهو قول مجاهد أن الله تعالى أنزل في عدة المتوفى عنها زوجها آيتين أحداهما ما تقدم وهو قوله يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا والأخرى هذه الآية فوجب تنزيل هاتين الآيتين على حالتين وهي أنها لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تأخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها أربعة أشهر وعشرا على ما في الآية المتقدمة وإن اختارت السكنى في دار زوجها والأخذ من ماله وتركته فعدتها هي الحول قال وتنزيل الآيتين على هاتين الحالتين أولى لأن كل واحد منهما

معمولا

معمولا به والثالث وهو قول أبي مسلم الأصفهاني أن معنى الآية أن من يتوفى منكم ويذرون أزواجا وقد وصوا وصية لأزواجهم بنفقة الحول وسكنى الحول فإن خرجن قبل ذلك وخالفن وصية أزواجهن بعد أن يقمن المدة التي ضربها الله تعالى لهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف أي نكاح صحيح لأن إقامتهن بهذه الوصية غير لازمة قال والسبب أنهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا كاملا وكان يجب على المرأة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الآية أن هذا غير واجب وبهذا التقرير فالنسخ زائل واحتج على قوله بوجوه أحدها أن النسخ خلاف الأصل فوجب المصير إلى عدمه بقدر الإمكان والثاني يجب أن يكون الناسخ متأخرا عن المنسوخ في النزول وإذا كان متأخرا عنه في النزول يكون متأخرا عنه في التلاوة وهو وإن كان جائزا في الجملة إلا أنه تنزيه كلام الله تعالى عن سوء الترتيب واجب بقدر الإمكان ولما كانت هذه الآية متأخرة عن تلك في التلاوة كان الأولى أن لا يحكم بكونها منسوخة بتلك والثالث أنه ثبت في أصول الفقه أنه متى وقع التعارض بين النسخ وبين التخصيص كان التخصيص أولى وههنا إن خصصنا هاتين الآيتين بالحالتين المخصوصتين على ما هو قول مجاهد اندفع النسخ وكان المصير إلى قول مجاهد أولى من التزام النسخ من غير دليل وأما على قول أبي مسلم فالكلام أظهر لأنكم تقولون تقدير الآية فعليهم وصية لأزواجهم أو تقديرها فليوصوا وصية فأنتم تضيفون هذا الحكم إلى الله وأبو مسلم يقول بل تقدير الآية والذين يتوفون منكم ولهم وصية لأزواجهم أو وقد أوصوا وصية لأزواجهم فهو يضيف هذا الحكم إلى الزوج وإذا كان لا بد من الإضمار فليس إضماركم أولى من إضماره ثم على تقدير أن يكون الإضمار ما ذكرتم يلزم تطرق النسخ إلى الآية وعلى تقدير أن يكون الإضمار ما ذكره أبو مسلم لم يلزم تطرق النسخ إلى الآية وعند هذا استشهد كل عقل سليم بأن إضمار أبي مسلم أولى وأن التزام هذا النسخ التزام له من غير دليل مع ما في القول بهذا النسخ من سوء الترتيب الذي يجب تنزيه كلام الله عنه وهذا كلام واضح واعلم أن هذه الآية من أولها إلى آخرها جملة واحدة شرطية والشرط هو قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج والجزاء قوله فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف فهذا تقرير قول أبي مسلم قال الإمام وهو في غاية الصحة والمعتدة من الوفاة لا نفقة لها ولا كسوة حاملا كانت أو حائلا وروي عن علي وابن عمر رضي الله عنهم أن لها النفقة إذا كانت حاملا وعن جابر وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قالا لا نفقة لها حسبها الميراث وهل تستحق السكنى فيه قولان أحدهما لا تستحق السكنى وهو قول علي وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم ومذهب أبي حنيفة والمزني والثاني تستحق وهو قول عمر وعثمان وابن عمر وابن مسعود وأم سلمة رضي الله عنهم وبه قال مالك والثوري وأحمد وبناء القولين على قول فريعة بنت مالك أخت أبي سعيد الخدري قتل زوجها فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي ما تركني في منزل يملكه فقال عليه السلام نعم فانصرفت حتى إذا كنت في المسجد أو في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله واختلفوا في تنزيل هذا الحديث فقيل لم يوجب في الابتداء ثم أوجب فصار الأول منسوخا وقيل أمرها بالمكث في بيتها على سبيل الاستحباب لا على سبيل الوجوب واحتج المزني على أنه لا سكنى لها بأن قال أجمعنا على أن لا نفقة لها

لان الملك انقطع بالموت فكذلك السكنى بدليل انهم اجمعوا على ان من وجبت له نفقه وسكنى
من والد وولد على رجل فمات انقطعت نفقتهم وسكناهم لان ماله صار ميراثا للوارث
فكذا هاهنا اجاب الاصحاب بانه لا يمكن قياس السكنى على النفقه لان المطلقه
الثلاث تستحق السكنى بكل حال ولا تستحق النفقه لنفسها عند المزنى ولان النفقه وجبت
في مقابله التمكين من الاستمتاع ولا يمكن هاهنا واما السكنى وجبت لتحصين الماء وهو موجود
هاهنا فافترقا فان قيل الله تعالى ذكر الوفاه ثم امر بالوصيه فكيف يوصي المتوفى اجيب
بان المعنى والذين يقاربون الوفاه ينبغي ان يفعلوا هذه وبان هذه الوصيه يجوز ان يكون
مضافه الى الله تعالى بمعنى امره وتكليفه كانه قيل وصيه من الله لازواجهم لقوله يوصيكم الله في
اولادكم قوله وللمطلقات قيل لما نزلت قوله تعالى على الموسع قدره الى قوله
حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل
فانزل الله تعالى وللمطلقات الى قوله حقا على المتقين اى المتقين عن الكفر والمراد بالمتاع
هاهنا المتعة وظاهر هذه الايه يقتضي وجوبها لكل المطلقات فعم المطلقات بايجاب
المتعة لهن بعدما اوجبها لواحده منهن وهي المطلقه غير المدخول بها وقال حقا على
المتقين كما قال ثمه حقا على المحسنين وانما اعاد الله تعالى ذكرها هاهنا لما فيها من زياده
المعنى على ما سواها وهي فيما سوى هذه ابيان حكم غير المدخول بها اذا طلقت وههنا
بيان حكم جميع المطلقات في المتعه وعن علي رضي الله عنه لكل امة مطلقه حرة او امة متعه
وتلى قوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وقال الشافعي لكل مطلقه الا المطلقه
التي فرض لها مهر ولم يوجد المسيس وقال ابو حنيفه المتعة لا تجب الا للمطلقه التي لم يفرض
لها مهر ولم يوجد في حقها مسيس وقيل تناولت الايه التمتع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد
نفقة العدة قوله كذلك اى مثل البيان الذى تقدم فيما ذكر من الاحكام يبين اياته بتفسير
لكم فرايضه لتعلموا بها حتى تفقهوا وهو قوله لعلكم تعقلون اي تثبت لكم صفة العقل الا باستعمال
ما بينا لكم قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اي الم ينته علمك الى هولا ومعنى الرويه روية القلب وهو معنى العلم ان هذا اللفظ
قد يستعمل فيما تقدم للمخاطب العلم به فيكون تقريرا لمن سمع بعضهم من اهل الكتاب
واخبار الاولين وتعجبا من شانهم وقد يستعمل فيما لم يتقدم للمخاطب العلم به ولم يسمع
لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب فقد يقول الرجل لغيره يريد تعريفه
ابتدا الم تر الى ماجرى على فلان فيكون هذا ابتدا تعريف وهذا الكلام ظاهره خطاب
مع النبي صلى الله عليه وسلم الا انه لا يبعد ان يكون المراد هو وامته الا انه وقع الابتداء
بالخطاب معه لقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا ويجوز ان يكون خطابا لكل من يسمع قال
اكثر المفسرين كانت قريه يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون فخرجت
طايفه منها هاربين من الطاعون وبقي طايفه فهلك الاكثر من بقي في القريه وسلم الذين
خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم منا
لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولين وقع الطاعون ثانيه لنخرجن الى ارض لا وبا بها فوقع الطاعون
من قابل فهرب عامه اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه

النجاه

النجاه والحيوه ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا ثم
احياهم ليعتبروا وليعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضايه روي عن الاصمعي انه قال لما وقع الطاعون
من قابل فهرب عامه اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا بالبصره خرج رجل من اهلها عنها على حمار
معه اهله وولده وخلفه عبد حبشي يسوق حماره فطفق العبد يرتجز ويقول لن يسبق الله على حمار

الرجز

ولا على ذى معدة طيار قد يصبح الله امام السارى فرجع الرجل لما سمع قوله بعياله وروى عبد
بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بهذا الوبا ببلد فلا تقدموا عليه وان وقع
وانتم فيه فلا تخرجوا فرارا وقيل مر عليهم حزقيل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقيه
واصابعه تعجبا مما راى فاوحى الله اليه نادهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرايل دعاهم ملكهم الى الجهاد
فهربوا حذرا من الموت فلما راى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك
فارهم ايه في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا
جميعا ومات دوابهم كموت رجل واحد واتى ثمانيه ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج
الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع وتركوهم ثم احياهم الله وبقي فيهم شي من ذلك النتن
وبقي في ذلك وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيره زايده على عشره لان مادون ذلك لا يقال
لهم الوف انما يقال ثلثه الف فصاعدا الى عشره الاف غالبا لان الالوف جمع الكثرة والاف جمع
القلة فقيل عشره الف وقيل ثلاثون الفا وقيل سبعون الفا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير
الوف متالفون جمع الف كقاعد وقعود قوله فقال لهم الله موتوا فاماتهم الله وانما جي به على
هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة
كانهم امروا بشي فامتثلوا امتثالا من غير ابا ولا توقف لقوله انما اذا اراد شيا ان يقول له كن
فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهاده وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه
مفر فالاولى ان يكون في سبيل الله ان الله لذو فضل على الناس حيث احياء اولياك ليعتبروا
فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون انعام الله عليهم بفضله
والدليل على انه ساق هذه القصه بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله قوله
تعالى وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم قال جمهور المحققين ان هذا استيناف
خطاب للحاضرين يتضمن الامر بالجهاد الا انه سبحانه بلطفه ورحمته قدم على الامر بالقتال
ذكر الذين خرجوا من ديارهم لئلا ينكص عن امر الله محب للحياه بسبب خوف القتال وليعلم كل احد
ان ترك القتال لا يوجب السلامه من الموت كما في قوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا تشجيعهم على القتال الذى به وعد احدى الحسنيين
اما في العاجل الظهور على العدو وفي الاجل الفوز بالخلود في النعيم والوصول الى ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين في سبيل الله السبيل هو الطريق وسميت العبادات سبيلا الى الله
تعالى من حيث ان الانسان يسلكها يتوصل الى الله تعالى ومعلوم ان الجهاد تقوية للدين
وكان طاعة فلا جرم كان المجاهد مقاتلا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم
يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزا وقيل يسمع كلامهم
في ترغيب الغير في الجهاد او في ترغيب الغير عنه وهو من وراء الجزا عليم بما في صدوركم
من البواعث والاعراض وبان ذلك الجهاد لغرض الدين والاجل او لغرض الدنيا والعاجل

تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض
ويبسط واليه ترجعون لما امر الله تعالى بالقتال في سبيل الله اردفه بقوله من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا والمراد منه القرض في الجهاد خاصة فندب العاجز عن الجهاد ان ينفق على
الفقير القادر على الجهاد وامر القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه في طريق الجهاد ثم اكد
ذلك بقوله والله يقبض ويبسط لان من علم ذلك كان اعتماده على فضل الله اكثر من اعتماده على ماله
وذلك يدعو الى انفاق المال في سبيل الله والاحتراز عن البخل بذلك الانفاق فعلى هذا يكون
هذه الاية متعلقة بما قبلها وقيل هذه الاية كلام مبتدا لا تعلق له بما قبله فقيل ان القرض
غير الانفاق المال لما روي عن بعض اصحاب ابن مسعود انه قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وفيه بعد لان القرض في عرف اللغة لا يقع عليه ولا يمكن حمل هذا
القول على الصحة الا ان يقول الفقير الذي لا يملك شيا اذا كان في قلبه انه لو كان قادرا
لانفق واعطى فحينئذ تكون تلك النية قايمة مقام الانفاق روي انه صلى الله عليه وسلم قال
من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فان له صدقة وقيل القرض انفاق المال وهو
انفاق ما ليس بواجب من الصدقة لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولانه نزلت
في ابي الدحداح قال يا رسول الله ان لي حديقتين فان تصدقت باحدهما فهل لي مثلاها
في الجنة قال نعم قال وام الدحداح معي قال نعم قال والصبية معي قال نعم فتصدق بافضل
حديقتيه قال فرجع ابو الدحداح الى اهله وكانت امراته في الحديقة التي تصدق بها فقام
على باب الحديقة وذكر ذلك لامراته فقالت ام الدحداح بارك الله لك فيما اشتريت ثم خرجوا
وسلموا فكان عليه السلام يقول كم من نخلة تدلى عروقها في الجنة لابي الدحداح فظهر ان المراد
بهذا القرض ما كان متبرعا لا واجبا وقيل المراد بهذا القرض الانفاق الواجب في سبيل الله
يدل على ذلك قوله تعالى واليه ترجعون وذلك كالزجر ولا يليق الا بالواجب وقيل ان المراد
بالقرض كل التسبيح والقرض ان تعطي شيا ليرجع اليك مثله او لتقضي شبهه سمى الله عمل المومنين
لله عز وجل على ما يرجون من ثوابه بالقرض لانهم انما يعطون ابتغا ما وعدهم الله من جزيل
الثواب فالقرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه قال لبيد واذا جوزيت قرضا فاجزه
انما يجزي الفتى ليس الجمل وقيل في الاية اختصار واضمار مجازها من ذا الذي يقرض عباد الله
والمحتاجين من خلق الله كقوله ان الذين يوذون الله فاضافه الله ها هنا الى نفسه
بالتفضل والاستعطاف كما جا في الحديث ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة استطعمتك
فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني واستكسيتك فلم تكسني فيقول العبد وكيف ذلك يا
سيدي فيقول مر بك فلان الجايع وفلان العاري فلم تعد عليه من فضله ولامنعتك اليوم
فضلي كما منعته وقيل امر الله تعالى بالصدقة على لفظ القرض اظهارا للمحبة لعباده المومنين
وذلك انما يستقرض من الاحبة وقيل هذا ترغيب من الله في المواساة والاقراض لعباده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رايت مكتوبا على باب الجنة القرض بثمانية عشر والصدقة
عشر فقلت يا جبريل ما بال القرض اعظم اجرا قال لان صاحب القرض لا ياتيك الا محتاجا
وربما وقعت الصدقة في غير اهلها وعنه صلى الله عليه وسلم من اقرض اخاه المسلم فله بكل درهم
وزن احد وثبير وطور سينا حسنات قال صاحب الكشاف اقراض الله مثل لتقديم العمل
الذي يطلب منه ثوابه وقيل في لم يقرض ليس لحاجة بالله ولكن لقول العرب عندي

قرض

عطف ء

قرض صدقة وقرض سو لامر تاتي فيه مسرته ومساته وقيل القرض في اللغة البلا الحسن
والبلا السيي قال امية بن الصلت كل امر سوف يجزي قرضه حسنا او سيا ومدينا مثل ما دانا
وقال اخر فجازى القروض بامثالها فبالخير خيرا وبالشر شرا ومعنى الاية من استفهام ومحله
رفع بالابتدا اذا خبره والذي صفة الخبر وقوله يقرض الله صلة الذي اي ينفق في طاعته
واصل القرض القطع ومنه قرض الفار الثوب وسمي الشعر قريضا لانه يقطعه من ماله قرضا حسنا
هنيا طيبا به نفسه قيل ان يكون المال من الحلال وقيل هو ان لا يمن به ولا يوذي وقيل هو
ان يعتقد بقرضه عوضا قال صاحب الكشاف القرض الحسن اما المجاهد في نفسها واما النفقة في
سبيل الله قرا عاصم فيضاعفه نصبا وابن كثير بالالف وابن عامر بالتشديد والنصب وابن كثير
بالتشديد والرفع والاخرون بالالف والتخفيف والرفع فالرفع على قوله يقرض وقيل انه هو
يضاعفه ومن نصب جعله جوابا للاستفهام بالفا وقيل باضمار ان والتشديد والتخفيف
لغتان ودليل التشديد قوله اضعافا كثيرة لان التشديد للتكثير قيل هذا التضعيف لا يعلمه
الا الله وهو مثل قوله ويوت من لدنه اجرا عظيما وقيل الواحد بسبعمايه والله يقبض ويبسط
اي يمسك الرزق عن من يشا ويقتره ويضيق عليه ويوسع الرزق على من يشا فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم لا يبدلكم الضيقة والسعة قال الله ويقبضون ايديهم اي يمسكونها عن النفقة في سبيل الله
وقال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده والاصل في هذا القبض اليد عن البخل وبسطها عند
البذل وقيل هو الاحيا والاماته فمن اماته الله فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له وقيل
والله يقبض الصدقة ويبسط بالخلف وقيل هذا في القلوب لما امرهم الله تعالى بالصدقة اخبرهم
انهم لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه فقال والله يقبض ويبسط يعني يقبض بعض القلوب فيزويه كيلا
ينبسط للخير ويبسط بعضها فيقدم خيرا لنفسه واليه ترجعون اي والى الله تعودون
فيجازيكم على ما قدمتم وقيل الها راجعة الى التراب كناية عن غير مذكور اي من التراب
خلقتم واليه ترجعون تعودون قوله تعالى الم تر الى الملا من بني اسرائيل
من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب
عليكم القتال ان لا تقاتلوا قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من
ديارنا وابناينا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين
تعلق هذه الاية بما قبلها من حيث انه تعالى لما فرض القتال بقوله وقاتلوا ثم امر
بالانفاق فيه ذكر قصة بني اسرايل وهي انهم لما امروا بالقتال نكثوا وخالفوا فذمهم
الله تعالى عليه ونسبهم الى الظلم والمقصود منه ان لا تكونوا المامورون بالقتال من هذه
الامة على ترك القتال وان يكونوا متشمرين في القتال مع اعدا الله والملا الاشراف
من القوم ووجوههم وهو اسم للجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالابل والخيل
والقوم والرهط والجيش وجمعه املا قال الشاعر وسط الاملا وانتح الدعا
لعل الله يكشف ذا البلا من بعد موسى اي من بعد موت موسى اذ قالوا لنبي هو يوشع
بن نون وقيل شمعون وقيل اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا ملكا نصدر
في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى رايه طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته
وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم

نقاتل بالجزم على جواب الامر وهو ابعث وسبب مسالتهم ذلك انه لما مات موسى
خلف بعده في بني اسرايل يوشع يقيم فيهم التوراة وامر الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم
كالب يقيم فيهم التوراة وامر الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم حزقيل كذلك ثم ان الله
تعالى قبض حزقيل وكثرت فيهم الاحداث اي في بني اسرايل وعظمت فيهم الخطايا ونسوا
عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا فجعل يدعوهم الى الله وانما كانت
الانبيا من بني اسرايل من بعد موسى يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف بعد
الياس اليسع وكان فيهم ما شا الله ان يكون ثم قبضه الله وخلفت فيهم الخلوف وعظمت فيهم
الاحداث وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر
الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرايل وغلبوهم على كثير من ارضهم
وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابنا ملوكهم اربعماية واربعين غلاما وضربوا عليهم
الجزيه واخذوا توراتهم ولقي بنوا اسرايل منهم بلا وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر لهم
وكانوا يسالون الله عز وجل ان يبعث لهم نبيا يقاتلون معه في سبيل الله وكان سبط
النبوة قد هلكوا ولم يبق منهم الا امراة حبلى فاخذوها وسجنوها في بيت رهبة ان تلد
جارية فتبدله بغلام لما رات من رغبة بني اسرايل في ولدها فجعلت المراة تدعو الله ان
يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته شمويل تقول سمع الله دعاي فكبر الغلام فسلمته
يتعلم التورية في بيت المقدس وكفله شيخ من علمايهم وتبناه فلما بلغ الغلام ان يبعثه
الله نبيا اتاه جبريل والغلام نايم الى جنب الشيخ وكان لا يامن عليه احدا فدعاه بلحن الشيخ
يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ فقال يا ابتاه دعوتني فكره الشيخ ان يقول
لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع فنام ثم دعاه جبريل الثانيه فقام الغلام ايضا
اليه فقال دعوتني قال ارجع فنم فان دعوتك الثالثه فلا تجبني فلما كان الثالثة ظهر له
جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم
كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا
نقاتل في سبيل الله اية من نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرايل بالاجتماع على الملوك
وطاعة الملوك انبياهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم له امره
ويشير عليه ويرشده وياتيه بالخبر من ربه وقيل بعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين
سنة باحسن حال ثم كان من جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم قرا نافع عسيتم بكسر السين كل القران
وهي لغة والباقون بالفتح وهي اللغة الفصحى ان كتب عليكم القتال مع ذلك الملك
ان لا تقاتلوا معه ولا تفوا بما تقولون وخبر عسى ان لا تقاتلوا والشرط فاصل
بينهما والمعنى ان قاربتم الا تقاتلوا اي هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون
اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا معه بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل
هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير
والتثبيت لان المتوقع كاين وانه صايب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على
الانسان حين من الدهر معناه التقرير قالوا اي الملا لذلك النبي وما لنا ان لا
نقاتل في سبيل الله واي غرض لنا فيه ودخول ان وحذفها لغتان فصيحتان

قال الله تعالى ما لك ان لا تكون مع الساجدين وما لكم لا تومنون وقد اخرجنا
من ديارنا وابنانا بالسبي والقهر على نوا حسنا والمعنى انهم اجابوا نبيهم بان قالوا انما كنا
نزهد في الجهاد اذا كنا ممنوعين في بلادنا لا تظهر علينا عدونا فاما اذ بلغ الامر هذا
فلا بد من الجهاد فنطيع ربنا في الغزو فلما كتب عليهم القتال فرض عليهم الجهاد تولوا
اعرضوا عن القيام به الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر وسيذكرون والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم عن القعود عن القتال وترك الجهاد **قوله**
تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك
علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال قال ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يوتي ملكه من يشا والله واسع عليم
قال لهم نبيهم ان الله قد اجابكم الى ما سالتم وزعموا انه من الطول لما وصف به
من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت
تحرك الواو وانفتح ما قبله قلبت الفا فصار طالوت الا ان امتناع صرفه يمنع ان يكون من
الطول الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حطا حنطه وبسم الله الرحمن الرحيم
رحمانا بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه
عبرانيا ثم ان الله تعالى لما عين لان يكون ملكا لهم اظهروا التولي عن طاعة الله والاعراض
عن حكمه وقالوا انى كيف ومن اين يكون الملك علينا وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له
ونحن احق بالملك منه لانا من سبط الملوك ولم يوت سعة من المال اي ليس بذي مال كثير
فيملك به والواو في قوله ونحن للحال وفي قوله ولم يوت لعطف الجملة الواقعة حالا وقد
انتظمت الواو الثانيه بالجملتين معا في حكم الحال فالحال الاولى هو المعرضة لجملة الاشكال
لقوله ونحن نسبح بحمدك والثانيه لتتميم معناها والمبالغة فيها والمعنى كيف ومن اين يتملك
علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك منه وانه فقير ولا بد للملك من مال
يعتضد به وانما قالوا ذلك لانهم كانوا في بني اسرايل سبطين سبط نبوة وسبط ملك
وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهرون وسبط الملك سبط
يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن داود من احد السبطين انما كان
من سبط بنيامين بن يعقوب ولانه كان طالوت رجلا دباغا يعمل الادم وقيل كان سقا
يسقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه وقيل كان خربندا وروي ان
نبيهم شمويل سال الله ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصى وقرن فيه دهن القدس
وقيل لهم ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وقيل له انظر
الى القرن الذي فيه الدهن وان دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن
فهو ملك بني اسرايل فادهن به راسه وملكه على بني اسرايل وقيل ضلت حمر لابي طالوت
فارسله وغلاما له في طلبها فمر ابيت اشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على
هذا النبي فسالناه عن امر الحمير ليرشدنا ويدعو لنا بخير فقال له طالوت نعم
فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له امر الحمر اذ نش الدهن في القرن فقام
اشمويل وقاس طالوت بالعصا وكان على طولها فقال لطالوت قرب راسك فقربه
ودهنه بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرايل الذي امرني الله ان

قد بعث لكم طالوت ملكا فقاتلوا تقاتلون
معه وطالوت اسم اعجمي كجالوت وداود
منع من الصرف للعلمية والعجمة
م

نبيا على بني اسرائيل املكه عليهم فقال طالوت انا قال نعم قال اوما علمت اني ادنى
اسباط بني اسرائيل قال بلى قال افما علمت ان بيتي ادنى بيوت بني اسرائيل قال
بلى قال فباية اية قال باية انك اذا رجعت ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان
كذلك قال ان الله اصطفاه عليكم اي ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو
اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب
والمال وهما زيادة البسطة في العلم والجسم وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل وقته
وقيل انه اتاه الوحي حين اتاه الملك وزاده بسطة في العلم بالحرب والديانات
وغيره والجسم يعني بالطول وكان يفوق الناس براسه ومنكبه وكان طالوت اجمل
بني اسرائيل واعلمهم وذلك يدل على ان الملك لابد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل
مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما اي يملا العين جمالا اي منظرا لان الجسم
اعظم في النفوس واهيب في القلوب واصطفاه اي اخذ الملك من غيره صافيا له
والاصطفا والاستصفا الاستخلاص وهو ان ياخذ الشي خالصا لنفسه وهو ماخوذ
من الصفو والاصل اصتفى بالتا فابدل بالتا الطا ليسهل النطق بها وهذا يدل
على بطلان قول من يقول ان الامامه موروثه وعلى رجحان العلم والقدره
في استحقاق الملك على النسب والمال واحتج اصحابنا في خلق الاعمال بقوله
وزاده بسطه في العلم فان العلم حصل بخلق الله تعالى والمعتزله قالوا هذا الاسناد
باعتبار اعطا العقل ونصب الدلايل واجيب بان الاصل في الاسناد
المباشر دون الملابسه والبسطه السعه والامتداد وتقديم البسطه في العلم
على البسطه في الجسم تنبيه على ان الفضايل النفسانيه اعلا واشرف من الفضايل
الجسمانيه والله يوتي ملكه اي فلا تنكروا املاك طالوت مع كونه من غير اهل المملكه
فان الملك ليس بالوراثه انما هو بيد الله يوتيه من يشا والله واسع الرزق والعطا
والفضل والرحمه يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر وسعت
رحمته كل شي عليم بمن يصطفيه للملك قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان اية ملكه
ان ياتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيه مما ترك ال موسى وال هرون
تحمله الملايكه ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين ثم انهم سالوا نبيهم اية على تمليك
طالوت فقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم الايه
التابوت صندوق التوراة وكانت قصة التابوت وصفتها على ما ذكره اهل
التفسير واصحاب الاخبار ان الله انزل تابوتا على ادم وفيه صور الانبيا
من اولاده وفيه بيوت بعدد الانبيا كلهم واخرهم بيت محمد صلى الله عليه وسلم
من ياقوته حمرا واذا هو قايم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه
هذا اول من يتبعه من امته ابو بكر رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وفيه
مكتوب على جبينه قرن من حديد لا تاخذه في الله لومة لايم ومن ورايه ذو النورين
اخذ بحجزته مكتوب على جبينه بار من البرره ومن بين يديه علي ابن ابي طالب
شاهر سيفه على عاتقه مكتوب على جبينه هذا اخوه وابن عمه المويد بالنصر
من عند الله وحوله عمومته والخلفا والنقبا والكبرا الخضر اولهم انصار الله

وانصار

وانصار رسوله نور حول افرادهم يوم القيامه مثل نور الشمس في دار الدنيا
كان التابوت نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وكان من عود الشمشار الذي يتخذ
منه الامشاط مموها بالذهب وكان عند ادم عليه السلام الى ان مات ثم عند
شيث ثم توارثه اولاد ادم الى ان بلغ ابرهيم فلما مات كان عند اسمعيل لانه اكبر اولاده
فلما مات اسمعيل كان عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحق وقالوا ان النبوه قد صرفت
عنكم فليس لكم الا هذا النور فاعطنا التابوت فكان قيدار يمتنع عليهم ويقول انه وصيه
ابي ولا اعطيه احدا من العالمين قال فذهب ذات يوم يفتح ذلك التابوت فعسر عليه
فتحه فنادى مناد من السما مهلا يا قيدار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصيه
نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيدار التابوت على عنقه
وخرج يريد ارض كنعان وكان بها يعقوب فلما قرب منها صر التابوت صره سمعها يعقوب
فقال لبنيه اقسم بالله لقد جاكم قيدار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب
واولاده جميعا اليه فلما نظر يعقوب الى قيدار استعبر باكيا وقال يا قيدار ما لي
ارى لونك متغيرا وقوتك ضعيفه ارهقك عدو ام اتيت معصيه بعد ابيك اسمعيل قال
ما رهقني عدو ولا اتيت معصيه بعده ولكن نقل ظهري من نور محمد صلى الله عليه وسلم
فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال افي بنات اسحق قال لا في العربيه الجرهميه قال يعقوب
بخ بخ شرفا لمحمد لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيدار وانا مبشرك ببشاره
قال ما هي قال ان العاضره قد ولدت غلاما البارحه قال قيدار وما علمك يا ابن عمي
وانت بارض الشام وهي بارض الحرم قال يعقوب علمت ذلك لاني رايت ابواب السما
قد فتحت ورايت نورا كالقمر الممدود بين السما والارض ورايت الملايكه ينزلون من
السما بالبركات والرحمه فعلمت ان ذلك من اجل محمد صلى الله عليه وسلم فسلم قيدار التابوت
ورجع الى اهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حمل وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه
التوراه ومتاعا من متاعه وكان عنده الى ان مات ثم توارثته انبيا بني اسرائيل
الى وقت اشمويل فوصل الى اشمويل وقد تكامل امر التابوت بما فيه وكان فيه ما ذكره الله
عز وجل في كتابه فيه سكينه من ربكم واختلفوا في السكينه ما هي فقال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه السكينه ريح خجوج هفافه لها راسان ووجه كوجه الانسان
وقيل لها راس كراس الهره وذنب كذنب الهره ولها جناحان وقيل راس هره
ميته كانت اذا صرخت في التابوت بصراخ هر ايقنوا بالنصر وجاهم الفتح وقيل
طست من ذهب من الجنه كان يغسل فيه قلوب الانبيا وقيل روح من الله يتكلم
اذا اختلفوا في شي اخبرهم ببيان ما يريدون وقيل ما يعرفون من الايات
فيسكنون اليه وقيل رحمه من ربكم وبقيه هي رضاض الالواح اي كسرها وذلك ان موسى
لما القى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وعصا موسى
وثيابه وشي من التوراه وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامه
هرون وعصاه قال فكان التابوت عند بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شي تكلم
وحكم بينهم واذا حضر القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا

وانسا واسلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وكان السبب في ذلك
انه كان لعلي الذي ربى اشمويل ولدان وكان صاحب حبرهم وقربانهم
فاحدث ابناه في القربان شيا لم يكن فيه كان سوط القربان الذي يسوطونه به
ثلاثا فلما اخرجا كان الكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه كلابين وكان النسا يدخلن في
القدس فيتشبان بهن فاوحى الله الى اشمويل انطلق الى علي فقل له منعك حب الولد
من ان تزجر ابنيك ان يحدثا في قرباني وقدسي وان يعصياني فلانزعن منك ومن
ولدك ولاهلكنك وايا هما فاخبر اشمويل عليا بذلك ففزع فزعا شديدا فسار اليهم
عدو من حولهم فامر ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما
التابوت فلما تصبوا للقتال جعل علي يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو
قاعد على كرسيه واخبره ان الناس قد هزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل
التابوت قال ذهب به العدو فشهق شهقة ووقع على قفاه من كرسيه ومات
فمرج امر بني اسرائيل واختلفوا وتفرقوا الى ان بعث الله عز وجل طالوت ملكا
فسالوه البينة فقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت ووزن التابوت
لا يكون فاعولا لانه قل في كلام العرب ما فاوه ولامه من جنس واحد مثل
سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت
من التوب وهو الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشيا ويودعه فلا يزال يرجع اليه
من يودعه والسكينة فعيلة اي طمانينة وبقية فعيلة من البقا والها فيه للمبالغة
مما ترك آل موسى وآل هرون الانبيا من بني يعقوب بعد موسى وهرون لان عمران
هو ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب تحمله الملائكة اي تابوت بني اسرائيل وهم
ينظرون اليه وكان اية لاصطفا الله طالوت ان في ذلك لاية ان في ذلك لعبرة لكم
ان كنتم مومنين وقيل ان في ذلك لانه لا مراى في رجوع التابوت اليكم علامة ان
الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مومنين مصدقين بتمليكه عليكم قوله
تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني
ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه
هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين
يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع
الصابرين وجه اتصال هذه الاية بما قبلها يظهر بتقدير محذوف
يدل عليه سياق الكلام والتقدير انه لما اتاهم التابوت اذعنوا له واجابوا
الى المسير تحت لوايه فلما فصل بهم فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه
واصله فصل نفسه عن موضع كذا ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير
المتعدي كانفصل واستعمل استعمال اللازم فجي بمصدره على طريقة مصدر
اللازم فقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون في اصله متعديا ومصدره
فصلا ولازما ومصدره فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده
بالجنود اي سار بهم وقطعهم عن بلدهم اي بيت المقدس لم يتخلف عنه الا كبير
لكبره او مريض لمرضه او ضرير لضرره او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت

بايه م

قالوا قد اتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي
في كل ما ارى لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل
له دين ولا متزوج امراة ولم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا شديد الحر وسلكوا مفازة فشكوا قلة المياه وقالوا ان المياه
لا تحملنا فادع الله تعالى ان يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم مختبركم بنهر ليرى
طاعتكم وليتميز الكاذب من الصادق والمحقق من المقصر قيل هو نهر فلسطين وقيل نهر
بين الاردن وفلسطين عذب فمن شرب من النهر فليس من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه ومن لم
يذقه من طعم الشي اذا ذاقه ومنه طعم الشي لمذاقه قال الشاعر فان شئت حرمت النسا سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اراد لم اذق والنقاخ الما العذب الاثري لينقع عطف
عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحو من الابتلا ما ابتلي به اهل ايلة من ترك
الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل الابتلا بالنهر اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار
من النبي وان كان نبيا فبالوحي الا من اغترف الاغتراف الاخذ من الشي باليد او بالة والغرفة
الالة التي يغرف بها فغرفة الكوفيون وابن عامر بضم الغين والباقون بفتحها والغرفة المرة
الواحدة وهي مصدر والغرفة بالضم الشي المغترف به والما المغروف وقوله الا من اغترف
استثنا من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية وهي قوله ومن لم يطعمه في حكم المتاخرة
الا انها قدمت للعناية والتقدير فمن شرب منه فليس مني الا من اغترف غرفة بيده ومن لم يطعمه فانه مني
ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه قوله فشربوا منه
اي فكرعوا الا قليلا منهم والقليل الذين لم يشربوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا يدل عليه قول
البرا بن عازب قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر انتم اليوم على عدة اصحاب
طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه الا مومن قال وكنا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا
فمن اغترف غرفة كما امر الله قوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة
الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغلبهم
العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقا العدو ولم يشهدوا الفتح وتلك الغرفة
لم تكن ملء الكف ولكن المراد بالغرفة ان يغترف مرة واحدة بقربة او جرة او ما اشبه ذلك
تكفيه وتكفي دابته فلما جاوزه اي فلما جاوز النهر طالوت والذين معه يعني القليل قالوا
يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت قال الذين يظنون يستيقنون
انهم ملاقوا الله راجعون اليه وهم القليل الذين اغترفوا وبقوا مع طالوت كم من فئة
جماعة قليلة في العدد غلبت فئة كثيرة عددهم باذن الله والله مع الصابرين على
قتال اعدايه بالنصر والمعونة يعني ان النصر مع الصبر قوله تعالى ولما برزوا لجالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشا
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولما
برزوا اي خرج طالوت وجنوده المومنون لقتال جالوت وجنوده من المشركين
ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى قالوا هم اهل البصيرة

بارادته ذلك م

والطاعة والاخلاص ربنا افرغ علينا صبرا اى اصب علينا صبرا اتم صبر اي كما يفرغ الدلو
وثبت اقدامنا بتقوية قلوبنا وانصرنا واحسن معونتنا على القوم الكافرين اي جالوت وجنوده
فهزموهم متصل بما قبله بتقدير محذوف كانه قيل فانزل الله عليهم صبرا ونصرا فهزم طالوت
وجنوده جالوت وجنوده اى كسروهم والهزم الكسر يقال هزمت العظم والعصبة هزما اذا كسرته
وقتل داود جالوت قال المفسرون كان ايشى ابو داود من عبر النهر في عسكر طالوت مع
ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير فاوحى الله الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي
يقتل جالوت وطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار فدعاه كل واحد منها ان يحمله
وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت ابنته
وروى ان طالوت حسد داود واراد قتله ثم تاب واتاه الله الملك في مشارق الارض
المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه
مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك والتقدير في السرد وكان يصنعها
ويبيعها ولا ياكل الا من عمل يده شاهده قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير وكلام
الحكل وهي النمل وقيل هي الزبور وقيل الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من
خلقه مثل صوته كان اذا قرا الزبور تدنو الوحوش حتى ياخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له
ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته ولولا
دفع الله قرا نافع دفاع الله بالالف هاهنا وفي الحج لانه قد يكون الفعل من واحد مثل
قول العرب احسن الله عنك الدفاع وعافاك الله وعاقبه الله وما والاسنا والباقون بغير الف
فيها لان الله لا يغالبه احد وهو الدافع وحده قال ابن عباس رضي الله عنه لولا دفع الله بجنود
المسلمين وسراياهم ومرابطهم لغلب المشركون على الارض فقتلوا المومنين وخربوا البلاد
والمساجد وقيل لولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت الارض
لهلكت بمن فيها شاهده قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت
من جيرانه البلاء وقيل لولا ان الله يدفع الكفار بالمسلمين بعض الناس ببعض وبكف بهم
فسادهم لغلب المسلمون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وساير ما يعمر الارض وقيل لولا ان الله يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل
اهل الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين حيث لم يهلكهم بكفرهم ولم ياخذهم عاجلا
بعقوبة جناياتهم **قوله** تعالى تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن
المرسلين اي تلك القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت
واظهاره بالاية التي هي نزول التابوت من السما وغلبة العمالقة على يد صبي ايات الله
اي علاماته التي تدل على توحيده نتلوها نقراوها عليك على لسان جبريل بالحق بالصدق
واليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين
حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراة كتاب ولا اسماع اخبار **قوله** تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى بن مريم
البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد
ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شا

الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها
في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض على
سبيل التفضيل حسب مشيتنا لا لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات كما قال صاحب الكشاف
فنستفيد من الاية انهم متفاوتون في الفضيلة وننتهي عن الكلام في ذلك لنهيه صلى الله عليه
وسلم منهم من فضله الله بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات
ومنهم من رفعه على ساير الانبيا فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات لشيو والظاهر
انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوته احد من الايات المتكاثرة
المرتقية الى ثلثة الف اية واكثر ولو لم يوت الا القران وحده لكفى به فضلا منيفا على ساير ما
اوتي لانه الباقية على صفحات الدهر دون ساير المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره
ما لا يخفى من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والتميز الذي لا يلتبس ويقال
للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد الذي تعرف واشتهر بنحوه من الافعال
فيكون افخم من التصريح به وانوه وسيل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم
قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال لو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره
اعلم ان المسلمين اجمعوا على ان الانبيا بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
افضل من الكل ويدل عليه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلزم من هذا ان
يكون افضل من العالمين ومنها قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقيل فيه لانه قرن ذكره بذكره
في كلمة الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذكر ساير الانبيا كذلك ومنها انه تعالى قرن طاعته
بطاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته فقال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وعزته بعزته فقال ولله العزة ولرسوله ورضاه برضاه والله ورسوله احق
ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول ومنها انه صلى الله عليه
وسلم بعث الى كل الناس وذلك يقتضي ان يكون مشقته اكثر فيجب ان يكون افضل اما انه بعث
الى ساير الناس اجمعين فلقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما انه يقتضي ذلك
ان يكون مشقته اكثر ولانه كان انسانا فردا من غير مال ولا اعوان ولا انصار فاذا قال
لجميع الناس يا ايها الكافرون صار الكل اعداء له وحينئذ يصير خايفا من الكل وكانت
المشقة عظيمة ولذلك كان موسى عليه السلام لما بعث الى بني اسرائيل فهو ما كان يخاف
احدا الا من فرعون وقومه واما محمد عليه السلام فالكل كانوا اعداء له بين ذلك ان انسانا
لو قيل له هذا البلد الخالي عن الصديق والرفيق فيه رجل واحد ذو قوة وسلاح فاذهب
اليه اليوم وحدا وبلغ اليه خبرا يوحشه ويوذيه فانه قلما تسمح نفسه بذلك مع انه انسان
واحد ولو قيل له اذهب الى بادية بعيدة ليس فيها انيس ولا صديق وبلغ الى صاحب البادية
كذا وكذا من الاخبار الموحشة لشق ذلك على الانسان اما النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان
مامورا بان يذهب طول ليله ونهاره في كل عمره الى الجن والانس الذين لا عهد لهم الا المعاند
منهم انهم يعادونه ويوذونه ويستخفون به ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يهن في الحالة
بل يسارع اليه سامعا مطيعا فهذا يقتضي انه تحمل في اظهار دين الله اعظم المشاق ولهذا
قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ومعلوم انه معظم البلى كان على
الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا اعظم بعض الصحابة بسبب تلك المشقة فما ظنك بالرسول

بالرسول فظهر ان مشقته اعظم من مشقة غيره لقوله افضل العبادات احزها ومنها ان امة محمد
صلى الله عليه وسلم افضل الامم لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وامته صلى الله عليه وسلم
انما نالت هذه الفضيلة بمتابعته صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفضيلة
التابع تدل على فضيلة المتبوع ومنها انه خاتم النبيين والمرسلين فهو افضل ومنها قوله صلى الله
عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامه وقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
ولا فخر وقوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنه احد من النبيين حتى ادخلها ولا يدخلها احد
من الامم حتى تدخلها امتي وقوله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لوا الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي
ولا فخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما جلس مع الصحابه يتذاكرون فسمع حديثهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى
كلمه تكليما وقال آخر فعيسى روح الله وكلمته وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال سمعت كلامكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك الا وانا
حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيامه ولا فخر وانا اول من حرك حلقة الجنه
فيفتح لي فادخلها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر ومنها ما روي
انه ظهر علي ابن ابي طالب من بعيد فقال عليه السلام هذا سيد العرب فقالت عايشه الست انت بسيد
العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب والادله الداله على انه افضل العالمين اكثر من ان
تحصى فلنختصر على هذا واتينا عيسى ابن مريم البينات خص موسى وعيسى من بين الانبيا بالذكر
لما اوتيا من الايات الظاهره والمعجزات الباهره ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم
من الفضل وهو اية من الايات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من الايات
العظيمه خطابا لذكره في باب التفضيل وهذا برهان ساطع ودليل قاطع ان من زيد تفضيلا
بالايات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي من الايات
ما لم يوت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم
ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شا الله ما اقتتل الذين من بعدهم يعني من بعد الرسل من
بعد ما وضحت لهم البراهين ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ثبت على ايمانه ومنهم من كفر كالنصارى بعد
المسيح اختلفوا اعصارا وافترقوا ثم تحاربوا ولو شا الله ما اقتتلوا كرر المشية باقتتالهم تاكيد الامر
وتكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لم يجر به قضا من الله ولا قدر ثم قال ولكن الله يفعل
ما يريد فيوفق من يشا فضلا ويخذل من يشا عدلا احتج اصحابنا اهل السنه والجماعه على ان
كل ما حدث من الخير والشر والايمان والكفر والطاعه والمعصيه بمشية الله تعالى وارادته بهذه
الايه بيانه ان لو لامتناع الشي لامتناع غيره وتقدير الايه ولو شا الله ان لا يقتتلوا ما اقتتلوا
اي عدم الاقتتال ممتنع لامتناع مشية عدم الاقتتال فعدم الاقتتال لازم لمشية عدم
الاقتتال وعدم اللازم يستلزم عدم الملزوم فوجود الاقتتال مستلزم لعدم مشية
عدم الاقتتال فحيث وجد الاقتتال علمنا ان مشية عدم الاقتتال معدومه بل كان الحاصل
هو مشية الاقتتال ولا شك ان الاقتتال معصيه فالمعصيه واقعه بمشية الله تعالى وارادته
وقيل الكفار وقتالهم للمومنين بارادة الله وهذا ظاهر قالت المعتزله المقصود من الايه
بيان ان الكفار اذا اقتتلوا وقاتلوا ليس ذلك بغلبة منهم لله تعالى وهذا المقصود يحصل

بان

بان يقال انه تعالى لو شا اهلكهم وابادهم او يقال لو شا لسلب القوى والقدر منهم او يقال
لو شا لمنعهم من القتال قسرا وجبرا فقوله ولو شا اراد به هذه الانواع من المشيه وهذا
كما يقال لو شا الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم تشرب النصارى الخمر والمراد منه
المشيه التي ذكرناها فكذا هاهنا والجواب ان انواع المشية المطلقه لا الخاصه مثل
مشية الهلاك او مشية سلب القوى والقدر او مشية القهر لانه تقييد بلا دليل بل تقييد على خلاف
الدليل القاطع لان الله تعالى عالم بوقوع حال العدم ووقوع الاقتتال جمع بين النفي والاثبات
وذلك محال فثبت ان تقييد المشيه على خلاف الدليل القاطع ثم قال ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
ومنهم من كفر ولو شا الله ان لا يختلفوا لم يختلفوا واذا لم يختلفوا لم يقتتلوا ولكن اختلفوا فلم يشا الله
ان لا يختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر واذا اختلفوا اقتتلوا وهذه الايه داله على ان الفعل لا يقع
الا بعد حصول الداعي لانه بين ان اختلافهم في الدين يدعو الى المقاتله وذلك يدل على ان المقاتله
لا تقع الا على هذا الداعي ومتى حصل الداعي وقعت المقاتله فظهر ان الكل بقضا الله وقدره
لان الداعي يستند الى داع يخلقه الله في العبد دفعا للتسلسل وكانت الايه داله من هذا الوجه
على صحة مذهبنا واحتج اصحابنا بهذه الايه على انه تعالى هو خالق لايمان المومن فالفاعل للايمان هو الله
تعالى فهذه الايه داله على خلق الاعمال والمعتزله يقولون المراد بما يفعل ما يريد من افعال
نفسه وهذا ضعيف لانه تقييد للمطلق من غير دليل ولانه تصير الايه بيانا للواضحات لانه حينئذ
يفعل ما يفعله روي انه قام رجل الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المومنين
اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه قال اخبرني يا امير المومنين عن القدر قال بحر
عميق لا تلجه قال يا امير المومنين اخبرني عن القدر فقال رضي الله عنه ايها السايل
ان الله خلقك كما شا او كما شيت قال كما شا قال فيبعثك الله يوم القيمه كما شا او كما شيت قال كما شا
فقال ايها السايل الك مع الله مشية او فوق الله مشيه او دون الله مشيه فان زعمت ان لك فوق الله
مشية فقد زعمت ان مشيتك غالبه على مشية الله وان زعمت ان لك مع الله مشيه فقد ادعيت
الشركه وان زعمت ان لك دون الله مشيه فقد استغنيت بها عن مشية الله الست تسال ربك العافيه
قال بلى قال فمن اي شي تساله امن البلا الذي ابتلاك به ام من البلا الذي ابتلي به غيرك قال
من البلا الذي ابتلاني الله به قال الست تقول لا حول ولا قوة الا بالله قال بلى قال فتعلم تفسيرها
قال لا علمني يا امير المومنين مما علمك الله قال تفسيرها ان العبد لا يقدر على طاعة الله ولا حول
له ولا قوة على معصية الله تعالى في الامرين جميعا الا بالله ايها السايل ان الله يسقم ويداوي منه
الدا ومنه الدوا اعقلت عن الله قال نعم قال علي رضي الله عنه الان اسلم اخوكم قوموا
فصافحوه ثم قال لو رايت رجلا من اهل القدر لاخذت برقبته ولا ازال اطا رقبته
حتى اكسرها فانهم يهود هذه الامه ونصاراها ومجوسها قال ابو مسلم الاصفهاني
وجه تعلق هذه الايه بما قبلها انه تعالى انبا محمدا صلى الله عليه وسلم من اخبار الانبيا
السالفه مع قومهم كسوال قوم موسى ارنا الله جهرة وقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة
ولقوم عيسى بعد ان شاهدوا منه احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص باذن الله فكذبوه
وراموا قتله ثم اقام فريق على الكفر به وهم اليهود وزعم فريق انهم اولياوه وادعت
على اليهود من قتله وصلبه فاكذبهم الله فيه وكالملا من بني اسرايل حسدوا طالوت
ودفعوا ملكه بعد المسالمه وكذلك ما جرى من امر النهر فعزى الله رسوله عما راى من قومه

على انه صح

في التكذيب والحسد فقال هولاء الرسل الذين كلم الله بعضهم ورفع الباقين درجات وايد
عيسى بروح القدس قد نالهم من قومهم ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وانت
رسول مثلهم ولا تحزنك ماترى من قومك فلو شاء الله لم يختلف امم اوليك ولكن ما قضى الله فهو
كاين وما قدره فهو واقع وبالجملة المقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
عن اذى قومه له **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل
ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون وجه اتصال
هذه الاية بما قبلها هو انه تعالى امر بالقتال فيما سبق بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعقبه
بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والمقصود منه انفاق المال في الجهاد ثم انه
مرة ثانية اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت وجالوت ثم اعقبه بالامر بالانفاق
في الجهاد او في الزكوة المفروضة وبالجملة الانفاق الواجب لاتصاله بالوعيد او بالانفاق مطلقا
سواء كان واجبا او مندوبا وليس في الاية وعيد مرتب على ترك الانفاق ومثل هذه الاية
تدل على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه امر بالانفاق من كل ما كان رزقا وبالاجماع
لا يجوز انفاق الحرام واجيب بان ظاهر الاية وان دل على الامر بالانفاق من كل ما
كان رزقا لم لا يجوز ان يكون من للتبعيض ويكون الامر بانفاق بعض ما رزقه وهو
الحلال فالرزق عام والمنفق بعضه الذي هو الحلال وفي الابهام تفخيم لشان الحلال
قرا ابن كثير وابو عمرو لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وفي ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال
وفي الطور لا لغو فيها ولا تاثيم بالفتح في السبعة بلا تنوين بناء على ما بعدها على الفتح كان
قايلا قال هل من بيع فجيء بالجواب عاما على وفق السوال فقيل لا بيع وغير الاسم بالبناء وعمل لا عمل
الاسم ورفع الابتدا اجزم فيه والباقون جميعا بالرفع على جعل لا بمعنى ليس والمقصود من الاية
ان الانسان يجيء وحده ولا يكون معه شيء مما خلفه في الدنيا قال الله تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون
فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع حتى يبتاعوا ما ينفقونه ولا خلة ولا مودة
حتى يسامحكم اخلاؤكم به لان الخلة تنقطع يوم القيامة بين الاخلاء الا المتقين
قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة نفي الخلة والشفاعة
عاما لانه اراد الكافرين فان هذه الاشياء لا تنفعهم ولهذا قال والكافرون هم الظالمون
لان الادلة من القران والسنة دالة على ثبوت المودة والمحبة بين المومنين وعلى ثبوت
الشفاعة بين المومنين والكافرون هم الظالمون نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول
الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون
ولما قال ولا خلة ولا شفاعة اوهم ذلك نفي الخلة والشفاعة مطلقا فذكر عقيبه
والكافرون هم الظالمون ليدل على ان نفي الخلة والشفاعة وخص الفساق من المومنين
والمعنى والكافرون هم الواضعون لانفسهم الامور في غير موضعها فانهم يودون من كان عدوا
لهم ويتوقعون الشفاعة فيمن لا يشفع لهم عند الله فانهم كانوا يقولون للاوثان هولاء
شفعاؤنا عند الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكل من والى من هو عدو
له او عبد جمادا توقع ان يكون شفيعا له فهو الكامل في الظلم البليغ العظيم قال صاحب الكشاف

بلغ مقابلة

ولا شفاعة اي وان اردتم ان تحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في
حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد التاركون
الزكوة هم الظالمون فقال الكافرون للتغليظ كما جاء في اخر اية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج
ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة قوله
لان الشفاعة في زيادة الفضل لا غير بناء على مذهبه الباطل فان الشفاعة في الذنوب الكبائر قال
عليه السلام شفاعتي لاهل الكباير من امتي **قوله** والكافرون اراد به التاركون الزكوة فليس بمستقيم
لانه يلزم منه ان التاركين للزكاة هم الظالمون دون غيرهم او هم الكاملون في الظلم وهو باطل
بالاتفاق ولا يخفى ان التفسير على الوجه المذكور اولا مستقيم ظاهر **قوله** تعالى الله لا اله الا هو
الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات
والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ان من عادته تعالى في القران الكريم ان يذكر
علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص مرتبطا بعضها ببعض والمقصود الاعظم علم التوحيد واما
ذكر علم الاحكام ليتوسل به الى الاعمال الصالحات الرافعة استار الغفلة عن عيون ارباب
القلوب والاخلاق الفاضلة المصقلة لمراة نفوسهم من صدا الرين ليتجلى فيهم حقائق التوحيد
وهذا الطريق احسن الطرق واكملها فان الاستمرار على نوع واحد قد يفضي الى الملالة
والسامة والانتقال من نوع الى اخر ينشرح به الصدر ويفرح به القلب ولما ذكر فيما تقدم
من علم الاحكام ومن القصص اعقبهما بما يتعلق بعلم التوحيد عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال له اي اية من كتاب الله اعظم قال قلت الله ورسوله اعلم حتى اعادها
ثلاثا قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم ابا المنذر
والذي نفسي بيده ان لها لسانا يقدس الملك عند ساق العرش وعن ابن عمر رضي الله
عنهما ان عمر خرج ذات يوم والناس سماطان فقال يا ايها الناس ايكم يخبرني باعظم اية في
القران فسكت القوم فقال هل فيكم ابن مسعود قالوا نعم وكان جاء في اخريات الناس فاوما
اليه وقال ها هنا يا ابا عبد الرحمن فقدم امنه فقال هل انت مخبري باعظم اية
في القران فقال على الخبير سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اعظم
اية في القران الله لا اله الا هو وعن رسول الله ما قرئت هذه الاية في دار الا اهتجرها الشيطان
ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك
فما نزلت اية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر يقول من قرا اية الكرسي
دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد
ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال علي ابن ابي طالب لهم رضي الله عنهم
اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر ادم وسيد
العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة
بلال وسيد الجبال طور سينا وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد
القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي واعلم ان الذكر والعلم فضلهما يتبع المذكور
والمعلوم فلما كان المذكور والمعلوم اشرف كان الذكر والعلم اشرف ولا مذكور اعظم

من رب العزة ولا معلوم اشرف منه فما كان ذكر الله وعلما به كان اشرف وافضل من ساير الاذكار
والعلوم قال صاحب الكشاف وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل
العدل والتوحيد ولا يغرنك كثرة اعدايه ان العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا
ان اراد صاحب الكشاف بعلم اهل العدل والتوحيد علم اصول الدين المشتمل على البراهين
الدالة على ما ذهب اليه اهل السنة والجماعة المطابقة لما في نفس الامر فما قاله حق وان اراد بعلم
اهل العدل والتوحيد ما ذهب اليه المعتزلة والظاهر انه اراد به هذا فما قاله بهت وباطل
فان ما ذهب اليه المعتزلة مما هو مخالف لاهل السنة والجماعة باطل مخالف للعقل والدين ه الله
مبتدا لا اله الا هو خبره قوله الحي اصله حيي مثل طمع فسكنت اليا الاولى وادغمت في الثانية
ومعناه الباقي الذي لا سبيل عليه للفنا وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر
وقيل الحيوة عبارة عن كون الشي بحيث لا يمتنع ان يعلم ويقدر وعدم الامتناع لا يكون صفة
موجودة وقيل عدم الامتناع وصف وجودي لان الامتناع عدمي اذ لو كان وصفا
موجودا لكان الممتنع الموصوف به موجودا وهو محال واذا ثبت ان الامتناع عدم
وثبت ان الحيوة وصف وجودي والحق ان الحيوة اذا فسرت بعدم الامتناع تكون من
الاعتبارات العقلية ثبوتها ونفيها عقلي قال الامام لقايل ان يقول لما كان معنى الحي
هو الذي يصح ان يعلم ويقدر وهذا القدر حاصل لجميع الحيوانات فكيف يحسن ان يمدح الله
نفسه بصفة يشاركه فيها اخس الحيوانات قال والذي عندي في هذا الباب ان الحي
في اللغة ليس عبارة عن هذه الصحة بل كل شي كان كاملا في جنسه فانه يسمى حيا الا ترى ان
عمارة الارض الخربة تسمى احيا الموات وقد قال تعالى فانظر الى اثار رحمت الله كيف يحيي
الارض بعد موتها وقال فاحييناه والصفة المسماة في عرف المتكلمين انما سميت بالحيوة لان
كمال الجسم ان يكون موصوفا بتلك الصفة فلا جرم سميت تلك الصفة حياة وكمال حال الاشجار
ان تكون خضرة مورقة فلا جرم سميت هذه الحالة حياة فثبت ان المفهوم الاصلي من لفظ الحي كونه
واقعا على اكمل احواله وصفاته واذا كان كذلك فقد زال الاشكال لان المفهوم من الحي هو
الكامل ولما لم يكن ذلك مقيدا بانه كامل في هذا دون ذاك دل على انه كامل على الاطلاق
والكامل على الاطلاق ان لا يكون قابلا للعدم لا في ذاته ولا في صفاته الحقيقية ولا في صفاته
النسبية والاضافية ثم عند هذا ان خصصنا القيوم بكونه سببا لتقويم غيره فقد
زال الاشكال لان كونه حيا يدل على كونه مقوما بذاته والمقوم لغيره كان لفظ القيوم
مفيدا فايدة لفظ الحي مع زيادة فهذا ما عندي في هذا الباب هذا ما قاله الامام ولقايل
ان يقول الحيوة حقيقة صفة مستلزمة لاتصاف محلها بالعلم والقدرة ولما كان العلم والقدرة
على انواع متفاوتة بالكمال والنقصان والله تعالى متصف باكمل الانواع اما العلم
فلانه متصف بالعلم القديم المحيط بالكليات والجزئيات لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات والارض ولا دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما يعلم السر
واخفى وخاينة الاعين وما تخفي الصدور واما القدرة فلانه متصف بالقدرة القديمة
الشاملة لجميع المخلوقات فحسن مدح نفسه بهما وان كان يشاركه غيره فيهما في مطلقهما
فلذلك الحيوة على انواع متفاوتة والله تعالى متصف باكمل انواعها وهي الحيوة المستلزمة
لاكمل انواع العلم والقدرة والبقا الدايم الذي لا سبيل عليه للفنا فحسن مدح نفسه بها

واما

واما اطلاق الحيوة في غير الذي يصح ان يعلم ويقدر فبطريق المجاز فان الارض الخربة لما اتصفت
بصفة تقتضي صحة الزرع او الغرس او البنا فيها التي هي كمالها سميت تلك الصفة حيوة واحداث
تلك الصفة فيها احيا بطريق المجاز والقيوم فيعول من القيام والاصل قيووم اجتمع اليا والواو
وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا الاولى في الثانية فصار قيوما وهو
المبالغ في القيام على خلقه وقيل القيوم القايم على كل شي وتاويله انه قايم بتدبير امر الخلق في انشايهم
وارزاقهم وقيل القيوم الدايم الوجود الذي يمتنع عليه التغير والسنة ما يتقدم النوم من الفتور
الذي يسمى النعاس وهو مصدر يقال وسن يوسن سنة ووسنا قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده
النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم والنوم الثقيل المزيل للقوة الذي يهجم على القلب فيقطعه
عن معرفة الامور فان قيل اذا كانت السنة عبارة عن مقدمة النوم فاذا قال لا تاخذه سنة فقد
دل على انه لا ياخذه نوم بطريق الاولى وكان النوم تكريرا قلنا تقدير الاية لا تاخذه سنة فضلا ان
ياخذه نوم وايضا لما كان ضعيف المزاج نومه خفيفا وقوي المزاج نومه ثقيلا جاز ان يتوهم
متوهم انه تعالى هو القوي فياخذه النوم الثقيل لقوته ولا تاخذه السنة فنفى عنه النوم الثقيل
ايضا دفعا للتوهم المذكور والدليل على ان النوم والغفلة والسهو محال على الله تعالى لان هذه الاشيا
اما ان يكون عبارات عن عدم الشي او عن اضداده وعلى التقديرين فجواز طريانها يقتضي جواز زوال
علم الله تعالى تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فلو كان كذلك لكان ذاته تعالى مفتقرا في حصول صفة
العلم الى فاعل وهو محال وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان
يكون قيوما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حكى عن موسى عليه السلام انه وقع في نفسه
هل ينام الله تعالى فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلثا ولا يتركه ينام ثم قال له خذ بيدك قارورتين
مملوتين في كل يد واحدة وامره بالاحتفاظ بهما فاخذهما والقى الله عليه شيا من النعاس فضرب احداهما
على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى الله اليه فقال اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني
نوم او نعاس لزالتا واعلم ان هذا السوال من قومه الجهال فان من شك في ان الله تعالى لا ينام
كان كافرا ولا يجوز نسبة هذا الى موسى عليه السلام له ما في السموات وما في الارض اللام في له
للاختصاص والمراد منه الاختصاص من جهة الخلق والملك ولما بين انه لا اله الا هو وكل موجود سواه
محدث باحداثه مبدع بابداعه فيكون ما في السموات وما في الارض مخلوقا له ملكا وانما قال ما في السموات
وما في الارض ولم يقل من في السموات ومن في الارض لان المراد اضافة كل ما سواه اليه بالمخلوقية
وكان الغالب عليه ما لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما ولان اختصاص الكل به من
جهة المخلوقية وهي من حيث انها مخلوقة غير عاقلة فعبر عنها بلفظ ما تنبيها على ان المراد من هذا
الاختصاص الاختصاص من جهة المخلوقية واحتج الاصحاب بهذه الاية على ان افعال
العباد مخلوقة لله لان ما في الارض يعم كل ما في الارض ومن جملته افعال العباد والدليل لم
يدل على خلافه فلم يعدل عن ظاهره بل الدليل العقلي يدل ايضا عليه من ذا الذي يشفع عنده
رد لعبدة الاصنام القايلين ان هولا شفعاونا عند الله اي لا يشفع احد عنده الا باذنه ولم
يحصل للاصنام اذن في الشفاعة فلا شفاعة لها عند الله قال صاحب الكشاف بيان لملكوته
وكبريايه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام لقوله لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن قوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير الذي اضيف اليه ايدي وخلف
راجع الى ما في السموات وما في الارض لان فيهم العقلا او الى ما دل عليه قوله من ذا من

الملائكة والانبياء ما بين ايديهم ما كان قبلهم وما خلفهم ما يكون بعدهم وقيل ما بين ايديهم من امر الدنيا
وما خلفهم من امر الاخرة وقيل ما بين ايديهم اى الاخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها
وراء ظهورهم وقيل ما بين ايديهم من الراس الى الارض وما خلفهم ما في السموات وقيل يعلم ما بين ايديهم
بعد انقضاء آجالهم وما خلفهم اى فيما كان قبل ان يخلقهم وقيل ما بين ايديهم ما فعلوا من خير وشر
وما خلفهم اى ما سيفعلونه واعلم ان المقصود من هذا انه تعالى عالم باحوال الشفيع والمشفوع
له لانه عالم بجميع المعلومات والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان الله تعالى هل اذن لهم في تلك الشفاعة
ام لا والمراد بهؤلاء المذكورين من الملائكة وساير من يشفع يوم القيمة من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ولا يحيطون بشيء من علمه اى من معلوماته الا بما شاء الله ان يحيطوا به وهذا يدل
على ان علم الانسان بمشيئة الله تعالى وارادته لا باختيار الانسان وارادته قوله وسع كرسيه
السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وسع كرسيه اذا احتمل واطاق
وامكنه القيام ولا يسعك هذا اى لا تطيقه ولا تحتمله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا
لما وسعه الا اتباعي اى لم يحتمل غير ذلك وفي قوله وسع كرسيه السموات والارض اقوال احدها
انه جسم عظيم تحت العرش وفوق السموات السبع عن ابي ذر انه قال صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر ما
السموات السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على
الحلقة وقال الحسن الكرسي هو العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش لكون كل واحد منهما بحيث يصح
التمكن عليه وقيل وسع كرسيه اى وسع علمه سمي العلم كرسيا لان الكرسي مكان العالم فسمي العلم
الذي هو صفة العالم باسم مكان العالم وقيل وسع كرسيه اى وسع ملكه تسمية للملك بمكان
صاحب الملك الذي هو كرسيه وقيل ان المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه
تقريره ان الله تعالى خاطب الخلق بتعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم
فمن ذلك جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته
كما يزورون بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعل موضعا للتقبيل
كما يقبل الناس ايدي ملوكهم وكذلك ما ذكر في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة
والنبيين والشهداء ووضع الميزان فعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش
استوى ثم وصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء وقال وترى الملائكة حافين من حول العرش
يسبحون بحمد ربهم وقال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون وقال الذين يحملون
العرش ومن حوله ثم اثبت لنفسه كرسيا فقال وسع كرسيه السموات والارض اى كرسيه لم يضق عن
السموات والارض لبسطته وسعته وليس ثم الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود
ولا قاعد لقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه من غير تصور قبضة ويمين وطي وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى
الى قوله وما قدروا الله حق قدره ولا يؤوده اى ولا يثقله ولا يشق عليه ولا يجهده يقال
آده يؤوده اودا اذا اثقله حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي يقال علا يعلو علوا
فهو عال وعلي مثل عالم وعليم وسامع وسميع والله تعالى علا بالاقتدار ونفوذ السلطان
وعلي عن الاشباه والامثال يقال علا فلان عن هذا اذا كان ارفع محلا عن الوصف به
فمعنى العلو في وصف الله تعالى اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح والعظيم المالك والقدرة
عظيم الشان لا يعجزه شيء ولا نهاية لمقدوراته ومعلوماته قال صاحب الكشاف فان قلت

لم

كيف ترتيب الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل
البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحائها فالاولى ان لا تاخذه سنة ولا نوم بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه
والثانية ان له ما في السموات لكونه مالكا لما يدبره والثالثة اى من ذا الذي يشفع لكبرياء شانه
والرابعة اى يعلم ما بين لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة من غير المرتضى
والخامسة اى وسع لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظمته ولا شك ان هذا الذي ذكره
كلام حسن الا ان ما ذكره في الرابعة من قوله وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى
فانه حمل كلمته [illegible] اليه لا سيما على ظاهر الكلام ولا دليل عقلي يقتضي صرفه عن ظاهره وقيل [illegible]
سبحانه حصول الجملة الاولى وهي الله لا اله الا هو تحقيقه بمضمون الجملة الثانية لان الاله الذي [illegible]
خلقه هو الذي يستحق ان يعبده المخلوق ولا شيء يصدق الصفة الا هو فيجب ان يكون موجودا لا سبيل
للفناء اليه وقائما على كل شيء قيوم به كل شيء وهو قائم به ذاته وهو الحي القيوم فهذان مولدان للاولى
ولما كان حيا قيوما لزم ان لا تاخذه سنة ولا نوم والا لم يكن حيا قيوما فهذه الثلاثة مولدة الثانية
ولما كان متصفا بهذه الصفة يجب ان يكون له ما في السموات والارض وما فيهما ملكا له لا نزاع لشيء في ذلك
فمن ذا الذي يشفع عنده الجموع في الجملة الثانية واذا كان كذلك فلا شفاعة لاحد الا
باذنه والا لم يتحقق لشيء التصرف في ملكه من في السموات والارض بوجه واذا كان كذلك لزم
ان يعلم ما قدموه من الاعمال وما اخروه ليكون اذنه بالشفاعة وعدم اذنه بها عن علم وحكمة
ولا يحيطون بشيء من علمه [illegible] ما هو المراد من هذه الجملة معطوفة عليها ليتم المراد منها ثم اكدت
النتيجة وهو وسع كرسيه فهذه الجمل كلها في حكم واحد معطوف عليها الجمل الاخرى وهي ولا
يؤوده حفظهما لانه لا نظير لها من هذه الاجسام العظام بالنسبة اليه في الحفظ كلا شيء
وعطف هو العلي العظيم ليعلم ان علاه وعظمته غير محصور على ما نقل في الجمل
المتقدمة بل يتعلق بالعقول [illegible] فلهذا ان لم يعطف [illegible] وليس كذلك
بل مضمونها السالك المتقدمة ببعض الوجوه [illegible] الا الله وقيل الله لا اله الا
هو تصريح بنفي الالهية واثبات الاله الحق تبارك وتعالى على سبيل الاجمال وما بعده الى
اخر الاية اشارة الى نفي اله كل طائفة من المشركين على التفصيل بيانه ان من يعبد غير الله اما
ان يعبده ليكون شفيعه وتقربه الى الله تعالى قال الله تعالى حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقال تعالى هؤلاء شفعاؤنا عند الله واما ان يعبد على سبيل الاصالة ومن يعبد غير
الله على سبيل الاصالة اما ان يعبد الاصنام التي هي جمادات واما ان يعبد الكواكب كعبادة
الشمس واما ان يكون الملائكة واما ان يكون البشر كعبادة عزير وعيسى فقوله الحي اشارة الى
نفي الهة الاصنام وقوله القيوم اشارة الى نفي الهة البشر وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم زيادة
بيان لنفي الهية البشر وقوله له ما في السموات وما في الارض اشارة الى نفي الهة الكواكب والملائكة ونفي
الهية البشر ايضا وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اشارة الى نفي الالهة التي تعبد [illegible]
لتكون شفعاءهم عند الله وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم برهان قاطع على اثبات وحدانيته
في الالهية ونفي الهية غيره لانه انما يستدل بالقدرة التامة والعلم التام على اثبات الالهية
وبالجهل والعجز على نفي الهية غيره وقوله وهو العلي العظيم زيادة ايضاح لبيان قدرته
وعلمه قوله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت

ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم قال ابن عباس
رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم معنى الاية لا اكراه في الدين بعد اسلام العرب وذلك
ان العرب كانت امة امية لم يكن لهم دين ولا كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام او السيف واكرهوا على
الاسلام ولم يقبل منهم الجزية فلما اسلموا ولم يبق منهم احد الا دخلوا في الاسلام طوعا او كرها
انزل الله هذه الاية فلا يكره على الاسلام اهل الكتاب فاذا اقروا بالجزية تركوا وقال ابو مسلم
والقفال معناه انه تعالى ما بنى امر الايمان على الاجبار والقسر وانما بناه على التمكن والاختيار
واحتج القفال على ان هذا هو المراد بانه تعالى لما بين دلايل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر
قال بعد ذلك انه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلايل للكافر عذر في الاقامة على الكفر الا ان يقسر
على الايمان ويجبر عليه وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلا اذ في القهر والاكراه
على الدين بطلان معنى الابتلا والامتحان ونظير هذا قوله تعالى فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر
وقال ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقال
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم
لها خاضعين ومما يؤكد هذا انه تعالى قال بعد هذه الاية قد تبين الرشد من الغي يعني
ظهرت الايات ووضحت البينات ولم يبق بعدها الا طريق القسر والالجا والاكراه وذلك غير
جايز لانه ينافي التكليف وهذا اليق باصول المعتزلة وقيل الاكراه ان يقول المسلم للكافر
ان امنت والا قتلتك فقال تعالى لا اكراه في الدين اما في حق اهل الكتاب والمجوس
فلانهم اذا قبلوا الجزية سقط عنهم واما ساير الكفار اذا تهودوا او تنصروا فقد اختلف
الفقها فيهم فقال بعضهم انه يقر عليهم وعلى هذا التقدير يسقط عنه القتل اذا قبل
الجزية وعلى قول هولا لا اكراه في الدين عام في كل الكفار وقال بعض الفقها ان
ساير الكفار اذا تهودوا او تنصروا فانهم لا يقرون عليه فعلى قول هولا يصح الاكراه
في حقهم وكان قوله لا اكراه مخصوص باهل الكتاب وقيل معناه لا تقولوا لمن
دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه
فليس بمكره ومعناه لا تنسبوهم الى الاكراه ونظيره قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام لست مؤمنا وقال السدي نزلت الاية في رجل من الانصار يكنى
ابا الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا
الرجوع من المدينة اتاهم ابنا ابي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا وخرجا
الى الشام فاخبر ابو الحصين رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اطلبهما فانزل الله عز وجل لا اكراه في الدين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابعدهما الله هما اول من كفر فوجد ابو الحصين في نفسه حين لم
يبعث في طلبهما فانزل الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
قال وهذا قبل ان يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال اهل الكتاب في سورة
براة فقال ابن مسعود انها منسوخة باية السيف وقال الباقون انها محكمة قد
تبين الرشد من الغي فقد ظهر الهدى من الضلالة والايمان من الكفر والحق من الباطل
بكثرة الايات اللايحة والبينات الواضحة والرشد اصابة الخير ويراد بها ههنا
الايمان والغي يقال غوى يغوي غيا اذا سلك خلاف طريق الرشد فمن يكفر بالطاغوت

قيل وزنه فعلوت كجبروت والتا زايدة فيه وهي مشتقة من طغى وتقديره طغووت فقلبت لام
الفعل الى موضع العين كعادتهم في القلب نحو الصاعقة ثم قلبت الواو الفا لوقوعها في موضع حركة
وانفتاح ما قبلها قال المبرد الاصوب عندي انه جمع قال ابو علي الفارسي وليس الامر عندنا
كذلك لان الطاغوت مصدر كالرغبوت والرهبوت والملكوت وكما ان هذه الاسما احاد كذلك
هذا الاسم مفرد وليس بجمع ومما يدل على انه مصدر مفرد قوله اولياوهم الطاغوت فافرد في موضع
الجمع كما يقال هم رضى وهم عدل قالوا وهذا اللفظ يقع على الواحد والجمع اما في الواحد فكقوله
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت واما في الجمع فكما في قوله تعالى والذين كفروا اولياوهم الطاغوت
وقالوا الاصل فيه التذكير فاما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فانما انث بارادة
الالهة قيل اراد ههنا الشيطان وقيل الكاهن وقيل هو الساحر وقيل الاصنام وقيل مردة الجن والانس
وكل ما يطغى قوله فمن يكفر بالطاغوت اشارة الى ان الكافر يجب ان يتوب عن الكفر اولا ثم يؤمن بعد ذلك
فقد استمسك استمسك بالشي اذا تمسك به والعروة جمعها عرى وهي عروة الدلو والكوز والوثقى
تانيث الاوثق اي تمسك بالحبل الوثيق المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل المعلوم بالنظر
والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به
وقيل لا اكراه في الدين اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين والله سميع لدعايك يا محمد باسلام
اهل الكتاب عليم بحرصك واجتهادك **قوله** تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور والذين كفروا اولياوهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اوليك اصحاب النار
هم فيها خالدون الولي فعيل بمعنى فاعل من قولهم ولي يقال توليت امر فلان ووليته ولاية
بكسر الواو اي الله متولي امورهم ومعينهم وناصرهم والذي يقرب منهم بالعون والنصر احتج
اصحابنا بهذه الاية على ان الطاف الله تعالى في حق المؤمن فيما يتعلق بالدين اكثر من الطافه
في حق الكافر لان الله تعالى جعل نفسه وليا للمؤمنين على التعيين والولي هو المتولي لما يكون
سببا لصلاح الانسان واستقامة امره في الغرض المطلوب فيكون الطافه في حق المؤمنين اكثر
وعند المعتزلة انه تعالى سوى بين الكافر والمؤمن في الهداية والتوفيق والالطاف فكانت هذه
الاية حجة عليهم والمعتزلة حملوا هذا التخصيص على انه يثيبهم في الاخرة ويخصهم بالنعيم المقيم والاكرام
العظيم وعلى ان المنتفع بتلك الولاية هو المؤمن وعلى انه يعطيهم ورد الاصحاب بان ذلك
الثواب واجب على الله عندكم فولي المؤمنين هو الذي جعله مستحقا على الله ذلك الثواب
فيكون وليه نفسه وبان المنتفع بولاية الله هو المؤمن فيكون وليه نفسه وبان معنى المحبة
اعطا الثواب وهو واجب على الله تعالى والمؤمن هو الذي جعله مستحقا على الله ذلك
فيكون وليه نفسه **قوله** يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر والضلالة الى الايمان
والهداية لانهم كانوا في علمه تعالى قبل ان خلقهم فمضى فيهم علمه وامنوا فكل شي في القران
من الظلمات والنور فانه تعالى اراد الكفر والايمان غير ما في الانعام وهو قوله وجعل
الظلمات والنور فانه اراد به الليل والنهار والذين كفروا اولياوهم الطاغوت
يعني روسا الضلالة مثل كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب يخرجونهم من النور الى الظلمات
يعني اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما يجدونه في كتابهم فلما بعث
جحدوه وكفروا به وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا قوما امنوا بعيسى وقوما كفروا به
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم امن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين امنوا بعيسى فقال الله تعالى

الى النور
ح

تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات من الكفر بعيسى الى الايمان بمحمد والذين كفروا
اولياوهم الطاغوت يخرجونهم من النور من الايمان بعيسى الى الظلمات الى الكفر بمحمد عليه الصلوة والسلام
وقيل الذين امنوا عام في جميع المومنين والذين كفروا عام في جميع الكفار ومنعه اياهم من الدخول
فيه اخراج وهذا كما قال تعالى اخبارا عن يوسف اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله ولم يكن فيها
قط حتى تركه ومنهم من يرد الى ارذل العمر ولم يكن فيه قط روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع انسانا
يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله قال خرج من النار
ومعلوم انه ما كان فيه ثم اخرج منه قال امرو القيس وما كانوا البول قد عاد اجنا قليل به الاصوات
ذي كلاء محلي ولم يكن قط اجنا وقال العنوى وان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب
والاية دالة على ان الايمان بخلق الله لانه لو كان بفعل العبد لكان العبد هو الذي اخرج نفسه من
الكفر الى الايمان والاية تنافيه قالت المعتزلة الاخراج من الظلمات الى النور محمول على نصب
الدلايل وارسال الانبيا وانزال الكتب والترغيب في الايمان بابلغ الوجوه والتحذير عن الكفر
باقصى الوجوه وقد نسب الله الضلال الى الاصنام بقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس لاجل
ان الاصنام توجد اضلالهم فبان ينسب الاخراج من الظلمات الى النور الى الله تعالى مع قوة الاسباب
التي فعلها بمن يومن كان اولى والجواب ان الاخراج حقيقة في الفعل مجاز في الحث والترغيب ونصب
الادلة والاصل الحقيقة فلا يعدل عنه الى المجاز الا بدليل صارف عن الحقيقة ولم يوجد دليل يصرفه
عنها بل الدليل العقلي يدل على وفقها قال صاحب الكشاف الله ولي الذين امنوا اي اراد وا ان يومنوا
يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاسده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا امرهم على الكفر ذلك
او الله ولي المومنين يخرجهم من الشبهة في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منه
الى نور اليقين والذين كفروا اولياوهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمة الشك
والشبهة وهذا اعدول عن الحق من غير دليل فقيل يخرجهم عن صفاتهم بصفاته فيصيرون قايمين
بالحق مع الحق وقيل يخرجهم من ظلمات نفوسهم الى ادابها كالرضا والصدق والتوكل والمعرفة والمحبة
وقيل يخرجهم من روية الافعال الى روية المن والافضال وقيل يخرجهم من ظلمات الوحشة والفرقة
الى نور الوصلة والقربة اولئك اصحاب النار اي الكفار والطواغيت هم فيها خالدون **قوله**
تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه الله الملك والحلة اذ قال ابرهيم ربي الذي
يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ذكر الله قصصا ثلثا الاول منها في بيان اثبات
العلم بالصانع والثانية والثالثة في بيان اثبات الحشر والنشر والبعث فالقصة الاولى مناظرة
ابرهيم مع ملك زمانه وهي هذه الاولى الم تر اي هل انتهت رويتك يا محمد الى الذي حاج
جادل وخاصم وهو نمرود بن كنعان وهي كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها لفظ
الاستفهام وهذا التعجب من محاجة نمرود ثم اخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعونا
اليه قال ربي الذي يحيي ويميت وقيل بعد القايه في النار قوله ان اتاه الله الملك
متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان اتاه الله الملك على معنى ان ايتا الملك ابطره واورثه
الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان اتاه
الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما يقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس
ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون

وابا

والثاني حاج وقت ان اتاه الله قال صاحب الكشاف فان **قلت** كيف جاز ان يوتي الله الملك
الكافر قلت فيه قولان اتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغلب
والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده ولقايل هذا السوال انما يرد على اصل المعتزلة
على ان تغليب الكافر وتسليطه قبيح والقبيح لا يصدر من الله وفيه ما فيه واما على اصلنا
وهو ان الخير والشر والايمان والكفر والهداية والضلالة من الله تعالى فالسوال ساقط قال
الله تعالى قال اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء قوله تعالى اذ قال
ابرهيم اذ نصب بحاج او بدل من اتاه اذا جعل بمعنى الوقت ربي الذي يحيي ويميت قال ابن
عباس ان ابرهيم دخل بلد نمرود ليمتار فارسل اليه نمرود فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي
ويميت قرا حمزة والكسائي ربي باسكان اليا والباقون بفتحها لمكان الالف واللام قال نمرود
انا احيي واميت اقتل من شيت واستحيي من شيت يريد اعفو عن القتل فسمى العفو احيا والقتل اماتة
قرا نافع انا باثبات الالف بعد النون في جميع القران وهي لغة قوم يجعلون الوصل فيه كالاصل
وذلك انما يجوز في الوقف وان الوصل ولكنه اجرى الوصل مجرى الوقف واثبت الالف كما انشد الكسائي
انا سيف العشيرة فاعرفوني حميد قد تذريت السناما وكان اعتراض ابرهيم على ما قال نمرود عبثا
حاضرا ولكن ابرهيم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى حجة مسكتة لا يمكنه ان يقول
انا افعل ذلك لبهته اول شي وهو قوله قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر اي تحير واسكت وانقطعت حجته يقال بهت الرجل اذا تحير فهو مبهوت وهذا دليل
على جواز الانتقال من حجة الى حجة اخرى عند المجادلة **قوله** والله لا يهدي القوم الظالمين الى الحجة
وقيل لا يجعل جزاهم على ظلمهم ان يهديهم وذكر المعتزلة في تاويله وجوها منها انه لا يهديهم
لظلمهم ولعنادهم للحجاج والحق كما يهدي المومن فانه لا بد للكافر من ان يتحير وينقطع قال الامام وهذا
ضعيف لان قولهم لا يهديهم للحجاج انما يصح حيث يكون الحجاج موجودا ولا حجاج على الكفر فكيف يصح
ان يقال ان الله لا يهديه اليه ومنها انه لا يهديهم بزيادات الهدى والالطاف من حيث
انهم بالكفر والظلم سدوا على انفسهم طريق الانتفاع به قال الامام وهذا ايضا ضعيف لان تلك
الزيادات ان كانت في حقهم ممتنعة عقلا لم يصح ان يقال انه تعالى لا يهديهم كما لا يقال انه تعالى
لا يجمع بين الضدين ولا يجمع بين الوجود والعدم ومنها انه تعالى لا يهديهم الى الجنة
قال الامام وهذا ايضا ضعيف لان المذكور هاهنا امر الاستدلال وتحصيل المعرفة
ولم يجر للجنة ذكر فيبعد صرف اللفظ الى الجنة والحق على اصولنا ان الله لا يهدي القوم
الظالمين الى الحجج والبينات الدالة على الحق ولم يذكر المفعول ليفيد العموم فاختصر اللفظ
افادة لزيادة المعنى وهو من اللطائف القرانية **قوله** تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية
على عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما
او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك
اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شي قدير
هذه هي القصة الثانية والمقصود منها اثبات المعاد قال صاحب الكشاف معناه او ارايت مثل
الذي فحذف ارايت لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما اي الم تر وارايت كلمة تعجيب ولما كانت مشاهدة
الاشياء ورويتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الاخبار استعملوا ارايت بمعنى اخبر ومعنى
التعجيب فيهما ان اجراه على ظاهره لا يجوز لان الاستخبار على عالم الغيب والشهادة محال فهو تنبيه

للمخاطب على ما شاهد واحاط به علما اظهار المعنى الغرابة فيه وايجابا عليه ابدا اما الاعجو ز
اخفاو واما معنى الم تر ففيه تنبيه للمخاطب على التعجب فيما شاهد واما عطفها ارايت
على الم تر لان الاول تعدى بنفسه والثاني بالى ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه
قيل ارايت الذي حاج ابرهيم او كالذي مر ويكون هذا عطفا على المعنى وهو قول الكسائي
والفرا وابي على الفارسي واكثر النحويين قالوا ونظيره من القران قوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
الله فهذا عطف على المعنى لان معناه لمن السموات فقيل لله وقيل ان الكاف زايده والتقدير الم
تر الى الذي حاج ابرهيم او الى الذي مر على قريه وقيل بتقدير الايه زياده من كان تقدير
الم تر الى الذي حاج ابرهيم والم تر من كان كالذي مر على قريه وقيل الذي مر بالقريه كان رجلا
كافرا شاكا في البعث وهو قول مجاهد واكثر المفسرين قال صاحب الكشاف وهو الظاهر
لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي ولانه تعالى قال في حقه
فلما تبين له وهذا يدل على انه قبل ذلك لم يكن ذلك التبيين حاصلا له ولانه قال اعلم ان
الله على كل شي قدير وهذا يدل على ان هذا العلم انما حصل له في ذلك الوقت وهذه الاوجه
ضعيفه اما الاول فلانه معارض بانتظامه مع ابرهيم فان قيل انتظامه مع نمرود اقوى
لان قصة المار عطفت على قصة نمرود عطف تشريك في الفعل منطوقا في الاول مقدرا
في الثانيه مدلولا عليه بذكره اولا وقصة ابرهيم مصدره بالواو وتوسطها بين جمل متقاطعه
للتحسين لخلاف او فانها لا تستعمل الا مستركا عوض بما بين قصة المار وبين قصة ابرهيم
من التناسب المعنوي فان كليهما طلبا المعاينه الاحيا واعتبار المعنى اولي واما الثاني فلاحتمال
ان ذلك الاستبعاد لم يكن بسبب الشك في قدرة الله على ذلك بل كان بسبب اطراد العاده
في ان مثل ذلك الموضع الخراب لم يصيره الله معمورا واما الثالث فلانه تبين الاحيا على
سبيل المشاهده ما كان حاصلا له قبل ذلك واما الرابع فان تلك المشاهده افادت نوع
تاكيد وطمانينه ووثوق وهذا انما حصل في ذلك الوقت وهذا لا يدل على ان اصل العلم
ما كان حاصلا قبل ذلك وقيل انه كان مومنا ويدل عليه قوله تعالى انى يحيي هذه الله بعد موتها
فانه يدل على انه كان عالما بالله وعلى انه تعالى يصح منه الاحيا في الجمله لان تخصيص هذا باستبعاد
الاحيا انما يصح عند تحقق الاعتراف بالقدره على الاحيا في الجمله فقيل عزير وهو قول قتاده
وعكرمه والضحاك والسدي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ارميا ثم قيل قال ارميا
هو الخضر وقيل ارميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب بخت نصر بيت المقدس واحرق
التوراه اراد ان يعاين احيا الموتى ليزداد بصيره وطمانينه كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيي
اعتراف بالعجز عن معرفة طريقه الاحيا واستعظام لقدرة المحيي والقريه بيت المقدس
واحرق التوراه اراد ان يعاين احيا وهي خاويه اي ساقطه متهدمه منه احوى
الحايط اذا تهدم وهو ان ينقطع من اصله ومنه قوله تعالى اعجاز نخل خاويه
اي منقلعه من اصولها وقوله على عروشها اي سقوفها وذلك ان الحيطان كانت قايمه
وقد تهدمت سقوفها ثم انقطعت الحيطان فتساقطت على السقوف وقيل خاويه على عروشها
اي خاويه عن عروشها جعل على بمعنى عن كقوله اذا اكتالوا على الناس وقيل ان القريه
خاويه مع كون اشجارها مغروسه وكان التعجب من ذلك اكثر لان الغالب من القريه الخاليه

الى التحسين
النظم هو

ان يبطل ما فيها من عروش الغالبه فلما خربت القريه مع بقاء عروشها كان التعجب
اكثر وقيل القريه هي التي خرج منها الالوف قوله انى يحيي هذه الله بعد
موتها الذين قالوا ان المار كان كافرا حمله على الشك في قدرة الله ومن
قال كان نبيا حمله على الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعاده او كان
المقصود منه طلب زيادة الدلايل لاجل التاكيد وقوله انى اي من اين
كقوله انى لك هذا والمراد باحيا هذه القريه عمارتها اي متى ان يفعل
الله ذلك على معنى انه لا نفعله فاحب الله ان يريه في نفسه في احيا القريه ايه
فاماته الله ماية عام وكان معه تين وعصير وحمار فامات الله حماره ايضا
قال الامام فان قيل ما الفايده في اماتته ماية عام مع ان الاستدلال
بالاحيا بعد يوم او بعد بعض يوم حاصل قلنا لان الاحيا بعد تراخي المده
ابعد في العقول من الاحيا بعد قرب المده واعجب قوله ثم بعثه يقال بعثت
الناقه اذا اقمتها من مكانها وانما قال بعثه ولم يقل احياه لان قوله
بعثه يدل على انه عاد كما كان اولا حيا عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال
في المعارف الالهيه حتى قيل احيى الله منه عينيه وساير جسده وهو ينظر
ثم نظر الى حماره فاذا عظامه بيض تلوح فسمع صوتا من السما ايتها العظام
البالية ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم قام باذن الله
ونهق قال كم لبث قرا ابو عمرو وحمزه والكسائي بالادغام في جميع القران
لقرب المخرج والباقون بالاظهار لزيادة الثاني لنفسي وكلاهما عربيان
صحيحان فصيحان اي قال الله كم لبثت اقمت ومكثت هاهنا والمقصود من
هذا السوال التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق قال لبثت يوما او
بعض يوم بنا على الظن وروي انه مات ضحى في اول النهار وبعثه الله بعد ماية
سنه في اخر النهار وقبل غيبوبة الشمس فقال يوما وهو يرى ان الشمس غربت
ثم التفت فراى بقيه من الشمس فقال او بعض يوم بمعنى بل بعض يوم
قال الله بل لبثت ماية عام فانظر الى طعامك اي التين وشرابك اي العصير
لم يتسنه لم يتغير فوجد التين كما جني والشراب على حاله قرا الجميع لم
يتسنه باثبات الها في الوقف وكذا في اقتده وماليه وسلطانيه وماهيه
وابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم باثباتها في الوصل ايضا
في لم يتسنه واقتده وحمزه والكسائي بحذف الها فيهما وصلا واشتقاقه من
السنه لان العصير الشي يتغير بمرور الزمان سوا قلنا الها اصليه او
ها السكت لبيان الحركه زعم قوم ان اصل السنه سنهه لانه يقال في تصغيرها
سنيهه ويقال سانهت النخله بمعنى عاومت واجرت الدار مسانهه فتكون
اللام لام الفعل فلم تحذف اصلا لا وقفا ولا وصلا وقيل الها هاء السكت
لان اصل السنه سنوه لانهم يقولون في جمعها سنوات وفي الفعل منها سانيت
الرجل مسانات اذا عاملته سنه سنه وفي التصغير سنيه فابدلت الواو يا

في الفعل والتصغير لان اليا اخف من الواو وحذفت الواو من سنو فالهاء
زايدة للسكت وقيل لم يتسنه اصله لم يتسنن اجتمع ثلث نونات فقلبت الثالثة
ثم حذفت اليا للجزم والحق بها هاء السكت ويجوز ان يكون معنى يتسنه لم تمر عليه
السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة فمن جعل الها للسكت
حذفها في الوصل ومن جعلها اصلية اثبتها في الوصل والوقف وفاعل لم يتسنه ضمير
راجع الى الشراب لانه اقرب اللفظين به والنفي يدل احد المذكورين على الآخر لانه في معنى
الثاني لان الطعام ايضا لم يتغير وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت
وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك
من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من
التغيير **قوله** ولنجعلك اية للناس عطف على محذوف تقديره اريناك ذلك
لتعلم قدرتنا ولنجعلك اية للناس وقيل الواو زايدة وقيل انما دخل الواو فيه
دلالة على انه شرط لفعل بعدها اي ولنجعلك اية فعلنا ذلك اي احياه بعد الموت
وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا
التوراة فاخذ يهذها هذا على ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا
فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التوراة ظاهرا احد قبل عزير وذلك كونه اية وقيل رجع
الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى التي تعجب من احيايهم وقيل عظام
نفسه كيف ننشزها قرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ننشزها بالزاي وضم
النون وكسر الشين اي كيف نحييها من النشوز التحريك والارتفاع اي نحركها
ونرفعها فنردها الى مواضعها من الجسد ونركب بعضها على بعض وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو كيف ننشرها بضم النون وبالراء وكسر الشين اي كيف
نحييها يقال انشر الله الميت انشارا قال الله تعالى ثم اذا شاء انشره ونشر
نشورا بمعنى انشر قال الله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا كذلك النشور واليه
النشور فلما تبين له عيانا ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز
فلما تبين له ما اشكل عليه من امر احيا الموتى قرا حمزة والكسائي اعلم موصولا
مجزوما على الامر قال الله اعلم والباقون اعلم مقطوعا مرفوعا على الخبر عن عزير
انه قال ذلك والاول مناسب للثاني والثاني للاول **قوله** تعالى
واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم هذه القصة الثالثة
في بيان كيفية احيا الموتى وهي ايضا داله على صحة البعث قيل العامل
في اذ اذكر قال ابرهيم وقيل معطوف على قوله الم تر الى الذي حاج
ابرهيم والتقدير الم تر اذ حاج ابرهيم في ربه الم تر اذ قال ابرهيم
رب ارني ذكروا في سبب سوال ابرهيم وجوها منها انه راى

جيفة

جيفة بساحل البحر اكل منها دواب البحر عند المد والسباع والطيور عند الجزر فقال
ابرهيم رب ارني كيف تجمع اجزا الحيوان من بطون دواب البحر والطيور والسباع قال له او
لم تؤمن قال بلى يا رب علمت وامنت ولكن اريد ان اعاين واشاهد ليطمئن اي يسكن قلبي الى
المعاينة والمشاهدة ويصير علم اليقين عين اليقين ومنها ان ابرهيم لما احتج على نمرود
وقال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي واميت واطلق مسجونا وقتل اخر
قال له ابرهيم ان الله تعالى يحيي بان يقصد الى جسد ميت فيحييه ويجعل فيه الروح فقال له
نمرود انت عاينت فلم يقدر ان يقول نعم رايته فقال رب ارني كيف تحيي الموتى قال او
لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي حتى اذا قال لي قايل وقد احتججت عليه باحيا الموتى انت عاينت
اقول نعم قد عاينت وليعلم نمرود ان الاحيا كما فعل لا كما فعل وروي ان نمرود قال لابرهيم
انت تزعم ان ربك يحيي ويميت وتدعوني الى عبادته فقل لربك يحيي الموتى ان كان قادرا والا قتلتك
فقال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة الحجة وبنجاتي
من القتل فان عدو الله توعدني بالقتل ان لم تحي لي ميتا ومنها انه تعالى اوحى اليه اني متخذ
بشرا خليلا فاستعظم ابرهيم ذلك وقال الهي ما علامة ذلك قال علامته انه يحيي الموتى بسواله
فلما عظم مقام ابرهيم في درجات العبودية واداء الرسالة خطر بباله انه قد يكون ذلك الخليل
فسال احيا الموتى فقال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على اني خليلك ومنها انه عليه
السلام سال ذلك لقومه لان اتباع الانبيا كانوا يطالبونهم باشيا باطلة او حقيقة فسال
ابرهيم ذلك ليشاهد قومه فيزول الانكار عن قلوبهم ومنها ان المراد من الموتى القلوب المحجوبة
عن انوار المكاشفات والتجلي والاحيا عبارة عن حصول ذلك التجلي والانوار الالهية
فقوله رب ارني كيف تحيي الموتى طلب التجلي والمكاشفة فقال اولم تؤمن قال بلى او من ايمان
الغيب ولكن اطلب حصولها ليطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التجلي وقوله فخذ اربعة من الطير
بعيد من هذا الوجه ومنها انا نعلم الاستدلال لا قد يتطرق اليه الشكوك والشبهات فطلب
علما ضروريا على سبيل المشاهدة ليطمئن القلب ولا تختلج الشبهات عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال رحم الله ابرهيم نحن احق بالشك منه قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قيل معنى قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك منه
انما شك ابرهيم ليجيبه الله عز وجل الى ما سال ام لا وقيل حزن الخليل الى صنع خليله ولم يتهمه
فذلك قوله عز وجل قال اولم تؤمن يعني انت مومن شهد له بالايمان قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
بزيادة اليقين في المحبة وحقيقة الخلة واجابة الدعوة وانما قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت
الناس ايمانا ليجيب بما اجاب فيه من الفايدة الجليلة للسامعين واللام في ليطمئن متعلق بمحذوف
تقديره ولكن سالت ذلك ليطمئن قلبي قال الله عز وجل لابرهيم عليه السلام فخذ
اربعة من الطير مختلفة اجناسها وطباعها ليكون ابلغ في القدرة وخص الطير من ساير الحيوانات
لخاصة الطيران واختلفوا في تلك الطيور ما هي قيل اخذ طاووسا ونسرا وغرابا وديكا
وقيل حمامة مكان نسر قال الامام انما خص هذه الطيور لان الطاووس اشارة الى
ما في الانسان من حب الزينة والجاه والترفع والنسر اشارة الى شدة التعسف بالاكل والغراب
اشارة الى شدة الحرص على الجمع والطلب فان من حرص الغراب ان يطير بالليل ويخرج بالنهار في غاية
البرد للطلب والديك اشارة الى شدة الشغف بقضا شهوة الفرج والاشارة فيه الى ان الانسان
ما لم يسع في كسر شهوة البطن والفرج وابطال الحرص والتزين للخلق لم يجد في قلبه روحا

وراحة من نور جلال الله قوله فصرهن قرا نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكسائي
وابو عمرو بضم الصاد وحمزة بكسر الصاد معناه املهن واضممهن يقال صرت الشي اصوره اذا املته
قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان
الكروم الدوالح اي يثنيه ويميله من لينه وفيه اضمار معناه فضمهن اليك ثم قطعهن فحذفه
واكتفى بقوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزا والمعنى على كل جبل من الاجبل التي بحضرتك وفي ارضك
قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة قرا عاصم جزوا مثقلا مهموزا والباقون مهموزا مخففا ومعناه
النصيب والبعض قيل امر الله ان يذبح الطيور وينتف ريشها ودماها ولحومها بعضها ببعض
ثم يجزيهن اربعة اجزا على اربعة اجبل ففعل ذلك ابرهيم وامسك رووسهن عنده ثم دعاهن
تعالين باذن الله فجعلت اجزا الطيور يطير بعضها الى البعض حتى اتينه سعيا على ارجلهن وتلقى
كل طاير راسه فذلك قوله ثم ادعهن ياتينك سعيا اي ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن
على ارجلهن قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها قلت
ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها جمع حلية لئلا يلتبس عليه بعد الاحيا ولا يتوهم
انها غير تلك واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات لا يمتنع عليه بعد الاحيا ولا يتوهم
ما يريد ويفعل بعلم الاشيا كما هي ويفعل كما ينبغي **قوله** تعالى مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف
لمن يشا والله واسع عليم قيل في كيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الايات تلك الاضعاف
وانما ذكر بين الايتين الادلة على قدرته بالاحيا والاماتة من حيث لولا ذلك لم يحسن التكليف بالانفاق
لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب لكان الانفاق وساير الطاعات عبثا فكانه قال لمن
رغبه في الانفاق قد عرفت اني خلقتك واكملت نعمتي عليك بالاحيا والاقدار وقد علمت قدرتي
على المجازاة والاثابة فليكن علمك بهذه الامور داعيا الى انفاق المال فانه يجازي
القليل بالكثير ثم ضرب لذلك مثلا وهو ان من بذر حبة اخرجت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة فصارت الواحدة سبعمائة وقيل انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على
الكل بما يوجب تصديق النبي عليه السلام ارغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته
واعلاء شريعته وقيل لما بين انه ولي المومنين وان الكفار اولياهم الطاغوت بين مثل
ما ينفق المومن في سبيل الله مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف بين مثل والذين
او بين كمثل وحبة اي مثل نفقة الذين او كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل والمنبت هو الله
ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الما ومعنى
انباتها سبع سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة فان قيل
هل رايت سنبلة فيها مائة حبة او بلغك ذلك **اجيب** بانه لا ينكر ذلك ولا يستحيل
فان يكن موجودا فذلك صحيح على سبيل الفرض والتقدير على معنى انه لو علم انسان يطلب
الزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له
ترك ذلك ولا التقصير فيه فلذلك ينبغي لمن طلب الاجر في الاخرة عند الله ان لا
يتركه اذا علم انه يحصل له على الواحد عشرة ومائة وسبعمائة واذا كان هذا المعنى
معقولا فسوا وجد في الدنيا حبة بهذه الصفة او لم يوجد كان المعنى مستقيما وقيل

هو

هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البر في الارض القوية المغلة
فيبلغ حبها هذا المبلغ ادغم ابو عمرو وحمزة والكسائي تا انبتت في سين سبع لانهما
مهموستان واظهرها الباقون لانهما كلمتان والله يضاعف لمن يشا اي يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشا لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد اضعافها لمن يشا
لا لمن يستوجب ذلك والله واسع غني بتلك الاضعاف جواد لا ينقصه ما يتفضل به عليم بمن ينفق
قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى
والله غني حليم نزلت هذه الاية في عثمان وعبد الرحمن رضي الله عنهما اما عثمان فجهز جيش العسرة
في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها والف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه يقول يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه واما عبد الرحمن فتصدق بنصف ماله اربعة
الاف درهم فنزلت الاية قيل الاية المتقدمة مخصوصة بمن انفق على نفسه وهذه الاية فيمن انفق
على غيره فبين الله تعالى ان الانفاق على الغير انما يوجب الثواب العظيم المذكور في الاية
المتقدمة اذا لم يتبعه من ولا اذى قيل وقد يكون هذا الشرط معتبرا فيمن انفق على نفسه وذلك
هو ان ينفق على نفسه ويحضر الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ابتغا مرضات الله
ولا يمن به على النبي والمومنين ولا يوذي احدا من المومنين مثل ان يقول لو لم احضر لما تم هذا الامر
ويقول لغيره انت ضعيف بطال لا منفعة فيك في الجهاد واصل المن النعمة يقال من يمن منه ومنا
ومنينا اذا انعم واعطى قال الله تعالى هذا عطاونا فامنن او امسك اي اعط ثم صار ذكر النعمة
والاعتداد بها منه والمن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه
حقا وكانوا يقولون اذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرا اسدى الي صنيعة
يوما وذكرنيها لبخيل وقيل صونوا من صنيعكم سايله ومن ومنع نايلهم وضر طعم الا لا اخلي من المن
وهي امر من الا لا مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما اولى اليه اي اعطى وقيل هو ان
يذكر احسانه لمن لا يحب الذي احسن اليه وقوفه عليه وما اشبه ذلك من القول الذي يوذيه
قيل اذا اعطيت احدا شيا فظننت ان سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه ومعنى ثم تراخي المرتبة
واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة
على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا وتكرير قوله لا في قوله ولا اذى يفيد
ان انتفا كل منهما شرط لحصول الاجر لهم والذين ينفقون اموالهم مبتدا وقوله لهم اجرهم خبره
وعدم دخول الفا في الخبر اشارة الى ان اجرهم عند ربهم انما هو على سبيل التفضل لا الايجاب
بالانفاق **قوله** ولا خوف عليهم اي ان انفاقهم في سبيل الله لا يضيع بل ثوابه مفر عليهم
يوم القيمة لا يخافون ضياعه ولا يحزنون فواته وقيل يوم القيامة لا يخافون العذاب
كما قال تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون وقال لا يحزنهم الفزع الاكبر قول معروف كلام حسن
ورد على السايل جميل ودعا له حسنة من المسول ومغفرة وعفو عن السايل اذا وجد منه ما يثقل
على المسول اي ونيل مغفرة وعفو من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السايل عن المسول
بان يعذر المسول اذا رد السايل ردا جميلا لا خير في صدقة يتبعها اذى لانه اذا اعطى ثم اتبع
الاعطا بالايذا فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب الانفاع بعقاب الاضرار
واما القول المعروف ففيه انفاع من حيث افادة ايصال السرور الى قلب السايل غير مقترن

ع سوآل

بالاضرار فهو خير من الصدقة المتبوعة بالاذى والله غني عن صدقة العباد حليم اذ لم يعجل بالعقوبة
على من يمن ويؤذي بصدقته وهذا اسخط منه ووعيد له عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سال
سايل فلا تقطعوا عليه مسالته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين او ببذل يسير او برد
جميل فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جان ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله **قوله** تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون
على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين وصف الله تعالى حال الانفاق الذي يتبعه
المن والاذى والذي لا يتبعه المن والاذى وضرب لكل منهما مثلا فقال في الاول
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قيل معناه لا تاتوا به باطلا وذلك بان
ينوي بالصدقة الرياء والسمعة فتكون هذه الصدقة حين وجدت حصلت باطلة وهو
موافق لما ذهب اليه الاصحاب وقيل الابطال ان ينوي بها على وجه توجب الثواب ثم
بعد ذلك اذا اتبعت بالمن والاذى صار عقاب المن والاذى مزيلا لثواب تلك
الصدقة وهذا التاويل يقتضيه المعتزلة فانه يعني ان العقاب الذي هو بسبب المن والاذى
يحبط ثواب الصدقة قال الجبائي وكما دل هذا النص على صحة قولنا فالعقل دل عليه ايضا لان
من اطاع وعصى فلو استحق ثواب طاعته وعقاب معصيته لوجب ان يستحق النقيضين لان شرط
الثواب ان يكون منفعة خالصة دايمة مقرونة بالاجلال وشرط العقاب ان يكون مضرة
خالصة دايمة مقرونة بالاذلال فلو لم تكن المحابطة لحصل استحقاق النقيضين وذلك محال
ولانه حين يعاقبه فقد منعه الاثابة ومنع الاثابة ظلم وهذا العقاب عدل فلزم ان يكون هذا
العقاب عدلا من حيث انه حقه وان يكون ظلما من حيث انه منع الاثابة فيكون ظلما بنفس الفعل
الذي هو عادل فيه وذلك محال فصح قولنا في الاحباط والتكفير بهذا النص وبدلالة العقل
واما اصحابنا فانهم قالوا ليس المراد بقوله لا تبطلوا النهي عن ازالة هذا الثواب بعد ثبوته بل المراد
به ان لا ياتي بهذا العمل باطلا وذلك لانه اذا قصد به غير وجه الله تعالى فقد اتى به من
الابتداء على نعت البطلان واحتج اصحابنا على بطلان قول المعتزلة بوجوه منها ان الباقي
والطاري ان لم يتنافيا لم يلزم من طريان الطاري زوال الباقي وان تنافيا لم يكن زوال
الباقي اولى من اندفاع الطاري بل العكس اولى لان الدفع اهون من الرفع واعلم ان الله
تعالى ذكر لكيفية ابطال الصدقة بالمن والاذى مثلين احدهما يطابق القول الاول وهو
كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اذ من المعلوم ان المراد من قوله
عمل هذا باطلا انه دخل في الوجود باطلا لا انه دخل صحيحا ثم يزول لان المانع من
صحة هذا العمل هو الكفر والكفر مقارن له فيمتنع دخوله صحيحا في الوجود فهذا
المثل يشهد لما ذهب اليه اصحابنا من التاويل واما المثل الثاني وهو الصفوان اي
الحجر الاملس الذي عليه تراب فاصابه وابل المطر القوي فازال ذلك التراب عنه
فتركه صلدا اي اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه فيشهد لتاويل المعتزلة فان الكافر
كالصفوان والتراب مثل ذلك الانفاق والوابل كالكفر الذي يحبط عمل الكافر وكالمن والاذى
اللذين يحبطان عمل هذا المنفق فكما ان الوابل ازال التراب الذي وقع على الصفوان فكذا المن
والاذى يجب ان يكونا مبطلين لاجر الانفاق بعد حصوله لكن لاصحابنا ان يقولوا انه ان

المشبه

المشبه بوقوع التراب على الصفوان حصول الاجر للكافر بل المشبه بذلك صدور هذا العمل
الذي لولا كونه مقرونا بالنية الفاسدة لكان موجبا لحصول الاجر والثواب فالمشبه بالتراب الواقع
على الصفوان هو ذلك العمل الصادر منه وحمل هذا الكلام على هذا اولى لان التراب اذا وقع
على الصفوان لم يكن ملتصقا به ولا غايصا فيه البتة بل ذلك الاتصال كالانفصال فهو في راي العين
متصل وفي الحقيقة منفصل فكذا الانفاق المقرون بالمن والاذى يرى في الظاهر انه عمل من
اعمال البر وفي الحقيقة ليس كذلك فظهر ان استدلالهم بهذه الاية ضعيف وقيل لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن على الله وبالاذى للفقير والاول اوجه فان الانسان اذا انفق متبجحا بفعله سالكا طريق التكبر
غير معترف بان ذلك من فضل الله وتوفيقه واحسانه فكانه كالمان على الله والثاني اظهر كالذي ينفق
قيل الكاف متعلق بمحذوف تقديره كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو المنافق بين الله تعالى ان
المان والموذي يبطلان صدقاتهم بالمن والاذى كما ان المنفق المرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الاخر
يبطل انفاقه بالرياء والنفاق وتحقيق ذلك ان المنافق المرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الاخر يبطل
انفاقه لا لوجه الله تعالى والمتصدق المقرن صدقته بالمن والاذى يتصدق لا لوجه الله اذ لو تصدق
طالبا مرضاة الله لما من على الفقير ولا اذاه فثبت اشتراكهما في كون ما اتى به لا لوجه الله تعالى
والكاف على هذا في محل النصب لانه صفة مصدر محذوف اي ابطالا كابطال الذي ينفق وقيل الكاف في محل
النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق قوله رئاء الناس اي مرائي الناس يصدقه
لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الاخرة والرياء مصدر كالمراآة كالقتال قتال ومقاتلة
اي مثل هذا المرائي المنافق كمثل صفوان قوله لا يقدرون اي لا ينتفعون بما فعلوا ولا
يجدون ثواب ما عملوا لقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ولقوله فجعلناه هباء منثورا قال صاحب الكشاف فان
قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي
ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق وقيل خاطب بالمفرد وعلى قوله لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى فانكم ان تفعلوا ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فرجع عن الخطاب الى الغيبة كقوله
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين لا يعجل جزاءهم على كفرهم انه يهديهم
قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة
اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير لما ذكر مثل المنفق
الذي يكون مانا او موذيا ذكر مثل المنفق الذي ينفق ابتغاء مرضات الله الابتغاء افتعال
من بغيت اي طلبت بين الله تعالى ان غرض هولاء المنفقين من هذا الانفاق امران احدهما
طلب مرضاة الله وثانيهما تثبيت النفس قيل معناه وتثبيتا من انفسهم ببذل المال الذي
هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس من ساير العبادات الشاقة اي وليثبتوا من انفسهم
على ساير العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ارتضت بالتحامل عليها وتكليفها الامر الذي
لشهواتها وبالعكس اذا لم ترض بالتحامل عليها وتكليفها الامر الذي يصعب عليها لم تذل لصاحبها
وقوي طمعها في اتباعه لشهواتها فعلى هذا من للتبعيض مثلها في قولهم من عطفه وحرك من نشاطه
فيكون مفعولا به للمصدر اي تثبيتا ببعض انفسهم معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت
بعض نفسه اي من بعض الوجوه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها اي من كل الوجوه

قال تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فكان انفاق المال تثبيتا للنفس على
الايمان واليقين من بعض الوجوه وبذل المال والروح تثبيتا للنفس على الايمان واليقين
من كل الوجوه ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزا من اصل انفسهم لانه اذا
انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه او من اخلاص
قلبه فعلى هذا من لابتدا الغاية كقوله حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا
من انفسهم عند المومنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه قوله كمثل جنة اي ومثل
نفقة هولا في زكاتها اي في نمايها عند الله كمثل جنة اي بستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان
الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا قرا عاصم وابن عامر بفتح الرا هاهنا وفي المومنون وهي لغة بني
تميم والباقون بضم الرا فيهما لانهما اكثر اللغات واشهرها وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري
فيه الانهار ولا يعلوه الما ولا يعلوا على الما وانما سميت بها لانها ربت فغلظت وعلت من قولهم
ربا الشي يربو اذا انتفخ فعظم اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها قرا نافع وابن كثير وابو
عمرو بالتخفيف والباقون بالتثقيل الذي هو الاصل والاكل الثمر الذي يوكل قال الله تعالى توتي
اكلها كل حين اي ثمرتها وما يوكل منها اي اعطت ثمرتها ضعفين اي مثل ما كانت تثمر بسبب الوابل
قيل حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين وقيل حملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل
فطل اي مطر صغير القطر وهو اضعف القطر والبلة وقيل هو الندى اي فطل يكفيها لكرم
منبتها وقيل معناه ان هذه الجنة ان لم يصبها وابل فيصيبها مطر دون الوابل الا ان ثمرتها باقية
كلها على التقديرين لا تنتقص بسبب انتقاص المطر وقيل معنى الاية ان لم يصبها وابل حتى تضاعف
ثمرها فلا بد ان يصيبها طل يعطي ثمرا دون الثمر الاول فهي على جميع الاحوال لا بد وان تثمر كذلك من
اخرج صدقة لوجه الله لا تضيع حسنته قليلا كان او كثيرا وقيل مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة
ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم
كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبطل فيها الوسع زاكية عند الله زايدة في زلفاهم
وحسن حالهم عنده والله بما تعملون بصير عليم بكمية النفقات وكيفيتها وبالامور الباعثة
عليها يجازيها ان خيرا فخير وان شرا فشر قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة
من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفا فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون هذه الاية متصلة بقوله يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والود هو المحبة الكاملة والهمزة في ايود للانكار قوله
جنة من نخيل واعناب لا تكون الجنة من النخيل والاعناب لكن بسبب كثرة النخيل والاعناب
قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر
وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على ساير الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات
بعد ذكر قوله تجري من تحتها الانهار فان الجنة الموصوفة من ابهى الجنان لانها حسنة المرا والمنظر
كثيرة المنفعة والريع ولا يمكن الزيادة على هذا في حسن الجنة ثم شرع بعد ذلك في بيان شدة حاجة
مالكها اليها فقال واصابه الكبر وذلك لانه اذا صار كبيرا عجز عن الاكتساب وكثرت جهات
حاجاته بحسب مطعمه وملبسه ومسكنه وافتقاره الى من يقوم بخدمته وتحصيل مصالحه فاذا تزايدت
جهات الحاجات وتناقصت وجوه الدخل والكسب واحترقت تلك الجنة يكون الاحتياج اليها في الغاية

والواو في قوله واصابه الكبر للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة على هذه الصفة وقد
اصابه الكبر ويحتمل ان يكون للعطف على المعنى فانه يقال وددت ان يكون كذا وودت لو كان كذا
كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر فحمل العطف على المعنى ثم انه تعالى زاد في بيان احتياج ذلك
الانسان الى تلك الجنة وقال وله ذرية ضعفا بسبب الصغر والطفولية فيصير المعنى ان ذلك الانسان كان
في غاية الضعف والحاجة بسبب الطفولية والصغر ثم قال فاصابها اعصار ريح شديدة في الارض ثم
تستطلع نحو السما كالعمود فيه نار فاحترقت جنته فاذا احتاج الانسان وشاهد تلك الجنة محترقة بالكلية فانظر
كم يكون في قلبه من الغم والمحنة والبلية تارة بسبب انه ضاع مثل تلك الجنة النفيسة واخرى بسبب
انه بقي في الحاجة والشدة مع العجز عن الاكتساب واليأس عن ان يدفع اليه شي يسد خلته وبسبب
تعلق ذريته الضعفا والافتقار الى الانفاق عليهم كذلك من ينفق ماله ريا الناس ولا يومن
بالله واليوم الاخر او يبطل صدقاته بالمن والاذى اذا قدم يوم القيمة وكان في غاية
الاحتياج الى الانتفاع بثواب نفقته وصدقته لم يجدها فان اعصار الريا والمن والاذى
الذي فيه نار النفاق قد احرقت جنة انفاقه وتصدقه واحبط فتحسر عند ذلك حسرة كانت له
جنة بالصفة المذكورة فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه سالت اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم عن هذه الاية فقالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا
نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنهما في نفسي منها شي يا امير المومنين قال عمر قل يا ابن اخي
ولا تحقر نفسك قال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب مثلا للعمل قال لاي عمل قال لرجل يعمل
عملا صالحا فيكون مثلا للجنة ثم يبعث الله له الشيطان فيسي في اخر عمره ويتمادى في الاساه
حتى يموت على ذلك فيكون الاعصار مثلا للاسائة التي مات عليها كذلك يبين الله اي كما بين
لكم اياته ودلايله في هذا الباب ترغيبا وترهيبا كذلك يبين الله لكم اياته في ساير امور الدين
لعلكم تتفكرون فيها وترغبون في الاعمال الصالحات ابتغا لوجه الله ولا تنفقون اموالكم
ريا الناس ولا تبطلون صدقاتكم بالمن والاذى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد اعلم انه تعالى رغب في الانفاق ثم قسم الانفاق
على قسمين منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعهما ثم بين ما يتعلق بكل من القسمين وضرب
لكل منهما مثلا يكشف عن المعنى على ابلغ الوجوه ثم ذكر في هذه الاية ان المال الذي امر بانفاقه
في سبيل الله ينبغي ان يكون طيبا ثم اختلفوا في الانفاق فقيل المراد منه الزكوة
المفروضة لان انفقوا امر وهو للوجوب ظاهر والانفاق الواجب ليست الا الزكوة
وساير النفقات الواجبة وقيل المراد منه التطوع لما روي عن علي رضي الله عنه انهم كانوا
يتصدقون بشرار ثمارهم ورذال اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس رضي
الله عنهما جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضع في الصدقة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بئس ما صنع صاحب هذا فانزل الله الاية وقيل انه تناول الفرض والنفل
لان الاية دالة على ترجيح الفعل على الترك من غير بيان جواز الترك وعدمه وهذا قدر
مشترك بين الفرض والنفل فوجب دخولهما تحت الامر فعلى القول الاول يدل على
وجوب الزكوة في كل ما يكسبه الانسان فيدخل فيه زكوة التجارات وزكوة الذهب والفضة
وزكوة النعم لانها موصوفة بانها مكتسبة وعلى وجوب الزكوة في كل ما تنبته الارض على ما

ما هو قول ابي حنيفة واستدلاله بهذه الاية ظاهر جدا لكن مخالفوه خصصوا هذا العموم بقوله
عليه السلام ليس في الخضراوات صدقة وايضا مذهب ابي حنيفة ان الزكوة واجبة على كل ما
انبتته الارض قليلا كان او كثيرا وظاهر الاية دال عليه لكن مخالفوه خصصوا هذا العموم بقوله
صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة قوله من طيبات قيل الطيب الجيد
من المال دون الردي ذكر في سبب النزول يدل على ان المراد بالطيب الجيد ولان هذا مويد
بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وذلك يدل على ان المراد بالطيبات الاشياء
النفيسة التي يستطاب تملكها لا الاشياء الردية التي يحب كل احد دفعها عن نفسه وقيل الطيب
الحلال والخبيث هو الحرام لان الاتفاق على ان المراد من الطيب في هذه الاية اما الجيد واما الحلال
والاول باطل لانه لو كان المراد هو الجيد لكان ذلك امرا بانفاق الجيد مطلقا سوا كان حراما او حلالا
وذلك غير جايز والتخصيص على خلاف الاصل فتعين الثاني وقيل يجوز ان يكون المراد به الطيب
من كل الوجوه من جهة الحلال ومن جهة الجودة وليس هذا حملا للفظ المشترك على مفهوميه بل حملا
للفظ بطريق التواطو على ما هو المشترك بين الحلال والجيد لان الحلال طيب باعتبار ان يستطيبه العقل
والجيد طيب باعتبار ان تستطيبه الشهوة فمعنى الاستطابة مفهوم واحد مشترك بين القسمين
على ان الصحيح حمل اللفظ المشترك على مدلوليه عند الفراغ عن القراين المخصصة ثم الاموال اما ان تكون
كلها شريفة فالماخوذ بحسب الزكوة لذلك واما ان تكون كلها خسيسة كان الماخوذ للزكوة لذلك
ولا يكون خلافا للاية لان الماخوذ لا يكون خسيسا من ذلك المال واما ان تكون مختلطا فالواجب
هو الوسط قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن قاضيا اعلمهم ان عليهم
صدقة توخذ من اغنيايهم وترد على فقرايهم واياك وكرايم اموالهم هذا كله اذا قلنا المراد من
قوله انفقوا من طيبات ما كسبتم الزكوة الواجبة اما ان قلنا المراد منه صدقة التطوع
او الواجب من التطوع فنقول ان الله تعالى ندبهم ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قوله
ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن حذف
الطيبات لذكر الطيبات قوله ولا تيمموا الخبيث يقال امه ويممه وتيممه اي قصده ثم مثل
ماكانوا يتصدقون برديء ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوا
الردي من اموالكم منه تنفقون مخصوصة بالانفاق وهو حال قرا ابن كثير ولا تيمموا بتشديد
التا لانه كان في الاصل تا ان تا المخاطبة وتا الاصل فادغم احدهما في الاخر والباقون
بفتح التا مخففة على الحذف قوله تعالى ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه الا
بان تسامحوا فيه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره والاغماض
غض البصر واطباق جفن على جفن قال روبة ارق عيني عن الاغماض برق سرى في عارض
نهاض واراد هاهنا التجويز والترخص والمساهلة وذلك ان الرجل اذا راى ما يكرهه
اغمض عينيه لئلا يرى جميع ما يفعل ثم كثر ذلك حتى جعل كل تجاوز ومساهلة في البيع وغيره
اغماضا قال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض قال
علي ابن ابي طالب والبرا ابن عازب رضي الله عنهما معناه لو كان لاحدكم على رجل دين فجاه
بهذا لم ياخذه الا وهو يرى انه قد اغمض له عن بعض حقه وقوله ولستم باخذي هذا الردي
لو كان لاحدكم على احد حق بحساب الجيد حتى تنقصوه وقيل لو وجدتموه يباع في السوق
ما اخذتموه بسعر الجيد غني حميد اي محمود في افعاله قوله تعالى

الشيطان

بلغ مقابلة

الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم
لما رغب الله تعالى الانسان في الانفاق من طيبات ما كسب حذره بعده من وسوسة الشيطان فقال
الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة امركم ان تفتقروا
قيل الشيطان ابليس وقيل شياطين الانس والجن وقيل النفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل
في الخير والشر قال الله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة وفي الشر وعدها الله الذين كفروا
فاذا لم يذكر الخير والشر يقول في الخير وعدته وفي الشر اوعدته وانشد ابو عمرو
واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وفيه لغتان الفتح والضم كالضعف والضعف واصله
من كسر الفقار يقال رجل فقير وفقير اي مكسور فقار الظهر قال الشاعر
واذا تلبستني السنها انني لست بموهون فقير
والفحشا البخل ومنع الزكوة وقيل ان كل فحشا في القران هو الزنا الا هذا في الاية والفاحش
عند العرب البخيل ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم الفقر ويقول امسك مالك فان
تصدقت افتقرت ويامركم بالفحشا اي يغريكم على البخل ومنع الصدقة اغرا الامر للمامور
والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا
اي رزقا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الاخرة وعدة الله الهام وتنزيل
وعدة الشيطان وسواس وتخييل والله واسع الفضل لمن انفق عليم بمن ينفق ومن لا
ينفق يقال مكتوب في التورية عبدي انفق من رزقي ابسط عليك من فضلي
قوله تعالى يوتي الحكمة من يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا
اولوا الالباب لما ذكر الله في الاية المتقدمة ان الشيطان يعد بالفقر ويامر بالفحشا
وان الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبه على ان الامر الذي لاجله وجب ترجيح وعد
الرحمن على وعد الشيطان هو ان وعد الرحمن يرجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان يرجحه
الشهوة والهوى من حيث انهما يامران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع احكام الخيال والوهم
ولا شك ان حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرا عن الزيغ والخلل وحكم الحس
والشهوة والنفس يوقع الانسان في البلا والمحنة وكان حكم الحكمة والعقل اولى بالقبول
لان الحكمة خير محض ومن اتاه الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والحكمة العلم بالاشيا كما هو
عليها والعمل على الوجه الذي ينبغي وقيل المراد بالحكمة هاهنا النبوة وقيل علم القران
محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله
وقيل القران والفهم فيه قال الضحاك في القران مايه وتسع ايات ناسخة ومنسوخة
والف اية حلال وحرام ولا يسع المومنين تركهن حتى يتعلموهن فتعلموهن ولا تكونوا كاهل
نهروان تلوا ايات من القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا
بها الدما وشهدوا علينا بالضلال وانتهبوا الاموال فعليكم بعلم القران فان من علم فيما انزل
لم يختلف في شي منه نفعه وانتفع به وقيل الاصابة في القول والفعل وقيل السنة
وقيل استنادا الحق على جميع الاحوال وقيل العلم اللدني وقيل اشارة بلا علة وقيل النور
الفرق بين الوسواس والالهام وقيل تجريد السر لورود الالهام وقيل ان يحكم عليك
خاطر الحق ولا يحكم عليك شهوتك وقيل سرعة الجواب مع اصابة الصواب وقيل كل

فصل جزل من قول او فعل ما خوذه من احكام الشي وقيل الرد الى الصواب وحكمة الدابة من
ذلك لانها ترد الى القصد واعلم ان الحكمة لا تمكن خروجها عن العلم والعمل فالعلم ان تعرف الحق لذاته
والعمل لاجل الخير فالمرجع بالاول الى العلم المطابق وبالثاني الى فعل العدل والصواب يحكى
عن ابرهيم عليه الصلوة والسلام رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين الحكمة
العملية وقال في موسى عليه السلام فقال انني انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال
فاعبدني وهو الحكمة العملية وقال في حق نبينا فاعلم انه لا اله الا الله وهو الحكمة النظرية ثم قال
واستغفر لذنبك وهو الحكمة العملية وقال في حق جميع الانبيا ينزل الملائكة بالروح من امره
على من يشا من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وهو الحكمة العملية والقرآن مملو من
الايات الدالة على ان كمال الانسان ليس الا في هاتين القوتين احتج اصحابنا بهذه الاية على ان فعل
العبد مخلوق لله تعالى لان الحكمة ان فسرناها بالعلم لم تكن مفسرة بالعلوم الضرورية لانها حاصلة
للبهايم والمجانين والاطفال وهذه الاشيا لا توصف بانها حكم فهي مفسرة بالعلوم النظرية وان
فسرناها بالافعال الحسنة فالامر ظاهر فدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى قالت
المعتزلة المراد بالايتا التوفيق والاعانة والالطاف ورد بان كل ما فعله من هذا القبيل في حق
المومنين فقد فعله في حق الكفار مع ان هذا المدح العظيم المذكور في هذه الاية لا يتناولهم
نظرا ان الحكمة المذكورة في هذه الاية شي اخر سوى هذه الامور وما يذكر الا اولوا
الالباب واعلم ان الانسان اذا وجد الحكم والمعارف في قلبه ثم تامل وتفكر وعلم انها
لم تحصل الا بايتا الله تعالى وتيسيره كان من اولي الالباب وهم اصحاب العقول الصافية
عن دواعي الهوى المنبعثة من التخيلات والتوهمات الحاصلة من نزغات الشيطان
ووسواسه لانه اذا لم يتوقف عند المسببات بل ترقى منها الى اسبابها ومنها الى مسبب
الاسباب هو التذكر الذي لا يحصل الا لاولي الالباب فاما من اضاف هذه الاحوال الى
نفسه واعتقد انه هو السبب في حصولها كان من الضالين الذين عقولهم مكدرة بالتخيلات
والتوهمات الباطلة وهم الذين استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله قوله
تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من
انصار لما بين الله ان الانفاق يجب ان يكون من طيبات ما كسبتم ونهى عن قصد انفاق الخبيث
وحذر عن قبول وسوسة الشيطان توعده الفقر ثم حث على الانفاق من طيبات
الكسب بقوله وما انفقتم من نفقة فيما فرض الله عليكم او تطوعتم به او نذرتم
من نذر اوما اوجبتموه على انفسكم فوفيتم به والنذر ان تنذر في الطاعة
وتنذر في المعصية فالاول يجب الوفا به ويجب الكفارة في تركه والثاني لا وفا ولا
لكفارة فان الله يعلمه لا يخفى عن علمه فيحفظه حتى يجازيكم به وانما قال يعلمه
ولم يقل يعلمها لانه رده الى الاخر منها لقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم
يرم به بريا ويجوز رده الى ما لقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به
وقوله فان الله يعلمه يفيد الوعد العظيم للمطيعين والوعيد الشديد للعصاة
المتمردين وما للظالمين على انفسهم بارتكاب المعاصي وابطال صدقاتهم بالمن
والاذى وبانفاق اموالهم ريا وسمعة وعلى غيرهم بصرف الانفاق عن المستحق
الى غيره من انصار جمع نصر بمعنى ناصر وعيد شديد لم احتجت المعتزلة بهذه الاية

وهو الحكمة النظرية ثم قال

انتم

على نفي الشفاعة عن اصحاب الكباير قالوا لو كان للانسان ناصر من يدفع الضرر عنه فلو اندفعت
العقوبة عنهم بشفاعة الشفعا لكان الشفعا انصارا لهم وهو باطل لقوله تعالى وما للظالمين من
انصار والجواب عنه من وجوه منها ان الانصار غير الشفعا لقوله تعالى لا يقبل منها شفاعة
ولا يوخذ منها عدل ولا هم ينصرون والعطف يقتضي التغاير ومنها انه لا يلزم من نفي
الانصار للظالمين على سبيل الجمع نفيهم للبعض ولا يلزم من مقابلة الجمع بالجمع فقط دون مقابلة
الفرد بالفرد ومنها ان هذا الدليل النافي للشفاعة عام في حق الكل في كل الاوقات
والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض في بعض الاوقات والخاص مقدم على العام
لانه مستلزم للعمل بهما ومنها ان اللفظ العام لا يكون قاطعا للاستغراق بل ظاهرا فلا
يتمسك به في المسلة القطعية قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتوتوها الفقرا فهو خير لكم ويكفر عنكم من سياتكم والله بما تعملون خبير انه تعالى بين ان
الانفاق منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يكون كذلك وذكر حكم كل واحد ثم ذكر ان
الانفاق قد يكون من طيب ومن خبيث وذكر حكم كل واحد من القسمين فقال ان تبدوا الصدقات
اي المتطوع بها لا الواجبة فان الافضل في الفرايض ان يجاهر بها وفي المتطوع بها ان يخفوها
عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل الله صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة
الفريضة تفضل علانيتها من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرايض والنوافل
وانما كان المجاهرة بالفرايض افضل لنفي التهمة لئلا يسي الناس الظن به ولانها في الفرض واما
النوافل فاخفاوها افضل لبعدها من الريا والافات واذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار
كان اخفاوه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل قوله فنعما هي
نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي فنعم شيا الصدقات التي تبدونها وقرا نافع
وعاصم وابو عمرو فنعما بكسر النون وسكون العين واختاره ابو عبيد وذكر
انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لعمرو بن العاص نعما المال للرجل الصالح
هكذا روي في الحديث وابن عامر وحمزة والكساي بفتح النون وكسر العين
وابن كثير بكسر النون والعين وهي لغات صحيحة فطبعه نعم ونعم لغتان جيدتان
ومن كسر النون والعين اتبع الكسرة الكسرة لئلا يلتقي ساكنان سكون العين والادغام
وان تخفوها تسروها وتوتوها تعطوها الفقرا في السر فهو خير لكم وافضل وكل مقبول
اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر افضل لقوله صلى الله عليه وسلم صدقة السر
تطفي غضب الرب وتطفي الخطيئة كما يطفي الما النار وتدفع سبعين بابا من البلا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل
وشاب نشا في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله
فاجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف
الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم يمينه ما انفق شماله ورجل
ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ويكفر عنكم قرا ابن عامر وحفص يكفر بالياء مرفوعا
والفعل لله او للاخفا اي ويكفر الله او الاخفا ويكون عطفا على محل ما بعد الفا في
قوله فهو خير لكم او على انه خبر مبتدا محذوف اي الله يكفر او الاخفا يكفر او على انه
جملة من فعل وفاعل مبتدا وابن كثير وابو عمرو وابو عاصم بالنون مرفوعا عطفا على محل ما

وما بعده لان جواب الشرط فموضعها جزم بالجزا قوله من سياتكم ادخل من للتبعيض لان السيات
كلها لا تكفر بذلك وابهم الكلام في البعض لان بيانه كالاغرا بارتكاب ذلك البعض اذا علم انها مكفره
بل الواجب ان يكون العبد في كل احواله بين الخوف والرجا وذلك انما يكون مع الابهام
وقيل من يعني من اجل والمعنى ويكفر عنكم من اجل ذنوبكم كما تقول ضربتك من سوء
خلقك وقيل انها صله زايده لقوله تعالى لهم فيها من كل الثمرات والاول اصح قوله والله
بما تعملون خبير اي والله عالم بما تعملون بالسر والعلانيه وانتم انما تريدون بالصدقه
طلب مرضاته فقد حصل مقصودكم في السر فلا حاجة الى الابدا فان الاخفا ابعد
من الريا فهو اشارة الى تفضيل صدقة السر على العلانيه **قوله تعالى** ليس عليك
هداهم ولكن الله يهدي من يشا وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغا
وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون **قيل** اعتمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمرة القضا وكانت معه في تلك العمرة اسما بنت ابي بكر فجاتها امها وجدتها
يسالانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانكما لستما على ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله هذه الايه فامرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الايه ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما
وقيل ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابه واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقونهم
قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم وارادوهم ان يسلموا فاستامروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الايه فاعطوهم بعد نزولها وقيل كانوا يتصدقون
على فقرا اهل المدينه فلما كثر فقرا المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتصدقوا
على غير اهل دينكم فانزل الله ليس عليك هداهم فمنعتهم الصدقه ليدخلوا في الاسلام حاجة
منهم اليها وهذا في صدقة التطوع اباح الله ان يتصدق على المسلم والذمي فاما صدقة
الفرض فلا يجوز ان يتصدق بها الا على المسلمين وجوز ابو حنيفه صرف صدقة الفطر
الى اهل الذمه واباه غيره ولكن الله يهدي من يشا اي ليس يجب عليك ايجاد الهدايه
فيهم بل عليك دعاوهم وصدق البيان والتبليغ قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنه وقال تعالى وما على الرسول الا البلاغ وقال يا ايها الرسول بلغ
ما انزل اليك من ربك ولكن الله تعالى يخلق الهدايه لمن يشا اي لمن يريد هدايته فنفس الهدايه
بمشية الله تعالى واما قول صاحب الكشاف ولكن الله يهدي من يشا بلطف ينفع فيه
فينتهي عما نهي عنه فهو مبني على شبهه محبته لمذهب الاعتزال وبغضه لنصرته فان الايه لا تدل
على ما ذكره لا نصا ظاهرا ولا صريحا ولا كنايه وما تنفقوا من خير مال شرط وجوابه
فلانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وقيل تحصيل
لانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم وما تنفقون الا ابتغا وجه الله اي وليس نفقتكم
الا ابتغا وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه
مثله الى الله وقيل المعنى ولستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله
فقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا انتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة
الرحم وسد خلة مضطر وليس عليك اهتداوهم حتى يمنعك ذلك من الانفاق عليهم وقيل
ظاهره خبر وتاويله نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغا وجه الله سوا كان انفاقكم على من هو على دينهم

او على من هو على غير دينكم وفي قوله الا ابتغا وجه الله قولان احدهما ان المراد منه تحقيق
الاضافه لان الوجه رفع لابهام انه له ولغيره وذلك انه لما ذكر الوجه ومعناه النفس دل
على ان ذلك يصرف الوهم عن الاشتراك الى تحقيق التخصيص قلت بذلك تحقيقا لما اضافه
ومزيلا لابهام الشركه وثانيهما انك اذا قلت فعلته لوجه الله كان اشرف في الذكر
من فعلته له لان وجه الشي في الاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف
الذكر من غير تحقيق وجه الا ترى انك تقول وجه الدليل ووجه الراي ووجه
الامر ولا تريد تحقيق الوجه وانما تريد اشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره
وحسن بيانه وما تنفقوا من خير شرط جزاوه يوف اليكم ولهذا اسقط النون من
الاول والياء من الثاني اي توف اليكم والتوفيه اكمال الشي قال ابن عباس
يجازيكم في الاخره وانما حسن اليكم مع التوفيه لانها تضمنت معنى التاديه اي يوفر
لكم ثوابه اضعافا مضاعفه ولا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على
احسن الوجوه واجملها وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيا لقوله
اتت اكلها ولم تظلم منه شيا اي لم تنقص **قوله تعالى** للفقرا الذين احصروا
في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف
تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم لما بين في الايه
الاولى انه يجوز صرف الصدقة الى اي فقير كان ذكر في هذه الايه ان الذي يكون اشد
الناس استحقاقا بصرف الصدقة اليه من هو فقال للفقرا الذين احصروا الجار متعلق بمحذوف
والمعنى اعمدوا للفقرا واجعلوا ما تنفقون للفقرا كقوله تعالى في تسع ايات ويجوز ان
يكون خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقرا واجعلوا ما تنفقون للفقرا الذين احصروا
في سبيل الله وصف للفقرا اي هم الذين احصرهم الجهاد وقيل حبسوا انفسهم في سبيل الله
اي في طاعته للغزو فلا يتفرغون الى طلب المعاش وقيل هم قوم اصابتهم جراحات مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاروا زمنى فاحصرهم المرض والزمانه عن الضرب في الارض وقيل هولا قوم من
المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد يقال ضربت في الارض ضربا اذا سرت فيه ومنه
قوله تعالى واذا ضربتم في الارض وهولا انما لا يستطيعون الضرب في الارض
لان الفقر منعهم عن جهاد العدو وقيل هم اصحاب الصفه وهم نحو من اربعمايه
رجل من المهاجرين لم يكن لهم مساكن في المدينه ولا عشاير فكانوا في صفة المسجد
وهي سقيفه يتعلمون القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار اي يكسرونه
وياخذون عليه الاجره ويصرفونها في النفقه وكانوا يخرجون في كل سريه
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن
عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة
فراى فقرهم وجهدهم فطيب قلوبهم يا اصحاب الصفه فمن بقي من امتي على النعت
الذي انتم عليه راضيا بما هو فيه فانه من رفقاي قوله يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف قرا عاصم وحمزه يحسب بفتح السين في جميع القران والباقون بالكسر قيل
انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم اي يحسبهم الجاهل بحال اغنيا من تعففهم عن السوال
والتعفف من العفه وهو الترك يقال عف عن الشي اذا كف وتعفف اذا تكلف

احصروا

في الامساك اي يحسبهم الجاهل مستغنين من اجل تعففهم عن المساله والحاصل ان علو همتهم
تمنعهم رفع حوائجهم الا الى مولاهم تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال قرا حمزة
والكسائي بالامالة والباقون بالتفخيم والسيما العلامة التي يعرف بها الشي من السمة وقيل
هو التخشع والتواضع وقيل اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل صفرة الوانهم من الجوع والقصر
وقيل رثاثة ثيابهم والجوع خفي وقيل النحول والمسكنة وقيل فرحهم بفقرهم واستقامة
احوالهم عند موارد البلا عليهم وقيل غيرتهم على فقرهم وملازمتهم وقيل ابتلاهم مع الحاجة
اليه وقيل تطييب قلوبهم وبشاشة وجوههم وحسن حالهم ونور اسرارهم وجولان ارواحهم في ملكوت
ربهم لا يسالون الناس الحافا اي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشي يعطيه من قولهم لحفني
من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وقيل من لحف الجبل وهو خشونته كانه استعمل الخشونة
في الطلب قيل اذا كان عنده غدا لا يسال عشا واذا كان عنده عشا لا يسال غدا وقيل معناه
لا يسالون الناس الحافا ولا غير الحاف لانه قال من التعفف ترك السوال اصلا وقال
ايضا تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسالة من شانهم لما كان الى معرفتهم بسيماهم
اذ السوال ينبي عن حالهم وهذا كما تقول في الكلام قل ما رايت مثل هذا الرجل ولعلك لم تر
مثله قليلا ولا كثيرا قال الله عز وجل فقليلا ما يومنون وهم كانوا لا يومنون قليلا ولا كثيرا
كذلك معنى الاية ليس لهم سوال فيقع فيه الالحاف كقول الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره
يريد نفي المنار والاهتدا به وقيل معناه انهم ان سالوا سالوا بتلطف ولم يلحوا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله يحب الحي الحليم ويبغض البذي السايل الملحف وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سال وله اربعون درهما فقد الحف وعنه صلى الله عليه وسلم ليس المسكين من
ترده اللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقروا ان شيتم لا يسالون الناس الحافا قوله
تعالى وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون وليس هذا من باب التكرير فيه فوايد منها انه
لما قال في الاية الاولى وما تنفقوا من خير يوف اليكم وذلك من المعلوم ان توفية الاجر
من غير بخس ولا نقصان لا يمكن الا عند العلم بمقدار العمل وكيفيته ومنها انه لما رغب
في التصدق على المكي والذمي قال وما تنفقوا من خير يوف اليكم بين ان اجره واصل اليه لا محالة
ثم لما رغب في التصدق على الفقرا الموصوفين بهذه الاوصاف الكاملة وكان هذا الانفاق
اعظم وجوه الانفاقات لا جرم اردفه بما يدل على عظم ثوابه فقال وما تنفقوا من خير فان الله
به عليم وهو يجري مجرى ما اذا قال السلطان لعبده الذي استحسن خدمته ما يكفيك ان
يكون علمي شاهدا بكيفية طاعتك وحسن خدمتك فان هذا اعظم وقعا مما لو قال له انا اجرك
واصل اليك **قوله تعالى** الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لما بين في الاية المتقدمة ان اكمل من يصرف
اليه النفقة من هو في هذه الاية ان اكمل وجوه الانفاق كيف هو فقال الذين ينفقون
الاية وقيل ذكر لنا كل ما تقدم ان تبدوا الصدقات فنعما هي وقيل ان هذه الاية اخر
الايات المذكورة في احكام الانفاقات فلا جرم ارشد الخلق الى اكمل وجوه الانفاقات
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه اربعة دراهم لا يملك
غيرها فتصدق بدرهم سرا وبدرهم علانية وبدرهم ليلا وبدرهم نهارا فنزلت هذه الاية وقيل نزلت
في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار

وعشر

وعشرة في السر وعشرة في العلانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي
هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الاية واذا مر بفرس اعجف سكت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ارتبط فرسا في سبيل الله فانفق عليه احتسابا كان شبعه وجوعه وريه
وظماوه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيامة وعنه صلى الله عليه وسلم المنفق في سبيل الله
على فرسه كالباسط كفيه بالصدقة فلهم اجرهم عند ربهم جعل الخبر بالفا لما كان المبتدا
موصولا صلته فعل ودخول الفا دليل على ان حصول الاجر انما كان بسبب الانفاق
على معنى ان الانفاق بالسر والعلانية وبالليل والنهار علامة حصول الاجر لهم لا انه
سبب حقيقي كما هو مذهب اهل المعتزلة وتقديم الليل على النهار والسر على العلانية
في الذكر اشارة الى ان صدقة الليل والسر افضل من صدقة النهار والعلانية والاية
دلت على ان اهل الثواب لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون وهذا مشروط بان لا
يحصل عقيبه الكفر **قوله تعالى** الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم
الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون لما كان بين الربوا والصدقة تضاد لان الصدقة عبارة عن تنقيص
المال بسبب امر الله به والربوا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه ولهذا قال
يمحق الله الربوا ويربي الصدقات وعادة القران جارية بتعقيب حكم احد الضدين بالاخر
ذكر حكم عقيب الصدقات حكم الربوا كتبت الربوا على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة
وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ومنه الحديث من احبى فقد اربى اي عامل
بالربوا وفي الشرع فهو اسم للزيادة على اصل المال من غير بيع والربوا قسمان ربا النسيئة
وربا الفضل اما ربا النسيئة فهو الامر الذي كان مشهورا متعارفا في الجاهلية يتعاملون به
واما ربوا الفضل فهو ان يباع من من الحنطة بمنوين منها او ما اشبه ذلك والمروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يحرم الا ربوا النسيئة لقوله صلى الله عليه وسلم انما الربوا
في النسيئة وفي بعض الالفاظ لا ربوا الا في النسيئة ويجيز بيع الذهب بالذهب
والفضة بالفضة متفاضلا فقال له ابو سعيد الخدري شهدت ما لم تشهد
وسمعت ما لم تسمع ثم روى له الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح
مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الاخذ والمعطي فيه سوا ثم قال
ابو سعيد لا اواني واياك ظل بيت ما دمت على هذا ثم رجع ابن عباس عنه عن ابن
سيرين كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا
ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برايي ثم بلغني انه عليه السلام حرمه فاشهدوا
اني حرمته وبريت الى الله تعالى منه ومعنى قوله انما الربوا في النسيئة ان النسيئة في
الجنسين كما روي في حديث عبادة بن الصامت الذهب بالذهب والفضة بالفضة
والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سوا بسوا يدا بيد فاذا اختلف
هذه الاجناس فبيعوا كيف شيتم اذا كان يدا بيد فمنع النسيئة في الجنسين من النقد
اي الذهب والفضة والمطعوم اي الاربعة الباقية واباح التفاضل واعلم ان الربوا

فى الشرع يقع على معان لم يكن الاسم موضوعا لها فى اللغه ويدل عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم
سمى النسيه ربا وقال عثمان رضى الله عنه ان فى الربوا ابوابا لا تخفى منها السلم فى السن
يعنى الحيوان وقال عمر ايضا ان ايه الربوا من اخر ما نزل من القران وان النبى صلى الله عليه
وسلم قبض قبل ان بينه لنا فدعوا الربوا والريبه فثبت بذلك ان الربوا كان اسما شرعيا
لانه لو كان باقيا على حكمه فى اصل اللغه لما خفى على عمر لانه كان عالما باسما اللغة لانه من
اهلها ويدل عليه ان العرب لم يكن تعرف بيع الذهب بالذهب والفضه بالفضه نسا وهو ربوا
فى الشرع فصار الربوا بمنزلة الاسما المجمله المفتقره الى البيان وهو من الاسما المنقوله
الشرعية لمعان لم يكن الاسم موضوعا لها فى اللغه نحو الصلوة والزكوة والصوم ولا يصح
الاستدلال بعمومه فى تحريم شى من العقود الا فيما قامت دلالته انه مسمى فى الشرع
بذلك وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا من مراد الله بالايه نصا وتوقيفا وبين صلى الله
عليه وسلم الربوا بقوله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضه بالفضه والبر بالبر
والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سوا بسوا يدا بيد فاذا اختلفت هذه
الاجناس فبيعوا كيف شيتم يدا بيد فتبين ان الربوا فى اربعة اشيا الذهب والفضه والماكول
والمشروب فلا يجوز بيع بعضه ببعض الا مثلا بمثل يدا بيد فاذا اختلف الجنسان جاز التفاضل
فى النقد وحرم فى النسيه فلا يجوز صاع بر بصاعى بر لا نقدا ولا نسية وكذلك الفضه
بالفضه ولا باس بصاع بر بصاعى شعير وصاع شعير بصاعى بر ولا يجوز نسية ويجوز مثقال
ذهب بعشرين درهما اقل او اكثر نقدا ولا يجوز نسية عامة الفقها قالوا حرمة التفاضل
غير مقصورة على هذه السته بل ثابته فى غيرها وقال نفاة القياس الحرمة مقصورة على هذه
السته لان الشارع خص من المكيلات والمطعومات والاقوات اشيا اربعه فلو كان الحكم ثابتا
فى كل المكيلات او المطعومات او الاقوات لقال لا تبيعوا المكيل بالمكيل او المطعوم بالمطعوم
او القوت بالقوت متفاضلا فلما لم يقل ذلك بل عد الاربعه علمنا ان حكم الحرمه مقصور
عليها فقط ولان قوله تعالى واحل الله البيع يقتضى حل ربوا النقد وانتم اخرجتم من هذا
العموم بخبر الواحد فى الاشيا السته ثم اثبتم الحرمه فى غيرها بالقياس عليها وكان تخصيصا
لعموم نص القران فى الاشيا السته بخبر الواحد وخبر الواحد اضعف من ظاهر القران
فكان هذا ترجيحا للاضعف على الاقوى واما جمهور الفقها فقد اتفقوا على ان حرمه ربوا
النقد غير مقصوره على هذه الاشيا السته بل هى ثابتة فى غيرها ثم من المعلوم انه لا يمكن
تعديه الحكم عن محل النص الى غير محله الا بالتعليل اى تعليل الحكم الثابت فى محل النص بعلة
حاصلة فى غير محل النص فلهذا اختلفوا فى العلة على مذاهب فذهب الشافعى الى ان العلة
فى حرمة الربوا فى الذهب والفضه النقديه وفى الاربعه الباقيه الطعم وذهب
ابو حنيفه الى ان كل ما كان مقدرا ففيه الربوا والعله فى الدنانير والدراهم الوزن
وفى الاشيا الاربعه الكيل وذهب مالك الى ان العله فى الاشيا الاربعه القوت او ما
يستصلح به القوت وهو الملح والاحتجاج على المذاهب وترجيح بعضها على بعض وتفاريع
المسايل فى الفقه فقيل انما حرم الربوا لامتناع الناس عن الاشتغال بالمكاسب لان
صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الدنانير تحصيل الدراهم الزايده نقدا كان او
نسية خف اكتساب وجه المعيشه فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجاره والصناعات

الشاقه

الشاقه وذلك يفضى الى انقطاع منافع الخلق فان مصالح العالم لا تنتظم الا بالتجارات والحرف و
قرا حمزه والكساى الربوا بالاماله لمكان الكسره الرا والباقون بالتفخيم لفتحة البا
ومعنى قوله ياكلون يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر كما قال الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما وكما لا يجوز اكل مال اليتيم لا يجوز اتلافه ولكنه نبه بالاكل على ما سواه وكذلك
قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وايضا فلان نفس الربوا الذى الذى هو الزياده
فى المال على ما كانوا يفعلون فى الجاهليه لا يوكل انما يتصرف فى الماكول فيوكل فالمراد التصرف
فيه فمنع الله من التصرف فى الربوا بما ذكرنا من الوعيد وايضا فقد ثبت انه عليه السلام
لعن اكل الربوا وموكله وشاهده وكاتبه والمحلل له فعلمنا ان الحرمه غير مختصه بالاكل
لا يقومون يوم القيمه اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه اى يصرعه ويخبله
الشيطان والخبط الضرب والوطى يقال ناقة خبوط التى تطا الناس وتضرب بقوايمها
الارض قال زهير رايت المنايا خبط عشوا من تصب تمته ومن تخطه يعمر فيهرم من المس
من الجنون يقال مس الرجل والمس فهو ممسوس ومالوس اذا كان مجنونا واصله من المس باليد
كان الشيطان يمس الانسان فيجنه ثم الجنون سمى مسا كما ان الشيطان يتخبطه ويطاه برجله
فيخبله فسمى الجنون خبطه فالتخبط بالرجل والمس باليد قال صاحب الكشاف الذى يتخبطه الشيطان
هو المصروع وتخبطه الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط
الضرب على غير استوا كخبط العشوا فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس
وهذا ايضا من زعماتهم وان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك جن الرجل معناه ضربته الجن
ورايتهم فى الجن قصص واخبار وعجايب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات ومن المس
اما متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع واما متعلق بيقوم
اى لا يقومون الا كما يقوم المتخبط المصروع من المس اى الجنون والمعنى انهم يقومون
يوم القيامه مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين
يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين
لانهم اكلوا الربوا فارباه الله فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاظ اى الاسراع
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما اسرى بى الى السماء رايت رجالا بطونهم كالبيوت
فيها الحيات ترى خارج بطونهم فقلت من هولا يا جبريل فقال هولا اكلة الربوا اعلم
ان اكل الربوا مخالف لما امر الله تعالى به فهو على صراط مستقيم فان الممتثل لاوامر الله
والمنتهى عما نهى الله على الصراط المستقيم وهو صراط النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله والصراط الغير المستقيم
صراط الشيطان فان الشيطان يامر بالفحشا والمنكر والمعصيه فسلوك الصراط الغير المستقيم
سلوك صراط الشيطان ومن سلك الصراط الغير المستقيم وقع فى خبط خبط عشوا لان سلوكه
مضطرب مختلف وهو من الشيطان فاذا مات على ذلك من غير توبة فالخبط الذى كان حاصلا
بسبب الربوا ومخالفة امر الله تعالى ومتابعة الشيطان اورثه التخبط فى الاخرة قال
صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون ذلك الذى نزل بهم من العقاب بسبب انهم قالوا
انما البيع مثل الربوا ادل على ان الوعيد انما حصل لهم بقولهم واستحلالهم الربوا دون
الاقدام عليه واذا كان الوعيد يحصل لهم بهذا القول فبالاكل وساير التصرفات

اولى بان يحصل الوعيد لان امر القول اهون نعم لو قالوا ذلك بانهم اعتقدوا بان البيع مثل الربوا
لم يلزم الوعيد بساير التصرفات قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان
الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع وكانت شبهتهم انهم قالوا لو
اشترى الرجل ما لا يساوى درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على
طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى
شبهوا به البيع فكذبهم الله تعالى فقال واحل الله البيع وحرم الربوا انكارا لتسويتهم بينهما او
دلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله البيع وتحريمه
الربوا فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ وتذكير وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى عن المنهي عنه وامتنع
عن استحلال الربوا فله ما سلف اي مضى وتقدم والسلف المتقدم اي فله ما اكل من الربوا
ليس عليه رده ولا يواخذ به لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله تعالى اي ان شاء
عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود وقيل امره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له
ويحرم عليه ومن عاد بعد اخبار الله تعالى باحلال البيع وتحريم الربوا الى القول
بان البيع مثل الربوا واعتقاد استحلاله فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قال
صاحب الكشاف ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون هذا دليل على
تخليد الفساق فانا لا نسلم ان المراد العود الى الربوا فان المفعول محذوف فينبغي ان
يقدر مما تقدم ذكره وما تقدم ذكره هو قوله قالوا انما البيع مثل الربوا وقوله
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الا الذين جاءهم الموعظة فانتهوا عن القول بان البيع
مثل الربوا واعتقاد حله كالبيع قوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات
والله لا يحب كل كفار اثيم لما بالغ في الامر بالصدقات والحث عليها وبالغ في الزجر عن الربوا
ذكر قوله يمحق الله الربوا بعده ليكون باعثا على فعل الصدقات وترك الربوا على طريق
الاستيناف والمحق النقص ومنه المحاق في الهلال اي ينقص الله الربوا ويهلك المال
الذي يدخل فيه ويذهب بركته وان كان كثيرا كما يمحق القمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الربوا وان كثر فان عاقبته الى قل ويربي الصدقات اي يثمرها ويكثرها ويبارك فيها في
الدنيا ويضاعف الثواب عليها وان كانت قليله كما قال تعالى فيضاعفه له اضعافا كثيرة وفي
الحديث ما نقصت زكوة من مال قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
يقبل الصدقات ولا يقبل الا الطيب ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه
حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل
كفار اثيم اي بتحريم الربوا بان لا يصدق الله ورسوله في ذلك اثيم فاجر باكله ومعنى لا يحبه
الله لا يثني عليه ولا يثيبه ولا يرتضي فعله قال صاحب الكشاف تغليظ في امر الربوا وايذان
بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون عادة الله
في القران مطردة بانه مهما ذكر وعيدا اتبعه وعدا فلما بالغ ههنا في وعيد
المربي اتبعه بهذا الوعد وقد تقدم تفسيرها في غير موضع احتج من قال بان العمل
الصالح خارج عن مسمى الايمان بهذه الاية فان العطف تقتضي المغايرة للتخالف فان عطف

قوله

ولقائل ان يقول لا يدل هذا على تخليد الفساق م

قوله واقاموا الصلوة على قوله وعملوا الصالحات مع انه لا نزاع في اقامة الصلوة وايتا
الزكوة داخلان تحت عمل الصالحات فكذا فيما ذكرتم وايضا قال تعالى ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وقال الذين كفروا وكذبوا باياتنا ويمكن ان يجاب بانه لما كان اقامة الصلوة
وايتا الزكوة معظم عمل الصالحات خصهما بالذكر مع اندراجهما تحت عمل الصالحات كقوله من
كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر مع اندراجهما بالذكر مع قوله
وملئكته لشرفهما وكذا لما كان الصد عن سبيل الله وتكذيب ايات الله اعظم انواع الكفر خصهما بالذكر
مع اندراجهما تحت الكفر واما تخصيص عمل الصالحات فليس كذلك فان الايمان اعظم من عمل الصالحات
فتخصيص عمل الصالحات بالذكر لا يكون من هذا القبيل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله
وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا
خير لكم ان كنتم تعلمون قيل نزلت هذه الاية في العباس وعثمان بن عفان رضي الله عنهما
وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان انتما
اخذتما حقكما فهل لكما ان تاخذا النصف وتوخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا
الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما عن ذلك وانزل الله تعالى هذه الاية
فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وخالد بن الوليد
وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا الى بني عمرو فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة من
الربا فانزل الله هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان كل ربوا من ربوا الجاهلية
موضوع واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد المطلب وقيل كانت ثقيف قد صالحوا
النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم رباهم على الناس وما كان عليهم من ربوا فهو موضوع
وكان بنو عمرو بن عمير ياخذون الربوا على بني المغيرة فرفع ذلك بنو المغيرة الى عتاب
بن اسيد وكان النبي صلى الله عليه وسلم استعمله على مكة فكتب في ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت الاية واعلم انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ان من انتهى عن الربوا فله
ما سلف فقد كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم
فقال تعالى في هذه الاية وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين وبين به ان ذلك اذا
كان عليهم ولم يقبض فالزيادة تحرم وليس لهم ان ياخذوا الا رؤس اموالهم وانما شدد في
ذلك لان من انتظر مدة طويلة في حلول الاجل ثم حضر الوقت وظن نفسه على ان تلك الزيادة
قد حصلت له فيحتاج في منعه الى تشديد عظيم فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقا
ما نهى عنه وذروا اترك اما بقي من الربوا يعني ان كنتم قد قبضتم شيئا فيعفو عنه وان لم
تقبضوه او لم تقبضوا بعضه فذلك الذي لم تقبضوه كلا كان او بعضا فانه يحرم قبضه واعلم
ان هذه الاية اصل كبير في احكام الكفار اذا اسلموا وذلك لان ما مضى في وقت الكفر فانه يبقى
ولا ينتقض ولا ينفسخ وما لا يوجد منه شيء في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا
على ما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته
المراة فقد مضى وان لم تقبضه فلها مهر مثلها دون المهر المسمى قوله ان كنتم مومنين معناه
ان كنتم مومنين كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين وقيل ان من كان
مومنا فهذا حكمه كما تقول ان كنت اخي فاكرمني اي من كان اخا اكرم اخاه وقيل

اعلم الله تعالى ان من كان مومنا قبل عن الله امره ومن ابى فهو حرب وقال صاحب الكشاف ان صح ايمانكم
يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك قيل قوله ان كنتم مومنين كالدلالة
على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مومنا بالاطلاق حتى يجتنب كل الكبائر واجيب
بانه لما دلت الدلايل على ان العمل خارج عن مسمى الايمان كانت هذه الايه محمولة على كمال الايمان وشرايعه
وكان التقدير ان كنتم عاملين بمقتضى شرايع الايمان هذا وان كان تركا للظاهر لكنه ذهبنا اليه
لتلك الدلايل قوله فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب قرا عاصم وحمزة فاذنوا مفتوحة الهمزة ممدودة
مكسورة الذال على وزن فامنوا والباقون فاذنوا ساكنة الهمزة مفتوحة الذال وقوله فاذنوا مهموز
معناه فاعلموا غيركم قال الله تعالى اذناك ما منا من شهيد واصل الكلمة من الاذن اي فاوقعوا في الاذان
والمفعول محذوف والتقدير فاعلموا من لم ينته عن الربوا بحرب من الله ورسوله واذا امروا باعلام
غيرهم علموهم لا محالة قوله فاذنوا مقصورا معناه فاعلموا انتم واسمعوا يقال اذن للشي ياذن اذنا
واذنا واذانة اذا سمعه قال الله تعالى واذنت لربها وحقت قال ابو عبيدة يقال اذنت بالشي
فاذن به اي علم والمعنى فان لم تضعوا الربوا الذي قد امر الله بوضعه عن الناس فاعلموا بحرب من
الله ورسوله وهو القتل في الدنيا والنار في الاخرة اي فايقنوا انكم تستحقون القتل والعقوبة
بمخالفة امر الله ورسوله قال سعيد بن جبير يقال يوم القيامة لاكل الربوا خذ سلاحك للحرب وانما
يقال بحرب من الله ولم يقل بحرب الله لانه ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله
ورسوله وروى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يد لنا بحرب من الله ورسوله قال وان تبتم فلكم
روس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون بالنقصان منها قيل انما شرط التوبة لانهم ان لم يتوبوا كفروا
برد حكم الله واستحلال ما حرم الله فيصير مالهم فيا للمسلمين قيل فلما نزلت هذه الايه قال بنو عمرو
المربون بل نتوب الى الله فانه لا يد لنا بحرب من الله ورسوله ورضوا براس المال وسلموا لامر الله فشكى
بنو المغيرة العسرة وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يوخروا فانزل الله عز وجل
وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة اي وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار
والعسرة الضيق والشدة والفقر فنظرة اي فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار الامهال
الى ميسرة الى يسار والميسرة مفعلة من اليسر الذي هو ضد العسر وهو تيسر الموجود من المال
ومهما علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته بما له عليه ووجب عليه
الانظار الى وقت يساره سوا كان الدين في الربوا او في غيره وقيل مختص بالربوا فنظرة
امر في صيغة الخبر قرا نافع ميسرة بضم السين والباقون بفتحها قوله وان تصدقوا
ندب الى ان تصدقوا اي وان تصدقوا بروس اموالكم او ببعضها على المعسر ولا تطالبوه
خير لكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه قرا
عاصم تصدقوا خفيفة الصاد والباقون بالتشديد والاعسار ان لا يجد في ملكه
ما يوديه بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكنه ادا الدين من ثمنه ولهذا من وجد
دارا وثيابا لا يعد في ذوي العسرة اذا امكنه بيعها واداء ثمنها ولا يجوز ان يحبس
الاقوت يومه لنفسه وعايلته وما لا بد لهم من كسوة سوتهم ودفع الحر والبرد عنهم واختلفوا
اذا كان قويا هل يلزمه ان يوجر نفسه من صاحب الدين او غيره فقيل نعم كما يلزمه اذا
احتاج لنفسه او لعايلته وقيل لا واختلفوا اذا كان معسرا وقد بذل غيره له ما يوديه
هل يلزمه القبول والاداء او لا يلزمه فاما من له بضاعة كسدت عليه فواجب ان

يسعها بالنقصان ان لم يكن له الا وهو يوديه في الدين واعلم انه اذا ادعى الاعسار
وكذبه الغريم فلا يخلو اما ان يكون الدين عن عوض حصل له كالبيع والقرض فلا بد له من
اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك واما ان يكون عليه بلا عوض مثل
اتلاف او ضمان كان القول قوله وعلى الغرما البينة لان الاصل هو الفقر قوله تعالى
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قيل نزلت
هذه الايه في العظما الذين كانوا يتعاملون بالربوا وكانوا اصحاب ثروة وانصار واعوان
وكانوا متغلبين على الناس بسبب قوتهم فاحتاجوا الى مزيد زجر وتهديد ووعيد حتى يمتنعوا
عن الربوا واخذ اموال الناس بالباطل فلهذا توعدهم الله بهذه الايه وخوفهم على اعظم
الوجوه وهي وعظ لجميع الناس البر والفاجر وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبريل وقال
ضعها على راس ثمانين ومايتين من سورة البقرة وقال صلى الله عليه وسلم بين اية الربوا والدين
قيل عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين يوما وقيل
تسع ليال وقيل سبع ليال وقيل ثلاث ليال وقيل ثلث ساعات قرا ابو عمرو وانا الينا ايابهم وقرا
الباقين ثم تردوا الى الله والمخاطبة في القرايين بالتا على جهة المبالغة في الوعظ والتحذير ويوما
منصوب على المفعول به لا على الظرف لانه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم ولكن المعنى تاهبوا للقاء
هذا اليوم بما تقدمون من العمل الصالح والتنكير فيه للتعظيم وهو يوم القيمة قال الله تعالى الا يظن
اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم وقيل هو يوم الموت والمراد بالرجوع الى الله الرجوع الى ما اعد الله
لهم من ثواب وعقاب وقيل ان للانسان احوالا ثلاثة على الترتيب الحالة الاولى كونه في بطن الام لا يملك
نفعه ولا ضره بل المتصرف فيه ليس الا الله والثانية كونه بعد البروز عن بطن الام وهناك يكون المتكفل
باصلاح احواله في اول الامر الابوين ثم بعد ذلك يتصرف البعض في البعض في حكم الظاهر والثالثة
بعد الموت وهناك لا يكون المتصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا الله وكانه بعد الخروج عن الدنيا
عاد الى الحالة التي كان عليها قبل الدخول في الدنيا فهذا معنى الرجوع الى الله تعالى ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون ثم توفى كل نفس جزاء ما كسبت من الاعمال قال ابن عباس يريد توفى ابها
عملها خيرا بخير وشرا بشر وهم لا يظلمون وهم لا ينقصون لا اهل الثواب ولا اهل العقاب
والوعيدية يتمسكون بهذه الايه على القطع بوعيد الفساق واصحابنا يتمسكون بها في القطع
بعدم الخلود لانه لما امن لابد وان يصل الى ثواب الايمان ولا يمكن ذلك الا بان يخرج من النار
ويدخل الجنة قيل وهم لا يظلمون تكرير لانه لا معنى لقوله توفى كل نفس ما كسبت الا انهم لا
يظلمون اجاب المعتزلة بانه لما قال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت كان ذلك دليلا على ايصال
العذاب الى الفساق والكفار وكان لقايل ان يقول كيف يليق باكرم الاكرمين تعذيب عباده فاجاب
عنه بقوله وهم لا يظلمون والمعنى ان العبد هو الذي اوقع نفسه في تلك الورطة لان الله
مكنه وازاح عذره وسهل عليه طريقه وامهله فمن قصر فهو الذي اسا الى نفسه واجاب
اصحابنا بانه سبحانه مالك الخلق والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظالما وكان قوله
وهم لا يظلمون بعد ذكر الوعيد اشارة الى ما ذكر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم
بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله
فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيا فان كان الذي عليه الحق سفيها
او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان

لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله
واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم
جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه
فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم قال ابن عباس لما حرم الله الربوا اباح
السلم بهذه الاية قيل في كيفية النظم انه تعالى لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من
الحكم الاول الانفاق في سبيل الله وهو يوجب تنقيص المال والثاني ترك الربوا
وهو ايضا سبب تنقيص المال وختم الحكمين بالتهديد العظيم فقال واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله والتقوى تسد اكثر ابواب المكاسب والمنافع اتبع ذلك
بان ندبه الى كيفية حفظ المال الحلال عن وجوه التلف والبوار فان التمكن من
الانفاق في سبيل الله وترك الربوا وملازمة التقوى لا تكمل الا عند حصول المال
ولاجل هذا المعنى بالغ في الارشاد بحفظ المال الحلال عن وجوه التلف والبوار
والذي يدل على ذلك ان الفاظ القران جارية في الاكثر على الاختصار وفي
هذه الاية بسط شديد والتداين تفاعل من الدين ويقال تداينوا اي
جازى بعضهم بعضا وتداينتم اي تبايعتم بدين والدين ما كان غير حاضر بل
مرسلا في الذمة والعين ما كان حاضرا يقال دان فلان فلانا يدينه
اذا اعطاه الدين فهو داين والمعطى مدين ومديون قال صاحب الكشاف
اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا
او اخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى
فمطلت بعضا وادت بعضا والاجل الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التاخير
يقال اجل الشيء ياجل اجولا اذا تاخر والاجل نقيض العاجل قيل المراد بهذه المداينة السلم
عن ابن عباس انها نزلت في السلف لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون
في التمر السنتين والثلاث فقال عليه السلام من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن
معلوم الى اجل معلوم ثم ان الله تعالى عرف المكلفين وجه الاحتياط في الكيل والوزن
والاجل فقال اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وقيل انه القرض وهو ضعيف لان
القرض لا يمكن ان يشترط فيه الاجل قال اهل اللغة القرض غير الدين لان القرض ان تقرض
دراهم او دنانير او حبا او تمرا او ما اشبه ذلك ولا يجوز فيه الاجل والدين المذكور
في هذه الاية قد اشترط فيه الاجل وفيه نظر فان الدين المذكور في الاية لم يشترط فيه
الاجل وقال اكثر المفسرين البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين
وذلك ليس بمداينة اصلا وثانيها بيع الدين بالدين وهو باطل ولا يكون داخلا تحت
الاية وثالثها بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل ورابعها بيع الدين بالعين
وهو المسمى بالسلم والاخران داخلان في هذه الاية فان قيل المداينة مفاعلة وهي
تستدعي ان يحصل من كل واحد منهما دين وذلك هو بيع الدين بالدين وهو باطل بالاتفاق
اجيب بان المراد من تداينتم يدل على الدين فما الفائدة في قوله بدين قال
صاحب الكشاف ذكر ذلك ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اي لو لم يذكر لوجب ان
يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل
وحال وقيل ذكر للتاكيد كقوله ولا طائر يطير بجناحيه وقيل التداين يكون لمعنيين
احدهما التداين بالمال والتداين بمعنى المجازاة من قولهم كما تدين تدان والدين الجزاء
فذكر الله لتخليص احد المعنيين وقيل معناه اذا تداينتم اي دين كان قليلا او كثيرا سلما او
بيعا قال الامام ما خطر ببالي اما ذكرنا ان المداينة مفاعلة وذلك انما يتناول بيع الدين بالدين
وهو باطل اما اذا قال تداينتم بدين كان المعنى اذا تداينتم تداينا يحصل فيه دين واحد
وحينئذ يخرج عن النص بيع الدين بالدين ويبقى بيع العين بالدين وبيع الدين بالعين
فان الحاصل في كل منهما دين واحد لا غير فان قيل المداينة لا تكون الا مؤجلة فما الفائدة
في ذكر الاجل اجيب بانه لا نسلم ان المداينة لا تكون الا مؤجلة فان الدين هو الذي
يكون مرسلا في الذمة لا عينا حاضرا اعم من ان يكون مؤجلا او حالا وقوله اذا تداينتم
بدين الى اجل مسمى ينتظم العقود التي يصح فيها التاجيل ولا دلالة فيه على جواز التاجيل
في الجميع لان الاية ليس فيها جواز التاجيل في الديون بعمومها لذلك لا تدل على جواز شرط الاجل في
الديون بعمومها وانما فيه الامر بالكتابة التاجيل والغاية في قوله مسمى ان يعلم ان من حق
الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الى الدراس او رجوع
الحاج لم يجز لعدم التسمية قوله فاكتبوه امر الله تعالى في الدين المؤجل بكتبته وبالاشهاد
عليه لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود لان الذي عليه الدين اذا كانت
الشهود والبينة قل تحديثه نفسه بالطمع في اذهابه والامر بالكتبة والاستشهاد للندب
والارشاد لان جمهور المسلمين في جميع ديار الاسلام يبيعون بالاثمان المؤجلة من غير كتابة
ولا اشهاد ولا ينكر احد من العلماء فيكون اجماعا على ان الكتابة والاشهاد ليسا بواجبين
ولان في ايجابهما تشديدا او عسرا او حرجا قال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة
وقيل الامر بهما للوجوب لان ظاهر الامر الوجوب ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة
يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل كان له دين فلم يشهد ورجل اعطى سفيها ماله وقد قال تعالى
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ورجل كانت عنده امراة سوء فلم يطلقها وقيل كان كتب الدين
والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ ذلك بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته ثم بين
الله تعالى كيفية الكتابة فقال وليكتب بينكم كاتب بالعدل قال الامام ان قوله تعالى
فاكتبوه ظاهره يقتضي ان يكون كل احد مامورا بالكتبة لكن ذلك غير ممكن فقد لا يكون ذلك الانسان
كاتبا فصار معنى قوله فاكتبوه اي حصول هذه الكتبة مامور به ثم اكد هذا المعنى بقوله
وليكتب بينكم كاتب بالعدل فانه يدل على ان المقصود حصول الكتبة من اي شخص كان قوله
بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط والحق
والانصاف لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص منه ولا يقدم الاجل ولا يؤخر ولا يكتب فيه شيئا
يبطل به حقا لاحدهما هذا هو العدل وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه
معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخيير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا قال ابن
عطية الباء في قوله بالعدل متعلقة بقوله وليكتب وليست متعلقة بكاتب لانه قد كان يلزم
ان لا يكتب وثيقة الا العدل في نفسه وقد يكتبها الصبي والعبد ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع

احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ابا فلان الشي يأباه اذا امتنع عنه وابى يأبى شاذ
لانه لا يجي فعل يفعل بفتح العين في المضارع الا اذا كان عينه او لامه حرف حلق قال الفرا الا كان
الف ابى يابى اشبهت الهمزة جا مضارعه بفتح العين وهو نهي ان كان كاتبا عن الامتناع من الكتبة واسر
بالكتبة على كل من كان كاتبا وهذا على سبيل الارشاد الى الاولى لا على سبيل الايجاب قوله ان يكتب
كما علمه الله كتابة الوثايق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي
ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفايه فان لم يجد احدا يكتب الا ذلك
الواحد وجب الكتبة عليه وان وجد جماعة منهم كان الواجب على واحد منهم ان يكتب وقيل
كان واجبا على الكاتب ثم نسخ بقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وقيل متعلق الايجاب
وهو ان يكتب كما علمه الله يعني انه بتقدير ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله ولا يخل
بشرط من الشرايط وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيده
اي الكتابة التي علمه الله اياها ثم قيل له فليكتب اي فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان
تعلق بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيده قوله
وليملل الذي عليه الحق يعني المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه ولا يكن المملي الا من وجب
عليه الحق لانه هو المشهود على اثباته في ذمته واقراره به والاملا والاملال لغتان فصيحتان
جا بهما القران قال الله تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا واصل الاملال اعادة الشي مرة بعد اخرى
ثم خوفه فقال وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيا اي لا ينقص من الحق الذي عليه شيا والبخس النقص
امر الذي عليه الحق ان يقر بمبلغ المال الذي عليه لا ينقص شيا فان كان الذي عليه الحق سفيها او
ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل والمعنى ان من عليه الدين اذا لم يكن اقراره
معتبرا فالمعتبر اقرار وليه ادخل حرف او بين السفيه والضعيف ومن لا يستطيع ان يمل
تقتضي التغاير لان معناه ان الذي عليه الحق ان كان موصوفا باحدى هذه الصفات الثلثه
فليملل وليه بالعدل فيجب ان يكون متغايره فالسفيه ضعيف الراي ناقص العقل من البالغين الذي
لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطا منه مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والسفه الخفه
وهو محجور عليه في الشرع لتبذيره وجهله بالتصرف ووليه ابوه او وصي او حاكم والضعيف
الصغير والمجنون والمختل والشيخ المختل وهم الذين فقدوا العقل بالكليه وولهم ايضا
اما الاب او الوصي او الحاكم والذي لا يستطيع ان يمل من ضعف لسانه عن الاملا لخرس
او عي وغشه او عجمة او زمانه او حبس لا يمكنه حضور الكاتب اي يمل بماله وعليه ووليه
وكيله او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه فمن لم يتصف باحد هذه الصفات هو المالك لنفسه
فان كان عليه الحق فليملل هو بنفسه ومن اتصف باحدى هذه الصفات لا يصح منه الاملا والاقرار
فلا بد ان يقوم غيره مقامه قال تعالى فليملل وليه بالعدل اي بالصدق والحق والانصاف
قال ابن عطيه الضعيف هو المدخول العقل الناقص الفطره وهذا ايضا قد يكون وليه ابا
او وصيا والذي لا يستطيع ان يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغايب عن موضع الاشهاد
لمرض او غير ذلك من العذر ووليه وكيله واما الاخرس فيسوغ ان يكون من الضعفا والاولى
انه ممن لا يستطيع فهذه اصناف تتميز ويوجد من ينفرد بواحد منها وقد يجتمع منها اثنان في شخص وربما
اجتمعت كلها في شخص وهذا الترتيب ينتزع من قول مالك وغيره من العلما الحذاق وقال
بعض الناس السفيه الصبي الصغير وهذا خطا وقال قوم الضعيف هو الكبير الاحمق وهذا

قول

قول حسن وذهب الطبري الى ان الضمير في وليه عايد الى الحق واسند في ذلك عن الربيع
وعن ابن عباس قال ابن عطيه وهذا عندي شي لا يصح عن ابن عباس وكيف يشهد البينه على شي
ويدخل ما لا في ذمة السفيه باملا الذي له الدين هذا شي ليس في الشريعه والقول ضعيف
الا ان يريد قايله ان الذي لا يستطيع ان يمل بمرضه اذا كان عاجزا عن الاملا فليمل صاحب الحق
بالعدل ويسمع الذي عجز فاذا كمل الاملا اقر به وهذا معنى لم تعن الايه اليه ولا يصح هذا الا فيمن
لا يستطيع ان يمل لمرض فقط قوله واستشهدوا والاستشهاد طلب الشهاده فان السين في الاستفعال
للسوال والطلب اي واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين وذكر شاهدا مبالغة في الشهيدين
دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه وكانها اشارة الى العداله قوله من رجالكم من رجال
المومنين الذكوره والبلوغ والعقل والحريه والاسلام شرط في الشهاده عند الشافعي وابي
ومالك وسفين الثوري وذكر الفقها اما الذكوره والبلوغ والعقل والاسلام فلدلالة قوله
من رجالكم فانه نص في رفض الكفار والصبيان والنسا ورفض المجنون بطريق الاولى واما
الحريه فلما في فحوى الخطاب من الدلاله على وجهين احدهما قوله اذا تداينتم بدين الى قوله
وليملل الذي عليه الحق وذلك في الاحرار دون العبيد لان العبد لا يملك عقود المداينات ولا يصح
اقراره بدون اذن مولاه والخطاب توجه الى من يملك ذلك على الاطلاق من غير اذن الغير
فدل ذلك على ان من شرط هذه الشهاده الحريه وثانيهما قوله من رجالكم يقتضي الاحرار لقوله
تعالى وانكحوا الايامى منكم يعني الاحرار فانه عطف قوله والصالحين من عبادكم وامايكم وايضا
قوله تعالى ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا يقتضي وجوب الذهاب على كل من كان شاهدا الى
موضع الشهاده اذا ما دعي والاجماع دال على ان العبد لا يجب عليه الذهاب ولا يكون العبد شاهدا
وقال شريح واسحق ابن راهويه واحمد بن حنبل شهادة العبد جايزه فان قوله تعالى واستشهدوا
شهيدين من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم والمعنى المستفاد من النص ايضا دال عليه
لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا شهد عند اجتماع هذه الشرايط
تاكد به قول المدعي فصار ذلك سببا في احيا حقه والعقل والدين والعداله لا تختلف بالحريه
والرق فوجب ان تكون شهادة العبد مقبوله قوله فان لم يكونا رجلين اي فان لم يكن
الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان او فليكن رجل وامراتان
او فالشاهد رجل وامراتان او فرجل وامراتان يشهدون واجمع الفقها على ان شهادة
النسا مع الرجال في الاموال جايزه واختلفوا في غير الاموال فكان الشافعي ومالك
والاوزاعي وابو عبيد وابو ثور واحمد بن حنبل لا يجيز ونها في غير الاموال وكان
ابو حنيفه وسفيان واصحابه يجيزون شهادتهن مع الرجال فيما عدا الحدود والقصاص
ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم يعني من كان مرضيا في ديانته وامانته وكفايته قال عمر بن الخطاب
من اظهر لنا خيرا ظننا به خيرا واحببناه عليه ومن اظهر لنا شرا ظننا به شرا وابغضناه عليه
واذا احمد الرجل جاره وقرابته ورفيقه فلا تشكوا في صلاحه وقال النخعي العدل من لم تظهر منه
ريبه وقال الشعبي العدل من لم يطعن عليه في بطن ولا فرج وقال الحسن هو من لم يعلم خربه
وقال صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خاين ولا خاينه ولا مجلود ولا ذي حقد على اخيه ولا مجرب
عليه شهادة زور ولا القانع مع اهل البيت يعني الخادم لهم وجمله هذا القول فيمن تقبل
شهادته ان يجتمع فيه عشر خصال ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما شهد به ولا يجر

حنيفه

شهادته منفعة الى نفسه ولا تدفع عنه مضرة ولا تكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروة
ولا تكون بينه وبين من يشهد عليه عصبية فاذا اجتمعت هذه الخصال كان مقبول القول
جايز الشهاده وتقبل شهادة النسا على الانفراد في اربعة مواضع في عيوب النسا وهو ما
يكون عيبا في موضع عورة منها في الحمو في جميع بدنها الا وجهها وكفيها ومن ثم لامة ما بين سرتها
الى ركبتها وفي الرضاع وفي الولادة وفي الاستهلال ولا خلاف في ذلك كله الا في الرضاع فان ابا حنيفه
ذهب الى ان شهادة النسا على الانفراد لا تقبل فيه حتى يشهد رجلان او رجل وامراتان قوله ان
تضل قرا حمزة بكسر الهمزة على الشرط فتذكر رفعا ومعناه الجزا وموضع تضل جزم بان الا انه لا يتبين في
التضعيف وموضع الشرط وجوابه رفع بكونه صفه لقوله وامراتان وارتفع تذكر كما ارتفع قوله
ومن عاد فينتقم الله منه اي فهو ينتقم الله منه والمعنى ان تضل احداهما فهي تذكر الاخرى قوله
الشهادة تذكر احداهما الاخرى والاولى ان الضمير للذاكرة واحداهما مظهر وضع موضع المضمر
وهذا مطرد في جميع المواضع التي ذكر فيها الشرط فرفع جزاوه مع الفا والباقون بفتح الهمزة ونصب فتذكر على
انه عطف على الفعل المنصوب بان وتضل منصوب بان وان تضل في محل النصب على انه مفعول له اي
ارادة ان تضل قال صاحب الكشاف فان قيل كيف يكون ضلالها مراد الله تعالى قلنا لما كان الضلال
سببا للادراك والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر
لالتباسهما وايضا لما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل
ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبه ان تميل الحايط فادعمه
واعددت السلاح ان يجي عدو فادفعه والغرض هو الدعم والدفع لا ميل الحايط ومجي
العدو ويقال مال حايطه فادعمه بدعامة وهو كالعماد يسند اليه ليتمسك به قال الامام هاهنا
غرضان احدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتاتى الا بتذكار احدى المراتين للاخرى والثاني بيان
تفضيل الرجل على المراة حتى يتبين ان اقامة المراتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضيه
وذلك لا يتاتى الا بضلال احدى المراتين فاذا كان كل واحد من هذين الامرين اي الاشهاد
وبيان فضل الرجل على المراة مقصودا ولا سبيل الى ذلك الا بضلال احديهما وتذكير الاخرى
لا جرم صار هذا ان الامران مطلوبين وقيل معنى الايه فرجل وامراتان لتذكر احداهما الاخرى
ان ضلت وهذا من المقدم والموخر لقولك في الكلام انه ليعجبني ان يسال السايل فيعطى بمعنى ليعجبني
ان يعطى السايل اذا سال لان العطا يعجب لا السوال قال الله تعالى ان تصيبهم مصيبة بما
قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الايه ومعناه لولا ان يقولوا اذا اصابتهم
مصيبة هلا ارسلت الينا رسولا ومعنى قوله ان تضل ان تنسى لقوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى
وقوله فعلتها اذا وانا من الضالين فاصل الضلال الهلاك الشي وذهابه يقول العرب
ضل الما في اللبن قال الله تعالى ايذا ضللنا في الارض وقرا ابن كثير وابو عمرو فتذكر خفيفه والباقون
مشدده وذكر واذكر بمعنى واحد وهما من الذكر الذي هو ضد النسيان وعن سفيان بن عيينه
انه من الذكر فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا شهدت مع اخرى صارت
شهادتهما كشهادة الذكر لان شهادة امراة نصف شهادة فاذا اشهدتا صار مجموعهما كشهادة ذكر
وهذا بعيد لانه لا يحسن في مقابلة الضلال الا الاذكار وذكر يشدد الكاف يتعدى الى مفعولين
واحدهما محذوف في الايه تقديره فتذكر احداهما الاخرى الشهادة التي ضلت عنها والمعنى
ان النسيان غالب على طباع النسا لكثرة البروده والرطوبه في امزجتهن واجتماع المراتين على النسيان

بلغ مقابلة

ابعد

ابعد في العقل من صدور النسيان عن المراة الواحدة فاقيمت المراتان مقام الرجل
الواحد حتى ان احداهما لو نسيت ذكرتها الاخرى قوله ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا
اي ليقيموا الشهاده ويودوها ومعنى الايه ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا لاقامة الشهادة اي
اذا ما دعوا ليستشهدوا وقيل لهم شهدا قبل التحمل تنزيلا للمشارف منزلة الكاين وعن قتاده
كان الرجل يطوف في الحي العظيم فيدعوهم الى الشهاده فلا يتبعه احد فنزلت والحي العظيم جماعة بيوت
من الناس مجتمعه وقال الشعبي هو مخير في تحمل الشهاده اذا وجد غيره فان شا شهد وان شا لم يشهد
فاذا لم يوجد غيره فالاباء حرم عليه وقيل هذا امر ندب وهو مخير في جميع الاحوال فان شا شهد
وان شا لم يشهد وقال الحسن والسدي هذه الايه في الامرين جميعا في التحمل والاقامه اذا كان
عارفا قوله ولا تساموا ولا تملوا تقول سيمت اسام ساما وسامة قال زهير سيمت تكاليف
الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسام وقال لبيد ولقد سيمت من الحيوة وطولها وسوال هذا الناس كيف
قال صاحب الكشاف كني بالسام عن الكسل لان الكسل صفة المنافق فلم يعبر به لئلا يطلق الكسل
على المومنين ومنه الحديث لا يقول المومن كسلت وانما يقول ثقلت ويجوز ان يراد من كثرة مدايناتكم
فاحتاج ان يكون لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل من كثرة الكتب قوله ان تكتبوه في محل النصب
تقديره ولا تساموا كتابته والضمير راجع الى الدين او الحق اي ان تكتبوا الحق او الدين صغيرا او
كبيرا على اي حال كان الحق من صغير او كبير ويجوز ان يكون الضمير للكتاب اي ان تكتبوا الكتاب
مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق فيه الغريمان على تسميته ذلك اشارة
الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط عند الله لانه امر به واتباع امره
اعدل من تركه واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة واصوب لها وادنى احرى واقرب الى
ان لا ترتابوا الا تشكوا في الشهادة ومبلغ الحق والاجل اذا كان مكتوبا بالطين قوله تعالى ذلك
ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها وهو افعل من الدنو قال صاحب الكشاف وادنى ان لا ترتابوا
واقرب من انتفا الريب فان قلت مم بني افعل التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب
سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط
واقوم من قويم استثنى فقال الا ان تكون تجارة حاضرة وقراها عاصم بالنصب على خبر كان
واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة تجارة او المبايعة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلانا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
اي اذا كان اليوم يوما والباقون بالرفع على كان التامه بمعنى وقع اي الا ان تقع
تجارة وحينئذ لا خبر له وقيل هي الناقصه على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها
ومعنى الايه الا ان تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها اجل ولا نسيئة فليس
عليكم جناح ان لا تكتبوا التجارة لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين لان كل واحد من المتداينين
المتعاملين اخذ حقه في المجلس فلم يكن هناك خوف التجاحد فلم يحتج الى الكتابه ولان هذا
النوع من التجارة كثير يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابه لشق على الناس فنفى الجناح
في ترك الكتابه اي لا مضرة عليكم في ترك الكتابه ولم يرد لا اثم عليكم والا لكانت الكتابه واجبه
وقد ثبت خلافه قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسوا كانت المبايعه بدين
او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى
ادارتها تعاطيهم اياها يدا بيد قوله واشهدوا اذا تبايعتم امر الله بالاشهاد

لبيد

على التبايع مطلقا عينا او دينا قليلا او كثيرا لانه احوط وابعد مما عسى ان يقع في الاختلاف
قيل المراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه
دون الكتابة واختلفوا في ان هذا الاشهاد واجب او ندب عن الضحاك انه واجب عزيمة من الله تعالى
ولو على باقة بقل وعن الحسن انه ندب ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد فان الوجوب في ذلك عسر
اما في الدقايق فشاق واما في الكثير فربما يقصد التاجر الاخفا ولا يشهد عليه لما فيه من المصلحة
ولا شك ان المقصود من الامر الارشاد فيكون ندبا قوله ولا يضار نهي عن الغايب وهذه الصيغة صارت
مشتركة بين المبني للفاعل والمبني للمفعول بسبب الادغام فان المبني للفاعل اصله لا يضارر سكنت
الراء الاولى وادغمت في الثانية وفتحت لاجتماع الساكنين لان الفتح اخف الحركات فصارت لا يضار
والمبني للمفعول اصله لا يضارر عمل به ما عمل في المبني للفاعل فصار لا يضار فصارت الصيغة مشتركة
بينهما فبعضهم اجراها على المبني للفاعل وجعل الفاعل الكاتب والشهيد والمعنى فلا يضار كاتب فيكتب
ما لم يملل عليه بزيد او ينقص او يحرف او يترك الاجابة الى ما طلب منه ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد
عليه او يمتنع من اقامة الشهادة او يترك الاجابة الى ما يطلب من تحمل الشهادة واجراها اخرون على المبني
للمفعول وجعلوا الكاتب والشاهد مفعولين ومعنى الاية النهي عن الضرار بالكاتب والشهيد
وهو ان الرجل يدعو الكاتب او الشاهد وهما على حاجة مهمة فيقولان انا مشغولان او انا على حاجة
مهمة فاطلب غيرنا فيقول الذي يدعوهما ان الله امركما ان تجيبا في الكتابة والشهادة ويلح عليهما
ويشغلهما عن حاجتهما او لا يعطي الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مونة مجيئه من بلد فنهى الله تعالى عن
ذلك وامر ان يطلب غيرهما قيل لما نزل قوله تعالى ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله ولا ياب الشهداء
اذا ما دعوا فكان احدهم يجي الى الكاتب فيقول له اكتب لي فيقول اني مشغول او لي حاجة فانطلق
الى غيري فيلزمه ويقول انك قد امرت بالكتابة ولا يدعه ويضاره بذلك وهو يجد غيره ويفعل ذلك
مع الشاهد فانزل الله ولا يضار كاتب ولا شهيد والاولى ان يحمل على الامرين حملا
للمشترك على المدلولين وان تفعلوا ما نهى الله عنه من الضرار فان الضرار فسوق بكم اي خروج عن
امر الله وطاعته وقيل وان تفعلوا شيا مما نهيتم عنه فان فعل المنهي عنه فسوق بكم اي
خروج واتقوا الله من المضارة او واتقوا الله في جميع اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما
يكون ارشادا او احتياطا في امر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا في امر الدين والله بكل شي
عليم فيكون عالما بجميع مصالح الدنيا والاخرة **قوله تعالى** وان كنتم على سفر ولم تجدوا
كاتبا فرهن مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليود الذي اوتمن امانته وليتق الله ربه
ولا يبخس منه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم جعل الله البياعات
على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما امر في اخر الاية
المتقدمة بالكتابة والاشهاد وعلم انه ربما يتعذر ذلك في السفر اما بان لا يوجد كاتب او يوجد
ولكنه لم يوجد الات الكتابة ذكر نوعا اخر من الاستيثاق وهو اخذ الرهن وهو ابلغ في الاحتياط
من الكتابة والاشهاد اي وان كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبا او لم تجدوا الات الكتابة فالذي
يستوثق به رهن مقبوضة فقوله فرهن مقبوضة جزا الشرط وهو خبر مبتدا محذوف فلما حذف
المبتدا ادخل الفا في الخبر قرا ابن كثير وابو عمرو فرهن بضم الرا والها والباقون فرهان
وهو جمع رهن كبغل وبغال وحبل وحبال وكبش وكباش وكعب وكعاب والرهن جمع الرهان
فهو جمع الجمع قاله الفرا والكساي وقال ابو عبيد وغيره جمع الرهن وانشد ابو عمرو حجة

لقرائه

لقراته قول قعنب: بانت سعاد وامسى دونها عدن * وغلقت عندها من قبلك الرهن * وقال
ابو عمرو انما قرات فرهن ليكون فرقا بينها وبين رهان الخيل قال صاحب الكشاف فان قلت لم شرط السفر في الارتهان
ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت
ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية ورد بان النبي صلى الله عليه
وسلم رهن درعه عند يهودي في الحضر واما القبض فلا بد من اعتباره لا خلاف بين الشافعي ومالك في صحة
الرهن بالايجاب والقبول المعتبرين والشافعي يرى انه لا يلزم الرهن الا بالقبض ومالك يرى لزومه
بالعقد قوله فان امن اي فان امن بعض الداينين بعض المديونين فلم يرتهن منه شيا لثقته وحسن
ظنه به فليود الذي اوتمن امانته امانته افتعال من الامانة اي دينه حث للمديون على ان يكون عند ظن
الداين به وامنه منه وايتمانه له وعلى ان يودي اليه الحق الذي ايتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين
امانة والدين مضمون على المديون والامانة غير مضمونة على المؤتمن لان الداين ايتمن المديون على
الدين بترك الارتهان وليتق الله ربه في ادا الحق ولا يجحده فان الداين لما عامله المعاملة الحسنة
حيث عول على امانته ولم يطالبه بالوثايق من الكتابة والاشهاد والرهن فينبغي لهذا المديون ان يتق الله
ويعامله بالمعاملة الحسنة في ان لا ينكر ذلك الحق وفي ان يودي اليه عند حلول الاجل وقيل انه
خطاب للمرتهن بان يودي الرهن عند استيفا المال فانه امانة في يده ثم رجع الى خطاب الشهود فقال
ولا تكتموا الشهادة اذا دعيتم الى اقامتها قيل لما اباح ترك الكتابة والاشهاد والرهن عند اعتقاد
كون المديون امينا ثم كان من الجايز في هذا المديون ان يخلف الظن وان يخرج خاينا جاحدا للحق
الا انه من الجايز ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم ندب الله ذلك الانسان الى ان يسعى في
احيا ذلك الحق وان يشهد لصاحب الحق بحقه ومنعه من كتمان تلك الشهادة سوا عرف صاحب الحق
تلك الشهادة او لم يعرف وشدد فيه بان جعله اثم القلب لو تركه قوله اثم خبر ان وقلبه رفع باثم
ليدل على الفاعل كانه قيل فانه ياثم قلبه وانما قال اثم ولم يقل ياثم ليدل على الثبات ويجوز ان يرتفع
قلبه بالابتدا واثم خبر مقدم والجملة خبر ان وتقديم الخبر على المبتدا لانه اهم في هذا الموضع
قال صاحب الكشاف فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه اثم وما فايدة ذكر القلب والجملة هي الاثمة لا القلب
وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد
الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التاكيد هذا مما ابصرته عيني ومما
سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رييس الاعضا والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان
فسدت فسد الجسد كله وكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولئلا يظن
ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه
واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال ساير الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب
منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان
الشهادة من اثام القلب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اكبر الكباير الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
والله بما تعملون من بيان الشهادة وكتمانها عليم وهو تحذير من الاقدام على هذا الكتمان لان المكلف اذا
علم انه لا يعزب عن علم الله ضمير قلبه كان خايفا حذرا من مخالفة امر الله فانه يعلم ان الله تعالى
يحاسبه على كل تلك الافعال ويجازيه عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر **قوله تعالى** لله ما في السموات

ومافي الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا
والله على كل شي قدير قيل لما جمع في هذه السوره اشيا كثيره من علم الاصول وهي دلايل التوحيد
والنبوه والمعاد واشيا كثيره من بيان الشرايع والتكاليف من الصلوه والزكوه والقصاص والصوم
والحج والجهاد والحيض والطلاق والعده والصداق والخلع والايلا والرضاعه والبيع وكيفيه
المداينه ختم بهذه الايه على سبيل التهديد وقد تبين ان الصفات التي هي كمالات حقيقيه ليست الا
القدره والعلم فعبر عن كمال القدره بقوله لله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وعبر عن
كمال العلم المحيط بالكليات والجزييات بقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله واذا ثبت
كمال القدره وكمال العلم فكان كل من في السموات والارض عبيدا واحدوا بايجاده لهم وتكوينه كان
ذلك غايه الوعد للمطيعين وغايه الوعيد للعاصين فلهذا السبب وقع الختم بهذه الايه وقيل لما قال
في اخر الايه المتقدمه انه بما تعملون عليم ذكر عقيبه ما يجري مجرى الدليل العقلي فقال لله ما في السموات
وما في الارض اي ملك لله لما كانت محدثه باحداثه وتكوينه وابداعه كان ملكا له ومن كان فاعلا
لهذه الافعال المحكمه المتقنه العجيبه المشتمله على الحكم المتكاثره والمنافع العظيمه يكون عالما بها فانه
يستحيل صدور المحكم المتقن عن الجاهل به وانما جا بما الذي لغير اولي العلم تحقيرا لها وتصغيرا
لشانها وقيل لان الغالب انما هو جماد وقيل لما نهى الله عن كتمان الشهاده واوعد عليه بين ان له
ملك السموات والارض فيجازي على الاظهار والكتمان وقيل نزلت هذه الايه في كتمان الشهاده
واقامتها يعني وان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهاده او تخفوه يحاسبكم به الله
وهذا قول الشعبي وعكرمه ورواية مجاهد ومقسم عن ابن عباس دل عليه قوله
تعالى فيما قبله ولا تكتموا الشهاده وقيل هذه الايه عامه فقيل لما نزلت هذه الايه شق على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انحوسبنا بخواطر نفوسنا وشق ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم لانه قال لعلكم تريدون ان تقولوا كما قال بنو اسرايل سمعنا وعصينا
فقولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله بعد ذلك لا يكلف الله نفسا الا وسعها فكشفت عنهم
تلك الكربه فنسخت بهذا تلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل تجاوز لامتي ما
حدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا به هذا معنى الحديث المروي وقد رويت الرواه
بالفاظ مختلفه وقد تعرض الجميع للنسخ عن سعيد بن مرجانه بينا نحن جلوس عند عبد الله ابن عمر
اذ تلا هذه الايه وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه فقال لين اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى
حتى سمع نشيجه قال ابن مرجانه فذكرت ذلك لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد
وجد المسلمون منها حين نزلت مثل ما وجد فانزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وكانت الوسوسه
مما لا طاقه للمسلمين بها فصار الامر الى القول والفعل ونسخت الوسوسه وقال بعضهم هذه الايه
محكمه غير منسوخه لان الايه خبر والخبر لا يدخله النسخ الا خبرا في معنى امر او نهي او شرط وقيل
هذا في معنى الامر يدل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابه قولوا سمعنا
واطعنا فانه يجري فيه الامر بان يلتزموا او ينتظروا لطف الله في الغفران واعلم ان محل البحث
في هذه الايه ان قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله يتناول حديث
النفس والخواطر الفاسده التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها فالمواخذه بها تجري
مجرى تكليف ما لا يطاق والعلما اجابوا عنه من وجوه الاول الخواطر الحاصله في القلب
على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله في الوجود ومنها ما لا يكون كذلك

لانه

هكذا

بل

بل تكون امورا خاطره بالبال مع ان الانسان يكرهها ولكنه لا يمكنه ان يدفعها عن نفسه فالقسم
الاول يكون مواخذا به والثاني لا يكون مواخذا به الا ترى الى قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما
كسبت قلوبكم وقال في اخر هذه السوره لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشه وما في قوله وان تبدوا ما في انفسكم يفيد انه ما تقرر في النفس واعتقد
واستحسن الفكر فيه وهو القسم الاول فان الخواطر التي لا يمكنه دفعها ليست مقرره في النفس
وحينيذ لا نسخ ولا تخصيص والجواب الصحيح هذا والثاني ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل
فانه في محل العفو وقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه فالمراد منه ان يدخل ذلك العمل
في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفيه واما ما يوجد في القلب من العزايم والارادات
ولم يتصل بالعمل فكل ذلك في محل العفو وهذا الجواب ضعيف لانه يقتضي ان لا يواخذ
بشي من افعال القلب وليس كذلك لان اكثر المواخذات واعظمها انما يكون بافعال القلوب
فان الاعتقاد الفاسد من الكفر والبدع من افعال القلوب واعظم انواع العذاب
مرتبه عليه وافعال الجوارح اذا خلت عن افعال القلب لا يترتب عليها عقاب كافعال
الساهي والناسي والنايم والثالث انه تعالى يواخذ بها لكن مواخذتها هي الغموم والهموم في
الدنيا روى الضحاك عن عايشه انها قالت ما حدث العبد به نفسه كانت محاسبه الله عليه
بغم يبتليه به في الدنيا او حزن او اذى فاذا جات الاخره لم يسال عنه ولم يعاقب عليه
وروت انها سالت النبي عليه السلام عن هذه الايه فاجابها بما هذا معناه فان قيل المواخذه
كيف تحصل في الدنيا مع قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت قلنا هذا خاص فيكون مقدما على
العام والاولى ان تحمل ما حدث العبد به نفسه على القسم المذكور في الجواب الاول فلا يكون
منافيا والرابع انه قال تعالى يحاسبكم به الله لم يقل يواخذكم به ومعنى يحاسبكم يعلمكم
على هذا انه يعلم كل ما في الضماير سوا ابديتموها او تخفوها وروي عن ابن عباس انه تعالى
اذا جمع الخلايق يخبرهم بما كان في نفوسهم فالمومن يخبره ويعفو عنه واهل الذنوب
يخبرهم بما اخفوا من التكذيب والذنب والخامس انه تعالى ذكر بعد هذه الايه
فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا فيكون الغفران نصيب الكاره لتلك الخواطر والعذاب نصيب
المصر عليها المستحسن لها واما السادس ان المراد بهذه الايه كتمان الشهاده فيكون ما في
قوله ما في انفسكم تخصيص والسابع ان هذه الايه منسوخه بقوله لا يكلف الله نفسا الا
وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا ضعيف لان الامر لم يرد قط بدفع تلك
الخواطر التي يعجز عن دفعها لان تكليف ما لا يطاق لم يقع اصلا قوله فيغفر لمن يشا
ويعذب من يشا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحمزه والكسايي فيغفر ويعذب
مجزومين عطفا على جواب الشرط وابن عامر وعاصم مرفوعين على ان يكونا خبري مبتدا
محذوف اي فهو يغفر ويعذب ويرتفع الفعل لوقوعه موقع خبر المبتدا او على ان يعطف
جمله من فعل وفاعل على ما تقدمها روي عن ابن عباس فيغفر لمن يشا الذنب العظيم
ويعذب من يشا بالذنب الصغير لا يسال عما يفعل وهم يسالون والحاصل ان
الغفران والتعذيب بمشيه الله تعالى لا باستحقاق الطاعه والمعصيه كما قال
صاحب الكشاف فيغفر لمن يشا لمن استوجب المغفره بالتوبه مما اظهر منه او اضمر ويعذب
من يشا من استوجب العقوبه بالاصرار والعجب انه مع كمال بلاغته وقوه استنباطه

للمعاني اللطيفة اعرض عن المعنى الصحيح الذي يدل اللفظ عليه على طريق التنصيص
الذي لم يحتمل غيره احتمالا مرجوحا وتعلق بالمعنى الفاسد الذي لا دلالة للفظ عليه
لا على سبيل القطع ولا على سبيل الظهور اعاذنا الله من الوقوع في المهالك متابعة
للهوى احتج اصحابنا بقوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض على ان افعال
العباد مخلوقة لله لانه من جملة ما في الارض بدليل صحة الاستثناء لان اللام في لله
ليس لام الغرض فانه ليس غرض الفاسق من فسقه طاعة الله فيكون لام الملك والتخليق
واحتجوا بقوله فيغفر لمن يشاء على جواز غفران الكبائر لان المؤمن المطيع مقطوع له بانه
يثاب ولا يعاقب والكافر مقطوع بانه يعاقب ولا يثاب فلم يبق الا ان يكون الغفران
المنوط بالمشيئة والتعذيب المنوط بها نصيبا للمؤمن المذنب باعماله ثم قال والله
على كل شيء قدير بين بقوله لله ما في السموات وما في الارض انه كامل الملك والملكوت
وبين بقوله ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله انه كامل العلم
والاحاطة ثم بين بقوله والله على كل شيء قدير اي شيء قدير انه كامل القدرة
مستول على كل الممكنات بالقهر والقدرة والتكوين والاعدام ولا كمال اعلا
واعظم من حصول الكمال في هذه الصفات والموصوف بهذه الكمالات يجب على كل
عاقل ان يكون عبدا منقادا له خاضعا لاوامره ونواهيه معرضا عن مساخطه
ومناهيه **قوله تعالى** امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل
امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قيل لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلوة
والزكوة والصوم والطلاق والايلاء والجهاد ختمها بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه
وسلم بجميع ذلك وهو قوله كل امن بالله وقيل لما نزلت ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
اشفق منها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ثم تقرر الامر على ان قالوا
سمعنا واطعنا ورجعوا الى التضرع والاستكانة مدحهم الله واثنى عليهم في هذه
الاية وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم وكشفه لهم الكرب فجمع لهم التشريف بالمدح
ورفع المشقة في امر الخواطر وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى
كما جرى لبني اسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحميلهم المشاق من الذلة والمسكنة والجلا
اذ قالوا سمعنا وعصينا وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله اعاذنا الله من نقمه
وقيل انه تعالى بدأ السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون فبين في اخر السورة ان الذين مدحهم في اول
السورة هم امة محمد عليه الصلوة والسلام فقال والمؤمنون كل امن بالله
وملائكته وكتبه ورسله وهذا هو المراد بقوله في اول السورة وبالاخرة
هم يوقنون ثم حكى ههنا كيفية تضرعهم الى ربهم في قولهم ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا واعف عنا واغفر لنا الى اخر السورة وهو المراد بقوله
في اول السورة اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون فانظر كيف
حصلت الموافقة في اول السورة واخرها وقيل انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة
كمال الملك والعلم والقدرة لله وذلك يوجب كمال صفة الربوبية اتبع ذلك بان

عنهم م

بان كون المؤمن به في نهاية الانقياد والطاعة والخضوع لله وذلك هو كمال العبودية
وقيل لما قال ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله بين انه لا يخفى
عليه من سرنا وجهرنا وباطننا وظاهرنا شيء ثم انه ذكر عقيب ذلك ما يجري مجرى
المدح والثناء علينا فقال امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كانه بفضله يقول عبدي انا وان كنت اعلم جميع احوالك فلا اظهر من احوالك ولا اذكرها
الا ما يكون مدحا لك وثناء عليك حتى تعلم اني كما انا الكامل في الملك والعلم والقدرة
فانا الكامل في الوجود والرحمة وفي اظهار الحسنات وفي الستر على السيئات
وقيل ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الملك من عند الله تعالى وقال له ان
الله بعثك رسولا الى الخلق لا يمكنه ان يعرف صدق ذلك الملك الا بمعجز يظهرها الله
على صدق ذلك الملك في دعواه ولولا ذلك المعجز لجوز الرسول ان يكون ذلك المخبر
شيطانا مضلا وكذلك الملك ايضا اذا سمع كلام الله افتقر الى معجز يدل على ان
المسموع كلام الله لا غيره فيعرف الملك بواسطة ذلك المعجز انه سمع كلام الله وثانيها
ان تقوم المعجزة عند النبي عليه السلام ان ذلك صادق في دعواه وانه ملك بعثه الله وليس
بشيطان وثالثها ان تقوم المعجزة على يد الرسول عند الامة حتى يستدل الامة بها على
ان الرسول صادق في دعواه فما لم يعرف الرسول كونه رسولا من عند الله لا تتمكن الامة
من ان يعرفوا ذلك فلما ذكر الله تعالى في هذه السورة انواع الشرايع واقسام الاحكام
قال امن الرسول بما انزل اليه من ربه فبين ان الرسول عرف ان ذلك وحي من
الله وصل اليه وان الذي اخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف
وليس بشيطان مضل ثم لما ذكر ايمان الرسول بذلك وهو الرتبة المتاخرة فقال
والمؤمنون كل امن بالله قال الامام ومن تامل في لطائف نظم هذه السورة
وفي بدايع ترتيبها علم ان القران كما هو معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه
فهو ايضا بسبب ترتيبه ونظم اياته ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب اسلوبه
ارادوا ذلك الا اني رايت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف
غير متنبهين لهذه الاسرار وليس الامر في هذا الباب الا كما قيل

والنجم تستصغر الابصار رؤيته ... والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

قوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه معناه ان الرسول صلى الله عليه وسلم
عرف بالدلائل القاهرة والمعجزات الباهرة والبراهين القاطعة والبينات
الساطعة ان القران وجميع ما فيه من الشرايع منزل من عند الله وليس ذلك من
باب القاء الشياطين ولا من نوع السحر والكهانة قوله والمؤمنون عطف على الرسول
ثم الكلام عنده ويوقف عليه والمعنى امن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه
من ربه والمؤمنون مرفوع بالفاعلية لانه معطوف على الفاعل ثم ابتدا بعد ذلك
بقوله كل وهو مبتدا وقوله امن خبره والتقدير كلهم والتنوين في كل نائب عن الضمير
وهو راجع الى الرسول والمؤمنون اي كلهم امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وان
كان المؤمنون مبتدا يكون كل مرفوعا بانه تاكيد لقوله والمؤمنون او بانه مبتدا وقوله
امن خبره والجملة خبر لقوله والمؤمنون والضمير الذي يكون التنوين نائبا عنه

للمومنين و وجه طهوير كل في امن على معنى كل واحد منهم امن وكان يجوز ان يجمع كقوله
وكل اتوه داخرين والمعنى امن الرسول امن بكل ما انزل اليه من ربه واما المومنون كلهم
امنوا بملئكته وكتبه ورسله قال الامام الوجه الاول يشعر بانه عليه الصلوة والسلام
ماكان مومنا بربه ثم صار مومنا ويحتمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وعلى
الوجه الثاني يشعر اللفظ بان الذي هو ايمانه بالشرايع التي نزلت كما قال ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان فاما الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا
منذ خلق من اول الامر ولا يستبعد ذلك فان عيسى عليه السلام حين انفصل عن امه قال
اني عبد الله اتاني الكتاب فاما اذا لم يستبعد ان عيسى رسولا من عند الله حين كان طفلا فكيف
يستبعد ان يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان عارفا بربه من اول ما خلق كامل العقل
وعلى الوجه الثاني دلت الاية على ان الرسول امن بما انزل اليه من ربه وان المومنين
امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وانما خص المومنين عن الرسول بذلك لان الذي
نزل اليه من ربه قد يكون كاملا يتلوا ليسمعه الغير ويعرفه فيمكن ان يومن به
وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون مختصا بالايمان به ولا يمكن غيره من الايمان به
فلهذا السبب كان الرسول صلى الله عليه وسلم مختصا في باب الايمان بما لا يمكن حصوله
في غيره ثم قال تعالى والمومنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله والاية
دالة على ان هذه المراتب الاربع من ضرورات الايمان المرتبة الاولى الايمان بالله
فانه ما لم يعلم ان للعالم صانعا قادرا على كل المقدورات عالما بجميع المعلومات
غنيا عن كل المخلوقات والكل مفتقر اليه لا يمكن معرفة صدق الانبيا عليهم السلام
وكانت معرفة الله تعالى هي الاصل فلذلك قدم الله هذه المرتبة بالذكر والمرتبة
الثانية الايمان بالملائكة فانه تعالى انما يوحي الى الانبيا بواسطة الملئكة قال تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
ينزل الملئكة بالروح من امره على من يشا من عباده فيوحي باذنه ما يشا فتكون الملئكة
واسطة بين الله والبشر فلهذا السبب جعل ذكر الملائكة في المرتبة الثانية والمرتبة
الثالثة الايمان بالكتب وهي الوحي الذي ينزل به الملك الى الانبيا فالملئكة متقدمة
على تنزيل الكتب التي هي الوحي فلهذا السبب كانت الكتب متاخرة في الرتبة عن
الملئكة في الذكر والمرتبة الرابعة الرسل فانهم الذين ينزل اليهم الكتب فلهذا
السبب كانت الرسل في الذكر متاخرة عن الكتب قال الامام المراد بالايمان بالله
عن الايمان بوجوده وصفاته وبافعاله واحكامه وباسمايه اما الايمان بوجوده
فهو ان يعلم ان للمتحيزات شيا اخر يكون خلاقه مع اهل السنة والجماعة في اثبات
ذات الله واما المعتزلة والفلاسفة فهم معترفون باثبات موجود سوى المتحيزات
موجدا لها فيكون خلاف اهل السنة والجماعة معهم لا في الذات بل في الصفات واما
الايمان بصفاته فالصفات اما سلبية وهي المعبر عنها بصفات الجلال واما ثبوتية
وهي المعبر عنها بصفات الاكرام اما السلب فهي ان يعلم انه فرد منزه عن جميع جهات التركيب
فان كل مركب مفتقر الى كل واحد من اجزايه وكل واحد من اجزايه غيره وكل مركب مفتقر
الى غيره وكل مفتقر الى غيره ممكن وكل ممكن لذاته ليس بواجب لذاته وكل مركب ليس بواجب

حدث

يكون ح

بواجب لذاته واذا كان فردا في ذاته لا يكون متحيزا ولا جسما ولا جوهرا ولا في مكان ولا
حالا في مكان ولا محلا ولا متحيزا ولا متغيرا ولا محتاجا بوجه من الوجوه واما الصفات
الثبوتية فان يعلم ان الواجب لذاته نسبته الى بعض الممكنات كنسبته الى البواقي فلما راينا
هذه المحدثات وقعت على وجوه يمكن وقوعها على تلك الاحوال علمنا ان المؤثر فيها قادر
مختار لا موجب بالذات ثم تستدل في افعاله من الاحكام والاتقان على كمال علمه فحينئذ
تعرف قادرا عالما سميعا بصيرا موصوفا بنعوت الجلال وصفات الكمال واما الايمان
بافعاله فان يعلم ان كل ما سواه ممكن محدث ويعلم ببديهة عقله ان الممكن المحدث لا يوجد
بذاته بل لا بد له من موجد يوجده وهو القديم فهذا الدليل يحملك على ان تجزم بان كل ما سواه
فانما يحصل بتخليقه وايجاده وتكوينه لانه وقع في البعض عمله وهي الحوادث التي هي الافعال
الاختيارية للحيوانات فالحكم الاول وهو انها ممكنة محدثة لا بد من اسنادها الى واجب الوجود
مطرد فيها فان قلت اني اجد من نفسي اني ان شيت ان اتحرك وان شيت ان لا اتحرك لم اتحرك فكانت
حركاتي وسكناتي لا بغيري فنقول قد عقلت حركاتك بمشيتك فحركاتك وسكونك بمشيتك فقبل
حصول مشية الحركة لا تتحرك وقبل مشية السكون لا يسكن وعند حصول مشية الحركة لا بد وان يتحرك
اذا ثبت هذا فنقول ان هذه المشية كيف حدثت فان حدث وثبا اما ان يكون لا لمحدث لزم نفي
الصانع وان كان محدثها العبد افتقر في احداثها الى مشية اخرى ولزم التسلسل فثبت ان
محدثها هو الله سبحانه واذا ثبت هذا فنقول لا اختيار للانسان في حدوث تلك المشية وبعد
حدوثها لا اختيار له في فعل الترتيب عليها واذا لم يكن له اختيار في المشية ولا حصول
للفعل بعد المشية به فالانسان مضطر في صورة مختار فهذا كلام قوي وفي معارضته اشكالان
احدهما انه كيف يليق بكمال حكمتها ايجاد هذه القبايح والفواحش من الكفر والفسق والثاني
انه لو كان الكل بتخليقه فكيف يوجه الامر والنهي والمدح والذم والثواب والعقاب
على العبد فهذا هو الحرف المعول عليه من جانب الخصم الا انه وارد عليه ايضا كما هو مقرر
في اصول الدين واما المرتبة الرابعة في الايمان بالله فهو معرفة احكامه ويجب
ان يعلم في احكامه امورا اربعة احدها انها غير معللة بعلة اصلا لان كل ما كان
معللا بعلة كان صاحبه ناقصا بذاته كاملا بغيره وذلك على الله محال وثانيها ان
يعلم ان المقصود من شرعها منفعة عايدة الى العبد لا الى الحق فانه منزه عن جلب
المنافع ودفع المضار وثالثها ان يعلم انه لا يجب على الحق بسبب اعماله وافعاله شي وانه
في الاخرة يغفر لمن يشا بفضله ويعذب من يشا بعدله ورابعها انه لا يقبح منه شي
ولا يجب عليه شي لان الكل ملكه والمملوك المجازي لا حق له على المالك المجازي فكيف الحقيقي
مع الحقيقي واما المرتبة الخامسة في الايمان بالله معرفة اسمايه قال الله ولله
الاسما الحسنى فادعوه بها وقال ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وقال الله لا اله الا هو
له الاسما الحسنى وقال له الاسما الحسنى يسبح له ما في السموات والارض والاسما الحسنى
هي الواردة في كتاب الله المنزل على السنة انبيايه المعصومين واما الايمان بالملئكة فهو من
اربعة اوجه اولها الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية او جسمانية محضة او
مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية فهي اجسام نورانية وان كانت كذلك فكيف يمكن
ان يكون مع لطافة اجزايها بالغة في القوة الى الغاية القصوى فذاك مقام العلما الراسخين

في العلوم الحكميه القرانيه والبرهانيه والمرتبه الثانيه في الايمان بالملئكه العلم بانهم معصومون
مطهرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
وان لذتهم بذكر الله وانسهم بعبادة الله وكما ان حيوة كل واحد منا بنفسه الذي هو عبارة عن
استنشاق الهوا فكذلك حيوتهم بذكر الله ومعرفته وطاعته والمرتبة الثالثة انها وسائط بين الله
وبين البشر فكل طائفة منهم موكل على قسم من اقسام هذا العالم كما قال تعالى والصافات صفا
فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالعاصفات عصفا
والنازعات غرقا والناشطات نشطا والمرتبة الرابعه ان كتب الله المنزله انما وصلت الى الانبيا
بواسطة الملئكه قال الله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
فهذه المراتب لا بد منها في حصول الايمان بالملئكه وكلما كان الغوص في هذه المراتب اشد كان ايمانه
اتم واما الايمان بالكتب فلا بد فيه من اربعة امور اولها ان يعلم ان هذه الكتب وحي من الله الى
رسوله وانها ليست من باب الكهانة ولا من باب السحر ولا من باب القا الشياطين والارواح الخبيثه
وثانيها ان يعلم ان الموحي بهذه الكتب وان كان من قبل الملئكه المطهرين فالله تعالى لم يمكن احدا من
الشياطين من القا شي من ضلالاتهم في اثنا الوحي الطاهر وعند هذا يعلم ان من قال ان الشيطان
القى قوله تلك الغرانيق العلى في اثنا الوحي فقد قالوا قولا عظيما والمرتبه الثالثه ان القران
لم يغير ولم يحرف وقول من قال ان ترتيب القران على هذا الوجه شي فعله عثمان رضي الله عنه
فاسد فان من قال ذلك اخرج القران عن كونه حجة والمرتبة الرابعه ان يعلم ان القران مشتمل
على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فلا بد فيه من امور اربعه
الاولى ان يعلم كونهم معصومين عن الذنوب والمرتبة الثانيه من مراتب الايمان بالرسل ان يعلم
ان النبي افضل ممن ليس بنبي وقول بعض الصوفيه بخلاف هذا باطل والمرتبة الثالثه انهم افضل من
الملائكه وقال كثير من العلما ان ملئكة السماويه افضل منهم وهم افضل من ملئكة الارضيه
وقد ذكر هذه المسله في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم والمرتبة الرابعه ان يعلم ان بعضهم
افضل من بعض فهذا هو الاشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله قرا حمزة والكسائي
وكتابه عن الواحد اراد القران او الجنس يقول العرب كثر اللبن وكثر الدرهم والدينار في ايدي الناس
يريدون الالبان والدراهم والدنانير يدل قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وانزل معهم الكتاب بالحق قيل الكتاب اكثر من الكتب لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسيه قايمه
في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شي واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسيه من الجموع والباقون
وكتبه على الجمع قوله لا نفرق اي يقولون لا نفرق بين احد من رسله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت
النصارى واليهود واحد في معنى الجمع لقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين قال الامام وعندي
لا يجوز ان يكون احد هاهنا في معنى الجمع لانه يصير التقدير لا نفرق بين جميع رسله وهو لا ينافي كونهم مفرقين
بين بعض الرسل بل بين البعض وهو محمد صلى الله عليه وسلم فثبت ان التاويل الذي ذكروه باطل
بل معنى الايه لا نفرق بين احد من الرسل وبين غيره في النبوه قوله وقالوا سمعنا واطعنا اي سمعنا
قوله واطعنا امره خلاف اليهود الذين قالوا سمعنا وعصينا حذف قوله من سمعنا وامره
من اطعنا لدلالة الايه عليه من حيث انهم مدحوا به قيل حذف المفعول هاهنا ظاهرا وتقدير
اولى لانك اذا جعلت التقدير سمعنا قوله واطعنا امره افاد ان هاهنا قولا اخر غير قوله
وامرا اخر سوى امره فاما اذا لم يقدر فيه ذلك افاد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا

قوله

قوله وليس في الوجود امر يقال في مقابلته اطعنا الا وامره وكان حذف المفعول الا صورة ومعنى
في هذا الموضع اولى وليس المراد منه السماع الظاهر لان ذلك لا يفيد المدح بل المراد السماع باذان
عقولنا اي عقلناه وعلمنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملئكه والانبيا الينا فهو واجب حق القبول
والسمع بمعنى القبول والفهم وارد في القران قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
المعنى لمن سمع الذكرى بفهم حاضر وعكسه قوله تعالى كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا قوله واطعنا افاد انهم كما
علموا ان التكليف حق عملوا به كما ينبغي ثم حكى عنهم بعد ذلك انهم قالوا غفرانك ربنا واليك المصير غفرانك منصوب
باضمار فعله غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقيل اغفر غفرانك فيستغنى بالمصدر عن الفعل
في الدعا نحو سقيا ورعيا فان قيل لما قبلوا التكليف وعملوا به فاي حاجة لهم الى طلب المغفره اجيب
بانهم كانوا خائفين من تقصير يصدر عنهم فقالوا اغفرانك ربنا ومعناه انهم يطلبون الغفران
فيما يخافون من تقصير فيما ياتون به وبان جميع الطاعات في مقابلة حقوق الهيته جنايات وكل انواع
المعارف الحاصلة عندنا للخلق في مقابلة انوار كبريايه تقصير وقصور وجهل ولذلك قال وما
قدروا الله حق قدره فالعبد في اي مقام كان من مقام العبوديه وان كان في الغاية اذا قوبل بجلال
كبريا الله صار عين التقصير الذي يجب الاستغفار عنه وهذا هو السر في قوله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فان مقام عبوديته وان كانت
عاليه الا انه كان ينكشف له في درجات مكاشفاته انها بالنسبه الى ما يليق بالحضرة الصمديه عين
التقصير وكان يستغفر منه ووجه نظم هذه الايه ان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير
لاجل العمل به واستكمال الاول بالقوة النظريه والثاني بالعمليه والقوة النظريه اشرف من القوة العمليه
ولهذا يكون مقدمه والقران مملو من ذكرهما قال الله تعالى حكاية عن ابرهيم رب هب لي حكما
وهي كمال القوة النظريه والحقني بالصالحين كمال القوة العمليه فقوله كل امن بالله الى قوله
من رسله اشارة الى استكمال القوة النظريه بهذه المعارف الشريفه وقوله سمعنا واطعنا
اشارة الى استكمال القوة العمليه بهذه الاعمال الفاضله وقيل في وجه النظم ان للانسان
اياما ثلثه امس والاطلاع عليه يعبر عنه بمعرفة المبدا واليوم والبحث عنه يسمى بالوسط وغدو
البحث عنه يسمى بعلم المعاد والقران مشتمل على رعاية هذه المراتب الثلث فقوله امن الرسول
الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدا وقوله سمعنا واطعنا اشارة الى علم الوسط وهو
معرفة الاحوال التي يجب ان يكون الانسان مشتغلا بها ما دام في الحيوة الدنيا وقوله غفرانك
ربنا واليك المصير اشارة الى علم المعاد وقيل في غفرانك كان العبد يقول كل صفة من صفات
جلالك والهيتك انما يظهر اثرها في محل معين فان القدرة انما يظهر في الوجود بعد العدم
واثر العلم يظهر في الترتيب العجيب والتاليف الانيق على وجه الاحكام واثر الغفران يظهر في
المذنبين فقوله غفرانك معناه اطلب الغفران الذي لا يظهر اثره الا في حق العصاة من امثالي فقوله
ربنا اشارة الى انك ربيتني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك ان لا تربيني عندما افنيت
عمري في توحيدك قوله واليك المصير اشارة الى ان العبد متى علم انه لا بد من المصير اليه
كان اخلاصه في الطاعات اتم واجتنابه عن المعاصي اكمل **قوله تعالى** لا يكلف الله نفسا
الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا
تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قوله لا يكلف الله يحتمل ان يكون

ابتدا خبر من الله ويحتمل ان يكون حكاية عن الرسول والمؤمنين او عن المؤمنين دون الرسول
صلى الله عليه وسلم على الوجهين على نسق الكلام في قوله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك
المصير وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذكر على الاستيناف لكمال الانفصال فان الاول
اخبار عن انفسهم والاخر اخبار عن الله ويويد ذلك ما اردفه من قولهم ربنا لا تواخذنا
وكانه تعالى حكى عنهم طريقتهم في الايمان والعمل الصالح وحكى عنهم في جملة ذلك انهم وصفوا
ربهم بانه لا يكلف نفسا الا وسعها ووجه النظم على الاحتمال الاول انهم قالوا سمعنا واطعنا ثم قالوا بعد
ذلك غفرانك ربنا طلبا للمغفرة فيما يصدر عنهم من وجوه التقصير على سبيل الغفلة والسهو لان مع قولهم سمعنا
واطعنا لا يصدر التقصير منهم على سبيل العمد فلما كان قولهم غفرانك التقصيرات لا جرم خفف عنهم ذلك
وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها والمعنى انكم اذا سمعتم واطعتم ولا تعمدتم التقصير فعند ذلك لو وقع منكم
نوع التقصير على سبيل السهو فلا تكونوا خائفين عنه فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها فهذا اجابة لهم في دعائهم
في قولهم غفرانك ربنا وعلى الاحتمال الثاني انهم لما قالوا سمعنا واطعنا فكانهم قالوا كيف لا نسمع ولا
نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا فاذا كان هو تعالى بحكم الرحمة الالهية لا يطالبنا الا بما هو
سهل هين فلذلك نحن بحكم العبودية يجب ان نسمع ونطيع وقيل هذه الاية ناسخة لقوله تعالى ان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله والظاهر انها مبينة له لا ناسخة يقال كلفته الشيء فتكلف والكلفة اسم
منه والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر
عليه دون مدى الطاقة والجهد وهذا اخبار عن رحمته لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لانه كان في
امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة والاستثناء مفرغ
والمستثنى منه المحذوف هو المفعول الثاني لقوله لا يكلف الله اعلم ان المعتزلة عولوا في
هذه الاية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه ولا يقدر عليه فانه صريح في نفي تكليف ما لا يطاق
فانه تعالى اذا اطلق الفعل ومنع لاستحالته ولا اقدر للعبد عليه البتة فانه وجد بقدرة الله تعالى والموجود
لا يوجد ثانيا فيكون تكليف العبد به تكليفا بما لا يطاق والثاني ان الاستطاعة قبل الفعل
والا لكان الكافر المامور بالايمان لم يكن قادرا على الايمان فكان ذلك التكليف تكليفا بما لا يطاق
والحق ان ما لا يطاق على قسمين احدهما الممتنع لذاته والثاني الممكن لذاته الممتنع بغيره كالممكن لذاته
التي لا مدخل لاختيار الانسان فيه او الذي تعلق علم الله بعدم وقوعه واخبر الله بانه لا يقع
ولا امتناع في التكليف بشيء من هذه الامور بناء على اصلنا المقرر في اصول الدين فانه لا يسال
عما يفعل ويحكم ما يريد واما الممتنع لذاته والاول من الممكن لذاته لم يقع التكليف به وفي قوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها اراد انه لا يكلف بالمحال لذاته ولا بالممكن الذي لا مدخل لاختيارنا
فيه ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز فهذه الاية لا تكون منافية لمذهبنا وقيل اراد به حديث النفس
فانه تعالى لما انزل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ضج المؤمنون منها ضجة
وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل الجوارح فكيف نتوب من عمل الوسوسة وكيف نمتنع
من حديث النفس فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي طاقتها وكان حديث النفس
مما لا يطيقون وعن عائشة رضي الله عنها هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم
يكلفهم الا ما هم مستطيعون فقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال وما جعل عليكم في
الدين من حرج وقال فاتقوا الله ما استطعتم وسئل سفين بن عيينة عن قوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها فقال الا يسرها لا عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود منها

وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل الا ما يسعها ويحل لها كقول القائل ما يسعك هذا الامر
اي ما يحل لك في قوله لها ما كسبت اي ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا تواخذ بذنب
غيرها ولا يثاب بطاعتها غيرها قال الواحدي الكسب والاكتساب بمعنى واحد لا فرق بينهما
قال ذو الرمة الفى اباه بذاك الكسب يكتسب والقران ايضا ناطق بذلك قال الله تعالى كل نفس بما كسبت
رهينة وقال ولا تكسب كل نفس الا عليها وقال بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقال والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا وقيل فرق بينهما فان الاكتساب اخص من الكسب لان الكسب ينقسم الى الكسب
لنفسه ولغيره والاكتساب لا يكون الا ما يكتسب الانسان لنفسه خاصة يقال فلان كاسب اهله ولا يقال
مكتسب اهله قال صاحب الكشاف انما خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان في الاكتساب اعتمالا فلما كان الشر
تشتهيه النفس وتنجذب اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك
في باب الخير وصفت بما لا دليل فيه على الاعتمال احتج المعتزلة بهذه الاية على ان فعل العبد بايجاده لان
الاية صريحة في اضافة خيره وشره اليه والجواب ان فعل العبد بقدرة الله تعالى ونسب العبد
على الوجه الذي بين في اصول الدين ولا يسال عما يفعل ويحكم ما يريد واحتج اصحابنا بهذه الاية
على فساد القول با فانه تعالى اثبت كلا الامرين على سبيل الجمع فبين ان لها ثواب ما كسبت وعليها
عقاب ما اكتسبت وهذا صريح في ان هذين الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طريان احدهما
زوال الاخر قال الجبائي ظاهر الاية وان دل على الاطلاق الا انه مشروط والتقدير لها ما كسبت
من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت من العقاب اذا لم يكفره بالتوبة وانما
صرنا الى اضمار هذا الشرط لما ثبت ان الثواب يجب ان يكون منفعة خالصة دائمة وان العقاب
يجب ان يكون مضرة خالصة دائمة والجمع بينهما محال في العقول فكان الجمع بين استحقاقيهما
محالا والجواب مذكور في اصول الدين واعلم ان الفقهاء تمسكوا بهذه الاية في اثبات
الاصل في الاهلال البقاء والاستمرار لان اللام في قوله لها ما كسبت يدل على ثبوت هذا الاختصاص
وتاكد ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ احق بكسبه من والده وولده وسائر الناس اجمعين
واستنبط من هذا مسائل كثيرة من الفقه منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان
المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما
الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها اذا غصب ساحة فادرجها
في بنائه او غصب حنطة فطحنها لا يزول الملك لقوله لها ما كسبت ومنها ان القطع لا يوجب
سقوط الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والقطع لا يوجب زوال الملك
بدليل ان المسروق متى كان باقيا يجب رده على المالك ولا يكون مقتضيا لزوال ملكه عنه واحتج
منكر وجوب الزكوة به والجواب ان الدليل الموجب للزكوة اخص والخاص مقدم على العام
قوله ربنا لا تواخذنا قال الحسن معناه قولوا ربنا على التعليم للدعاء وقيل حكى
عن المؤمنين دعاءهم لان الداعي يشاهد نفسه في مقام الفقر والحاجة والذلة والمسكنة ويشاهد
جلال الله وكرمه وعزته وعظمته بنعت الاستغناء والتعالي والمقصود من جميع العبادات والطاعات
التعظيم لامر الله فالدعاء خلاصة العبادة قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فلهذا السبب
ختم السورة الشريفة المشتملة على هذه الامور والعلوم الشريفة بالدعاء والتضرع الى الله واعلم ان
الله علم المؤمنين او حكى عنهم اربعة انواع من الدعاء وذكر في مطلع الثلاثة الاول ربنا ولم يذكر في
مطلع الرابع ربنا النوع الاول ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تعاقبنا قيل انما خرج

عن لفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسي قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه
اعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به فشاركه قال الامام وعندي فيه وجه اخر
وهو ان الله تعالى يأخذ بالذنوب بالعقوبة فالمذنب كانه يأخذ ربه بالمطالبة
بالعفو والكرم فانه لا يجد من يخلصه من عذابه الا هو فلهذا تمسك العبد عند الخوف
منه به فلما كان كل واحد منهما يأخذ الاخر عبر عنه بلفظ المواخذة قيل المراد من
النسيان نفسه الذي هو ضد التذكر فان قيل الانسان متجاوز عنه فما معنى الدعا
بترك المواخذة لانه لا يجوز تكليف الغافل ولقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان
وما استكرهوا عليه اجيب بان النسيان منه ما يعذر فيه صاحبه ومنه ما لا يعذر الا
ترى ان من راى في ثوبه نجاسة فاخر في ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ
كان يلزمه المبادرة الى ازالته واما اذا لم يره في ثوبه فانه يعذر ومن رمى صيدا في موضع
فاصاب انسانا فقد يكون بحيث لا يعلم الرامي انه يصيب ذلك الصيد او غيره فاذا رمى
ولم يحترز كان ملوما واذا لم يكن امارات الغلط ظاهرة ثم رمى واصاب انسانا كان ها هنا
معذورا وكذلك الانسان اذا تغافل عن الدرس والتكرار حتى نسي القران يكون ملوما
اما اذا واظب على القراءة لكنه نسي القران فها هنا يكون معذورا ومنه ما لا يكون معذورا
وروي انه عليه السلام كان اذا اراد ان يذكر حاجة شد خيطا في اصبعه فثبت بما ذكرنا
ان الناسي لا يعد معذورا وذلك بما اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب الذكر فاذا كان
كذلك صح طلب غفرانه بالدعا وقيل هذا دعا على سبيل التقدير وذلك لان هو لا
المومنين الذين ذكروا هذا الدعا متقون الله حق تقاته فما كان يصدر عنهم ما لا ينبغي
الا على وجه الخطا والنسيان وكان وصفهم بذلك اشعارا ببراءة ساحتهم عما يواخذون به
كانه قيل ان كان النسيان ما يجوز المواخذة فما فيهم سبب مواخذة الا الخطا والنسيان
فلا تواخذنا به وقيل ان المقصود من الدعا اظهار التضرع الى الله لا طلب الفعل
ولهذا فان الداعي كثيرا ما يدعو بما يقطع بان الله يفعله سوا دعا او لم يدع قال رب
احكم بالحق وقال ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة وقالت الملائكة في
الدعا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فلنا في هذه الاية للعلم بان النسيان لا يواخذ به لا
يمنع من حسن طلبه في الدعا وقيل المراد بالنسيان الترك قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم
اي تركوا العمل لله فترك الله اثابتهم ويقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك اي لا تتركني
فالمراد بهذا النسيان ان يترك الفعل لتاويل فاسد والمراد بالخطا ان يفعل الفعل لتاويل فاسد
وقيل ذكر النسيان والخطا والمراد بهما التفريط والاغفال فاطلق المسبب واريد
السبب فان التفريط والاغفال سبب النسيان والخطا قال الله تعالى وما انسانيه الا
الشيطان فذكر النسيان واراد به سببه الذي هو الوسوسة والشيطان لا يقدر على فعل
النسيان وانما يوسوس فيكون الوسوسة سببا للتفريط الذي منه النسيان قال
الكلبي كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به واخطاوا عجلت لهم العقوبة
فحرم عليهم شي من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله تعالى نبيه والمومنين ان
يسالوه ترك مواخذتهم به وقيل اخطانا من القصد والعمد يقال خطي فلان اذا تعمد
يخطا خطأ وخطأ قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا قال الشاعر

عبادك

عبادك يخطئون وانت رب يكفيك المنايا لا تموت وقيل من الخطا الذي هو الجهل
والسهو وهو الاصح لان ما كان عمدا من الذنب غير معفو عنه بل هو في مشية الله
ما لم يكن كفرا وقيل ان نسينا او اخطانا يعني ان جهلنا او تعمدنا وقيل ان نسينا شيا مما افترضت
علينا او اخطانا شيا مما حرمته علينا عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اغفر لي
خطاياي فقال ان الخطا معفور ولكن قل اللهم اغفر لي عمدي قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا
النوع الثاني من الدعا الاصر العب اي الحمل الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل
به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب
وغير ذلك وقيل الثقل والشدة ثم سمي العهد اصرا لانه ثقيل قال تعالى واخذتم على ذلكم اصري اي
عهدي وميثاقي والاصر العطف لان من عطفت عليه تعطف قلبك كلما يصل اليه من المكان قيل معناه
لا تحمل علينا عهدا او عقدا او ميثاقا لا نطيق ذلك ولا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته
على الذين من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به فاهلكتهم وعذبتهم يدل عليه قوله تعالى واخذتم
على ذلكم اصري اي عهدي وقيل لا تشق علينا ولا تشدد علينا ولا تغلظ الامر علينا كما شددت
على من كان قبلنا من اليهود وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم
في الزكوة ومن اصاب ثوبه نجاسة امر بقطعها ومن اصاب منهم ذنبا اصبح وذنبه مكتوب
على بابه ونحوها من الاثقال والاغلال التي كانت عليهم يدل عليه قوله تعالى ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم قيل دلت الدلايل القطعية والسمعية على انه تعالى اكرم
الاكرمين وارحم الراحمين فما السبب في ان شدد التكليف على اليهود حتى ادى ذلك الى وقوعهم في
المخالفة والتمرد قالت المعتزلة من الجائز ان يكون الشي مصلحة في حق انسان مفسدة في حق غيره
فاليهود كانت الفظاظة والغلظة غالبة على طباعهم فما كانوا ينصلحون الا بالتكاليف الشاقة
الشديدة وهذه الامة كانت الرقة وكرم الخلق غالبا على طباعهم وكانت مصلحتهم في التخفيف
وترك الغلظة اجاب الاصحاب بان السوال الذي في المقام الاول ينقل الى المقام
الثاني فنقول لماذا خص اليهود بغلظة الطبع وقسوة القلب ودناءة الهمة حتى احتاجوا الى
التشديدات العظيمة في التكاليف ولماذا خص هذه الامة بلطافة الطبع وكرم الخلق
وعلو الهمة حتى صار يكفيهم السهولة في مصالحهم ومن تامل وانصف علم ان هذه التعليلات عليلة
فجل جناب الجلال عن ان يوزن بميزان الاعتزال يفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد قوله
تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هذا هو النوع الثالث من دعا المومنين الطاقة
اسم من الاطاقة كالطاعة من الاطاعة وهي توضع موضع المصدر قيل ما لا طاقة لنا به
من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما
نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وتمسك اصحابنا به في جواز التكليف
بما لا يطاق لانه لو لم يكن جايزا لما حسن طلبه بالدعا من الله اجاب المعتزلة من وجوه
الاول انه لا طاقة لنا به اي ما يشق فعله مشقة غليظة وفي الحديث انه عليه السلام
قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق اي ما يشق عليه والثاني
انه تعالى لم يقل لا تكلفنا ما لا طاقة لنا بتحمله فيكون المراد منه العذاب والمعنى لا تحملنا عذابك
الذي لا نطيق احتماله فلو حملنا الاية على ذلك كان قوله لا تحملنا حقيقة فيه ولو حملناه على
التكليف لكان قوله لا تحملنا مجازا فيه فكان الاول اولى والثالث هب انهم سالوا الله

ان لا يكلفهم مما لا قدرة لهم عليه لكن لا يدل على جواز ان يفعل بخلافه لانه لو دل ذلك
لدل قوله رب احكم بالحق على جواز ان يحكم بالباطل اجاب الاصحاب عن الاول
بانه مدفوع من وجهين الاول انه لو كان قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به محمولا على ان
لا يشدد عليهم في التكليف لكان معناه ومعنى الاية المتقدمة وهو قوله ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا واحدا فيكون هذه الاية تكرارا محضا الثاني انا
بينا ان الطاقة هي الاطاقة والقدرة فقوله لا تحملنا ما لا قدرة لنا عليه اقصى ما في الباب
انه جاء هذا اللفظ بمعنى الاستثقال في بعض الوجوه الاستعمال على سبيل المجاز الا
ان الاصل حمل اللفظ على الحقيقة وعن الثاني ان التحميل مخصوص في عرف القران بالتكليف
ولئن سلم ان هذا العرف لم يوجد الا ان قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به عام في العذاب
وفي التكليف فوجب اجراؤه على ظاهره اما التخصيص بغير حجة فلا يجوز وعلى الثالث
ان فعل الشي اذا كان ممتنعا لم يجز طلب الامتناع منه على سبيل الدعا والتضرع
ويصير ذلك جاريا مجرى ما يقول في دعايه وتضرعه ربنا لا تجمع الضدين ولا
تقلب القديم محدثا والتحمل بما لا طاقة لنا به لان الاصر هو الشاق فيمكن حمله وما
لا طاقة لنا به هو ان لا يكون مقدورا ولا يمكن حمله فخص الاول بالحمل والثاني بالتحميل
فان قيل لما طلب ان لا يكلفه بالفعل الشاق في قوله لا تحمل علينا اصرا كان من لوازمه
ان لا يكلفه بما لا يطيق فعكس هذا الترتيب كان اولى اجيب بان للعبد مقامين
احدهما قيامه بظاهر الشريعة والثاني شروعه في بدء المكاشفة وذلك بالتوجه
الى جناب القدس وخدمته وطاعته وشكر نعمته ففي المقام الثاني قال لا اطلب مني حمدا
يليق بالايك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك فان ذلك لا يليق بذكري وشكري
وفكري ولا طاقة لي بذلك ولما كانت الشريعة مقدمة على الحقيقة قدم قوله ولا تحمل
علينا اصرا على قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به في الذكر وانما امر جميع المومنين ان يحكي عنهم
هذه الادعية لان قبول الدعا عند الاجتماع اكمل لان للهمم تاثيرات فاذا تظاهرت النفوس
واجتمعت الارواح على شي واحد كان حصوله اكمل قوله تعالى واعف عنا
اي اسقط عنا العقاب واغفر لنا اي استر علينا ذنوبنا وتجاوز عنا ولا تفضحنا
وارحمنا بتثقيل الميزان مع افلاسنا فانا نرجوا رحمتك وكان العبد يقول اطلب
منك العفو واذا عفوت عني فاستر علي فان الخلاص من العذاب انما يطيب اذا حصل
عقيبه الخلاص من الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني
فلما تخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان ثواب جسماني وهو
نعيم الجنة ولذاتها وطيباتها وثواب روحاني وغايته ان يتجلى له نور جلال الله
وينكشف له بقدر الطاقة علو كبريايه وذلك بان يصير غايبا عما سوى الله
مستغرقا بالكلية في نور جلال الله فقوله وارحمنا طلب الثواب الجسماني وقوله
بعد ذلك انت مولانا طلب لان يصير العبد مقبلا بكليته على الله وقوله انت مولانا
اشارة الى انهم في غاية الخضوع ونهاية التذلل وانهم معترفون بانه سبحانه
وتعالى هو المولى لكل نعمة يصلون اليها وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها
وانهم في كونهم متكلين على فضله واحسانه كالعبيد الذين لا ينتظم شمل مهماتهم الا

باصلاح

باصلاح مولاهم والانواع الثلاثة كان المطلوب فيها الترك وكانت مقرونة بلفظ ربنا والادعية
الثلاثة الاخيرة لم تقترن بلفظ ربنا اشعارا بان العبد اذا واظب على التضرع نال القرب
من الله تعالى فلم يحتج الى الندا لان الندا انما احتيج اليه عند البعد قوله فانصرنا على القوم
الكافرين اي انت سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين
في محاربتنا ومناظرتنا الحجة معهم وفي اعلا كلمة الايمان على كلمتهم السفلى فمن حق المولى ان ينصر
عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها ومن المحققين من قال
فانصرنا على القوم الكافرين المراد منه اعانة الله القوى الروحانية الملكية على قهر القوى الجسمانية
الداعية الى متابعة الهوى والشيطان عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل امن
الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله واليك المصير قال غفرت لكم لا يكلف الله نفسا الا وسعها
الى قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا اواخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمله
عليكم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا الى اخر السورة قال قد عفوت عنكم
وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين عن معاذ ابن جبل انه كان اذا اختتم البقرة
قال امين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا الايتين من اخر سورة البقرة كفتاه
وعنه صلى الله عليه وسلم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبي قبلي
وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان
يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشا الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل

سورة آل عمران مدنية

وهي اربعة عشر الفا وخمسة وعشرون حرفا وثلثة الف واربعمائة وثمانون كلمة ومائتا
قيل نزل صدر هذه السورة الى اية المباهلة في النصارى وفد نجران وكانوا ستين راكبا فيهم
اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثة نفر اليهم يول امرهم العاقب امير القوم
وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم
واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف
فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا
له الكنايس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا مسجده
حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرة جبب واردية في جمال رجال الحرث بن كعب يقول
من راهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام
دعاوكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه
وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا يشبه
اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفنا قالوا بلى قال
الستم تعلمون ان ربنا قيوم كل شي ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك
شيا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما قالوا بلى قال
فهل يعلم من ذلك عيسى شيا قالوا لا وربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال

السنم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى
الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فانزل
الله تعالى فيهم صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين فقال عز من قايل بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان **قوله**
الم الله الجمهور بفتح الميم والفتح حركة الهمزة القيت على الميم حين اسقطت الهمزة للتخفيف لا للدرج لان
الميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت
حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقا حركة الهمزة على الدال
ولا تكون حركة الميم لالتقا الساكنين لان التقا الساكنين لا يبالى به في باب الوقف نحو قولك
ابرهيم زيد داود واسحق ولو كان لالتقا الساكنين في الوقف لوجب التحرك لحرك الميمان
في الف لام ميم لالتقا الساكنين ولما انتظر ساكن اخر وهو حرف التعريف في زعم من يقول
ان اللام في الله حرف التعريف فان قيل انما لم يحركوا الميمين في الف لام ميم لالتقا
الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جا ساكن ثالث لم يمكن الا
تحريك الميم لانا لا ننطق بالساكن الثالث غير ممكن مع سكون الميم فحركوا الميم لالتقا الساكنين
اجيب بانا لا نسلم ان الحركة لالتقا الساكنين لملاقاة الساكن لعدم امكان النطق بهما
والذي يدل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون
الدال مع طرح الهمزة لالتقا الساكنين فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال
علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة للتخفيف لا غير وليست لالتقا الساكنين قيل فما وجه
قراة عمرو بن عبيد بالكسر **اجيب** بان هذه القراة على توهم التحريك لالتقا الساكنين
وما هي مقبولة قال ابن الحاجب لا وجه لقراتها الا البنا لانها لما جردت عن التركيب فقد
منها مقتضى الاعراب فاذا فقد منها مقتضى الاعراب وجب البنا اذ لا متوسط واذا
كان كذلك وجب الحكم بالبنا وقال ابن الحاجب من جعل السكون سكون وقف اجرى
الوصل مجرى الوقف فتكون الميم باقية على نية السكون والهمزة باقية على نية
الثبات مبتدا بها وجاز ان تعطى ايضا احكام الوصل لفظا بدليل جواز قولهم ثلثه
اربعه فانه نقل حركة الهمزة الى الها واجرا الوصل مجرى الوقف قبل ذلك والا لم
تقلب تا التانيث ها قال والذي حمله على هذا امران احدهما استبعاد البنا على
السكون مع سكون ما قبل الاخر لما يودي الى اجتماع الساكنين على غير الوقف والثاني
مجيها مفتوحة الميم ولو كانت حركتها لالتقا الساكنين لاتت مكسورة ثم قال وفي
ذلك تعسف لان الاسما اذا جردت عن التركيب وجب بناوها فيكون السكون في هذه
المواضع سكون بنا وايضا فيه اذ لزم حمل ما اجمع عليه القرا على الوجه الضعيف
لان اجرا الوصل مجرى الوقف لما ذكر في الفواتح ان هذه الاسما معربة وان سكونها سكون
وقف لا بنا وحقق القول فيه وبين وجه ضعف القول بالبنا ومن ثم افتتح هذه
السورة بقوله ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف لام وان يبدا بما بعدها
واتى بقراة عاصم مستشهدا لذلك وقد ثبت ايضا ان الف لام ميم راس اية بلا
خلاف ثم انها جعلت اسم سورة فالوقف عليها لانها كلام تام كما ذكره صاحب الكواشي

وان جعلت على نمط التعديد لاسما الحروف اما قرعا للعصي او مقدمة لدلايل الاعجاز فالواجب
ايضا القطع والابتدا بما بعدها تفرقة بينها وبين الكلام المستقل المفيد بنفسه فاذا القول
بنقل الحركة هو المعقول اشعارا بابقا اثر الهمزة المودن بالابتدا او الوقف ولا كذلك القول
بان الحركة لالتقا الساكنين ومذهب سيبويه ان الميم فتحت لالتقا الساكنين واختار والفتح

لام

ليلا يجمع بين كسرتين وياقبلها كسرة واعلم ان الاقوال المذكورة في الم في اول السورة البقرة
متصورة في الم في هذه السورة وذهب الجرجاني الى ان احسن الاقوال هاهنا ان يكون الم
اشارة الى حروف المعجم كانه يقول هذه الحروف كتابك او نحو هذا ويدل قوله الله لا اله الا
هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب يدل على ما ترك ذكره هو ما هو خبر عن الحروف
وذلك في نظمه مثل قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
وترك الجواب لدلالة قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله عليه تقديره كمن قسا قلبه

ومنه قول الشاعر

شعر ولا تدفنوني ان دفني محرم عليكم ولكن خامري ام عامر
تقديره ولكن اتركوني للتي يقال لها خامري ام عامر قال ابن عطيه يحسن في هذا القول
ان يكون نزل خبر قوله الله حتى يرتبط الكلام الى هذا المعنى وفيما ذكره الجرجاني
نظر لان مثله ليست صحيحة الشبه بالمعنى الذي نحا اليه وما قاله في الاية محتمل ولكن الابرع
في نظم الاية ان يكون الم لا يضم ما بعدها الى نفسها في المعنى وان يكون الله لا اله الا هو الحي القيوم
كلاما مبتدا ادا على وفد نجران اذ هذه الصفات لا يمكنهم ادعاوها لعيسى لانهم يقولون انه
صلب وذلك موت في معتقدهم ومن البين انه ليس بقيوم قال الامام ان مطلع هذه
السورة له نظم عجيب لطيف وذلك لان اوليك النصارى الذين نازعوا الرسول عليه السلام كانه
قيل لهم اما ان تنازعوا في معرفة الاله او في النبوة فان كان الاول فانهم يثبتون له
ولدا فالحق معه بالدلايل العقلية فانه ثبت بالبرهان انه حي قيوم والحي القيوم
يستحيل عقلا ان يكون له ولد وان كان النزاع في النبوة فهذا ايضا باطل لان بالطريق
الذي عرفتم ان الله تعالى انزل التورية والانجيل على موسى وعيسى عرف ان الله
تعالى انزل القران على محمد صلى الله عليه وسلم فان المعجزة هي الداله على ان الله انزل التورية
والانجيل على موسى وعيسى وهي حاصلة ههنا فكيف يمكن منازعته في صحة النبوة فهذا هو وجه
النظم وهو مضبوط حسن جدا قوله الله مبتدا وما بعده خبره الحي القيوم فيمتنع ان يكون له
ولد لان كل ما سواه محدث حصل بتكوينه وتخليقه فامتنع كون شي منه ولدا كما قال ان كل من في
السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وقال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون
نزل نجوما شيا بعد شي والتنزيل مرة بعد اخرى الكتاب القران بالحق بالعدل والصدق مصدقا
موافقا لما بين يديه لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات وبعض الشرايع وقيل انه فيما تضمنه
من الاخبار عن الامم السالفة وقيل ما فيه من الوعيد والوعد يحمل المكلف على ملازمة
الطريق الحق في العقايد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل وقيل بالحق معناه انه
قول فصل وما هو بالهزل وقيل انه انزله بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية وشكر
النعم واظهار الخضوع ويجب لبعضهم على بعض من العدل والانصاف في المعاملات وقيل انزله
بالحق لا بالمعاني الفاسدة المتناقضة كما قال انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
واعلم الله تعالى دل بذلك على صحة القران لانه لو كان من عند غير الله لم يكن ملتبسا بالحق مصدقا

لكتب الانبيا ولما اخبر وابه عن الله لانه اتى لم يختلط باحد من العلما ولا تلمذ لاحد ولا قرا على
احد شيا فان المفترى اذا كان هكذا امتنع عادة ان يسلم عن الكذب فلما لم يكن كذلك ثبت انه
من عند الله قال ابو مسلم انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعا الى توحيده والايمان به وتنزيهه
عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرايع التى هى صلاح كل زمان فالقران مصدق
لكل الكتب فى ذلك وانزل التورية والانجيل جملة واحدة قال صاحب الكشاف التورية
والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل انما
يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة قال الامام
هذا القول هو الحق الذى لا محيد عنه ومع هذا فلننقل كلام الادبا اما لفظ التورية
فقالوا الضيا والنور من قول العرب ورى الزند اذا قدح وظهرت النار واوريته انا قال
الله تعالى افرايتم النار التى تورون وقال تعالى فالموريات قدحا فسمى تورية لانه نور وضيا
يدل عليه قوله تعالى وضيا وذكرى للمتقين وقيل من التورية وهو كتمان السر والتعريض
بغيره ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا ورى بغيره وكان اكثر التورية
معاريض وتلويحات من غير ايضاح وتصريح قال الكوفيون هى تفعلة مثل توصية وتولية قلبت
اليا الفا كما تفعل طيى فتقول للجارية جاراة وللتوصية توصاة نقلت حركة اليا الى ما قبلها
وقلب اليا الفا وقيل اصله تورية على تفعلة بفتح العين واللام قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما
قبلها قال البصريون اصلها وورية على وزن فوعلة مثل دوخلة وحوقلة فقلبت الواو الاولى
تا وجعلت اليا المفتوحة الفا فصارت توراة ثم كتبت باليا على اصل الكلمة والانجيل افعيل من النجل
وهو الخروج ومنه سمى الولد نجلا لخروجه سمى به لان الله عز وجل اخرج به دارسا من الحق عافيا
ويقال من النجل الذى هو سعة العين يقال طعنة نجلا اى واسعة سمى به لانه اصل
اخرجه لهم ووسعه عليهم قوله من قبل اى من قبل القران حذف المضاف اليه وبنى على
الضم كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد هدى للناس اى هاد للناس اى لقوم موسى
وعيسى ولم يثنه لانه مصدر وهو فى محل النصب على الحال ومن قال نحن متعبدون
بشرايع من قبلنا فسره على العموم فوصف القران بالحق ووصف التورية والانجيل بانه
هدى والوصفان متقاربان **لطيفه** وصف القران فى اول سورة البقرة بانه
هدى للمتقين ولم يصفه ههنا لان المتقين هم المنتفعون به فصار من هذا الوجه هدى لهم لا
لغيرهم اما ههنا فالمناظرة كانت مع النصارى وهم لا يهتدون بالقران ولا جرم لم يقل
ههنا فى القران انه هدى بل قال انه حق فى نفسه سوا قبلوه او لم يقبلوه واما التورية والانجيل
فهم يعتقدون صحتهما ويدعون بانا انما نعول فى ديننا عليهما ولا جرم وصفهما الله لاجل هذا
التاويل بانه هدى وقيل انه تعالى وصف الكتب الثلاثة القران والتورية والانجيل بانها هدى
للناس فهذا الوصف عايد الى كل ما تقدم غير مختص بالتورية والانجيل قوله وانزل
الفرقان اى جنس الكتب السماوية لانها فرقان تفرق بين الحق والباطل او الكتب الثلاثة التى ذكرها
كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب
او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال واتينا داود زبورا او لم يذكر القران بما هو نعت
له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله
قال الامام والمختار عندى ان المراد من الفرقان المعجزات التى قرنها الله تعالى بانزال هذه
الكتب

القرآ معناه

بلغ مقابلة

الكتب وذلك لانهم اتوا بهذه الكتب وادعوا انها كتب انزلت عليهم من عند الله وافتقروا فى اثبات
هذه الدعوى الى دليل حتى يحصل الفرق بين دعواهم ودعوى الكاذبين فلما اظهر الله على وفق
دعواهم تلك المعجزات حصلت المفارقة بين دعوى الصادق وبين دعوى الكاذب فالمعجز هو
الفرقان فلما ذكر الله تعالى انه انزل الكتاب بالحق وانزل التورية والانجيل من قبل ذلك
بين انه تعالى انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز القاهر الذى يدل على صحتها ويفيد الفرق
بينها وبين ساير الكتب المختلفة والظاهر انه اراد بالفرقان القران باعتبار انه معجز فان الاهم فى
هذا المقام ذكر ما يفيد افحام الخصم بما يدل على ان القران انزله الله بالحق فانه لما قال نزل
عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه استبعد الخصوم تنزيل الكتاب الموصوف عليه فذكر
قوله وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فكانه قال لا استبعاد فى انه نزل عليه
الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه فانه انزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فكما لا يستبعد
ذلك لا يستبعد هذا ولكن كانوا فى ريب مما نزل عليه ورفع الاستبعاد لا يلزم رفع الريب
فاقام الحجة على دعواه وهو انه نزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه لرفع الريب بقوله
وانزل الفرقان الذى هو المعجز الفارق بين الحق والباطل ولما كان اعتبار كونه منزلا غير اعتبار كونه
معجزا فان الاول لكونه دعوى والثانى لكونهما حجة فانهما متغايران بالذات فحسن العطف والذى يشهد لهذا
قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله واما حمل القران على المعجزات التى قرنها الله تعالى
بانزال هذه الكتب فغير مناسب للمقام لان الخصوم غير منكرين لانزال هذه الكتب حتى يحتاج فى اثباته الى دليل
ولما قرر بابلغ عبارة واوجز اشارة جميع ما يتعلق بمعرفة التوحيد وما يتعلق بمعرفة النبوة عموما ومعرفة نبينا
صلى الله عليه وسلم خصوصا اتبع ذلك بالوعيد زجرا للجاحدين والمعرضين عن هذه البينات القاطعة
والايات الساطعة فقال ان الذين كفروا لهم عذاب شديد وروده بسبب النصارى لا يمنع العموم فهو
يتناول كل من كفر بايات الله والله عزيز غالب قوى منيع ذو انتقام عقوبة شديدة لا يقدر على مثله منتقم
قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شى فى الارض ولا فى السما هو الذى يصوركم فى الارحام كيف
يشا لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الامام لما ذكر انه قيوم وهو القايم باصلاح مصالح الخلق ولا يتم
ذلك الا بمجموع امرين احدهما كونه عالما بحاجاتهم على جميع الوجوه وثانيهما ان يكون بحيث يقدر على دفعها
والاول لا يتم الا اذا كان عالما بكل شى والثانى لا يتم الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات بقوله ان
الله لا يخفى عليه شى فى الارض ولا فى السما اشارة الى انه عالم بكل شى فيكون عالما بمقادير الحاجات ومراتب
الضرورات لا يشغله شان عن شان وقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشا اشارة الى كونه
قادرا على كل الممكنات فيكون قادرا على تحصيل جميع مصالح الخلق ومنافعهم ثم قال وفيه لطيفة اخرى
وهو قوله ان الله لا يخفى عليه شى فى الارض ولا فى السما لا يجوز اثباته بالسمع لان معرفة السمع موقوفة
على العلم بكونه تعالى عالما بكل شى بل بالدليل العقلى وهو ان يقال انا نرى افعاله تعالى محكمة متقنة والفعل
المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالما فذكر الدليل العقلى الدال عليه وهو انه هو الذى صور فى الارحام
هذه البنية العجيبة والهيئة الغريبة وركب الاعضا المختلفة فى الشكل والطبع والصفة فبعضها
عظام وبعضها اعصاب وبعضها اوردة وبعضها شراين وبعضها عضلات وبعضها غضاريف
ثم انه ضم بعضها الى بعض على احسن التركيب واكمل التاليف وذلك يدل على كمال قدرته حيث قدر ان
خلق من النطفة هذه الاعضا المختلفة فى الشكل واللون والطبع وعلى كمال علمه من حيث ان الفعل

المحكم المتقن على هذا الوجه لا يصدر الا عن العالم وكان قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا
دالا على كونه قادرا على كل الممكنات ودالا على انه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السما واذا ثبت
انه عالم بجميع المعلومات وقادر على كل الممكنات ثبت انه قيم المخلوقات فظهر ان هذا كالتقرير لما ذكر
الله تعالى اولا من انه هو الحي القيوم ومن تامل في هذه اللطايف علم انه لا يمكن ان يكون كلاما ابلغ
واحسن من كلام الله ويحتمل ان تنزل هذه الايات على سبب نزولها وذلك لان النصارى ادعوا الهية
عيسى وعولوا في ذلك على امرين احدهما يتعلق بالعلم والثاني يتعلق بالقدرة اما ما يتعلق بالعلم
فهو ان عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيب وكان يقول لهذا انك اكلت في دارك كذا ويقول
لذاك انك صنعت في دارك كذا فهذا يتعلق بالعلم واما ما يتعلق بالقدرة فان عيسى كان يحيي الموتى
ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا فهذا يتعلق بالقدرة
ثم انه تعالى استدل على بطلان قولهم في الهية عيسى وفي التثليث بقوله الاله يجب ان يكون حيا
قيوما وعيسى ما كان حيا ولا قيوما لزم القطع بانه ما كان الها اتبعه بهذه الاية لتقرير فيهما يكون
جوابا عن الامرين اما الاول المتعلق بالعلم فانه لا يلزم من العلم ببعض المغيبات ان يكون الها
لكن عدم احاطته بجميع المغيبات يدل على انه ليس باله قطعا فان الاله هو الذي لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السما اي يكون عالما بجميع المعلومات وعيسى ما كان عالما بجميع المغيبات فوجب القطع
بان عيسى ما كان الها واما الثاني المتعلق بالقدرة فانه لا يلزم من صدور هذه الافعال
مثل ابرا الاكمه والابرص واحيا بعض الموتى والخلق من الطين والنفخ فيه وصيرورته طيرا كل
ذلك باذن الله ان يكون الها لان الاله هو الذي يكون قادرا على تصوير الناس في الارحام
من نطفة كيف يشا وعيسى لم يكن قادرا على التصوير في الارحام ولا يكون الها فقوله ان الله لا
يخفى عليه شيء في الارض ولا في السما اشارة الى الجواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم وقوله
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا اشارة الى الجواب عن الشبهة المتعلقة بالقدرة ثم
انه تعالى لما اجاب عن شبهة النصارى اعاد كلمة التوحيد زجرا للنصارى عن قولهم
بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم والعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم
اشارة الى كمال العلم وهو تقرير لما مر من ان علم عيسى ببعض الغيوب وقدرته على الافعال
المذكورة لا يكفي في كونه الها فان الاله يجب ان يكون كامل القدرة وهو العزيز كامل
العلم وهو الحكيم فان قيل قوله لا يخفى عليه شيء عند اطلاقه يكون دالا على انه عالم بكل
شيء وهو ابلغ فما الغرض من التقييد بقوله في الارض ولا في السما الذي لا يفيد انه
عالم بكل شيء فما الفايدة في التقييد اجيب بان الغرض الهام العباد بكمال علمه تعالى
وفهمهم هذا المعنى عند التقييد بقوله في الارض ولا في السما اقوى لان الحس يشاهد
عظمة السموات والارضين فيعين العقل على معرفة الله تعالى لان الحس متى اعان العقل
على المطلوب كان المفهوم اتم والادراك اكمل ولهذا اذا اريد ايضاح المعاني الدقيقة
ذكر ما في المحسوسات فان المثال الحسي معين على الفهم والتصوير جعل الشيء على
صورة وهي هيئة حاصلة للشيء عند ايقاع التاليف على بعض اجزائه واصله من صار
يصور اذا اماله فهي صورة لانها مايلة الى شكل ابويه واما الارحام فهي جمع رحم
واصلها من الرحمة وذلك لان الاشتمال في الرحم يوجب الرحمة والعطف فلهذا اسمي ذلك العضو رحما

قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب اعلم انه تعالى
اراد ان يبين انه قيوم وقايم بمصالح الخلق ومصالح الخلق قسمان جسمانية واشرفها تعديل
المزاج وتسوية البنية على احسن الصورة واكمل الجمال واليه الاشارة بقوله هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشا وروحانية واشرفها العلم الذي يصير به الروح مرآة مجلوة حاذى بها
شطر الحق فيتجلى فيها صورة الموجودات واليه اشار بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب وقيل
ان من شبه النصارى تمسكهم بما جا في القران من قوله تعالى في صفة عيسى انه روح الله وكلمته فان وفد
نجران خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم انه كلمة الله وروح
منه قال صلى الله عليه وسلم بلى قالوا فحسبنا فانزل الله هذه الاية المحكم ماخوذ من قول
العرب حكمت اي منعت ورددت والحاكم يمنع الظالم عن الظلم وحكمة اللجام هي التي تمنع الفرس
عن الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه من الفساد وقول
جرير احكموا سفهاءكم اي امنعوهم وبنا محكم اي وثيق يمنع من تعرض له وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع مما لا
ينبغي والتشابه ان يكون الشيء مشاركا لغيره في الصفة بحيث يعجز الذهن عن التمييز قال الله تعالى
حكاية عن بني اسرايل ان البقر تشابه علينا وقال في وصف ثمار الجنة واتوا به متشابها وقال
تعالى تشابهت قلوبهم ومنه يقال اشتبه على الامران اذا لم يفرق بينهما ويقال لاصحاب المخاريق اصحاب
الشبه وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات واعلم ان في
القران ما يدل على انه بكليته محكم وفيه ما يدل على انه بكليته متشابه وفيه ما يدل على ان بعضه
محكم وبعضه متشابه اما ما يدل على انه بكليته محكم فهو قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته فذكر في
هذه الاية ان جميعه محكم والمراد من المحكم بهذا المعنى انه محكم بالنظم العجيب والمعنى البديع اي
كلام حق فصيح صحيح الالفاظ المعاني افضل من كل كلام في فصاحة اللفظ وقوة المعنى
فهذا معنى وصف جميعه بانه محكم واما ما يدل على انه بكليته متشابه فهو قوله كتابا متشابها
مثاني والمعنى انه يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والبلاغة ويصدق بعضه بعضا لا اختلاف فيه
ولا تناقض واليه الاشارة بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي لكان
بعضه واردا على نقيض الاخر والمحكم والمتشابه بهذا المعنى وصفان للقران بكليته لا يفترقان
فيه واما ما يدل على ان بعضه محكم وبعضه متشابه فهو هذه الاية فنقول اللفظ الذي جعل
موضوعا لمعنى فاما ان يكون محتملا لغير ذلك المعنى او لا يكون فان كان الثاني سمي ذلك اللفظ
نصا وان كان الاول فلا يخلو اما ان يترجح احد الاحتمالين على الاخر او لا فان كان الاول سمي ذلك
اللفظ بالنسبة الى الراجح ظاهرا وبالنسبة الى المرجوح ماولا وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة
اليهما مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منهما على التعيين مجملا والنص والظاهر يشتركان في الرجحان
والنص راجح مانع من احتمال الغير والظاهر غير مانع من احتمال الغير فالقدر المشترك يسمى
محكما والمجمل غير مرجوح والماول مع عدم رجحانه مرجوح والقدر المشترك بينهما يسمى متشابها
وقيل اللفظ الذي يكون معناه ظاهر المراد للسامع مقرونا بقصد المتكلم غير محتمل للتخصيص والتاويل
والنسخ يسمى محكما واللفظ الذي لم يظهر المراد منه بالصيغة ولم يمكن ادراك المراد منه بالتامل
ولا يرجى بيانه فيه يسمى متشابها والمحكم على التفسير الاول لا ينافي النسخ وعلى الثاني ينافيه

والمتشابه على التفسير الاول اعم من ان يكون ادراك المراد به ممكنا بالتامل ويرجى بيانه او لا وعلى الثاني لا
يمكن ادراك المراد منه بالتامل ولا يرجى بيانه فيه والمتشابه على الاول هو القدر المشترك بين المجمل
والماول لان عدم الفهم حاصل في القسمين جميعا واللفظ اذا كان بالنسبة الى المفهومين على التسوية يتوقف
الذهن مثل القرء بالنسبة الى الحيض والطهر وانما يتصور اذا كان اللفظ بحسب اصل الوضع راجحا في احد
المعنيين ومرجوحا في الاخر ثم كان الراجح باطلا والمرجوح حقا كقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها فان الظاهر انهم يومرون بان يفسقوا ومرجوحه انهم يومرون بشي فيفسقوا فيما امروا به
ومحكمه قوله تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء ردا على الكفار فيما حكى عنهم من قولهم واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها وكذلك قوله نسوا الله فنسيهم وظاهر النسيان ما يكون ضد العلم ومرجوحه الترك والاية
المحكمة فيه قوله تعالى وما كان ربك نسيا وقوله لا يضل ربي ولا ينسى قال الامام هذا موضع عظيم فان كل
احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الايات الموافقة لمذهبه محكمة وان الايات الموافقة لقول خصمه متشابهة
فالمعتزلي مذهبه ان قوله تعالى فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر محكم وقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله متشابه
والسني يقلب الامر في ذلك فلا بد هاهنا من قانون يرجع اليه في هذا الباب فنقول اللفظ اذا كان محتملا
لمعنيين بالنسبة الى احدهما راجحا والى الاخر مرجوحا فان حملناه على الراجح ولم نحمله على المرجوح فهو المحكم وان
حملناه على المرجوح ولم نحمله على الراجح فهو المتشابه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه
من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والاول لا يمكن اعتباره في المسايل الاصولية سواء كانا متنافيين
او احدهما راجحا والاخر مرجوحا اما الاول فظاهر لامتناع الترجيح بلا مرجح واما الثاني فلان
الدليل اللفظي لا يكون قاطعا لانه موقوف على نقل اللغات ووجوه النحو والصرف وموقوف على
عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض العقلي
والنقلي وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يكون شي من الدلايل
اللفظية قطعيا فصرف اللفظ عن ظاهره الى المرجوح بدليل لفظي وان كان راجحا ظنيا فلا يعول
عليه في المسايل الفقهية والثاني وهو ان يكون الدليل المنفصل عقليا يمكن اعتباره فاذا تعذر
حمل اللفظ على ظاهره بان يكون معناه الراجح محالا عقلا جاز صرفه عن معناه الراجح بدليل
عقلي قاطع اذا عرف المكلف انه ليس مراد الله بهذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا
يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لان طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز
وترجيح تاويل على تاويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدليل اللفظي والدليل اللفظي ظني في ترجيح
مرجوح على مرجوح اخر في غاية الضعف فلا يفيد الا الظن الضعيف والتعويل على مثل هذا
في المسايل القطعية الاصولية محال فلهذا اختار الايمة المحققون من السلف والخلف بعد
اقامة الدليل العقلي القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تفسير التاويل
فهذا منتهى ما وصل اليه الذهن السليم والنظر المستقيم على ظاهره في هذا الباب
ولقد تفرق الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس رضي الله عنهما المحكمات هي الايات
في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الايات الثلاث والمتشابهات هي
التي تشابهت على اليهود وهي حروف التهجي في اوايل السور فانهم اولوها على حساب الجمل
وطلبوا ان يستخرجوا منها مدة بقاء الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ايضا ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقيل هو الذي يكون دلايله واضحة لا يحتاج
مثل ما اخبر الله من انشاء الخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة وجعلنا من الماء كل شيء حي

المعنى صح

الثلاث م

وقوله

الى التدبر والتامل [illegible]

وقوله وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم والمتشابه ما يحتاج في معرفته
وقيل المحكم ما امكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي والمتشابه ما
لا سبيل الى معرفته فذلك هو المتشابه وذلك كالعلم بوقت قيام الساعة والعلم بمقادير الثواب
ولنرجع الى تفسير الاية ايات محكمات متقنات مبينات مفصلات احكمت عباراتها بان حفظت
من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اي اصله الذي يعمل عليه في الاحكام ومجمع الحلال والحرام
ومفزع لاهل الاسلام واراد بالكتاب الجنس اي هن ام التورية والانجيل والقران وقيل
ام الكتاب يحمل المتشابهات عليها ويرد اليها مثاله لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامر
بالفحشاء امرنا مترفيها والعرب تسمي كل شي فاصا جامع اما كما قيل للوح المحفوظ ام الكتاب
وللفاتحة ام القران ولمكة ام القرى وللدماغ ام الراس وللوالد ام وللرجل الذي يقوم بامر
العيال ام وللمبرم والناقة والشاة التي يعيش بها اهل الدار ام وانما قال هن ام الكتاب
لان الايات كلها في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله واحد وقيل معناه كل اية
منهن ام الكتاب كما قال تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية اي كل واحد منهما اية واخر جمع
اخرى ولم يصرف للوصف والعدل قيل هو معدول عن الاخر وقيل من اخرين قال
صاحب الكشاف فان قلت فهلا كان القران كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به
لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك
لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز
بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرايح في استخراج معانيه
ورده الى المحكم من الفوايد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المومن
المعتقد انه لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه
طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين
مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه قال الامام ان من الملحدة
من طعن في القران لاجل اشتماله على المتشابهات فقال انكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة
بهذا القران الى قيام الساعة ثم انا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه فالجبري يتمسك
بايات الجبر كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا والقدري يقول
هذا مذهب الكفار بدليل انه تعالى حكى ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وفي موضع اخر وقالوا قلوبنا غلف ومنكر
الروية متمسك بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة متمسك بقوله يخافون ربهم من
فوقهم وبقوله الرحمن على العرش استوى والنافي متمسك بقوله ليس كمثله شي ثم يسمي كل
واحد الايات الموافقة لمذهبه محكمة والايات المخالفة لمذهبه متشابهة وانما آل في ترجيح
بعضها على البعض الى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب
الذي هو المرجوع اليه في كل الدين الى قيام القيامة هكذا اليس انه لو جعله ظاهرا جليا نقيا عن هذه
الشبهات كان اقرب الى حصول الغرض واعلم ان العلماء ذكروا في فوايد المتشابهات وجوها
الاول انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة
توجب مزيد الثواب قال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين الثاني لو كان القران محكما بالكلية لما كان مطابقا الا لمذهب واحد

وكان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر
فيه والانتفاع به اما لما كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة
بدليل العقل وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد ويصل الى ضياء الاستدلال والتبيين اما لما كان
مشتملا على المحكم وعلى المتشابه فيطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مذهبه ويؤيد
مقالته فينظر اليه ارباب جميع المذاهب ويجتهد في التامل فيه صاحب كل مذهب وتوكيد مقالته
فينظر اليه جميع ارباب المذاهب واذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات
وبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله ويتصل الى الحق الثالث ان القران اذا كان مشتملا على
المحكم والمتشابه افتقر الى العلم بطريق التاويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر في تعلم
ذلك الى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان واصول الفقه ولو لم
يكن الامر كذلك لما كان يحتاج الانسان الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة وكان في ايراد المتشابهات
هذه الفوايد الكثيرة الرابع السبب الاقوى في هذا الباب ان القران مشتمل على دعوة
الخواص والعوام بالكلية وطبايع العوام تنفر في اكثر الامر عن درك الحقايق فمن سمع من العوام
في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع
في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون
ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالقسم الاول وهو الذي يخاطبون به في اول الامر
يكون من باب المتشابهات والقسم الثاني وهو الذي يكشف لهم في اخر الامر هو من المحكمات
قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ لما بين ان الكتاب اي القران منه ايات محكمات هن
ام الكتاب واخر متشابهات بين ان اهل الزيغ يتبعون ما تشابه منه والزيغ الميل عن
الحق يقال زاغ زيغا اي مال ميلا قيل هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل
الحق ابتغا الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغا تاويله وطلب ان يؤولوه التاويل
الذي يشتهونه قال الراغب التاويل من الاول اي الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع الذي
يرجع اليه وذلك هو رد الشي الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا ففي العلم كقوله وما يعلم تاويله الا الله
وفي الفعل كقول الشاعر وللنوى قبل يوم البين تاويل وقوله تعالى هل ينظرون الا تاويله
يوم ياتي تاويله اي بيانه الذي هو الغاية المقصودة منه وقيل هم وفد نجران لما حاجوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا هو كلمة الله وروح منه قالوا حسبنا فانزل الله تعالى هذه الاية
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وقيل هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء الدنيا الامة واستخراجه
من الحروف المقطعة في اوايل السور وقيل هم الكفار الذين ينكرون البعث لانه قال في اخر
الاية وما يعلم تاويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى اخفاه عن الخلق حتى عن الانبيا والملايكة
وقيل يعم جميع المبطلين وكل من احتج لباطله بالمتشابه لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع
عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما ليس يبين منتهاه ومن جملته ما وعد الله الرسول من النصر وما
اوعد الكفار من النقمة فيقولون ايتنا بعذاب الله ومتى تاتينا الساعة ولو ما تاتينا بالملايكة
ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت
بصريح العقل ان كل ما كان مختصا بالحيز فاما ان يكون في الصغر كالجزء الذي لا يتجزى وهو باطل
بالاتفاق واما ان يكون اكبر منه فيكون منقسما مركبا وكل مركب ممكن ومحدث فيمتنع

قال الوجيه

ان

ان يكون الا في مكان فيكون قوله تعالى الرحمن على العرش استوى متشابها من تمسك به وكان متمسكا بالمتشابهات
ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي
ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وثبت ان حصول ذلك الداعي من الله ثبت انه متى كان الامر كذلك
كان حصول الفعل عند تلك الداعية واجبا وعند عدمها ممتنعا فبطل ذلك التفويض وثبت ان الكل بقضا
الله وقدره ومشيته فيصير استدلال المعتزلة بتلك الظواهر وان كثرت استدلالا بالمتشابهات لاجل ان في قلوبهم
زيغا عن الحق وطلبا لتقرير الباطل واعلم انك لا ترى طايفة في الدنيا الا وتسمي الايات المطابقة لمذهبهم محكمة والمخالفة لمذهب خصمه متشابهة
قال الجبائي المجبرة الذين يضيفون الظلم والكذب وتكليف ما لا يطاق الى الله هم المتمسكون بالمتشابهات وقال
ابو مسلم الزايغ الطالب للفتنة هو من يتعلق بايات الضلال ولا يتاول على المحكم بينه لقوله فاضلهم السامري واضل
فرعون قومه وما يضل به الا الفاسقين وفسروا ايضا وتاولوا قوله تعالى زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون على انه
تعالى زين لهم العمه ونقضوا ابدا لك ما في القران كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وقال واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فانما يهتدي لنفسه وقال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
قال الامام هذا ما قاله ابو مسلم لم حكم على الايات الموافقة لمذهبه بانها محكمات وعلى الايات المخالفة
لذلك بانها متشابهات ولم اوجب في تلك الايات المطابقة لمذهبه اجراها على الظاهر ومعلوم ان ذلك
لا يتم الا بالرجوع الى الدلايل العقلية فاذا دل الدليل العقلي على بطلان مذهب كان الايات الموافقة
لذلك المذهب تكون متشابهة واعلم ان الايات التي تاكد ظاهرها بالدلايل القطعية هي المحكمات والايات
التي تخالف ظاهرها الدلايل القطعية التي نحكم فيها بان مراد الله غير ظاهرها والايات التي لم يوجد
دليل قطعي على طرفي ثبوتها وانتفايها يتوقف فيها وهي المتشابهات على معنى ان الامر اشتبه فيه ولم
يتميز احد الجانبين عن الاخر الا ان الظن الراجح حاصل في اجرايها على ظواهرها ان كانت من الايات
الدالة على الاحكام الفرعية والا فيتوقف فيها ولما بين الله تعالى ان الزايغين يتبعون ما تشابه منه
بين ان لهم فيه غرضين احدهما ابتغا الفتنة وثانيهما ابتغا تاويله والفتنة الاستهتار بالشي والغلو فيه
يقال فلان مفتون بطلب كذا اي قد غلا في طلبه وتجاوز الحد وذكر المفسرون في تفسير هذه الفتنة
وجوها انه متى وقعوا في تلك المتشابهات في الدين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين فيفضي الى التقاتل
والهرج والمرج فذاك هو الفتنة ومنها ان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير
مفتونا بذلك الباطل عاكفا عليه لا ينقلع منه اصلا وثالثها ان الفتنة في الدين هو الضلال عنه
ومعلوم انه لا فتنة ولا فساد اعظم من الفتنة في الدين والفساد فيه والمراد من ابتغا التاويل طلب
ما لا دليل عليه في كتاب الله ولا سنة مثل ان الساعة متى تقوم وان مقادير الثواب والعقاب لكل عاص
ومطيع لم يكون وان يحملوه على غير الحق ثم بين الله تعالى ما يكون زيادة في ذم طريقة هولا الزايغين
فقال وما يعلم تاويله الا الله واختلف الناس في هذا الموضع قال صاحب الكشاف وما يعلم
تاويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله
وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على
قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون امنا ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه
وبمعرفة الحكمة فيه من اياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه يقولون امنا به بالمتشابه
كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده او بالكتاب كل من متشابهه
ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولو الالباب

ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هولا العالمون بالتاويل يقولون

مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون قوله يقولون حالا من الراسخين قال صاحب
الانتصاف لا يجوز اطلاق الاهتدا على الله لما فيه من ايهام سبق جهل وضلال تعالى عن ذلك علوا كبيرا لان اهتدى
مطاوع هدى ويسمى من تجدد اسلامه مهتديا وانعقد الاجماع على امتناع اطلاق الالفاظ الموهمة عليه فاذا
انكر على القاضي ابي بكر الباقلاني حد مطلق العلم بكونه معرفة ودخول علم الله فيه فهذا اولى ان ينكر واظنه مهنا
فنسب الاهتدا الى الراسخين في العلم وغفل عن شمول ذلك الحق تعالى وعلى قوله ايضا وبمعرفة الحكمة من اياته
يرد هذا الاعتراض قال الامام فمنهم من قال تم الكلام هاهنا ثم الواو في قوله والراسخون في العلم
واو الابتدا وعلى هذا القول لا يعلم المتشابه الا الله وهذا قول ابن عباس وعايشه والحسن ومالك ابن
انس والكساي والفرا ومن المعتزلة قول ابي علي الجباي وهو المختار عندنا والقول الثاني ان
الكلام انما تم عند قوله والراسخون في العلم وهذا القول مروي عن ابن عباس ايضا ومجاهد والربيع
ابن انس واكثر المتكلمين والذي يدل على صحة القول الاول ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل الدليل
اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علمنا ان مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفي المجازات
كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية والترجيحات اللغوية لا تفيد الا الظن
الضعيف فاذا كانت المسلة قطعية يقينية كان القول فيها بالدلايل الظنية باطلا وايضا قال
تعالى الرحمن على العرش استوى ودل الدليل على انه يمتنع ان يكون الاله في المكان فعلمنا انه ليس مراد الله تعالى
من هذه الاية ما اشعر به ظاهرها الا ان في مجازات هذه اللفظة كثرة فصرف اللفظ الى البعض دون البعض
لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية والقول بالظن في ذات الله تعالى وصفاته غير جايز بالاجماع وهذه
حجة قاطعة في المسلة والقلب الخالي عن التعصب يميل اليه والفطرة الاصلية تشهد بصحته الثاني
وما قبل هذه الاية يدل على ان طلب تاويل المتشابه مذموم حيث قال فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله ولو كان طلب تاويل المتشابه جايزا لما ذم الله ذلك فان قيل
لم لا يجوز ان يكون المراد منه طلب وقت قيام الساعة كما في قوله يسالونك عن الساعة ايان مرساها
قل انما علمها عند ربي وطلب مقادير الثواب والعقاب وطلب ظهور الفتح والنصر كما قالوا لو ما تاتينا
بالملايكة اجيب بانه تعالى لما قسم الكتاب الى قسمين محكم ومتشابه ودل العقل على صحة هذه التقسيم
من حيث ان حمل اللفظ على معناه الراجح هو المحكم وحمله على معناه الذي هو غير راجح هو المتشابه ثم انه
تعالى ذم طريقة من طلب تاويل المتشابه كان تخصيص ذلك ببعض المتشابهات دون البعض تركا للظاهر
وانه لا يجوز الثالث ان الله تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون امنا به وقال في اول
البقرة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهولاء الراسخون لو كانوا عالمين بتاويل ذلك المتشابه
على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان كل من عرف شيا على سبيل التفصيل فانه لا بد وان يومن به
وانما الراسخون في العلم الذين علموا بالدلايل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها
وعلموا انه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا اسمعوا اية ودلت الدلايل القطعية على انه لا يجوز
ان يكون ظاهرها مرادا لله علموا ان مراد الله منه غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك
المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شي كان فهو الحق والصواب فهولاء الراسخون
في العلم بالله حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد على التعيين عن
الايمان بالله والجزم بصحة القران الرابع لو كان قوله والراسخون معطوفا على
قوله الا الله لصار قوله يقولون امنا به ابتدا وانه بعيد عن الفصاحة بل كان
الاولى ان يقال وهم يقولون امنا به او ويقولون امنا به فان قيل في تصحيحه وجهان

الاول

الاول ان قوله يقولون حال من الراسخين والثاني ان قوله يقولون كلام مبتدا والتقدير
هولاء العالمون بالتاويل يقولون امنا به اجيب عن الاول بان ذا الحال هو الذي تقدم
ذكره وهاهنا تقدم ذكر الله وذكر الراسخين في العلم فوجب ان يجعل قوله يقولون حالا من
الراسخين لا من الله فيكون ذلك تركا للظاهر فثبت ان ذلك المذهب لا يتم الا بالعدول عن الظاهر
ومذهبنا لا يحتاج فكان هذا القول اولى وعن الثاني بانه مدفوع فان تفسير كلام الله بما لا يحتاج معه
الى الاضمار اولى من تفسيره بما يحتاج معه الى الاضمار الخامس قوله تعالى كل من عند ربنا يعني انهم
امنوا بما عرفوا على التفصيل وبما لم يعرفوا تفصيله وتاويله لو كانوا عالمين بالتفصيل في الكل لم يكن لهذا
الكلام فايدة السادس نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزل القران على سبعة احرف فوجه
حلال ووجه حرام لا يسع احدا جهالتهما ووجه عربي تعرفه العرب ووجه تاويل تعلمه العلما ووجه
تاويل لا يعلمه الا الله فمن انتحل فيه علما فقد كذب وسيل مالك بن انس عن قوله تعالى الرحمن على العرش
استوى فقال الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والسوال عنه بدعة وعن عايشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة
وابتغا تاويله فقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الذين يسالون عما تشابه منه ويجادلون فيه فهم
الذين عنى الله سبحانه فاحذروهم ولا تجالسوهم والراسخون الرسوخ لغة الثبوت في الشي
يقال رسخ الايمان في قلب فلان فهو يرسخ رسخا ورسوخا وكذلك في كل شي قال الامام الراسخ في العلم
هو الذي عرف ذات الله وصفاته بالدليل اليقينية القاطعة وعرف ان القران كلام الله بالدلايل اليقينية
فاذا راى متشابها ودل الدليل القاطع على ان ظاهره ليس مراد الله علم حينيذ قطعا ان مراد الله شي اخر
دون ما دل عليه ظاهره وان ذلك المراد حق ثم حكى عنهم ايضا انهم يقولون كل من عند ربنا والمعنى ان كل
واحد من المحكم والمتشابه من عند ربنا ولما كان الايمان بالمتشابه يحتاج فيه الى مزيد التاكيد قال كل من عند
ربنا ثم قال وما يذكر الا اولوا الالباب وهذا ثنا من الله تعالى على الذين قالوا امنا ومعناه وما يتعظ بالقران
الا ذوو العقول الكاملة الخالصة عن نزغات الشيطان الصافية عن التوهمات الباطلة والظنون الفاسدة
وهذا الوصف دال على انهم يستعملون عقولهم في فهم القران فيعلمون ما الذي يطابق ظاهره دلايل
العقول فيكون محكما وما الذي يخالف ظاهره دلايل العقول فيكون متشابها ثم يعلمون ان الكل كلام من لا يجوز
في كلامه التناقض والباطل فيعلمون ان ذلك المتشابه لا بد وان يكون له معنى صحيح عند الله وهذه الاية
دالة على علو شان المتكلمين الذين يبحثون عن الدلايل العقلية ويتوسلون بها الى معرفة ذات الله وصفاته
وافعاله ولا يفسرون القران الا بما يطابق دلايل العقول ويوافق اللغة والاعراب واعلم ان كل ما كان
الشي اشرف كان ضده اخس فلما كان مفسر القران موصوفا بهذه الصفة وكانت درجته هذه الدرجة
العظمى عظم الله الثنا عليه فلذلك من تكلم في القران من غير ان يكون متبحرا في علم الاصول وفي علم اللغة
والنحو والمعاني والبيان كان في غاية البعد عن الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من فسر القران
برايه فليتبوا مقعده من النار قيل هذه المسالة اذا تاملت قرب الخلاف فيها من الاتفاق وذلك ان الله
تعالى قسم الكتاب قسمين محكما ومتشابها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه الى
نظر ولا يتعلق به شي ملتبس ويستوي في علمه الراسخ وغيره والمتشابه يتنوع منه ما لا يعلم البتة كامر
الروح وامر الساعة ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة فيتاول ويعلم تاويله المستقيم ويزال فيما عسى
ان يتعلق به من تاويل غير مستقيم كقوله في عيسى وروح منه الى غير ذلك ولا يسمى احد راسخا

الا ان يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له والآخر لا يعلم سوى المحكم فليس يسمى راسخا وقوله
تعالى وما يعلم تاويله الضمير عائد على جميع متشابهه وهو نوعان كما ذكرنا فقوله الا الله مقتضٍ ببديهة
العقل انه يعلمه على الكمال فان جعلنا قوله والراسخون عطفا على اسم الله فالمعنى ادخالهم في علم التاويل
لا على الكمال بل علمهم انما هو في النوع الثاني من المتشابه وبديهة العقل تقضي بهذا والكلام مستقيم على
فصاحة العرب كما تقول ما قام لنصرتي الا فلان وفلان واحدهما قد نصرك بان حارب معك والآخر
انما اعانك بكلام فقط والمعنى وما يعلم تاويل المتشابه الا الله والراسخون كل بقدره وما يصلح له والراسخون
يقولون آمنا بجميعه واذا تحصل لهم الذي لا يعلم ولا يتصور عليه تمييزه من غيره فذلك قدر من العلم
بتاويله وان جعلنا قوله والراسخون رفعا بالابتدا مقطوعا مما قبله فتسميتهم راسخين يقتضي بانهم لا يعلمون
اكثر من المحكم الذي يستوي في علمه من يفهم كلام العرب وفي اي شي رسوخهم اذا لم يعلموا الا ما يعلم الجميع
وما الرسوخ الا المعرفة بتصاريف الكلام وموارد الاحكام ومواقع المواعظ وذلك كله بقريحة
معد فالمعنى وما يعلم تاويله على الاستيفا الا الله والقوم الذين يعلمون منه ما يمكن ان يعلم يقولون
في جميعه آمنا به كل من عند ربنا وهذا القدر هو الذي تعاطى ابن عباس رضي الله عنهما وهو ترجمان
القرآن ولا يتاول عليه انه يتعاطى علم وقت الساعة وامر الروح وما شاكله فاعراب الراسخين يحتمل الوجهين
ولذلك قال ابن عباس بهما والمعنى فيهما متقارب بهذا النظر الذي ذكر فاما من يقول ان المتشابه انما هو
ما لا سبيل لاحد الى علمه فيستقيم على قوله اخراج الراسخين من علم تاويله لكن تخصيصه المتشابهات
بهذا النوع غير صحيح بل الصحيح في ذلك قول من قال المحكم ما لا يحتمل الا تاويلا واحدا والمتشابه ما احتمل
من التاويل اوجها وهذا هو متبع اهل الزيغ وعلى هذا ترتيب النظر الذي ذكر ومن قال من العلما
الحذاق بان الراسخين لا يعلمون تاويل المتشابه فانما ارادوا هذا النوع وخافوا ان يظن احد ان الله وصف
الراسخين بعلم التاويل على الكمال **قوله تعالى** ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة
انك انت الوهاب اي يقولون ربنا لا تزغ كما حكي عن الراسخين في العلم انهم يقولون آمنا به حكي عنهم انهم
يقولون ربنا لا تزغ كما حكي عن الراسخين في العلم وحذف يقولون لدلالة الاول عليه قال الامام في هذه
الايه اختلف كلام اهل السنه وظاهر ذلك ان القلب صالح لا يميل الى احد الجانبين الا عند حدوث داعيه
واراده احدثها الله تعالى فان كانت تلك الداعيه داعية الكفر فهي الخذلان والازاغه والصد والختم
والطبع والرين والقسوة والوقر والاكنان وغيرها من الالفاظ الوارده في القران وان كانت تلك الداعية
داعية الايمان فهي التوفيق والارشاد والهدايه والتسديد والتثبيت وغيرها من الالفاظ الوارده
في القران وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن والمراد
من هذين الاصبعين الداعيتان فكما ان الشي يكون بين اصبعي الانسان يتقلب كما يقلبه الانسان
بواسطة تينك الاصبعين فكذلك القلب بين تلك الداعيتين يتقلب كما تقلبه الحق تينك الداعيتين
ومن انصف ولم يتعسف وجد هذا المعنى كالشي المحسوس ولو جوز حدوث احدى الداعيتين
من غير محدث ومؤثر لزم نفي الصانع وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب
القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك ومعناه ما ذكر فلما آمن الراسخون بكل ما انزل الله
من المحكمات والمتشابهات تضرعوا اليه سبحانه في ان لا يجعل قلوبهم مائله عن الحق فهذا كلام
برهاني محقق ومما يؤكد ما ذكر ان الله تعالى مدح هولا المومنين بانهم لا يتبعون المتشابهات
بل يومنون بها على سبيل الاجمال وترك الخوض فيها فيبعد عنهم ان يتكلموا في مثل هذا الوقت
بالمتشابه فلا بد وان يتكلموا بهذا الدعا لاعتقادهم انها من المحكمات ثم انه تعالى حكى ذلك

عنهم

عنهم في معرض المدح لهم والثنا عليهم بسبب انهم قالوا ذلك وهذا يدل على ان هذه الايه من اقوى
المحكمات وهذا الكلام بين واما المعتزله فقد قالوا لما دلت الدلائل على ان الزيغ لا يجوز ان يكون بفعل
الله وجب صرف هذه الايه الى التاويل فاما دلائلهم فقد ذكرت في غير موضع واحد ومما احتجوا
في هذا الموضع خاصه قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهو صريح ان ابتدا الزيغ منهم واما تاويلاتهم
في هذه الايه فمن وجوه الاول وهو الذي قاله الجبائي واختاره القاضي ان المراد بقوله
لا تزغ قلوبنا لا تمنعها الالطاف التي معها يستمر قلبه على صفة الايمان وذلك انه تعالى لما منعهم
الطافه عند استحقاقهم منع ذلك جاز بان يقال ازاغهم ويدل على هذا قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
والثاني قال الاصم لا تبتلينا ببلوى تزيغ عندها قلوبنا وهو كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم والمعنى لا تكلفنا من العبادة ما لا نامن معه الزيغ والثالث
قال الكعبي لا تزغ قلوبنا لا تسمنا باسم الزائغ كما يقال فلان يكفر فلانا اذا سماه كافرا والرابع
قال الجبائي لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك بعد اذ هديتنا وهذا اقرب من الوجه الاول الا ان
حملنا على شي آخر وهو انه تعالى اذا علم انه مومن في الحال وعلم انه ان بقي الى السنة الثانية يكفر فقوله
لا تزغ قلوبنا محمول على ان يميته قبل ان يصير كافرا وذلك لان ابقاه حيا الى السنة الثانية يجري مجرى
ما اذا ازاغه الله عن طريق الجنة الخامس قال الاصم لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ
هديتنا وهذا اقرب من الوجه الاول الا ان يحمل على شي اخر وهو انه تعالى اذا علم انه مومن بنور العقل
السادس قال ابو مسلم الاصفهاني احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ والكل
ضعيف اما الاول فلان من مذهبهم ان كل ما صح في قدرة الله تعالى ان يفعل في حقهم لطفا وجب
عليه ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته ولصار جاهلا او محتاجا والشي الذي يكون كذلك فاي حاجة الى
الدعا في طلبه بل هذا القول يتم على قول بشر بن المعتمر واصحابه الذين لا يوجبون على الله جميع الالطاف
واما الثاني فلان التشديد في التكليف ان علم الله ان له اثرا في حمل المكلف على القبيح قبح من الله
وان علم انه لا اثر له اصلا في حمل المكلف على فعل القبيح كان وجوده كعدمه فيما يرجع الى كون
العبد مطيعا وعاصيا فلا فايده في الدعا واما الثالث فهو ان التسميه بالزيغ والكفر دائر مع فعل الزيغ
وجودا وعدما والكفر والزيغ باختيار العبد فلا فايده في قوله لا تسمنا باسم الزيغ والكافر واما
الرابع فهو انه لو كان علمه تعالى بانه يكفر في السنة الثانية يوجب عليه ان يميته لكان علمه بانه لا يومن
قط ويكفر طول عمره يوجب عليه ان لا يخلقه واما الخامس وهو حمله على ابقا العقل فهو ضعيف لان هذا
متعلق بما قال قبل هذه الايه فاما الذين في قلوبهم زيغ واما السادس فهو ان الحراسة من الشيطان
ومن شرور النفس ان كان مقدورا وجب فعله فلا فايده في الدعا فان قيل فعلى قولكم كيف الكلام
في تفسير قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اجيب بانه لا يبعد ان يقال ان الله تعالى ازاغهم ابتدا
فزاغوا فلما زاغوا ازاغ الله مرة اخرى سوى الاولى قوله بعد اذ هديتنا اي بعد ان جعلتنا مهتدين
وهذا ايضا صريح في ان حصول الهداية في القلب بخلق الله وقال وهب لنا من لدنك رحمة واعلم
ان تطهير القلب عما لا ينبغي مقدم على تنويره بما ينبغي فهولا المومنون سالوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم
مائله الى الاباطيل والعقايد الفاسدة ثم طلبوا ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة وجوارحهم واعضاهم
بزينة الطاعة قوله من لدنك رحمة اي رحمة عظيمة شاملة لجميع انواعها فاولها ان يحصل في القلب
نور الايمان والتوحيد والمعرفة وثانيها ان يحصل في الاعضا والجوارح نور الطاعة والعبودية
وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة ورابعها ان يحصل عند الموت

سهولة سكرات الموت وخامسها ان يحصل بعد الموت سهولة السوال وازالة ظلمة القبر وسادسها
ان يحصل في القيامة سهولة الحساب وغفران السيات وترجيح الحسنات وقوله من لدنك رحمة
يتناول جميع هذه الانواع فان رحمته وسعت كل شي ولما ثبت بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة
ان لا رحيم الا هو ولا كريم الا هو اكد ذلك بقوله من لدنك تنبيها للعقل والروح والقلب على ان
المطالب لا تحصل الا منه ولما كان هذا المطلوب في غاية العظمة بالنسبة الى العبد ذكرها على سبيل
التنكير كانه يقول اطلب رحمة تليق بك وذلك يوجب غاية العظمة قوله انك انت الوهاب كان العبد
يقول الهي هذا الذي طلبته منك في هذا الدعا عظيم بالنسبة الي حقير الى كمال كرمك وغاية
جودك ورحمتك فانت الوهاب الذي من هبتك حصلت حقايق الاشيا وذواتها ووجودها فكل ما
سواك من جودك واحسانك وكرمك يا دايم المعروف يا قديم لا تخيب رجانا ولا ترد دعانا واجعلنا
بفضلك اهلا لرحمتك يا اكرم الاكرمين **قوله تعالى** ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب
فيه ان الله لا يخلف الميعاد هذا الدعا من بقية كلام الراسخين في العلم فانهم لما سالوا من الله ان لا يزيغهم
بعد الاهتدا وطلبوا من لدنه رحمة قالوا ليس الغرض من هذا السوال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها
منقضية منقرضة انما الغرض الاعظم منه ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم يا الهنا انك جامع الناس للجزاء
في يوم لا ريب فيه ونعلم انك لا تخلف الميعاد والذين في قلوبهم زيغ يبقوا هناك في العذاب ابد الاباد ومن
وفقته للهداية ووهبت له رحمة بقي هناك في السعادة والكرامة جامع الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم
او لجزا يوم لقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل اللام بمعنى في اي في يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة وتم الكلام
عند قوله عز وجل لا ريب فيه فانصرف عن الخطاب الى الغيبة فقال ان الله لا يخلف الميعاد وكلام الله لما
قال المومنون انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه صدقهم الله في ذلك وايد كلامهم بقوله ان الله لا يخلف
الميعاد وكلام الله لما قال المومنون انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه صدقهم الله في ذلك وايد
كلامهم بقوله ان الله لا يخلف الميعاد ومن الناس من قال لا يبعد ورود هذا على طريقة الالتفات
من الخطاب الى الغيبة ومثله في كتاب الله كثير قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
قيل لم قالوا في هذه الاية ان الله لا يخلف الميعاد وقالوا في اخر السورة انك لا تخلف الميعاد اجيب
بان هذه الاية في بيان الحشر والنشر لنصف المظلومين من الظالمين فهو مقام الهيبة فكان ذكره باسمه
الاعظم ابلغ وقوله في اخر السورة لطلب العبد من ربه ان ينعم عليه بفضله وان يتجاوز عن سياته
فلم يكن مقام الهيبة فلهذا قال انك لا تخلف الميعاد اجيب بان هذه الاية في بيان الحشر والنشر لنصف
المظلومين من الظالمين فهو مقام الهيبة فكان ذكره باسمه الاعظم ابلغ وقوله في اخر السورة لطلب
العبد من ربه ان ينعم عليه بفضله وان يتجاوز عن سياته فلم يكن مقام الهيبة فلهذا قال انك
لا تخلف الميعاد واحتج الجبائي بهذه الاية على القطع بوعيد الفساق فان الوعيد داخل
تحت لفظ الوعد بدليل قوله تعالى وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
والوعد والموعد والميعاد واحد فقد اخبر في هذه الاية انه لا يخلف الميعاد فكان هذا
دليلا على انه لا يخلف في الوعيد اجيب بانا لا نسلم انه تعالى توعد الفساق مطلقا بل ذلك
الوعيد عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما انه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة فكما الزم اسم
ذلك الشرط بدليل منفصل فكذا نحن اثبتنا شرط عدم العفو بدليل منفصل سلمنا انه توعدهم ولكن
لا نسلم ان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد قوله بدليل قوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك كقوله فبشرهم بعذاب اليم وقوله ذق انك انت العزيز

الكريم

الكريم والاولى ان يقال الميعاد في هذه الاية غير متناول للوعيد لان المقام مقام البشارة
للراسخين وسوالهم الرحمة العظيمة من لدنه فلا يناسب ذكر الوعيد قيل لم لا يجوز ان يكون ذلك
كقوله فبشرهم بعذاب اليم وقوله ذق انك انت العزيز الكريم والاولى ان يقال الميعاد في هذه
الاية غير متناول للوعيد لان المقام مقام البشارة للراسخين وسوالهم الرحمة العظيمة من لدنه فلا
يناسب ذكر الوعيد قيل لم لا يجوز ان يكون ذلك بحمل هذا على ميعاد الاوليا دون وعيد الاعدا
لان خلف الوعيد كرم عند العرب والدليل عليه انهم يمدحون بذلك قال الشاعر اذا وعد السرا انجز وعده
وان وعد الضرا فالعفو مانعه روي ان المناظرة دارت بين ابي عمرو بن العلا وبين عمرو بن عبيد
فقال ابو عمرو بن العلا انك رجل اعجم لا اقول انك اعجم اللسان ولكن اعجم القلب ان العرب تعد الرجوع
عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد فاني وان اوعدته او وعدته لمكذب ايعادي ومنجز موعدي
قيل لما قال ابو عمرو بن العلا هذا المقال قال ابن عمرو بن عبيد يا ابا عمرو فهل يسمي الله مكذب
نفسه فقال لا فقال بن عبيد فقد سقطت حجتك فانقطع ابو عمرو بن العلا ولقايل ان يقول
ان لعمرو بن العلا ان يقول انك قست الوعيد على الوعد وانما انا ذكرت هذا البيان الفرق بين
البابين وذلك لان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط
حق غيره فذلك هو اللوم فظهر الفرق بين الوعد والوعيد حتى بطل قياسك وانما ذكرت هذا الشعر
لايضاح هذا الفرق فاما قولك لو لم يفعل لكان كاذبا ومكذبا نفسه فجوابه ان هذا انما
يلزم لو كان الوعيد ثابتا جزما من غير شرط والحق ان جميع الوعيدات مشروطة بعدم العفو فلما
لم يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله **قوله تعالى** ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيا واوليك هم وقود النار كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا
باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب لما حكى الله تعالى عن المومنين دعاهم وتضرعهم
حكى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم قيل ان الذين كفروا هم وفد نجران فان ابا حارثة بن علقمة
قال لاخيه اني اعلم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني
من المال فالله تعالى بين ان اموالهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والاخرة وقيل هم قريظة
والنضير والظاهر ان المراد من كفر برسول الله وخصوص السبب لا يمنع العموم لن تغني لن تدفع اموالهم
ولا اولادهم من الله شيا قيل من عذاب الله وقيل عند الله شيا من بمعنى عند قال صاحب الكشاف
من في قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله
او من طاعته شيا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد
اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك ومعناه لا ينفعه
منك ذا الغنا غناه وانما ينفعه الايمان من الطاعة وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى والداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه يقال داب ادابا دابا
اجتهدت في الشي وتعبت والداب الامر والشان والعادة وقيل الداب الدوام قال صاحب
الكشاف وضع الداب موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل
تقديره داب هولا الكفرة كداب من قبلهم من ال فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف
بلن تغني اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن ال فرعون او بالوقود اي توقد بهم النار كما توقد بهم
تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف
كداب ابيه تريد كما حورف ابوه قوله والذين من قبلهم من مكذبي الرسل قوله كذبوا باياتنا تفسير

لانهم ما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سوال مقدر عن حالهم اى حالهم انهم كذبوا باياتنا اى بالمعجزات
ومتى كذبوا بالمعجزات فقد كذبوا بالرسل قوله فاخذهم الله بذنوبهم وانما استعمل فيه الاخذ
لانهم بين يدى العقاب كالماخوذ الاسير الذى لا يقدر على التخلص قال القفال يحتمل ان تكون
الاية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى والعادة المضافة الى الكفار فكانه قيل ان عادة
هولاء الكفار كعادتنا فى اهلاك اولئك الكفار المتقدمين والمقصود على جميع التقادير
نصر النبى والمسلمين على ايذا الكفار وبشارتهم بان الله ينتقم منهم **قوله تعالى** قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قرا حمزة والكسائى سيغلبون ويحشرون
بالياء فيهما والباقون بالتاء المنقوطة من فوق فيهما والمعنى على الاول بلغهم انهم سيغلبون وعلى
الثانى اخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم قيل لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريشا يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال يا معشر اليهود اسلموا قبل ان يصيبكم
مثل ما اصاب قريشا يوم بدر وقدم المدينة فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك ان قتلت نفرا من قريش
لا يعرفون القتال لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله هذه وقيل ان يهود اهل المدينة
لما شاهدوا وقعة اهل بدر قالوا والله ان هذا هو النبى الامى الذى بشرنا به موسى فى التورية
نعته وانه لا يرد له راية ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا فلما كان يوم احد ونكب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
شكوا وقالوا والله ما هو به فغلب عليهم الشقا فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة
لم ينقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى اهل مكة ابى سفيان
واصحابه فوافقوهم واجمعوا امرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكونن كلمتهم واحدة ثم رجعوا
الى المدينة وانزل الله عز وجل فيهم هذه الاية ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى بين فى
الاية المتقدمة انه كما نزل بالقوم العذاب المعجل ثم يصيرون الى دوام العذاب فيُنزل بمن كذب
بمحمد صلى الله عليه وسلم امران احدهما المعجل وهو القتل والسبى والاذلال ثم يكون بعده المصير الى العذاب
الاليم قوله ستغلبون اخبار عن امر حصل فى المستقبل وقد وقع مخبره على وفقه فكان اخبارا
عن الغيب وقد دلت الاية على حصول البعث فى القيامة وحصول الحشر والنشر وان مرد الكافرين
الى النار والمهاد الموضع الذى يمهد فيه وينام عليه فلما ذكر ان مصير الكافرين الى جهنم اخبر
عنه بالشر لان بئس ماخوذ من البأس والبأساء وهو الشر والشدة **قوله تعالى** قد كان لكم
اية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين والله يويد
بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار لم يقل كانت والاية مونثة لانه ردها الى البيان
اى وقد كان لكم بيان وذهب الى المعنى وترك اللفظ ومعنى الاية قد كان لكم اية اى عبرة ودلالة
على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون فى فئتين فرقتين وجماعتين واصلها فى الحرب لان بعضهم
يفئ الى بعض التقتا يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ثلثماية وثلاثة عشر رجلا على عدة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وما جاز
معه الا مومن سبعة وسبعون من المهاجرين ومايتان وستة وثلاثون من الانصار وكان صاحب
راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين على بن ابى طالب رضى الله عنه وصاحب
راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الابل فى جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعين
بعيرا والخيل فرسين فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد ابن ابى مرثد وكان معهم من السلاح
ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد من المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلا من المهاجرين

ستة ومن الانصار ثمانية قوله واخرى اى وفرقة اخرى كافرة وهم مشركوا مكة ورأسهم عتبة بن ربيعة
بن عبد شمس وكانوا تسعماية وخمسين رجلا مقاتلا وكانت خيلهم ماية فرس وكان حرب بدر اول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سبب ذلك عير ابى سفيان قوله يرونهم قرا نافع بالتاء المنقوطة
من فوق والباقون بالياء والاية يحتمل ان يخاطب بها المومنون وان يخاطب بها جميع الكفار وان يخاطب
بها يهود المدينة وان خاطبه بها مشركوا قريش وبكل احتمال منها قال قوم وفائدة الخطاب للمومنين تثبيت نفوسهم
وتشجيعهم لانه لما قال للكفار وما امر به احتمل ان يستبعده المنافقون وبعض ضعفة المومنين كما قال قائل يوم
الخندق يعدنا محمد اموال كسرى وقيصر ونحن لا نامن على انفسنا فنزلت الاية مقوية لنفوس المومنين فمن قرا
ترونهم بالتاء من فوق فهى مخاطبة لجميع المومنين اذ قد راى ذلك الجمهور وضمير المفعول فى ترونهم لجميع المشركين
وفى مثليهم لجميع المومنين ومن قرا بالياء من تحت فالمعنى يرى المومنون جمع الكفار مثلى جميع المومنين ومن
راى ان الخطاب لجميع الكفار او راى الخطاب لليهود فالاية عنده داخلة فيما امر محمد صلى الله عليه وسلم
ان يقول لهم احتجاجا عليهم وتبيينا لصورة الوعيد المتقدم فى انهم سيغلبون فمن قرا يرونهم بالياء من
تحت فالمعنى يرى الجمع من المومنين جمع الكفار مثلى جمع المومنين ومن قرا بالتاء من فوق فالمعنى لو
حضرتم او ان كنتم حضرتم وساعدت هذه العبارة لوضوح الامر فى نفسه ووقوع اليقين لكل انسان
فى ذلك العصر والروية فى هذه الاية روية عين ولذلك تعدت الى مفعول واحد ومثليهم نصب
على الحال من مفعول يرونهم والاكثر على انه يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين على ما قرر عليه الامر من مقاومة
الواحد الاثنين فى قوله تعالى ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مايتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة
فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة
الاضعاف وكان الكافرون ثلثة امثالهم قال صاحب الكشاف قراءة نافع لا تساعد عليه اذ لا يستقيم ان يكون
المعنى ترون ايها المسلمون المشركين مثليهم لان المقدر مثلى المسلمين وقيل يرونهم مثليهم اى يرى المشركون
المسلمين مثلى عدد المشركين قريبا من الضعف او مثلى عدد المسلمين ستماية ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع
قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة
نافع ترونهم بالتاء اى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة او مثلى انفسهم قال صاحب الكشاف فهذا
مناقض لقوله فى سورة الانفال ويقللكم فى اعينهم قلت قللوا اولا فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم
كثروا فى اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال
قوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى
فى اعينهم ابلغ فى القدرة واظهار الاية قوله راى العين يعنى روية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة
كسائر المعاينات تقال رايت الشى رايا وروية ورويا بثلاث مصادر الا ان الرويا اكثر ما يستعمل فى المنام
والله يويد يقوى بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم فى عين العدو ان فى ذلك الذى ذكرت لعبرة
تعبر بها من منزلة الجهل الى منزلة العلم من العبور من احد الجانبين الى الاخر ومنه العبارة وهى الكلام الذى
تعبر بالمعنى الى المخاطب وعبارة الرويا من ذلك قوله لاولى الابصار لذى العقول وقيل لمن ابصر الجمعين
قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب قيل فى
كيفية النظم ان ابا حارثة ابن علقمة النصرانى اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله
الا انه لا يقر بذلك خوفا من ان ياخذ منه ملوك الروم المال والجاه وانه عليه الصلوة والسلام دعا اليهود
الى الاسلام بعد غزوة بدر فاظهروا من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالمال والسلاح فبين الله تعالى

فان قلت ؟

في هذه الايه ان هذه الاشيا وغيرها من متاع الدنيا زايله باطله وان الاخره خير وابقى وقيل انه تعالى لما قال
في الايه المتقدمه والله يويد بنصره من يشا ان في ذلك لعبره لاولي الابصار ذكر بعد هذه الايه وهو كالشرح
والبيان لتلك العبره وذلك انه تعالى بين انه زين للناس هذه الشهوات الجسمانيه واللذات الدنيويه ثم بين
انها فانيه منقضيه تذهب لذاتها وتبقى تبعاتها ثم انه تعالى حث على الرغبه في الاخره فقال قل اونبيكم بخير من
ذلكم ثم بين ان جنات تجري من تحتها الانهار في الاخره معده لمن واظب على العبوديه من الصابرين والصادقين
الى اخر الايه قوله زين المزين هو الله اما عندنا فلان الله تعالى خالق جميع الافعال واما عند المعتزله
فللابتلا لقوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينه لها لنبلوهم وعن الحسن الشيطان وكان يحلف بالله على ذلك
ويقول والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها وقيل كل ما كان من هذا الباب حراما كان التزيين
فيه من الشيطان وكل ما كان من هذا الباب واجبا ومندوبا ومباحا كان التزيين فيه من الله والشهوات
جمع الشهوه وهي توقان النفس الى الشي ميلا اليه حرك الها في الجمع لكونه فرقا بين جمع الاسم وجمع
النعت لان النعت لا يحرك نحو ضخمه وضخمات وعبله وعبلات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغه
في كونها مشتهاه محروصا على الاستمتاع بها والوجه انه قصد تخسيس هذه الاعيان فسماها شهوات
لان الشهوه مسترذله عند الحكما مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيميه وقال زين للناس
حب الشهوات ثم جا بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير
ثم يفسره بهذه الاعيان فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح
طلبها على طلب ما عند الله والحب غير الشهوه لان المضاف غير المضاف اليه قيل الانسان قد
يحب شيا ولكنه يحب ان لا يحبه مثل المسلم فانه يميل طبعه الى المحرمات لكنه يحب ان لا يحبه اما
من احب شيا واحب ان يحبه فذلك كمال المحبه فان كان ذلك في جانب الخير فهو كمال السعاده
وكما في قوله تعالى حكايه عن سليمان اني احببت حب الخير معناه احب الخير واحب ان
اكون محبا للخير وان كان ذلك في جانب الشر فهو كمال الشقاوه كما في هذه الايه فان قوله
زين للناس حب الشهوات يدل على امور ثلثه اولها انه يشتهي انواع المشتهيات
وثانيها انه يحب شهوتها وثالثها انه يعتقد ان تلك المحبه حسنه وفضيله ولما
اجتمعت في هذه القضيه الدرجات الثلث بلغت الغايه القصوى في الشده والقوه ولا يكاد ينحل
الا بتوفيق عظيم من الله ثم انه تعالى اضاف ذلك الى الناس ولفظ الناس عام لانه دخله حرف
التعريف فيفيد الاستغراق فظاهر اللفظ يقتضي ان يكون هذا المعنى حاصلا لجميع الناس
واعلم ان لله تعالى في تزيين حب الشهوات للناس حكمه بالغه لان صلاح حال الناس في الدنيا
وحسن انتظام معاشهم لا يتيسر الا بهذه المشتهيات فلولا هذا الحب لاختل النظام وفسد
المعاش فهذه المحبه كانت جبليه ولهذا كان الحب حاصلا لجميع الناس قوله من النسا والبنين
كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فكان المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان
فكذا ايضا معنى هذه الايه زين للناس حب الشهوات التي هي المشتهيات السبع اي النسا والبنين
وغيرها قدم النسا من المشتهيات السبع لان حبهن اشد فان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس
بهن اتم شاهد قوله تعالى خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم موده ورحمه
ومما يوكد ذلك ان العشق الشديد المقلق المهلك قلما يتفق في غير هذا النوع من الشهوه الثاني
الولد وخص البنين لان حب البنين اكثر واشد من حب البنات شاهد قوله تعالى واذا بشر
احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سو ما بشر به ولما كان احتياج

صلاح

صلاح المعاش الى الذكور اشد جعل الله حبهم اشد الثالث والرابع القناطير من الذهب
والفضه القناطير جمع القنطار وهو المال الكثير الذي يوثق الانسان به في النوايب
وقيل المال العظيم وحكي عن ابي عبيده ان العرب تقول وزن لا يحد وقال الفقها هو محدود
ثم اختلفوا فيه عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال القنطار اثنا عشر الف اوقيه
وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال القنطار الف دينار وعن معاذ بن جبل القنطار الف
ومايتا اوقيه وهو قول ابن عمر وروي عن ابي بن كعب وعن الضحاك القنطار الف ومايتا مثقال وقيل
الف دينار وقيل الف ومايه من ومايه رطل ومايه مثقال ومايه درهم وقيل مايه رطل وقيل
القنطار ما بين السما والارض من مال وقيل ملء مسك ثور ذهبا او فضه وقيل ثمانون الفا وقيل
القنطار سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل القنطار ديه احدكم وقيل القنطار بلسان
افريقيه والاندلس ثمانيه الف مثقال من ذهب وقيل اربعه الف مثقال وعن سعيد بن جبير
مايه الف دينار ولقد جا الاسلام يوم جا وبمكه رجال قد قنطروا قال الثعلبي رايت في بعض الكتب
ان القنطار العقار والعقار واصله من الاحكام يقول العرب قنطرت الشي اذا احكمته ومنه
سميت القنطره والمقنطره المحكمه وقيل الكثيره المنضده بعضها فوق بعض وقيل المدفونه وقيل المضروبه
المنقوشه حتى صارت دراهم ودنانير وقيل المضعفه كان القناطير ثلثه والمقنطره سته وقيل هي
مفعاله مبنيه من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مولفه وبدره مبدره والذهب والفضه محبوبان
لانهما جعلا ثمن جميع الاشيا فمالكهما يتوسل بهما الى تحصيل المشتهيات المحبوبه والوسيله الى المحبوب
محبوب وقدم الذهب على الفضه لانه احب منها الخامس الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم
والنسا والرهط وقيل جمع خايل سمي به الفرس لانه يختال في مشيته فهو كطاير وطير واختلفوا
في معنى المسومه فقيل هي المرعيه يقال سامت الخيل تسوم سوما فهي سايمه واسمتها انا اسامه
فهي مسامه وسومتها تسويما فهي مسومه ومنه قوله تعالى وفيه تسيمون وقيل المطهمه الحسان
والمطهمه في الاصل المراه المليحه وقيل المصوره حسنا وتسويمها حسنها وقيل المعلمه من السومه
وهي العلامه يقال سومت الخيل تسويما اذا اعلمتها وقيل المسومه المعده للحرب والجهاد وقيل
المعلمه من السومه وهي العلامه يقال سومت الخيل تسويما اذا اعلمتها وقيل البهاليل عن
انس قال لم يكن شي احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النسا من الخيل وعن ابي هريره
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير السادس الانعام جمع النعم
وهي الابل والبقر والغنم وهي الازواج الثمانيه المذكوره في الانعام السابع الحرث
الزرع ثم انه تعالى لما عدد هذه السبعه قال ذلك متاع الحيوه الدنيا لا لعاد المعاد
والعقبى والاستمتاع بمتاع الدنيا اما ان ينتفع به على وجه يتوصل به الى مصالح الاخره
فهو ممدوح واما ان ينتفع به في وجه مباح من غير ان يتوصل بذلك الى الاخره فلم يتعلق بذلك
لا مدح ولا ذم واما ان ينتفع به في وجه محرم فهو مذموم ثم قال والله عنده
حسن الماب والماب المرجع من اب يوب اوبا اشار بذلك الى من اتاه الله تعالى هذه
المشتهيات ينبغي ان يجعلها وسيله الى سعاده اخرويه وما فيه رضى الله تعالى فان الله عنده
حسن الماب وخص حسن الماب بانه عند الله لان حسن الماب هو الجنه والقرب من الله
وهو مقصود بالذات واما النار فهو مقصود بالعرض لانه سبحانه خلق الجنه للرحمه لا للعذاب
كما قال سبقت رحمتي غضبي **قوله تعالى** قل اونبيكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم

جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد لما قال
تعالى والله عنده حسن الماب بين فى هذه الايه ان ذلك الماب كما هو حسن فى نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا
فقال قل اونبيكم وقيل لما عدد نعم الدنيا بين ان منافع الاخرة خير منها وقيل كانه تعالى نبه على ان امرك فى
الدنيا وان كان حسنا منتظما الا ان امرك فى الاخرة خير وافضل والمقصود منه ان يعلم العبد انه كما ان الدنيا اطيب
واوسع وافسح من بطن الام فكذلك الاخرة اطيب واوسع وافسح من الدنيا فان نعم الدنيا مشوبة بالمضرة زائلة
وثواب الاخرة صاف عن الكدر والمضرة باقية فيكون نعم الاخرة خيرا من متاع الدنيا قل يا محمد للمومنين او للمشركين
او لليهود اونبيكم اخبركم بخير من ذلكم الذى ذكر قال ابو البقا من ذلكم فى موضع نصب بخير اى بما تفضل ذلك
ولا يجوز ان يكون صفة لخير لانه على تقدير ان يكون صفة يوجب ان يكون الجنة وما فيها مما رغبوا
فيه بعضا لما زهدوا فيه من الاموال ونحوها والاستفهام قد تم عند قوله من ذلكم وقوله للذين اتقوا
عند ربهم جنات كلام مستانف للذين اتقوا خبر مبتدا مقدم على المبتدا او هو جنات وفيه دلالة
على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندى رجل من صفته كذا وكذا وقيل
تم الاستفهام عند قوله عند ربهم ثم بين ثوابها فقال جنات اى هو جنات واللام فى قوله للذين يتعلق
بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وقوله عند ربهم اشارة الى ان ما هو خير من ذلكم لا يحصل الا لمن كان
متقيا عند الله تعالى فيخرج منه المنافق ويدخل فيه من كان مومنا فى علم الله قوله من تحتها يعنى من تحت
اشجارها وقوله خالدين نصب على الحال وقوله جنات تجرى من تحتها الانهار ودخل فيه جميع النعم
الموجودة فيها من المطعم والمشرب والملبس والمفرش والمنظر وبالجملة الجنة مشتملة على جميع المطالب كما قال فيها ما
تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم قال تعالى وازواج مطهرة عطف على قوله جنات والنعمة وان عظمت لا
تتكامل الا بالازواج التى لا تحصل الانس الا بهن ثم وصف الازواج بصفة واحدة جامعة لكل مطلوب
وهى قوله مطهرة اى مطهرة من الحيض والنفاس وسائر الاحوال التى تظهر عن النساء فى الدنيا مما ينفر
عنه الطبع ويدخل فيه كونهن مطهرات من سوء العشرة ثم قال ورضوان من الله اكثر القراء العامة بكسر الرا وروى
ابو بكر عن عاصم بضم الرا فى جميع القران وهى لغة قيس وهما لغتان كالعدوان والعدوان
والطغيان والطغيان قال الامام قال المتكلمون الثواب له ركنان احدهما المنفعة وهى
التى ذكرناها والثانى التعظيم وهو المراد بالرضوان وذلك لان معرفة اهل الجنة مع هذا النعيم
المقيم بانه تعالى راض عنهم حامد لهم مثن عليهم هى ازيد فى ايجاب السرور من تلك المنافع وقال
اهل التحقيق الجنات بما فيها اشارة الى الجنة الجسمانية والرضوان اشارة الى الجنة الروحانية واعلى
المقامات انما هو الجنات الروحانية وهى عبارة عن تجلى نور جلال الله فى روح العبد واستغراق العبد فى
معرفته ثم يصير صاحب هذه المقامات راضيا عنه واليه الاشارة بقوله راضية مرضية ونظير هذه
الايه قوله تعالى وعد الله المومنين والمومنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم عن النبى صلى الله عليه وسلم ان
اهل الجنة اذا استقروا فيها وحصل لكل واحد منهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر قال الله تعالى لهم اتزيدون ان اعطيكم ما هو افضل من هذا قالوا يا ربنا واى شى افضل
من هذا فيقول الله تعالى احل لكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا والله بصير بالعباد اى عالم
بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختاره لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه
من امور الدنيا وقيل بصير بالعباد يثيب ويعاقب لمن يشا وقيل بصير بالذين اتقوا وباحوالهم
فلذلك اعد لهم الجنات قوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا

وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالاسحار الذين يقولون نصب
على المدح اعنى الذين او رفع هم الذين يقولون ويجوز الجر صفة للمتقين او العباد انه تعالى حكى
عنهم انهم قالوا ربنا امنا ثم انهم قالوا بعد ذلك فاغفر لنا ذنوبنا وذلك يدل على انهم توسلوا بمجرد
الايمان الى طلب المغفرة والله تعالى حكى عنهم فى معرض المدح والثنا عليهم فدل هذا على ان العبد
بمجرد الايمان يستحق الرحمة والمغفرة من الله فان قيل الايمان عبارة عن جملة الطاعات اجيب
بانا بينا بالدلايل ان الايمان عبارة عن التصديق المذكور فى تفسير قوله يومنون بالغيب
وايضا فمن اطاع الله فى جميع الامور وتاب عن جميع الذنوب كان ادخاله فى النار قبيحا من الله عند
المعتزلة والقبيح هو الذى يلزم من فعله اما الجهل واما الحاجة وهما محالان وملزوم المحال
محال فادخال الله تعالى اياهم فى النار محال وما كان محال الوقوع عقلا كان الدعاء والتضرع فى ان
لا يفعله الله عبثا وقبيحا فان قيل انه تعالى اعتبر الطاعات فى حصول المغفرة حيث اتبع هذه الايه بقوله
الصابرين والصادقين اجيب بان هذه الايه توكد ما ذكر لانه تعالى جعل مجرد الايمان وسيلة الى طلب
المغفرة ثم ذكر بعدها صفة المطيعين وهو كونهم صابرين صادقين ولو كانت هذه الصفات شرايط
لحصول المغفرة لكان ذكرها قبل طلب المغفرة اولى فلما رتب طلب المغفرة على مجرد الايمان ثم ذكر بعد ذلك
هذه الصفات علمنا ان هذه الصفات غير معتبرة فى حصول المغفرة والرحمة قوله الصابرين يجوز
نصبه على المدح تقديره اعنى الصابرين والجر على النعت والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة
على كمالهم على كل واحدة منها على معنى ان كل من كان معه واحد من هذه الخصال داخل تحت المدح العظيم
مستوجب هذا الثواب الجزيل فالمراد انهم صابرون فى اداء الواجبات والمندوبات وفى الاجتناب
عن المحرمات قال سفيان ابن عيينة فى قوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا ان هذه الايه
يدل على انهم انما استحقوا تلك الدرجات العالية من الله بسبب الصبر وروى انه وقف رجل على
الشبلى فقال اى صبر اشد على الصابرين فقال الصبر فى الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال
الصبر مع الله فقال لا قال فاى شى قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه تتلف قوله
والصادقين فى اقوالهم بالاجتناب عن الكذب وفى افعالهم بترك الانصراف عنه ما قبل تمامها
وفى نياتهم بالاخلاص والعزم على العبادة لله وحده من غير مشاركة الغير قال قتادة هم قوم صدقت
نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم فصدقوا فى السر والعلانية والقانتين المطيعين المصلين المواظبين
على الطاعة والمنفقين اموالهم فى طاعة الله فيدخل فيه الانفاق على نفسه واهله واقاربه وصلة
رحمه والانفاق فى الزكوة والجهاد والاطلاق يفيد كل ذلك عن ابى هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله عز وجل ملكا ينادى اللهم اعط ممسكا تلفا واعط منفقا خلفا والمستغفرين
بالاسحار والسحر الوقت الذى قبل طلوع الفجر وتسحر اذا اكل فى ذلك الوقت قيل المصلين
بالاسحار المستغفرين بعده بالدعا لان الانسان لا يشتغل بالدعا والاستغفار الا بعد الصلوة وخص
الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه عن زيد ابن اسلم هم الذين يشهدون الصبح يعنى صلوة الصبح فى جماعة وعن الحسن
مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وعن نافع كان ابن عمر يحيى الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فيقول
لا فيعاودوا الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن حاطب قال سمعت رجلا
فى السحر فى ناحية فى المسجد وهو يقول رب امرتنى فاطعتك وهذا سحر فاغفر لى فنظرت
فاذا هو ابن مسعود وعن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

ان لله اصوات يحبهم الله صوت الديك وصوت الذي يقرا القران وصوت المستغفرين بالاسحار روي ان داود عليه الصلوة والسلام سال جبريل اي الليل افضل فقال ما ادري الا ان العرش يهتز من السحر وعن سفيان الثوري ان لله ريحا يقال لها الصبحيه تهب وقت الاسحار تحمل الاذكار والاستغفار الى الملك الجبار وعنه انه قال وبلغنا انه اذا كان من اول الليل نادى مناد الا ليقم العابدون فيقومون كذلك يصلون الى السحر فاذا كان السحر نادى مناد اين المستغفرون فيستغفرون اوليك ويقوم اخرون يصلون فيلحقون بهم فاذا طلع الفجر نادى مناد الا ليقم الغافلون فيقومون من فرشهم كالموتى نشروا من قبورهم وقال لقمان لابنه يا بني لا يكونن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وانت نايم قال الامام ان لله على عباده انواعا من التكاليف فالصابر من يصبر على ادا جميع انواعها ثم ان العبد قد يلتزم من عند نفسه انواعا اخر من الطاعات اما بسبب النذر او بسبب الشروع فيه وكمال هذه المرتبه انه اذا التزم طاعه ان يصدق نفسه في التزامه وذلك بان ياتي بذلك الملتزم من غير خلل البته ولما كانت هذه المرتبه انه اذا التزم طاعه ان يصدق نفسه في التزامه وذلك متاخر عن الاول ذكر سبحانه الصابرين اولا ثم الصادقين ثانيا ثم انه تعالى ندب الى المواظبه على هذين النوعين من الطاعه فقال والقانتين فهذه الالفاظ الثلثه للترغيب في المواظبه على جميع انواع الطاعات ثم ذكر بعد ذلك الطاعات المعينه وكان اعظم الطاعات قدرا امرين احدهما الانفاق الذي هو شفقه على خلق الله والثاني التعظيم لامر الله الذي هو الاستغفار بالاسحار وقدم ذكر المنفقين على ذكر المستغفرين لان هذه الايه في بيان تصاعد العبد من الادنى الى الاعلى وفي قوله التعظيم لامر الله والشفقه على خلق الله قدم الاعلى على الادنى لانه في بيان نزول العبد من الاعلى الى الادنى قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكه واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم لما مدح الله المومنين واثنى عليهم بقوله الذين يقولون الى قوله والمستغفرين بالاسحار اردفه بدلايل ظاهره تدل على فضلهم وكمالهم فقال شهد الله واعلم ان كل ما يتوقف العلم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم على العلم به لا يمكن اثباته بالدلايل السمعيه وما لا يكون كذلك فيمكن اثباته بالدلايل السمعيه قال الاصحاب العلم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بالوحدانيه فيجوز اثبات ان لا اله الا الله بالدلايل السمعيه القرانيه اصل الشهاده الحضور ومنه قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه ثم نقل الى الاخبار عما تقرر علمه عند المخبر او بان يجعل الشهاده عباره عن الاظهار والبيان والاخبار والاظهار حاصل في حق الله وفي حق الملايكه وفي حق اولي العلم وقيل شهادة الله على انه لا اله الا هو عباره عن انه خلق الدلايل الداله على توحيده وشهادة الملايكه واولي العلم عباره عن اقرارهم بذلك شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصه التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من اياته الناطقه بالتوحيد كسورة الاخلاص واية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملايكه واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه فيكون قوله شهد الله استعاره تبعيه مصرحه بها حقيقيه وقطعيه واعلم ان الشاهد الحقيقي هو الذي خلق الاشيا وجعلها دلايل على توحيده ولولا تلك الدلايل التي نصبها الله وهدى اليها لعجزوا عن التوصل الى معرفة الوحدانيه فالله تعالى وفقهم حتى ارشدوا الى معرفة التوحيد واذا كان الامر كذلك كان الشاهد على الوحدانيه ليس الا الله وحده ولهذا قال قل اي شي اكبر شهادة قل الله

قال الكلبي قدم حبران من احبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينه قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينه بصفة مدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفه والنعت فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا احمد قالا فانا نسالك عن شي ان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك فقال سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهاده في كتاب الله قال شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان قال ابن كيسان شهد الله بتدبيره العجيب وصنعه المتقن واموره المحكمه عند خلقه انه لا اله الا هو وهذا كما يقول القايل وفي كل شي له ايه تدل على انه واحد ولله في كل تسكينه وتحريكه ابدا شاهد وقيل لبعض الاعراب ما الدليل على ان للعالم صانعا فقال البعره تدل على البعير واثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافه ومركز سفلي بهذه الكثافه اما يدلان على الصانع الخبير قوله واولوا العلم قيل هم الانبيا عليهم السلام وقيل هم المهاجرون والانصار وقيل مومنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه نظيره قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم الايه قوله بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقوله ومن عنده علم الكتاب وقيل علما المومنين كلهم فقرن الله شهادة العلما بشهادته لان العلم صفة الله العليا ونعمته العظمى والعلما اعلام الاسلام والسابقون الى دار السلام وسرج الامكنه وحجج الازمنه عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعه من عالم يتكي على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما وعن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله خشيه ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقه وتذكره لاهله قربه لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنه والنار هو الانيس في الوحشه والصاحب في الغربه والمحدث في الخلوه والدليل على السرا والضرا والسلاح على الاعدا يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قاده يقتدى بهم وتقتص اثارهم وترمق اعمالهم ويقتدى بافعالهم وينتهى الى رايهم وترغب الملايكه في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى الحيتان في البحر وهوامها وسباع الارض وانعامها والسما ونجومها الا وان العلم حيوة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الابرار ومجالس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام هو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعدا ويحرمه الاشقيا قال الامام اولوا العلم هم الذين عرفوا وحدانية الله بالدلايل القاطعه لان الشهاده انما تكون مقبوله اذا كان الاخبار مقرونا بالعلم ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد وهذا يدل على ان هذه الدرجه العاليه والمرتبه الشريفه ليس الا للعلما بالاصول قال صاحب الكشاف فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم الله هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملايكه في الشهاده على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعه والبراهين القاطعه وهم علما العدل والتوحيد وسنبين ان علما العدل والتوحيد علما اهل السنه والجماعه قوله قايما بالقسط اي بالعدل قال اهل المعاني معناه مدبر رازق مجاز بالاعمال كما يقال فلان قايم بامر فلان اي مدبر له ومتعهد لاسبابه وقايم بحق فلان اي مجاز له قال صاحب الكشاف معناه مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السويه فيما بينهم وانتصابه على انه حال موكده كقوله

وهو الحق مصدقا وجاز افراد المعطوف عليه دون المعطوفين بالحال لعدم الالباس
كما جاز في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب
ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز للالباس
وقيل هو حال عن هو في قوله لا اله الا هو لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة
التي تكون الحال زيادة في فايدتها عامل بل ان كان في الجملة عامل جاز كقولك شهد الله وان لم يكن فيه
عامل فيه كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لا رجل الا عبد الله شجاعا جاز وهو اوجه من انتصابه
حالا عن فاعل شهد وقيل هو نصب على المدح وان كان من حق المنتصب على المدح ان يكون
معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبيا لا نورث انا بني نهشل لا ندعي للاب لانه قد جاء
المنتصب على المدح نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه مما جاء منه نكرة قول الهذلي وياوي الى نسوة عطل
وشعثا مراضيع مثل السعالي وقيل قايما صفة للمنفي كانه قيل لا اله قايما بالقسط الا هو فانهم يتسعون
في الفصل بين الصفة والموصوف وانتصابه حالا عن هو اوجه من انتصابه حالا عن فاعل شهد ومن
انتصابه على المدح ومن انتصابه صفة للمنفي اما انه اوجه من جعله حالا عن فاعل شهد فللقرب ولانه
اذا جعلته حالا عن هو يدخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملايكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية بخلاف
ما اذا جعلته حالا عن فاعل شهد فانه لا يدخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملايكة واولي العلم
واما انه اوجه من انتصابه على المدح فللاستغناء عن تنكير المدح واما انه اوجه من جعله صفة للمنفي
فللاستغناء عن عذر الفصل بين الصفة والموصوف قال صاحب الكشاف اذا جعل حالا عن هو او نصبا على
المدح او صفة للمنفي دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملايكة واولي العلم كانه قيل شهد
الله والملايكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قايم بالقسط وقيل قايما بالقسط حال عن اولي
العلم اي حال كون كل واحد قايما بالقسط في ادا هذه الشهادة وهذا ضعيف قال الامام واعلم
ان هذا العدل منه ما هو متصل بباب الدنيا ومنه ما هو متصل بباب الدين اما المتصل بالدنيا
فانظر اولا في كيفية خلقة اعضا الانسان حتى تعرف عدل الله فيه ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق في الحسن
والقبح والغنا والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل من الله وحكمة
وصواب ثم انظر في كيفية العناصر واجرام الافلاك وتقدير كل واحد منها بقدر معين وخاصية معينة
واقطع بان ذلك عدل وقسط ثم اعاد تعالى لا اله الا هو وقيل الاولى حلت محل الدعوى والثانية
حلت محل الحكم وقال جعفر الصادق الاولى وصف وتوحيد والثانية رسم وتعليم يعني قولوا لا اله الا الله
اي لما اخبر الله انه شهد انه لا اله الا هو وشهدت الملايكة واولوا العلم بذلك صار التقدير كانه
قال يا امة محمد قولوا انتم على وفق شهادة الله وشهادة الملايكة واولي العلم لا اله الا هو فكان
الغرض من الاعادة الامر بذكر هذه الكلمة على وفق تلك الشهادات اعلاما بان المسلم يجب ان
يكون ابدا في تكرير هذه الكلمة فان اشرف كلمة يذكرها الانسان هي هذه الكلمة واذا كان في
اكثر الاوقات مشتغلا بذكرها وتكريرها كان مشتغلا باعظم انواع العبادة وقيل ذكر لا اله الا
اولا ليعلم انه لا يستحق الالوهية الا هو وذكره ثانيا ليعلم انه القايم بالقسط
لا يجور ولا يظلم قوله العزيز الحكيم العزيز اشارة الى انه قادر على كل شي لا يغلبه
شي يفعل ما يشا فلا يتصرف في ملكه احد والحكيم اشارة الى انه عالم بلطايف غوامض العلوم
التي تخفى على الغير خالق للعالم على الوجه الذي ينبغي فلا يقف على اسرار حكمته احد
فيكونان صفتين لما تقرر قبلهما فانه تعالى لما ذكر التوحيد والقيام بالعدل اردفهما

على وجه التكميل والتوكيد العزيز الحكيم ليدل قوله تعالى لا اله الا هو على التوحيد الصرف
وقايما بالقسط على انه تعالى يجري الامور كلها على الاستقامة والسداد وقدم العزيز
الحكيم في الذكر لان العلم بكونه تعالى قادرا مقدما على العلم بكونه عالما في طريق المعرفة
الاستدلالية **قوله تعالى** ان الدين عند الله الاسلام الدين لغة الجزاء ثم سمي الطاعة
والشريعة به لانهما سبب الجزاء وقيل هو المعتقد الذي يعتقده كل امة بني في الاصول والفروع
والاسلام الدخول في السلم اي في الانقياد والطاعة يقال اسلم الرجل اي دخل في السلم
واستسلم كقولهم اشتى واربع واقحط واخصب اي دخل فيه عن قتادة في قوله عز وجل ان الدين
عند الله الاسلام قال شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جا من عند الله وهو دين الله
الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه اولياه ولا تقبل غيره ولا يجزي الا به وقيل من
الاسلام ما هو متابعة وانقياد باللسان دون القلب وهو قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا ومنه ما هو متابعة وانقياد باللسان والقلب وهو قوله فقل اسلمت لرب العالمين فقوله
ان الدين عند الله الاسلام اي ان الدين المستقيم المرضي عند الله الاسلام الذي هو انقياد
ومتابعة باللسان والقلب لما جا به محمد صلى الله عليه وسلم وقرا الكسائي ان بالفتح والباقون بالكسر
وجه الفتح قيل التقدير شهد الله لانه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام وكثيرا يحذف
الجار من ان وذلك لان كونه تعالى واحدا قايما بالقسط يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام
لان دين الاسلام هو المشتمل على الوحدانية والقيام بالقسط وقيل ان التقدير شهد الله انه لا اله
الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند
الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل
ووجه الكسر ظاهر لان الكلام الذي قبله قد تم وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة
للجملة الاولى وفايدة التوكيد بها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قايما بالقسط تعديل فاذا اردفه
قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو التوحيد والعدل وهو الدين عند الله
وما عداه فليس عنده في شي من الدين فالقراءتان شاهدتان على ان دين الاسلام هو التوحيد والعدل
وهو ما عليه اهل السنة والجماعة فمن ذهب الى التشبيه او تجسيم او اعتزال كابات خالق غير الله تفعل
ما لا يريده ورزقه ووجوب شي على الله الذي هو محض الشرك والظلم لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام
وهذا بين جلي قال صاحب الكشاف وقري انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله
على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت
ما فايدة هذا التوكيد قلت فايدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قايما بالقسط تعديل
فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو
الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شي من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يودي اليه كاجازة
الروية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وقرئا مفتوحين على ان
الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه
في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقري الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل
واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات
كلها متعاضدة على ذلك قال الامام خاض صاحب الكشاف هاهنا في التعصب للاعتزال وزعم ان الاية دالة على ان
الاسلام هو العدل والتوحيد وكان ذلك المسكين بعيدا عن معرفة هذه الاشيا الا انه فضولي كثير الخوض

فيما لا نعرفه وزعم ان الايه داله على ان من اجاز الرويه او ذهب الى الجبر لم يكن على دين الله الذى هو
الاسلام والعجب ان اكابر المعتزله وعظماهم افنوا اعمارهم في طلب الدليل على انه لو كان مريا لكان جسما وما
وجدوا فيه سوى الرجوع الى الشاهد من غير جامع عقلي قطعي وهذا المسكين الذى ما شم رائحة العلم
من اين وجد ذلك واما حديث الجبر فالخوض فيه من ذلك المسكين خوض فيما لا يعنيه لانه لما اعترف
بان الله عالم بجميع الجزئيات واعترف بان العبد لا يمكنه ان يقلب علم الله جهلا فقد اعترف بهذا الجبر
فمن اين والخوض في هذه المباحث **قوله تعالى** وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاهم
العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب المقصود من الايه بيان ان الله تعالى اوضح
الدلايل وازال الشبهات والقوم ما لزموا الا لاجل التقصير قيل المراد بالذين اوتوا الكتاب
اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من بنى اسرايل واستودعهم
التورية وجعلهم امنا عليه واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابنا السبعين من بعد
ما جاهم علم التورية بغيا بينهم اى طلبا للملك والرياسه وتحاسدا على حظوظ الدنيا فسلط
الله عليهم الجبابره وقيل اراد وما اختلف الذين اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
الا من بعد ما جاهم العلم يعنى بيان نعته وصفته في كتبهم فامن به بعضهم ولم يؤمن بعض وقيل هم النصارى
واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاهم العلم بان الله واحد وان عيسى عبده ورسوله وقيل هم اليهود والنصارى
واختلافهم انهم تركوا الاسلام الذى هو التوحيد والعدل من بعد ما جاهم العلم بان الدين عند الله الاسلام
الذى لا يحمد عنه فثلثت النصارى وقالوا المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا نحن احق بان تكون
النبوه فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب بغيا بينهم اى ما كان ذلك الا اختلاف وتظاهر هولاء بمذهب
الاحسدا منهم وطلبا للرياسه وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطون اعقابهم لا شبهة في الاسلام
وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبيا فمنهم من امن بموسى ومنهم من امن بعيسى قال الاخفش انتصاب بغيا
على انه مفعول له اى للبغى كقوله جيتك طلب الخير ومنع الشر وقيل انه انتصب على المصدر من طريق المعنى
والفرق بينهما ان المفعول له غرض الفعل والمصدر هو الذى احدثه الفاعل وقال الاخفش قوله بغيا
بينهم من صله قوله اختلفوا والمعنى وما اختلفوا بغيا بينهم الا من بعد ما جاهم العلم وقال غيره المعنى
وما اختلفوا من بعد ما جاهم العلم الا للبغى بينهم فيكون هذا اخبارا عن انهم اختلفوا للبغى قوله
ومن يكفر بايات الله تهديد اى ومن يكفر بايات الله فانه سيصير الى الله سريعا فيحاسبه اى يجازيه على كفره
قوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ااسلمتم فان اسلموا
فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد لما ذكر الله تعالى ان اهل الكتاب ما اختلفوا الا من
بعد ما جاهم العلم وانقدت له بقلبى ولسانى وجميع جوارحى لم اجعل لغيره شركا بان اعبده وادعوه الهامعه
يعنى ان دينى الاسلام وهو الدين الذى ثبت عندكم صحته كما ثبت عندى وما جيت بشي بديع حتى تجادلونى
فيه فقوله فقل اسلمت دفع للمحاجه بان ما هو عليه ومن معه من المومنين هو حق اليقين الذى
لا لبس فيه فما معنى المحاجه فيه وانما خص الوجه لانه اكرم جوارح الانسان وفيه بهاوه وتعظيمه فاذا
خضع وجهه لشي فقد خضع له ساير جوارحه التى دون الوجه وقيل اسلمت وجهى معناه اخلصت عملى لله
يقال اسلمت الشي لفلان وسلمت له اى دفعته واخلصته له ومن هذا اسلمت الغلام الى الكتاب
وفي صناعة كذا اى اخلصته لها والوجه العمل وانشد استغفر الله ذنبا لست
محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل فعطف العمل على الوجه وهما واحد
وهما واحد لاختلاف اللفظ قوله ومن اتبعن اى ومن اتبعنى اسلم

اى ومن اتبعنى اسلم وجهه لله كما اسلمت واثبت بعضهم اليا في قوله اتبعنى على الاصل وحذف الاخرون
على الخط لانها في المصحف بغير يا ومن اتبعنى عطف على التا في اسلمت وحسن الفاصل ويجوز ان يكون الواو
بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقيل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين الذين لا كتاب لهم من
مشركى العرب ااسلمتم لفظ استفهام والمراد منه الامر وانما جا الامر في صيغته لانه بمنزلته في طلب الفعل
والاستدعا اليه وانما عبر عن الامر بلفظ الاستفهام ليكون دالا على معاندة المخاطب ومعناه انه قد اتاكم من
البينات ما يوجب الاسلام ويقتضى حصوله لا محاله فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت
له المسله ولم يبق من طريق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك ام لا ومنه قوله تعالى فهل انتم
منتهون بعد ما ذكر الصواب في الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار اى نسبه الى التقصير وتعيير
بالمعانده وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجه لم يتوقف اذعانه للحق والمعاند بعد تجلى الحجه ما يضرب
اسدادا بينه وبين الاذعان ولذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلاده وقلة القريحه وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد
عن الانتها والحرص على تعاطى المنهى عنه فان اسلموا فقد اهتدوا وافقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من
الضلال الى الهدى ومن الظلمه الى النور فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايه عليهم فقال اهل
الكتاب اسلمنا فقال لليهود تشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى
تشهدون ان عيسى عبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا فكذلك قوله وان تولوا لم يضروك
فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرساله وتنبه على طريق الهدى فاذا بلغت فقد اديت ما عليك
وليس عليك قبولهم والله بصير بالعباد عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن وباهل الثواب فهو مفيد للوعد والوعيد
قوله تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم لما ذكر حال من تولى اردفه بصفته فذكر لهما الكفر بايات الله وقتل
النبيين وقتل الذين يامرون بالقسط قوله بايات الله اى القران ومحمد اذا كان المراد بها المعهود
او جميع ايات الله على العموم فان من كذب محمدا صلى الله عليه وسلم يلزمه ان يكون مكذبا بجميع ايات الله
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس وهم راضون بما فعلوا وكانوا
حاولوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمومنين الذين يامرون بالقسط لولا عصمهم الله قيل اراد به ملوك
بنى اسرايل كان الوحى ياتى انبيا بنى اسرايل ولم يكن ياتيهم كتاب فيذكرون قومهم فيقتلون فيقوم
رجال ممن اتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون ايضا وهم الذين يامرون بالقسط من الناس
وعن ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس اشد عذابا
يوم القيامه قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الايه ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلثه واربعين نبيا من اول النهار في ساعة
واحده فقام مايه واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرايل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا
جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله عز وجل في هذه الايه قرا حمزه ويقاتلون الذين
يامرون بالقسط من الناس ويقتلون وهما سوا لانهم قد يقتلون بالقتال وقد يقتلون ابتدا من غير
قتال فبشرهم بعذاب اليم انما دخل الفا في الخبر لانه في معنى الجزا لان الاسم متضمن لمعنى الشرط لانه اسم موصول
صلته فعل **قوله تعالى** اوليك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخره وما لهم من
ناصرين اى ذهبت وبطلت واصله من الحبط وهو ان ترعى الدابه نبتا رديا فينتفخ لذلك
سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قيل لما مضى صدر من محاجه نصارى
نجران والرد عليهم وبيان فساد ما هم عليه جات هذه الايات اى قوله تعالى ان الله اصطفى ادم الى

قيل لما وصفهم بصفات ثلث ذكر وعيدهم من ثلثة اوجه الاول فبشرهم بعذاب اليم الثاني اولئك
الذين حبطت اعمالهم الثالث وما لهم من ناصرين بين في الوجه الاول اسباب الالام والمكروهات
وفي الثاني زوال المنافع عنهم بالكلية وفي الثالث وقوع ذلك في حقهم على وجه لا يكون لهم ناصر
ولا دافع **قوله تعالى** الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم
بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون لما نبه الله تعالى على عناد القوم بقوله فان حاجوك لكان في هذه
الاية غاية عنادهم الذين اوتوا احبار اليهود من الكتاب اي التورية فانهم حصلوا نصيبا وافرا
منها فيكون من للتبعيض او لبيان الجنس او من الكتاب اي من جنس الكتب اي الذين حصلوا
من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله قيل الى القران
لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وعن ابن عباس في هذه الاية ان الله عز وجل
جعل القران حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القران على اليهود والنصارى انهم على
غير الهدى فاعرضوا عنه وعن قتادة هم اعداء الله اليهود دعوا الى حكم القران واتباع محمد صلى الله عليه
وسلم فاعرضوا وهم يجدونه مكتوبا عندهم في كتبهم وعن السدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم
اليهود الى الاسلام فقال له نعمان بن ابي اوفى هلم يا محمد نخاصمك الى الاحبار فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بل الى كتاب الله فقال بل الى الاحبار فانزل الله تعالى الاية وقيل كتاب الله
هو التورية ليحكم بينهم عن ابن عباس رضي الله عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدارسهم
فدعاهم الى الاسلام فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد على اي دين انت يا محمد قال على
ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا فانزل الله عز
وجل هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكانا في شرف منهم
وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة في امرهما فرفعوا
امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان ابن ابي اوفى وبحري ابن
عمرو جرت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التورية فان فيها الرجم
قالوا انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتورية قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فارسلوا
اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التورية فيها الرجم مكتوب فقال له اقرا فلما اتى اية الرجم
وضع كفه عليها وقرا ما بعدها فقال عبد الله بن سلام قد جاوزها ووضع كفه عليها وقام ابن سلام
الى ابن صوريا فرفع كفه عنها ثم قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن
والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا
وانزل الله هذه الاية ثم يتولى فريق منهم وهم الروسا الذين يزعمون انهم العلماء استبعاد لتوليهم
بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم
قال صاحب الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم
وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق
والمبطل ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا

واقعا

واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التولي والاعراض بسبب
انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات لانهم حينئذ يسهلون على انفسهم امر العقاب ويطمعون
في الخروج من النار بعد ايام قلائل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من انهم لا يمسهم النار الا اياما
معدودات وان اباءهم الانبيا يشفعون لهم وانهم ابناء الله واحباؤه **قوله تعالى** فكيف اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون لما ذكر الله اغترارهم بما هم
عليه من الجهل بين انه سيجيء يوم يزول فيه ذلك الجهل وينكشف فيه ذلك الغرور فقال فكيف وفي الكلام
حذف والتقدير فكيف يصنعون به فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون
فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوا عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون
عن ابن عباس ان اول راية ترفع لاهل الموقف ذلك اليوم من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار قوله ليوم اي لحساب يوم فحذف
المضاف ودلت اللام عليه كما اذا قلت جمعوا ليوم الخميس معناه جمعوا لفعل يوجد يوم الخميس
قوله ووفيت كل نفس ما كسبت فان حملت ما كسبت على عمل العبد حصل في الكلام حذف
والتقدير ووفيت كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب وعقاب فان حملت ما كسبت على الثواب
والعقاب استغنيت عن الاضمار ولا تنقص ثواب الطاعات ولا تنقص عقاب السيئات استدل
الوعيدية بانه لا شك ان صاحب الكبيرة مستحق للعقاب بتلك الكبيرة والاية دلت على ان كل نفس
توفى عملها بما كسبت وذلك يقتضي وصول العقاب الى صاحب الكبيرة واستدل اصحابنا بان المؤمن
استحق ثواب الايمان فلا بد وان يوفى عليه ذلك الثواب لقوله ووفيت كل نفس ما كسبت فاما
ان يثاب في الجنة ثم ينقل الى دار العقاب وهو خلاف الاجماع فيتعين ان ينقل الى دار الثواب
بعد العقاب وجواب الوعيدية ان هذا من العمومات وقد علمنا في العمومات قوله
وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلثة
اناسي **قوله تعالى** قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك
الخير انك على كل شيء قدير قيل اللهم اصله يا الله حذف اليا وعوض الميم منها ولذلك لا يجتمعان
وهذا التعويض من خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف الندا عليه
وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبتفخيم لامه وعرف التعريف جرا وقيل كان اصله يا الله امنا بخير
فلما كثر في الكلام حذفوا حرف الندا وحذفوا الهمزة من امنا وضمير المتكلم مع غيره الذي هو مفعول
فصار اللهم قيل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سال ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم في امته
فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس وانس بن مالك رضي الله عنهم افتتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات هيهات
من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك
فارس والروم فانزل الله هذه الاية وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط
الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان
الفارسي وكان سلمان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان
بن مقرن المازني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت ذي ناب اخرج الله
من الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلت يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله

وتنزع الملك ممن تشاء

صلى الله عليه وسلم واخبرني خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها فان العدل قريب واما ان تامرنا
فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطه فرقا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه
قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت علينا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت
علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف
بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله
عليه وسلم الثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقا فقال سلمان بابي انت
وامي يا رسول الله لقد رايت شيئا ما رايت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال
ارايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم اضاءت لي
منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي
ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم كانها
انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق
الذي رايتم اضاءت لي منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها
فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن
كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت قوله تعالى واذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله في هذه القصة
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير اي يا مالك جنس
الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون قال الله عز وجل في بعض الكتب انا الله ملك الملوك
مالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم
عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم تؤتي الملك من تشاء قيل يعني
النبوة وقيل تؤتي الملك من تشاء محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء الروم والعجم وسائر الامم وقيل
تؤتي الملك من تشاء اتى الله الانبياء الملك وامر العباد بطاعتهم وتنزع الملك ممن تشاء نزعه من الجبابرين
وامر العباد بخلافهم وقيل تؤتي الملك من تشاء داود وتنزع الملك ممن تشاء طالوت وقيل تؤتي الملك
من تشاء اتى الله الانبياء الملك وامر العباد بطاعتهم وتنزع الملك ممن تشاء نزعه من الجبابرين وامر العباد
بخلافهم يعني ملك النفس حتى تغلب هواه كما ان سليمن عليه السلام كان ياكل خبز الشعير ويطعم
الحواري وكان يلبس المرقعة ولم ينظر اربعين سنة الى السما تخشعا لله وكان يدخل المسجد فيرى فقيرا
فيقعد الى جانبه ويقول مسكين جالس مسكينا وتنزع ملك النفس ممن تشاء حتى تغلبه هواه فيتخذ الها
كما قال [illegible] الله افرايت من اتخذ الهه هواه وقيل هو ملك العافية قال الله تعالى وجعلكم ملوكا
وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا بحذافيرها وقيل هو القناعة قال صلى الله عليه وسلم ملوك الجنة من امتي القانع

يوما بيوم فمن اوتي ذلك فلم يقبله بقبوله ولم يصبر عليه شكرا قصر علمه وقل عقله وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني الملك
على ابليس وقهر الشيطان كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق من حس عمر وما سلك فجا الا سلك الشيطان فجا اخر
وتنزع الملك ممن تشاء حتى تغلبه الشيطان كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقيل تؤتي الملك
من تشاء يعني ملك المعرفة كما اتى السحرة وتنزع الملك ممن تشاء كما نزع ابليس وبلعام وقيل ملك المومنين كما قال الله
وملكا كبيرا وتنزع الملك ممن تشاء كما نزع من الكفار واهل النار وقيل اراد بالملك التوفيق للايمان والطاعة
وقيل هو قيام الليل وقيل هو الاستغنا بالكون عن الكونين وقيل افتخر الملوك بالملك فاعلمهم الله ان الملك
عارية عندهم لقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وقيل تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي
قسمت له وانقصته حظه من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان
الاخران خاصان بعضان من الكل قالت الحكماء في هذه الاية هو اخبار عن كمال القدرة فان القادر على الكمال
هو القادر على الشي وضده قوله وتعز من تشاء قيل وتعز من تشاء من المهاجرين والانصار وتذل من تشاء فارس
فارس والروم وقيل وتعز من تشاء محمدا واصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء ابا جهل
واصحابه حتى حزت رووسهم والقوا في القليب وقيل وتعز من تشاء بالايمان والمعرفة وتذل بالكفر والنكرة وقيل
وتعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل وتعز من تشاء بالتوفيق والمعونة وتذل من تشاء بالخذلان والحرمان
وقيل وتعز من تشاء بالتمليك والتسليط وتذل من تشاء بسبب الملك وتسليط العدو عليه وقيل وتعز من تشاء
بقهر النفس ومخالفة الهوى وتذل من تشاء باتباع الهوى وقيل تعز من تشاء بقهر الشيطان وتذل من تشاء بقهر
الشيطان اياه وقيل وتعز من تشاء بالقناعة والرضى وتذل من تشاء بالحرص والطمع وقيل وتعز من تشاء بالعطى
والعطية وتذل من تشاء بالبخل والخزية وقيل وتعز من تشاء بالاخلاص وتذل من تشاء بالريا وقيل وتعز
من تشاء بالجنة والروية وتذل من تشاء بالحجاب والنار قوله بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر الخير لانه
الاغلب والافضل لقوله سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد قال صاحب الكشاف ذكر الخير دون الشر لان
الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المومنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على
رغم من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه قوله
تعالى انك على كل شي قدير لما تقدم من كونه مالكا لايتاء الملك ونزعه والاعزاز والاذلال
قوله تعالى تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب لما قال تعالى انك على كل شي قدير ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل
والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير
حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق من يشاء من عباده
بغير حساب فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم تولج الليل اي تدخل
الليل في النهار اي تجعل الليل قصيرا او تجعل ذلك القدر داخلا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة
والليل تسع ساعات وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما زاد
في هذا نقص من الاخر وانما فعل ذلك لانه علق قوام العالم ونظامه به قوله وتخرج الحي من الميت
قيل يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة وتخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الحي من الميت اي الفرخ
من البيضة وتخرج البيضة من الطير وقيل يخرج النخلة من النواة وتخرج النواة من النخلة وتخرج
السنبلة من الحبة وتخرج الحبة من السنبلة وقيل تخرج المومن من الكافر والكافر من المومن والمومن
عبد حي الفواد والكافر عبد ميت الفواد شاهده قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه عن الزهري ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه فاذا بامراة حسنة الهيئة فقال من هذه فقالت احدى خالاتك

فقال ان خالاتي بهذه البلاد لغرائب اي خالاتي قالت هذه خالدة بنت الاسود بن عبد يغوث فقال
سبحان الله الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة ابوها مات كافرا وقيل يخرج الطيب من
الطيب والخبيث من الخبيث قرا عاصم في رواية ابي بكر وابن كثير وابو عمرو وابن عامر الميت
بسكون الياء في جميع القران والباقون وحفص عن عاصم الميت بتشديد الياء في هذه الاية وفي قوله
لبلد ميت والى بلد ميت وخفف حمزة والكسائي غير حروف قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه
والى الله المصير لما ذكر الله تعالى ما دل على كمال قدرته وانه يرزق من يشاء بغير حساب بين ما يجب على
المؤمن في المعاملة مع الناس لان كمال الامر ليس الا في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فقال
لا يتخذ المؤمنون وايضا لما بين انه مالك الدنيا والاخرة بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه
دون اعدائه قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار
ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا
هؤلاء اليهود واحذروهم ومباطنتهم لا يفتنونكم عن دينكم فابى اولئك الا مباطنتهم وملازمتهم فانزل
الله هذه الاية وقيل نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة فنهاهم الله عز وجل عن ذلك
وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويخبرونهم بالاخبار
يرجون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ونهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم وقيل نزلت
في عبادة بن الصامت وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستنصر بهم على العدو فانزل
الله هذه الاية نهى الله تعالى عن اتخاذ المؤمنين الكافرين اولياء لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك
من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القران قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الدين
من دون المؤمنين من غير المؤمنين اي ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة وسعة عن موالاة الكفار فليس من
ولاية الله في شيء يقع اسم الولاية عليه يعني منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي
وموالاة عدوه متنافيتان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب ثم استثنى
فقال الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه فقوله منهم اي من جهتهم حال
من تقاة متقدمة عليه على ذي الحال يقال تقيته تقاة وتقى وتقية فاذا قلت تقيته كان مصدره الاتقاء
وانما قال تتقوا من الاتقاء ثم قال تقاة ولم يقل اتقاء لان العرب اذا كان معنى الكلمتين واحدا واختلف
لفظهما اخرجوا مصدر احد اللفظين على مصدر اللفظ الاخر فيقولون انتقب فلانا لقاء حسنا قال
القطامي في صفة غيث ، ولاح بجانب الجبلين منه ، ركام يحفر الترب احتفارا ، ولم يقل حفرا
قال الله عز وجل والله انبتكم من الارض نباتا وقال وتبتل اليه تبتيلا قال ابو علي يجوز
ان يكون تقاة مثل رماة حالا من تتقوا وهو جمع فاعل وان كان لم يستعمل منه فاعل ويجوز ان يكون جمع
تقي وجعل فعيل بمنزلة فاعل قال صاحب الكشاف قيل للمتقي تقاة وتقية لقولهم ضرب الامير لمضروب
رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالطة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة
والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا لقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا
قيل نهى الله المؤمنين عن ملاطفة الكفار وموالاتهم ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار

ظاهرين

ظاهرين غالبين او يكون المؤمن في قوم كفار ليس فيهم غيره فيخالقهم ويداريهم باللسان وقلبه مطمئن
بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او يظهر الكفار على عورة المسلمين فالتقية لا تكون الا
مع خوف القتل وسلامة النية لقول عمار بن ياسر قيل قدم رجل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة قال
ما ورائي الا قد هلكت قال ما لك قال قد عذبني قريش حتى قلت لك ما شاؤوا قال كيف قلبك قال كاره والله لذلك
فقال وان عادوا فعد لهم بمثل ذلك قالها ثلاث مرات وقيل التقية واجبة وانكر قوم التقية اليوم قال
معاذ بن جبل كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام
فلا ينبغي لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم ويحذركم الله نفسه اي يخوفكم الله على موالاة الكفار وارتكاب
المنهي عنه ومخالفة المامور به من نفسه وقيل من عذاب نفسه وعقوبته وبطشه وقيل ويحذركم الله
نفسه ان تعصوه فتستحقوا عقابه والفائدة في ذكر النفس انه لو قال ويحذركم الله لا يفيد ان الذي اريد
التحذير منه هو عقاب يصدر من الله او من غيره فلما ذكر النفس زال هذا الاشتباه ومعلوم ان العقاب
الصادر عنه يكون اعظم انواع العقاب لكونه قادرا عليها ولا قدرة لاحد على دفعه والمعنى ان الله يحذركم
نفسه عند مصيركم اليه ولا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن
تتقوا معنى تحذروا او تخافوا فيتعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر لقوله اتقوا الله
حق تقاته وقرا حمزة والكسائي تقية بالامالة والباقون بالتفخيم قوله تعالى قل ان تخفوا
ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير لما نهى الله
المؤمنين عن اتخاذ الكافرين اولياء ظاهرا او باطنا واستثنى التقية في الظاهر اتبعه بالوعيد على ان
يصيروا البواطن على وفق الظواهر وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم فاقام الصدور
مقام القلوب لان القلب في الصدر من موالاة الكفار او تبدوه قولا وفعلا يعلمه فيكون الخطاب للمؤمنين
وقيل ان تخفوا ما في قلوبكم من التكذيب او تظهروه لحربه وقتاله فيكون الخطاب للكفار يعلمه الله ويحفظه
عليكم حتى يجازيكم ويعاقبكم عليه وقوله ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه شرط وقوله يعلمه
الله جزاء ولا شك ان الجزاء مترتب على الشرط متاخر عنه فيكون تعلق العلم متاخرا عن الاخفاء والابداء
لا نفس العلم فان تعلق علم الله بان الاخفاء والابداء حصلا الان لا يحصل الا عند حصولهما الان فالتجدد
انما وقع في التعلق لا في حقيقة العلم قوله ويعلم رفع على الاستيناف لقوله قاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم الاية الى ان قال ويتوب الله على من يشاء بالرفع وقوله فان يشا الله يختم على قلبك
ويمحو الله الباطل ثم قال ويحق الحق الاية ومعنى الاية اذا كان يعلم ما في السموات وما في
الارض فكيف يخفى عليه موالاتكم الكافرين وميلكم اليهم مودة بالقلب ومعونة بالقول
والفعل ثم قال والله على كل شيء قدير اتماما للتحذير وذلك لانه لما بين انه تعالى عالم بكل
المعلومات بما في قلبه وبمقادير استحقاقه من الثواب والعقاب ثم انه قادر على كل شيء اي مقدور
فكان لا محالة قادرا على ايصال حق كل احد اليه وكان حقه ان يحذر ويتقى ولا يجسر احد على ارتكاب
معصية واجتناب واجب فلو علم بعض عبيد السلطان ان السلطان اراد الاطلاع على احواله
توكل همه بما يورده العبد ويصدره ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن مواطن اموره لاخذ حذره
وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذي يعلم السر واخفى
مهيمن عليه وهو امن قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد قيل العامل
في يوم المصير وقيل قدير وخص يوم تجد وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تفضيلا

له لعظم شانه لقولك مالك يوم الدين وقيل يحذركم في الاية السابقه وقيل تود والضمير في
بينه لليوم اى يوم القيامه حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهوله امدا بعيدا وقيل اذكر يوم تجد كل نفس قوله عملت مفعول اول لقوله تجد وقوله
محضرا مفعول ثان له قيل العمل عرض لا يبقى فلا يكون وجدانه يوم القيامه فلا بد فيه من
التاويل وهو من وجهين الاول انه تجد صحايف الاعمال شاهده قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم
تعملون والثانى انه تجد جزا الاعمال قوله محضرا اى صحايف الاعمال محضرة يوم القيامة او جزا
الاعمال محضرا وعلى الوجهين الترغيب والترهيب حاصل قوله وما عملت من سوء يرتفع على الابتدا وتود
خبره اى والذى عملته من سوء تود هى لو تباعد ما بينها وبينه اى ما بين ما عملت من سوء وعلى هذا لا يكون
الايه دليلا على القطع بوعيد العاصى لانه نص في جانب الثواب على كونه محضرا واما جانب العقاب
فلم ينص على الحضور بل ذكر انهم يودون الفرار منه والبعد عنه وذلك تنبيه على ان جانب الوعد اولى
بالوقوع من جانب الوعيد ولا يصح ان يكون ما عملت من سوء شرطيه لان تود مضارع مرفوع والشرط يقتضى جزم
الفعل ولم يقراه احد الا بالرفع لا يقال يجوز ان يقدر محذوف اى فهو تود لانا نقول هذا ضعيف ولا
يجوز حمل كلام الله على ما هو ضعيف فان قيل فهل يصح ان يكون شرطيه على قراة عبد الله ودت اجيب
بانه لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتدا والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكاين في ذلك اليوم ولا مناسبة
للشرط والجزا الا بحيثية بمثابة قولك ان تعطى تجد ومثل هذا لا يكون حكاية الواقع الثابت لقوله وبرزوا لله
جميعا وقوله ونادى اصحاب الجنه واثبت لموافقه قراة العامه ويجوز ان يعطف وما عملت
من سوء على ما عملت من خير ويكون تود حالا اى يوم تجد كل نفس ما عملت من سوء وادة تباعد ما بينها وبين
اليوم او وبين ما عملت من سوء وقيل يجوز ان يكون تود صفة لسوء اى ما عملت من سوء تود لو ان يبعد
ما بينها وبينه والامد الغاية المحدوده التى ينتهى اليها من المكان والزمان قال النابغه
سبق الجواد اذا استولى على الامد ❊ فهذه غاية المكان وقال الطرماح كل حى مستكمل عدة العمر
ومود اذا انقضى امده ❊ فهذه غاية الزمان ❊ واراد به هاهنا غاية المكان كقوله يا ليت بينى وبينك
بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه تاكيدا للوعيد ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله روف
بالعباد يعنى ان تحذيره نفسه وتعريفه كمال علمه وقدرته من الرافة العظيمه بالعباد لانهم اذا عرفوه
حق المعرفه وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه قال الحسن ومن رافته
بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته لقوله ان ربك
لذو مغفرة وذو عقاب اليم وقوله نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب
الاليم وقيل روف بالعباد حيث امهلهم للتوبة والتدارك والتلافى وقيل انه لما قال ويحذركم
الله نفسه اتبعه بقوله والله روف بالعباد وهو الوعد ليعلم العبد ان وعده ورحمته غالب
على وعيده وسخطه وقيل اراد بالعباد المومنين ولما ذكر وعيد الكفار ذكر وعد المومنين فقال
والله روف بالعباد اى كما هو منتقم من الكفار روف بعباده المومنين **قوله تعالى**
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا
الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين اختلف المفسرون فيمن امر الله النبى
صلى الله عليه وسلم ان يقول له هذه المقاله فقيل زعم قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب الله فانزل الله هذه الايه وجعل اتباع نبيه علما لحبه وعن
ابن عباس رضى الله عنهما وقف النبى صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام

ونبا فانزل
ح

نصبوا اصنامهم عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر
قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت له قريش
يا محمد انما نعبد هذه حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى قل يا محمد قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم
وقيل ان اليهود لما قالوا نحن ابنا الله واحباوه انزل الله هذه الايه فلما نزلت عرضها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم فابوا ان يقبلوها وقيل في نصارى نجران وذلك انهم قالوا انا نعظم
المسيح ونعبده حبا لله وتعظيما له فقال الله عز وجل قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله اى اتبعوا شريعتى وسنتى يحببكم الله وحب المومنين لله اتباعهم امره وقصدهم طاعته
ورضاه وحب الله للمومنين ثناوه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله ويغفر لكم وقيل يحتمل ان
تكون الايه عامه في اليهود والنصارى لانهم يدعون انهم يحبون الله ويحبهم فانهم قالوا نحن ابناء الله
واحباوه فقال لرسول الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله اى ان كنتم تحبون الله
صادقين في ادعا محبة الله كونوا منقادين لاوامره محترزين عن مخالفته فان من كان يحب الله يجب
ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلالة القاطعة على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وجب متابعته فان لم تحصل هذه المتابعة دل على ان تلك المحبة ما حصلت قال الشاعر
❊ تعصى الاله وانت تظهر حبه ❊ هذا محال في الفعال بديع ❊
❊ لو كان حبك صادقا لاطعته ❊ ان المحب لمن يحب مطيع ❊
قال المتكلمون محبة الله عبارة عن محبة اجلاله واعظامه او محبة طاعته او محبة ثوابه لان
المحبة من جنس الاراده والاراده لا تتعلق الا بالحوادث والمنافع قال الامام وهذا ضعيف
اذ لا يمكن ان يقال في كل شى انه انما كان محبوبا لاجل معنى اخر والا لزم التسلسل او الدور ولا بد من
الانتها الى شى يكون محبوبا بالذات كما انا نعلم ان اللذة محبوبة لذاتها فلذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فاذا
سمعنا اخبار رستم واسفنديار في شجاعتهما مال القلب اليهما مع انا نقطع بانه لا فايدة في
ذلك الميل بل ربما نعتقد ان تلك المحبة معصية لا يجوز لنا ان نصر عليها فعلمنا ان الكمال محبوب
لذاته كما ان اللذة محبوبة لذاتها ونهاية الكمال لله وكان ذلك يقتضى كونه محبوبا بالذات من ذاته
ومن المقربين منه الذين تجلى لهم اثر من اثار كماله وجلاله وقال المتكلمون محبة الله تعالى
للعبد عبارة عن ارادته ايصال الخيرات والمنافع في الدين والدنيا اليه وقيل ان القوم
كانوا يدعون انهم يحبون الله وكانوا يظهرون الرغبة في ان يحبهم الله والايه مشتمله على
الالزام من وجهين احدهما ان كنتم تحبون الله ان يحببكم الله فاتبعونى لانكم اذا اتبعتمونى
فقد اطعتم الله والله يحب كل من اطاعه والثانى انه ليس في متابعتى الا انى دعوتكم الى طاعة
الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره ومن احب الله كان راغبا فيه لان المحبة توجب الاقبال
بالكليه على المحبوب والاعراض عن غيره قال صاحب الكشاف وعن الحسن زعم اقوام على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى
محبته وخالف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رايت
من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف
ما الله ولا يدرى ما محبة الله وما تصفيقه وطربه وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة
صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته اى فسقه وخبثه ثم صفق وطرب

ونحو صعق على قصورها وربما رايت ان المتى قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمى العامه حوالية قد ملاوا اردانهم بالدموع لما رقهم من حاله قال الامام خاض صاحب الكشاف في هذا المقام في الطعن في اوليا الله ولست ها هنا مما لا يليق بالعاقل ان يكتب مثله في كتب التحقيق فيجب انه اجترا على الطعن في اوليا الله فكيف اجترا على مثل ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله ثم قال ويغفر لكم ذنوبكم والمراد من محبة الله اعطا الثواب ومن غفران ذنبه ازالة العقاب وهو غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور رحيم يعني غفور في الدنيا يستر على العبد انواع المعاصي رحيم في الاخرة بفضله وكرمه روى انه لما نزل قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله قال عبد الله ابن ابي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى فنزلت قل اطيعوا الله وتحقيق الكلام ان الاية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته القى المنافق شبهه وهي انه يدعي لنفسه مثل ما يقوله النصارى في عيسى فذكر الله تعالى في هذه الاية ازالة شبهته فقال قل اطيعوا الله والرسول اي انما اوجب عليكم متابعتي لا كما تقول النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ولما كان مبلغ التكليف هو الرسول لزم ان يكون طاعته واجبه فكان ايجاب المتابعه لهذا المعنى لا لاجل الشبهة التي القاها المنافق في نفس قوله تعالى فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم يعني انهم اعرضوا عن طاعتهما فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى فعلهم ولا يثني عليهم ولا يغفر لهم لان محبة الله انما اوجب الثنا والمدح لمن اطاعه ومن كفر استوجب الذم وهو مناف للمحبه **قوله تعالى** ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم لما بين الله ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسول بين علو درجات الرسل وشرفهم فقال ان الله اصطفى وعن ابن عباس قالت اليهود نحن ابنا ابرهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم ومنهاجهم فانزل الله هذه الايه يعني ان الله اصطفى هولا الذين قلتم وانتم على غير الاسلام اصطفى افتعل من الصفوه وهي الخالص من كل شي يعني اختار واستخلص آدم ابا البشر اجمعين ونوحا شيخ المرسلين وال ابرهيم قيل اراد بال ابرهيم وال عمران انفسهما كقوله بقية مما ترك ال موسى وال عمران يعني هرون قال الشاعر ولا تبك ميتا بعد ميت احبة علي وعباس وال الامام ابا بكر وقيل ال ابرهيم اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وان محمدا من ال ابرهيم وال عمران موسى وهرون ابنا عمران ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل ال عمران عيسى ومريم بنت عمران بن اشهم بن امون من ولد سليمن بن داود وقيل هو عمران بن ماثان وكان هو من نسل سليمان بن داود بن ايشى واشى من نسل يهودا ابن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليه السلام قيل بين العمرانين الف وثمان مائة سنة قيل معنى قوله ان الله اصطفى ادم اصطفى دين ادم ودين نوح فيكون الاصطفا راجعا الى دينهم فيكون المضاف محذوفا وقيل المعنى ان الله اصطفاهم من الصفات الذميمه وشرفهم بالخواص الحميدة وقيل ان الانبيا عليهم السلام خصصهم الله بكمال القوى الجسمانيه والروحانيه اما القوى الجسمانيه فهي اما مدركه واما محركه والمدركه اما الحواس الظاهرة الباصرة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخصوصا بكمالها شاهده قوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وقوله صلى الله عليه وسلم اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وكان ابرهيم عليه الصلوة والسلام شاهد ملكوت السموات والارض في الله تعالى ولذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والسامعه وكان صلى الله عليه وسلم

اقوى

اقوى الناس فيها شاهده قوله صلى الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد لله فسمع اطيط السما وكان سليمان عليه السلام سمع كلام النمل شاهده قوله تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم والشامه ولقد كان يعقوب عليه السلام شم رائحة القميص من مسيرة ايام شاهده قوله تعالى ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف والذائقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الذراع يخبرني انه مسموم واللامسه كما في حق الخليل عليه السلام حين جعل الله النار بردا وسلاما على ابرهيم واما الباطنة الحافظه قال الله تعالى سنقريك فلا تنسى وقوة الذكا قال علي كرم الله وجهه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب من العلم واستنبط من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي والمحركه مثل عروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المعراج وعروج عيسى حيا الى السما واما القوى الروحانيه فهي في غاية الكمال ونهاية الصفا فالله سبحانه وتعالى اصطفى ادم على العالمين من البشر على قول من قال الملك افضل من البشر او على العالمين من الملك والبشر على قول من قال البشر افضل المخلوقات ثم خصص كمال القوى الروحانيه شعبة من اولاد آدم وهو شيث واولاده الى ادريس عليهم السلام ثم الى نوح عليه السلام ثم الى ابرهيم عليه السلام ثم حصل من ابرهيم شعبتان اسمعيل واسحق عليهما السلام فجعل اسمعيل عليه السلام مبدا الظهور الروح القدسيه لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدا الشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوه في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيص فاستمر ذلك الى ان ظهر كمال النبوه والرساله في سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فختم به النبوه والرساله ووضع الملك والدين في امته واتباعه الى يوم الدين قوله تعالى ذرية بدل من آل ابرهيم وال عمران نصب على الحال اي اصطفاهم حال كونهم ذرية بعضها من بعض وقيل نصب على المدح قوله بعضها من بعض مبتدا وخبر في محل النصب لانه صفة لذريه والمعنى ان الالين ذريه واحدة متسلسله بعضها متشعب من بعض اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في الدين لقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض قوله تعالى والله سميع اي لاقوال العباد عليم بضمائرهم وافعالهم وانما يصطفي من عباده من يعلم استقامته قولا وفعلا ونظيره قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقيل ان اليهود كانوا يقولون نحن من ولد ابرهيم عليه السلام ومن ال عمران فنحن ابنا الله واحباوه والنصارى كانوا يقولون المسيح ابن الله وكان بعضهم عالما بان هذا الكلام باطل الا انه لتطييب قلوب العوام بقي مصرا عليه فكانه تعالى يقول والله سميع لاقوالهم الباطله عليم باغراضهم الفاسده من هذه الاقوال فيجازيهم عليها وكان اول الايه بيانا لشرف الانبياء والرسل واخرها تهديد الهولا الكذابين الذين يزعمون انهم مستقرون **قوله تعالى** اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتلك الاقصى صدر من محاجه نصارى نجران والرد عليهم وبيان فساد ما هم عليه جات هذه الايات اي قوله تعالى ان الله اصطفى ادم الى قوله انك انت السميع العليم بعلمه بصورة الامر الذي قد ضلوا فيه ومنشه عن حقيقته فبدا بذكر اصطفا هولا المذكورين الذين ال عمران منهام ذكر قصصا كثيره فالقصة الاولى قصة حنه ام مريم لان المقصود من قصتها لتقوم الى ان تبين امر عيسى عليه السلام قيل اذ منصوب بقوله سميع في قوله والله سميع اي لقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران وقيل منصوب باضمار اذكر وامراة عمران هي امراة عمران بن ماثان وليس لعمران ابي موسى وبينهما الف وثمان مائة سنه وكان بنو ماثان روس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم وامراة

عمران حنة هي ام مريم البتول جدة عيسى عليه السلام بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران على ارقوله
والعمران بما رجح ان عمران بن ماثان جد عيسى والقول الاخر يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا
في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم
البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران اي مريم التي هي اخت موسى وهرون
قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا ابن اذن وعمران بن ماثان كانا في عصر
واحد وقد تزوج زكريا ابنه اشاع اخت مريم وكان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت القصة في ذلك
ان زكريا وعمران تزوجا اختين وكانت اشاع بنت فاقوذ ام يحيى عند زكريا وحنة بنت فاقوذ ام مريم
عند عمران وكان قد امسك عن حنة وكانت اشاع بنت فاقوذ الولد حتى اسنت وعجزت وكانوا اهل
بيت من الله بمكان فبينا هي في ظل شجرة اذ ابصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت بذلك نفسها الى الولد فدعت
الله تعالى ان يهب لها ولدا وقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس
فيكون من سدنته وخدمته قوله رب اني نذرت اي حملت فقالت نذرت لك اي جعلت الذي في بطني
محررا النذر ما اوجبه الانسان على نفسه بشريطة كان ذلك او بغير شريطة قال الله
تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي اوجبت وقال صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه
ومن نذر ان يعص الله فلا يعصه وقال الاعشى عشقت لليلى بليلى حد ورا وطالبتها ونذرت النذورا
ومن هذا قولهم نذر فلان دم فلان اي اوجب على نفسه قتله قال جميل

فليت رجال فيك قد نذروا دمي ... وهموا بقتلي يا بثين لقوني

محررا معتقا خالصا لله لخدمة بيت المقدس حبيسا عليه مفرغا لعبادة الله لا يدلي عليه ولا
استخدمه ولا اشغله بشيء من الدنيا وكل ما اخلص محرر يقال حررت العبد اذا اعتقته وحررت الكتاب
اذا اخلصته واصلحته فلم يبق فيه ما يحتاج الى اصلاحه ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه
تعلق والطين الحر الذي قد خلص من الرمل والحماة والعيوب ومحرر انصب على الحال قال الكلبي وغيره
كان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويخدمها ويكنسها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم ثم
يخير فان احب ان يقيم فيها اقام وان احب ان يذهب ذهب حيث شاء فان اراد ان يخرج بعد
التخيير لم يكن له ذلك ولم يكن احد من الانبيا والعلما الا ومن نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن
يحرر الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح له لما يصيبها من الحيض والاذى قوله
فتقبل مني التقبل اخذ الشي على الرضا به في كل حال فمعنى قولها فتقبل مني اي ارض عني
في ذلك واجعله فعلا مقبولا تجازي به انك انت السميع لدعائي العليم بنيتي فحررت
ما في بطنها ولم تعلم ما هو وانما بنت الامر على التقدير او طلب ان ترزق ولدا ذكرا فقال
لها زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من
ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اي ولدتها اذ هي جارية والهاء في وضعتها
راجعة الى ما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الجبلة
او النفس او النسمة وانثى حال من الضمير في وضعتها راجعة الى ما في بطني والاصل وضعته
انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال اسم واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث
الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الجبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني
وضعت الجبلة او النسمة انثى وانما قالت اني وضعتها انثى اعتذارا الى الله وتحسرا على ما رات
من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا

ولذلك

ولذلك نذرته محررا للسدنة قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها والله اعلم
بما وضعت قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم وضعت بضم التاء فعلا من كلام ام مريم على تقرير انها لما قالت وضعتها
انثى خافت ان يظن بها انها تخبر الله فازالت الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت وبينت انها انما قالت
ذلك للاعتذار والتحسر لا للاعلام قال صاحب الكشاف قرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل
هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها والباقون بسكون التاء على انه كلام الله والمعنى انه تعالى قال والله اعلم
بما وضعت تعظيما لولدها وتجهيلا لها بقدر ذلك الموضوع اي والله اعلم بالشي الذي وضعت
وبما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيا فلذلك
تحسرت قوله ليس الذكر كالانثى قيل هذا من كلام ام مريم ومرادها تفضيل الذكر على الانثى وسبب
هذا التفضيل من وجوه احدها ان شرعهم جواز تحرير الذكر دون الانثى الثاني ان الذكر يصح منه
خدمة موضع العبادة لقوته وشدته دون الانثى لضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس وسائر عوارض
النسوان الثالث ان الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة ولا تهمة بالاختلاط بالناس بخلاف الانثى ولقائل ان يقول حمل
الانثى اصلا في التشبيه لا يناسب تفضيل الذكر على الانثى وقيل مرادها تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها
قالت الذكر مطلوبي وهذه الانثى موهوبة لله وليس الذكر الذي هو مطلوبي كالانثى التي هي موهوبة لله
وهذا مناسب جعل الانثى اصلا في التشبيه وهذا الكلام يدل على ان ام مريم كانت مستغرقة في جلال الله
عالمة بان ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريد العبد لنفسه وقيل قوله وليس الذكر كالانثى من كلام الله وهو
بيان لقوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد قوله واني سميتها مريم عطف على قوله اني وضعتها
انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما ذكرت تسميتها لربها لان مريم
في لغتهم العابدة فارادت بذلك التقرب الى الله والطلب منه ان يعصمها حتى يكون فعلها مناسبا لاسمها وان يصدق
فيها ظنها ولهذا اتبعته طلب الاعاذة لها ولذريتها فقالت واني اعيذها اي امنعها واجيرها بك
وذريتها اي اولادها من الشيطان الرجيم اي الطريد اللعين المرمي بالشهب وكانت مريم اجمل النسا
في وقتها وافضلها عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نسا العالمين
اربع مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا
من نخسه الا ابن مريم وامه ثم قال ابو هريرة اقروا ان شئتم اني اعيذها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم قال اهل التفسير افاد هذا الحديث ان الله تعالى استجاب دعا ام مريم
وان الشيطان ينخس جميع ولد ادم حتى الانبيا والاوليا الا مريم وابنها قال قتادة كل مولود يطعن
الشيطان ينخس جميع ولد ادم حين يولد غير عيسى وامه جعل بينهما حجاب فاصابت الطعنة
الحجاب ولم ينفذ لهما منه شي قال اهل التفسير ان لم يكن لذلك بطلت الخصوصية بهما ولا يلزم من هذا
ان نخس الشيطان يلزم منه اضلال الممسوس واغواؤه فان الشيطان ذو ان يعرض للانبيا والاوليا
بانواع الافساد والاغوا الا ان الله تعالى عصمهم مما يرومه الشيطان قال الله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان ومريم وابنها وان عصما من نخس الشيطان لم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته
قال صلى الله عليه وسلم ان كل واحد من بني ادم قد وكل به قرينه من الشيطان قال القاضي عبد الجبار
وهو من اكابر المعتزلة طاعنا في ذلك الحديث فقال انه خبر واحد على خلاف الدليل لان الشيطان انما يدعو
الى الشر من له تمييز ولانه لو تمكن من هذا الجاز ان يهلك الصالحين وايضا لم خص عليها السلام دون سائر

الاولياء

ولانه لو وجد النخس لدام اثره وما ذكره القاضي كلام ساقط فانه لا يلزم من نخس الشيطان دعوته
للشر ولئن سلم انه يلزم من نخسه دعوته للشر ولكن لا نسلم انه انما يدعو الى الشر من لم يتميز كالامر
المتعلق بالمعدوم ولا يلزم من تمكن الشيطان من النخس فعله اكثر من ذلك من اهلاك الصالحين وافساد
احوالهم فانه يجوز ان يمكنه الله من النخس ولم يمكنه من فعله اكثر من ذلك ولا امتناع من تخصيص مريم وابنها
بهذا دون سائر الانبيا فانه خص عيسى بولادته من غير اب وبكلامه في المهد ومثل هذا الكلام من التمحض
يدل على بلادة ذهنه وقلة فهمه وانه ما شم رائحة المعقول قال صاحب الكشاف وما روي من الحديث ما من مولود
يولد الحديث فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما
كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما لقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله
صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من
التخييل قول ابن الرومي "لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد" واما حقيقة
المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا
مما يبلونا به من نخسه وشك صاحب الكشاف في صحة هذا الحديث انما من اعتقاده الفاسد
وتعصبه للاعتزال ونزغات الشيطان التي هي من اثار نخسه فان الحديث اخرجه الشيخان البخاري
ومسلم في صحيحيهما عن ابي هريرة واتفقا على صحته وقد علم بما ذكرنا فساد تاويله وقوله صلى
الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان ينخسه او يمسه يفيد الحصر مع التاكيد فان
الواو دخله بين الصفة التي هي قوله والشيطان ينخسه والموصوف لتاكيد اللصوق فلا معنى
لقوله كل من كان في صفتهما ولا بعد في اختصاصهما بهذه الفضيلة من دون الانبيا **قوله
تعالى** فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب
وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب
فتقبل الله مريم من حنة امها ورضي بها مكان الذكر المحرر في النذر بقبول حسن تفعل قبل فلان
الشي اذا رضي به يتقبله قبولا بالفتح وهو مصدر مثل الولوغ والوزوع ولم يات غير هذه الثلاثة
والقياس الضم مثل الدخول والخروج والتقدير فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن
وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فتقبلها فاستقبلها كقوله تعجله بمعنى استعجله وتقضاه
بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذ باوله وعنفوانه قال القطامي
وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها
في اول امرها بقبول حسن وانما قال فتقبلها لان ما كان من باب التفعل يدل على شدة اعتنا الفاعل
بالفعل كالتصبر والتجلد فالتقبل يفيد المبالغة في اظهار القبول ولم يقل بتقبل حسن حتى صارت
المبالغة اكمل لان التقبل وان ادى ما ذكرنا الا انه يفيد نوع تكلف على خلاف الطبع اما القبول
فانه يفيد معنى القبول على وفق الطبع فذكر التقبل ليفيد الجد والمبالغة ثم ذكر القبول
ليفيد ان ذلك ليس على خلاف الطبع بل على وفق الطبع وهذه الامور وان كانت ممتنعة في حق
الله تعالى الا انها من حيث الاستعارة على حصول العناية العظيمة في تربيتها ويجوز ان يكون
القبول اسم ما يقبل به الشي كالسعوط لما يسعط به واللدود لما يلد به والمعنى اختصاصه بها
باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او اختصاصه لها بان تسلمها
من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة وقيل التقبل التكفل في التربية والقيام
بشانها وقيل قبول حسن معناه انه ما عذبها ساعة من ليل او نهار **قوله** وانبتها نباتا حسنا

مجازا

مجازا عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها ثم ان من عرف
النبات الحسن بما يتعلق بالدين لانها نبتت في الصلاح والسداد والعفة والطاعة ومنهم من عرف
بما يتعلق بالدنيا عن ابن عباس انبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان وكانت
تنبت في اليوم ما تنبت المولود في عام واحد وقيل انبتها اي غذاها في غذاه ورزقها نباتا حسنا
حتى تمت امراة بالغة تامة **قوله** تعالى وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ يلون بيت المقدس ما تلي الحجبة من الكعبة
فقالت لهم دونكم اي خذوا هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احقكم بها عندي خالتها
فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك لانها لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها ولكنا نقترع عليها فتكون عند
من خرج سهمه فانطلقوا الى نهر وكانوا تسعة وعشرين رجلا وقيل هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم في الماء
فارتفع قلم زكريا فوق الما وانحدرت اقلامهم ورسبت في النهر وكفلها زكريا قرا ابن كثير ونافع
وعاصم برواية ابي بكر وابو عمرو وابن عامر كفلها مخففة الفا وحينئذ يكون زكريا في محل الرفع اي ضمها
الى نفسه وقام بامرها تقول العرب مالك تكفل الهوامي اي تضمها وتاخذها اليك قال الشاعر فهو لضلال
الهوامي كافل وتصديق هذه القراءة ايهم يكفل مريم وقوله هل ادلكم على من يكفله وقوله هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم والباقون بتشديد الفا وزكريا في محل النصب اي ضمها الله الى زكريا وجعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها وضمها اليه بالقرعة التي قرعهم فصار احق الناس بها وزكريا قرا حمزة
والكسائي وحفص مقصورا والباقون بالمد قيل ان زكريا فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع
وضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النسا بنى لها محرابا في المسجد اي غرفة وجعل بابها في
وسطها لا يصعد اليها الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها في كل يوم والمحراب
اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى
المحاريب وقيل كان زكريا لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب
فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا فكان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا
قط وكان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا فيقول لها انى لك
هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب
مغلقة عليك ولا سبيل للداخل بالرزق اليك قالت هو من عند الله اي قطف الجنة ولا
تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد عن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام اياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فقام في
منازل ازواجه لم يصب عند واحدة منهن شيا فاتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية
هل عندك شي اكله فاني جائع فقالت لا والله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عندها بعثت لها جارتها برغيفين وبضعة لحم فاخذته منها فوضعته في جفنة لها
وغطت عليه وقالت والله لاوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن
عندي وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة طعام فبعثت حسنا او حسينا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت قد اتانا الله بشي فخباته لك قال صلى الله عليه وسلم
هلمي يا بنية فاتته فكشفت عن الجفنة فاذا هي مملوء خبزا ولحما فلما نظرت اليها بهتت
وعرفت انها نزلت من عند الله فحمدت الله وصلت على نبيه فقال لها صلى الله عليه وسلم

انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نسا بني اسرايل فانها كانت اذا
رزقها الله شيا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه ثم اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفاطمه وعلي والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت
فاطمه على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم او من كلام الله بغير تقدير
لكثرته او تفضلا بغير محاسبه ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق **قوله تعالى**
هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا
في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار
هنا وثم وحيث للزمان لما راى زكريا حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها وقال
ان الذي قدر على ان ياتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل احد لقادر على
ان يصلح زوجتي ويهب لي ولدا على الكبر ان يكون من اتباع ولد مثل ولد اختها حنة في
النجابة والكرامة على الله عز وجل وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وذلك
ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ وايس من الولد دعا زكريا ربه
فدخل المحراب وغلق الابواب وناجى ربه فقال رب حذف حرف النداء من اوله والياء
من اخره استغنا بكسرة الباء عن الياء هب لي اعطني من لدنك من عندك ذرية طيبة اي ولدا
مباركا تقيا صالحا زكيا والذرية تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى وهو ههنا واحد
يدل عليه قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا قوله انك سميع الدعا اي سامعه ومجيبه
قوله تعالى فنادته الملائكه وهو قايم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من
الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قرا حمزه والكسائي فناداه الملايكه على التذكير والامالة والباقون
بالتا على التانيث قيل اذا تقدم الفعل فانت فيه بالخيار ان شئت ذكرت وان شئت انثت مع ان التذكير
اذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التانيث فيها احسن وافصح لقوله قالت الاعراب اما قيل كان عبد الله
ابن مسعود يذكر الملائكة في القران قيل انما يرى عبد الله اختار ذلك خلافا للمشركين في قولهم
الملائكه بنات الله فاراد بالتذكير هاهنا الكنا ابهم وقيل ناداه جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر
الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى ياذن لهم في الدخول فبينا هو
قايم في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرونه ان ياذن لهم في الدخول اذ هو برجل
شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى فذلك
قوله تعالى فنادته الملائكه يعني جبريل وحده نظيره في هذه السوره واذ قالت الملايكه
يا مريم يعني جبريل وحده وقوله تعالى في النحل ينزل الملائكة يعني جبريل بالروح لان
الرسول الى جميع الانبيا جبريل وهذا جائز في العربية ان يخبر عن الواحد بلفظ
الجمع لقولهم فلان ركب الخيل وركب فلان في السفن وانما ركب فرسا واحدا وسفينة واحده
وخرج على بغال البريد وانما خرج على بغل واحد وسمعت هذا الخبر من الناس
وانما سمعه من واحد ونظيره في القران قوله تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم
بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان بن حرب وقيل اذا كان القايل رئيسا يجوز
الاخبار عنه بالجمع لاجتماع اصحابه معه فلما كان جبريل عليه السلام رئيس الملائكه

وقيل

لم يبعث الا ومعه جمع منهم فجرى على هذا قوله وهو قايم يصلي في المحراب يعني في المسجد نظيره
قوله فخرج على قومه من المحراب اي من المسجد وقوله اذ تسوروا المحراب وهو في
المسجد مفعال من الحرب قيل سمي بذلك لانه يحارب فيه الشيطان كما قيل مضمار للميدان الذي تضمر
فيه الخيل وامال ابن عامر المحراب في جميع القران وفتحها الباقون قوله ان الله يبشرك قرا
ابن عامر وحمزه بكسر الالف على اضمار القول تقديره فنادته الملائكة فقالت ان الله او لان النداء
نوع من القول والباقون بالفتح بايقاع النداء عليه كانه قال فنادته الملايكه بان الله يبشرك واختلف
القرا في مستقبل هذا الفعل وجملتها في القران عشرة مواضع ههنا وفي سورة التوبة يبشرهم
ربهم وفي الحجر انا نبشرك بغلام عليم وفبم تبشرون وفي سبحان والكهف ويبشر المومنين وفي مريم
موضعان يا زكريا انا نبشرك ولتبشر به المتقين وفي حم عسق ذلك الذي يبشر الله عباده فمن عشرة
مواضع اتفقوا على واحد منها انه مشدد وهو قوله فبم تبشرون واختلفوا في التسعة الباقيه
فقرا حمزه كلها بفتح التا وسكون الباء وضم الشين وتخفيفها والكسائي خمسة منها مخففه موضعان
ههنا وفي الكهف وفي سبحان وفي حم عسق وخفف ابن كثير وابو عمرو منها حرفا واحدا وهو
قوله في حم عسق والباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين وتشديدها قوله يحيى منع الصرف
للتعريف والعجمه ان كان اعجميا كموسى وعيسى وهو الظاهر وللتعريف ووزن الفعل ان كان عربيا
لم يعرف قيل انما سمي يحيى لان الله تعالى احيا قلبه بالنبوة وقيل لان الله احياه بالطاعة حتى لم يعص ولم
يهم بمعصيه عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا يلقى الله عز وجل قد هم
بخطيئة او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها وقيل انما سمي بذلك لانه استشهد
والشهدا احيا عند ربهم يرزقون عن النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله ان يحيى بن
زكريا قتلته امراة قيل اوحى الله عز وجل الى ابرهيم الخليل عليه السلام ان قل لسارة وكان
اسمها يسارة اني مخرج منكما غلاما لا يموت بمعصيتي اسمه حي فهبي له من اسمك حرفا فوهبت له
اول حرف من اسمها فصار يحيى وصارت امراة ابرهيم سارة قوله تعالى مصدقا نصب على الحال
بكلمة من الله يعني بعيسى سمي كلمه لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن فلان الله تعالى
قال له كن من غير اب وكان فوقع عليه اسم الكلمه وقيل يحيى اول من امن بعيسى وصدقه
وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وقيل ان يحيى قتل قبل ان يرفع عيسى وقيل مصدقا بكلمة من
الله يعني بكتاب منه وسمي الكتاب كلمه كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته تقول العرب
انشدني كلمة فلان اي قصيدته وسيدا فيعل من ساد يسود واصله سيود والسيد
الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وهو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وقيل
اراد سيدا في الدين وقيل السيد الذي يطيع ربه وقيل الفقيه العالم وقيل السيد الذي
ساد في العلم والعبادة والورع وكان يحيى فايقا لقومه وفايقا للناس كلهم في انه
لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وقيل السيد الحليم وقيل التقي وقيل الذي لا يغضب
وقيل الكريم على الله وقيل الشريف الكبير وقيل الذي لا يحسد قال ذو النون الحسود
لا يسود وقيل سيدا اي مطاعا وقيل الذي يفوق في كل شي من الخير اقرانه وقيل
القانع بما قسمه وقيل الراضي بقضا الله وقيل المتوكل على الله وقال ابو يزيد البسطامي
هو الذي قد عظمت همته ونبل قدره ان يحدث نفسه بارادة الدنيا وقيل هو السخي عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال
صلى الله عليه وسلم واى دا ادوا من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح وعن ابن عباس انه
كان قاعدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه بضعة عشر رجلا عليهم ثياب السفر فسلموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم ولكنا لوا من السيد فيكم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم فعرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله فما في امتك قالوا ابلى قال رجل اعطى مالا ورزق سماحه وادى الفقرا
وقلت شكايته في الناس عن ابن عباس قال بلغنا ان اسد بن عبد الله قال لرجل من بني شيبان بلغني
ان السود دفيكم رخيص قال اما نحن فلا نسود الا من يوطينا رحله ويفرش لنا عرضه ويعطينا
ماله فقال والله ان السود دفيكم لغال قوله وحصورا اصله من الحصر وهو الحبس يقال
حصرت الرجل عن حاجته اذا حبسته وحصرت من كذا احصر اذا امتنعت منه وحصر فلان في قراته
اذا امتنع من قراته فلم يقدر عليها ومنه احصار العدو وقال الله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
اي محبسا ويقال للرجل الذي يكتم سره ويحبسه ولا يظهره حصر فالحصور في قول ابن مسعود
وابن عباس وابن جبير وقتادة وعطا وابي الشعثا والحسن والسدي وابن زيد الذي يابى
النسا ولا يقربهن حصر لنفسه اي منعها من الشهوات فعلى هذا فعول بمعنى فاعل وقيل الحصور
الذي لا يدخل في اللعب والعبث والاباطيل واصله من قول العرب للكرم الذي لا يدخل في الميسر حصور
قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار وروي انه مر وهو طفل
بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشيا من الصالحين لانه كان من
اصلاب الانبيا او كاينا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين قوله تعالى
قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشا قال رب
اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار
قال زكريا يا الله يا رب انى يكون من اين يكون لي غلام ابن استبعاد من حيث العاده كما قالت
مريم وقد بلغني الكبر لفي لم ادركتني السن العاليه والمعنى اثر في الكبر واضعفني قيل يوم بشر
بالولد كان له تسع وتسعون سنه ولامراته ثمان وتسعون سنه فذلك قوله وامراتي عاقر
لا تلد يقال رجل عاقر وامراة عاقر وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقاره ويقال تكلم فلان حتى
عقر بكسر القاف يعقر عقرا اذا فنى ولم يقدر على الكلام وانما حذف الها من العاقر لاختصاص الاناث
بهذه الصفه وقيل للنسبه اي ذات عقر كما يقال امراة مرضع اي ذات ولد رضيع وقيل
وامراتي شي عاقر اي شخص عاقر فان قيل لم انكر زكريا الولد وسال الاية بعد ان بشرته الملكة اكان ذلك
شكا في وحيه او انكارا لقدرته فهذا لا يجوز ان يوصف به اهل الايمان فكيف الانبيا قيل الجواب
عنه ان زكريا لما سمع ندا الملكة جاه الشيطان فقال يا زكريا ان هذا الصوت الذي سمعت
ليس من الله انما هو من الشيطان ليحزنك ولو كان من الله لاوحاه اليك خفيا كما ناديته
خفيا وكما يوحي اليك في ساير الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وقيل انه لم يشك في
الولد وانما سال في كيفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال اى يكون لي ولد اي كيف
يكون لي ولد اتجعلني وامراتي شابين ام ترزقنا ولدا على كبرنا ام ترزقني من امراتي العاقر
ام من غيرها من النسا فقال ذلك مستفهما لا منكرا قوله كذلك اي يفعل الله ما يشا

من الافعال العجيبه مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر يفعل هذا
كذلك صفة مصدر محذوف او يكون الله مبتدا وكذلك خبر مقدم عليه اي على نحو هذه الصفة
الله ويفعل ما يشا بيان له اي هو يفعل ما يشا من الافاعيل الخارقة للعادات قوله قال
رب اجعل لي اية اي علامة اعرف بها الحمل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر فازيد في العباده
قال ايتك الا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن
القدرة على تكليمهم خاصه لا على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي
والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وقدرتك على ذكر الله والتسبيح مع حبس لسانه
عن القدرة على تكليم الناس خاصه من الايات الباهره وقيل ايتك ان تصير ماموراً بان لا تتكلم
ثلثة ايام بلياليها مع الناس وان تكون مشتغلا بالذكر والتسبيح والتهليل معرضا عن الخلق
والدنيا شكرا لله تعالى على اعطا مثل هذه الموهبه فاذا امرت بهذه الطاعه فاعلم انه قد
حصل المطلوب قال صاحب الكشاف فان قيل لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليتخلص المدة لذكر الله لا
يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضا حق تلك النعمه الجسيمه وشكرها الذي طلب الاية من اجله
كانه لما طلب الايه من اجل الشكر قيل له ايتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب
واوقعه ما كان مشتقا من السوال ومنتزعا منه قوله الا رمزا الا اشارة بيد او راس او عين او
شفة او حاجب واصل الرمز التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقيل الرمز تحريك
الشفتين باللفظ من غير نطق وصوت وقيل انه عليه السلام كان يمكنه ان يتكلم بالكلام الخفي ولكن رفع
الصوت بالكلام كان ممنوعا منه فان قيل الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه اجيب بانه لما ادى
ما هو المقصود من الكلام سمي كلاما ويحتمل ان يكون استثنا منقطعا فلو حمل الرمز على الكلام الخفي
لم يبق اشكال قوله واذكر قيل حبس الله لسانه عن امور الدنيا الا رمزا فاما في الذكر والتسبيح
فقد كان لسانه جيدا وكان ذلك من المعجزات الباهرات وقيل المراد منه الذكر بالقلب لان المستغرقين في
بحار معرفة الله عادتهم في اول الامر المواظبه على الذكر اللساني مده فاذا امتلا القلب من نور ذكر الله
سكت باللسان وبقي في القلب ولذلك قيل من عرف الله كل لسانه فكان زكريا امر بالسكوت باللسان
واحضار معاني الذكر والمعرفه واستدامتها قال وسبح بحمد ربك بالعشي وهو من حين زوال الشمس الى ان
تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقيل وسبح اي وصل لان الصلوة قد تسمى تسبيحا قوله
تعالى واذ قالت الملايكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نسا العالمين قيل
العامل في اذ هو سميع فهو عطف على قوله اذ قالت امراة عمران وقيل العامل في اذ فعل مضمر تقديره
واذكر اذ قالت الملايكه وقيل المراد بالملايكة جبريل وهذا وان كان عدولا عن الظاهر
لكنه يجب المصير اليه لان سورة مريم دلت على ان الكلام مع مريم من جبريل وهو قوله تعالى فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا يا مريم قيل ان الملايكه كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام
او اظهار النبوة عيسى او كرامة لمريم فانه يجوز كرامات الاوليا وقيل ان ذلك كان على سبيل
النفث في الروع والالهام والالقا في القلب كما كان في حق ام موسى في قوله واوحينا
الى ام موسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنيه وطهرك
مما يستقذر من الافعال ومما قذفك به اليهود حزاهم الله واصطفاك اخرا على نسا العالمين بان وهب
لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من نسا العالمين وبان شهد لك عيسى في المهد بادلة على
براتك وجعلك وابنك اية للعالمين قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي

الذكر

بلغ مقابلة

واركعي مع الراكعين لما بين تعالى انها مخصوصة بمزيد الطول والمواهب من الله تعالى اوجب عليها
مزيد العبادات شكرا لتلك النعم السنية امرت بالصلوة بايجاب القنوت والسجود لكونهما
من هيآت الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين اي ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة
اي وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في
زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون
مع من لا يركع قيل امرت بالعبادة على العموم اولا ثم بالصلوة وقال واسجدي وقدم السجود على الركوع
لان غاية قرب العبد من الله ان يكون ساجدا فلما كان السجود مختصا بهذا النوع من الرتبة
والفضيلة قدمه على الركوع وانما قال مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان الاقتدا بالرجال
افضل من الاقتدا بالنسا **قوله تعالى** ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ذلك اشارة الى ما تقدم من نبا
زكريا ويحيى وعيسى ومريم وامها يعني ان ذلك من اخبار الغيب التي لم يعرفها الا بالوحي فان
قيل لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع هذه الانبا من حفاظها
وهي امر موهوم اجيب بانه كان معلوما عندهم علما يقينيا ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليس من اهل السماع والقراءة ولم يسمع من حفاظها وكانوا مستنكرين لنزول الوحي عليه فلم يبق
الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين لنزول
الوحي اليه مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم عما غاب عنك والايحاء تعريف الموحى اليه
بامر خفي من اشارة او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله تعالى واوحى ربك
الى النحل وقال ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
فلما كان الله القى هذه الانبا الى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل بحيث يخفى ذلك
على غيره سماه وحيا قوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم وسهامهم
التي طرحوها في الما مقترعين وقيل هي الاقلام التي يكتبون بها التورية وكانت بايديهم
فالقوها في الما ايهم يكفل مريم يحضنها ويربيها واختاروها للقرعة تبركا بها وما كنت
لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها وقوله ايهم يكفل متعلق بمحذوف
دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقون اقلامهم ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون
قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم
وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين
لما ذكر حال مريم في اول امرها شرع في ذكر ولادتها بعيسى فقال اذ قالت وهو بدل من قوله
واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان
واحد كما تقول لقيته سنة كذا قوله بكلمة منه من هاهنا لابتدا الغاية لانه لم يكن الا بلا
واسطة بينه وبين الله فكان كلمة من الله لا من غيره لا للتبعيض كما يتوهمه النصارى والحلولية
قوله اسمه ذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر قوله المسيح قيل لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك لقوله وجعلني
مباركا ولذلك عيسى معرب من ايشوع ومن جعلهما مشتقا من المسح والعيس كالراقم في الما
لانه يعمل ما لا طائل تحته وقيل المسيح فعيل بمعنى المفعول يعني انه مسح من الاوزار وطهر

وقيل

وقيل مسح بالبركة وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل كان مسيح القدمين لا اخمص له
وقيل مسحه جبريل بجناحه حرزا من الشيطان حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل في وقت
ولادته وقيل هو بمعنى الفاعل مثل عليم وعالم سمي بذلك لانه كان يمسح المرضى فيبرؤن باذن
الله وقيل سمي بذلك لانه كان يمسح عين الاعمى فيبصر وقيل سمي بذلك لانه كان يسيح في الارض
ويجوبها ولا يقيم في مكان وعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل المسيح الملك وقيل المسيح
الصديق والدجال مسيح ايضا فعيل بمعنى المفعول لانه ممسوح احدى العينين كانها عنبة طافية او
كان بمعنى الفاعل لانه يسيح في الارض فيطوف الارض كلها الا مكة والمدينة وبيت المقدس قوله
عيسى ابن مريم مع ان الخطاب لمريم لان الانبيا ينسبون الى الابا لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها
انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نسا العالمين وانما قيل اسمه
المسيح عيسى ابن مريم وهذه الثلاثة الاسما الاسم منها عيسى والمسيح وابن مريم صفة لان الاسم للمسمى
علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة
قوله وجيها حال من كلمة ولذلك قوله ومن المقربين وقوله ويكلم وقوله ومن الصالحين
اي يبشرك بكلمة موصوفا بهذه الصفات انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة وجيها اي شريفا
ذا جاه وقدر والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو
الدرجة في الجنة ومن المقربين عند الله رفعه الى السما وصحبته الملائكة والمهد ما يمهد للصبي
من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه اي ويكلم الناس طفلا
وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبيا من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة
التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبيا قيل وكهلا يعني اذا اجتمع قبل ان يرفع الى السما
وقيل بعد نزوله من السما وقيل كهلا اي حليما والعرب تمدح بالكهولة لانها الحالة الوسطى
في احتمال السن واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة **قوله تعالى**
قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشا اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون انها انما قالت ذلك لان البشرية تقتضي التعجب مما وقع على خلاف العادة
والبرهان العقلي دال على حدوث الانسان على سبيل التولد من غير توالد **قوله**
تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد
جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله
وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في
بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين ومصدقا لما بين
يدي من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
قرا نافع وعاصم ويعلمه بالياء والباقون بالنون وهي مثل قراءة اليا في المعنى لكن جاءت
بنون العظمة قال صاحب الكشاف ويعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو
كلام مبتدا انتهى هذا على قراءة اليا ظاهر واما على قراءة النون ففيه التفات وايذان بان
هذه الكرامة من المسيح التي توجب ان يعظم مولها قال الامام ومن قرا بالنون

قال تقدير الاية انها قالت رب انى يكون لي ولد فقال الله لها كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون فهذا وان كان اخبارا على جهة المعاينة الا انه اخبار من الله تعالى عن نفسه فلا
جرم حسن ان يوصله بالاخبار على جهة المعاينة الاية اخبارا فقال ويعلمه الكتاب والمراد بالكتاب
الخط والكتابة والمراد بالحكمة العلوم وتهذيب الاخلاق فان كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته
والخير لاجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة ثم بعد ان صار عالما بالخط والكتابة ومحيطا بالعلوم النظرية
والعملية نعلمه التورية وانما اخر تعليم التورية عن تعلم الخط وتعليم الحكمة لان التورية كتاب
الهي وفيه اسرار عظيمة والانسان ما لم يتعلم العلوم النظرية والعملية لا يمكنه ان يخوض في البحث
عن اسرار الكتب الالهية وانما اخر الانجيل عن التورية لان من تعلم الخط ثم تعلم علوم الحق ثم احاط
باسرار الكتاب الذي انزل الله على من قبله من الانبيا فقط عظمت درجته في العلم فاذا انزل الله بعد ذلك
كتابا اخر وقفه على اسراره فذلك هو الغاية القصوى والمرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالاسرار
العقلية والشرعية والاطلاع على الحكم العلوية والسفلية قال الامام هذا ما عندي في ترتيب هذه
الالفاظ الاربعة قوله ورسولا قال ابن عطية معطوف على ونعلمه اذ التقدير ومعلما الكتاب فهذا
كله عطف بالمعنى على وجيها ويحتمل ان يكون قوله ورسولا حالا من قوله ويكلم الناس فيكون عطفا على
قوله وكهلا ويحتمل ان يكون التقدير ونجعله رسولا قال الامام تقدير الاية ونعلمه الكتاب والتورية
والانجيل ونبعثه رسولا الى بني اسرائيل قايلا اني قد جئتكم باية من ربكم والحذف حسن اذا لم يفض الى الاشتباه
وقال الزجاج الاختيار عندي ان التقدير ويكلم الناس رسولا وانما اضمر ذلك لقوله اني قد جئتكم والمعنى
ويكلمهم رسولا باني قد جئتكم قال صاحب الكشاف فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة
وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي باي تحمله عليها قلت من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له
وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما
بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق كانه قيل وناطقا باني قد جئتكم اني
ارسلت بذلك فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم
او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرا ابن كثير بكسر همزة اني اخلق على
الاستيناف وقطع الكلام مما قبله او على انه فسر الاية بقوله اني اخلق ويجوز ان يفسر
الجملة المتقدمة بما يكون على وجه الابتدا كما قال الله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
ثم فسر الموعود بقوله لهم مغفرة وقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ثم فسر المثل بقوله خلقه من
تراب والباقون بالفتح على معنى باني اخلق اصور واقدر لكم من الطين شيا كهيئة الطير مثل صورة
الطير والهيئة الصورة المهياة وهي من قولهم هيات الشي اذا قدرته واصلحته فانفخ فيه
والضمير للكاف اي فانفخ في ذلك الشي المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا كسائر الطيور طيارا قرا نافع
طايرا بالالف على الواحد ذهب الى نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش
لانه اكمل الطير خلقا ليكون ابلغ في القدرة لان لها ثديا واسنانا وهي تحيض وتطير والباقون طيرا
على الجمع لانه خلق طيرا كثيرا والطير اسم الجنس يقع على الواحد والجمع روي ان عيسى عليه
السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فاخذ
طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السما والارض قال وهب كان يطير ما دام
الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله وليعلم
ان الكمال لله قوله باذن الله بتكوين الله وتخليقه لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت

الا باذن الله بتكوين الله وتخليقه لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بان يوجد الله
الموت وانما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد ازالة للشبهة وتنبيها على اني اعمل هذا التصوير
فاما خلق الحيوة فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجز على يد الرسول قيل القران دل على انه عليه
السلام انما خلقه الله من نفخ جبريل في مريم وجبريل عليه السلام روح محض فلا جرم كانت نفخة عيسى عليه
السلام سببا للحيوة وابرئ اي اشفي والصحيح ابرا فبرا هو بري وابرا ايرا ويجوز برا فيهما الاكمه الذي
ولد اعمى وقيل هو الذي عمي بعد ان كان بصيرا وقيل هو الذي لا يبصر بالليل وقيل هو ممسوح العين
ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة صاحب التفسير والابرص الذي فيه وضح وانما
خص هذين لانهما اعييا وكان الغالب على زمن عيسى الطب فاراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك
وروي انه لما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا
بالدعا على شرط الايمان واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالهية فاحيى اربعة
انفس العازر وكان صديقا له فارسلت اخته الى عيسى ان اخاك العازر يموت فاته وكان بينه وبينه
مسيرة ثلثة ايام فاتاه هو واصحابه فوجدوه وقد مات منذ ثلثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره
وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى عليه السلام اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك ارسلتني
الى بني اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم اني احيي الموتى باذنك فاحيي العازر فقام عازر وودكه
يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز مر به على عيسى على سرير يحمل فدعا الله تعالى عيسى فجلس
على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقي وولد له
وابنة العاشر قيل له احيها وقد ماتت امس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدت وسام
بن نوح دعا عيسى عليه السلام باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه فقال
قد قامت القيامة قال لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ولم يكونوا يشيبون في ذلك
الزمان حتى كان سام بن نوح قد عاش خمسماية سنة وهو شاب قيل كان عيسى عليه السلام يحيي
الموتى بيا حي يا قيوم وانبئكم اخبركم بما تاكلون مما لم اعاينه وما تدخرون وما ترفعونه في بيوتكم
حتى تاكلوه وهو تفتعلون من ذخرت قيل لما ابرا عيسى الاكمه والابرص قالوا هذا سحر ولكن اخبرنا
بما ناكل وما ندخر وكان يخبر الرجل بما اكل في غدايه وعشايه وقيل كان عيسى عليه السلام اذا
كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع بهم اباوهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا
ورفعوا لك كذا وكذا وهم ياكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشي فيقولوا
له من اخبرك بهذا قال عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع الساحر فجمعوهم في بيت فجا
عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا هاهنا قال فما في البيت قالوا خنازير قال عيسى عليه السلام
كذلك يكونون ففتحوا عليهم فاذا هم خنازير وفشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت
عليه امه حملته على حمير لها وخرجت به هاربا الى مصر وقيل انما هذا في المائدة وكان خونا
ينزل عليهم اينما كانوا وقيل المن والسلوى وامر القوم ان لا يخونوا فيه ولا يخبوا لغد بلا من الله
ابتلاهم به فخانوا وخبوا فجعل عيسى عليه السلام يخبرهم بما اكلوا من المائدة وبما ادخروا
منه فمسخهم الله خنازير قوله ومصدقا عطف على قوله رسولا تقديره وبعثت ارسلت رسولا
الى بني اسرائيل ومصدقا لما بين يدي اي لما قبلي من التورية ويجوز ان يكون معطوفا على قوله باية
من حيث المعنى اي جئتكم باية وجئتكم مصدقا وجب على كل نبي ان يكون مصدقا بجميع الانبيا لان الطريق
الى ثبوت نبوتهم المعجزة وقيل من حصل له المعجزة وجب الاعتراف بنبوته والعمل من جملة الاعتراض

في بعثة عيسى عليه السلام الى بني اسرائيل تقرير التورية وازالة شبهات المنكرين وتحريفات
الجاهلين قوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وما حرم الله عليهم في شريعة موسى كالشحوم
والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى ذلك قيل احل لهم السمك والطير
ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت قوله وجئتكم بآية من ربكم يعني ما ذكرنا من الايات
وانما وحد لانها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته وانما اعاده لان اخراج الانسان عن المالوف
والمعتاد من قديم الزمان عسر فاعاد ذكر هذه المعجزات ليصير كلامه مؤثرا في طباعهم ثم خوفهم فقال فاتقوا
الله واطيعون لان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله فبين انه اذا لزمكم ان تتقوا لزمكم ان تطيعوني
فيما امركم به عن ربي ثم انه ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم ومقصوده ظهور الخضوع والاعتراف
بالعبودية لكي لا يتقولوا عليه الباطل ويقولوا انه اله وابن اله لان الاقرار لله بالعبودية يمنع مما يدعيه
جهال النصارى عليه ثم قال فاعبدوه هذا صراط مستقيم والمعنى انه تعالى لما كان رب الخلائق
باسرهم وجب على الكل ان يعبدوه ثم اكد ذلك بقوله هذا صراط مستقيم قال صاحب الكشاف وجئتكم
بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول
لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت
كيف جعل هذا القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها انه رسول كسائر
الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من
ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والابرص والاحياء والانباء
بالخفيات وبغيره من ولادتي من غير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك فاتقوا الله واطيعون
فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم فاعبدوه لقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان
يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض **قوله تعالى** فلما احس
عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا
مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين لما حكى الله تعالى بشارة مريم
بكلمة منه واستقصى في بيان اسمه وصفاته وذكر معجزاته ترك ههنا قصة ولادته فقد ذكرها في
سورة مريم على الاستقصاء وشرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات واظهر لهم تلك
الدلائل قصدوا قتله فلما احس عيسى منهم الكفر وانهم ارادوا قتله اي فلما علم منهم الكفر علما لا
شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحس وقيل وجد وقيل راى قيل سبب ذلك انه تعالى لما بعث عيسى
رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم الى دين الله تمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم فخرج هو وامه
يسيحان في الارض فنزلا في قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما وكان لتلك القرية جبار متعد فجاء
ذلك الرجل يوما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم لها ما شأن زوجك اراه كئيبا
قالت لا تسألي قالت اخبريني لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما ان
يطعمه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة فقالت مريم
فقولي له لا يهتم فاني آمر ابني فيدعو له فتكفى ذلك فقالت مريم لعيسى يا ولدي ادع الله ليكفي ذلك فقال
عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت لعيسى لا نبالي انه قد احسن الينا واكرمنا قال عيسى عليه السلام
فقولي له اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك ماء وخوابيك ماء ثم اعلمني فلما فعل دعا الله فتحول ما في القدور
لحما ومرقا وما في الخوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتعلل الرجل في الجواب
فلم يزل الملك يطالبه بذلك حتى اخبره بالواقعة وكان للملك ابن اراد ان يستخلفه فمات قبل ذلك بايام

فقال

قال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيى ابني فدعا عيسى فكلمه في ذلك فقال عيسى لا تفعل
فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اليس اراه قال عيسى عليه السلام لئن احييته تتركوني وامي
نذهب حيث شئنا قال نعم فدعا الله سبحانه فعاش الغلام فلما راه اهل المملكة قد عاش تبادروا
بالسلاح وقالوا اكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه فاقتتلوا
وذهب عيسى وامه فمر بالحواريين وهم يصطادون فقال لهم عيسى ما تصنعون قالوا نصطاد
السمك قال افلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال من انصاري الى الله قالوا
ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فامنوا به وانطلقوا معه فهم الحواريون وقيل
ان اليهود كانوا عارفين بانه هو المسيح المبشر به في التورية وانه ينسخ دينهم فكانوا من اول الامر طاعنين
فيه طالبين قتله فلما اظهر الدعوة اشتد غضبهم واخذوا في ايذائه وايحاشه وطلب قتله وقيل
ان عيسى عليه السلام ظن ان قومه الذين دعاهم الى الايمان لا يؤمنون وان دعوته لا تنجح فيهم
فاراد ان يمتحنهم ليتحقق ما ظنه بهم فقال لهم من انصاري الى الله فاجابه الحواريون فعند ذلك
احس بان من سوى الحواريين كافرون مصرون على انكار دينه وطلب قتله قوله الى الله من
صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما
ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا الى الله والى ان اظهر
دينه ويكون الى ههنا غاية كانه اراد من يثبت على نصرتي الى ان تظهر دعوتي ويظهر امر الله
وقيل الى ههنا بمعنى مع تقول العرب الذود الى الذود ابل اي مع الذود قال النابغة
فلا تتركني بالوعيد كانني الى الناس مطلي به القار اجرب اي مع الناس ونظيره قوله ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم وقيل الى بمعنى في اي من اعواني في الله اي في ذات الله وسبيله
قال ابو ذويب وناري التي تأوي اليعاسيب اصبحت الى شاهق دون السماء ذوابها قوله
انصار الله اي انصار دينه ورسوله قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخالصته
ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا
ولا يبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة فعلى هذا الحواريون
هم صفوة الانبياء الذين خلصوا واخلصوا في التصديق بهم وقيل كانوا ملاحين يصطادون
السمك حواريين لبياض ثيابهم وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب
اي يبيضونها وقيل سلمت مريم عيسى الى اعمال شتى وكان آخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا
قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال
لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه اثواب
مختلفة الالوان وقد اعلمت كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فاحب ان تكون
فارغا منها وقت قدومي فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا على لون واحد وادخل
جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله على ما اريد منك فقدم الحواري والثياب كلها في الجب
فقال له ما فعلت قال قد فرغت منها قال اين هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال
كيف تكون في جب واحد لقد افسدت تلك الثياب قال قم فانظر فاخرج عيسى ثوبا
اصفر وثوبا احمر وثوبا ابيض الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الحواري
يتعجب ويعلم ان ذلك من الله فقال للناس تعالوا فانظروا الى ما صنع فامن به هو
واصحابه فهم الحواريون وقيل الحواريون اثنا عشر رجلا تبعوا عيسى

فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الارض ان كان سهلا او جبلا فيخرج
لكل انسان رغيفين فيأكلها فاذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده الارض سهلا كان
او جبلا فيخرج ماء فيشربون فقالوا يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا
وامنا بك واتبعناك قال افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكرا
وقيل سموا الحواريين لصفا قلوبهم وقيل سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة
ونورها وحسنها واصل الحور عند العرب شدة البياض يقال رجل احور وامراة حوراء
لشدة بياض مقلة العين ويقال للدقيق الابيض حوارى وكل شي بيضته فقد حورته ويقال
للبيضا من النسا حوارية وقيل صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى عليه
السلام على قصعة وكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من انت قال عيسى ابن مريم
قال اني اترك ملكي هذا واتبعك فانطلق بمن اتبعه فهم الحواريون وقيل الحواريون
الانصار والحوارى الناصر وقيل الحوارى صاحب المظالم وقيل الحوارى الوزير وقيل
هم الذين يصلح لهم الخلافة وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل نبي حوارى وحوارى الزبير وقيل ان الحواريين كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعثمن وعلى
وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمن بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله
والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم قوله امنا بالله يجرى مجرى ذكر العلة
والمعنى يجب علينا ان نكون من انصار الله لاجل انا امنا فان الايمان يوجب نصرة دين الله والذب
عن اوليايه والمحاربة مع اعدايه واشهد بانا مسلمون اى واشهد بانا منقادون لما تريده منا
في نصرتك والذب عنا مستسلمون لامر الله وانما طلبوا شهادة عيسى باسلامهم تاكيدا لايمانهم
لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ولما اشهدوا عيسى على اسلامهم وعلى ايمانهم
تضرعوا الى الله وقالوا ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وذلك
لان القوم امنوا بالله حين قالوا في الاية المتقدمة امنا بالله ثم امنوا بكتب الله حيث قالوا
امنا بما انزلت وامنوا برسول الله حيث قالوا واتبعنا الرسول فعند ذلك طلبوا الزلفة والثواب
فقالوا فاكتبنا مع الشاهدين وهذا اقتضى ان يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل
الحواريين قوله مع الشاهدين مع الانبيا الذين يشهدون بالوحدانية وبالتصديق
للانبيا وقيل مع امة محمد لانهم شهدا على الناس قال الله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا على الناس وقيل اكتبنا مع الشاهدين اشارة الى ان كتاب الابرار انما يكون في
السموات مع الملائكة قال تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين فاذا كتب الله ذكرهم مع
الشاهدين كان ذكرهم مشهورا في الملا الاعلى وعند الملائكة المقربين وقيل انه تعالى
قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فجعل اولى العلم من الشاهدين
وقرن ذكرهم بذكر نفسه وذلك درجة عظيمة ومرتبة عالية فقالوا فاكتبنا مع الشاهدين
اي اجعلنا من تلك الفرقة الذين قرنت ذكرهم بذكرك وقيل ان جبريل عليه السلام
لما سال محمدا صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال تعبد الله كانك تراه وهذا غاية
درجة العبد في الاستغال بالعبودية وهي ان العبد في مقام الشهود لا في مقام الغيبة
فمنوا القوم لما صاروا كاملين في درجة الاستدلال ارادوا الترقي في مقام الاستدلال
الى مقام الشهود والمكاشفة فقالوا فاكتبنا مع الشاهدين وقيل من كان في مقام شهود

الحق لم يبال بما وصل اليه من المشاق والمتاعب فلما قبلوا من عيسى عليه السلام ان يكونوا
ناصرين له ذابين عنه قالوا فاكتبنا مع الشاهدين اي واجعلنا ممن هو في شهود جلالك
حتى نصير مستحقرين لكل ما يصل الينا من المشاق والمتاعب فحينئذ يسهل علينا الوفا بما
التزمنا من نصرة رسولك ونبيك **قوله تعالى** ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
اي ومكر كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكرهم تدبيرهم في قتل
عيسى والمكر لطف التدبير وذلك ان عيسى عليه السلام بعد اخراج قومه اياه وامه
من بين اظهرهم عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطوا على القتل
به فذلك مكرهم وقيل المكر السعي في الفساد في ستر ومداجات واصله من قول العرب
مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل المكر من المخلوقين الخب والخديعة والحيلة ومن الله استدراجه
العباد قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عباس كلما احدثوا خطيئة
جددنا لهم نعمة وقيل مكر الله عز وجل مجازاته على مكرهم فسمى الجزا باسم الابتدا كقوله
تعالى الله يستهزئ بهم وهو خادعهم قيل سال رجل جنيدا كيف رضي المكر لنفسه
وقد عاب به غيره قال لا ادري ما تقول ولكن انشدني فلان للطبراني

فديتك قد جبلت على هواكا ... فنفسي لا تنازعني سواكا
احبك لا ببعضي بل بكلي ... وان لم يبق حبك لي حراكا
ويقبح من سواك الفعل عندي ... وتفعله فيحسن منك ذاكا

فقال اسالك عن اية من كتاب الله وتجيبني بشعر الطبراني قال ويحك قد اجبتك
ان كنت تعقل ان تخليته اياهم مع المكر به مكر منه بهم ومكر الله بهم خاصة في هذه الاية
القاوه الشبه على صاحبهم الذي اراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى الى السما
قال ابن عباس ان ملك بني اسرائيل اراد قتل عيسى وقصده اعوانه فدخل خوخة فيها كوة
فرفعه جبريل من الكوة الى السما فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل
الخوخة فالقى الله عز وجل شبه عيسى عليه فخرج الى اصحابه فخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه
وصلبوه وظنوا انه عيسى وقال وهب طرقوا عيسى في بعض الليل فاسروه ونصبوا خشبة
ليقتلوه فلما ارادوا واصلبه اظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبينه فصلبوا مكانه
رجلا يقال له يهودا وهو الذي دلهم عليه وذلك ان عيسى عليه السلام جمع الحواريين
تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة
فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود فقال لهم ما تجعلون
لي ان دللتكم على المسيح فقالوا ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله شبه عيسى
على الذي دلهم عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يقبلوا ولم يلتفتوا الى قوله وصلبوه
وهم يظنون انه عيسى فلما صلب عيسى جات ام عيسى مريم وامراة كان عيسى دعا لها فابراها
الله من الجنون يبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال
ان الله عز وجل رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شي شبه لهم فلما كان سبعة ايام قال
الله عز وجل انزل على مريم المحزونة في جبلها فانه لم يبك احد عليك بكاها ولم يحزن احد
عليك حزنها ثم ليجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى فاهبط عليها فاشتعل
الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه اليه وتلك الليلة

هي الليلة التي يدخل فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم من ارسل عيسى اليه فذلك قوله عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اي اقوى امم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب **قوله تعالى** اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم اذ ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اختلفوا في معنى التوفي هاهنا قيل معناه اني قابضك ورافعك من الدنيا الي من غير موت يدل عليه قوله فلما توفيتني اي قبضتني الى السما وانا حي لان قومه انما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته وعلى هذا القول للتوفي تاويلان احدهما اني عاصمك من ان تقتلك الكفار وموخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى سماي ومقر ملائكتي من قولهم توفيت كذا واستوفيته اي اخذته تاما وثانيهما اني متسلمك اي قابضك من الارض من قولهم توفيت منه كذا اي تسلمته وقيل معناه متوفي نفسك بالنوم يدل عليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم لان النوم اخو الموت وقوله تعالى والتي لم تمت في منامها ورافعك الى في النوم حتى لا يلحقك خوف وانت في السما امن مقرب وقيل اي اني مميتك يدل عليه قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وقوله او نتوفينك فله على هذا القول تاويلان احدهما انه توفى الله عيسى ثلث ساعات من النهار ثم رفعه واحياه وثانيهما ان في ذلك الكلام تقديما وتاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومن سوء جوارهم وخبث صحبتهم ومخرجك من بينهم ومنجيك منهم لان كونه في جملتهم بمنزلة التنجيس له بهم ومتوفيك بعد انزالك من السما لقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى تقديرا لاية ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما وقيل اني متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك لان عيسى عليه السلام لما رفع الى السما صار حاله كحال الملك قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامه يعلونهم بالحجة والبرهان في اكثر الاحوال وبالسيف والعز والغلبه وقيل الذين كفروا اهم الروم وقيل وجاعل النصارى فوق اليهود فليس يوجد بلد فيه احد من النصارى واليهود الا واليهود مستذلون مقهورون ثم رجع عن الغيبة الى الخطاب فقال ثم الي مرجعكم معناه انه تعالى بشر عيسى عليه السلام بانه يعطيه في الدنيا تلك المراتب السنيه والدرجات الرفيعه وفي الاخره اجمع بين المومنين به وبين الجاحدين برسالته فاحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بين ذلك مفصلا الاختلاف والحكم فهو كفر قوم وايمان اخرين واما الحكم فهو ان يعذب الله من كفروا ان يوفي اجور من امن قوله واما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة بالنار وما لهم من ناصرين ما لهم من يمنعهم من عذاب الله واما الذين امنوا بمحمد وعيسى وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم نتم لهم جزاهم من الثواب والله لا يحب الظالمين لا يرحمهم ولا يثني عليهم وهم الذين لا يطيعون الله فيما امرهم به من الايمان بالرسل والكتب ذلك اشارة الى ما تقدم من نبا عيسى ومريم والحواريين وهو مبتدا خبره نتلوه ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف على مذهب الكوفيين فان ذا اجاز بمعنى الذي عندهم واستدلوا بقول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق اي يا عدس وهو في الاصل زجر للبغل فسماها به وهو علم هاهنا وانما بني لانه حكاية صوت ويجوز ان يكون زجرها بذلك ثم قال ما لعباد وهو اسم مالك هذا الاولى ان يكتب منفصله

غير

غير متصله فرقا بينه وبين اسم الانسان يريد بالذي تحمله نفسه اي انت طليق بعد ان صرت اسيرا وبعضهم قال هذا في هذا البيت على اصله وهو اسم الاشارة ومحله مرفوع بالابتدا وطليق خبره وتحملين حال اي وهذا طليق حال كونك حاملة له وسيبويه لم يثبت ذا بمعنى الذي الا في قولهم ماذا وماذا لزم الكوفيون ليس بثبت لخروجه عن القياس ولعلته وقيل يجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه قال ابن عباس نتلوه عليك نخبرك به بتلاوة جبريل عليك وتلاوته بامر الله ومثله نحن نقص عليك من الايات اي من العلامات الداله على نبوتك لانها اخبار لا يعلمها الا قاري كتاب الله او من يوحي اليه وانت امي لا تقرا قوله والذكر الحكيم يعني القران وصفه بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه وقيل القران الحاكم اي المانع من الفساد وكل ما يقبح ويجوز ان يكون بمعنى المحكم اي الممنوع من الباطل **قوله تعالى** ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال صلى الله عليه وسلم ما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذرا البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان ادم وقوله عند الله عبارة عن الحق في نفسه اي هكذا هو الامر فيما غاب عنكم خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بادم اي خلق ادم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى اعلم ان البرهان القاطع دال على انه لا بد للناس من والد اول لان خلقة الانسان بحسب النوع مسبوق بوجود العناصر الاربعه سبقا زمانيا لانتقال القابليات بحوادث لا اول لها ان نقول لو كان جاز ان يكون كل حادث مسبوق بحادث اخر لا الى اول جاز ان يكون كل اب مسبوقا باب اخر لا الى اول لانا نقول خلقة نوع الانسان مسبوق بوجود العناصر سبقا زمانيا فبالضرورة يكون منتهيا الى من لا اب له ولا ام والقران دال على ان ذلك الوالد الاول هو ادم وليس له ام قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ثم انه تعالى ذكر في كيفية خلقة ادم وجوها كثيرة احدها انه من تراب والثاني انه مخلوق من الما قال تعالى وهو الذي خلق من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا والثالث انه مخلوق من الطين قال تعالى الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين والرابع انه مخلوق من حما مسنون وهو الطين المتغير بمزج الهوا به والخامس من صلصال من حما مسنون وقال خلق الانسان من صلصال كالفخار ولما كان التراب اظهر اركانه واغلب مزج ذكره وكرره فقال انما خلق الانسان من تراب ليكون من الارض فيكون اشد التصاقا بها لانه جعله خليفة في الارض قال تعالى اني جاعل في الارض خليفه ولانه تعالى اراد اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي اضوا الاجرام وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق ادم من التراب الذي هو اكثف الاجرام ثم اعطاه المحبة والمعرفة والنور والهداية ليكون برهانا باهرا ودليلا ظاهرا على انه المدبر بغير احتياج والخالق بغير علاج قال صاحب الكشاف فان قلت كيف شبه به وقد وجد بغير اب ووجد ادم بغير اب وام قلت هو مثله في احد الطرفين ولا يمنع اختصاصه دون عيسى بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة جنس تحته اربعة انواع المشابهة في نوع من الكيفيات كالمشاركة في الالوان والمضاهاه في نوع من الاضافة كاشتراك زيد وعمرو في النسبة الى خالد بالبنوة والمشاكلة في نوع

بالشك والسبي والذلة والجزية ح

من الجواهر على رتبة واحدة لثوبي ثياب والمساواة وهي المشاركة في نوع من الكمية لثوبين طول
كل منهما خمسة اذرع والمماثلة انما غلبت باعم الاوصاف كما هو مذهب المتكلمين من اهل السنة وباخص
الاوصاف عند المعتزلة وعند بعض المماثلة هي المشاركة في تمام الماهية فان الفرس وان كان حساسا
لا يكون مماثلا للانسان هذا بحسب الاغلب وقد يستعمل بعض هذه الاسامي في غير ما ذكر من معناه
ثم قال صاحب الكشاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وادم وعيسى
نظيران في ذلك ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب
فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب
مما استغربه وهذا اعجز واحسن وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون
عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل
اولى لان عيسى احيى اربعة انفس واحيا حزقيل ثمانية الاف قالوا كان يبرئ الاكمه والابرص
قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما قوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
فان قيل هذا يدل على ان خلق ادم قبل قوله له كن فيكون والامر بالعكس اجيب
بان معناه قدره جسدا من تراب فان الخلق هو التقدير والتسوية ويرجع معناه الى علم
الله تعالى بكيفيته وقوعه وارادة ايقاعه على هذا الوجه ولا شك ان هذا مقدم على وجود
ادم تقدما من الازل الى الابد واما قوله كن فهو عبارة عن ادخاله في الوجود فان قيل
الضمير في خلقه راجع الى ادم حين كان ترابا وحينئذ لم يكن موجودا اجيب بانه لما
كان ذلك الهيكل بحيث سيصير ادم تسمية للشي باسم ما يوول اليه ثم قال له كن اي انشاه بشرا
كقوله ثم انشاناه خلقا اخر فيكون حكاية حال ماضية ولا يكن امر والامر طلب استقبالي فما يترتب
عليه ايضا استقبالي وقيل الضمير في له لعيسى كن فيكون يعني فكان قوله الحق من ربك خبر مبتدا
محذوف اي هو الحق من ربك كقول اهل خيبر محمد والخميس اي هذا محمد والخميس قال الزجاج
الحق مرفوع بخبر ابتدا محذوف على تقدير الذي انباتك من قصة عيسى الحق فحذف لتقدم
ذكره وقيل الحق مبتدا من ربك خبره كما تقول الحق من الله والباطل من الشيطان قوله
فلا تكونن من الممترين الامتراء الشك والممتري الشاك ويقال الشك المرية والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به نهي غيره كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء قال صاحب الكشاف نهي النبي صلى الله
عليه وسلم عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا من باب التهييج
لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره **قوله تعالى** فمن حاجك فيه
من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين بين الله تعالى في صدر هذه السورة
وجوها من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى بان عيسى ابن الله واتبعها
بذكر الجواب عن جميع شبههم على سبيل الاستقصاء وختم الكلام بهذه النكتة القاطعة
بفساد كلامهم وهو انه لما لم يلزم من عدم الاب لادم عليه السلام ان يكون
ابنا لله لم يلزم ايضا من عدم الاب لعيسى عليه السلام ان يكون ابنا لله ولما لم يبعد
خلق ادم عليه السلام من التراب لم يبعد خلق عيسى من الدم الذي يجتمع في رحم ام عيسى ومن
انصف وطلب الحق علم ان البيان قد بلغ الى الغاية القصوى فعند ذلك قال تعالى
فمن حاجك فيه لما احتج على النصارى من طريق العلم البرهاني بما تقدم امر النبي صلى الله

عليه وسلم ان يحتج عليهم من طريق الاعجاز وهو المباهلة فمن حاجك خاصمك وجادلك من النصارى يا محمد
في عيسى من بعد ما جاءك من العلم بانه عبد الله ورسوله المستفاد من البينات فقل تعالوا هلموا
والمراد المجي بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة والاصل فيه تعاليوا لانه تفاعلوا من
العلو فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة فالتقى ساكنان فحذفت الياء التي هي لام الفعل وبقيت اللام
التي هي عين الفعل على فتحها قال الفراء معنى تعال ارتفع وقيل معناه ايت قوله ندع جزم بجواب
الامر وعلامة الجزم فيه سقوط الواو اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل
ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه الله
وابعده من رحمته وقولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل
في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا قوله فنجعل عطف على قوله نبتهل لعنة الله وطلبها على الكاذبين
منا ومنكم في امر عيسى فلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة
قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم ناتيك غدا فخلا بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد
المسيح ما ترى فقال والله لقد علمتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم
والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي
يمشي خلفها وهو يقول لهم اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم
القيمة فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا فقال صلى الله عليه وسلم
فاني انابذكم بالحرب فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا
عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول
على النصارى كلهم حتى هلكوا وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه
مرط مرجل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت قال صاحب الكشاف فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه
ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك اكد في الدلالة على ثقته
بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه ولم يقتصر على تعريض
نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء
لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون
مع انفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقايق وقدمهم في
الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها
وفيه دليل لا شي اقوى منه على فضل اصحاب الكسا وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك وقد تمسك الشيعة بهذه الاية على ان عليا رضي
الله عنه افضل الصحابة ووجه احتجاجهم والجواب عنه على الاستقصاء مذكور في شرح التجريد **قوله تعالى**

ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ان هذا
الذي نقص عليك من نبا عيسى لهو القصص وهو مصدر وقولك قص فلان الحديث يقصه قصا وقصصا
واصله اتباع الاثر يقال خرج فلان قصصا في اثر فلان وقصا وذلك اذا اقتص اثره ومنه
قوله وقالت لاخته قصيه وقيل للقصاص انه قاص لاتباعه خبرا بعد خبر والقصص الحق القران الصادق
فيما اخبر به وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان واللام
اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا واصلها ان تدخل
على المبتدا ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البنا على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق
وما من اله نفي لجميع من ادعى المشركون انهم الهة والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان عيسى ليس باله
كما زعموا وان الله لهو العزيز الحكيم اي لا احد يستحق اطلاق هذه الصفة له الا هو فان تولوا فان
اعرضوا عن قبول الحق والايمان فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وبناه اي فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين الذين يعبدون
غير الله ويدعون الناس الى عبادة غير الله فيجازيهم قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون
الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قيل هم اهل الكتابين وقيل يهود المدينة وقيل
وفد نجران فانه صلى الله عليه وسلم لما اورد عليهم انواع الحجج وانقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فخافوا
وما شرعوا فيها وقبلوا الصغار والجزية وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم قال تعالى يا محمد
اترك ذلك المنهج من الكلام واعدل الى منهج اخر يشهد كل عاقل سليم الطبع مستقيم الفكر انه كلام مبني
على الانصاف وترك الجدال وقل يا اهل الكتاب ولما كان انتقل من الجدال له وطلب الافحام والالزام
خاطبهم بقوله يا اهل الكتاب فانه من احسن الاسماء واكمل الالقاب حيث جعلهم اهلا لكتاب الله فان هذا
اللقب يدل على ان قايله اراد المبالغة في تطييب قلب المخاطب والمراد بقوله تعالى تعالوا توجههم الى
النظر في تعيين ما دعوا اليه وان لم يكن انتقالا لانه مكان الى مكان عال ثم كثر استعماله في طلب التوجه
الى النظر فيما يدعى اليه قوله الى كلمة سواء نعت لكلمة يريد ذات سواء اي كلمة عادلة مستقيمة مستوية
بيننا وبينكم اذا اتينا بها نحن وانتم كنا على السواء والاستقامة لا تختلف فيها القران والتوراة والانجيل
قوله ان لا نعبد تفسير للكلمة فقيل هو في محل الخفض بدل على كلمة اي تعالوا الى ان لا نعبد الا الله وقيل
هو في محل الرفع بانه خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما تلك الكلمة فقيل هي ان لا نعبد الا الله يعني
تعالوا حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر امثالنا ولا نطيع احبارنا
فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله لقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل هو سجود بعضهم لبعض
وقيل انهم كانوا يطيعون احبارهم في المعاصي ولا معنى لاتخاذهم اربابا الا ذلك ونحو قوله تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون
لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية
الخالق او صليت لغير القبلة قوله فان تولوا عن التوحيد والاجابة فقولوا اشهدوا بانا مسلمون مخلصون
موحدون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال
او صراع او غيرهما اعترف فاني انا الغالب وسلم الي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا
قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا

تعقلون

تعقلون قيل قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في ابرهيم عليه السلام فاتوا النبي صلى الله
عليه وسلم وقالوا يا محمد انا اختلفنا في ابرهيم ودينه فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه
واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وانهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا
وانهم على دينه واولى الناس به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من ابرهيم
فقال تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وتزعمون انه على دينكم وانما دينكم اليهودية حدث
بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وانما انزلت التورية والانجيل بعد ابرهيم بزمان طويل
وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده
بازمنة متطاولة افلا تعقلون فساد هذه الدعوى ودحوض حجتكم وبطلان قولكم حتى لا تجادلوا
مثل هذا الجدال الباطل قوله تعالى ها انتم هولا حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس
لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون قرا ابن كثير ها انتم على وزن هعنتم ونافع وابو عمرو
بغير همز ولا مد الا بقدر خروج الالف الساكنة استغنيا ما وارادا انتم ووجه قراة نافع وابي
عمرو احد الامرين اما ان يكون ها التي للتنبيه دخلت على انتم ويكون التنبيه داخلا على الجملة كما دخل
في قوله هلم وكما دخلت يا التنبيه في قوله الا يا اسجدوا وفي قول الشاعر يا لعنة الله والاقوام كلهم
والصالحين على سمعان من جار وخففت الهمزة بعد الالف واما ان يكون الها في ها انتم بدلا
من همزة الاستفهام لوجه قراة ابن كثير وتكون الالف هي التي تدخل بين الهمزتين للفصل بينهما ووجه قراة الباقين
ها انتم مهموزة ويحتمل الوجهين اللذين في قراة نافع وابي عمرو وخففوا الهمزة التي بعد الالف
ولم يخففوها كما خففها ابو عمرو ونافع ومن لم ير الحاق الالف للفصل بين الهمزتين كما يراه ابو عمرو فينبغي
ان يكون ها في قوله للتنبيه ولا يكون بدلا من همزة الاستفهام واما اعرابه فقيل ها انتم مبتدا وهولا
بدل او صفة ويكون الخبر حاججتم جملة وقيل حاججتم صلة لهولا والخبر في قوله فلم تحاجون وقيل
يا للتنبيه وانتم مبتدا وهولا خبر وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى وقيل حاججتم في موضع
حال لا يستغني عنه والمعنى انتم هولا الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم
مما نطق به التورية والانجيل في امر محمد لانهم كانوا يعلمونه مما يعلمون من نعته في كتابهم فحاجوا فيه
بالباطل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر لكم في كتابكم انه كان يهوديا او نصرانيا والله يعلم شان ابرهيم
وما حاججتم فيه وانتم جاهلون به قال الامام المراد من قوله حاججتم فيما لكم به علم انهم زعموا
ان شريعة التورية والانجيل مخالفة لشريعة القران فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به وهو
ادعاؤكم ان شريعة ابرهيم كانت مخالفة لشريعة محمد ويحتمل في قوله فيما لكم به علم انه لم يقصد
بالعلم حقيقته وانما اراد هب انكم تستجيزون المحاجة فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم
لكم به ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كانت حال هذه الشرايع في الموافقة والمخالفة وانتم
لا تعلمون كيفية تلك الاحوال ثم بين حال ابرهيم مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين وهو تعريض بكون اليهود والنصارى مشركين بقولهم عزير ابن الله والمسيح
ابن الله والمراد به ان ابرهيم كان موحدا ودينه التوحيد كدين محمد صلى الله عليه وسلم لا مشركا وليس
دينه الشرك كدين اليهود والنصارى قوله تعالى ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه
وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المومنين قيل ان روسا اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم لقد علمت انا اولى بدين ابرهيم منك وانه كان يهوديا وما بك الا الحسد لنا فنزلت هذه
الاية وقيل ان عمرو بن العاص اراد ان يغضب النجاشي على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنجاشي

انهم ليسمون عيسى فقال النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى قالوا يقول عبد الله وروحه وكلمته القاها الى مريم
فاخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقذى به العين وقال والله ما زاد المسيح على ما يقول صاحبكم ما يزن هذا القذى
ثم قال ابشروا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو بن العاص ومن حزب ابرهيم قال هولاء الرهط
وصاحبهم فانزل الله يوم خصومتهم على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية ومعناه ان احق الناس واخصهم
بابرهيم واقربهم منه من الولي وهو القريب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا من
امته قوله والنبي عطف على الذين والذين امنوا عطف على النبي والله ولي المومنين اي ناصرهم ومعينهم
وعدهم لهم بالنصر في الدنيا والنعيم في الاخرة **قوله تعالى** ودت طايفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ودت طايفة اي جماعة من اهل الكتاب هم اليهود دعوا
معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر الى اليهودية لو يضلونكم بمعنى ان يضلونكم عن دينكم ويردونكم الى الكفر
وما يضلون الا انفسهم وقيل وما يهلكون الا انفسهم باستحقاق العقاب على قصدهم اضلال الغير وقيل وما
يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب مضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال
المسلمين وانما يضلون امثالهم من اتباعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المسلمين **قوله تعالى**
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون لما بين حال الطايفة التي لا تشعر بما في التورية
من دلالة محمد صلى الله عليه وسلم بين حال الطايفة العارفين بذلك من احبارهم قوله لم اصلها لما لانها
ما التي للاستفهام دخلت عليها اللام فحذفت الالف لطلب الخفة قوله بايات الله بالتورية والانجيل
وكفرهم انهم لا يومنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم
بانها ايات الله وقيل بايات الله بالقران ودلايل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون
ان نعته مذكور في التورية والانجيل وقيل تكفرون بايات الله جميعا اي بالمعجزات التي ظهرت على النبي
صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون انها حق لانكم علمتم ان المعجزات التي ظهرت على الانبيا دالة على صدقهم من
حيث ان المعجز قايم مقام تصديق الله فاذا شهدتم بان المعجز انما دل على صدق ساير الانبيا من هذا
الوجه ثم انتم تشاهدون حصول هذا الوجه في حق محمد عليه الصلوة والسلام فكان اصراركم على
انكار نبوته مناقضا لما شهدتم بتحقيقه من دلالة معجزات ساير الانبيا على صدقهم **قوله تعالى**
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون لعل اليهود رذيلتان احداهما
انهم يكفرون بمحمد صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا يعلمون انه رسول الله فنهاهم الله عنها في الاية المتقدمة
وثانيتهما انهم كانوا ساعين في لبس الحق بالباطل وكتمان الحق فنهاهم الله عنها في هذه الاية فالاولى
الغواية والثانية الاغوا والاضلال قوله وانتم تعلمون اي تفعلون ذلك عنادا وحسدا وان عقاب
من يفعل مثل هذه الافعال عظيم **قوله تعالى** وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون لما حكى الله تعالى عن اليهود انهم يلبسون
الحق بالباطل ويكتمون الحق اردف ذلك بان حكى نوعا اخر من تلبيساتهم فقال وقالت طايفة قيل
تواطا اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقرى عرينه وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد وجه
النهار اي اوله سمي وجها لانه احسنه واول ما يواجه به الناظر فيراه قال الشاعر

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليات نسوتنا بوجه نهار

وكان من عادتهم ان لا يندبن على المقتول الا بعد اخذ ثاره من غير اعتقاد واكفروا به اخر
النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علمانا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه
وبطلانه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينكم وقالوا انهم اهل كتاب وهم اعلم به منا فيرجعون

عن دينهم الى دينكم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا به
اخره وارجعوا الى قبلتكم وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هولاء هم اهل الكتاب وهم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم مكر هولاء القوم واطلعه على سرهم **قوله تعالى**
ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل
ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله واسع عليم يختص برحمته من يشا والله ذو الفضل العظيم ولا تومنوا
اتفق المفسرون على انه من بقية كلام الطايفة اي قال بعضهم لبعض لا تومنوا قرا ابن كثير ان يوتى بالمد على جهة الاستفهام
الذي هو تقرير والباقون بالقصر واختلفوا فيه فقيل هو متعلق بقوله ولا تومنوا وقوله ان الهدى هدى الله
اعتراض بينهما والمعنى ولا تظهروا ايمانكم بان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم
بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم
ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يوتى والضمير في يحاجوكم لاحد
لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تومنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله
بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شا ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك
ولم ينفع كيدكم ومنعكم واخفاكم تصديقكم على المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا
يريد الهداية والتوفيق وقيل تم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تومنوا هذا الايمان
الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم ويكون معنى قوله ان يوتى لان يوتى
احد مثل ما اوتيتم اي فعلتم ذلك القول وهو لا تومنوا ودبرتم هذا التدبير لان يوتى احد مثل ما اوتيتم
لا لشي اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي لان يوتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان
قلتم ما قلتم والدليل عليه قراة ابن كثير بمعنى لان يوتى احد ومعنى قوله او يحاجوكم على هذا القول
دبرتم ما دبرتم وقلتم ما قلتم لان يوتى احد مثل ما اوتيتم او لان يحاجوكم اي يحاجونهم عند ربكم
ويغالبونكم عند الله بالحجة ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يوتى احد خبر ان
على معنى قل ان هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
بالحجة ويدعوا باطلكم بحقهم فعلى هذا او بمعنى الى انه وقيل قوله ان يوتى منصوب بفعل مضمر
يدل عليه قوله ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان
يوتى احد مثل ما اوتيتم لان قوله ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم كراهة ان يوتى احد مثل ما
اوتيتم فاي فضل يكون لكم عليهم حيث علموا ما علمتم وحينيذ يحاجوكم عند ربكم فيقولون عرفتم
ان ديننا حق فلا تصدقوهم لئلا يعلموا ما علمتم ولا يحاجوكم عند ربكم ويجوز ان تكون على هذا القول
لا مضمرة كقوله يبين الله لكم ان تضلوا قوله يختص اي بنبوته ودينه ونعمته من يشا والله ذو الفضل
العظيم احتمل القول ليبقى معه رجا الراجي وخوف الخايف **قوله تعالى** ومن اهل الكتاب
من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك الا ما دمت عليه
قايما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون لما حكى الله
تعالى في الاية المتقدمة قبايح اعتقادهم حكى عنهم في هذه الاية قبايح اعمالهم وهو اصرارهم
على الخيانة والاية دالة على انهم طايفتان منهم اهل الامانة ومنهم اهل الخيانة اراد بالقنطار
المال الكثير واراد بالدينار المال القليل قيل اهل الامانة منهم هم الذين اسلموا واهل الخيانة هم الذين
بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم [illegible] لهم قتل كل من خالفهم في الدين واخذ

اموالهم ونظير هذه الآية قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل
وهم يسجدون مع قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون وقيل اهل الامانة هم النصارى
واهل الخيانة هم اليهود وقيل من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل
من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك فنحاص بن
عازوراء استودعه رجل من المهاجرين دينارا فجحده وخانه قيل اي فائدة في هذه الاخبار
وقد علمنا ان الناس كلهم لم يزالوا كذلك منهم الامين ومنهم الخائن اجيب بانه تحذير من الله المؤمنين
ان يأمنوهم على اموالهم او يغتروا بهم لاستحلالهم اموال المؤمنين قرأ ابو عمرو وعاصم وحمزة يؤده
ساكنة الهاء والباقون مكسورة مشبعة قوله الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب
الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه
وقيل قائما ملحا وقيل ملازما وقيل مرابطا وقيل مواظبا وقيل قائما بالتقاضي وقيل مواظبا بالاقتضاء
لان المطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرف والتارك يقعد عنه وقيل تعترف بما دفعت اليه ما دمت قائما على
رأسه فان سألته اياه في الوقت حين دفعته اليه رده عليك وان انظرته واخرته انكر
قوله ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس
علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين اي لا اثم علينا في حبس اموال
العرب قد احلها الله لنا فانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم فيقولون لم يجعل
لهم في كتابنا حرمة وقيل قالت اليهود ان الاموال كلها لنا فما كان في ايدي العرب منها فهو لنا وانما ظلمونا
وغصبونا عليها ولا سبيل علينا في اخذنا اياه منهم وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم
بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم الذي انتم عليه وانقطع العهد
بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله عز وجل بقوله ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وفي الخبر لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه
وسلم كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر
والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال
اهل الذمة الدجاجة والشاة قال ابن عباس فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس
قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم
الا بطيب انفسهم ثم قال تعالى ردا عليهم بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين بلى اثبات لما نفوه
من السبيل عليهم في الاميين اي ليس كما قالوا بل عليهم سبيل قوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى والمعنى ان كل من اوفى بعهده
الذي عهد الله اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واتقى الكفر والخيانة
ونقض العهد فان الله يحبه اي يحب من هذه صفته قال صاحب الكشاف فان قلت فهذا عام يخيل
انه لو اوفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود
وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا
الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز عود الضمير في بعهده الى الله
على ان كل من اوفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات
وما اوجب اتقاءه من الكفر واعمال السوء فان قيل فاين الضمير الراجع من الخبر الى من اجيب
بان عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام

وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا اؤتمن خان وعنه صلى الله عليه وسلم قال التاجر الصدوق الامين مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم لما وصف الله اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة في اموال الناس لا تتمشى
الا بالايمان الكاذبة ذكر في هذه الآية وعيد من يقدم على الايمان الكاذبة قيل نزلت هذه الآية
في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤساء اليهود كتموا ما عهد اليهم في التوراة
في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا
والمآكل التي كانت لهم على اتباعهم وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم
ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم
فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا غير صفته
ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت
في كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها
مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد
اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب شاهده قوله تعالى ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار وقوله بعهد الله يقوي
رجوع الضمير في بعهده الى الله قوله يشترون بعهد الله يستبدلون بما عاهدوا عليه من الايمان
بالرسول المصدق لما معهم واداء الامانة وايمانهم وما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا
قليلا متاع الدنيا من طلب الرياسة والارتشاء اولئك لا خلاق لهم لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وثوابها
قوله ولا يكلمهم الله كناية عن شدة غضب الله عليهم لان من منع غيره كلامه فانما ذلك لسخطه عليه واذا
سخط انسان على آخر قال له لا اكلمه ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة والسخط عليهم تقول
فلان لا ينظر الى فلان يريد نفي اعتداده به واحسانه اليه فانه اذا سخط انسان على آخر يقول
لا ارى وجه فلان ولا يزكيهم لا يثني عليهم فانه اذا سخط انسان على آخر يقول اذا اجري ذكره لم يذكره
بالجميل قال صاحب الكشاف فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه
اي في علم البيان قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه
واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر
ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه
النظر فان الكناية لا تنافي الحقيقة والحق انه لا يجوز ان يكون المراد بالنظر تقليب
الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام والله تعالى منزه عنه ولهم
عذاب اليم لما بين حرمانهم عن الثواب بين وقوعهم في العذاب المؤلم قوله تعالى
وان فريقا منهم يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون اي وان من اهل
الكتاب الذين تقدم ذكرهم وهم اليهود لفريقا م[illegible] بن الاشرف ومالك بن الصيف

وحيي ابن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلون بقراته عن الصحيح الى المحرف
وقيل يعطفون السنتهم بالكتاب بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم واية الرجم يقال لوى لسانه عن كذا اي غيره ولوى بالشي عما كان عليه الى غيره ولوى فلان
عن رايه اكلاما له عنه ومنه لي الغريم قوله لتحسبوه اي لتظنوا المحرف من الكتاب الذي
انزله الله والمحرف وان لم يجر له ذكر لكن يدل عليه قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل يجوز ان
يكون المراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب
ويقولون هو من عند الله تاكيدا لقوله وما هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب
ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التورية هكذا وقد انزله
الله تعالى على موسى ذلك لفرط جراتهم وقساوة قلوبهم ويأسهم من الاخرة وقوله وما هو
من عند الله نفي عام ويقولون على الله الكذب اي يتعمدون ان
من الكتاب نفي خاص وما هو من
ذلك الكذب وهم يعلمون انه ليس من عند الله قوله تعالى ماكان لبشر ان يوتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما
كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون لما بين ان عادة علما اهل الكتاب التحريف والتبديل
اتبعه بما يدل على ان في جملة ما حرفوه ما زعموا ان عيسى عليه السلام كان يدعي الالهية
وانه كان يامر قومه بعبادته فقال ماكان لبشر تكذيبا لهم وقيل لما قالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله نزلت هذه الاية تكذيبا لهم وقيل ان ابا
رافع القرظي اليهودي والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك
ربا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان نعبد غير الله
او نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لاهله قوله ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة استحال
عادة ان يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله فان من اتصف بهذه الصفات
يستحيل عادة ان يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله فان من اتصف بهذه
الصفات يمتنع ان يصدر منه مثل هذه الدعوى وذكر الصفات الثلاث على ترتيب
حسن لان الكتاب السماوي نزل اولا ثم يحصل في عقل النبي فهم ذلك الكتاب واليه
الاشارة بالحكم فان اهل اللغة والتفسير اتفقوا على ان الحكم ههنا هو العلم والفهم
قال تعالى واتيناه الحكم صبيا يعني العلم والفهم ثم يبلغ الى الناس واليه الاشارة
بقوله والنبوة عن ابن عباس ان عبادا في قوله كونوا عبادا لغة مزينة
يقولون للعبيد عبادا ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقول رقباني ولحياني والرباني هو الشديد
التمسك بدين الله وطاعته وقيل الربانيون ارباب العلم واحدها ربان وهو الذي
يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم ويصلحهم ويقوم بامرهم ويقول كونوا فقهاء هم دون
الاحبار قال الله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار وقيل حكماء علماء وقيل فقهاء معلمين
وقيل حكماء اتقياء وقيل ولاة الناس وقادتهم وقيل متعبدين مخلصين وقيل حكماء علماء نصحاء

لله

لله في خلقه وقيل لم تعرف العرب ربانيين وقيل العالم بالحلال والحرام والامر والنهي والعارف
بانبا الله وما كان وما يكون وقيل كونوا ربانيين يربون لربكم كانه فعلاني من الربوبية وقيل
كان في الاصل ربي فادخلت الالف للتفخيم وهو بلسان السريانية ثم ادخلت النون لسكون الالف
وقيل هو الذي يرب علمه بعمله وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني
هذه الامة بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب الرسول صلى الله عليه
وسلم ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به
دليلا على خيبة من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل وكان مثله
مثل من غرس شجرة حسنة يونق بمنظرها ولا منفعة بثمرها قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع تعلمون من
العلم والباقون تعلمون من التعليم فانهم كانوا يعلمونه ويعلمونه غيرهم وبما كنتم تدرسون وبسبب
كونكم تقرونه على الناس قوله ولا يامركم قرا عاصم وحمزة ولا يامركم بالنصب عطفا على قوله
ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى
ماكان لبشر ان يستنبيه الله وينصبه الى الدعا باختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس
بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه
ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان يجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى
قريشا عن عبادة الملايكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما
كان لبشر ان يستنبيه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملايكة والانبيا وقرا الباقون
بالرفع على الاستيناف والانقطاع من الكلام الاول وضمير الفاعل في يامركم وايامركم للبشر ان تتخذوا
الملايكة والنبيين اربابا كفعل قريش وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار ايامركم بالكفر بعد اذ انتم
مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له قوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتومنن به ولتنصرنه قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من
الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاوليك هم الفاسقون اعلم ان المقصود من هذه الايات تقرير الاشيا
المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لعذرهم واظهارا لعنادهم
ومن جملتها ما ذكره الله في هذه الاية وهو انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين الذين اتاهم الكتاب
والحكمة انهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم امنوا به ونصروه واخبرهم قبلوا ذلك وحكم تعالى بان
من رجع عن ذلك كان من الفاسقين فهذا هو المقصود في هذه الاية قوله واذ قيل معناه واذكر يا
محمد اذ اخذ الله وقيل معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله ميثاق النبيين قيل ميثاق النبيين على
ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بما في الاية وقيل اضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق
عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه على الانبيا على اممهم
وقيل المراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرايل على حذف المضاف وقيل المراد اهل الكتاب وورد
على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون يدل
على ذلك قراة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب قوله لما قرا حمزة لما بكسر
اللام وتخفيف الميم والمعنى لاجل ايتاني اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجي رسول مصدق لما معكم
لتومنن به على ان ما مصدرية والفعلان معهما اعني اتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة
للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتومنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني اتيتكم الكتاب والحكمة وان

الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة وحينئذ
يكون اتيتكم صلته وقوله ثم جاءكم عطف على اتيتكم داخل تحت حكم الصلة لا محذور فيه لان
ما معكم في معنى ما اتيتكم فكانه قيل الذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرا الباقون بفتح
اللام وتخفيف الميم واللام لام التوطئة للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف واللام في لتومنن
جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتومنن ساد مسد جواب القسم والشرط
جميعا وتحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي اتيتكموه لتومنن به واللام ايضا موطئة للقسم لان الموصولة
وصلتها في معنى الشرط على تقدير ان لا يدخل الموطئة على غير الشرط وقيل يجوز ان يدخل الموطئة على غير
الشرط وقيل اللام لام الابتدا وما موصولة والذي بعده صلته والموصول مع صلته مبتدا وقوله
لتومنن به خبره ويحتمل ان يكون من باب خبرها ويكون من زائدة معناه لما اتيتكم كتابا وحكمة ثم
استينافا جاءكم يعني جاءكم ويجوز ان يكون التقدير ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به
ولتنصرنه فوكد في اول الكلام بلام التاكيد وفي اخر الكلام بلام القسم قوله ءاقررتم واخذتم
على ذلكم اصري اي وقبلتم على ذلكم عهدي نظيره قوله تعالى ان اوتيتم هذا فخذوه اي فاقبلوه وقوله
لا يوخذ منها عدل اي لا يقبل منها فدا وياخذ الصدقات اي يقبلها سمي العهد اصرا لانه مما
يوصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به قالوا اقررنا قال تعالى فاشهدوا فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين هذا توكيد عليهم وتحذير من
الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون العاصون
الخارجون عن الايمان المتمردون من الكفار قوله تعالى افغير دين الله يبغون وله اسلم من في
السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون لما بين في الاية الاولى ان الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم شرع شرعه الله واوجبه الله على جميع من مضى من الانبيا والامم بين في هذه الاية ان كل من كره ذلك
فانه يكون طالبا دينا غير دين الله فقال افغير دين الله وعن ابن عباس اختصم اهل الكتاب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا بينهم من دين ابرهيم كل فرقة زعمت انهم اولى بدينه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابرهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا ناخذ
بدينك فانزل الله تعالى افغير دين الله دخلت همزة الانكار على العاطفة جملة على جملة اي
عطف قوله افغير دين الله يبغون على قوله فاولئك هم الفاسقون والمعنى فاولئك هم الفاسقون
فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بين الجملتين ويجوز ان يعطف قوله فغير دين الله على محذوف
تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم
من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل قرا ابو عمرو يبغون بالياء
مفتوحة وترجعون بالتاء مضمومة قال لان الاول خاص والثاني عام فيفرق بينهما لافتراقهما في المعنى
وحفص عن عاصم يبغون ويرجعون بالياء المعجمة من تحت فيهما لقوله فاولئك هم الفاسقون والباقون بالتاء
فيهما على الخطاب لقوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة قوله يبغون اي يطلبون وله اسلم خضع وانقاد
من في السموات والارض اي الملائكة والثقلان طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه والطوع
الانقياد والاتباع بسهولة وكرها بمشقة وابا من النفس وقتال بالسيف او بمعاينة ما يلجي الى الاسلام
كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشراف على الموت فلما راوا باسنا قالوا امنا
بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين وكارهين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى وله اسلم قال الملائكة اطاعوه في السما والانصار وعبد القيس في الارض وقال

صلى

صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فان اصحابي اسلموا من خوف الله واسلم الناس من خوف السيف
وقيل الطوع لاهل السموات خاصة واهل الارض منهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها عن ابن عباس
عبادتهم لله اجمعين طوعا وكرها وانقيادهم له وقيل طوعا وكرها اي كل ادمي اقر على نفسه
ان الله ربي وانا عبده فهذا الاسلام لو استقام عليه فلما تكلم به صار حجة ثم اشرك في عبادته
فهو الذي اسلم كرها ومنهم من شهد ان الله ربي وانا عبده ثم اخلص له في العبودية فهذا الذي اسلم
طوعا وقيل هذا حين اخذ منه الميثاق فاقر به وقيل طوعا المومن وكرها الكافر يدل عليه قوله تعالى
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال قوله تعالى يتفيا ظلاله
عن اليمين والشمايل سجدا لله وقيل هو استعاذتهم به عند اضطرارهم يدل عليه قوله تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقيل المومن اسلم طوعا والكافر كرها فاما المومن
فاسلم طوعا فنفعه ذلك وقبل منه واما الكافر فاسلم كرها في وقت الياس والمعاينة حتى لا ينفعه
ذلك ولا يقبل منه يدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل طوعا الذي ولد في
الاسلام وكرها الذين جبروا على الاسلام وقيل كرها من اضطرته الحجة الى التوحيد
يدل عليه قوله عز وجل ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وقيل وله اسلم اي خضع من في السموات والارض فيما دبرهم عليه
وصورهم فيه وما حدث فيهم لا يمتنعون من ذلك كرهوا او احبوا واليه ترجعون وعيد لمن اعرض
عن دين الله والمعنى اتبغون غير دين الله مع ان مرجعهم اليه فيجازيهم على تركهم دينه قوله
تعالى قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون لما ذكر
الله في الاية المتقدمة انه انما اخذ الميثاق على الانبيا واتباعهم تصديق الرسول الذي ياتي
مصدقا لما معهم بين في هذه الاية من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم فقال قل
امنا بالله وحد الضمير في قل وجمع في امنا ليدل على انه لا مبلغ لهذا التكليف من الله الى الخلق
الا الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال امنا تنبيها على ان من امن بالرسول صلى الله عليه وسلم
مشارك له في الايمان بالله وبما انزل عدي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلا وفيما تقدم
من مثلها في البقرة بحرف الانتها لوجود المعنيين لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء
تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر قال صاحب الكشاف ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا
لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمومنين فالرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلا وياتيهم على وجه
الانتها فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله تعالى امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا
وقيل المراد ان اقرارنا بنبوة هولا الانبيا انما كان لاجل كوننا منقادين لله مستسلمين لحكمه وامره وفيه
تنبيه على ان حاله على خلاف الذين خاطبهم الله بقوله افغير دين الله يبغون وقيل ونحن له مسلمون
اي مستسلمون لامره بالرضا وترك المخالفة وتلك صفة المومنين بالله وهم اهل الاسلام والكافرون
يوصفون بالمحاربة لله كما قال انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله وقيل ان قوله ونحن له مسلمون
يفيد الحصر والتقدير له اسلمنا لا لغرض اخر من سمعة وريا وطلب مال وهذا تنبيه على ان حال غيرهم
بالضد من ذلك فانهم لا يفعلون ولا يقولون الا للسمعة والريا وطلب الاموال قوله تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين لما قال في اخر الاية

له

المقدمة ونحن له مسلمون اتبعه بان بين في هذه الاية ان الدين ليس الا الاسلام وان كان دين غير
الاسلام فهو غير مقبول لان القبول للعمل هو ان يرضى ذلك العمل ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا
من غير تقييد للشيء والخسران في الاخرة يكون بحرمان الثواب ووجدان العقاب وحصول الاسف
والتحسر على ما فاته في الدنيا من الاسلام وعلى ما تحمل في الدنيا من التعب والمشقة في الدنيا من ابتغاء ذلك
الدين الباطل اعلم ان من جعل الايمان هو الاسلام تمسك بهذه الاية بان قال لو كان غير الاسلام لم يقبل الايمان
من مبتغيه واللازم باطل فالملزوم كذلك وعورض بقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا فانه يدل على ان الايمان غير الاسلام لنفيه واثبات الاسلام اجيب بان من ابتغى
دينا غير الاسلام لن يقبل منه والايمان غير الدين فان الدين هو الانقياد والعمل الظاهر والايمان هو
التصديق واحدهما غير الاخر **قوله تعالى** كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
فان الله غفور رحيم قيل نزلت هذه الايات في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة
نحو البدا ولحقوا بمكة كفارا منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحرث بن سويد الانصاري
اخو الجلاس بن سويد وقيل نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي بعد
ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات
كفروا بغيا وحسدا وقيل ان قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام الى قوله واولئك هم الضالون
نزل في قصة واحدة وقيل ابتدا القصة من قوله ان الذين كفروا وماتوا وقد نزل في اهل الكتاب
وقيل في قوم مرتدين عن الاسلام امنوا ثم ارتدوا وقوله كيف يهدي الله قوما كفروا لفظه استفهام
ومعناه جحد اي لا يهدي الله واختلفوا في تفسير قوله كيف يهدي الله قيل لا يهديهم الى الجنة
قال تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقال يهديهم
ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد من الهداية خلق المعرفة وقد
جرت سنة الله في دار التكليف ان كل فعل يعزم العبد على تحصيله يخلقه عقيب عزمه فكانه قال
كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم عزموا على الكفر والمعتزلة لما كانت اصولهم تشهد بانه
تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الادلة وفعل الالطاف اي كيف يلطف بهم
وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم
وبعدما شهدوا بان الرسول حق وبعدما جاءتهم الشواهد من القران وساير المعجزات
التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك
حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل هم القوم الذين اسلموا ثم رجعوا عن
الاسلام قوله وشهدوا قيل انه معطوف على ما في ايمانهم من الفعل لان معناه بعد ان
امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقوله فاصدق في موضع جزم ولهذا صح عطف قوله واكن عليه
سال سيبويه الخليل عن قوله لولا اخرتني الاية قال الخليل جزم واكن لان الفعل الاول يكون
جزما اذا لم تكن فاء فهو من قبيل العطف على المحل وهو في كلامهم سائغ شائع كانه قيل اخرني
الى اجل قريب اصدق واكن وقول الشاعر مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها
عشيرة الرجل بنوا ابيه الادنون نعق الغراب صاح يقول هم مشائيم لا يصلحون حال

قبيله

قبيله ولا ينعب غراب قبيلتهم الا ببين وناعب مجرور عطف على محل مصلحين اي ليسوا بمصلحين ولا ناعب
وحقه الظاهر ناعبا كان الشاعر قدر ان الباقي بمصلحين بانه لانها تدخل في خبر ليس كثيرا ثم عطف عليه
المجرور وقيل عطف على كفروا بحكم اللفظ والمعنى مفهوم ان الشهادة قبل الكفر والواو لا تقتضي الترتيب
واعلم انه تعالى استعظم كفر القوم من حيث انه حصل بعد الايمان والشهادة على ان الرسول حق وبعد مجي
البينات فان الكفر بعد هذه الامور اقبح قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من
نقض عهود الله وظلم نفسه وقيل لا يرشدهم ولا يوفقهم وليس تكرارا لما قال في اول الاية فان الاول خاص
في المرتدين والشاهدين ان الرسول حق قبل بعثته والاخر عام في المرتدين وغيرهم وقيل والله لا يلطف
بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم وهذا على اصل المعتزلة قوله اولئك جزاؤهم
حكم الله تعالى بان الظالمين الذين كفروا لا يهديهم ثم بين ان الامر غير مقصور عليه بل كما لا يهديهم في الدنيا
يلعنهم اللعن العظيم ويعذبهم في الاخرة على سبيل التابيد والخلود ولعنة الله بالابعاد من الجنة وانزال
العقوبة والعذاب ولعنة الملائكة والناس بالقول وهم مستحقون لكلها بسبب ظلمهم وكفرهم فان قيل
عم جميع الناس ومن يوافقهم لا يلعنهم اجيب بان له ان يلعنهم وان كان لا يلعنهم وبانه في الاخرة
يلعن بعضهم بعضا شاهد قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقوله تعالى ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا وبان الناس هم المؤمنون والكفار ليسوا من الناس وبان جميع الناس
يلعنون المبطلون والكافرون ولكنه يعتقد في نفسه انه ليس بمبطل ولا كافر فاذا لعن الكافر وكان هو في
علم الله كافرا فقد لعن نفسه وهو لا يعلم ذلك قوله خالدين اي في اللعن اي انهم يوم القيامة لا يزال
يلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم في النار لا يخلو شيء من احوالهم من ان يلعن لا عن من هؤلاء قيل المراد
خلود اللعن وقيل خالدين فيها اي في جهنم فالكناية غير مذكور قوله خالدين فيها نصب على الحال
مما قبله وهو قوله عليهم لعنة الله قوله لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون اي لا يؤخرون والمعنى
لا يجعل عذابهم اخف ولا يؤخر العذاب من وقت الى وقت قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك
الكفر العظيم واصلحوا ما افسدوه او ودخلوا في الصلاح وقيل اظهروا للناس انهم كانوا على ضلال
واصلحوا ما كانوا افسدوه من تغريرهم من تبعهم وقيل اصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم
مع الخلق بالعبادات وذلك بان يعلموا انا كنا على الباطل حتى انه لو اغتر بطريقهم الفاسد مغتر رجع
عنها قيل ان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فارسل الى اخيه الجلاس ان سلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة فانزل الله الا الذين تابوا فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية
فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته قوله فان الله غفور بازالة
العقاب رحيم باعطاء الثواب اعلم ان الله من سعة رحمته وتفضله ان يغفر لمن اجترا عليه فان
الذي فعلوه لا غاية وراءه في الكفر وهو انهم كفروا بعد تبين الحق لهم **قوله تعالى** ان الذين
كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون قيل نزلت هذه الاية في اليهود
كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وقيل
نزلت في اليهود لعنهم الله كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما راوه وعرفوه بعد ايمانهم بنعته وصفته
في كتبهم ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم
للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل اية نزلت وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم
الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قيل فما
معنى قوله لن تقبل توبتهم وقد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب وقد

حكم في الاية التي قبلها بقبولها وهو يوهم التناقض اجيب عنه من وجوه الاول لن تقبل توبتهم
عند الغرغرة والحشرجة لانهم لا يتوبون الا عند حضور الموت قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون
السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقيل لن تقبل توبتهم بعد الموت اذا ماتوا على الكفر جعل
قوله لن تقبل توبتهم عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على
الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ماتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل
توبتهم فان قيل اذا كان معنى قوله لن تقبل توبتهم للموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ازدياد
وازديادهم الكفر لما في ذلك الارتداد وازدياد الكفر من قساوة القلوب وركوب الدين وجراته على
الكفر اجيب بانه كم من مرتد يزداد الكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت فلهذا لم يدخل الثاني قوله لن تقبل
توبتهم فان قيل فاي فايده في هذه الكناية اي النهي عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة اجيب بان فيها
فايده جليله وهي التغليظ في شان اوليك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الايسين من رحمة
الله التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة
وقيل لن تقبل توبتهم ما اقاموا على الكفر وقيل لن تقبل توبتهم اذا قالوا باللسان ولم يدخل في قلوبهم الايمان
والاخلاص وقيل لعل المراد اذا تابوا عن تلك الزيادة فقط فان التوبة عن تلك الزيادة لا تصير مقبولة
ما لم تحصل التوبة عن الاصل وقيل انه تعالى لما قدم ذكر من كفر بعد الايمان وبين انه اهل اللعن
الا ان يتوب ذكر في هذه الاية انه لو كفر مرة اخرى بعد تلك التوبة لم تقبل التوبة الاولى فانها
تصير كانها لم تكن قوله تعالى واوليك هم الضالون اي اوليك هم الضالون الذين بلغوا في الضلالة غاية هي
اشد واكمل **قوله تعالى** ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو
افتدى به اوليك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال الامام الكافر على ثلثة اقسام احدها
الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي ذكره في قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
وثانيها الذي يتوب عن ذلك الكفر توبة فاسدة وهو الذي ذكره في قوله لن تقبل توبتهم وثالثها
الذي يموت على الكفر من غير توبة وهو المذكور في هذه الاية وقد اوعدهم الله تعالى بثلثة اشيا الاول
قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ملء الشي قدر ما يملاه اي قدر ما يملا الارض من شرقها وغربها
ذهبا نصب على التمييز ومعنى التفسير ان يكون الكلام تاما لكنه مبهم كقولك عندي عشرون
فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد وكذلك اذا قلت هو
احسن الناس فقد اخبرت عن حسنه ولم تبين في اي شي هو فاذا قلت وجها وفعلا فقد
بينته ونصبه على التفسير قوله فلن يقبل في هذه الاية يوذن بان الكلام بني على الشرط
والجزا وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر قوله ولو افتدى به قيل
فايدة الواو التعظيم والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره
ولو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لم يقبل منه وهذا اكد في التغليظ لانه
تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه وقيل الواو دخلت لبيان التفصيل بعد الاجمال لان
قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا يحتمل وجوها فنص على نفي القبول بجهة الفدية
قال الامام ان من غضب على بعض عبيده اذا اتحفه بتحفة لم يقبلها البتة الا انه
قد يقبل الفدية منه فاذا لم يقبل الفدية ايضا كان غاية الغضب والمبالغة انما
تحصل بذكر المرتبة التي هي الغاية فحكم الله تعالى انه لا يقبل منهم ملء الارض ذهبا ولو
كان واقعا على سبيل الفدية تنبيها على انه لم يقبل بهذا الطريق فلان لا يكون مقبولا

التفسير

منه بساير الطرق اولى قال صاحب الكشاف هذا الكلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من
احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله لقوله ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم لقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو
يوسف ابو حنيفة ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابا
حسن كما انه يراد في مثل قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما
مسد الاخر فكانا في حكم شي واحد ويجوز ان يراد فلن يقبل ملء الارض ذهبا كان قد تصدق
به ولو افتدى به ايضا لن يقبل منه فان قيل من المعلوم ان الكافر لا يملك يوم القيامة شيا فما فايدة
قوله لن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لن يقبل منهم لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة وبان الكلام
وقع على سبيل الفرض والتقدير بالذهب كناية عن اعز الاشيا قوله ولهم عذاب اليم هذا هو القسم الثاني من
الوعيد لما بين ان الكافرين لا يمكن تخليصهم انفسهم من العذاب اردفه بصفة العذاب قوله وما لهم من
ناصرين هذا هو القسم الثالث من الوعيد لما بين انه لا خلاص لهم عن العذاب الاليم بسبب الفدية بين
انه لا خلاص لهم بسبب النصرة والاعانة والشفاعة وتخصيصهم بانهم لا ناصر لهم يدل على ان غير الكافرين لهم
ناصرين **قوله تعالى** لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شي فان الله به عليم لما بين
الله تعالى ان الانفاق لا ينفع الكفار علم المومنين كيفية الذي ينتفعون به في الاخرة قوله لن تنالوا
البر لن تبلغوا حقيقته ولن تكونوا ابرارا اوقيل لن تنالوا بر الله اي ثوابه وقيل الطاعة حتى تكون
نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتوثرونها وكان السلف اذا احبوا شيا جعلوه لله روي ان ابا طلحة
الانصاري كان من اكثر الانصار نخلا بالمدينة وكان احب اموال له اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ما فيها طيب فلما نزلت الاية جا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب
اموالي الي بيرحا وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث
اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح او مال رايح واني ارى ان تجعلها في
الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وبني عمه وقيل لما نزلت
هذه الاية جا زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وكان زيد اوجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك وقيل لما نزلت لن تنالوا البر
قالت امراة لجارية لها لا املك غيرها اعتقتك وتقيمين معي غير اني لست اشترط عليك
ذلك فقالت نعم فلما اعتقتها ذهبت وتركتها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته
بذلك فقال دعيها فقد حجبتك من النار واذا سمعت بسبي جاءني فاتيني حتى اعطيك
عوضها وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع
له جارية من سبي جلولا يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان
الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عن ابن عمر رضي الله عنهما
انه خطرت على قلبه هذه الاية قال تذكرت ما اعطاني الله فما كان شي اعجب
الي من فلانة فقال هي حرة لوجه الله وقال لولا اني لا اعود في شي جعلته لله لنكحتها
وروي انه نزل بابي ذر ضيف فقال للضيف اني مشغول فاخرج الى ابلي فاتني
بها ابلا او قال للراعي ايتني بخير ابلي فجاه بناقة مهزولة فقال له خنتني فقال

وجدت خير الابل فخلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو ذر ان يوم حاجتي اليه ليوم
اوضع فيه مع ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قد نقل عن اصحاب الحقايق
اشارات لطيفه في الايه منها لن تصلوا الى القربة بحظوظ انفسكم ومنها بانفاق بعض
المحبات والوصول الى البار بالتخلي عن الكونين وما فيهما ومنها ادرك له بانفاق المحاب
منك لتكون خالصا في محبتك لا تلتفت الى شي سواه ومنها البر مجاوزة الحق وقربه ولا
تنال ذلك المقام وانت تحب شيا سواه او تؤثر عليه احدا سواه ومنها لن تنالوا وصلتي
وفي اسراري محبة سواي ومنها ان الرصعة البارى فكانه قال لن تنالوا قربي
الا بقطع العلائق ومنها لن تصلوا الى الحق حتى تنفصلوا عما سواه ومنها لن تنالوا
معرفتي وقربي حتى تخرجوا مما في انفسكم وهممكم بالكلية الي ومنها احب الاشيا اليك روحك
فاجعل حياتك نفقة عليك لعلك تنال بري بك ومنها لن تنالوا بري بجم الابرار اخوانكم
والانفاق عليهم من اموالكم وجاهكم وما تحبونه من اموالكم فاذا فعلتم ذلك نالكم بري
وعطفي وما تنفقوا من شي فان الله به عليم بكل شي تنفقونه وبنياتكم في انفاقكم وبركم فما
كانت لي بنية خالصة مخلصة قابلته ببري وهو اعلى وما كان من ذلك للريا والسمعة فانا
اغنى الاغنيا عن الشريك **قوله تعالى** كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم
اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون هذا من الايات المتقدمه
في تقرير الدلايل الداله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي توجيه الالزامات على اهل
الكتاب وهذه الايه في بيان الجواب عن شبهات القوم فان ظاهر الايه يدل
على انه صلى الله عليه وسلم كان يدعي ان كل الطعام كان حلا لبني اسرايل وهم ينازعون فيه
وزعموا ان الحرام الان كان حراما ابدا قيل لما قال النبي صلى الله عليه وسلم انا على
ملة ابرهيم قالت اليهود كيف وانت تاكل لحوم الابل والبانها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كان ذلك حلا لابرهيم فنحن نحله فقالت اليهود كل شي اصبحنا اليوم
نحرمه كان محرما على ابرهيم ونوح وهلم جرا حتى انتهى الينا فانزل الله هذه الايه
تكذيبا لهم قوله كل الطعام اي كل المطعومات او كل انواع الطعام فان الطعام اسم لما
يوكل ويشرب فهو اسم جنس صالح للقليل والكثير فان حمل التعريف فيه على الاستغراق
لم يحتج الى تقدير ولفظ الكل لتاكيد الاستغراق وان حمل على الجنس يكون المضاف محذوفا
والتقدير كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشي حلا كقولك ذلت الدابه ذلا وعز الرجل
عزا وفي حديث عايشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه اي كنت اطيب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقت صيرورته حلالا محرما ووقت ارادته الاحرام ولما كان الحل
مصدرا استوى في الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع قال الله تعالى لاهن حل
لهم قوله الا ما حرم اسرايل على نفسه اي يعقوب على نفسه من قبل ان تنزل التورية
قيل هي لحوم الابل والبانها عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عصابة من اليهود حضرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا اي الطعام حرم اسرايل
على نفسه من قبل ان تنزل التورية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالذي
انزل التورية على موسى هل تعلمون ان يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه

فنذر

فنذر لله لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه لحم الابل والبانها فقالوا
اللهم نعم وقيل لما اصاب يعقوب عرق النسا وصف له الاطبا ان يجتنب لحوم الابل وقيل حرم
اسرايل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله عز وجل فسال ربه ان يجيز ذلك له فحرم الله عليه وقيل حرم على
نفسه زايدتي الكبد والكليتين والشحوم الا ما على الظهور وقيل حرم لحوم الانعام وقيل العروق
كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه فكان ذلك احب اليه فحرمه وقيل
ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتدا وقيل باجتهاده والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرايل
من قبل ان تنزل التورية واختلفوا فيما ذا ثبت تحريم الطعام الذي حرمه الله على بني اسرايل فقيل
لما انزل الله التورية حرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتدا بابيهم يعقوب انما كان ذلك
حراما عليهم بتحريم اسرايل ذلك عليهم وذلك حين اصابه عرق النسا والله لئن شفاني الله منه لا ياكله
ولد ولم يكن ذلك محرما عليهم في التورية وقيل تحريم ما حرم عليهم منها بكفرهم وظلمهم وبغيهم لم يحرم
منها شي قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرايل على نفسه فتبعوه على رده وكانت
بنو اسرايل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت
فذلك قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما الايه الى قوله ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون فكذبهم الله حيث ارادوا براة ساحتهم مما نعى عليهم وجحود ما غاظهم واشمازوا
منه وامتعضوا اي غضبوا مما نطق به القران من تحريم الطيبات عليهم بكفرهم وظلمهم فقالوا لسنا
باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالكفر والظلم
والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم
التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قوله قل فاتوا بالتورية
اي قل يا محمد امر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يحاجهم بالتورية ويبكتهم بما هو ناطق به من
ان تحريم ما حرم عليهم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم ياتوا بالتورية
وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
جواز النسخ الذي ينكرونه قوله فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرايل
قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة بنكولهم عن احضار التورية فاولئك هم الظالمون
المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات المستحقون للعنة الله
والملايكة والناس اجمعين في الدنيا والعذاب الشديد في الاخرة **قوله تعالى**
قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اي قل صدق الله في ان ذلك النوع
من الطعام صار حراما على اسرايل واولاده بعد ان كان حلا لهم وقيل صدق
الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محلله لابرهيم وانما حرمت على بني اسرايل لان اسرايل
حرمها على نفسه وثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتى بحل لحوم الابل والبانها فقد
افتى بملة ابرهيم وقيل صدق الله في ان ساير الاطعمة كانت حلا لبني اسرايل وانما حرمت
على اليهود بكفرهم وظلمهم وقبايح افعالهم وقيل صدق الله في قوله ما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وعلى الجملة تعريض بكذبهم
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم التي عليها محمد
ومن آمن معه حتى تخلصوا من اليهودية ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم

الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ومن تبعه
قوله وما كان من المشركين اي لم يدع مع الله الها اخر كما فعل اليهود من ادعا ان عزير ابن الله وفعله
النصارى من ادعا ان المسيح ابن الله فهو تعريض بشرك اليهود والنصارى فالكلام المقصود
منه بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابرهيم في الفروع والاصول

قوله تعالى

ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله
كان امنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين لما قال في
الاية المتقدمه فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وكان من اعظم شعاير ملة ابرهيم الحج ذكر في هذه الاية فضيلة
البيت ليفرع عليه ايجاب الحج ايضا لما كان اليهود والنصارى زعم كل فريق منهم انه على ملة ابرهيم
وقد سبقت هذه المناظرة في الايات المتقدمه بين الله تعالى كذبهم من حيث ان حج البيت كان سنة
ابرهيم واليهود والنصارى لا يحجون فدل هذا على كذبهم في ذلك وقيل تفاخر المسلمون واليهود
فقالت اليهود بيت المقدس افضل من الكعبه وقال المسلمون الكعبه افضل فانزل الله تعالى الايه
قيل الاول الفرد السابق فاذا قال الرجل اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى عبدين في
المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لان الاول هو الفرد ثم لو اشترى في المرة الثانيه عبدا واحدا
لم يعتق لان الاول هو السابق قوله وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله وقيل
الواضع ابرهيم وقيل كان اول بيت في الارض واختلفوا كيف كان اول بيت فقيل انه ظهر
على وجه الارض حين خلق الله الارض فخلقه الله قبلها بالفي عام ودحاها من تحته عن
ابي هريرة كانت الكعبه حشفه على الما عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الارض
بالفي سنه وقال ابن عباس وضع البيت في الما على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي سنه
ثم دحيت الارض من تحت البيت وبهذا القول يقول ابن عمر ومجاهد وقتاده والسدي
في اخرين وقيل ان ادم استوحش حين اهبط فاوحى الله اليه ان ابن لي بيتا في الارض
فاصنع حوله ما رايت الملايكه تصنع حول عرشي فبناه رواه ابو صالح عن ابن عباس وقيل
انه اهبط مع ادم فلما كان الطوفان رفع فصار معمورا في السما وبنى ابرهيم على اثره رواه
شيبان عن قتاده وقيل اول بيت وضع للعباده وقد كانت قبله بيوت هذا قول
علي ابن ابي طالب والحسن وعطا في اخرين ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا
لهم وكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل
عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسيل كم بينهما قال اربعون
سنه قوله للذي ببكة قيل هي مكة والعرب تعاقب بين البا والميم فتقول سبد راسه وسمده
واغبطت عليه الحمى واغمطت وضربة لازب ولازم وقيل بكه المسجد والبيت ومكه الحرم وقيل
مكه اسم للبلد كله وبكه موضع البيت يتباكون فيها اي يزدحمون يبك بعضهم بعضا
ويصلي بعضهم بين ايدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة قال عطا مرت امراة بين يدي رجل
وهو يصلي وهو يطوف بالبيت فقال ابو جعفر الباقر انها بكة يبك بعضها بعضا وقيل
سميت بكة لانها تبك اعناق الرجال الجبابره اي تدقها فلم يقصدها جبار قط بسوء الا قصمه
الله واما مكه فسميت بذلك لقلة مايها من قول العرب مكت الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتص
كل ما فيه من اللبن مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف عنده وطاف
حوله من تكفير الذنوب والثواب وعن ابن عباس قال ما اعلم اليوم على وجه الارض بلده يرفع

فيها الحسنات بكل واحدة مايه الف ما يرفع بمكه وما اعلم بلدة على وجه الارض يكتب لمن صلى فيها
ركعة واحدة بمايه الف ركعة ما يكتب بمكه وما اعلم بلدة على وجه الارض يتصدق فيها بدرهم واحد يكتب
الف درهم ما يكتب بمكه وما اعلم على وجه الارض بلده ما مس فيها احد شيا الا كانت تكفيرا للخطايا الا مكه
وما اعلم بلدة ما دعا احد بدعا وتامن الملايكه فيقول امين امين الا مكه وما اعلم على وجه الارض بلده يكتب لمن نظر
اليها من غير صلوة ولا طواف عبادة الدهر الا مكه وما اعلم بلدة صدر اليها جميع النبيين والمرسلين ما صدر الا
مكه وما اعلم بلدة يحشر منها الانبيا والابرار والفقها والعباد من الرجال والنسا ما يحشر من مكه انهم يحشرون
وهم امنون يوم القيامه وما اعلم بلدة على وجه الارض ينزل فيها كل يوم من روح الجنة وريحها ما ينزل بمكه وعن ابن
عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بالبيت لم يرفع قدما ولم يضع اخرى الا كتب الله
له بها حسنه وحط عنه بها خطيه ورفع له بها درجه وانتصاب مباركا على الحال من المستكن في الظرف
لان التقدير للذي ببكه هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين اي ذا هدى
للعالمين عطف على مباركا قبلتهم ومتعبدهم وقيل الهدى بمعنى الرحمة وقيل بمعنى الصلاح لان من قصده صلح
حاله عند ربه وقيل بمعنى البيان والدلالة على الله تعالى بما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره حيث يجتمع الكلب
والظبي في الحرم ولا الكلب يهيج الظبي ولا الظبي يستوحش منه فيه اي في البيت ايات بينات مبتدا
وخبر ساغ ذلك مع كون الايات خارجة عنه لان البيت انما وضع لحرمه وجمع فضايله
فيه وان لم يكن داخل جدرانه مقام ابرهيم عطف بيان لقوله ايات بينات وانما صح
بيان الايات التي هي الجمع بالمقام الذي هو الواحد لان المقام وحده بمنزلة ايات لشيء لظهور
شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم صلى الله عليه وسلم من تاثير قدمه في حجر صلد
لقوله تعالى ان ابرهيم كان امة ولان المقام مشتمل على ايات فان اثر القدم في الصخرة الصما
ايه وغوصه فيها الى الكعبين ايه والانه بعض الصخرة دون بعض ايه وابقاوه دون ساير
ايات الانبيا عليهم السلام اية لابرهيم صلوات الله وسلامه عليه خاصه وحفظه مع كثرة اعدايه
من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنه ايه قال صاحب الكشاف ويجوز ان يراد
فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثه والاربعه ويجوز
ان تذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات
مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم
من العبيد وثلث من مواليها ولم يذكر الثلث الثالث لانه هجاهم فكره ان يذكر
الخالص منهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلوة وترك
الثالث فان قوله وقرة عيني في الصلوة ليس بمعطوف على المذكورين الاولين وانما هو ابتدا كلام كانه
لما ذكر الاولين سقط في يده فقال ما لي وللدنيا فاعرض فقال قرة عيني وسروري قلبي في الصلوة فان قيل قوله
ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدايية او شرطية فكيف يكون عطف بيان للايات اجيب
من حيث المعنى فان قوله ومن دخله كان امنا دال على امن داخله وكانه قيل فيه ايات بينات مقام
ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه ايه بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه
ايه بينة امن من دخله قيل سبب اثر القدم في مقام ابرهيم انه لما ارتفع بنيان الكعبه وضعف
ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جا ابرهيم من الشام الى مكة
فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل فجات بهذا الحجر فوضعته على شق ابرهيم
الايمن فوضع ابرهيم قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت شقه الاخر

وجوب

فبقي اثر قدميه عليه قال بعض اهل التحقيق مقام ابرهيم هو الخلة فمن شاهد فيه مقام ابرهيم الخليل فهو شريف ومن شاهد في مقام الحق فهو اشرف وقيل مقام ابرهيم بذل النفس والمال والولد في رضا خليله فمن نظر الى المقام ولم يتحل ما تحلى به الخليل من النفس والمال والولد ولم يسلم فقد بطل سفره وخابت رحلته وقيل من دخل قلبه سلطان الاطلاع كان آمنا من هواجس نفسه ووساوس الشيطان وقيل من دخله على شرط الحقيقة او جاور قلبه الايمان كان امنا من دعونات نفسه وقيل من دخله كان امنا من عقابه ولله عز وجل في الدنيا ثواب وعقاب فثوابه العافية وعقابه البلوى فالعافية ان يتولى عليك امرك والبلا ان يكلك الى نفسك وقيل من دخل الايمان في قلبه كان آمنا من الكفر وقيل من دخله على الصفة التي دخلها الانبيا والاصفيا والاوليا كان آمنا من عذابه كما امنوا وقيل من دخله عام عمرة القضا مع محمد صلى الله عليه وسلم كان آمنا دليله قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله آمنين وقيل قوله ومن دخله كان امنا لفظه خبر ومعناه امر تقديره ومن دخله فامنوه لقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا **قوله تعالى** ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حج البيت بكسر الحا والباقون بفتحها قيل الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وهما واحد في المعنى وقيل هما جايزان مطلقا في اللغة مثل رطل وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر وقال سيبويه يجوز ان تكون المكسور ايضا مصدرا اعلم ان شرايط الحج تسعة البلوغ والعقل والاسلام والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النايم حتى ينتبه ولقوله صلى الله عليه وسلم ايما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه حجة اخرى وايما اعرابي حج ثم هاجر فعليه حجة اخرى واراد بالهجرة هاهنا الاسلام وامن الطريق وهو ان يكون الطريق امنا مسلوكا لا مانع فيه من عدو ونحوه فان كان غير مسلوك لم يجب عليه حج والدليل عليه انه لو كان محرما وحصر العدو فله ان يحل منه فاذا جاز له الخروج منه بالحصر فبان يسقط الدخول فيه والقصد اليه مع وجود الحصر اولى وامكان المسير وهو ان يكون في الوقت سعة يمكنه فيه الحج فاذا وجد شرايط الحج وهو ببغداد وقد بلغ الحاج الى الكوفة مثلا فلا يجب عليه لانه قد حصل شرايطه في وقت تعذر فعله عليه فيه فهو كالصبي يبلغ في اثنايها والصوم فلا يجب عليه صوم ذلك اليوم وزاد كاف وراحلة مبلغة وقوة موديه واختلف الفقها في تفصيل هذه الشرايط الثلثة فقال الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج والثاني ان يكون معضوبا في بدنه لا يثبت على مركبه وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه باجرة وغيرها اما المستطيع ببدنه فانه لزمه فرض الحج بنفسه وهو القوي الذي لا يلحقه مشقة في الركوب على الراحلة فان هذا اذا ملك الزاد والراحلة لزمه فرض الحج بنفسه وان عدم الزاد والراحلة سقط عنه فرض الحج فان كان قادرا على المشي مطيقا له ووجد الزاد او قدر على كسب الزاد في طريقه بصنعة مثل الخرز والحجامة ونحوها فالمستحب له ان يحج ماشيا رجلا كان او امراة والرجل اقل عذرا من المراة لانه اقوى وهذا على طريق الاستحباب لا على طريق الايجاب فاما ان قدر على الزاد بالسوال في الطريق كره ان يحج لانه يصير كلا على الناس وهذا الذي ذكرنا من ان وجود الزاد والراحلة شرط في وجوب الحج هو قول عمر وابنه وعبد الله بن عباس ومن التابعين الحسن البصري وابن جبير ومجاهد وعطا واليه ذهب الشافعي والثوري وابي حنيفة واصحابه واحمد واسحق ودليله ما روي ان سيل النبي صلى الله عليه وسلم ما السبيل الى الحج فقال الزاد والراحلة وعن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة يبلغانه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت

يهوديا او نصرانيا فان الله عز وجل يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقال مالك اذا قدر على المشي ووجد الزاد والراحلة فعليه فرض الحج بكل حال فان لم يجد راحلة وقدر على المشي نظر فان كان مالكا للزاد فعليه فرض الحج بلا خلاف وان لم يكن مالكا للزاد ولكنه يقدر على كسب حاجته منه في الطريق اختلف هذا باختلاف الرجل فان كان من اهل المروات ممن لا يكتسب بنفسه لم يجب عليه وان كان ممن يكتسب كفايته من تجارة او صناعة لزمه فرض الحج فاوجب مالك على المطيق المشي الحج اذا لم يكن له زاد ولا راحلة وهذا قول عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما والشعبي وعكرمة رحمهما الله وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج واحتج هولا بقوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا اي مشاة ولان الحج من عبادة الابدان عن فرايض الاعيان فوجب ان لا يكون من شرط وجوبها الزاد والراحلة كالصلوة والصيام واذا تقرر ان وجود الزاد والراحلة شرط في وجوب الحج على قول اكثر اهل العلم فيجب ان يبين كيفية اعتبار الزاد والراحلة وذلك يختلف باختلاف احوال الناس فاما الراحلة فهي ما لا يلحقه مشقة شديدة في الركوب عليها واما النفقة فان كان ذا اهل يجب عليهم نفقتهم فلا يلزمه الحج حتى يكون واجدا نفقتهم مدة غيبته لذهابه ورجوعه لان هذا الانفاق فرض على الفور والحج فرض على التراخي فكان تقديم انفاق العيال اولى واهم قال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوته فاذا لم يكن له اهل وعيال فلا بد من نفقته لذهابه وهل يعتبر نفقته لرجوعه فيه قولان للفقها قال بعضهم لا يعتبر لانه ليس عليه كثير مشقة في ترك الاقامة ببلده لانه لا اهل له فيه ولا عيال فكل البلاد له وطن وقال الاخرون يعتبر وهو الظاهر من مذهب الشافعي لانه قال في الاملا لا يجب عليه الحج حتى يكون له نفقة ذاهبا وجائيا فاطلق ولم يفرق وهذا القول اولى بالصواب لان الانسان يستوحش لفراق وطنه كما يستوحش لفراق سكنه فان كان له عقار يشغله او اثاث ونحوها لزمه فرض الحج وبيع العقار ورقاب الاموال وصرفها في الحج فاما المسكن والخادم فقال الشافعي في الاملا اذا لم يكن له مسكن وخادم وله نفقة اهله بقدر غيبته لزمه الحج وظاهر هذا انه اعتبر مال الحج فاضلا عن الخادم والمسكن لانه قدمه على نفقة اهله وكانه قال بعد هذا كله وقال اصحابنا لزمه ان يبيع المسكن والخادم ويكري مسكنا وخادما لاهله فاما اذا كان له بضاعة يتجر بها ويربح قدر كفايته وكفاية عياله على الدوام ومتى انفق من اصل البضاعة ام لا قال ابن سريج لا يلزمه ذلك ويبقي البضاعة على ما هي ولا يحج من اصلها لان الحج انما يجب عليه في الفاضل من كفايته وقال الاخرون بل عليه ان يحج من اصل البضاعة وهو الصحيح المشهور وعليه الجمهور لانه لا خلاف انه لو كان عقارا تكفيه غلته لزمه بيع اصل العقار في الحج ولذلك البضاعة وجملة ان فرض الحج يتعلق بما يتعلق به زكوة الفطر فما وجب بيعه في زكوة الفطر وجب بيعه في الحج فهذا القول في احد وجهي الاستطاعة واما الوجه الاخر فهو ان يكون معضوبا لا يمكن ان يثبت على الراحلة بحال او يكون نضو الخلقة ابدا او يكون مريضا مرضا شديدا او زمنا موهنا لا يرجى برؤه او يكون شيخا ضعيفا ولكن يكون قادرا على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه فهذا ايضا مستطيع استطاعة ما وهو على وجهين احدهما ان يكون قادرا على مال يستاجر به من يحج عنه فانه يلزمه الحج وهذا قول علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لشيخ كبير لم يحج جهز رجلا يحج عنك واليه ذهب الشافعي والثوري وابو حنيفة واصحابه وعبد الله بن المبارك واحمد واسحق والثاني ان يكون قادرا على من يبذل الطاعة له والنيابة فيحج عنه فهذا ايضا يلزمه الحج عنه عند الشافعي واحمد بن حنبل وابن راهويه

وقال ابو حنيفه لا يجب عليه الحج ببذل الطاعه بحال وقال مالك اذا كان معضوبا سقط عنه فرض الحج
اصلا سوا كان قادرا على من يحج عنه بالمال او بغير المال او كان عاجزا ولو وجب عليه الحج ثم عضب وزمن
سقط عنه فرض الحج ولا يجوز ان يحج عنه في حال حيوته بحال واحتج بقوله تعالى وان ليس للانسان الا
ما سعى فاخبر انه ليس له الا ما سعى فمن قال له ما سعى غيره فقد خالف ظاهر الايه وبقوله ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا لان الحج هو قصد البيت بنفسه ومن طريق الاعتبار انه غير متمكن من الحج بنفسه
فوجب ان لا يلزمه الحج عن نفسه كما لو كان معضوبا لا مال له ودليل الشافعي ما روى عن الزهري عن سليمان
بن يسار عن ابن عباس ان امراة من خثعم سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان فريضة الحج
على عباده ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحله فهل يجزي ان احج عنه فقال نعم قالت فهل
ينفعه ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان على ابيك دين فقضيتيه اما كان يجزي قالت نعم
قال فدين الله احق فاوجب النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة ابنته اياه وبذلها نفسها له بان تحج عنه فاذا
وجب ذلك بطاعة البنت له كان بان يجب عليه بعقد يتر على مال يستاجر به اولى فاما ان بذل له المال
دون الطاعة فالصحيح انه لا يلزمه قبوله والحج به عن نفسه ولا يصير ببذل المال له مستطيعا فاما من به
مرض يرجى زواله كالبرسام والحمى الشديده فلا يجوز له ان يحج عن نفسه لانه ليس بايس عن الحج بنفسه وليس له ان
يامر بالحج عنه كالصحيح وعكسه المعضوب وقال ابو حنيفه واصحابه يجوز له ان يحج عن نفسه ولو حج عنه
سقط عنه فرض الحج ومن استطاع بدل من الناس والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى اليه فهو سبيله اليه وفي
هذا الكلام من التوكيد والتشديد ضروب منها قوله ولله على الناس حج البيت اي انه حق واجب لله في رقاب
الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته لانه اله معبود الزم عبيده هذه العباده فيجب عليهم الانقياد
سوا عرفوا وجه الحكمه او لم يعرفوا ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه
ضربان من التوكيد الاول ان الابدال تنبيه للمراد وتكرير له وذلك يدل على شدة العنايه والثاني
ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين وذلك يدل على شدة الاهتمام
ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم
يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر
الاستغنا وذلك يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وانه لم يقل عنه
وما فيه من الدلاله على الاستغنا عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغنا لا محاله
ولانه يدل على الاستغنا الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من
كان قبلكم بكثرة مسايلهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي
فدعوه فدل على ان الامر المطلق لا يقتضي الا مرة واحدة وقيل ومن كفر معناه ومن جحد وجوب
الحج وقيل لما نزلت اية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان
الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به اهل مله واحده هم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن
به ولا نصلي اليه ولا نحجه فانزل الله عز وجل ومن كفر قيل ومن كفر بالبيت وقيل من كفر بهذه الايات
التي ذكرها الله في قوله فيه ايات بينات وقيل من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج لم يقبل الله له يوم القيامه عملا وعن عمر رضي الله عنه لقد هممت
ان ابعث رجالا الى الامصار فينظرون الى من كان له مال ولم يحج فيضربون عليه الجزيه واعلم

ان

ان تكاليف العبادات في الشرع قسمان قسم اصله معقول وهو قهر النفس وكيفيته غير معقوله اما الحج فهو
سفر الى موضع معين على كيفيات مخصوصه فاصله غير معقول وكيفيته ايضا غير معقول
فقال المحققون ان الاتيان بهذا النوع من العبادات ادل على كمال العبوديه والخضوع والانقياد
من الاتيان بالنوع الاول لان الاتي بالنوع الاول يحتمل انه انما اتى به لما عرف بعقله من رجوع المنافع فيه
اما الاتي بالنوع الثاني فانه لا ياتي به الا لمجرد الانقياد والطاعه والعبوديه فلهذا اشتمل الامر
بالحج في هذه الايه على الانواع المذكوره من التاكيدات قال اهل التحقيق لم يخاطب الله تعالى
في شي من العبادات بان لله عليهم الا الحج وفيه فوايد منها انه ليس من العبادات عباده يشترك
فيها المال والنفس الا الحج ومنها انه عباده يكثر فيها التعب والنصب فخاطب الله به ليكون عونا له
فيما يباشر بعمله ان يودي ما لله عليه في ذلك ومنها ان فيه اشارات الى ما فيه القيامه من تجريد
ووقوف وغيره كانه قيل لله عليك الحج لتهيي باطنك للموقف الاكبر كما هيات ظاهرك لهذا الموقف
وفي الحج اشارات وقيل ان رجلا جا الى الشبلي فقال له الى اين قال الحج قال الرجل فخرجت
من عنده فلما رجعت قال لي احججت قلت نعم قال اي شي عملت قلت اغتسلت واحرمت وصليت
ركعتين ولبيت فقال عقدت نية الحج قلت نعم قال فسخت بعقدك كل عقد عقدت منذ خلقت
ما يضاد هذا العقد قلت لا قال فما عقدت ثم قال نزعت ثيابك قلت نعم قال تجردت عن
كل فعل فعلته قلت لا قال فما نزعت ثم قال تطهرت قلت نعم قال ازلت عنك كل عله تطهرك قلت لا
قال ما تطهرت ثم قال لبيت قلت نعم قال وجدت جواب التلبيه مثلا بمثل قلت لا قال ما لبيت
ثم قال دخلت الحرم قلت نعم قال عهدت بدخولك ترك كل محرم قلت لا قال ما دخلت الحرم ثم قال
اشرفت على مكه قلت نعم قال اشرفت عليك نور من الله حال اشرافك على مكه قلت لا قال
ما اشرفت على مكه ثم قال دخلت المسجد الحرام قلت نعم قال دخلت في قربه من حيث علمته قلت لا
قال ما دخلت المسجد الحرام ثم قال رايت الكعبه قلت نعم قال ما رايت ما قصدت له قلت لا
قال ما رايت الكعبه ثم قال رملت ثلثا ومشيت اربعا قلت نعم قال هربت من الدنيا هربا
علمت انك قد فاصلتها وانقطعت عنها ووجدت بمشيك الاربع امنا مما هربت منه فازددت
لله شكرا لذلك قلت لا قال ما طفت ثم قال صافحت الحجر قلت نعم قال ويلك ان من صافح الحجر
فقد صافح الحق ومن صافح الحق فهو في محل الامن اظهر عليك اثر الامن قلت لا قال فما صافحت
الحجر ثم قال اصليت ركعتين بعدها قلت نعم قال وقفت الوقفه بين يدي الله واوقفت
قصدك قلت لا قال ما صليت ثم قال هل خرجت الى الصفا ووقفت بها قلت نعم قال اي شي عملت
قلت كبرت عليها قال هل صفا سرك بصعودك على الصفا وصغر في عينيك الاكوان بتكبيرك
ربك قلت لا قال ما صعدت وما كبرت ثم قال هرولت في سعيك قلت نعم قال هربت منه اليه
قلت لا قال ما هرولت ولا سعيت ثم قال وقفت على المروه قلت نعم قال رايت نزول
السكينه عليك وانت على المروه قلت لا قال لم تقف على المروه ثم قال هل خرجت الى منى قلت
نعم قال اعطيت ما تمنيت قلت لا قال ما خرجت الى منى ثم قال دخلت مسجد الخيف قلت نعم
قال هل تجدد عليك خوف بدخولك مسجد الخيف قلت لا قال ما دخلت ثم قال مضيت
الى عرفات قلت نعم قال هل عرفت الحال الذي خلقت له والحال الذي تصير اليه وهل
عرفت من ربك ما كنت منكرا له وهل تعرف الحق اليك بشي مما تعرف الى خواصه قلت لا قال

ما مضيت الى عرفات ثم قال انفرت الى المشعر الحرام قلت نعم قال هل ذكرت الله فيه ذكر الناسك فيه ذكر ما سواه وهل شعرت بماذا اجبت وبماذا خوطبت قلت لا قال ما نفرت الى المشعر الحرام ثم قال هل ذبحت قلت نعم قال افنيت شهواتك واردتك في رضا الحق قلت لا قال ما ذبحت ثم قال هل رميت قلت نعم قال رميت جهلك منك بزيادة علم ظهر عليك قلت لا قال ما رميت ثم قال هل زرت قلت نعم قال لو كشفت عن شيء من الحقايق او رايت شيا من الكرامات عليك بالزيارة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاج والمعتمر زوار الله عز وجل وحق المزور ان يكرم زايره قلت لا قال ما زرت ثم قال هل احللت قلت نعم قال اعزمت على اكل الحلال قلت لا قال ما احللت ثم قال ودعت قلت نعم قال خرجت من نفسك وروحك بالكلية قلت لا قال ما ودعت ولا حججت وعليك العود واذا حججت فاجتهد ان تكون كما وصفت لك **قوله تعالى** قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون لما اورد الله الدلايل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مما ورد في التورية والانجيل من البشارة بمقدمه ثم عقب ذلك بشبهات القوم فالشبهة الاولى فيما يتعلق بحل الطعام والشبهة الثانية ما يتعلق بالكعبة ووجوب استقبالها في الصلوة ووجوب حجها فاجاب عنها بقوله ان اول بيت وضع للناس الى اخرها فعند هاتمت وظيفة الاستدلال وكمل الجواب عن شبهات اصحاب الضلال فبعد ذلك خاطبهم بالكلام اللين وقال لم تكفرون بايات الله بعد ظهور الايات وسقوط الشبهات وهذا هو الغاية القصوى في ترتيب الكلام وحسن نظمه والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر **قوله تعالى** قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ثم انه تعالى لما انكر عليهم في ضلالهم ذكر بعد ذلك الانكار عليهم في اضلالهم لضعفة المسلمين فقال قل يا اهل الكتاب لم تصدون اي تصرفون عن دين الله من امن يقال صده صدا واصده اصدادا بمعنى وصدهم عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وذلك بالقاء الشبهة والشكوك في قلوب الضعفة من المسلمين وكانوا يفتنونهم ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم قوله تبغونها عوجا يطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة والعوج بالكسر الميل عن الاستوا في الدين والقول والعمل والعوج بالفتح في الجدار والحايط وكل شخص قايم فالاول فيما لا يرى والاخر فيما يرى قوله تبغونها في محل النصب على الحال والضمير المنصوب فيها عايد على السبيل قال صاحب الكشاف فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعتكم لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل اي وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظايم امورهم وهم الاحبار ثم قال وما الله بغافل عما تعملون اراد به التهديد كقول الرجل لعبده وقد انكر طريقته لا يخفى ما انت عليه ولست غافلا عن امرك وانما ختم الاية الاولى بقوله والله شهيد على ما تعملون وذلك لانهم كانوا يظهرون الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما القاء الشبهة في قلوب المومنين فما كانوا يظهرونها بل كانوا يحتالون في ذلك بوجوه الحيل فلا جرم قال فيما اظهروه والله شهيد وفيما اضمروه وما الله بغافل عما تعملون وانما كرر في الايتين قوله قل يا اهل الكتاب لان المقصود التوبيخ على الطف الوجوه وتكرير هذا الخطاب اللطيف اقرب الى التلطف في صرفهم عن طريقهم في الضلال والاضلال وادل على النصح لهم في الدين والاشفاق **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا

ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين لما حذر الفريق من اهل الكتاب عن الاغرار والاضلال وادل على النصح لهم في الدين حذر المومنين عن ان يطيعوا فريقا من اهل الكتاب قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فيه فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا وتغاضبوا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ثم قال احدهما للاخر ان شيتم والله رددتها الان جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواها التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع بعنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فما كان يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم فانزل الله يا ايها الذين امنوا الاوس والخزرج ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين **قوله تعالى** وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان ايات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم غضة طرية وبين اظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظكم وينبهكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله اي يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجا اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي الى صراط مستقيم لا محالة كما تقول اذا جيت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل ومعنى التوقع فيه ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده والاعتصام في اللغة الاستمساك بالشيء واصله من العصمة والعصمة المنع والعاصم المانع واعتصم فلان بالشيء اذا تمسك به في منع نفسه من الوقوع في افة ومنه قوله ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولما ذكر الوعيد اردفه بهذا الوعد **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون لما حذر المومنين في هذه الايات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات امرهم اولا بتقوى الله وهو قوله اتقوا الله وثانيا بالاعتصام بحبل الله وهو قوله واعتصموا بحبل الله وثالثا بذكر نعم الله وهو قوله واذكروا نعمة الله عليكم والسبب في هذا الترتيب ان فعل الانسان معلل اما بالرهبة او بالرغبة والرهبة مقدمة على الرغبة لان دفع الضرر قبل جلب النفع فقوله اتقوا الله حق تقاته اشارة الى التخويف من عقاب الله ثم جعله سببا للامر بالتمسك بدين الله والاعتصام بحبل الله ثم اردفه بالرغبة وهو قوله واذكروا نعمة الله عليكم فكانه قال خوف عقاب الله يوجب ذلك وكثرة نعم الله عليكم توجب ذلك فلم يبق جهة من الجهات الموجبة للفعل الا وهي حاصلة في وجوب انقيادكم لامر الله ووجوب طاعتكم لحكم الله فظهر بما ذكرنا ان الامور الثلاثة المذكورة في هذه الايات مرتبة على احسن الترتيب قيل كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وحين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك رجلان ثعلبة بن غنم بن الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملايكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن

له ورضي بحكمه في قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد
بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا فقال
الخزرجي اما والله لو تاخر الاسلام قليلا وقدوم النبي صلى الله عليه وسلم لقتلنا سادتكم واستعبدنا ابناءكم
ونكحنا نساءكم من غير مهر وقال الاوسي قد كان الاسلام متاخرا كثيرا فهلا فعلتم ذلك فقد ضربناكم حتى
ادخلناكم الديار وانشدا الاشعار وتفاخرا وتناديا فجاء الاوسي الى الاوس والخزرجي الى الخزرج فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا فاتاهم وانزل الله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الايات فقراها عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر وقال
يا معاشر المسلمين ما لي اوذى في اهلي يعني عايشة رضي الله عنها في قضية الافك فوالله ما علمت على اهلي الا
خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت منه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ
الانصاري فقال انا اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا
الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن
احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله فقال سعد والله لنقتلنك فانك منافق تجادل
عن المنافقين فثار الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ودعوا السلاح فلم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا فانزل الله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته واجب
تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحو فاتقوا الله ما استطعتم يريد
بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق تقاته
ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر وقيل هو ان لا يعصى الله طرفة عين وقيل هو
ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان يطيعه
فيما تعبده به وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتودة من اتاد ولا
تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين
به على لقاء العدو لا تاتني الا وانت على حصان ولا تنهاه عن الاتيان ولكن تنهاه عن خلاف الحال
التي شرطت عليه في وقت الاتيان **قوله تعالى** واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم
منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون لما امر الله تعالى بالاتقاء عن المحظورات امرهم
بما هو كالاصل لجميع الخيرات والطاعات وهو الاعتصام بحبل الله واصل الحبل السبب الذي يوصل
به الى البغية والحاجة وكل من يمشي على طريق دقيق يخاف من ان تزلق رجله فاذا تمسك بحبل مشدود
الطرفين بجانبي ذلك الطريق امن الخوف ولا يخفى دقة الصراط المستقيم وزلق رجل اكثر الناس فمن
اعتصم بدين الحق فقد امن الخوف وقد اختلف المفسرون في المراد من الحبل هاهنا فقال ابن عباس
رضي الله عنهما المراد بالحبل هاهنا عهد الله المذكور في قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وقال الا بحبل من الله وحبل من الناس اي بعهد من الله وانما سمي العهد حبلا لانه يزيل الخوف
عنه من الذهاب الى اي موضع شاء فكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف وقيل الحبل
القران لقوله صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فيه نبا
من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل الذي ليس بالهزل هو الذكر الحكيم والصراط المستقيم
هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس منه الالسن ولا تشبع منه العلماء من قال به صدق ومن عمل
به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم وقيل الحبل هو طاعة الله وقيل الجماعة

فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الطاعة والجماعة خير مما تحبون في الفرقة شاهده انه تعالى ذكر
عقيبه ولا تفرقوا وقيل اخلاص التوحيد وقيل الاسلام وهذه الاقوال متقاربة على جميعها يجوز ان يكون
تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه فيكون تشبيه
مجموع بمجموع فيكون تمثيلا ويجوز ان يكون الحبل استعارة لعهده او دينه او غيرهما مما ذكر والاعتصام استعارة
لوثوقه بالعهد او غيره مما ذكر ويكون الاعتصام ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى على الوجه الاول
اي التمثيل واجتمعوا على استظهاركم واستعانتكم به ووثوقكم بحمايته ولا تفرقوا عنه والمعنى على الوجه الثاني اي
الاستعارة واجتمعوا على التمسك بعهده الى عبادته وهو الايمان والطاعة او بكتابه او بغيره مما ذكر ولا تفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفترق
امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحدة فقيل يا رسول الله ومن هم فقبض على يده وقال الجماعة ثم
قرا واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا
ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق من المعاداة والمخاصمة وما يزول معه الاجتماع والالفة
التي انتم عليها بما ياباه جامعكم والمولف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام قوله تعالى واذكروا نعمة الله
عليكم اضافة النعمة الى الله تفيد العموم والعظم على سبيل الاجمال ثم بين تفصيلها بقوله اذ كنتم اعداء فالف
بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا فانه اشارة الى اعظم نعمة في الدنيا فانه كان في الجاهلية بينهم العداوات والاحن
والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا
متراحمين متناصحين مجتمعين على كلمة واحدة قد نظمت بينهم وازيلت الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل
هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة
وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه
نعمة الله عليهم في الدنيا وهي عظيمة فان تاليف القلوب وحصول الاخوة بينهم نعمة عظيمة
وحصولها بعد العداوة والاحن والمحاربة اعظم وقوله وكنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها فانه اشارة الى عظمتها في الاخرة فان الانقاذ من النار نعمة عظيمة والانقاذ هم بعد
ان كانوا على شفا حفرة منها اعظم شفا الحفرة وشفتها طرفها وحرفها مما ذكر ويوصف ولا
ثم وها واو الا ان الواو في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب
والجانبة والمعنى وكنتم مشفين مشرفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم
بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت
حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل
ذلك البيان البليغ يبين لكم اياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى قال الجبائي
الاية تدل على انه تعالى يريد منهم الاهتداء اجيب بان المعنى قيل لتكونوا على رجاء وهداية
قال الامام وهو ضعيف لانه يلزم ان يريد الله منهم ذلك الرجاء ومن المعلوم انه على مذهبنا
قد لا يريد ذلك الرجاء والجواب ان يقال كلمة لعل للترجي والمعنى انا فعلنا فعلا يشبه فعل من
يترجى **قوله تعالى** ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر واولئك هم المفلحون الله تعالى في الايات المتقدمات عاب اهل الكتاب بالكفر فقال
يا اهل الكتاب لم تكفرون ثم وبخهم على سعيهم في القاء الغير في الكفر وصدهم عن سبيل الله
من امن فانتقل الى مخاطبة المومنين فامرهم اولا بالتقوى والثبات على الاسلام فقال اتقوا الله

حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله ثم امرهم بالدعوة الى الخير والطاعة
والايمان فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهذا هو الترتيب البليغ المطابق للعقل
قوله ولتكن امر للايجاب ومن في قوله منكم للتبعيض وامة اسم تكن والمعنى اوجب
الله على جماعة منكم الدعوة الى الخير فعلم من هذا ان الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر من فروض الكفايات ولا تتم الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا بالعلم
بكيفيتها وشرائطها فانه لا يصلح لها الا من علم الخير والمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامتها
وكيف يباشرها فان الجاهل ربما لم يعرفها ودعا الى غير الخير وامر بغير المعروف ونهى عن غير المنكر
او عرف مذهبه فيها ولم يعرف مذهب صاحبه فامره بما ليس بمعروف في مذهب صاحبه او نهاه عن
ما ليس بمنكر في مذهبه وربما يغلظ في موضع اللين او يلين في موضع الغلظ وينكر على من لا يزيده
انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر اي اصحاب المكس والجلادين
واضرابهم وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فيكون العلم بها ايضا من فروض الكفايات وفي
قوله منكم امة دليل على التقليل وعلى ان فرض الكفاية على بعض منهم وعلى لحوق الاثم بترك الكل
وقيل من للتبيين والمعنى كونوا امة تدعون الى الخير وتامرون بالمعروف لقوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف فانه لا مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
اما الدعوة الى الخير اي الاسلام فافضله الدعوة الى اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن
مشابهة الممكنات شاهده قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي احسن وقوله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
وقيل الدعوة الى الخير جنس تحتها نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف
والتنفير عن فعل ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس اولا ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في
البيان ثم قال واولئك هم المفلحون فان قيل ان الفاسق ليس له الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر لان الاية تدل على ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من المفلحين والفاسق ليس
من المفلحين اجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان من امر بالمعروف
ونهى عن المنكر لم يشرع الا بعد اصلاح نفسه لان العاقل يقدم مهمه على مهم الغير والعلما
قالوا للفاسق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه وجب عليه الاتيان بالمعروف
والانتهاء عن المنكر فترك احد الواجبين لا يقتضي ترك الاخر وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة
رسوله وخليفة كتابه **قوله تعالى** ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون قيل انه تعالى ذكر في الايات المتقدمة
انه ذكر في التورية ما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاحتال اليهود في
القاء الشكوك والشبهات في تلك النصوص الظاهرة ثم انه تعالى امر المؤمنين بالايمان
بالله والدعوة الى الله ثم ختم ذلك بان حذر المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب
وهو القاء الشبهات في نصوص القرآن واستخراج التاويلات الفاسدة منها فقال ولا تكونوا

بلغ مقابلة

ايها المؤمنون عند سماع هذه البينات كالذين تفرقوا واختلفوا بسبب اتباع الهوى وطاعة النفس والحسد
كابليس وقيل تفرقوا حتى صار كل فريق منهم صدقوا من الانبياء بعضا دون بعض وصاروا ابدا الى العداوة
وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمرجئة والحشوية والقدرية واشباههم وقيل تفرقوا
واختلفوا معناهما واحد ذكرهما للتاكيد وقيل تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين وقيل تفرقوا بسبب
استخراج التاويلات الفاسدة لتلك النصوص ثم اختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله ومذهبه وقيل
تفرقوا بابدانهم بان صار كل واحد من اولئك الاحبار رئيسا في بلد ثم اختلفوا بان صار كل واحد منهم يدعي
انه على الحق وان صاحبه على الباطل قال الامام اقول انك اذا انصفت علمت ان اكثر علماء هذا الزمان
موصوفون بهذه الصفة فنسال الله العفو والرحمة قوله من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق
على كلمة واحدة قوله واولئك يعني الذين تفرقوا واختلفوا لهم عذاب عظيم في الاخرة بسبب تفرقهم فكان ذلك
زجرا للمؤمنين عن التفرق ثم قال يوم تبيض لما امر المؤمنين بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ونهاهم عن ان يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واخبر بان اولئك الذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واخبر بان اولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
لهم عذاب عظيم عقبه بذكر حال المسلمين لامر الله المجتنبين عن التفرق والاختلاف وحال المتفرقين
والمختلفين المخالفين لامر الله المرتكبين لما نهى الله عنه يوم القيامة فقال يوم تبيض وجوه يوم نصب
على الظرف بقوله لهم في قوله تعالى لهم عذاب عظيم اي لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وقيل منصوب
باضمار اذكر اي يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تسود وجوه المنافقين
وتسود وجوه اهل البدعة والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض
اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى بين يديه النور وبيمينه ومن كان من اهل
ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب
وقيل البياض الفرح والسواد الغم شاهده قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة فجعل الله الغبرة والقترة في مقابلة الضحك والاستبشار قال اهل الحقائق
يوم تبيض وجوه بالسعادة وتسود وجوه باحتجابهم عن مولاهم وقيل تبيض وجوه بالشهادة
وتسود وجوه بالفرار من الزحف وقيل تبيض وجوه بالقناعة وتسود وجوه بالطمع قوله
فاما الذين اسودت وجوههم جوابه محذوف والمعنى فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم
اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم قيل الذين اسودت وجوههم هم كل من كفر بعد ايمانه بالله
يوم الميثاق حين اخرجهم من صلب ادم وقال لهم الست بربكم قالوا بلى فيعيرهم الله بكفرهم
يوم القيامة فيقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق وقيل هم المنافقون اعطوا كلمة الايمان
بالسنتهم وانكروها بقلوبهم وقيل هم قوم من اهل الكتاب مصدقين بانبيائهم مصدقين بمحمد
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به فذلك قوله اكفرتم بعد ايمانكم وقيل هم
المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء وقيل هم الخوارج ودليل هذه التاويلات قوله
تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون ذكر ذلك بسبيل الوعيد لمن كفر بعد ايمانه ولمن كان كافرا اصليا قوله واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون هولاء اهل الطاعة والوفاء بعهد الله ففي رحمة الله
اي ففي نعمة الله وهي الثواب المخلد قوله هم فيها خالدون استيناف كانه قيل كيف يكونون
في رحمة الله فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وانما ابتدا بقوله يوم تبيض

وجوهم وختم بقوله واما الذين ابيضت وجوههم لان عادة القران الافتتاح باهل الخير والختم
عليهم **قوله تعالى** تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في
السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور تلك اشارة الى ايات الله الواردة في الامر
والنهي والوعد والوعيد المتضمنة لتعذيب الكفار وتنعيم المومنين نتلوها عليك نقصها
عليك ملتبسا بالحق والعدل من جزا المحسنين على سبيل التفضل وجزا المسي على سبيل
العدل وقيل معناه نتلوها عليك متضمنة للافاعيل التي هي حق من كرامة المومن المحسن وتعذيب
الكافر المسي وما الله يريد ظلما فلا ينقص على المحسن وينقص من ثوابه الموعود ويأخذ
احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم على ما هو مقتضى عدله ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى
انه ما يريد شيا من الظلم لاحد من خلقه فان العالم على احسن النظام قايم بعدله فاذا لم
يرد ظلما لاحد من العالمين لم يقع لان كل ما وقع باراده تعالى فسبحان من يحلم عمن يعتقد
انه يقع شي في الوجود بدون ارادته ويتصور ان يقبح شي بالنسبة الى الله تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولما حصل العقول البشرية حتير وتوقف في ادراك
الوجه الذي به خص الله تعالى طايفة بعمل يرحمهم به وبه خلقهم الجنة واخرى بعمل
يعذبهم عليه وبه خلقهم النار ذكر الحجة القاطعة في ان جميع المخلوقات ملكه يفعل
ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون فقال ولله ما في السموات وما
في الارض ذكر ما دون من حيث هي جمل واجناس والى الله ترجع الامور اعاد ذكر
الله في الايتين اراد تفخيم الكلام والتنبيه على عظم المعنى قيل لما كان اول كل من الايتين واخره
جملتين مستقلتين متفرقتين في المعنى حسن اظهار الاسم فيهما فانه اذا تكررت جمل كثيره
على هذا الحد حسن فيها كلها اظهار الاسم وليس التعوض بالضمير في ذلك يعرف ولما
كان المخلوقات منه تبدا واليه تعود قال ولله ما في السموات وما في الارض اشارة الى
انه تعالى هو الاول والى الله ترجع الامور اشارة الى انه هو الاخر وذلك يدل على
احاطة علمه وحكمه وتصرفه وتدبيره باولهم واخرهم فان الاسباب والمسببات منتهيه
اليه وان الحاجة منتهية اليه **قوله تعالى** كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم
منهم المومنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
ثم لا ينصرون قيل لما امر الله المومنين ببعض الاشيا ونهاهم عن بعض الاشيا وحذرهم
ان يكونوا مثل اهل الكتاب في التمرد والعصيان وجحود الحق واذكر عقيبه ثواب
المطيعين وعقاب الكافرين وقد كان المقصود من كل هذه الامور حمل المومنين
والمكلفين على الانقياد والطاعة ومنعهم عن التمرد والمعصية اردف ذلك بطريق اخر
يقتضي حمل المومنين على الانقياد والطاعة فقال كنتم خير امة والمعنى انكم كنتم في اللوح
المحفوظ خير امة وافضلهم فلا يليق بهذا ان لا تبطلوا على انفسكم هذه الفضيلة وان تكونوا
منقادين مطيعين في كل ما يتوجه عليكم من التكلف قيل نزلت هذه الايه في ابن مسعود
وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة وذلك ان مالك بن الصيف ووهب بن
يهودا اليهوديين قالا لهم ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله
تعالى هذه الايه قوله كنتم خير امة قيل كان هاهنا زايده والمعنى انتم خير امة وذكر كان

للتاكيد

خيرهم

للتاكيد ورد بان كان يلغى متوسطا وموخرا ولا يلغى مقدما يقول العرب عبد الله كان قايما
وعبد الله قايم كان على انه ملغاه ولا يقول كان عبد الله قايما على الغايها لان عادتهم ان يبدوا بما
تنصرف العناية اليه والملغى لا يكون في محل العناية وقيل كان هاهنا بمعنى صار اي صرتم خير امة
اخرجت للناس بسبب كونكم آمرين بالمعروف وقيل كان هاهنا تامه بمعنى الوقوع والحدوث وهو لا
يحتاج الى خبر والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم ووقعتم خير امة منصوبا على الحال وقيل كان هاهنا
ناقصة وهي عبارة عن وجود الشي في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا
على انقطاع طاري ومنه قوله تعالى كنتم في التورية وقيل كنتم مذ آمنتم خير امة والمقدر
ان يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير امة فاستحققتم ما انتم فيه من الرحمة
بسببه قيل هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل هم اصحاب النبي خاصة
ولكنه عام في كل الامة فان ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل اخرجت
اظهرت قوله للناس متعلق بقوله اخرجت ومعناه ما اخرجت للناس امة خير من امة محمد صلى الله
عليه وسلم فهي خير امة اخرجت للناس وقيل للناس متعلق بقوله كنتم والتقدير كنتم للناس خير امة
اخرجت قوله تامرون بالمعروف كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم
الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم فانه ثبت ان الحكم اذا كان مقرونا بالوصف المناسب له يدل على
كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فهاهنا حكم بثبوت وصف الخيرية ثم ذكر عقيب هذا الحكم
وصف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فدل على ان كونهم خير امة معلل بالاوصاف المذكورة قوله وتومنون بالله جعل
الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب
او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مومن بالله شاهده قوله تعالى ويقولون نومن
ببعض الكتاب ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل
عليه قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم
انما اثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو اسلموا لكان خيرا لهم من الرياسة
والاتباع وحظوظ الدنيا ومما اثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من
ايتا الاجر مرتين منهم المومنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون
في الكفر لن يضروكم الا اذى اي ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك
فان قيل الوصف انما يذكر للمبالغة فاي مبالغة تحصل في وصف الكافر بانه فاسق اجيب
بان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه فيكون مردودا عند الطوايف لان المسلمين لا يقبلونه
لكفره والكفار لا يقبلونه لكونه فاسقا في دينهم فكانه قيل اهل الكتاب فريقان منهم من آمن واكثرهم ما
امنوا فهم الفاسقون في دينهم فليسوا ممن يجب الاقتدا بهم البتة عند احد من العقلا وان
يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم
نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يودونهم بالتلهي وتوبيخهم
وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون بان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالي به مع
انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل ثم لا ينصرون عدل
به عن حكم الجزا الى حكم الاخبار ابتدا كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون ولو جزم ولم
يعدل عن حكم الجزا لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان
النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية

انهم محمد ولوى منقطع عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر
من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر وقوله ثم لا ينصرون عطف على جملة الشرط
والجزا كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون ولو جزم لكان يعدل
عن حكم الجزا لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا
مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم والتراخي في ثم هو التراخي في المرتبة لان تسليط الخذلان
عليهم وترك النصر اعظم الاخبار من توليتهم الادبار والجملتان اي قوله منهم المومنون واكثرهم
الفاسقون وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون هما
كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجرا ذكر اهل الكتاب كما اذا كان شخص في حكاية زيد
بانه يصلح ان يفعل كذا ثم سنح له كلام آخر وعلى ذكر زيد فان من شانه كيت وكيت ولذلك جا
الجملتان من غير عاطف واعلم ان هذه الاية اشتملت على الاخبار عن الغيب من وجوه كثيرة منها
ان المومنين امنون من ضررهم ومنها انهم لو قاتلوا المومنين لانهزموا ومنها لا يحصل لهم النصر
ووقع كما اخبر الله عنه وقد احتج اصحابنا بهذه الاية على ان الاجماع حجة من وجهين احدهما
ان التعريف في المعروف والمنكر يفيد الاستغراق فيدل على انهم امرون بكل معروف
وناهون عن كل منكر ومتى كان كذلك كان اجماعهم حقا وصدقا وكان حجة وثانيهما قوله
تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق فوجب ان لا يحكم هذه الامة الا بالحق
والا لم يكن هذه الامة افضل منهم فيكون اجماعهم حجة **قوله تعالى** ضربت عليهم الذلة
اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة
ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
ليسوا سوآء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله آنا الليل وهم يسجدون يومنون
بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات
واولئك من الصالحين اينما ثقفوا اينما وجدوا ولقوا قوله بحبل من الله اي بعهد
من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من
الله وهو استثنا من اعم عام الاحوال اي ما لا اعم منه وهو الشي والمعنى ضربت عليهم
الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم او تمسكهم او التباسهم بحبل من الله وحبل من الناس
يعني عهد الله وعهد المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاوهم الى العهد والذمة
لما قبلوه من الجزية وعطف حبل من الناس على حبل من الله يقتضي تغايرهما فالاول العهد الذي
نص الله عليه وهو اعطا الجزية والثاني هو الذي فوض الى راي الامام فيزيد فيه تارة وينقص
بحسب الاجتهاد وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير
ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه قوله ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بغضب من الله اي ذلك كائن بكفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا بغير حق ثم قال
ذلك بما عصوا اي كفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا بغير الحق كائن بسبب عصيانهم وتوغلهم في
عصيانهم في معظم ما امر الله به ونهى عنه وكانت ظلمات المعاصي تتزايد حالا فحالا ونور الايمان يضعف
حالا فحالا ولم يزل كذلك الى ان بطل نور الايمان وحصلت ظلمة الكفر واليه الاشارة
بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم فقوله ذلك اشارة الى سبب السبب ولهذا قال
ارباب المعاملات من ابتلي بترك الاداب وقع في ترك السنن ومن ابتلي بترك السنن

وقع في ترك الفرائض ومن ابتلي بترك الفرائض وقع في استحقار الشريعة ومن ابتلي بذلك
وقع في الكفر قال صاحب الكشاف ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله
واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاقهم سخط الله وان سخط الله يستحق
بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطاياهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
واكلهم اموال الناس بالباطل قوله ليسوا سوآء الضمير في ليسوا لاهل الكتاب
اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب كلام مستانف لبيان قوله ليسوا
سوآء كما وقع قوله تعالى تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة قائمة مستقيمة عادلة
من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا كعبد الله بن سلام واصحابه
قوله يتلون ايات الله قيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القران في ساعات الليل مع السجود
لان تلاوة القران مع السجود ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وآنا الليل ساعاته
واحدها اني مثل نحي وانحا وانا مثل معا وامعا قال الشاعر

حلو ومر كعطف القدح مرته في كل اني قضاه الليل ينتعل

اي في اي ساعات آنا الليل وقال الراجز لله در جعفر اي فتى مشمر عن ساقه كل انا
قيل آنا الليل جوفه وهم يسجدون اي يصلون لان التلاوة لا تكون في الركوع والسجود
نظيره قوله تعالى وله يسجدون اي يصلون واختلفوا في نزول هذه الاية ومعناها
قيل في قيام الليل وقيل صلوة العشا عن ابن مسعود اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة
العشا ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد
يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية وقوله يتلون ويومنون في محل الرفع صفتان
لقوله امة وصفهم بخصائص لم تكن في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن
الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض
ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها
والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر
الفور على التراخي واولئك الموصوفون بما وصفوا من الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله
ورضي عنهم واستحقوا ثناه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين قيل في الاية اختصار
وحذف تقديره ليسوا سوآء من اهل الكتاب امة قائمة واخرى غير قائمة فترك ذكر الاخرى
اكتفا بذكر احد الفريقين على طريقة العرب من ان ذكر احد الضدين يغني عن الاخر وتحقيقه ان الضدين
من حيث التضاد يعلمان معا فذكر احدهما يستقل بافادة العلم بهما فيغني عن ذكر الاخر
قال ابو ذؤيب دعاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها
اراد ارشد ام غي فحذف لدلالة الكلام عليه **قوله تعالى** وما تفعلوا من خير فلن تكفروه
والله عليم بالمتقين لما ذكر الصفات التي هي وصف لتلك الامة من اهل الكتاب ذكر قوله
وما تفعلوا من خير قرا حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما على الخطاب لقوله كنتم خير امة
ومعنى الاية وما تفعلوا من خير فلن تعدموا ثوابه ولن تجحدوا جزاءه بل يشكر لكم لما جاء وصف
الله تعالى بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفي عنه نقيض الشكر وهو الكفران
وانما عدي الى مفعولين لانه ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه اي فلن تحرموا جزاءه

ذكر الضد

والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا المتقون من
الشرك **قوله تعالى** ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون قيل لما ذكر الله مومني اهل الكتاب ذكر كفارهم وقيل لما ذكر في هذه
الايات مرة احوال الكافرين في كيفية العقاب واخرى احوال المومنين في الثواب جامعا بين الوعد
والوعيد والترغيب والترهيب فلما وصف مومني الكفار بما تقدم من الصفات الحسنة اتبعه
بوعيد الكفار وقيل اراد بالذين كفروا بني قريظة والنضير فان روسا اليهود مقصودهم في معاندة
الرسول المال شاهده قوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وقيل اراد بهم مشركي قريش
فان ابا جهل واصحابه كانوا كثيري الافتخار بالمال وقيل نزلت الاية في ابي سفيان فانه انفق
مالا كثيرا على المشركين يومي بدر واحد في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الاية عامة في
حق جميع الكفار وذلك لان كلهم كانوا يتعززون بكثرة الاموال وكانوا يعيرون الرسول واصحابه بالفقر
ويقولون لو كان محمد على الحق لما تركه ربه فقيرا في هذا الفقر والشدة ولان اللفظ عام ولا دليل
يوجب التخصيص فوجب اجراوه على عمومه وللاولين ان يقولوا انه تعالى قال بعد هذه
الاية مثل ما ينفقون فالضمير في قوله ينفقون عايد الى الذين كفروا في هذه الاية وقوله
ينفقون مخصوص ببعض الكفار فوجب ان يكون هذا مخصوصا وانما خص الاموال والاولاد بالذكر
لان انفع الجمادات هو الاموال وانفع الحيوانات هو الولد فاذا لم ينفعا الكافر في الاخرة لم ينفعه
غيرهما بطريق الاولى **قوله تعالى** مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون لما بين ان
اموال الكفار لا تغني عنهم شيئا ثم انهم ربما انفقوا اموالهم في وجوه الخيرات فيخطر ببال انسان
انهم ينتفعون بذلك ازال الله هذه الشبهة بهذه الاية والمثل الشبه الذي يصير كالعلم للثوب
لكثرة استعماله فيما يشبه به والمقصود ان كفرهم يبطل ثواب انفاقهم كما ان الريح الباردة تهلك
الصر قال الشاعر لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قالت ليلى
الاخيلية ولم تملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر لا تعدلن لا تسوين الاتاوي الغريب
البعيد الدار والنكباء الريح الشديدة التي تنكب عن مهاب الرياح والصر الريح الباردة
والمحلات الماعون مثل الفاس والقدر والدلو وغيرها تقول لا تسوين الغربا
الفقرا الذين لا منزل لهم ولا ديار تكنهم من البرد والرياح باصحاب الديار والمنازل
والاثاث والبيت الاخر ترثي ليلى صاحبه والالد شديد الخصومة والجفان جمع
الجفنة وهي القصعة والسديف قطع السنام تعدد مناقبه في البيت وقيل الصر في
الريح بمعنى البارد فوصف بها القراي البرد على معنى ريح فيها قرة صر كما تقول برد بارد
على المبالغة وقيل الصر مصدر في الاصل بمعنى البرد فجي به على اصله والمعنى ريح
فيها برد وقيل في زايد والمعنى ريح باردة وتكون زايدة في الريح كزيادتها في قوله
تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي لكم رسول الله اسوة حسنة
وفي قوله ان ضيعني فلان ففي الله كاف كافل اي فالله كاف وكافل قالت
وفي الرحمن للضعفا كاف اي الرحمن للضعفا كاف قيل شبه الله ما ينفقون من
اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثنا وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه
الله بالزرع الذي حسه البرد اي اهلكه واستاصله فذهب حطاما محسورا من البرد

تغلب الخصم الالد

وقيل شبه الله ما ينفقون من اموالهم فيما ظنوه انه مما يتقربون به الى الله مع كفرهم بالزرع
الذي كفروا وقيل شبه الله ما ينفقون من اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم
لانهم لم يبلغوا بانفاقه المقصود الذي انفقوه لاجله والضياع يترتب على القولين الاخرين لا الاول
لانه كان يحصل لهم من حسن الثنا والوجه هو القول الاول وهو ان يكون في المكارم لان قوله في هذه الحيوة
الحقيرة القليلة التي تشاهد وابوا ان يكون في مرضات الله ولذلك خاب سعيهم وبطل عملهم ولما
كان انفاقهم في هذه الحيوة الدنيا فيه شيوع يحتمل المذكورات قدر للاموال الثلاثة والاصوب
ان يحمل على الجميع لعدم التعرض للمنفق فيه حتى يكون من قبيل اختصار اللفظ لافادة زيادة المعنى
وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ
قال صاحب الكشاف فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه على القول الاول وضياعه على
القولين الاخرين بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث ما ينفقون ممثلا
بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا
وهو ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الواحد وانما شبهت قصتهم
بقصته وكذلك ههنا لم تشبه النفقة بالريح وانما شبهت حال نفقتهم في قلة جدواها وضياعها
بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث ما ينفقون ممثلا
بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا وهو
ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وانما شبهت
قصتهم بقصته وكذلك ههنا لم تشبه النفقة بالريح وانما شبهت حال نفقتهم في قلة جدواها وضياعها
بالحرث الذي ضربته الصر واهلكته ويجوز ان يكون من التشبيه المركب العقلي الذي يوجد
فيه الزبدة والخلاصة من المجموع فيراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون
كمثل مهلك ريح وهو الحرث قيل ويجوز ان يكون من التشبيه المفرق الذي يتكلف لكل واحد واحد
من المشبه به شي يقدر شبيهه في المشبه فتشبه اهلاك الله باهلاك الريح وما ينفقون بما في
الحرث وما في غضب الله من جعل اعمال المرائين هباء منثورا بما في الريح الباردة من حسن
الزرع وجعله حطاما قال صاحب الانتصاف وفي لفظ السوال الذي ذكره صاحب الكشاف
سوء ادب وهو ان الكلام غير مطابق للغرض والواجب ان يقال ما وجه مطابقته ولو اورد
هذا اللفظ على امام معتبر بحضرته لتلطف في ايراده مع انه قد يكون ذلك الاعتراض متجها لا
جواب عنه فلا يتادب مع العالم البشر واخفى في كلامه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ثم يرد عليه جوابه الثاني بان السوال باق على تقدير اهلاك ما ينفقون اذ لا يشبه المصدر
بالاسم الذي هو الريح المهلكة وتقديره والله اعلم مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل
حرث قوم ظلموا انفسهم اصابته ريح فيها صر فاهلكته لكن حولت ذلك لفايدة جليلة وهي
تقديم الاهم وهي الريح التي هي مثل العذاب تهديدا او اعتمادا على الافهام الصحيحة
قيل اما ما واخذته عليه في اللفظ المودن بسوء الادب فليس بذلك لان مراده بسوء القران كلام الله
غير مطابق للغرض الذي ذكرته وهو قولك شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم بزرع
حسه البرد فالانكار متوجه على نفسه واما قوله اذ لا يشبه المصدر بالاسم الذي هو الريح
خطا فانه قدر المضاف في الطرفين لانه قال مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح
واما الذي استنبط من الوجه فمحول من قول صاحب الكشاف شبه ما كانوا ينفقون بالزرع

الجماع

الذي حسبه البرد والسؤال وارد على تصحيح ذلك المعنى قوله وما ظلمهم الله الضمير على معنى
وما ظلمهم الله بان لا يقبل نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكابهم المعاصي فاهلكته الريح وفائدة تقديم المفعول
للاختصاص **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا
ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط قيل
الذين نهى الله المؤمنين عن مخالطتهم اليهود لان المسلمين كانوا يشاورونهم في امورهم ويؤانسونهم
لما كان بينهم من الرضاع والحلف ظنا منهم انهم وان خالفوهم في الدين ينصحون لهم في اسباب
المعاش شاهده ان هذه الايات من اولها الى اخرها مخاطبة مع اليهود فتكون هذه الايات
ايضا كذلك وقيل هم المنافقون لان المؤمنين كانوا يغترون بظاهر اقوال المنافقين ويظنون
انهم صادقون فيفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فالله منعهم من ذلك
شاهده قوله بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة من غير المؤمنين
فيكون ذلك نهيا لهم عن اتخاذ جميع الكفار بطانة ويجوز ان يكون سبب النزول خاصا
والحكم عاما وخصوص اخر الاية لا يمنع عموم اولها وبطانة الرجل ووليجته خصيصه
وصفيه الذي يفضي اليه بشؤونه اي حاجاته واموره الخفية بالقلب المهمة عن الاصمعي
بطن فلان بفلان يبطن به بطونا وبطانة اذا كان خاصا به داخلا في امره وهو مصدر سمي به
الواحد والجمع شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وهو ما يلي الجسد من الثياب
لمماسته الشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وهو ما كان من
الثياب فوق الشعار من دونكم من المسلمين ومن غير اهل ملتكم ويجوز ان يتعلق بلا تتخذوا
فيكون مفعولا وبطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزين لكم لا يالونكم يقال الى
في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك نصحا ولا الوك
جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد والشر والضرر
والمعنى لا يمنعونكم فسادا وشرا والمعنى لا يدعون جهدهم في مضرتكم وفسادكم وقيل
معناه لا يبقون غاية في القائكم فيما يضركم وخبالا لا تمييز او حال ودوا ما عنتم
ما مصدرية والمعنى ودوا عنتكم وهو دخول المشقة على الانسان وهو وقوعه فيما
يعسر الخروج منه وقيل تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه والعنت
شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره قد بدت البغضاء من افواههم
قد ظهرت عداوتهم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم
ما يعلم بغضهم للمسلمين وقيل قد بدت البغضاء من افواههم لاوليائهم من المنافقين والكفار
لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما تخفي صدورهم من العداوة او الخيانة اكبر مما قد ظهر قد بينا لكم
الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم
تعقلون ما بين لكم فعملتم به والجمل الثلاث اي لا يالونكم ودوا وقد بدت البغضاء مستانفات
كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كانه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقال لانهم
لا يقصرون في افسادكم فقيل ولم يفعلون ذلك فقال يودون عنتكم فقيل لم تودون

دونكم

عنتنا فقيل لانهم يبغضونكم ولما كان كل من ذلك مترتبا على الاخر صح ان يقال مستانفات على
وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة قيل والاولى ان يجعل الكل جوابا عن السؤال
عن النهي ويكون كل واحد منها علة مستانفة في المنع عن اتخاذ البطانة وترك العطف
ليدل على استقلال كل واحد ولو عطف لتوهم ان الجميع علة واحدة قيل يجوز ان يكون
الجمل صفات للبطانة كانه قيل بطانة غير الكم خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم
قيل ويجوز ان يكون ودوا حالا من الضمير الذي هو الفاعل في يالونكم وقد معها مقدرة واما
قد بينا فكلام مبتدا قوله ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون في
موالاتهم تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل
اولاء موصول في معنى الذين تحبونهم صلته كانه قيل ها انتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم اي
تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء وهم يريدون لكم الكفر وهو الهلاك وشر الاشياء والواو
في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم
مع انكم تؤمنون يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وقيل يريد بالكتاب
الجنس اي الذي انزل على محمد والذي انزل على عيسى والذي انزل على موسى وفيه
توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم قوله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا
بعضهم الى بعض اظهروا شدة العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين حتى يبلغ ذلك الشدة
الى عض الانامل كما يفعل ذلك احدنا اذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوت مطلوبه
ولما كثر هذا الفعل من الغضبان صار ذلك كناية عن الغضب حتى يقال في الغضبان انه يعض يده
وان لم يكن هناك عض ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام وانما
حصل لهم هذا الغيظ الشديد لما راوا من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات
بينهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ
زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله ولما لهم في ذلك من الذل والخزي والعار
ان الله عليم بما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض
قيل هو كلام داخل في جملة المقول والمعنى اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا
اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا
ان شيئا من اسراركم يخفى عليه وقيل هو كلام خارج من جملة المقول والمعنى قل لهم موتوا
بغيظكم ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني عليم بما هو اخفى مما يسرونه بينهم وهو ما
اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويحتمل ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله
قل موتوا بغيظكم امرا للرسول صلى الله عليه وسلم بتطييب النفس وقوة الرجاء والاستبشار
بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك
وقوله ان تمسسكم حسنة من تمام وصف المنافقين الحسنة الرخاء والخصب والغنيمة
ونحوها من المنافع تسؤهم اي تحزنهم يقال ساءه الامر يسوؤه مساءة والسيئة ضد الحسنة
وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم
من الشدة والمس مستعار لمعنى الاصابة وكان المعنى واحدا يدلك على ذلك قوله تعالى
ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة وقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وانما ذكر في

الاول المس وفي الآخر الاصابة لافتنان الكلام ولانه افصح واحسن وقيل ذكر المس
في الحسنة وتقع المساءة ليبين انه بادنى وصول الحسنة تقع المساءة بنفوس هولاء المبغضين
وذكر الاصابة في السيئة وهي عبارة عن التمكن لان الشي المصيب لشي متمكن منه او فيه وهذا
يدل على شدة العداوة والبغضاء قوله وان تصبروا على ما تسمعون من اذاهم وتتقوا معاداتهم في
دينهم والمحبة لهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه لنتم في كنف
الله لا يضركم قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح اليا وكسر الضاد وسكون الرا من ضار يضير واصله
يضيركم ثم ادغمت الرا في الرا ثم ضمت الرا بعد الادغام تبعا لضمة الضاد نحو مد ياهذا او الكيد
هو ان يحتال الانسان ليوقع غيره في مكروه وعن ابن عباس انه فسر الكيد هاهنا بالعداوة وشيا نصب
على المصدر اي شيا من الضرر اي ضررا ما قيل ضمن الله تعالى للمومنين النصر ان صبروا واعلمهم
ان عداوتهم وكيدهم غير ضار لهم وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو
بالصبر والتقوى وقد قال الحكما اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك
ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط عالم به لا يخفى عليه شي من ذلك **قوله
تعالى** واذ غدوت من اهلك تبوي المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت
طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المومنون لما قال وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم اتبعه بما يدلهم على سنة الله فيهم في باب النصرة والمعونة ودفع مضار العدو
اذا هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك اذا لم يصبروا واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة
وهو غدوه الى احد من حجرة عايشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه
قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا
منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخل علينا عدو الا اصبنا منه فكيف وانت فينا
فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر موضع وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النسا والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين وقال اخرون اخرج بنا يا رسول الله الى هولاء الاكلب
لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا
مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت
يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فافعلوا فقال
رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا
به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بيس ما صنعنا نشير على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما شيت فقال لا ينبغي لنبي ان
يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح من احد من احد يوم
السبت من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم به القدح ان راى
صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد
وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا وقال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين
ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خالف راي عبد الله بن ابي
شق عليه ذلك وقال اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه

بكم

النصف م

اي ادفعوا
تمام

بكم وقد واعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداءهم فانهزموا
فسيتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما قال محمد فلما التقى الفريقان انهزم عدو الله بالمنافقين
وكان جملة عسكر المسلمين الفا فانهزم عبد الله بن ابي فبقيت سبع مائة ثم قواهم الله مع ذلك حتى
هزموا المشركين فلما راى المومنون وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعا ان تكون هذه الواقعة
كواقعة بدر فطلبوا المدبرين فاراد الله ان يعظهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مخالفة
الرسول صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم انما حصل ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومن ترك
الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب عن قلوب المشركين فكر عليهم المشركون وتفرق العسكر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول
يدعوكم في اخراكم وشج وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة
دونه ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر
ان محمدا قد قتل وكان رجل يكنى ابا سفيان من الانصار نادى الانصار وقال هذا رسول الله
فرجع اليه المهاجرون والانصار وكان قد قتل منهم سبعون واكثر فيهم الجراح فقال صلى الله عليه
وسلم رحم الله رجلا ذب عن اخوانه وشد على المشركين بمن معه حتى كشفهم عن القتلى
والجرحى والمقصود من القصة ان الكفار كانوا ثلثة الف والمسلمون كانوا الفا او اقل ثم رجع
عبد الله بن ابي مع ثلثمائة من اصحابه فبقي رسول الله مع سبع مائة فاعانهم الله حتى هزموا
الكفار ثم لما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتغلوا بطلب الغنايم انقلب
الامر عليهم فانهزموا ووقع ما وقع وكل ذلك يوكد قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيا وان المقبل من اعانه الله وان المدبر من خذله الله قوله تبوي المومنين مقاعد للقتال
تنزلهم مقاعد مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل
المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقيل ان تقوم من
مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم
قوله اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم طايفتان حيان من الانصار
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من العسكر خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الف وقيل تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلثة الف ووعدهم
الله الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري ويدعوهم ليرجعوا فقال عمرو انشدكم الله في
نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم
الله فمضوا مع رسول الله قيل ان الله تعالى ابهم ذكرهما وستر عليهما فلا يجوز لنا ان نهتك
ذلك الستر والفشل الجبن والخور فان قيل الهم بالشي هو العزم فالطايفتان عزمتا
على الفشل وهو معصية فكيف قال والله وليهما اجيب بان الظاهر انها ما كانت الا همة
وحديث نفس وما كانت الا ما لا تخلو النفس عنه عند الشدة من بعض الهلع اي الجزع العظيم
ثم ردها صاحبها الى الثبات والصبر ووطنها على احتمال المكروه واي شي من هذا
الجنس اذا ظهر من الانسان يصح ان يقال هم ان يفشل من حيث ظهر منه ما يوجب ضعف
القلب لا يكون معصية وعلى تقدير ان يكون معصية تكون صغيرة ويجوز ان يكون الله ولي صاحب
الصغيرة وقيل اراد بالهم حديث النفس لا العزيمة لانها لو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية

والله تعالى يقول والله وليهما وقيل والله وليهما معناه والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان
ولا يتكلان على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد
فثبتوا وقيل معناه ان ذلك الهم ما اخرجهما عن ولاية الله قال صاحب الكشاف فان قلت
ما معنى ما نقل من قول بعضهم عند نزول هذه الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به
وقد اخبر الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله
فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير الماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم
كانت سببا لنزولها قوله وعلى الله فليتوكل المومنون التوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا
اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفي الاية اشارة الى انه ينبغي ان يدفع الانسان ما
يعرض له من مكروه وانه يتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكل قوله
تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمومنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم
ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم
فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في
السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم لما ذكر الله قصة
احد اتبعها بقصة بدر وذلك ان المسلمين يوم احد كانوا في غاية الشدة والقوة ثم انه
تعالى سلط المشركين على المسلمين ويوم بدر كانوا في غاية الضعف والقلة ثم انه تعالى سلطهم
على المشركين فصارت تلك من اقوى الدلايل على ان العاقل يجب ان لا يتوسل الى تحصيل غرضه ومطلوبه الا
بالتوكل على الله والاستعانة به والمقصود من ذكر هذه القصة تاكيد قوله وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا وتاكيد قوله وعلى الله فليتوكل المومنون وقيل انه تعالى حكى عن الطائفتين
انهما همتا بالفشل ثم قال والله وليهما وعلى الله فليتوكل المومنون اي من كان الله ناصرا له
ومعينا لا ينبغي ان يتوجه الفشل والجبن والضعف ثم اكد ذلك بقصة بدر فان المسلمين في غاية
الضعف ولكن لما كان الله ناصرا لهم فازوا بمطلوبهم وقهروا خصومهم وقيل امرهم ان لا يتوكلوا
الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر الله لهم من الفتح
يوم بدر وهم في حال قلة وذلة وبدر اسم ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به
والاذلة جمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم
من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم
على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد للمقداد بن الاسود وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة
وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة اي السلاح
والشوكة اي شدة الباس والحد في السلاح قوله وانتم اذلة في موضع الحال فاتقوا الله
في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون ان تتقوا لكم ما انعم الله به عليكم
من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه
سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ
غدوت على ان تقول لهم يوم احد مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن
الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل

الملائكة عليهم ولو مضوا على ما شرط عليهم لنزلت فكان قوله تعالى ولقد نصركم الله الى قوله
تشكرون اعتراضا بين الكلام جميلا والتصريح ببدر هو المشهور الذي قتل فيه صناديد قريش
ويوم بدر يوم سبعة عشر من رمضان يوم جمعة لثمانية عشر شهرا من الهجرة وانما قدم لهم الوعد
بنزول الملائكة ليقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان
لا يكفيهم الامداد بثلثة الف من الملائكة وانما جي بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم
كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالايسين من النصر وقيل بلغ المومنين ان كرز بن
جابر الحنفي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم بلى تصديق لوعد
بالامداد والكفاية ان تصبروا على لقاء العدو وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه وقيل بلى ايجاب
لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر
من ذلك العدد ويأتوكم من فورهم هذا من فورهم قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة
اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول من قال الامر على الفور لا على التراخي والفور
مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث لا بطء فيها ولا
تعريج على شيء من صاحبها اي لا اقامة عليه فقيل خرج من فوره كما يقول من ساعته لم يلبث والمعنى
ان الكفار ان ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم من الملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم
عن اتيانهم يريد الله ان يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقيل من فورهم هذا اي من وجههم
هذا وقيل من غضبهم قرا ابن عامر منزلين مشددة الزاي مفتوحة والباقون بفتح الزاي مخففا
وهما لغتان وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم مسومين بكسر الواو اي معلمين على انفسهم بعلامات
مخصوصة واكثر الاخبار انهم سوموا خيولهم بعلامات جعلوها عليها والباقون بفتح الواو اي سومهم
الله قيل معلمين بعمايم صفر مرخاة على اكتافهم وقيل معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب
واذنابها وقيل محزوز اذناب خيلهم وقيل كانوا على خيل بلق وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا
فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت وما جعله الله اي وما جعل ذكر المدد الا بشرى لكم والبشرى اسم من الابشار والتبشير
وقيل وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به فلا تجزعوا
من كثرة العدو وقلة عددكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما
النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوي به الله
رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين اراد الله ان لا يركن المومنون الى
الملائكة واعلمهم انهم وان حضروا وقاتلوا فما النصر الا من عند الله ليستعينوا به ويتوكلوا عليه
العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يشاء ليقطع طرفا اي ليهلك طائفة
منهم بالقتل والاسر وقال السدي ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل من قادتهم
وسادتهم يوم بدر سبعون واسر سبعون او يكبتهم الكبت الصرع للشيء على وجهه يقال كبته
فانكبت ثم استعمل واريد به الاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والاذلال فالمعنى ها هنا
يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم اي فيرجعوا وينصرفوا ولم ينالوا
ما املوه ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب
لاكبت حاسدا واري عدوا وهو من الكبد والرية في قوله ليقطع متعلقة بقوله ولقد نصركم
الله ببدر او بقوله وما النصر الا من عند الله قوله ليس لك من الامر شيء وقوله او يتوب

عطف على ما قبله وهو قوله ليقطع او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم
او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من
تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او
تعطيني حقي على معنى ليس لك من الامر في عذابهم او استصلاحهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم
او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم
عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من
يؤمن قوله فانهم ظالمون جملة مستقلة والمقصود من ذكرها تعليل حسن التعذيب والمعنى او
يعذبهم فانه يعذبهم لانهم ظالمون قوله تعالى ولله ما في السموات المقصود من هذا تاكيد ما ذكره
اولا من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى ان الامر انما يكون لمن له الملك وملك السموات والارض
ليس الا لله وانما قال ما ولم يقل من لان المراد الاشارة الى الماهيات فدخل فيه الكل قوله
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء له ان يغفر لمن يشاء مومنا او كافرا بحكم الالهية ويعذب من يشاء مومنا
او كافرا فانه لا اعتراض عليه في فعل هذه الاشياء والاية لانها على هذا المعنى ظاهر والبرهان
العقلي مؤيد له فان فعل العبد يتوقف على الارادة وتلك الارادة مخلوقة لله تعالى فاذا
خلق الله تلك الارادة اطاع واذا خلق النوع الاخر من الارادة عصى وطاعة العبد من الله ومعصيته
ايضا من الله وفعل الله لا يوجب على الله شيئا فلا الطاعة توجب الثواب ولا المعصية توجب
العقاب بل الكل من الله بحكم الالهية وقهره وقدرته فلو شاء تعذيب جميع المقربين حسن منه ولو شاء رحمة
جميع الكفار حسن منه فان قيل اليس بين انه لا يغفر للكافر ولا يعذب الملائكة والانبياء اجيب بان
مدلول الاية انه لو شاء لفعل ولا اعتراض عليه وهذا لا يقتضي انه يفعل او لا يفعل ثم ختم الكلام
بقوله تعالى والله غفور رحيم اي وان حسن كل ذلك منه لكن جانب المغفرة والرحمة غالب لا على سبيل
الوجوب بل على سبيل التفضل والاحسان قال صاحب الكشاف عن الحسن يغفر الله لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء
ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطا يغفر
لمن يتوب الى الله ويعذب من لقيه ظالما ثم قال واتباعه اي اتباع الله قوله او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون
ويتعامون عن ايات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون عن ابن عباس من قولهم
يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير واعلم ان ما ذكره صاحب الكشاف
عدول عن الطريق المستقيم وتصامم وتعام عن ايات الله فلهذا خبط خبط عشواء وطيب نفسه
بما فسره برايه الذي هو يشاء من هواه ومعتقده الذي هو مولد بتقليده لمشايخ المعتزلة الذين ضلوا واضلوا
عن سواء السبيل لا جرم دخل تحت احد الطائفتين من المفسرين برايه وهم الذين اخطاوا و[illegible]
التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله برايه واصاب فقد اخطا قيل
والحق الذي لا محيد عنه ان هذا معاتبة من الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم
على تعجيله في القول برفع الفلاح عن القوم يوم احد كما ان قوله اذ همت طائفتان منكم
ان تفشلا معاتبة على اصحابه رضي الله عنهم وتعييرا لهم بالفشل يدل على ان هذا معاتبة
ما روي انه قال حين كسرت رباعيته وشج في وجهه كيف يفلح قوم شجوا نبيهم اي لن يفلحوا ابدا
فرد قوله ليس لك من الامر شيء كيف يستبعد الفلاح وبيد الله ازمة امور ما في السموات

والارض

والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وليس لك من الامر الا التفويض والرضى بما قضى فهولاء ان عذبوا بما فعلوا
بك فبمشيئة الله لا بمشيئتك وان غفر لهم بان يتوب عليهم ان اسلموا فبارادته تعالى لا بارادتك فقوله ولله ما في
السموات وما في الارض تاكيد لقوله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم وتذييل له وقوله يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء تقرير معنى التذييل على سبيل الاستيناف باعادة صفة من استوثق عنه الحديث فالغفران
والتعذيب عامان فلا يختصان نعم دخل هولاء فيه دخولا اوليا وقوله والله غفور رحيم تتميم مناد على
ان جانب المغفرة والرحمة راجح على جانب العذاب وفي قوله فانهم ظالمون تتميم لامر التعذيب واثبات
لرجحان المغفرة يعني سبب التعذيب كونهم ظالمين كافرين والا فالرحمة مقتضية للغفران فقيل قوله
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون قيل ان الله تعالى شرح
عظيم نعمه على المومنين فيما يتعلق بارشادهم الى الاصلح لهم في امر الدين وفي امر الجهاد فاتبع ذلك بما يدخل
في الامر والنهي والترغيب والتحذير فقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا فعلى هذا تكون هذه الاية ابتدا
كلام لا تعلق لها بما قبلها وقيل يحتمل ان يكون ذلك متصلا بما تقدم من ان المشركين انما انفقوا على تلك العساكر
اموالا جمعوها بسبب الربوا فلعل ذلك يصير داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا فيجمعوا المال وينفقوه على
العسكر فيتمكنوا من الانتقام منهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك نهى الله تعالى عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه
من تضعيفه كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى اجل فبلغ الدين
محله ولم يتمكن المديون من ادائه قال زدني في المال حتى ازيد في الاجل ففعل مثل ذلك
مرة بعد اخرى فيستغرق بالشيء الطفيف مال المديون فياخذ بسبب تلك المائة اضعافها
وانتصب اضعافا على الحال ومن قال بمفهوم الصفة لا يعتبر المفهوم في هذه لان فائدة
ذكر الضعف بيان ما كانوا عليه قوله واتقوا الله فان اتقاء الله في هذا النهي واجب
والفلاح موقوف عليه فلو اكل ولم يتق الله زال الفلاح وهذه تتضمن ان الربوا من
الكبائر ثم قال واتقوا النار التي اعدت للكافرين فان قيل النار التي اعدت
للكافرين تكون بقدر كفرهم وذلك ازيد مما للمسلم بحسب فسقه فما وجه قوله واتقوا النار التي
اعدت للكافرين اجيب بان التقدير اتقوا ان تجحدوا تحريم الربوا فتصيروا كافرين
والمقصود من وصف النار بانها اعدت للكافرين تعظيم الزجر فان المومنين المخاطبين
باتقاء المعاصي اذا علموا بانهم اذا فارقوا التقوى دخلوا النار التي اعدت للكافرين كان
انزجارهم عن المعاصي اتم نقل ان ابا حنيفة كان يقول هي اخوف اية في القرآن حيث
اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه قال
صاحب الكشاف وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجا المومنين برحمته وبتوفرهم على طاعته
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن تامل هذه الايات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع
الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا
لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضى الله وعزة التوصل الى رحمته
وثوابه ولقائل ان يقول ما المانع عن حمل لعل على القطع مجازا كما ذكرت في اول البقرة فمن ديدن
الملوك ان يقتصروا في مواعدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل فاذا عثر
على ذلك لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب سيما وقد عقب بالترغيب

البليغ وهو سارعوا قوله اطيعوا الله لما ذكر الوعيد ذكر بتقدم الوعد على ما هو العادة المستمره
في القران قيل هذه الايه معاتبه للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم
بما امرهم يوم احد **قوله تعالى** وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السرا والضرا والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من
ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قرا نافع وابن عامر
سارعوا بغير الواو وكذلك هي في مصاحف المدينه والشام والباقون بالواو وكذلك
هي في مصاحف مكه والعراق ومصحف عثمان فمن قرا بالواو عطفه على ما قبله والتقدير
واطيعوا الله واطيعوا الرسول وسارعوا ومن ترك الواو فلان قوله وسارعوا وقوله
واطيعوا الله كالشي الواحد ولقرب كل واحد منهما من الاخر في المعنى اسقط العاطف وروي
عن الكسائي الاماله في وسارعوا اولئك يسارعون وفي الكلام حذف والتقدير وسارعوا
الى موجب مغفرة من ربكم وهو الاقبال على فعل المامورات وترك المنهيات فكان هذا امرا
بالمسارعه الى فعل المامورات وترك المنهيات فيندرج فيه الاخلاص واداء الفرايض والاسلام
والتكبيرة الاولى من الصلوة والطاعه والتوبه والهجره والجهاد والصلوات الخمس والاعمال
الصالحه وكان المسارعه الى المغفره مامورا بها فكذلك المسارعه الى الجنه مامور بها وانما
ذكرهما لان المغفره معناها ازالة العقاب والجنه معناها حصول الثواب فجمع بينهما تنبيها
على ان المكلف يجب عليه الاقبال على ما يستحقان به ثم وصف الجنه بان عرضها السموات والارض
اي عرضها كعرض السموات والارض لان نفس السموات لا يكون عرضها بالجنه قيل اراد
بالعرض الثمن والمعنى ان الجنه لو عرضت بالسموات والارض على سبيل البيع لكان ثمنها
السموات والارض يقول اذا بعت الشي بالشي الاخر عرضت عليه وعارضته فصار العرض
موضع المساواه بين الشيين في القدر وقيل معناه لو جعلت السموات والارض طبقا
طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مولفا من سطوح ثم وصل البعض
بالبعض طبقا واحدا لكان مثل عرض الجنه وهذا غاية من السعه لا يعلمها الا الله وقيل
المراد بالعرض السعه لا ما هو خلاف الطول والعرب تقول بلاد عريضه اي واسعه
قال النبي صلى الله عليه وسلم للمنهزمين يوم احد لقد ذهبتم فيها عريضه والاصل فيه
ان ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق فجعل عرضه كنايه عن السعة والمراد
وصفها في السعة والبسطه فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه والبسطه وخص العرض
لانه في العاده ادنى من الطول واذا كان العرض كذلك فالطول اعظم للمبالغه كقوله تعالى
بطاينها من استبرق فاذا كانت البطاين التي هي ادنى من الظهاره هكذا فكيف الظهاره
فان قيل اذا كان الجنه في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السموات اجيب بان المراد انها
فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في وصف الفردوس سقفها عرش
الرحمن اعدت للمتقين الشرك والفواحش الذين ينفقون في السرا في حال الرخا واليسر
والضرا في حال الضيقه والعسر فالسرا هو الغنا والضرا هو الفقر لا يخلون بالانفاق
في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل وكثير كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق

اختلفوا في العلة الجالبة لهذه المغفرة فقالت [illegible]

بصله وعن عايشه رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب ويجوز ان يكون المراد جميع
الاحوال لان الانسان لا يخلو عن حال مسره ومضره لا ينعهم حال فرح وسرور ولا حال محنه وبلا
من المعروف وسوا عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان والمعنى
انهم رغبوا في معاملة الله فلم يبطرهم الرخا فنسيهم ولم يمنعهم الضرا فيبخلوا وافتتح بذكر الانفاق
لانه اشق شي على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجه
اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقرا المسلمين فقال اهل الاشارات الذين تبرؤا من
الاموال والانفس والقلوب وينفقونها في رضى الله ولا يبخلون بشي عليه قوله والكاظمين
الغيظ كظم القربه اذا ملاها وسد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك
على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر
على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عايشه رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت
لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفا فيه مبالغه عظيمه وفصاحه بليغه لم يبق لصاحب غيظ
مجال التشفي والعافين عن الناس اذا جنى عليه احد لم يواخذه قيل الناس عن المماليك وهذا
حسن لحاجة الممالك اذ لهم الخدمه فيذنبون كثيرا والقدره عليهم متيسره وانفاذ عقوبتهم سهل وقيل
على اطلاقه اي عن ظلمهم واسا اليهم روي ينادي مناد يوم القيمه اين الذين كانت اجورهم على
الله فلا يقوم الا من عفا روي ان ابن عيينه روى هذا الحديث عند الرشيد حين غضب الرشيد
على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولا في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا
كثيرا في الامم الذين مضت قوله والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل
محسن ويدخل تحته هولا المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشاره الى الموحدين الذين فيهم هذه
الخصال اعلم ان الاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه وهو المراد بقوله الذين
ينفقون في السرا ويدخل فيه انفاق العلم بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه
انفاق المال في الخيرات والعبادات واما ان يكون بدفع الضرر في الدنيا بان لا يقابل
الاساه بالاساه وهو المراد بكظم الغيظ او في الاخره بان يبري ذمته عن التبعات والمطالبات
في الاخره ولما كانت هذه الامور مشتركه في كونها احسانا الى الغير ذكر ثوابها فقال والله
يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قوله والذين اذا فعلوا عطف على قوله
الذين ينفقون بين ان المتقين صنفان احدهما الذين اقبلوا على الطاعات والعبادات وهم الذين
ينفقون والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وثانيهما الذين اذنبوا ثم تابوا وهم الذين
اذا فعلوا فاحشه وقيل انه تعالى ندب في الايه الاولى الى الاحسان الى الغير وفي هذه
الايه الى الاحسان الى النفس فان المذنب العاصي اذا تاب كانت توبته احسانا الى
نفسه قال صاحب الكشاف والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين والتايبين وقوله
اولئك اشاره الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدا خبره اولئك قيل نزلت هذه
الايه في انصاري وثقفي اخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهما فخرج الثقفي مع النبي صلى
الله عليه وسلم في بعض مغازيه فكان الانصاري يتعاهد اهل الثقفي فجا ذات يوم فابصر المراه
قد اغتسلت وهي ناشره شعرها فدخل ولم يستاذن فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها
فقبله ثم ندم فادبر راجعا فقالت سبحان الله خنت امانتك فخرج يسيح في الجبال ويتوب
من ذنبه فلما قدم الثقفي اخبرته المراه فخرج يطلبه فوافقه ساجدا يقول ذنبي ذنبي

فقال يا فلان انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله عن ذنبك لعل الله يجعل لك منه
مخرجا فرجع الى المدينه فنزلت هذه الايه بتوبته وقيل ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
بنوا اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبه في عتبة بابه
فنزلت هذه الايه فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير من ذلك فقرا هذه الايه والتي
قبلها وقيل ان امراة اتت الى نبهان التمار تشتري منه تمرا فضمها وقبلها ثم ندم فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت هذه الايه فاحشة صفة لمحذوف اي فعله فاحشة
قال صاحب الكشاف متزايدة في القبح وقيل هي الكبيرة وقيل هي الزنا قوله او ظلموا انفسهم او اذنبوا
اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل ظلم النفس ما دون الزنا من القبله واللمسه والنظر ونحوها
وقيل ظلم النفس الصغيرة قوله ذكروا الله قيل ذكروا العرض الاكبر على الله وقيل ذكروا الله
تفكروا ان الله سائلهم وقيل ذكروا الله بالثنا والتعظيم والاجلال وذلك لان من اراد ان يسال
الله مساله فالواجب ان يقدم على تلك المساله الثنا على الله فها هنا لما كان المراد من الاستغفار
من الذنوب قدموا عليه الثنا على الله ثم اشتغلوا بالاستغفار عن الذنوب وقيل ذكروا عقابه
او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشيه والحيا منه قوله فاستغفروا لذنوبهم
فتابوا عن الذنوب توبه على وجه صحيح وهو الندم على فعل ما مضى والترك في الحال والعزم
على الترك في الاستقبال فهذا هو حقيقة التوبه واما الاستغفار باللسان مثل ان يقولوا
اللهم اغفر لنا ذنوبنا فانا تبنا اليك وندمنا من الندم على فعل ما مضى والترك في الحال والعزم
على الترك في الاستقبال فلا اثر له في ازالة الذنب بل يجب اظهار هذا الاستغفار
لازالة التهمه ولاظهار كونه منقطعا الى الله قوله ومن يغفر الذنوب الا الله والمقصود
منه ان لا يطلب العبد المغفره الا منه لانه تعالى هو القادر على عقاب العبد في الدنيا والاخره
وكان هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه قال صاحب الكشاف وصف لذاته بسعة
الرحمه وقرب المغفره ولان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا فضله وان عدله يوجب المغفره للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى
ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبه وبعث
عليها وردع عن الياس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه
اعظم وقوله ومن يغفر الذنوب الا الله جمله معترضه بين المعطوف والمعطوف عليه
وما ذكره كلام حسن الا قوله وان عدله يوجب المغفره للتائب فان عدله لا يوجب
المغفره بل المغفره للتائب وغيره بحسب تفضله قوله ولم يصروا على ما فعلوا اي لم يقيموا
ولم يداوموا على ما فعلوا من الذنب بل تابوا واقروا واستغفروا وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مره وروي لا كبيره مع الاستغفار
ولا صغيره مع الاصرار وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه حدثني ابو بكر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضا ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب
الا غفر له وقرا هاتين الايتين ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما والذين اذا فعلوا
فاحشة قيل المراد بالاصرار مواقعة الذنب عند الاهتمام به وقيل انه الثبوت
عليه من غير استغفار وقيل ترك الاستغفار قوله وهم يعلمون حال من فعل
الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى يعلمون ان الاصرار يضرون ان تركه اولى

من التمادي وقيل يعلمون ان الله يتوب على من تاب وقيل يعلمون انهم اذنبوا قال صاحب
الكشاف ذلك بما عصوا اي ذلك والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي
عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح في هذه الايات بيان قاطع ان الذين امنوا
على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنه للمتقين والتائبين منهم دون المصرين
ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ولقائل ان يقول ان الايه ظاهره في ان المتقين
صنفان الذين ينفقون والذين اذا فعلوا فاحشه على وصف المذكور والصنفان اعدت الجنه
لهم ولا يدل على ان المصر لا يغفر ذنوبه ولا يدخل الجنه ولا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول
وصاحب الكشاف يريد بهذا الاثبات مذهبه الذي هو ان المومن العاصي المصر يبقى في النار
خالدا وليس في الايه ما يدل عليه فقد كابر عقله وعاند ربه قوله تعالى اولئك جزاؤهم
مغفره والمعنى ان المطلوب بالتوبه الامن من العقاب واليه الاشاره بقوله مغفرة من ربهم
وايصال الثواب اليه واليه الاشاره بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار وهذا على تقدير
ان يكون قوله والذين اذا فعلوا فاحشه مبتدا واولئك خبره واما على تقدير ان يكون
قوله والذين اذا فعلوا عطفا على قوله الذين ينفقون اولئك جزاؤهم مبتدا وخبر على سبيل
الاستيناف ويكون الاشاره الى المتقين ثم بين ان الذي يحصل لهم من ذلك وهو المغفره والجنات
قال صاحب الكشاف قال الله تعالى ونعم اجر العاملين والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك اي المغفره والجنات قال صاحب الكشاف قال الله تعالى اجر
العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزياده التنبيه
على ان ذلك جزا واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما قال المبطلون روي ان الله عز وجل اوحى
الى موسى ما اقل حيا من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب
طلب الجنه بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعه بلا سبب نوع من الغرور وارتجا الرحمه
ممن لا يطاع حمق وجهاله وعن الحسن يقول الله يوم القيامه جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا
الجنه برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصريه انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
ان السفينه لا تجري على اليبس ما ذكره صاحب الكشاف وهو انه انما خالف بين اللفظين لزياده
التنبيه على ان ذلك جزا واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما قال المبطلون مال مذهبه وهو
ان الجزا واجب على الله من غير دليل لان الايه انما تدل على ان العاملين يجازون بعملهم فاما
الوجوب على الله فغير مستفاد منها فهو مبطل في هذا القول كما ان فارقا بين القبيلين اي الذين
ينفقون والذين اذا فعلوا انه فصل قوله الذين ينفقون في السرا بقوله والله يحب المحسنين
فانه بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه
وفصل قوله والذين اذا فعلوا بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك للتقصير كالعامل
لتحصيل ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الاجر
بالجزا لهذه النكته قيل في قوله ونعم اجر العاملين وجوه من المحسنات احدها انها كالتذييل
للكلام السابق فيفيد مزيد تاكيد للاستلذاذ بذكر الوعد وثانيها باقامة الاجر موضع الجزا وحذف
ضمير الجزا لان الاصل ونعم جزاؤهم هو ايجاب انجاز هذا الوعد وتصويره صورة العمل والعماله
تنشيطا للعامل وثالثها في تعميم العاملين واقامته مقام الضمير الداله على حصول المطلوب
للمذكورين بطريق برهاني قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا

كيف كان عاقبة المكذبين لما وعد على الطاعه والتوبه من الذنوب المغفره والجنات اتبعه
بذكر ما يحملهم على فعل الطاعه وعلى التوبه من الذنوب وهو النظر في احوال القرون الخاليه من المكذبين
فقال قد خلت اصل الخلو في اللغه والانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن فيه ويستعمل ايضا في الزمان
بمعنى المضي لان ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه وكذا الامم الخاليه والسنن جمع السنه وهي
الطريقه المستقيمه والمثال المتبع فعله من سنن الماء سنه اذا والى صبه والسن صب الماء سهلت الطريقه
المستقيمه بالماء المصبوب فانه لتوالي اجزا الماء فيه على نهج واحد وقيل ماخوذه من سن الابل اذا احسن
الرعي فالفعل اذا داوم عليه النبي صلى الله عليه وسلم سمي سنه لانه عليه الصلوة والسلام احسن
رعايته وادامته يقول الله تعالى قد مضت من قبلكم سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضيه المكذبين
الكافرين سنن بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم اجلي الذي اجلته في اهلاكهم وبقيت
لهم اثار في الدنيا فيها اعظم الاعتبار فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
لما وعد على الطاعه والتوبه من الذنوب المغفره والجنات اتبعه بذكر ما يحملهم على فعل
الطاعه وعلى التوبه من الذنوب وهو النظر في احوال القرون الخاليه من المكذبين فقال قد
خلت اصل الخلو في اللغه والانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن فيه ويستعمل ايضا في الزمان
بمعنى المضي لان ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه وكذا الامم الخاليه والسنن جمع السنه

قوله تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين البيان الدلاله التي تفيد ازاله
الشبهه بعد حصولها والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق الغي واما الموعظه فهو
الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في الدين وقيل البيان الدلاله والهدى الدلاله بشرط كونها
مفضيه الى الاهتدا او البيان للناس كافه والهدى والموعظه للمتقين لان الهدى اسم للدلاله
بشرط كونها موصله الى البغيه ولا شك ان هذا المعنى لا يحصل الا في حق المتقين والموعظه لا تفيد
الا في حق من يحسن الظن بالواعظ وغير المتقي من الشرك لا يحسن الظن به فلا تفيد في حقه قال
صاحب الكشاف هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني بقوله هذا
بيان للناس حثهم على النظر بقوله فانظروا في سوء عاقبة المكذبين والاعتبار بما يعاينون من اثار
هلاكهم وهدى وموعظه للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زياده تثبيت
وموعظه للذين اتقوا من المومنين هذا على تقدير ان لم يجعل قوله قد خلت الى اخره معترضه
بل يكون ذكره مقصودا بالذات كالكلام المتقدم ثم قال ويجوز ان يكون قوله قد خلت
جمله معترضه للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان
اشاره الى ما لخص وبين من امر المتقين والتايبين والمصرين فانه بين حال المتقين بقوله
للمتقين الذين ينفقون الى قوله المحسنين وحال التايبين بقوله والذين اذا فعلوا
فاحشة وحال المصرين بقوله ولم يصروا وقيل هذا اي القران بيان للناس عامه من
العمى وهدى من الضلاله وموعظه من الجهل للمتقين يعني هذه الامه وقيل هذا اشاره
الى شرح اخبار الامم السالفه قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مومنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس
وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهدا والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا
ويمحق الكافرين الذي تقدم من قوله قد خلت وقوله هذا بيان كالمقدمه لقوله تعالى
ولا تهنوا كانه قال ان بحثتم عن القرون الماضيه علمتم ان اهل الباطل وان اتفقت لهم

بلغ باصله

الصوله

الصوله لكن كان مال امرهم الضعف والفتور وصار دوله اهل الحق عاليه وصولة اهل
الباطل مندرسه فلا ينبغي ان تصير صوله الكفار عليكم يوم احد سببا لضعف قلوبكم ولجبنكم وعجزكم
فان الاستعلا سيحصل لكم والقوه والدوله راجعه اليكم وقيل سبب نزولها ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزموا يوم احد اقبل خالد ابن الوليد بخيل المشركين يريد
ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فنزلت
هذه الايه قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا تسليه من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين
على ما اصابهم يوم احد من القتل والجرح وتقويه من قلوبهم يقال وهن يهن وهنا فهو واهن اذا
ضعف في العمل اي ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم يعني لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا
به ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمه وقيل على من قتل منكم وجرح وقيل على هزيمتهم وقيل
على من اصاب النبي صلى الله عليه وسلم من شجه ولكسر رباعيته واطلاق قوله ولا تحزنوا من غير ذكر
المحزون عليه يفيد الجمع وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب في القتال لانكم اصبتم منهم يوم
بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وقيل وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلا كلمته وقتالهم
للشيطان ولاعلا كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنه وقتلاهم في النار وقيل انتم الاعلون بالحجه والتمسك
بالدين والعاقبه الجميله وقيل وانتم الاعلون من حيث انكم في العاقبه تظفرون بهم وتستولون عليهم
وهذا شديد المناسبه لما قبله لان القوم انكسرت قلوبهم بسبب ذلك الوهن فهم كانوا محتاجين
الى ما يفيدهم قوه في القلب وفرحا في النفس فبشرهم بذلك واطلاق قوله الاعلون يفيد جمع هذا
قوله ان كنتم مومنين متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم لان صحة الايمان توجب قوة القلب
والثقه بصنع الله وقله المبالاه باعدايه وقيل متعلق بالاعلون ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم
به من الغلبه فان الله تعالى وعد نصرة هذا الدين قوله ان يمسسكم قرح قرا حمزه والكسائي
وابو بكر عن عاصم بضم القاف وكذلك القرح في قوله من بعد ما اصابهم القرح والباقون بفتح
القاف فيهما وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم الالم والمعنى ان اصابكم
جرح يوم احد فقد اصاب المشركين مثله يوم بدر وهذا من تمام قوله ولا تهنوا اي ان الذي
يصيبكم من القرح لا ينبغي ان يزيل جدكم واجتهادكم في جهاد العدو فانه كما اصابكم القرح فقد
اصاب عدوكم مثله قبل ذلك فاذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لاجل ذلك في الحرب
فبان لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبه والتمسك بالحق اولى وقيل ان يمسسكم قرح
يوم احد فقد مس القوم قرح مثله يوم احد فان المشركين قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم
من الجرح والقتل لانه قتل منهم نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوايهم والجراحات
كثرت فيهم وعقر عامه خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمه عليهم في اول النهار فان قيل كيف قال
قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين اجيب بانه تفسر القرح في هذا التاويل
بمجرد الانهزام لا بكثرة القتل وتلك الايام اي ايام الدنيا وقيل ايام الظفر والغلبه نداولها نصرفها
مره لفرقه ومره عليها وقيل نديل تاره لهولا وتاره لهولا كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء
ونسر ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال والدوله الكره والمداوله مثل المعاوره قال
يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشي فتداولوه قوله وليعلم
الله الذين امنوا قيل المعلل محذوف اي ليعلم الله الذين امنوا علما يتعلق به الجزا متميزين بالايمان
عن غيرهم جعلنا الدوله للكفار على المسلمين ليميز المومن المخلص ممن يرتد على الدين اذا اصابته

نكبه والمعنى ليقع ما علمه عينا والمجازاه انما تقع بما تعلمه موجودا لا بما علمه عينا قال صاحب
الكشاف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على
الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشيا قبل كونها وقيل وليعلم معطوف
على علة محذوف والمعنى وتلك الايام نداولها ليكون كيت وكيت اى لرفع درجاتكم ولاستدراجهم
وليتميز الثابتون عن المتزلزلين قوله ويتخذ منكم اى وليكرم قوما بالشهاده يريد المستشهدين
يوم احد وقيل وليتخذ منكم من يصلح للشهاده على الامم يوم القيامه بما يبتلى به صبركم
من الشدايد من قوله تعالى ولتكونوا شهدا على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين
بعض وبعض اى والله لا يحب الظالمين الذين لا يثبتون على الايمان ولا يجاهدون فى سبيل الله
قوله وليمحص اى ليطهر الذين امنوا من ذنوبهم ويسقطها عنهم ويخلصهم منها ويمحق الكافرين
يستاصلهم ويهلكهم يعنى يمحص المومنين ان دال عليهم ويمحق الكافرين ان ادال عليهم فقابل
تمحيص المومنين بمحق الكافرين لان تمحيص هولا باهلاك ذنوبهم نظير محق الكافرين باهلاك
انفسهم **قوله تعالى** ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون لما بين
فى الايه الاولى الامور التى هى اقتضت مداولة الايام ذكر فى هذه ما هو السبب
الاصلى لذلك فقال ام حسبتم ام منقطعه ومعنى الهمزه فيها للانكار بمعنى الاضراب عن
الكلام الاول والترك له وفيها لازم معنى الاستفهام فلذلك قدرها سيبويه ببل وهمزه
الاستفهام كانه ضرب عن قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا او عن قوله ان يمسسكم قرح فقال
ام حسبتم ان تدخلوا الجنه كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجهم وثبتوا على الم الجراح والضرب
من غير ان يسلكوا طريقتهم ويصبروا صبرهم وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم وتلخيصه لا تحسبوا ان تدخلوا الجنه ولم يقع منكم الجهاد وقيل افتتح الكلام بذكر ام
التى اكثر ما تاتى فى كلامهم واقعه بين جزئين لا ليتناف فى احدهما لا بعينه يقولون ازيد
ضربت ام عمرا مع تعين وقوع الضرب على احدهما وعادة العرب هذا الجنس من الاستعاره
توكيدا فلما قال ولا تهنوا ولا تحزنوا كانه قال افتعلمون ان ذلك كما تومرون به ام
حسبتم ان تدخلوا من غير مجاهده وصبر وانما استبعد هذا لان الله تعالى اوجب الجهاد
قبل هذه الواقعه واوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح فيها فى الدين والدنيا
فلما كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعاده والجنه مع ترك الجهاد ولما بمعنى لم
الا ان فيه ضربا من التوقع نفى العلم واراد نفى المعلوم نزل نفى العلم منزلة نفى متعلقه الذى
هو المعلوم لان المعلوم يستلزم علمه تعالى به فاذا نفى العلم الذى هو لازم المعلوم يلزم نفى
المعلوم الذى هو ملزومه وهو نوع من الكنايه والقصد فى امثاله نفى المعلوم على طريق
البرهان والمعلوم ههنا الجهاد فالمعنى ولما تجاهدوا ويقول الرجل ما علم الله فى فلان
خيرا اى ما فى فلان خير حتى يعلمه فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل
وتقول وعدنى ان يفعل كذا ولما اى ولم يفعل وانا اتوقع فعله قوله ويعلم نصب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع لقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وهذا الواو يسمى واو
الصرف الذى ينصب ما بعدها على خلاف ما قبلها والنفى واقع على اجتماع الثانى والاول
ومثله قوله لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم والمعنى ان دخول الجنه

وترك

وترك المصابره على الجهاد مما لا يجتمعان قوله ولقد كنتم الخطاب مع الذين لم يشهدوا بدرا
فلما قضى الله ببدر ما قضى وفاز الذين شهدوها بالمنزلة الرفيعه كان هولا المتخلفون الذين لم
يشهدوا يتمنون قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم ويصيبون من كرامة الشهاده
ما نال شهدا بدر وهولاهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى المشركين
وكان رايه صلى الله عليه وسلم فى الاقامه بالمدينه من قبل ان تلقوه اى ولقد كنتم تمنون الموت
الذى هو بالشهاده قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته يوم احد فقد
رايتموه يومئذ اى رايتم اسباب الموت وما يتولد منه الموت كالسيف والاسنه وانتم تنظرون
اى رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم
ان تقتلوا وقيل وانتم بصرا متاملون الحال فى ذلك كيف هى فلم انهزمتم وهذا بحذا وف
وهو مراد لانه موضع العتاب قال صاحب الكشاف وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما
تسببوا عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمنى الشهاده وفى تمنيها
تمنى غلبة الكفار المسلمين قلت قصد متمنيه الشهاده الى نيل كرامة الشهدا لا غير ولا يذهب
وهمه اى وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دوا الطبيب النصرانى قاصد الى حصول
المامول من الشفا ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعه واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته
ولقد قال عبد الله بن رواحه حين نهض الى موته وقيل له ردكم الله لكننى اسال الرحمن مغفره
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنه بيدى حران مجهزه بحربه تنفذ الاحشا والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثى ارشدك الله من غاز وقد رشدا **قوله تعالى** وما
محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيا وسيجزى الله الشاكرين عن ابن عباس لما نزل النبى صلى الله عليه
وسلم امر الرماه ان يلزموا اصل الجبل وان لا ينتقلوا عن ذلك سوا كان الامر لهم او عليهم
فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل على رضى الله عنه طلحه ابن ابى طلحه صاحب
لواى المشركين والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم
مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما راى انهزام الكفار بادر قوم من الرماه
الى الغنيمه وخالد بن الوليد كان صاحب ميمنه المشركين فلما راى تفرق الرماه حمل على المسلمين
وهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل فى المسلمين ورمى عبد الله بن قميئة الحارثى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو
صاحب الرايه يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قميئه وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا
فى الناس خبر قتله فانكفوا اى انهزموا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله
حتى انحازت اليه طايفه من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بابايانا وامهاتنا
اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت ويروى انه لما صرخ الصارخ قال بعض
المسلمين ليت عبد الله بن ابى ياخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا
لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان
محمد قد قتل فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحيوه بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون

هولاء وابرا اليك مما جاء به هولاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر
بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل
فقد بلغ قاتلوا على دينكم ومعنى الايه وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا
وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من
بعثة الرسل تبليغ الرساله والزام الحجه لا وجودهم بين اظهر قومهم قوله افان مات الفاء
معلقه للجمله الشرطيه بالجمله قبلها اي بالجمله المقدمه بين الهمزه والفا على معنى التسبب والهمزه
لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل
مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد
صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه
مجوزا عند المخاطبين فان قلت علموه من ناحيه قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما
يختص بالعلما منهم وذوي البصيره الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمه من
فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وهو ضعيف لانه لم يرتد احد من المسلمين
يوم احد الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم اي على المسلمين فيما كان
منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه للهلكه قوله فلن يضر الله شيا
اي انما اضر نفسه باستحقاق العذاب لان الله تعالى منزه عن ان يضره شي او ينفعه وسيجزي الله
الشاكرين الطايعين لله من المهاجرين والانصار الثابتين على دينهم قال علي رضي الله وكان ابو بكر
رضي الله عنه امير الشاكرين وقيل الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم
شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا **قوله تعالى** وما كان لنفس ان تموت الا
باذن الله كتابا موجلا ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها ومن يرد ثواب الاخره نوته منها وسنجزي الشاكرين
ان المنافقين لما ارجفوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قتل قالوا لو كان نبيا لما قتل قال
تعالى وما كان لنفس اي لا تموت نفس الا باذن الله وقضايه وقدره فكان قتله لا لحصول الاني الوقت
المقدر وكما انه لو مات حتف انفه لم يدل ذلك على انه ليس بنبي فكذا اذا قتل والمقصود ابطال قول
المنافقين وقيل المراد تحريض المسلمين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يدفع القدر فان احدا
لا يموت الا باجل واذا جا الاجل فلا فايده في الهرب والتقاعد عن الجهاد قيل الاذن الامر
والمعنى ان الله يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل الاذن
المشيه والمراد ان موت الانفس محال الا بمشية الله فاخرجه بمخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدر عليه
الا ان ياذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله
قال صاحب الكشاف وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقا العدو باعلامهم
ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر
ما صنع الله برسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو والتفافهم واسلام قومه له نهزة للمختلس
من الحفظ والكلاوه وتاخير الاجل قوله كتابا مصدر موكد منصوب بفعل دل عليه ما قبله فان
قوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله قام مقام ان يقال كتب الله اي كتب الله الموت كتابا
موجلا موقتا له اجل معلوم لا يتاخر ولا يتقدم والمراد بالكتاب الموجل الكتاب المشتمل على
الاجال وقيل اللوح المحفوظ واعلم ان جميع الحوادث معلومة لله وجميع حوادث هذا العالم

من

من الخلق والرزق والاجل والسعاده والشقاوه مكتوبه في اللوح المحفوظ فالكل بقضا الله قوله
ومن يرد ثواب الدنيا من الغنايم والذكر والثنا وفريق يريد ثواب الاخره يعني ومن يرد بطاعته
اجتهادا للدنيا ويعمل لها نوته منها ما يكون جزا لعمله اي نوته منها ما نشا لمن نريد منهم شاهده قوله
تعالى من كان يريد العاجله عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد ومن يرد ثواب
الاخره نوته منها يعني الذين ثبتوا حتى قتلوا وسنجزي الشاكرين اي الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم
شي عن الجهاد ولم يذكر ما جوزوا به في الايتين فيعم جميع ما يجزى والمعنى من يرد ثواب الدنيا نوته منها
ومن يرد ثواب الاخره نوته منها وسنزيده في الاخره من الجزا ما لا يدخل تحت الحصر كقوله تعالى من كان
يريد حرث الاخره نزد له في حرثه اي الله تعالى يجازي كلا على قصد عمله وارادته قال صلى الله عليه وسلم
الاعمال بالنيات وانما لكل امرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه **قوله تعالى** وكاين من
نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين
وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخره والله يحب المحسنين قرا ابن كثير كاين ممدودا مهموزا
مخففا على وزن فاعل والباقون كاين مشددا بوزن كعين وهي لغة قريش وكلتاهما صحيحه بمعنى واحد
والكاف فيه للتشبيه ضمت الى اي الاستفهام ولم يقع للتنوين صوره في الخط الا في هذا الحرف خاصه
وكاين في هذه الايه في موضع رفع بالابتدا وهي بمنزلة كم وبمعناها لعطفها الاغلب الكبير قرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو قتل بضم القاف وكسر التا مخففة والباقون قاتل بالف بين القاف والتا وفاعل قاتل
والمفعول الذي لم يسم فاعله في قتل ربيون او ضمير النبي وحينيذ البنى قتل وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي
قتل في القتال وعلى التقديرين يجوز ان يكون قاتل او قتل صفة لنبي فيقدر للمبتدا والذي هو كاين خبر تقديره
في اخر الكلام مضى او ذهب او فقد فما وهنوا ويجوز ان يجعل قاتل او قتل خبر المبتدا الذي هو كاين فلا يحتاج
الى تقدير خبر وعلى تقدير ان يكون الفاعل والمفعول ضمير النبي يكون ربيون حالا عنه بمعنى قتل النبي كاينا
معه ربيون وربيون مرتفع بالظرف فيكون ويجوز ان يكون معه ربيون صفة لنبي فيقدر للمبتدا الذي هو كاين
خبر في اخر الكلام تقديره مضى او ذهب او فقد واذا جعلته صفه فالضمير في معه عايد على نبي واذا
جعلته حالا فالضمير في معه عايد على الضمير الذي هو ذو الحال وعلى الوجهين من الصفة او الحال
معه ربيون متعلق بمحذوف وليس متعلقا بقاتل او قتل وهل اسناد قتل الى نبي راجح بدلالة نازله محمد
صلى الله عليه وسلم وذلك ان المومنين انما تخاذلوا لما قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم فضرب
المثل بنبي قتل واذا لم يسند الفعل الى نبي فانما يجي معنى الايه تثبيت المومنين بعد وهن انفسهم
فقط ويويد رجحان اسناد الفعل الى النبي قوله تعالى افاين مات او قتل وحجة من قرا قاتل انها اعم
في المدح لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي ويحسن على هذه القراة الاسناد الى الربيين قال صاحب
الكشاف الربيون الربانيون وقرى بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات
النسب وقيل الربيون جمع الربه وهي الفرقه وقيل جموع كثيره وقيل الربيون الالوف وقيل الربيه
الواحده الف وقيل الواحد عشره الف وقيل علما فقهاء كبرا وقيل هم الاتباع وقيل الولاه وقيل
الرعيه وقيل الذين يعبدون الرب والعرب تنسب الشي الى الشي فتغير حركته كما تقول بصري الى البصره
وكذلك ربيون منسوب الى الرب وقيل مطيعون منسوبون الى الله فما وهنوا من وهن يهن
وهنا والمعنى فما وهنوا عند القتال او عند قتل النبي وقتل اصحابهم وما ضعفوا عن الجهاد بعد

تعريض بالذين شغلتهم الغنايم يوم احد فانه ... ثواب الدنيا

قتله وقتلهم وقيل يحتمل ان يفسر الوهن باستيلا الخوف عليهم وما استكانوا اى وما خضعوا لعدوهم
وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا
بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل ما استكانوا ما ارتدوا عن نصرتهم
ودينهم ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله والله يحب الصابرين والمعنى ان من صبر
على تحمل الشدايد في سبيل الله ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن
ارادة اكرامه واعزازه وتعظيمه والحكم بالثواب والجنة مدحهم الله تعالى بصفات السلبي
اولا وهو قوله تعالى فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ثم اتبع ذلك
بان مدحهم بصفات الثبوت فقال وما كان قولهم بالنصب على انه خبر كان والمعنى وما كان قولهم
عند قتل نبيهم واصحابه او عند ما نالهم من الجراح الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لانفسهم واستقصارا او الدعا بالاستغفار من الذنوب والاسراف
مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون طلبهم الى ربهم
عن زكاة وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعز
وطيب الذكر والثنا الجميل وانشراح الصدر بنور الايمان وزوال ظلمات الشبهات وحسن
ثواب الاخرة من الجنة وما فيها من اللذات وانواع السرور وذلك غير حاصل في الحال فيكون المراد
انه تعالى حكم لهم بحصولها في الاخرة فقام حكم الله تعالى بذلك مقام الحصول وخص ثواب الاخرة
بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانما هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله
يريد الاخرة قال الامام ذكر لفظة من الدالة على التبعيض في قوله ومن يرد ثواب الدنيا نوته
منها ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها وقال في هذه الاية فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة ولم يذكر كلمة من والفرق ان الذين يريدون ثواب الاخرة انما اشتغلوا بالعبودية
لطلب الثواب فكانت مرتبتهم في العبودية نازلة واما المذكورون في هذه الاية فانهم لم يذكروا
من انفسهم الا الذنب والقصور وهو المراد من قوله اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا ولم
يروا التدبير والنصرة والاعانة الا من ربهم وهو المراد من قوله وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين فكان مقام هؤلاء في العبودية في غاية الكمال فلا جرم اولئك فازوا ببعض الثواب
وهؤلاء فازوا بالكل ثم قال والله يحب المحسنين ولما كان هؤلاء من اهل الاحسان فانهم عبدوا الله وجاهدوا
في سبيله كانه يراهم ويعلمون انه يراهم ولم يطلبوا من عبادتهم وجهادهم غير وجه الله سماهم محسنين
كان الله يقول اذا عبدتم الله على وجه الاحسان تكونوا محسنين وحينئذ تكونوا ممن يحبهم الله
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله
مولاكم وهو خير الناصرين قيل اراد بالذين كفروا اليهود لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم
الشبهة في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل
حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وقيل ابا سفيان واصحابه وقيل المنافقين في قولهم
للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى دين ابائكم والاقرب انه يتناول الكل لان اللفظ عام وخصوص
السبب لا يمنع العموم فانه يجب على المومنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شي ولا ينزلوا على حكمهم وعلى
مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم قوله يردوكم اى يردوكم الى الكفر بعد الايمان
اي يرجعوكم الى اول امركم الشرك بالله فتنقلبوا فتنصرفوا خاسرين في الدنيا والاخرة اما خسران

الدنيا

الدنيا فلان اشق الاشيا على العقلا في الدنيا الانقياد الى العدو واظهار الحاجة اليه واما
خسران الاخرة فالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد ثم قال تعالى بل الله مولاكم اى
ناصركم لا تحتاجون الى نصرة غيره وولايته وهو خير الناصرين لانه هو القادر على نصرتكم في كل ما تريدون
والعالم الذي لا يخفى عليه ما تحتاجون اليه والكريم الذي لا يبخل في جوده ونصرة العبيد بعضهم لبعض
ليست كذلك من كل هذه الوجوه ولانه ينصر في الدنيا والاخرة وغيره ليس كذلك ولانه ينصر قبل سوالكم ومعرفتكم
بالحاجة **قوله تعالى** سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماويهم
النار وبيس مثوى الظالمين قيل لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى
بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بيس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركناهم ارجعوا
فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به وقيل القى الله في قلوب
الذين كفروا الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة قوله بما اشركوا ما مصدرية
تقديره بسبب اشراكهم بالله ما لم ينزل الهة لم ينزل الله باشراكها حجة وبيانا وعذرا وبرهانا لم يعن ان هناك
حجة ولم تنزل عليهم لان الشرك لا يقوم عليه حجة بل المراد نفي الحجة ونزولها جميعا وهذه الاية دلت على فساد
التقليد لانها دالة على ان الشرك لا دليل عليه فيكون القول به باطلا وكل ما لا دليل عليه باطل فيكون
التقليد باطلا ثم قال تعالى وماويهم النار اى احوال هؤلاء المشركين في الدنيا القا الرعب في قلوبهم وفي الاخرة
ماويهم ومسكنهم النار وبيس مثوى وهو المكان الذي يكون مقر الانسان وماواه من قولهم ثوى يثوى ثويا
وهذا ذم لمكانهم في النار **قوله تعالى** ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم
في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المومنين قيل وعدهم الله بالنصر بشرط الصبر والتقوى في قوله بلى ان
تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا الرعب عنهم وقيل لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة وقد
اصابهم ما اصابهم باحد قال ناس من المومنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل القبلة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا
في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم
بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم قوله اذ تحسونهم اى تقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن
وضعف الراي وتنازعتم في الامر وعصيتم ومعنى التنازع الاختلاف واصله من نزع القوم الشي بعضهم من
بعض وكان اختلافهم ان الرماة تكلموا حين انهزم المشركون فقال بعضهم لا نجاوز امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعد ان كانت
صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا ما يشعرون من
الدهش ونادى ابليس لعنة الله الا ان محمدا قد قتل فانهزموا وقتلوا من قتلوا فكان سبب هزيمة المومنين من بعد
ما اراكم ما تحبون يا معشر المومنين وهو الظفر والغنيمة قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليختبر صبركم على المصائب
وثباتكم على الايمان عندها والله عفا عنكم فلم يستاصلكم بعد المعصية والمخالفة وقيل تجاوز عنكم فلم يواخذكم
بذنبكم والعفو عنكم بفضل الله لا بتدبيركم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المومنين
يتفضل عليهم بالفضل لا باستحقاقهم العفو بسبب الندم والتوبة ومتعلق حتى اذا فشلتم محذوف وتقديره حتى اذا
فشلتم منعكم نصره وقيل معناه صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم **قوله تعالى** اذ تصعدون ولا تلوون
على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون
اذ نصب بقوله عفا اى ولقد عفا عنكم اذ تصعدون او بقوله ليبتليكم اى ليختبركم اذ تصعدون او بقوله

صرفكم اى صرفكم اذ تصعدون او باضمار اذكروا اى اذكروا اذ تصعدون من الذكر بضم الذال وقيل
باضمار اذكر والمعنى اذكر يا محمد وقت صعودهم وقرئ اذ تصعدون ويجوز من الذكر بكسر الذال والاصعاد
الذهاب فى الارض والابعاد فى الذهاب يقال صعد فى الجبل واصعد فى الارض يقال اصعدنا من
مكه الى المدينه وقيل الاصعاد الابتدا فى كل سفر والانحدار الرجوع منه يقال اصعدنا من بغداد الى مكه
اذا خرجنا اليها واخذنا فى السفر وانحدرنا اى رجعنا وقيل صعد واصعد بمعنى واحد ولا تلوون
لا تعرجون ولا تقيمون على احد منكم لا يلتفت بعضكم الى بعض واصله من لى العنق فى الالتفات ثم استعمل
فى ترك التعرج على الشى وترك الالتفات اليه يقال فلان لا يلوى على احد اى لا يعطف عليه ولا يبالى به
والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنه فى اخراكم فى ساقتكم
وجماعتكم الاخرى وهى المتاخره يقال جا فلان فى اخر الناس واخرة الناس واخراه الناس واخريات الناس
كما يقال فى اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى قوله فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم
الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له ومخالفة
امره فالغم الاول لهم والغم الثانى للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى اثابكم غما بغم اوقعه الله
على ايديكم بالكفار يوم بدر فالبا للمقابله والمعادله كما قال ابو سفيان يوم بيوم وقيل المعنى
اثابكم غما على غم او غما متصلا بغم فالغم الاول سماعهم الا ان محمدا قد قتل والثانى القتل
او الجراح الواقع فيهم وقيل الغم الاول القتل والجراح والثانى سماعهم الا ان محمدا قد قتل
وقيل الغم الاول القتل والجراح وكل ما جرى فى ذلك والغم الثانى اشراف ابى سفيان على
النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه وقيل ما اراد بقوله غما بغم اثنين بل اراد اتصال
الغموم واستمرارها اى ان الله تعالى اثابكم بغموم كثيره قتل اخوانكم واقاربكم ونزول
المشركين من فوق الجبل عليهم واقدامكم على المعصيه فكانه قال اثابكم هذه الغموم المتعاقبه
ليصير ذلك زاجرا لكم عن الاقدام على المعصيه ومخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله لكيلا تحزنوا قيل متعلق بقوله عفى اى ولقد عفى عنكم لكيلا تحزنوا الان فى عفوه تعالى
ما ازال كل غم وحزن وقيل لكيلا تحزنوا متعلق بقوله فاثابكم اى لتتمرنوا على تجرع
الغموم وتصبروا اى تعتادوا باحتمال الشدايد فلا تحزنوا بعد هذا على فائت من المنافع
ولا على مصيب من المضار ولابد من هذا التاويل لان الاثابه بالغم سبب للحزن لا لعدمه
وقيل ضمير الفاعل فى قوله فاثابكم للرسول اى فاساكم الرسول فى الاغتمام وكما غمكم ما نزل
به من كسر رباعيته والشجه وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم
اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم
لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا ما اصابكم من غلبة العدو وقوله والله خبير بما تعملون
بجميع احوالكم وقصودكم ودواعيكم قادر على مجازاتكم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك من اعظم
الزواجر للعبد على الاقدام على المعاصى **قوله تعالى** ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا يغشى طايفه منكم وطايفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهليه يقولون
هل لنا من الامر من شى قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان
لنا من الامر من شى ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى
الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الله تعالى بين نصر المومنين
اولا فلما عصى بعضهم سلط الخوف عليهم ثم ذكر انه ازال الخوف عن قلوب من كان صادقا فى ايمانه مستقرا
على دينه بحيث غلب النعاس عليه قيل ان المشركين لما انصرفوا يوم احد كانوا يتوعدون المسلمين

بالرجوع ولم يامن المسلمون كرهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى على المومنين
دون المنافقين امنة نعاسا وازال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم
قال ابن عباس رضى الله عنهما امنهم يوميذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخايف
لا ينام قال ابو طلحه رفعت راسى يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميل تحت حجفته
من النعاس قال وكنت ممن القى عليه النعاس يوميذ فكان السيف يسقط من يدى فاخذه ثم يسقط السوط
من يدى فاخذه روى عن عبد الله بن الزبير عن ابيه الزبير لقد رايتنى مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس
يغشانى يقول لو كان لنا من الامر شى ما قتلنا هاهنا والامنه مصدر كالامن يقال امن يامن امنا
وامنه وامانا والنعاس بدل من الامنه وقيل يجوز ان يكون النعاس هو المفعول وامنه حالا لامنه
مقدمة عليه او يكون امنه مفعولا له ويجوز ان يكون امنه جمع امن ككبار وبررة قوله تغشى قرا حمزه
والكساى وخلف بالتا ردوه الى الامنه والباقون باليا ردا الى النعاس طايفة منكم هم اهل الصدق
واليقين الجازمون بان محمدا عليه الصلوة والسلام نبى حق وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى
وكانوا قد سمعوا من النبى صلى الله عليه وسلم وحكم ان الله تعالى ينصر هذا الدين ويظهره على الدين
كله وطايفه هم المنافقون الذين كانوا شاكين فى نبوته وما حضروا الا لطلب الغنيمه قد اهمتهم
انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين او قد اوقعتهم
انفسهم وما حل بهم فى الهموم والاشجان فهم فى التشاكى والتباث والواو فى قوله وطايفه واو الحال
كما تقول جيت وزيد قايم وطايفه مبتدا وقد اهمتهم خبره وطايفه موصوفه بقوله منكم
المقدر اى وطايفة منكم قد اهمتهم ويجوز ان يكون قد اهمتهم صفه لطايفه وقوله يظنون
خبره غير الحق قيل ظنوا ان لا ينصر محمد وقيل ظنوا انه قد قتل وقيل ظنوا ان الاسلام غير حق
وان امر محمد يضمحل ويذهب وغير الحق فى حكم المصدر اى يظنون بالله غير ظن الحق الذى يجب ان يظن
به وظن الجاهليه بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهليه وغير الحق
تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك اى هذا القول اقول
غير ما تقول وهذا القول لا اقول قولك وقيل غير الحق وظن الجاهليه مصدران الاول
توكيد لغيره والاخر للتشبيه وظن الجاهليه كقولك حاتم الجود ورجل صدق من اضافة الاسم
الى المصدر وكان الاصل حاتم الجود ورجل صادق ثم اضيف الموصوف الى الصفه لزيادة
التخصيص ثم لما اريد مزيد مبالغه جعلت الصفه مصدرا نحو رجل عدل فالاضافه بمعنى اللام
ولابد هاهنا من تقدير موصوف ليستقيم المعنى اى ظنا مختصا بالملة الجاهليه ويجوز ان يراد
ظن اهل الجاهليه اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون حكايه قولهم
اى يقولون لرسول الله هل لنا معاشر المسلمين من الامر من شى هذا الاستفهام معناه الجحد اى ليس
لنا من النصر والظفر كما وعدنا بل هو للمشركين يقولون ذلك على جهة التكذيب وقيل لما قتل
لعبد الله بن ابى قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شى اراد ان الراى ليس لنا ولو
كان لنا منه شى لسمع من راينا فلم نخرج فلم يقتل احد منا وهذا منهم قول باجلين وكان كلامهم يحتمل
الكفر والنفاق على معنى ليس لنا من الامر شى ولا نحن على حق من اتباع محمد ثم انه تعالى اجاب عن هذه
الشبهه بقوله قل ان الامر كله لله قرا ابو عمرو كله بالرفع فكله مبتدا ولله خبره والجمله خبر ان والباقون
بالنصب فكله تاكيد لاسم ان ولله خبر ان ومعناه ان الامر كله لله من النصر والغلبه عن ابن عباس رضى الله عنهما

فی قوله یظنون بالله غیر الحق ظن الجاهلیه یعنی به التکذیب بالقدر وذلک انهم تکلموا فی القدر فقال الله تعالی
قل ان الامر کله لله یعنی القدر خیره وشره من الله قال صاحب الکشاف ان الامر کله لله وللمومنین وهو
النصر والغلبه کتب الله لاغلبن انا ورسلی وان جندنا لهم الغالبون قوله یخفون فی انفسهم ای یقولون لک
فیما یظهرون هل لنا من الامر من شی سوال المومنین المسترشدین ویخفون فی انفسهم ما لا یبدون لک
من الشک والنفاق وتکذیب الوعد بالنصر یقولون فی انفسهم او بعضهم لبعض منکرین لقولک لهم ان الامر
کله لله لو کان لنا من الامر شی ای لو کان الامر کما قاله محمد ان الامر کله لله ما قتلنا هاهنا وقیل معناه انهم اخرجوا
کرها ولو کان الامر بیدهم لم یخرجوا ثم رد الله تعالی علیهم هذا الکلام بقوله قل لو کنتم فی بیوتکم لبرز الذین
کتب علیهم القتل یعنی من علم الله منه منه انه یقتل ویصرع فی هذه المصارع وکتب فی اللوح المحفوظ انه
یقتل لم یکن بد من وجود القتل فلو قعدتم فی بیوتکم لبرز الذین علم الله انهم یقتلون من بینکم الی مضاجعهم
ای مصارعهم قوله ولیبتلی الله یجوز ان یکون علة لمعلل محذوف الی ولیختبر ما فی صدورکم من الاخلاص
وغیره ولیمحص ای لیطهر قلوبکم مما فیها من الشک والارتیاب فعلنا ما ریکم من عجایب صنعه فی القاء
الامنه وصرف العدو واعلان سرایر المنافقین ویجوز ان یکون معطوفا علی علة محذوفة
ای فعل ذلک لمصالح جمة وللابتلاء والله علیم بذات الصدور ای بما فیها من خیر وشر واخلاص
ونفاق قال صاحب الکشاف قد اهمتهم صفة لطایفة ویظنون صفة اخری او حال بمعنی قد
اهمتهم انفسهم ظانین او استیناف علی وجه البیان للجملة قبلها ویقولون بدل من یظنون ویجوز ان
یکون قوله یقولون هل لنا الذی هو مسئلة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن لان مسئلتهم صادرة من الظن ویخفون
حال من یقولون وقل ان الامر کله لله اعتراض بین الحال وذی الحال ویقولون لو کان بدل من یخفون
والاجود ان یکون استینافا **قوله تعالی** ان الذین تولوا منکم یوم التقی الجمعان انما استزلهم
الشیطان ببعض ما کسبوا ولقد عفی الله عنهم والله غفور حلیم یعنی الذین انهزموا منکم یوم احد
عند التقاء الجمعین استزلهم الشیطان ای حملهم علی الزلل وهو استفعال من الزلة وهی الخطیئة وقیل
طلب زللهم کما یقال استعجلت فلانا ای طلبت عجلته واستعملته ای طلبت عمله ببعض ما کسبوا قیل
بشوم ذنوبهم وقیل ترکهم المرکز وقیل ما کسبوا قبولهم من ابلیس ما وسوس لهم من الهزیمة والمعنی
ان الذین انهزموا یوم احد کان السبب فی تولیتهم انهم کانوا اطاعوا الشیطان فاقترفوا ذنوبا
وقیل ذکرهم الشیطان تلک الخطایا فکرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتی یصلحوا امرهم ویجاهدوا
علی حال مرضیة قال صاحب الکشاف لقوله ببعض ما کسبوا هو قوله ویعفو عن کثیر قوله ولقد عفا
الله عنهم قال صاحب الکشاف الظاهر لتوبتهم واعتذارهم وان المعنی ولقد عفی الله عنهم تلک الزلة
التی لیست بکفر ولم یقیده بالتوبة فقال صاحب الکشاف لتوبتهم واعتذارهم تقیید للمطلق بلا دلیل
بل لمحض التعصب لمذهبه الباطل والله غفور لذنوب المومنین علی الاطلاق حلیم لا یعاجل بعقوبة
الکافرین **قوله تعالی** یا ایها الذین امنوا لا تکونوا کالذین کفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا
فی الارض او کانوا غزی لو کانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا لیجعل الله ذلک حسرة فی قلوبهم والله
یحیی ویمیت والله بما تعملون بصیر ولین قتلتم فی سبیل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خیر مما یجمعون
ولین متم او قتلتم لالی الله تحشرون کان المنافقون یعیرون المومنین فی الجهاد مع الکفار
فظهر عن بعض المومنین فتور وفشل فی الجهاد حین وقع یوم احد ما وقع وعفی الله بفضله ذلک عنهم
فنزلت هذه الایه نهیا للمومنین عن ان یکونوا کالکافرین الذین قالوا لاخوانهم القول المذکور وقوله
کالذین کفروا قیل یرید قوما من المنافقین فیمن بعثه رسول الله صلی الله علیه وسلم واله من السرایا

الی بیر معونة فاصیبوا وقتل عبد الله ابن ابی واصحابه وقالوا لاخوانهم ای لاجل اخوانهم کقوله
وقال الذین کفروا للذین امنوا لو کان خیرا ما سبقونا الیه لاخوانهم فی النفاق والکفر او فی النسب
اذا ضربوا فی الارض ای ساروا وسافروا فیها للتجارة او غیرها قوله او کانوا غزی غزاة جمع غاز
کعاف وعفی فی قوله عفی الحیاض اجون والغزی جمع منقوص لا یتغیر لفظه فی الرفع والنصب
والخفض وفی الایه محذوف یدل علیه الکلام والتقدیر اذا ضربوا فی الارض فماتوا او کانوا غزی فقتلوا
وقوله لو کانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا یدل علی موتهم وقتلهم وقوله اذا ضربوا حکایة حال ماضیة
فلهذا ذکر مع قالوا وقیل اذ اقیم مقام اذ قوله لیجعل متعلق بقوله قالوا ای قالوا ذلک الکلام لیجعل الله
ذلک الکلام حسرة فی قلوبهم لما کان ایقاع الحسرة مترتبا علی قولهم من غیر ان یکون غرضا مطلوبا بقولهم شبه بامر مرتب
علی اخر یکون غرضا له ثم استعیر لترتیب المشبه کلمة الترتیب المشبه به وهی اللام کما فی قوله تعالی فالتقطه ال فرعون
لیکون لهم عدوا وحزنا وقیل ان اللام فی قوله لیجعل متعلقة بقوله لا تکونوا ای لا تکونوا مثل الذین کفروا
فی النطق بذلک القول وفی اعتقاده لیجعل الله ذلک حسرة فی قلوبهم خاصة ویصون قلوبکم منها وقیل
یجوز ان یکون ذلک اشارة الی ما دل علیه النهی ای لا تکونوا مثلهم لیجعل الله انتفاء کونکم مثلهم حسرة فی قلوبهم لان
مخالفتهم فیما قالوا واعتقدوا یقتضی حسرة فی قلوبهم والحسرة الاغتمام علی فایت تعذر بلوغه واسناد الحسرة
الی الله تعالی علی طریق الحقیقة لان الله تعالی خالق کل شی ای ممکن ثم قال تعالی والله یحیی ویمیت رد لقولهم
ای الاحیاء والاماتة بید الله لا یتقدمان لسفر ولا یتاخران لحضر قد یحیی المسافر والغازی ویمیت المقیم
والقاعد وعن خالد ابن الولید انه قال عند موته ما فی موضع شبر الا وفیه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت کما
یموت العیر فلا نامت اعین الجبناء والله بما تعملون بصیر قرا ابن کثیر وحمزة والکسای وخلف بالیاء للغیبة
التی هی قبلها وهی قوله وقالوا لاخوانهم والباقون بالتاء للخطاب وهو قوله ولا تکونوا قوله ولین قتلتم
اللام فی لین لام التقسیم بتقدیر والله لین قتلتم فی سبیل الله ایها المومنون او متم فی سبیل الله والخطاب
للمومنین واللام فی قوله لمغفرة من الله جواب القسم وقیل اللامان للتاکید والمعنی ان وجب ان تموتوا او تقتلوا
فی سفرکم وغزوکم فقد وجب ان تفوزوا بالمغفرة ایضا کذب الکافرین اولا فی زعمهم ان من ضرب فی
الارض من اخوانهم او غزی لو کان بالمدینة لما مات ونهی المسلمین عن ان یکونوا مثلهم لانه سبب التقاعد عن
الجهاد ثم قال لهم ولین تم علیکم ما تخافونه من الهلاک بالموت او القتل فی سبیل الله فان ما تنالونه من
مغفرة من الله ورحمة خیر مما تجمعونه من اعراض الدنیا التی تترکون القتال فی سبیل الله للاشتغال
بجمعها قوله ولین متم قرا نافع وحمزة والکسای بکسر المیم من مات یمات کخاف یخاف والباقون
بضم المیم من مات یموت ککان یکون وقال یقول والمعنی ولین متم مقیمین علی الجهاد او قتلتم مجاهدین
لالی الله تحشرون فی الحالین ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقدیمه وادخال اللام علی الی المتصل به
شان لیس یخفی وهذا تهدید بالحشر وتحذیر من القیامة قال الامام فانظر الی ترتیب هذه
الایات فانه قال فی الایة الاولی لمغفرة من الله وهو اشارة الی العبد خوفا من عقابه ثم
قال ورحمة وهو اشارة الی العبد لطلب ثوابه ثم قال فی خاتم هذه الایه لالی الله تحشرون وهو
اشارة الی من یعبده لمجرد الربوبیة والعبودیة وهذا اعلی المقامات وابعد النهایات فی العبودیة
قوله تعالی فبما رحمة من الله لنت لهم ولو کنت فظا غلیظ القلب لانفضوا من حولک فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم فی الامر فاذا عزمت فتوکل علی الله ان الله یحب المتوکلین ان
ینصرکم الله فلا غالب لکم وان یخذلکم فمن ذا الذی ینصرکم من بعده وعلی الله فلیتوکل المومنون
ان القوم لما انهزموا عن النبی صلی الله علیه وسلم یوم احد ثم عادوا لم یخاطبهم الرسول صلی الله علیه وسلم

بالتغليظ والتشديد بل خاطبهم باللين فاخبر الله تعالى ان هذا اللين برحمة الله فانه تعالى ارسلك
رحمة للعالمين وما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لين الرسول لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وقيل يحتمل ان تكون ما استفهاما للتعجب تقديره فباى رحمة من الله لنت لهم
اى سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك فلم تسرع اليهم فيما كان منهم يوم احد يقال لان يلين لينا اذا رق
له وحسن خلقه قال صاحب الكشاف ومعنى الرحمة ربطه على جاش النبي وتوفيقه للرفق والتلطف
بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمثابة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا
جافيا يقال فظظت يا رجل تفظ فظاظة وفظاظا فانت فظ والانثى فظة والجمع فظاظ غليظ القلب
قاسيه والفرق بينهما ان الفظ سيئ الخلق الجافي في القول وغليظ القلب هو الذى لا يتاثر قلبه عن شئ
فقد لا يكون الانسان سيئ الخلق ولا يؤذى احدا ولكن لا يرق لهم ولا يرحمهم لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم تجاوز عنهم فيما يختص بك وهو ما اتوا به يوم احد واستغفر لهم
فيما يختص بحق الله حتى اشفعك فيهم اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر اى استخرج اراءهم واعلم ما
عندهم ماخوذ من قولهم شرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وعلمت خبرها واختلف العلما
في المعنى الذى امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رايه
وتتابع الوحي عليه ووجوب طاعته على امته فيما احبوا وكرهوا فقيل هو خاص وان كان عاما
في اللفظ بمعنى في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي ليستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم
والرفع من اقدارهم وقيل شاور ابا بكر وعمر وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم
فامر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشاورهم في الامر فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم
واطيب لانفسهم فاذا شاورهم عرفوا اكرامه لهم ولئلا يثقل عليهم استبداده بالراى دونهم وقيل علم
الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده شاهده ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما شقى عبد قط بمشورة وما سعد باستغناء براى يقول الله وشاورهم في الامر فالله وكتابه ورسوله
غنى عن المشورة ولكن الله اراد ان يكون سنة فلا امر من امر الدنيا والدين حتى يتشاوروا وقد اثنى
الله تعالى على عباده بالمشاورة فقال وامرهم شورى بينهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم
قط الا هدوا لارشد امرهم وعنه صلى الله عليه وسلم اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاؤكم
ولم يكن امركم شورى بينكم فبطن الارض خير من ظهرها قيل المشاورة من الواجبات التى هى من خصائص
النبي وقيل ندب له فاذا عزمت قطعت الراى على شئ بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد
الاصلح لا على مشاورتهم فانما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور ومعنى التوكل تفويض
الامر الى الله للثقة بحسن تدبيره والتوكل التوكل من الوكالة يقال وكلت الامر الى فلان فتوكل اى ضمنه
وقام به وقيل التوكل اظهار العجز والاعتماد على غيرك قال بعض اهل التحقيق اول مقام التوكل ان
يكون العبد بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء لا يكون له حركة ولا تدبير وقيل التوكل
الطمانينة الى الله وسئل ذو النون ما التوكل قال خلع الارباب وقطع الاسباب فقيل له زدنا فيه حالة
اخرى فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وقيل اسقاط الخوف والرجاء مما
سوى الله وقيل رد العيش الى يوم واحد واسقاط هم غد وقيل التوكل الاخذ من الله وقيل انقطاع
المطامع وقيل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وقيل
ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض عمن دونه وقيل ان تفنى تدبيرك في تدبيره وترضى بالله وكيلا ومدبرا
قال تعالى وكفى بالله وكيلا وقيل اكتفاء العبد الذليل بالرب الجليل كاكتفاء الخليل بالخليل

حتى لا ينظر الى عناية جبريل وقيل السكون عن الحركات اعتمادا على خالق الارض والسموات وقيل لبهلول
متى يكون العبد متوكلا قال اذا كان بالنفس غريبا بين الخلق وبالقلب قريبا الى الحق عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وعنه صلى الله عليه
وسلم من سره ان يكون اقوى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقيل دلت الاية على انه ليس
التوكل ان يهمل الانسان نفسه كما يقوله بعض الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل
بل التوكل مراعاة الاسباب الظاهرة والتعويل على عصمة الحق لا على الاسباب ان الله يحب المتوكلين المقصود
منه ترغيب المكلفين في تفويض الامر الى الله وقطع النظر عن كل ما سوى الله قوله ان ينصركم الله يعنكم الله ويمنعكم
من عدوكم فلا غالب لكم كما نصركم يوم بدر وان يخذلكم بترككم ولا ينصركم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم
تنبيه على ان الامر كله لله انه لا راد لقضائه ولا دافع لحكمه وجب ان لا يتوكل المؤمن الا عليه فانه يفيد الحصر

قوله تعالى وما كان لنبى ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قيل
نزلت هذه الاية في قطيفة حمراء افتقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
وروى انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز يطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذها وروى انها نزلت في غنائم احد لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم
ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم
انا نغل ولا نقسم لكم فانزل الله هذه الاية وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلايع فغنمت ولم تقسم
للطلايع فانزل الله هذه الاية يعنى ما كان لنبى ان يعطى قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية
وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر وقيل هذا في الوحى يقول ما كان لنبى ان
يكتم شيئا من وحى الله رغبة ورهبة او مداهنة وذلك انهم كانوا يكرهون ما في القران من عيب دينهم
وسب الهتهم فسالوه ان يطوى ذلك فانزل الله هذه الاية قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
يغل بفتح اليا وضم الغين والباقون بضم اليا وفتح الغين يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا
اذا اخذ في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا
الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده
غالا كقولك ابخلته واجبنته والمعنى وما كان لنبى ان يغل وما صح له ذلك يعنى ان النبوة تنافى الغلول وكذلك
معنى المبنى للمفعول راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا
وقيل اللام فيه منقولة اى ما كان نبى ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اى ما كان الله ليتخذ ولدا وقيل
هذا من لطف التعريض لما كان براءة ساحة النبى صلى الله عليه وسلم من الغلول دل على ان الغلول في غيره
وقيل معناه ما كان يظن به ذلك وما يليق به ذلك وقيل معناه على البناء للمفعول ما كان لنبى ان يخان
اى يخونه امته اذا كان من الغلول او ما كان لنبى ان يخون او ينسب اليه الخيانة او يوجد خائنا او
يوجد في جملة الخائنين فيكون اغل وغل بمعنى واحد قوله ومن يغلل يات بالشئ الذى غله بعينه يوم
القيامة يجئ وعلى رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك
ولا الفين احدكم يجئ يوم القيامة وعلى رقبته بقرة لها خوار يقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك
من الله شيئا قد بلغتك ولا الفين احدكم يجئ يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة يقول يا رسول الله
اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك ولا الفين احدكم يجئ يوم القيامة برقاع يقول يا رسول الله

اعني فاقول لا املك لك من الله شيا قد بلغتك روى ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي
يوم خيبر فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغير وجوه الناس فقال
ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين
وعن ابي هريره قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا الا
الثياب والمتاع قال فتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو وادي القرى وقد اهدي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد اسود يقال له مدعم فبينا مدعم يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ جاءه سهم عرب فقتله فقال الناس هنيا له الجنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي
نفسي بيده ان الشمله التي اخذها يوم خيبر من الغنايم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فلما سمعوا
ذلك جاء رجل بشراك او شراكين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم شراك من نار
او شراكان من نار وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصاب غنيمه امر بلالا فنادى في الناس
فيجيون بغنايمهم فيجمعها فيقسمها فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر فقال يا رسول الله هذا فيما كان اصبنا
من الغنيمه فقال اسمعت بلالا ينادي ثلاثا قال نعم فما منعك ان تجي به فاعتذر اليه فقال لن انت تجي به يوم
القيامه فلن اقبله عنك قوله ثم توفى كل نفس ولم يقل توفى بما كسبت حتى يعم دخل تحته كل كاسب من
الغال وغيره لانه ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي موفى جزاؤه علم انه
انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون لا ينقصون من ثواب اعمالهم شيا قوله تعالى افمن
اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبيس المصير لما قال ثم توفى كل نفس ما كسبت اتبعه
لتفصيل هذه الجمله فبين جزا المطيعين وجزا المسيين قوله افمن اتبع تقديره امن اتقى فاتبع رضوان
الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله في فعل الغلول ومن اتبع رضوان الله بالايمان كمن باء بسخط من الله
بالكفر به والاشتغال بمعصيته ومن اتبع رضوان الله اي المهاجرون كمن باء بسخط من الله اي المنافقون وقيل
دعى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه الى ان يحملوا على المشركين ففعله بعضهم وتركه اخرون فقال
افمن اتبع رضوان الله اي الممتثلين امره كمن باء بسخط من الله اي الذين لم يفعلوا والجمع صحيح واللفظ
عام فيجب ان يتناول الكل فان كل من اقدم على الطاعه فهو داخل تحت من اتبع رضوان الله ونزول
الايه في واقعه معينه لا يخصص العموم قوله وماواه جهنم متصل بما قبله اي كمن باء بسخط
من الله وكان ماواه جهنم قوله وبيس المصير منقطع عما قبله كانه لما ذكر جهنم اتبعه بصفته
قوله هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات هو من
التشبيه بحذف حرف التشبيه اي هم كدرجات يعني انهم يتفاوتون تفاوت الدرجات
قال الامام هذا الحذف حسن لان اختلاف اعمالهم قد صيرهم بمنزلة الاشيا المختلفه في ذواتها
فكان هذا المجاز ابلغ من الحقيقه قوله هم ضمير عايد الى ما تقدم ذكره وقد تقدم ذكر من
اتبع رضوان الله وذكر من باء بسخط فيحتمل ان يكون عايدا على الاول او على الثاني او عليهما فعلى
الاول تقديره من اتبع رضوان الله هم درجات عند الله على حسب اعمالهم فان اهل الجنه
بعضهم افضل من بعض وكل في فضل وكرامه ومما يدل عليه ان الغالب في العرف استعمال الدرجات
لاهل الجنان والدركات لاهل النيران وانه ابتدا بقوله افمن اتبع رضوان الله وعقبه بقوله كمن باء بسخط
ووصفهم بان ماواهم جهنم وبيس المصير ثم ختم بوصف من اتبع رضوان الله كما ان عادة القران جاريه
بان يفتتح باهل الرحمه ويختتم بهم مثل قوله تعالى يوم تبيض وجوه الى قوله واما الذين ابيضت
وجوههم وعلى الثاني ان المراد بيان ان اهل النار متفاوتون في مراتب العذاب وعلى الثالث

المعنى ان المومنين ذوو درجات رفيعه والكافرين ذوو درجات خسيسه ولمن اتبع
رضوان الله الكرامه والثواب ولمن باء بسخط منه المهانه والعذاب واهل الجنه بعضهم افضل
من بعض وكل في فضل وكرامه واهل النار بعضهم اشد عذابا من بعض وكل في عذاب وهوان
قوله عند الله اي في حكم الله وعلمه وهو كما يقال هذه المسله عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفه
كذا وهذا يظهر فساد استدلال المشبهه بقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته قوله
والله بصير بما يعملون لما ذكر قوله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذا لا يتم الا اذا
كان عالما بجميع افعال العباد على التفصيل الخالي عن الريب والظن والابهام اتبعه ببيان كونه
عالما بجميعها على التفصيل فقال والله بصير بما يعملون ولما كان الاعمال من المبصرات بحسب
الغالب قال بصير **قوله تعالى** لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم
اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين لما بين خطا من نسبه
الى الغلول والخيانه اكد ذلك بهذه الايه وذلك لان الرسول ولد في بلدهم ونشا فيما بينهم
ولم يظهر قبل بعثته منه الا الصدق والامانه والدعوه الى الاعراض عن الدنيا فكيف يليق بمن
يكون حاله هذا قبل البعثه الغلول والخيانه على ان النبوه تنافي الغلول وقيل لما بين خطا من
في نسبته الى الغلول قال ان وجوده فيهم من اعظم نعم الله عليهم كانه تعالى يقول انه منكم ومن اهل
بلدكم وانتم ارباب الخمول والدناءه فاذا شرفه الله وخصه بمزايا الفضل والاحسان من جميع
العالمين حصل لكم شرف عظيم بسبب كونه فيكم فطعنكم فيه واجتهادكم في نسبه القبايح اليه على
خلاف العقل وقيل لما كان في الشرف والمنقبه بحيث يمن الله به على عباده وجب على كل عاقل
اعانته باقصى ما يقدر عليه فوجب عليهم ان يحاربوا اعدا الله وان يكونوا معه باليد واللسان
والسيف والسنان والمقصود منه ترغيب المسلمين في مجاهده الكفار قوله لقد من الله على
المومنين اي انعم على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المومنين منهم لانهم
هم المنتفعون ببعثته من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انه من ولده ووجه
ووجه المنه عليهم في ان كان من انفسهم انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم
اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانه وكان ذلك اقرب لهم الى التصديق به والوثوق
به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك يتلو عليهم اياته بعد ما كانوا اهل جاهليه
لم يطرق اسماعهم شي من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسه ساير الجوارح
بملابسات المحرمات والخبايث وقيل وياخذ منهم الزكوه ويعلمهم الكتاب والحكمه القران
والسنه بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسه العلوم قوله وان كانوا ان هي المخففه
من المثقله واللام هي الفارقه بينها وبين النافيه وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل
بعثه محمد على الاسلام لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه **قوله تعالى** اولما اصابتكم مصيبه
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شي قدير اخبر الله عن المنافقين
انهم طعنوا في الرسول بان نسبوه الى الغلول والخيانه حكى عنهم شبهه اخرى وهو قولهم لو كان رسولا
من عند الله لما انهزم عسكره عن الكفار يوم احد وهو المراد من قوله انى هذا فاجاب الله عنه
بقوله قل هو من عند انفسكم اي هذا الانهزام انما حصل بشوم عصيانكم ولما نصب تعلمتم واصا
في محل الجر باضافه لما اليه واي نصب لانه مقول والهمزه للتقرير والتقريع والواو عطف
هذه الجمله على ما مضى من قصه احد من قوله ولقد صدقكم ويجوز ان تكون معطوفه على محذوف

بتكلم

كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حين اصابتكم مصيبه انى هذا يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم
قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين انى هذا من اين هذا لقوله انى لك هذا
اى قلتم من اين اصابنا هذا القتل والهزيمه وقد تقدم الوعد بالنصر ونحن مسلمون ورسول الله
فينا قل هو من عند انفسكم انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينه او لتخليتكم
المركز وطلبكم الغنيمه وعصيانكم الرسول فمن قبلكم جاكم الشر وعن عمر في قوله قل هو من عند
انفسكم اى باخذكم الفدا من اسارى بدر وذلك ان جبريل جا الى النبى صلى الله عليه وسلم
يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفدا من الاسارى وقد امرك
ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفدا على ان يقتل
منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه قالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا
لابل ناخذ فداهم فنقوى به على قتال العدو ويستشهد منا بعددهم فقتل منهم يوم احد سبعون
رجلا عدد اسارى اهل بدر فهو معنى قوله قل هو من عند انفسكم اى باخذكم الفدا واختياركم
القتل قوله ان الله على كل شى قدير على النصر مع الطاعه وعلى ترك النصر مع المخالفه وعلى ان
يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى قوله تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله
وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لا
لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما
يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادروا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين قوله وما اصابكم متعلق بقوله اولما اصابتكم فذكر في الاية الاولى اصابتهم
لذنبهم ومن عند انفسهم وذكر في هذه اصابتهم لوجه اخر وهو ان يتميز المومن عن المنافق وما اصابكم يوم
احد التقى الجمعان جمعكم المسلمون وجمع المشركين فهو كاين باذن الله اى بعلمه لقوله اذان من الله اى اعلام
وقوله فاذنوا بحرب من الله وكل ذلك بمعنى العلم وقيل بامر الله وقيل بقضا الله وقدره وحكمه لان الايه
تسليه للمومنين فيما اصابهم والتسليه انما تحصل اذا قيل ان ذلك واقع بقضا الله وقدره وقال صاحب الكشاف
بتخليته استعار الاذن لتخليه الكفار وانه لم يمنعهم ليسلطهم لان الاذن مخل بين الماذون له ومراده
ولا يخفى ان حمل الاذن على التخليه ابعد من حمله على العلم والامر والقضا قوله وليعلم اى ما اصابكم كاين
ليتميز المومنون وليتميز المنافقون وليظهر ايمان المومنين بتثبيتهم على ما نالهم وتظهر نفاق المنافقين بفشلهم
وقلة صبرهم على ما نزل بهم عن ابن عباس يريد بالذين نافقوا عبد الله بن ابى واصحابه وذلك انهم انصرفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد قوله وقيل لهم عطف على نافقوا فهو ايضا من جملة الصله
اى وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا عن
اهاليكم واولادكم وحريمكم وقيل كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا ومنعا للعدو
قالوا لو نعلم جواب لسوال اقتضاه دعا المومنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قال المنافقون
للمومنين حين دعاهم المومنون الى القتال فقيل قالوا لو نعلم وهذا لم يفصل فقالوا ويجوز ان يكون
الصله نافقوا وحده ويكون وقيل لهم كلاما مبتدا اقسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل
المومنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم هم الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال
وجحدوا القدرة عليه اصلا وراسا لنفاقهم ودغلهم اى فسادهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اى
لو نعلم انكم تقاتلون ما اسلمناكم يعنون لا يكون اليوم قتال ولو نعلم انه يكون لاتبعناكم وقيل
معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطار ايكم

وذلكم

وذلكم عن الصواب ليس بشى ولا يقال لمثله قتال انما هو القا بالانفس الى الهلكه لان راى عبد الله بن ابى
كان في الاقامه بالمدينه وما كان يستصوب الخروج قوله هم للكفر يعنى انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون
بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المومنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن
الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاجل الايمان لان تقليلهم سواد
المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم
ولا تعى قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم قول موجود في افواههم
معدوم في قلوبهم خلاف صفة المومنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من
النفاق وبما يجرى لبعضهم مع بعض من ذم المومنين وتجهيلهم وتخطية رايهم والشماتة بهم وغير ذلك
لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين
قالوا قيل الذين نصب على الذم وقيل على انه بدل للذين نافقوا فيكون منصوبا على انه مفعول
وليعلم وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اى هم الذين قالوا وقيل مرفوع على انه بدل من
الفاعل الذى هو واو يكتمون وقيل مجرور بدل من الضمير المجرور في قوله بافواههم وقيل مجرور
بدل من الضمير المجرور الذى هو في قلوبهم قوله لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين منهم
يوم احد واخوانهم في النسب وفي سكنى الدار قوله وقعدوا اى قالوا وقد قعدوا عن القتال
لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا لما قتلوا كما لم نقتل قل فادروا معناه
قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى
دفع الموت سبيلا يعنى ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذى هو احد
اسباب الموت لم تقدروا على دفع ساير اسبابه المسوبه ولا بد لكم من ان يتعلق بكم سبب اخر
روى انه مات يوم قالوا هذه المقاله سبعون منافقا قال صاحب الكشاف فان قلت فقد كانوا
صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة
من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيره وقد يكون
قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون
في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو
اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين
وقوله فادروا عن انفسكم الموت استهزا بهم ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادروا
جميع اسبابه حتى لا تموتوا قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون لما ثبط المنافقون الراغبين في الجهاد بان قالوا
الجهاد يفضى الى القتل والقتل مكروه فوجب الحذر عن الجهاد ودفع الاول بقوله فادروا عن
انفسكم الموت والثانى بهذه الايه قيل نزلت هذه الايه في شهدا احد عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف
طير خضر ترد انهار الجنه وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنه حيث شاءت وتاوى الى قناديل من
ذهب معلقه تحت العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا
انا في الجنه نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عنه فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل
الله هذه الايه وعن جابر بن عبد الله قال نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لى اراك

مهمتما قلت يا رسول الله قتل ابي يوم احد وترك علي دينا وعيالا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك
قال اسالك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانيه فقال اني قد قضيت ان لا اعيد الى الدنيا خليقه
قبضتها قال يا رب فمن يبلغ قومي ما انا فيه من الكرامه قال انا فانزل الله هذه الايه وقيل نزلت
في شهدا بدر وقيل نزلت في شهدا بير معونه وقيل نزلت في الشهدا كافه وهو اقرب ولا تحسبن
اي لا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد الذين قتلوا هو المفعول الاول
قرا ابن عامر بالتشديد والباقون بالتخفيف امواتا هو من لم يقتل في سبيل الله ونصب
امواتا على المفعول الثاني لان الحسبان يتعدى الى مفعولين فاذا قلت حسبت زيدا لا يكون كلاما
تاما حتى يقول قايما او قاعدا فقوله قد مات قوم وهم في الناس احيا وقيل سماهم احيا لانهم يرزقون
وياكلون ويتمتعون كالاحيا وقيل لانه يكتب لهم في كل سنه ثواب غزوه ويشركون في فضل كل جهاد يكون
الى يوم القيامه لانهم سنوا امر الجهاد وقيل لان ارواحهم الى اجسادهم في الدنيا حتى يقتل في سبيل الله فرجع اخر من يقتدي بهم
اليهم وقيل لان ارواحهم تركع وتسجد كل ليله تحت العرش الى يوم القيامه كارواح المومنين الذين باتوا على الوضو
وقيل لان الشهيد لا يبلى في القبر ولا تاكله الارض قال الواحدي الاصح في حيوه الشهدا ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون وياكلون ويتنعمون قوله عند
ربهم اي في دار كرامتهم ومعنى عند معنى القرب والاكرام بحضور دار السلام وقيل عند ربهم اي
في علمه كما تقول عند الشافعي اي في علمه وقيل عند ربهم مقربون عنده وان لهم لقوله فالذين عند ربك
يرزقون اي من ثمار الجنه كما ذكر وقيل يرزقون مثل ما يرزق ساير الاحيا ياكلون ويشربون وهو تاكيد
لكونهم احيا ووصف لحالتهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين نصب على الحال بما اتاهم الله من
فضله من رزقه وثوابه والتوفيق في الشهاده وما ساق اليهم من الكرامه والتفضيل على غيرهم من كونهم
احيا مقربين معجلا لهم رزق الجنه ونعيمها قيل اذا اشرقت الارواح القدسيه المطهره عن دنس
الشهوات واتباع الهوى بالانوار الالهيه كانت مبتهجه من وجهين احدهما لكون ذواتها منيره مشرقه
بتلك الجلايا القدسيه والمعارف الالهيه وثانيهما بكونها ناظره الى منبع النور ومصدر الرحمه
والابتهاج بالثاني اتم منه بالاول فقوله يرزقون اشاره الى الدرجه الاولى وقوله
فرحين اشاره الى الدرجه الثانيه ولهذا قال فرحين بما اتاهم الله من فضله يعني فرحهم ليس
برزق بل بايتا الرزق لان المشتغل بالرزق مشتغل بنفسه والناظر الى ايتا الرزق مقبل على
الرازق ومن طلب الرزق لغيره فهو محجوب وقال بعض المحققين المقتول على الشهاده باق بروية
شاهده والميت من عاش على روية نفسه ومتابعة هواه وقال بعضهم لا تظنن ان الهالكين
في طرق الاراده وطلبه لوصله مردودين الى مقاماتهم بل قد بلغ بهم غاية ما قصدوا امن
القرب والوصله احيا بقرب الحي عند ربهم في مجلس المشاهده يرزقون بزيادة الفوايد
من انواع الاطلاع فرحين بالغنى اقصى الرضا ويستبشرون الاستبشار السرور الحاصل
بالبشاره معناه يسرون ويفرحون وليس استفعل في هذا الموضع بمعنى طلب البشاره بل نزل المستبشر
منزلة من طلب السرور فوجد بالبشاره قوله بالذين لم يلحقوا اي انهم يفرحون باخوانهم الذين فارقوهم
وهم احيا يقولون اخواننا الذين تركناهم خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع النبي صلى الله
عليه وسلم فيستشهدون كما استشهدنا فينالون من كرامة الله مثل ما نحن فيه فيسرون بذلك
قوله بالذين لم يلحقوا اي باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم

من خلفهم اي الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا
فضلهم ومنزلتهم قوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى يستبشرون بما تبين
لهم من حال من تركوا من خلفهم من المومنين وهو ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي انهم يبعثون امنين
يوم القيامه بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهدا واستبشارهم بمن خلفهم بعث
للباقين بعدهم على ازدياد الطاعه والجد في الاجتهاد والرغبه في نيل منازل الشهدا واصابة
فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمومنين بالفوز في
الماب وقيل الذين لم يلحقوا بهم جميع المومنين اي لم يلحقوا بهم في فضل الشهاده ولكن الشهدا لما
عاينوا ثواب الله تيقنوا ان دين الاسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه فهم فرحين لانفسهم
بما اتاهم الله من فضله ومستبشرون للمومنين بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والا خوف مفعول لاجله
التقدير بان لا خوف قوله يستبشرون كرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمه والفضل وان الله يعني وبان الله في محل الخفض عطفا على قوله
بنعمه وقرا الكساي وان الله بالكسر على الاستيناف وعلى ان الجمله اعتراض قوله وفضل
اشاره الى ان النعمه والكرامات والامن التي حصل لهم انما هو بفضل الله لا بعمل احد منهم بين
ان الذي تقدم من الكرامات والثواب الى الشهدا ليس حكما مخصوصا بهم بل كل من امن لا يضيع
اجر ايمانه بل يثيبه ويدخله الجنه بفضله فان سنة الله لا تبديل لها ان لا يضيع اجر المومنين فلا
يلتفت الى قول صاحب الكشاف ان ذلك اجرهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم
ولا يضيع فانه ليس في الايه ما يدل على هذا ولا يساعده العقل **قوله تعالى** الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم
الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الذين مبتدا
وقوله للذين احسنوا اخبر لقوله اجر عظيم والجمله خبر قوله الذين استجابوا او صفة للمومنين في قوله
وان الله لا يضيع اجر المومنين او نصب على المدح استجاب بمعنى اجاب اي اجابوا الله ورسوله
من بعد ما اصابهم الجراحات والمها للذين احسنوا منهم في طاعة الله ورسوله كانهم يرون الله
وان لم يكونوا يرونه فانه يراهم واتقوا معصية الله ومخالفته اجر عظيم قال صاحب الكشاف
من في قوله للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفره لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم لا بعضهم روي ان ابا سفيان وحزبه
لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحا وهي موضع بين المدينه ومكه قريب من المدينه ندموا
على انصرافهم على المسلمين وتلاوموا وقالوا لا محمد قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا
لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاراد ان يرهب ابا سفيان وحزبه ويريهم من نفسه واصحابه قوه فندب اصحابه
بالخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانتدب عصابه منهم مع ما بهم من القرح والالم الذي اصابهم يوم
احد حتى بلغوا حمرا الاسد وهو من المدينه على ثلاثه اميال فبلغ ذلك ابا سفيان وحزبه
فالقى الله الرعب في قلوبهم فذهبوا وعن عروه ابن الزبير عن عايشه رضي الله عنها قالت له يا
ابن اختي كان ابواك الزبير وابو بكر منهم **قوله تعالى** الذين قال لهم الناس ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمه من الله وفضل

لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه
فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين الذين مبتدا خبره فزادهم وقيل انه بدل من قوله
للذين احسنوا وقيل صفة للمومنين في قوله وان الله لا يضيع اجر المومنين روي ان ابا
سفين حين اراد ان ينصرف يوم احد قال يا محمد ان موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى
لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا ان شا الله فلما كان القابل
خرج ابو سفيان في اهل مكه حتى نزل مجنه وقيل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا
له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني واعدت
محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذا عام جدب ولا يصلح لنا الا عام نرعى
فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليهم واكره ان يخرج محمد ولا اخرج
انا فيزيدهم ذلك جراة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا في جمع
كثير ولا طاقة لكم بنا ولك عندي عشر من الابل اضعها على يدي سهيل بن عمرو واضمنها فقال
سهيل نعم يا نعيم اتضمن هذه وانطلق الى محمد فثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى قدم المدينة فوجد الناس
يتجهزون فقال لهم اين تريدون قالوا واعدنا ابو سفيان بموسم بدر ان نقتتل بها فقال لهم
ما هذا بالراي اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند
الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة
فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب
للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه
حين القي في النار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو
ما لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ببدر ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا
ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين وانصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فسماهم اهل مكة جيش
السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفين
واصحابه فان كان المثبط نعيما وحده فاطلاق الناس عليه كما تقول اذا انتظرت قوما فجاء
واحد منهم قد جا الناس قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما
له الا فرس واحد وبرد فرد وقيل لا ينجبن قال ذلك لم يخل من ناس من اهل مكة يضامونه ويصلون
جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه قوله فاخشوهم فزادهم اي فزاد قول الناس لهم ايمانا تصديقا
ويقينا وقيل فزاد المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام
فزادهم ايمانا وقيل فزادهم ذلك التخويف ثبوتا في دينهم واقامة على نصرة نبيهم وقيل فزادهم
الناس اذا اريد به نعيم وحده قال صاحب الكشاف فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله
ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام
كان ذلك اثبت لنفسهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم
على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان
اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص
قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر كان ياخذ بيد

بلغ باصله

ارجل

الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا
الله اي الذي يكفينا امر الله وقيل حسبنا الله اي كافينا تقول احسبه الشي اذا كفاه والدليل على انه
بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير
حقيقية ونعم الوكيل اي الموكول اليه الامور فعيل بمعنى مفعول قوله فانقلبوا بنعمة اي فرجعوا
من بدر بنعمة الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله تعالى
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء من كيد عدو ولم يصبهم قتل ولا جراح
واتبعوا رضوان الله بجرائهم وخروجهم في طاعة الله ورسوله والله ذو فضل على المومنين
بما تفضل به وفي ذلك القا الحسرة في قلوب المتخلفين عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما
فاز به هولا وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزو فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي الله عنهم قوله انما ذلكم
الشيطان مبتدا وخبر يعني انما ذلكم المثبط الذي قال لكم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم هو الشيطان وقوله
يخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة
ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم وابو سفيان قيل ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي انما ذلكم قول
الشيطان اي قول ابليس لعنه الله وقيل يخوف اولياءه اي يخوفكم باوليائه يعني يخوف المومنين باوليائه الكافرين
وقيل يعظم اولياءه في صدورهم ليخافوهم وقيل يخوف الناس اولياءه فيكون كقول القائل هو يعطي الدراهم ويكسو الثياب
بمعنى هو يعطي الناس الدراهم ويكسو الناس الثياب يدل عليه قراءة ابن مسعود يخوفكم اولياءه قوله فلا تخافوهم اي
لا تخافوا اوليا الشيطان وخافوني في ترك امري وجاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسارعوا
الى ما يامركم به ان كنتم مصدقين بوعدي وقد اعلمتكم اني انصركم عليهم فقد سقط عنكم الخوف وقيل يريد
ان الايمان يقتضي ان يوثروا خوف الله على خوف غيره شاهد ولا يخشون احدا الا الله **قوله تعالى** ولا
يحزنك الذين يسارعون في الاثم انهم لن يضروا الله شيا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيا ولهم عذاب اليم قرا نافع يحزنك بضم اليا وكسر الزاي وكذلك
جميع ما في القران الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر في سورة الانبيا فانه فتح اليا وضم الزاي والباقون كلها بفتح
اليا وضم الزاي قيل حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وهما بمعنى واحد قيل الذين يسارعون هم كفار قريش
وقيل هم المنافقون يقعون في الكفر سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وقيل هم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل
هم قوم ارتدوا عن الاسلام اي لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله شيا يعني انهم
لا يضرون الله بمسارعتهم في الكفر بل يضرون لمسارعتهم في الكفر انفسهم ووبال ذلك عايد عليهم لا على غيرهم
ثم بين كيف يعود وبال الكفر عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا اي نصيبا من الثواب في الجنة ولهم بدل
الثواب عذاب عظيم وهذا غاية ما ضربه الانسان وهذا رد على المعتزلة وتنصيص على ان الخير والشر
والايمان والكفر بارادة الله تعالى قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل لا يجعل الله حظا في الاخرة واي
فايدة في ذكر الارادة قلت الفايدة في ذكر الارادة الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص
خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى
ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم قيل السوال والجواب من على مذهبه والسوال من اصله غير متوجه لانه
عدول عن الظاهر فان قوله يريد الله ان لا يجعل استيناف لبيان الموجب كانه قيل لم يسارعون في الكفر مع
ان المضرة عايدة اليهم فاجيب انه تعالى يريد ذلك منهم فكيف لا يسارعون والاية دالة على ان الارادة تتعلق
بالعدم قالت المعتزلة المعنى انه تعالى ما اراد ذلك كما قال ولا يريد بكم العسر واجيب بان هذا عدول
عن الظاهر من غير دليل قوله ان الذين اشتروا اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم

عظيم تنفضل

بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق او ارتد عن الاسلام او على العكس
وشيا نصب على المصدر لان المعنى شيا من الضرر وبعض الضرر **قوله تعالى** ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين قيل الذين كفروا المنافقون وقريظه
والنضير وقيل مشركو مكه **قر** احمزه بالتا والباقون باليا فمن قرا بالتا يكون الذين كفروا منصوبا
وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن يا محمد انما نملي للكافرين خير لانفسهم قوله وان مع ما في حيزه
ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدريه بمعنى ولا تحسبن ان املانا خير
وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصوله ولكنها وقعت في الامام متصله فلا تخالف وتتبع سنه الامام
في خط المصاحف وانما صح مجي البدل وان لم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان
على مفعول واحد من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا ترى تقول جعلت متاعك بعضه
فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك وقيل يجوز ان يقدر مضاف محذوف اي ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب
ان الاملا خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملا خير لانفسهم ومن قرا باليا فالذين كفروا
رفع فاعل والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملا الامهال والتاخير فقال املى عليه الزمان اي طال
عليه واملى له اي طول له وامهله قال صاحب الكشاف والاملا لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شا **قوله** انما نملي ما هذه حقها ان تكتب متصله لانها كافه دون الاولى وهذه
جمله مستانفه تعليل للجمله قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملا خيرا لهم فقيل لهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املايه لهم قلت هو عله للاملا وما كل عله
بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقه وخرجت من البلد لمخافه الشر وليس شي منها بغرض لك وانما هي علل
واسباب وكذلك ازدياد الاثم جعل عليه للاملا وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في
املايه لهم قلت هو عله للاملا كما كان العجز عله للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شي انهم
مزدادون اثما فكان الاملا وقع من اجله وبسببه قيل بناسوا له على ان الاثم الواقع منهم خلاف الاراده فاعمل
الحيله بجعله سببا وليس غرضا وقيل اللام في ليزدادوا لام الاراده واراده زياده الاثم جايزه عند اهل السنه
ولا تخلو عن حكمه **قوله تعالى** ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان
الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشا فامنوا بالله ورسله وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر
عظيم هذه الايه من بقيه الكلام في قصه احد فاخبر تعالى ان الاحوال التي وقعت تلك الواقعه من القتل والهزيمه
ودعا النبي صلى الله عليه وسلم اياهم مع ما كان بهم من الجراحات الى الخروج لطلب العدو ثم دعاهم مره اخرى
الى بدر الصغرى لموعد ابي سفيان انما كان لامتياز المومنين من المنافقين قيل سال المومنون ان يعطوا علامه
يميزوا بها المومن من المنافق فانزل الله الايه قيل الخطاب للكفار والمنافقين اي ما كان الله ليذر المومنين
على ما انتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمومنين
الذين اخبر عنهم اي ما كان الله ليذركم يا معشر المومنين على ما انتم عليه من التباس المومن بالكافر والمنافق حتى
يميز الخبيث من الطيب فعلى هذا الالتفات من الغيبه الى الخطاب وقيل الخطاب للمصدقين باللسان جميعا من اهل
الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من التباس بعضكم ببعض وانه
لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق باللسان جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم
واللام في ليذر لتاكيد النفي حتى يميز قرا حمزه والكساي حتى يميز بضم اليا والتشديد وكذلك الذي في الانفال
والباقون بفتح اليا وكسر الميم مخففا يقال ماز الشي يميزه ميزا وميزه يميزه تمييزا اذا فرقه وقيل مزت الشي
اميزه ميزا عزلته وفرزته وكذلك ميزته تمييزا بمعنى واحد حتى يميز الخبيث من الطيب اي المنافق من
المومن

المومن فميز الله المومنين يوم احد من المنافقين حيث اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل حتى يميز المومن من الكافر بالهجره والجهاد وقيل ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه من الاقرار حتى
يفرض عليهم الجهاد والفرايض التي فيها تخليصهم ليميز بها من ثبت على ايمانه ممن ينقلب على عقبيه وقيل ما كان الله ليذر
المومنين على ما انتم عليه في اصلاب الرجال وارحام النسا يا معشر المنافقين والكافرين حتى يفرق بينكم وبين من في
اصلابكم وارحام نسايكم من المومنين وقيل حتى يميز الخبيث وهو المذنب من الطيب وهو المومن اي يحط الاوزار
من المومنين بما يصيبهم من نكبه ومحنه ومصيبه قوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب فتعرفوا المنافق من المومن قبل التمييز
والاطلاع على ان يطلع انسانا على امر لم يكن علم به يقال اطلعته على كذا اي اعلمته وما كان الله ليوتي احدا منكم علم الغيب وقيل
وما كان الله ليطلعكم على الغيب وانتم لا تلاحظون اسبابكم وافعالكم واحوالكم وانما يطلع على الغيب من كان امينا في
السر والعلانيه الظاهر والباطن ثم يفتح له من طرق الغيب بقدر امانته قال الله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول وهو الماخوذ من اوصافه المتصف باوصاف الحق قوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشا
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات فيخبر بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم
ذلك من جهه اخبار الله لا من جهه اطلاعكم على المغيبات قال ولكن الله يجتبي من رسله من يشا وانت يا محمد ممن
اصطفيته واطلعته على هذا الغيب الا ترى النبي صلى الله عليه وسلم كيف حكم على الغيب بقوله عشره في الجنه ثم امرهم بالايمان
بالله بجميع الرسل بان يعلموا انه لا اله الا هو وانه لا يعلم الغيب الا هو وبان ينزلوا الرسل منازلهم بان يعلموهم
عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيب ثم وعدهم الاجر العظيم
على ذلك فقال وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم **قوله تعالى** ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامه ولله ميراث السموات والارض والله
بما تعملون خبير لما حث الله تعالى وحرضهم على بذل النفس في الجهاد في الايات المتقدمه شرع هاهنا في التحريض
على بذل المال في الجهاد وبين الوعيد الشديد لمن بخل ببذل المال **قر** احمزه لا تحسبن بالتا والباقون
باليا واما من قرا بالتا فقدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم واما من قرا
باليا فكذلك ان جعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ضمير احد وان جعل فاعل يحسبن
الذين يبخلون فالتقدير بخلهم خيرا والذي سوغ حذفه دلاله يبخلون عليه قوله هو فصل بل هو اي بل البخل شر لهم لانه
سبب عقاب بخلهم عليهم قوله سيطوقون تفسير لقوله شر لهم والسين في قوله سيطوقون سين الوعيد اي
سوف يطوقون قيل معناه يجعل ما بخل به من المال حيه يطوقها يوم القيامه في عنقه تنهشه من قرنه الى
قدمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يودي زكوه ماله الا مثل له يوم القيامه شجاعا
اقرع يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيطوقون ما بخلوا
به الايه وقيل معناه سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامه اذا جا
بهنه يسب بها ويذم قوله ولله ميراث يعني انه يفني اهلها ويبقى الاملاك والاموال ولا مالك لها
الا الله عز وجل اي ولله ما في السموات والارض مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والله بما تعملون قرا ابن
كثير وابو عمرو باليا المنقوطه من تحت على الظاهر والباقون بالتا على طريقه الالتفات وهي ابلغ في الوعيد
قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبيا بغير
حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا
ان الله عهد الينا ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات والزبر والكتاب المنير

لما امر الله تعالى المكلفين في هذه الايه ببذل النفس والمال في سبيل الله وبالغ في تقرير ذلك شرع بعد ذلك في
حكاية شبهات القوم في نبوته فالشبهه الاولى انه لما امر بالانفاق في سبيله قالت الكفار انه تعالى لو طلب
الانفاق في تحصيل مطلوبه لكان فقيرا عاجزا لان الذي يطلب المال من غيره يكون فقيرا قيل لما نزل قوله تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنيا وهذه الكلمه عظيمه لا تصدر الا عن متمردين
في كفرهم سوا انهم قالوا عن اعتقاد لذلك او عن استهزا بالقران وقيل النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الصديق
رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتا الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم مدارسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص ابن
عازورا وكان من علمايهم ومعه حبر اخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم
ان محمدا رسول الله قد جاكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التورىه والانجيل فامن وصدق
واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنه ويضاعف لك الاجر فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض
منا من اموالنا وما يستقرض الا الفقير فان كان ما تقول حقا فان الله فقير ونحن اغنيا ولو كان غنيا ما
استقرضنا اموالنا وانه نهاكم عن الربو ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا الربو فغضب ابو بكر رضي الله
عنه وضرب وجه فنحاص ضربه شديده وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت
عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر الى ما صنع صاحبك فقال
صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان
الله فقير وهم اغنيا فغضبت لله وضربت وجهه فجحد فنحاص فانزل الله تعالى ردا على فنحاص وتصديقا لابي بكر
هذه الايه داله على ان الله سميع وظاهر الامر يدل على ان هذا القول جماعه وما روى ان قايل هذا
القول فنحاص لا يدل على ان غيره لم يقل ذلك قوله سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبيا من الافك والفريه على الله
فيجازيهم به قرا حمزه سيكتب بالبا وضمها على ما لم يسم فاعله وقتلهم بالرفع والباقون بالنون مفتوحه
ونصب قتلهم وهو وعيد على ذلك القول اي نامر الحفظه باثبات قولهم في صحايف اعمالهم وذلك اظهر
للحجه عليهم ذكرا ولا لحقق سماع قولهم موكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا
اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبيا وجعل قتلهم الانبيا قرينه لقولهم ايذانا بانهما في العظم اخوان
وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظايم وانهم اصلا في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبيا لم
يستبعد منه الاجترا على مثل هذا القول ونقول قرا حمزه بالبا المنقوطه من تحت والباقون
بالنون والحريق اسم للنار الملتهبه اي المحرق والمعنى ان الله تعالى ينتقم منهم بان يقول لهم ذوقوا
عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص قوله ذلك اي ذلك العذاب والعقاب بما سلف لكم من الاجرام
وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب قوله وان
الله ليس بظلام للعبيد عطف على قوله ما قدمت اي ذلك العذاب بان الله ليس بظلام للعبيد اما بالنسبه
الى الكفار والمنافقين فلانه يعذبهم ويعاقبهم تعذيبا بحسب كفرهم ونفاقهم لكان ظلما واما بالنسبه الى
المومنين الذين وعدهم الله العفو والمغفره ودخول الجنه فلو لم يعف عنهم ولم يغفر لهم ولم يخلصهم
من النار لكان ظلما فان قيل قوله ليس بظلام للعبيد لا يفيد نفي كونه ظالما لان الظلام اخص
من الظالم ونفي الاخص لا يستلزم نفي الاعم اجيب بان العذاب الذي توعد بان يفعله بهم
لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه قوله الذين قالوا هذه هي الشبهه الثانيه للكفار
في الطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم قيل نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف ووهب ابن
يهودا وفنحاص اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا

قايلوا

وانزل

وانزل عليك كتابا وان الله قد عهد الينا في التورىه ان لا نومن لرسول يزعم انه جا من عند الله حتى ياتينا
بقربان تاكله النار فان جيتنا به صدقناك فانزل الله عز وجل الايه قيل الذي نعت للعبيد وقيل
ان التقدير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا فهو في محل الخفض بيانا للذين الاولى وقيل
رفع بانه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين قالوا عهد الينا او امرنا واوصانا في كتبه على السنة رسله
ان لا نومن لرسول اي لن نصدق رسولا يزعم انه جا من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فيكون ذلك
دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من نسيكه وصدقه وعمل صالح وهو فعلان
من القربه ويكون اسما ومصدرا فمثال الاسم السلطان والبرهان ومثال المصدر العدوان والخسران
قال المفسرون كانت القرابين والغنايم لا تحل لبني اسرايل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمه فتقبل
منهم جات نار بيضا من السما لا دخان لها ولها دوي فتاكل ذلك القربان وتلك الغنيمه فتحرقها فيكون ذلك
علامة القبول واذا لم يتقبل بقي على حاله وقيل كان بنو اسرايل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب اللحم
فيضعونها في وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرايل خارج البيت
فتنزل نار فتاخذ ذلك القربان فيخر النبي ساجدا فيوحي الله اليه بما يشا وقيل ان الله امر بني اسرايل في التورىه
من جاكم من احد يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد
فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان قيل هذه دعوى باطله وافترا على الله لان اكل النار القربان
لا يقتضي الايمان للرسول الاتي به الا لكونه معجزه فهو اذن وساير الايات سوا فلا يجوز ان يعينه الله تعالى
من بين الايات ثم قال الله تعالى اقامة للحجه عليهم والزاما لهم قل يا محمد قد جاكم يا معشر اليهود رسل
من قبلي بالبينات الكثيره التي اوجبت عليكم التصديق وجاكم بالذي قلتم من القربان فلم قتلتموهم يعني زكريا
ويحيى وساير من قتلتموهم من الانبيا واراد بذلك اسلافهم فخاطبهم بذلك لانهم رضوا بفعل اسلافهم ان كنتم
صادقين ان الايمان يلزمكم باتيانها قوله فان كذبوك يعني فان كذبهم يا محمد اياك مع علمهم بصدقك
كتكذيب اسلافهم الرسل والمقصود من هذا الكلام تسليه لرسول الله وبيان ان هذا التكذيب
ليس هو امر مختص به من بين الرسل بل شان الكفار تكذيب الرسل والطعن فيهم مع انهم جاوا بالبينات
بالمعجزات الظاهره والزبر والكتب وهو جمع زبور وهو الكتاب بمعنى المزبور اي المكتوب يقال
زبرت الكتاب اي كتبته قرا ابن عامر وبالزبر باعادة البا وان كان مستغنى عنه لضرب من التاكيد
والكتاب المنير الهادي الى الحق من قولك انرت الشي انيره انارة اي بينته واوضحته قيل الكتاب
المنير التورىه والانجيل والزبور عطف الكتاب المنير على الزبر وهو من الزبر لان الكتاب المنير
اشرفها واحسنها كما في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قوله تعالى كل نفس
ذايقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمه فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور المقصود من هذه الايه تاكيد تسليه الرسول والمبالغه في ازالة الحزن عن
قلبه فان عاقبة كل نفس الموت فهذه الغموم والاحزان تذهب وتزول ولا يبقى شي منها وبعد
هذه الدار دار يتميز فيها المحسن من المسي ذايقه فاعله من الذوق اي كل نفس من اصحاب الجنه
واصحاب النار يدل عليه قوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز وهذا يدل على ان
النفوس لا تموت بموت البدن الذي هو بمفارقة النفس عنه لان الله تعالى جعل النفس ذايقة
الموت والذايق لا بد ان يكون باقيا حال حصول الذوق وايضا يدل على ان النفس غير البدن
وهذا وعد من الله تعالى بالموت للمومنين ووعيد للمكذبين بالقران لانهم اذا ماتوا حصلوا على
حسران وحسره وانما توفون اجوركم يوم القيامه بين ان تمام الاجر والثواب لا يصل الى المومنين

اذم

الاليوم القيامه وقوله وانما توفون اجوركم يدفع توهم نفي ما روى ان القبر روضه من رياض
الجنه او حفره من حفر النيران لان المعنى ان توفيه الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل
يوم القيامه فبعض الاجور والزحزحه التنحيه والابعاد تقال زحزحه عن حداى نحاه عن موضعه وزحزحته
عن كذا اى باعدته عنه فتزحزح اى تنحى قال ذو الرمة يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا وغافر الذنب
زحزحني عن النار اى من ابعد عن النار وادخل الجنه فقد ظفر بالخير ونجا من الشر يقال لكل من نجا من هلكه
ونيل ما يغتبط به فاز فقد فاز اى حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز
وراء النجاه من النيران والجحيم ونيل الرضوان والنعيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح
عن النار ويدخل الجنه فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وياتي الى الناس
ما يحب ان يوتى اليه قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور والمتاع السلعه والمنفعه وما تمتعت به
والغرور ما اغتر به من متاع الدنيا شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس على المستام ويغر حتى يشتريه
ثم تبين له فساده والشيطان هو المدلس الغرور وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط من
الجنه خير من الدنيا وما فيها فاقروا ان شئتم فمن زحزح الى قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور

قوله تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور لما سلى الرسول بقوله كل نفس
ذائقة الموت زاد في تسليته بهذه الايه فبين ان الكفار بعد ان اذوا الرسول والمسلمين يوم احد
سيوذونهم ايضا في المستقبل بكل طريق يمكنهم من الايذا بالنفس والايذا بالمال والغرض من هذا
الاعلام ان يوطنوا انفسهم على الصبر وترك الجزع لان الانسان اذا لم يعلم نزول البلا عليه فاذا
نزل البلا عليه شق ذلك عليه اما اذا كان عالما بانه سينزل فاذا نزل لم يعظم وقعه عليه
قوله لتبلون اللام لام القسم والنون دخلت موكده خوطب المومنون بذلك ليوطنوا انفسهم
على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدايد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون
لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشده بغته فتنكبه وتمنى تمنيها نفسه لتبلون اي لتختبرن
في اموالكم بالانفاق في سبيل الله بالخسران والنقصان حتى يتبين الجازع من الصابر
والمخلص من المنافق وانفسكم بالامراض والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف
والمصايب قوله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من الطاعن في الدين الحنيف ومن صد
من اراد الايمان وتخطية من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجايه لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وتحريضه المشركين ومن فنحاص ومن يهود قريظه والنضير ومن الذين اشركوا
من تحريض العساكر على محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيط المسلمين عن نصرته
وان تصبروا على الاذى الذي ياتيكم وتتقوا بترك المعارضه فان ذلك الصبر والتقوى
من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون اي ان
ذلك عزمه من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا **قوله تعالى** واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم
واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون قيل لما حكى الله تعالى عن اليهود شبهه طاعنه في
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اجاب عنها بهذه الايه فانه تعالى اوجب عليهم في التورية والانجيل
على امة موسى وعيسى عليهما السلام ان يشرحوا ما في هذين الكتابين من الدلايل الداله على صحة
دينه وصدق نبوته ورسالته والمراد منه التعجب من حالهم كيف يليق بكم الطعن في نبوته

ورسالته مع ان كتبكم ناطقه ودالة على انه يجب عليكم ذكر الدلايل الداله على صدق نبوته ودينه
وقيل لما اوجب في الايه المتقدمه على محمد صلى الله عليه وسلم احتمال الاذى من اهل الكتاب
وكان من جملة اذاهم للرسول انهم كانوا يكتمون ما في التورية والانجيل من الدلايل الداله على نبوته
وكانوا يحرفونها ويذكرون لها تاويلات فاسده بين ان هذا من تلك الجمله التي يجب فيها الصبر
واذ اخذ الله اي واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب في امر محمد صلى الله عليه وسلم ليبيننه قرا ابو عمرو
وابو بكر عن عاصم بالياء فيهما لانهم غيب والباقون بالتاء فيهما على الخطاب اي على حكايته مخاطبتهم كقوله
وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب لتفسدن وضمير المفعول فيهما للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب للناس
واجتناب كتمانه كما يوكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن بدليل اللام في لتبيننه فنبذوه والميثاق
وتاكيده عليهم اي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح
وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به ثمنا اي ما كانوا ياخذون من
سفلتهم برياستهم في العلم فبئس اي قبح شراهم وخسروا قال صاحب الكشاف وكفى به دليلا على انه
ماخوذ على العلما ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمه
وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعه وحطام دنيا او لتقيه مما لا دليل عليه
ولا امارة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم
علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب
وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن علي رضي الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وعن محمد بن كعب القرظي
لا يحل لاحد من العلما ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال **قوله**
تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب ولهم عذاب اليم قيل ان هذه الايه نزلت في رجال المنافقين كانوا يتخلفون عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو ويفرحون بقعودهم عنه فاذا قدم اعتذروا اليه
فيقبل عذرهم واحبوا ان يحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان وقيل هم اليهود فرحوا باضلال الناس
وبنسبة الناس اياهم الى العلم وليسوا كذلك لا تحسبن قرا عاصم وحمزة والكسائي بالتاء على
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقيل
المفعول الثاني محذوف والباقون بالياء على ان الفاعل الذين يفرحون والمفعول الاول محذوف
على لا يحسبنهم والذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين فلا يحسبنهم
تاكيد وقيل المفعولان محذوفان وتقديره لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب
قوله بما اتوا بما فعلوا اي اعتذارهم من عوده من الغزو قوله فلا تحسبنهم قرا ابن كثير وابو
عمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم الباء والباقون بالتاء وفتح الباء وقيل ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سال اليهود عن شي مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه
واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلاه
بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سالتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى
يفرحون بما اوتوا من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت الرسول ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم حيث ادعوا ان دين ابرهيم كان على

لانه جواب القسم

اليهوديه وانهم على دينه ويجوز ان يكون سائلا لكل من ياتي بحسنه فيفرح بها فرح اعجاب ويحب
ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانه والزهد وبما ليس فيه قوله ولله ملك السموات والارض
فهو يملك امرهم وانه على كل شي قدير فهو يقدر على عقابهم **قوله تعالى** ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي
للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا وتوفنا مع الابرار ربنا
واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامه انك لا تخلف الميعاد المقصود الاعظم من انزال
القران ان ينور القلوب بمعرفة الحق وذلك لا يتيسر الا بالاعتقاد والتسليم واتباع الملة الحنيفيه وذلك
يتوقف على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة دين الاسلام فذكر اولا ايات كثيره داله على صدق النبي صلى
الله عليه وسلم وازال الشبهات التي هي من قبل اهل الكتاب وجادلهم بالتي هي احسن واظهر مكابرتهم ولددهم
واقترعهم على الانبيا ثم شرع فيما هو وسيله الى المعرفه التي هي المقصود الاصلي عن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعايشه
رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب
اتاني ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشه هل لك ان تاذني لي الليله في عبادة ربي فقلت
يا رسول الله والله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربه من ما في البيت فتوضا ولم يكثر
صب الما ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه ثم رفع يديه
فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلوة الغداه فراه يبكي فقال يا رسول الله اتبكي
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد
انزل الله علي في هذه الليله ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن
لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل
يتسوك ثم ينظر الى السما ثم يقرا ان في خلق السموات والارض ذكر الله تعالى في سورة البقره ثمانيه انواع من الدلايل
وختمها بقوله لايات لقوم يعقلون وفي هذه الايه ذكر ثلاثه انواع منها وهي السموات والارض والليل
والنهار وختمها بقوله لايات لاولي الالباب والسر فيه ان السالك الى الله يفتقر في ابتدا سلوكه الى كثره
الادله فاذا استنار القلب في معرفة الله تعالى كان كثرة الدلايل كالحجاب له عن استغراق القلب في معرفه الله فذكر
في سورة البقره ادله كثيره تنبيها على ان السالك الطالب لمعرفة الله يفتقر في ابتدا السلوك الى كثرة الدلايل
وذكر ههنا ثلثه انواع تنبيها على ان السالك عند القرب من المنتهى لا ينتهي الى كثرة الادله بل يكفي بعض منها
حتى لا يشتغل بكثرة الادله ويحجبه عن الاستغراق في معرفة المدلول فذكر في هذه الايه الادله الثلاثه
وترك الادله الخمسه التي هي الادله الارضيه لان الادله السماويه اقهر وابهر والعجايب فيها اكثر وانتقالات
القلب منها الى عظمة الله وكبريايه اشد وختم الايه في سورة البقره بقوله يعقلون لان العقل في اول الامر
فلما تخلص من وساوس الشيطان وشوايب الوهم المانعه من وصوله الى الحق اليقين بل علم اليقين فهي الابتدا الايكون
لبا بل عقلا فان اللب هو العقل الخالص من وساوس الشيطان وشوايب الوهم وختم هذه الايه بقوله
لاولي الالباب لما ذكرنا وقوله في تلك لقوم وفي هذه لاولي الالباب ما يحقق ويويد ما ذكر قوله لايات
لادله واضحه على كمال قدرته تعالى وحكمته قوله لاولي الالباب الذين خلصوا من وساوس الشيطان
وتجردوا عن هواجس الوهم وصفى فكرهم عما يكون مانعا من الاعتبار والنظر في ملكوت السموات
والارض وفي عجايبها ولطايفها قيل من لم يكن من اولي الالباب لم يكن له في النظر الى السموات والارض اعتبار

والولا

واولوا الالباب هم الناظرون الى الخلق بعين الحق ثم وصف اولي الالباب فقال الذين يذكرون الله ٣٤٠
دايما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع فان احوال الانسان لا تخلو عن هذه الثلاثه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنه فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قايما فان لم تستطع فعلى جنبه يومي ايما وهو حجة
الشافعي في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفه انه يستلقي واذا وجد خفه قعد قال بعض اهل
الحقايق يذكرون الله قياما في مشاهدات الربوبيه وقعودا في اقامة الخدمه وعلى جنوبهم في رؤية الزلفه
وقال بعضهم يذكرون الله قياما بقيوميته افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقعودا بمجالسة انا جليس من ذكرني
وعلى جنوبهم على اشارة يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقال بعضهم الذين يذكرون الله قياما باتباع اوامره
وقعودا عن زواجره ونواهيه وعلى جنوبهم اي على اجتنابهم مطالعات المخالفات بحال ومحل على جنوبهم
نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله علم
الايمان وبراه من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النيران وقال الله عز وجل اجعلني منك على بال
ولا تنس ذكري على كل حال وليكن هذه ذكري فانه الطريق على قوله ويتفكرون اعلم انه تعالى وصف اولي الالباب
بانهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وبانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وذلك ان
معرفة الحق والتوحيد انما يكون بالعقل والعقل في ابتدا السلوك الى معرفة الحق قاصر عنها لان
عليه قوة الشهوه والغضب فهو تحت طاعة الشيطان ومتابعة الهوى فلم يخلص عن نزغات
الشيطان ووساوسه وخطرات النفس الاماره بالسو ومغالطات الوهم وهواجسه فاحتاج في
الخلاص عنها الى العبادات المشفوعه بالفكر فاذا عبد الله وفكر في مصنوعاته صار ذا لب
خالص قابلا لتجليات الحق فقوله يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اشاره الى المواظبه على العباده
وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشاره الى كونها مشفوعه بالتفكر فالذكر لله
تعالى والتفكر في خلقه قال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق
فانكم لا تقدرون قدره قال تعالى وما قدروا الله حق قدره بل يعرف بافعاله واثاره ولذلك
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التفكر في الله وامر بالتفكر في الخلق واما الذكر فهو بالنسبه
الى الله لا بالنسبه الى خلقه فلهذا وصف الله تعالى اولي الالباب بانهم يذكرون الله ويتفكرون
في خلق السموات والارض وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عباده كالتفكر وقيل الفكر
يذهب الغفله ويحدث للقلب الخشيه كما يحدث الما للزرع النبات وما جليت القلوب
بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين
ثم رفع راسه الى السما فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته
وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى
السما فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي قال فنظر الله اليه فغفر له وروي ان عابدا
يعبد في بني اسرايل ثلاثين سنه وكان الرجل اذا تعبد ثلاثين سنه اظلته غمامه فلم ير شيا
فشكى ذلك الى امه فقالت يا بني فكر هل اذنبت منذ اخذت في عبادتك قال لا ولا اعلم اني
هممت به منذ ثلاثين سنه قالت يا بني بقيت واحده ان نجوت منها رجوت ان تظلك قال
وما هي قالت هل رفعت طرفك الى السما ثم رددته بغير فكر قال كثيرا قالت فما اتيت الا من
ذلك وكلما كانت افعاله اشرف واعلى كان وقوف العقل على كمال الفاعل الطف واجلى والايات
الداله على التوحيد اما في الافاق واما في الانفس وايات الافاق اجل واعظم قال تعالى

فقاعدا فان لم يستطع

لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فلهذا ذكر في وصف اولي الالباب انهم يتفكرون في خلق السموات
والارض فان دلالتها اعجب وشواهدها اعظم وكيف لا ولو ان الانسان ينظر الى ورقه صغيره من اوراق
شجره صغيره راى في تلك الورقه عرقا واحدا ممتدا في وسطها ثم يتشعب من ذلك العرق عروق كثيره الى الجانبين
ثم يتشعب منها عروق دقيقه ولا يزال من كل عرق عرق اخر حتى يصير في الورقه عروق شعريه لا يراها البصر
فيعلم ان الصانع تعالى وتقدس في تدبير هذه الورقه على هذه الخلقه حكما بالغه واسرارا عجيبه
فان الله تعالى اودع فيها قوه جاذبه لغذائها من قعر الارض ثم ان ذلك الغذا يجرى في تلك العروق
حتى يتوزع على كل جزء من اجزاء تلك الورقه جزء من اجزاء ذلك الغذا بتقدير العزيز العليم ولو
اراد الانسان ان يعرف كيفية خلقه تلك الورقه وكيفيه التدبير في ايجادها وابداع القوى الغاذيه
والناميه فيها لعجز عنه ونسبه تلك الورقه الى السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى
الارض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والاشجار والحيوان كالعدم فاذا عرف
قصور عقله عن معرفة تلك الورقه الصغيره علم انه لا سبيل له الى الاطلاع على عجايب حكمته في
خلق السموات والارض بل يعرف على سبيل الاجمال ان في خلقها حكما بالغه ويعرف انه ما خلقه
باطلا لا حكمه فيه فيقول ربنا ما خلقت هذا باطلا قوله وما خلقت هذا باطلا على اراده
القول اى يقولون ذلك وهو محل الحال على معنى يتفكرون قايلين ما خلقت خلقا باطلا
بغير حكمه بل خلقته لحكمه بالغه يقصر اولوا الالباب عن تفهمها والاحاطه بها ومن جملتها
ان يكون ادله لهم على معرفتك وعظم شانك وكبرياء سلطانك فقوله هذا اشاره الى الخلق
والخلق بمعنى المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اى فيما خلق
منها ويجوز ان يكون اشاره الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ويتفكرون
في مخلوق ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران
يهدى للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا ويجوز ان يكون صفه لمصدر خلقت
والايه تدل على انه تعالى خلق السموات والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصه بحيث
يحصل من حركاتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع سكان البقاع الارضيه وجعلها
اسبابا لها على مجرى العاده لا على ان تكون موثره قوله سبحانك فقنا عذاب النار سبحانك
اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيا باطلا اى سبحانك عما يقول الظالمون الذين
يقولون خلقت هذا باطلا بغير حكمه وعما يقول الظالمون الذين يقولون اطلعنا على كمال الحكمه
في خلقها واحطنا بجميع ما خلقت له فان الخلق اذا تفكروا في خلق السموات والارض لم يعرفوا الا
ان خالقهما ما خلقهما باطلا بل خلقها لحكمه عجيبه فيها اسرار عظيمه واثار عجيبه وان كان اولوا
الالباب قاصره عن معرفتها والمقصود منه تعليم العباد وكيفيه الدعا فان من اراد الدعا
ينبغي ان يقدم الثنا ثم يذكر الدعا بعده ثم ذكر ان اولي الالباب مع انهم يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض يطلبون من الله ان يقيهم عذاب
النار ولولا انه يحسن من الله تعذيبهم والا لكان هذا الدعا عبثا فلا يلتفت الى قول المعتزله
انه تعالى يقبح منه تعذيب المطيع قوله ربنا انك من تدخل النار لما سالوا ربهم ان يقيهم عذاب
النار اتبعوا ذلك بما يدل على عظم ذلك العقاب وشدته وهو الخزى ليكون موقع السوال
اعظم لان من سال ربه ان يفعل شيا وان لا يفعله اذا بين عظم ذلك المطلوب وقوته كانت
داعيته في ذلك الدعا اكمل واخلاصه اتم لانه لا يتصل بالاجابه الا اذا كان مقرونا بالاخلاص

فهذا

فهذا تعليم من الله عباده في كيفية اسرار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزايه فان قوله فقد يفيد التحقيق
وهو نظير قوله فقد فاز ونحو في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اى فقد ادرك المرعى الذي
ليس بعده مرعى ومن سبق فلانا فقد سبق اى بلغ غاية السبق وقيل فقد اهنته وقيل اهلكته وقيل
فضحته خزى بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وقيل وقع في بليه وخزي ايضا يخزى خزايه اى استحيا
فهو خزيان وقوم خزايا قالت الوعيديه هذه الايه داله على ان صاحب الكبيره من اهل الصلوه ليس بمومن وذلك
لان صاحب الكبيره اذا دخل النار فقد اخزاه الله لدلاله هذه الايه والمومن لا يخزى لقوله تعالى يوم لا يخزى الله
النبي والذين امنوا معه اجيب عنه بانه مخصوص بمن يدخل النار للخلود ورد هذا الجواب بان مذهب
المعتزله ان كل فاسق دخل النار فانما دخلها للخلود والجواب لا نسلم ان المومن لا يخزى قوله يوم لا يخزى الله النبي
والذين امنوا معه فلما خاص بالصحابه بقرينه معه او عام ولكون نفي الخزى في ذلك اليوم ولا يلزم
من نفيه في ذلك اليوم نفيه مطلقا احتجت المرجيه بهذه الايه على ان صاحب الكبيره لا يدخل النار لان صاحب
الكبيره مومن والمومن لا يخزى لقوله تعالى يوم لا يخزى الله النبي والذين امنوا معه والجواب
منع الثانيه بما ذكر في جواب الوعيديه قوله وما للظالمين من انصار قال صاحب الكشاف
اللام اشاره الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعته ولا غيرها تقول
سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفت
الرجل بما يسمع في قولك سمعت رجلا يقول كذا وجعلت ما يسمع حالا عن الرجل في قوله سمعت زيدا يتكلم
فاغناك الوصف او الحال عن ذكر المسموع ولولا الوصف او الحال لم يكن بد من ذكر المسموع
ومن ان يقال سمعت كلام فلان او قوله ولقايل ان يقول لا نسلم ان اللام اشاره الى من يدخل النار
فانه اراد بالظالمين الكافرين والمعنى ما للكافرين من انصار اعوان يمنعهم من عذاب الله ولين سلم
ان اللام اشاره الى من يدخل النار ولكن لا يلزم من نفي انصار نفي ناصر ولين سلم انه يلزم من نفي
انصار نفي ناصر ولكن لا يلزم من نفي ناصر نفي شفيع والاحاديث الصحيحه الوارده في شفاعة
لاهل الكباير كثيره قوله ربنا اننا سمعنا مناديا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل القران فليس
كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ينادي للايمان قيل الى الايمان كقوله تعالى ثم يعودون لما نهوا
عنه وقيل اللام بمعنى اجل قال صاحب الكشاف فان قلت اى فايده في الجمع بين المنادى وينادى
قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادى لانه لا منادى اعظم من مناد ينادى
للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدى للاسلام وذلك ان المنادى اذا اطلق ذهب الوهم
الى مناد للحرب او لاطفا النايره او لاغاثه المكروب او لكفايه بعض النوازل او لبعض المنافع
وكذلك الهادى قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى لسداد الراى وغير ذلك فاذا قلت
ينادى للايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شان المنادى والهادى وفخمته ويقال
دعاه لكذا والى كذا وندب له واليه وناداه له واليه ونحو هداه للطريق واليه وذلك ان
معنى انتها الغايه ومعنى الاختصاص واقعان جميعا قوله ان امنوا ان اما مفسره اى امنوا او
مصدريه يعني بان امنوا فامنا قوله ربنا فاغفر لنا طلبوا من الله تعالى في هذا الدعا ثلثه اشيا اولها
غفران الذنوب وثانيها تكفير السيات وثالثها توفيهم مع الابرار قيل جمع بين غفران الذنوب وتكفير السيات
لان غفران الذنوب بفضله ورحمته وتكفير السيات بالطاعات كتكفير الحنث بالصوم والظهار بالاعتاق والمغفره
بفضله من غير سبب والتكفير بسبب طاعه والسيات الاعمال القبيحه وقيل الغفر الستر والتغطيه والتكفير ايضا
هو التغطيه فالمراد بهما شي واحد وانما اعيد ذلك للتاكيد لان الالحاح في الدعا والمبالغه فيه مندوب

وقيل اراد بالذنوب الكباير وبالسيات الصغاير قوله وتوفنا مع الابرار قال بن عباس اى مع الانبيا اى توفنا
فى جملتهم واحتج الاصحاب بهذه الايه على حصول العفو بدون التوبه لانهم طلبوا المغفره مطلقا ثم ان الله تعالى
اجابهم اليه قوله ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اى على السنة رسلك من الفضل والنعمه والثواب
والرحمه وقيل ما وعدتنا على تصديق رسلك قال صاحب الكشاف الاتراه كيف اتبع ذكر المنادى للايمان
وهو الرسول وقوله امنا وهو التصديق اى كيف اتبع ما وعدتنا على رسلك الامرين ذكر المنادى للايمان وقوله
امنا والمنادى هو الرسول وامنا هو التصديق وقيل يجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اى ما وعدتنا وعدا
منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فادوا عليه وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن توتيهم ما وعدتهم
على السنة رسلك ويستحقون ثوابك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لهذه الكرامه فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها ولو كان
القوم شهدوا بذلك لانفسهم لكانوا قد زكوها وليس ذلك من صفة الابرار وقيل انما سالوا ربهم تعجيل ما وعدهم
من النصر على الاعدا واعزاز الدين لانها حكايه عن اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ووقوع ربنا بين قوله
واتنا وبين المعطوف عليه الذى هو قبله يكون مناسبا لهذا الوجه ولا تخزنا يوم القيامه اى لا تفضحنا
ولا تهنا ولا تهلكنا فان قيل حصول الثواب يستلزم اندفاع العقاب فطلب ترك العقاب ينبغى ان يكون
مقدما على طلب الثواب اجيب بان الثواب شرطه ان يكون منفعه مقرونه بالتعظيم والسرور
فقوله اتنا ما وعدتنا على رسلك المراد منه المنافع وقوله ولا تخزنا المراد منه التعظيم
وقيل المقصود من هذه الايه طلب التوفيق على الطاعه والعصمه على المعصيه كانه قيل وفقنا
للطاعات واعصمنا عما سطه ويوقعنا فى الخزى والهلاك قوله انك لا تخلف الميعاد
اى وعدك من النصر والظفر على الكفار ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل خزيهم وانصرنا عليهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار
قيل لا يخلف الله وعده لان فى خلفه الوعد علامة الذم وقد يخلف وعيده لان فى خلفه الوعيد
اظهار الكرم قال الشاعر ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى ولا اختشى من خشية المتهدد
وانى اذا اوعدته او وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى فان قيل ما وجه قولهم ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك وقد علموا وعرفوا ان الله لا يخلف الميعاد اجيب بان لفظة الدعا ومعناه
الخبر تقديره فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا وتوفنا مع الابرار ولا تخزنا لتاتينا ما وعدتنا على السنة
رسلك وقيل ليس المقصود من الدعا طلب الفعل بل المقصود منه اظهار الخشوع والذله والعبوديه
وقيل امرنا بالدعا فى اشيا نعلم قطعا انها لا توجد لا محاله وقد كان الانبيا عليهم الصلوة والسلام
يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه قوله
تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين
هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سياتهم ولادخلنهم
جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ان الله عز وجل حكى
عنهم انهم عرفوا الله بالدليل وهو قوله ان فى خلق السموات والارض الى قوله لايات لاولى الالباب
ثم حكى عنهم مواظبتهم على ذكر الله وهو قوله الذين يذكرون الله وعلى التفكر وهو قوله
ويتفكرون فى خلق السموات والارض ثم حكى عنهم انهم اثنوا على الله وهو قولهم ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك ثم حكى عنهم انهم بعد الثنا اشتغلوا بالدعا وهو من قولهم فقنا عذاب النار
الى قوله انك لا تخلف الميعاد ثم بين فى هذه الايه انه استجاب دعاهم وهذا تنبيه على ان استجابة
الدعا مشروطه بهذه الامور ولما كان تحقق هذه الشرايط عزيزا لا جرم كان من يستجاب دعاوه

عزيزا

عزيزا يقال استجاب له واستجابه قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه
عند ذاك مجيب وقال تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول انى لا اضيع اى بانى لا
اضيع لا احبط ولا ابطل عمل عامل منكم ايها المومنون من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من
بعض اى يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد وكل واحد منكم من الاخر اى من اصل الاخر والمعنى
كلكم من ادم وحوا وقيل كل واحد منكم كانه من الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد
وصلة الاسلام اى فى الدين والنصره والموالاه وقيل حكم جميعكم فى الثواب واحد وقيل
رجالكم مثل نساكم فى الطاعه ونساكم مثل رجالكم فى الطاعه نظيره قوله تعالى والمومنون والمومنات
بعضهم اوليا بعض وهذه جمله معترضه بينت بها شركة النسا مع الرجال فيما وعد الله عباده
العاملين وهذا دليل على ان كل من كان فى قلبه ايمان لا يخلد فى النار روى ان ام سلمه قالت
يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجره ولا يذكر النسا فنزلت فالذين هاجروا تفصيل
لعمل العامل على سبيل التعظيم للعمل والتفخيم والمراد بالذين هاجروا الذين اختاروا المهاجره
من اوطانهم الى حرم الرسول فارين الى الله بدينهم من دار الفتنه والمراد بالذين اخرجوا من
ديارهم الذين الجاهم الكفار واضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشوا بما سامهم
المشركون من الخسف واوذوا فى سبيلى اى من اجله وسببه يريد دينى قوله وقاتلوا وقتلوا
قرا نافع وعاصم وابو عمرو قاتلوا بالالف وقتلوا مخففه والمعنى انهم قاتلوا ثم قتلوا وقيل
قاتلوا معه حتى قتلوا وابن كثير وابن عامر وقاتلوا اولا وقتلوا مشدده للمبالغه وتكون القتل
فيهم وحمزه والكساى وقتلوا بغير الالف اولا وقاتلوا بالالف بعده اى وقتلوا وقاتل
من بقى منهم تقول العرب قتلنا بنى تميم وانما قتلوا بعضهم وقيل باضمار قد اى وقد قتلوا
وقاتلوا ثم قال تعالى لاكفرن عنهم سياتهم ثم انه تعالى وعد من فعل هذا بامور ثلثه
اولها تكفير السيات وغفران الذنوب وهو قوله لاكفرن عنهم سياتهم وذلك هو الذى طلبوه
بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وثانيها ان يكون ذلك الثواب ثوابا عظيما مقرونا
بالتعظيم والاجلال وهو قوله ثوابا من عند الله وهو الذى قالوا ولا تخزنا يوم القيامه
قوله ثوابا فى موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابه او تثويبا لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم
فى معنى لاثيبنهم اى لاثيبنهم اثابه من عند الله ولا شك ان الثواب الذى هو من عند الله يكون
فى غاية العظمه والله عنده حسن الثواب تاكيد لكون الثواب فى غاية العظمه والشرف قال
صاحب الكشاف وعنده مثل اى يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه
كما يقول الرجل عندى ما تريد يريد اختصاصه به وتملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم
من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام
بما يوجب حسن الاجابه وحسن الانابه من احتمال المشاق فى دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه
وعن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما
يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الايه قوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد
متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبيس المهاد انه تعالى لما وعد المومنين الثواب العظيم
وكانوا فى الدنيا فى نهاية الفقر والشده وكان الكفار فى النعيم ذكر هذه الايه تسليه لهم
قيل نزلت هذه الايه فى مشركى العرب وذلك انهم كانوا فى رخا ولين من العيش وكانوا يتجرون
ويتنعمون فقال بعض المومنين ان اعدا الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت

هذه الايه وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فانزل الله لا يغرنك الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اى لا تنظر الى تقلب الذين كفروا اى ضربهم في الارض
وتصرفهم في البلاد للتجارات والبياعات وانواع المكاسب والمطالب وما هم عليه من سعة الرزق
ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض فان قيل
كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نهى عن الاغترار به اجيب عنه بان
الخطاب اذا كان لكل احد فقد سقط السوال وان كان للنبي فقد يخاطب سيد القوم
وامامهم بشى فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم وقيل ان رسول الله كان غير
مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا تكونن من
المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم قوله متاع
قليل بلغة فانيه ومتعه زايله لان كل ما هو فان قليل قوله ثم ماواهم جهنم اى مع قلته سبب
الوقوع في نار جهنم ابد الاباد وبيس المهاد اى الفراش **قوله تعالى** لكن الذين اتقوا ربهم
لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار لما ذكر الوعيد
للذين كفروا اتبعه بالوعد للذين اتقوا والنزل ما يعد للنازل قال الضبي وكنا اذا الجبار
بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف
والعامل اللام في لهم ويجوز ان يكون بمعنى مصدر موكد كانه قيل رزقا او عطا من عند الله
وما عند الله من الكثير الدايم خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا من المتاع القليل الزايل عن انس
ابن مالك قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مرمول بالشريط وتحت
راسه وسادة من ادم حشوها ليف فدخل عليه عمر وناس من اصحابه فانحرف النبي صلى الله
عليه وسلم انحرافة فراى عمر اثر الشريط في جنبه فبكى فقال ما يبكيك يا عمر فقال عمر رضي الله
عنه وما لي لا ابكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وانت على الحال
الذى ارى فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخره
قال بلى قال هو كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المومن وجنة
الكافر هذا بالنسبة الى ما يصير اليه كل واحد منهما في الاخرة فالدنيا على المومن المنعم سجن بالاضافة
الى الجنة والدنيا للكافر الفقير المضيق عليه في حاله وصحته جنة بالاضافة الى جهنم **قوله تعالى**
وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون
بايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب لما ذكر حال المومنين وقد
ذكر حال الكفار من قبل بان مصيرهم الى النار بين في هذه الايه ان من آمن من اهل الكتاب
داخل في الذين اتقوا فقال ان من اهل الكتاب قيل نزلت هذه الايه في عبد الله بن سلام
واصحابه وقيل في اربعين رجلا من اهل نجران من بني الحارث بن كعب واثنين وثلثين من اهل
الحبشه واسمه اصحمه وهو بالعربيه عطيه وذلك انه لما مات نعاه جبرايل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير
ارضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج النبي صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينه
الى ارض الحبشه فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله عز
وجل هذه الايه وقيل نزلت في مومني اهل الكتاب ودخلت لام الابتدا على اسم ان لفصل الظرف

بينهما

بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطين وما انزل الله من القران وما انزل اليهم من التورية والانجيل
خاشعين لله خاضعين متواضعين وهو حال من فاعل يومن لان من يومن في معنى الجمع لا
يشترون بايات الله ثمنا قليلا يعني لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم
لاجل الماكله والرياسه كما فعل من لم يسلم من احبارهم ورؤسايهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
اى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعد الله في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين يوتكم كفلين
من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شي فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر
وقيل معناه ان ما توعدون من الحساب لات قريب بعد ذكر الموعد **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون لما ذكر في هذه السوره انواعا
كثيره من علوم الاصول فيما يتعلق بتقرير التوحيد والعدل والنبوه والمعاد ومن علوم الفروع
فيما يتعلق بالتكاليف والاحكام كالحج والجهاد وغيرهما ختم السوره بهذه الايه المشتمله على
جميع الاداب قيل اصبروا على طاعة الله وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على فرايض الله
وقيل على الجهاد وقيل على البلا وقيل الصبر لا يه اشيا ترك الشكوى وصدق الرضى وقبول
القضا وقيل الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنه وقيل الصبر حبس النفس مع الله بنفي الجزع
عما سواه وقيل الصبر من سر الله في ارضه وان الشيطان ليتعوذ من الصابرين كما يتعوذ المومن من
الشيطان وقيل علامة الصبر التباعد عن الخلطا في الشده والسكون اليهم مع تجرع غصص البليه
واظهار الغنا مع كرب العيال وحبا الخلق مع مجرى اهوله وقول الحق مع احتمال الضرر في المال
والبدن وصابروا اى الكفار وقيل صابروا الوعد الذى وعدتم ورابطوا المشركين واصل
الرباط ان يربط هولا خيولهم وهولا خيولهم ثم قيل لكل مقيم في ثغر يحمي وراه وان لم يكن مركب قال
الله تعالى ومن رباط الخيل وقيل المرابطه اعتقال المبارزين في الحرب واصل الرباط الشده
ومنه قيل للخيل رباط ويقال فلان رابط الجاش اى قوى القلب قال لبيد رابط الجاش على كل
وجل وقيل داوموا واثبتوا وقيل انتظار الصلوة بعد الصلوة شاهده قوله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى
المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط وقيل اصبروا
عند قيام الفتن على احتمال الكذب وصابروا على مقاساة العنا والتعب ورابطوا في دار اعداى
بلا هرب واتقوا بهممكم من الالتفات الى السبب لعلكم تفلحون غدا بالقاى على بساط الطرب
وقيل اصبروا على الدنيا رجا السلامه وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامه ورابطوا
هوى النفس اللوامه واتقوا ما يعقب لكم الندامه لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامه
وقيل اصبروا على بلاى وصابروا على نعماى ورابطوا في دار اعداى واتقوا محبة
سواى لعلكم تفلحون غدا بلقاى وقيل اصبروا على النعما وصابروا على الباسا والضراء
ورابطوا في دار الاعدا واتقوا اله الارض والسما لعلكم تفلحون في دار البقا وقيل اصبروا
عن المعاصي وصابروا على الطاعات ورابطوا الارواح بالمشاهده واتقوا الله بحسن الانبساط
مع الحق عز وجل لعلكم تفلحون مواقف اهل الصدق فانه محل الفلاح وقيل اصبروا بجوارحكم
على الطاعات وصابروا بقلوبكم مع الله ورابطوا باسراركم سبيل الشوق والمحبه وقيل اصبروا
بالله وصابروا مع الله ورابطوا اسراركم بالحقايق لعلكم تجردون من هممكم وخطراتكم واطلاق
اللفظ يفيد جميع هذه الامور ومع جميع هذه الامور قطره من بحار معاني كلام الله قل لو كان

البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا

سورة النسا

نزلت بمكه عام الفتح في عثمان بن طلحه وهي قوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات
الى اهلها وقيل نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكه الى المدينه وقيل يا ايها الناس
حيث وقع انما هو مكي فيشبه ان يكون صدر هذه السوره نزل بعد الهجره وما نزل بعد الهجره
فهو مدني وان نزل في مكه او في سفر من الاسفار وقد علمت ان هذا لا يصدق الا بحسب الغالب
وقيل هذه السوره مكيه ولا خلاف ان فيها ما نزل بالمدينه والظاهر الاول فانه في البخاري
عن عايشه ايضا قالت ما نزلت سورة النسا الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعني قد بنا بها ولا خلاف ان النبي صلى الله عليه وسلم انما بنا بها بالمدينه بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا كثيرا ونسآ واتقوا الله الذي تسالون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا هذه السوره
مشتمله على انواع كثيره من التكاليف فانه تعالى امر الناس في هذه السوره بالتعطف على الاولاد والنسا
والايتام والرافه بهم وايصال حقوقهم وحفظ اموالهم عليهم وبهذا المعنى ختمت السوره وهو قوله
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله وذكر في اثنا هذه السوره انواعا اخر من التكاليف فانه تعالى لما
وهي الامر بالطهاره والصلوه وقتال المشركين ولما كانت هذه التكاليف شاقه على النفوس لثقلها
على الطباع لا جرم افتتح السوره بالعله التي لاجلها يجب تحمل هذه التكاليف الشاقه جعل الله
قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم مطلعا لسورتين هذه السوره وهي الرابعه من النصف الاول
وسورة الحج وهي ايضا الرابعه من النصف الثاني ثم علل الامر بالتقوى في هذه السوره بما
يدل على كمال الخالق وكمال علمه وكمال حكمته وجلاله وعلل الامر بالتقوى في الحج بما يدل على
كمال معرفة المعاد وهو قوله ان زلزلة الساعة فجعل صدر هاتين السورتين دلاله على معرفة
المبدا والمعاد ثم قدم السوره الداله على المبدا على السوره الداله على المعاد واعلم انه تعالى امر
الناس بالتقوى وذكر عقيبه انه خلقكم من نفس واحده وهذا يدل على ان الامر بالتقوى معلل
بانه خلقكم من نفس واحده وبلاغة نظم الكلام وجزالته يستدعيان ان يكون عقيب الامر بالتقوى
بما يوجب التقوى ويدعو اليها ويبعث عليها لان الاصل في ترتب الامر على الوصف ان يكون ذلك الوصف
مما له صلوح العليه فكيف كان خلقهم من نفس واحده على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها
وباعثا عليها قيل قوله خلقكم من نفس واحده مشتمل على معنيين احدهما انه خلقهم وثانيهما كيفية ذلك الخلق
وكل واحد منهما له مدخل في وجوب التقوى اما الاول فلانه يقتضي الانقياد لتكاليف الله والخضوع
لاوامره ونواهيه لانه لما كان خالقهم وموجدا لذواتهم وصفاتهم فهم عبيده وهو مولى
لهم والربوبيه توجب نفاذ اوامره على عبيده والعبوديه توجب الانقياد للرب والموجد والخالق
وان يتقي كل ما نهى عنه واما الثاني وهو انه خلقكم من نفس واحده فان خلق الناس من نفس واحده
ادل على كمال القدره وعلى ان خالقهم ومدبرهم فاعل مختار قادر على كل الممكنات عالم بكل
المعلومات فيجب الانقياد لاوامره والانتها عن نواهيه فالارتباط بين قوله اتقوا وبين قوله خلقكم في غاية
البلاغه والجزاله هذا اذا اريد بالتقوى تقوى عامه ويحتمل ان يراد بالتقوى تقوى خاصه وهي
ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب وصله اي اتقوا ربكم الذي وصل

بينكم

قدم هو

بينكم حيث خلقكم من نفس واحده فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا
الوجه ادل على المعاني التي هي مذكوره في السوره قوله يا ايها الناس يا بني ادم خلقكم من نفس واحده
فرعكم من اصل واحد وهو نفس ابيكم ادم وخلق منها زوجها اي حوا قيل انها خلقت بعد
دخوله الى الجنه وقيل قبل دخوله الجنه لما خلق الله ادم القى عليه النوم فخلق حوا من ضلع من
اضلاعه اليسرى فلم يوذه بشي ولو وجد الاذى لما عطف عليها ابدا فلما استيقظ قيل يا ادم ما
هذه قال حوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المراه خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها
وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها وقيل المراد من قوله وخلق منها زوجها اي من جنسها
وهو كقوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وقوله اذ بعث فيهم رسولا منهم وقوله لقد
جاءكم رسول من انفسكم قيل القول الاول اقوى لانه لو كان حوا مخلوقه ابتدا لكان الناس مخلوقين
من نفسين لا من نفس واحده ولقايل ان يقول من لابتدا الغايه فلما كان ابتدا التخليق والايجاد وقع
بادم يصح ان يقال خلقكم من نفس واحده والناس اما ان يراد به العموم فيكون مفعول
خلقكم جميع بني ادم وحينيذ يكون قوله وخلق منها زوجها معطوفا على محذوف كانه قيل خلقكم
من نفس واحده والناس اما ان يراد به العموم فيكون مفعول خلقكم جميع بني ادم وحينيذ يكون
قوله وخلق منها زوجها معطوفا على محذوف كانه قيل خلقكم من نفس واحده انشاها او ابتداها
وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحده هذه صفتها
وهي انه انشاها من تراب وخلق زوجها حوا منها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور
والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها واما ان يراد بالناس المعهودون
الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون مفعول خلقكم هم المخاطبون الذين
بعث اليهم رسول الله والمعنى خلقكم من نفس ادم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق
منها زوجها حوا امكم فعلى الاول يلزم الاضمار وعلى الثاني التخصيص وعلى التقديرين
لا يلزم التكرار بعطف الشي على نفسه اما على الاول فلانه معطوف على المحذوف لا على المذكور
واما على الثاني فلان المراد بالثاني غير الاول فعلى الاول المعطوفان داخلان تحت الصله فلا
يكون خلق منها زوجها مستقلا بنفسه وعلى الثاني مستقل في الدلاله لانه عطف على الصله وقيل
يصح ان يعطف قوله وخلق منها زوجها على خلقكم من غير تخصيص ولم يلزم تكرار اذ لا يفهم
من خلق بني ادم من نفس واحده خلق زوجها منها ولا خلق الرجال والنسا من الاصلين جميعا وقيل
يحتمل ان يقال ان الواو في قوله وخلق واو الحال اي خلقكم من نفس واحده وقد خلق
منها زوجها وحينيذ لا حاجة الى الاضمار او التخصيص قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونسا
بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والروح المخلوقه منها رجالا كثيرا
ونسآ والبث تفريق الاشيا يقال بث الخيل في الغاره وبث الصياد كلابه وخلق الله الخلق فبثهم
في الارض وبثثت البسط اذا نشرتها فقال الامام وانما لم يقل وبث منهما الرجال والنساء
لانه يقتضي كونهما مبثوثين عن نفسيهما وذلك محال فلهذا عدل عن ذكر اللفظ الى قوله
وبث منهما رجالا كثيرا ونسا فان قيل لم لا يقال وبث منهما رجالا ونسآ كثيره ولم خص وصف
الكثير بالرجال دون النسآ قلنا السبب فيه ان شهوة الرجال اتم فكانت كثرتهم اظهر واعرف
فلا جرم خصوا بوصف الكثره وهذا كالتنبيه على ان اللايق بحال الرجال الاشتهار والخروج
والبروز واللايق بحال النسا الاختفا والخمول وذكر كثيرا حملا على الجمع اعلم ان الذين يقولون ان

ان جميع الاشخاص البشريه كانوا كالذر وكانوا اجمعين فى صلب ادم عليه السلام حملوا قوله وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء على ظاهره والذين لم يقولوا بذلك حملوا قوله وبث منهما على سبيل المجاز اى بث منهما اولادهما
ومن اولادهما جمعا اخرين وكان الكل مضافا اليهما على سبيل المجاز قوله واتقوا الله كرر الامر بالاتقاء
تاكيدا وتنبيها لنفوس المامورين والذى فى موضع نصب على النعت قوله تساءلون قرا ابن كثير ونافع
وابن عامر وابو عمرو بابدال التاء الثانيه من تتساءلون سينا وادغام السين فى السين والباقون بسين مخففه
حذف التاء تخفيفا فهذه تاء تتفاعلون تدغم فى لغه وتحذف فى اخرى لاجتماع حروف متقاربه والمعنى
يسال بعضكم بعضا بالله وبالارحام فيقول بالله والرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانشدك الله
والرحم ويحتمل ان يقال تتفاعلون مع يفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وترائيناه فيكون معناه وتسالون عنكم
بالله والرحم وقيل القسم جمله انشائيه يوكد بها جمله اخرى فان كانت خبريه فهو القسم لغير الاستعطاف
وان كانت طلبيه فهو للاستعطاف مستفاد من اللفظ يشعر بالعطف والحنو ومعنى الاستعطاف
هاهنا ماخوذ من لفظ الله والرحم ونشدتك بالله والرحم قرا غير حمزه الارحام بالنصب على وجهين
اما ان يعطف على الله اى واتقوا الله والارحام ان تقطعوها او ان يعطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا وحمزه بالجر وقد رويت هذه القراءه عن غير القراء السبعه عن مجاهد وقتاده والنخعى
والاعمش ويحيى بن وثاب وطلحه بن مصرف قيل بالعطف على الضمير المجرور فى به على معنى وبالارحام كما يقال
سالتك بالله والرحم ونشدتك بالله والرحم والمعنى على القراءه الاولى فى الوجه الاول واتقوا الله الذى
تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها وعلى القراءه الثانيه والوجه الثانى من القراءه الاولى
واتقوا الله الذى تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد اذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه
بان صلة الارحام من الله بمكان كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا والقراءه الاولى اصح
وافصح وان كانت هذه القراءه صحيحه وفصيحه لان العرب لا تكاد تعطف المظهر على المضمر المجرور الا ان يعيدوا
الخافض فيقولوا مررت به وبزيد او ينصبوا كقول الشاعر ياقوم مالى وابا ذويب لكن جارى مع قلته
وقد ورد فى الشعر فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب وانشد الفراء لبعض
الانصاره تعلق فى مثل السوارى سيوفنا وما بينها والكعب غوص نفانف قال الشاعر اذا اوقدوا نارا
لحرب عدوهم فقد خاب من يصلى بها وسعيرها وروى بانه عمر وفرسه بالجر وذهب الاكثرون من النحويين
الى ان جر الارحام فاسد لانه يقتضى عطف الظاهر على المضمر المجرور بلا اعادة الخافض ولا يصح قال صاحب
الكشاف لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشئ واحد فكانا فى قولك مررت به وبزيد وهذا
غلامه وغلام زيد الا ترى الى قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر
ولقائل ان يقول لا نسلم انه اشبه العطف على بعض الكلمه فان بعض الكلمه ليس بكلمه بخلاف المجرور فانه
كلمه بل اسم فكيف يشبه الاسم ما ليس بكلمه فان اعتبر الشبه من حيث انه لفظ متصل فهذا الشبه لا يقتضى ان
يلحق به فى عدم جواز العطف على انه قياس فى اللغه وهو غير معتبر وقيل البصريون وساوهم
قراءة الجر لحن لا تجوز القراءه به والكوفيون قالوا قبيح ولم يزيدوا على هذا ولم يذكروا علة
قبحه وقال سيبويه لا يعطف الظاهر على المضمر المجرور لانه بمنزلة التنوين والتنوين لا يعطف
عليه فهى عنده قبيحه لا تجوز الا فى الشعر وبيان كونه مشبها بالتنوين انه لا يستقل معه كلاما وهذا
ضعيف لان شبه ضمير الجر بالتنوين لا يصلح ان يكون مانعا من العطف عليه وذلك لان التنوين
انما لا يصح العطف عليه لان التنوين حرف ولا يصح العطف على الحرف لان العطف يقتضى مشاركة
المعطوفين فى الاعراب لفظا او تقديرا او محلا والحرف لا اعراب له لا لفظا ولا تقديرا ولا
محلا

ولا محلا بخلاف الضمير المجرور فانه اسم والاسم له اعراب لفظا او تقديرا او محلا وايضا القياس
على التنوين معارض بالقياس على المظهر المجرور والقياس عليه اقوى من القياس على التنوين لان المشابهه
بين المظهر والمضمر فى الذاتى والمشابهه بين المضمر والتنوين فى العرضى اعنى الاتصال وقيل المعطوف
والمعطوف عليه يتشاركان يحل كل واحد منهما محل الاخر فكما لا يجوز مررت بزيد وك لا يجوز مررت
بك وزيد وهذا ايضا ضعيف لانه قد يجوز فى باب العطف ما لا يجوز فى غيره نحو رب رجل واخيه وكل
رجل وضيعته ولا يجوز عكس ذلك لان رب وكل لا يدخلان مباشره الا على النكرات واذا بطل كون ما
تعللوا به مانعا وجب الاعتراف بصحة الجواز وعن العباس المبرد قال لو صليت خلف امام يقرا واتقوا الله الذى
تساءلون به والارحام بالجر لاخذت نعلى ومضيت قال الزجاج قراءة حمزه مع ضعفها وقبحها فى العربيه
خطا عظيم من جهه الدين لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحلفوا بابائكم فاذا عطفت الارحام على المضمر المجرور
يلزم منه جواز الحلف بالارحام ولقائل ان يقول هذا حكايه عن فعل كانوا يفعلونه فى الجاهليه لانهم كانوا
يقولون اسالك بالله والرحم وحكايه هذا الفعل منهم فى الماضى لا ينافى ورود النهى عنه فى المستقبل
وايضا النهى انما جا فى الحلف بغير الله وهذا توسل الى الغير بحق الرحم فلا نهى فيه وايضا الحديث
نهى عن الحلف بالاباء فقط وهاهنا ليس كذلك بل هو حلف بالله اولا ثم يقرن به بعده ذكر الرحم فهذا
لا ينافى مدلول الحديث وقيل الخفض فى والارحام على جهة القسم من الله تعالى على ما اختص به
من انفسهم بمخلوقاته ويكون المقسم عليه فيما بعد من قوله ان الله كان عليكم رقيبا وقد جا فى التنزيل
والنجم والطور والتين لعمرك قيل هذا الكلام يا باه نظم الكلام ويرده ولقائل ان يقول لا نسلم
ان نظم الكلام يرده ويا باه بل هو كلام ملايم لنظم الكلام على وفق البلاغه فانه لما بين ان المخاطبين
خلقهم من نفس واحده علم ان بينهم وصله ورحما وان خالقهم قادر مختار عالم بكل المعلومات
متفضل بخلقهم على هذا الوجه وبما فيه صلاح حالهم وامر المخاطبين بالتقوى فيما نهى عنه
وعلم ان لهم عنايه بوصلهم رحمهم فاقسم بالارحام على انه كان عليهم رقيبا كما اقسم بمخلوقاته
الداله على وحدانيته والارحام داله على ان الله تعالى كان عليهم رقيبا ولله ان يقسم بما شا
ولقائل ان يقول لما ثبت فى المقدمات ان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على المعنيين ويجوز
اطلاق اللفظ على مدلوليه الحقيقى والمجازى جاز ان يراد بالجر فى الارحام العطف على الضمير
المجرور والقسم من الله تعالى ليفيد انها من الله بمكان من جهة انه قرنها بنفسه وجعلها مقسما
بها وقيل صح قراءة الجار واعلم ان ما ذكره النحويون من عدم صحة قراءة الجر مردود اما اولا
فلانه ما اقاموا حجه على عدم صحتها وكل ما ذكروه من الدلايل مزيفه لا يعول عليها واما
ثانيا فلان ايمة الدين لا يجيز ولا يرد هذه القراءه بخرافات النحويين لان حمزه احد القرا السبعه
الذين قراءتهم متواتره عن النبى صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القطع بصحة هذه القراءه والقياس
المشتمل على الشرايط يتضائل عند السماع لا سيما مثل هذه الاقيسه التى هى اوهن من بيت العنكبوت
فمن رد هذه القراءه فقد رد عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا المقام محذور لا ينبغى ان
يقلد فيه ايمة اللغه والنحو فان العربيه تتلقى من القران والنبى صلى الله عليه وسلم والعجب من
هولا النحويين انهم يثبتون صحة اللغه ببيت من اشعار الجاهليه ولا يثبتون بقراءة حمزه وجماعة
من اكابر علما السلف فى علم القران واعلم ان المسلمين اتفقوا على ان صلة الرحم واجبه
وان قطيعتها محرمه وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاسماء بنت ابى بكر وقد سالته صلى
امك فامرها بصلتها وهى كافره فلتاكيدها دخل الفضل فى صلة الكافر ولهذا قال جماعة من العلما

الجر على تقدير تكرير جر

ترث ذوو الارحام اذا لم يوجد عصبة ولا صاحب فرض ومن اشترى ذا رحم محرم
يعتق عليه لحرمة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم من ملك ذا رحم محرم فهو حر وللعلماء فيه ثلثة
اقوال الاول انه مخصوص بالاصول والفروع وهو مذهب الشافعي والثاني الجناحان الاخوة
والثالث ذو رحم محرم وهو مذهب ابي حنيفة والرحم اسم لكافة الاقارب من غير فرق بين
المحرم وغيره وعن الحسن اذا سألك بالله فاعطه واذا سألك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش
ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل
بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا
لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله تعالى واتقوا الله
الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه
فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى
من الله قوله ان الله كان عليكم رقيبا والرقيب هو المراقب من رقبت الشيء رقبة اذا احددت النظر
بالبصر او بالبصيرة الى امر لتحققه على ما هو عليه ويعرف بذلك الحفظ والمشاهدة وفي عليكم ضرب
من الوعيد فيجب ان يكون المرء حذرا خائفا فيما يأتي ويترك قوله تعالى وآتوا اليتامى
اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا لما افتتح
السورة بذكر ما يدل على انه يجب على العبد ان يكون منقادا لتكاليف الله محترزا عن
مساخطه شرع بعد ذلك في بيان اقسام التكاليف فالنوع الاول ما يتعلق باموال اليتامى
ومعه هذه الاية ايضا انه تعالى وصى في الاية السابقة بالارحام فكذلك في هذه الاية
بالايتام لانهم قد صاروا بحيث لا كافل لهم ولا مشفق شديد الاشفاق عليهم قيل نزلت في رجل
من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول
نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوق
شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه
ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر
على والده لانه كان مشركا وآتوا خطاب لاولياء اليتيم والاوصياء وقوله اليتامى الذين
مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة واليتم في
الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار
لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه في العرف اختص هذا الاسم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال
فاذا صار بحيث يستغني بنفسه في تحصيل مصالحه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره زال عنه
هذا الاسم وقوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد حلم فهو تعليم الشريعة لا تعليم اللغة يعني اذا
احتلم فانه لا يجري عليه احكام الصغار فان قيل كيف جمع اليتيم على يتامى واليتيم فعيل يجمع
على فعلى كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وجريح وجرحى قال صاحب الكشاف فيه وجهان
الاول ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الافات والاوجاع ثم يجمع يتمى على يتامى
كاسارى والثاني ان يجعل على اساميا اجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس ثم يتامى
على القلب فان قيل قد ذكرتم ان اسم اليتيم مختص بالصغير فما دام يتيما لا يجوز دفع ماله اليه

بلغ ما صلح

واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فما معنى قوله وآتوا اليتامى
اموالهم اجيب عنه من وجوه منها انه سماهم يتامى على اصل اللغة ومنها انه تعالى
سماهم باليتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا باليتم وان كان قد زال في هذا الوقت كتسمية
الشيء باسم ما كان عليه كقوله تعالى فالقي السحرة ساجدين ولا سحر مع السجود ولكن سموا بما كانوا
عليه قبل السجود ولذلك قوله وآتوا اليتامى اموالهم اي ما كانوا يتامى اذا بلغوا وآنستم منهم رشدا
نظيره قوله وابتلوا اليتامى وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ
ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ومنها
ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته
ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تأتي الاموال اليتامى اذا بلغوا سالمة غير منقوصة قوله
ولا تتبدلوا اي ولا تستبدلوا مال اليتامى الذي هو حرام عليكم باموالكم الحلال عليكم
وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوا مال اليتيم مكان مالكم
واختلفوا في معنى هذا التبدل وكيفيته فقيل لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال
اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها فالتبدل بمعنى الاستبدال والتفعل
بمعنى الاستفعال غير عزيز بل ليس منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار فاكرم
السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد بالقوم ما استبدلته الدار واستخلفته
وقيل كان اولياء اليتامى واوصياؤهم يأخذون الجيد والرفيع من مال اليتيم ويجعلون
مكانه الردي والخسيس فربما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها
الشاة المهزولة ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم فذلك
تبدلهم فنهاهم الله عنها قال صاحب الكشاف وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم
صديقا له فيأخذ منه عجفا مكان سمينة من مال الصبي وقيل لا تتبدلوا اي لا تتعجلوا اكل
يتيمك الذي هو عندك وهو غير صغير وقيل كان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والصغار
وانما يأخذ الاكابر من الرجال الميراث فنصيب الرجال من الميراث طيب وما اخذوه من حق
اليتامى خبيث وقيل لا تأكلوا مال اليتيم بدلا من مالكم وقيل لا تستعجل الرزق الحرام قبل ان
يأتيك الحلال قوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم لقوله تعالى من انصاري
الى الله وقول الشاعر يسدون ابواب القباب بضمر الى عنن مستوثقات الاواصر اي مع
غيره والمعنى ولا تنفقوا اموالهم مع اموالكم وحقيقته ولا تضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق
حتى لا تفرقوا بين اموالهم واموالكم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بين ما لا يحل لكم وبين الحلال
فان قيل انه تعالى لما حرم عليهم اكل اموال اليتامى في الاية المتقدمة دخل فيه حرمة اكل مال
اليتامى وحده مع اموالهم فما الفائدة في ورود النهي عن اكل مال اليتامى مع اموالهم اجيب
بانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من اموالهم الحلال وهم على ذلك يطمعون
في اموال اليتامى كان القبح ابلغ والذم احق وبانهم يفعلون لذلك اي يأكلون اموال
اليتامى مع اموالهم فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم قيل طريق البلاغة الترقي بالنهي
عن الادنى تنبيها على الاعلى وههنا اعلى درجات النهي ان يأكل ماله وهو غني وادناها
اكله وهو فقير فيقال ما وجه وروده على عكس القانون وجوابه انه ابلغ الكلام ما تعددت
وجوه افادته وفي النهي عن الاعلى فائدة جليلة لا توجد في النهي عن الادنى فالمنهي عنه متى كان اقبح

كانت النفس منه انفر والاكل من الغير اقبح فاذا استبشع المنهي دعاه ذلك الى الاحجام عنه
وعن اكل ماله مطلقا ويويد هذا التخصيص النهي بالاكل مع ان وجوه الانتفاع به محرمة فان
العرب كانت تذم الاكثار من الاكل وتعيب على من جعل ذلك دابه بخلاف ساير الملاذ فخص
النهي بالاكل لانه افحش الملاذ حتى اذا نفرت النفس بمقتضى الطبع جرد لك النفور عن احد مال
اليتيم بساير الملاذ ومثله لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة ولا توجد مثل هذه المراعاة الا في الكتاب
العزيز قوله انه كان حوبا كبيرا الحوب الذنب العظيم وكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا والضمير
يعود الى الاكل فان قوله ولا تاكلوا دل على الاكل **قوله تعالى** وان خفتم الا تقسطوا في
اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم ذلك ادنى ان لا تعولوا واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا
مريا وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جزا وللمفسرين في كيفية تعلق هذا الجزا بهذا الشرط اقوال
منها قيل روي عن عروة انه قال قلت لعايشة ما معنى قول الله وان خفتم الا تقسطوا فقالت يا ابن
اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من صداقها
ثم اذا تزوج عاملها معاملة ردية لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك
الزوج عنها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا من غيرهن ما
طاب لكم من النسا قالت عايشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية فيهن
فانزل الله تعالى ويستفتونك في النسا قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النسا المراد منه
هذه الاية وهي قوله وان خفتم ان لا تقسطوا وقيل لما نزلت الاية المتقدمة في اليتامى وما في اموالهم
من الحوب الكبير خاف الاوليا ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من
ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج واكثر والثماني والست فلا يقوم
بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى اي لا تعدلوا فيهن فخافوا في النسا
ان لا تعدلوا فيهن ولا تزوجوا اكثر مما يمكنكم امساكهن والقيام بحقهن لان النسا كاليتامى في الضعف
والعجز فما لكم تراقبون الله في شي وتعصونه في مثله وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون
ولاية اليتامى فقيل ان خفتم وتحرجتم من ولاية اليتامى واموالهم ايمانا فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا
ما حل لكم من النسا ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النسا والاكثر
والاقل فاذا انفق ماله نفسه على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا اخذ في انفاق اموال
اليتامى على النسا فقيل لهم امسكوا عن النسا ولا تزيدوا على الاربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى عند
كثرة الزوجات وقيل انهم تحرجوا من نكاح اليتامى كما تحرجوا من اموالهم فرخص الله لهم بهذه الاية فيهن وقصر
عن عدد يمكنهم العدل فيهن فكانه قيل وان خفتم يا اوليا اليتامى في اليتامى اللاتي انتم ولاتهن الا تقسطوا
فانكحوهن ولا تزيدوا على اربع لتعدلوا فان خفتم ان لا تعدلوا فيهن فواحدة فذكر الطرف الزايد وهو
الاربع والناقص وهو الواحد ونبه بذلك ما بينهما فكانه قال فان خفتم من الاربع فثلاث وان خفتم
فاثنتان وان خفتم فواحدة قوله فانكحوا ايد لـ عند اصحاب الظاهر على وجوب النكاح لان ظاهر الامر
للوجوب وتمسك الشافعي في بيان انه ليس بواجب بقوله تعالى فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات فمما ملكت ايمانكم الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم فحكم الله بان ترك النكاح
في هذه الصورة خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بمندوب فضلا عن ان يقال انه واجب
قوله ما طاب قيل ما ذهابا الى الصفة نحو قوله سبحان ما سخركن لنا وتخصيصه بحسب المقام
وقيل

بها

وقيل لان الاناث من العقلا يجرين مجرى غير العقلا ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم وقيل
اراد به الفعل اي النكاح دون اعيان النسا اي فانكحوا النكاح الذي طاب لكم من النسا وهذا
كما تقول خذ من رقيقي ما اردت وقيل انه اراد به الجنس تقول ما عندك فتقول رجل او
امراة والمعنى ما ذلك الشي الذي عندك وما تلك الحقيقة التي عندك وقيل ما بمعنى
المصدر اي فانكحوا الطيبة من النسا وقيل من وما ربما يتعاقبان اي العرب تعقب ما من ومن ما
قال تعالى والسما وما بناها ولا انتم عابدون ما اعبد وحكى ابو عمرو بن العلا ان اهل
مكة اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبح الرعد بحمده وقال تعالى قال فرعون وما رب
العالمين وقال ومنهم من يمشي على بطنه قوله طاب اي حل اي ما حل لكم من النسا لان منهن من
يحرم نكاحها وهي الانواع المذكورة في قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم قال الامام وهذا عندي
فيه نظر وذلك لانا بينا ان قوله فانكحوا امر اباحة فلو كان المراد بقوله ما طاب لكم اي ما حل
لنزلت الاية منزلة ما يقال ابحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم وذلك يخرج الاية عن
الفايدة وايضا فبتقدير ان نحمل الاية على ما ذكروه تصير الاية مجملة لان اسباب الحل والاباحة
لما لم يكن مذكورة في هذه الاية صارت الاية مجملة لا محالة اما اذا حملنا الطيب على استطابة النفس
وميل القلب كانت الاية عاما دخله التخصيص وقد ثبت في اصول الفقه انه متى وقع التعارض
بين الاجمال والتخصيص كان دفع الاجمال اولى لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل
لا يكون حجة اصلا قوله مثنى وثلاث ورباع معناه اثنتين اثنتين وثلثا وثلثا واربعا واربعا
فهي معدولة عن اعداد مكررة وقيل انما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها
عن تكررها وذلك لانها معدولة عن اصولها وهي اثنان وثلاثة واربعة وعن تكررها
فانك لا تريد بقولك مثنى ثنتين فقط بل ثنتين ثنتين فاذا قلت جاني اثنان كان غرضك الاخبار عن مجي
هذا العدد فقط اما اذا قلت جاني القوم مثنى افاد ان ترتيب مجيهم وقع اثنين اثنين فثبت
انه حصل في هذه الالفاظ نوعان من العدل وقيل ان المانع من الصرف تكرار العدل لانه
معدول في اللفظ عن اثنين وفي المعنى عن اثنين اثنين وقيل ممنوع من الصرف لانه اجتمع
فيه امران العدل والوصف اما العدل فلانه عبارة عن ذكر اسم وارادة اسم اخر كما تقول
عمر وزفر وتريد به عامرا وزافرا فكذا ههنا تريد بقولك مثنى ثنتين ثنتين وكان معدولا
واما انه وصف فدليله قوله تعالى اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع وهن نكرات تعرفن بلام
التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب
تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا
اربعا فان قيل الذي اجيز وابيح للناكح في الجمع ان يجمع بين اثنين او ثلاث او اربع فما
معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع اجيب بان الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب
كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي ابيح له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا
المال درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى
فان قيل فلم جا العطف بالواو دون او اجيب بانه كما جا بالواو في المثال الذي
ذكر ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلثة ثلثة او اربعة اربعة علمت
انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا
بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع

القسمة الذي دلت عليه الواو وتحرير ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا
نكاحها من النسا على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا
عليهم ما وراء ذلك قيل قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا لا يتناول العبيد لان الخطاب انما
يتناول انسانا اذا طابت له امراة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يتمكن من
النكاح الا باذن مولاه شاهده قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي فقوله
لا يقدر على شي ينفي كونه مستقلا بالنكاح وقوله صلى الله عليه وسلم ايما عبد تزوج بغير اذن
مولاه فهو عاهر فذهب اكثر الفقها الى ان نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد
وقال مالك للعبد ان يتزوج بالاربع وتمسك بظاهر الاية والجواب الذي يعتمد عليه
ان الشافعي احتج على ان هذه الاية مختصة بالاحرار بوجهين اخرين سوى ما ذكرنا الاول
انه تعالى قال بعد هذه الاية فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا
يكون الا للاحرار والثاني انه تعالى قال فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا
والعبد لا ياكل ما طابت عنه نفس امراته من المهر بل يكون لسيده قال مالك اذا ورد عموما ان
مستقلان فدخول التقييد في الاخير لا يوجب دخوله في السابق اجاب الشافعي بان هذه
الخطابات في هذه الايات وردت متوالية على نسق واحد فلما عرف في بعضها اختصاصها
بالاحرار عرف ان الكل كذلك ومن الفقها من قال ظاهر هذه الاية متناول للعبيد لكن
خصص هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان للرق تاثيرا في نقصان حقوق النكاح كالطلاق
والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر والجواب
الاول اقوى ذهب قوم الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد واحتجوا بهذه الاية
بان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا اطلاق في جميع الاعداد بالذكر لا ينفي ثبوت
الحكم في الباقي بل نقول ان ذكر هذه الاعداد يدل على رفع الحرج والحجر مطلقا فان
الانسان اذا قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى
البستان كان تنصيصا في تفويض زمام الخيرة اليه مطلقا ورفع الحجر والحرج عنه مطلقا
ولا يكون ذلك تخصيصا للاذن بتلك الاشيا المذكورة بل كان اذنا في المذكور
وغيره فكذا ههنا وايضا فذكر جميع الاعداد متعذر فاذا ذكر بعض الاعداد بعد
قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا كان ذلك تنبيها على حصول الاذن في جميع الاعداد
وبان الواو للجمع المطلق فقوله مثنى وثلاث ورباع يفيد حل هذا المجموع وهو يفيد تسعة
بل يفيد ثمانية عشر لان قوله مثنى ليس عبارة عن اثنين فقط بل عن اثنين اثنين وكذا القول
في الباقين وبانه ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع ثم ان الله امر باتباعه
فقال فاتبعوه واقل مراتب الامر الاباحة وبان سنة الرسول طريقته وكان التزوج
بالاكثر من الاربع طريقته فكان ذلك سنة له ثم قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن
سنتي فليس مني واعلم ان اعتماد الفقها في اثبات الحصر على امرين الاول الخبر وهو ما
روي ان غيلان اسلم وتحته عشر نسوة فقال عليه السلام امسك اربعا وفارق سايرهن
قيل هذا الطريق ضعيف من وجهين احدهما ان القران لما دل على عدم الحصر فكان هذا
الخبر نسخا للقران بخبر الواحد وهو غير جائز وثانيهما ان هذا الخبر واقعة حال
فلعله عليه السلام انما امره بامساك اربع ومفارقة البواقي لان الجمع بين الاربع وبين

البواقي

البواقي غير جائز اما بسبب النسب او بسبب الرضاع وبالجملة فهذا الاحتمال قائم في هذا الخبر
فلا يمكن نسخ القران بمثله والثاني وهو اجماع فقها الامصار على انه لا يجوز الزيادة على الاربع وهذا
هو المعتمد وفيه سوالان الاول ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ فكيف يقال الاجماع نسخ هذه الاية الثاني ان
في الامة اقواما لا يقولون بحرمة الزيادة على الاربع والاجماع مع مخالفة الواحد والاثنين لا ينعقد
والجواب عن الاول ان الاجماع يكشف عن حصول الناسخ في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الثاني
ان مخالف هذا الاجماع من اهل البدعة فلا عبرة بمخالفته والحق ان الخبر والاجماع مخصص لا ناسخ
ويجوز تخصيص الكتاب بالاجماع وبالخبر الواحد قوله فان خفتم اي فان خفتم الا تعدلوا بين هذه
الاعداد كما خفتم الا تعدلوا فيما فوقها فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر
كله يدور على العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة
واليسر بين الواحدة وبين الاما من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واخف
مونة من المهاير لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل وبالجملة لا يلزم فيهن
من الحقوق ما يلزم في الحراير ولا قسمة فيهن عليكم ولا رقيب عليكم في عددهن ذلك اشارة الى اختيار
الواحدة او التسري ادنى اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل
وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت
عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعولوا الا تجوروا وفي رواية
اخرى عنها الا تميلوا واكثر المفسرين على هذا قال الشاعر قالوا اتبعنا رسول الله واطرحوا قول
الرسول وعالوا في الموازين وقال ابو طالب بميزان صدق لا يغل شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل
وقيل ذلك ادنى ان لا تضلوا وقيل ان لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم واصل العول المجاوزة
ومنه عول الفرايض ونقل عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر الا تعولوا الا تكثر عيالكم قال
ابو بكر الرازي في احكام القران وقد خطاه الناس في ذلك من ثلثة اوجه احدها انه لا خلاف
بين السلف وكل من روي عنه تفسير هذه الاية ان معناه ان لا تميلوا ولا تجوروا وثانيها انه خطا
في اللغة لانه انما يقال اعال يعيل اعالة اذا كثر عياله وثالثها انه تعالى ذكر الزوج الواحدة
وملك اليمين والاما في العيال بمنزلة النسا ولا خلاف ان له ان يجمع من شا بملك اليمين فعلمنا
انه ليس المراد كثرة العيال وقد زيد وجه رابع في الطعن وهو انه تعالى قال في اول الاية
فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ولم يقل ان تفتقروا فوجب ان يكون الجواب معطوفا على هذا
الشرط ولا يكون جوابه الا بضد العدل وذلك هو الجور لا كثرة العيال قال الامام اما السوال
الاول فهو في غاية الركاكة لانه لم ينقل عن الشافعي رضي الله انه طعن في قول المفسرين ان
معنى الاية ان لا تجوروا ولا تميلوا ولكنه ذكر فيه وجها اخر وقد ثبت في اصول الفقه ان
المتقدمين اذا ذكروا وجها في تفسير الاية فذلك لا يمنع المتاخرين من استخراج وجه اخر
في تفسيرها ولولا ذلك والا لصارت الدقايق التي استنبطها المتاخرون في تفسير كلام
الله مردودة باطلة ومعلوم ان ذلك لا يقوله الا مقلد جلف واقصى فهم الذي اخبر
الرازي ان هذا الوجه الذي ذكره الشافعي لم يذكره احد من الصحابة والتابعين وكيف لا
نقول ذلك ومن المشهور ان طاوسا كان يقرا ذلك ادنى ان لا تعيلوا فثبت بهذه
شدة جهل الرازي في هذا الطعن واما السوال الثاني فنقول انك تقول ان هذه
اللفظة خطا في اللغة ونقل ذلك عن المبرد لكنا لجهلك وحرصك في الطعن

في رؤسا المجتهدين والاعلام وشره بلادتك ما عرفت ان هذا الطعن الذي ذكره المبرد
فاسد وبيان فساده من وجوه الاول انه تعالى قال عالت المسله اذا زادت سهامها ولزت وهذا
المعنى قريب من الميل لانه اذا مال فقد كثرت جهات الرغبه وموجبات الاراده واذا كان كذلك
كان معنى الايه ذلك ادنى ان لا تكثروا واذا لم يكثروا لم يقع الانسان في الجور والظلم
لان مظنه الجور والظلم هي الكثره والمخالطه وبهذا الطريق يرجع هذا التفسير الى قريب من التفسير
الاول الذي اختاره الجمهور الوجه الثاني ان الانسان اذا قال فلان طويل النجاد
كثير الرماد فاذا قيل ما معناه حسن ان يقال معناه انه طويل القامه كثير الضيافه وليس المراد
منه ان تفسير طويل النجاد هو انه طويل القامه بل المراد منه ان المقصود من ذلك الكلام
هو هذا المعنى ومن الكلام الذي يسميه علما البيان التعبير عن الشي بالكنايه والتعريض
وحاصله يرجع الى حرف واحد وهو الاشاره الى الشي بذكر لوازمه فههنا كثره العيال
كنايه عن الميل والجور لما ان كثره العيال لا تنفك عن الميل والجور فجعل هذا التفسير الا على سبيل
المطابقه بل على سبيل الكنايه والاستلزام وهذه طريقه مشهوره في كتاب الله فالشافعي لما كان
محيطا بوجوه اساليب كلام العرب استحسن ذكر هذا الكلام فاما ابو بكر الرازي لما كان بليد
الطبع بعيدا عن اساليب كلام العرب لا جرم لم يعرف الوجه الحسن فيه الوجه الثالث
ما ذكره صاحب الكشاف وهو ان هذا التفسير ماخوذ من قولك عال الرجل عياله يعولهم
كقولهم مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه
المحافظه على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب فثبت بهذه الوجوه ان الذي
ذكره امام المسلمين الشافعي رضي الله عنه في غايه الحسن وان الطعن لا يصدر الا عن كثره الغباوه
وقله المعرفه واما السوال الثالث وهو قوله ان كثره العيال لا تختلف بان تكون المراه
زوجا او مملوكه فجوابه من وجهين الاول ما ذكره القفال وهو ان الجواري اذا كثرن فله ان
يكلفهن الكسب واذا اكتسبن انفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا وحينيذ تقل العيال
اما اذا كانت المراه حره لم يكن الامر كذلك فظهر الفرق الثاني ان المراه اذا كانت مملوكه
فاذا عجز المولى عن الانفاق عليها باعها وتخلص منها واما اذا كانت حره فلا بد له من الانفاق
عليها والعرف يدل على الزوج ما دام يمسك الزوجه فانها لا تطالبه بالمهر فاذا حاول
طلاقها طالبته بالمهر فيقع الزوج في المحنه واما السوال الرابع فالجواب عنه من وجهين
الاول ما ذكره القاضي وهو ان الوجه الذي ذكره الشافعي ارجح لانه لو حمل على الجور
لكان تكرارا لانه فهم ذلك من قوله فان خفتم الا تقسطوا اما اذا حملناه على ما ذكره الشافعي لم
يلزمه التكرار فكان اولى الثاني ان نقول هب ان الامر كما ذكرتم لكن بينا ان التفسير الذي
ذكره الشافعي راجع عند التحقيق الى ذلك التفسير الاول لكن على سبيل الكنايه والتعريض واذا
كان كذلك فقد زال هذا السوال فهذا تمام البحث في هذا الموضع قوله تعالى
واتوا النسا صدقاتهن نحله فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا قيل هذا الخطاب
للاوليا وذلك لان العرب كانت في الجاهليه لا تعطي النسا من مهورهن شيا وولي المراه كان اذا
زوجها فان كانت معهم في العشيره لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان زوجها غريبا حملوها
اليه على بعير ولا يعطوها من مهرها غير ذلك ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له بنت
هنيا لك النافجه ومعناه انك تاخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفجها اي

تعطيها

هذا صح

ان صح

تعظمها وتكثرها والنافجه ما ياخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله تعالى الاولياء
عن ذلك وامرهم بان يعطوا الحق الى اهله وقيل الخطاب للازواج امروا بايتا نسايهم مهورهن
وهذا اوضح واصح وعليه الاكثرون وبظاهر الايه اشبه لان الله تعالى خاطب الناكحين فيما قبله
فهذا ايضا خطابهم والصدقات المهور واحدها صدقه قيل موضوع ص د ق على هذا
الترتيب للكمال والصحه فسمي المهر صداقا وصدقه لان عقد النكاح به يتم وقيل يحتمل ان يكون المراد
بالايتا المناوله ويحتمل ان يكون المراد منه الالتزام قال تعالى حتى يعطوا الجزيه عن يد اي يلتزموها
فعلى الاول امروا بدفع المهور التي قد سموها لهن وعلى الثاني امروا بالتزام المهور على معنى ان
الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سوا سمي ذلك او لم يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم
في الموهوبه ويجوز ان يكون الكلام جامعا للوجهين معا قوله نحله اي عطيه وهبه
من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبه من نفسه نحله ونحلا ومنه حديث
ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعاليه وانتصابها على المصدر لان
النحله والايتا بمعنى الاعطا فكانه قيل وانحلوا النسا صدقاتهن نحله اي اعطوهن مهورهن
عن طيبه انفسكم او على الحال من المخاطبين اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء
او على الحال من صدقاتهن اي منحوله معطاه عن طيبه الانفس وقيل اذا كانت نحله حالا من
صدقاتهن يكون معناه نحله من الله عطيه من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل نحله فريضه لان
النحله لغه الديانه والمله والشرعه والمذهب ونحله الاسلام خير النحل يقال فلان ينتحل
كذا اي يدين به ونحلته كذا اي دينه ومذهبه والمعنى واتوا النسا صدقاتهن ديانه
وشرعا على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من صدقاتهن اي دينا من الله شرعه وفريضه
فان ما هو دين ومذهب فهو فريضه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان احق الشروط ان يوفى به
ما استحللتم به الفروج وعنه عليه السلام من اراد ان يدين وهو يجمع ان لا يوديه لقي الله سارقا
ومن اصدق امراه صداقا وهو مجمع ان لا يوفيه لقي الله زانيا وعند ابي حنيفه الخلوه
الصحيحه تقرر المهر لان هذه الايه تقتضي ايجاب ايتا المهر مطلقا ترك العمل بها اذا لم يحصل
المسيس ولا الخلوه فعند حصولها وجب البقا وعند الشافعي لا يتقرر فان قوله تعالى
فان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضه فنصف ما فرضتم يدل على انه
لا يجب فيها الا نصف المهر وهذه الايه خاصه ولا شك ان الخاص مقدم على العام
قوله فان طبن لما امر الازواج بايتا صدقاتهن عقبه بذكر قبول ابرائها وهبتها له
لئلا يظن ان عليهم ايتاها وان طابت نفسها ببره اي فان طابت نفوسهن بشي من ذلك
فوهبن والضمير في منه جار مجرى اسم الاشاره كانه قيل عن شي من ذلك كما قال تعالى
قل اونبيكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعه من افواه العرب ما روي
عن روبه انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذلك
وقيل الضمير في منه راجع الى الصداق الذي هو في معنى الصدقات لانك لو قلت
واتوا النسا صداقهن لم يختل المعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين
كانه قيل اصدق قوله نفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل
عليه والمعنى فان وهبن لكم شيا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات
بما يضطرهن الى الهبه من شكاسه اخلاقكم وسو معاشرتكم قيل والمعنى فان طابت نفوسهن

لسى من ذلك نوهبن منكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسره ولذلك وحد
النفس كما يقال ضاق به ذرعا وقر به عينا قال تعالى وضاق بهم ذرعا وقري عينا وقيل لفظها واحد
ومعناها جمع والعرب تقول ذلك كثيرا قال الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها
فصليب وقال اخر في حلقكم عظم وقد شجينا وقيل اراد بالنفس الهوى والهوى مصدر والمصدر
لا يثنى ولا يجمع قوله فكلوه اى فان طبن لكم شيا من الصداق فانفقوا قيل فان وهبت له ثم طلبت منه بعد
الهبه علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطيه اعطتها اياه
وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال
لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا
من ال ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد
الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبه بها نفسها فقال عبد الملك فاين الايه التي بعدها فلا
تاخذوا منه شيا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النسا يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت
ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس انه سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الايه
فقال اذا جادت لزوجها بالعطيه طايعه غير مكرهه لا يقضي به عليكم سلطان ولا يواخذكم
الله به في الاخره وقيل ان اناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شي مما ساق الى امراته فقال
تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا من غير اكراه ولا خديعه فكلوه هنيا مريا اى سايغا طيبا
وفي الايه دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس
فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب
طيبه وقيل فان طبن لكم عن شي منه ولم يقل فان طبن لكم عنها بعثا لهن على تقليل الموهوب
وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا في اليسير ولا تعتق في بيت زوجها سنه ويجوز ان يكون
تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو انث لتناول
ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحده منها فصاعدا قوله هنيا مريا هنو الطعام
يهنو هناه اى صار هنيا ولذلك هني الطعام مثل فقه وفقه قال الاخفش هناني الطعام
يهنيني ويهناني ولا نظير له في المهموز هنا وهنا وتقول هنيت الطعام اى تهنات به وكلوه
هنيا مريا وكل امر ياتيك من غير تعب فهو هني وكذلك المهنا الطعام يمرو مراه صار مريا
وكذلك مرو الطعام قال الاخفش كما تقول فقه وفقه يكسرون القاف ويضمونها
ومراني الطعام يمراني مرا وقال بعضهم امراني الطعام وقال الفرا يقال هناني الطعام
ومراني اذا اتبعوها هناني قالوها بغير الف فاذا افردوها قالوا امراني وهو طعام
ممري ومريت الطعام استمراته والهني والمري صفتان من هنو الطعام ومرو اذا كان
سايغا لا تنغص فيه وقيل الهني ما يلذه الاكل والمري ما يحمد عاقبته التام الهضم الذي لا يضر
ولا يودي وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعده المري لمرو
الطعام فيه وهو انسياغه وقيل الذي لا يخاف في الدنيا به مطالبه ولا في الاخره تبعه وهما وصف
للمصدر اى اكلا هنيا مريا او حال من الضمير اى كلوه هنيا مريا وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيا
مريا على الدعا على انهما صفتان اى يكون الدعا بالمصدر كقولهم سقيا ورعيا اقيما مقام المصدر
كانه قيل هنا مرا وهذه عباره عن التحليل والمبالغه في الاباحه وازالة التبعه وليس المراد بقوله
فكلوه نفس الاكل بل المراد حل التصرفات والانفاق وانما خص الاكل بالذكر لانه معظم المقصود

ولا

ولا فرق بين الدين والعين لان الله تعالى لم يفرق بين الحالتين وعلم من الايه جواز هبتها المهر للزوج
وجواز ان ياخذه الزوج **قوله تعالى** ولا توتوا السفها اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم
فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وجه تعلق هذه الايه بما قبلها انه تعالى كانه يقول اني وان
امرتكم بايتا اليتامى اموالهم وبدفع الصدقات الى النسا فانه انما قلت ذلك اذا كانوا عاقلين بالغين
متمكنين من حفظ اموالهم فاما اذا كانوا غير بالغين او بالغين غير عاقلين او بالغين عاقلين لكن كانوا سفها
مسرفين فلا تدفعوا اليهم اموالهم وامسكوها لاجلهم الى ان يزول عنهم السفه والمقصود من كل ذلك
الاحتياط في حفظ اموال الضعفا والعاجزين قيل الخطاب للاوليا اى ايها الاوليا لا توتوا الذين
تحت ولايتكم وكانوا سفها اموالهم يدل عليه قوله وارزقوهم واكسوهم فان قيل فعلى هذا كان يجب
ان يقال ولا توتوا السفها اموالهم فكيف اضاف الاموال الى الاوليا اجيب بان الاموال اضاف اليهم
لانها الجنس الذي جعله الله اموالا للناس ويقيمون به معايشهم كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم ردها الى
الجنس وقال فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات وقال لقد جاكم رسول من انفسكم وقال ثم انتم هولا
تقتلون انفسكم فكذا ههنا المال شي ينتفع به نوع الانسان ويحتاج اليه فلاجل هذه الوحده النوعيه حسنت
اضافة اموال السفها الى اوليايهم وقيل انه تعالى اضاف الاموال اليهم لا لانهم ملكوها بل لانهم ملكوا
التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافه ادنى سبب وقيل ان هذه الايه خطاب للابا فنهاهم الله اذا كان اولادهم
سفها لا يستقلون بحفظ المال واصلاحه ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم لما كان في ذلك من الافساد
فعلى هذا الوجه يكون اضافه الاموال الى الاوليا حقيقه ويكون الغرض من الايه الحث على حفظ
المال والسعي في ان لا يضيع ولا يهلك وذلك يدل على انه ليس له ان ياكل جميع امواله ويهلكها واذا
قرب اجله فانه يجب عليه ان يوصي بماله الى من يحفظ ذلك المال على ورثته والقول الاول ارجح لان النهي
للتحريم ظاهرا والاجماع على انه لا يحرم على الاب ان يهب من اولاده الصغار ومن النسوان ما شا من
امواله والاجماع على انه يحرم على الولي ان يدفع الى السفها اموالهم فتعين حمل الايه على الاول ولانه قال
في اخر الايه وقولوا لهم قولا معروفا وهذه الوصيه بالايتام اشبه لان المر مشفق بطبعه على ولده فلا
يقول له الا المعروف وانما يحتاج الى هذه الوصيه مع الايتام الاجانب ويجوز ان يحمل الايه على
الوجهين قيل هذا بعيد لانه يقتضي حمل قوله اموالكم على الحقيقه والمجاز جميعا قيل يمكن ان يجاب عنه بان
قوله اموالكم يفيد كون تلك الاموال مختصه بهم اختصاصا يمكنه التصرف فيها ثم ان هذا الاختصاص
حاصل في المال الذي يكون مملوكا له او في المال الذي يكون مملوكا للصبي لكن تحت تصرفه فهذا التفاوت
واقع في امر خارج من المعنى المستفاد من قوله اموالكم واذا كان كذلك لم يبعد حمل اللفظ عليهما من
حيث ان اللفظ افاد معنى واحدا مشتركا بينهما والاولى ان يقال لا امتناع في حمل اللفظ على المفهوم
الحقيقي والمجازي جميعا واختلفوا في المراد بالسفها فقيل هم النسا سوا كن ازواجا او امهات او بنات
فانه عمد رجل فدفع ماله الى امراته فوضعته في غير الحق فانزل الله تعالى هذه الايه يدل على هذا ما
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا انما خلقت النار للسفها يقولها ثلثا الا وان السفها النسا وجاز ان
يجمع السفيهه على سفها كما جا الفقرا في جمع الفقيره وقيل اراد بالسفها ههنا الاولاد يقول لا تعطوا
ولدكم السفيه اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيفسده وقيل هم النسا والصبيان اى اذا علم الرجل
ان امراته سفيهه مفسده وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده
قال قتاده امر الله بهذا المال ان يخزن فتحسن خزانته فلا يملكه المراة السفيهه والغلام السفيه فيبذره
قال عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل عن الضحاك لا تعطوا نساكم وابناكم اموالكم فيكونوا

فيكونوا عليكم اربابا عن ابن عباس لا تعمد الى مالك الذى خولك الله وجعل لك معيشته فتعطيه امراتك
وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما فى ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن انت
الذى تنفق عليهم فى رزقهم وكسوتهم ومونتهم قال الشعبى لا تعطى المراة مالها حتى تتزوج وان قرات التورية
والانجيل والفرقان ولا يعطى الغلام ماله حتى يحتلم وقيل السفها المبذرون اموالهم الذين ينفقونها
فيما لا ينبغى ولا يدى لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها فيتناول النساء والصبيان والايتام وكل من كان
موصوفا بهذه الصفة والاولى ان يحمل السفها على هذا لان التخصيص بغير دليل لا يجوز لان السفه خفة
العقل ولذلك سمى الفاسق سفيها لانه خفيف العقل عند اهل الدين والعلم قال الامام انه تعالى امر
المكلفين فى مواضع من كتابه بحفظ الاموال منها قوله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين وقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا وقوله
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقد رغب الله فى حفظ المال فى اية المداينة حيث امر بالكتابة
والشهادة والرهن والعقل ايضا يويد ذلك لان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل
امر الدنيا والاخرة ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال لانه به يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار فمن
اراد الدنيا لهذا الغرض كانت الدنيا فى حقه من اعظم الاسباب المعينة على اكتساب سعادة الاخرة اما
من ارادها لنفسها او ليتوسل بها الى المعاصى كانت من اعظم المعوقات عن سبب سعادة الاخرة
قوله جعل الله لكم قياما قرا نافع وابن عامر قيما بكسر القاف من غير الف والباقون قياما وقيما بمعنى
قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا واصل قياما قواما فانقلبت الواو يا لانكسار ما قبلها وهو جميعا
ملاك الامر وما تقوم به الامر والمعنى جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتعيشون ولو
ضيعتموها لضعتم فكانها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم فلما كان المال سببا للقيام سماه بالقيام
تسمية للسبب باسم المسبب على سبيل المبالغة كان المال نفس قيامكم وكان السلف يقولون المال سلاح
المومن فلان اترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة
يقلبها لولاها لتمندل به بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لين ادنتنى من الدنيا
لقد صانتنى عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل
دينه وربما راوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك قوله وارزقوهم بعد النهى عن ايتا
الاموال السفها امر بثلاثة اشيا الاول قوله وارزقوهم فيها اى اجعلوا اموالكم مكانا لرزقهم بان
تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل معنى الرزق
من العباد هو الاجر الموظف لوقت معلوم يقال فلان يرزق عياله اى اجرى عليهم وانما قال
فيها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك امرا بان يجعلوا بعض اموالهم رزقا لهم بل امرهم بان يجعلوا اموالهم
مكانا لرزقهم وثانيها قوله واكسوهم والمراد ظاهر وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من
السفها قريب او اجنبى رجل او امراة يعلم انه يضيعه فيما لا ينبغى ويفسده وثالثها قوله وقولوا
لهم قولا معروفا قيل عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وقيل اذا ربحت اعطيتك وان
غنمت فى غزاتى جعلت لك حظا وقيل ان كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك نفقته فقل له قولا
معروفا عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته من قول او عمل
فهو معروف وما انكرته وكرهته ونفرت منه فهو منكر وقيل علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم
امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقيل القول المعروف هو ان كان المولى عليه صبيا فالولى يعرفه
ان المال ماله وهو خازن له وانه اذا زال الصبا فانه يرد المال اليه وان كان المولى

عليه سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلوة ورغبه فى ترك التبذير والاسراف وعرفه ان عاقبة التبذير
الاحتياج الى الخلق قال الشافعى البالغ اذا كان مبذرا للمال المفسد له من غير فايدة لا لون له وقع عند
العقلا فكان خفيف الوزن عندهم فوجب ان يحجر عليه لانه ثبت اندراجه تحت قوله ولا تؤتوا السفها اموالكم

قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا لما امر الله تعالى فى الاية المتقدمة بايتا اليتامى
اموالهم بين فى هذه الاية متى تؤتيهم اموالهم وشرط فى دفع اموالهم اليهم شرطين البلوغ وايناس الرشد قيل نزلت الاية
فى ثابت بن رفاعة وعمه فان عمه توفى وترك ابنه ثابتا وهو صغير فاتى عم ثابت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ابن
اخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الاية وابتلوا اى اختبروا اليتامى فى
عقولهم واديانهم وحفظهم اموالهم وقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح اى مبلغ
الرجال من النسا فان انستم ابصرتم قال الله انس من جانب الطور نارا اى ابصر قال صاحب الكشاف حتى اذا بلغتم
منهم رشدا اى هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح
عند الاحتلام ولطلب ما هو مقصود بالنكاح وهو التوالد والاستيناس الاستيضاح فاستعير للتبين
وقيل رشدا يعنى عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه وقيل ان الرجل لياخذ بلحيته
وما بلغ رشده فلا يدفع الى اليتيم ماله وان كان شيخا حتى يونس منه رشده وقيل لا تعط اليتيم وان بلغ مايه
سنة حتى يعلم منه اصلاح لماله اعلم ان الله علق زوال الحجر على اليتيم الصغير وجواز دفع ماله اليه
لشيين البلوغ والرشد بعد ان امر الاوليا بالابتلا ومعنى الابتلا على ما ذكره الفقها هو ان الصغير لا يخلو
من ان يكون غلاما او جارية فان كان غلاما رد النظر اليه فى نفقة الدار شهرا او اعطاه شيا نزرا يتصرف
فيه ليعرف كيف تدبيره وتصرفه فيه وان كانت جارية رد اليها ما يرد الى ربة البيت من تدبير بيتها والنظر
فى الاستغزال والاستقصا على الغزالات فى دفع القطن واجرته واستيفا الغزل وجودته فان رشدا والا بقيا
تحت الحجر حتى يونس رشدهما قال ابو حنيفة تصرفات الصبى المميز العاقل باذن الولى صحيحة وقال الشافعى
غير صحيحة احتج ابو حنيفة بهذه الاية لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح تقتضى ان هذا
الابتلا انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلا اختبار حاله فى انه هل له تصرف صالح للبيع والشرا
وهذا الاختبار انما يحصل اذا اذن له فى البيع والشرا وان لم يكن هذا المعنى نفس الاختبار فهو داخل
فى الاختبار بدليل انه يصح الاستثنا فيقال وابتلوا اليتامى الا فى البيع والشرا فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى
امر للاوليا بان ياذنوا لهم فى البيع والشرا قبل البلوغ وذلك يقتضى صحة تصرفاتهم اجاب الشافعى بان
قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن له فى التصرف حال الصغر بدليل قوله تعالى فان انستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم فانما امر بدفع الاموال اليهم بعد البلوغ وايناس الرشد واذا ثبت بموجب الاية انه لا
يجوز دفع المال اليه حال الصغر وجب ان لا يجوز تصرفه حال الصغر اذ لا قايل بالفرق والابتلا اختبار عقله
وتتبع احواله فى انه هل له فهم وعقل وقدرة فى معرفة المصالح والمفاسد وتصرفه فى الاخذ والاعطاء
وذلك اذا باع الولى واشترى بحضور الصبى ثم يستكشف من الصبى احوال ذلك البيع والشرا وما فيهما من
المصالح والمفاسد ولا شك ان هذا القدر يفيد الابتلا والاختبار انا سلمنا انه يدفع اليه شيا ليبيع او
يشترى فلم قلت ان هذا القدر يدل على صحة ذلك البيع وذلك الشرا بل اذا باع واشترى وحصل به اختبار
عقله فالولى بعد ذلك يتمم ذلك البيع وذلك الشرا وهذا محتمل والمراد من بلوغ النكاح هو الاحتلام المذكور
فى قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم وهو عند عامة الفقها عبارة عن البلوغ مبلغ الرجال الذى عنده

يجرى على صاحبه القلم ويلزمه الحدود والاحكام وعلامة البلوغ خمسة اشيا ثلثه منها مشتركه
من الذكور والاناث واثنان يختص بهما النسا فالتي يشترك فيها الرجال والنسا فالاحتلام وهو انزال المني فمتى
انزل واحد منهما فقد بلغ سوا كان عن جماع او احتلام او غيرهما والدليل عليه قوله تعالى واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم فليستاذنوا وقول النبي صلى الله عليه وسلم خذ من كل حالم دينارا والسن قال الشافعي وابو يوسف ومحمد
اذا استكمل الصبي خمس عشرة سنه حكمنا ببلوغه وقال ابو حنيفه ان كانت جاريه فبلوغها بسبع عشرة سنه وعن
ابي حنيفه في الغلام روايتان احدهما ثماني عشرة سنه وهي الاشهر وقال مالك وداود لا يبلغ بالسن ثم اختلفا
فقال داود لا يبلغ ما لم يحتلم ولو بلغ اربعين سنه وقال مالك بلوغه بان يغلظ صوته او ينشق ارنبته والذي
يدل على ان حد البلوغ بالسن خمس عشرة سنه حديث عبد الله بن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا ابن اربع عشرة سنه فردني ولم يرني بلغت وعرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنه فاجازني في
المقاتله والانبات وهو ان ينبت للغلام او الجاريه الشعر الخشن حول الفرج وللشافعي في الانبات قولان
اصحهما انه بلوغ في حق الكفار دون المسلمين وقال ابو حنيفه لا يتعلق بالانبات حكم وليس هو ببلوغ ولا دلاله
بلوغ والدليل على ان البلوغ يتعلق بالانبات ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم سعد بن معاذ في قريظه قال
وكنت اشف عنهم فكل من انبت قتلته ومن لم ينبت جعلته في الذراري فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت
بحكم الله فوق سبعة ارقعه واما ما يختص بالنسا فالحيض والحبل يدل عليه ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقبل الله صلوة حائض الا بخمار فجعلها مكلفه بالحيض واما الرشد فقال الشافعي
هو الصلاح في ماله حتى لا يقع منه اسراف ولا يكون بحيث يقدر الغير على خديعته ولا يتحقق هذا الا بان يكون
صالحا في دينه مصلحا لماله والصلاح في الدين هو ان يكون مجتنبا عن الفواحش التي يفسق بها ويسقط عدالته
كالزنا واللواط والقذف وشرب الخمر ونحوها لان الفسق مفسد للمال واصلاح المال هو ان لا يبذره
ولا يغبن في التصرف غبنا فاحشا ولا يضيعه فالرشد عنده جواز الشهاده واصلاح المال وهذا قول
الحسن وربيعه ومالك وقال ابو حنيفه وابو يوسف ومحمد اذا بلغ عاقلا ومصلحا لماله زال الحجر
عنه بكل حال سوا كان فاسدا في دينه او كان صالحا في دينه فاعتبروا اصلاح المال ولم يعتبروا اصلاح
الدين واذا بلغ ولم يونس منه رشد فعند الشافعي وابي يوسف ومحمد لا يزول الحجر عنه ولا يدفع ماله
اليه الا بايناس الرشد وقال ابو حنيفه ينتظر الى خمس وعشرين سنه لان مده بلوغ الذكر عنده
بالسن ثماني عشرة سنه فاذا زاد عليها سبع سنين وهي مده معتبره في تغيير الاحوال لقوله صلى الله
عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ورشد امكر امعناه
نوع من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجاره او طرفا من الرشد ومخيله من مخايله حتى لم ينتظر
به تمام الرشد قال صاحب الكشاف ما بعد حتى الى قوله فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء
وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماها بدجله حتى ما دجله اشكل
اي احمر مشاكل للدم والجمله الواقعه بعدها جمله شرطيه لان اذا متضمنه معنى الشرط وفعل
الشرط بلغوا النكاح وقوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جمله من شرط وجزا واقعه الشرط
الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم
بشرط ايناس الرشد منهم قوله ولا تاكلوها اموالهم يا معشر الاوليا والاوصيا اسرافا وبدارا مسرفين والاسراف
مجاوزة الحد والافراط والخطا ووضع الشي في غير موضعه والسرف ضد القصد والسرف الاغفال
والخطا وقد سرفت الشي بالكسر اذا اغفلته وجهلته وحكى الاصمعي عن بعض الاعراب واعد اصحابا
له من المسجد مكانا فاخلفهم فقيل له في ذلك فقال مررت بكم فسرفتكم اي اغفلتكم ومنه قول جرير

وروى عنه ثماني عشرة سنه

جوابا

اعطوا

اعطوا هنيئا بحد وبها ثمانيه ما في عطاياهم من ولا سرف اي اغفال ويقال خطا اي لا يخطئون مو
العطا بان يعطوه من لا يستحق ويحرموه المستحق ثم بين ما يحل للاوليا والاوصيا من اموال اليتامى
فقال يا معشر الاوليا من كان منكم غنيا فليستعفف من اكلها اي من اكل اموال اليتامى ولا يطمع ويقتنع
بما رزقه الله من الغنا ولا يرزاها الا قليلا ولا كثيرا والعفه الامتناع عما يحرم عف عن الحرام يعف عفا
وعفه اي كف فهو عف وعفيف والمراه عفه وعفيفه واستعف عن المسله اي عف قيل استعف
ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفه ومن كان فقيرا محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده
فلياكل بالمعروف اي قوتا مقدرا قيل على وجه الاجره فان لفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف
ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري
يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت
ضاربا ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها
وتهنا جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب من فضل اللبن غير مضر بنسل ولا ناهك في
الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامه فما فوقها وعن ابراهيم
النخعي لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوعه ووارى العوره وقال محمد بن كعب القرظي من
كان غنيا فليستعفف عن مال اليتيم ولا ياكل منه شيا واجره على الله ومن كان فقيرا فلياكل
بالمعروف يتقرم تقرم البهيمه ويترك نفسه بمنزله الاجير فيما لا بد منه والتقرم الالتقاط من
نبات الارض وبقلها وقيل على وجه القرض لسلبه قوله عز وجل الا من امر بصدقه او معروف
يعني القرض ومعنى الايه يستقرض من مال اليتيم فاذا ايسر قضاه فان مات ولم يقدر على
قضايه فلا شي عليه وقيل يتسلف منه فيتجر فيه فاذا ايسر ادى دليله ما روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الا اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل بمنزله مال اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقيل لا ياكله الا ان يضطر اليه
كما يضطر الى الميته وقيل بالمعروف هو ان ياكله من غير اسراف ولا قضا عليه فيما اكل وقيل
ياكل باطراف اصابعه ولا يسرف في الاكل ولا يكتسي منه وقيل هو ان ياكل من تمر نخيله ولبن
مواشيه بالمعروف ولا قضا عليه فاما الذهب والفضه فلا فان اخذ منه شيا فلا بد من
ان يرده وقيل كان اليتيم يكون له الحائط والنخل فيقوم وليه على صلاحه وسقيه فيصيب
من ثمرته ويكون له الماشيه فيقوم وليه على صلاحها وعلاجها فيصيب من جزازها ورسلها
وعوارضها فاما رقاب المال واصلها فليس له ان يستهلكها وقيل المعروف ركوب الدابه
وخدمه الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيا قوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم قيل هذا ادب من الله تعالى ليعلم ان الولي قد ادى الامانه وينقطع عنه الظنه
ويزول عنه الخصومه وليس بفريضه واعلم ان الاجماع متحقق على ان الوصي اذا دفع
المال الى اليتيم عند تحقق شرائط الدفع الاحوط ان يشهد عليه بانه قبضه وتسلمه وبريت
ذمته عنه وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانه وبراة الساحه فانه
اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفه واصحابه وعند مالك والشافعي
لا يصدق الا بالبينه فكان في الاستشهاد التحرز من الحلف المفضي الى التهمه او من وجوب
الضمان اذا لم يقم البينه احتج الشافعي بهذه الايه على انه لا يصدق الا بالبينه فان قوله
فاشهدوا عليهم امر وظاهر الامر الوجوب ولان اليتيم غير مومن من جهة اليتيم وانما هو مومن

من جهة الشرع قال الامام طعن ابو بكر الرازي في هذا الكلام مع السفاهة الزايدة الشديدة
وقال لو كان ما ذكره علة لنفي التصديق لوجب ان لا يصدق القاضي اذا قال لليتيم دفعت
اليك لانه لم يأتمنه ولذلك يلزمه ان يقول في الاب اذا قال بعد بلوغ الصبي قد دفعت
مالك اليك لانه لم يأتمنه ويلزمه ايضا ان يوجب الضمان عليهم اذا تصادقوا بعد البلوغ
انه قد هلك منه لانه امسك ماله من غير ائتمان له عليه فيقال له اما النقض بالقاضي فبعيد
لان القاضي حاكم فيجب ازالة التهمة عنه ليصير قضاؤه نافذا ولولا ذلك لتمكن كل من قضى القاضي
عليه بان ينسبه الى الكذب والميل والمداهنة وحينئذ يحتاج القاضي الى قاض اخر ويلزم
التسلسل ومعلوم ان هذا غير موجود في وصي اليتيم واما الاب فالفرق ظاهر لوجهين احدهما
ان شفقته اتم من شفقة الاجنبي ولا يلزم من قلة التهمة في حق الاب قلتها في حق الاجنبي والثاني
انه صلى الله عليه وسلم قال انت ومالك لابيك وهذا غير موجود في وصي اليتيم واما الاخير
حق الاجنبي واما اذا تصادقوا بعد البلوغ انه قد هلك فنقول ان كان قد اعترف
بانه هلك بسبب تقصيره فهاهنا يلزمه الضمان اما اذا ادعى انه هلك لا بتقصيره فهاهنا
يجب ان يقبل قوله والا لصار ذلك مانعا للناس من قبول الوصاية فيقع الخلل في هذا المهم
العظيم فاما الاشهاد عند الرد اليه بعد البلوغ فانه لا يفضي الى هذه المفسدة فظهر الفرق
ومما يؤكد هذا الفرق انه تعالى ذكر قبل هذه الاية ما يدل على ان وصي اليتيم حصل في
حقه ما يوجب التهمة وهو قوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا وهذا يدل على جريان
العادة بكثرة اقدام الولي على ظلم الايتام والصبيان واذا دلت هذه الاية على تاكد
موجبات التهمة في حق ولي اليتيم ثم قال بعده فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم اشعر
ذلك بان الغرض منه رعاية جانب الصبي لانه اذا كان لا يمكن من ادعاء دفع المال اليه
الا عند حضور الشاهد صار ذلك مانعا له من الظلم والبخس والنقصان واذا كان الامر
كذلك علمنا انه كما يفيد قوله فاشهدوا انه يجب لظاهر الامر فكذلك يفيد انه يجب بحسب
القرائن والمصالح ثم قال هذا الرازي ويدل عليه انه يصدق فيه بغير اشهاد اتفاق
الجميع على انه مامور بحفظه وامساكه على وجه الامانة حتى يوصله الى اليتيم في وقت استحقاقه
فهو بمنزلة الودائع والمضاربات فوجب ان يكون مصدقا على الرد كما يصدق على رد
الوديعة فيقال له اما الفرق بين هذه الصورة وصورة الوديعة فقد ذكره الشافعي
واعرضت عن ذلك الفرق وقد سبق ابطاله وايضا فعادتك ترك الالتفات الى كتاب الله
لقياس ركيك تتخيله ومثل هذا الفقه مسلم لك ولا يجب المشاركة فيه معك قوله وكفى
بالله حسيبا اي محاسبا وكافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض وهذا وعيد لولي
اليتيم واعلام له انه يعلم باطنه كما يعلم ظاهره فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب
والباء في قوله وكفى بالله وكفى بربك في جميع القران زايدة وحسيبا نصب على الحال
اي كفى الله حال كونه محاسبا وحال كونه كافيا **قوله تعالى** للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل
منه او كثر نصيبا مفروضا قيل سبب نزول هذه الاية ان اوس بن ثابت الانصاري
توفي عن امراته ام كحة وثلاث بنات له منها فجاء رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه واختلف
في اسميهما فقيل سويد وعرفطة وقيل سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته

ان لا يصدق

ولا

ولا بناته شيئا وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال وان كانوا ذكورا وكانوا
يقولون لا يرث الا من يقاتل ويطاعن بالرماح ويذود عن الحوزة ويحوز الغنيمة فجاءت
ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين
موضع بالمدينة فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي بنات ثلاثا وانا امراته
وليس بيدي ما انفقه عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم
يعطياني ولا بناته من المال شيئا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين ولا يرفع لهن راس فدعاهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكا عدوا فقال رسول الله
انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله فيهن فانصرفوا فانزل الله هذه الاية اي للرجال نصيب وللنساء نصيب
فاثبت لهن في الميراث حقا ولم يبين المقدار فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما لا تفرقا من
مال اوس بن ثابت شيئا فان الله جعل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل الله فيهن
فانزل الله يوصيكم الله فلما نزلت ارسل الى الوصيين ان ادفعا الى ام كحة الثمن
مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال فبين الله في هذه الاية ان الارث غير مختص
بالرجال بل هو مشترك بين الرجال والنساء فذكر في هذه الاية هذا القدر ثم ذكر التفصيل
بعد ذلك قال الامام ولا يمتنع اذا كان للقوم عادة في توريث الكبار دون النساء والصغار
وان ينقلهم سبحانه وتعالى عن تلك العادة قليلا قليلا على التدريج لان الانتقال عن العادة
شاق ثقيل على الطبع فاذا كان دفعة عظم وقعه على القلب واذا كان على التدريج سهل فلهذا المعنى
ذكر الله هذا المجمل اولا ثم اردفه بالتفصيل قوله للرجال اي للذكور من اولاد الميت واقربائه
نصيب حظ وسهم مما ترك الوالدان والاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل نصيبا مفروضا نصب
على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به
وقيل هو منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة احتج
الرازي بهذه الاية على توريث ذوي الارحام لان العمات والخالات والاخوال واولاد البنات
من الاقربين فوجب دخولهم تحت قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون اقصى ما في الباب ان قدر ذلك النصيب غير مذكور في هذه الاية
الا انا نثبت كونهم مستحقين لاصل النصيب بهذه الاية واما المقدار فيستفاد من ساير الدلايل
اجاب اصحابنا عنه من وجهين احدهما انه تعالى قال في اخر الاية نصيبا مفروضا اي نصيبا
مقدرا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر فثبت انهم ليسوا داخلين في الاية
وثانيهما ان هذه الاية مختصة بالاقربين فلم قلتم ان ذوي الارحام من الاقربين وتحقيقه
انه اما ان يكون المراد من الاقربين من كان اقرب من شيء اخر او المراد منه من كان اقرب من كل شيء والاول
باطل لانه يقتضي دخول اكثر الخلق فيه لان كل انسان فله نسب مع غيره اما بوجه قريب او بوجه بعيد
وهو الانتساب الى ادم عليه السلام ولا بد وان يكون هو اقرب اليه من ولده فيلزم دخول
كل الخلق في هذا النص وهو باطل فتعين الثاني وهو ان يكون المراد من الاقربين من كان اقرب
الناس اليه وما ذاك الا الوالدان والاولاد فثبت ان هذا النص لا يدخل فيه ذوو
الارحام فان قيل لو حملنا الاقربين على الوالدين لزم التكرار اجيب بان الاقرب جنس يندرج
تحته نوعان الوالد والولد فثبت انه تعالى ذكر الوالد ثم ذكر الاقربين فذكر النوع ثم ذكر

الجنس فلم يلزم تكرار قوله تعالى وإذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم
منه وقولوا لهم قولا معروفا ليس فيها بيان اى قسمة هي فلهذا حصل للمفسرين فيه اقوال
قيل انه تعالى ذكر في الاية الاولى ان لكل من الرجال والنسا نصيبا مما ترك الوالدان والاقربون
وعلم ان في الاقارب من يرث ومن لا يرث وان الذين لا يرثون اذا حضروا وقت القسمة فان تركوا محرومين
بالكلية ثقل ذلك عليهم فامر الله ان يدفع اليهم شيا عند القسمة حتى يحصل حسن العشرة ثم القايلون
بهذا القول اختلفوا فمنهم من قال ان ذلك واجب ومنهم من قال انه مندوب اما القايلون بالوجوب
فقد اختلفوا في امور احدها ان منهم من قال الوارث ان كان كبيرا وجب عليه ان يرضخ له شيا من المال
بقدر ما تطيب به نفسه وان كان صغيرا اعتذر الولي او الوصي اليهم ويقول اني لا املك المال وانما
هو لهولا الضعفا الذين لا يعقلون ما عليهم من الحق ولو كان لي من الميراث شي لاعطيتكم وان
يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وثانيها قال الحسن والنخعي هذا الرضخ يختص
بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الاراضي والارقا وما اشبه ذلك قال لهم قولا معروفا
مثل ان يقول لهم ارجعوا بارك الله فيكم وثالثها قال بعضهم مقدار ما يجب فيه الرضخ شي قليل
ولا يقدر فيه بالاجماع ورابعها على تقدير وجوب هذا الحكم قال قوم هي منسوخة كان هذا قبل
اية المواريث فلما نزلت اية المواريث جعلت المواريث لاهلها ونسخت هذه الاية وجعلت الوصية
لذوي القربى الذين يحزنون ولا يرثون ولليتامى والمساكين وقال اخرون هي محكمة غير منسوخة
وهي واجبة على الميراث ما طابت به انفسهم وعن الحسن ليست بمنسوخة ولكن الناس شحوا وبخلوا
وقيل كان التابعون يعطون الثوب والاواني ورثة الناس والمتاع والشي الذي يستحيى
من قيمته وقيل فارزقوهم الندب فقيل كان المومنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم
هولا فرضخوا لهم بالشي من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة
ولو كان فريضة لضرب لهم حد ومقدار كما لغيره من الحقوق روي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي
بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه عبد الرحمن وعايشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا
الا اعطاه من تركة ابيه وتلا هذه الاية قيل فذكر ذلك لابن عباس فقال ما اصاب ليس ذلك
انما ذلك في الوصية وقيل المراد بالقسمة الوصية فاذا احضرها من لا يرث من الاقربا واليتامى
والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا
في الوقت فيكون ذلك سببا لوصول السرور اليهم في الحال وفي الاستقبال وهذا ضعيف لانه تقدم
ذكر الميراث ولم يتقدم ذكر الوصية وقيل المراد من اولي القربى الذين يرثون والمراد من اليتامى
والمساكين الذين لا يرثون وقوله فارزقوهم راجع الى اولي القربى الذين يرثون وقولوا
لهم قولا معروفا راجع الى اليتامى والمساكين الذين لا يرثون قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا لو وما في حيزه صلة الذين والمعنى
وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم واما الذي يخشى فغير
منصوص عليه وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون انظر لنفسك ان ذريتك لا يغنون عنك
من الله شيا قدم لنفسك اعتق اعط وتصدق فلانا كذا وفلانا كذا حتى ياتي على عامة ماله الى ان
يستغرقه بالوصايا ولا يبقي لورثته شي فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ولا يحملوا المريض على ان يحرم اولاده الضعفا عن ماله وحاصله انك لا ترضى
مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم عن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى
يحب

يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقيل المراد بهم الاوصيا امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من
اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم
ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة وقيل المعنى وليخشوا على اليتامى من
الضياع وقيل هو متصل بما قبله وهو امر للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفا اقاربهم
واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضايعين محتاجين هل
كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة وقولوا قولا سديدا وهو كالتقرير لما تقدم فكانه قيل فليتقوا
الله في الامر الذي تقدم ذكره والاحتياط فيه والقول السديد العدل والصواب من القول
يقال قال سدادا وسدادا وسديدا والقول السديد من الاوصيا ان لا يوذوا اليتامى ويكلموهم
كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي والقول السديد من
الاوصيا الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك
مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنيا خير من ان تتركهم عالة
يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل
من الربع والربع من الثلث والقول السديد من الورثة المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه
للحاضرين ويخصوهم بالاكرام قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في
بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اكد الله الوعيد في اكل مال اليتيم ظلما وقد كثر الوعيد في
هذه الايات مرة بعد اخرى على من ياكل مال اليتيم ظلما كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا
تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
ثم ذكر بعدها هذه الاية مفردة في وعيد من ياكل اموالهم كل ذلك رحمة من الله تعالى على اليتامى
لانهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والرحمة قيل نزلت في رجل من غطفان
يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن اخيه وهو يتيم صغير فاكله فانزل الله الاية قوله ظلما
اي بغير حق وهو مصدر في موضع الحال اي ظالمين او مفعول له اي على وجه الظلم من الاولياء
السوء وقضاته قوله في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه والاكل
وان كان لا يكون الا في البطن لكن ذكره للتاكيد كقوله يقولون بافواههم والقول لا يكون الا بالفم
وقوله ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقوله ولا طاير يطير بجناحيه وجميع انواع
الاتلافات في حكم الاكل وانما خص الاكل بالذكر لان الاكل هو اعظم مقصود من ساير التصرفات
المتلفة ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار ويستلزمها فكانه نار في الحقيقة وقيل
هذا يجري على ظاهره روي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج
من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم وسيصلون
قرا ابن عامر بضم اليا مجهولا اي سيدخلون النار ويحرقون والباقون بفتح اليا اي
سيدخلون سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت
ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم
صخرا من نار يخرج من اسافلهم فقلت يا جبريل من هولا قال هم الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما فدل الكتاب والسنة ان اكل مال اليتيم من الكباير قوله تعالى يوصيكم الله
في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نسا فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت
واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم

يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي
بها او دين اباوكم وابناوكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما
قيل في تعلق هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما بين الحكم في مال الايتام وما على الاوليا فيه
بين كيف يملك هذا اليتيم المال بالارث ولم يكن ذلك الا ببيان جملة احكام الميراث وقيل
انه تعالى اثبت حكم الميراث بالاجمال في قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
فذكر عقيب ذلك المجمل هذا المفصل اعلم ان الوراثة في الجاهليه بالنسب والعهد اما النسب
فهم ما كانوا يورثون النسا والصغار وانما كانوا يورثون من الاقارب الرجال الذين
يقاتلون على الفرس وياخذون الغنيمه واما العهد فمن وجهين الحلف كان الرجل في الجاهليه
يقول لغيره دمي دمك وارثي ارثك وتطلب بي واطلب بك فاذا تعاهدا على هذا الوجه
فايهما مات قبل صاحبه كان للحي ما اشترط من مال الميت والتبني فان الرجل منهم كان يتبنى
ابن غيره فينسب اليه دون ابيه من النسب ويرثه وهذا التبني نوع من انواع المعاهده ولما
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم تركهم في اول الامر على ما كانوا عليه في الجاهليه وقيل قررهم
على ذلك فقال ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والمراد التوارث
بالنسب ثم قال والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم المراد التوارث بالعهد فابطل الله
الاول بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فذكر عقيب ذلك المجمل هذا
المفصل وللنسا نصيب مما ترك الوالدان والاقربون والثاني ابطل بالهجرة بقوله تعالى والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا ثم نسخ هذا كله وصارت الوراثه
في الاسلام بالنسب والسبب اما السبب فهو النكاح والولا والاسلام واما النسب
فهو القرابه قال تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وليس كل قريب يرث
بل بعضهم يرث وبعضهم لا يرث والوارثون يحجب بعضهم بعضا وهذا علم عريض ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم عليكم بتعلم الفرايض فانه نصف العلم وهو اول علم يذهب من امتي ولا
يمكن معرفة ذلك الا بمعرفة الورثه والسهام ولنذكر على سبيل الاختصار ما يتعلق بتركة الميت
من الحقوق ومن يرث ومن لا يرث ومقدار حق كل وارث فنقول يبدا اولا بحق يتعلق بعين
التركه ثم بمؤن تجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بانفاذ وصاياه فما فضل يقسم بين الورثه والورثه
منهم من يرث بالفرض وهو سهم مقدر معلوم ومنهم من يرث بالتعصيب فياخذ ما فضل
من اصحاب الفروض عند وجود صاحب الفرض والكل عند عدمه وان لم يفضل شي
يكون محروما ومنهم من يرث بهما واصحاب الفروض مثل البنات وبنات الابن
والاخوات من اي جهة والامهات والجدات والازواج والزوجات واصحاب التعصيب
مثل الابن وابنه والاخ وابنه والعم وابنه والذي يرث بالوجهين الاب مع البنت
وبنت الابن ياخذ السدس بالفرض ثم ياخذ ما فضل منهما وجملة الورثه من الرجال عشره
الابن وابن الابن وان سفل والاب وابو الاب وان علا والاخ وابن الاخ وان سفل
والعم وان علا وابن العم وان سفل والزوج ومولى العتاق ومن النسا سبع البنت
وبنت الابن وان سفلت والام والجده وان علت والاخت والزوجه ومولاة
العتاق والذين لا يحجبهم احد خمسه الاولاد والابوان والزوجان لانه ليس بينهم وبين
الميت واسطه والذين لا يرثون اصلا سته العبد والمدبر والمكاتب وام الولد والقاتل

ومل

واهل الملتين والفروض المذكوره في كتاب الله سته النصف والربع والثمن والثلثان
والثلث والسدس فالنصف لبنت فرده ولبنت الابن اذا لم يكن للميت فرع يرث والثلثان
فرض اثنين فصاعدا ممن فرضهما النصف والثلث فرض الام اذا لم يكن للميت فرع يرث ولا اثنين
من الاخوه والاخوات الا في مسلتين زوج وابوان وزوجه وابوان فان للام فيهما ثلث ما بقي بعد
نصيب الزوج والزوجه وفرض الاثنين فصاعدا من ولد الام وفرض الجد مع الاخوه والاخوات
اذا كان خيرا من المقاسمه والسدس فرض سبعه بنت الابن مع بنت الصلب والاخت للاب مع
الاخت للابوين والواحد من ولد الام والام اذا كان للميت فرع يرث او اثنان من الاخوه والاخوات
وفرض الجدات وفرض الاب مع فرع يرث وفرض الجد مع الابن وابن الابن واما العصبات فاقربهم البنون
ثم بنوهم ثم بنو ابنيهم وان سفلوا يقاسمون اخواتهم للذكر مثل حظ الانثيين اذا كن معهم ثم الاب وله
ثلاثه احوال حال ينفرد بالتعصيب اذا لم يكن معه فرع يرث وحال ينفرد بالفرضيه وهو مع الابن او
ابنه وحال يجتمع فيه الفرض والتعصيب وهو مع البنت وبنت الابن ثم الجد ان لم يكن للميت اخوه وان كان
له اخوه والمقاسمه خير من الثلث بدون ذي فرض ومعه والمقاسمه خير من السدس وثلث الباقي ثم
الاخوه للابوين ويعصبون الاخوات للابوين ثم الاخوه للاب ويعصبون الاخوات له ويقتسمون المال
بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والواحد منهن عصبته البنت وساير العصبات ينفرد ذكورهم بالتعصيب
دون الاناث ثم بنو الاخوه للابوين ثم بنو الاخوه للاب ثم العم للابوين ثم العم للاب ثم عم الاب
كذلك ثم عم الجد على هذا الترتيب لا يرث بنو اب اعلى وبنو اب اقرب منهم موجودون ثم الموالي المعتقون
ثم عصباتهم المتعصبه بانفسهم على هذا الترتيب ثم جهة الاسلام على راي ولنرجع الى التفسير قيل ان
جابر بن عبد الله قال مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فاغمي علي فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما فتوضا ثم صبه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اقضي في مالي كيف اصنع
في مالي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل في اية المواريث وقيل استشهد سعد بن الربيع
النقيب يوم احد وترك امراة وبنتين واخا فاخذ الاخ المال فاتت امراة سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بابنتي سعد فقالت يا رسول الله ان هاتان ابنتا سعد وان سعدا قتل يوم احد
وان عمهما اخذ مالهما ولا تنكحان الا ولهما مال فقال رسول الله ارجعي فلعل الله سيقضي في ذلك
فاقامت حينا ثم عادت وشكت وبكت فنزل على رسول الله يوصيكم الله فدعا رسول الله عمهما
وقال اعط ابنتي سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقي فهو لك فهذا اول ميراث قسم في الاسلام وقيل
نزلت في ام كحه وقد مضت القصه وقيل نزلت في عبد الرحمن اخي حسان الشاعر وذلك انه مات
وخلف امراة وخمس اخوات فجا الورثه فاخذوا ماله ولم يعطوا امراته شيا فشكت ذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله اية المواريث قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت المواريث للاولاد
والوصيه للوالدين والاقربين فنسخ الله ذلك وانزل اية المواريث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض
بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم التركات واعطى كل ذي حق حقه الا فلا وصيه لوارث قوله
قوله يوصيكم الله اي يقول الله لكم قولا يوصلكم الى حقوق اولادكم بعد موتكم فان الايصا
الايصال ماخوذ من قولهم وصيت الشي بكذا اذا وصلته به قال ذو الرمه نصي الليل بالايام حتى صلوتنا
مقاسمه يشتق انصافها السفر واض واصيه متصله النبات وقد وصت الارض اذا اتصل نباتها وربما
قالوا تواصى النبت اذا اتصل وهو نبت واص واوصى يوصي اذا اوصل فاذا قيل وصى فمعناه اوصلني
الى علم ما احتاج الى علمه ولذلك وصى وهو على المبالغه وقيل معناه يعهد اليكم ويامركم في شان ميراث

اولادكم وقيل معناه يفرض عليكم في امر اولادكم اذا متم لان الوصيه من الله ايجاب والدليل عليه قوله
تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به وذلك من الفرض المحكم علينا قوله يوصيكم
الله في اولادكم مجمل فيما اوصى به ثم فصل وبين ما اوصى به فقال للذكر مثل حظ الانثيين على سبيل
الاستيناف بدا بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بهم اشد قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني
والاولاد حالة انفرادهم عن الوالدين اما ذكور واناث او اناث فقط او ذكور فقط والاول بين الله
تعالى الحكم فيه بقوله للذكر مثل حظ الانثيين وافاد ان للذكر سهمين وللانثى سهما وان الاولاد اذا كانوا
جماعة ذكور وجماعة اناث فان لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم وانه اذا كان مع الاولاد جمع
اخرون من الورثه كالابوين والزوجين فهم ياخذون سهامهم وكان الباقي بعد ذلك بين الاولاد
للذكر مثل حظ الانثيين فقوله للذكر مثل حظ الانثيين يفيد هذه الاحكام وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر
او للانثى نصف حظ الذكر ليبدا ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لفضله ولان قوله للذكر مثل
حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقوله للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان
قصد الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون
الاناث وهو السبب لورود الايه فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا ينبغي له ان يطمع في جعل
الانثى محرومة عن الميراث بالكليه مع ادلائهن من القرابه بمثل ما يدلون به والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم
فحذف الراجع الى اولادكم لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم والثاني اذا كان الاولاد الاناث فقط
بين بقوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن
رجل يعني بنات ليس معهن ابن فلهن ثلثا ما ترك الميت لان الايه لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت
قوله فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان في قوله فان كن وان يكون صفة لنساء اي نساء
زائدات على اثنتين وان كانت واحده اي وان كانت البنات او المولوده منفرده ليس معها اخرى فلها
النصف قرا نافع واحده بالرفع على كان التامه والباقون بالنصب على خبر كان وهو اوفق لقوله فان
كن نساء ولا بعد ان يكون الضمير في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحده تفسيرا لهما على ان كان تامه
فان قيل قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق للكلام وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر من الاولاد
لكن ورود انهم كانوا يحرمون الاناث فبين حالهن مجتمعة مع الذكور ثم منفرده عنهم وقيل انه لما بين
حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا الاجتماع والانفراد فلذلك حسن ان يقال
فان كن نساء فان قيل نساء جمع واقل الجمع ثلاثة فما الفايده في التقييد بقوله فوق اثنتين اجيب بانه على
قول من يقول اقل الجمع اثنان لا يرد هذا السؤال بل هذه الايه حجته ومن يقول هو ثلاثة يقول هذا
للتاكيد كقوله لا تتخذوا الهين اثنين فان قيل قوله وان كانت واحده غير مطابق لقوله فان
كن نساء بل المطابق وان كانت امراة اجيب بان الغرض ثمه اي فان كن نساء خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن
لانه قسيم لقوله للذكر مثل حظ الانثيين ليعلم حكم اجتماعهن مع الذكور ولانه في قوله للذكر مثل حظ الانثيين
ثم يعلم حكم انفرادهن اناثا نساء فوجب النص على خلوصهن نساء والغرض ههنا اي في قوله وان كانت واحده
بيان العدد ليعلم الحكم حال وحدتها اي لاقترانها فوجب النص على العدد والحاصل ان معنى الاناث على
الاول مقصود بالذكر والعدد تابع وعلى الثاني بالعكس ولهذا غير العبارتين اعلم انه تعالى
لم يبين حكم البنتين في حال الانفراد بالقول الصريح فما حكمهما وما بال الله لم يذكر اما حكمهما فمختلف فيه
فعن ابن عباس انه الحق بهما منزلة الجماعه وجعل فرض البنتين النصف واحتج عليه بقوله
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وكلمة ان في اللغه للشرط وذلك يدل على ان اخذ الثلثين مشروط

بكونهن

بكونهن فوق اثنتين وذلك ينفي حصول الثلثين للبنتين ضروره انتفاء المشروط عند انتفاء الشرط واجيب
اولا بان هذا لازم على ابن عباس ايضا لانه تعالى قال وان كانت واحده فلها النصف فجعل
حصول النصف مشروطا بكونها واحده وذلك ينفي حصول النصف للبنتين وقد جعل
ابن عباس النصف للبنتين وثانيا بانا لا نسلم ان كلمة ان تدل على انتفاء الحكم عند انتفاء ما دخل عليه
ان ويدل على هذا انه لو كان الامر كذلك للزم ان لا يكون نصيب البنتين النصف ولا الثلثين
وهو باطل لان الاجماع دال على ان نصيب البنتين اما النصف او الثلثان وانه قال تعالى فان لم تجدوا
كاتبا فرهن مقبوضه وقال لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة ان خفتم واما سائر الامه فقد اتفقوا
على ان فرض البنتين الثلثان قالوا وانما عرفنا ذلك بوجوه منها انه عرف من قوله تعالى للذكر مثل حظ
الانثيين لانه دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر فكما ان الذكر نصيبه الثلثان مع الواحده كذلك نصيب
الانثيين الثلثان فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على
معنى فان كن جماعه بالغات ما بلغن من العدد فلهن ثلثا ما ترك الذي للاثنتين لا يجاوزنه لكثرتهن
ليعلم ان حكم الجماعه حكم الثنتين بغير تفاوت قيل وفيه نظر لان قوله للذكر مثل حظ الانثيين
حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان واذا كان التقدير كما ذكر فكيف
يصح انه علم منه ان للذكر حينئذ الثلثين فانه ليس له الثلثان وايضا فحال الانفراد يخالف حال
الاجتماع واجيب عنه بان هذا الكلام مبني على دلالة اشارة النص وعبارته وان كان مسوقا للامرين
الاجتماع والانفراد وقيل في الايه دليل على ان للبنتين الثلثين فاعلم الله تعالى ان ما فوق الاثنتين
لهن الثلثان وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كان اولى ان يجب لها الثلث اذا كانت
مع اخت مثلها لان الذكر اقوى من الانثى ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو
انفردت معه فوجب لهما الثلثان وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا للبنتين ما اوجب
الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بالبنتين عن حظ من هو ابعد رحما منهما اعلم انه تعالى ذكر في هذه
الايه حكم بنت واحده وحكم بنات فوق اثنتين ولم يذكر حكم البنتين وفي ايه ميراث الاخوات
قال ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ولم
يذكر ميراث الاخوات الكثيره ثم من نصيب الاختين ثم طريق الاولى من جهة النقصان من نصيب ما فوق
اثنتين ههنا من جهة الزياده وقيل ان قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين يدل على ان حظ الانثيين
ازيد من حظ الواحده والا لزم ان يكون حظ الذكر مثل حظ الانثى الواحده او انقص وذلك على خلاف
النص واذا ثبت ان حظ الانثيين ازيد من حظ الواحده والا لزم ان يكون حظ الذكر مثل حظ الانثى
يلزم ان يكون حظ الانثيين هو الثلثان اذ لا قائل بالفرق وقيل قد ذكر في سبب نزول هذه الايه
انه صلى الله عليه وسلم اعطى بنتي سعد ابن الربيع الثلثين ولو لم يكن في الايه ما يدل على حكم الانثيين
لما اعطى ابنتي سعد الثلثين والثالث وهو ان يخلف الاولاد الذكور فقط فالابن الواحد المنفرد
ياخذ كل المال يدل عليه قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين مع قوله وان كانت واحده
فلها النصف وقوله عليه السلام ما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولما كان الابن الواحد
اخذ ما بقي بعد السهام وجب فيما اذا لم يكن سهام ان ياخذ الكل وايضا اقرب العصبات
الى الميت الابن وليس له بالاجماع قدر معين من الميراث فاذا لم يكن معه صاحب فرض لم يكن له ان ياخذ
قدرا اولى منه ان ياخذ الزائد فوجب ان ياخذ الكل فان قيل حظ الانثيين الثلثان فقوله
للذكر مثل حظ الانثيين يقتضي حصول الاولاد وقوله للذكر مثل حظ الانثيين يقتضي حصول الذكر

مسوقا اي كونه للذكر مثل حظ الانثيين وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر لكنه يبين حظ الانثيين ايضا كما ذكره

والانثى هناك وثانيهما انه تعالى لم يعقبه حال الانفراد هذا اذا كان الميت خلف ابنا واحدا فقط اما اذا خلف اثنين فصاعدا كانوا مشاركين في جهة الاستحقاق ولا رجحان فوجب قسمة المال بينهم بالسوية قيل ان اسم الولد واقع على طريق الحقيقة ولاشك انه مستعمل في ولد الابن قال تعالى يا بني ادم وقال للذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يا بني اسرايل فان كان في ولد الابن مجازا يمتنع ان يريد الله باولادكم في قوله يوصيكم الله في اولادكم ولد الصلب وولد الابن معا اذ لا يجوز ان يستعمل دفعة في مفهومية الحقيقي والمجازي معا قال الامام الطريق في دفع هذا ان يقال انا لا نستفيد حكم ولد الابن من هذه الايه بل من السنة او من القياس واما ان اردنا ان نستفيد من هذه الايه فنقول الولد وولد الابن ما صارا مرادين من هذه الايه جميعا وذلك لان اولاد الابن لا يستحقون الميراث الا في احدى الحالتين اما عند عدم ولد الصلب راسا واما عندنا لا ياخذ ولد الصلب كل الميراث فحينئذ يقتسمون الباقي واما ان يستحق ولد الابن مع ولد الصلب على وجه الشركة بينهم كما يستحقه اولاد الصلب بعضهم مع بعض فليس الامر كذلك وعلى هذا لا يلزم من دلالة هذه الايه على الولد وعلى ولد الابن ان يكون قد اريد باللفظ الواحد حقيقته ومجازه معا لانه حين اريد به ولد الصلب ما اريد به ولد الابن وحين اريد به ولد الابن ما اريد به ولد الصلب فالحاصل ان هذه تارة تكون خطابا مع ولد الصلب واخرى مع ولد الابن وفي كل واحد من هاتين الحالتين يكون المراد به شيئا واحدا او هذا الجواب ليس كما ينبغي فان قوله اولادكم لم يستعمل الا مرة واحدة وحينئذ اما ان يراد به اولاد الصلب فقط او اولاد الابن فقط وعلى كل من التقديرين لم يعلم منه حكم كل منهما بل حكم احدهما او يراد كل منهما فيلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز والاولى ان يمنع عدم جواز استعمال اللفظ في مفهوميه الحقيقي والمجازي ثم قال الامام اما اذا قلنا ان وقوع اسم الولد على ولد الصلب وعلى ولد الابن بطريق الحقيقة فان جعلنا اللفظ مشتركا بينهما عاد الاشكال لانه ثبت انه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك لافادة معنييه معا بل الواجب ان يجعل متواطيا فيهما كالحيوان بالنسبة الى الانسان والفرس والذي يدل على صحة ذلك قوله تعالى وحلايل ابنايكم الذين من اصلابكم واجمعوا انه يدخل فيه ابن الصلب واولاد الابن فعلمنا ان لفظ الابن متواطي بالنسبة الى ولد الصلب وولد الابن وعلى هذا التقدير يزول الاشكال وللقايل ان يقول اذا كان الولد متواطيا بالنسبة اليهما لم يكن حقيقة في ولد الصلب بخصوصه وهو باطل لانه لا خلاف في انه حقيقة في ولد الصلب بخصوصه والفرس بخصوصه ولا يكون متواطيا ولا حقيقة فيهما بل باعتبار استعماله في القدر المشترك بينهما يكون متواطيا وحقيقة فيه والعجب انه لم يذكر ههنا ما ذكره في الحقيقة والمجاز فانه يمكن ان يقال ان هذه تارة تكون خطابا مع ولد الصلب واخرى مع ولد الابن وفي كل واحد من هاتين الحالتين يكون المراد به شيئا واحدا والاولى ان يقال لا نسلم عدم جواز استعمال المشترك في مدلوليه دفعة واحدة ثم قال الامام ان هذا البحث الذي ذكرناه في ان الابن هل يتناول ابن الابن قايم في ان لفظ الاب والام هل يتناول الاجداد والجدات ولاشك ان ذلك واقع بدليل قوله نعبد الهك واله ابايك والاظهر انه ليس على سبيل الحقيقة فان الصحابة اتفقوا على انه ليس للجد حكم مذكور في القران ولو كان اسم الاب يتناول الجد على سبيل الحقيقة لما صح ذلك اعلم ان قوله تعالى في اولادكم عام يتناول المسلم والكافر والحر والرقيق والقاتل وغير القاتل وقد خصص عنه صور منها ان الحر والرقيق لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين لا المسلم من الكافر ولا الكافر من المسلم ومنها ان اولاد النبي لا يرثون منه روي ان فاطمة رضي الله عنها لما طلبت الميراث منعوها منه واحتجوا عليه بقوله عليه الصلوة والسلام نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة قوله ولابويه لما ذكر

بلغ باصله

كيفية

كيفية ميراث الاولاد ذكر بعده ميراث الابوين ولابويه يعني ابوي الميت ولم يجر له ذكر فكنى عن غير مذكور والمراد بالابوين الاب والام وهو تثنية اب وابه والاصل في الام ان يقال لها ابه ولكن استغني عنها بام ولكل واحد منهما بدل من ولابويه بتكرير العامل وفايدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلاف التسوية وانما لم يقل ولكل واحد من ابويه السدس وذكر اولا قوله ولابويه ثم ابدل بقوله لكل واحد منهما السدس لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والمفسر والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان قيل الاولى ان يقدر المبتدا والمعنى لابويه الثلث ثم يفصل بقوله لكل واحد منهما السدس ودل التفصيل على المبتدا ويستقيم على هذا جعله من بدل التقسيم كقولك الدار لثلاثة لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولا يستقيم هذا اذا لم يقدر المبتدا ولا يخفى انه لا فايدة في تقدير المبتدا بل لا يبقى حينئذ البلاغة التي حصلت من الابدال والتفصيل بعد الاجمال والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكمه في ذلك وللابوين ثلثة احوال الحالة الاولى ان يحصل معهما ولد وهذه الحالة يتصور وقوعها على ثلثة اوجه احدها ان يحصل مع الابوين ولد ذكر واحدا او اكثر من واحد فهاهنا للابوين لكل واحد منهما السدس وثانيها ان يحصل معهما ابنتان فصاعدا فالحكم كما ذكر وهو ان يكون لكل منهما السدس وثالثها ان يحصل معهما بنت واحدة فللبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم هذه الايه والباقي له بحكم التعصيب قوله فان لم يكن له ولد الحالة الثانية للابوين وهي ان لا يكون معهما ولد ولا يكون هناك وارث سواهما وهو المراد من قوله وورثه ابواه فلامه الثلث وذلك فرضها والباقي للاب فان قيل قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فايدة في قوله وورثه ابواه اجيب بان معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قيل لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس فانه قال يدفع الى الزوج نصيبه والى الام الثلث ويدفع الباقي الى الاب وقال لا اجد في كتاب الله ثلث ما بقي والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين الثلث للام والثلثان للاب لكن ياخذ السدس بالفرضية والنصف بالتعصيب فاذا انفرد الاب ياخذ كل المال لان خاصية العصبة هو ان ياخذ الكل عند الانفراد وهذا كله اذا لم يكن للميت وارث سوى الابوين او معهما ولد قرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة استثقالا للضمة بعد كسرة والباقون بضمها على الاصل قوله تعالى فان كان له الحالة الثالثة ان يكون مع الابوين الاخوة والاخوات اتفقوا على ان الاخت الواحدة سواء كانت للابوين او للاب وحده او للام وحدها وارثة او غير وارثة لا تحجب الام من الثلث الى السدس والاخوة اي الثلثة فما فوقها يحجبون الام عن الثلث الى السدس سواء كانت بني الاعيان او العلات او للام وحدها او مختلفة ذكورا او اناثا او مختلفة وارثة او غير وارثة او مختلفة ولا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس سدس بالفرضية والباقي بالعصب واختلفوا في الاثنين من الاخوة والاخوات فغير ابن عباس من الصحابة والتابعين وغيرهم قالوا انهما يحجبان الام من الثلث الى السدس كما في الثلثة وقال ابن عباس لا يحجبان كما في حق الواحد حجة ابن عباس ان الايه دالة على ان هذا الحجب مشروط بوجود الاخوة ولفظ الاخوة جمع فلا يتناول الاخوين فان الجمع خلاف التثنية روي ان ابن عباس قال لعثمان بم صار الاخوان يردان الام الى السدس.

اذ ح

كما في الثلاثة وقال ابن عباس لا يحجبان كما في حق الواحد حجة ابن عباس ان الاية داله على ان هذا
الحجب مشروط بوجود الاخوة ولفظ الاخوة جمع فلا يتناول الاخوين فان الجمع خلاف التثنيه ركواي
وانما قال الله فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان هل استطيع
نقض امر قد كان قبلي وتوارثه الناس ومضى في الامصار وفيما جرى بين عثمان وبن عباس
دلاله على ان اقل الجمع ثلاثه لان ابن عباس ذكر ذلك مع عثمان وعثمان ما انكره وهما كانا من صميم العرب
ومن علما اللسان فكان اتفاقهما حجة في ذلك والظاهر ان الجمع حقيقه في الثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل
في الاثنين بطريق المجاز لان الاخوة تفيد معنى الجمعيه المطلقه بغير كميه والتثنيه كالتثليث والتربيع
في افادة الكميه وهذا موضع الدلاله على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه لان الجمع ضم الشي الى الشي وقد
كثر استعمال الجمع على التثنيه قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما والعرب تقول ضربت من زيد وعمرو
رووسهما و وجعت اخوتك ظهورهما وانشد لما اتيا المرايان بالحر سلوان الامر فينا قد شهر
وانشد تحيى بالسلام غني قوم وبخل بالسلام على الفقير اليس الموت بينهما سوا اذا ماتوا وصاروا في القبور
والعدول من الحقيقه الى المجاز المشتهر يجوز بطارف ويوكد هذا باجماع التابعين على سقوط مذهب
ابن عباس والاجماع بعد الخلاف حجه وعن ابن عباس ان الاخوة ياخذون السدس الذي حجبوا الام
عنه وما بقي فللاب فان الاستقرا دل على ان من لا يرث لا يحجب فالاخوة حجبوا فيرثوا والجمهور
انه عند عدم الاخوة المال للابوين وعند وجود الاخوة لم يذكر رحمه الله الا انهم يحجبون الام من
الثلث الى السدس ولا يلزم من كونه حاجبا كونه وارثا فيبقى المال عند الحجب على ملك الاب كما كان
قبل ذلك قوله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين قرا ابن كثير وابن عامر وعاصم في روايه
ابي بكر بفتح الصاد على ما لم يسم فاعله والباقون بكسر الصاد اسناد الى الموصي الميت وهو متعلق بما
تقدمه من قسمه المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمه هذه الانصبا من بعد وصية يوصي بها
وانما قدم الوصيه على الدين في الايه بحسب اللفظ والدين مقدم عليها في الشريعه لان الوصيه مشبهه
للميراث في كونها توخذ من غير عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثه ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها
فكان اداوها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنه الى ادايه فقدمت على الدين في اللفظ
بعثا على ادايها والمسارعه الى اخراجها مع الدين او كلاهما قدم على قسمه الميراث لهو لك جالس الحسن
او ابن سيرين قوله اباوكم وابناوكم كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبايهم وبين قوله فريضة من
الله ومن حق الاعتراض ان يكون موكدا للكلام الذي تقدمه ولما ذكر الله تعالى ذكر انصبا الاولاد
ذكر انصبا الابوين وتقديم الوجه على الانصبا وكانت تلك الانصبا مختلفه مخالفه لقسمه
العرب المواريث والعقول لا تهتدي الى كميه تلك التقديرات المخالفه لما جرت عادتهم به فربما خطر
ببال الانسان ان القسمه لو كانت على غير هذا الوجه او على الوجه المعتاد او كانت الوصيه غير
مقدمه على انصباء الورثه كان انفع واصلح فازال الله هذه الشبهه بان عقولكم لا تحيط بمصالحكم
فعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم المفسد من المصلح فانه هو
العالم بالمصالح والمفاسد وعواقب الامور فكانه قيل للمخاطبين بقوله يوصيكم الله اتركوا تقدير
المواريث التي جرت عادتكم به واستحسنه عقولكم وانقادوا لامر الله الذي اوصيكم به فانكم لا تدرون
من انفع لكم من اباكم وابناكم الذين يموتون امن لم يوص يعني فان تقدير الانصبا على هذا الوجه
وتقديم الوصيه عليها وامضايها اقرب لكم نفعا من التقدير على الوجه المعتاد لكم ومن ترك الوصيه
وعدم تقديمها فان التقدير على هذا الوجه وتقديم الوصيه على الانصبا عرضكم لثواب الاخرة فهو

اقرب

بيته
فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى من التقدير على الوجه المعتاد وترك الوصيه وترك تقديمها فان زعما
ان يتوفر عليكم عرض الدنيا ولا شك ان ثواب الاخرة اقرب نفعا واحضر جدوى من عرض الدنيا اذها با
الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصوره الا انه فان فهو في الحقيقه الابعد
الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقه الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان
ارفع درجه من ابيه في الجنه سال ان يرفع ابوه اليه وكذلك الاب ان كان ارفع درجه من ابيه سال
ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرايض على ما هو عنده
حكمه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمه وقيل الاب يجب عليه
النفقه على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقه لا يدرى ايهما اقرب
نفعا وقيل لا تدرون من انفع لكم من اباكم وابنايكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص فان من
اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضا وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصيه
فوفر عليكم عرض الدنيا قال صاحب الكشاف وليس شي من هذه الاقاويل المتقدمه على الاخير بملايم للمعنى
ولا بمجاوب له لان هذه الجمله اعتراضيه ومن حق الاعتراض ان يوكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول
هو الاخير ولقايل ان يقول القول الاول ملايم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجمله اعتراضيه ومن حق
الاعتراض ان يوكد ما ولا بعد في اراده هذه الاقاويل جميعا فريضه نصب نصب المصدر الموكد اي فرض
ذلك فرضا من الله لا من استنباطكم ان الله كان عليما بجميع المعلومات فيكون عالما بما في قسمه الانصبا
من المصالح والمفاسد حكيما في كل الامور فلا يامر الا بما هو الاحسن فقسمته لهذه المواريث اولى من
القسمه التي جرت العاده به في الجاهليه فان قيل لم قال كان عليما حكيما مع انه الان كذلك اجيب
بان الخبر من الله بهذه الالفاظ كالخبر بالحال والاستقبال لانه منزه عن الدخول تحت
الزمان وقيل لما شاهدوا علما وحكمه وفضلا واحسانا تعجبوا فقيل لهم ان الله تعالى
كان كذلك ولم يزل موصوفا بهذه الصفات **قوله تعالى** ولكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او
دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من
بعد وصيه يوصون بها او دين قيل اورد الله تعالى اقسام الورثه في هذه الايات
على احسن الترتيب لان الوارث اما متصل بالميت بغير واسطه او بها والاول سبب الاتصال
فيه النسب او الزواج والثاني الكلاله فقدم القسم الاول للزومه وقدم من القسم الاول
الاولاد على الابوين لمزيد الاعتنا به وقدم القسم الثاني على الثالث لعدم الوساطه وقدم من
القسم الثاني الرجل على المراه لان الرجل افضل من المراه قال تعالى الرجال قوامون على النسا
فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراه على النصف من الرجل بحق الزواج الذي هو السبب كما جعلت
على النصف بحق النسب والواحده والجماعه سوا في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والانثى
ولا فرق بين الابن وابنه ولا بين البنت وبين بنت الابن وقال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها
بعد موتها زوجه لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم سماها زوجا بعد الموت وقال ابو حنيفه
لا يجوز لانها ليست زوجا له لعدم حل وطيها وجواز نكاح اختها وجمع اربع سواها والجواب
ان جواز هذه الامور في حال حيوتها وجواز الغسل لم يشترط الحيوة فيه **قوله تعالى** وان كان رجل
يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في
الثلث من بعد وصيه يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم هذا هو القسم

الثالث من اقسام الورثه وهم الذين ينسبون الى الميت بواسطة من مات ولا ولد له ولا والد فهو كلاله ورثته
ووارث ليس بوالد للميت ولا ولد فهو كلاله موروثه فالكلاله اسم يقع على الوارث والموروث اذا كانا
بالصفه التي ذكرنا يقال رجل كلاله وامراة كلاله وقوم كلاله لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلاله والوكاله
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سيل عن الكلاله فقال اقول فيه براي فان كان صوابا فمن الله وان
كان خطا فمني ومن الشيطان والله منه بري الكلاله ما خلا الولد والوالد وقد يطلق الكلاله على القرابه
من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلاله كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن
والكلاله في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوه من الاعيا قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة
فاستعيرت الكلاله للقرابه من غير جهة الولد والوالد لان القرابه من غير جهة الولد والوالد بالنسبه
الى قرابة الولد والوالد كالة ضعيفه واذا جعل الكلاله للموروث او الوارث فالمعنى ذو كلاله كما تقول
فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهاجه والعقاقه للاحمق يقال رجل هجاجه اي
احمق ورجل عقاقه اي احمق والمراد بالكلاله في هذه الايه الاخ او الاخت للام وقوله وله اخ او اخت
يعني من الام باجماع المفسرين ويدل عليه قراة ابي وله اخ او اخت من الام وقراة سعد بن ابي وقاص وله
اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلاله ههنا الاخوه للام خاصه بما ذكر في اخر السوره من ان
للاختين الثلثين وان للاخوه كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على
الثلث شيا يعني انهم الاخوه للام والا فالكلاله عامه لمن عدا الولد والوالد من ساير الاخوه الاخياف الذين
امهم واحده وابايهم شتى والاعيان للاب والام واولاد العلات للاب قوله تعالى وان كان رجل
يعني الميت يورث من ورث اي الذي اي يورث منه وهو صفه لرجل وكلاله خبر كان اي وان كان رجل
يورث منه كلاله ويجوز ان يجعل يورث على البنا للمفعول من اورث وحينيذ يكون رجل وارثا
ويكون التقدير وان كان رجل وارث كلاله وللرجل الوارث اخ او اخت فلكل واحد
من الرجل الوارث واخيه واخته السدس فافاد ايضا استوا الاخ والاخت في حيازة السدس
من غير مفاضلة الذكر والانثى لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير
فقد سويت بين الذكر والانثى قوله تعالى فان كانوا اكثر من ذلك بين ان نصيبهم كم كانوا لا يزداد
على الثلث قوله غير مضار منصوب على الحال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته والضرار
في الوصيه يقع على وجوه منها ان يوصي بزياده على الثلث ومنها ان يقر بكل ماله او ببعضه لاجنبي
ومنها ان يقر على نفسه بدين لا حقيقه له دفعا للميراث عن الورثه ومنها ان يقر بان الدين
الذي كان له على غيره قد استوفاه ومنها ان يبيع شيا بثمن بخس او يشتري شيا بثمن غال كل ذلك
لغرض ان لا يصل المال الى الورثه ومنها ان يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته
ومضارهم قال العلما الاولى ان يوصي باقل من الثلث عن علي لان اوصي بالخمس احب الي من الربع
ولان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث والاولى بالانسان ان ينظر في قدر ما يخلف
ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثه كثره لم يوص وان كان في المال
كثره اوصى بحسب المال وبحسب حاجتهم في القله والكثره قيل والاضرار في الوصيه من الكباير لقوله
تعالى تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس ومن يعص الله ورسوله في الوصيه ولقوله
صلى الله عليه وسلم الاضرار في الوصيه من الكباير وقوله عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله قطع
الله ميراثه من الجنه ولا شك ان الزياده في الوصيه قطع من الميراث وعن الحسن المضار في الدين
ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار قوله وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك

وصيه

وصيه لقوله فريضه من الله وقيل وصيه منصوب بقوله غير مضار اي لا يضار وصية الله وهو الثلث
فما دونها بزيادته على الثلث وقيل لا يضار وصيته من الله بالاولاد وان لا يدعهم عاله باسرافه في الوصيه وينصر
هذا الوجه قراة الحسن غير مضار وصيته من الله بالاضافه فان الاضافه تدل على انه مفعول به ولون خاتمة
الايه الاولى فريضه من الله وخاتمة هذه الايه وصيه من الله يدل على ان رعاية حق الاولاد اولى وان كان
الكل واجب الرعايه لان لفظ الفريضه اكد واقوى من لفظ الوصيه والله عليم بكل المعلومات فيكون عليما
بمن جار او عدل في وصيته حليم عمن عصى لا يعاجله بالعقوبه ويقبل توبته قوله تعالى تلك حدود
الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين بعد بيان سهام المواريث
ذكر الوعد والوعيد ترغيبا في الطاعه والانقياد لاوامر الله وترهيبا عن المعصيه فقال تلك حدود الله اشاره
الى الاحكام التي ذكرت من اول السورة الى ههنا في باب اليتامى من الاموال والانكحه وباب الوصايا والمواريث
وسماها حدودا لان الشرايع كالحدود والمضروبه الموقته للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها
ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق وقوله ومن يطع الله ورسوله وقوله ومن يعص الله ورسوله عام
فيمن اطاع الله ورسوله وعصى الله ورسوله في هذه التكاليف المذكوره في هذه السوره وغيرها
لان من عام ووقوعه عقيب هذه التكاليف الخاصه لا يقتضي تخصيصه قرا نافع وابن عامر
ندخله جنات ندخله نارا بالنون فيهما والباقون بالبا فيهما الاول على طريقة الالتفات كما في قوله
بل الله مولكم ثم قال سنلقي والثاني ظاهر ووحد الضمير في قوله يدخله وخالدين جميعا باعتبار
لفظ من في الاول واعتبار معناه في الثاني وانتصاب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز ان
يكون خالدين صفه لجنات وخالدا صفة لنار لانهما جريا على غير من هما له ولم يكن ضمير لانهما
لو كانا صفتين لهما لوجب الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قوله تعالى واللاتي
ياتين الفاحشه من نسايكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا لما ذكر في الايات المتقدمه ما يقتضي الاحسان الى
النسا ومعاشرتهن بالجميل وما يتصل بهذا الباب ضم الى ذلك التغليظ عليهن فيما ياتينه من الفاحشه
فان ذلك في الحقيقه احسان اليهن ونظر لهن في امر اخرتهن وفيه فايدة اخرى وهو ان لا يجعل امر الله
الرجال بالاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن فيصير ذلك سببا لوقوعهن في الفواحش
والمفاسد وفيه فايدة اخرى وهي بيان ان الله تعالى كما يستوي في الخلقه يستوي في علمهم وانه ليس في
احكامه محاباه وان مدار الشرايع على الانصاف والاحتراز في كل باب عن طرفي الافراط والتفريط
واللاتي جمع التي قوله ياتين الفاحشه اي يفعلنها يقال اتيت امرا قبيحا اي فعلته ويقال
اتى الفاحشه وجاها وغشيها ورهقها بمعنى والفاحشه الفعله القبيحه وهي مصدر عند
اهل اللغه كالعاقبه والجمهور على ان الفاحشه ههنا الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبايح
قوله من نسايكم اي ازواجكم لقوله والذين يظاهرون من نسايهم وقوله من نسايكم اللاتي
دخلتم بهن وقيل من نسايكم اي من الحراير لقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم والغرض
انه لا حد على الاما وقيل من المسلمات وقيل من الثيبات قوله فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
اي من المسلمين فان شهدوا عليهن فامسكوهن في البيوت احبسوهن في السجون حتى يتوفاهن الموت
او يجعل الله لهن سبيلا وكان هذا في ابتدا الاسلام المراة اذا زنت حبست في البيت حتى
تموت وان كان لها زوج كان لهن ماله حتى نزلت الزانيه والزاني فاجلدوا والايه هذا

حكم البكرين وان كانا محصنين رجما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيلهما الذي جعله
الله لهما في قوله او يجعل الله لهن سبيلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خذوا عني
خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب الرجم والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
فنسخت تلك الاية ببعض هذه الاية وهو الامساك في البيوت وبقي بعضها محكما وهو الاشهاد وقيل
يجوز ان يكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في
البيوت بعد ان يحدد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعريض للرجال
وقوله او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح قال صاحب الكشاف فان قلت
ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن
ملائكة الموت لقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى ياخذهن
الموت ويستوفي ارواحهن **قوله تعالى** واللذان ياتيانها منكم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما ان الله كان توابا رحيما قرا ابن كثير اللذان وهذان مشددة النون والباقون بالتخفيف
وابو عمرو وافق ابن كثير في قوله فذانك وجه التشديد من تثنية الاسما المتمكنة وغيرها
وقيل النون فيهما ليست نونا لتثنية فاراد ان يفرق بينهما وتخصيص ابي عمرو والتعويض
في المبهمة دون الموصولة ليشبه ان يكون ذلك لان الحذف للمبهمة الزم فكان استحقاقهما للعوض
اشد قوله واللذان ياتيانها يريد الزاني والزانية فاذوهما اي وبخوهما وعنفوهما
باللسان وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله حتى اتيتما الفاحشة وقيل سبوهما واشتموهما
وقيل بالتعيير وضرب النعال فان تابا من الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد وغيرا الحال فاعرضوا
عنهما واقطعوا الاذى عنهما وانما كان هذا قبل نزول الحد فلما نزلت الحدود نسخت هذه
الاية كما نسخت من الامساك بالرجم للثيب والجلد والنفي للبكر فالجلد في القران والنفي والرجم
في السنة عن ابي هريرة رضي الله عنه وزيد ابن خالد الجهني انهما قالا ان رجلين اختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال احدهما اقض يا رسول الله بيننا بكتاب الله وقال الاخر وهو افقههما
اجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي في ان اتكلم بكلام فقال تكلم فقال ان ابني كان
عسيفا على هذا اي اجيرا فزنى بامراته فاخبروني ان على ابني الرجم فافتديت منه بمائة
شاة وبجارية ثم اني سالت اهل العلم فاخبروني ان على ابني جلد مائة وتغريب عام وانما الرجم
على امراته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله اما
غنمك وجاريتك فرد عليك وجلد ابنه مائة وغربه عاما وامر انيسا الاسلمي ان ياتي امراة
الرجل فان اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها وروي ان ماعز بن مالك جا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله طهرني قال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب اليه قال فرجع غير
بعيد فقال مثل ذلك حتى اذا كانت الرابعة قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابه جنون فاخبر
انه ليس به جنون فقال اشرب خمرا فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ازنيت انت قال نعم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فرجم وجا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال استغفروا الله لماعز فقالوا غفر الله لماعز فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة
لو قسمت بين امة لوسعتها وقيل يجوز ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذا
ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما
ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاية الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وحد السحاقات الحبس الى

الموت

الموت وحد اللواطين الاذى بالقول والفعل والمراد بالاية المذكورة في النور الرجل والمراة وحده
في البكر منهما الجلد وفي المحصن الرجم حجته ان اللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم مخصوص بهن واللذان ياتيانها
منكم مخصوص بالرجال لانه تثنية الذكور ولا يجوز ان يراد به الذكر والانثى وغلب الذكر لانه لو كان كذلك لما افرد
ذكر النسا من قبل ولا يحتاج الى التزام النسخ في شي من الايات بل يكون حكم كل منها باقيا مستمرا وهو اولى من
التزام النسخ وقيل المراد باللاتي الثيبات وباللذان البكر من الذكور والاناث والدليل عليه قوله من نسائكم فاضافهن
الى الازواج وسماهن نسا وهذا الاسم التي بالثيب والاذى اخف من الحبس في البيت وهو اليق بالبكر قوله
ان الله كان توابا حكيما التواب ان يعود على عبده بفضله ومغفرته اذا تاب العبد اليه من ذنبه **قوله تعالى**
انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله
عليما حكيما لما ذكر في الاية الاولى ان الاثنين بالفاحشة اذا تابا واصلحا يجب الاعراض عنهما واخبر على
الاطلاق ايضا انه تواب رحيم ذكر وقت التوبة وشرطها ورغبهم في تعجيلها لئلا ياتيهم الموت وهم مصرون
فلا ينفعهم التوبة التوبة التي يقبلها الله فيكون على بمعنى عند اقام صفة مقام صفة قال صاحب الكشاف
التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهولاء
وقد بين في اصول الدين انه لا يجب على الله شي وقد اشير اليه في المقدمات واعلم انه تعالى وعد قبول
التوبة واذا وعد شيا لا بد ان ينجز وعده لان الخلف في وعده محال ولما كان ذلك شبيها بالواجب قيل على الله
التي هي مقتضية للوجوب عليه مجازا فقوله على الله اعلام بان الله يقبل التوبة على سبيل التفضل قوله بجهالة
في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفها لان ارتكاب السوء مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما يدعو
اليه العقل والحكمة وقيل معناها العقل وقيل جهل عقوبته وقيل المعاصي كلها من عصى به فهو جاهل حتى
ينزع عن معصيته وقيل اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فراوا ان كل شي عصا به ربه فهو جهالة
عمدا كان او غيره وقيل يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية نظيرها في الانعام انه
من عمل منكم سوءا بجهالة قوله ثم يتوبون من قريب معناه قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها وقيل
من قريب ما دام في صحته قبل المرض والموت وقيل ما قبل الموت فهو قريب وقيل قبل معاينة ملك الموت
وقيل ان يتوب قبل موته بفواق ناقة روي انه اجتمع اربعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال احدهم سمعت رسول الله يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بيوم فقال الثاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بنصف يوم فقال
الثالث وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بضحوة
قال الرابع وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر بنفسه وعن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل موته بسنة
تاب الله عليه ثم قال ان السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال ان الشهر لكثير من تاب
قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم قال ان الجمعة لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم
قال ان الساعة لكثير من تاب قبل ان يغرغر تاب الله عليه والظاهر ان الزمان القريب ما قبل
حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل
فيه التوبة فبقي ما ورا ذلك في حكم القريب روي ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق
ابن ادم حتى يفارق روحه جسده فقال الله عز وجل وعزتي وعظمتي لا احجب التوبة عن عبدي حتى
يغرغر بها ومن في قوله من قريب للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية
وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جز تاب من اجزا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد

قوله فأولئك يتوب الله عليهم إخبار بأنه تعالى سيفعل ذلك على سبيل التفضل أو إخبار بقبول التوبة على سبيل التفضل قال صاحب الكشاف فإن قلت ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم قلت قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفا بالواجب ولقائل أن يقول قوله كما يجب على العبد بعض الطاعات قياس من غير جامع لا يليق بمن له معرفة فيما يتعلق بجلال الله تعالى قال صاحب الانتصاف هذا إنما تقشعر منه الجلود ومن لطف الله تعالى أن حاكي البدع ليس بمبتدع ووجهه عندنا أن الله تعالى وعدنا قبول التوبة بشروطها ووقوع الموعود به واجب الصدق فكل ما ورد من صيغ الوجوب فهو منزل على وجوب الصدق في الوعد وقولنا صدق الخبر واجب كقولنا وجود القديم واجب **قوله تعالى** وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ذكر الله تعالى شرائط التوبة المقبولة ثم ذكر التوبة التي لا تكون مقبولة فقوله ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات وقوله وهم كفار منصوب المحل على أنه حال من المعطوفين ظاهرا فيكون المراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا حين حضرهم الموت كفرعون كما قال الله عنه حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وبالذين يموتون الكفار الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه من غير أن خطر ببالهم التوبة سوى بين الكفار الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الكفار الذين لم يخطر ببالهم التوبة أصلا في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة وكما أن الذي مات على الكفر فاتته التوبة على اليقين فكذلك الكافر المسوق إلى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما أوان التوبة وقيل المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون عن سعيد بن جبير نزلت الأولى يعني قوله إنما التوبة على الله في المؤمنين والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات والأخرى في المشركين ولا الذين يموتون والأولى أن يجعل كل من الوسطى والأخرى للمشركين والمنافقين لكن الوسطى في المشركين والمنافقين الذين إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن والأخرى في المشركين والمنافقين الذين لم يخطر ببالهم التوبة وماتوا على ما كانوا عليه وقيل المراد بالذين يعملون السيئات الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقوله عليه السلام فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا وقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لأن من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة إلا عند حضرة الموت حاله قريبة من حال الكافر لأنه لا يجترئ على ذلك إلا قلب خال عن الإيمان وقيل المراد بالفساق وقوله وهم كفار مختص بالآخر وكل من الوجهين عدول عن الظاهر من غير دليل أما الأول فلأنه صرف الكفار عن ظاهره بالحمل على الفساق وأما الثاني فلأن اختصاص المعطوف بالحال خلاف الظاهر قوله أولئك أعتدنا لهم أي هيأنا لهم يقال أعتدت الشيء فهو معتد وعتيد أولئك إشارة إلى الذين في الوسطى والأخرى على تقدير أن يكون المراد بكل منهما المشركين فقط أو المشركين والمنافقين أو بمن في الوسطى المنافقين وبمن في الأخرى المشركين ومن جعل الذين في الوسطى الفساق فمنهم من جعل أولئك إشارة إلى الذين في الوسطى والذين في الأخرى وهم الوعيدية وتمسكوا بهذه الآية على صحة مذهبهم من وجهين الأول أنه تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فعطف الذين يموتون وهم كفار على الذين يعملون السيئات والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فثبت أن الطائفة الأولى ليسوا من الكفار ثم إنه تعالى

قال

قال في حق الكل أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما فهذا يقتضي شمول هذا الوعيد للكفار والفساق الثاني أنه تعالى أخبر أنه لا توبة لهم عند المعاينة فلو كان يغفر لهم مع ترك التوبة لم يكن لهذا الإعلام معنى والجواب عن الأول أنه لا يلزم من مغايرة المعطوفين أن تكون الطائفة الأولى غير كفار فإنه يجوز أن تكون الطائفتان كفارا لكن أحدهما صنف غير الآخر لما ذكر بل الآية دالة على أن الطائفتين كفار وإلا لزم تخصيص المعطوف بالحال وهو خلاف الظاهر وعلى تقدير أن تكون الطائفة الأولى غير الكفار يجوز أن تكون أولئك إشارة إلى الذين يموتون لأنه أقرب من قوله أولئك وعن الثاني أنا لا نسلم أن إخباره عنهم بأنه لا توبة لهم عند المعاينة يستلزم أن لا يغفر لهم قوله لو كان يغفر لهم مع ترك التوبة لم يكن لهذا الإعلام معنى فإنه أخبر أنه لا توبة لهم عند المعاينة وإذا كان لا توبة لهم حصل هناك تجويز العقاب وتجويز المغفرة وهذا لا يخلو عن نوع تخويف وهو كقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على أن هذا تمسك بدليل الخطاب والوعيدية لا يقولون به **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا عن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية إذا مات كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجوها وإن شاؤوا لم يزوجوها فنزلت هذه الآية وأعلم الله أن ذلك حرام وأن الرجل لا يرث المرأة من الميت وقيل كان أهل المدينة في الجاهلية وفي أول الإسلام يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم كان الرجل إذا مات وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه عليها أو على خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيرها فإن شاء أن يتزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وإن شاء عضلها ومنعها من الزواج وطول عليها وضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فيرثها فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ابن زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها وكانوا يفعلون ذلك حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن فطرح ثوبه عليها فولي نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها بذلك لتفتدي منه بمالها وكذلك كانوا يفعلون إذا ورث أحدهم نكاحها فإن كانت جميلة موسرة دخل بها وإن لم تكن جميلة طول عليها لتفتدي منه فأتت كبيشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه وقد أضر بي وطول علي فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا هو يخلي سبيلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله فانصرفت وسمعت بذلك النساء بالمدينة فأتين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد الفضيخ فقلن يا رسول الله ما نحن إلا كهيئة كبيشة غير أنا لم ينكحنا الأبناء ونكحنا بنو العم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي لا يحل لكم أن تأخذوهن على طريق الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات قرأ حمزة والكسائي بضم الكاف ههنا وفي التوبة والباقون بالفتح قال الكسائي هما لغتان وقيل الكره بالضم وبالفتح المشقة فما أكره عليه فهو كره بالفتح وما كان من قبل نفسه فهو كره بالضم ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن كفعل أهل المدينة والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه وقيل نزلت قوله ولا تعضلوهن في الرجل يكون في حجره اليتيمة فيكره أن يزوجها لمالها فيتزوجها لأجل مالها أو يكون تحته العجوز ونفسه تتوق إلى الشابة فيكره فراق العجوز ويتوقع وفاتها ليرث مالها وهو معتزل فراشها وقيل هذا في الرجل يكون له المرأة وهو كاره

لصحبتها ولها عليه مهر فيطول عليها ويضارها لتفتدي بالمهر او ترد عليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن
ذلك ثم قال ولا تعضلوهن اعرابه النصب عطفا على ان ترثوا او لا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النسا ولا
ان تعضلوهن ثم قال الا ان ياتين بفاحشة مبينة فحينئذ يحل لكم اضرارهن لتفتدين قوله الا ان ياتين
استثنا من اعم عام الظرف او المفعول كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة
او ولا تعضلوهن لعله من العلل الا ان ياتين بفاحشة قيل الفاحشة النشوز وشكاسة الخلق وايذا
الزوج واهله بالبذا والسلاطة اي الا ان يكون سو العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع
ويدل عليه قراة ابي الا ان يفحش عليكم وقيل الفاحشة الزنا فان زنت حل لزوجها ان يسالها الخلع
وقيل كان الرجل اذا اصابت امراته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وقيل لا يحل له الخلع
حتى يوجد رجل على بطنها وقيل لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل
نسخ ذلك بالحدود وقرا عاصم في رواية ابي بكر مبينة ها هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح اليا
والباقون بكسرها فيهن وهما لغتان فصيحتان التبيين الايضاح والوضوح وكانوا يسيئون معاشرة
النسا فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف اي قبل الاتيان بالفاحشة وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال
في القول وقيل اصحبوهن بما يجب عليكم من الحق وقيل علموهن السنن والفرايض وقيل العشرة الصحيحة ما لا يورثك
الندم عاجلا واجلا وقيل المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال فيما ساك وكرهت صحبتها قوله
فان كرهتموهن اي عشرتهن بالمعروف وصحبتهن للانفار فوهن لكراهة الانفس وحدها فعسى ان تكرهوا شيا
ويجعل الله في ذلك الشي المكروه خيرا كثيرا وصح قوله فعسى ان تكرهوا جزا الشرط من حيث ان المعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه قيل الخير الكثير في المراة
المكروهة الولد الصالح وربما يكون فرطا وقيل السكون الى كراهة النفس جعل الله فيه خير الدارين وقيل
الخير الكثير ما يتصل بالعقبى قيل غيب الله عنكم العواقب لئلا تسكن الى مالوف ولا تنفر من مكروه عن ابن
عمر رضي الله عنهما ان الرجل يستخير الله عز وجل فيخار له فيسخط على ربه فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فاذا هو
قد خير له ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الخبر **قوله تعالى** وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم
الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا لما اذن في الاية السابقة مضارة الازواج اذا اتين بفاحشة
بين في هذه الاية تحريم المضارة في غير حالة الفاحشة وكان الرجل اذا مال الى التزوج بامراة اخرى
وطمح عينه الى استطرافها رمى التي تحته بفاحشة وبهتها حتى يلجيها الى الافتدا منه بما اتاها ليصرفه
الى تزوج المراة التي مال اليها فقال تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج ولم يكن من قبلها
نشوز او اتيان بفاحشة واتيتم احداهن قنطارا اعطيتم احداهن قنطارا اما لاعطيتها كثيرا فلا تاخذوا
منه اي من القنطار شيا اي لا ترجعوا في شي مما اتيتموهن من المهر اذا كرهتموهن واردتم طلاقهن عن
عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصداق النسا فانها لو كانت مكرمة في الدنيا
او تقوى عند الله لكان اولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم ما اصدق امراة من نسايه ولا امراة من بناته
باكثر من اثنتي عشرة اوقية وهي اربعون درهما فقامت اليه امراة فقالت يا امير المومنين لم تمنعنا حقا جعله
الله لنا والله يقول واتيتم احداهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني
اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النسا قوله اتاخذونه استفهام
انكار والبهتان ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بري منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير يقول
بهته بهتا وبهتا وبهتانا فهو بهات اي قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت وانتصب بهتانا على الحال

لهن

اي باهتين واثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا لقولك قعد عن القتال جبنا ثم قال على وجه
الانكار والتوبيخ وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض اي وصل بعضكم الى بعض بالجماع ولا يجوز
للزوج الرجوع في شي من المهر بعد المسيس والافضا الوصول يقال افضى اليه اي وصل اليه بالملابسة
معه من غير واسطة قوله واخذن منكم ميثاقا غليظا اي حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن
به منكم ميثاقا غليظا اي بافضا بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين
يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قولهم عند العقد زوجتك
على ما اخذ الله للنسا على الرجال في كتابه من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هو كلمة النكاح
التي يستحل بها الفرج وهو قوله انكحتك وقيل اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا
نزلت في حصن بن ابي قيس تزوج امراة ابيه وفي صفوان بن امية تزوج امراة ابيه فاختة بنت الاسود
وفي منصور بن ربان تزوج امراة ابيه مليكة بنت خارجة وفي ابي نغيل العدوي تزوج امراة
ابيه روي انه توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب ابنه امراة ابيه فقالت اني اعدك ولدا وانت
من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتته فاخبرته فقال لها رسول الله ارجعي
الى بيتك فانزل الله قوله ولا تنكحوا النكاح لغة الوطي وقد يكون العقد تقول نكحتها ونكحت
اي تزوجت وهي ناكح في بني فلان اي ذات زوج منهم واستنكحها بمعنى نكحها وانكحها اي زوجها ما
نكح يراد بها النسا وقوله من النسا بيان لما فما بمعنى من وقد مر وجه استعمال ما للنسا اللاتي يمن
يعقل وقيل يراد بها النكاح والمعنى ولا تنكحوا النكاح الذي نكح اباوكم الفاسد المخالف لدين
الله فما مصدرية ومن متعلقة بقوله تنكحوا والنسا اسم للجنس يدخل فيه الحراير والاما والنكاح
شامل للوطي والعقد سوا كان مشتركا بينهما او حقيقة في الوطي مجازا في العقد او بالعكس لما
تحقق وثبت انه يصح اطلاق اللفظ المشترك على مفهوميه واطلاق اللفظ على المفهوم الحقيقي والمجازي
فالحراير يحرمن بالعقد والاما بالوطي لكن الشافعي جوز نكاح موطوءة الاب بالزنا وابو حنيفة
لم يجوزه والاحتجاج والاعتراض من الجانبين مذكور في اصول الفقه مجملا وفي الخلاف مفصلا
قوله الا ما قد سلف استثنا من قوله ما نكح كما استثنى غير ان سيوفهم بهن فلول من قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف
فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته
كما تعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل الا بمعنى
بعد اي بعد ما مضى فان ذلك معفو وقيل استثنا منقطع اي لكن ما قد سلف فدعوه
واجتنبوه وقيل معناه لكن ما قد سلف فانه كان فاحشة وقيل معناه ولكن ما قد سلف فهو
معفو عنكم لمن واقعه فكانه قال ولا تفعلوا حاشى ما قد سلف فما على هذا القول واقعة على
من يعقل من حيث هولا النسا صنف من اصناف من يعقل وما تقع للاصناف والاوصاف
ممن يعقل وقيل قوله ما نكح يراد به فعل الاباء اي لا تنكحوا كما نكح اباوكم من عقودهم الفاسدة وقوله
الا ما قد سلف معناه الا ما تقدم منكم ووقع من تلك العقود الفاسدة فمباح لكم الاقامة عليه
في الاسلام اذا كان ممن يقرر عليه الاسلام من جهة القرابة ويجوز الشرع ان لو ابتدي نكاحه
في الاسلام على سنته وقيل معنى الاية النهي عن ان يطا الرجل امراة وطيها اباه الا ما سلف
من الاباء في الجاهلية من الزنا بالنسا لا على وجه المناكحة فذلك جائز لكم زواجهم في الاسلام

لان ذلك الزنا كان فاحشة ومقتا فزاد في هذه الايه المقت وقال ابن عباس في تاويل هذه الايه
كل امراة تزوجها ابوك او ابنك دخل او لم يدخل فهي عليك حرام وقيل الهمزه بمعنى الواو وتقديرها ولا
ما قد سلف فيكون المعنى اقطعوا اما انتم عليه من نكاح الابا ولا تسدوا قوله انه اي النكاح فاحشه
والمقت اشد البغض والمراد به ههنا قبل النكاح فان ناسا منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه
نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل مقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغه
في القبح قبيح ممقوت في المروه ولا مزيد على ما يجمع القبحين فاعلموا ان هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكرا عندنا
ممقوتا وقيل انه يوجب مقت الله لفاعله وسا سبيلا اي قبح هذا الفعل طريقا يقال سا الشي فهو
سي اذا قبح **قوله تعالى** حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ
وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعه وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي
في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما الامهات جمع ام والام
في الاصل امهه على وزن فعله مثل قبره وحمره فسقطت في الواحد وعادت في الجمع قال الشاعر
امهتي خندف والدوس ابي وقيل اصل الام امه وانشد في ذلك تقبلتها من امة لك طالما ثوب اليها
في النوايب اجمعا فالجمع امات قال فرجت الظلام بامالكا وقيل الامهات للناس والامات
للبهايم حرم الله تعالى في هذه الايه نكاح اربعة عشر صنفا من النسا سبعة منهن بنسب وسبعا بسبب
فاما النسب فقوله امهاتكم الى قوله وبنات الاخت واما السبب فقوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
الى قوله وان تجمعوا بين الاختين ازواج الابنا مذكور هنا وازواج الابا في الايه المتقدمه قيل
هذه الايه مجمله لانه اضاف التحريم الى الاعيان وتحريم الاعيان غير ممكن وتحريم الافعال متصور
والفعل الذي يصح اضافه التحريم ههنا غير مذكور وليست اضافة هذا التحريم الى بعض الافعال التي لا
يمكن ايقاعها في ذوات الامهات والبنات اولى من بعض فصارت الايه مجمله اجيب بان تقديم قوله
تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباوكم يدل على ان المراد تحريم نكاحهن وبان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن
كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله والحاصل ان اضافة التحريم الى
الاعيان لا يمكن حمله على ظاهره فلا بد من حمله على المفهوم المجازي فان وجد ما هو اعظم مقصودا
او اظهر عرفا او اقرب الى الحقيقه يحمل عليه ولا شك ان النكاح بالنسبه الى النسا اعظم مقصود او الشرب
بالنسبه الى الخمر اعظم مقصود او الاكل بالنسبه الى لحم الخنزير اعظم مقصود واضافة التحريم الى
الاعيان تفيد تاكيد التحريم والمبالغه في الاجتناب عما هو المراد وتحريم الامهات والبنات كان ثابتا
من لدن ادم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في دين من الاديان الحقه وكل امراه رجع نسبك اليها
بالولاده من جهة ابيك او من جهة امك باناث رجعت اليها او ذكور فهي امك وكل انثى رجع نسبها اليك
بالولاده بغير واسطه او بواسطة اناث او ذكور فهي بنتك وكل من الام والبنت في الاصليه
حقيقه وفي غير الاصليه مجاز وصح اطلاق اللفظ على المفهوم الحقيقي والمجازي ولا حاجة الى ارتكاب
تكلف واخواتكم كل انثى ولدها شخص ولدك في الدرجه الاولى فهي اختك سوا كان من الابوين او
من الاب وحده او من الام وحدها نقل ان نكاح الاخوات كان مباحا في اولاد الصلب لادم
لحكم الضروره وعماتكم وخالاتكم كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون العمه من جهة الام
وهي اخت ابي امك وكل انثى رجع نسبك اليها بالولاده فاختها خالتك وقد تكون الخاله من جهة
الاب وهي اخت ام ابيك وبنات الاخ وبنات الاخت والتحديد في هولا كالتحديد في بنت الصلب

وهولا النسوه اللاتي ذكرن محرمات من جهة النسب ثم ذكر المحرمات بسبب حادث فقال وامهاتكم
اللاتي ارضعنكم سمى الله هولا امهات واضافهن الى المومنين للحرمه كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك
فالتي ارضعتك او ارضعت امراة ارضعتك او رجلا ارضعك فهي امك من الرضاعه وقد نزل الله
تعالى الرضاعه منزلة النسب حتى سمى المرضعه اما للرضيع والمراضعه اختا وكذلك زوج المرضعه الذي
ارضعت بلبانه من زوجته او ام ولد فهي امك من الرضاعه وكذلك كل امراة ولدت امراة ارضعتك
او رجلا ارضعك فهي امك من الرضاعه وقد نزل الله تعالى الرضاعه منزلة النسب حتى سمى المرضعه
اما للرضيع والمراضعه اختا وكذلك زوج المرضعه الذي ارضعت هي بلبانه ابوه وابواه جداه
واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعه قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام
المرضعه جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه
ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه اعلم انه تعالى نص في هذه الايه على حرمة الامهات
والاخوات من جهة الرضاعه والحرمه غير مقصوره عليهن لقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من
الرضاع ما يحرم من النسب وانما عرفنا ان الامر كذلك لانه تعالى لما سمى المرضعه اما والمراضعه اختا
فقد نبه بذلك على انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب وذلك لانه تعالى حرم بسبب النسب سبعا
اثنتان منها هما المنتسبتان بطريق الولاده وهما الامهات والبنات وخمس منها بطريق الاخوه
وهن الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت ثم انه تعالى لما شرع بعد ذلك
في احوال الرضاع ذكر من كل من هذين القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي ثم ذكر من قسم
قرابة الولاد والامهات ومن قسمة قرابة الاخوه الاخوات ونبه بذكر هذين المثالين من هذين
القسمين على ان الحال في باقي الرضاع كالحال في النسب ثم انه عليه السلام اكد هذا البيان بصريح
قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لعموم الايه وهذا بيان
لطيف وقوله ما حرمت الولاده حرم الرضاع وعن علي قال قلت يا رسول الله ما لك تتوق في قريش
وتدعنا قال وعندك احد قلت نعم بنت حمزه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
لا تحل لي انها ابنة اخي من الرضاعه وعن عايشه رضي الله عنها ان اخا بني القعيس
وهو افلح استاذن على عايشه بعد ايه الحجاب فابت ان تاذن له فذكر ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ايذني له فانه عمك فقالت انما ارضعتني المراه ولم يرضعني الرجل قال انه عمك
فليلج عليك وانما يحرم بالرضاع بشرطين احدهما ان يكون خمس رضعات عن عايشه رضي الله عنها
كان فيما انزل عشر رضعات معلومات يحرمن فنسخن بخمس معلومات وسيل النبي صلى الله عليه وسلم
عن الرضاع فقال لا يحرم الاملاجه والاملاجتان اي المصه والمصتان وثانيهما ان يكون في الحولين
وما بعد الحولين لا يحرم وكان ابو حنيفه يرى ذلك بعد الحولين بستة اشهر ومالك بعد الحولين
بشهر والدليل على ان بعد الحولين وما بعد الحولين لا يحرم وكان ابو حنيفه يرى ذلك بعد
الحولين بستة اشهر ومالك بعد الحولين بشهر والدليل على ان بعد الحولين من الرضاع لا يحرم قوله
تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعه وليس بعد الكمال والتمام
شي وقوله صلى الله عليه وسلم لا رضاع بعد الحولين وانما الرضاع ما انبت اللحم وانشر العظم
قوله وامهات نسائكم جدة امراتك تحرم امك سوا كانت من النسب او الرضاع وهي تحرم
بنفس العقد على ابنتها لان الله اطلق التحريم ولم يقيده بالدخول هذا مذهب الاكثرين من الصحابه
ان ام المراة انما تحرم بالدخول بالبنت كما ان الربيبه انما تحرم بالدخول بامها وروى هذا عن علي

فاذا تبين ان من تزوج بامراة حرمت عليه امها وان لم يدخل بها ... [illegible]

وزيد وبن عمرو بن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى ذكر حكمين وهما قوله
وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون
ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا حجة القول الاول ان قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن لا يخلو من ان يتعلق
بقوله وامهات نسائكم دون قوله وربائبكم وهو باطل والا لزم القول بتحريم الربائب مطلقا وهو خلاف
الاجماع او بهن وبالربائب وهو لا يجوز لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر لانك اذا قلت
وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة
ولا يصح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ويمكن ان يجاب عنه فيقال انه اعلق بالنساء
والربائب وجعل من للاتصال لقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض قال فاني لست منك ولست مني
ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن
لانهن بناتهن على انه يمنع عدم صحة استعمال الكلمة الواحدة في خطاب واحد لمعنيين مختلفين وقيل ان قوله
تعالى وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل الدليل على تعلق قوله من نسائكم بها فوجب القول ببقائه
على عمومه وانما قلنا انه غير متعلق بها لانه لا بد من تعلقه بشي تقدم ذكره فاذا اعلق باحدى الجملتين
لم يحتج الى تعليقه بالجملة الثانية فكان تعليقه بالجملة الثانية تركا للظاهر من غير دليل وهو غير جائز ولان
عموم قوله وامهات نسائكم معلوم وتعلق قوله من نسائكم يحتمل الاحتمال ان يكون مختصا بالجملة الاخيرة
فقط وجواز ان يكون متعلقا بالجملتين فالقول بتعلقه بالجملتين ترك لظاهر العموم بمخصص مشكوك وهو
غير جائز وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انكح الرجل المراة
فلا يحل له ان يتزوج بامها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شا
تزوج بالبنت وطعن محمد ابن جرير الطبري في صحة هذا الحديث وكان عبد الله بن مسعود
يفتي بنكاح ام المراة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة
فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع
عليه الباب وامره بالنزول عن تلك المراه واتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم
الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وعن سعيد ابن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها
كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شا فعل اقام المراه مقام الدخول في ذلك
كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المراة من غيره ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب
ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما وفائدة قوله في حجوركم التعليل للتحريم
وانهن لاحتضانكم لهن او بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم
حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة
بان يجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه
انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب
اي ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس والقبلة ونحوهما تقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر
رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر
ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن
في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطا وحماد ابن
ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده
واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يتعلق

الا بالجماع وحده وقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن يرد ما قيل من ان بنت مزنية الرجل تحرم قوله وحلائل
ابنائكم والحلائل جمع الحليلة الفعيلة فيمكن ان يكون بمعنى المفعول وان يكون بمعنى الفاعل اما بمعنى
المفعول فيجوز ان يكون ماخوذا من الحل الذي هو الاباحة فالحليلة تكون بمعنى المحل اي المحللة ولا
شك ان الجارية كذلك فوجب كونها حليلة له ويحتمل ان يكون ماخوذا من الحلول فالحليلة عبارة عن
الشي الذي يكون محل الحلول ولا شك ان الجارية كذلك فوجب كونها حليلة له ويحتمل ان يكون ماخوذا من
الحلول فالحليلة عبارة عن الشي الذي يكون محل الحلول ولا شك ان الجارية موضع حلول السيد
وكانت حليلة له واما اذا قلنا الحليلة بمعنى الفاعل ففيه وجهان الاول لشدة اتصال كل منهما بالاخر
كانهما يحلان في ثوب واحد وفي لحاف واحد وفي منزل واحد ولا شك ان الجارية كذلك الثاني ان
كل واحد منهما كانه حال في قلب صاحبه وفي روحه لشدة ما بينهما من المحبة والالفة فثبت ان جارية
الابن حليلة وحليلة الابن محرمة على الاب لقوله تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم واراد بقوله وحلائل
ابنائكم ازواج ابنائكم دخلوا بهن او لم يدخلوا بهن كما ان حرمة التزوج بحليلة الاب يحصل بنفس العقد وعن
ابن عباس انه سئل عن قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم انه تعالى لم يبين ان هذا الحكم مخصوص بما اذا
دخل الابن بها او غير مخصوص بذلك فقال ابن عباس ابهموا ما ابهمه الله فليس المراد من الابهام الاجمال بل المراد
التابيد فان ابن عباس قال في السبعة المحرمة من جهة النسب انها من المبهمات اي من المحرمات اللاتي
ثبتت حرمتهن على سبيل التابيد فكذا ههنا قوله الذين من اصلابكم دون من تبنيتم فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد تزوج زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها
زيد بن حارثة وقال تعالى زوجناكها لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وظاهر قوله الذين
من اصلابكم لا يتناول حلائل الابنا من الرضاعة وقال في اخر الاية واحل لكم ما وراء ذلكم فيفهم بحسب
الظاهر التزوج بحليلة الابنا من الرضاعة لكن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فاقتضى
تحريم نكاح حليلة الابن من الرضاع فخصص عموم القران بخبر الواحد والابنا يتناول ولد الولد قوله
وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين اما بالنكاح او
بالملك او بهما والجمع بينهما بالنكاح بان تعقد عليهما جميعا فالعقد فاسد او بان يتزوج احدهما ثم يتزوج الاخرى
فالنكاح الثاني باطل والجمع بين الاختين بالملك او بهما بان ينكح احدهما ويشتري الاخرى فقال عمر وعلي
وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما والباقون جوزوا ذلك اما الاولون فقد احتجوا
على قولهم ان ظاهر الاية يقتضي تحريم الجمع بين الاختين مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وعن
عثمان انه قال احلتهما اية وحرمتهما اية والتحريم اولى بالاية الموجبة للتحليل واراد باية التحريم هذه الاية
وباية التحليل قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم قيل رجح علي التحريم وعثمان التحليل والمذهب المشهور
انه يجوز الجمع بين الاختين بالملك والجمع بينهما بهما اي بالنكاح والملك وفي صورة الجمع بالملك اذا وطي
احدهما حرمت الثانية ولا تزول هذه الحرمة ما لم يزل حل الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج
وفي الصورة الثانية بنكاح احدهما تحرم وطي الاخرى قوله الا ما قد سلف اي لكن ما قد مضى
معفو عنه بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقيل يعني الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين
ليا ام يهودا وراحيل ام يوسف وكانتا اختين قال الشافعي نكاح الاخت في عدة الاخت جائز لانه لم يجمع
بين الاختين فلا منع فيه لقوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم وقال ابو حنيفة لا يجوز لان النكاح باق
من بعض الوجوه بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة عليها اجيب بان النكاح له حقيقة واحدة
غير متجزية وقال الشافعي اذا اسلم الكافر وتحته اختان اختار احدهما وفارق الاخرى سواء تزوجهما

واحد

دفعه واحده او على الترتيب دخل بهما او لم يدخل بهما دخل بواحدة منهما او لم يدخل اصلا وقال ابو حنيفه ان كان قد
تزوج بهما دفعه واحده فرق بينه وبينهما وان كان قد تزوج باحدهما اولا وبالاخرى ثانيا اختار الاولى وفارق
الثانيه **قوله تعالى** والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان
تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به
من بعد الفريضه ان الله كان عليما حكيما السابعه من اللاتي يحرمن بالسبب المحصنات بفتح الصاد هن ذوات
الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات من الاحصان الذي هو المنع وكذلك
الحصانه يقال مدينه حصينه ودرع حصينه اي مانعه صاحبها من الجراحه قال تعالى وعلمناه صنعة
لبوس لكم لتحصنكم من باسكم معناه ليمنعكم والحصن لمنعه من يريده بالسوء والحصان بالكسر الفرس الفحل لمنع
صاحبه من الهلاك والحصان بالفتح المراة العفيفه لمنعها فرجها من الفساد قال والتي احصنت
فرجها والاحصان في القران جا على وجوه احدها الحريه كما في قوله تعالى والذين يرمون المحصنات اي
الحراير ولهذا لو قذف غير حر لم يجلد ثمانين وكذلك قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وكذلك قوله
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات اي الحراير وثانيها العفاف وهو قوله محصنات غير مسافحات
وقوله محصنين غير مسافحين وقوله التي احصنت فرجها اي اعفته وثالثها الاسلام من ذلك قوله فاذا احصن
قيل في تفسيره اسلمن ورابعها كون المراة ذات زوج يقال امراة محصنه اذا كانت ذات زوج ومنه
قوله والمحصنات من النسا يعني ذوات الازواج والدليل عليه انه تعالى عطف المحصنات على المحرمات
فيجب ان يكون الاحصان سببا للحرمه ومعلوم ان الحريه والعفاف والاسلام لا تاثير له في ذلك فوجب
ان يكون المراد المزوجه لان كون المراة ذات زوج له تاثير في كونها محرمه على الغير قوله الا ما ملكت
ايمانكم اي حرمت عليكم المحصنات اي ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج
في دار الكفر فهن حلال لكم اي لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل
انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق فعند الشافعي لمجرد السبي وعند ابي حنيفه بالاحراز من
دار الحرب الى دار الاسلام وقيل المراد اذا كانت ذات زوج حرمت على غير زوجها الا اذا صارت
ملكا لانسان فانها تحل للمالك وقيل المراد بملك اليمين ملك النكاح والمعنى ان ذوات الازواج حرام
عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع البينونه بينهن وبين ازواجهن والمقصود
الزجر عن الزنا والمنع من وطيهن الا بنكاح جديد او بملك يمين ان كانت المراة مملوكه وعبر عن ذلك بملك
اليمين لان ملك اليمين حاصل في النكاح وفي الملك وقيل المراد بالمحصنات ههنا الحراير والدليل على
قوله تعالى بعد هذه الايه فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فكان المراد بالمحصنات ههنا ما
هو المراد هناك ثم المراد من المحصنات هناك الحراير فكذا ههنا فيكون المعنى حرمت عليكم الحراير
الا العدد الذي جعله الله ملكا لكم وهو الاربع وقيل معناه حرمت الحراير عليكم الا ما اثبت الله
لكم ملكا عليهن وذلك عند حضور الولي والشهود وساير الشرايط المعتبرة في الشريعه قوله كتاب الله
عليكم مصدر موكد اي كتب الله عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم قوله واحل لكم قرا ابن
كثير وابو عمرو ونافع وابن عامر احل بفتح الهمزه معطوفا على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي
كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم والباقون على ما لم يسم فاعله عطفا على قوله حرمت
عليكم قوله ما وراء ذلكم اي ما سوى ذلكم الذي ذكرت لكم من المحرمات قوله ان تبتغوا قيل هو بدل عن
قوله ما وراء القراتين اي واحل لكم ان تبتغوا والغايه محذوف اي تبتغوها فعلى قراة من قرا بفتح الهمزه
محله النصب ومن قرا على ما لم يسم فاعله محله الرفع وقيل على القراتين النصب بنزع الخافض على انه مفعول

بلغ باصله

له بمعنى واحل لكم ما وراء ذلكم لان تبتغوا اي ارادة ان تكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله
لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل
لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسده اعظم مما جمع بين الخسرانين والاحصان العفه وتحصين النفس
من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح ويجوز ان يكون مفعول تبتغوا مقدرا وهو النسا
اي ان تبتغوا النسا والاحسن ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب
المني وكان الفاجر يقول للفاجره سافحيني وماذيني من المذي قوله فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من
المنكوحات من جماع او خلوه صحيحه او عقد عليهن فاتوهن اجورهن عليه فاسقط عليه المسند على الضمير الراجع
الى الايه لا يلتبس كقوله تعالى ان ذلك من عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في قوله فما استمتعتم
في معنى النسا ومن في قوله منهن للتبعيض ويرجع الضمير الى ما على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن
وعلى تقدير ان يكون من للتبعيض فالتقدير فما استمتعتم به بعض المنكوحات وعلى تقدير ان يكون من للبيان
فالتقدير فما استمتعتم به اللاتي هن المنكوحات والمراد باجورهن مهورهن لان المهر عوض عن البضع اي عن
منفعة البضع وعوض المنفعه يسمى اجره قوله فريضه حال من الاجور بمعنى مفروضه او وضعت فريضه
موضع ايتا لان ايتا المهر فرض او مصدر موكد اي فرض ذلك فريضه فان استمتعتم بالدخول بهن فاتوهن
اجورهن بالتمام وان استمتعتم بعقد النكاح فاتوهن نصف المهر قوله ولا جناح عليكم اي لا اثم عليكم
في ان تحط المراة عن الزوج من المهر او تهب له مهرها او يهب الرجل تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول
او يزيد لها على مقداره وقيل معناه لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من اقامة او فراق وقيل قوله فما استمتعتم
به منهن نزل في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتح الله مكه على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت
كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليله او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره
ثم يسرحها سميت متعه لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى برجل
تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجاره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول
يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامه وقيل ابيح
مرتين وحرم مرتين وعن الشافعي لا اعلم في الاسلام شيا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعه وعن
ابن عباس هذه الايه محكمه اي لم تنسخ ورخص في المتعه وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى
وسال رجل ابن عباس عن المتعه فقال اما تقرا سورة النسا قال بلى قال فما تقرا فما استمتعتم به
منهن الى اجل مسمى روي ان علي بن ابي طالب قال لولا ان عثمان نهى عن المتعه ما زنى الا
شقي وعن عمران بن حصين قال نزلت اية المتعه في كتاب الله لم ينزل اية بعدها تنسخها فامرنا
بها رسول الله وتمتعنا مع رسول الله ومات ولم ينهنا عنها قال رجل بعد رايه ما شا
فلم يرخص في نكاح المتعه الا عمران بن حصين وابن عباس وبعض اصحابه وطايفه من اهل البيت
وساير العلما والفقها من الصحابه والتابعين والسلف الصالحين على ان هذه الايه منسوخه
ومتعة النسا حرام وسيل الحسن عن نكاح المتعه فقال انما كان ثلثة ايام على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم نهي عنه وقال الكلبي كان هذا في اول الاسلام احلها رسول الله ثلثة ايام
ثم حرمها وذلك انه اذا انتهى الاجل بينهما اعطاها الاجر وفارقها ثم نسخت باية الطلاق والعده
والميراث روي ان علي بن ابي طالب قال لابن عباس نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن متعة النسا يوم خيبر وعن لحوم الحمر الانسيه وعن ابن ابي مليكه سالت عايشه رضي الله عنها
عن المتعه فقالت بيني وبينكم كتاب الله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او

ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والله ما نجد في كتاب الله الا النكاح والملك وقال ابن عمر المتعة سفاح
وقال عطا المتعة حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير وروي ان ابن عباس رجع عن ذلك عند موته
وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف اي في البيع واعلم ان ظاهر قوله واحل
لكم ما وراء ذلكم يقتضي حل كل من سوى الاصناف المذكورة لكن دل الدليل على تحريم اصناف اخر سوى
هولا المذكورات منها لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بينها وبين خالتها قال عليه السلام لا تنكح المراة على عمتها
ولا على خالتها ومنها الامة القادر على طول الحرة ومنها الخامسة ومنها الملاعنة قوله ان الله كان عليما
حكيما لما ذكر في هذه الاية انواعا كثيرة من التكاليف والتحريم والاحلال بين انه عليم بجميع المعلومات
لا يخفى منها خافية اصلا وحكيم لا يشرع الاحكام المذكورة الا على وفق الحكمة وذلك يوجب التسليم
لاوامره والانقياد لاحكامه **قوله تعالى** ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات
فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن
اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم لما بين من يحل
ومن لا يحل بين فيمن يحل انه متى يحل وعلى اي وجه يحل الطول والفضل يقال لفلان على فلان طول
اي زيادة وفضل وقد طال طولا فهو طايل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرى غير طايل
ومنه قولهم ما حلي منه بطايل اي بشي يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه
كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح
الحرة فلينكح امة وطولا منصوب على انه مفعول لقوله لم يستطع بمعنى القدرة وهي فضل كما ان النكاح
فضل وقوة وقوله ان ينكح بدل منه وقيل هو مفعول له وفيه حذف مضاف اي لعدم طول
وان ينكح فيه وجهان احدهما هو بدل من طول بدل الكل لان الطول هو القدرة او الفضل
والنكاح قوة وفضل وثانيهما ان يكون منصوبا بطولا اي ومن لم يستطع ان ينال نكاح المحصنات
من قولك طلته اي نلته ويجوز ان يقدر حرف الجر اي ومن لم يستطع وصلة الى نكاح المحصنات
وقيل الطول هو القدرة او الفضل والنكاح قوة وفضل وثانيهما ان يكون منصوبا
طولا اي ومن لم يستطع وصله الى نكاح المحصنات وقيل الطول هو الغنى والفضل لان تاثير
عدم الغنى في عدم القدرة على العقد اقوى من عدم القدرة على الوطي وايضا انه تعالى ذكر
عدم القدرة على طول الحرة ثم ذكر عقيبه التزوج بالامة وهذا الوصف يناسب
هذا الحكم لان الانسان قد يحتاج الى التزوج فاذا لم يقدر على الحرة بسبب كثرة مونتها
وغلاء مهرها يوذن له في نكاح الامة قال ابن عباس من ملك ثلثماية درهم فقد وجب عليه الحج
وحرم عليه نكاح الاما ومذهب الشافعي ان من كان له سعة في المال بحيث يبلغ به نكاح الحرة
لا يجوز له نكاح الامة ومن لم يكن له سعة في المال بحيث يبلغ نكاح الحرة له ان يتزوج امة وابو حنيفة
يقول الغني والفقير سوا في جواز نكاح الامة وتفسير الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح
هو الوطي فله ان ينكح امة وقوله المحصنات قرا الكسائي بكسر الصاد وكذلك محصنات غير
مسافحات وكذلك على المحصنات كلها بكسر الصاد والباقون بالفتح والمراد بها الحراير والعفايف
ههنا يدل عليه قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم فانه جعل الاما مقابله وقسيما للمحصنات والوجه
في تسمية الحراير بالمحصنات على قراة من قراها بالفتح انهن احصن بحريتهن عن الاحوال التي تقدم
عليها الاما فان الظاهر ان الامة تكون خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة والحرة مصونة محصنة من هذه
النقصانات

النقصانات واما على قراة من قرا بكسر الصاد فالمعنى انهن احصن انفسهن بحريتهن مذهب
الشافعي شرط نكاح الاما ثلثة اثنان منها في الناكح والثالث في المنكوحة اما اللذان في الناكح
فاحدهما ان يكون غير واجد لما يتزوج به الحرة المومنة من الصداق وهو معنى قوله ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات فعدم استطاعة الطول ان لا يجد ما ينكح به الحرة فان العادة في الاما تخفيف
مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة السادات وثانيهما هو المذكور في قوله ذلك لمن خشي العنت منكم
اي بلغ الشدة في العزوبة والثالث المعتبر في المنكوحة ان تكون الامة مومنة فان الامة اذا كانت
كافرة كانت ناقصة من جهة الرق والكفر والولد تابع الام في الحرية والرق وحينئذ يكون الولد رقيقا
على ملك الكافر فيتحقق فيه نقصان الرق ونقصان كونه ملكا للكافر وابو حنيفة لم يجوز نكاح الامة
اذا كانت تحته حرة واذا لم يكن تحته حرة جوزه سوا قدر على نكاح الحرة او لم يقدر اعلم ان ظاهر قوله
فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات يقتضي كون الايمان معتبرا في الحرة فعلى هذا لو قدر على
نكاح حرة كتابية ولم يقدر على طول حرة مسلمة فانه يجوز له ان يتزوج بالامة والاكثر على ان اعتبار
الايمان في الحراير على سبيل الندب لانه لا فرق بين الحرة الكتابية والمومنة في كثرة المونة وقلتها فقيل
لا يجوز التزوج بالكتابية اصلا لانه تعالى بين ان عند العجز عن نكاح الحرة المسلمة يتعين له نكاح الامة
المسلمة ولو كان التزوج بالحرة الكتابية جايزا لكان عند العجز عن الحرة المسلمة لم يكن الامة المسلمة
متعينة وذلك ينافي دلالة الاية ثم اكد هذه الدلالة بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وقد
ثبت ان الكتابية مشركة قوله فمما ملكت ايمانكم اي فليتزوج مما ملكت ايمانكم من فتياتكم اي من
فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان الانسان ليس له ان يتزوج بجاريته نفسه من
فتياتكم المملوكات جمع فتاة تقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولن
احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي ويقال للجارية الحديثة فتاة وللغلام فتى والامة تسمى فتاة
عجوزا كانت او شابة لانها كالشابة في انها لا توقر توقير الكبير وانما اغلظ نكاح الامة عن نكاح الحرة
لما فيه من اتباع الولد الام في الرق وثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة
خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المومنين قوله والله
اعلم بايمانكم قيل معناه والله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقايكم في الايمان ورجحانه ونقصانه
فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة وربما كانت المراة افضل في الايمان
من الرجل وحق المومنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا
تانيس بنكاح الاما وترك الاستنكاف منه وقيل معناه اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون
بظواهر الامور والله يتولى السراير قوله بعضكم من بعض اي كلكم اولاد ادم فلا يتداخلنكم
انفة من تزوج الاما عند الضرورة وقيل معناه انتم وارقاكم متواصلون متناسبون مشتركون
في الايمان الذي هو اعظم الفضايل لا يفضل حر عبدا الا برجحان في الايمان فاذا حصل
الاشتراك في الايمان كان التفاوت فيما وراه غير ملتفت اليه ثم انه تعالى شرح كيفيه
نكاح الاما فقال فانكحوهن باذن اهلهن اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن السيد باطل
وقال ابو حنيفة ان للاما ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم
فمن قال لا يجوز ذلك كان تاركا لظاهر الاية وقال الشافعي لا يصح مباشرتهن للعقد سوا اذن
السيد او لم ياذن والاية دالة على ان اذن اهلهن لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دلالة
عليه كما انه لا دلالة على ان اذن السيد كاف اذا كانت الامة ملكا للمراة بل لا بد من اذنها قوله

واتوهن اجورهن اي مهورهن اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضا
والمضايقة للمراة بل لابد من اذنها والالحاح قيل ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها يدل عليه
قوله تعالى واتوهن اجورهن اي مهورهن والجمهور على ان مهرها للمولى لما يدل عليه قوله تعالى
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي فانه نفى ان يكون المملوك مالكا لشي ولان المهر وجب عوضا
عن منافع البضع وتلك المنافع مملوكة للسيد وهو الذي اباح للزوج بعقد النكاح فوجب ان
يكون هذا المستحق له لها والجواب عن التمسك بالاية وما في ايديهن مال الموالى فكان اداوها
اليهن ادا الى الموالى او على ان اصله فاتوا مواليهن فحذف المضاف وانما اضيف ايتا المهور اليهن لانه
عوض بضعهن فليس في قوله فاتوهن ما يوجب كون المهر ملكا لهن وقيل المراد باجورهن النفقة عليهن
لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كونها امة لا يقدح في وجوب
نفقتها وكفايتها اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة قوله محصنات عفايف
وهو حال من قوله فانكحوهن باذن اهلهن وهذا يدل ظاهرا على عدم جواز نكاح الزواني
واختلف الفقهاء فيه والاكثرون على جوازه والاية محمولة على الاستحباب قوله غير مسافحات
اي غير زوان ولا متخذات اخدان جمع خدن وهو الصديق وهو الذي يكون معك في
كل امر ظاهر وباطن قال المفسرون المسافحة هي التي تواجر نفسها مع اي رجل ارادها
واللاتي يتخذن الخدن هي اللاتي يتخذن خدنا معينا وكان اهل الجاهلية يفصلون بين
القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا
عندهم افرد الله كل واحد من القسمين بالذكر ونص على حرمتهما معا وقيل الاخدان الاخلا
في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له قوله فاذا احصن قرا حمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم احصن بفتح الهمزة والباقون بضمها فعلى الاول معناه فاذا احصن فروجهن
بالتزوج وعلى الثاني معناه فاذا احصن بالتزويج فان اتين بعد ان احصن بفاحشة فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب من الحد والعذاب الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما ويدرا عنها
العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتصور فيه التنصيف قال الامام في الاية اشكال
قوي لان المحصنات في قوله نصف ما على المحصنات اما الحراير المتزوجات والواجب
في الحراير المتزوجات الرجم فيجب في زنا الامة نصف الرجم وهو باطل او الحراير الابكار
ونصف ما عليهن هو خمسون جلدة وهذا القول واجب في زنا الامة سوا كانت محصنة
بالتزوج او لم تكن فالحكم معلق بصدور الزنا عنهن وظاهر الاية يقتضي كونه معلقا بمجموع
الامرين الاحصان والزنا لان قوله اذا احصن فان اتين بفاحشة شرط بعد شرط
فيقتضي كون الحكم مشروطا بهما فهذا اشكال قوي في الاية والجواب انا نختار
الثاني وقوله فاذا احصن ليس المراد منه جعل هذا الاحصان شرطا في تنصيف العذاب
عليهن بل المراد ان حد الزنا يغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت وقد زوجت فحدها خمسون
جلدة لا يزيد عليها فبان يكون قبل التزوج هذا القدر اولى وهذا مما يجري مجرى المفهوم
بالنص لان عند حصول ما يغلظ الحد لما وجب تخفيف الحد لمكان الرق فلان يجب هذا
القدر عند ما لا يوجد ذلك المغلظ كان اولى قوله ذلك شان الى نكاح الاما اي
مما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات ذلك لمن خشي العنت لمن خاف الاثم الذي
يودي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر

اي الحراير

ولاضرر

ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم وقيل ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة قد تودي بالانسان
الى الامراض الشديدة اما في حق النسا فقد تودي الى اختناق الرحم واما في حق الرجال فقد تودي
الى اوجاع الوركين والظهر قوله وان تصبروا في محل الرفع على الابتدا اي وصبركم عن نكاح
الاما متعففين خير لكم والمعنى ان نكاح الاما بعد رعاية الشرايط الثلاثة صبركم عنه وترككم
اياه خير لكم لما فيه من المضرة من كون الولد رقيقا وغيره ثم ختم الاية بقوله والله غفور رحيم
يعني انه وان حصل ما يقتضي المنع من نكاح الاما الا انه تعالى اباحه لكم لاحتياجكم اليه فكان ذلك
من باب المغفرة والرحمة **قوله تعالى** يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا
عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا قيل اللام بمعنى ان والعرب تعاقب بين لام
كي وبين ان فتضع احدهما مكان الاخر لقوله تعالى وامرت لاعدل بينكم وامرنا لنسلم لرب العالمين
وفي موضع اخر امرت ان اسلم لرب العالمين وقال يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم وفي موضع اخر
يريدون ان يطفئوا قال الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل وقيل اصله يريد
الله ان يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة التبيين فانه لو قال يريد الله ان يبين ليعلم منه
ارادة التبيين فزيدت اللام دالة على تاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب
والمعنى يريد الله ان يبين لكم شرايع دينكم ومصالح اموركم وقيل يعلمكم ما تذرون وما تاتون
وقيل يبين لكم ما تقربكم منه وقيل يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاما خير لكم ويهديكم وان يهديكم
سنن شرايع الذين من قبلكم من الانبيا والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم
ويتوب عليكم ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم وقيل يرجعكم من المعصية التي كنتم
عليها قبل هذا الى طاعته التي امركم بها في هذه الاية وقيل ويتوب عليكم ويرشدكم الى الطاعة
ان قمتم بها كانت كفارات لسياتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله عليم باحوالكم حكيم في كل ما يفعله بكم
ويحكم عليكم قوله تعالى والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا
ميلا عظيما والله يريد ان يتوب عليكم يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل والله
يريد ان يتوب عليكم ان وقع منكم تقصير في امره ويريد الذين يتبعون الشهوات اي الفجر
ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه لمساعدتهم وموافقتهم على
اتباع الشهوات قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس وذلك انهم كانوا يحلون نكاح الاخت
من الاب وبنت الاخ وبنت الاخت فلما حرمهن الله قالوا انكم تنكحون بنت الخالة والعمة والخالة
والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم
وقيل هم الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق فتكونون مثلهم تزنون كما يزنون وقيل هم جميع اهل
الباطل في دينهم **قوله تعالى** يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يريد الله ان يخفف
عنكم في نكاح الامة اذا لم تجد واطول الحر في احكام الشرع في جميع ما يسره الله لكم وسهله عليكم
ولم يثقل التكليف كما ثقل على بني اسرايل وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعن
الجماع وعن النسا فلذلك اباح له نكاح الامة وقيل يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك وقيل
لا يكون الانسان في شي اضعف منه في امر النسا وعن سعيد ابن المسيب ما ايس الشيطان من بني
ادم قط الا اتاهم من قبل النسا فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو
بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النسا وقيل يريد الله ان يخفف عنكم ما حملتموه

يحملكم من عظم الامانه وجلو الانسان ضعيف الراي ضعيف العقل الا من امده بنور اليقين فقوله
فقوته باليقين لا بنفسه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما لما بين كيفية التصرف في النكاح لاجل حفظ
النسب لم يعلم كيفية التصرف في الاموال وقيل لما ذكر ابتغا النكاح بالاموال وامر بايتا المهور والنفقات
بين كيفية التصرف في الاموال قوله بالباطل اي بالحرام وبما لا يحل لكم في الشريعه كالربوا والغصب والسرقه
والخيانه والباطل اسم جامع لكل ما لا يحل نهى الله بهذه الايه عن جميع المكاسب الباطله بالشرع وخص
الاكل بالذكر وان كانت ساير التصرفات الواقعه على الوجه الباطل محرمه لما ان المقصود الاعظم من
الاموال الاكل ثم قال الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقيل انما تكون الاموال تجارة والباقون بالرفع
على معنى الا ان تقع تجارة والمعنى ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي
عنه وقوله عن تراض منكم صفه لتجارة اي تجارة صادره عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب
الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي قيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد عقد البيع حتى يتفرقا
عن مجلسهما الذي تعاقدا فيه لقوله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك
لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محق بركة بيعهما وابتاع عمرو بن جرير فرسا ثم خير صاحبه بعد البيع
فقال سمعت ابا هريرة يقول هذا البيع عن تراض وهذا قول الشافعي فان مذهبه ان التراضي ان
يكون تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين والتراضي عند ابي حنيفه هو رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه
حال البيع وقت الايجاب والقبول قوله ولا تقتلوا انفسكم اتفقوا على ان هذا نهي عن قتل بعضهم
بعضا وانما قال انفسكم لقوله عليه السلام المومنون كنفس واحده ولان العرب يقولون قتلنا ورب الكعبه
اذا قتل بعضهم لان قتل بعضهم يجري مجرى قتلهم وقيل اراد لا تقتلوا من كان من جنسكم من المومنين
وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا تقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهله وعن عمرو بن العاص انه قال
لما بعثه رسول الله عام ذات السلاسل قال احتلمت في ليله بارده شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت
ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابي صلوة الصبح فلما قدمنا المدينه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكرت ذلك له فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب قلت يا رسول الله اني احتلمت في ليله بارده
شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك وذكرت قول الله ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم
رحيما فتيممت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيا وسيل فضيل بن عياض
عن قوله ولا تقتلوا انفسكم قال لا تغفلوا عن حظ انفسكم فمن غفل عن حظ نفسه فكانما قتلها
قوله ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا رحمه عليكم وقيل معناه امر بني اسرايل بقتلهم
انفسهم ليكون توبتهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امه محمد رحيما لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبه
قوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا
ذلك اشاره الى القتل المحرم لان الاشاره الى اقرب المذكورات اولى وقيل اشاره الى قتل النفس واكل
المال بالباطل لانهما مذكوران في الايه التي قبله وعن ابن عباس انه اشاره الى ما نهى الله عنه من
اول السوره الى هذا الموضع عدوانا وظلما لا خطا واقتصاصا على القول الاول لان قتل النفس
قد يكون خطا وقد يكون قودا فلا يكون عدوانا وظلما ولا خطا على القول الثاني لان اكل الاموال
قد يكون حلالا كما في الديه وغيرها واعلم ان كل فعل نهى الله عنه قد يقع على وجه لا يكون منهيا
عنه فلا يكون عدوانا وظلما وقد يقع على وجه يكون منهيا عنه فيكون عدوانا وظلما فكل ما
نهى الله عنه من اول السوره الى هذا الموضع ان فعل على الوجه الذي يكون عدوانا وظلما ترتب

على

عليه وهذا مناسب للقول الثالث وكان ذلك على الله يسيرا اي انه تعالى قادر على ايقاع ما توعد به من ادخال
النار **قوله تعالى** ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما لما ذكر الوعيد
اتبعه بتفصيل ما يتعلق به الوعيد الاجتناب المباعده عن الشي وتركه جانبا واختلفوا في الكباير فقيل كل
شي عصي الله فيه فهو كبيره وهذا ضعيف لانه مخالف لصريح هذه الايه وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
سبع الاشراك بالله وقتل النفس وقذف المحصنه واكل مال اليتيم واكل الربوا والفرار يوم الزحف والتعرب
بعد الهجره والتعرب الارتداد وهو ان يترك المدينه ويعود اعرابيا بعد الهجره من الباديه الى المدينه
وفي البخاري في كتاب الحدود وفي باب رمي المحصنات اتقوا السبع الموبقات الاشراك بالله والسحر
وقتل النفس واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هي تسع الاشراك بالله والقتل والفرار والقذف واكل الربوا
واكل مال اليتيم والالحاد في المسجد الحرام والذي يستسحر وعقوق الوالدين وعن عبد الله بن مسعود هي
اربعه الاشراك بالله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله والامن من مكر الله وعن ابن مسعود ايضا
هي ثلاث القنوط والياس والامن المتقدمه وعن ابن عباس وغيره الكباير كل ما ورد عليه وعيد بنار او عذاب
او لعنه او ما اشبه ذلك وعن ابن مسعود ايضا الكباير ما نهى الله عنه في هذه السوره الى ثلاث وثلثين ايه
وتصديقه قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم وقيل قال رجل لابن عباس اخبرني عن الكباير
السبع فقال الى السبعين اقرب وقيل قال ابن عباس الى سبعمايه اقرب منها الى السبع غير انه لا كبيره مع الاستغفار
ولا صغيره مع اصرار ومن الكباير عند العلما القمار والسرقه وشرب الخمر وسب السلف الصالح وعدول الحكام عن
الحق واتباع الهوى واليمين الفاجره والقنوط من رحمة الله وسب الانسان ابويه بان يسب رجلا فيسب الرجل
ابويه والسعي في الارض فسادا مما يكثر تعداده حسب ما جا بيانها في القران وفي احاديث خرجها الايمه وقد
ذكر مسلم في كتاب الايمان منها جمله واحده وقد اختلف الناس في تعدادها وحصرها لاختلاف الاثار فيها
وقد جات فيها احاديث كثيره صحاح وحسان لم يقصد بها الحصر لكن بعضها اكبر من بعض بالنسبه الى ما يكثر فالشرك
اكبر ذلك كله وهو الذي لا يغفر لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وبعد ذلك الياس من رحمة الله لان فيه
تكذيب القران قال الله تعالى ورحمتي وسعت كل شي وهو يقول لا يغفر له فقد حجر واسعا هذا اذا كان معتقد
لذلك ولهذا قال انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وبعده القنوط لقوله تعالى لا تقنطوا
من رحمة الله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وبعده الامن من مكر الله فيسترسل في المعاصي ويتكل
على رحمة الله من غير عمل قال الله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
وقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وبعده القتل لان فيه ذهاب
النفوس واعدام الوجود واللواط فيه قطع النسل والزنا فيه اختلاط الانساب بالمياه وشرب الخمر فيه
ذهاب العقل الذي هو مناط التكليف وترك الصلوة والاذان فيه ترك اظهار شعار الاسلام وشهادة الزور
فيه استباحة الدما والفروج والاموال الى غير ذلك مما هو بين الضرر وكل ذنب عظم الشرع التوعد
عليه بالعقاب وشدده او عظم ضرره في الخمس الضروريه حفظ الدين والنفس والنسب والعقل والمال
فهو كبيره وما عداه صغيره واختلف العلما في هذه المساله فجماعه من الفقها واهل الحديث يرون ان
الرجل اذا اجتنب الكباير وادى الفرايض كفرت صغايره كالنظر وشبهه قطعا بظاهر الايه
وظاهر الاحاديث واما الاصوليون فقالوا لا يجب على القطع تكفير الصغاير باجتناب الكباير
وانما هو محمول على غلبة الظن وقوة الرجا والمشيه ثابته ودل على ذلك انه لو قطعنا لمجتنب الكباير وممتثل
الفرايض بتكفير صغايره قطعا لكانت في حكم المباح الذي يقطع بان لا تبعة فيه وذلك نقض لعرى الشريعه

استثنا منقطع لان التجارة ليست باطلا وقرا عاصم وحمزه والكساي تجارة بالنصب على معنى الا ان تكون التجارة تجارة م

وحمل الكباير عند الاصوليين في هذه الايه اجناس الكفر وانما لم يميز الكباير من الصغاير في القران
على سبيل التفصيل ليجتنب العبد عن جميع المعاصي وقيل ينظر من عصاه ولا ينظر الى اصغر الذنب
وحينئذ يكون جميع الذنوب بهذا الاعتبار كباير وانما يقال لبعضها صغيره بالنسبه
الى ما هو اكبر منها كما يقال الزنا صغيره بالنسبه الى الكفر والقبله المحرمه صغيره بالنسبه الى الزنا
ولا ذنب يغفر باجتناب ذنب اخر بل كل ذلك كبيره ويكفره بحسب المشيه غير الكفر لقوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقد استدل على هذا بقراة من قرا ان تجتنبوا كبير
ما تنهون عنه على التوحيد وكبير ما تنهون عنه الشرك والمراد اجناس الكفر على الجمع قال صاحب
الكشاف كباير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول صلى الله عليه وسلم
نكفر عنكم سياتكم نميطها تستحقون به العقاب في كل وقت على صغايركم ونجعلها كان لم تكن
لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكباير وصبركم عنها على عقاب السيات والكبيره والصغيره
انما وصفتا بالكبر باضافتهما الى الطاعه او معصيه او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب
بثواب ازيد او بتوبه والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم
على الطاعه وهذا الذي ذكره بناء على معتقده الفاسد وقيل الكبيره ما سماها الله تعالى في
القران كبيرا وعظيما نحو قوله انه كان حوبا كبيرا ان قتلهم كان خطا كبيرا ان الشرك لظلم عظيم ان ذلكم
عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله عظيما وقيل الكباير ذنوب اهل البدعه
والسيات ذنوب اهل السنه وقيل كل ذنب اصر عليه العبد فهو كبيره وليس من الكباير ما تاب
عنه العبد واستغفر وقيل الكباير ذنوب العمد والسيات الخطا والنسيان والاكراه وحديث النفس
المرفوعه عن هذه الامه وقيل الكباير ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغاير ما كان بينك وبين
الله لان الله كريم يغفر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينادي يوم القيامه مناد من بطنان العرش
يا امة محمد ان الله يقول اما ما كان لي قبلكم فقد وهبتها لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا
الجنه برحمتي وقيل الكباير ذنوب المذنبين المستحلين مثل ذنب ابليس والصغاير ذنوب المستغفرين
مثل ذنب ادم وقيل الكباير ما نهى الله عنه من الذنوب والسيات مقدماتها وتوابعها ما يجتمع فيه
الصالح والفاسق مثل النظر واللمسه والقبله واشباهها قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان
واليدان تزنيان ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل الكبيره ما قبح في العقل والطبع مثل القتل
والظلم والزنا والكذب ونحوها والصغيره ما نهى الله عنه شرعا وسمعا وقيل كل ذنب يعفو الله
عنه يوم القيامه بفضله فهو صغيره وكل ذنب يعذب الله عليه بعدله فهو كبيره وقيل الكباير الذنوب
الباطنه والسيات الذنوب الظاهره وقيل الكباير ما استحقره العباد والصغاير ما يستعظمونه فيخافون
مواقعته قال انس انكم تعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الكباير قوله وندخلكم مدخلا كريما قرا نافع مدخلا بفتح الميم وهو موضع
الدخول وهو الجنه والباقون بالضم على المصدر بمعنى الادخال ويحتمل المكان والمصدر
فيهما وصف المكان والمصدر بالكرم على خلاف الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم عن ابي هريره
رضي الله عنه وابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذي نفسي
بيده ثلثا ثم سكت فاقبل كل رجل منا يبكي حزنا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
ما من عبد ياتي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكباير الا فتحت له ابواب الجنه يوم
القيامه حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الايه وعن احمد بن حنبل انه قال

المسلمون كل في الجنه فان الله تعالى يقول ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم
مدخلا كريما يعني الجنه وقال النبي عليه السلام ادخرت شفاعتي لاهل الكباير من امتي فاذا كان الله
عز وجل يغفر ما دون ذلك الكباير والرسول صلى الله عليه وسلم يشفع في الكباير فاي ذنب على المسلمين
والكباير عند اهل السنه تغفر لمن اقلع عنها قبل الموت وقيل تغفر لمن مات عليها من المسلمين كما قال تعالى
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والمراد بذلك من مات على الذنوب لانه لو كان المراد من تاب قبل الموت
لم يكن للتفرقه بين الاشراك وغيره معنى اذ التايب من الشرك ايضا مغفور له وروي عن ابن مسعود
انه قال خمس ايات من سورة النساء هي احب الي من الدنيا جميعا قوله ان تجتنبوا وقوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه وقوله وان تك حسنه يضاعفها وقوله
والذين امنوا بالله ورسله وعن ابن عباس ثمان ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامه مما طلعت عليه الشمس
وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذره ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وامنتم **قوله تعالى** ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما قيل لما نهاهم الله في
الايه المتقدمه عن اكل الاموال بالباطل وعن قتل النفس امرهم في هذه بما يسهل عليهم ترك هذه المنهيات
وهو ان يرضى كل احد بما قسم الله له فانه اذا لم يرض به وقع في الحسد فيقع في اخذ الاموال بالباطل
وفي قتل النفس فاما اذا رضي بما قدر امكنه الاحتراز عن الظلم في الاموال والنفوس وقيل ان اخذ
المال بالباطل وقتل النفس من اعمال الجوارح فامر اولا بتركهما ليصير الظاهر طاهرا عن المعاصي
حسب الشرع ثم امر بعده بترك التعرض لنفوس الناس واموالهم بالقلب على سبيل الحسد ليصير الباطن
طاهرا عن الاخلاق الذميمه ليحصل الطريقه لتكون الظاهر موافقا للباطن ويكون جمعا بين الطريقه
والشريعه قيل جاءت وافدة النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اليس الله رب
الرجال والنساء وانت رسول الله اليهم جميعا فما بالنا لا يذكر الله الرجال ولا يذكر النساء نخشى ان لا يكون فينا
خير ولا لله فينا حاجه فانزل الله هذه وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله اني لا اضيع عمل عامل
منكم من ذكر او انثى وهو مومن وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء نحن احوج
ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم لانا ضعفاء وهم اقويا واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله هذه الايه
وقيل قالت ام سلمه يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت هذه الايه وقيل
لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجوا ان نفضل على النساء بحسناتنا في الاخره كما فضلنا
عليهن بالميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء وقالت النساء انا لنرجوا ان يكون الوزر علينا نصف
ما على الرجال في الاخره كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا فانزل الله ولا تتمنوا نهى الله تعالى
المخاطبين عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال وعن التحاسد لان ذلك التفضيل
قسمه من الله على سبيل التفضل بمقتضى مشيته قال الامام مراتب السعادات نفسانيه متعلقه بالقوه النظريه
كالذكاء التام والحدس الكامل وزيادة المعارف بالكميه والكيفيه او بالقوه العمليه كالعفه التي هي وسط
بين الخمود والفجور والشجاعه التي هي وسط بين التهور والجبن والسخاوه التي هي وسط بين الاسراف
والبخل واستعمال هذه القوى على الوجه الذي ينبغي وهو العداله وبدنيه كالصحه والجمال والعمر
الطويل في ذلك مع اللذه والبهجه وخارجيه مثل كثرة الاولاد الصلحاء وكثرة العشاير وكثرة الاصدقاء
والاعوان والرياسه التامه ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر فيهم مطاع الامر فهذا

هو الانسان الى مجامع السعادات وبعضها نظرية لا مدخل للكسب فيه وبعضها كسبية متى
تامل العاقل فيه يجدها محض عطاء الله والله تعالى فضل بعضهم على بعض فيها والانسان اذا شاهد
انواع السعادات حاصلة لانسان ووجد نفسه خاليا عن جملتها او اكثرها فيتالم قلبه ويتشوش
خاطره ثم يعرض له حالتان احدهما ان يتمنى زوال تلك السعادات عن ذلك الانسان والاخر
ان يتمنى حصول مثلها له فالاول هو الحسد المذموم لان الله تعالى اراد حصول هذه السعادات
فالمتمني زوال ذلك عنه كانه اعترض على الله فيما اراد وربما اعتقد في نفسه انه احق بتلك النعم
من ذلك الانسان فيكون هذا ايضا اعتراضا على الله وقدحا في حكمته وكل ذلك مما يلقيه في الكفر
وظلمات البدعة ويزيل عن قلبه نور الايمان وكما ان الحسد سبب للفساد في الدين فكذلك هو سبب للفساد
في الدنيا فانه يقطع المحبة والموالاة وينقلب الى اضدادها فلهذا السبب نهى الله عباده عنه فقال
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض واعلم ان سبب النهي على مذهب اهل السنة والجماعة
هو انه تعالى فعال لما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون فلا اعتراض عليه في فعله ولا علة لصنعه
وحينئذ ينسد باب السوال وطريق الاعتراضات وعلى مذهب المعتزلة هذا الطريق ايضا منسد و
لان الله علام الغيوب وهو اعلم بمصالح خلقه وهذا التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمته وتدبيره
وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه كان مفسدة
له ولا يحسد اخاه على حظه ويجب على كل احد الرضا بقضاء الله ولهذا المعنى حكى الرسول صلى الله عليه
وسلم عن الله انه قال من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر لنعمائي كتبته صديقا وبعثته
يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي فليطلب ربا
سوائي هذا اذا تمنى زوال تلك النعمة عن ذلك الانسان قيل لا يحل لاحد ان يتمنى مال اخيه ولا
امراته ولا خادمه ولا دابته قال صلى الله عليه وسلم لا يخطب الرجل على خطبة اخيه ولا يسوم
على سوم اخيه ولا تسال المراة طلاق اختها لتقوم مقامها فان الله هو رازقهما اما اذا لم يتمن
ذلك بل يتمنى حصول مثله له فمن الناس من جوز ذلك وقال المحققون لا يجوز ذلك لان تلك
النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين ومضرة عليه في الدنيا قال الله تعالى في قارون فخرج على
قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو
حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون
فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين
واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا
ان من الله علينا لخسف بنا وقال المحققون انه لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار
فلان وزوجا مثل زوج فلان بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي
ومعادي ومعاشي واحسن الدعاء ان يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ثم قال
للرجال نصيب قيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امور الدنيا وفيه وجوه منها ان يكون المراد
لكل فريق نصيب مما اكتسب من نعيم الدنيا فينبغي ان يرضى بما قسم الله له ومنها ان يكون المراد للرجال
نصيب مما اكتسبوا من الميراث وللنساء نصيب مما اكتسبن من الميراث للذكر مثل حظ الانثيين والاكتساب
على هذا الوجه بمعنى الاصابة والاحراز فنهى الله تعالى عن التمني على هذا الوجه لما فيه من دواعي
الحسد ومنها ان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان فابطل الله ذلك بهذه الآية وبين ان

لكل واحد منهم نصيبا ذكرا كان او انثى صغيرا كان او كبيرا وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امور
الآخرة وفيه وجوه منها للرجال نصيب مما اكتسبوا من الثواب والعقاب وللنساء كذلك فلا تتمنوا
خلاف ذلك ومنها للرجال اجر ما اكتسبت من الطاعات وللنساء كذلك فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد
ومنها للرجال نصيب مما اكتسبوا من حفظ حقوقهن والانفاق عليهن بالمعروف وللنساء نصيب مما اكتسبن
من حفظ فروجهن وطاعة ازواجهن وقيامهن بمصالح البيت من الطبخ والخبز وحفظ الثياب ومصالح
المعاش فالنصيب هو الثواب وقيل المراد منه جميع هذه الامور قوله واسالوا الله قرا ابن كثير والكسائي
وسلوا الله بغير همزة بشرط ان يكون امرا من السوال وبشرط ان يكون قبله واو او فاء فنقل حركة
الهمزة الى السين واستغنى عن همزة الوصل فحذف والباقون بالهمزة في كل القران على الاصل وقيل
من فضله في موضع المفعول الثاني وقيل المفعول الثاني محذوف والصفة قائمة مقامه كانه قيل واسالوا
نعمة من فضله اي ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من فضله من خزائنه التي لا تنفد
تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يعين شيئا في الطلب في الدعاء ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاحه
في دينه ودنياه على الاطلاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله وافضل العبادة انتظار
الفرج قوله ان الله كان بكل شيء عليما وبما يكون سببا لصلاح السائلين فليقتصر السائل على طلب فضله على
الاطلاق وليحترز في طلبه عن التعيين فربما كان التعيين محض المفسدة والضرر قوله تعالى ولكل جعلنا موالي
مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم
ان الله كان على كل شيء شهيدا قيل معناه لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي عصبة
وراثا يلونه ويحرزونه فيكون المضاف اليه لكل وهو شيء محذوفا والمفعول الاول لقوله جعلنا موالي والمفعول
الثاني لجعلنا قوله لكل وقوله مما ترك تبيين لكل وقيل المضاف اليه لقوله لكل قوم وقوله جعلنا في محل
الجر على ان يكون صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف وقوله مما ترك صفة لموصوف محذوف هو مبتدا
وقوله لكل خبر معناه ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فقوله هم مفعول
اول لقوله جعلنا وقوله موالي مفعول ثان فيكون موالي على القولين وراثا والوالدان والاقربون موروثين
وعلى القول الاول كل شيء تركه وعلى القول الثاني كل قوم هم الموالي الوارثون وقيل المضاف اليه لكل احد
وهو الميت وهو مفعول ثان لقوله جعلنا وموالي مفعول اول له وقوله من في قوله مما ترك صلة موالي لانهم
في معنى الوراث وفاعل ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون والمعنى ولكل احد ميت جعلنا
وراثا مما ترك هو اي كل احد والموالي الوراث هم الوالدان والاقربون فعلى القول الاول اراد بكل المال
وبالموالي الورثة وبالوالدان والاقربون الموروثين وعلى القول الثاني اراد بكل الشخص الذي هو الميت الموروث
وبالموالي الوراث وبالوالدان والاقربون الموالي وفاعل ترك ضمير كل قوله والذين عاقدت مبتدا ضمن معنى
الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون الذين عاقدت منصوبا كقولك زيدا فآته
نصيبه ويجوز ان يعطف والذين على قوله الوالدان والضمير الذي هو مفعول فآتوهم للموالي فعلى القول الاول
والثاني يكون الذين عاقدت الموروثين كالوالدان والاقربين وعلى القول الثالث يكون الذين عاقدت ورثة
كالوالدان والاقربين لانه حينئذ يكون تفسيرا للموالي كالوالدين والاقربين قرا عاصم وحمزة والكسائي
عقدت بغير الف والتخفيف والباقون بالالف والتخفيف وعقدت يدل على اضافة العقد الى الواحد والاختيار
عاقدت لدلالة المفاعلة على عقد الحلف من الفريقين والايمان جمع اليمين واليمين يحتمل ان يكون معناه اليد
وان يكون معناه القسم فان كان المراد اليد ففيه مجاز لان المتعاقدين هم الذين اسند اليهم المعاقدة على
الحقيقة فاسنادها الى الايدي بطريق المجاز فانهم كانوا يضربون صفقة البيع بايمانهم وياخذ

بعضهم بيد بعض على الوفا والتمسك بالعهد ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدت ايديكم وان كان المراد القسم كانت المعاقدة في ظاهر اللفظ مضافة الى الايمان وفي الحقيقة مسندة الى المتحالفين فيكون اسنادها الى الايمان بطريق المجاز فان سبب المعاقدة اليمين قيل المراد بالذين عاقدت موالي الموالاة اي الحلفا كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك تقال دما وهم بينهم هدم اي هدر وهدم ايضا بالتسكين وذلك اذا الربود واوثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف وعاقد ابو بكر مولى فورث فذلك قوله تعالى فاتوهم نصيبهم اي اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقيل المراد بالذين عاقدت الحلفا والمراد بقوله فاتوهم نصيبهم اي نصيبهم من النصر والعقد والرفد والنصيحة والمصافاة في العشرة والمخالصة في المخالطة لا الميراث فلا يكون الاية منسوخة لقوله تعالى اوفوا بالعقود ولقوله صلى الله عليه وسلم اوفوا للحلفا بعهودهم التي عقدت ايمانكم ولقوله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم فتح مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وقيل نزلت هذه الاية في الذين اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة فكانوا يتوارثون بتلك المواخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض وقيل نزلت الاية في الذين يتبنون ابناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاقدة التبني وكانوا يتوارثون بذلك السبب ثم نسخ برد الميراث الى ذوي الارحام وابى الله ان يجعل للدعي ميراثا ممن ادعاهم وتبناهم ولكن جعل الله لهم نصيبا من الوصية فذلك قوله فاتوهم نصيبهم اي واتوا الموالي والورثة نصيبهم بقوله والذين عاقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون والمعنى ان ما ترك الذي عاقدت له وارث هو اولى به وسمى الله الوارث مولى والمعنى لا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الموالي والوارث فلا نسخ في الاية وقيل المراد بالذين عاقدت ايمانكم الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا قال تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله فذكر تعالى الوالدين والاقربين وذكر معهم الزوج والزوجة ونظيره اية المواريث في انه لما بين ميراث الولد والوالدين ذكر معهم ميراث الزوج والزوجة فلا نسخ في الاية وقيل المراد بالذين عاقدت ايمانكم من لهم الولاء وقوله فاتوهم نصيبهم من الميراث الحاصل بسبب الولاء فلا نسخ ايضا وقيل نزلت الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابنه عبد الرحمن وكان حلف ان لا ينفق عليه ولا ينفعه ولا يورثه شيا من ماله فلما اسلم عبد الرحمن امر ان يوتي نصيبه من المال فلا نسخ وقيل اراد نصيبهم على سبيل التحفة والهدية كما امر تعالى لمن حضر القسمة ان يجعل له نصيب وقال الشافعي ومالك لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا ثم مات ولا وارث له لا ارث له بل ميراثه للمسلمين وقال ابو حنيفة يرثه حجتهما انا بينا ان معنى هذه الاية ولكل شي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم فقد جعلنا له موالي وهم العصبة ثم هولا العصبة اما الخاصة وهم الورثة واما العامة وهم جماعة المسلمين فاذا لم يوجد العصبة الخاصة وجب صرفه الى العصبة العامة قال جمهور الفقها المولى الاسفل لا يرث من الاعلى وعن الحسن بن زياد انه يرث لما روي بن عباس ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه له ولانه داخل في عموم قوله والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم واجيب عن التمسك بالحديث بانه يحتمل ان يكون ذلك المال لما صار لبيت المال دفعه النبي صلى الله عليه وسلم اليه لفقره فان المال الذي لا وارث له فسبيله ان يصرف الى الفقرا ثم قال تعالى ان الله كان على كل شي شهيدا وعد للمطيعين ووعيد

للعاصين والشهيد المشاهد والشاهد والمراد بالشهادة اما علمه بجميع الاشيا او شهادته على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه **قوله تعالى** الرجال قوامون على النسا بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا لما قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقد ذكر ان سبب نزول هذه الاية ان النسا تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ذكر في هذه الاية انه انما فضل الرجال على النسا في الميراث لان الرجال قوامون على النسا فانهما وان اشتركا في استمتاع كل واحد منهما بالاخر امر الله الرجال ان يدفعوا المهر اليهن وينفقوا عليهن فصارت الزيادة في احد الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الاخر فكانه لا فضل البتة قيل نزلت هذه الاية في سعد ابن الربيع وكان من النقبا فنشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد ابن ابي زهير وهما من الانصار فلطمها فانطلق ابوها بها الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس فلو شج رجل امراته او جرحها لم يلزمه عليه قود وكان عليه العقل الا ان يقتلها فيقتل بها وقيل لا قصاص الا في القتل والجرح واما اللطمة ونحوها فلا قوامون المبالغون في القيام عليهن لتعليمهن وتاديبهن واصلاح امورهن امرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا والضمير في بعضهم للرجال والنسا جميعا اي انما كان الرجال مسيطرين مسلطين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النسا بزيادة العقل وزيادة الدين واليقين والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي والجهاد قال الله تعالى للرجال انفروا خفافا وثقالا وقال للنسا وقرن في بيوتكن وبالجمع والجماعات والاذان والخطبة وان منهم الانبيا وفيهم الامامة الكبرى وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمايم والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة وبما انفقوا من اموالهم وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مسكينة من لم يكن لها زوج قيل يا رسول الله وان كان لها مال قال وان كان لها مال الرجال قوامون على النسا قوله فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب وهو خلاف الشهادة والمعنى حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غايبين غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النسا امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها ثم تلى صلى الله عليه وسلم الرجال قوامون وقيل للغيب لسرهم بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه حيث قال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا وقيل بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظهن الله حين وعدهن الله الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما في قوله بما حفظ الله مصدرية قوله واللاتي تخافون لما ذكر الصالحات ذكر مقابلاتهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث مكروه ونشزت المراة تنشز وتنشز نشوزا استعصت على بعلها وابغضته ونشز بعلها عليها اذا اضربها

وجفاها ومنه قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا قال صاحب الكشاف نشوزها
ونشوصها ان تعصيه وجها ولا تطمين اليه واصله الانزعاج قال الشافعي دلالات النشوز
قد تكون قولا وقد تكون فعلا فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له بالقول اذا خاطبها
ثم تغيرت والفعل مثل ان كانت تقوم اليه اذا دخل اليها او كانت تسارع الى امره وتبادر
الى فراشه باستبشار اذا التمسها ثم انها تغيرت عن كل ذلك فهذه امارات داله على نشوزها
وعصيانها فحينئذ ظن نشوزها ومقدمات هذه الاحوال توجب خوف النشوز واما النشوز
فهو معصية الزوج والترفع عليه بالخلاف واصله من قولهم نشز الشي اذا ارتفع ومنه يقال
للارض المرتفعة نشز ونشز ثم قال تعالى فعظوهن قال الشافعي فانه يقول لها اتقي الله فان لي عليك وارجعي
عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو هذا ولا يضربها في تلك الحالة لجواز ان يكون لها في ذلك
كفاية فان اصرت على ذلك النشوز فعند ذلك يهجرها في المضجع اي المرقد اي لا تدخلوهن تحت اللحاف وفي
ضمن الهجر في المضجع امتناعه من كلامها قال الشافعي ولا يزيد في هجر الكلام ثلثا فاذا هجرها في المضجع فان كانت
تحب الزوج شق ذلك عليها فتترك النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران وكان ذلك دليلا على
كمال نشوزها وقيل هي كناية عن الجماع وقيل هي ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن
التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن فيها ثم عند هذه الهجرة ان بقيت على النشوز ضربها امر بوعظهن اولا ثم
بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل
وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار اي العقال قال صاحب
الكشاف هذا تفسير الثقلاء روي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه ضرب امراته فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسال الرجل فيم ضرب اهله والضرب في هذه الاية ضرب التاديب
غير المبرح وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشين عضوا وان يكون مفرقا على بدنها ولا يوالي به في موضع واحد
ويتقي الوجه لانه يجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين وقيل لا يبلغ به عشرين لانه حد كامل في حق
العبد وقيل ينبغي ان يكون الضرب بمنديل ملفوف او بيده ولا يضربها بالسياط ولا بالعصا وبالجملة التخفيف
مراعى في هذا الباب على ابلغ الوجوه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن
فاضربوهن ضربا غير مبرح وعنه صلى الله عليه وسلم اضربوا النسا اذا عصينكم في معروف ضربا غير
مبرح وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسما بنت ابي بكر رضي الله
عنهما قالت كنت رابع اربع نسوة عند الزبير ابن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب
حتى يكسره عليها ثم قال فان اطعنكم فيما تلتمسون منهن ورجعن الى الطاعة عند هذا التاديب
فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن
بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز وعن ابن عباس لا تبغوا عليهن العلل
ان الله كان عليا كبيرا لا يعلو الجهة ولا يكبر الجثة بل هو علي كبير بكمال قدرته ونفاذ مشيته في
الممكنات والمقصود منه تهديد الرجال على ظلم الازواج والمعنى فاحذروه واعلموا ان قدرة
الله عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم من النسا فانهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف
منكم فالله علي كبير قادر ينتصف لهن منكم ويستوفي حقهن منكم فلا تغتروا بكونكم اعلى يدا منهن
واكبر درجة منهن وروي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام وقيل ان الله كان عليا

كبيرا

كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبر سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو وبان تقبلوا
توبتهن وتتركوا معاقبتهن اذا تبن ورجعن عن النشوز **قوله تعالى** وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا لما ذكر الله تعالى
عند نشوز المراة ان الزوج يعظها ثم يهجرها ثم يضربها بين ان لم يبق بعد الضرب الا المحاكمة الى من ينصف
المظلوم من الظالم فقال وان خفتم اي علمتم وهذا بخلاف قوله تخافون نشوزهن فان ذلك محمول
على الظن والفرق بين الموضعين انه عند امارات النشوز يحصل ظن النشوز اما بعد الوعظ والهجر والضرب
اذا اصرت على النشوز يحصل العلم بانها ناشزة فيحمل الخوف في تخافون على الظن وفي خفتم على العلم قيل حمل
قوله خفتم على علمتم خطا فانا لو علمنا الشقاق لم نحتج الى بعث الحكمين اجيب بان وجود الشقاق معلوم
وبعث الحكمين ليعلم الظالم من المظلوم والشقاق الخلاف والعداوة اي يفعل كل منهما ما يشق على الاخر
وكل منهما في شق بالعداوة والمباينة واصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع
كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار وقيل يجوز ان يجعل بينهما مشاقا اي فاعلا واضافة
الشقاق اليه اضافة المصدر الى الفاعل وان يجعل الليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صايم قيل
المخاطبون في قوله خفتم والمامورون في قوله فابعثوا هم ولاة الامر اي الامام ومن يلي من قبله لان
تنفيذ الاحكام الشرعية اليهم وقيل كل احد من صالحي الامة لان خفتم خطاب الجميع وليس حمله على البعض اولى
من حمله على غيره فتعين حمله على الكل فيكون المخاطبون والمامورون جميع المومنين فسوا وجد الامام
او لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها للاصلاح وايضا يجري هذا مجرى دفع
الضرر ولكل احد ان يقوم به وضمير التثنية في قوله بينهما للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل
عليهما وهو الرجال والنسا والحكم بمعنى الحاكم وهو المانع من الظلم وهو رجل متقنع رضي كاف عدل
يصلح للحكومة العدل والاصلاح بينهما قال الشافعي المستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما
حكمين والاولى ان يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف ببواطن الامور
احوالهما من الاجانب واشد طلبا للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرزان اليهم ما في
ضمايرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته ويخفيانه
عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه وفايدة الحكمين ان يخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف
حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح او في المفارقة ثم يجتمع الحكمان فيفعلان ما هو الصواب
من جمع بينهما او تفريق بطلاق او خلع وهل يجوز للحكمين الجمع بين الزوجين او التفريق بدون اذن الزوجين
ان رايا اولا للشافعي فيه قولان احدهما نعم وبه قال مالك واسحاق وثانيهما لا وهو قول ابي حنيفة
وعلى هذا هو وكالة كساير الوكالات حجة الاول ما روي بن سيرين عن عبيدة السلماني شهدت عليا
رضي الله عنه وقد جاته امراة وزوجها ومع كل واحد فيام من الناس فاخرج هولا حكما وهولا حكما
فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما
فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت
المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي ولانه ما جعلا حكمين الا وليهما بنا الامر على ما تقتضيه اجتهادهما
حجة القول الثاني انه تعالى لما ذكر الحكمين لم يضف اليهما الا الاصلاح وهذا يقتضي ان يكون ما ورا
الاصلاح غير مفوض اليهما وان الزوج لما لم يرض توقف علي ومعنى قوله كذبت لست بمنصف في دعواك
حيث لم تفعل ما فعلت هي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وضمير الفاعل في قوله يريدا ضمير الحكمين
وفي قوله يوفق الله بينهما الزوجين اي ان يرد الحكمان خيرا واصلاحا بين الزوجين وكانت نيتهما

صحبته وقلوبهما ناصحه لوجه الله يوفق الله بين الزوجين اي يوقع في وساطتهما واوقع الله في نفسهما
وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفه والقى في نفوسهما الموده والرحمه وقيل الضميران للحكمين
والاول على ما ذكر والثاني معناه يوفق الله بين الحكمين فيتفقان على الكلمه الواحده ويتساعدان في طلب
الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين والثاني على ما ذكر اي ان يريد الزوجان
اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يوفق الله بينهما الالفه ويبدلهما بالشقاق وفاقا
وبالبغضا موده وقيل الاول للزوجين والثاني للحكمين اي ان يريد الزوجان اصلاحا يوفق الله بين
الحكمين فيتفقان على الكلمه الواحده ويتعاضدان في طلب الوفاق والتوفيق اللطف الذي يتفق عنده
فعل الطاعه والايه داله على انه لا يتم شي من الاغراض والمقاصد الا بتوفيق الله قوله ان الله كان عليما
خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم والمراد منه الوعيد للزوجين والحكمين في سلوك ما خالف طريق الحق قوله تعالى
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى
والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ؛
لما ارشد كل واحد من الفريقين الى المعامله الحسنه مع الاخر والى ازاله الخصومه والخشونه ارشد
في هذه الايه الى سائر الاخلاق الحسنه وذكر منها عشره انواع الاول فاعبدوا الله والعباده عباره
عن كل فعل وترك يوتى به بمجرد امر الله تعالى بذلك وهذا يدخل فيه جميع اعمال القلوب وجميع اعمال
الجوارح وقد تقدم في سوره البقره تحقيق الكلام في العباده وقيل العبوديه ترك الاختيار وملازمه
الذله والافتقار وقيل العبوديه اربعة اشيا الوفا بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود والصبر عن
المفقود وقيل حقيقه العبوديه قطع العلايق والشركا عن الشرك وقيل اذا احزنك امر فاول خاطر
تستغيث به فهو معبودك الثاني ولا تشركوا به شيا لما امر بالعباده بقوله واعبدوا الله امر بالاخلاص
في العباده بقوله ولا تشركوا به شيا لان من عبد مع الله غيره كان مشركا ولا يكون مخلصا ولهذا قال
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقيل الشرك رويه التقصير والحيرة من نفسه والملامه
عليها وقيل الشرك ان يطالع غيره او يرى من سواه ثم الثالث وبالوالدين احسانا اي البر بهما مع اللطف
ولين الجانب ولا يغلظ لهما الجواب ولا يحد النظر اليهما ولا يرفع صوته عليهما يكون بين ايديهما مثل
العبد بين يدي السيد قرن الله اجبار(?) الوالدين بعبادته وتوحيده في مواضع منها في هذه الايه ومنها قوله
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ومنها قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير
وكفى بهذا دلاله على تعظيم امرهما ووجوب برهما والاحسان اليهما ومما يدل على وجوب البر اليهما قوله تعالى
فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وقال ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقال في
الوالدين الكافرين وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا
الرابع وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما وهو امر بصلة الرحم كما ذكر
في اول السوره الخامس اليتامى واليتيم مخصوص بنوعين من العجز احدهما الصغر والثاني عدم المشفق
ولا شك ان من هذا حاله كان في غاية العجز واستحقاق الرحمه قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم
وان كان وصيا لهم فليبالغ في رعاية احوالهم السادس والمساكين والمسكين وان كان عديم المال لكن لكثرة
تمكنه ان يعرض حال نفسه على الغير فيجلب به نفعا او يدفع به ضرا واليتيم لا قدرة عليه فلهذا اقدم تعالى
اليتيم في الذكر على المسكين والاحسان الى المسكين اما بالاعطا اياه او بالرد الجميل كما قال تعالى واما
السايل فلا تنهر السابع والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل

وقيل الجار القريب النسيب والجار الاجنبي وانشد للمعا(?) ابن قيس لا يحتويا مجاور ابدا ذو رحم او مجاور جنب
وعن(?) قيل النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنه من لا يومن جاره بوايقه الا وان الجوار اربعون دارا وكان الزهري يقول
اربعون يمينه واربعون يسره واربعون امام واربعون خلف وعن ابي هريره قيل يا رسول الله ان فلانه
تصوم النهار وتصلي بالليل وفي لسانها شي يوذي جيرانها اي هي سليطه فقال عليه السلام لا خير فيها هي في النار
وروي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده لا يودي حق الجار الا من رحم الله وقليل ما هم اتدرون ما
حق الجار ان افتقر اغنيته وان استقرض اقرضته وان اصابه خير هناته وان اصابه شر عزيته وان مرض
عدته وان مات شيعت جنازته الثامن والجار الجنب قيل الجنب نعت على وزن فعل واصله من الجنابه
ضد القرابه وهو البعيد يقال رجل جنب اذا كان غريبا متباعدا عن اهله ورجل اجنبي وهو البعيد
منك في القرابه وقال تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي بعدني والجانبان الناحيتان يبعد كل واحد منهما
عن الاخر ومنه الجنابه من الجماع لتباعده عن الطهاره وعن حضور المساجد للصلوه ما لم يغتسل ومنه ايضا
الجنبان لبعد كل واحد منهما عن الاخر التاسع والصاحب بالجنب وهو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا
في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفه واما قاعد الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك
من ادنى صحبه التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعه الى الاحسان وقيل
الصاحب بالجنب المراه فانها تكون معك وتضجع الى جنبك العاشر وابن السبيل هو المسافر الذي انقطع عن
بلده وقيل الضيف قال بعض اصحاب التحقيق من الصوفيه الجار ذي القربى هو القلب والجار الجنب هو النفس
وما ملكت
والصاحب بالجنب هو العقل الذي ظهر على اقتدا السنه والشرع وابن السبيل الجوارح المطيعه لله الحادي عشر
الاحسان الى المماليك طاعه عظيمه روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من ابتاع شيا من الخدم فلم يوافق شيمته شيمته فليبع وليشتر حتى يوافق شيمته شيمته فان الناس شيما ولا تعذبوا
عباد الله وروي انه عليه الصلوه والسلام اخر كلامه الصلوه وما ملكت ايمانكم والاحسان الى المماليك ان
لا يكلفهم ما لا طاقه لهم به ولا يوذيهم بالكلام الخشن ويعاشرهم معاشره حسنه ويعطيهم من الطعام والكسوه
ما يحتاجون اليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع الى ابي ذر غلاما فقال يا ابا ذر اطعمه مما تاكل واكسه
مما تلبس قال ابو ذر ولم يكن لي غير ثوب واحد فجعلته نصفين فرحت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما شان ثوبك فقلت ان الفتى الذي دفعته الي امرتني ان اطعمه مما اكل واكسوه مما البس وانه
لم يكن معي الا هذا الثوب فناصفته اياه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن اليه فاعتقته فسالني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل فتاك قلت ليس لي فتى قد اعتقته قال اجرك الله يا ابا ذر وعن رسول
الله
صلى الله عليه وسلم الغنم بركه والابل عز لاهلها والخير معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامه والعبد اخوك
فان عجز فاعنه وقيل كل حيوان مملوك والاحسان اليه بما يليق به طاعه عظيمه قوله ان الله لا يحب من كان
مختالا فخورا المختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتلطف بهم
ولا ينظر اليهم قيل انما ذكر الاختيال هاهنا لان المختال يانف من اقاربه اذا كانوا فقرا او من جيرانه
اذا كانوا ضعفا فلا يحسن عشرتهم والفخر التطاول والفخور الذي يعدد مناقبه كبرا وتطاولا
وعن ابن عباس الفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما اعطاه الله من انواع نعمه وانما خص الله هذين
الوصفين بالذم في هذا الموضع لان المختال هو المتكبر وكل من كان متكبرا فانه قلما يقوم برعاية الحقوق
ثم اضاف اليه ذم الفخور لئلا يقدم على رعاية الحقوق لاجل الريا والسمعه بل لامر الله تعالى قوله
تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا قيل نزلت هذه الايه في اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبينوها للناس وهم
يجدونها عندهم مكتوبه في كتبهم وقيل نزلت في جماعة من اليهود منهم حيي ابن اخطب ورفاعة بن زيد

واسامة بن حبيب ونافع بن ابي نافع كانوا ياتون رجالا من الانصار ويخالطونهم وينصحونهم فيقولون لهم
لاتنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون الذين بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب
على الذم ويجوز ان يكون رفعا على الذم بحذف المبتدا اي هم الذين وان يكون مبتدا خبره محذوف كانه
قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقا بكل ملامه البخل في كلام العرب منع الرجل سايله ما لديه مما فضل
عنه وفي الشرع منع ما يجب وفيه اربع لغات البخل بفتح البا والخا وهي قراة حمزة والكساي والبخل
بفتح البا وسكون الخا والبخل بضم الخا والبا والبخل بضم البا وسكون الخا وهي قراة الباقين وهي اللغه العاليه
ذكر الله تعالى في هذه الايه من الصفات المذمومه ثلثا اولها كون الانسان بخيلا والثاني الامر بقوله الذين
يبخلون ولم يذكر ما يبخلون به ليفيد العموم فيعم في البخل بالعلم والدين وفي البخل بالمال والكل مذموم وثانيها
كونهم امرين لغيرهم بالبخل فانهم يبخلون بما في ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخا ممن وجد وفي
امثال العرب ابخل من الضنين بنايل غيره ٭ وان امرا ضنت يداه على امري بنيل يدي من غيره لبخيل
قال صاحب الكشاف ولقد راينا ممن بلي بدا البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به
وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما نهب رحله وكسرت خزاينه ضجرا من ذلك وحسرة
على وجود الجود وثالثها ويكتمون ما اتاهم الله من فضله فيوهمون الفقر مع الغنا والاعسار مع اليسار
والعجز مع الامكان ثم هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكايه عن الله ولا يرضى
بالقضا والقدر وهذا ينتهي الى حد الكفر ولهذا قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وعن النبي صلى
الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمه احب ان يرى نعمته على عبده قيل بني عامل لهرون الرشيد قصرا حذا
قصره فنم به عنده فقال العامل يا امير المومنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر
الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه **قوله تعالى** والذين ينفقون اموالهم ريا الناس ولا يومنون بالله واليوم
الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان
الله بهم عليما ٭ والذين عطف على الذين يبخلون ويجوز ان يكون عطفا على كافرين في قوله واعتدنا للكافرين
نزلت في اليهود والمنافقين وقيل في مشركي مكه المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاولى ان يقال
انه تعالى لما امر بالاحسان الى ارباب الحاجات بين ان من لا يحسن اليهم فرقتان فرقه يبخلون ولا ينفقون اصلا وفرقه
ينفقون لا لوجه الله تعالى بل للريا والسمعه والفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم ومن يكن الشيطان
له قرينا اي ان الشيطان قرين لاصحاب هذه الافعال ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا فانه يضلهم
ويحملهم على الريا والسمعه ويصليهم الى عذاب السعير ويقرن بهم في النار ثم انه تعالى عنفهم وبين سو اختيارهم
في ترك الايمان فقال وماذا عليهم استفهام على سبيل الانكار اي اي تبعه او اي وبال عليهم في الايمان
بالله واليوم الاخر والانفاق مما رزقهم الله في سبيل الله وهذا احتجاج على الفرقتين اي الذين يبخلون
والذين ينفقون اموالهم ريا الناس وذلك لان الانسان يحاسب نفسه فيما عليه وله فاذا اظهر له ما عليه في فعل
الشيطان شي من استحقاق العذاب تركه واذا اظهر له ما يستحق من الثواب في عمل سعى عمله ولزم ذلك الشي
يقول الله ليتفكروا ولينظروا ماذا عليهم في الايمان بالله واليوم الاخر والانفاق في سبيل الله وهذا
حث من الله تعالى لهم على الايمان والنظر في شان محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه والانفاق في سبيل الله
وكان الله بهم عليما يعلم ما ينفقونه ريا الناس **قوله تعالى** ان الله لا يظلم مثقال ذره وان تك حسنة
يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما هذه الايه متعلقه بقوله وماذا عليهم فكانه قال فان الله لا يظلم من
من كان هذه حاله مثقال ذره وقيل كل جزء من اجزا الهبا في الكوه ذره والمثقال مفعال من الثقل يقال
هذا على مثقال هذا اي وزن هذا ومعنى مثقال ذره ما يكون وزنه وزن ذره والمعنى انه لا
يظلم لا قليلا ولا كثيرا وذكر اصغر ما يتعارفه الناس يدل على انه لا يظلم الناس شيا والمعنى انه لا يظلم المومن

بان

بان وعد المغفره ودخول الجنه فلا يغفر له ولا يدخله الجنه بل يفي بوعده بالمغفره والجنه ولا يظلم الكافر
بان لا يعذبه ويدخله الجنه ويغفر له ويزيد في عقابه الذي اوعده والثاني من الامور الثلاثه قوله
وان تك حسنه اي وان يك مثقال ذره حسنه انث ضمير المثقال لاضافته الى المونث يضاعفها من جهة الثواب
مثلا اذا كان جزا حسنه عشرة اجزا من الثواب يجعله عشرين وثلثين واكثر عن ابن مسعود رضي الله عنه
انه قال يوتى بالعبد يوم القيامه وينادي مناد على روس الاولين والاخرين هذا فلان بن فلان من كان
له حق فلياتي حقه ثم يقال له اعط هولا حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملايكه
انظروا في اعماله الصالحه فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذره ضعفها الله لعبده وادخله الجنه بفضله
ورحمته مصداق ذلك في كتاب الله وان تك حسنه يضاعفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم المومن
حسنه يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الاخره واما الكافر فيطعم بها في الدنيا فاذا كان في
الاخره لم يكن له حسنه نقل عن بعض اهل العلم انه قال لان تفضل حسناتي على سياتي وزن ذره احب الي من
ان يكون لي الدنيا جميعا وعن ابي سعيد الخدري انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلص
المومنون من النار يوم القيمه وامنوا فما يجادله احدكم صاحبه في الحق يكون له في الدنيا باشد مجادله
من المومنين لهم في اخوانهم الذين ادخلوا النار يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون
معنا ويحجون معنا فادخلتهم النار فيقول الله عز وجل اذهبوا فاخرجوا من عرفتم فياتونهم فيعرفونهم
بصورهم لا تاكل النار صورهم فمنهم من اخذته النار الى انصاف ساقيه ومنهم من اخذته الى كعبيه
فيخرجونهم فيقولون ربنا اخرجنا من امرتنا ثم يقول الله تعالى اخرجوا من في قلبه وزن دينار
من الايمان ثم من كان في قلبه مثقال ذره قال ابو سعيد فمن لم يصدق وهذا فليقرا قوله تعالى
ان الله لا يظلم مثقال ذره فيقولون ربنا قد اخرجنا من امرتنا فلم يبق في النار احد فيه خير
قال ثم يقول الله عز وجل شفعت الملايكه وشفعت الانبيا وشفع المومنون فبقي ارحم الراحمين
فيقبض الله قبضه من النار او قبضتين فيخرج ناسا لم يعملوا خيرا قط قد احترقوا حتى صاروا
حمما قال فيوتى بهم الى ما يقال له ما الحيوه فيصب عليهم فينبتون كما ينبت الحبه في حميل السيل
فيخرجون من اجسادهم مثل اللولو في اعناقهم الخواتم هولا عتقا الله فيقال لهم ادخلوا الجنه
فما تمنيتم او رايتم من شي فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين قال فيقول
ان لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا وما افضل من ذلك فيقول رضاي عنكم فلا اسخط
عليكم ابدا وقيل هذا في الخصوم عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامه جمع الله الاولين
والاخرين ثم ينادي مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجي الى حقه فلياخذ قال فيفرح والله
المرء ان يكون له الحق على والده وولده او زوجته او اخته فياخذ منه وان كان صغيرا ومصداق
ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم قال فيوتى بالعبد ينادي مناد على روس الاولين
والاخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فلياتي الى حقه ثم يقال له ات هولا حقوقهم فيقول
يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله عز وجل للملايكه انظروا في اعماله الصالحه فاعطوهم
منها فان بقي مثقال ذره من حسنه قالت الملايكه يا ربنا وهو اعلم بذلك منهم اعطيت كل ذي حق
حقه وبقي له مثقال ذره من حسنه فيقول للملايكه ضعفوها لعبدي واصلوه بفضل رحمتي
الجنه ومصداق ذلك من كتاب الله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذره وان كان عبدا
شقيا قالت الملايكه يا ربنا وهو اعلم بذلك منهم اعطيت كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذره
من حسنه فيقول للملايكه ضعفوها لعبدي واصلوه بفضل رحمتي الجنه الهنا فنيت حسناته

وبقيت سيئاته وبقي طالبون كثير فيقول عز وجل خذوا من سيئاتهم واضعفوها الى سيئاته ثم
صكوا له صكا الى النار فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم
بل يثيبه عليها ويضعفها له وذلك قوله وان تك حسنة يضاعفها قرا نافع وابن كثير
حسنة بالرفع على كان التامة بمعنى وان تقع او توجد والباقون بالنصب على كان
الناقصة بمعنى وان تك مثقال ذرة حسنة وقرا ابن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد
من غير الف من التضعيف والباقون يضاعفها بالالف والتخفيف من المضاعفة قيل
يضعفها يجعلها ضعفين ويضاعفها يجعلها اضعافا كثيرة والثالث من الامور قوله
ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي من عنده قيل في لدن اربع لغات لدن ولدى ولد
ولدى فاذا اضافوه الى انفسهم شددوا النون وقيل ان اللدن اكثر تمكينا من عند يقول
الرجل عندي مال اذا كان له بلد اخر ولا يقال لدني مال ولا لدي الا ما كان حاضرا
قيل الاجر العظيم هو الجنة وعن عثمان النهدي بلغني عن ابي هريرة انه قال ان الله
عز وجل يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة الف الف حسنة فقلت له بلغني عنك
انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف
حسنة ثم تلى هذه الاية فمن يقدر قدره اذا قال من لدنه اجرا عظيما قال صاحب
الكشاف ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطا عظيما وسماه اجرا لانه تابع
للاجر لا يثبت الا بثباته قال الامام لابد من الفرق بين هذا وبين قوله وان تك حسنة
يضعفها والذي خطر ببالي والعلم عند الله ان ذلك التضعيف يكون من جنس ذلك الثواب
واما هذا الاجر العظيم فلا يكون من جنسه والظاهر ان ذلك التضعيف يكون
من جنس اللذات الموعود بها في الجنة واما هذا الاجر العظيم الذي يؤتيه من لدنه
فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق في المحبة والمعرفة وانما خص هذا النوع
بقوله من لدنه لان هذا النوع من الغبطة والسعادة والبهجة والكمال لا ينال بالاعمال
الجسدانية انما ينال بما يودع الله في جوهر النفس القدسية من الاشراق والصفا
والنور وبالجملة فذلك التضعيف اشارة الى السعادات الجسمانية وهذا الاجر
العظيم الى السعادات الروحانية **قوله تعالى** فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
ولا يكتمون الله حديثا بين الله تعالى في الاية المتقدمة ان الله لا يظلم مثقال ذرة في
الاخرة ويجازي المحسن على احسانه وان كان في غاية القلة ويزيد على قدر حقه
فبين في هذه الاية ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق
لتكون الحجة على المسيء ابلغ والتبكيت له اعظم وحسرته اشد والسرور لاهل
الطاعة والاحسان اعظم وهذا وعيد للكافرين الذين قال الله فيهم ان الله لا يظلم
مثقال ذرة ووعد للمؤمنين الذين قال الله فيهم وان تك حسنة يضاعفها فكيف
يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين اذا جئنا من كل امة
بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم لقوله تعالى حكاية عن عيسى وكنت عليهم شهيدا ما
دمت فيهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لي اقرا القران علي قال فقلت يا رسول الله انت

الذي

انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن مسعود فافتتحت سورة النسا
فلما انتهيت الى هذه الاية بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا الله وعن السدي
ان امة محمد عليه السلام يشهدون للرسل بالابلاغ والرسول صلى الله عليه وسلم يشهد لامته
بالتصديق فلهذا قال وجعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم
وصف الله ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا اي يوم اذ ذاك اي يوم القيامة اذ جئنا
من كل امة بشهيد يود الذين كفروا ويتمنون وعصوا الرسول في الدنيا والواو في قوله
وعصوا الرسول للحال التي كانوا عليها من معصية الرسول في الدنيا قرا ابن كثير وعاصم وابو
عمرو تسوى مضمومة التا خفيفة السين على ما لم يسم فاعله وقرا نافع وابن عامر تسوى مفتوحة التا
مشددة السين بمعنى تتسوى فادغم التا في السين لقربها منها ولا يكره اجتماع التشديدين في
هذه القراءة لان لها نظائر في التنزيل كقوله اطيرنا بك وازينت ويذكرون وفي هذه القراءة
اتساع وهو تسوى الى الارض وحمزة والكسائي تسوى مفتوحة التا والسين خفيفة حذفا
التا التي ادغمها نافع وابن عامر لانها تارة تعتل بالادغام واخرى بالحذف قيل معناه لو يدفنون
فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض
سوا وقيل تصير البهائم ترابا فيود الكفار حال البهائم عن الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحش
والطير والسباع كونوا ترابا فتسوى بها الارض فعند ذلك يتمنى الكافر ان لو كان ترابا
لمسي عليه اهل الجمع بيانه قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قوله ولا يكتمون اي
ولا يقدرون على كتمان الحديث لان ما عملوه لا يخفى على الله فلا يقدرون على كتمانه ولان
جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون
الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا
شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك
فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وهذه الاية دالة على ان الكفار مكلفون
بالفروع لان عصيان الرسول مغاير للكفر **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان
كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا قيل نزلت الاية في اناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يشربون الخمر ويشهدون الصلوة وهم نشاوى
فلا يدرون كم يصلون ولا ما يقولون في صلاتهم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا
فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا
فلما ثملوا وجا وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم
عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشا شربوها
فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها
ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل لا تقربوا مواضعها
وهي المساجد لقوله جنبوا صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله
وترى الناس سكارى كل المربون والسكارى جمع سكران وكل نعت على فعلان فانه يجمع على
فعالى وفعالى مثل كسالى وكسالى واصل السكر في اللغة سد الطريق من ذلك سكر البثق وهو

اسناد ح

مساجدكم ح

سد وسكرت عينه تسكر اذا تحيرت ومنه قوله تعالى انما سكرت ابصارنا اي حبست عن النظر وحيرت
وقيل غطيت وغشيت فليس ينفذ نورها ولا تدرك الاشيا على حقيقتها والسكر في الشراب هو ان ينقطع
عما عليه من المضاء في حال الصحو فلا ينفذ رايه على حد نفاذه في حال صحوه قوله ولا جنبا والجنب
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا
عابري سبيل استثنا مفرغ من عامة احوال المخاطبين اي الجنب والمعنى ولا تقربوا الصلوة
في حالة من احوال الاجناب الا في حال السفر وانتصابه على الحال فقد جمع بين هذه الحال
اي عابري سبيل والحال التي قبلها اي جنبا كانه قيل لا تقربوا في حال الجنابة الا ومعكم حال
اخرى تعذرون فيه وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عن السفر وللجنب خمسة احوال
ما عدا حال السفر فنهوا عن قربان الصلوة الا في حال السفر يعني لا تقربوا الصلوة وانتم جنب
في حال من الاحوال الا في حال السفر فقيل يجوز ان لا يكون حالا ويكون صفة والا بمعنى
الغير والاستثنا اي لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين
والفرق بين كونه حالا وبين كونه صفة هو انه اذا كان حالا افاد انه لا يجوز قربان الصلوة
في حال الجنابة قط الا ان يكون مسافرا فيدل الحصر على ان العذر غير متعدد ثم يجي قوله
وان كنتم مرضى او على سفر مبطلا معنى الحصر واذا كان صفة يكون المعنى لا تقربوا الصلوة جنبا
مقيمين فلم يفد ان العذر منحصر في السفر ضرورة عدم افادة الحصر قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا
كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين ومن فسر الصلوة
بالمسجد معناه ولا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الما او كان الما
فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا
يصيبهم ممر الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياذن لاحد
ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد
عن ام سلمه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان مسجدي حرام على كل حايض من النسا
وعلى كل جنب من الرجال الا على محمد واهل بيته علي وفاطمه والحسن والحسين حتى تغتسلوا
وان كنتم مرضى جمع مريض واريد به مرضا يضره مساس الما مثل الجدري والقروح والجروح
او كسر قد وضع عليه الجباير فانه رخص له في التيمم هذا قول جماعة الفقها وقيل انه لا يتيمم
مع وجود الما لقوله فلم تجدوا ما وهذا واجد للما ورد هذا بما روى جابر قال
خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه فقال هل تجدون
لي رخصة فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الما فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذ لم يعلموا فانما شفا العي السوال
انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل ساير جسده او على سفر طويلا
او قصيرا فله التيمم عند عدم الما فاما اذا لم يكن هناك مرض ولا سفر لكنه عدم الما في موضع لا يعدم
فيه الما غالبا مثل ان يكون في مصر فانقطع الما عنه راسا او في قرية فانقطع ماوها فذهب
الشافعي ومحمد بن الحسن الى ان عليه التيمم والصلوة ويعيد الصلوة وذهب مالك والاوزاعي وابو يوسف
انه يتيمم ويصلي ولا اعادة وذهب ابو حنيفة الى انه لا يتيمم ولكنه يصبر حتى يجد الما ويتوضا
ويصلي قوله تعالى او جا احد منكم من الغايط واصل الغايط المطمين من الارض الواسع فكان

الرجل

الرجل منهم اذا اراد ان يقضي الحاجة اتى الغايط فقضى حاجته فقيل لكل من قضى حاجته قد اتى
الغايط يكنى به عن العذرة وقد تغوط وبال قوله او لمستم النسا قرا حمزة والكساي او لمستم
النسا بغير الف ههنا وفي المايدة والباقون بالالف فيهما قيل المعنى اللمس والملامسة المجامعة وقيل
هما التقا البشرتين سوا كان بجماع او بغير جماع واختلف الفقها في حكم الاية فقال الشافعي اذا افضى
الرجل بشي من بدنه الى شي من بدن المراة سوا كان باليد او بغيرها من اعضا الجسد يتعلق نقض الطهر به
وقيل ان كان اللمس باليد نقض الطهر وان كان بغير اليد لم ينقضه اجراه مجرى مس الفرج وقال مالك
والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه ان كان اللمس بالشهوة نقض وان كان بغير شهوة
لم ينقض وقال ابو حنيفة وابو يوسف ان كانت ملامسة فاحشة نقضت والا لم تنقض والملامسة
الفاحشة ما تحدث انتشارهما من الفرجين بلا حايل وذهب طايفة الى ان الملامسة لا تنقض الطهارة
بحال دليل الشافعي في الاية ان الملامسة قد تكون باليد ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
نهى عن بيع الملامسة واللمس اكثر ما يستعمل في المس باليد وانشد الشافعي لمست بكفي كفه اطلب الغنى
ولم ادر ان الجود من كفه يعدي وتفصيل قضية الملامسة على وجوه ثلاثة لمس ينقض الوضو
قولا واحدا لمس الرجل المراة الشابة الاجنبية باي جز من اجزا بشرته ولمس لا ينقضه لمس الشعر والسن
والظفر ولمس مختلف فيه لمس صبية صغيرة او عجوز كبيرة او ذات محرم لا يحل له نكاحها ففيه
قولان اصحهما لا ينقض لانه لا مدخل للشهوة فيهن يشاهد ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي
وهو حامل امامة بنت زينب بنت رسول الله فاذا سجد وضعها واذا قام رفعها فهذا حكم الملامسة
اذا لم يكن حايل فاما اذا كانت الملامسة بحايل فانها لا تنقض الطهارة سوا كان الحايل صفيقا
او رقيقا عن مالك ينقض اذا كان رقيقا والدليل على انها لا تنقض ظاهر الاية او لمستم النسا
فاذا كان مع الحايل فما لمسها وفي حق الملموس للشافعي قولان اصحهما ينتقض لاشتراكهما في الالتذاذ
به وثانيهما لا ينتقض لقول عايشة وقعت يدي على اخمص رسول الله الحديث قوله فلم تجدوا
ما قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة الثانية يجدد الطلب مرة ثانية فاذا لم يجد تيمم
وقال ابو حنيفة لا يجب تجديد الطلب حجة الشافعي قوله فلم تجدوا ما وعدم الوجدان مشعر
بسبق الطلب فيجب في كل مرة سبق الطلب واتفقوا على انه اذا وجد الما واحتاج اليه
لعطشه او لعطش محترم معه جاز له التيمم ولو كان الاحتياج في المال واذا وجد ما لا
يكفيه للوضو فعند الشافعي وجب ان يستعمل اولا ثم يتيمم لظاهر الاية والقياس على الجرح
وعند ابي حنيفة ومالك لا يجب قياسا على الرقبة في الكفارة والقياس الاول ارجح لانه
على ما من جنسه ثم قال فتيمموا التيمم لغة القصد وتيممته قصدته وتيممت الصعيد للصلوة
واصله التعمد والتوخي من قولهم تيممتك وتاممتك قال ابن السكيت قوله تعالى فتيمموا
صعيدا طيبا اي اقصدوا الصعيد الطيب ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم
مسح الوجه واليدين بالتراب والتيمم من خصايص هذه الامة قال النبي صلى الله عليه وسلم
فضلنا على الناس بثلاث جعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الما
وجعلت صفوفنا كصفوف الملايكة فاما بدو التيمم فعن عايشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابوا حتى اذا كنا بالبيدا او بذات الجيش انقطع عقد لي وكانت
استعارته من اسما فضلت فاخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالتماسه فالتمس
فلم يوجد فاناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم واناخ الناس فباتوا ليلتهم تلك واقاموا على التماسه

والثاني ح

ولبسوا على ما وليس عندهم ما فاتى الناس ابا بكر رضي الله عنه فقالوا الا ترى الى ما صنعت عايشه
حبست الناس على غير ما فجا ابو بكر رضي الله عنه ورسول الله واضع راسه على فخذى قد نام
فعاتبني وقال ما شا الله فيهما الله من قلاده حبست الناس على غير ما وقد حضرت الصلوه ثم طعن في
خاصرتي فما منعني من التحريك الا ان رسول الله على فخذى فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اصبح على غير ما فانزل الله ايه التيمم فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته فقال
اسيد بن حضير ما هذا باول بركتكم يا ال ابى بكر جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك امر
قط تكرهينه الا جعل الله لك وللمسلمين جزا فاباح الله التيمم بخمس شرايط احدها دخول
وقت الصلوه ولا يجمع بالتيمم بين صلوتي فرض وهو قول الشافعي ومالك واحمد بن حنبل
لانها طهاره ضروره فتقاس على المستحاضه ولقوله صلى الله عليه وسلم ما ادركتك الصلاه تيممت
وصليت وذهبت طايفه الى ان التيمم كالطهاره بالما يجوز تقديمه على وقت الصلوه ويصلى
به من الحدث الى الحدث ما شا الله من الفرايض والنوافل وهو مذهب ابى حنيفه لقوله عليه السلام
الصعيد وضو المسلم ولو لم يجد الما عشر حجج والشرط الثاني الطلب وكيفيته ان يبدا بطلبه
في رحله فان لم يجد طلب من اصحابه فان لم يجد عندهم طلب يمينا وشمالا وورا وامامًا وان
كان هناك جبل صعده ونظر وان راى انسانا قاصدا ما طلب منه فان تيمم قبل الطلب لم يصح
عند اكثر الفقها وقال ابو حنيفه ليس بشرط في جواز التيمم بل هو مستحب فان طلبه قيل اجزاه
لانه لو كان شرطا فيه لكان شرطا في النافله كعدم الما والشرط الثالث اعوازه بعد الطلب فاما
اذا كان بينه وبين الما حايل من لص او عدو او سبع او جمل صايل او نار ونحوها فهو عادم للما وكذلك
ان كان عليه ضرر في اتيانه مثل ان يخاف على رحله ان غاب عنه وكذلك ان كان الما في بير ولا
يمكنه الوصول اليه بحال والشرط الرابع العذر من مرض او سفر لقوله وان كنتم مرضى او
على سفر والمرض على ثلثه اضرب مرض لا يستضر باستعمال الما معه فلا يجوز التيمم ومرض
يخاف معه من استعمال الما التلف فيجوز معه التيمم وكذلك ان كان على قرحه دم يخاف
معه ان غسله التلف تيمم واعاد واذا قدر على غسل الدم ومرض يخاف باستعماله الما الزياده
في العله او ابطا البرا او الشين الفاحش ففيه قولان احدها انه يجوز التيمم والثاني انه لا يجوز
واذا كانت الجراحه في بعض جسده دون بعض غسل ما لا ضرر عليه وتيمم عن الباقي لا يجزيه
احدهما دون الاخر وقال ابو حنيفه ان كان اكثر بدنه سليما لزمه الوضو واستعمال الما ولم يجزه
معه التيمم وان كان اكثره جريحا سقط عنه فرض استعمال الما ويجزيه التيمم في الجميع ولا يجوز
استعمال الما في بعض الاعضا والتيمم لبعضها اذا وجد الجنب او المحدث من الما ما لا يسع المحدث
لوضوه ولا الجنب لاغتساله فعلى الاول ان كان جنبا غسل به اى اعضايه شا ثم تيمم على الوجه
واليدين وان كان محدثا غسل به وجهه ثم يديه على الترتيب ثم تيمم لما يغسله من اعضايه وقت
غسله حتى لو غسل جميع اعضا وضوه وبقيت لمعه من رجله لم يصبها الما فانه يتيمم لها فان
انكسر بعض اعضايه وجبرها فانه يتيمم لها فان انكسر بعض اعضايه وجبرها فانه لا يعدو
بالجبايره موضع الكسر ولا يضعها الا على وضو كالخفين فان وضعها على الطهاره فله ان يمسح على
الجبيره ما دام العذر باقيا ثم في قضا الصلوات التي صلاها على الجبايره قولان احدهما عليه
الاعاده والثاني لا وهو اختيار المزني لما روى ان عليا انكسر احد زنديه فامره النبي عليه السلام
ان يمسح على الجبايره وان وضعها على غير الطهاره او تعدى بها موضع الكسر نظر فان لم يخش
تلف

تلف بنزعها او عضو من اعضايه نزعها وان جاز ذلك لم ينزعها ولكنه يغسل ما يقدر على غسله ويعيد
الصلوه اذا قدر على نزعها واما السفر فهو كل ما يقع عليه اسم سفر طال ام قصر لان الله تعالى لم يفرق
وعن عمر انه اقبل من الجرف حتى اذا كان بالمربد تيمم فمسح وجهه ويديه وصلى العصر ثم دخل المدينه
والشمس مرتفعه فلم يعد الصلوه قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اى اقصدوا ترابا نظيفا والصعيد
التراب وقيل وجه الارض لقوله تعالى فتصبح صعيدا زلقا وقال الزجاج الصعيد وجه الارض
ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره
وهو مذهب ابى حنيفه فانه جوز التيمم بالارض وبما كان من جنسها وان لم يعلق بيده شى فاجاز
بالكحل والزرنيخ والجص والجوهر المسحوق ولم يعتبر الغبار حتى قال لو ضرب بيده على صخره ملسا
فمسح به اجزا فاذا تيمم بسحالة الذهب والفضه والنحاس والرصاص لم يجز لانه ليس من جنس
الارض وقال مالك يجوز بالارض وبكل ما اتصل بها فاجاز التيمم باجناس الارض وبالشجر فقال
لو ضرب بيده على شجره ثم مسح بها اجزاه وقال الاوزاعي والثوري يجوز بالارض وبكل
ما عليها من الشجر والحجر والمدر وغيرها حتى قالا لو ضرب بيده على الجمد والثلج اجزاه لما روى
انه صلى الله عليه وسلم اقبل من بير الجمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه وذهب الشافعي الى ان الممسوح به تراب طاهر ذو
غبار يعلق باليد لان الله تعالى قال فتيمموا صعيدا طيبا والصعيد اسم التراب والطيب اسم
لما ينبت لقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا ولقوله
صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بذلك ولقوله تعالى في
المايده فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض اى من بعضه للصعيد وهذا
لا يتاتى في الصخر الذى لا تراب عليه وقيل من لابتدا الغايه فلا يلزم ان يكون المسح ببعض الصعيد
قال صاحب الكشاف فان قلت قولهم انها لابتدا الغايه قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من
قول القايل مسحت راسه من الدهن ومن الما ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول
والاذعان للحق احق من المرا قوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم اختلف العلما في كيفيه التيمم
فقيل يمسح على الوجه واليدين الى الاباط والمناكب لما روى انه لما نزل ايه التيمم ضربوا بايديهم
الى الارض ثم رفعوا ايديهم ولم يقبضوا من التراب شيا فمسحوا وجوههم وايديهم الى المناكب
ثم بطون ايديهم الى الاباط وقيل ثلاث ضربات ضربه للوجه وضربه للكفين وضربه للذراعين
وذهب الشافعي انه ضربتان ضربه للوجه وضربه لليدين الى المرفقين وبه قال من
الصحابه عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله ومن التابعين الحسن البصري والشعبي
ومن الفقها ابو حنيفه والثوري ومالك والليث واحتجوا بما روى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم تيمم فمسح وجهه وذراعيه وروي انه عليه السلام قال التيمم ضربتان ضربه
للوجه وضربه لليدين الى المرفقين وقيل ضربه للوجه والكفين وهو قول سعيد بن المسيب
والاوزاعي واحمد واسحق واحتجوا بقوله تعالى وايديكم واليد على الاطلاق تتناول الكف
الى الكوع بدليل ان السارق تقطع يده من الكوع وقد قال تعالى والسارق والسارقه فاقطعوا
ايديهما وبما روى عن عمار بن ياسر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في التيمم ضربه للوجه
والكفين والتيمم من الجنابه كالتيمم من الحدث ولا خلاف فيه الا ما روى عن عمر بن الخطاب
وعبد الله بن مسعود انهما قالا لا يجوز التيمم للجنب ولكن يصبر حتى يجد الما فيغتسل ويصلي

وقرء أو لامستم النسا باليد دون الجماع روى ان رجلا سال عمر رضي الله عنه عن الجنب لا
يجد الما فقال لا يصلي حتى يجد الما فقال عمار بن ياسر اما تذكر حين بعثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وانت فاجتنب فتمعكت في التراب فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له
فقال قد كان يكفيك ان تفعل كذا وكذا فضرب بيديه على الارض فمسح وجهه ويديه فقال اتق
الله يا عمار فقال يا رسول الله اصابتني جنابة ولا ما قال عليك بالصعيد فانه يكفيك وعنه
انه قال صليت خلف رسول الله فكان فينا رجل فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتيمم ويصلي
فلما وجد الما امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يغتسل ولم يامره ان يعيد الصلوة قوله تعالى
ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطايين
ويغفرها اولى ان يكون ميسرا غير معسر قال صاحب الكشاف فان قلت كيف نظم في سلك
واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرضى والسفر سببان من اسباب
الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضو والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه
ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للما في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم
مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر
وغلبتهما على ساير الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه
الما لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ما فيه او غير ذلك
مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقيل وجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او
جنب والحال المقتضية للترخص بحسب الغالب مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر
على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره من اسباب ما يحدث بالذات وما بالعرض واستغنى
عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا كانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او
على سفر او محدثين جيتم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما وهذا متفرع على مذهب
الشافعي لان الملامسة على هذا بمعنى اللمس لا الجماع قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدايكم
وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا لما ذكر من اول السورة الى ههنا انواعا كثيرة من
التكاليف والاحكام الشرعية قطع ههنا بيان الاحكام وذكر احوال اعدا الدين واقاصيص
المتقدمين لان البقا في النوع الواحد من العلم مما يكدر الطبع ويكد الخاطر فاما الانتقال
من نوع الى نوع كانه ينشط الخاطر ويقوي القريحة قوله الم تر من روية القلب وعدي
بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او من روية البصر على معنى الم تنظر الى الذين يعني يهود
المدينة وعن ابن عباس نزلت في رفاعة ابن زيد بن التابوت ومالك بن دخشم
كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه نصيبا من الكتاب حظا من
التورية لانهم عرفوا من التوراة نبوة موسى عليه السلام ولم يعرفوا منها نبوة محمد فاما
الذين اسلموا كعبد الله بن سلام وعرفوا الامرين وصفهم الله بان معهم علم الكتاب قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب يشترون الضلالة وصفهم الله تعالى بامرين
الضلال والاضلال اما الضلال فهو قوله يشترون الضلالة قيل معناه يوثرون
تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لياخذوا الرشى على ذلك ويحصل لهما الرياسة ذكر
بلفظ الاشترا لان من اشترى شيا اثره وقيل معناه يستبدلون الضلالة بالهدى والضلالة

هي

هي البقا على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية والانجيل واما الاضلال فهو قوله ويريدون
ان تضلوا السبيل اي يريدون ان تضلوا ايها المومنون سبيل الحق وتكونوا ضلالا
اضلالهم والتلبيس عليكم كما ضلوا وينخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل
معهم غيرهم ولا حالة اسوا واقبح من حال من ضل واضل والله اعلم منكم بما في قلوبهم
وصدورهم من عداوتكم اياكم وقد اخبركم بعداوة هولا واطلعكم على احوالهم
وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى
بالله وليا فثقوا بولايته تعالى ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم
ويكفيكم عداوتهم ومكرهم قوله وكفى بالله نصيرا لم يكن تكرارا لان المراد بالولي
المتصرف في الشي لا يجب ان يكون ناصرا ولا الناصر ان يكون متصرفا والفايدة في تكرار
كفى ليكون اكثر مبالغة واشد تاثيرا في القلب قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا
في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم
فلا يومنون الا قليلا لما حكى الله عنهم انهم يشترون الضلالة بين كيفية تلك الضلالة
من الذين هادوا اجوز ان يكون متصلا بما قبله وحينيذ يكون بيانا للذين اوتوا
نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جمل
توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيانا لاعدايكم وقوله وكفى بالله وليا وكفى
بالله نصيرا جملتان توسطتا بينهما على سبيل الاعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم الله من الذين
هادوا كقوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما
قبله ويكون قوله يحرفون صفة لمبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا امن يحرفون الكلم
فيكون من الذين هادوا في محل الرفع على انه خبر مبتدا مقدم عليه كقوله تعالى وما منا الا
له مقام معلوم اي الا من له وقال الشاعر وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه
لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه
عنها وذلك نحو تحريفهم اسم ربعة عن موضعه في التورية بوضعهم ادم طوال مكانه ونحو تحريفهم
الرجم بوضعهم الجلد مكانه بدله قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه
وفي المايدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التي اوجب
حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه
فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب
الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان قال ابن عباس كانت اليهود
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلونه عن الامر فيخبرهم ويرى انهم ياخذون بقوله
فاذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك وقيل ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا امرهم بشي قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في انفسهم وعصينا واسمع
غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل المدح والذم
اما المدح فمعناه اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه واما الذم فمعناه

اسمع منا غير مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع
قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه
ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيا واسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك
عنه ناب ويجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
لا تعيه نبوا عنه وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ويقولون في انفسهم
لا سمعت والمسمع ههنا بمعنى السامع قوله وراعنا قد مر في سورة البقرة ان هذا كان سبا
بلغتهم وقيل راعنا قول ذو وجهين يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانظرنا ويحتمل
شبه كلمة عبرانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير
والاكرام قوله ليا اصله لويا من لويت اجتمع الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون قلبت
الواو ياء وادغمت في الياء قوله ليا بالسنتهم اي فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بالسنتهم
الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا وقيل معنى
ليا بالسنتهم اى فتلا للكلام بالسنتهم ونوايهم كانوا يحرفون راعنا من طريق المراعاة الى
السب بالرعونة ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا مكان قولهم سمعنا وعصينا واسمع وانظرنا
بدل راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم عند الله واقوم اى اعدل واصوب قال صاحب
الكشاف فان قلت كيف جاوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا
وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب
ودعاء السوء ويجوز ان يقولوا وعصينا فيما بينهم ويجوز ان ينطقوا بذلك ولكنهم
لما لم يومنوا به جعلوا كانهم نطقوا به والضمير في قوله لكان خيرا لهم راجع الى قوله انهم قالوا
لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم ولكن لعنهم الله بكفرهم
اى ابعدهم عن رحمته مجازاة لهم بكفرهم قال صاحب الكشاف بناء على اصله الفاسد
اى خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يومنون الا قليلا منهم قد امنوا يعني
عبد الله بن سلام واصحابه فيكون قوله قليلا مستثنى من الواو والذي هو فاعل لا
يومنون وقيل فلا يومنون ايمانا الا قليلا اى ايمانا ضعيفا ركيكا لا يعبا به ولا يجب
ان يسموا به مومنين وهو ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض قال الله تعالى واذا قيل لهم امنوا
بما انزل الله قالوا نومن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وقال ويقولون نومن
ببعض ونكفر ببعض فعلى هذا الا قليلا استثناء مفرغ من مصدر يومنون وقيل
اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شت الهوى والمسالك
اى عديم التشكي والمعنى على هذا فلا يومنون الا ايمانا دالا على ان لا ايمان لهم
قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما انزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان
نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا
لما حكى عن اليهود انواع مكرهم وايذائهم امرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد
على الترك امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم يعني القران من قبل ان نطمس وجوها الطمس
المحو اي نمحو ما فيها من عين وفم وانف وحاجب فنردها على ادبارها فنجعلها على

هية

على هذا

هية ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها اى مثل الاقفاء والفاء للتسبب فان جعل الفاء
للتعقيب على ان الله تعالى اوعدهم بعقابين احدهما عقيب الاخر وهو ردها على ادبارها بعد
طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها وفي عقيبه ننكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وقيل
الطمس القلب والتغير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة والوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم اى امنوا
من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم
الى حيث جاوا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير قوله او نلعنهم ضمير المفعول راجع الى
قوله وجوها ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع
الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات قوله او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب
السبت فان قيل قد اوعد الله تعالى بطمس وجوههم ان لم يومنوا ثم لم يومنوا فاين وقوع الوعيد
فالجواب ان بعضهم جعل هذا الوعيد باقيا منتظرا وقال لابد من طمس ومسخ في اليهود قبل قيام
الساعة وقيل هذا الوعيد كان مشروطا بالايمان وقد امن منهم ناس فرفع عن الباقي يقال لما
نزلت هذه الاية اتى عبد الله بن سلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله واسلم
وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يرجع وجهي الى قفاي روي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قرا هذه الاية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيد
هذه الاية وقيل ان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين نطمس وجوه منهم او يلعنهم فان كان
الطمس تبديل احوال وجهائهم واجلائهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد
حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان فان قيل كيف كان احد الامرين اى الطمس واللعن
واللعن المسخ اجيب بان الظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبيكم بشر
من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا
فلابد ان يقع احد الامرين ان لم يومنوا قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما لما هدد اليهود على الكفر وبين ان ذلك التهديد
لابد من وقوعه لا محالة بين ان مثل هذا التهديد من خواص الكفر فاما ساير الذنوب التي هي
مغايرة للكفر فليست حالها كذلك بل هو سبحانه قد يعفو عنه فلا جرم قال ان الله لا يغفر ان يشرك به
قيل نزلت في المشركين وحشي بن حرب واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله
ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه وكتبوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على الذي صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا
سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الاية وقد دعونا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الاية
لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى وحشي واصحابه فلما قروها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا
فلا نكون من اهل هذه الاية فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث
بها اليهم فقروها فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الاية فبعث بها اليهم فلما قراوها دخل
هو واصحابه في الاسلام ورجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال عليه السلام
لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بعد ذلك

بالشام فكان بها الى ان مات وقيل نزلت هذه الايه في اليهود ان الله لا يغفر ان يشرك به
يعني اليهود ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فمشيته لاهل التوحيد وقيل نزلت في المومنين
فانه لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا قام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فتلاها على
الناس فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلثا فنزلت ان الله
لا يغفر ان يشرك به فاثبتت ذلك في الزمر وهذه في النسا عن ابن عمر كنا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيره شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الايه
فامسكنا عن الشهادات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال المغفره تحل بالعبد ما لم يقع
الحجاب قالوا يا رسول الله وما وقع الحجاب قال الاشراك بالله عز وجل ثم قرا ان الله لا يغفر
الايه وعن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي الله عز وجل لا يشرك به
شيا دخل الجنه ولم يضره معه خطيه كما لو لقيه وهو يشرك به شيا دخل النار ولم ينفعه حسنه
قال الامام هذه الايه على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع ويدل عليه وجهان الاول
ان الايه داله على ان ما سوى الشرك مغفور فلو كانت اليهوديه مغايره للشرك لوجب ان تكون
مغفوره بحكم هذه الايه وبالاجماع هي غير مغفوره فدل على انها داخله تحت اسم الشرك الثاني
ان اتصال هذه الايه بما قبلها انما كان لانها تتضمن تهديد اليهود فلولا ان اليهود داخله تحت اسم
الشرك والا لم يكن الامر كذلك فان قيل قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا الى قوله
والذين اشركوا عطف على المشرك على اليهودي وذلك يقتضي المغايره اجيب بان المغايره حاصله
باعتبار المفهوم اللغوي والاتحاد حاصل بسبب المفهوم الشرعي ولا بد من المصير الى ما ذكرناه دفعا
للتناقض اذا ثبت هذه المقدمه قال الشافعي لا يقتل بالذمي وقال ابو حنيفه يقتل حجة الشافعي ان الذمي
مشرك لما ذكرناه والمشرك مباح الدم لقوله اقتلوا المشركين فكان الذمي مباح الدم على الوجه
الذي ذكرناه ومباح الدم هو الذي لا يجب القصاص على قاتله ولا يوجب النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل
في حق سقوط القصاص فوجب ان يبقى معمولا في سقوط القصاص عن قاتله وهذه الايه من اقوى
الدلايل على عذاب صاحب الكبيره يجوز ان يغفر له ولا يجب وعند قبل التوبه على اصل المعتزله
انه يجب ان يكون المراد من قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اصحاب الكباير قبل التوبه لان
عند المعتزله غفران الصغيره وغفران الكبيره بعد التوبه واجب عقلا فلا يمكن حمل الايه عليه
فاذا تعذر ذلك لم يبق الا حمل الايه على غفران الكبيره قبل التوبه وهو المطلوب قال صاحب
الكشاف فان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون ذلك الشرك
من الكباير فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا قلت الوجه ان يكون
الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشا كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشا الشرك ويغفر
لمن يشا ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان
الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشا هذا وجه السوال انه ثبت عند علما اهل
العدل ان حكم الشرك وما دونه من الكباير سوا في انهما لا يغفران قبل التوبه ويغفران بعدها
فما وجه قوله لا يغفر الشرك ويغفر ما دون ذلك وما فايده قوله لمن يشا والجواب الذي
ذكره مع انه لا يبقى معه حسن النظم وتجاوب طرفيه مناف لاصله قال صاحب الانتصاف عسر
تفسير الايه على مذهبه لانه ان كان المراد لمن يتب فيهما فلم فرق ما دون الشرك وان كان
لمن تاب فلم اطلق الشرك فتاولها كما ترى على ان التوبه عندهم موجبه العفو فلا يجوز تعليقها

بالمشيه

٣٨

بالمشيه وقيل تقييد صاحب الكشاف تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظه اولى
من الوعد ونقض لمذهبه فان تعليق الامر بالمشيه ينافي وجوب التعذيب قبل التوبه ووجوب
الصفح بعدها فالايه كافيه لحجة عليه ثم قال تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي
اختلق ذنبا غير مغفور يقال افترى فلان الكذب اي عمله واختلقه واصله من الفري
وهو القطع وهو اشاره الى المعنى الفارق بينه وبين ساير الاثام وظهر منه ان تاويل صاحب
الكشاف غير مطابق لمراد الله تعالى **قوله تعالى** الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله
يزكي من يشا ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا المراد
به اليهود بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به قالوا لسنا من المشركين بل نحن من خواص الله كما حكى
تعالى عنهم انهم قالوا نحن ابنا الله واحباوه وحكى تعالى عنهم انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدوده وحكى عنهم انهم قالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا او نصارى وبعضهم كان يقول
ان اباءنا كانوا انبيا فيشفعون لنا وعن ابن عباس جا رجال من اليهود الى رسول الله باطفالهم فهم
بحري بن عمرو ونعمان ابن اوفى ومرحب ابن زيد فقالوا يا محمد هل على هولا من ذنب قال لا قالوا
والله ما نحن الا كهيتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت هذه
الايه فيهم وكذبهم الله ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكيا والتزكيه ههنا عباره عن مدح
الانسان نفسه ووصفها بزكا العمل وزياده الطاعه والتقوى والزلفى عند الله فان قيل اليس
انه صلى الله عليه وسلم قال والله اني لامين في السما امين في الارض اجيب بان ذلك انما قاله حين قال
المنافقون له اعدل في القسمه ولان الله تعالى لما زكاه لا بد لا لمن شهد الله له بالتزكيه
ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم الا الله يزكي من يشا يدل على ان الايمان بخلق الله لان احد
انواع الزكا الطاهر واشرفها هو الايمان فلما ذكر الله انه هو الذي يزكي من يشا دل على ان ايمان
المومنين بخلق الله قوله ولا يظلمون فتيلا معناه الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكيه
اي تزكيتهم انفسهم حق جزاهم من غير ظلم بل على طريق العدل او معناه ان الذين يزكيهم الله يثابون
على زكاتهم وطاعاتهم ولا ينقص من ثوابهم على سبيل التفضل والفتيل ما فتلت بين اصبعك
من الوسخ فعيل بمعنى مفعول وقيل الفتيل ما يكون في شق النواه والنقير النقطه التي هي
في ظهر النواه والقطمير القشره الرقيقه على النواه وهذه الاشيا تضرب امثالا للشي التافه
الحقير اي لا يظلمون قليلا ولا كثيرا قوله انظر تعجب لرسول الله من فريتهم على الله وهو
قولهم نكفر عنا بالليل ما نعمله بالنهار وهذا يدل على ان الكذب هو الخبر عن الشي على خلاف
الواقع اعم من ان يكون المخبر عالما بكونه كذلك او غير عالم به قال وكفى به اي بافترايهم
اثما مبينا والمقصود تعظيم اثمهم واثما منصوب على التمييز **قوله تعالى** الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هولا
اهدى من الذين امنوا سبيلا هذا نوع اخر من المكر حكى الله عن اليهود وقيل خرج
حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في سبعين راكبا من اليهود الى مكه بعد وقعة احد
ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في
دور قريش فقال اهل مكه انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا
مكرا منكم فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وامن بهما ففعل ذلك فذلك قوله

العينجا ... صاحب الكشاف خلاف ... وصفوه ... قوله

تعالى يومنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجي منكم ثلاثون ومنا ثلثون
فلنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا
قال ابو سفيان انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد
قال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوما ونسقيهم الماء ونقري الضيف
ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين
ابايه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال انتم والله
اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله عز وجل هذه الاية يعني كعبا واصحابه يومنون بالجبت والطاغوت
يعني الصنمين والجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وفي الحديث الطيرة والعيافة
والطرق من الجبت وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي
والطاغوت الكاهن والشيطان وكل راس في الضلال قد يكون واحدا قال الله تعالى يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به وقد يكون جمعا قال الله تعالى اولياوهم الطاغوت يخرجونهم
وطاغوت وان جا على وزن لاهوت فهو مقلوب لانه من طغى ولاهوت غير مقلوب لانه من لاه بمنزلة
الرغبوت والرهبوت والجمع الطواغيت قيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان واعلم
ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف يعلمان انهما كاذبان حملهما على ذلك حسد محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه قال الزجاج وهذا دليل على معاندة اليهود ولانهم زعموا ان المشركين الذين لا يصدقون بشي من
الكتب ويعبدون الاصنام اهدى طريقا من الذين يوافقونهم على كثير مما يصدقون به ثم انزل الله فيهم اوليك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا فبين ان عليهم اللعن وهو الخذلان والابعاد وهو ضد
ما للمومنين من القربة والزلفى واخبر بعده بان من يلعنه الله فلا ناصر له ينصره ويمنعه من عذاب الاخرة وفيه
وعد النصرة للرسول وللمومنين **قوله تعالى** ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون الناس نقيرا ام يحسدون
الناس وصفهم في الاية المتقدمة بالجهل والعناد ثم وصفهم بالبخل في هذه الاية والبخل هو ان لا يدفع
الى من يستحق ان يدفع اليه شي مما اتاه الله من النعمة وام منقطعة والاستفهام للانكار اي يكون لهم
نصيب من الملك اي ليس لهم نصيب من الملك قوله فاذا لا يوتون الناس نقيرا اي لا يوتون احدا مقدار
نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما
ملك اهل الدنيا واما ملك الله عز وجل لقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم
خشية الانفاق وحمل الملك على الثاني اوفق واحسن لمطابقته لما هو نظيره في القران وقيل
يجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين
وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يوتون احدا مما يملكون شيا فالاول انكار لان يكون
لهم نصيب من الملك والثاني انكار لان يوتوا الناس نقيرا اي لا يوتون الناس نقيرا مع ان لهم نصيبا من
الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يوتون احدا
مما يملكون شيا فالاول انكار قال الامام انه تعالى جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك وهذا يدل على
ان الملك والبخل لا يجتمعان وتحقيق الكلام فيه من حيث العقل ان الانقياد للغير امر مكروه لذاته
والانسان لا يتحمل المكروه الا اذا وجد في مقابلته امرا مطلوبا مرغوبا فيه وجهات الحاجات
محيطة بالناس فاذا صدر من انسان احسان الى غيره صارت رغبة المحسن اليه في ذلك المال سببا
لصيرورته منقادا مطيعا فلهذا قيل بالبر يستعبد الحر فاذا لم يوجد هذا بقي النفرة الطبيعية
عن الانقياد للغير خاليا عن المعارض فلا يحصل الانقياد البتة فثبت ان الملك والبخل لا يجتمعان ثم

ان

وهذا ملك الملوك وملك على البواطن فقط ح

ان الملك على ثلثة اقسام ملك على الظواهر فقط وهو ملك العلما وملك على الظواهر والبواطن معا
وهو ملك الانبيا عليهم السلام فاذا كان الجود من لوازم الملك وجب في الانبيا ان يكونوا في غاية الجود
والكرم والرحمة والشفقة ليصير كل واحد من هذه الاخلاق سببا لانقياد الخلق لهم وامتثالهم الاوامرهم
وكل هذه الصفات كان حاصلا لمحمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ام يحسدون الناس على ما
اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فمنهم من امن به ومنهم من صد
عنه وكفى بجهنم سعيرا ثم وصفهم الله بالحسد والحسد تمني ان لا يعطي الله غيره شيا من النعم فالبخل والحسد
يشتركان في ان صاحبه يريد منع النعمة من الغير والبخيل يمنع نعمة نفسه عن الغير والحاسد يريد منع
نعمة الله من عباده فذم الله تعالى وصفهم بالجهل على وصفهم بالبخل والحسد لان الجهل سبب لهما والسبب
مقدم على المسبب وقدم البخل على الحسد لان البخل يقتضي الضرر الى الغير والحسد يقتضي الالم للحاسد
وما يستلزم الضرر الى الغير اشد مما يستلزم الالم للنفس وام منقطعة والتقدير بل يحسدون الناس على
انكار الحسد واستقباحه قيل كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من النبوة
والكتاب والحكمة والنصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم وقيل حسدوه على ما احل الله له
من النسا واراد بالناس في هذه الاية رسول الله باعتبار ان يجتمع عنده من خلال الخير ما يكون في الناس اجمعين
وقيل اراد بالناس العرب حسدوهم على النبوة على ان الله تعالى اكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالناس
رسول الله وابا بكر وعمر روي ان علي بن ابي طالب على المنبر قال في قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله هو رسول الله وابو بكر وعمر قوله تعالى فقد اتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتا الله الكتاب والحكمة
ال ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يوتيه الله مثل ما اوتي اسلافه
واتيناهم اي واتينا ال ابرهيم ملكا عظيما قيل النبوة لان الملك من له الامر والطاعة والانبيا لهم الطاعة
والامر عن ابن عباس الملك في ال ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساه صلى
الله عليه وسلم فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود ماية ولسليمان ثلثماية بالمهر وسبع ماية سرية
قوله فمنهم من امن اي فمن اليهود من امن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته وقيل فمنهم
اي فمن ال ابرهيم من امن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والمعنى ان الانبيا
مع ما خصصناهم به من النبوة والملك جرت عادة اممهم فيهم ان بعضهم امن بهم وبعضهم بقوا على الكفر
فانت يا محمد لا تتعجب مما عليه هولا القوم فان احوال جميع الامم مع جميع الانبيا هكذا كانت وذلك تسلية
من الله ليكون اشد صبرا على ما نال من قبلهم وكفى بجهنم عذابا لمن كفر من المتقدمين والمتاخرين
والسعير الوقود اوقدت النار واسعرتها بمعنى واحد **قوله تعالى** ان الذين كفروا باياتنا
سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا
حكيما بعد ان بين الوعيد الخاص بالطايفة الخاصة من اهل الكتاب بين ما يعم الكافرين من الوعيد
قوله باياتنا يدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته وافعاله واسمايه والملايكة والكتب
والرسل وكفرهم بالايات ليس بالجحد لكن بوجوه منها ان ينكروا كونها ايات ومنها ان يغفلوا عنها
فلا ينظروا فيها ومنها ان يلقوا الشكوك والشبهات فيها ومنها ان ينكروها مع العلم بها على سبيل العناد
والحسد قوله سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد يقال سوف افعل وينوب عنها حرف السين كقوله
ساصليه سقر وقد يرد سوف في الوعد ايضا قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال سوف
استغفر لكم ربي نصليهم نارا ندخلهم نارا كلما نضجت لانت واحترقت جلودهم بدلناهم جلودا غير الجلود
المحترقة عن ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس عن ابن عمر قال قرا رجل عند عمر بن الخطاب

كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال عمر اعدها فاعادها وقال معاذ بن جبل عندي تفسيرها
تبدل في ساعة مائة مرة قال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن تاكلهم النار كل يوم
سبعين الف مرة كلما اكلتهم فانضجتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا وضرسه مثل احد فان قيل كيف جاز ان تعذب
جلدا لم يعصه اجيب بان العاصي والمتالم واحد وهو الانسان المتالم الذي عصى لا الجلد فانه لم يعص
ولم يتالم يدل على ذلك قوله ليذوقوا العذاب ولم يقل ليذوق العذاب وقيل معناه تبدل جلودا
هي تلك الجلود المحترقة وذلك ان غيرا على ضربين غير بتضاد وتناف وغير تبدل فغير التضاد نحو الليل
غير النهار والذكر غير الانثى وغير التبدل مثل قولك للصائغ صغ من هذا الخاتم خاتما غيره فيكسره
ويصوغ لك منه خاتما فالخاتم المصوغ هو الاول الا ان الصياغة قد تغيرت والفضة واحدة وهذا كعهدك
باخ لك صحيحا ثم تراه بعد ذلك سقيما مدنفا فتقول له كيف انت فيقول انا غير الذي عهدت فهو هو
لكن حاله تغيرت ونظيرها قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وهي تلك الارض بعينها الا انها قد بدلت في
اكامها وجبالها وانهارها واشجارها وانشد فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف
قوله ليذوقوا العذاب اشارة الى اشد العذاب وذلك لان الاحساس اقوى من التخيل والتوهم
والذوق اقوى من الاربعة الباقية والاحساس اذا استمر على وجه واحد لم يؤثر مثل ما يؤثر على التجدد
فقوله ليذوقوا العذاب يفيد دوام العذاب وعدم انقطاعه بل يزداد ويقوى والمعنى ان احساسهم
بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخل فيه نقصان ولا زوال
بسبب ذلك الاحتراق قوله ان الله كان عزيزا حكيما لا يمتنع عليه شيء مما يريده قادر عليه غالب فاعل
لما ينبغي ان يفعل عالم به على الوجه الذي يريده وذكر العزيز الحكيم في هذا الموضع في غاية البلاغة
ونهاية الحسن والفصاحة فانه قد يقع في القلب تعجب من انه كيف يمكن بقاء الانسان في النار الشديدة
ابد الاباد فقيل هذا ليس بعجيب من الله لانه القادر على كل الممكنات الغالب عليه فيقدر على ازالة
طبيعة النار ويقع في القلب انه كريم رحيم فكيف يليق برحمته تعذيب هذا الشخص الضعيف الى هذا
الحد العظيم فقيل كما انه رحيم فهو ايضا حكيم والحكمة تقتضي ذلك فان نظام العالم لا يبقى الا بتهديد العصاة
والعصاة والتهديد الصادر لا محالة على وجه الصواب **قوله تعالى** والذين امنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم
ظلا ظليلا قد جرت عادة الله في القران الكريم بتعاقب الوعد والوعيد على سبيل الاغلب
قوله ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك
والظلال ما كان فيئا بالاتصال اي منبسطا متصلا لا جوب فيه اي لا فرج فيه ودائما لا تنسخه الشمس
اي لا تزيله وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة **قوله تعالى** ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا
بصيرا قيل لما شرح الله بعض احوال الكفار وشرح وعيدهم عاد الى ذكر التكاليف مرة اخرى
وقيل لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق حيث قالوا للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا
امر المؤمنين في هذه الاية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت تلك الامور من باب المذاهب والديانات
او من باب الدنيا والمعاملات وقيل لما ذكر في الاية السابقة الثواب العظيم للذين امنوا وعملوا
الصالحات وكان من اجل الاعمال الصالحة الامانة لا جرم امر بها في هذه الاية الخطاب عام لكل
احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما

دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل له انه مع عثمان فطلب منه فابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله
لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فانزل الله
عز وجل هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل
ذلك فقال عثمان لعلي اكرهت واذيت ثم جئت برفق فقال علي لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا عليه الاية
فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واسلم فهبط جبريل واخبر رسول الله بانه ما
دام هذا البيت او لبنة من لبناته قايمة فان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وهو اليوم في ايديهم
قوله واذا حكمتم بين الناس هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالحق والامانة عبارة عما اذا وجب
عليك لغيرك حق فاديت ذلك الحق اليه فهذا هو الامانة والحكم بالعدل عبارة عما اذا وجب لانسان على غيره
حق فامرت من وجب عليه ذلك الحق بان يدفع الى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح في الكلام البليغ
الفصيح ان يبدا بذكر ما يتعلق بالانسان نفسه من جلب المنافع ودفع المضار ثم ما يتعلق بغيره لا جرم
انه تعالى ذكر بالامانة اولا ثم بعده ذكر الامر بالحكم بالحق اجمعوا على ان من كان حاكما وجب عليه ان يحكم بالعدل
قال تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل والتقدير ان الله يامركم اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وقال
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وقال ابو حنيفة ينبغي للقاضي ان
يسوي بين الخصمين في خمسة اشيا في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليه
والاستماع منهما والحكم عليهما والماخوذ عليه التسوية بينهما في الافعال دون القلب فان كان يميل
قلبه الى احدهما ويحب ان يغلب بحجته على الاخر فلا شي عليه لانه لا يمكنه التحرز منه قال ولا
ينبغي ان يلقن واحدا منهما حجته ولا شاهدا شهادته لان ذلك يضر باحد الخصمين ولا يلقن المدعي
الدعوى والاستحلاف ولا يلقن المدعى عليه الانكار ولا يلقن الشهود ان يشهدوا او لا يشهدوا
ولا ينبغي ان يضيف احد الخصمين دون الاخر لان ذلك يكسر قلب الاخر ولا يجيب هو الى ضيافة احدهما
ولا الى ضيافتهما وتمام الكلام مذكور في الفقه وقوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل يفهم انه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم بل لبعضهم ثم بقيت الاية مجملة في انه باي طريق
يصير حاكما ولما دلت ساير الدلايل على انه لا بد للامة من الامام الاعظم وانه هو الذي
ينصب القضاة والولاة في البلاد صارت تلك الدلايل كالبيان لما في هذه الاية من الاجمال ثم قال
ان الله نعما يعظكم به ما في نعما اما ان تكون نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة
موصولة بيعظكم كانه قيل نعم شيا يعظكم الله به ونعم الشي الذي يعظكم الله به والمخصوص بالمدح
محذوف اي نعما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم ان الله كان
سميعا لما يقولون في الامانة والحكم بصيرا بما يعملون فيهما **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا لما امر الله تعالى الولاة والرعاة
بالعدل في الرعية امر الرعية بطاعة الولاة فقال يا ايها الذين امنوا والطاعة موافقة الامر
وقالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة لا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المامور
به هل يجب ان يكون مرادا ام لا فاذا ثبت ان المامور به قد لا يكون مرادا ثبت ان الطاعة ليست

الامر

ليست عبارة عن موافقة الاراده بيان ان المامور به قد لا يكون مرادا مذكور في اصول الدين اعلم
ان هذه الايه مشتمله على تقرير الاصول الاربعه الكتاب والسنه والاجماع والقياس على هذا الترتيب
اما الكتاب والسنه فالاشارة اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان قيل طاعة الرسول طاعة الله فما
معنى هذا العطف اجيب بان المقصود بيان الدلالتين فالكتاب يدل على امر الله ثم يعلم منه امر الرسول
لا محاله والسنه يدل على امر الرسول ثم يعلم منه امر الله لا محاله فثبت بما ذكرنا ان قوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول يدل على وجوب متابعة الكتاب والسنه قال الامام ان قوله اولى الامر منكم على ان اجماع
الامه حجه والدليل على ذلك ان الله تعالى امر بطاعة اولى الامر على سبيل الجزم في هذه الايه
ومن امره الله بطاعته على سبيل الجزم يجب ان يكون معصوما عن الخطا اذ لو لم يكن معصوما عن الخطا
لكان بتقدير اقدامه على الخطا يكون قد امر الله بمتابعته فيكون ذلك امرا بفعل ذلك الخطا والخطا
لكونه خطا منهي عنه فهذا يفضي الى اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد انه محال
فثبت ان الله تعالى امر بطاعة اولى الامر على سبيل الجزم وثبت ان كل من امر الله بطاعته على
سبيل الجزم وجب ان يكون معصوما عن الخطا فثبت قطعا ان اولى الامر المذكور في هذه الايه لا بد
وان يكونوا معصومين ثم نقول هولا المعصومون اما مجموع الامه او بعض الامه لا جايز ان يكون
بعض الامه لانا بينا ان الله اوجب طاعة اولى الامر في هذه الايه قطعا وايجاب طاعتهم قطعا مشروط
بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول اليهم والاستفاده منهم ونحن نعلم بالضروره انا في زماننا
هذا عاجزين عن معرفه الامام المعصوم عاجزون عن الوصول اليه عاجزون عن استفادة
الدين والعلم منه واذا كان كذلك علمنا ان المعصوم الذي امر الله المومنين بطاعته ليس بعضا من
ابعاض الامه ولا طايفه من طوايفهم ولما بطل هذا وجب ان يكون ذلك المعصوم الذي هو
المراد بقوله واولى الامر اهل الحل والعقد من الامه وذلك يوجب القطع بان اجماع الامه
حجه واعلم ان ما ذكره الامام مع طوله فيه تعسف وتكلف غير واف بالمقصود والاولى
ان يقال اولوا الامر الذي امر الله تعالى بطاعتهم اما ان يكون المراد به كل الامه او بعضهم
والاول لا يخلوا اما ان يكون اهل الحل والعقد اي المجتهدون او غيرهم والثاني باطل
فتعين الاول وهو المطلوب وقيل المراد باولى الامر ابو بكر وعمر لقوله عليه السلام اقتدوا باللذين
من بعدي ابي بكر وعمر وان لي وزيرين في الارض ووزيرين في السما اما في السما فجبريل وميكايل
وفي الارض ابو بكر وعمر هما عندي بمنزلة الراس من الجسد ومثلهما في الانبيا بالرافه فمثل ابي
بكر كمثل ابرهيم وعيسى حيث قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثل
عمر كمثل موسى ونوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقيل الخلفا الراشدون
ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يدل عليه قوله عليه السلام الخلافه بعدي في امتي في اربع
ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سفينه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسجد جا ابو بكر بحجر فوضعه ثم جا عمر بحجر فوضعه ثم جا عثمان بحجر فوضعه ثم جا علي
بحجر فوضعه فقال صلى الله عليه وسلم هولا ولاة الامر من بعدي وقيل هم اصحاب رسول الله لقوله
صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقيل هم الفقها والعلما واهل الدين
والفضل الذين يعلمون الناس معالم دينهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاوجب الله
طاعتهم على العباد يدل عليه قوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر لعلمه الذين
يستنبطونه منهم عن ابي الاسود الدولي ليس شي اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلما حكام

على الملوك وقيل اولوا العقل والراي الذين يدبرون امر الناس قال ابن عباس اساس الدين
مبني على العقل وفرضت الفرايض على العقل وربنا يعرف بالعقل ويتوسل اليه بالعقل والعاقل
اقرب الى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل ولمثقال ذرة من بر العاقل افضل من جهاد الجاهل
الف عام عن الثوري اوحى الله الى نبي من الانبيا اذا رايت عاقلا فكن له خادما وقيل امرا
السرايا وعن ابن عباس نزلت هذه الايه في عبد الله بن حذافه السهمي اذ بعثه النبي عليه السلام
في السريه وقيل هم الامرا والسلاطين للامر واداء الامانه في الرعيه امر الرعيه بحسن الطاعه
لهم عن علي رضي الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويودي الامانه فاذا فعل ذلك
حق على الرعيه ان يسمعوا ويطيعوا ويجيبوا اذا دعوا قال الشافعي رضي الله عنه ان من كان
حول مكه من العرب لم يكن يعرف الاماره وكانت تانف ان يعطي بعضهم بعضا طاعة الاماره
فلما دانت لرسول الله بالطاعه لم يكن يرى ذلك يصلح لغير النبي عليه السلام فامروا ان يطيعوا
اولى الامر عن النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله
ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان بني اسرايل كانت تسوسهم الانبيا فاذا مات نبي قام نبي وانه ليس بعدي نبي فقال رجل
فما يكون بعدك يا رسول الله فقال يكون خلفا وتكثر قالوا كيف نصنع قال فوا بيعه الاول
فالاول فادوا اليهم ما لهم فان الله سايلهم عن الذي لكم وروي ان رجلا سال النبي عليه السلام
فقال ارايت ان كان علينا امرا يمنعونا حقنا ويسلونا حقهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسمعوا واطيعوا فان عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال في حجة الوداع وهو على الجدعا ناقته ورجلاه في الركاب يتطاول ليسمع الناس
فقال الا تسمعون فطول بها صوته فقال قايل من طوايف الناس ما تعهد الينا يا رسول الله
فقال صلى الله عليه وسلم اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكوة
اموالكم واطيعوا اولى امركم تدخلوا جنة ربكم وعن معاذ ابن جبل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معاذ اطع كل امير وصل خلف كل امام ولا تسبن احدا من اصحابي وعن
ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره
والفاجر بفجوره فاسمعوا لهم واطيعوا في كل ما وافق الحق فصلوا ورآهم فان احسنوا
فلهم ولكم وان اساوا فلكم وعليهم قال صاحب الكشاف لما امر الولاه باداء الامانات
الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولى
الامر منكم امرا الحق لان امرا الجور الله ورسوله بريان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله
في وجوب الطاعه لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامرا الموافقين لهما في ايثار
العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفا الراشدين ومن تبعهم
باحسان وكان الخلفا يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم قوله
فان تنازعتم في شي قال الامام يدل على ان القياس حجه لان قوله تعالى فان تنازعتم في
شي اما ان يكون المراد فان اختلفتم في شي حكمه منصوص عليه في الكتاب او السنه او الاجماع
او المراد فان اختلفتم في شي حكمه غير منصوص عليه في شي من هذه الثلاثه والاول
باطل لان على ذلك التقدير وجب عليه طاعته فكان ذلك داخلا تحت قوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولى الامر منكم وحينيذ يصير قوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله

والرسول اعاده لعين ما مضى وانه غير جايز واذا بطل هذا القسم تعين الثاني وهو ان
المراد ان تنازعتم في شي حكمه غير مذكور في الكتاب والسنه والاجماع واذا كان كذلك لم
يكن المراد من قوله فردوه الى الله والى الرسول طلب حكمها من نصوص الكتاب والسنه فوجب
ان يكون المراد رد حكمها الى الاحكام المنصوصه في الوقايع المشابهه لها وذلك هو القياس
فثبت ان الايه داله على الامر بالقياس وهذه الايه داله على ان الكتاب والسنه مقدمان
على القياس مطلقا فلا يجوز ترك العمل بهما بسبب القياس ولا يجوز تخصيصهما بسبب القياس
البته سوا كان القياس جليا او خفيا سوا كان ذلك النص مخصوصا قبل ذلك او لا ويدل عليه
انا بينا ان قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بطاعة الكتاب والسنه
وهذا الامر مطلق فثبت ان متابعة الكتاب والسنه سوا حصل قياس يعارضهما او يخصصهما
او لا واجب ومما يوكد ذلك وجوه اخرى منها ان كلمة ان على قول كثير من الناس للاشتراط
فيكون قوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول صريحا في انه لا يجوز العدول
الى القياس الا عند فقدان الاصول الثلثه ومنها انه تعالى اخر ذكر القياس عن ذكر
الاصول الثلاثه وهذا مشعر بان العمل به موخر عن الاصول الثلاثه ومنها انه
صلى الله عليه وسلم اعتبر هذا الترتيب في قصة معاذ حيث اخر الاجتهاد عن الكتاب
والسنه وعلق جوازه على عدم وجدانهما والدلايل الداله على تقديمهما عليه اكثر من ان
تحصى كما هو مذكور في الاصول قال الامام هذه الايه داله على ان ما سوى هذه الاصول
الاربعه اعني الكتاب والسنه والاجماع والقياس مردود باطل لانه تعالى جعل
الوقايع قسمين احدهما ما يكون احكامها منصوصا عليها وامر فيه بالطاعه وهو قوله يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم والثاني ما لا يكون احكامها
منصوصا عليها وامر فيها بالاجتهاد وهو قوله فان تنازعتم في شي فردوه الى
الله والرسول فاذا كان لا مزيد على هذين القسمين وقد امر الله تعالى في كل واحد منهما بتكليف
خاص معين دل ذلك على انه ليس للمكلف ان يتمسك بشي سوى هذه الاصول الاربعه
واذا ثبت هذا فنقول القول بالاستحسان الذي يقول به ابو حنيفه والقول الذي يقول
به مالك ان كان المراد به احد هذه الامور الاربعه فهو تغيير عبارة ولا فايده فيه وان
كان مغايرا لهذه الاربعه كان القول بها باطلا قطعا لدلالة هذه الايه على بطلانه
كما ذكر واعلم ان المنقول عن الرسول اما القول فتجب طاعته لقوله تعالى واطيعوا الرسول
واما الفعل فيجب على الامه متابعته الا ما خصه الدليل لقوله تعالى فاتبعوه والامر
للوجوب فقوله اطيعوا الله يوجب الاقتدا بالرسول في كل افعاله وقوله واطيعوا الرسول
يوجب الاقتدا به في جميع اقواله واعلم انه تعالى قال اطيعوا الله فافرد في الذكر ثم قال واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم وهو تعليم من الله لهذا الادب وهو ان لا يجمع في الذكر بين اسمه واسم غيره
واما اذا آل الامر الى المخلوقين فيجوز ذلك بدليل انه قال واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
والسر فيه ان الجمع بين الذكرين في اللفظ يوهم نوع مناسبه تعالى عن ذلك قوله فان تنازعتم
اي فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شي من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي الى كتاب
الله وسنة رسوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر والتنازع اختلاف الارا فيتعاطى كل واحد
ما يرى خلاف راي صاحبه واصله من النزع كان المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان ومنه

قيل

بالاستصلاح م

قيل للمناوله منازعه قال صاحب الكشاف وكيف يلزم طاعة امرا الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي
الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم اخرا بالرجوع الى
الكتاب والسنه فيما اشكل وامرا الجور لا يودون امانه ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيا الى كتاب
الله ولا الى سنة رسوله انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله
ورسوله واحق اسمايهم اللصوص المتغلبه ذلك اي رد ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنه وترك
التجادل خير لكم واصلح واحسن تاويلا اي عاقبة والعاقبه تسمى تاويلا لانها مآل الامر يقال
الى هذا مآل الامر اي عاقبته وقيل واحسن تاويلا من تاويلكم انتم قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا لما امر المومنين في الايه المتقدمه بطاعته تعالى وطاعة الرسول واولي الامر اخبر
في هذه الايه ان المنافقين والذين في قلوبهم مرض يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت ولا يطيعون
الرسول والزعم زعم يزعم زعما وزعما وزعما قال ولا يستعمل في الاكثر الا في القول الذي لا يتحقق يقال
زعم فلان اذا شك فيه فلم يعرف كذبه او صدقه وقوله تعالى هذا لله بزعمهم اي بقولهم الكذب
وفي هذه الايه الكذب قيل في سبب نزول هذه الايه انه تنازع رجل من المنافقين يهوديا فقال
اليهودي بيني وبينك ابو القاسم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الاشرف فان الرسول صلى الله عليه وسلم
كان يقضي بالحق ولا يلتفت الى الرشوه وكعب ابن الاشرف ياكل الرشوه واليهودي كان محقا
والمنافق مبطلا فلهذا كان اليهودي يريد التحاكم الى الرسول والمنافق يريد كعب بن الاشرف
ثم اصر اليهودي على قوله فذهبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم الرسول لليهودي على
المنافق فقال المنافق لا ارضى انطلق بنا الى ابي بكر فحكم ابو بكر لليهودي فلم يرض المنافق
وقال بيني وبينك عمر فذهبا الى عمر فقال اليهودي لعمر ان الرسول عليه السلام وابا بكر حكما عليه
فلم يرض بحكمهما فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على
سيفه ثم خرج عمر فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضا الله ورسو
له

فنزلت الايه وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انت الفاروق فعلى هذا الطاغوت هو كعب بن الاشرف وقيل انه اسلم ناس
من اليهود ونافق بعضهم وكانت قريظه والنضير في الجاهليه اذا قتل قرظي نضيريا قتل به
واخذ منه ديه مايه وسق من تمر واذا قتل نضيري قرظيا لم يقتل به لكن اعطى ديته
ستين وسقا من التمر وكان النضير اشرف وهما حلفا الاوس وقريظه حلفا الخزرج فلما هاجر
الرسول عليه السلام الى المدينه قتل نضيري قرظيا فاختصما فيه فقالت بنو النضير لا
قصاص علينا انما علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه وقالت الخزرج هذا حكم
الجاهليه ونحن وانتم اليوم اخوه وديننا واحد ولا فضل بيننا فابى النضير ذلك فقال المنافقون
انطلقوا الى ابي برده الكاهن الاسلمي وقال المسلمون بل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فابى المنافقون وانطلقوا الى الكاهن ليحكم بينهم فانزل الله هذه الايه ودعا الرسول عليه السلام
الكاهن الى الاسلام فاسلم فعلى هذا الطاغوت هو الكاهن وقيل ان رجلا من المسلمين كان له على
رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهليه يتحاكمون اليه ورجل قايم يترجم
الاباطيل عن الوثن فالطاغوت هو الرجل المترجم اتفق المفسرون على ان هذه الايه نزلت

في بعض المنافقين وظاهر الايه داله على انه كان منافقا من اهل الكتاب كان يهوديا فاظهر
الاسلام على سبيل النفاق لان قوله يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق
لمثل هذا المنافق والمقصود ان بعض الناس اراد ان يتحاكم الى بعض اهل الطغيان ولم يرد التحاكم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فيكون التحاكم الى هذا الطاغوت كالكفر وعدم الرضا بحكم النبي صلى
الله عليه وسلم كفر يدل على ذلك قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به
فجعل التحاكم الى الطاغوت مقابلا للكفر به فهذا يقتضي ان التحاكم الى الطاغوت كفر بالله كما ان الكفر
بالطاغوت ايمان بالله وقوله فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد امروا ان يكفروا به اي وقد امروا ان لا يوالوا غير اهل دينهم ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا اي ضلالا لا يرجعون عنه الى دين الله ابدا وهو النفاق والمعنى الايه تعجيب
للنبي صلى الله عليه وسلم من جهل من يعدل عن حكم الله الى حكم الطاغوت مع زعمه بانه يومن بالله
ورسوله وما انزل اليه وما انزل قبله قوله واذا قيل لهم بين في الايه رغبة المنافقين في التحاكم
الى الطاغوت وبين في هذه الايه نفرتهم عن التحاكم الى الرسول عليه السلام اي واذا قيل لهولا
المنافقين تعالوا الى ما انزل الله يعني في القران من الاحكام الى الرسول والى حكمه رايت
المنافقين يصدون عنك صدودا ويعرضون عنك الى غيرك وذكر المصدر للتاكيد والمبالغه كانه
قيل صدودا اي صدود **قوله تعالى** فكيف اذا اصابتهم مصيبه بما قدمت ايديهم ثم جاوك
يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا قيل ان قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبه بما قدمت ايديهم متصل
بما قبله وبما بعده هكذا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا ثم جاوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا يعني انهم في
اول الامر يصدون عنك صدودا ثم بعد ذلك يجيونك ويحلفون بالله كذبا على انهم ما ارادوا
بذلك الصد الا احسانا وتوفيقا فعلى هذا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبه بما قدمت ايديهم
كلام واقع في البين على سبيل الاعتراض ومن شرط الاعتراض ان يكون له من بعض الوجوه تعلق
بذلك المقصود والايه كذلك لان اول الايه واخرها في شرح قبايح المنافقين وفضايحهم وانواع
كيدهم ومكرهم فانه تعالى حكى عنهم في اول الايه انهم يتحاكمون الى الطاغوت مع انهم امروا
بالكفر به ويصدون عن الرسول مع انهم امروا بطاعته فذكر عند هذا ما يدل على شده
الاحوال عليهم بسبب هذه الاعمال القبيحه في الدنيا والاخره فقال فكيف اذا اصابتهم
مصيبه بما قدمت ايديهم فكيف حال تلك الشده وحال تلك المصيبه وقيل انه كلام متصل
بما قبله فانه تعالى لما حكى عنهم في الايه المتقدمه انهم يتحاكمون الى الطاغوت ويفرون
من الرسول عليه السلام اشد الفرار وذلك يدل على شده نفرتهم من الحضور عند الرسول
عليه السلام في اوقات السلامه فكيف يكون حالهم في شده الغم والحسره اذا اتوا بخيانه
خافوا بسببها منك ثم جاوك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون بالله على سبيل
الكذب انا ما اردنا بتلك الخيانه الا الخير والمصلحه والغرض من هذا الكلام بيان ان ما
في قلبهم من النفره عن الرسول لا غاية له سوا غابوا او حضروا او بعدوا او قربوا ثم انه
تعالى اكد هذا المعنى بقوله اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل
لهم في انفسهم قولا بليغا والمعنى ان من اراد المبالغه في شي قال هذا شي لا يعلمه الا الله

يعني

وماقبله

بلغ باصله

يعني انه لكثرته وقوته لا يقدر احد على معرفته الا الله ثم لما عرف الرسول عليه السلام
شدة بغضهم ونهاية عداوتهم ونفرتهم اعلمه انه كيف يعاملهم فقال فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في
انفسهم قولا بليغا قوله فكيف اي فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك
فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبه عقوبة من الله مجازاة على ما صنعوا وهو
قوله بما قدمت ايديهم اي من التكذيب والكفر بالقران والرسول والتحاكم الى غيرك وهذا وعيد
وتهديد وقيل اراد بالمصيبه قتل صاحبهم وذلك ان عمر بن الخطاب لما قتل المنافق جاء قومه يطلبون
الديه ويحلفون بالله ان اردنا ويكون ان بمعنى ما اي حلفوا ما اردنا بالترافع الى عمر الا احسانا
وتوفيقا قيل الا احسانا في القول وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك
فيفرج عنا بذلك عتابك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حتى لا ينفعهم الندم ولا يغني
عنهم الاعتذار عند حلول باس الله اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فاعرض عنهم
وعظهم في الملا وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغا في وعظهم بالتخويف والانذار قوله في انفسهم متعلق
بقوله بليغا اي قل لهم في انفسهم قولا بليغا موثرا في نفوسهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه
الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان ظهر منهم النفاق واطلع قرنه اي اوله
واخبرهم ان ما في نفوسهم من الفساد والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين
وما هذه الكافه اي المنع من الحرب الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم
ما تكشفون به غطاكم لم يبق الا السيف وقيل في انفسهم متعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى
انفسهم الخبيثه وقلوبهم المطويه على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه
فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل
الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ وقيل قل لهم في انفسهم
خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحه لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا
يبلغ منهم ويوثر فيهم **قوله تعالى** وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما لما امر الله
بطاعة الرسول في قوله واطيعوا الرسول ثم حكى ان بعضهم تحاكم الى الطاغوت ولم يتحاكم الى الرسول
وبين قبح طريقه وفساد منهجه رغب في هذه الايه مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا
من رسول من دخلت للتاكيد اي وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع بامر الله يعني ان طاعة الرسول
وجبت بامر الله الذي دل على وجوب طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه موذن عن
الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله قيل باذن الله اي بتيسير
الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت وبعصيانك وموالاتهم
الكفار حتى يحكموهم قوله جاوك نادمين على ما فعلوا فاستغفروا الله اي تابوا الى الله
من النفاق ونزعوا عما هم عليه بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذايك برد قضايك
واستغفر لهم الرسول سال الله لهم ان يغفر ما تقدم من ذنوبهم لوجدوا الله لعلموه توابا اي فتاب
عليهم عدل من الخطاب الى الغيبه على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بمكان
قوله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما قيل نزلت الايه في الزبير بن العوام وخصمه قيل هو حاطب

ابن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان
بها النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الما الى جارك فغضب
الرجل وقال يا رسول الله لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الما حتى يرجع الما الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الما
الى جارك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشار على الزبير براي فيه السعة له وللخصم
فلما احفظ الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا
فمرا على المقداد فقال لمن كان القضا يا حاطب فقال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي
كان مع المقداد فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتهمونه
في ما يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال
فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن
قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه
قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار ابن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر ابن الخطاب انه قال
والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب
قوله فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت
في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم وقوله لا يومنون جواب القسم قال صاحب الكشاف فان قلت
هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يومنون اي يكون تاكيد النفي وتكريره وتقويته قلت
يابى ذلك اي يكون زيادة لا للتظاهر والتعاون استوا النفي والاثبات في الاتيان بلا يريد
ان لا في فلا وربك جات لتوكيد معنى القسم لا للتوافق لا في لا يومنون لان اثبات لا في القسم
سوا كان الجواب منفيا او مثبتا جايز فان قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه
لقول رسول كريم جواب القسم فيه مثبت وقد جي بالقسم مولدا بلا في قوله فلا اقسم فلو كان
للتظاهر لما جات في المثبت قيل وفيه نظر اذ يحتمل ان يقال انه لتاكيد النفي في المنفي
فقط بل وجه المنع ان لا حينيذ تتمة الجواب فيلزم الفصل بين اجزا الجواب بالجملة القسمية
فيقال ان القسم لما اتحد مع الجواب اتحاد المفرد في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطين حتى اكتفى
بالجواب في ايقاعه صلة للموصول اغتفر الفصل به قال ابو البقا فيه وجهان احدهما ان
الاولى زايدة وقيل ان الثانية زايدة والقسم معترض بين النفي والمنفي وثانيهما ان لا
لنفي امر مقدر اي فلا يفعلون ثم قال وربك لا يومنون قيل اراد الزمخشري انها لما زيدت
حيث لا يكون القسم نفيا دل على انها انما تزاد لتاكيد القسم فجعلت كذلك في النفي والظاهر انها
هاهنا لتوطية القسم وهو لا يدركما نعلمه انما ذكر مجيها لا لغير هذا وذلك لا يابى مجيها
في النفي على الوجه الاخر من التوطية على ان دخولها على المثبت فيه نظر فلم يات في الكتاب
العزيز الا مع القسم بالفعل لا اقسم بهذا البلد لا اقسم بيوم القيامة لا اقسم بمواقع النجوم
فلا اقسم بما تبصرون ولم تات الا في القسم بغير الله وله سر يابى ان يكون هاهنا لتاكيد القسم
وذلك ان المراد بها تعظيم المقسم به في الايات المذكورة فكانه بدخولها يقول اعظامي لهذه
الاشيا المقسم بها كلا اعظام اذ هي تستوجب فوق ذلك وانما يذكر هذا لتوهم وقوع
عدم تعظيمها فيوكد بذلك ويفعل القسم ظاهرا وفي القسم بالله الوهم زايل ولا يحتاج الى

تاكيد

تاكيد فتعين حملها على الموطية ولا يكاد يجدها في غير الكتاب العزيز داخلة على قسم
مثبت اما في النفي فكثير قوله فيما شجر بينهم اي اختلط واختلف ومنه الشجر لتداخل اغصانه
يقال شجر يشجر شجورا وشجرا وشاجره في الامر اذا نازعه وتشاجروا واشتجروا وكل ذلك
لتداخل كلام بعضهم في بعض ثم لا يجدون في انفسهم حرجا اي ضيقا مما قضيت اي يرضون
بقضايك قيل لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل لا يجدوا في انفسهم شكا لان الشاك في
ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا انقيادا واذعانا لما تاتي به من قضايك لا يعارضوه
بشي من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة اذا
جعلها سالمة له خالصة اي ينقادون الرضا بحكمك ويتركون السخط والمنازعة قوله تسليما
تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم
قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل
منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما
ولهديناهم صراطا مستقيما هذه الاية متصلة بما تقدم من امر المنافقين وترغيب لهم في
الاخلاص وترك النفاق يعني ولو انا فرضنا واوجبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم مثل ما كتبنا وفرضنا
واوجبنا على بني اسرايل من قتلهم انفسهم او اخرجوا من دياركم بالهجرة كما كتبنا على بني اسرايل
خروجهم من مصر حين استتيبوا من عبادة العجل وقيل كما كتبنا على المهاجرين ان يخرجوا من
ديارهم ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والضمير في قوله عليهم قيل عايد على المنافقين
اي لو كتبنا القتل والخروج عن الوطن على هولا المنافقين ما فعلوه الا قليل منهم ريا وسمعة وحينيذ
يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذا لم نفعل ذلك بل كلفناهم بالاشيا السهلة فليتركوا النفاق
وليقبلوا الايمان على سبيل الاخلاص وقيل الضمير في عليهم عايد على الناس فيدخل المومن
والمنافق وضمير الفاعل في فعلوه عايد على المنافقين او على الناس على اختلاف القولين وضمير
المفعول في فعلوه عايد على فعل القتل والخروج لان الفعل وان اختلف اجناسه صار واحدا ه
قوله الا قليل قرا ابن عامر قليلا بالنصب على اصل الاستثنا وعلى الا فعلا قليلا والباقون
بالرفع على البدل اي الا ناس قليل منهم قوله ولو انهم فعلوا اي ولو ان المنافقين فعلوا
ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم
به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد
تثبيتا تصديقا بامر الله وابعد من الاضطراب منه اي كان ذلك اشد تثبيتا منهم لانفسهم
في الايمان والدين قوله واذا جواب لسوال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد
التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزا من لدنا من عندنا اجرا
عظيما وهو الجنة قال صاحب الكشاف كقوله ويوت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطا
المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته قوله ولهديناهم اي ولارشدناهم
الى دين مستقيم يريد دين الحنيفية لا دين اليهودية قال الامام انه تعالى جمع في هذه الاية فوايد
تشير كل واحد منها تدل على عظم الاجر منها انه ذكر نفسه بصيغة العظمة وهو قوله لاتيناهم وقوله
من لدنا والمعطي الكريم الحكيم اذا ذكر نفسه باللفظ الدال على العظمة عند الوعد بالعطية دل ذلك
على عظمة تلك العطية ومنها قوله من لدنا وهذا التخصيص يدل على المبالغة كما في قوله
وعلمناه من لدنا علما ومنها ان الله وصف هذا الاجر بالعظم والشي الذي وصفه اعظم العظما

بالعظمة لابد وان يكون في نهاية الجلالة وكيف لا يكون عظيما وقال عليه السلام ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر **قوله تعالى** ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله
عليما لما امر بطاعة الله وطاعة الرسول بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ثم
زيف طريقة الذين تحاكموا الى الطاغوت وصدوا عن الرسول ثم اعاد الامر بطاعة الرسول
مرة اخرى فقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ثم رغب في تلك الطاعة بقوله
لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما اكد
الامر بطاعة الله وطاعة الرسول في هذه الاية مرة اخرى فقال ومن يطع الله والرسول
وقوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين بيان لقوله تعالى الذين انعمت عليهم في قوله
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وقيل نزلت هذه الاية في ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه
ونحل جسمه ويعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثوبان ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك هناك لاني عرفت انك
ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذلك
حين لا اراك ابدا فانزل الله هذه الاية وقيل قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لا نراك الا في الدنيا فاما في الاخرة فانك ترفع فوقنا بفضلك
ولا نراك فانزل الله هذه الاية قال الامام قال المحققون لا ننكر صحة هذه الروايات الا
ان سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة
والترغيب فيها فانك تعلم ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في
حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات
العلى والمراتب العظمى عند الله قوله ومن يطع الله والرسول يوجب الاكتفاء بالطاعة
الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة
قيل ومن يطع الله في الفرائض والرسول في السنن وقيل ومن يطع الله في كونه الها
وطاعة الله في كونه الها هو معرفته والاقرار بجلاله وعزته وكبريائه وصمديته فصارت
هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد فالاول هو ان منشأ جميع السعادات
يوم القيامة اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كانت هذه الانوار في قلبه اكثر
وصفاؤها اقوى وبعدها عن التكدر بمحبة عالم الاجسام اتم كان الى السعادة اقرب
والى الفوز بالنجاة اوصل والثاني انه تعالى ذكر في الاية المتقدمة وعد اهل الطاعة
بالاجر العظيم والثواب الجزيل والهداية الى الصراط المستقيم ثم ذكر في هذه الاية وعدهم
بكونهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا الذي وقع به الختم لابد وان
يكون اشرف واعلى مما قبله ومعلوم انه ليس المراد من كون هؤلاء معهم انهم يكونون في عين
تلك الدرجات لان هذا ممتنع فلابد وان يكون معناه ان الارواح الناقصة اذا
استحكمت علائقها مع الارواح الكاملة في الدنيا بسبب الحب الشديد فاذا فارقت هذا
العالم ووصلت الى عالم الاخرة بقيت تلك العلائق الروحانية هناك ثم تصير تلك الارواح

الصافية

الصافية المرايا المجلوة المتقابلة فكان هذه المرايا ينعكس الشعاع في بعضها على البعض وبسبب
هذه الانعكاسات تصير انوارها في غاية القوة فكذا القول في تلك الارواح فانها لما كانت
مجلوة بصقالة المجاهدة عن غبار محبة سوى الله وذلك هو المراد من طاعة الله وطاعة الرسول
ثم ارتفعت الحجب الجسمانية اشرقت عليها انوار جلال الله ثم انعكست تلك الانوار من بعضها الى البعض
فصارت الارواح الناقصة كاملة بسبب تلك العلائق الروحانية فهذا الاحتمال محقق وليس المراد بكون
هؤلاء مع من انعم الله عليهم كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل
والمفضول وانه لا يجوز بل المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان
الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا عليه فهذا هو المراد من هذه
المعية ذكر الله تعالى بعد النبيين اصنافا ثلاثة الصديقين والشهداء والصالحين واتفقوا على ان النبيين
مغايرون للصديقين والشهداء والصالحين فاما هذه الاصناف الثلاثة فقد اختلفوا فيها فقيل هذه
الثلاثة تغايرهم باعتبار الاوصاف الثلاثة والاوصاف الثلاثة متداخلة فانه لا يمتنع في الشخص الواحد
ان يكون صديقا وشهيدا وصالحا فيجوز ان يكون كلهم صنفا واحدا وقيل كل واحد صنف من الناس
مغاير لصنف اخر لان المعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وكما ان النبيين غير من ذكر من
بعدهم فكذلك الصديقون يجب ان يكونوا غير من ذكر بعدهم وكذا القول في سائر الصفات والصديق
من عادته الصدق وكل من يغلب على عادته فعل اذا وصف بذلك الفعل قيل فعيل كما يقال سكير وشريب
والصدق صفة كريمة فاضلة من صفات المؤمنين وكفى للصدق فضيلة ان الايمان ليس الا التصديق وكفى للكذب
مذمة ان الكفر ليس الا التكذيب وقيل الصديقون الذين لا يتخالج فيهم شك يدل عليه قوله تعالى والذين
امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقيل هم افاضل اصحاب الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم
وقيل هم افاضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين تقدموا في تصديقه فكان ابو بكر رضي الله
عنه اولى الخلق بهذا الوصف لانه سبق الى تصديق الرسول عليه السلام فانه قد اشتهرت الرواية عن
الرسول عليه السلام انه قال ما عرضت الاسلام على احد الا وله نبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم دل هذا
الحديث على انه صلى الله عليه وسلم لما عرض الاسلام على ابي بكر قبله ابو بكر ولم يتوقف فلو قدرنا ان اسلامه
تاخر عن اسلام غيره لزم ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قصر حيث اخر عرض الاسلام عليه وهذا لا يكون
قدحا في ابي بكر بل يكون قدحا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بطل نسبة هذا التقصير الى
الرسول علمنا انه صلى الله عليه وسلم ما قصر في عرض الاسلام عليه والحديث دل على ان ابا بكر رضي الله عنه
لم يتوقف اصلا فحصل من مجموع الامرين ان ابا بكر رضي الله عنه اسبق الناس اسلاما قال الامام ان ابا بكر
رضي الله عنه قدوة لسائر الناس في ذلك الوقت لانه على تقدير ان يقال ان اسلام علي كان سابقا على اسلام
ابي بكر الا انه لا يشك عاقل ان عليا ما صار قدوة في ذلك الوقت لانه كان في ذلك الوقت صبيا صغيرا في تربية
الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان ابو بكر شديد القرب في القرابة منه وايمان من هذا شانه يكون سببا
لرغبة سائر الناس في الاسلام وذلك لانهم اتفقوا على انه رضي الله عنه لما امن جاء بعد ذلك بمدة قليلة بعثمان
ابن عفان وطلحة والزبير وسعد ابن ابي وقاص وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم حتى اسلموا فكان
اسلامه سببا لاقتداء هؤلاء الاكابر به فثبت انه رضي الله عنه كان اسبق الناس اسلاما وثبت ان اسلامه
صار سببا لاقتداء افاضل الصحابة في ذلك فثبت انه رضي الله عنه كان اسبق الناس اسلاما ثم ان احق الامة
بهذه الصفة ابو بكر رضي الله عنه وهذا يفيد انه افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه لما كان اسلامه اسبق من اسلام غيره وجب ان يكون ثوابه اكثر لقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة

حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامه ولانه بعد ان اسلم جاهد في الله وصار جهاده مفضيا
الى حصول الاسلام لاكابر الصحابه مثل عثمان وطلحه والزبير وسعد بن ابي وقاص وعثمان بن مظعون
رضي الله عنهم وجاهد علي رضي الله عنه يوم احد ويوم الاحزاب في قتال الكفار ولكن جهاد ابي بكر رضي الله عنه
افضى الى حصول الاسلام لمثل هولا الذين هم اعيان الصحابه وجهاد علي افضى الى قتل الكفار ولا شك ان الاول
افضل وايضا فابو بكر جاهد في اول الاسلام حين كان الدين ضعيفا وعلي انما جاهد يوم احد ويوم الاحزاب
وكان الاسلام قويا في هذه الايام ومعلوم ان الجهاد وقت الضعف افضل من الجهاد وقت القوه ولهذا المعنى
قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجه من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا
فبين ان نصرة الاسلام وقت ضعفه اعظم ثوابا من نصرته بعد قوته فثبت من مجموع ما ذكرنا ان اولى
الناس بهذا الاسم ابو بكر فلهذا اجمع المسلمون على تسليم هذا الاسم له الا من لا يلتفت اليه فانه ينكره وذلك
تفسير الصدق بما ذكرنا على انه لا مرتبه بعد النبوه في الفضل والعلو الا هذا الوصف وهو كون الانسان
صديقا وكما دل الدليل عليه فقد دل لفظ القران عليه فانه اينما ذكر الصديق والنبي لم يجعل بينهما واسطه
فقال في صفة اسمعيل انه كان صديقا نبيا وقال في هذه الايه مع النبيين والصديقين اي لا واسطة بين
الصديق والنبي فان الترقي من الصديقيه الى النبوه والتنزل من النبوه الى الصديقيه وقال والذي جا
بالصدق وصدق به فلم يجعل بينهما واسطه فقال في صفة اسمعيل انه كان صديقا نبيا وقال في هذه
الايه مع النبيين والصديقين اي لا وكما دلت هذه الدلايل على نفي الواسطه فقد وفق الله هذه الامه
الموصوفه بانها خير امه حتى جعلوا الامام بعد الرسول عليه السلام ابا بكر على سبيل الاجماع ولما توفي رضي الله
عنه دفنوه الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك الا ان الله رفع الواسطه بين النبيين والصديقين
قوله والشهدا هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل الشهدا هم القايمون بالقسط وهم الذين ذكرهم الله
في قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملايكه واولوا العلم قايما بالقسط ويقال للمقتول في سبيل الله شهيد من
حيث انه بذل نفسه في نصرة دين الله وشهادته له بانه الحق وما سواه هو الباطل واذا كان من شهدا الله
بهذا المعنى كان من شهدا الله في الاخرة كما قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس
والصالحين هم الصالحون في اعتقادهم وفي عملهم فان الجهل فساد في الاعتقاد والمعصيه فساد في العمل
واذا عرف تفسير الصديق والشهيد والصالح ظهر ما بين هذه الصفات من التفاوت فان كل من كان
اعتقاده صوابا وعمله طاعه فهو صالح والصالح قد يكون شهيد الدين الله بانه الحق وما سواه باطل وهذه
الشهاده تارة بالحجه واخرى بالسيف وقد يكون الصالح موصوفا بكونه قايما بهذه الشهاده فثبت ان كل من كان
شهيدا كان صالحا وليس كل من كان صالحا كان شهيدا فالشهيد اشرف من الصالح والشهيد قد يكون
صديقا وقد لا يكون فثبت ان كل من كان صديقا كان شهيدا وليس كل من كان شهيدا كان صديقا فثبت ان
افضل الخلق الانبيا وبعدهم الصديقون وبعدهم من ليس له درجه الا محض درجة الشهاده وبعدهم
من ليس له الا محض درجة الصلاح وقيل النبيون ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديقون
ابو بكر الصديق والشهدا عمر وعثمان وعلي والصالحون ساير الصحابه رضي الله عنهم وحسن
اوليك رفيقا الرفق لغة لين الجانب ولطافه الفعل وصاحبك رفيق لارتفاقك به وبصحبته ومن
هذا قيل للجماعه في السفر رفقه لارتفاق بعضهم ببعض والرفيق كالصديق والخليط والبريد في
استوا الواحد والجمع فيه فقيل يجوز ان يكون رفيقا مفردا بين به الجنس في باب التمييز وهو نصب
على التمييز وقيل على الحال اي حسن واحدا منهم مرافقا قال صاحب الكشاف وحسن اوليك رفيقا
فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اوليك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرى وحسن بسكون

السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالضم والفتح مع التسكين بين
الله تعالى فيمن اطاع الله ورسوله انه يكون مع النبيين والصديقين والشهدا والصالحين ولم يكتف
بذلك بل ذكر انه يكون رفيقا له اي هولا المطيعون يرتفقون بهم اي ينالون منهم رفقا وخيرا فان الانسان
قد يكون مع غيره ولا يكون رفيقا له واما اذا كان كثير الشفقه شديد الاعتنا بشانه كان رفيقا
له فبين تعالى ان النبيين والصديقين والشهدا والصالحين رفقاهم لشدة محبتهم بهم ورغبتهم وسرورهم
برويتهم قوله ذلك اي جميع ما ذكر من الاجر العظيم والهدايه الى الصراط المستقيم ومرافقة
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين فضل من الله تفضل به عليهم ليس
بواجب عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا اذ ذلك مبتدا والفضل صفته ومن الله الخبر
ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره وكفى بالله عليما اي انه لا يضيع عمل عامل
عنده لانه عليم لا يخفى عليه شي وله موقع عظيم في توكيد ما تقدم من الترغيب في طاعة الله لانه
نبه بذلك على انه يعلم كيفية الطاعه وكيفية الجزا والفضل فانه مما يرغب العاقل في اكمال
الطاعه واجتناب المعصيه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات
او انفروا جميعا انه تعالى بعد الترغيب في طاعته وطاعة رسوله عاد الى ذكر الجهاد الذي
تقدم فقال يا ايها الذين امنوا الحذر والحذر بمعنى واحد كالاثر والاثر يقال اخذ حذره
اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر الته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى
احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم جعل الحذر بمنزلة السلاح قال تعالى
خذوا حذركم وقال تعالى وليأخذوا اسلحتكم ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان
جعل الايمان متبوا بمنزلة الدار اي هم متمكنون في الايمان كتمكنهم في الدار قوله فانفروا
اي اذا نفرتم الى العدو فاما ثبات جماعات متفرقه سريه بعد سريه واما جميعا اي مجتمعين
كوكبة واحده ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكه **قوله تعالى** وان منكم لمن ليبطين
فان اصابتكم مصيبه قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولين اصابكم فضل من الله ليقولن كان
لم تكن بينكم وبينه موده يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما قوله وان منكم يجب ان يكون راجعا
الى المومنين الذين ذكرهم الله بقوله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم قيل نزلت هذه الايه في المومنين
لان الله تعالى خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرق الله تعالى بين المومنين والمنافقين بقوله ما هم منكم
ولا منهم وقيل انها نزلت في المنافقين وانما جمع الله بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة
الايمان واللام في لمن للابتدا بمنزلتها في قوله لغفور واللام في قوله ليبطين جواب قسم محذوف
تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطين والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع من الصله الى الموصول
ما استكن في ليبطين ومعنى ليبطين ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم اذا
ابطا والمبطون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا فان قيل اذا كان المبطون منافقين
فكيف جعلهم من المومنين في قوله وان منكم اجيب بانه جعلهم من المومنين باعتبار الجنس والنسب
والاختلاط او بحسب الظاهر لانهم كانوا في الظاهر متشبهين باهل الايمان او باعتبار زعمهم ودعواهم
وقيل ان هولا المبطين كانوا ضعفة المومنين والتبطيه بمعنى الابطا ايضا وفايدة التشديد تكرير
الفعل منهم وحكى اهل اللغه ان العرب تقول ما بطابك يا فلان عنا فتعدى باليا فدل على انه في
نفسه غير متعد في نفسه فعلى هذا معنى الايه ان منكم من يبطي عن هذا الفرض ويتثاقل عن هذا
الجهاد فاذا ظفر المسلمون تمنوا ان يكونوا معهم لياخذوا الغنيمه وان اصابتهم مصيبه سرهم ان

في كانوا متخلفين وهولاهم الذين ارادهم الله بقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في
سبيل الله اثاقلتم الى الارض والذي يدل على ان المراد بقوله ليبطئن الابطا منهم لا تثبيط غيرهم
ما حكاه تعالى من قولهم يا ليتني كنت معهم عند الغنيمه ولو كان المراد تثبيط الغير لم يكن لهذا الكلام
معنى وقيل هذا القول ضعيف لانه تعالى حكى ان هولا المبطين يقولون عند مصيبة المومنين
قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا فيعد قعوده عن القتال نعمة من الله ومثل هذا الكلام لا يليق بالمو
وايضا لا يليق بالمومنين ان يقال لهم كان لم يكن بينكم وبينهم موده وان حمل ليبطئن على انه بمعنى الابطا
والتثاقل صح في المنافقين لانهم كانوا يتاخرون عن الجهاد ويتثاقلون ولا يسرعون اليه وان حمل على
تثبيط الغير وكان هذا دين المنافق عبد الله ابن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد قوله فان
اصابتكم مصيبه من قتل او هزيمه او جهد من العيش قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا اي
شاهدا حاضرا حتى يصيبني ما اصابهم من البلا والشده ولين اصابكم فضل من الله من فتح او ظفر وغنيمه
ليقولن وقوله كان لم يكن بينكم وبينه موده اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله
وهو قوله يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المومنين
ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى
عدو للمومنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالموده الا على وجه العكس تهكما بحالهم قرا ابن
كثير وحفص عن عاصم كان لم تكن بالتا المنقوطه من فوق والباقون باليا المنقوطه من تحت لتقدم
الفعل وكلا القرايتين قد جا التنزيل بهما قال تعالى قد جاتكم موعظه من ربكم فمن جاه موعظه من ربه
فالتانيث هو الاصل والتذكير حسن اذا كان التانيث غير حقيقي سيما اذا وقع فاصل بين الفعل والفاعل
قوله فافوز فوزا عظيما اي اخذ نصيبا وافرا من الغنيمه فافوز نصب على جواز التمني بالفا وفي
التمني معنى ليتني ان تفعل فافعل **قوله تعالى** فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوه
الدنيا بالاخره ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما قيل نزلت في المنافقين
الذين تخلفوا عن احد وقيل نزلت في المومنين المخلصين اعلم ان يشرون بمعنى يشترون ويبتعون
وهو من الاضداد قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فعلى القول الاول
يشرون بمعنى يشترون اي المنافقون المبطون الذين يشترون الحيوه الدنيا بالاخره ينبغي ان
تغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله وعلى القول الثاني
يشرون بمعنى يبيعون اي المومنون المخلصون الذين يبيعون الحيوه الدنيا بالاخره اي يستحبون
الاجله على العاجله ويستبدلونها بها ينبغي ان يقاتلوا في سبيل الله يعني ان صد هولا المبطون الذين
مرضت قلوبهم وضعفت نفوسهم عن الجهاد القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في سبيل الله
الذين اثروا الحيوه الاجله الباقيه على العاجله الفانيه والاولى ان يحمل على الفريقين حملا
للمشترك على المعنيين فانه يفيد المعنى المقصود على ابلغ الوجوه واتمها واحسنها ثم قال ومن
يقاتل سوا كان من المبطين او المخلصين ظافرا او مظفورا به فسوف نوتيه اجرا عظيما على اجتهاده
في اعزاز دين الله سوا قتل او غلب **قوله تعالى** وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنسا والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القريه الظالم اهلها واجعل
لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا المراد منه انكاره تعالى لتركهم القتال فصار ذلك
توكيدا لما تقدم من الامر بالجهاد وتحريضا للمومنين على السعي في تخليص المستضعفين فقال وما لكم لا
تقاتلون لا تجاهدون في سبيل الله اي في طاعة الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا

حق الجهاد م

عطفا

عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقيل وعن المستضعفين وقيل في سبيل
المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في
كل شي وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين
اسلموا بمكه وصدهم المشركون عن الهجره فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد
فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه ويقولون ربنا اخرجنا من هذه القريه الظالم اهلها يعني من
مكه واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا يمنعنا من المشركين فاجاب الله تعالى دعاهم
فيسر لبعضهم الخروج الى المدينه وبقي بعضهم الى الفتح فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكه جعل الله لهم
من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما
خرج استعمل على اهل مكه عتاب ابن اسيد فراوا منه الولايه والنصر كما ارادوا فكان ينصر الضعيف
من الشريف قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمه قال صاحب الكشاف فان
قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا عليهم بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لابائهم
وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء
صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنه باخراجهم في الاستسقا وعن ابن عباس كنت
انا وامي من المستضعفين من النسا والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنسا الاحرار والحراير وبالولدان
العبيد والاما لان العبد والامه يقال لهما الوليد والوليده وقيل للولدان والولايد الولدان لتغليب
الذكور على الاناث كما يقال الابا والاخوه **قوله تعالى** الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اوليا الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا لما بين وجوب
الجهاد بين انه لا عبره بصورة الجهاد بل بالقصد والداعي فالمومنون يقاتلون نصرة لدين الله واعلا
لكلمته والكافرون يقاتلون في سبيل الطاغوت رغب الله المومنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم
انهم انما يقاتلون في سبيل الله فالله وليهم وناصرهم واعداوهم اي الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
اي الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمومنين الى جنب كيد الله للكافرين من اضعف شي
واوهنه **قوله تعالى** الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوه واتوا الزكوه فلما كتب
عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشيه وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخره خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا قيل نزلت هذه الايه
في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد ابن الاسود وقدامه بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي
وقاص الزهري كانوا يلقون من المشركين اذى شديدا وهم بمكه قبل ان يهاجروا الى المدينه يشكون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتال هولا فانهم قد اذونا فيقول
لهم رسول الله كفوا ايديكم عن القتال فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجروا الى المدينه وامرهم الله عز
وجل بقتال المشركين وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بدر للقتال كرهه بعضهم وشق عليهم
فانزل الله هذه الايه وقيل نزلت في المنافقين لان الايه مشتمله على امور تدل على انها مختصه بالمنافقين
منها قوله تعالى في وصفهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشيه وهذا الوصف لا يليق الا بالمنافق
لان المومن لا يجوز ان يكون خوفه من الناس ازيد من خوفه من الله ومنها انه تعالى حكى عنهم انهم
قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال والاعتراض على الله ليس الا من صفة الكفار والمنافقين ومنها
انه تعالى قال للرسول قل متاع الدنيا قليل والاخره خير لمن اتقى هذا الكلام يذكر مع من كانت
رغبته في الدنيا اكثر من رغبته في الاخره وذلك من صفات المنافقين اجيب عن هذه الوجوه

ان

فقين

بان حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع فالخشية المذكورة في هذه الآية محمولة على هذا المعنى وقولهم
لم كتبت علينا القتال محمول على التمني لتخفيف التكليف لا على وجه الانكار لايجاب الله وقوله قل متاع الدنيا
قليل مذكور لا لان القوم كانوا منكرين لذلك بل لاجل ان اسماع الله لهم هذا الكلام مما يهون على القلب امر
هذه الحيوة فيزول عن قلبه نفرة القتال وحب الحيوة ويقدمون على الجهاد بقلب قوي والاولى حمل هذه
الآية على المنافقين لانه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ودلت الآية على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على ايجاب القتال
قوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحله من الاعراب النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون
الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل
خشية الله واشد معطوف على الحال وقيل كخشية الله صفة لمصدر محذوف لان قوله او اشد خشية معطوف
على قوله كخشية الله وهما في حكم واحد اي ان كان المعطوف حالا لا يجب ان يكون المعطوف عليه حالا فاذا قيل
يخشون الناس اشد خشية لم يكن قوله اشد خشية الا حالا عن ضمير الفاعل اي الواو في يخشون ولم ينتصب انتصاب
المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها
واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان يجعل الخشية خاشية وذات
خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية او خشية اشد خشية من خشية
الله ويجوز على تقدير نصبه على المصدر ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او
كخشية اشد خشية من خشية الله قوله او اشد يوهم الشك وذلك على علام الغيوب محال وفيه
وجوه من التاويل الاول المراد منه الابهام على المخاطب بمعنى انهم على احد الوصفين من المساواة والشك
وذلك لان كل واحد من الخوفين بالنسبة الى الآخر اما انقص او ازيد او مساو فبين الله بهذه الآية
ان خوفهم من الناس ليس انقص من خوفهم من الله بل بقي اما ان يكون مساويا واما ازيد فلا يكون الابهام
بالنسبة اليه تعالى ويكون بالنسبة الى المخاطب الثاني ان يكون بمعنى الواو والتقدير كخشية
الله واشد خشية وليس بين هذين القسمين منافاة لان من هو اشد خشية فمعه من الخشية مثل خشية من
الله وزيادة الثالث ان هذا نظير قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من
يبصرهم يقول هذا الكلام ولكن اهاهنا ثم قال تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال القائلون ان
كانوا من المؤمنين انما قالوا ذلك جزعا من الموت وحبا للحيوة لا اعتراضا وان كانوا منافقين فمعلوم
انهم كانوا منكرين لكون الرب تعالى كتب القتال عليهم فقالوا ذلك على معنى انه تعالى كتب القتال عليهم في زعم
الرسول صلى الله عليه وسلم وفي دعواه ثم قال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف
عن القتال واستمهال الى وقت اخر لقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وهذا كالعلة لكراهتهم
لايجاب القتال عليهم اي هلا تركتنا حتى نموت باجالنا ثم انه تعالى اجاب عن شبهتهم فقال قل متاع
الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى لان نعم الدنيا قليلة منقطعة مشوبة بالغموم والهموم والمكاره
ونعم الاخرة كثيرة مؤبدة صافية عن الكدورات خالية عن المنغصات يقينية لكن نعم الاخرة انما تحصل
للمؤمنين المتقين عن الشرك والنفاق قوله ولا تظلمون فتيلا قرا ابن كثير وحمزة والكسائي يظلمون بالياء
على انه راجع على المذكورين في قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا والباقون بالتاء على وجه الخطاب
اي لا تنقصون من ثواب اعمالكم مثل فتيل النواة وهو ما تفتله بيدك ثم تلقيه احتقارا **قوله
تعالى** اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة هذا تبكيت من حكى عنهم انهم
عند فرض القتال يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال

سبيل

صد

فقال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت اي لا خلاص لكم من الموت والجهاد موت مستعقب لسعادة الآخرة
فاذا كان لا بد من الموت فبان يقع على وجه يكون مستعقبا للسعادة الابدية كان اولى من ان لا يكون كذلك
وما في اينما زائدة لتاكيد الشرط وقوله يدرككم جواب الشرط ولو كنتم في بروج حصون مشيدة مطولة
رفيعة وقيل يعني بروج السماء الاثني عشر يقال شاده وشيده واشاده وشيده اذا رفعه او طلاه بالشيد
وهو الجص **قوله تعالى** وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا قيل المحكي عن المنافقين انهم
متثاقلين عن الجهاد خائفين عن الموت غير راغبين في سعادة الاخرة حكى عنهم في هذه الآية خصلة اخرى
اقبح من الاولى وقيل ان الخائفين عن الموت المتثاقلين في الجهاد من عادتهم انهم اذا جاهدوا فان اصابتهم
حسنة غنيمة وغيرها قالوا هذه من عند الله وان اصابتهم سيئة قالوا هذه من شوم مصاحبة محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا يدل على غاية حمقهم وجهلهم وشدة عنادهم وقيل ان الآية نزلت في المنافقين واليهود وذلك انهم
قالوا لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا
الرجل واصحابه فانزل الله عز وجل وان تصبهم يعني اليهود والمنافقين حسنة اي خصب ورخص
في السعر يقولوا هذه من عند الله لنا وان تصبهم يعني اليهود والمنافقين جدب وغلاء اسعار وقحط المطر
يقولوا هذه من عندك اي من جدب وشوم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل الحسنة النصر على الاعداء
والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة اعلم ان الحسنة تقع على النعمة والطاعة قال تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله وان تصبهم حسنة يفيد العموم
في كل الحسنات وكذا قوله وان تصبهم سيئة يفيد العموم في كل السيئات فقوله قل كل من عند الله
يفيد ان جميع الحسنات والسيئات من عند الله والطاعات والمعاصي داخلتان تحت الحسنة والسيئة
فالآية دالة على ان جميع الطاعات والمعاصي من الله قيل الحسنة والسيئة هاهنا ليست هي الطاعة
والمعصية لان الآية نزلت في الخصب والجدب فكانت مختصة بهما ولان الحسنة التي هي الطاعة
لا يقال فيها اصابتني انما يقال اصبتها فان العرب لا تقول اصابت فلانا حسنة واصابته سيئة
بمعنى عمل طاعة ومعصية قيل هذا لو كان المراد الطاعة والمعصية لقال وان تصيبوا
حسنة ولان لفظ الحسنة واقع بالاشتراك على النعمة والطاعة واجمع المفسرون على ان
النعمة مرادة فلا يكون الطاعة مرادة اذ لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه معا اجيب
بان خصوص السبب لا يمنع ارادة العموم وبانه يصح ان يقال اصابني توفيق من الله وعون منه
واصابه خذلان منه ويكون المراد من التوفيق والعون الطاعة ومن الخذلان المعصية
وبانه يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه او يراد بالحسنة المنفعة فان كانت المنفعة
اخروية فهي الطاعة وان كانت دنيوية فهي السعادة الحاضرة فاسم الحسنة بالنسبة اليهما
بطريق التواطؤ ومما يؤيد هذا المعنى ان فاعل الممكنات باسرها هو الله تعالى بالبرهان القاطع كما
هو مبين في اصول الدين ثم قال تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا لما كان البرهان
القاطع على ان الكل من عند الله في غاية الوضوح والجلاء قال تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا على طريق التعجب لعدم فهمهم مع الظهور والوضوح قوله ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك قال ابو علي الجبائي قد ثبت ان لفظ السيئة تارة تقع على البلية
والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الآية
الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الآية الى العبد بقوله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك فلا بد من التوفيق بين هاتين الآيتين وازالة التناقض عنهما ولما كانت السيئة بمعنى البلاء

والسيئة مضافة الى الله تعالى وجب ان تكون السيئة بمعنى المعصية مضافة الى العبد حتى يزول التناقض
بين هاتين الايتين المتجاورتين قال وقد حمل المخالفون انفسهم على تفسير الاية وقروا فمن
نفسك فغيروا القران وسلكوا اسلا طريقة الرافضة في ادعاء التغيير في القران ثم قال فان قيل
فلماذا فصل تعالى بين الحسنة والسيئة في هذه الاية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه
دون السيئة وكلاهما فعل العبد عندكم قلنا لان الحسنة وان كانت من فعل العبد فانما وصل اليها
بتسهيله والطافه فصحت الاضافة اليه واما السيئة التي هي من فعل العبد فهي غير مضافة الى الله تعالى
لانه تعالى فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه رغب فيها فلا جرم انقطعت اضافة هذه السيئة
من جميع الوجوه الى الله تعالى قال الامام هذا منتهى كلام الرجل في هذا الموضع ونحن نقول ان هذه
الاية من جميع الوجوه الى الله تعالى والقوم لا يقولون به فصاروا محجوجين بالاية انما قلنا ان الاية
دالة على ذلك لان الايمان حسنة وكل حسنة فمن الله وانما قلنا ان الايمان حسنة لان الحسنة هي
الغبطة الخالية عن جميع جهات القبح ولا شك ان الايمان كذلك فوجب ان يكون حسنة لانهم اتفقوا
على ان قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله المراد به كلمة الشهادة وقيل في قوله ان الله يامر
بالعدل والاحسان هو قول لا اله الا الله فثبت ان الايمان حسنة وانما قلنا كل حسنة من الله تعالى
لقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وقوله ما اصابك من حسنة يفيد العموم في جميع الحسنات
ثم حكى تعالى عنهم بانها من الله فيلزم من هاتين المقدمتين اعني ان الايمان حسنة وكل حسنة من الله القطع
بان الايمان من الله فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله من الله هو ان الله اقدر عليه وهداه
الى معرفة حسنه والى معرفة قبح ضده الذي هو الكفر قلنا جميع الشرائط مشتركة بالنسبة الى الايمان
والكفر عندكم ثم ان العبد باختيار نفسه يوجد الايمان ولا مدخل لقدرة الله واعانته في نفس الايمان
وكان الايمان منقطعا عن الله من كل الوجوه فكان هذا مناقضا لقوله ما اصابك من حسنة فمن الله فثبت
بدلالة هذه الاية ان الايمان من الله والخصوم لا يقولون به فصاروا محجوجين في هذه المسالة ثم
قال الامام اذا اردنا ان نبين ان الكفر ايضا من الله قلنا فيه وجوه الاول ان كل من قال
الايمان من الله قال الكفر من الله وكل من قال الايمان من العبد قال الكفر من العبد فالقول بان احدهما من
الله مخالف للاجماع الثاني ان العبد لو قدر على تحصيل الكفر فالقدرة الصالحة لايجاد الكفر اما
ان تكون صالحة لايجاد الايمان او لا تكون فان كانت صالحة لايجاد الايمان فحينئذ يعود القول
بان ايمان العبد منه وان لم تكن صالحة لايجاد الايمان فحينئذ يكون القادر على الشيء غير قادر
على ضده وذلك عندهم محال ولانه على هذا التقدير تكون القدرة موجبة للمقدور وذلك يمنع من
كونه قادرا عليه فثبت انه لما لم يكن الايمان منه وجب ان لا يكون الكفر منه الثالث ان العبد لما لم يكن
موجدا للايمان فبان لا يكون موجدا للكفر اولى وذلك لان المستقل بايجاد الشيء هو الذي يمكنه تحصيل
مراده ولا نرى في الدنيا عاقلا الا ويريد ان يكون الحاصل في قلبه هو الايمان والمعرفة والحق
وان احدا من العقلاء لا يريد ان يكون الحاصل في قلبه هو الجهل والضلال والاعتقاد الخطا فاذا
كان العبد موجد الافعال بنفسه وهو لا يقصد الا تحصيل العلم الحق المطابق وجب ان لا يحصل في
قلبه الا الحق فاذا كان الايمان الذي هو مطلوبه ومقصوده ومراده لم يقع بايجاده فبان يكون
الجهل الذي ما اراده وما قصد تحصيله وكان في غاية النفرة عنه والفرار منه غير واقع بايجاده
وتكوينه كان ذلك اولى والحاصل ان الشبهة في ان الايمان واقع بقدرة العبد اشد من
الشبهة في وقوع الكفر بقدرته فلما بين الله في الايمان انه منه ترك ذلك الكفر للوجه الذي ذكر
فهذا جملة الكلام في ان هذه الاية على مذهبنا اما ما احتج الجبائي على مذهبه من ان قوله
دلالة

دالة على ان الايمان حصل بتخليق م

وما اصابك من سيئة فمن نفسك فالجواب عنه من وجهين الاول انه تعالى قال حكاية عن
ابرهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين اضاف المرض الى نفسه والشفاء الى الله ولم
يقدح ذلك في كونه تعالى خالقا للمرض والشفاء بل انما فصل بينهما رعاية للادب فكذا ههنا
كانه قيل الايمان الذي وقع على وفق قصدك قد بينا انه ليس واقعا بك بل من الله فهذا
الكفر لما قصدته واردته ورضيت به البتة افيدخل في العقل ان يقال انه وقع بك فانا بينا
ان الحسنة في هذه الاية يدخل فيها الايمان والسيئة يدخل فيها الكفر اما ما قراه من قرا فمن نفسك
فنقول ان صح انه قرا بهذه الاية وانه ماخوذ من الصحابة والتابعين فلا طعن فيه وان لم يصح
ذلك فالمراد ان من حمل الاية على انها وردت على سبيل الاستفهام على وجه الانكار ذكر في تفسير
الاستفهام على سبيل الانكار كان المراد انه غير مضافة اليهم فذكر هذا القائل قوله فمن نفسك
لقولنا انه استفهام على سبيل الانكار وما يدل دلالة ظاهرة على ان المراد من هذه الايات
اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله تعالى بعد هذه الاية وارسلناك للناس رسولا يعني
ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك وعدم تقصيرك
في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما حصول الايمان فليس اليك بل الى الله ونظيره قوله تعالى ليس لك
من الامر شيء وقوله انك لا تهدي من احببت قوله للناس اي رسولا للناس جميعا لا للعرب وحدهم
بل انت رسول الله للعرب والعجم لقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما
ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول
والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا
الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فانزل الله عز وجل الاية اي من يطع الرسول
فيما امره فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته
في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة الله ومن تولى عن طاعته فاعرض عنه فما ارسلناك
يا محمد الا نذيرا وما ارسلناك حفيظا حافظا من التولي والاعراض ويقولون اي المنافقون
كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا امنا بك فمرنا فامرك طاعة وهم يكفرون به في
السر وقوله طاعة مرفوعة على امرنا طاعة او امرنا وشاننا طاعة وامرك طاعة وكذا قوله تعالى
لا تقسموا طاعة معروفة اي قولوا سمع وطاعة وكذا قوله فاولى لهم طاعة وقول معروف
ليست مرتفعة بلهم بل هي مرتفعة على الوجه الذي ذكرنا قال سيبويه سمعنا بعض العرب
الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله ولو
نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فاذا برزوا
اي خرجوا من عندك بيت زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت او امرت به
خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت
اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان
الشاعر يدبرها ويسويها وقيل هيا وقيل غير وبدل الذي عهد اليهم النبي صلى الله عليه
وسلم والله يكتب يثبت ويحفظ عليهم ما يبيتون اي يغيرون ويزورون ويقدرون والمعنى
يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك

فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك

على اسرارهم فلا تحسبوا ان تبيتهم يغني بن عباس رضي الله عنه يعني ما يسرون من النفاق
فاعرض عنهم يا محمد ولا تعاقبهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان
الله يكفيك معرتهم وفسادهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره فان قيل
ما السر في ابتدا الايه بذكر جميعهم ثم صرف الخطاب من جملتهم الى طايفة منهم قيل انه انما عبر
عن حال من علم انه يبقى على الغزو ونفاقه فاما من علم انه رجع عن ذلك فانه صفح عن ذكرهم
وقيل انه عبر عن حال من اسر ليله ودبر في امره واما من سمع وسكت فانه لم يذكرهم **قوله**
من يطع من اقوى الدلايل على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لانه
لو اخطا في شي منها لم تكن طاعته طاعة الله وفي جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته في قوله
فاتبعوه والمتابعه هي الاتيان بمثل فعل الغير على الوجه الذي اتى به ذلك الغير فكان الاتي بمثل
ذلك الفعل مطيعا لله في قوله فاتبعوه والمتابعه فثبت ان الانقياد له في جميع اقواله وافعاله
الا ما خصه الدليل طاعة لله قال الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرساله في باب فرض طاعة
الرسول ان قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يدل على ان كل تكليف كلف الله به عباده
في باب الوضو والصلوة والزكوة والصوم والحج وساير الابواب في القران ولم يكن ذلك
التكليف مبينا في القران فحينيذ لا سبيل لنا الى القيام بتلك التكاليف الا ببيان الرسول واذا
كان الامر كذلك لزم القول بان طاعة الرسول عين طاعة الله قوله تعالى ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله يدل على ابطال قول من زعم ان السنه تعرض على الكتاب ثم يعمل بها وذلك ان كل ما نص الله
عليه فانما صار فرضا بالكتاب فاذا عدم النص من الكتاب ووردت به السنه وجب اتباعها
ومن خالفها فقد خالف رسول الله لان طاعة الرسول طاعة الله فمن زعم انه لا يقبل خبرا الا
بعد العرض على الكتاب فقد ابطل كل حكم ورد عليه كتاب والايه داله على ان من لم يعتقد الطاعه
فليس بمطيع على الحقيقه لان الله تعالى لم يحقق طاعتهم فيما اظهروه فقال ويقولون طاعه فلو
كان للطاعه حقيقه بلا اعتقاد لحكم لهم بها فلا يكون المطيع مطيعا الا باعتقاد الطاعه مع وجوبها
قرا ابو عمرو وحمزه بيت طايفه بادغام التا في الطا وعن الكسائي سكنت التا لكثرة الحركات فادغمت
في الطا لان التا والطا من مخرج واحد فالتفاوت الذي بينهما يجري مجرى الامالة في الادغام
وما يحسن هذا الادغام ان الطا تزيد على التا بالاطباق فحسن ادغام الانقص صوتا في
الازيد صوتا والباقون بالاظهار فانهما حرفان من مخرجين في كلمتين متفاصلتين فوجب
ابقا كل منهما على حاله قيل كان الامر بالاعراض عن المنافقين في ابتدا الاسلام ثم نسخ بقوله
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وفي هذا الكلام نظر لان الامر بالاعراض مطلق
فلا يفيد الا المرة الواحده فورود الايه بعد ذلك بالجهاد والغلظه لا يكون ناسخا له
قوله افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لما حكى
الله عن المنافقين انواع مكرهم وكيدهم وكان كل ذلك لانهم ما كانوا يعتقدون كونه
محقا في ادعا الرساله صادقا فيه بل كانوا يعتقدون ان القران من عند غير الله امر الله تعالى
بقوله افلا يتدبرون القران تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يوول اليه في عاقبته
ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القران تدبر معانيه وتبصر ما فيه قيل ظاهر
الايه يدل على انه تعالى احتج بالقران على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ لو لم يحمل الايه
على ذلك لم يبق لها تعلق بما قبلها وقد تبين ان دلالة القران على صدق محمد من ثلاثة اوجه

قيل ٢

فصا

فصاحته واشتماله على الاخبار عن الغيب وسلامته عن الاختلاف في الايه اشار اليها لو كان
القران من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من الوجوه المذكوره اي لكان الكثير منه مختلفا متناقضا
قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز في بلاغته وفصاحته وبعضه
قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بالغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه
وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة فاتت قوى البلغا وسامر كله
صدق اخبار وصحة معان علم انه ليس من عند غير الله قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما
لا يعلمه احد سواه فان قيل اليس ان قوله وجوه يوميذ ناضره الى ربها ناظره كالمناقض لقوله
لا تدركه الابصار وقوله فاذا هي ثعبان مبين كالمنافي لقوله كانها جان وقوله فوربك لنسالنهم
اجمعين كالمناقض لقوله فيوميذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وايات الجبر كالمناقض لايات
القدر اجيب بان لا منافاة ولا مناقضه بين شي منها عند المتدبرين الراسخين في العلم
والايه دلت على ان القران معلوم المعنى خلاف من ذهب الى انه لا يعلم معناه الا النبي
والامام المعصوم لانه لو كان كذلك لما تهيا للمنافقين معرفة ذلك بالتدبر ولما امرهم
به ولم يجعل القران حجة في صحة نبوته ولا عجزهم عن مثله حجة عليهم كما لا يجوز ان يحتج
على كفار الزنج والايه دلت على وجوب النظر والاستدلال وعلى القول بفساد التقليد
لانه تعالى امر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوته وعلى ان القران من عند
الله واذا كان لا بد فيهما من الاستدلال فبان يحتاج في معرفة ذات الله وصفاته الى الاستدلال
كان اولى **قوله تعالى** واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم
الشيطان الا قليلا حكى الله عن المنافقين نوعا اخر من الاعمال الفاسده وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون
بالاستخبار عن حال السرايا فيفشونه ويحدثون به قبل ان يحدث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل هم ناس من ضعفة المسلمين لم يكن لهم خبرة بالاحوال ولا استبصار للامور كانوا
اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامه او خوف وخلل
اذاعوا به اي اشاعوه وافشوه وكان اذاعتهم مفسده ولو ردوا ذلك الامر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر اي ذوو الراي من الصحابه وهم كبار الصحابه
البصرا بالامور مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم او الذين كانوا يومرون
منهم لعلم تدبير ما اخبر وابه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم
ومعرفتهم ومكايدها تقال استنبطت الماء من البير اذا اخرجته وقيل كانوا يقفون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور اي الغلبه على بعض الاعدا او على
خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعدا فتعود اذاعتهم مفسده ولو ردوه الى
الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره
كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيا من
الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحه فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المومنين ولو
ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما لا
يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع

المنافقون المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون
علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاعوا به في الناس حتى كانه يعليا آنار او قدت سعوف
ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعه وهو ابلغ من اذاعوه واستنبط الما يخرج من البير اول ما
يحفر واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير
فيما يعضل ويهم وهذه الايه داله على ان القياس حجه في الشرع لان قوله الذين يستنبطونه منهم صفه
لاولي الامر وقد اوجب الله على الذين يجيئهم امر من الامن او الخوف ان يرجعوا في معرفته اليهم
ولا يخلو اما ان يرجعوا اليهم في معرفة هذه الوقايع مع حصول النص فيها او لا والاول باطل
لانه على هذا التقدير لا يبقى الاستنباط لان من روى النص في واقعه لا يقال انه استنبط الحكم
فثبت انه تعالى امر المكلف برد الواقعه الى من يستنبط الحكم فيها ولو لا ان الاستنباط حجه
والا لما امر المكلف بذلك والقياس اما استنباط او داخل فيه فوجب ان يكون حجه والايه
داله على امور منها ان في احكام الحوادث ما لا يعرف بالنص بل بالاستنباط ومنها ان الاستنباط
حجه ومنها ان غير العلما يجب عليه تقليد العلما في احكام الحوادث ومنها ان النبي عليه
السلام كان مكلفا باستنباط الاحكام لانه تعالى امر بالرد الى الرسول والى اولي الامر
ثم قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولم يخصص اولي الامر بذلك دون الرسول وذلك
يوجب ان الرسول واولي الامر كلهم مكلفون بالاستنباط قوله ولو لا فضل الله الاستثنا يوهم ان ذلك
القليل وقع لا بفضل الله ولا برحمته وذلك محال فعند هذا اختلف المفسرون وذكروا وجوها
فقيل هذا الاستثنا راجع الى قوله اذاعوا به اي اذاعوا به الا قليلا فلم يذع ولم يفش فاخرج الله بعض
المنافقين عن هذه الاذاعه كما اخرجهم في قوله بيت منهم غير الذي تقول بيانه ان علم السر
اذا ظهر علمه المستنبط وغيره والاذاعه قد تكون في بعض دون بعض فلذلك استحسنت الاستثنا
من الاذاعه وقيل الاستثنا عايد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه اي لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا
قليلا قيل القول اولى لان ما يعلم بالاستنباط يعلمه الاقل ويجهله الاكثر وصرف الاستثنا الى ما ذكره
يقتضي ضد ذلك ورد هذا بانه ليس المراد من هذا الاستنباط شيا يستخرجه بنظر دقيق وفكر عميق
انما هو استنباط خبر فالاكثرون يعرفونه والذي لا يعرفه هو البالغ في الغباوه والجهاله وهو قليل
وهذا الرد انما يمشي اذا حمل الاستنباط على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف اما اذا حمل على الاستنباط
في جميع الاحكام فلا وقيل انه متعلق بقوله ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسل وانزال
الكتب وقيل فضل الله عليكم الاسلام ورحمته القران والتقدير ولو لا ارسال محمد والاسلام
وانزال القران ما كان يتبع الشيطان وما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعده وورقه بن نوفل
وزيد ابن عمرو بن نفيل وهم الذين كانوا مومنين بالله قبل بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بفضل
الله ورحمته نصرته ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما فبين تعالى انه لو لا حصول
النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا القليل منكم وهم اهل البصاير النافذه
والنيات الخالصه والعزايم القويه من افاضل المومنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول
الدوله في الدنيا فلاتواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا ولا تواتر الانهزام والانكسار يدل على
كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل والاستثنا في الاخير اظهر لان صرف الاستثنا
الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشي البعيد عنه والاستثنا في الاقوال الثلاثه عايد الى الفاعل ويحتمل
ان يكون عايدا الى المصدر الافعال اي الا افشا قليلا او استنباطا قليلا او اتباعا قليلا **قوله**

ظاهر هو
ومعلوم هو

فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المومنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد
باسا واشد تنكيلا لما ذكر في الاي التي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعه واضمارهم
خلافها قال فقاتل وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقى هو وابو سفيان يوم احد وكان
من امرهم ما كان ورجع ابو سفيان الى مكه وواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم موسم بدر الصغرى
في ذي القعده فلما بلغ الميعاد قال للناس اخرجوا الى العدو وكره الناس ذلك كراهه شديده او
بعضهم فانزل الله الايه قيل الفا في فقاتل جواب لقوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل من طريق
المعنى لانه يدل على معنى ان اردت الفوز فقاتل في سبيل الله وقيل متعلق بقوله وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله فقاتل في سبيل الله وقيل متصل بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين والمعنى ان من اخلاق
المنافقين كذا وكذا فلا تعتد بهم ولا تلتفت الى افعالهم فقاتل دلت الايه على ان الله تعالى امر النبي صلى الله
عليه وسلم بالجهاد ولو وحده وقد دلت الايه على انه صلى الله عليه وسلم اشجع الخلق واعرفهم بكيفية القتال
لان الله تعالى ما كان يامره بذلك الا وهو صلى الله عليه وسلم موصوف بهذه الصفات ولقد اقتدى به ابو
بكر رضي الله عنه حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوه قوله لا تكلف الا نفسك غير
نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شا نصرك وحدك كما
نصرك وحولك الالوف وقيل معنى لا تكلف الا نفسك لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف
من تخلف عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك ولم يرد بالتكليف الامر لانه يقتضي على هذا القول ان لا يكون
غيره مامورا بالقتال وحرض المومنين على الجهاد ورغبهم في الثواب وعرفهم فضل الشهاده
وما عليك في شانهم الا التحريض والترغيب وتعريف فضل الشهاده لا التعنيف بهم فحرضهم
رسول الله ورغبهم فيه فتثاقلوا فيه ولم يخرجوا معه الى القتال فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وذلك قوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا ونحن نراهم في باس وشده
اي قتال المشركين وصولتهم وهم قريش وقد كف باسهم والله اشد باسا من المشركين اي قريش
واشد تنكيلا تعذيبا وقيل عسى من الله واجب حيث كان وقد جا عسى في كلام العرب
بمعنى اليقين قال ابن مقبل ظني بهم كعسى وهم بتنوفه يتنازعون جوائب الامثال
فان قيل اذا كان من قولهم ان عسى من الله واجب وقد قال تعالى عسى الله ان يكف باس الذين
كفروا ونحن نراهم في باس وشده فاين ذلك الوعد تعالى لهم قد قيل ان المراد منه الكفره
الذين كف باسهم ببدر الصغرى وبالحديبيه لقوله وهو الذي كف ايديهم عنكم الايه وان كان ظاهرها
العموم فالمراد منه الخصوص وقيل اراد به المده التي امر الله فيها بالقتال لزوال الكفر بقوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله فعند ذلك يكف الله باس الذين كفروا وهو الوقت
الذي ينزل فيه عيسى عليه السلام فيكون حكما مقسطا ويظهر الاسلام على الدين كله وقيل ان ذلك
في القوم الذين قذف الله في قلوبهم الرعب فخرجوا من ديارهم واموالهم بغير قتال من المومنين
لهم فهذا باس قد كف الله تعالى عن المومنين وقيل اراد به اليهود والنصارى الذين دخلوا
في الجزيه وتركوا المحاربه فكف باسهم عن المومنين وصاروا ابادوا الجزيه صاغرين **قوله**
تعالى من يشفع شفاعه حسنه يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعه سيئه يكن له كفل منها وكان
الله على كل شي مقيتا **قيل** لما كان النبي صلى الله عليه وسلم رغبهم في القتال وحرضهم عليه فكان بعض
المنافقين شفع الى النبي صلى الله عليه وسلم في ان ياذن لبعضهم في التخلف عن الغزو فنهى الله عن
مثل هذه الشفاعه وبين ان الشفاعه انما تحسن اذا كانت وسيله الى اقامه طاعه فاما اذا كانت

على الجهاد

وسيله الى معصيه كانت محرمه منكره وقيل ان بعض المومنين في الجهاد لانه لم يجد اهبة الجهاد
فصار عذر من المومنين شفيعا له الى مومن اخر ليعينه على الجهاد فكانت هذه سعيا في اقامة الطاعه فرغب
الله في مثل هذه الشفاعه فانزل الله هذه الايه والشفاعة الحسنه هي التي روعي بها حق مسلم ودفع
عنه بها شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يوخذ عليها رشوه وكانت في امر جايز لا في حد
من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئه ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعه
فاهدى اليه المشفوع له جاريه فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم
فيما بقي منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشفاعة الحسنه ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار
والشفاعة السيئه ان يشفع كفره بمحبة الكفار وترك ايذايهم وقيل الشفاعه الحسنه هي الدعوه للمسلم
لانها في معنى الشفاعه الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوه على المسلم بضد ذلك وقيل الشفاعة التي بين
الناس بعضهم لبعض فيما يجوز في الدين ان يشفع فهي شفاعة حسنه وما لا يجوز ان يشفع فيه فهي شفاعة
سيه قال الحسن من يشفع شفاعة حسنه كان له فيها اجر وان لم يشفع لان الله تعالى يقول من
يشفع ولم يقل من يشفع ويتايد هذا بقوله صلى الله عليه وسلم اشفعوا توجروا والكفل الحظ ماخوذ
من قولهم كفلت البعير واكفلته اذا ادرت على سنامه كساء وا ركبت عليه وانما قيل كفل والكفل
البعير لانه لم يستعمل كل الظهر انما استعمل نصيبا من الظهر قال الامام فان قيل لم قال في الشفاعة
الحسنه يكن له نصيب منها وقال في الشفاعة السيئه يكن له كفل منها وهل لاختلاف هذين اللفظين
فايده قلنا الكفل اسم للنصيب الذي عليه اعتماد الانسان وانما يقال كفل البعير لانك حميت
ظهر البعير بذلك الكساء عن الافه وحمى الراكب بدنه بذلك الكساء عن ان يماس ظهر البعير فيتاذى به
ويقال للضامن كفيل وقال عليه السلام انا وكافل اليتيم كهاتين فثبت ان الكفل هو النصيب الذي
يعتمد عليه الانسان في تحصيل المصالح لنفسه ودفع المفاسد عن نفسه واذا ثبت هذا فقوله
قوله من يشفع شفاعه سيه يكن له كفل منها اي يحصل لهم منها نصيب يكون ذلك النصيب وحيده
له في معاشه ومعاده والمقصود حصول ضد ذلك لقوله فبشرهم بعذاب اليم والغرض منه التنبيه
على ان الشفاعة الموديه الى سقوط الحق وقوة الباطل تكون عظيمة العقاب عند الله قال
وكان الله على كل شي مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات الشي على الشي اقتدر عليه قال
الزبير ابن عبد المطلب وذي ظعن كففت السوء عنه وكنت على اساته مقيتا وقال السموال
الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس
ويحفظها **قوله تعالى** واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل
شي حسيبا قيل لما امر المومنين بالجهاد امرهم ايضا بان الاعدا لو رضوا بالمسالمه لو نوا انتم راضين
لها وقيل ان الرجل في الجهاد كان يلقاه الرجل في دار الحرب او ما يقاربها فيسلم عليه فقد لا
يلتفت الى سلامه عليه ويقتله وربما ظهر انه كان مسلما فمنع الله المومنين عنه وامرهم ان كل من
يسلم عليهم ويكرمهم بنوع من الاكرام فهم يقابلونه بمثل ذلك الاكرام وازيد فانه ان كان كافرا
لم يضر المسلم ان قابل اكرام ذلك الكافر بنوع من الاكرام اما ان كان مسلما وقتله ففيه اعظم المضار
والمفاسد والتحيه في الاصل الملك قال زهير الكلبي ولكل ما نال الفتى قد نلته الا التحيه
وانما ادغمت لانها تفعله قال عمرو بن معدي كرب اسير به الى النعمان حتى انيخ على تحيته بجند
اي على ملكه ويقال حياك الله اي ملكك والتحيات لله الملك لله وعادة العرب قبل الاسلام انه
اذا

اذا التقى بعضهم بعضا قالوا حياك الله اي ملكك والتحيات لله او استحقاقه من الحيوه كانه يدعو له
بالحيوه وكان التحيه عندهم عبارة عن قول بعضهم لبعض حياك فلما جا الاسلام ابدل بذلك السلام
فجعلوا التحيه اسما للسلام قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام ومنه قول المصلي التحيات لله
اي السلام من الافات لله قيل قوله واذا حييتم في العطاس والرد على المشمت وقيل
اذا دعي لاحدكم بطول البقا فردوا عليه به او الحسن وقيل التحيه ههنا الهديه
اراد الكرامه بالمال والهبه قال الشاعر اذ تحيى بصوم ان واس وقال الاخر
تحيتهم بيض الولايد بينهم والمراد بهذا الكرامه بالمال لانه قال او ردوها ولا يمكن
رد السلام وظاهر الايه يقتضي رد التحيه بعينها وهي الهديه فامر بالتعويض او الرد
بعينه وهذا لا يمكن في السلام ولا يصح في العاريه لان رد العين واجب من غير تخيير وقيل سلام
عليكم وهو الاكثر والاولى ان يحمل على الجميع وان كان جمعا بين المفهومات في المشترك او جمعا
بين المفهوم الحقيقي والمجازي والسلام وهو مصدر سلم يقول سلم فلان من الافات سلامه وسلاما
والسلام الاستسلام والسلام الاسم من التسليم والسلام اسم من اسما الله تعالى لانه لا يلحقه نقص
ولا تدركه افات الخلق والسلام البراه من العيوب ومنه قيل للجنه دار السلام لانها دار
السلامه من الفنا والتغير والافات قوله فحيوا باحسن منها وهو ان يقول وعليكم السلام ورحمة
الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد بركاته اذا قال ورحمة الله روي ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلى الايه فقال انك لم تترك لي فضلا
فرددت عليك مثله قوله او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه
بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره والسلام من شعاير الاسلام فهو حسن والمشهور انه سنه
واما الجواب عن السلام فهو واجب بالاجماع والدليل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها او ردوها وان ترك الجواب اهانه والاهانه ضرر والضرر حرام والتخيير انما وقع بين الزياده
وتركها وقيل الاحسن منها هو في المسلم وردها بعينها هو في الكافر ورد الجواب فرض على الكفايه
ان كانت جماعة اذا قام به البعض وسقط عن الباقين وهو قوله فحيوا فان اخر انقضى الوقت
فان اجاب بعد فوت الوقت كان ذلك ابتدا سلام ولا يكون جوابا وقيل ان لقي واحد واحدا
فالسلام فرض مع المعرفه سنه مع الجهاله لان المعرفه تغرم ان لم يسلم والسنه اذا التقى
انسانان ان يبتدرا بالسلام اظهارا للتواضع ومنتهى الامر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فان هذا القدر هو الوارد في التشهد والمبتدي يقول السلام عليكم
والمجيب يقول وعليكم السلام ليكون الافتتاح والاختتام بذكر الله فلو قال المبتدي فقال
وعليكم السلام فقد خالف السنه فالاولى للمجيب ان يقول وعليكم السلام لان الاول
ترك الافتتاح بذكر الله فلا يترك الاخر الاختتام بذكر الله والتخيير ثابت بين قوله
سلام عليكم والسلام عليكم قال تعالى في حق نوح يا نوح اهبط بسلام منا وقال عن
الخليل قال سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال في قصة لوط قالوا سلاما قال سلام
وقال عن يحيى سلام عليه وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم وقل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى وقال والملايكه يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام

والاولى ان يجيب بكلام اظهارا للاكرام ومبالغة في الجواب على الغير واجب

سلام قولا من رب رحيم وقال فقل سلام عليهم واما بالالف واللام فقوله عن موسى عليه
السلام فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى
وقال عن عيسى والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت فثبت ان الكل جائز وقيل التنكير افضل ويدل
عليه ان لفظ السلام على التنكير افضل وان كل ما ورد من الله والملائكة والمومنين فقد ورد بلفظ
التنكير كما ذكر في الايات واما بالالف واللام فانما ورد في تسليم الانسان على نفسه قال موسى عليه
السلام والسلام على من اتبع الهدى وقال عيسى عليه السلام والسلام علي وقال النبي صلى الله عليه
وسلم السنة ان يسلم الراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل
على الاكثر والقائم على القاعد والسنة في السلام الجهر لانه اقوى في ادخال السرور في القلب والافشا
والتعميم لان التخصيص ايحاش والمصافحة عند السلام عادة الرسول قال صلى الله عليه وسلم اذا
تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تحات ورق الشجر واذا استقبلك رجل واحد فقل سلام عليكم
واقصد الرجل والملكين فانك اذا سلمت عليهما ردا السلام عليك ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب
الله واذا دخلت بيتا خاليا فسلم لانك تسلم من الله على نفسك وتسلم على من فيه من الجن والانس وتطلب
السلامة ببركة السلام ممن في البيت من الشياطين والموذيات وعن ابي يوسف من قال لاخر اقرا
فلانا مني السلام وجب عليه ان يفعل واذا ورد عليه سلام في كتاب فجوابه بالالسنة ايضا واجب
واعلم ان لفظ التحية صار كناية عن الاكرام فجميع انواع الاكرام يدخل تحت لفظ التحية
وقال ابو حنيفة من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا اثيب منها فلا
رجوع فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي احتج ابو بكر الرازي
بهذه الاية على صحة قول ابي حنيفة فان قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها يدخل
فيه التسليم ويدخل فيه الهبة ومقتضاه وجوب الرد اذا لم يثبها بالاحسن فاذا لم
يثبت الوجوب فلا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر محمول على الندب بدليل انه
لو اتى بما هو اقل منه سقطت كلفة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الاية يقتضي ان يثيب بالاحسن
ثم احتج الشافعي بقوله عليه السلام لا يحل للرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا
الوالد فيما يعطي ولده وهذا نص في ان هبة الاجنبي يحرم الرجوع فيها وهبة الولد
يجوز الرجوع فيها والسنة ان يكون المبتدي بالسلام على الطهارة وكذا المجيب روي
ان واحدا سلم على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كان في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد السلام
وروي ان النبي عليه السلام قال لا تبدا اليهودي بالسلام وعن ابي حنيفة انه قال
لا تبداه بسلام في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل
السلام على من اتبع الهدى ورخص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم اذا دعت الى ذلك
حاجة واما اذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان يقال وعليك والاصل فيه انهم كانوا
يقولون عند الدخول على الرسول السام عليك فكان النبي عليه السلام يقول وعليكم
فجرت السنة بذلك واذا قلنا لهم وعليكم السلام فهل يجوز ذكر الرحمة فيه قال الحسن يجوز
ان يقال للكافر وعليكم السلام ولكن لا يقال ورحمة الله لانها استغفار وعن الشعبي انه
قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش
ولا باس بالدعاء له فيما يصلحه في دنياه واذا دخل يوم الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي ان يسلم
لاشتغال الناس بالاستماع فان سلم فرد بعضهم فلا باس ولو اقتصروا على الاشارة

اكره في القران فكانه

كان

كان احسن واذا دخل الحمام فراى الناس متزرين سلم عليهم وان لم يكونوا متزرين لم يسلم عليهم
والاولى ترك السلام على القارى لانه ان اشتغل بالجواب ينقطع عليه التلاوة ولذلك لا تقول
فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة العلم ولا يسلم على المشتغل بالاذان والاقامة للعلة
المذكورة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وفي معناه كل من كان مشتغلا
بنوع معصية ولا يسلم على من كان مشتغلا بقضاء الحاجة روي ان الرسول صلى الله عليه وسلم مر به رجل
وهو يقضي حاجته فسلم عليه فقام الرسول صلى الله عليه وسلم الى الجدار فتيمم ثم رد عليه الجواب
وقال لولا اني خشيت ان تقول سلمت عليه فلم يرد الجواب والا لما اجبتك اذا رايتني على هذه الحالة
فلا تسلم علي فانك ان سلمت لم ارد عليك اذا دخل الرجل بيته سلم امراته فان حضرت اجنبية لم يسلم عليهما
وان سلمت المراة الاجنبية عليه وكان يخاف في رد الجواب عليها تهمة او فتنة لم يجب الرد بل الاولى
ان لا يفعل واما التسليم على النسا فجائز الا على الشابات منهن خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة الشيطان
او خائنة الاعين واما على العجائز فحسن للامن ومنعه طائفة اذا لم يكن منه ذات محرم وقالوا لما سقط
عن النسا الاذان والاقامة والجهر بالقراءة في الصلاة سقط عنهن رد السلام فلا يسلم عليهن والصحيح
الاول لما اخرجه البخاري عن سهيل ابن سعد قال كنا نفرح بيوم الجمعة قيل ولم قال كانت لنا عجوز تاخذ
من اصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير فاذا صلينا الجمعة انصرفنا
فسلمنا عليها فتقدمه الينا فنفرح من اجله وعن الحسن انه كان لا يرى التسليم على الصبيان قال
لان الرد فرض والصبي لا يلزمه الرد فلا ينبغي ان يسلم عليهم وروي عن ابن سيرين انه
كان يسلم على الصبيان لكن لا يسمعهم وقال اكثر العلماء التسليم عليهم افضل من تركه وعن ثابت
انه كان يمشي مع انس فمر بصبيان فسلم عليهم وهذا من خلقه العظيم وفيه تدريب للصغير
وحرص على تعلم السنن ورياضة لهم على اداب الشريعة وحيث لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم
الرد لانه اتى بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه قوله ان الله كان على كل شيء حسيبا
الحسيب المحاسب على العمل والمكافي اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها ومكافيكم في جزاء
اعمالكم فهو وعد بالنسبة الى المطيعين ووعيد بالنسبة الى العاصين قوله تعالى
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا
قيل المقصود من قوله واذا حييتم بتحية الاية ان لا يصير المسلم مقتولا لاثم انه اكد
ذلك بالوعد والوعيد في قوله ان الله كان على كل شيء حسيبا ثم بالغ في تاكيد الوعد
والوعيد بهذه الاية فبين فيها ان التوحيد والعدل متلازمان فقوله لا اله الا هو
اشارة الى التوحيد وقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة اشارة الى العدل وهو كقوله شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط وكقوله في طه انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني واقم الصلوة لذكري وهو اشارة الى التوحيد ثم قال ان الساعة اتية اكاد اخفيها
لتجزى كل نفس بما تسعى وهو اشارة الى العدل وكذا في هذه الاية بين انه يجب في حكمه وحكمته
ان يجمع الاولين والاخرين في عرصة القيامة فينصف المظلومين من الظالمين ولا يخفى
انه وعد عظيم وتهديد شديد وقيل كانه تعالى يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا
سلامه واكرموه وعاملوه على الظاهر فان الباطن انما يعلمه الله الذي لا اله الا هو وانما
ينكشف بواطن الخلق للخلق يوم القيامة قوله لا اله الا هو اما خبر مبتدا واما اعتراض
والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه فيكون القسم مع

جوابه خبر المبتدا كما كان صلة الموصول في لمن ليبطئن وسميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم
او لقيامهم للحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهذه
الاية دالة على ان القيامة ستوجد وهو حق فان صحة النبوة غير مفتقرة الى اثبات القيامة فيمكن اثباتها
بالقران قوله ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار والمقصود منه بيان انه يجب
كونه تعالى صادقا وان الكذب والخلف في قوله محال لانه لو كان كاذبا لكان كذبه قديما فامتنع زواله
فامتنع كونه صادقا لان وجود احد الضدين يمنع وجود الضد الاخر لكن لا يمتنع كونه صادقا
لانا نعلم بالضرورة ان كل من علم شيئا فانه لا يمتنع عليه ان يحكم عليه بحكم مطابق للمحكوم عليه فامكان صدقه
حاصل فامتنع كذبه فيلزم القطع بكونه صادقا قال صاحب الكشاف ومن اصدق من الله حديثا
لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك لان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه
ووجه قبحه هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج
الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو
سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على
حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته
وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الغني الحكيم الذي
لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح **قوله تعالى** فما لكم
في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا نزلت الاية في اناس من قريش قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
فاسلموا واقاموا بها ثم ندموا على ذلك وارادوا الرجعة فقال بعضهم لبعض كيف نخرج لهيئة الكذا فان
فطن بنا قلنا خرجنا نتنزه وان غفل عنا مضينا فخرجوا الهيئة المتنزهين حتى تباعدوا ثم كتبوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان والتصديق بالله وبرسوله ولكنا
اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم
ما يمنعنا ان نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا وتركوا هجرتنا وظاهروا عدونا فنقتلهم وناخذ ما
معهم وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم ان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين حتى نزلت هذه الاية والايات بعدها فبين الله
تعالى للنبي شانهم وقيل نزلت في اناس خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا
فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي عنهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا نقتلهم
فنزلت فيهم هذه الاية وقيل كان وجد رجلان من قريش بمكة تكلما بالاسلام ولم يهاجروا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فلقيهما ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقبلين الى مكة وقال بعضهم ان دماءهما
واموالهما حلال وقال بعضهم لا يحل ذلك وتشاجروا فانزل الله الاية وقيل هم العرنيون الذين
اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم راعي غنمه وقيل هم ناس
ممن قد ضلوا واخذوا الاموال من اموال المشركين فانطلقوا بها الى اليمامة واختلف المسلمون
فيهم فنزلت هذه الاية وقيل هم قوم خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم ارتدوا وابعد
ذلك واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فاختلف المسلمون
فيهم فقائل يقول هم المنافقون وقائل يقول هم مومنون فبين الله عز وجل نفاقهم وقيل هم قوم
اظهروا الاسلام بمكة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم لم يهاجروا فاختلف المسلمون فيهم وقيل

ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين
باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم
فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون قوله فما لكم يا معشر المومنين في المنافقين فئتين فرقتين
فمحلل ومحرم ونصب فئتين على الحال كقولك ما لك قائما وقيل نصب فئتين على انه خبر صار اي
ما لكم صرتم في المنافقين فئتين ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم في شانهم
فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي اهلكهم ونكسهم وردهم الى الكفر وضلالهم بما
كسبوا اي بكسبهم غير الزكي يقال اركست الشيء وركسته اي نكسته ورددته قال صاحب الكشاف
اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما اكتسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم
وهذا صرف عن ظاهر الاية ليوافق معتقده الفاسد اتريدون ان تهدوا اي ترشدوا الى الهدى
من اضل الله قال ابن عباس اتريدون ان ترشدوا من لم يرشده الله اي يقولون هؤلاء مهتدون والله
اضلهم ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الجنة وقيل ومن يضلل الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا الى طريق
الهدى قال صاحب الكشاف من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك على تفسير الاول او خذله حتى ضل
على تفسير الثاني وهذا حمل لكلام الله على غير مراده تعالى بناء على اصله الفاسد **قوله تعالى**
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
او جاؤوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا لما قال في الاية المتقدمة اتريدون ان
تهدوا من اضل الله وكان ذلك استفهاما على سبيل الانكار قرر ذلك الاستبعاد بان قال انهم بلغوا في
الكفر الى هذه الغاية فكيف تطمعون في ايمانهم قوله ودوا اي تمنوا ان يصيروا ايها المسلمون
كفارا فاذا بلغوا في تعصبهم في الكفر الى هذه الغاية فكيف تطمعون في ايمانهم قوله ودوا اي تمنوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي شرعا واحدا في الكفر والضلال واتباع دين الاباء سواهم
كفارا فتكونون عطف على تكفرون اي ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء مثل
قوله ودوا لو تدهن فيدهنون اي ودوا لو تدهن وودوا لو يدهنون ومثله ود الذين
كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة اي ودوا لو تغفلون وودوا
لو يميلون ولا يجوز ان يجعل قوله فتكونون جواب التمني لان جواب التمني بالفاء منصوب قوله فلا
تتخذوا لما بين كفرهم وشدة غلوهم فيه امرهم بالبراءة منهم فقال فلا تتخذوا منهم اولياء اي لا توالوهم
فانهم اعداء لكم حتى يهاجروا هجرة صحيحة قيل هجرة ثانية وبيعة اخرى وقيل الهجرة على ثلاثة اوجه
اما هجرة المومنين في اول الاسلام فهي قوله عز وجل للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله واما هجرة المنافقين فهي الخروج في سبيل الله مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم صابرا محتسبا وهو قوله تعالى حتى يهاجروا في سبيل الله واما هجرة سائر المومنين
فهي ان يهاجروا ما نهى الله عنه قال صاحب الكشاف فلا تتخذوا منهم اولياء فلا تتولوهم وان امنوا
حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء
ولا تعرب اي ارتداد قوله فان تولوا عن التوحيد والايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة وقبول
حكم الاسلام فخذوهم بالاسر واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا تتولى

بتولي سيامن بهما تكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم اي وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية
والنصر فلا تقبلوا منهم قوله الا الذين يصلون قيل استثنا من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى
قوله يصلون ينتهون اليهم ويتصلون بهم اي يلجؤن الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد والمعنى ان من
دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم وقيل يصلون معناه ينتسبون
يقال وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه ورد هذا بان الانتساب لا اثر له في منع
القتال فان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول عليه السلام من جهة النسب وقد قاتلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل الا الذين استثنا من قوله ولا تتخذوا منهم
وهذا ليس بصحيح لان موالاة المشركين والمنافقين حرام بكل حال وقيل القوم الذين بين المومنين
وبينهم ميثاق هم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر
الاسلمي عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه
فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة
قوله او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى
قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا
الذين يصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم قال صاحب الكشاف والوجه العطف
على الصلة لقوله فان اعتزلوكم ولم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم
لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم ثم قال صاحب الكشاف فان قلت كل واحد من الاتصالين
له تاثير في صحة الاستثنا واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال
بالمكافين لان الاتصال بهولا او هولا دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون
قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز
ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام قوله حصرت صدورهم عن قتالكم
او كراهة ان يقاتلوكم وهو في موضع الحال باضمار قد وقيل صفة لموصوف محذوف على معنى
او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وعلى التقديرين حصرت في محل النصب اما على الاول فلانه حال
واما على الثاني فلانه صفة لموصوف منصوب على الحال الا انه حذف الموصوف المنتصب
على الحال واقيمت صفته مقامه وقيل هو بيان لجاؤكم فلا يكون المراد بالمجي هو المجي حقيقة
بل المراد يجيهم لهم عن القتال فاذا كفوا عن قتالهم فكانهم جاوهم وهولا الذين وصفوا
بضيق الصدر عن القتال هم بنو مدلج كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد ان لا يقاتلوه نهى الله عن قتل هولا المرتدين ان اتصلوا باهل عهد للمسلمين اما بحلف او جوار
لان من انضم الى قوم ذوي عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فلهم مثل حكمهم في حقن الدم
والمال قوله ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم قيل المعنى من آمن منهم وقيل معناه انهم
لا يقاتلونكم ولا يقاتلون قومهم معكم فيكونون لا عليكم ولا لكم وقيل او بمعنى الواو فكانه الى
قوم بينكم وبينهم ميثاق وجاؤكم ضيقة صدورهم عن قتالهم والقتال معكم وهم قوم
هلال الاسلميون وبنو بكر بن زيد مناة قال الامام اختلفوا في ان الذين استثناهم
الله من الكفار او من المومنين فقال الجمهور هم من الكفار والمعنى ان الله تعالى
اوجب قتل الكافر الا اذا كان معاهدا او كان تاركا للقتال فانه لا يجوز قتلهم وعلى

هذا

الرسول

وعلى هذا التقدير فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فانه يجوز قتله وقال
ابو مسلم الاصفهاني انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له عذر فقال الا الذين
يصلون وهم قوم من المومنين قصدوا الهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم من الكفار
مالم يجدوا طريقا اليه خوفا من اوليك الكفار فصاروا الى قوم بين المسلمين وبينهم عهد
واقاموا عندهم الى ان امكنهم الخلاص واستثنى بعد ذلك من صار الى الرسول ولا يقاتل
الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم اقاربه او لانه بقي اولاده وازواجه
عندهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده وازواجه فهذان الفريقان من المسلمين لا يحل قتالهم
وان كان لم يوجد منهم الهجرة ولا مقاتلة الكفار قوله ولو شا الله لسلطهم عليكم التسليط من
السلاطة وهي الحدة والمقصود ان الله تعالى من على المومنين بكف باس المعاهدين والمعنى ان
ضيق صدورهم عن قتالكم انما هو لان الله قذف في قلوبهم الرعب ولو ان الله تعالى قوى قلوبهم
على قتال المسلمين لتسلطوا عليهم وهذا يدل على انه لا يقبح من الله تسليط الكافر على المومن وتقويته
عليه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المومنين
قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شا لمصلحة من ابتلاء ونحوه لم يقذفه
فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط واللام في قوله لمصلحة يراها قوله
فلقاتلوكم اللام فيه جواب للو على التكرير او البدل على تاويل ولو شا الله لسلطهم عليكم ولو شا
الله لقاتلوكم قوله فان اعتزلوكم اي فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد
والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي حجة في قتالهم وسفك دمائهم وما اذن لكم في
اخذهم وقتلهم **قوله تعالى** ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم
كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم واوليكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا قيل هم اسد وغطفان
كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فلا يتعرضوا لهم ويامنوا قومهم
فلا يتعرضوا لهم يرضون المسلمين ويرضون قومهم عن ابن عباس هم بنو عبد الدار
وكانوا عدة الصعقة كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قوم الى الشرك او الى قتال
المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وعادوا اليه ومضوا عليه وكانوا شرا
في الفتنة من كل عدو ثم بين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم امرهم فقال فان لم يعتزلوكم
اي فان لم يكفوا ايديهم عن قتالكم ويعتزلوكم حتى يسيروا الى مكة ويلقوا اليكم السلم اي الاستسلام
والانقياد والصلح ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث
تمكنتم منهم واوليكم اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة
لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام وقيل اراد
تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم **قوله تعالى** وما كان لمومن ان يقتل
مومنا الا خطا ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة ودية مسلمة الى اهله
الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما لما رغب الله في قتال الكفار وحرض
عليها ذكر بعد ذلك ما يتعلق بهذا القتال فمنها انه تعالى لما اذن في قتال الكفار

بعضهم

فلا يبعد انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم تبين انه مسلم فقد ذكر الله حكم
قتل الخطا ليشمل هذه الواقعة وغيرها قيل نزلت هذه الاية في عياش بن ابي ربيعة المخزومي
وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه
الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم اي جبل او قلعة فقتل منه ابو جهل في الذروة
والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل
وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة اي بعدا عنها كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال
عياش للحرث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه
فحلفت لا تحل كتافه حتى يكفر بالذي آمن به ثم هاجر بعد ذلك ثم ان الحرث اسلم بعد ذلك فهاجر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا عياش
يسير بظهر قبا اذ لقي الحرث فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس ويحك اي شي صنعت انه قد اسلم
فاتى عياش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان من امري وامر الحارث
ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت هذه الاية قوله وما كان لمومن وما
صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها
وليس معنى قوله وما كان على النفي وانما هو على النهي والتحريم لقوله تعالى وما كان لكم ان توذوا
رسول الله ولو كان على النفي لما وجدت مومنا قتل مومنا قط ابتدا غير قصاص قوله
الا خطا قال الامام فيه قولان احدهما انه استثنا متصل وذكروا فيه وجوها منها ان
هذا الاستثنا ورد على طريق المعنى لان قوله وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا معناه
يواخذ الانسان على القتل الا اذا كان القتل خطا فانه لا يواخذ به ومنها ان الاستثنا صحيح
على ظاهر اللفظ ايضا والمعنى انه ليس لمومن ان يقتل مومنا البته الا عند الخطا وهو ما
اذا راى عليه شعار الكفار او وجده في عسكرهم فظنه مشركا فههنا يجوز قتله ولا شك
ان هذا خطا فانه ظن انه كافر مع انه لما كان كافرا ومنها ان في الكلام تقديما وتاخيرا
والتقدير وما كان لمومن ليقتل مومنا الا خطا ومثله ما كان لله ان يتخذ من ولد تاويله ما
كان الله ليتخذ من ولد لانه لا يحرم عليه شي انما ينفى عنه ما لا يليق به وايضا قال تعالى
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها معناه ما كان لكم لتنبتوا لان الله تعالى لم يحرم عليهم ان ينبتوا الشجر
انما نفى عنهم ان يمكنهم انباتها فانه تعالى هو القادر على انبات الشجر ومنها ان وجه الاشكال
في حمل هذا الاستثنا على الاستثنا المتصل هو ان يقال الاستثنا من النفي اثبات وهذا
يقتضي الاطلاق في قتل المومن في بعض الاحوال وذلك محال لان هذا الاشكال انما يلزم
اذا سلمنا ان الاستثنا من النفي اثبات وذلك مختلف فيه بين الاصوليين والصحيح انه لا يقتضيه
لان الاستثنا يقتضي صرف الحكم عن المستثنى لا صرف المحكوم به عنه واذا كان تاثير الاستثنا
في صرف الحكم فقط بقي المستثنى غير محكوم عليه لا بالنفي ولا بالاثبات وحينئذ يندفع الاشكال
ومما يدل على ان الاستثنا من النفي ليس باثبات قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور ولا نكاح
الا بولي ويقال لا ملك الا بالرجال ولا رجال الا بالمال والاستثنا في جملة هذه الصور
لا يفيد ان يكون الحكم المستثنى من النفي اثباتا ومنها قال ابو هاشم وهو احد روسا المعتزلة
تقدير الاية وما كان لمومن ان يقتل مومنا فيبقى مومنا الا ان يقتله خطا فيبقى حينئذ مومنا

قال والمراد ان قتل المومن للمومن يخرجه عن كونه مومنا الا ان يكون خطا فانه لا يخرجه عن كونه مومنا
وهذا ابنا على ان الفاسق ليس بمومن وهو اصل باطل وثانيها ان هذا الاستثنا منقطع بمعنى لكن ونظيره في القران
كثير قال تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة وقال والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
الا اللمم وقال لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وانتصاب قوله خطا بانه مفعول له اي ما
ينبغي لمومن ان يقتل مومنا لعلة من العلل الا للخطا وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى ما ينبغي لمومن ان يقتل
مومنا في حال من الاحوال الا في حال الخطا ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف والتقدير الا قتلا
خطا والمعنى ان من شان المومن ان ينتفي عنه وجود قتل المومن ابتدا البته الا اذا وجد منه خطا من غير
قصد مثل ان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم قوله ومن قتل مومنا خطا
قال الشافعي رضي الله عنه القتل على ثلثة اقسام عمد وشبه عمد وخطا اما العمد فهو ان يقصد الفعل المعقب
للتلف والشخص بما يقصد به الهلاك كثيرا ان كان جارحا او غالبا ان كان غير جارح وشبه العمد هو الذي
وجد فيه قصد الفعل والشخص لكن لا بما يهلك غالبا ان كان غير جارح ولا كثيرا ان كان جارحا والخطا ان لا
يقصد الشخص او لا يقصد الفعل مثال ما لم يقصد الفعل كان خر على صبي فمات مثال ما لم يقصد الشخص كما اذا
رمى الى الصيد فاصاب انسانا وقال ابو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطا وشبه عمد
فيكون داخلا تحت هذه الاية فيجب فيه الدية والكفارة ولا يجب فيه القصاص حجة الشافعي انه قتل
عمد عدوان فيجب فيه القصاص اما بيان انه قتل فيدل عليه القران والخبر اما القران فهو انه تعالى
حكى عن موسى انه وكز القبطي فقضى عليه ثم ان ذلك الوكز مسمى بالقتل بدليل انه تعالى حكى عن القبطي
انه قال في اليوم الثاني اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وكان الصادر عن موسى بالامس ليس الا
الوكز فثبت ان القبطي سماه قتلا وايضا ان موسى صلوات الله عليه سمى قتلا حيث قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واجمع المفسرون على ان المراد منه قتل ذلك القبطي بذلك الوكز
وايضا الله تعالى سماه قتلا حيث قال وقتلت منهم نفسا فثبت ان الوكز قتل واما الخبر فهو
قوله صلى الله عليه وسلم الا ان قتيل الخطا قتيل السوط والعصا فيه مائة من الابل فسماه قتيلا
واما انه عمد فالسابق فيه داخل في السفسطة فان من ضرب راس انسان بحجر الرحا او
صلبه او حرقه او خنقه ثم قال ما قصدت به قتله كان ذلك اما كاذبا او مجنونا واما انه
عدوان فلا نزاع فيه فيجب فيه القصاص بالنص والعقل اما النص فالايات والاخبار الدالة
على وجوب القصاص واما العقل فلان المقصود من شرع القصاص صيانة النفوس عن الاهدار
قال تعالى ولكم في القصاص حيوة واذا كان المقصود من شرع القصاص صون الارواح عن
الاهدار والاهدار في المثقل كما في المحدد كانت الحاجة الى شرع الزاجر في احدى
الصورتين كالحاجة اليه في الصورة الاخرى ولا تفاوت بين الصورتين في نفس الاهدار
انما التفاوت حاصل في آلة الاهدار والعلم الضروري حاصل بان ذلك غير معتبر
والكلام في الفقهيات اذا وصل الى هذا الحد فقد بلغ الغاية القصوى في التحقيق لمن
ترك التقليد احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم الا ان قتيل العمد الخطا قتيل السوط والعصا
فيه مائة من الابل وهو عام سواء كان السوط والعصا صغيرا او كبيرا والجواب
ان قوله قتيل الخطا يدل على انه لا بد وان يكون معنى الخطا حاصلا فيه وقد بينا ان من خنق
انسانا او ضرب راسه بقطعة جبل ثم قال ما كنت اقصد قتله يعلم كل عاقل ببديهة عقله انه
كاذب فوجب حمل هذا الضرب بالعصا الصغير حتى يبقى معنى الخطا فيه وقال ابو حنيفة

القتل العمد لا يوجب الكفارة وقال الشافعي يوجب احتج ابو حنيفه بهذه الايه فقال قوله ومن قتل
مومنا خطا فشرط كونه خطا لوجوب الكفارة وعند انتفا الشرط لا يحصل المشروط والذي يدل على
وجوب الكفارة الخبر والقياس اما الخبر فهو ما روى واثله بن الاسقع قال اتينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في صاحب لنا اوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه واما القياس
فهو ان الغرض من الاعتاق هو ان يعتقه الله من النار والحاجه الى هذا المعنى في القتل العمد
اتم فكانت الحاجة فيه الى ايجاب الكفارة اتم وذكر الشافعي حجة اخرى من قياس السنه فقال لما وجبت
الكفارة في قتل العمد في الحرم وفي الاحرام سوينا بين العامد والخاطي الا في الاثم فكذا في قتل
المومن ولهذا الكلام تاكيد اخر وهو ان يقال نص الله هناك على العامد واوجبنا على الخاطي فهاهنا
نص على الخاطي فبان نوجبه على العامد مع ان احتياج العامد الى الاعتاق المخلص له عن النار
اشد كان ذلك اولى قوله فتحرير اي فعليه تحرير رقبه والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم
لان الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه
اكرم موضع منه وهو الخد وقولهم للييم عبد وفلان عبد الفعل اي ليم الفعل والرقبه النسمه
كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد برقبه مومنه كل رقبه
كانت على حكم الاسلام فيجزي الصبي اذا كان احد ابويه مسلما فان قوله من قتل مومنا خطا يدخل
فيه الصغير فكذا في قوله فتحرير رقبه مومنه وعن ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا تجزي الرقبه
الا اذا صام وصلى فانه تعالى اوجب تحرير رقبه مومنه والمومن من يكون موصوفا بالايمان
والايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات فالكل فايت عن الصبي
فلم يكن مومنا فلا يجزي وقيل لما اخرج نفسا مومنه عن جملة الاحيا لزمه ان يدخل نفسا مثلها
في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيايها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار
والظاهر من مذهب الشافعي انه يجزي اعتاق رقبه ذكرا او انثى صغيرا او كبيرا سالما مضعف بالهرم
مومنه ولو بتبعية الدار او السابي سليمه عما يخل بالعمل كالهرم والعمى والجنون المطبق
او الغالب كاملة الرق فلا يجزي المستولده ومن بعضه حر بلا شوب عوض ولو اعتقها دفعتين
ولو غصب وكذا المرهون وكذا الجاني على غيره وكذا المريض مرضا مرجو البر وكذا الاخرس
وكذا لو قطعت اصابع رجليه وكذا لو قطع من اصابع يده انمله واحده لا ان قطعت من الابهام
وكذا ان قطعت خنصر من يد وبنصر من اخرى لا ان قطعتا من يد واحده وكذا لا يجزي الجنين
فانه غير متيقن حيوته وكذا لا يجزي صحيح الكتابه وكذا لا يجزي منقطع الخبر ويشترط نية الكفارة
مقترنه بالاعتاق لا تعيينها فلو كانت عليه كفارتان كفارة القتل وكفارة الوقاع واعتق عبدا
بنية الكفارة من غير تعيين كونه عن كفارة القتل او الوقاع اجزاه عن احدهما ولا يجب التعيين فان
اخطا في التعيين كما اذا كان عليه كفارة القتل فنوى كفارة الوقاع عمدا او سهوا لم يجز ذلك
الاعتاق عن كفارة القتل قوله ودية الدية من الودى كالشية من الوشي والاصل ودية
فحذفت الواو يقال ودى فلان لفلان اذا ادى ديته ثم ان الشرع خصص هذا اللفظ
بما يودى في بذل النفس دون ما يودى في بذل المتلفات ودون ما يودى في بذل
الاطراف والاعضا قوله مسلمه الى اهله اي موداه الى ورثة المقتول يقتسمونها كما
يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين ساير التركه في كل شي يقضى منها الدين وتنفذ الوصيه
واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال صلى الله عليه

وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجات امراته
تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيا انما الديه للعصبه الذين يعقلون عنه فقام
الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث
امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث
من الديه غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الديه دين ولا تنفذ وصيه وعن ربيعة الغرة لام
الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعه والديه في الخطا الغير ذي رحم اي محرم بالقرابه في
غير مكه وغير الشهر الحرام ذي القعده وذي الحجه والمحرم ورجب مخففة خمسه عشرون بنات
مخاض وعشرون بنات لبون وعشرون بنو لبون وعشرون حقه وعشرون جذعه وابو حنيفه
اوجب بني مخاض بدلا عن بنات لبون والديه في قتل شبه العمد مغلظه مثلثه ثلثون حقه وثلثون
جذعه واربعون خلفه في بطونها اولادها بقول عدلين من اهل البصره والخبره اذا لم يصدق المستحق
الجاني فيه فان اخطا اهل الخبره والمستحق في تصديق الجاني في كونها خلفه تدارك المودي اذا ماتت
عند المستحق بان يعطي مكانها خلفه ويضمن المستحق ما اخذ منه فاما ان لم يمت ردها اليه واخذ
الخلفه مكانها يوخذ في دية الخطا وشبه العمد موجله في اخر كل سنه من الموت قدر ثلث المايه
من مالك فاضل عن حاجته شي عند اخر السنه ربع دينار ومن مالك عشرون دينارا
فاضلا عن حاجته شي نصف دينار من اولياء النكاح لو فرض الجاني امراه من العقل الى الفوت احترازا
عمن لم يكن وليا عند الموت كما اذا كان صبيا او مجنونا او رقيقا او كافرا عند الفعل او عند اخر
السنه او بينهما فانه لا يوخذ منه شي واذا كان ولي النكاح هو القاضي لم يوخذ منه ويفرض
الفاسق وليا ويوخذ منه ترتيبهم اي يوخذ من اولياء النكاح ترتيبهم ان وفوا بالواجب
فان لم يفوا به لقلتهم او كثرة الواجب يوخذ ممن هو بعدهم في الولايه ايضا وبعصبه الجاني مانعه
من تحمل العقل بخلاف النكاح فان الشيوع هناك غير مانعه من الولايه وان لم يكن موجبه
لها فلا يتحمل اصول الجاني وفروعه العقل وكذلك بعصبه المعتق مانعه من تحمل العقل لان عمر
رضي الله عنه اخذ عقل موالي صفيه بنت عبد المطلب من ابن اخيها علي رضي الله عنه
ولم يوخذ من ابنها الزبير واذا اشترك جماعه في عتق واحد وجنى العتيق خطا تحمل جميع
الشركا تحمل الشخص الواحد حتى لو كانوا اغنيا اشتركوا في تحمل نصف الدينار وان كانوا متوسطين
اشتركوا في تحمل ربع الدينار وان كانوا مختلفين تحمل الاغنيا ما يخصهم من نصف الدينار لو كان
الكل اغنيا وتحمل المتوسطون ما يخصهم من الربع لو كان الكل متوسطين وكل واحد من عصبه كل
معتق كذلك المعتق فلو اعتق واحد ومات وله اخوة تحمل كل اخ ما كان يتحمله لو كان حيا ولو
اعتق جماعة واحدا ومات احد وله اخوة وتحمل كل اخ ما كان يتحمله لو كان حيا من
حصة النصف او الربع ويتحمل الذمي عن الذمي وان اختلفت ملتاهما ولا يتحمل الحربي عن
الذمي وان اتفقت ملتاهما ويتحمل عن الذمي وبالعكس ولا يتحمل الذمي عن المسلم ولا المسلم
عن الذمي ولو لم يوجد للجاني احد من اولياء النكاح او كانوا معسرين او فضل عنهم شي من
واجب كل سنه اخذ من بيت المال ولكن انما يوخذ منه اذا كان الجاني مسلما فان لم يكن مسلما
اخذ من الجاني لا من بيت المال ثم يوخذ الديه للمسلم بعد فقدان بيت المال من الجاني اذا
كان مسلما وفي الذمي بعد فقدان اولياء النكاح يوخذ من الجاني كما ان جحدت العاقله اي
يوخذ الديه من الجاني مع وجود اولياء النكاح وبيت المال حيث اعترف بالقتل الخطاء

وشبهه وانكرت العاقلة وحلفوا على نفي العلم بما اقر الجاني به لان توخذ الدية موجلة كما توخذ من العاقلة والدية في العمد المحض مغلظة مثلثة معجلة من الجاني من غالب ابل البلد ان لم يكن له ابل ومن ابله ان كان له ابل فان لم يكن في البلد غالب فالخيرة الى المعطي وان تنوع ابله اخذ منه بالقسط الا ان رضي بالاشرف فيجبر المستحق على اخذه والمراد الغالب من الاصناف وهي الارحبية والمهرية والعراب والبخاتي ونحوها ولا يوخذ من المعيب ثم اقرب بلد اي يوخذ من غالب اقرب بلاد اليه ان لم يكن له ابل ولا في بلده ابل ثم القيمة اي ان لم يكن له ابل ولا في بلده ابل ولا في اقرب البلاد اليه يوخذ قيمة يوم وجوب التسليم في مكان الاعواز الذي لو وجد فيه لزمه تسليمه وقيل اذا لم يوجد الابل فالواجب اما الف دينار او اثنا عشر الف درهم وعند ابي حنيفة الواجب عشرة الف درهم وقيل الدية واجبة على القاتل فان قوله تعالى فتحرير رقبة مومنة ودية يدل على ايجاب التحرير وايجاب الدية على شخص واحد وهو القاتل والعاقلة لم يصدر منهم جناية ولا ما يشبه الجناية فوجب ان لا يلزمهم شي لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها وقوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت والقائلون بان الدية على العاقلة في الخطا وشبه العمد تمسكوا فيه بالخبر والاثر اما الخبر فما روى المغيرة ان امراة ضربت بطن امراة اخرى فالقت جنينا ميتا فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاقلة الضاربة بالغرة فقام حمل بن مالك وقال كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا من سجع الجاهلية واما الاثر فهو ان عمر قضى على علي رضي الله عنهما بان يعقل عن موالي صفية بنت عبد المطلب حين جنى مولاها وعلي كان ابن اخي صفية بنت عبد المطلب وقضى للزبير بميراثها وشاع وذاع ولم ينكر عليه احد ومذهب اكثر الفقها ان دية المراة نصف دية الرجل وقيل ديتها مثل دية الرجل وحجة الاكثر ان عمر وعليا وابن مسعود رضي الله عنهم قضوا بذلك وان المراة في الميراث والشهادة على النصف من الرجل فكذلك في الدية وحجة غير الاكثر ان قوله تعالى ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة ودية مسلمة الى اهله والاجماع على ان هذه الاية دخل فيها حكم الرجل والمراة فوجب ان يكون الحكم فيهما ثابتا بالسوية قوله تعالى الا ان يصدقوا اي الا ان يتصدقوا عليه بالدية فيعفو ويتركوا الدية ومعنى التصدق ههنا العفو لان ذلك اسقاط الحق واسقاط الحق يسمى عفوا لقوله تعالى الا ان يعفون وان يتصدقوا يجوز ان يكون متعلقا بعليه المحذوف عند قوله فتحرير رقبة كانه قيل وعليه دية الا حين يتصدقون عليه ويجوز ان يكون متعلقا بقوله مسلمة كانه قيل يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحل ان يصدقوا النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان ويجوز ان يكون حالا من اهله والمعنى يجب الدية عليه في كل حال الا في حال التصدق عليه قوله وان كان من قوم عدو لكم وهو مومن اي من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطا وليس على عاقلته لاهله شي لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم يظنونه كافرا مثلهم قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي من قوم كفرة بينكم وبينهم عهد كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فدية مسلمة الى اهله فيقتل دية كدية المسلم قال ابن عباس والشعبي والنخعي المقتول من اهل العهد خطا لا يبالي مومنا كان او كافرا على عهد قومه فيه الدية

كدية المومن وعضدوا هذا بما رواه محمد بن اسحق عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قصة قريظة والنضير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ديتهم سوا كدية دية كاملة وقيل هذا حديث فيه لين وليس في مثله حجة وقيل هي على النصف من دية المسلم ودية المجوسي ثمان مائة درهم ودية نسائهم على النصف من ذلك وهو قول مالك واصحابه وروي هذا القول عن عمر بن عبد العزيز وعروة بن الزبير وعمرو بن شعيب وبه قال احمد بن حنبل وهذا المعنى قد روى فيه سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش ابن ابي ربيعة عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل دية اليهودي والنصراني على النصف من دية المسلمين وعبد الرحمن هذا قد روى عنه الثوري ايضا وقيل دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلث خمس دية المسلم وبه قال الشافعي وحجته انه اقل ما قيل فهو ثابت بالاجماع والزائد غير متحقق فان الذمة بريه بالاصل روى هذا عن عمر وعثمان وبه قال ابن المسيب وعطا والحسن وعكرمة وعمرو بن دينار وابو ثور واسحق قوله وتحرير رقبة قدم تحرير الرقبة على الدية في الاية الاولى وبالعكس ههنا فان ايجاب الكفارة بالنسبة الى المومن اولى من الدية وبالعكس بالنسبة الى الكافر قوله تعالى فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين حتى لو افطر يوما وجب الاستيناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس وعن الشعبي ان صيام شهرين بدل عن مجموع الكفارة والدية وحكى هذا القول عن مسروق قوله توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته بمعنى شرع توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه قال الامام قوله توبة من الله انتصب بمعنى ما تقدم كانه قيل اعلموا ان ما اوجبه الله لاجل التوبة من الله اي ليتقبل الله توبتكم وهذا كما يقال فعلت ذلك حذر الشر فان قيل قتل الخطا لا يكون معصية فما معنى قوله توبة من الله قلنا فيه وجوه الاول ان فيه نوعا من التقصير فان الظاهر انه لو بالغ في الاحتياط لما صدر عنه ذلك الفعل الا ترى ان من قتل مسلما على ظن انه كافر حربي فلو انه بالغ في الاحتياط والاستكشاف فالظاهر انه ما وقع ومن رمى الى صيد فاخطا واصاب انسانا فلو احتاط ولا رمى الا في موضع يقطع بانه ليس هناك انسان فانه لا يقع في تلك الواقعة فقوله توبة من الله تنبيه على انه كان مقصرا في ترك الاحتياط الثاني ان قوله توبة من الله راجع الى انه تعالى اذن له في اقامة الصوم مقام الاعتاق عند العجز عنه وذلك لان الله تعالى اذا تاب على المذنب فقد خفف عنه فلما كان التخفيف من لوازم التوبة اطلق لفظ التوبة لارادة التخفيف اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم الثالث ان المومن اذا اتفق له مثل هذا الخطا فانه يندم ويتمنى ان لا يكون ذلك مما وقع فسمى الله ذلك الندم وذلك التمني توبة ثم قال تعالى وكان الله عليما حكيما اي عليما بانه لم يقصد ولم يتعمد حكيما بانه ما واخذ بذلك الفعل الخطا فان الحكمة تقتضي ان لا يواخذ الانسان الا بما يتعمد ويختار قوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما ذكر حكم القتل الخطا ذكر بعده حكم القتل العمد وله احكام مثل وجوب القصاص والدية وقد ذكر تعالى ذلك في سورة البقرة واقتصر ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد نزلت هذه الاية في مقيس بن صبابة الكناني وذلك انه وجد اخاه هشام بن صبابة قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل

معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا من بني فهر فقال له ائت بني النجار فاقرئهم
مني السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابه
ان تدفعوه الى مقيس بن صبابه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم
الفهري ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعا وطاعه لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا
ولكنا نودي ديته قال فاعطوه مائه من الابل ثم انصرفوا راجعين نحو المدينه وبينهما وبين
المدينه قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شي صنعت تقبل دية اخيك فيكون
عليك مسبه اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الديه فقتل مقيس الفهري فرماه
بصخره فشدخ راسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكه كافرا فجعل يقول في شعره
قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت
موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت فيه الايه اختلف الناس في حكم هذه الايه
فقالت الخوارج والمعتزله انها نزلت في المومن اذا قتل مومنا وهذا الوعيد لاحق به وقالت
المرجيه انها نزلت في كافر قتل مومنا فاما المومن اذا قتل مومنا فانه لا يدخل النار وقالت طايفه
من اصحاب الحديث انها نزلت في مومن قتل مومنا والوعيد عليه ثابت الا ان يتوب او يستغفر
وقالت طايفه منهم كل مومن قتل مومنا فهو خالد في النار غير مويد ويخرج منه بشفاعة الشافعين
وزعمت طايفه ان لا توبه لمن قتل مومنا متعمدا وعند اهل السنه والجماعه ان المومن اذا قتل
مومنا متعمدا فانه لا يكفر بقتله ولا يخرج به الايمان الا اذا فعل ذلك على وجه الاستحلال والديانه
فاما اذا لم يفعله على وجه الاستحلال والديانه فان اقيد ممن قتله فذلك كفاره له وان
كان تائبا من ذلك ولم يكن متقادا ممن قتل كانت التوبه ايضا كفاره له وان خرج من الدنيا
بلا توبه ولا قود فامره الى الله ان شا غفر وارضى خصمه باشا وان شا عذبه على فعله ثم يخرجه
بعد ذلك الى الجنه التي وعده بايمانه لان الله لا يخلف له وعدا وترك المجازاه بالوعد يكون
خلفا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وترك المجازاه بالوعيد يكون تفضلا والذي يدل على
ان المومن لا يصير بقتل المومن كافرا ولا خارجا به عن الايمان ان الله تعالى حين ذكر ايات
ايجاب القصاص سمى القاتل مومنا بقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
والقصاص لا يكون الا في قتل العمد فسماهم مومنين واخا بينهم بقوله فمن عفي له من اخيه شي
ولم يرد به الا اخوة الايمان والكافر لا يكون اخا للمومن ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمه
ولا يلحق ذلك الكفار وبقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوه فخاطب القاتلين كما
خاطب المصلين فلو كان القتل يخرجهم عن الايمان لما جاز مخاطبتهم به ولذلك قال الله وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا الايه واقتتال الطايفتين كان على العمد لا على الخطا وما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يبايع اصحابه على ان لا يشركوا بالله شيا ولا يقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وعلى
ما في القران من بيعة النسا ثم يقول بعد ذلك فمن فعل من ذلك شيا فاقيم عليه الحد فهو كفارة له
ومن ستر عليه فامره الى الله ان شا غفر له وان شا عذبه وروي ان مومنا قتل مومنا متعمدا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يامر القاتل بالايمان من فعله ولو كان كافرا او خارجا من
الايمان لامره او لابا لايمان وقال لطالب الدم اتعفو قال لا ثم قال اتاخذ الديه قال لا
فامر بقتله ثم اعاد عليه مرتين او ثلثا حتى قبل الديه ولم يحكم على القاتل بالكفر ولو كان ذلك
كفرا لبينه رسول الله لان ذلك رده تحرم بها اهله عليه ولم يجز على رسول الله صلى الله

عليه الله

عليه وسلم الاغفال لانه الناصح الشفيق المبعوث بالتاديب والتعليم وقد روي عن النبي صلى الله
وسلم انه قال ثلث من اصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الاسلام
بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال والايمان بالاقدار ودليل اخر
على ان القاتل لا يصير كافرا بالقتل هو ان الكفر هو الجحود والابا والشرك والقاتل لم يجحد
ولم ياب قبول الفرايض ولا اضاف الى الله شريكا استدلت الوعيديه بهذه الايه في امرين
احدهما على القطع بوعيد الفاسق والثاني على خلوده في النار وقد استقصينا في تقرير كلامهم
والجواب عنه في تفسير قوله في سورة بلى من كسب سيه قال الواحدي ان الاصحاب سلكوا
في الجواب عن هذه الايه طرقا كثيره وانا لا ارتضي شيا منها لان الذي ذكروه اما تخصيص
واما معارضه واما اضمار واللفظ لا يدل على شي من ذلك قال والذي اعتمده وجهان الاول
اجماع المفسرين على ان الايه نزلت في كافر قتل مومنا ثم ذكر تلك القصه الثاني ان قوله فجزاوه
جهنم معناه الاستقبال والتقدير انه سيجزيه جهنم وهذا وعيد وخلف الوعيد كرم وعندنا
يجوز ان يخلف الله وعيد المومنين قال الامام هذا حاصل كلامه الذي زعم انه خير مما قاله غيره
واقول اما الوجه الاول فضعيف لانه ثبت في اصول الفقه ان العبره بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وحكى القفال في تفسيره وجها اخر في الجواب فقال الايه تدل على ان جزا القتل
العمد هو ما ذكر لكن ليس فيها انه تعالى يوصل هذا الجزا اليه ام لا وقد يقول الرجل لعبده
جزاوك ان افعل بك كذا وكذا الا اني لا افعله قال الامام وهذا الجواب ايضا ضعيف لانه
ثبت بهذه الايه ان جزا القتل العمد هو ما ذكر وثبت بساير الايات انه تعالى يوصل الجزا الى المستحق
قال تعالى من يعمل سوا يجز به وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقال ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
بل انه تعالى ذكر في هذه الايه على انه يوصل اليهم هذا الجزا وهو قوله واعد لهم عذابا عظيما فالبيان
ان هذا جزاوه حصل بقوله فجزاوه جهنم خالدا فيها فلو كان قوله واعد لهم عذابا عظيما اخبارا
عن الاستحقاق كان تكرارا فلو حملناه على الاخبار عن انه تعالى سيفعل لم يلزم التكرار
فكان ذلك اولى واعلم انا نقول هذه الايه مخصوصه في موضعين احدهما ان يكون القتل
العمد غير عدوان كما في القصاص فانه لا يحصل به هذا الوعيد البته والثاني القتل العمد العدوان
اذا تاب عنه لا يحصل فيه هذا الوعيد واذا ثبت دخول التخصيص فيه في هاتين الصورتين
فيجي تخصيص هذا العموم فيما اذا حصل العفو بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
وايضا هذه الايه احدى عمومات الوعيد وعمومات الوعد اكثر من عمومات الوعيد وما ذكروه
في ترجيح عمومات الوعيد قد اجبنا عنه وبينا ان عمومات الوعد راجحه قال صاحب الكشاف
هذه الايه فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن
ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المومن عمدا غير مقبوله وعن سفيان كان اهل العلم اذا سيلوا
قالوا لا توبة له وان قتل بالقصاص وذلك محمول منهم على الاقتدا بسنة الله في التغليظ والتشديد
والا فكل ذنب ممحو بالتوبه وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من
قتل امري مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان
بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مسلم بشطر كلمه جا يوم القيامه مكتوب بين
عينيه ايس من رحمة الله قال والعجب من قوم يقرون هذه الايه ويرون ما فيها ويسمعون هذه
الاحاديث العظيمه وقول ابن عباس بمنع التوبه ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغه واتباعهم هواهم

وما تخيل اليه منا بهم ان يطيعوا في العفو عن قاتل المومنين بغير توبه افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبه في قتل الخطا لما عسى يقع من نوع تفريطه فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حيوة لمن ينادي ولقايل ان يقول الله تعالى اكرم من ان يجمع من يوحده ومن يحلد في العذاب الدايم وقد وعد بانه يغفر ما دون الشرك لمن يشا ومن اوفى بعهده من الله وان رغم انف المتجبر واسعا قال صاحب الكشاف فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيه وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تايب او غير تايب الا ان التايب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التايب فليات بدليل مثله ولقايل ان يقول ذ لا يليه اكثر من ان تحصى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومنها قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والحديث المشهور المذكور وان زنى وسرق وان رغم انف ابي ذر **قوله تعالى** يايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مومنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل المقصود من هذه الايه المبالغه في تحريم قتل المومن وامر المجاهدين بالتثبت فيه لئلا يسفكوا دما حراما بتاويل ضعيف مبني على ظن وهذه الايه داله على ان الايه المتقدمه خطاب مع المومنين قرا حمزه والكساي فتثبتوا وكذا في الحجرات من حيث بيانا والباقون بالنون من البيان والمعنيان متقاربان وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه اي لا تدخلوا فيه من غير رويه والضرب في الارض المسير فيها بالسفر للتجاره والجهاد واصله من الضرب باليد وهو كنايه عن الاسراع في السير **قوله** لمن القى اليكم السلام قرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وحفص عن عاصم والكساي السلام بالف مع فتح السين ونافع وابن عامر وحمزه وخلف وحبله عن المفضل عن عاصم السلم بفتح السين واللام من غير الف وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحيه اهل الاسلام وابان بن يزيد عن عاصم بكسر السين واسكان اللام من غير الف والسلم الصلح في سبب نزول هذه الايه اقوال قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سريه فيها المقداد ابن الاسود فلما اتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال اشهد ان لا اله الا الله فقتله المقداد فقال يا مقداد اقتلت رجلا قال لا اله الا الله فكيف لك بلا اله الا الله غدا فنزلت هذه الايه وقيل ان رجلا من بني سليم مر على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا اما سلم عليكم الا ليتعوذ فعمدوا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا به رسول الله فنزلت هذه الايه وقيل ان قوما من اهل مكه سمعوا بسريه لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها تريدهم فهربوا واقام رجل منهم يقال له مرداس وكان على السريه رجل يقال له غالب بن فضاله فلما راى مرداس الخيل كبر ونزل فسلم عليهم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه ورجعوا الى النبي عليه السلام فاخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا ونزلت هذه الايه وقيل كان اسامه امير السريه وقيل ان رسول الله بعث ابا حدرد الاسلمي وابا قتاده ومحلم بن جثامه في سريه الى اضم فلقوا عامر بن الاضبط الاشجعي فحياهم بتحيه الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه بعيرا وسقا فلما قدموا على النبي اخبروه فقال اقتلته بعدما قال امنت ونزلت هذه الايه **قوله** يبتغون يطلبون الغنيمه التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوهم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه قوله

فعند

فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله قيل هي ثواب الجنه وقيل هي ابواب الرزق في الدنيا قوله كذلك كنتم من قبل هذا يقتضي تشبيه هولا المخاطبين باوليك الذين القوا السلم وليس فيه بيان ان هذا التشبيه فيما ذا وقع فلهذا ذكر المفسرون فيه وجوها قيل المراد اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهاده فحصنت دماكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامه والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافه ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقا والقتل لا لصدق النيه فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهم الله وقيل المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم كما يخفي هذا المقتول ايمانه عن قومه ثم من الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم فانتم عاملوهم بمثل هذه المعامله وقيل المراد كذلك كنتم من قبل الهجره حين كنتم فيما بين الكفار تامنون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة لا اله الا الله فاقبلوا منهم ذلك وقيل ان من ينتقل عن دين الى دين ففي اول الامر يحدث ميل قليل بسبب ضعيف ثم لا يزال ذلك الميل يتاكد ويتقوى الى ان يكمل ويستحكم ويحصل الانتقال فكانه قيل لهم كنتم في اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفه الى الاسلام ثم من الله عليكم بتقوية ذلك الميل بتاكيد النفره عن الكفر فكذا هولا لما حدث فيهم ميل ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم هذا الايمان فان الله يولد حلاوة الايمان في قلوبهم ويقوي تلك الرغبه في صدورهم قوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليوكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك والمراد به الوعيد والزجر عن الاظهار بخلاف الاضمار **قوله تعالى** لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما قيل انه تعالى لما رغب في الجهاد اتبع ذلك ببيان احكام الجهاد منها تحذير المسلمين عن قتل المسلمين وبيان حال من قتلهم على سبيل الخطا كيف وعلى سبيل العمد كيف وعلى سبيل تاويل الخطا كيف فلما ذكر ذلك الحكم اتبعه بحكم اخر وهو فضل المجاهد على غيره وهو هذه الايه وقيل لما عاتبهم الله على ما صدر منهم من قتل من تكلم بكلمة الشهاده ذكر عقيبه فضيلة الجهاد كانه قيل من اتى بالجهاد فقد فاز بهذه الدرجه العظيمه عند الله فليحترز صاحبها من تلك الهفوه لئلا يختل منصبه العظيم في الدين بسبب هذه الهفوه وقيل لما عاتبهم الله على ما صدر منهم من قتل من تكلم بكلمة الشهاده فلعله يقع في قلوبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد لئلا نقع بسببه مثل هذا المحذور فلا جرم ذكر الله عقيبه هذه الايه وبين فيها فضل المجاهد على غيره وهو هذه الايه قيل لما ذكر الله فضيلة المجاهدين على القاعدين ورغبهم في الجهاد اتاه عبد الله بن مكتوم وعبد الله بن جحش ولسن الاسدي وهما اعميان فقالا يا رسول الله ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين وامر بالجهاد وحالنا على ما ترى ونحن نشتهي الجهاد فهل لنا من رخصه فنزل غير اولي الضرر في البصر فجعل لهم من الاجر ما للمجاهدين لزمانتهم وقيل لما نزل لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله قال ابن ام مكتوم اللهم انزل عذري فنزل غير اولي الضرر فوضعت بينهما فكان بعد ذلك يغزو ويقول ادفعوا الي اللوا واقيموني بين الصفين فاني لا استطيع ان افر وروي عن زيد بن ثابت قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي وقد املى علي لا

يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
وحمزة غير برفع الراء ونافع وابن عامر والكسائي بنصبها وقرئ بالجر فالرفع صفة للقاعدون والنصب
استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمومنين والفائدة في نفي الاستواء مع العلم بان القاعد بغير
عذر والمجاهد لا يستويان الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف القاعد ويترفع
بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهب به الى التعلم ولينهض بنفسه
عن صفة الجهل الى شرف العلم قوله فضل الله المجاهدين لا محل لها من الاعراب فانه جمله
مستانفه موضحه لحال المجاهدين باموالكم وانفسهم مع القاعدين اولي الضرر كانه قيل
ما حال المجاهدين مع اولي الضرر في الاستواء وعدمه فقيل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين اولي الضرر يعني اهل العذر درجة لان المجاهدين باموالهم وانفسهم
مباشرون للطاعه فلهم فضيله على القاعدين اولي الضرر وان كانوا هم على نية الجهاد
وفضل قوله درجه منصوبه لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيله ونظيره
قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربه قوله وكلا فريق من المجاهدين باموالهم وانفسهم والقاعدين
اولي الضرر والمعذورين وعد الله الحسنى اي الجنه وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين
اولي الضرر درجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينه اقواما ما سرتم مسيرا ولا
قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد
وبهم ما منعهم من المسير من الضرر قوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما لما نفي
استواء القاعدين غير اولي الضرر والمجاهدين على الاطلاق وفضل المجاهدين على القاعدين
اولي الضرر درجه اراد ان يبين تفضيل المجاهدين على القاعدين غير اولي الضرر على سبيل
التعيين اي فضل الله المجاهدين على القاعدين غير اولي الضرر اجرا عظيما والمجاهدون
مفضلون على القاعدين غير اولي الضرر بدرجات يعني منازل بعضها اعلى من بعض من
منازل الكرامه قيل سبعون درجه ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا
وقيل فضلوا بسبع مائة درجه وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنه
مائة درجه اعدها الله للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السما والارض وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج من بيته الا جهادا في سبيله وتصديق كلمته
بان يدخله الجنه او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة قوله اجرا منصوب
بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا قوله درجات منه ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان تنتصب درجات
نصب درجه كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما
على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها او انتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر
لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما للفريقين جميعا للمجاهدين والقاعدين قوله
تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان
يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا لما ذكر الله تعالى ثواب المجاهدين اتبعه بعقاب من
قعد عن الجهاد ورضي بالسكون في دار الحرب قوله توفاهم يجوز ان يكون ماضيا

فيكون الاية اخبارا عن حال اقوام متعينين انقرضوا ومضوا ويجوز ان يكون مستقبلا والتقدير
تتوفاهم فحذفت احدى التائين فتكون الاية عامه في حق كل من كان بهذه الصفه قيل نزلت الاية في ناس
من اهل مكه تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس ابن الفاكه بن المغيرة وقيس ابن الوليد ابن المغيرة واشباههما
اظهروا الايمان واسروا النفاق فلما كان يوم بدر خرجوا مع المشركين الى حرب المسلمين فلما التقى الناس راوا قلة
المسلمين قالوا غر هولاء دينهم فقتلوا يوم بدر فضربت الملائكه وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما ذكر الله
سبحانه وهو قوله فيم كنتم قيل معناه تقبض الملائكه ارواحهم عند الموت ولا تنافي قوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها وقوله الذي خلق الموت والحيوة وقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقوله قل
يتوفاكم ملك الموت فان الله تعالى خالق الموت والمفوض اليه الموكل به ملك الموت وساير الملائكه اعوانه
وقيل توفاهم الملائكه يعني يحشرونهم الى النار قوله ظالمي انفسهم بالمقام في دار الشرك وترك الهجرة
الى دار الاسلام في محل النصب على الحال اي توفاهم الملائكه في حال ظلمهم انفسهم قوله قالوا اي قال
الملائكه للمتوفين فيم كنتم في اي شي كنتم من امر دينكم اي اكنتم في المشركين او في المسلمين وهذا سوال
توبيخ وتعيير وقالوا فيم كنتم خبر ان اي قالوا لهم فيم كنتم فحذف لهم لدلالة الكلام عليه وقيل خبر ان قوله
فاولئك ماويهم جهنم وقيل ان الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر الهلاك بقوله قالوا فيم كنتم فاعتذروا
بالضعف عن مقاومة اهل الشرك وهو قوله تعالى قالوا كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكه
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم
وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شي قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شي من
الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا فيما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف
وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شي ولم يهاجروا فحاجتهم الملائكه وبكتوهم بقولهم الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها اي انكم كنتم قادرين على الهجرة من مكه الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من دينكم ومن الهجرة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشه فاقمتم بين الكفار لا للعجز عن
الهجرة بل مع التمكن منها فلا جرم ذكر الله وعيدهم فقال اولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا قال صاحب
الكشاف وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب
والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العباده حقت
عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجبت له الجنه وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى من اهل الوعيد
المستضعفين من الارض الرجال والنساء والولدان الذين اقعدهم عن الهجرة الضعف قال ابن عباس
هم ناس من المسلمين كانوا بمكه لا يستطيعون ان يخرجوا منها فيهاجروا فعذرهم الله فهم اولئك قال كنت
انا وامي ممن عذر الله لا يستطيعون حيله اي لا يقدرون على حيله في الخروج من مكه لفقرهم وعجزهم
ولا يهتدون سبيلا لا يعرفون طريقا الى المدينه دار الهجرة روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث بهذه الاية الى مسلمي مكه فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست
من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليله بمكه فحملوه على سرير متوجها الى المدينه
وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قيل كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من الوعيد فان
الاستثناء انما يحسن لو كانوا مستحقين للوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيله واهتدوا سبيلا
اجيب بان سقوط الوعيد انما كان بسبب العجز والعجز تارة يحصل بسبب الفقر وعدم الاهبه وتارة يكون
بعدم الاهتدا الى الطريق وتارة بسبب الصبى فلا يتوجه على الولدان وعيد لان العجز متمكن فيهم

لا ينفكون عنه فحسن استثناء الولدان ايضا هذا اذا اريد بالولدان الاطفال وقيل يجوز ان يراد بالولدان المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيتوجه التكليف نحوهم فيما بينهم وبين الله وقيل اريد بالولدان العبيد والاماء البالغون فلا سؤال قوله لا يستطيعون صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان لا يقال لا يجوز ذلك لان المستضعفين والرجال والنساء والولدان معارف وقوله لا يستطيعون جملة والجملة نكرة والنكرة لا يجوز ان يكون صفة للمعرفة فيه لانا نقول المستضعفين والرجال والنساء والولدان وان كان فيها حرف التعريف فليس كل منها شيئا بعينه فيصح وصفها بالجملة كقول الشاعر ولقد امر على اللئيم يسبني قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فان قيل المستضعفون من الرجال والنساء والولدان كانوا عاجزين عن الهجرة والعاجز عن الشيء غير مكلف به واذا لم يكن مكلفا به لم يكن عليه في تركه عقوبة فلم قال عسى الله ان يعفو عنهم والعفو لا يتصور الا مع الذنب وايضا عسى كلمة الاطماع وهذا يقتضي عدم القطع بحصول العفو في حقهم اجيب عن الاول بان المستضعفين قد يكون قادرا على الشيء مع ضرب من المشقة وتمييز الضعف الذي يحصل الرخصة عنده عن الحد الذي لا يحصل الرخصة عنه شاق ومشتبه فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز عن الهجرة ولا يكون كذلك لا سيما في الهجرة عن الوطن فانها شاقة على النفس وبسبب شدة النفرة قد يظن الانسان كونه عاجزا مع انه لا يكون كذلك فلهذا المعنى كانت الحاجة الى العفو شديدة في هذا المقام وعن الثاني بان الانسان لشدة نفرته عن مفارقة الوطن ربما ظن بنفسه عاجزا عنها مع انه لا يكون كذلك في الحقيقة فلهذا المعنى ذكر العفو بكلمة عسى لا بالكلمة الدالة على القطع ذكر صاحب الكشاف في الجواب عن هذا بانه انما قيل بكلمة الاطماع للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره ثم قال تعالى وكان الله عفوا غفورا ذكر الزجاج في كان ثلثة اوجه الاول كان قبل ان خلق الخلق موصوفا بهذه الصفة الثاني انه كان مع جميع العباد بهذه الصفة والمقصود بهذه الصفة بيان ان هذا عادة الله اجراها في حق خلقه الثالث انه تعالى لو قال عفو غفور كان هذا اخبارا عن كونه كذلك فقط ولما قال كان الله عفوا غفورا كان هذا اخبارا وقع مخبره على وفقه فكان ذلك ادل على كونه صدقا وحقا ومبرا عن الكذب والخلف **قوله تعالى** ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما لما رغب الله تعالى في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمتنع الانسان عن هجرة الوطن وبين الجواب واعلم ان المانع امران الاول ان يكون في وطنه نوع راحة ورفاهية فيقول لو فارقت الوطن وقعت في الشدة والمشقة وضيق العيش الثاني ان الانسان يقول ان خرجت عن بلدي في طلب هذا الغرض فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى ان لا اضيع الرفاهية الناجزة بسبب طلب شيء ربما اصل اليه وربما لا اصل اليه فاجاب الله عن الاول بقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت فلانا اي هجرته وفارقته وهو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقيل مراغما الخروج عن العدو على رغم انفه وقيل المراغم والمهاجر واحد يقال راغمت وهاجرت وذلك ان الرجل كان اذا اسلم خرج عن قومه مراغما لهم اي مغاضبا لهم فقيل

للمذهب مراغم وعن ابن عباس متحولا من ارض الى ارض وقيل متزحزحا عما يكره وقيل ان هذه المراغمة انما حصلت بسبب انه فارقهم وخرج عن ديارهم وقيل انه وجد في المهاجر من النعم والخير ما يكون سببا لرغم انف اعدائه الذين كانوا معه في وطنه الاصلي لان من فارق وذهب الى بلدة اجنبية فاذا استقام امره في تلك البلدة الاجنبية ووصل ذلك الخبر الى اهل بلدته خجلوا من سوء معاملتهم معه ورغمت انوفهم بسبب ذلك قوله وسعة اي من الرزق وقيل سعة من العيلة الى الغنى وقيل وسعة في اظهار الدين وذلك ان المشركين كانوا قد ضيقوا عليهم من امر دينهم حتى منعوهم من اظهاره والمعنى ايها الانسان انك ان كنت تكره الهجرة عن وطنك خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة وضيق العيش في السفر فلا تخف فان الله يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرك ما يصير سببا لرغم انوف اعدائك ويصير سببا لسعة عيشك وانما تقدم قوله مراغما على قوله سعة لان سرور الانسان بارغام انف عدوه اشد من سروره بسعة عيشه واجاب عن الثاني بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله اي وجب ثوابه على سبيل التفضل وبحكم الوعد لا بحسب الاستحقاق الذي لو لم يفعل يخرج عن الالهية وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك ولرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله والمومن اذا قصد طاعة ثم اعجزه العذر عن اتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة ثم قال وكان الله غفورا رحيما ما وقع منه من القعود الى ان خرج رحيما باعطاء الاجر **قوله تعالى** واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا مما يحتاج المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة وقت الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلهذا المعنى ذكر الله في هذه الاية الضرب في الارض هو السفر يقال قصر الصلوة واقصرها وقصرها كل ذلك جائز ولفظة القصر مشعر بالتخفيف والتخفيف يتصور في كمية الركعات وكيفية ادائها ولم يتعرض في الاية لا للاول ولا للثاني فلهذا اختلفوا على قولين فذهب الجمهور الى ان المراد منه القصر في عدد الركعات ثم القايلون بهذا القول اختلفوا ايضا على قولين الاول ان المراد منه صلوة السفر وهو ان الرباعية تصير في السفر ركعتين فيدخل القصر في الظهر والعصر والعشاء ولا يدخل في المغرب والصبح والثاني ان المراد منه صلوة الخوف عن ابن عباس فرض صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم هذان القولان متفرعان على ان المراد قصر الركعات وذهب طائفة الى ان المراد بالقصر التخفيف في كيفية اداء الركعات وهو ان يكتفى في الصلوة بالايماء والاشارة بدل الركوع والسجود وان يصلي ماشيا وحالة تلطخ الثوب بالدم وهذه الصلوة التي يؤتى بها حالة التحام القتال واحتجوا على صحة هذا القول بان خوف الفتنة لا يزول فيما يؤتى بركعتين على تمام اوصافهما وانما ذلك فيما يشتد فيه الخوف حالة التحام القتال واحتجوا على صحة هذا القول وهذا ضعيف لانه يمكن ان يقال ان المسافر اذا كانت الصلوة قليلة الركعات فيمكنه ان ياتي بها على وجه لا يكون خصمه عالما بكونه مصليا اما اذا كثرت الركعات طالت المدة فلا يمكنه ان ياتي بها على حين غفلة من العدو واعلم ان حمل القصر

على اسقاط الركعات اولى لما روى عن يعلى ابن اميه انه قال قلت لعمر رضي الله عنه كيف نقصر وقد
امنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عجبت مما عجبت منه فسالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وهذا يدل
على ان القصر المذكور في الايه هو القصر في عدد الركعات وان ذلك كان مفهوما عندهم من معنى الايه
ولان القصر هو الاتيان ببعض الشي والاقتصار عليه فاما الاتيان بشي اخر فلا يسمى قصرا ولا اقتصارا
ومعلوم ان اقامة الايما مقام الركوع والسجود وتجويز المشي في الصلوة وتجويز الصلوة مع الثوب الملطخ
بالدم ليس شي من ذلك قصرا بل كلها اثبات لاحكام جديده واقامة لشي مقام شي اخر لان من في قوله من الصلوة
للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلوة ولان لفظ القصر كان مخصوصا في عرفهم بتنقيص عدد
الركعات ولهذا المعنى لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر ركعتين قال ذو اليدين اقصرت الصلوة
ام نسيت قال الشافعي القصر رخصه فان شا المكلف اتم وان شا اكتفى على القصر وقال ابو حنيفة القصر
عزيمه غير رخصه لا يجوز غيره فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في ثنتين فسدت صلوته وان قعد فيهما
مقدار التشهد تمت صلوته واحتج الشافعي بوجوه منها قوله تعالى لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة
مشعر بعدم الوجوب فانه لا يقال لا جناح عليك في ادا الصلوة الواجبه بل هذا اللفظ انما يذكر
لرفع التكليف بذلك الشي فاما ايجابه على التعيين فهذا اللفظ غير مستعمل فيه اجاب صاحب الكشاف
عن هذا بان قال كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم
الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه ورد ما قاله صاحب الكشاف بان هذا الاحتمال انما يخطر
ببالهم اذا قال الشارع رخصت لكم في هذا القصر اما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وحرمت
عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلاة لكم فهذا الاحتمال لا يخطر ببال عاقل اصلا فلا يكون لهذا الكلام
فائده ومنها ما روت عايشه رضي الله عنها قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينه
الى مكه فلما قدمت مكه قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشه
وما عاب علي ومنها ان عثمان كان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابه عليه ومنها ان جميع رخص السفر
شرعت على سبيل التجويز لا على سبيل التعيين جزما فكذا ههنا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر
واحتج الحنفيه بما روى عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وبما روى عن
عايشه رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر
وبما روى عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال فيه صدقه تصدق الله بها على عباده فاقبلوا صدقته
وظاهر الامر للوجوب والجواب ان هذه الاحاديث داله على كون القصر مشروعا ولا يدل على انه لا يجوز
غيره ولما كان لفظ القران داله على جواز غيره كان القول به اولى قيل ان سفر القصير والطويل سوا الظاهر
الايه فان قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة جمله شرطيه فيه شرط وهو
الضرب في الارض وجزا وهو نفي الجناح في القصر فوجب ان يترتب الجزا على الشرط الذي هو الضرب في
الارض الذي هو السفر سوا كان طويلا او قصيرا وذهب جمهور الفقها الى ان السفر ما لم يتقدر بمقدار
مخصوص لم يحصل فيه رخصة القصر فان السلف اجمعوا على ان اقل السفر مقدر والذي يدل عليه
انه حصل في المسئله روايات منها ما روى عن عمر رضي الله عنه انه قال يقصر في يوم تام وبه قال الزهري
والاوزاعي ومنها ما قاله ابن عباس اذا زاد على يوم وليله قصر ومنها قال انس يعتبر خمسة فراسخ ومنها
ما قال الحسن مسيرة ليلتين ومنها ما قال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير من الكوفه الى المداين وهو
مسيرة ثلثة ايام وعند الشافعي ادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر اربعة برد مسيرة يومين كل بريد

بلغ باصله

اربع

اربعه فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال
الباديه كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة الف خطوه فان كل ثلثة اقدام خطوه عول اصحاب الشافعي
على ما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكه لا تقصروا الصلوة في ادنى من
اربعة برد من مكه الى عسفان وعند ابي حنيفه ادنى مدة السفر مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي
الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطا الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن في يوم قصر
ولو سار مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر عول اصحاب ابي حنيفه في تقدير المدة بثلثة ايام على قوله صلى الله عليه
وسلم يمسح المسافر ثلثة ايام وهذا يقتضي انه اذا لم يحصل المسح ثلثة ايام لا يكون مسافرا واذا لم يكن مسافرا
لم يحصل الرخص المشروعه في السفر زعم اهل الظاهر ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف لقوله فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فان المشروط بالشي عند عدم ذلك الشي فوجب ان لا يجوز القصر عند
الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر من اخبار الاحاد لانه يقتضي نسخ القران بخبر الواحد وهذا لا يجوز قال
الامام ولقد صعب هذا الكلام على قوم وذكروا وجوها متكلفه في الايه ليتخلصوا عن هذا الكلام وعندي
انه ليس في هذا غموض لانا بينا في تفسير قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان كلمة ان وكلمة
اذا يفيدان ان عند حصول الشرط يحصل المشروط ولا يلزم منه عدم المشروط عند عدم الشرط
واستدللنا على صحة هذا الكلام بايات كثيره واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى ان خفتم يقتضي انه
لا يحصل الرخصه عند عدم الخوف وحينيذ تكون هذه الايه ساكته عن حال الامن بالنفي والاثبات
فاثبات الرخصه حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القران بخبر الواحد وذلك
غير ممتنع انما الممتنع اثبات حكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القران ونحن لا نقول به فان
قيل فما هذا اما الفايده في التقييد بحال الخوف قلنا ان الايه نزلت على غالب اسفار النبي صلى
الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله هذا الشرط من حيث انه هو الاغلب
في الوقوع قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا عن اتمام الركوع والسجود وقيل ان خفتم
ان يقتلكم الذين كفروا ومثل هذا قوله تعالى على خوف من فرعون وملايه ان يفتنهم اي يقتلهم
والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره قوله ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا والمعنى
ان العداوه الحاصله بينكم وبين الكافرين قديمه والان قد اظهرتم خلافهم في الدين فازدادت
عداوتهم لكم وبسبب شدة العداوه اقدموا على محاربتكم وقصدوا اتلافكم ان قدروا فان طالت
صلاتكم فربما وجدوا الفرصه في قتلكم فلعلي بهذا رخصت لكم في قصر الصلوة والعدو
يستوي فيه الواحد والجمع قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طايفه منهم
معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورايكم ولتات طايفه اخرى لم يصلوا فليصلوا
معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلوا عليكم ميله
واحده ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا لما بين حال قصر الصلوة بحسب الكميه في العدد في الايه
المتقدمه بين في هذه الايه حالها في الكيفيه قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة
الخوف من خواص الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره واحتج ابو يوسف بظاهر
هذه الايه فانه يقتضي ان اقامة هذه الصلوة مشروطه بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم لان كلمة
اذا تفيد الاشتراط وبان تغيير هيئة الصلوة على خلاف الدليل لكن جوز في حق الرسول
ليحصل للناس فضيلة الصلوة خلفه واما في حق غير الرسول فهذا المعنى غير حاصل لان فضيله

الصلوة خلف الثاني لمن خلف الاول فلا يحتاج هنالك الى تغيير الصلوة واما ساير الفقها فقد راوا
صلوة الخوف بعد رسول الله لانه لما ثبت هذا الحكم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الاية
وجب ان يثبت في حق غيره لقوله تعالى فاتبعوه الاترى الى قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
لم يوجب اختصاص الرسول عليه السلام دون غيره من الايمة بعده وبان الايمة نواب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة
في حال الخوف عليه ان يوبهم كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها واما
التمسك بلفظ اذا فالجواب ان مقتضاه هو الثبوت عند الثبوت واما العدم عند العدم
فغير مسلم واما التمسك بادراك الفضيله في الصلوة خلف النبي عليه السلام فليس يجوز ان يكون
علة لاباحة تغيير هية الصلوة لانه لا يجوز ان يكون طلب الفضيله يوجب ترك الفضل قيل
سبب نزول هذه الاية ان المشركين لما راوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم قاموا
الى صلوة الظهر يصلون جميعا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومهم ندموا على تركهم الا كانوا
اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابايهم وابنايهم
يعنون صلوة العصر فاذا رايتموهم قد قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فلما قاموا الى صلوة العصر
نزل جبريل فقال يا محمد انها صلوة الخوف وان الله تعالى يقول واذا كنت فيهم اي كنت في الخايفين
مقيما تعني شهيدا معهم في غزواتهم وخوفهم فاقمت لهم الصلوة اي ابتداتها واقامة الصلوة
الاتيان بها في اداييها فلتقم طايفه منهم معك اي فلتقف تقول قام الرجل اذا وقف ومنه
قوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا اي وقفوا اي اجعلهم طايفتين فلتقف احدى الطايفتين
معك فصل بهم فليا خذوا وقيل فليا خذوا المصلون معك اسلحتهم التي لا تشغلهم عن الصلوة
كالسيف والخنجر ونحوهما وقيل وليا خذوا الباقون الذين وجاه العدو ولان المصلين غير
مقاتلين ويجوز ان يكون الجماعه المصلون والباقون امروا بحمل السلاح لانه ارهب للعدو
واحرى ان لا يقدم عليهم فاذا سجدوا اي المصلين معك فليكونوا قيل فلتكن الطايفه
التي لم تصل امرت ان تحرس الطايفه المصليه معه وقيل فليكن المصلون من وراكم امر
المصلين اذا سجدوا ان ينصرفوا الى الحرس واختلف العلما كيف ينصرفون بعد السجود فقال
قوم اذا اتموا مع الامام ركعة اتموا لانفسهم ركعة ثم سلموا وانصرفوا وقد تمت صلوتهم
وقال اخرون ينصرفون عن ركعه واختلف هولا فقال بعضهم اذا صلوا مع الامام ركعه
وسلموا فهي تجزيهم وقال اخرون بل ينصرفون عن تلك الركعه الى الحرس وهم على صلاتهم
فيكونون في وجه العدو ومكان الطايفه التي لم تصل وتاتي تلك الطايفه واختلفوا في الطايفه
الاخرى فقال قوم اذا صلى بهم الامام اطال التشهد حتى يقضوا الركعة الفايته ثم يسلم بهم وقال اخرون
بل يسلم هو عند فراغه من الصلوة بهم فاذا سلموا قضوا ما فاتهم وقال اخرون بل يصلي بالطايفه الثانيه
ركعة ويسلم هو ولا يسلمون بل ترجع الى وجه العدو ثم يجي الاولى فتقضي ما بقي من صلوتها وتسلم وتمضي وتجي
الاخرى فتتم صلوتها واعلم ان العلما اختلفوا في كيفيه صلوة الخوف فقال الشافعي اذا صلوا في سفر
صلوة الخوف من عدو غير مامون صلى الامام بطايفه ركعة وطايفة وجاه العدو فاذا فرغ منها قام
فثبت قايما واطال وانتمت الطايفه التي بقيت عليها تقرا بام القران وسورة وتخفف ثم تسلم وتنصرف
فتقف وجاه العدو وتاتي الطايفه الاخرى فيصلي بهم الامام الركعة الثانيه التي بقيت عليه فيقرا
فيها بعد اتيانهم بام القران وسورة قصيره فيثبت جالسا وتقوم الطايفه فتتم لانفسها الركعه التي تبقيت

تبقيت عليها بام القران وسورة قصيره ثم تجلس مع الامام قدر ما يعلمهم تشهدوا ثم يسلم بهم وقد
صلت الطايفتان جميعا مع الامام واخذت كل واحد منهما مع الامام ما اخذت الاخرى منه واحتج
الشافعي بقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة وبان النبي صلى الله عليه وسلم فعل نحو ذلك يوم
ذات الرقاع وان كانت صلوة المغرب فان صلى ركعتين بالطايفه الاولى وثبت قايما واتموا لانفسهم فحسن
وان ثبت جالسا واتموا لانفسهم فجايز ثم تاتي الطايفه الاخرى فيصلي بها ما بقي عليه ثم يثبت جالسا حتى تقضي
ما بقي عليها ثم يسلم بهم وان كانت صلوة حضر فلينتظر جالسا في الثانيه او قايما في الثالثه حتى تتم الطايفه
التي معه ثم تاتي الطايفه الاخرى فيصلي بها كما وصفت في الاخرى وان كان العدو قليلا من ناحيه والمسلمون
كثير يامنونهم في مستو لا يسترهم شي ان حملوا عليهم راوهم صلى الامام بهم جميعا وركع وسجد بهم الا صفا يليه
او بعض صف ينظرون العدو فاذا قاموا بعد السجدتين سجد الذين حرسوا فاذا ركع ركع بهم جميعا واذا
سجد معه الذين حرسوا اولا الا صفا او بعض صف يحرسونه منهم فاذا سجدوا سجدتين وجلسوا سجد الذين
حرسوا ثم يتشهد ويتشهدون ثم يسلم بهم جميعا معا فلو تاخر الصف الذين حرسوا الى الصف الثاني وتقدم
الثاني وحرسوه فلا باس فهذا نحو صلوة النبي يوم عسفان ولو صلى في الخوف بطايفه ركعتين ثم سلم ثم يصلي
بالطايفه الاخرى ركعتين ثم سلم جاز هكذا صلوة النبي عليه السلام ببطن نخل عن جابر ابن عبد الله
انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى الطايفتين
ركعتين ثم صلى بالطايفه الاخرى ركعتين فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وصلى
كل طايفه ركعتين قال المزني وهذا عندي يدل على جواز فريضه خلف من يصلي نافله لان النبي
صلى الله عليه وسلم صلى بالطايفه الثانيه فريضه لهم ونافله له صلى الله عليه وسلم فهذا مذهب الشافعي
في صلوة الخوف وقال ابو حنيفه السنه ان يفرق الامام المسلمين فرقتين فيصلي بفرقة ركعه وفرقه وجاه
العدو ثم تنصرف الفرقه التي صلت مع الامام ركعه وهم في الصلوة فيقفون وجاه العدو وجات
الفرقة الاخرى فصلت مع الامام الركعة الاخرى ثم انصرفت وعادت الفرقة الاولى فاتمت الصلوة وعادت
الى مواجهة العدو وانصرفت الفرقة الاخرى فاتمت صلوتها وذهب ابو حنيفه في هذا الى حديث
ابن عمر عن سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر كان يحدث انه صلاها مع النبي صلى الله عليه وسلم
فصفت وراه طايفه منا واقبلت طايفه على العدو فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعه وسجد
سجدتين ثم انصرفوا فاقبلوا على الصلوة فجات الطايفه الاخرى فصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
وفعل مثل ذلك ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم فقام كل رجل من الطايفتين فصلى لنفسه ركعة وسجدتين
قال نافع عن ابن عمر فان كان الخوف اشد من ذلك فليصلوا قياما وركبانا حيث توجهتهم وهكذا
صلى النبي صلى الله عليه وسلم بذي قرد عن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة الخوف بذي قرد فصف صفا خلفه وصفا موازي العدو فصلى بالصف الذي معه
ركعة ثم ذهب هولا الى مصاف هولا وجا هولا الى مصاف هولا فصلى بهم ركعة ثم سلم عليهم
جميعا ثم انصرف فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولكل واحد من الفرقتين
ركعة روى عن عروة ابن الزبير يحدث عن مروان بن الحكم انه سال ابا هريره رضي الله
عنه هل صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف قال ابو هريره نعم
فقال مروان متى فقال عام غزاه نجد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلوة العصر
وقامت معه طايفه وطايفه اخرى مما يلي العدو واظهرهم الى القبله فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكبر الذين معه والذين يقابلون العدو جميعا ثم ركع رسول الله

صلى الله عليه وسلم ركعة واحدة وركع معه الطائفة التي تليه ثم سجد وسجدت الطائفة التي
تليه والآخرون قيام مما يلي العدو ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقامت معه الطائفة
الذين معه فذهبوا الى العدو فقاتلوهم واقبلت الطائفة التي كانت مقابلة العدو و
ركعوا وسجدوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم كما هو ثم قاموا فركع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ركعة اخرى وركعوا معه وسجد وسجدوا معه ثم اقبلت الطائفة التي
كانت مقابلة العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد كما هو ثم سلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا اجمعين فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان
ولكل واحد من الطائفتين ركعتان ركعتان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
فليصلوا معك قال ابن عباس يريد الذين كانوا من ورائهم من لم يكونوا صلوا فليصلوا معك
قوله وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يريد الذين صلوا اول والمعنى انه تعالى جعل الحذر وهو
التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين
وفيه رخصة للخائف في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة فان قيل لم ذكر في الاية
الاولى اسلحتهم فقط وذكر في هذه الاية حذرهم واسلحتهم قلنا لان في اول الصلوة قلما يتنبه
العدو لكون المسلمين في الصلوة بل يظنون لكونهم قائمين لاجل المحاربة اما في الركعة الثانية
فقد ظهر للكفار كونهم في الصلوة فهاهنا ينتهزون الفرصة للهجوم عليهم فلا جرم خص الله هذا
الموضع بزيادة تحذير فقال وليأخذوا حذرهم واسلحتهم قوله ود الذين كفروا لو
تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة بالقتال اي فيشدون عليكم شدة
واحدة قوله ولا جناح عليكم رخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما
يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو
وقوله في اول الاية وخذوا حذركم واسلحتكم امر وظاهر الوجوب فمقتضاه يقتضي
وجوب اخذ السلاح ثم اكد هذا بدليل اخر وهو انه قال لا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم فخص رفع الجناح في وضع السلاح بهاتين الحالتين
وذلك يوجب ان فيما وراء هاتين الحالتين يكون الاثم والجناح حاصلا بسبب وضع السلاح
وقيل انه سنة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك
الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر
بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قوله تعالى فاذا قضيتم
الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا اي الصلوة في حال الخوف وقضيتم بمعنى فرغتم قيل المراد الذكر لله في غير الصلوة اي واظبوا
على ذكر الله في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والقتال مع العدو جدير بالمواظبة على ذكر
الله والتضرع اليه واراد بالذكر التسبيح والتكبير والدعا والتحميد وقيل المراد بالذكر الصلوة
اي صلوا قياما فان لم تستطيعوا فقعودا فان لم تستطيعوا فعلى جنوبكم وقيل المراد فصلوها قياما مسايفين
ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح قوله فاذا اطمأننتم اي
قيل فاذا اطمأننتم في بلادكم بالرجوع الى الوطن عن السفر وزال ترحلة السفر وقيل اذا امنتم بعد
الخوف حين تضع الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة قيل معناه اتموها من غير قصر البتة اذا اطمأننتم

يعني الذين كفروا لو
كنتم مشتغلين كلكم
بالصلوة غافلين مر

في بلادكم وقيل اذا امنتم من الخوف ولم يبق اضطراب القلب بسبب زوال الخوف فاقيموا الصلوة
على الحالة التي كنتم تعرفونها ولا تغيروا شيئا من احوالها وهيئاتها قال صاحب الكشاف فاذا اطمأننتم
حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال
القلق والانزعاج وهذا اشارة الى علة القضاء ثم لما بالغ الله سبحانه في شرح اقسام الصلوة فذكر
صلوة السفر ثم ذكر صلوة الخوف بعد ذلك ختم هذه الايات بقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا اي فرضا موقتا والمراد بالكتاب هاهنا المكتوب كانه قيل ان الصلوة كانت على المؤمنين مكتوبة
موقتة ثم حذفت الهاء من الموقتة لما جعل المصدر موضع المفعول والمصدر مذكر وموقوتا
اي محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن قال صاحب الكشاف
وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة
اذا حضر وقتها فاما عند ابي حنيفة فهو معذور في تركها الى ان يطمئن قوله تعالى ولا تهنوا في
ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما
لما ذكر الله بعض الاحكام التي يحتاج المجاهد الى معرفتها عاد مرة اخرى الى الحث على الجهاد فقال
ولا تهنوا اي ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال قيل اراد بالقوم
ابا سفيان واصحابه يوم احد وقد مضت القصة في آل عمران ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا
تألمون اي ليس ما تجدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم
كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون ولم يصر الالم مانعا لهم عن قتالكم فما لكم لا تصبرون مثل
صبرهم ثم زاد في تقرير الحجة وهو انكم اولى بالصبر على القتال منهم لانكم ترجون من الله ما لا يرجون
من اعلاء كلمتكم واظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة ان الله كان عليما حكيما
اي لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا بما هو عالم بانه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم على سبيل
التفضل لا على سبيل الوجوب قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك
الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما قيل في كيفية النظم انه لما
شرح احوال المنافقين على سبيل الاستقصاء ثم اتصل بذلك امر الجهاد واتصل به ما يتعلق به من
الاحكام الشرعية مثل قتل المسلم خطأ على ظن انه كافر ومثل بيان صلوة السفر وصلوة الخوف رجع
بعد ذلك الى احوال المنافقين وذلك انهم كانوا يحاولون ان يحملوا الرسول عليه السلام على ان
يحكم بالباطل ويترك الحكم بالحق فاطلع الله رسوله عليه وامره بان لا يلتفت اليهم ولا يقبل قولهم
في هذا الباب وقيل انه تعالى لما بين الاحكام الكثيرة في هذه السورة بين ان كلها عرف بانزال
الله وانه ليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضى قومه وقيل نزلت هذه الاية في
رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحارث وكان سرق درعا من
جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر
من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال
له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها
وما له بها علم فقال اصحاب الدرع بلى والله لقد ادلج علينا فاخذها وطلبنا اثره حتى
دخل داره فرأينا اثر الدقيق منتثرا فلما ان حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى
الى منزل اليهودي فاخذوها فقال اليهودي دفعها الي طعمة بن ابيرق وشهد له ناس من
اليهود على ذلك فقال بنو ظفر وهم قوم طعمة انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فتكلموا في صاحبنا فنعذره ونجادل عنه فان صاحبنا بري محق ورفانوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلموه في ذلك فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح
وبرى اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع
يده فانزل الله تعالى يعاتبه انا انزلنا وقيل لما بين الله خيانته ارتد عن الاسلام ولحق بمكة
ونقب حايطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحايط عليه فقتله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي
بالامر والنهي والفصل لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى اليك وعن عمر رضي الله عنه
لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا للنبيه ولكن ليجتهد رايه لان الراي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وهو منا الظن والتكليف
قيل قوله بما اراك الله يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بالاجتهاد وبيانه ان
قوله اراك اما ان يكون من الرويه او من الراي لا جايز ان يكون من الرويه لان الرويه اما
روية البصر او الرويه بمعنى العلم التي تتعدى الى مفعولين والاول باطل لان الحكم في الحادثة
لا يرى بالبصر والثاني ايضا باطل لانه يلزم ان يتعدى الى ثلثة مفاعيل بسبب التعديه ومعلوم
ان قوله اراك لم يتعد الا الى مفعولين احدهما الكاف التي هي للخطاب والاخر المفعول
المقدر تقديره بما اراكه الله ولما بطل ان يكون من الرويه تعين ان يكون من الراي اذ لا ثالث
لهما والراي الاجتهاد قوله ولا تكن للخاينين خصيما اي ولا تكن لاجل الخاينين خصيما مخاصما
للبري من الذنب يعني لا تخاصم اليهود لاجل المنافقين واستغفر الله قيل واستغفر الله لاولئك
الذين يذبون عن طعمه ويريدون ان يظهروا براته عن السرقه وقيل واستغفر الله لما هممت
به من عقاب اليهودي **قوله تعالى** ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب
من كان خوانا اثيما اي طعمه ومن عاونه من قومه ممن علم انه سارق والاختيان كالخيانه
يقال خانه واختانه اي ولا تجادل عن الذين يخونون انفسهم بالمعصيه لقوله تعالى علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع
اليهم فان من اقدم على المعصيه حرم على نفسه الثواب واوصلها الى العقاب فكان ذلك منه
خيانة مع نفسه قال الامام واعلم ان في الايه تهديدا وتشديدا وذلك لان النبي عليه السلام
لما مال طبعه قليلا الى جانب طعمه وكان في علم الله ان طعمه كان فاسقا فالله تعالى عاتب رسوله
على ذلك من اعانة المذنب فكيف حال من يعلم من الظالم كونه ظالما ثم يعينه على ذلك الظلم بل
يحمله عليه ويرغبه فيه اشد الترغيب قال صاحب الكشاف فان قلت لم قيل للخاينين ويختانون
انفسهم وكان السارق طعمه وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراه ونصروه
فكانوا شركا له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمه وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخاين قط
ولا تجادل عنه قوله خوانا اثيما اي ان طعمه خان في الدرع واثم في نسبة اليهودي الى تلك
السرقه فلهذا قال تعالى خوانا اثيما وانما قال خوانا اثيما مع ان الصادر عنه خيانة واحدة
واثم واحد لان الله تعالى كان عالما بالافراط من طعمه في الخيانه وركوب المآثم ومن ثم كانت
تلك خاتمة امره لم يشك في حاله وايضا انه طلب من النبي عليه السلام ان يدفع السرقه عنه ويلحقها
باليهودي وهذا اطلب لابطال رسالة الرسول واراده اظهار كذبه وهذا اكفر فلهذا وصفه
الله بالمبالغه في الخيانه والاثم وقيل اذا عثرت من رجل على سيئه فاعلم ان لها اخوات وعن
عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه

فقال

فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مره **قوله تعالى** يستخفون من الناس ولا يستحيون
من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا الاستخفا الاستتار
يقال استخفيت من فلان اي توارت منه قال الله تعالى ومن هو مستخف بالليل اي مستتر والمعنى
يستترون من الناس اي طعمه وقومه حيا منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه
وهو معهم وهو عالم بهم وبما يخفون وما يعلنون لا يخفى عليه خاف من سرهم يعلم السر واخفى قال صاحب الكشاف
وكفى بهذه الايه ناعيه على الناس ما هم فيه من قلة الحيا والخشيه من ربهم مع علمهم ان كانوا مومنين
انهم في حضرته لا سترة ولا غفله ولا غيبه وليس الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون اذ
يدبرون ويزورون ويهسون ويقدرون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو ان
طعمه قال ارمي اليهودي بانه سارق الدرع واحلف انه لم اسرقها فيقبل يميني لاني على دينهم ولا يقبل
يمين اليهودي قال صاحب الكشاف ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمه ان يرمي بالدرع في دار زيد
ليسرق دونه ويحلف براته فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث
بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوركه
الذنب على اليهودي وكان الله بما يعملون محيطا احاط بما يبيتون ما لا يرضى من القول وبسرايرهم وهذا
وعيد من جنايتهم وانهم كانوا يخفون كيفية المكر والخداع عن الناس الا انها كانت ظاهرة في علم الله لانه
محيط بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي **قوله تعالى** ها انتم هولا جادلتم عنهم يوم القيمه ام من يكون
عليهم وكيلا ها للتنبيه في انتم واولا وهما مبتدا وخبر وجادلتم جمله مبينه لوقوع اولا خبرا
كما تقول لبعض الاسخيا انت حاتم تجود بمالك وتوثر على نفسك ويجوز ان يكون اولا اسما موصولا
بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمه وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في
الاخره اذا اخذهم الله بعذابه والجدال شدة المخاصمه وجدال الحبل شدة الفتل ورجل مجدول
كانه فتل والاجدل الصقر لانه من اشد الطيور قوة هذا قول الزجاج وقال غيره سميت المخاصمة
جدالا لان كل واحد من المخاصمين يريد فتل صاحبه عما هو عليه وصرفه عن رايه وهذا خطاب
مع قوم من المومنين كانوا يذبون عن طعمه وقومه بسبب انهم كانوا في الظاهر من المسلمين قوله
فمن يجادل الله عنهم استفهام على سبيل التوبيخ والتقريع قوله ام من يكون عليهم وكيلا فقوله
ام من يكون عطف على الاستفهام السابق والوكيل هو الذي وكل اليه الامر في الحفظ والحمايه
والمعنى من الذي يكون حافظا ومحاميا عن عذاب الله **قوله تعالى** ومن يعمل سوا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قوله سوا قبيحا متعديا يسوء غيره كما فعل
طعمه من سرقة الدرع ومن رمي اليهودي بالسرقه او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب
وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السو لان ذلك في الاكثر يكون ايصالا للضرر الى الغير والضرر
سو حاضر والذنب الذي يخص الانسان فذاك في الاكثر لا يكون ضررا حاضرا لان الانسان لا يوصل
الضرر الى نفسه وقيل ومن يعمل سوا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك قوله ثم
يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما هذا بعث لطعمه على الاستغفار والتوبه او لقومه لما فرط منهم
من نصرته والذب عنه والايه داله على حكمين الاول ان التوبه مقبوله عن جميع الذنوب
سوا كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال فان قوله ومن يعمل سوا او يظلم نفسه يعم الكل
الثاني ان ظاهر الايه يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقيل مقيد بالتوبه لانه لا ينفع
الاستغفار مع الاصرار قوله يجد الله غفورا رحيما اي غفورا رحيما له وحذف له

في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم

لدلالة الكلام عليه **قوله تعالى** ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما
عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى به اي ومن يكسب اثما انما ضرر
بما فعل نفسه ولا يتعداه ضرره الى غيره لانه لا يوخذ غير الاثم بالاثم فليتق على نفسه من كسب
السوء وكان الله عليما بالسارق وبما في قلبه عند اقدامه على التوبة حكيما حكم بالقطع على السارق
في السرقة اقتضى حكمته ورحمته ان يتجاوز عن التايب **قوله تعالى** ومن يكسب خطيئة او اثما
ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا قيل خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل خطيئة
ذنبا قاصرا على فاعله او اثما ذنبا متعديا الى الغير كالظلم والقتل وقيل خطيئة ما لا ينبغي فعله
سواء كان بالعمد او بالخطا او اثما ما حصل بسبب العمد والدليل عليه قوله تعالى ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه فبين ان الاثم ما يكون سببا لاستحقاق العقوبة قوله ثم يرم به قيل باحد
هذين المذكورين اي الخطيئة او الاثم وقيل به اي بالاثم وحده لانه هو الاقرب كما عاد الى التجارة في
قوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقيل به اي بالكسب والتقدير يرم بكسبه بريا فقوله
يكسب دال على الكسب وقيل الضمير في به راجع الى معنى الخطيئة فكانه قال ومن يكسب ذنبا ثم يرم به
بريا قيل احتمل بهتانا والبهتان ان يبهت الرجل بما لم يفعل وقيل البهتان الكذب الذي يتحير من عظمه
واثما مبينا ذنبا بينا لانه بكسب الاثم اثم ورمي البري باهت فهو جامع بين الامرين فالبهتان مذموم
في الدنيا اشد الذم ومعاقب في الاخرة اشد العقاب قوله فقد احتمل بهتانا اشارة الى ما يلحقه
من الذم العظيم في الدنيا وقوله واثما مبينا اشارة الى ما يلحقه من العقاب العظيم في العقبى وعن ابن عباس
قوله ومن يكسب خطيئة او اثما يعني به عبد الله بن ابي بن سلول ثم يرم به بريا يعني عايشة ام
المومنين رضي الله عنها حين كذب عليها وكان من اهل الافك قوله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اي ولولا ان الله خصك بالفضل وهو النبوة وما اوحي
اليك من الاطلاع على سرهم وبالرحمة وهي العصمة لهمت طائفة منهم من قوم طعمة ان يضلوك عن الحكم
بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو طعمة روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة
وذلك انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجادل عن طعمة ويرمي بسرقته اليهودي قوله وما يضلون
الا انفسهم لانهم يعملون عمل الضالين بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان
فوباله عليهم وما يضرونك من شيء لان الضرر على من شهد بغير حق فوعد تعالى في هذه الاية
ادامة العصمة لما يريدون من ايقاعه في الباطل ثم ذكر منته عليه فقال وانزل الله قيل
وما يضرونك من شيء معناه انه تعالى وعدك بالعصمة في المستقبل فيكون قوله وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة موكدا لذلك الوعد بمعنى لما انزل الله عليك الكتاب والحكمة وامر
بتبليغ الشريعة الى الخلق فكيف يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالات وقيل
معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معذورا في بناء الحكم على الظاهر كان المعنى وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة واوجب فيهما بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك بناء الامر على
الظاهر ثم قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم فهذه الاية تحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد ما
يتعلق بالدين كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وعلى هذا الوجه تقدير الاية انزل الله
عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما واوقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل
ذلك عالما بشيء منهما فكذلك يفعل بك في مستانف ايامك لا يقدر احد من المنافقين على اضلالك وازلالك

وثانيهما

وثانيهما ان يكون المراد وعلمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه
كيدهم ما تقدر على الاحتراز عن وجوه كيدهم ومكرهم ثم قال وكان فضل الله عليك عظيما وهذا من اعظم
الدلايل على ان العلم اشرف الفضايل والمناقب وذلك لان الله تعالى ما اعطى الخلق من العلم الا القليل كما
قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونصيب الشخص الواحد من علوم جميع الخلق يكون قليلا ثم انه سمى ذلك القليل
عظيما حيث قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وسمى جميع الدنيا قليلا قال قل متاع الدنيا قليل وذلك يدل
على غاية شرف العلم **قوله تعالى** لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين
الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما قيل هذه اشارة الى ما كانوا يتناجون
فيه حين يبيتون ما لا يرضى من القول قيل النجوى بين اثنين يقال ناجيت الرجل مناجاة ونجاه ويقال
نجوت الرجل نجوى بمعنى ناجيته والنجوى قد يكون مصدرا بمعنى المناجاة قال تعالى ما يكون من نجوى
ثلثة الا هو رابعهم وقد يكون بمعنى المناجين اي الرجال الذين يتناجون قال تعالى واذ هم نجوى فعلى الاول
معناه لا خير في كثير من تناجي قوم طعمة او اليهود تناجوا في امر طعمة او الناس وعلى الثاني لا خير في كثير من
الرجال الذين يتناجون في طعمة او من المتناجين على العموم قوله الا من امر قيل المستثنى في محل الجر على
انه بدل من كثير على معنى الا في نجوى من امر بصدقة ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل في محل
النصب على ان يكون الاستثناء منقطعا بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل يجوز ان يكون في
محل الرفع على لغة من يرفع المستثنى من غير الجنس كما قال الشاعر وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا
العيس وقيل المستثنى في محل النصب لانه مستثنى من نجواهم اي الرجال المتناجون وهو الاستثناء المتصل
وقيل على تقدير ان يكون النجوى هم المتناجون يجوز ان يكون من في محل الخفض من وجهين احدهما ان
تجعله تبعا للنجوى كما تقول لا خير في جماعة من القوم الا زيد ان شئت اتبعت زيدا الجماعة وان شئت
اتبعته القوم قوله بصدقة ذكر تعالى من انواع الخير ثلثة الامر بالصدقة والامر بالمعروف
الامر باصلاح الناس وذلك لان عمل الخير اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والى الثاني اشار بقوله
او اصلاح بين الناس والاول اما جسمانية واليه اشار بقوله بصدقة او روحانية لتكميل القوة
العلمية بالعلوم النافعة الدينية او لتكميل القوة العملية بالاعمال الصالحة والاخلاق الجميلة واليهما
اشار بقوله او معروف قوله امر بصدقة اي حث عليها وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف
وقيل هو عام في كل جميل وقيل يجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل
التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن
منكر او ذكر الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ايوب الانصاري الا ادلك على صدقة هي خير
لك من حمر النعم فقال نعم يا رسول الله تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا
وروي ان رجلا قال لسفيان ما اشد هذا الحديث فقال سفيان الم تسمع قول الله لا خير في كثير
من نجواهم الا من امر بصدقة فهذا هو بعينه قوله ومن يفعل ذلك والمعنى ان هذه الاقسام
الثلثة من الطاعات وان كانت في غاية الشرف والجلالة الا ان الانسان انما ينتفع بها اذا اتى
بها لوجه الله ولطلب الاجر فاما اذا اتى بها للريا والسمعة انقلبت القضية فصارت من اعظم
المفاسد وهذه الاية من اعظم الدلايل على ان المطلوب من الاعمال الظاهرة رعاية احوال القلب في
اخلاص النية وتصفية الداعية عن الالتفات الى غرض سوى طلب رضوان الله ونظيره قوله
مخلصين له الدين وقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فان قيل كيف قال الا من امر
ثم قال ومن يفعل ذلك وكان الاصل ومن يامر بذلك اجيب بانه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله

لان من امر بالخير اذا دخل في زمرة الخيرين كان الفاعل للخير احرى ان يدخل في زمرتهم ثم قال
ومن يفعل ذلك فذكر فاعل الخير ووعده باتيا الاجر العظيم اذا فعل ابتغاء مرضاة الله وذلك اشارة
الى احد الامور الثلاثة الصدقة والمعروف والاصلاح بين الناس ويجوز ان يراد ومن يامر بذلك فعبر
عن الامر بالفعل لان الامر ايضا فعل من الافعال **قوله تعالى** ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا نزلت هذه الاية
في طعمه بن ابيرق ايضا وذلك انه لما نزل القران فيه وعلم قومه انه ظالم خاف هو على نفسه من
القطع والفضيحة هرب الى مكة فانزل الله تعالى فيه ومن يشاقق الرسول اي يخالفه من بعد ما
تبين اي من بعد ما ظهر له بالدليل صحة دين الاسلام فان طعمه قد تبين له بما اوحى الله من امره واظهر من
سرقته ما دله على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول واظهر الشقاق بعد تبين الهدى قوله
ويتبع غير سبيل المومنين اي غير دين الموحدين وهو السبيل الذي هم عليه الدين الحنيفي القيم وذلك
ان طعمه ترك دين الاسلام واتبع دين عبدة الاوثان نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال اي نتركه
وما اختار لنفسه ونكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا ونصله جهنم اي نلزمه جهنم واصله الصلا وهو
لزوم النار وقت الاستدفاء وساءت مصيرا انتصب مصيرا على التمييز روي الشافعي رضي الله عنه
سئل عن اية في كتاب الله يدل على ان الاجماع حجة فقرا القران ثلثماية مرة حتى وجد هذه الاية تقريره
انه تعالى جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المومنين لانه عطف الثاني على الاول بالواو
كقول الرجل من دخل الدار وشرب الماء من عبيدي فهو معتق فان العتق لا يحصل الا بمجموع الدخول
والشرب فكما ان كل واحد من جزئي الشرط لا يقتضي وقوع المشروط كذلك لا يقتضي في الاية كل واحد
من المشاقة والاتباع ترتب الوعيد عليه وحينئذ لم يلزم حرمة اتباع غير سبيل المومنين اجيب
بانا لا نسلم انه رتب الوعيد على كل واحد من المشاقة واتباع غير سبيل المومنين لانه لو لم يكن الوعيد
مرتبا على كل واحد منهما لكفى ذكر اتباع غير سبيل المومنين لان المشاقة مستقلة في ترتب الوعيد
فاذا كانت المشاقة مستقلة في ترتب الوعيد فاذا كانت المشاقة مستقلة في ترتب الوعيد يكون
ذكر اتباع غير سبيل المومنين لغوا قيل لو سلم ان الوعيد مرتب على كل واحد منهما لم يلزم حرمة اتباع
غير سبيل المومنين مطلقا بل حرمة اتباع غير سبيل المومنين بشرط تبين الهدى فان تبين الهدى
شرط في المعطوف عليه والشرط في المعطوف عليه شرط في المعطوف واللام في الهدى للاستغراق فيكون
حرمة اتباع غير سبيل المومنين بعد تبين جميع انواع الهدى ومن جملة انواع الهدى الدليل الذي
لاجله ذهب اهل الاجماع الى الحكم واذا تبين ذلك الدليل استغنى عن الاجماع فلا يبقى فايدة
في التمسك بالاجماع اجيب بانا لا نسلم ان حرمة اتباع غير سبيل المومنين مشروط بتبين الهدى
فان تبين الهدى شرط في ترتب الوعيد على المشاقة لا على اتباع غير سبيل المومنين ولا نسلم ان
الشرط في المعطوف عليه شرط في المعطوف فان العطف يقتضي مشاركة المعطوف للمعطوف
عليه في الحكم الذي يكون للاعراب لاجل اما في جميع الاحكام فلا ولئن سلم ان الشرط في المعطوف
عليه شرط في المعطوف وان تبين الهدى شرط في ترتب الوعيد على اتباع غير سبيل
المومنين لم يضر كون حرمة اتباع غير سبيل المومنين مشروطة بتبين الهدى فان الهدى الذي هو
شرط في ترتبه الوعيد على المشاقة وهو دليل التوحيد والنبوة لا دلايل الاحكام الفرعية
لان المعطوف مشروط بشرط المعطوف عليه لا بغيره فيكون للاجماع فايدة قيل لو سلم حرمة اتباع
غير سبيل المومنين مطلقا فلا نسلم حرمة اتباع كل ما غاير سبيل المومنين بل حرمة بعض ما

غاير

غاير سبيل المومنين وهو الكفر فان غير سبيل المومنين مفرد والمفرد لا يفيد العموم فلا يوجب حرمة
كل ما غاير سبيل المومنين اجيب بان غير سبيل المومنين يقتضي العموم لجواز الاستثناء فانه يصح استثناء
اي واحد من افراد ما غاير سبيل المومنين قيل لو سلم حرمة اتباع ما غاير سبيل المومنين لم يلزم
ان يكون الاجماع حجة فان سبيل المومنين هو دليل الاجماع فان لفظ السبيل حقيقة في الطريق الذي يحصل
فيه المشي وهو غير مراد هاهنا بالاتفاق فصار الظاهر متروكا فلا بد من صرفه الى المجاز فيجعل مجازا عن
دليل الاجماع لان الدليل الذي يثبت به الحكم مشابه للطريق الذي يحصل فيه المشي فانه كما ان الحركة البدنية
في الطريق المسلوك توصل السالك الى المطلوب فكذلك الحركات النفسانية في مقدمات الدليل توصل
النفس الى المطلوب والمشابهة احدى جهات حسن المجاز وحينئذ يقتضي الاية وجوب اتباع دليل
الاجماع وحاصله يرجع الى اثبات الحكم المجموع عليه بالدليل الذي اجمعوا على الحكم به وحينئذ
يخرج الاجماع عن كونه حجة اجيب بان حمل السبيل على الاجماع اولى من حمله على دليل الاجماع
فانه كما صح حمله على دليل الاجماع صح حمله على الاجماع فان اهل اللغة يطلقون السبيل على ما
يختاره الانسان لنفسه من قول او فعل وحمله على الاجماع اولى لعمومه فان الاجماع يفيد المجتهد
والمقلد بخلاف دليل الاجماع فانه لا يفيد الا المجتهد قيل لو سلم حرمة كل ما غاير سبيل
المومنين لكن لا يلزم حرمة كل ما غاير كل سبيل المومنين بل حرمة كل ما غاير بعض سبيل المومنين فيجب
اتباعهم فيما صاروا به مومنين وكل ما غاير سبيلهم فيما صاروا به مومنين هو الكفر بالله وتكذيب
الرسول اجيب بانه حينئذ اتباع غير سبيل المومنين من المشاقة فانه لا معنى لمشاقة الرسول
عليه السلام الا اتباع غير سبيل المومنين فيما صاروا به مومنين فلو حمل هذا يلزم التكرار قيل
سلمنا حرمة اتباع غير سبيل المومنين على الوجه الذي ذكرتم لكن لا يلزم من حرمة اتباع غير
سبيلهم وجوب اتباع سبيلهم قولكم لا يخرج عن اتباع غير سبيل المومنين واتباع سبيلهم ممنوع
فان بينهما واسطة وهو ان يترك الاتباع راسا اجيب بان ترك اتباع سبيل المومنين غير
سبيلهم فمن ترك اتباع سبيلهم فقد اتبع غير سبيلهم لا يقال الشرط في كون الانسان متبعا للغير كونه آتيا
بمثل فعل الغير لاجل ان ذلك الغير اتى به فمن ترك اتباع سبيل المومنين وهو انما تركه لاجل ان غير المومنين
تركوه كان متبعا في ذلك غير سبيل المومنين اما من تركه لاجل الدليل الدال على وجوب ذلك الترك
او لعدم الدليل على اتباع المومنين فلا يكون متبعا لاحد فلا يدخل تحت الوعيد لانا نقول يفهم في
العرف من قول القايل لا تتبع غير سبيل المومنين وجوب اتباع سبيل المومنين حتى لو قال لا تتبع غير
سبيل المومنين ولا تتبع سبيلهم ايضا لكان ذلك مستهجنا نعم لو قال لا تتبع سبيل غير المومنين لا يفهم منه
وجوب اتباع سبيلهم ولذلك لا يستقبح ان يقال لا تتبع سبيل غير المومنين ولا سبيلهم وبالجملة الفرق
ثابت في العرف بين قولنا لا تتبع غير سبيل المومنين وبين قولنا لا تتبع سبيل المومنين قيل سلمنا
وجوب اتباع سبيل المومنين لكن وجوب اتباعهم سبيلهم في بعض الامور لا في كل فانه لا يجب
اتباعهم في فعل المباح واذا كان وجوب اتباع سبيلهم في بعض الامور لم يلزم اتباعهم في الحكم
الذي اجمعوا عليه اجيب بانه يجب اتباع سبيل المومنين في كل الامور بدليل صحة الاستثناء
ولانه لما ثبت النهي عن اتباع كل ما هو غير سبيل المومنين وثبت عدم الواسطة بين الاتباعين
لزم وجوب اتباع سبيل المومنين في كل الامور الا ما خص عنه الدليل وفعل المباح خص
عنه الدليل قيل لو وجب اتباع سبيل المومنين في كل الامور لزم التناقض واللازم باطل
والملزوم مثله بيان الملازمة ان اهل الاجماع اثبتوا الحكم المجموع عليه بالدليل لان

اجماعهم على الحكم لابد له من دليل لان القول بلا دليل خطا ولا يجوز ان يكون الاجماع نفسه هو الدليل
لامتناع تقدم الشي على نفسه فيكون سبيل المومنين اثبات الحكم بدليل غير الاجماع فيجب اثبات الحكم
بغير الاجماع لوجوب اتباع سبيل المومنين في كل الامور فيلزم ان لا يجوز اثبات ذلك الحكم بالاجماع
فيلزم التناقض اجيب بان الاية اقتضت وجوب اتباعهم في كل الامور لكن خص عنها هذه الصورة
وترك العمل بمقتضى الاية في هذه الصورة لانعقاد الاجماع على انه لا يجب علينا الاستدلال بما استدلوا
به اعني اهل الاجماع فبقي العمل بها بالباقي وقيل سلمنا دلالة الاية على وجوب اتباع سبيل المومنين في
كل الامور لكنها تدل على وجوب اتباع سبيل كل المومنين لان لفظ المومنين جمع معرف باللام فيفيد
الاستغراق وكل المومنين هم الموجودون الى يوم القيامة فلا يكون الموجودون في العصر كل المومنين
فلا يكون اجماعهم اجماع كل المومنين ولا يكون حجة اجيب بانه لا يجوز ان يكون المراد بالمومنين جميع
المومنين الى يوم القيامة بل المراد بالمومنين الموجودون في كل عصر وذلك لان المقصود العمل فان الله
تعالى رتب الوعيد على اتباع غير سبيل المومنين زجرا عن مخالفة المومنين وترغيبا في الاخذ بقولهم
والعمل به فلا يجوز ان يكون المراد جميع المومنين الموجودين الى يوم القيامة فانه حينئذ لم
فائدة في التمسك بقولهم اذ لا عمل في القيامة قيل هذه الاية دلت على وجوب عصمة النبي صلى الله عليه
وسلم عن جميع الذنوب لانه لو صدر منه ذنب لوجب ان لا نشاقق بهذه الاية فوجب ان لا يصدر
عنه ذنب وقيل دلت هذه الاية على انه يجب الاقتدا بالرسول عليه السلام في افعاله اذ لو كان
فعل الامة مخالفا لفعل الرسول لزم كون كل واحد منهما في شق اخر من العمل فيحصل المشاقة لكن
المشاقة محرمة فيجب الاقتدا به في افعاله وقيل كل مجتهد مصيب في الاصول لا بمعنى ان اعتقاد
كل واحد مطابق للواقع بل بمعنى سقوط الاثم عن المخطي واحتجوا عليه بهذه الاية فانه تعالى شرط
حصول الوعيد بتبين الهدى والمعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط وهذا يقتضي انه اذا لم يحصل
تبين الهدى لا يكون الوعيد حاصلا ورد بانه احتجاج بالمفهوم وهو دلالة ضعيفة عند من يقول
به والدليل الدال على وعيد الكفار قطعي لانه تعالى قال بعد هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به والظني
لا يعارض القطعي وقيل والاية دالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالدليل والنظر والاستدلال وذلك لانه
تعالى شرط حصول الوعيد بتبين الهدى ولو لم يكن تبين الهدى معتبرا في صحة الدين لما كان
لهذا الشرط معنى والاية دالة على ان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لو كان الهدى اسما للعلم
لكان اضافة التبين الى الهدى اضافة الشي الى نفسه وانه فاسد قوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا قيل هذه الاية
مكررة في هذه السورة وفي تكرارها فايدتان الاولى ان عمومات الوعيد وعمومات الوعد متعارضة
في القران وانه تعالى ما اعاد اية من ايات الوعيد بلفظ واحد مرتين وقد اعاد هذه الاية
الدالة على العفو والمغفرة بلفظ واحد في سورة واحدة وقد اتفقوا على انه لا فايدة في التكرير
الا التاكيد فهذا يدل على انه تعالى خص جانب الوعد والرحمة بمزيد تاكيد وذلك يقتضي ترجيح
الوعد على الوعيد الثانية ان الايات المتقدمة انما نزلت في سارق الدرع وقوله ومن
يشاقق الرسول الى اخر الايات انما نزلت في ارتداده فهذه الاية انما حسن اتصالها بما قبلها ولو
كان المراد ان ذلك السارق لو لم يرتد لما صار محروما عن رحمتي ولكنه لما ارتد واشرك بالله صار
محروما عن رحمة الله قطعا ثم اكد بان شرح ان امر الشرك عظيم عند الله فقوله ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا يعني ومن لم يشرك بالله لم يكن ضلاله بعيدا فلا جرم لا يصير محروما وسا

لم ص

عن رحمتي وهذه المناسبات دالة قطعا على دلالة هذه الاية على ان ما سوى الشرك مغفور قطعا حصلت
التوبة او لا قيل ان شيخا من الاعراب جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك
في الذنوب والخطايا الا اني لم اشرك بالله شيا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا
ولم اوقع المعاصي جراة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تايب
مستغفر فما حالي عند الله فنزلت هذه الاية قال صاحب الكشاف وهذا الحديث ينصر قول
من فسر من يشا بالتايب من ذنبه والظاهر انه لم ينصره قوله تعالى ان يدعون من دونه
الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا
من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك
ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا قد بين الله ماهية الشرك وكونه ضلالا بعيدا قوله
يدعون بمعنى يعبدون لان من عبد شيا فانه يدعوه عند احتياجه اليه من دون الله الا
اناثا هي اللات والعزى ومناة واشباهها من الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله وكان
في كل واحدة منهن شيطانا يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم وعن الحسن لم يكن حي من احيا العرب
الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل
المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله قوله وان يدعون اي وما يعبدون بعبادة الاصنام
الا شيطانا مريدا اي ماردا وهو الشديد العاتي الخارج من الطاعة يقال مرد الرجل
يمرد مرودة ومرادة اذا عتا وخرج من الطاعة لان الشيطان هو الذي اغراهم على
عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله وقال لاتخذن يعني شيطانا مريدا جامعا
بين لعنة الله وهذا القول الشنيع لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا
فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطا وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعماية وتسعون
الى النار وكل من اطاع ابليس فيما يزينه فهو من نصيبه المفروض ثم قال ابليس ولاضلنهم عن الحق
والهدى والصراط المستقيم واضلاله وسواس ودعا الى الباطل ولو كان اليه شي من الضلال
سوى الدعا اليه لاضل جميع الخلق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق ابليس مزينا
وليس اليه من الضلالة شي يعني انه يزين للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق فيهم الضلالة
قوله ولامنينهم التمنية تسهيل سبيل ادراك المنية وهي ما يتمناه الانسان والشيطان يمني الانسان
بان يخيل ادراك ما يتمناه من الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال قال ابن عباس
يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقال
الزجاج اجمع لهم مع الاضلال او هم انهم ينالون من الاخرة حظا قوله ولامرنهم
فليبتكن البتك القطع والتبتيك التقطيع وهو في هذا الموضع قطع اذان البحيرة كانوا يشقون
اذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجا الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها
قوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يريد تغيير دين الله اي تبديل الحرام حلالا والحلال
حراما وكل من ارتكب محظورا واتى بها فقد غير دين الله وقيل تغيير خلق الله فقو عين الحامي
واعفاوه عن الركوب وقيل الخصا وهو في قول عامة العلما مباح في البهايم وفي بني ادم
محظور وعند ابي حنيفة يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة
فيهم تدعو الى خصايهم وقيل تغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها وهذا معنى قوله صلى الله عليه

كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصا
فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات
والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث قال الامام يجب ادخال السحاقات في هذه الاية على هذا
القول لان التخنث تشبيه الذكر بالانثى والسحق بالعكس وقيل ان الله خلق الانعام لناكلوها فحرموها
على انفسهم كالبحاير والسوايب والوصايل وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرة للناس ينتفعون بها
فعبدوها فغيروا خلق الله قوله ومن يتخذ الشيطان لما حكى الله عن الشيطان دعاوه في الاغواء
والاضلال حذر الناس عن متابعته فقال ومن يتخذ الشيطان ولا يختار احد ان يتخذ الشيطان
وليا من دون الله لكن اذا فعل ما امره الشيطان به وترك ما امره الرحمن صار كانه اتخذ الشيطان وليا
لنفسه وترك ولاية الله وانما قال خسر خسرانا مبينا لان طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدايمة
الخالصة عن شوايب الضرر وطاعة الشيطان تفضي الى المضار الدايمة والاحزان والالام
العالية ولا شك ان هذا خسران مبين قوله يعدهم ويمنيهم وعد الشيطان وتمنيته ما يصل
الى قلب الانسان من نحو ما يجد من انه سيطول عمرك وتنال من الدنيا لذاتك وتعلو على اعدائك
وكل هذا غرور وتمنيه وسيهجم عن قريب الاجل وقد ابطل ايام عمره في رجاء ما لم يدرك منه شيا فالعاقل
من لم يعرج الى هذا او جد في الطاعة وعلم انه سينقطع عن الدنيا قريبا وصدق الله في قوله وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اي الا ما يغرهم بايهام النفع فيما فيه الضرر والغرور ان يظن الانسان بالشي
انه نافع لذيذ ثم تبين اشتماله على اعظم الالام والمضار وقيل الحالة التي تحصل للانسان عند وجدانه
ان يستحسن ظاهرها الا انه يعظم تاذيه بها عند انكشاف الحال فيه او الاستغراق في طيبات الدنيا
والانهماك في معاصي الله تعالى وان كان في الحال لذيذا الا ان عاقبته عذاب جهنم وسخط
الله والبعد عن رحمته فكان هذا المعنى مما يقوي ما تقدم ذكره من انه ليس الا الغرور قوله
اولئك الذين اتخذوا الشيطان وليا وهم مرجعهم ومصيرهم الى جهنم ولا يجدون
عنها محيصا يقال حاص عن الامر اذا عدل عنه والمعنى انهم لا بد لهم من ورودها قال الله
وان منكم الا واردها والخلود فيها فلا معدل عنها وهو نصيب الكفار **قوله تعالى**
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا لما ذكر الوعيد بالكفار اردفه بالوعد للمومنين
قال الامام انه تعالى في اكثر ايات الوعد ذكر خالدين فيها ابدا ولو كان الخلود يفيد التابيد
والدوام لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلمنا ان الخلود عبارة عن طول المكث لا عن الدوام واما
في ايات الوعيد فذكر الخلود ولا يذكر التابيد الا في حق الكفار وذلك يدل على ان عقاب الفساق
منقطع قوله وعد الله حقا هما مصدران الاول مؤكد لنفسه كانه قال وعد وعدا
والثاني مؤكد لغيره اي حق ذلك حقا قوله ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ وفائدة
هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق
تنبيها على ان وعد الله اولى واحق بالقبول والتصديق من مواعيد الشيطان الذي ليس احد اكذب
منه قرا حمزة والكسائي اصدق باشمام الزاي وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال في القران نحو قصد
السبيل فاصدع والقيل مصدر قال قولا وقيلا وقيل القيل والقال اسمان لا مصدران **قوله**
تعالى ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا قيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا

قبل

قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزل
ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب والضمير في ليس يعود الى وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله
من الثواب باماينكم ولا باماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من امن
به ولذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وقيل الخطاب للمشركين والمشركو
وان لم يومنوا بوعد الله لكن قالوا ان كان الامر كما زعم هولاء المسلمون لنكونن خيرا منهم واحسن
حالا قال تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان
اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة وبعضهم بعد و
ذكر اهل الشرك قبله والمعنى ليس ما وعد الله من الثواب بالاماني انما هو بفضل الله والايمان
والعمل الصالح علامته وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب اي اثر فيه وصدقه
العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله
وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل قوله ومن يعمل سوا يجز به قال الحسن هذا في الكفار
خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير والمومن يجزى باحسن عمله ويتجاوز
عن سياته ثم قرا ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا وقيل هذا عام في كل من عمل سوا من مسلم
وكافر ولكن المومن يجزى به في الدنيا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قلت كيف الصلاح يا رسول
بعد هذه الاية من يعمل سوا يجز به فقال غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب
الست يصيبك اللاواء قلت بلى قال فذلك ما تجزون به وعن ابي هريرة لما نزلت ليس باماينكم
ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوا يجز به بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الاية
من شي قال اما والذي نفسي بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه
لا يصيب احدا منكم مصيبة الا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها احد في قدمه
وعن عايشة رضي الله عنها ان رجلا تلا هذه الاية ومن يعمل سوا يجز به فقال انا
لنجزى بما عملنا هلكنا اذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم يجزى به المومن
في الدنيا مصيبة في جسده وماله يوذيه قوله ولا يجد له من دون الله وليا يمنعه ولا
نصيرا ينصره قيل تاويل هذه الاية ظاهر في الكفار واما في المسلمين فانه لا ناصر لاحد في
القيامة دون الله ولا اولى للمسلمين على من ناواهم من اهل الاديان **قوله تعالى**
ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا
قيل لما نزل قوله ومن يعمل سوا يجز به قال اهل الكتاب للمسلمين نحن وانتم سوا فنزل
ومن يعمل وما بعده من قوله ومن احسن دينا قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم
يدخلون بضم اليا وفتح الخا على ما لم يسم فاعله وكذلك في سورة مريم وفي حم المومن والباقون
بفتح اليا وضم الخا في هذه السور جميعا على ان الدخول مسند اليهم وكلاهما حسن والاول
احسن لانه افخم ويدل على مثبت ادخلهم الجنة ويوافق ولا يظلمون واما القراة الثانية
فهي مطابقة لقوله ادخلوا الجنة انتم وازواجكم ولقوله ادخلوها بسلام ومن في قوله
من الصالحات للتبعيض اي ومن يعمل بعض الصالحات لان احدا لا يتمكن ان يعمل جميع الصالحات
بل المراد به اذا عمل بعض الصالحات حال كونه مومنا يدخل الجنة على سبيل التفضل بمقتضى وعده
قال صاحب الكشاف لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو
تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال

ومن في قوله من ذكر او انثى لتبيين الابهام في قوله من يعمل وفي هذه الاية دالة على ان صاحب
الكبيرة لا يبقى مخلدا في النار بل ينقل الى الجنة لان صاحب الكبيرة مومن فاذا صلى وصام وزكى
وحج يدخل الجنة بمقتضى الاية ويدخل النار بحكم الايات الدالة على وعيد الفساق ولا يدخل
الجنة ثم ينقل الى النار بالاتفاق فتعين العكس والنقير النقرة التي تكون في ظهر النواة
منها تنبت النخلة اي لا ينقصون قدر منبت النواة فان قيل كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون
مع ان غيرهم كذلك كما قال وما ربك بظلام للعبيد وما الله يريد ظلما للعباد اجيب من
وجهين احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وثانيهما
ان يكون الراجع فيه لعمال الصالحات ونفي الظلم عنهم بان لا ينقص عن ثوابهم كان دالا
على ان لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب
من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دالا له
على انه لا يقع نقصان في الفضل **قوله تعالى** ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو
محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا لما شرط دخول الجنة بكون الانسان
مومنا شرح الايمان وبين فضله من وجهين احدهما انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية
والخضوع والانقياد والثاني انه الدين الذي كان عليه ابرهيم عليه السلام وكل من الوجهين
سبب مستقل في الترغيب في دين الاسلام اما الاول فلان دين الاسلام مبني على الاعتقاد والعمل
اما الاعتقاد فاليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لان الاسلام هو الانقياد والخضوع والوجه
احسن اعضاء الانسان اذا عرف الله بقلبه واقر بربوبيته واخلص نفسه له وجعلها سالمة
له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه فقد اسلم وجهه لله واما العمل واليه الاشارة بقوله
وهو محسن اي عامل بالحسنات تارك للسيئات قال الامام فتامل في هذا اللفظ المختصر واحتوائه
على جميع المقاصد والمطالب وقوله اسلم يفيد الحصر معناه انه اسلم نفسه لله وما اسلم لغير الله
وهذا تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق واظهار
التبري من الحول والقوة وعلى فساد طريقة من استعان بغير الله فان المشركين كانوا يستعينون
بالاصنام ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله والدهرية والطبيعيون يستعينون بالافلاك
والكواكب والطبايع وغيرها واليهود كانوا يقولون في دفع عقاب الاخرة عنهم انهم من
اولاد الانبياء والنصارى كانوا يقولون ثالث ثلاثة فجميع الفرق قد استعان بغير الله
واما المعتزلة فهم في الحقيقة ما اسلموا وجوههم لانهم يرون الطاعة الموجبة لثوابهم من
انفسهم والمعصية الموجبة لعقابهم من انفسهم فهم في الحقيقة لا يرجون الا انفسهم ولا يخافون
الا انفسهم واما اهل السنة الذين فوضوا التدبير والتكوين والخلق والابداع الى الحق
سبحانه واعتقدوا انه لا موجد ولا موثر الا الله فهم الذين اسلموا وجوههم لله واما الوجه الثاني
في بيان فضيلة الاسلام وهو ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعى الخلق الى دين ابرهيم
عليه السلام فلقد اشتهر عند كل الطوائف ان ابرهيم عليه السلام ما كان يدعو الا الى الله
تعالى كما قال اني بري مما تشركون وما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم
ولا استعانة بطبيعة بل كان دينه الدعوة الى الله والاعراض عن كل ما سوى الله وشرع محمد عليه السلام
فقد كان قريبا من شرع ابرهيم عليه السلام في الختان والاعمال المتعلقة بالكعبة مثل الصلوة اليها
والطواف بها والسعي والرمي والوقوف والحلق في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات ولما ثبت ان شرع

والكلمات العشر المذكورة

عليه السلام كان قريبا من شرع ابرهيم ثم ان شرع ابرهيم عليه السلام مقبول عند الكل وذلك
لان العرب لا يفتخرون بشيء كافتخارهم بالانتساب الى ابرهيم واما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم
مفتخرين به واذا ثبت هذا لزم ان يكون شرع محمد صلى الله عليه وسلم مقبولا عند الكل قوله حنيفا
حال من المتبع او من ابرهيم لقوله بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال
عن الاديان كلها الى دين الاسلام لان ما سواه باطل والحق مائل عن كل باطل فان قيل ظاهر الاية
يقتضي ان شرع محمد عليه السلام نفس شرع ابرهيم وعلى هذا التقدير لم يكن محمد عليه السلام صاحب
شريعة مستقلة وانتم لا تقولون بذلك قال الامام قلنا يجوز ان تكون ملة ابرهيم داخلة في ملة
محمد عليه السلام مع اشتمال هذه الملة على زوايد حسنة وفوايد جليلة والاولى ان يقال المراد به الاتباع
في الاصول المانع عن الشرك قوله واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة
تشبه كرامة الخليل عند خليله وقيل الخليل هو الذي يدخل في خلال امورك واسرارك او الذي
دخل حبه في خلال اجزاء قلبك وهذا هو الغاية في المحبة قيل لما اطلع الله ابرهيم عليه السلام
على ملكوت السموات والارض ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجم
والقمر والشمس وعبادة الاوثان وسلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان وجعله
الله اماما للخلق ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته سماه خليلا لان محبة الله لعبده
عبارة عن ارادته لايصال الخيرات والمنافع اليه وقيل الخليل المحتاج وهو الذي يخالك اي
يوافقك في خلالك او يسايرك في طريق من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد
خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك قيل سبب هذا النزول انه لما صار الرمل الذي اتى به
غلمانه دقيقا قالت امراته هذا من عند خليلك المصري فقال ابرهيم بل هو من خليلي الله وقيل هبط
ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابرهيم عليه السلام اذكره مرة اخرى
فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة
ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود
امتحانك فلما بذلت المال والاولاد على سماع ذكر الله اتخذك الله خليلا وقيل ان جبريل والملائكة
لما دخلوا على ابرهيم في صورة غلمان حسان وظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه
اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فنزل
هذا الوصف روى عبد الله بن عمر عن النبي عليه السلام انه قال يا جبريل لم اتخذ الله ابرهيم
خليلا فقال لاطعامه الطعام وهذه الجملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كالنحو في الشعر
من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند
الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلت معطوفة على الجملة قبلها
لم يكن لها معنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم
خليلا وانه لم يكن لنبي الا له في امته خليل الا وان خليلي ابو بكر **قوله تعالى** ولله ما في
السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه منها انه
تعالى لما ذكر الوعد والوعيد ولا يمكن الوفاء بهما الا عند حصول امرين احدهما القدرة
التامة المتعلقة بجميع المخلوقات والثاني العلم التام المتعلق بجميع الكليات والجزئيات
حتى لا يشتبه عليه المطيع بالعاصي والمحسن بالمسيء اوذل على كمال قدرته بقوله ولله ما في السموات
وما في الارض وعلى كمال علمه بقوله وكان الله بكل شيء محيطا اي عالما علم احاطة وهو العلم

بالسعي من كل وجه حتى لا يستدعيه شي ومنها انه لما وصف ابرهيم بانه اتخذ خليلا بين انه جمع بهذه الخله عبد له
وذلك لان له ما في السموات وما في الارض كله ملك وفي ملكه وفي تسخيره ونفاذ الهيته فكيف يعقل ان يقال
ان اتخاذ الله ابرهيم خليلا يخرجه عن عبوديته ومنها ان الله تعالى لم يتخذ ابرهيم خليلا لاحتياجه
اليه في امر من الامور كما يكون خلة بني ادم وكيف يعقل ذلك وله ما في السموات وما في الارض وانما
اتخذه خليلا تفضلا واحسانا ولما كان اسلم وجهه لله واخلص في عبوديته خصه الله بهذا التشريف
والحاصل ان اتخاذه خليلا توهم الجنسيه فازال بهذا الكلام وهم المجانسه ومنها انه تعالى ذكر في
اول السوره الى هذا الموضع انواعا كثيره من الامر والنهي والوعد والوعيد فبين ههنا ان له ما في
السموت وما في الارض فطاعته واجبه عليهم **قوله تعالى** ويستفتونك في النسا قل الله يفتيكم
فيهن وما يتلى عليكم في يتامى النسا اللاتي لا تؤتونهن ما كتب الله وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين
من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما قال الامام عادة
الله في ترتيب هذا الكتاب الكريم وقع على احسن الوجوه وهو انه يذكر شيا من الاحكام ثم يذكر عقيبه ايات
كثيره في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ويخلط بها ايات داله على كبريا الله وجلاله وكمال
قدرته وعلمه ثم يعود مره اخرى الى بيان الاحكام وهذا احسن انواع الترتيب واقربها الى التاثير
في القلوب لان التكليف بالاعمال الشاقه لا يقع في موقع القبول الا اذا كان مقرونا بالوعد والوعيد
والوعيد لا يوثر في القلب الا عند القطع بغاية كمال من صدر عنه الوعد والوعيد فظهر ان هذا
الترتيب احسن الترتيبات اللايقه بالدعوه الى الدين الحق اذا عرف ذلك فنقول انه تعالى ذكر في اول
هذه السوره انواعا كثيره من الشرايع والتكاليف ثم اتبعها بشرح احوال الكافرين والمنافقين
واستقصى في ذلك ثم ختم تلك الايات بالايات الداله على عظمة جلال الله وكمال كبريايه ثم عاد بعد
ذلك الى بيان الاحكام واستقصى في ذلك ثم ختم تلك الايات بالايات الداله على عظمة جلال الله
وكمال كبريايه ثم عاد بعد ذلك الى بيان الاحكام فقال ويستفتونك قيل سبب نزول هذه
الايه ان الرجل كان في الجاهليه عنده اليتيمه فيلقي عليها ثوبه فاذا فعل بها ذلك لم يقدر احد
ان يتزوجها ابدا فان كانت جميله وهويها تزوجها واكل مالها وان كانت دميمه منعها الرجال
حتى تموت فاذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك وانزل هذه الايه وقيل ان اهل الجاهليه كانوا لا يورثون
النسا والصبيان شيا واذا كانت المراه يتيمه في الجاهليه دميمه ولها مال فكره وليها ان يتزوجها
من اجل دمامتها ويكره ان يزوجها غيره من اجل مالها فكان وليها لا يتزوجها ويحبسها عنده حتى تموت
فيرثها وقيل ان اليتيمه اذا كانت ذات مال وجمال رغب وليها فيها فنكحها واستاثر بها واذا لم
تكن ذات مال ولا جمال انكحها ولم ينكحها فانزل الله هذه الايه وقيل جات امراه من الانصار
يقال لها خوله بنت حكيم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اخي توفي وترك بنات ليس
عندهن من الحسن ما يرغب فيهن الرجال ولا يقسم لهن من ميراث ابيهن شي فنزلت وقيل نزلت هذه الايه
في بنات ام كحه وميراثهن من ابيهن وقد مضت القصه في اول السوره وقيل ان رجلا كانت له امراه
كبيره وله منها اولاد فاراد طلاقها فقالت لا تفعل واقسم لي في كل شهرين ان شئت او اكثر فقال
لين كان هذا فهو احب الي فاتى رسول الله فذكر له ذلك فقال قد سمع الله ما تقول فان شا اجابك
فنزلت هذه الايه والتي بعدها قوله ويستفتونك يطلبون منك الفتوى وهي تبيين المشكل من الاحكام
وقيل الاستفتا الاستخبار يقال استفتيت الفقيه في مسله فافتاني والاسم الفتيا والفتوى وهما اسمان
يوضعان موضع الافتا ويقال افتيت فلانا في رويا اراها اذا عبرها قال الله يوسف ايها الصديق

افتنا في سبع بقرات ومعنى الافتا اظهار المشكل واصله من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل فالمعنى كانه
يقوى ببيانه ما يبينه ويصير قويا مبينا قل الله يفتيكم يعني ايه المواريث في يتامى النسا اي في النسا اليتامى
فاضيفت الصفه الى الاسم كما يقول كتاب الكامل ويوم الجمعه هذا قول الكوفيين وعند البصريين لا يجوز
اضافة الصفه الى الموصوف والمراد بالنسا ههنا امهات اليتامى اضيفت اولادهن اليهن اليتامى اي يتامى
النسا التي لا تؤتونهن قال صاحب الكشاف ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى
اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان
يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره على انها جمله معترضه والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما
للمتلو عليهم وان العدل والنصفه في حقوق اليتامى من عظايم الامور المرفوعه الدرجات عند الله التي تجب
مراعاتها والمحافظه عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القران وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب
والقسم ايضا بمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى
اما من حيث اللفظ لان الجار والمجرور لشي واحد فلا يعطف على بعضه واما من حيث المعنى فلعدم دخوله
في الاستثنا ولانه لا يستقيم يفتيكم في حق ما يتلى عليكم فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النسا قلت في الوجه
الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناه ويجوز ان يكون في يتامى النسا بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخرين
فبدل لا غير والاضافه في يتامى النسا بمعنى من كقولك عندي سحق عمامه قوله اللاتي لا تؤتونهن اي لا تعطونهن
ما كتب لهن ما فرض لهن من الميراث وترغبون في ان تنكحوهن لجمالهن ويحتمل عن ان تنكحوهن لدمامتهن وروى
ان عمر رضي الله عنه كان اذا جاه ولي اليتيمه نظر فان كانت غنيه جميله قال زوجها غيرك والتمس
لها من هو خير منك وان كانت دميمه لا مال لها قال تزوجها فانت احق بها قوله والمستضعفين
مجرور معطوف على يتامى النسا يعني الصغار من الصبيان والمعنى يفتيكم في المستضعفين ان يعطوهم حقوقهم
لان ما يتلى عليكم في باب اليتامى واتوا اليتامى اموالهم يدل على الفتيا في اعطا حقوق الصغار من الميراث
قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط في موضع خفض كالمستضعفين على معنى ويفتيكم في ان تقوموا لليتامى
بالقسط ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للايمه في ان ينظروا ويستوفوا
لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم قال ابن عباس يريد العدل في مهورهن وفي مواريثهن وما تفعلوا
من خير من حسن فيما امرتكم به فان الله كان به عليما يجازيكم عليه ولا يضيع لكم شي منه **قوله تعالى**
وان امراه خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت
الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا هذا من جملة ما اخبر الله انه يفتيهم
في النسا مما لم يتقدم ذكره في هذه السوره خافت اي ظنت او توقعت من بعلها نشوزا ترفعا عليها لبغضها
او اعراضا عنها بوجهه وتركا لمجامعتها ومضاجعتها والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والموده
والرحمه التي بين الرجل والمراه وان يوذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقلل
محادثتها وموانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامه او شي في خلق او خلق او ملال
او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح فلا باس بهما في ان يصلحا بينهما قرا عاصم وحمزه والكسايي
بضم اليا وسكون الصاد وكسر اللام من الاصلاح والباقون بفتح اليا وتشديد الصاد مع فتحها
وبعد الصاد الف بعدها لام مفتوحه من التصالح ويصالحا في الاصل يتصالحا سكنت التا ادغمت في الصاد
وجه يصلحا ان الاصلاح عند التنازع والتشاجر مستعمل قال تعالى فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح
بينهما وقال او اصلاح بين الناس ووجه ان يصالحا ان يتوافقا صلحا في معنى مصدر كل واحد من الفعلين

زوجها خ

ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان يطيب له نفسا عن القسمه او عن بعضها كما فعلت سوده بنت زمعه حين كرهت
ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عايشه من قلبه فوهبت له نوبتها وقيل صلحا يعني في
القسمه والنفقه وهو ان يقول لها انك امراه ذميمه او قد دخلت في السن واريد ان اتزوج عليك امراة شابه
جميله واوثرها عليك في الليل والنهار لشبابها فان رضيت بعد ما فاسي وان كرهت خليت سبيلك فان رضيت
بذلك كانت هي المحسنه ولا تجبر على ذلك فان لم ترض بدون حقها كان الواجب على الزوج ان يوفيها حقها من المقام
والنفقه او يسرحها باحسان ولا يحبسها على الحيف وان اقام عليها ورضي ووفى لها حقها مع كراهيته لصحبتها
فهو المحسن الذي مدحه الله قوله والصلح خير من الفرقه او من النشوز والاعراض وسوء العشره او هو خير
من الخصومه في كل شي والصلح خير من الخيور اي الخيرات كما ان الخصومه شر من الشرور وهذه الجمله اعتراض
وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعناه احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا للانفس لا يغيب
عنها ابدا ولا ينفك عنها اعني ان النفوس مطبوعه على الشح والغرض ان المراه لا تكاد نفسها تسمح بقسمتها وبغير
قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها قوله وان
تحسنوا بالاقامه على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبه
وتتقوا النشوز والاعراض وما يودي الى الاذى والخصومه فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى
خبيرا وهو يثيبكم عليه وقيل انه خطاب للازواج والنساء اي وان يحسن كل واحد منهما الى صاحبه ويحترز
عن الظلم وقيل خطاب لغيرهما يعني وان تحسنوا المصالحه بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما قال صاحب
الكشاف وكان عمران ابن حطان الخارجي من ادم بني ادم وامراته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها
يوما ثم قالت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنه قال كيف قالت لانك
رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنه عباده الشاكرين والصابرين
قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه وان
تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما قيل لن تقدروا على التسويه بين النسا في المحبه التي هي ميل
الطباع لان ذلك مما لا تقدرون عليه ولو اجتهدتم وقيل محال ان تستطيعوا العدل بين النسا والتسويه
حتى لا يقع ميل البته ولا زياده ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما
كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل
في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبه لان عايشه
رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبه حدا يوهم انه غير مستطاع
لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمه والنفقه والتعهد والنظر والاقبال والممالحه والمفاكهه
والموانسه وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورايه فهو كالخارج من حد الاستطاعه هذا
اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن قوله فلا تميلوا فلا تجوروا على المرغوب
عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها اي ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعه
فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقه
لا ايما ولا ذات بعل قال الشاعر هل هي الا حظه او تطليق او صلف او بين ذاك تعليق
وقيل لا تميلوا الى الشابه كل الميل فتدعوا الاخرى كالمنوطه لا في الارض ولا في السما لذلك
هذه لا تكون مخليه فتتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها وان تصلحوا بالعدل في القسم وتتقوا الجور
فان الله كان غفورا رحيما لما ملت التي تحبها وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احدهما

جا

بلغ باصله

الى ازواج رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمال فقالت
عايشه اكل ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث عمر

جا يوم القيامه واحد شقيه مايل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث
عمر بمثل هذا فقال بعث الى الحق سان بمثل هذا او الى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمه بماله ونفسه فرجع الرسول
فاخبره فاتم لهن جميعا وكانت لمعاذ امراتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضا في بيت
الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد قوله تعالى وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشا يذهبكم ايها
الناس ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا ذكر الله جواز الصلح بين الزوجين ان ارادا ان
يجتمعا ويتالفا فان رغبا في المفارقه وتفرقا بالطلاق فقد وعد الله لهما ان يغني كل واحد
منهما عن صاحبه بعد الطلاق اي يغن الله المراة بزوج والزوج بامراة اي كلا يرزقه خيرا
من زوجه وعيشا اهنا من عيشه والسعة الغنى والمقدره والواسع الغني المقتدر وكان الله
واسعا لجميع خلقه في الرزق والرحمه حكيما فيما حكم ووعظ ثم ذكر ما يوجب الرغبه اليه في طلب
الخير منه فقال لله اي هو مالك لهما ثم قال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب ان اتقوا اي بان
اتقوا وتكون ان المفسره لان التوصيه في معنى القول قوله وان تكفروا عطف على قوله
اتقوا لان المعنى امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله فيه وجهان الاول
ان لله الخلق وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه
غير معصي منقاد الاوامر ونواهيه يتقون عقابه ويرجون ثوابه الثاني انكم ان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض من اصناف المخلوقات من يعبده ويتقيه وكان مع ذلك
غنيا عن خلقه وعن عبادتهم ومستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم فهو في ذاته محمود
سوا حمدوه او لم يحمدوه وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب
تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشيه والتقوى اصل الخير كله ذكر قوله لله ما في السموات
في هذه الايه ثلث مرات لتقرير ثلثة امور اولها انه قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا
من سعته والمراد منه انه تعالى جواد متفضل فذكر عقيبه قوله ولله ما في السموات
وما في الارض والغرض منه تقرير كونه غنيا لذاته عن الكل وثانيها قال ولله ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا والمراد منه تعالى قادر على الافنا والايجاد فان عصيتموه
قادر على اعدامكم وافنايكم بالكليه وعلى ان يوجد قوما اخرين يشتغلون بعبوديته
وتعظيمه فالغرض هاهنا تقرير كونه سبحانه قادرا على جميع المقدورات واذا كان الدليل الواحد
دليلا على مدلولات كثيره فانه يحسن ان يستدل به على احد تلك المدلولات ثم يذكر مره
اخرى ليستدل به على الثاني ثم يذكر ثالثا ليستدل به على المدلول الثالث وهذه
الاعاده احسن واولى من الاكتفا بذكر الدليل مره واحده لان عند اعاده ذكر الدليل
يحضر في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول فكان العلم الحاصل بذلك المدلول اقوى واجلى
فظهر ان هذا التكرير في غاية الحسن والكمال وايضا فاذا اعيد ثلاث مرات وفرع عليه
في كل مره اثبات صفه اخرى من صفات جلال الله تنبه الذهن حينيذ لكون خلق الله السموات

يعني اليهود والنصارى والكتاب
اسم الجنس متناول للكتب السماويه

و الارضد الاعلى اسرار شريفه ومطالب جليله فعند ذلك يجتهد الانسان فى التفكر فيها
والاستدلال باحوالها وصفاتها على صفات الخلق سبحانه وتعالى ولما كان الغرض الكلى
من هذا الكتاب الكريم صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق فى
معرفة الله وكان هذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب و يولده لاجرم كان فى غاية الحسن والكمال
وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شى اراده وهذا غضب
عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العرب اى ان يشا يفنيكم ويات بناس اخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا اريد قوم فارس **قوله تعالى** من كان يريد
ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا المعنى من كان يريد ثواب
الدنيا اى يريد بجهاده الغنيمه فهو مخطى فان عند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون
الاخرة والذى يطلبه اخسهما لان من جاهد لله مخلصا لم تخطه الغنيمه وله من ثواب الاخرة
ما الغنيمه الى جنبه كلاشى والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراده حتى تتعلق الجزا
بالشرط قال الزجاج كان مشركوا العرب لا يومنون بالبعث والحساب وكانوا مقرين بان الله
خالقهم فكان تقربهم الى الله انما هو ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها فاعلم الله ان خير
الدنيا والاخرة عنده فينبغى ان يطلب من عنده ثواب الدنيا والاخرة وكان الله يسمع كلامهم
انهم لا يطلبون من الجهاد سوى الغنيمه ويرى انهم لا يجتهدون فى الجهاد الاعند توقع الفوز
بالغنيمه **قوله تعالى** يايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو على انفسكم او
الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان
تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا قيل انه تقدم فى هذه السوره امر الناس
بالقسط كما قال وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى وامرهم بالاشهاد عند دفع اموال اليتامى
اليهم وامرهم بعد ذلك ببذل النفس والمال فى سبيل الله وجرى فى هذه قصة طعمه بن الابيرق
واجتماع قومه على الذب بالكذب عنه والشهاده على اليهودى بالباطل ثم انه تعالى امر فى هذه
الايه بالمصالحه مع الزوجه ومعلوم ان كل ذلك امر من الله عباده بان يكونوا قائمين بالقسط
شاهدين لله على كل احد بل وعلى انفسهم فكانت هذه الايه مولده لكل ما جرى ذكره فى هذه
السوره من انواع التكاليف وقيل لما تقدم ذكر النسا والنشوز والمصالحه بينهن وبين الازواج
عقبه بالامر بالقيام باداء حقوق الله وفى الشهاده لاحيا حقوق الله وبالجمله فكانه قيل ان اشتغلت
بتحصيل مشتهياتك كنت لنفسك لا لله وان اشتغلت بتحصيل مامورات الله كنت لله لا لنفسك ولا شك
ان هذا المقام اشرف واعلى فكانت هذه الايه تاكيدا لما تقدم من التكاليف قوامين بالقسط القوام
مبالغه من قايم امر الله تعالى المومنين بان يكونوا مبالغين فى اقامة العدل والاحتراز عن الجور
قال ابن عباس كونوا قوالين بالعدل فى الشهاده على من كانت شهدا لله تقيمون شهاداتكم
لوجه الله كما امرتم باقامتها والمعنى قوموا بالعدل واشهدوا لله بالحق وان كان الحق على
انفسكم فاشهدوا وعلى الوالدين او الاقربين قيل وان كانت الشهاده على انفسكم او الوالدين
او الاقربين والشهاده على انفسكم اقراركم بما عليكم من الحق لان اقرار الانسان على نفسه
فى معنى الشهاده عليها بالزام الحق لها وقيل معناه وان كانت الشهاده وبالا على انفسكم او الوالدين
او الاقربين وذلك بان تشهدوا على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ونصب شهدا على

عام

انها حال من قوامين وقيل خبر لكونوا على ان لها خبرين وقيل صفة قوامين قدم الامر بالقيام بالقسط
على الامر بالشهاده فى هذه الايه فى قوله شهد الله بالعكس وذلك لان شهادة الله عبارة عن كونه
تعالى خالقا للمخلوقات وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية العدل فى تلك المخلوقات فيلزم هناك
ان تكون الشهاده مقدمه على القيام بالقسط والقيام بالقسط فى حق العباد عبارة عن كونهم راعيا
للعدل ومباينا للجور ومعلوم انه ما لم يكن الانسان كذلك لم تكن شهادته على الغير مقبولة ثم قال
تعالى ان يكن غنيا او فقيرا اى ان يكن المشهود عليه غنيا لا تحابوه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا
لا ترحموه لفقره اى لا تكتموا الشهاده لطلب رضى الغنى او للرحمه على الفقير فالله اولى منكم بالغنى
والفقير اى الله اعلم بهما منكم لانه يتولى احوالهما من الغنا والفقر وكان حق الكلام ان يوحد الضمير لان قوله
ان يكن غنيا او فقيرا فى معنى ان يكن احد هذين الا انه ثنى لرجوعه الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او
فقيرا لا الى المذكور وهو جنس الغنى وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسى الغنى والفقير اى بالاغنيا
والفقرا فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس ان كان من العدل او اراده ان تعدلوا عن الحق
ان كان من العدول والاطلاق يتعدى بهما وان تلووا قرا ابن عامر وحمزه تلوا من ولى اذا قرب
بمعنى وان وليتم اقامة الشهاده اى ان اديتم الشهاده او اعرضتم عنها والباقون تلووا بالواوين من
لواه حقه اذا مطله او من لوى الشى اذا فتل والمعنى وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او
حكومة العدل او تعرضوا عن الشهاده عندكم وتمنعوها قوله فان الله كان بما تعملون خبيرا
وعد بالاحسان للمطيعين ووعيد للمذنبين فيجازى المطيع باحسانه والمسى المعرض باعراضه
قوله تعالى يايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب
الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا
بعيدا قيل خطاب للمسلمين ومعنى امنوا اثبتوا على الايمان ودوموا عليه وازدادوه وقيل معناه
يايها الذين امنوا على سبيل التقليد امنوا على سبيل الاستدلال وقيل معناه يايها الذين بحسب
الاستدلالات الجمليه امنوا بحسب الدلايل التفصيليه وقيل معناه يايها الذين امنوا بالله
وملائكته وكتبه ورسله بالدلايل التفصيليه امنوا بان كنه عظمة الله لا تنتهى اليه عقولكم وكذلك
احوال الملايكه واسرار الكتب وصفات الرسل ولا تنتهى اليه عقولنا وقيل الخطاب لاهل الكتاب
لانهم امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروى ان الخطاب لعبد الله بن سلام واسد
واسيد ابنى كعب وثعلبه بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمه بن اخيه ويامين ابن يامين
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتوريه
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم امنوا بالله ورسوله
محمد وبكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فانزل الله الايه فامنوا كلهم وقيل
الخطاب للمنافقين كانه قيل يايها الذين امنوا نفاقا امنوا اخلاصا وقيل الخطاب لليهود
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذى انزل من قبل
وكانوا مومنين بالتوريه والانجيل قلت كانوا مومنين بهما فحسب وما كانوا مومنين بكل ما
انزل من الكتب فامروا ان يومنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به
لان طريق الايمان به هو المعجز ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض ولو كان ايمانهم بما
امنوا به لاجل المعجز لامنوا به كله فحين امنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجز فلم يكن
ايمانهم ايمانا وهذا الذى اراد الله عز وجل فى قوله ويقولون نومن ببعض

ونكر بعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اوليك هم الكافرون حقا خاصه والمعنى يا ايها
الذين امنوا في وجه النهار امنوا في اخر النهار وذلك قوله تعالى وقالت طايفه من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وقيل الخطاب لليهود والنصارى والمعنى
يا ايها الذين امنوا بموسى والتوريه وعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقران وقيل الخطاب
للمشركين يعني الذين امنوا باللات والعزى والطاغوت آمنوا بالله ومعناه ان كان لا بد من الايمان بشي
فالايمان بالله وبالرسل والكتب احق واولى من الايمان بالاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي
ولا تميت قوله والكتاب اي القران الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل اي جنس ما انزل
على الانبيا قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نزل وانزل
على ما لم يسم فاعله مثل قوله تعالى لتبين للناس ما انزل اليهم والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك والباقون بالفتح فيهما لقوله تعالى انا نحن نزلنا اليك الكتاب الذكر وانا قيل نزل على رسوله
وانزل من قبل لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين سنه بخلاف الكتب قبله قوله ومن يكفر
بشي من ذلك وعند ما يضل لان الكفر ببعضه كفر بكله انظر كيف قدم الامر بالايمان
باربعة اشيا اولها بالله وثانيها برسوله وثالثها بالكتاب الذي نزل على رسوله ورابعها بالكتاب
الذي انزل من قبل وذكر في الكفر امورا خمسه اولها الكفر بالله وثانيها الكفر بالملايكه وثالثها الكفر
بكتبه ورابعها الكفر برسله وخامسها الكفر باليوم الاخر ثم قال فقد ضل ضلالا بعيدا ذكر الامام
في الايه سوالات منها لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر قلب
القضيه الجواب لانه في مرتبة النزول من معرفة الخالق الى الخلق كان الكتاب متقدما على الرسول
وفي رتبة العروج من الخلق الى الخالق يكون الرسول متقدما على الكتاب ومنها لم ذكر في مراتب
الايمان الله والرسول والكتاب وذكر في مراتب الكفر الثلثه والملايكه واليوم الاخر الجواب
لان الايمان بالله وبالرسل وبالكتب متى حصل فقد حصل الايمان بالملايكه واليوم الاخر لا محاله
اذ ربما ادعى الانسان انه يومن بالله وبالرسل وبالكتب ثم انه ينكر الملايكه واليوم الاخر ويزعم
انه يجعل الايات الوارده في الملايكه وفي اليوم الاخر محمولة على التاويل فلما كان هذا الاحتمال قايما
نص ان منكر الملايكه ومنكر القيامه كافر **قوله تعالى** ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم
كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
للامر بالايمان ورغب فيه بين فساد طريقه من يكفر بعد الايمان فذكرهم في الايه قال المراد
منه ان الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان يدل على انه لا وقع للايمان في قلوبهم اذ لو كان له وقع لما تركوه بادنى سبب
ومن لا وقع للايمان في قلبه فالظاهر انه لا يومن بالله ايمانا صحيحا معتبرا لكن الله لا يغفر لهم ما اقاموا
عليه وقيل ان اليهود امنوا بالتورية وموسى ثم كفروا بالعزير ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم
ازدادوا كفرا عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد المنافقون فالايمان الاول اظهارهم
الاسلام وكفرهم بعد ذلك نفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم والايمان الثاني هو انهم اذا لقوا
جمعا من المسلمين قالوا انا مومنون والكفر الثاني هو انهم اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما
نحن مستهزءون وازديادهم في الكفر هو جدهم واجتهادهم في استخراج انواع المكر والكيد في
حق المسلمين واظهار الايمان قد يسمى ايمانا وليس المراد بيان هذا العدد بل المراد تردده كما
قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هولا ولا الى هولا والذي يدل عليه قوله تعالى بعد هذه
الايه بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما وقيل هم طايفه من اهل الكتاب قصدوا تشكيك المسلمين

الذكر وقوله وانزلنا

لهم

فكانوا

فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله عنهم انهم قالوا امنوا به وجه النهار
واكفروا اخره لعلهم يرجعون وقوله ثم ازدادوا كفرا معناه انهم بلغوا في ذلك الى حد الاستهزا
والسخرية بالاسلام وهذه الايه داله على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القايلين
بالموافاه وهي ان شرط صحة الايمان ان يموت الرجل على الاسلام وهم يجيبون عن ذلك بانا
نحمل الايمان على اظهار الايمان ورد بانه على خلاف الاصل والايه داله على ان الكفر يقبل
الزياده والنقصان فالايمان ايضا كذلك لانهما ضدان فقبول احدهما التفاوت يقتضي قبول
الاخر له وذكر في تفسير الزياده وجوها منها انهم ماتوا على الكفر ومنها انهم ازدادوا كفرا
بسبب ذنوب اصابوها حال كفرهم فعلى هذا اصابة الطاعات وقت الايمان زيادة الايمان
ومنها ان الزياده في الكفر انما تحصل بقولهم انما نحن مستهزءون وهذا يدل على ان الاستهزا
بالدين من اعظم درجات الكفر وقوله لم يكن الله ليغفر لهم فيه سوالات منها ان الحكم المذكور
في الايه اما مشروط بما قبل التوبه وهو باطل لان الكفر قبل التوبه غير مغفور على الاطلاق وحينيذ
تضيع هذه الشرايط المذكوره في الايه او بما بعدها وهو ايضا باطل لان الكفر بعد التوبه
مغفور ولو بعد الف مره اجيب بان الذين كفروا محمول على المعهود السابق فالمراد
به اقوام معينون علم الله منهم انهم يموتون على الكفر ولا يتوبون عنه فقوله لم يكن الله ليغفر
لهم اخبار عن موتهم على الكفر وبان الكلام خرج على الغالب المعتاد وهو ان من كان كثير
الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه وقع والظاهر من حال مثل هذا الانسان
انه يموت على الكفر وبان الحكم المذكور في الايه مشروط بعدم التوبه عن الكفر وافراده بالذكر دليل
على ان كفرهم افحش وجناياتهم اعظم وعقوبتهم اقوى ومنها ان اللام في قوله ليغفر لهم
للتاكيد فقوله لم يكن الله ليغفر لهم نفي للتاكيد وهذا غير مناسب للمقام انما المناسب له تاكيد النفي
اجيب بان نفي التاكيد اذا ذكر على سبيل التهكم كان المراد منه المبالغة في تاكيد النفي قوله
ولا ليهديهم سبيلا هذا يدل على انه لا يهدي الكافر الى الايمان خلافا للمعتزله قالوا انه محمول
على المنع من زيادة اللطف او على انه تعالى لا يهديهم في الاخرة الى الجنه قال صاحب الكشاف لم يكن
الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهدايه التي هي اللطف على سبيل المبالغة التي
يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان
الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازديادا للكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا
ما يستحقون به المغفره ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب
اوليك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الرده وكان الايمان اهون شي
عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه مره بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار
الرده ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل الطاعه واستفراغ
للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب
ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صوره
بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والعرب تقول تحيتك الضرب وعتابك
السيف **قوله تعالى** الذين يتخذون الكافرين اوليا من دون المومنين ايبتغون عندهم
العزه فان العزه لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا
بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا

الذين نصب على الذم بمعنى اريد او رفع بمعنى هم الذين والمراد بالذين يتخذون المنافقون
وبالكافرين اليهود كان المنافقون يمايلون اليهود ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد
ويتهمون ان لليهود القوه والمنعه وذلك قوله ايبتغون عندهم العزه اى القوه بالظهور على محمد
واصحابه والمعنى اطلبون ان يتقووا بهم فيظهرون على المسلمين قوله فان العزه لله جميعا اى
الغلبه والقوه والمعنى ان المنافقين كانوا يطلبون العزه والقوه بسبب اتصالهم باليهود
فابطل الله عليهم هذا الراى بقوله فان العزه لله جميعا وهذا لا ينافى قوله تعالى ولله
العزه ولرسوله وللمومنين لان القدره التامه والقوه الكامله لله وكل من سواه فبا قداره
صار قادرا وباعزازه صار عزيزا فالعزه للرسول وللمومنين لم يحصل الا من الله تعالى فانه من عز
من عباده بما خلق له من العزه فله العزه جميعا من كل وجه وقد وعدها المومنين وجعل العاقبه
للمتقين قوله وقد نزل عليكم المخاطبون كل من اظهر الايمان من محقق ومنافق لانه اذا اظهر
الايمان فقد لزمه ان يمتثل اوامر كتاب الله والاشاره بهذه الايه الى قوله تعالى واذا رايت
الذين يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره قوله ان اذا سمعتم هى المخففه
من الثقيله والمعنى انه اذا سمعتم اى وقد نزل عليكم ان الشان اذا سمعتم فالشان ما افادته
الجمله بشرطها وجزايها وان مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل والمنزل عليهم فى الكتاب
اى القران هو ما نزل عليهم بمكه من قوله واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون فى القران فى مجالسهم فيستهزؤن فنهى
المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينه يفعلون نحو فعل
المشركين فنهى المسلمون ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكه وكان الذين يقاعدون
الخائضين فى القران من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار فى الكفر لان من
رضى بالكفر فهو كافر وهذا يدل على ان من رضى بمنكر يراه وخالط اهله كان فى الاثم بمنزلة
المباشر وقد ورد النهى فى هذه الايه عن القعود مع الذين يخوضون فى ايات الله بالباطل
فلا يجوز القعود عند من يتكلم فى القران ويفسره بالباطل والمعنى اذا سمعتم الكفر بايات الله
والاستهزا بها ولكن اوقع فعل السماع على الايات والمراد بها سماع الكفر والاستهزا كما يقال
سمعت عبد الله يلوم وقيل المعنى اذا سمعتم ايات الله حال ما يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا فى حديث غير الكفر وغير الاستهزا والضمير فى قوله معهم يرجع الى من دل عليه
يكفر بها ويستهزا بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها قال صاحب
الكشاف فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسه اليهم فى وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا
عليهم كانوا راضين والراضى بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكه حين كانوا يجالسون
الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهولا لم ينكروا مع قدرتهم
فكان ترك الانكار لرضاهم لا لعجزهم قوله ان الله جامع المنافقين القاعدين والكافرين المقعود
عليهم فى جهنم جميعا اى كما اجتمعوا فى الكفر والاستهزا بايات الله فى الدنيا كذلك يجتمعون فى
جهنم جميعا **قوله تعالى** الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المومنين فالله يحكم بينكم يوم
القيامه ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا الذين يتربصون اما بدل من الذين
يتخذون واما صفه للمنافقين فى قوله جامع المنافقين والكافرين واما نصب

معزز

ذكرم

على الذم من المنافقين يتربصون بكم اى ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر وخير او اخفاق
وشر فان كان لكم فتح من الله اى ظهور على اليهود قالوا للمومنين الم نكن معكم ظاهرين فاعطونا
من الغنيمه وان كان للكافرين نصيب اى ظفر على المسلمين قالوا للكافرين الم نستحوذ عليكم الم نغلب
عليكم والاستحواذ الاستيلا على الشى ومنه قوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان اى غلب قيل
معناه الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ولم نفعل شيا من ذلك ونمنعكم من المومنين
بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا
لنا مما اصبتم وقيل معناه ان اوليك الكفار واليهود كانوا قد هموا بالدخول فى الاسلام
ثم ان المنافقين حذروهم عن ذلك وبالغوا فى تنفيرهم عنه واطمعوهم انه سيضعف امر محمد ويقوى
امركم فاذا اتفقت لهم صوله على المسلمين قال المنافقون لليهود والكفار الم نغلبكم على رايكم ونصرفكم
عن الدخول فى الاسلام ونمنعكم من المومنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم سمى ظفر المومنين
فتحا وظفر الكافرين نصيبا تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم
تفتح له ابواب السما حتى تنزل الرحمه على اوليايه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنى ينقضى
ولا يبقى منه الا الذم فى الدنيا والعقوبه فى الاخره فالله يحكم بينكم اى بين المومنين والمنافقين يوم القيامه
اى اخر عقاب المنافقين الى الموت ووضع عنهم السيف فى الدنيا ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا
فى القيامه وذلك ان الله يظهر ثمره ايمان المومنين ويصدق موعودهم ولم يشركهم الكفار فى شى
من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلموا ان الحق معهم دونهم وقيل ان المراد به فى الدنيا ولكنه مخصوص
بالحجه والمعنى ان حجة المومنين غالبه على حجة الكافرين وليس لهم ان يغلبوهم بالحجه والدليل على المومنين
وقيل عام فى الكل غير مخصوص بالحجه الا ما خصه الدليل والشافعى رضى الله عنه بنى عليه مسايل
منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه بدار الحرب لم يملكه ومنها ان الكافر ليس له ان
يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى **قوله تعالى** ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم واذا قاموا الى الصلوه قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين
بين ذلك لا الى هولا ولا الى هولا ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قد مر تفسير المخادعه فى سورة
البقره وقيل يخادعون الله اى يخادعون رسول الله باظهار الايمان وابطانهم الكفر قوله وهو خادعهم
اى يجازيهم بالعقاب على خداعهم وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المومنون فيمضون
بنورهم ثم يطفى نورهم ويبقى نور المومنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وراكم فالتمسوا نورا واذا قام المنافقون الى الصلوه مع المومنين قاموا كسالى جمع كسلان
كسكارى فى سكران اى يقومون متثاقلين متقاعسين متاخرين كمن يفعل شيا على كره لا عن
طيبه نفس ورغبه وسبب ذلك الكسل انهم يتعبون بها فى الحال ولا يرجون منها ثوابا ولا من
تركها عقابا فكان الداعى الى الترك قويا من هذا الوجه والداعى الى الفعل ليس الا خوف
الناس قوله يراؤن الناس يقصدون بصلوتهم الريا اى لكى يراهم الناس لا يريدون بها وجه
الله ولا يذكرون الله الا قليلا قيل لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غايبين عن عيون
الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به ايضا قليل لانهم ما داموا وجدوا متندوحه من
تكلفه لم يتكلفوه وقيل ولا يذكرون الله فى صلوتهم الا قليلا وهو الذى يظهر مثل
التكبيرات فاما الذى يخفى وهو القراه والتسبيحات فهم لا يذكرونها وقيل لا يذكرون الله فى وقت
من الاوقات لا فى وقت الصلوه ولا فى غيره الا قليلا نادرا وترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى

لم يسمع منه تهليله ولا تسبيحه ولا تحميده ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه وقيل
انما قال لان الله لم يتقبله وما لم يتقبله فكثيره قليل وما قبله فقليله كثير وقيل يجوز ان يراد بالقلة
العدم قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيه وجهان
احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل
فيقال راى الناس بمعنى راءاهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى
ابو زيد رات المراة الرجل اذا امسكتها لترى وجهها ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق
يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراؤونهم كذلك مذبذبين اما حال
نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤون اي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب
على الذم ومعنى مذبذبين مترددين يقال ذبذبه فتذبذب اي حركه فتحرك وهو كتحريك شي معلق
بين السما والارض ومعنى بين ذلك بين المومنين والكافرين يعني انهم مرددون بين الكفر والايمان
قال السدي وقتادة ليسوا بمشركين مصرحين الشرك وليسوا بمومنين لا الى هولا ولا الى هولا
قال بن عباس لا من النصارى ولا من اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاه
بين الربضين ان جات الى هذه نطحتها وان جات الى هذه نطحتها قال صاحب الكشاف مذبذبين اي
ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرين وحقيقة المذبذب
الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى بضم
اليا وفتح الميم به الرحوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب
ذب عنه قوله لا الى هولا منسوبين الى هولا فيكونوا مومنين ولا الى هولا ولا منسوبين الى
هولا فيسموا مشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قال بن عباس سبيلا اي دينا وهذه
الاية تصريح بان الله تعالى اضله عن الدين وذكر هذا الكلام عقب قوله مذبذبين يدل
على ان تلك الذبذبة من الله **قوله تعالى** يايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اوليا من دون المومنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله
واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المومنين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما لما ذم
الله المنافقين نبه بزجرهم نهى المومنين عن ان يفعلوا مثل فعل المنافقين والسبب فيه ان
الانصار بالمدينة كان لهم في قريظة رضاع وحلف ومودة فقالوا لرسول الله من نتولى
فقال المهاجرون وقيل هذا نهي للمومنين عن موالاة المنافقين يقول الله قد بينت لكم
اخلاق هولا المنافقين ومذاهبهم فلا تتخذوا منهم اوليا قال بن عطيه خطابه للمومنين
يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للايمان ففي اللفظ رفق بهم وهم المراد بقوله
اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا لان هذا التوقيف انما هو لمن الم بشي
من الفعل المودي الى هذه الحال والمومنون المخلصون ما الم قط بشي من ذلك ويقوي
هذا قوله تعالى من دون المومنين اي المومنون العارفون المخلصون غيب عن هذه
الموالاة وهذا لا يقال للمومنين المخلصين بل المعنى يايها الذين اظهروا الايمان والتزموا
لوازمه قوله اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة في عقابكم
بموالاة الكفار اي انكم اذا واليتموهم صارت الحجة عليكم في عقابكم والسلطان يذكر
ويونث والتذكير اشهر وهي لغة القران حيث وقع واذا سمي به صاحب الامر فهو على حذف

مضاف

مضاف والتقدير ذو السلطان اي ذو الحجة على الناس اذ هو مدبرهم والناظر في مصالحهم ثم
فيصير الامر على خلاف ما قاله محمد فلما التقى الفريقان انهزم عدو الله بالمنافقين وكان جملة عسكر المسلمين
الفا فانهزم عبد الله ابن ابي فبقيت سبع مايه ثم قواهم الله تعالى مع ذلك حتى هزموا المشركين فلما راى المومنون
وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين فاراد الله ان يفطمهم
عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم انما حصل ببركة الله
بعضها اسفل من بعض والمنافق اشد عذابا من الكافر لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزا بالاسلام
واهله ومداجاتهم ولن تجد لهم نصيرا اي مانعا يمنعهم من عذاب الله من جهة شفاعة او غير ذلك
الا الذين تابوا من النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله ووثقوا به كما يثق المومنون الخلص والتجاوا اليه واخلصوا دينهم لله لا يبغون بطاعتهم الا وجهه
ولا يطلبون غير مرضاة الله لا يمزجون بها غرضا اخر فاولئك مع المومنين اصحاب المومنين ورفقاوهم
في الدارين وعن علي رضي الله عنه المنافقون شر من كفر بالله واولاهم بمقته وابعدهم من الانابة
اليه لانه شرط عليهم في التوبة الاصلاح والاعتصام ولم يشترط ذلك على غيرهم ثم شرط الاخلاص
لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فاولئك مع المومنين ولم يقل فاولئك
المومنون او من المومنين غيظا لهم ثم اوقع اجر المومنين في التسويف لانضمام المنافقين اليهم
فقال وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم قال صاحب الكشاف
المنافق في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ
كقوله من ترك صلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان
صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان وقيل
لحذيفه رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على
السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق **قوله تعالى** ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما استفهام معناه التقرير اي ان الله لا يعذب
الشاكر المومن الغني بعذابكم لاجل التشفي به من الغيظ او لادراك الثار او لاستجلاب النفع او الاستدفاع
الضر كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شي من ذلك قال اصحابنا هذه الايه
داله على انه لا يعذب صاحب الكبيرة لانا نفرض الكلام فيمن شكر وامن ثم اقدم على الشرب والزنا
فهذا لا يعذب لقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم عن ابن عباس ما يريد الله
بعذابكم ان شكرتم نعمه اعترفتم باحسانه وامنتم بنبيه قيل هذا على التقديم والتاخير اي ان
امنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على ساير الطاعات ولا ينفع طاعة دون الايمان وقيل ان
العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا
انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر المبهم متقدما على
الايمان فكانه اصل التكليف ومداره وكان الله شاكرا للقليل من عملكم عليما بنياتكم وبكل
شي فلا يقع الغلط له البته فيوصل الثواب الى الشاكر والعقاب الى المعرض سمي الجزا شكرا
على سبيل الاستعارة فالمراد منه انه تعالى شاكر انه مثيب على الشكر وقيل ان الشكر ماخوذ من
قول العرب ناقة شكور اذا كان يظهر سمنها على القليل من العلف فكان الله سمى نفسه شاكرا
لانه يرضى من عباده قليلا من العبادة مع صحة التوحيد والشكر من الله الثواب ومن العباد الطاعة
وحقيقته مقابلة الطاعة بغيرها فاذا قابلت اوامر الله بطاعتك فقد شكرته واذا قابل

الله طاعاتك بسوابه فقد شكرك عليه **قوله تعالى** لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما قيل لما هتك الله ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر غير لايق بالرحيم الكريم ذكر ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر بالسوء يعني ان الله لا يحب اظهار الفضايح والقبايح الا في حق من عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز اظهار فضايحه ولهذا قال عليه السلام اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس وهولا المنافقون كان قد كثر مكرهم وكيدهم وظلمهم في حق المسلمين وضررهم قد عظم فلهذا المعنى ذكر الله فضايحهم وكشف اسرارهم وقيل انه تعالى ذكر في الاية المتقدمة ان هولا المنافقين اذا تابوا واخلصوا صاروا من المومنين فيحتمل انه كان يتوب بعضهم ويخلص توبته ثم لا يسلم بعد ذلك من التعيير والذم وعن بغض المسلمين ما صدر عنه في الماضي من النفاق فبين تعالى في هذه الاية انه تعالى لا يحب هذه الطريقة ولا يرضى بالجهر بالسوء من القول الا من ظلم نفسه واقام على نفاقه فانه لا يكره قيل نزلت هذه الاية في الضيف النازل اذا لم يضف ومنع حقه او اسى قراه فقد رخص له ان يذكر منه ما صنع به روي ان ضيفا يضيف قوما فاساوا قراه فشكاهم فنزلت هذه الاية رخصة في ان يشكوا والضيافة ثلث ايام وما فوق ذلك فهو صدقة والمعنى لا يحب الله الجهر بالقبيح من القول لكن المظلوم يجهر بشكواه قيل هذه الاية عامة في كل مظلوم وله ان ينتصر من ظالمه بالدعا عليه بما لا يتعدى فيه قيل انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء من القول ولا غير الجهر ايضا ولكنه تعالى انما ذكر هذا الوصف لان كيفيه الواقعه اوجبت ذلك كقوله تعالى واذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والسوء واجب في الطعن والاقامه قوله الا من ظلم قيل الاستثنا متصل تقديره الا جهر من ظلم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقال الزجاج المصدر ها هنا اقيم مقام الفاعل والتقدير لا يحب الله المجاهر بالسوء من القول الا من ظلم واقيم الجهر مقام المجاهر ليفيد ان انتفا المحبه بالسوء وقيل الاستثنا منقطع والمعنى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن المظلوم له ان يظهر بظلامته وكان الله سميعا لقول المظلوم عليما بما في قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق **قوله تعالى** ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا لما رخص الله تعالى للمظلوم الجهر في الاية المتقدمة حث في هذه الاية على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابدا الخير واخفاه تحسينا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وفيما والذي يدل على ان العفو هو الغرض المقصود ذكر ابدا الخير واخفائه قوله تعالى فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله اعلم ان معاقد الخيرات على كثرتها منحصرة في قسمين ايصال النفع ابدا او اخفا ودفع الضرر فقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه اشارة الى ايصال الخير وقوله او تعفوا اشارة الى دفع الضرر فقد دخل في هاتين الكلمتين جميع انواع الخيرات واعمال البر **قوله تعالى** ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اوليك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا قيل نزلت الاية في اليهود فانهم امنوا بموسى وعزير والتورية وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقران فجعل الذين امنوا بالله وكفروا برسله او امنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله جميعا لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض لزم منه بانه حيث حصل المعجز حصلت النبوة فان جوزنا في بعض المواضع حصول المعجز بدون الصدق تعذر الاستدلال بالمعجز على الصدق وحينيذ يلزم الكفر بجميع الانبيا فثبت ان من لا يقبل نبوة احد من الانبيا يلزمه

بسبب صح

لزمه الكفر بجميع الانبيا ومن يكفر بالانبيا لزمه ان يكفر بالله ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا اتخاذهم دينا وسطا بين الايمان والكفر لقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة بين الجهر والمخافتة وقد اخطاوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اوليك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه وقيل خبر ان محذوف كانه قيل جمعوا بين الكفر والايمان وقيل خبر ان قوله اوليك **قوله تعالى** والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اوليك سوف يوتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما لما ذكر الوعيد في حق الكفار الذين فرقوا اردفه بالوعد للمومنين الذين لم يفرقوا وانما قال ولم يفرقوا بين احد منهم مع ان التفريق يقتضي شيئين فصاعدا لان احدا عام في الواحد المذكر والمونث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فيقصد العموم بدليل صحة الاستثنا تقول ما رايت احدا الا بني فلان والا بنات فلان والمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة قرا عاصم في رواية حفص سوف يوتيهم بالياء والضمير راجع الى اسم الله تعالى والباقون بالنون والمعنى ان ايتا اجورهم واقع لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتحقيقه لا كونه متاخرا وكان الله غفورا رحيما وعدهم اولا بايتا الاجور ثم اخبرهم بالغفران والرحمة **قوله تعالى** يسلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السما جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل المعنى نزله كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سالوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم لكن انما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت لان فيما اتاهم من القران وغيره من المعجزات كفاية فكان طلب الزيادة من باب التعنت فقد سالوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وانما اسند السوال اليهم وان وجد من ابايهم في ايام موسى وهم النقبا السبعون الذين خرج بهم موسى عليه السلام الى الجبل لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسوالهم ومضاهين لهم في التعنت قوله جهرة عيانا بمعنى ارناه جهرة عيانا على سبيل المقابلة وفي الجهة وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعا كان الذي يرى بالعين جاهر بالروية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الروية او على الحال بمعنى ذوي جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بسبب سوالهم الروية على سبيل المقابلة في الجهة والمكان ولو طلبوا الروية لا على سبيل المقابلة والجهة بل الروية من غير مقابلة وفي جهة لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سال ابرهيم صلوات الله عليه ان يريه احيا الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة وبما يلزم من عدم جواز الروية على سبيل المقابلة وفي الجهة عدم جواز الروية لان نفي الخاص لا يستلزم نفي العام واستدلال المعتزلة بهذه الاية على نفي الروية غير صحيح لما عرفت ان نفي الخاص لا يستلزم نفي العام وقد بسطنا القول في استدلالاتهم والجواب عنه في سورة البقرة قوله ثم اتخذوا العجل بيان كمال جهلهم واصرارهم على كفرهم فانهم ما اكتفوا بنزول التورية عليهم وبطلب الروية جهرة بل ضموا اليه عبادة العجل وهذا يدل على غاية بعدهم عن طلب الحق والدين قوله من بعد ما

وسطا في القراءة صح

اوليك صح

جاءتهم البينات اى انهم اتخذوا العجل من بعد ان جاءتهم معجزات موسى التى كان يظهرها فى زمان فرعون
وهى العصا واليد البيضا وفلق البحر وغيرها من المعجزات والمقصود من هذا الكلام ان هولا يطلبون منك يا
محمد ان تنزل عليهم كتابا من السما عنادا او لجاجا فان موسى قد انزل الله عليه هذا الكتاب وانزل
عليه ساير المعجزات القاهرة ثم انهم طلبوا الرويه جهرة على سبيل العناد واقبلوا على عبادة العجل وكل ذلك
يدل على غاية بعدهم عن طريق الحق فعفونا عن ذلك ولم نستاصلهم واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلا
ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب عليهم فاطاعوه واختبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط
عليهم وفيه بشارة للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التهنيه والرمز اذ هولا الكفار وان كانوا يعاندونه
فانه بالاخيرة يستولى عليهم ويقهرهم ثم حكى عنهم ساير جهالاتهم واصرارهم على اباطيلهم احدها انه تعالى
رفع الطور فوقهم بميثاقهم فسر فى سورة البقرة الى قوله ولا تعدوا فى السبت اى تعتدوا باقتناص
السمك فى السبت يقال عدا عدوا وعدوا وعدوانا اى ظلم وجاوز الحد ومنه قوله فيسبوا الله عدوا
قرا نافع لا تعدوا باسكان العين مشددة الدال اراد لا تعتدوا ثم ادغم التاء فى الدال
لتقاربهما وروى ورش لا تعدوا بفتح العين لانه لما ادغم التاء فى الدال نقل حركتها الى العين والباقون
باسكان العين وضم الدال خفيفة واخذنا منهم ميثاقا غليظا عهدا موكدا على ذلك قوله
تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل
طبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا
قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك
منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما اى فبنقضهم وما مزيده
للتوكيد والبا اما ان تتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا بغير حق
وقولهم قلوبنا غلف فعلنا بهم ما فعلنا اى لعناهم وسخطنا عليهم والحذف افخم لان الوهم عند الحذف
يذهب كل مذهب ودليل المحذوف ان هذه الاشيا المذكورة من صفات الذم فيدل على اللعن والسخط
واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم
واما التوكيد فمعناه ان تحقيق اللعن والسخط على الوجه الاول وتحقيق التحريم على الوجه الثانى لم يكن
الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبيا وغير ذلك قال الامام الوجه الاول
اولى لوجهين احدهما ان قوله فبظلم من الذين هادوا بعيد جدا من قوله فبما نقضهم فجعله بدلا منه
بعيد وثانيهما ان تلك الجنايات المذكورة عظيمة جدا لان كفرهم بالله وقتلهم الانبيا وانكارهم للتكليف
بقولهم قلوبنا غلف اعظم الذنوب وذكر الذنوب العظيمة انما يليق ان يفرع عليه العقوبة العظيمة وتحريم
بعض الماكولات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقه بتلك الجنايات العظيمة وقيل ان المحذوف الذى تتعلق به
البا ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا
بقولهم قلوبنا غلف ان الله تعالى خلق قلوبنا غلفا اى فى اكنة لا يتوصل اليها شى من الذكر والموعظة كما حكى
الله عن المشركين وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها
الله ومنعهم الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من
قبوله قيل مراد صاحب الكشاف بقوله لم يصح هذا التقدير انه لا يصح ان تتعلق البا بطبع مقدر بل عليه
قوله بل طبع الله عليها لان قوله بل طبع الله عليها رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فيكون متعلقا بقولهم
قلوبنا غلف كما جا صريحا فى البقرة وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يومنون فلو قدر لقوله
فبما نقضهم متعلقا هو قوله بل طبع الله عليها بكفرهم فيكون ردا لهذا الكلام وانكارا له لا لقولهم قلوبنا غلف

لكن المعنى عليه اى على انه رد لقولهم قلوبنا غلف لا رد لهذا الكلام وقول صاحب الكشاف وذلك
انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف بيان ان قوله تعالى بل طبع الله عليها رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف اراد
صاحب الكشاف بما ذكره تقرير مذهبه وهو ان المعنى لم يخلق الله قلوبهم غلفا غير قابلة للذكر ولا
متمكنة من قبولها بل خذلها ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت قلوبهم كالمطبوع عليها واما عند اهل
السنة فلا حاجة الى هذا التكليف اذ التقدير فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم
الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف طبع الله عليها بل طبع الله عليها بكفرهم ليكون اشارة الى ان
الكفر وحده كاف فى سبب الطبع وان لم يكن معه نقض الميثاق وقتل الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا
غلف وقيل لا وجه للتشنيع والا لما لقول صاحب الكشاف كمذهب المجبرة لان لاهل السنة ان يقولوا
انه تعالى انما رد قولهم لانهم ادعوا ان قلوبهم فى اوعية او اغشية وان ما يقوله عليه السلام لا
ينفذ فيه فاضرب الله تعالى عن ذلك بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد
وضوح البينات وايضا يجوز ان يراد بل طبع الله عليها اى ليس كما ادعوا من ان قلوبهم اوعية للعلم
كما ذكر فى سورة البقرة وقيل هولا قوم زعموا ان لهم على الله حجة بخلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة منه
فكذبهم بانه تعالى خلق قلوبهم على الفطرة والايمان من جنس مقدور لهم كما هو من جنس مقدور المومنين
وهو المعبر عنه بالتمكين فقامت حجة الله عليهم والانسان يفرق بين دخوله فى الايمان وبين الطيران
فى الهوا بامكان الاول دون الثانى فلله الحجة فاتجه الرد عليهم لا من الوجه الذى زعمه المعتزلة
من اثبات قدرة يخلقون بها وافق مشية الله ام لا ولذلك قال عقيب قوله سيقول الذين
اشركوا لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من شى قوله فلله الحجة البالغة فلو شا لهداكم
اجمعين فرد عليهم ورد الامور الى المشية قال صاحب الكشاف الوجه ان يعطف قوله وبكفرهم على
قوله فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قولهم قلوبنا غلف على وجه
الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فلا يومنون الا قليلا انما جعل الوجه ذلك
لان قوله فبما نقضهم مقصود بالذات فى الكلام وقوله بل طبع الله كالتابع للاستطراد واعتبار
المقصود اولى قوله وبكفرهم وقولهم على مريم اما ان يكون معطوفا على ما قبل حرف الاضراب
اى قوله فبما نقضهم او على ما بعد حرف الاضراب اى قوله بكفرهم قال صاحب الكشاف فان قلت
ما معنى المجى بالكفر معطوفا على ما فيه ذكر الكفر سوا عطف على ما قبل حرف الاضراب او قوله وبكفرهم
بايات الله وقوله بكفرهم فيكون المعطوف والمعطوف عليه واحدا وهو فاسد قلت قد تكرر منهم
الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض فلا يكون المعطوف
والمعطوف عليه واحدا او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين
نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتلهم الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم هذا على تقدير ان يكون معطوفا
على ما قبل حرف الاضراب ولا شك ان مجموع المعطوف مغاير لمجموع المعطوف عليه واما اذا عطف
على ما بعد حرف الاضراب فكانه قيل بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله فيكون عطف المجموع على كفرهم فلا يكون
المعطوف والمعطوف عليه واحدا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما حين رموها بالزنا بعد ان
ظهر عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دل على براتها عن كل سو نحو قوله وهزى اليك بجذع
النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ونحو كلام عيسى فى المهد انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى

اى بل بوسى اعظم منزوع اذ انهم
اطلقوا الاستعداد
الطبع
بالكلية بكفرهم

على البعض وفي

مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا
فان كل ذلك دلايل قاطعة على براة مريم عن كل ريبة فلهذا قول اليهود في الطعن على مريم
صار بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله فان قيل اليهود الذين قالوا
انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم كانوا كافرين بعيسى اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر بن الساحرة
الفاعل بن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اجيب عنه من
وجهين احدهما انه قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون وثانيهما انه يجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا
لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه وتعظيما لما ارادوا بمثله وما قتلوه وما صلبوه عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا جاء
الساحر بن الساحرة والفاعل بن الفاعلة فسبوه وسبوا امه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم
فقال اللهم انت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم اتهم من تلقاء نفسي اللهم فالعن
من سبني وسب امي فاستجاب الله تعالى دعاءه ومسخ من سبهما خنازير فلما راى ذلك يهودا
راس اليهود واكبرهم فزع لذلك وخاف دعوته ايضا فاجتمعت اليهود على قتله واجتمعوا عليه
يسالونه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا فثاروا اليه
ليقتلوه فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فادخله خوخة فيها روزنة في سقفها ورفعه الله
تعالى الى السماء من تلك الروزنة فامر يهودا رجلا من اصحابه ان يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل الخوخة
لم ير عيسى فابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه
وعن مقاتل ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون رقيبا عليه ومعه حيث ما دار فصعد عيسى الجبل
فجاء جبريل فاخذ بضبعيه ورفعه الى السماء والقى الله شبه عيسى على الرقيب فلما راته اليهود ظنوا انه
عيسى فقتلوه وصلبوه فكان يقول لهم انا لست بعيسى انما انا فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه
وعن السدي انهم حبسوه وعشرة من الحواريين في بيت فدخل عليهم رجل منهم فالقى الله شبهه
عليه ورفع عيسى الى السماء من كوة في البيت فدخلوا عليه وقتلوه على انه عيسى وعن قتادة ذكر لنا
ان نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقي الله عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل
الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا
قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه
وهم يظنون انه عيسى وما قتلوه وما صلبوه لكذبهم الله تعالى فقال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه
لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ثم اختلفوا فقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم
انه لا يصح قتله وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال
بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وشبه مسند الى الجار
والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول
لان قوله انا قتلنا يدل على المقتول كانه قيل ولكن شبه لهم المقتول ما لهم به من علم الا اتباع
الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم اي ولكنهم يتبعون الظن فان قيل
الشك ان لا يترجح احد الطرفين الجايزين والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين
اجيب عنه بانهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك هو الظن اي انهم من
الشاكين الذين لا يترجح لهم احد الجايزين قط لكن يحصل لهم احيانا بما يلوح لهم من الامارة الظن بزعمهم

ثم

ثم اذا خفيت الامارة عاد والى التردد فهذه الحالة ابلغ في التحير من مجرد الشك لانه لو تخلص من
ورطة الشك بل زاد التحير فقوله من علم مبتدا ومن زايدة لتاكيد النفي والظرف المتقدم خبره او به حال
من الضمير المستكن في الظرف وقيل يحتمل ان يكون التقدير انهم لفي شك في جميع الاوقات الا وقت
اتباع الظن لظهور الامارة ان لاحت لهم وما لهم من علم قط ويكون الاستثناء متصلا مفرغا وقدم قوله
ما لهم به من علم على الاستثناء لان المقصود من الكلام نفي العلم وقيل يحتمل ان يكون المراد بالشك نفي
العلم الشامل للشك المحض والظن والاعتقاد وقوله ما لهم به من علم بيان له فنفي العلم مطلقا ثم خصصه
بقوله الا اتباع الظن قوله وما قتلوه يقينا اي ما قتلوا المسيح على تعيين من انه المسيح قال صاحب
الكشاف وما قتلوه قتلا يقينا او وما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح قال
الامام وما قتلوه يقينا يحتمل وجهين احدهما تعيين عدم القتل والثاني الشك في القتل فعلى الاول يكون
المعنى ان الله تعالى اخبر انهم شاكون في انه هل قتلوه ام لا ثم اخبر محمدا صلى الله عليه وسلم بان اليقين حاصل
بانهم ما قتلوا عيسى وعلى الثاني يكون المعنى انهم شاكون في انهم هل قتلوه ثم اكد ذلك بانهم قتلوا ذلك الشخص الذي
قتلوه لا على يقين انه عيسى بل حين ما قتلوه كانوا شاكين في انه هل هو عيسى ام لا والاول اولى لانه تعالى بعده
بل رفعه الله اليه وهذا الكلام انما يصح اذا تقدم القطع واليقين بعدم القتل وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما
ونحرته علما اذا بالغ فيه علمك قال صاحب الكشاف وفيه تهكم لانه نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق
اولا حيث قيل ما لهم به من علم ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما به لانه اذا نفي عنهم علم احاطة
لزم بالمفهوم اثبات علم ما فلا يستقيم هذا مع نفي العلم على سبيل العموم الا بطريق التهكم قوله بل
رفعه الله اليه البسه النور وكساه الريش وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم
حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا وقال وهب بن منبه اوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين
سنة ورفعه وهو ابن ثلث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وكان الله عزيزا في اقتداره
على نجاة من يشاء من عباده حكيما في تدبيره في نجاة عيسى **قوله تعالى** وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا لما ذكر فضايح اليهود وقبايح افعالهم وانهم
قصدوا قتل عيسى ولم يتيسر لهم المقصود وانه حصل لعيسى اعظم المناصب واعلى المراتب بين ان
هولاء اليهود الذين كانوا يبالغون في عداوته لا يخرج احد منهم من الدنيا الا بعد ان يؤمن به
قوله وان نافية ومن اهل الكتاب وقع خبر مبتدا محذوف اي وما من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف جواب لقسم محذوف تقديره والله ما
من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم واختلفوا في الكنايتين اي الضمير
المجرور في به والضمير المجرور في قوله موته فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي الهاء
في قوله به راجعة الى عيسى وفي موته راجعة الى الكتابي الذي يؤمن والمعنى وان من
اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته بعيسى بانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين ملك الموت
قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي
الحجاج اية من كتاب الله ما قراتها الا تخالج في نفسي منها شيء يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير
من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت
ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى عبدا نبيا فكذبت به
فيقول اني امنت به انه عبد نبي فيؤمن به حين لا ينفعه ايمانه ويؤتى بالنصراني فيقول له
يا عدو الله اتاك عيسى عبدا نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله

قال ح

حين لا ينفعه ايمانه قال شهر وكان الحجاج متكيا فاستوى جالسا فنظر الي وقال من حدثك
بهذا الحديث قلت حدثني به محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت في الارض بقضيبه ثم رفع
راسه الي وقال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت لشهر ما اردت الى ان
تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه وتعني زيادة اسم علي لانه مشهور
بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقيل له ارايت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به في
الهوا قيل ارايت ان ضرب عنق احدهم قال يتلجلج بها لسانه قال وان احترق او غرق
او تردى او سقط عليه جدار او اكله السبع او باي ميتة كانت لا تخرج روحه حتى يومن به
ويدل على صحة هذا التاويل قراءة ابي الا ليومنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان احد منهم
الا ليومنون به قبل موته لان احدا يصلح للجمع وفائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم
الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا
لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة
يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وعن الحسن وقتاده
والربيع بن انس وابي مالك وابن زيد الضمير ان لعيسى والمعنى وان من اهل الكتاب الا ليومنن
بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السما في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يومن به
حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم
عيسى ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويقاتل الناس على الاسلام
حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام ويكون السجدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه المسيح الكذاب
الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب
الصبيان بالحيات لا تضر بعضهم بعضا ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه
اقروا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ويجوز ان يريد انه لا يبقى احد من جميع اهل
الكتاب الا ليومنن به قبل موت عيسى على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل
له ويومنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به راجع الى محمد صلى الله عليه وسلم وفي موته راجع
الى الكتابي اي لا يموت اليهودي والنصراني حتى يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير في به
راجع الى الله اي ومن اهل الكتاب الا ليومنن بالله قبل ان يموت عند المعاينة ولا ينفعه ايمانه
عند المعاينة ولا ينفعه ايمانه في وقت الياس ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا بانه قد بلغهم رسالة
ربه واقر بالعبودية على نفسه نظيره قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الاية وكل نبي شاهد
على امته قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولا شهيدا وقال ويوم نبعث
من كل امة شهيدا **قوله تعالى** فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما لما شرح فضايح افعال اليهود ذكر عقبه تشديده تعالى عليهم في الدنيا
وفي الاخرة اما في الدنيا فهو انه تعالى حرم عليهم طيبات كانت محللة لهم قبل ذلك كما قال تعالى في موضع اخر
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا
او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ثم انه تعالى بين ما هو كالعلة الموجبة لهذه التشديدات
ثم اعلم ان انواع الظلم منحصرة في نوعين الظلم على الخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه
الاشارة بقوله فبظلم من الذين هادوا واما الاعراض عن الحق فاليه الاشارة بقوله وبصدهم

عن سبيل الله كثيرا ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص في طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربوا مع انهم نهوا عنه وتارة
يحصلونه بطريق الباطل واليه الاشارة بقوله واكلهم اموال الناس بالباطل فهذه الاربعة هي الذنوب
الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا واما في الاخرة فاعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما [illegible]
او صد اكثر الكتب قال تعالى لهم حرمنا عليهم طيبات وقال لنا ويحل لهم الطيبات وقال تعالى كلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا فلم يحرم علينا شيا بذنوبنا فكما امنا من تحريم الطيبات التي ذكر في هذه
الاية نرجوا ان يومنا في الاخرة من العذاب الذي قال واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما فقد علم الله ان
منهم من يومن فيامن العذاب فقال للكافرين منهم **قوله تعالى** لكن الراسخون في العلم منهم
والمومنون يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والموتون الزكوة والمومنون
بالله واليوم الاخر اوليك سنوتيهم اجرا عظيما لما وصف طريقة الكفار والجهال من اليهود وصف طريقة
المومنين فاستثنى مومني اهل الكتاب فقال لكن الراسخون يعني ليس اهل الكتاب كلهم كما ذكر لكن الراسخون
الثابتون في العلم البالغون فيه المتقنون المستبصرون والمومنون يعني المومنين منهم او المومنون من
المهاجرين والانصار والراسخون مرفوع بالابتدا ويومنون خبره والمقيمين الصلوة نصب على المدح لبيان
فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على شواهد وامثلة قال صاحب الكشاف ولا يلتفت الى ما
زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب اي كتاب سيبويه ولم يعرف
مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين
مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا
في كتاب الله تعالى ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل موضعه الخفض بالعطف
على قوله بما انزل اليك والمعنى يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة ثم
عطف على قوله والمومنون قوله والموتون الزكوة والمراد بالمقيمين الصلوة الانبيا وذلك لانه
لم يخل شرع احد منهم من الصلوة قال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وقيل المراد
بالمقيمين الصلوة الملايكة الذين وصفهم الله بانهم الصافون وهم المسبحون وانهم يسبحون الليل والنهار
لا يفترون فقوله يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك يعني يومنون بالكتب وقوله
والمقيمين الصلوة يعني يومنون بالانبيا او بالملايكة **قوله تعالى** انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا
لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لما حكى الله تعالى ان اليهود يسلون الرسول صلى الله عليه وسلم
ان ينزل عليهم كتابا من السما وذكر تعالى بعده انهم لا يطلبون ذلك لاجل الاسترشاد بل للجاج والعناد
وحكى انواعا كثيرة من فضايحهم وقبايحهم واتصل الكلام الى هذا المقام شرع الان في الجواب
عن تلك الشبهة فقوله انا اوحينا جواب لتلك الشبهة واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي كشان
ساير الانبيا الذين سلفوا والمعنى انا توافقنا على نبوة نوح وابرهيم واسمعيل وجميع المذكورين
في هذه الاية وعلى ان الله اوحى اليهم ولا طريق الى العلم بكونهم انبيا الله ورسله الا ظهور المعجزات
عليهم ولكل واحد منهم نوع اخر من المعجزة على التعيين وما انزل الله على كل واحد من هولا المذكورين
كتابا بتمامه مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب على هولا دفعة واحدة قادحا في نبوتهم
بل كفى في نبوتهم نوع واحد من انواع المعجزات علمنا ان هذه الشبهة زايلة وان اصرار اليهود على هذه المعجزة

باطل وتحقيق القول فيه ان اثبات المدلول يتوقف على ثبوت الدليل ثم اذا حصل الدليل وتم فالمطالبة
بدليل اخر يجرون طلبا للزياده واظهارا للتعنت واللجاج والله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
فلا اعتراض عليه لاحد بان يقول لم اعطى هذا الرسول هذه المعجزة وذلك الرسول الاخر معجزة
اخرى وهذا الجواب هو الجواب المذكور في قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله
قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا يعني انك انما ادعيت الرساله والرسول لا بد له من معجزة دالة على
صدقه وذلك قد حصل فاما ان ياتي بكل ما يطلب منه فذلك ليس من شرط الرساله فهذا جواب معتمد عن
الشبهة التي اوردها اليهود وهو المقصود الاصلي من هذه الايه جعل الله تعالى نوحا ثاني محمد صلى الله عليه وسلم
في موضعين من كتابه في اخذ الميثاق قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وفي
الوحي فقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وانما قدم ذكر نوح على ذكر النبيين لانه اول
نبي من انبياء الشريعه شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام واول داع واول نذير على
الشرك قوله والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من غيرهم كقوله
وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل واعلم ان الانبياء المذكورين في هذه الايه سوى موسى اثنا عشر
ولم يذكر موسى معهم وذلك لان اليهود قالوا يا محمد ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء دفعه واحدة
كما اتى موسى بالتوريه دفعه واحدة فالله تعالى اجاب عن هذه الشبهه بان هؤلاء الانبياء الاثني عشر كلهم كانوا
انبياء ورسلا مع ان واحدا منهم ما اتى بكتاب مثل التوريه دفعه واحدة واذا كان المقصود من تعديد
هؤلاء الانبياء هذا المعنى لم يجز ذكر موسى معهم ثم ختم ذكر الانبياء بقوله واتينا داود زبورا
يعني انكم اعترفتم بان الزبور من عند الله وما نزل على داود دفعه واحدة في الواح مثل ما
نزلت التوريه دفعه واحدة على موسى عليه السلام في الالواح فدل على ان نزول الكتاب لا على الوجه
الذي انزلت التوريه لا يقدح في كون الكتاب ليس من عند الله وهذا الزام حسن قوي والزبور الكتاب
قرا حمزة زبورا بضم الزاي بمعنى الفرقان جمع زبر وهو الكتاب والباقون بفتح الزاي وهو فعول بمعنى
مفعول من زبرت والزبور كتاب داود عليه السلام قوله ورسلا قد قصصناهم عليك
نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او نصب بمضمر على شريطة التفسير
نقصص قصصناهم والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء في القران والاكثرون غير مذكورين
على سبيل التفصيل قوله وكلم الله موسى تكليما والمراد انه تعالى بعث كل هؤلاء الانبياء وخص
موسى عليه السلام بالتكليم معه ولم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشريف الطعن في نبوة سائر
الانبياء فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بانزال التوريه عليه دفعه واحدة طعن فيما انزل
الله عليه الكتاب لا على هذا الوجه قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه
وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن قوله تعالى رسلا في انتصابه وجوه منها انه على
المدح ومنها انتصابه على البدل من قوله ورسلا ومنها ان يكون التقدير اوحينا اليهم
رسلا فيكون منصوبا على الحال والاول اوجه وهذا ايضا جواب عن شبهتهم بتقرير ان
المقصود من بعثة الانبياء ان يبشروا الخلق على اشتغالهم بعبودية الله وان ينذروا على
الاعراض عن العبوديه فهذا هو المقصود فقد كمل الغرض وتم المطلوب وهذا المقصود حاصل
بانزال الكتاب المشتمل على بيان هذا المطلوب ومن المعلوم انه لا يختلف حال هذا المطلوب بان
يكون الكتاب نازلا دفعه واحدا او منجما مفرقا بل لو قيل ان انزال الكتاب منجما مفرقا اقرب
الى المصلحه لكان اولى لان الكتاب اذا نزل دفعه لكثرت التكاليف وتوجهت باسرها على المكلفين

بلغ باصله

فسل

فيثقل عليهم قبولها ولهذا السبب اصر قوم موسى عليه السلام على التمرد ولم يقبلوا تلك التكاليف
اما اذا انزل الكتاب منجما مفرقا لم يكن كذلك بل تنزل التكاليف شيئا فشيئا فحينئذ يحصل الانقياد والطاعه من القوم
فكان اقتراح اليهود في انزال الكتاب دفعه واحدة اقتراحا فاسدا قوله وكان الله عزيزا حكيما يعني
هذا الذي يطلبونه من الرسول امر هين في القدرة ولكنكم طلبتموه على سبيل اللجاج والله تعالى عزيز
وعزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه وكذلك حكمته تقتضي هذا الامتناع لعلمه تعالى بانه لو فعل ذلك
لبقوا مصرين على لجاجهم كما بقي قوم موسى معه على المكابره والاصرار واللجاج قوله لئلا يكون للناس على الله حجه
بعد الرسل يدل على ان قبل البعثه يكون للناس على الله حجه في ترك الطاعات والعبادات ونظيره قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكون للناس على الله حجه
قبل الرسل وهم محجوجون بما نصب الله من الادله التي النظر فيها موصل الى المعرفه والرسل في انفسهم
لم يتوصلوا الى المعرفه الا بالنظر في تلك الادله ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر في تلك الادله ولا عرف
انهم رسل الله الا بالنظر قلت الرسل منبهون عن الغفله وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل
والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة
للعله وتتميما لالزام الحجه لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفله وينبهنا لما وجب الانتباه
له اعلم ان مذهب المعتزله في التحسين والتقبيح جرهم الى اثبات احكام الله بمجرد العقل من غير بعثة رسل فيوجبون
ويحرمون ويبيحون ومما اوجبوا النظر في ادلة التوحيد قبل الشرع ومن تركه ترك واجبا واستحق العقاب
وقامت عليه الحجه فاذا انكرت عليهم هذه الايه وشهدت عليهم ان الحجه انما قامت على الخلق بالاحكام الشرعيه
اولوا النص وقالوا الرسل هم حجة الله ونبه على ما اوجبه العقل قبل بعثتهم وكذلك قوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا واذا كان اصلهم باطلا فلا يؤولوا النص بما هو موافق لاصلهم بل يجرى على ظاهره واعلم ان
المعرفه والنظر والتوحيد طريقها العقل لا النقل لان المعرفه متلقاة من العقل والوجوب متلقى من الشرع
والنقل **قوله تعالى** لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكه يشهدون وكفى بالله شهيدا
لكن للاستدراك اي استدراك ما سبق فلا يبتدا به فلا بد له من مستدرك قيل لما سال اهل الكتاب
انزال الكتاب من السما وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى
انهم لا يشهدون لكن الله يشهد فالمستدرك انهم لا يشهدون المعلوم من سياق الايات وقيل لما نزل
انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا بان الله اوحى اليك كما اوحى اليهم فنزل لكن الله يشهد ومعنى
شهادة الله بما انزل اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات ولما كانت شهادته انما عرفت
بواسطة انزال القران قال لكن الله يشهد اي يشهد لك بالنبوة بواسطة ما انزل اليك من القران
قوله انزله بعلمه معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب
يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجمله المفسره لانه بيان للشهاده وان شهادته
بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من
الشيطان وشهادة الملائكه شهادتهم بانه حق وصدق فان قيل لو قالوا انا نعلم ان الملائكه يشهدون
بذلك اجيب بانه يقال لهم يعلم شهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكه يشهدون
بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو
الشهاده حقا قل اي شيء اكبر شهاده قل الله **قوله تعالى** ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا
ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا

وكان ذلك على الله يسيرا يريد اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وصدوا غيرهم عن سبيل
الله بالقا الشبهات في قلوبهم نحو قولهم لو كان رسولا لاتى بكتابه دفعة واحدة من السما كما نزلت التورية على موسى وقولهم
ان الله ذكر في التورية ان شريعة موسى لا تبدل ولا تنسخ الى يوم القيامه وقولهم ان الانبيا لا يكونون الا من ولد هرون
وداود وقد ضلوا ضلالا بعيدا لان اشد الناس ضلالا كافر يعتقد انه محق ثم يتوسل بذلك الضلال الى
اكتساب المال والجاه ثم انه يبذل كنه جهده في القا غيره في مثل ذلك الضلال وهو ضلال بعيد ولما وصف
الله تعالى كيفية ضلالهم ذكر مدة وعيدهم فقال ان الذين كفروا بمحمد والقران وظلموا اي صدوا عن
سبيل الله بالقا الشبهات لم يكن الله ليغفر لهم واعلم انا ان حملنا قوله ان الذين كفروا على المعهود
السابق لم يحتج الى اضمار شرط في هذا الوعيد لان الوعيد محمول على اقوام علم الله منهم انهم يموتون على الكفر
ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا لانه قادر على ان يخلق لهم
العذاب والالم شيئا بعد شيء الا ما لا انتاهي **قوله تعالى** يا ايها الناس قد جاكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا
خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما لما اجاب عن شبهة اليهود على وجوه
كثيرة بين فساد طريقتهم وذكر وعيدهم ذكر اخطابا عاما يعمهم ويعم غيرهم في الدعوة الى دين محمد صلى الله
عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد جاكم الرسول بالحق من ربكم اي بالقران وهو معجز فيكون من ربكم وقيل
جا بالدعوة الى عبادة الله والاعراض عن غيره والعقل يدل على انه هو الحق من ربكم فامنوا خيرا لكم المضمر
اي اقصدوا وائتوا امرا خيرا لكم اي من الايمان خيرا لكم فعلى الاول انتصابه على انه مفعول به وعلى
الاخر على انه خبر يكن وعلى التقديرين انتصابه بمضمر وان تكفروا فان الله غني عن ايمانكم فان لله ما
في السموات والارض فلا يحتاج الى شيء ويحتمل ان يكون المراد فان لله ما في السموات والارض فهو قادر على
انزال العذاب الشديد عليكم لو كفرتم ويحتمل ان يكون المراد انكم ان كفرتم فان لله ما في السموات والارض فله
عبيد يعبدونه وينقادون لامره وحكمه وكان الله عليما لا يخفى من اعمال عباده المومنين والكافرين شيء حكيما
لا يضيع عمل عامل منهم ولا يسوي بين المومن والكافر **قوله تعالى** يا اهل الكتاب لا تغلوا في
دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح
منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما
في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لما اجاب عن شبهات اليهود خاطب بعد ذلك النصارى
تقديره يا اهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم اي تفرطوا في تعظيم المسيح غلت اليهود في حط
المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشده وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه
الها ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بالحلول والاتحاد ونزهوه عن الشريك والولد ثم ارشدهم
الى الطريق الحق وهو ان المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته قيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه
وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها
فيها وقيل له روح الله وروح منه لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة
من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة وقيل اذا وصف شيء بغاية الطهارة
والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الاب وانما تكون من نفخة جبريل وصف بانه روح
وقوله منه للتشريف والتفضيل كما يقال هذه نعمة من الله اي نعمة كاملة شريفة وقيل انه كان سببا لحيوة الخلق
في اديانهم ومن كان كذلك وصف بانه روح قال تعالى في صفة القران وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا وقيل روح منه اي رحمة منه قيل في تفسير قوله وايدهم بروح منه اي برحمة منه
فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث انه كان يرشدهم الى مصالحهم في دينهم ودنياهم سمي روحا

منه

منه وقيل ان الروح هو النفخ في كلام العرب فان الروح والريح متقاربان فالروح عبارة عن نفخة
جبريل وقوله منه يعني ان ذلك النفخ من جبريل باذن الله فهو منه كقوله فنفخنا فيها من روحنا والتنكير
في روح للتعظيم فامنوا بالله ورسله اي ان عيسى من رسل الله فامنوا به كايمانكم بساير الرسل ولا تجعلوه
الها ولا تقولوا ثلاثة ثلاثة خبر مبتدا محذوف اي ولا تقولوا الله ثلاثة حكي عن النصارى انهم يقولون الله
جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب اي الذات واقنوم الابن العلم واقنوم روح القدس الحيوة
وقيل معناه ولا تقولوا الالهة ثلاثة يدل على ذلك القران قال الله أانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله قال صاحب الكشاف المشهور والمستفيض عن النصارى
انهم يقولون في المسيح لاهوتيه وناسوتيه من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى بن مريم
فاثبت بقوله ابن مريم انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وجل
من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب حيث قال القاها الى مريم
فنفى ان يتصل به اتصال الابا بالابنا انتهوا خيرا لكم مما انتم فيه من التثليث وهو التوحيد ثم اكد
التوحيد بقوله انما الله اله ثم نزه نفسه عن الولد بقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكايته الله
اوثق من حكايته غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا ان يكون له ولد له ما في السموات
وما في الارض بيان لتنزهه مما نسب اليه اي كل ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف
يكون بعض ملكه جزءا وولدا له على ان الجزء والولد انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام
والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل الخلق كله اليه امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقرا اليه فلا حاجة
معه الى القول باثبات اله اخر خالق قوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا لن يستنكف اي لن يستكبر فان الاستنكاف
والاستكبار واحد وقيل لن يتعظم وقيل لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا
نحيته من خدك باصبعك فتاويل لن يستنكف لن ينقبض ولن يمتنع فقال في هذا الامر نكف ولا وكف
والنكف ان يقال له سوء روي ان وفد نجران قالوا يا رسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن
صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء قلنا قالوا انه عبد الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم انه
ليس بعار ان يكون عبد الله فنزلت هذه الاية قال الامام انه تعالى لما اقام الحجة القاطعة على
ان عيسى عبد الله ولا يجوز ان يكون ابنا له اشار بعده الى حكاية شبهتهم واجاب عنها وذلك
لان الشبهة التي عليها يعولون في اثبات انه ابن الله هو انه كان يخبر عن المغيبات وكان ياتي
بخوارق العادات من الاحيا والابرا فكانه قال تعالى لن يستنكف المسيح بسبب هذا القدر من
العلم والقدرة عن عبادة الله فان الملائكة المقربين اعلى حالا منه في العلم بالمغيبات ومع كمال
حالهم في العلوم والقدرة لم يستنكفوا عن عبودية الله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته ثم قال
الامام اذا حمل هذه الاية على ما ذكر صارت الايات متناسبة متناسقة ومتناظرة شريفة كاملة
فالحمل عليه اولى ولقايل ان يقول ان النصارى ما نفوا العبودية بانه اخبر عن الغيوب واتى بخوارق
العادات فان ساير الانبيا مشاركون لعيسى في هذا المعنى مع ان النصارى ما نفوا عبوديتهم بل انما
نفوا العبودية بسبب انه وجد بلا اب فاز ال شبهتهم بان عدم واسطة الاب لا يخرجه عن
العبودية فان الملائكة المقربين الذين لا واسطة لهم لا يستنكفون عن العبودية وانما لم يذكر ادم
ههنا الذي بلا واسطة الاب والام لان نفي الواسطة بالنسبة الى الملائكة المقربين ابلغ واكد
فان ادم خلقه من تراب قال صاحب الكشاف ولا الملائكة المقربون اي ولا من هو اعلى قدرا

منه واعظم خطرا منه وهم الملايكه الكروبيون الذين هم حول العرش كجبريل وميكاييل واسرافيل ومن في طبقتهم ثم قال فان قلت من اين دل قوله ولا الملايكه المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبوديه فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبوديه ولا من هو ارفع درجه منه كانه قيل لن يستنكف الملايكه المقربون عن العبوديه فكيف بالمسيح ويدل على ان المعنى ولا من فوقه دلاله ظاهره بينه تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملايكه درجه واعلاهم منزله ومثاله قول القايل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخر لا شبهه في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الايه قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعرف ترقي بالفرق البين قال محيي السنه يستدل بهذه الايه على تفضيل الملايكه على البشر لان الله ارتقى من عيسى الى الملايكه ولا يرتقي الا الى الاعلى اذ لا يقال لا يستنكف فلان من كذا ولا عبده وانما قال ولا مولاه ولا حجة لهم فيه لانه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل ردا على الذين يقولون الملايكه الهه كما رد على النصارى قولهم المسيح ابن الله وقيل الايه رد على عبده المسيح والملايكه فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى لان الكلام فيهم فلعله اراد بالعطف المبالغه باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رييس ولا مرووس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملايكه وهم الكروبيون على المسيح من الانبيا ولا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه وقيل المثال الذي ذكره صاحب الكشاف لا يصح به الكل ولانه انما يدل السوق العلم بزيادة البحر على حاتم اما اذا قلت لا يفعله زيد ولا عمرو لم يفهم التفضيل فلا لانها على تفضيل الملايكه يتوقف على معرفة افضليتهم وبالعكس فيدور ولان الواو لا توجب الترتيب ولانه يدل على ان جميع الملايكه افضل لانها جمع معرف فيفيد العموم لا ان كل واحد افضل وهو المطلوب وان ادعى انه وجداني وذوقي فالوجد اثبات والذوقيات لا يستدل بها على الخصم وقيل الجواب الصحيح ان يقال ان قوله ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبوديه ولا من هو ارفع درجه لان هذا الرد انما يمشي معهم وينتهض حجة عليهم اذا سلموا ان الملايكه افضل من عيسى وهم لا يسلمون هذا فانهم يرفعون درجة عيسى الى الالهيه وقول صاحب الكشاف ان علم المعاني لا يقتضي غيره ذلك الحصر ممنوع وغايته انه من باب الترقي وتقديره ما ذكره الامام قيل والذي يقتضيه النظم ان يكون الاسلوب من باب التتميم والمبالغه لا الترقي وذلك ان قوله تعالى انما الله اله واحد اثبات للتوحيد على القصر وتقرير لصفة الفردانيه على الوجه الابلغ لان المعنى ما الله الا واحد فرد في الالهيه لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها وان قوله له ما في السموات وما في الارض اثبات لصفة المالكيه والخالقيه على الاختصاص ايضا وذلك لتقديم الظرف على المبتدا وفيه ان ما سواه مملوكه وتحت تصرفه وتدبيره ومن جملته المسيح والملايكه وكل ما عبد من دون الله وان قوله وكفى بالله وكيلا اثبات لقدرته على الاختصاص ايضا وبيان ان غيره غير مستقل بنفسه وان امور موكوله اليه لا الى غيره ثم انه تعالى لما قرر الفردانيه والمالكيه والقدره التامه كل ذلك على الاختصاص اتبعه قوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله الى اخر الايات بيانا وتقريرا لاستحقاقه العبوديه وانكارا لان احدا يستنكف او يستكبر عن عبادته والمعنى لا يستقيم بعد هذا التقدير ان يتصور ان احدا استكبر على الله ويستنكف عن عبوديته الا الذي تتخذونه انتم ايها النصارى الها كاملا فيه ولا ما اتخذه غيركم من

الملايكه

الملايكه لقربهم من الله وانما قلنا كمالا فيه لان في تصريح ذكر المسيح بعد سبق ذكره اشعارا بالعليه وايضا قد تقرر ان المعرف اذا اعيد كان الثاني عين الاول واذا كان كذلك يحصل بين تخصيص ذكر الروح وبين ذكر المقربين فرق وهذا هو الجواب عن قوله ويدل عليه دلاله ظاهره بينه تخصيص المقربين لانه خص المقربون لانهم يعبدون وهم ولا يعبدون غيرهم وبهذا البيان ظهر ان ذكر الملايكه المقربين للاستطراد كما قال محيي السنه لانه لم يقل رفعا لمقامهم على مقام البشر بل ردا على الذين يقولون الملايكه الهه كما رد على النصارى وتبين من قوله ومن يستنكف عن عبادته ان الكلام في العبوديه ونفي الاستنكاف لا الافضليه لكونه ترسلا للكلام السابق قوله ولا الملايكه عطف على المسيح ظاهرا او عطفه على الضمير المستتر في يكون يودي الى انحراف عن الغرض وهو ان يكون المسيح لا يستنكف ان يكون هو ولا الملايكه المقربون عبد الله لان عدم الاستنكاف يكون مسندا على هذا التقدير الى المسيح لا الملايكه والكلام سيق لعدم استنكاف الملايكه ايضا قيل ويجوز ان يكون عطفا على الضمير المستتر في عبدا لما في عبدا من معنى الوصف لدلالته على معنى العباده والذي يدل على ان في عبدا معنى الوصف قولك مررت برجل عبد ابوه وفيه انحراف ايضا لانه حينئذ يكون معناه لن يستنكف المسيح ان يعبد الله هو ومن فوقه يلزم المحذور وقيل وجوده في المعطوف يستدعي العطف على المسيح لا ان المنفي اولا قال صاحب الكشاف فان قلت قد جعلت الملايكه وهم جماعه عبد الله في هذا العطف اي عطف الملايكه على المسيح وعطفهم على الضمير المستتر في يكون بيانه تقدير الكلام على الوجه الاول لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولن يستنكف الملايكه المقربين ان يكونوا عبد الله وعلى الوجه الثاني لن يستنكف المسيح ان يكون هو ولا الملايكه المقربون عبد الله فيلزم اطلاق المفرد على الجمع وهم الملايكه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملايكه المقربين ان يكون عبد الله وثانيهما ان يكون في الكلام حذف تقديره لن يستنكف المسيح ان يكون هو ولا كل واحد من الملايكه المقربين عبد الله والثاني لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملايكه المقربون ان يكونوا عباد الله هذا اذا عطف على المسيح او على الضمير في يكون واما اذا عطف على الضمير في عبدا فالسوال ساقط لان التقدير ان يكون عبدا هو ولا الملايكه اي يعبد هو والملايكه لانه بمنزلة قولك قاعد غلمانه لان العبد يدل على العباده وفعل الجماعه اذا كان مقدما يوحد ثم اخبر تعالى عمن يستنكف اي يانف عن عبادته ويستكبر بانه سيحشرهم يوم القيامه ويردهم الى الله قوله فسيحشرهم وعيد شديد وبين الله تعالى امر المحشورين فاخبر عن المومنين العاملين بالصالحات انه يوفيهم اجورهم لا ينقص من اجورهم لا قليلا ولا كثيرا وانه يزيدهم من فضله قيل يحتمل ان يكون هذه الزياده المخبر بها في ان الحسنه بعشر الى سبعمايه ضعف ويحتمل ان يكون التضعيف الذي هو المشار اليه في قوله والله يضاعف لمن يشاء وقيل ويزيدهم من فضله من التضعيف ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال صاحب الكشاف فان قلت التفصيل اي قوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقوله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما غير مطابق للمفصل وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا لان التفصيل مشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله اي اعطاه الحموله ومن خرج عليه نكل به فقوله جمع الامام الخوارج هو المفصل مثل قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فمن لم يخرج مثل قوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله ومن خرج عليه مثل قوله واما الذين استنكفوا امر

وهو العبد

هو التفصيل

قال صاحب الكشاف وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف في المفصل ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل
عليه ولان ذكر احد الفريقين في المفصل يدل على ذكر الثاني كما ذكر احد الفريقين في التفصيل في قوله
عقيب هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به ولم يذكر الفريق الثاني وهو الكافر غير المعتصم لان الايات
تتبين بعضها والوجه الثاني لصحة ذلك هو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان الاحسان الى غيرهم
داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور
العاملين وبما يصيبه من عذاب الله قال الامام لما ذكر انه يحشر هولاء المستنكفين المستكبرين لم يذكر ما يفعل
بهم بل ذكر اولا ثواب المومنين المطيعين فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله ثم ذكر عقاب المستنكفين المستكبرين فقال واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا والمعنى ظاهر ولا اشكال فيه وانما قدم ثواب المومنين على
عقاب المستنكفين لانهم اذا راوا اولا ثواب المطيعين ثم شاهدوا بعده عقاب انفسهم كان ذلك اعظم في الحسرة
قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا واعلم انه تعالى لما اورد
الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى واجاب عن جميع شبهاتهم عمم الخطاب
ودعى جميع الناس الى الاعتراف برسالة محمد عليه السلام فقال يا ايها الناس قد جاءكم برهان والبرهان
الحجة النيرة الواضحة التي تعطي اليقين التام والمعنى قد جاءكم مقترنا بمحمد صلى الله عليه وسلم برهان
على صحة ما يدعوكم اليه وفساد ما انتم عليه والبرهان والنور المبين القران او اراد بالبرهان دين الحق
او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز ولما قرر على كل العالمين كون محمد رسولا
وكون القران كتابا حقا امرهم بعد ذلك ان يتمسكوا بشريعة محمد ووعدهم عليه بالثواب فقال فاما
الذين امنوا بالله واعتصموا به والمراد امنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا
به اي بالله في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم
اليه صراطا مستقيما فوعد بامور ثلثة الرحمة والفضل والهداية عن ابن عباس الرحمة الجنة والفضل
ما يتفضل عليهم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ويهديهم اليه صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام
قال الامام واقول الرحمة والفضل محمولان على ما في الجنة من المنفعة والتعظيم واما الهداية
فالمراد منه السعادات الحاصلة بتجلي انوار عالم القدس والكبرياء في الارواح البشرية وهذا
هو السعادة الروحانية واخر ذكرها عن القسمين الاولين تنبيها على ان البهجة الروحانية اشرف
من اللذات الجسمانية قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له
ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان
مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله
بكل شيء عليم اعلم انه تعالى تكلم اول السورة في احكام الاموال وختم اخرها بذلك ليكون
الاخر مشاكلا للاول ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين في الدين
ذكر الله تعالى في النساء ايتين في الكلالة احديهما في اولها وهي قوله وان كان رجل يورث
كلالة او امراة الاية والاخرى هذه الاية روي ان هذه الاية اخر ما نزل من الاحكام عن جابر بن عبد الله
قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني هو وابو بكر ماشيان فوجدني
قد اغمي علي فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فافقت فقلت يا رسول الله كيف
اصنع في مالي وكان لي تسع اخوات ولم يكن لي والد ولا ولد قال فلم يجبني شيئا ثم خرج وتركني ثم رجع
الي فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل في اخواتك وجعل لهن

الثلثين وقرا علي هذه الاية فكان جابر يقول انزلت هذه الاية في وعن ابن عباس نزلت هذه الاية في جابر
بن عبد الله وفي اخته رسول الله فقال يا رسول الله ان لي اختا فما لي من مالها بعد موتها فنزلت
هذه الاية وابتدا بالرجل فقال ان امرؤ هلك قبل اخته وعن قتادة قال همهم شان الكلالة فسالوا عنها
نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية يستفتونك اي يستخبرونك ويسالونك وعن الشعبي
اختلف ابو بكر وعمر رضي الله عنهما في الكلالة فقال ابو بكر هو ما عدا الولد وقال عمر هو ما عدا الوالد والولد
ثم قال عمر اني لاستحيي من الله ان اخالف ابا بكر وقال عمر ثلاث لان يكون النبي صلى الله عليه وسلم بينهن لنا احب
لنا من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وابواب الربوا عن ابن سيرين نزلت هذه الاية والنبي صلى الله عليه
وسلم في مسيره الى حجة الوداع والى جنبه حذيفة والى جنب حذيفة عمر فلقنها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة
ولقنها حذيفة عمر فلما استخلف عمر سال حذيفة رجاء ان يكون عنده تفسيرها فقال حذيفة والله انك لاحمق ان ظننت
ان امارتك تحملني ان احدثك فيها بما لم احدثك يومئذ لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقنتكها كما
لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيدك على هذا شيئا ابدا فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله
ثم قال عمر اللهم من كنت بينتها له فانها لم تبين لي ومن فهمها فاني لم افهمها وخطب عمر رضي الله عنه
الناس يوم الجمعة فقال والله اني ما ادع بعدي شيئا هو اهم الي من الكلالة فقد سالت النبي صلى الله
عليه وسلم عنها فما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي فيها حتى طعن في فخذي فقال يكفيك اية الصيف التي في
اخر سورة النساء وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته الا ان الاية التي انزل الله في اول
سورة النساء من شان الفرايض انزلها في الولد والوالد والاية الثانية انزلها في الزوج والزوجة
والاخوة في الام والاية التي ختم بها سورة النساء انزلها في الاخوة والاخوات من الاب والام والاية
التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قوله ان امرؤ
هلك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد النصب على الحال اي هلك غير ذي ولد والمراد
بالولد الابن وهو اسم مشترك من حيث المعنى يجوز ايقاعه على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت
ولا يسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس لعموم الولد وانما تاخذ الاخت النصف اذا لم يكن للميت بنتان او
بنت وبنت ابن او بنتا ابن ويمكن ان يقال المراد بالولد اعم من الابن والبنت وابن الابن وبنت الابن فان
الاخت مع البنت وبنت الابن لا تاخذ النصف بالفرضية والمراد بالاخت التي هي لاب وام او لاب
دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين
واما الاخت للام فلها السدس في اية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها اي اخوها
يرثها ان قدر الامر على العكس من موت الاخت وبقاء الاخ بعدها ان لم يكن للاخت الميتة ولد
اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قيل الاب ايضا يسقط الاخ فلم اقتصر على نفي
الولد اجيب بان المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر ودل
على المحذوف لان الفتيا في الكلالة والكلالة من ليس له ولد ولا والد فان كان له احدهما لم يسم كلالة او
بانه بين حكم انتفاء الولد وكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا
الفرايض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما
بالكتاب والاخر بالسنة قوله فان كانتا اثنتين اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين اي اختين
وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما
انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر
وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكور قوله يبين الله لكم ان تضلوا

معقول له ومعناه كراهة ان تضلوا على حذف المضاف وقيل بتقدير لئلا تضلوا فحذف لا لدلالة الثاني
عليه ومعناه لئلا تخطئوا ولا تميلوا عن الطريق ومحل ان تضلوا جر وكانه قال لانتفا ضلالكم
وقيل يبين الله الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها ثم قال والله بكل شي عليم فيكون بيانه
حقا وتبيينه صدقا قال الامام اعلم ان في هذه السورة لطيفة عجيبة وهي ان اولها مشتمل على
بيان كمال قدرة الله فانه قال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وهذا دال على
سعة القدرة واخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية
والالهية والجلال والعزة وبهما يجب على العبد ان يكون مطيعا للاوامر والنواهي منقادا لكل
التكاليف **سورة المائدة** هذه السورة مدنية روي انها نزلت منصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الحديبية ومن هذه السورة ما نزل في حجة الوداع ومنها ما نزل عام الفتح وهو قوله
ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وكلما نزل من القران بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مدني سواء نزل
في المدينة او في سفر من الاسفار او بمكة وانما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة وهو احدى عشر الفا وسبعماية
وثلث وثلثون حرفا والفان وثمان مائة واربع كلمات ومائة وعشرون اية وكلما نزل من القران
بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مدني سواء نزل بالمدينة او في سفر من الاسفار او بمكة وانما
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام
الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد قيل المخاطبون هم المومنون
من امتنا وقيل هم اهل الكتاب والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه واصله عقد الشي بغيره
وهو وصله به كما يعقد الحبل بالحبل اذا وصل به شدا قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا فالعهد الزام والعقد التزام على سبيل الاحكام قيل
امر الله تعالى المومنين عامة بالوفا بالعقود وهي الربوط في القول كان ذلك في تعاهد على بر او
في عقد نكاح او بيع او غيره ولفظ المومنين يعم مومني اهل الكتاب اذ بينهم وبين الله عقد في اداء
الامانة في ما في كتابهم من امر محمد صلى الله عليه وسلم ولفظ العقود يعم عقود الجاهلية المبنية على
بر مثل دفع الظلم ونحوه واما في سائر تعاقدهم على الظلم والغارات فقد هدمه الاسلام
ومعنى الاية امر جميع المومنين بالوفا على عقد جار على رسم الشريعة وذكر بعضهم من العقود اشيا على
جهة المثال فمن ذلك قول قتادة اوفوا بالعقود اي عقود الجاهلية عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اوفوا بعقود الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وعن ابن عباس اوفوا بالعقود
ومعناه بما احل الله وبما حرم وبما فرض وبما حد في جميع الاشيا وقيل العقود خمسة عقد الايمان
وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الحلف وقيل هي العقود التي اخذها الله على
اهل الكتاب ان يعملوا بما جاءهم وقال ابن شهاب قرات كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي كتب لعمرو بن حزم حين بعثه الى نجران وفي صدر هذا الكتاب من الله ورسوله
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود فكتب الايات منها الى قوله ان الله سريع الحساب وقيل
العقود هي التكاليف لانه تعالى ربط التكاليف بعباده كما يربط الشي بالشي بالحبل الموثق
امر الله تعالى في هذه الاية باداء التكاليف فعلا وتركا والاولى ان يعم لفظ العقود في كل
ربط بقول موافق للحق والشرع قال الشافعي اذا نذر صوم يوم العيد او نذر ذبح الولد
لغا وقال ابو حنيفة صح لانه نذر الصوم والذبح لانه نذر صوم يوم العيد وذبح الولد وهما
مركبان والاتي بمركب اتى بكل من مفرداته فملتزم صوم يوم العيد وملتزم ذبح الولد ملتزم

للصوم

للصوم والذبح فوجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى اوفوا بالعقود يوفون بالنذر وقوله
عليه السلام اوف بنذرك حجة الشافعي ان هذا النذر بالمعصية فيكون لغوا لقوله صلى
الله عليه وسلم لا نذر في معصية الله وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت لانه لما انعقد
البيع وجب ان يحرم الفسخ لقوله تعالى اوفوا بالعقود وقال الشافعي ان هذه الاية مخصصة
بالخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل منهما بالخيار ما لم يتفرقا وقال ابو حنيفة الجمع
بين الطلقات حرام لان النكاح من العقود لقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح فوجب ان يحرم
دفعه لقوله اوفوا بالعقود وترك العمل به في الطلقة الواحدة بالاجماع فوجب ان يبقى فيما
عداه على الاصل وقال الشافعي لا يحرم وخصص هذا العموم بالقياس وهو انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد
نفذ فلا يحرم احلت لكم لما قرر بقوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ان جميع المكلفين يلزمهم
الانقياد لجميع تكاليف الله وذلك كالاصل الكلي والقاعدة الجملية شرع بعد ذلك في ذكر التكاليف
المفصلة فبدا بذكر ما يحل ويحرم من المطعومات فقال احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل حي
لا يميز من قولهم استبهم الامر على فلان اذا اشكل وهذا باب مبهم اي مسدود الطريق ثم سميت
بهيمة لعدم نطقها ثم اختص هذا الاسم بكل ذات اربع في البر والبحر والانعام هي الابل والبقر
والغنم واضافة البهيمة الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة
من الانعام وللتاكيد كقولنا نفس الشي وذاته وقيل المراد بالبهيمة شي وبالانعام شي اخر وعلى هذا
التقدير ففيه وجهان احدهما ان المراد من بهيمة الانعام الظبا وبقر الوحش ونحوهما كانهم ارادوا
ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لحصول
المشابهة وثانيهما ان المراد ببهيمة الانعام اجنة الانعام روي عن ابن عباس ان بقرة ذبحت فوجد
في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنبها وقال هذا من بهيمة الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام
وذكاته ذكاة امه ومذهب الشافعي ان الجنين مذكى بذكاة الام والانعام الازواج الثمانية
قيل احلت لكم بهيمة الانعام مجمل لان الاحلال انما يضاف الى الافعال وههنا اضيف الى
الذات فتعذر اجراوه على ظاهره فيجب اضمار فعل وليس اضمار بعض الافعال اولى من بعض
فيحتمل ان يكون احلال الانتفاع بجلدها او بعظمها او بصوفها او بلحمها او المراد احلال الانتفاع
بالكل واللفظ محتمل للكل الا ان قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون
دل على ان المراد احلال الانتفاع بالكل ويحتمل ان يقال يحمل على ما هو الاعظم مقصودا او
هو الاكل فلا يكون مجملا قوله الا ما يتلى ظاهر هذا الاستثنا مجمل واستثنا المجمل من
المفصل يجعل ما بقي بعد الاستثنا مجملا الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من هذا الاستثنا
هو المذكور بعد هذه الاية وهو قوله حرمت عليكم الميتة بيانه ان قوله احلت لكم بهيمة الانعام
يقتضي احلالها على جميع الوجوه فبين الله تعالى انها ان كانت ميتة او دما او لحم خنزير
او ذبحت على غير اسم الله او منخنقة او موقوذة او متردية او نطيحة او افترسها السبع فهي
محرمة واستثنا ما يتلى من البهيمة غير مستقيم لان ما يتلى ايات القران فلا يستقيم استثناوه من
بهيمة الانعام فيقدر مضاف لقوله ما يتلى الا محرم ما يتلى عليكم من القران نحو قوله
حرمت عليكم الميتة او مقدر لقوله يتلى مفعوله اقيم مقامه فاعله اي الا ما يتلى عليكم اية تحريمه
فيكون يتلى في الاصل مسندا الى اية وهي مضافة الى تحريمه فحذف المضاف والمضاف اليه ثم اسند
يتلى الى الضمير الذي كان مجرورا باضافة تحريم اليه قوله غير محلي الصيد نصب على من الضمير

في لكم اي احلت لكم هذه الاشيا لا محلي الصيد لما احل بهيمة الانعام ذكر الفرق بين صيدها وغير
صيدها فعرفنا ان ما كان منها صيدا فانه حلال في الاحلال دون الاحرام وما لم يكن صيدا
فانه حلال في الحالين وعن الاخفش ان انتصابه على الحال من قوله اوفوا بالعقود يعني اوفوا بالعقود
غير محلي الصيد وفيه معنى النهي وانتم حرم حال متداخلة عن الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام
في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم وانتم حرم اي انتم محرمون اي داخلون
في الاحرام بالحج والعمرة او احدهما يقال احرم بالحج وبالعمرة فهو محرم وحرم كما يقال اجنب
فهو مجنب وجنب ويستوي فيه الواحد والجمع فيقال قوم حرم كما يقال قوم جنب قال
تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقولنا احرم الرجل له معنيان احدهما دخل في الاحرام وثانيهما
انه ادخل الحرم فقوله وانتم حرم يشتمل على الوجهين فيحرم الصيد على من كان في الحرم كما يحرم
على من كان محرما بالحج او العمرة وظاهر الاية يقتضي ان الصيد حرام على المحرم اعم من ان يكون صيد البر
او صيد البحر ونظير هذه الاية قوله تعالى فاذا حللتم فاصطادوا فان اذا للشرط والمعلق بكلمة
الشرط على الشيء عدم عند الشيء الا انه تعالى بين في اية اخرى ان المحرم على المحرم صيد البر لا صيد البحر
قال تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
فصارت هذه الاية بيانا لتلك الايات المطلقة قوله ان الله يحكم ما يريد استيناف هو جواب
لسوال مقدر فانه تعالى احل بهيمة الانعام في جميع الاحوال واباح الصيد في بعض الاحوال دون
بعض فكان قايلا قال ما السبب في هذا التفصيل والتخصيص فقيل ان الله يحكم ما يريد اي انه مالك
الاشيا وخالقها يحكم ما يريد لم يكن على حكمه اعتراض بوجه من الوجوه قال الامام هذا هو
الذي يقوله اصحابنا ان علة حسن التكليف هو الربوبية والعبودية لا ما يقوله المعتزلة من رعاية
المصالح **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي
ولا القلايد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم
شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان واتقوا الله الذي اليه تحشرون ان الله شديد العقاب ان الله تعالى لما حرم الصيد
على المحرم في الاية الاولى ذكر بعدها ان النهي في هذه الاية على مخالفة تكاليف الله فقال يا ايها الذين امنوا
خطاب للمؤمنين حقا ان لا تتعدوا حدود الله في امر من الامور وقيل سبب نزول هذه الاية ان شريح
بن ضبيعة اتى المدينة فخلف خيله خارج المدينة فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الى ما تدعو الناس
قال الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال ان لي امرا لا اقطع امرا دونهم ارجع
اليهم استشارهم ثم خرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبى غادر وما الرجل
بمسلم فمر شريح بسرح لاهل المدينة فاستاقه فلما كان عام الحديبية خرج شريح الى مكة معتمرا ومعه
تجارة فاراد اهل السرح ان يغيروا عليه كما اغار عليهم فاستاذنوا رسول الله فنزلت هذه الاية
وقيل ان ناسا من المشركين جاوا يومون البيت يوم الفتح مهلين بالعمرة فقال المسلمون لا ندع هولا
بل نغير عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلدها الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا
نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فانزل الله هذه الاية والشعاير جمع شعيرة
وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال
التي هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر قيل لا تحلوا شعاير الله
اي لا تحلوا شيا من شرايع الله وفرايضه التي حدها لعباده واوجبها عليهم فشعاير الله عام في جميع

تكاليفه

غير مخصوص بشيء معين وقيل المراد منه شيء خاص من التكاليف اي لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال
احرامكم من الصيد وعن ابن عباس ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا
ويعظمون المشاعر وينحرون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فانزل الله لا تحلوا وقيل كانت
عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من شعاير الحج ولا يطوفون بينهما فانزل الله لا تحلوا
ترك شيء من مناسك الحج واتوا بجميعها على التمام والكمال ولا الشهر الحرام بالقتال فيه
وهو الشهر الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فيه قال تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فقيل هي ذو
القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب فقوله ولا الشهر الحرام يجوز ان يكون اشارة الى
جميع هذه الاشهر كما يطلق اسم الواحد على الجنس ويجوز ان يكون المراد هو رجب
لانه اكمل هذه الاشهر الاربعة في هذه الصفة قوله ولا الهدي ما اهدي الى البيت
وتقرب به الى الله من النسايك وهي جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج قوله
ولا القلايد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحا شجر او غيره
قيل المراد منها الهدي ذوات القلايد وعطفت على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها اشرف
الهدي كانه قيل والقلايد منها خصوصا وقيل المراد منه النهي عن التعرض لقلايد الهدي
مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى لا تحلوا قلايدها فضلا ان تحلوها وقيل ان المشركين
كانوا ياخذون من لحا سمر مكة وشجرها فيتقلدونها فيامنون بها في الناس فنهى الله ان ينزع
شجرها فيتقلدوها كفعل الجاهلية ولا امين البيت قاصدين البيت الحرام يعني الكعبة وهم
الحجاج والعمار اي لا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم يعني الرزق بالتجارة
المباحة لهم في حجهم لقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم نزلت في تجاراتهم ايام الموسم والمعنى
لا تمنعوهم فانما قصدوا البيت لاصلاح معاشهم ومعادهم بابتغاء الفضل في الدنيا وابتغاء
الرضوان في الاخرة قيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان وان كانوا لا ينالونه
ذلك فلا يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وقيل المراد بالفضل الثواب
وبالرضوان ان يرضى الله عنهم وذلك لان الكافر وان كان لا ينال الفضل والرضوان لكنه
ظن انه يفعله طالبا لهما فيجوز ان يوصف به ذلك بناء على ظنه قال تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت
عليه عاكفا وقال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم فقيل هذه الاية منسوخة لان قوله لا تحلوا
شعاير الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام وذلك منسوخ بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقوله ولا امين البيت الحرام يقتضي منع المشركين عن المسجد الحرام
وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل لم ينسخ من سورة المايدة
الا هذه الاية وقيل هذه الاية محكمة غير منسوخة عن النبي صلى الله عليه وسلم المايدة من
اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وعن الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة
فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل ان الله تعالى امرنا في هذه الاية ان لا نخيف من قصد
بيته من المسلمين وحرم علينا اخذ الهدي من المهدين اذا كانوا مسلمين والدليل عليه اول الاية
واخرها اما اولها فهو قوله لا تحلوا شعاير الله وشعاير الله انما يليق بنسك المسلمين لا الكافرين واما
اخرها فهو قوله يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقيل المراد بالاية الكفار
الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلما زال العهد زال ذلك الحظر فلزم المراد بقوله

الله

تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قوله واذا حللتم فاصطادوا اى واذا حللتم
من احرامكم فاصطادوا والامر اباحة وتخيير لقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا اباح الاصطياد
بعد حظره عليهم كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا قوله ولا يجرمنكم قيل قتل
رجل مؤمن كان حليفا لابي سفيان من هذيل يوم الفتح بعرفة لانه كان يقتل حلفاء محمد صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله من قتل بذحل الجاهلية اى بحقدها وثارها
فانزل الله هذه الاية فقال عليه السلام الا ان كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فانها تحت
قدمي هاتين الا سدانة الكعبة وسقاية الحاج وقيل نزلت في حجاج كفار العرب قيل معناه لا يحملنكم
يقال جرمني فلان على ان صنعت كذا اى حملني وقيل لا يكسبنكم جرم يجري مجرى كسب في تعديته
الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته
ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا
يجرمنكم بضم الياء فاول المفعولين على القرائتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم
بفتح الهمزة متعلق بالشنان بمعنى العلة والشنان شدة البغض والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم
الاعتداء ولا يحملنكم عليه ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وقيل لا يدعونكم وقيل
لا يحقن ولا يحملنكم دليله قوله لا جرم ان لهم النار اى حق لهم النار قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم
واسمعيل عن نافع بسكون النون الاولى من شنان والباقون بفتحها وقرا ابن كثير وابو عمرو ان
صدوكم بكسر الالف على الشرط والجزاء والباقون بفتح الالف وتعاونوا على البر والتقوى على
العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ومعنى الاية ولا يحملنكم
عداوتكم لقوم من اجل انهم صدوكم عن المسجد الحرام على ان تعتدوا فتمنعوهم عن المسجد الحرام
فان الباطل لا يجوز ان يعتدى به وليس للناس ان يعين بعضهم بعضا على العدوان حتى اذا تعدى واحد
منهم على الاخر تعدى ذلك الاخر عليه ولكن الواجب ان يعين بعضهم بعضا على ما فيه البر والتقوى
واتقوا الله ان الله شديد العقاب والمراد منه التهديد والوعيد بمعنى اتقوا الله ولا تستحلوا
شيئا من محارمه ان الله شديد العقاب لا يطيق احد عقابه **قوله تعالى** حرمت عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين
كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم اعلم انه تعالى قال في اول
السورة احلت لكم بهيمة الانعام ثم ذكر ان فيه استثناء ما يتلى عليكم افذكر تلك المستثناة عن ذلك
العموم وهي احدى عشر نوعا كان الجاهلية ياكلونها الميتة البهيمة التي تموت حتف انفها فكانوا
يقولون انكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وتحريم الميتة موافق للطب لان الدم خبيث
لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من اكله
مضار وكانوا يملؤن الامعاء من الدم ويشوونها ويطعمون الضيف فالله حرم ذلك عليهم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة
التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بالعصا او حجر حتى ماتت
والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما

المعا

اكل

اكل السبع اى بعضه السبع اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان والدواب ويفترسها مثل
الاسد والنمر والذئب كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي فحرمه
الله قوله الا ما ذكيتم اى ما ادركتم ذكوته وهو يضطرب اضطرابا شديدا مع انفجار دم فاذبح فهو
حلال فانه لولا بقاء الحيوة فيه لما حصلت هذه الاحوال وقيل الاستثناء المذكور من قوله والمنخنقة الى
قوله وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذه فهو حلال وقيل انه
استثناء من التحريم لا من المحرمات يعني حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه حلال لكم فالاستثناء على هذا
التقدير ايضا منقطع وما ذبح على النصب والنصب ما نصب وعبد من دون الله واحد وقيل هو جمع
والواحد نصاب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك
او يتقربون به اليها تسمى الانصاب فليست هي الاصنام وقيل ليست باصنام انما الصنم ما يصور وينقش
قيل تقديره وما ذبح على اسم النصب وقيل وما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به واحد وقيل
معناه وما ذبح للنصب اى لاجلها على معنى اللام وهما يتعاقبان في الكلام قال الله فسلام لك اى عليك
وقال وان اسأتم فلها اى فعليها وان تستقسموا بالازلام اى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهي
القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم مثل عمر وجمل فلم وكان استقسامهم بالازلام ان
اهل الجاهلية كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب
بالقداح وكانت قداحا مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج
الامر مضى لامره وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام
طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق الاشارة
الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا وعلة
حرمة الاستقسام انه دخول في علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله قال الله تعالى لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا او الى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي
افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد
بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها اى يديرون ويجولون القداح عند اصنامهم
فامره ظاهر في انه فسق اعلم انه تعالى لما عدد فيما مضى ما حرمه من بهيمة الانعام وما احله
منها ختم الكلام فيه بقوله ذلكم فسق والغرض منه تحذير المكلفين عن مثل تلك الاعمال ثم حرضهم
على التمسك بما شرع لهم باكمل ما يكون فقال اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم اى فلا تخافوا
المشركين في خلافكم فاني انعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة العظيمة وصاروا مقهورين لكم ذليلين
عندكم وحصل لهم اليأس من ان يصيروا قاهرين لكم مستولين عليكم واذا صار الامر كذلك فيجب عليكم ان
لا تلتفتوا اليهم وان تقبلوا على طاعة الله والعمل بالشرائع قوله اليوم ليس المراد منه يوما بعينه
وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس
شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الان
في قوله الان لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت
يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي عليه السلام واقف بعرفات على
ناقته العضباء يئس الذين كفروا قيل معناه يئس الذين كفروا من ان يحللوا هذه الخبائث بعد ان
جعلها الله محرمة وقيل يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه تعالى كان قد وعد باعلاء هذا الدين على
كل الاديان وهو قوله ليظهره على الدين كله فحقق ذلك النصر وازال الخوف بالكلية وجعل الكفار

ورلم

مغلوبين بعد ان كانوا غالبين ومقهورين بعد ان كانوا ظاهرين فلا تخشوهم بعد اظهار الدين
وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا غالبين واخشوني واخلصوا الى الخشية
قوله اليوم اكملت اى كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم بازالة الخوف عنكم واظهار
الدين لكم على اعدائكم كما يقول الملك عند ما يستولي على عدوه ويقهره قهرا كليا اليوم كمل لي الملك
وكمل لي ما اريد اذا انتفى من ينازعه الملك ووصل اغراضه ومباغيه وقيل المراد اكملت لكم ما
تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرايع وقوانين القياس واصول
الاجتهاد وقيل ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرايع النازلة من عند
الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت الا انه كان عالما في اول وقت المبعث بان ما هو كامل في هذا
اليوم ليس بكامل في الغد ولا بصالح فيه فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم
فاما اخر زمان المبعث فانزل شريعة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان
الاول كمال الى زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا قال اليوم اكملت لكم دينكم
والمراد باكمال الدين بيان حكم جميع الوقايع بعضها بالنص وبعضها بتبيين معرفة طريق الحكم فيها على
سبيل القياس فانه تعالى لما جعل الوقايع قسمين احدهما التي نص على احكامها والثاني التي يمكن
استنباط الحكم فيها بواسطة قياسها على القسم الاول ثم انه تعالى امر بالقياس وتعبد المكلفين
به كان ذلك في الحقيقة بيانا لكل الاحكام واذا كان كذلك كان ذلك اكمالا للدين وبهذا
يندفع ما قال نفاة القياس ان الاية دلت على انه تعالى قد نص على الحكم في جميع الوقايع اذ
لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملا واذا حصل النص في جميع الوقايع فالقياس ان
كان على وفق ذلك النص كان عبثا وان كان على خلافه كان باطلا قال اصحاب الاثار لما نزلت
هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم لم يعمر الا احدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم
يحصل في الشريعة لا زيادة ولا تبديل البتة فكان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي صلى الله
عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار عن الغيب فيكون معجزا ومما يوكد ذلك ما روي انه
عليه السلام لما قرا هذه الاية على الصحابة فرحوا جدا واظهروا السرور العظيم الا ابا بكر الصديق
رضي الله عنه فانه بكى وسئل عنه فقال هذه الاية تدل على قرب وفاة الرسول صلى الله
عليه وسلم فانه ليس بعد الكمال الا الزوال وكان ذلك دليلا على كمال علم الصديق حيث وقف
من هذه الاية على سر لم يقف عليه غيره قوله واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها
امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت طائف
عريان وقيل واتممت نعمتي عليكم باكمال امر الشرايع والدين كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا بمعنى اخترته لكم
من بين الاديان واعلمتكم بان هذا الدين هو الدين المرضي عند الله ويؤكده قوله ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قوله فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها اي اصيب بالضر الذي
لا يمكنه الامتناع معه من الميتة او من غيرها كالدم في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم
معناه منحرف الى اثم لقوله غير باغ ولا عاد وغير يجوز ان ينتصب بفعل محذوف مقدر
على معنى فتناول غير متجانف لاثم ويجوز ان ينتصب بقوله اضطر ويكون المقدر متاخرا على معنى
فتناول غير متجانف لاثم فان الله غفور يغفر له اكل المحرم حين اضطر الى اكله رحيم بعباده حيث
احل لهم ذلك المحرم عند احتياجهم الى اكله قوله تعالى يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم

والقسم

غير

الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله
عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب لما تلي عليهم ما حرم من خبائث المأكل سالوا عما احل
لهم منها نزلت هذه الاية وقيل قال ابو رافع جاء جبرئيل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن
عليه فاذن له فابطأ فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فخرج فقال قد اذنا لك فقال
اجل يا رسول الله ولكنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فنظروا فاذا في البيت جرو فامرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا ادع كلبا في المدينة الا قتلته فقتلت حتى انتهيت الى العوالي فانتهيت الى امراة
في ناحية المدينة عندها كلب يحرس غنمها فرحمتها فتركته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني
بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب جاء ناس فقالوا
يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الاية فلما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها
ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها وامر بقتل الكلب الكلب والعقور وما يضر ويؤذي ورفع القتل عما
سواها مما لا ضرر فيه وقيل نزلت الاية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد
الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب
والبزاة فمنه ما يدرك ذكوته ومنه ما لا ندركها وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الاية
يسئلونك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لكم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم
وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسئلونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل
لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ما
ذا احل لهم من المطاعم فقيل لهم احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في
كتاب او سنة او قياس مجتهد وقيل ما استطابه العرب مما لم يحرم شرعا فان العرب كانوا
في الجاهلية يحرمون اشياء من الطيبات كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فهم كانوا يحكمون
بكونها طيبة الا انهم كانوا يحرمون اكلها لشبهات ضعيفة فذكر الله تعالى ان كل ما يستطاب فهو حلال
واكد هذه الاية بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وبقوله
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث والطيب في لغة العرب هو المستلذ والحلال الماذون فيه
يسمى ايضا طيبا تشبيها بما هو مستلذ لانهما اجتمعا في انتفاء المضرة لا يمكن ان يكون المراد بالطيبات
هاهنا المحللات والا لصار تقدير الاية قد احل لكم المحللات وهذا غير مستقيم فوجب حمل
الطيبات على المستلذات المشتهيات والتقدير احل لكم كل ما يشتهى ويستلذ والاعتبار
والعبرة في الاستلذاذ والاستطابة باهل المروة والاخلاق الجميلة فان اهل البادية
يستطيبون اكل جميع الحيوانات ويتاكد دلالة هذه الاية بقوله تعالى خلق لكم ما في الارض
جميعا فهذا يقتضي التمكن من الانتفاع بكل ما في الارض الا انه دخل التخصيص في ذلك العموم فقال
ويحرم عليهم الخبائث ونص في هذه الاية على اباحة المستلذات والطيبات فصار هذا اصلا
كبيرا وبابا مرجوعا اليه في معرفة ما يحل ويحرم من الاطعمة منها ان لحم الخيل مباح عند الشافعي
مستلذ مستطاب والعلم به ضروري واذا كان كذلك وجب ان يكون حلالا لقوله احل
لكم الطيبات ومنها ان متروك التسمية مباح لانه مستلذ مستطاب فوجب ان يحل لقوله احل
لكم الطيبات ومنها ان لحم الحمر الاهلية مباح عند مالك وبشر المريسي وقد احتجا بهذه الاية
وعند الشافعي حرام لما روي انه صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر قوله

رسول الله

وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اى احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف وقيل ما شرطيه
وجوابها فكلوا مما امسكن عليكم اى وما علمتم من الجوارح فكلوا مما امسكن عليكم فلا يقدر مضاف والجمله
معطوفه على جمله قوله احل لكم الطيبات والجوارح الكواسب من سباع البهايم والطير كالكلب والفهد
والعقاب والصقر والبازي والشاهين ونحوها مما يقبل التعليم واحدها جارحه سميت جوارح
لانها كواسب من جرح اذا اكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ما كسبتم وقيل سميت
بها لانها تجرح ما تصيد غالبا والايه داله على ان الاصطياد بالجوارح انما يحل اذا كانت
الجوارح معلمه لقوله وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله وقال عليه السلام
لعدى اذا ارسلت كلابك المعلم وذكرت اسم الله فكل قال الشافعي والكلب لا يصير معلما الا عند
امور وهي اذا اشلى استشلى واذا اخذ حبس ولم ياكل واذا دعا اجابه واذا اراده لم يفر منه فاذا
فعل ذلك مرات فهو معلم ولم يذكر حدا معينا بل قال انه متى غلب على الظن انه يعلم حكم به لان الاسم
اذا لم يكن معلوما من النص او الاجماع وجب الرجوع فيه الى العرف وهو قول ابى حنيفه فى اظهر
الروايات وقال الحسن البصري يصير معلما بمره واحده وعن ابى حنيفه فى روايه اخرى انه يصير
معلما بتكرر ذلك مرتين وهو قول احمد وعن ابى يوسف ومحمد انه يصير معلما بثلث مرات
والمكلب هو مودب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحب الجوارح ورايضها للصيد بما
علم من الحيل وطرق التاديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون فى الكلاب
فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه وقيل لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذى هو بمعنى الضراوه ويقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا
به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم وفايدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا فى علمه مدربا فيه
موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانيه او استيناف وفيه فايده جليله وهى ان على كل احد
علما ان لا ياخذ الا من اجل اهل العلم واخبرهم دراية واغوصهم على لطايفه وحقايقه وان
احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله
مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد
بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعايه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه والامساك
على صاحبه ان لا ياكل منه لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه
وعن على رضى الله عنه اذا اكل البازى فلا تاكل وقيل يوكل ما بقى من جوارح الطير ولا يوكل ما بقى
من الكلب والفرق ان سباع البهايم يمكن ان تودب على الاكل بالضرب ولا يمكن ان تودب سباع الطير
ولا يوكل ما بقى من الكلب على الاكل بالضرب فاشترط فى سباع البهايم ترك الاكل ولم يشترط فى سباع
الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وقال سلمان
الفارسى وسعد بن ابى وقاص وابن عمر وابو هريره رضى الله عنهم انه يحل وان اكل
وروى انهم قالوا اذا اكل الكلب ثلثيه وبقى ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل
قوله مما امسكن عليكم قيل من صله زايده لقوله كلوا من ثمره اذا اثمر وقيل من للتبعيض
اى ان الصيد لا يوكل كله لان العظم والريش والدم لا يوكل وقيل معناه كلوا مما بقى لكم
الجوارح بعد اكلها والايه داله على ان الكلب اذا اكل من الصيد كانت البقيه حلالا لان
اكله من الصيد لا يقدح فى انه امسكه على صاحبه لان صفه الامساك هو ان ياخذ الصيد
ولا ياكله حتى يذهب صاحبه له وهذا المعنى حاصل سوا اكل منه او لم ياكل وقوله عليكم [illegible]

محل

محل الحال اى مستقرا على تعليمكم لا على طبيعته وجبلته وكذا فى الحديث فى قوله صلى الله عليه وسلم على
نفسه اى امسك مستقرا على حال نفسه وطبيعته وجبلته لا على تعليمكم واذكروا اسم الله عليه قيل
الضمير المجرور فى قوله عليه عايد الى ما فى قوله مما امسكن على معنى سموا على ما امسكن اذا ادركتم ذكوته
وقيل عايد الى ما علمتم من الجوارح اى سموا على ما علمتم من الجوارح عند ارساله او عند الحض وهذا
هو المعتبر من مذهب الشافعى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل
وقيل الضمير عايد الى الاكل اى واذكروا اسم الله على الاكل روى انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن ابى
سلمه سم الله وكل مما يليك واتقوا الله ان الله سريع الحساب اى احذروا مخالفة امر الله فى تحليل
ما احله الله وتحريم ما حرمه **قوله تعالى** اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط
عمله وهو فى الاخره من الخاسرين ان الله تعالى اخبر فى الايه المتقدمه انه احل لكم الطيبات وكان المقصود
من ذكر الاخبار عن هذا الحكم ثم اعاد ذكره فى هذه الايه والغرض من ذكر الاخبار عن هذا
الحكم انه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمه فى كل ما
يتعلق بالدين فكذلك اتم النعمه فى كل ما يتعلق بالدنيا ومنها احلال الطيبات فالغرض من الاعاده
رعايه هذه النكته **قوله** طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبايح اهل الكتاب اى اليهود
والنصارى لان ساير طعامهم لا يختلف بمن يولاه من مجوسى وكتابى وانما الذكوه تختلف فلما خص
اهل الكتاب بذلك دل على ان المراد الذبايح واما ذبايح المجوس فاجمعوا على تحريمها واختلفوا
فى ذبايح من دان باليهوديه والنصرانيه من عبده الاوثان فروى عن ابن عباس انه سيل عن ذبايح
نصارى العرب فقال لا باس بها وتلى ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطا بن
ابى رباح والشعبى وعكرمه وقتاده والزهرى والحكم بن حماد وروى عن على وابن مسعود
رضى الله عنهما فى اخرين ان ذبايحهم لا تحل وعن احمد فى نصارى بنى تغلب روايتان احدهما يباح
ذبايحهم وهو قول ابى حنيفه ومالك والثانيه لا تباح ومذهب الشافعى انما يحل ذبايح اهل
الكتاب الذين يصح لنا مناكحتهم وقيل المراد بطعامهم الخبز والفاكهه وما لا يحتاج فيه الى الذكوه
وهو منقول عن بعض ايمه الزيديه وقيل المراد جميع المطعومات **قوله** وطعامكم حل لهم فلا باس
عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المومنين لما ساغ لهم اطعامهم وقيل ذبايحكم حلال
لهم فاذا اشتروا منا شيا كان الثمن لنا حلالا واللحم لهم حلالا والفايده فى ذكر ذلك ان اباحه المناكحه
غير حاصله فى الجانبين واباحه الذبايح كانت حاصله فى الجانبين لا جرم ذكر الله تنبيها على التميز
بين النوعين **قوله** تعالى والمحصنات من المومنات اى الحراير وقيل العفايف فعلى هذا
يدخل فيه نكاح الاماء والاول اولى لوجوه منها انه تعالى قال بعد هذه الايه اذا اتيتموهن اجورهن
ومهر الامه لا يدفع اليها بل الى سيدها ومنها انا بينا فى تفسير قوله تعالى ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات ان نكاح
الامه انما يحل بشرطين عدم طول الحره وحصول خوف العنت ومنها ان تخصيص العفايف
يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانيه وقد ثبت انه غير محرم اما لو حملنا المحصنات على الحراير
لزم تحريم نكاح الامه ونحن نقول به على بعض التقديرات **قوله** والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب ذهب اكثر الفقها انه يحل التزوج بالذميه من اليهود والنصارى وتمسكوا

فيه بهذه الاية روى عن عثمان انه تزوج نايله وهى نصرانيه وعن طلحه انه تزوج يهوديه
وقد روى عن عمر كراهة ذلك لقوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من
حاد الله ورسوله والنكاح يوجب الود وقيل ان ابن عمر لا يرى ذلك ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يومن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى ومن قال بهذا القول اجاب
عن التمسك بقوله تعالى والمحصنات من المومنات الذين اوتوا الكتاب بوجوه منها ان المراد
الذين امنوا منهم فانه كان يحتمل ان يخطر ببال بعضهم اذا امنت فهل يجوز للمسلم التزوج بها ام لا فبين تعالى
بهذه الاية جواز ذلك ومنها ما روى عن عطا انه قال انما رخص الله فى التزوج بالكتابيه فى
ذلك الوقت انه كان فى المسلمات قله واما الان ففيهن الكثره فزالت الحاجه فلا جرم زالت
الرخصه ومنها الايات الداله على وجوب المباينه عن الكفار لقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم
اوليا وقوله لا تتخذوا بطانه من دونكم ولا غاية حصول الزوجيه ربما قويت المحبه ويصير ذلك
سببا لميل الزوج الى دينها وعند حدوث الولد ربما استمال الولد الى دينها وكل ذلك القا النفس
فى الضرر من غير حاجه ومنها قوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الاخره من الخاسرين
وهذا من اعظم المنفرات عن التزوج بالكافره فلو كان المراد والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
اباحة التزوج بالكتابيه لكان ذلك عقيب هذه الايه كالمتناقض وهو غير جايز واختلفوا فى نكاح بنى
تغلب فروى عن على رضى الله عنه الحرمه وبه قال جابر بن زيد النخعى وروى عن ابن عباس الاباحه وعنهما
روايتان واختلفوا فى اما اهل الكتاب فروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد انه لا يجوز نكاحهن وبه قال
الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى واحمد لانه اجتمع فى حقها نوعان من النقصان الكفر والرق
وروى عن الشعبى وابى ميسرة جواز ذلك وبه قال ابو حنيفه وتمسك بهذه الايه بنا على ان المراد بالمحصنات
العفايف وعن سعيد بن المسيب والحسن ان المحصنات من الذين اوتوا الكتاب يدخل فيه الذميات
والحربيات فيجوز التزوج بكلهن وقيل ان ذلك مخصوص بالذميه وهذا قول ابن عباس فانه يجوز التزوج من
نسا اهل الكتاب من يحل لنا ومنهن لا يحل لنا وقرا قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله حتى يعطوا
الجزيه عن يد وهم صاغرون فمن اعطى الجزيه حل ومن لم يعط لم يحل وما عليه معظم اصحاب الشافعى
انه انما يحل من الكفر يهوديه او نصرانيه ذميه او حربيه غير اسراليه علم انه من اول ابايها المومنين
نبيها عليه السلام قبل التحريف او اسراليه علم انه اول ابايها نبيها عليه السلام قبل النسخ فان علم
دخول اول ابايها غير الاسراليه فى ذلك الدين بعد التحريف والنسخ او احد التحريف وقبل النسخ او لم يعلم
واحد منهما او علم دخول ابا الاسراليه فى ذلك الدين بعد النسخ او لم يعلم لم يحل نكاحها فلا يحل نكاح
عبدة الشمس والقمر والصور والنجوم والمعطله والزنادقه والباطنيه والمجوس ولا نكاح وثنى احد
الابوين ولا منتقله من احدى الملتين الى الاخرى حتى لو انتقلت فى دوام نكاح المسلم كان الحكم كما لو ارتدت
المسلمه فلا تقبل منها الا الاسلام ولا صابيه ان خالفت اصول دين النصارى ولا سامريه ان خالفت
اصول دين اليهود واتفق الاكثر على ان المجوس قد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزيه منهم
دون اكل ذبايحهم ونكاح نسايهم روى عن ابن المسيب انه اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسى ان
يذكر الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور وان امره بذلك فى الصحه فلا باس قوله اذا اتيتموهن
اجورهن روى ان رجالا قالوا لما نزل قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
كيف نتزوج نسا ليس على ديننا فانزل الله قوله اذا اتيتموهن اجورهن وقيل نزلت فيمن احصن المسلمون
من نسا اهل الكتاب يقول ليس احصان المسلمين اياهن بالذى يخرجهن من الكفر وتقييد التحليل باتيان الاجور
يدل

يدل على تاكد وجوبها وان من تزوج امراة وعزم ان لا يعطيها صداقها كان فى صورة الزانى فتسمية المهر
بالاجر يدل على ان اقل الصداق لا يتقدر كما ان اقل الاجره فى الاجارات لا يتقدر قوله محصنين غير مسافحين
قال الشعبى الزنا ضربان السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنا فى السر والله تعالى
حرمها فى هذه الايه واباح التمتع بالمراه على جهة الاحصان اى اعفا ولا متخذى اخدان صدايق والخدن
يقع على الذكر والانثى قوله ومن يكفر بالايمان المقصود منه الترغيب فيما تقدم من التكاليف والاحكام اى ومن
يكفر بشرايع الاسلام وما احل الله تعالى وحرم فقد خاب وخسر فى الدنيا والاخره وقيل المقصود منه
ان اهل الكتاب وان حصلت لهم فى الدنيا فضيله بالمناكحه واباحة الذبايح الا ان ذلك لا يفرق بينهم
وبين المشركين فى احوال الاخره فى الثواب والعقاب بل كل من يكفر بالله فقد حبط عمله فى الدنيا ولم يحصل
شيا من السعادات فى الاخره قيل الكافر انما يكفر بالله وبرسوله واما بالايمان فغير ممكن اجيب بان ابن عباس
ومجاهد قالا معناه ومن يكفر بالله وانما حسن هذا المجاز لانه تعالى رب الايمان ورب الشى يسمى باسم ذلك الشى
على سبيل المجاز وقيل ومن يكفر بالايمان اى بشهادة ان لا اله الا الله فجعل كلمة التوحيد ايمانا لانه من لوازمها
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم
وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا
فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون اعلم انه تعالى افتتح السوره بقوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود لانه
حصل بين الرب والعبد عهد الربوبيه وعهد العبوديه فقوله اوفوا بالعقود طلب منه تعالى من عباده ان يفوا بعهد
العبوديه فكانه قيل الهنا العهد نوعان عهد الربوبيه وعهد العبوديه منا فانت اولى بان تقدم الوفا بعهد
الربوبيه ومعلوم ان منافع الدنيا محصوره فى نوعين لذات المطعم وتوابعه ولذات المنكح وتوابعه ولما كانت الحاجه
الى المطعوم فوق الحاجه الى المنكوح قدم بيان المطعوم على المنكوح وعند تمام هذا البيان كانه قيل يقول قد وفيت
بعهد الربوبيه فيما تطلبه فى الدنيا من المنافع واللذات فاشتغل انت فى الدنيا بالوفا بعهد العبوديه ولما كان اشرف العبادات
بعد الايمان الصلوة وكانت الصلوة لا يمكن اقامتها الا بالطهاره لا جرم بدا تعالى بذكر شرايط الوضو فقال
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم ليس المراد نفس القيام والا لكان ايقاع الوضو متاخرا عن الصلوة وهو باطل بالاجماع
ولانهم اجمعوا على انه لو غسل الاعضا قبل الصلوة قاعدا او مضطجعا لكان قد خرج عن العهده بل المراد اذا
اردتم القيام الى الصلوة فاغسلوا كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون
عليه فى ان المراد اراده الفعل وانما جاز ان يعبر عن اراده الفعل بالفعل لان الفعل يوجد باراده
الكاسب وهى قصده اليه فهو مسبب عنها فاقيم المسبب مقام السبب للملابسه بينهما ولايجاز الكلام ونحوه
من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذى هو سبب الجزا بلفظ الجزا
الذى هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتم الصلوة لان من توجه الى شى وقام اليه كان قاصدا
له لا محاله فعبر عن القصد له بالقيام اليه وقيل الامر بالوضو تبع الامر بالصلوة وليس تكليفا مستقلا بنفسه
لان قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا جمله شرطيه الشرط فيها هو القيام الى الصلوة والجزا
الامر بالغسل والمعلق على الشى بحرف الشرط عدم عند عدم الشرط فهذا يقتضى ان الامر بالوضو تبع
للامر بالصلوة وقيل المقصود من الوضو الطهاره وهى مقصوده بذاتها لقوله تعالى ولكن يريد ليطهركم
وقوله عليه السلام بنى الدين على النظافه وقوله امتى غر محجلون من اثار الوضو يوم القيامه
وللقايل ان يقول لا ينافى كونه تبعا للامر بالصلوة قيل ظاهر الايه يدل على وجوب الوضو لكل صلوة
سوا كان القايم الى الصلوة محدثا او غير محدث فان قوله اذا قمتم الى الصلوة لا يكون بالمراد منه

فيا ما واحدا اى صلوة واحدة والا كان الاية مجمله لان تعيين تلك المرة غير مذكور في الاية والاجمال
خلاف الاصل ولانه يصح ادخال الاستثنا وصحة الاستثنا تنافي كون المراد منه قياما واحدا ولان الامه
اجمعوا على ان الامر بالوضوء غير مقصود في هذه الاية على مرة واحدة فوجب حمله على العموم عند كل قيام الى
الصلوة وايضا تعليق هذه الاية العموم من اما اللفظ لان الصلوة استعمال بعبادة المعبود والاستغال
بها تستدعي اقترانها باقصى ما يقدر العبد عليه من التعظيم ومن وجوه التعظيم كونه اتيا بالعبادة حال كونه في
غاية النظافة فهو قد علم ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب دال على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف
المناسب وذلك يقتضي عموم الحكم بعموم الوصف فيجب الوضوء عند كل قيام الى الصلوة لا يقال ورد في القراة
الشاذة اذا قمتم الى الصلوة وانتم محدثون وورود الخبر بخلافه لانا نقول لا يجوز العمل بالشاذة لانه ليس بقران
لانه لو جعل الشاذ قرانا لزم الطعن في كل القران وهو ان يقال لعل القران كان اكثر مما هو الان بل ربما هو الان
اقل او كان اقل مما هو الان الا انه اثبت فيه ما ليس من القران بالشاذ ولا يعتبر الخبر الوارد بخلافه
وانما يلزم نسخ القران بخبر الواحد وهو غير جائز وقال اكثر الفقهاء لا يجب الوضوء لكل صلوة لما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد
فقال له عمر صنعت شيا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وقيل ان خبر الواحد لا
ينسخ القران وايضا هذا الخبر يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان مواظبا على تجديد الوضوء لكل صلوة
وهذا يقتضي وجوب ذلك علينا لقوله تعالى فاتبعوه بقي ان يقال فقد جا في الخبر انه ترك ذلك يوم
الفتح فيقال لما وقع التعارض فالترجيح معنا من وجوه منها هو ان التجديد لكل صلوة ليس بواجب لكنه
مندوب والظاهر ان الرسول عليه السلام كان يزيد يوم الفتح في الطاعات ولا ينقص منها لان ذلك اليوم
هو يوم اتمام النعمة عليه وزيادة النعمة تناسب زيادة الطاعات لا نقصانها ومنها ان الاحتياط لا شك انه
من جانبنا فيكون راجحا بقوله دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومنها ان ظاهر القران اولى من خبر الواحد ومنها
ان دلالة القران على قولنا لفظيه ودلالة الخبر الذي رويتم على قولكم فعليه والدلالة القوليه اقوى من الدلالة
الفعليه لان الدلالة القوليه غنيه عن الفعليه من غير عكس وقيل في الرد على القايل بانه يجب الوضوء
لكل صلوة بان كلمة اذا لا تفيد العموم بدليل انه لو قال لامراته اذا دخلت الدار فانت طالق فدخلت
مرة طلقت فلو دخلت مرة ثانية لم تطلق طلقة ثانية ولان السيد اذا قال لعبده اذا دخلت السوق فادخل
على فلان وقل له كذا وكذا فهذا لا يفيد الامر بالفعل الا مرة واحدة قيل للقايل بانه يجب الوضوء لكل صلوة
ان يلتزم التكرار في الصورتين وان يقول انا قد دللنا على ان كلمة اذا في هذه الاية تفيد العموم لان التكاليف
الوارده في القران منها ما على التكرير وليس الامر كذلك فيما ذكرتم من الصور فان القراين الظاهرة دلت
على انه ليس يعني الامر فيه على التكرير هذا ما قيل في هذه المسئلة قال الامام والاقوى في اثبات المذهب
المشهور ان يقال لو وجب الوضوء لكل صلوة لكان الموجب للوضوء هو القيام الى الصلوة ولم يكن لغيره تاثير
في ايجاب الوضوء لكن ذلك باطل لانه تعالى قال في اخر هذه الاية او جا احد منكم من الغايط او
لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا فاوجب التيمم على المنقوض وضوؤه بالمجامع اذا لم يجد الماء
وذلك يدل على كون كل واحد منهما سببا لوجوب الطهارة وذلك يقتضي ان يكون وجوب الوضوء
قد يكون لا بسبب القيام الى الصلوة قال صاحب الكشاف فان قلت ظاهر الاية يوجب الوضوء على كل
قايم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين
خاصة وان يكون للندب فيكون الامر عاما للمحدث وغيره وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفا بعده انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضا على طهر كتب الله عشر

حسنات

بلغ باصله

حسنات فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين على وجه الايجاب ولغيرهم على وجه
الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية فلا يجوز ولقايل
ان يقول لا محذور فيه خصوصا اذا بين النبي صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله المراد وقيل كان الوضوء
لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ وقيل هذا من العام الذي اريد به الخاص والمجمل الذي وكل
بيانه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية اذا قمتم الى الصلوة وانتم على غير طهر يدل عليه على ما
روى عكرمة انه سيل عن هذه الاية وقيل افكل ساعة يتوضا فقال ان ابن عباس قال لا وضوء الا من
حدث وقال الفضل بن المبشر رايت جابر بن عبد الله يصلي الصلوات بوضوء واحد فان بال او احدث توضا
ومسح بفضل طهوره الخفين فقلت اشي تصنعه برايك فقال بل رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه
فانا اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشا بوضوء واحد وقال المسور بن مخرمة لابن عباس هل
لك في عبيد بن عمير اذا سمع النداء خرج من المسجد فقال ابن عباس رضي الله عنهما هكذا يصنع الشيطان
فدعاه فقال ما يحملك على ما تصنع اذا سمعت النداء خرجت قال اذا سمعت النداء خرجت فتوضات قال
ان الله تعالى يقول اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الاية قال ليس هكذا اذا توضات فانك في
طهر حتى تحدث ثم قال هكذا يصنع الشيطان اذا سمع النداء ولى وله ضراط وروى الاعمش عن
عمارة كان للاسود قعب قدر ري رجل فكان يتوضا به ثم يصلي بوضوء ذلك الصلوات كلها وقال زيد
ابن اسلم والسدي معنى الاية اذا قمتم الى الصلوة من النوم وقال بعضهم اراد بذلك كل قيام للعبد الى
الصلوة ان يجدد لها طهرا على طريق الندب والاستحباب قال عكرمة كان علي رضي الله عنه يتوضا عند
كل صلوة ويقرا هذه الاية روي ان ابن عمر توضا للظهر ثم للعصر ثم للمغرب قال فقلت يا ابا عبد الرحمن
اسنة هذا الوضوء قال ان كان لكافيا وضوئي لصلاتي كلها ما لم احدث ولكني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات ففي ذلك رغبت نفسي يا ابن اخي وقيل بل امر الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين ان يتوضوا لكل صلوة حتما واجبا ثم نسخ ذلك بالتخفيف
روى عبد الله بن حنظلة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلوة فشق ذلك عليه فامر بالسواك
ورفع عنه الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى ان به قوة عليه فكان يتوضا لكل صلوة وقيل هذا
اعلام من الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى صلوته دون غيرها من
الاعمال وذلك انه كان اذا احدث امتنع من الاعمال كلها حتى يتوضا فاذن الله تعالى في هذه الاية
ان يفعل كل ما بدا له من الافعال بعد الحدث غير الصلوة روى علقمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا اراق البول نكلمه فلا يكلمنا ونسلم فلا يرد علينا حتى ياتي منزله فيتوضا وضوءه للصلوة
حتى نزلت اية الرخصة يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة وهذه الاية دالة على ان الوضوء
شرط لصحة الصلوة لانه تعالى نص على فعل الصلوة بالطهور ثم بين انه متى عدم الوضوء لا تصح الا
بالتيمم ولو لم يكن شرطا لما صح ذلك ولانه تعالى امر بالصلوة مع الوضوء فالاتي بها دونه تارك للمامور به
وتارك المامور به يستحق العقاب ولا معنى للبقاء في عهدة التكليف الا ذلك واذا ثبت هذا
ظهر كون الوضوء شرطا لصحة الصلوة بمقتضى هذه الاية قال الشافعي النية شرط لصحة الوضوء والغسل
لان الوضوء مامور به وكل مامور به فانه يجب ان يكون منويا فالوضوء يجب ان يكون منويا فوجب ان يكون شرطا
وانما قلنا ان كل مامور به يجب ان يكون منويا لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين واللام في قوله ليعبدوا الله ظاهر للتعليل ولكن تعليل احكام الله محال فوجب حمله على الباء لما

عرف من جواز اقامة حرف الجر بعضها مقام بعض فيصير التقدير وما امروا الا بان يعبدوا الله
مخلصين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان اصل النية معتبرا
فثبت ان كل وضوء مامور به وكل مامور به يجب ان يكون منويا وقال ابو حنيفه النيه ليست بشرط لصحه الوضوء
لانه تعالى اوجب غسل الاعضا الاربع في هذه الايه ولم يوجب النيه فايجاب النيه زياده على النص والزياده
على النص نسخ ونسخ القران بخبر الواحد وبالقياس غير جائز والجواب انه ثبت وجوب النيه في الوضوء بدلالة
القران فاغسلوا وجوهكم وحد الوجه من منابت شعر الراس الى طرف الذقن وبعبارة اخرى
من مبدا سطح الجبهه الى منتهى الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا ولفظ الوجه ماخوذ من
المواجهه وقال بن عباس يجب ايصال الما الى داخل العين لانه وجب غسل كل الوجه والعين جزء من
الوجه وقال الباقون لا يجب لقوله تعالى في اخر الايه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال
الما في العين حرج والمضمضه والاستنشاق لا يجبان في الوضوء والغسل عند الشافعي لان
الواجب غسل الوجه والوجه هو المواجه وداخل الفم والانف غير مواجه فلا يكون من الوجه
واجبا فيهما عند احمد واسحق واجب في الغسل غير واجب في الوضوء عند ابي حنيفه وغسل البياض
الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفه ومحمد غير واجب عند ابي يوسف لنا
ان ذلك من الوجه والوجه يجب غسله ولانا اجمعنا على انه يجب غسله قبل نبات الشعر فتخلل الشعر
بينه وبين الوجه لا يسقط كالجبهه لما وجب غسلها قبل نبات الحاجبين وجب ايضا بعده ويجب
ايصال الما الى ما تحت الشعر الكثيف في جميع مواضع العنفقه والحاجبين والشارب والعذارين والهدب
العينين سوا كانت كثيفه او خفيفه لان قوله فاغسلوا وجوهكم والوجه اسم للجلد المستمر من الجبهه
الى الذقن ترك العمل به عند كثافه اللحيه عملا بقوله في اخر الايه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
وقال ابو حنيفه لا يجب وهل يجب امرار الما على ظاهر اللحيه النازل من الذقن طولا وعلى الخارج منها الى
الاذنين عرضا للشافعي فيه قولان احدهما انه لا يجب وهو مذهب ابي حنيفه واختيار المزني لان الشعر
النازل عن الراس لا يعطى له حكم الراس فكذلك من الوجه واصحهما انه يجب لانه تقع به المواجهه فيكون من الوجه
فيجب غسله نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تغطيه اللحيه في الصلوة وقال انها من الوجه ولو نبتت
للمراة لحيه وجب ايصال الما الى جلد الوجه خلال الشعر وان كانت تلك اللحيه كثيفه لان ظاهر الايه
يدل على وجوب غسل الوجه والوجه عبارة عن الجلد الممدود من مبدا الجبهه الى منتهى الذقن ترك العمل
به في حق الرجال عند كثافه اللحيه وعمل به في غيرها على الاصل وقال الشعبي ما اقبل من الاذن معدود من
الوجه فيجب غسله مع الوجه وما ادبر منه فهو معدود من الراس فيمسح وعندنا الاذن ليس من الوجه
لان الوجه هو المواجه والاذن ليس كذلك قوله وايديكم الى المرافق غسل اليدين الى المرفقين
واجب بالاجماع واختلفوا في المرفقين فقال الشعبي ومالك وزفر ومحمد بن الحسن ومحمد بن جرير
لا يجب لان الانتها الى الغايه وغايه الشي وحده تكون خارجة عنه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل
والليل غير داخل في الصوم والا لوجب الوصال وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة والميسرة غير داخله في
الانظار والا لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وهو باطل لان الاعسار علة الانظار وبوجود
الميسرة تزول العله وقال الباقون غسل اليدين الى المرفقين واجب معهما والجواب عما قال
الشعبي ومالك وزفر ومحمد بن الحسن ومحمد بن جرير من وجهين الاول ان الى تفيد الغايه مطلقا
فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فيما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسره
وكذلك قوله ثم اتموا الصيام الى الليل وما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القران من اوله الى اخره

لان الكلام مسوق لحفظ القران كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم
بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين
فاخذ كافة العلما بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل ولقايل ان يقول لهم ان يقولوا نحن ناخذ بالمتيقن فلا
ندخل الثاني سلمنا ان المرافق لا يجب غسله لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم فانه هو المكان الذي يرتفق به اي
يتكا عليه ولا نزاع في ان ما ورا طرف العظم لا يجب غسله وهذا الجواب اختيار الزجاج وقيل ان حد الشي
قد يكون منفصلا عن المحدود بمقطع محسوس فيكون الحد خارجا عن المحدود كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل فان النهار منفصل عن الليل انفصالا محسوسا لان انفصال النور عن الظلمه محسوس وقد لا يكون
كذلك كقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم وقوله وادته رحبا الى رحبتهم وانفصال الساعد عن المرفق ليس
بمفصل معين فليس ايجاب الغسل الى جزء اولى من ايجابه الى جزء اخر فوجب القول بايجاب غسل كل المرفق
روي انه صلى الله عليه وسلم كان يدير الما على مرفقيه واذا كان الرجل اقطع ما دون المرفق وجب عليه غسل
ما بقي من المرفق واذا كان اقطع ما فوق المرفق لم يجب غسل شي لان محل التكليف لم يبق اصلا واذا كان
اقطع من المرفق فقال الشافعي يجب امساس الما لطرف العظم لان غسل المرفق لما كان واجبا والمرفق
عبارة عن ملتقى العظمين وجب امساس الما لطرف العظم الثاني قوله وامسحوا برؤسكم اختلف الفقها
في قدر الواجب من مسح الراس فقال مالك والمزني مسح جميع الراس في الوضوء واجب وقال الشافعي
اقل ما ينطلق عليه اسم المسح واجب وقال ابو حنيفه مسح ربع الراس واجب وقال ابو يوسف
مسح نصف الراس واجب قال صاحب الكشاف المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه
بالمسح كلاهما ملصق للمسح براسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف
الروايه وقد اخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفه ببيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصيه بربع الراس مساحة وعددا فقيل
حجة الشافعي انه لو قال مسحت المنديل لا يصدق الا عند مسح المنديل بالكليه اما لو قال مسحت يدي بالمنديل
يكفي في صدقه مسح اليد بجزء من اجزا المنديل فقوله وامسحوا برؤسكم يكفي في العمل به مسح اليد بجزء
من اجزا الراس ثم ذلك الجزء غير مقدر في الايه فان اوجبنا تقديره بمقدار معين لم يكن تعيين
ذلك المقدار الا بدليل مغاير لهذه الايه فيلزم ضرورة ان تكون الايه مجمله والاصل عدمه وان قلنا
انه يكفي فيه ايقاع المسح على اي جزء كان من اجزا الراس كانت الايه مبينه مفيده وحمل الايه على محمل
تبقى الايه معه مفيده اولى من حملها على محمل تبقى الايه معه مجمله فكان المصير الى ما ذكرنا اولى
ولا يجوز الاكتفا بالمسح على العمامه وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لنا ان الايه داله
على ان المسح على الراس ومسح العمامه ليس مسحا للراس واحتجوا بما روي انه عليه السلام
مسح على العمامه وجوابه لعله قدر مسح الفرض على الراس والبقيه على العمامه عن المغيره
بن شعبه ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفيه قوله وارجلكم الى
الكعبين قرا ابن عامر ونافع والكسائي وحفص ارجلكم بالنصب وقرا عروة ابن الزبير وابنه
هشام ومجاهد وابرهيم النخعي وابو وايل والاعمش والضحاك وسلام ويعقوب به وهي
قراة علي بن ابي طالب رضي الله عنه روى عاصم بن كليب عن ابي عبد الرحمن السلمي قال قرا
علي الحسن والحسين فقرا وارجلكم الى الكعبين بالخفض فسمع علي ذلك وكان يقضي بين
الناس فقال وارجلكم بالنصب قال وهذا من المقدم والمؤخر من الكلام وقراه عبد الله واصحابه
قال الاعمش كان اصحاب عبد الله يقرؤونها وارجلكم نصبا ويغسلون وقراه

بن عباس روى عكرمه انه قراها وارجلكم بالنصب قال عاد الامر الى الغسل واختار ابو عبيد والباقون
وارجلكم بالكسر وهي قراة انس والحسن وعلقمه والشعبي واختيار ابي حاتم فمن نصب فمعناه واغسلوا
ارجلكم ومن خفض فله وجوه من التاويلات منها ان الارجل من بين الاعضا الثلثه المغسوله تغسل بصب
الما عليها فكانت مظنه للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح اي الراس لا لتمسح ولكن
لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الما عليها وقيل الى الكعبين فجي بالغايه اماطة لظن ظان يحسبها
ممسوحه لان المسح لم يضرب له غايه في الشريعه ومنها ان المسح بمعنى الغسل يقول العرب تمسحت للصلوه
اي توضات وذلك ان المتوضي لا يرضى ان يصب على وجهه وذراعيه وقدميه حتى يمسحها ويغسلها فلذلك
سمي الغسل مسحا ومنها ان ارجلكم معطوفه على رو وسكم على الاتباع والجوار لفظا لا معنى لقول العرب
جحر ضب خرب وقولهم اكلت الخبز واللبن قال الله تعالى الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القريه الظالم اهلها وقال الشاعر ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا والرمح لا
يتقلد وانما يحمل وقال لبيد واطفلت بالجهلتين ظباوها ونعامها والنعام لا يطفل وانما يفرخ
قيل الجر بالجوار في اللحن الذي قد يحتمل الضروره في الشعر والكلام وكلام الله تعالى يجب تنزيهه عنه
انما يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس كما في قولهم جحر ضب خرب فانه علم بالضروره ان الخرب
لا يكون نعتا للضب بل للجحر وفي الايه لا امن من الالتباس وايضا الجر بالجوار انما يكون بدون حرف
العطف اما مع حرف العطف لم يوجد في كلام العرب ومنها اراد به المسح على الخفين لقرب الجوار
لقولهم غمر الردا اي واسع الصدر وقيل قبل راس الامير ويده ورجله وان كان في العمامه
راسه وفي الكم يده وفي الخف رجله وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ركع وضع يديه
على ركبتيه وليس المراد انه لم يكن بينهما حايل وطايفه من العلما قالوا ان الايه على ظاهرها واختاروا
المسح على القدمين وهو منقول عن ابن عباس قال الوضو غسلان ومسحان وعن انس عن موسى ابن انس
انه قال لانس ان الحجاج خطبنا بالاهواز فذكر الطهر فقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا بروسكم
وانه ليس شي من بني ادم اقرب من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال انس صدق
الله وكذب الحجاج قال الله تعالى وامسحوا بروسكم وارجلكم وكان انس اذا مسح قدميه بلهما وعن انس
نزل القران بالمسح والسنه الغسل وعن الحسن والشعبي نزل جبريل بالمسح الا ترى التيمم يمسح
ما كان غسلا ويلغي ما كان مسحا وعن عكرمه قال يونس حدثني من صحب عكرمه الى واسط قال فما
رايته غسل رجليه انما كان يمسح عليهما حتى خرج منها وقال قتاده افترض الله غسلين ومسحين
وهو مذهب داود الاصبهاني ومحمد بن جرير الطبري والقاساني وذهب بعضهم الى ان المتوضي
مخير بين غسلهما ومسحهما والدليل على وجوب غسل الرجلين في الوضو قوله تعالى الى الكعبين فتحديده
بالكعبين دليل على الغسل كاليدين لما حدهما الى المرفقين كان فرضهما الغسل دون المسح
وما روي عن عثمان وعلي وابي هريره ومعود بن عفرا وعبد الله بن زيد رضي الله عنهم
انهم حكوا وضو رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوا الرجلين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صلوة امري حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه ويمسح براسه ويغسل
رجليه وعن جابر امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسل ارجلنا اذا توضانا وعن عبد الرحمن
بن ابي ليلى اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوب غسل الرجلين وعن ابن
عمر مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم وعراقيبهم تلوح فقال اسبغوا الوضو وويل للعراقيب
من النار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راي اعمى يتوضا فقال اغسل باطن قدميك

سلام

فجعل

فجعل يغسل حتى سمي ابا غسيل وعن عمر انه راى رجلا يتوضا فترك باطن قدميه فامره ان يعيد
الوضو والصلوه وعن عايشه رضي الله عنها لان يقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين
وعن عطا والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله مسح على القدمين وعن الحسن انه جمع بين الامرين
قوله الى الكعبين وهما العظمان الناتيان من جانبي الساق وعليهما الغسل كالمرفقين والخلاف الذي
في المرفقين ثابت في الكعبين وقيل الكعب هو الناتي من ظهر القدم الذي يجري عليه الشراك سمي بذلك
لارتفاعه ومنه الكعبه والذي يدل على ان الكعبين العظمان الناتيان من جانبي الساق قوله تعالى الى
الكعبين مع جمع الارجل وثنى الكعبين فلو كان لكل رجل كعب واحد لجمعهما في الذكر كالمرافق لما كان في كل يد
مرفق واحد جمع المرافق فلما جمع الارجل وثنى الكعبين ثبت ان لكل رجل كعبين وقوله صلى الله عليه وسلم
للمحرم فليلبس النعلين فان لم يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما اسفل من الكعبين فدل هذا على ان الكعبين
هما العظمان الناتيان اذ لو كان الكعب هو الناتي من ظهر القدم لكان اذا قطع الخف من اسفله ما امكن استعماله
ولا المشي فيه والنبي صلى الله عليه وسلم لا يامر باضاعة المال ولا اتلافه ومما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يمر في بيوت مكه ويقول قولوا لا اله الا الله تفلحوا وابو لهب يرميه من ورايه بالحجارة حتى ادمى كعبيه
فلو كان الكعب ما هو الناتي من ظهر القدم لما كانت ترمى اذا رميت من ورايه وما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اقيموا صفوفكم او ليخالفن الله بين قلوبكم وكان الرجل منا يلزق كعبه بكعب صاحبه ومنكبه بمنكبه
وقال الشافعي الترتيب شرط لصحة الوضو وقال سفيان الثوري وابو حنيفه وصاحباه الترتيب في الوضو سنه
فان تركه ساهيا او عامدا فلا اعاده عليه وقال مالك ان ترك الترتيب في الوضو عامدا اعاد وضوه وان
تركه ناسيا لم يعد وهو اختيار المزني احتج الشافعي بهذه الايه على ما ذهب اليه من وجوه منها ان قوله
تعالى اذا قمتم الى الصلوه فاغسلوا وجوهكم يقتضي وجوب الابتدا بغسل الوجه لان الفا للتعقيب واذا وجب
الترتيب في هذا العضو وجب في غيره اذ لا قايل بالفرق فان قيل فا التعقيب انما دخلت في جمله هذه الافعال
لجري الكلام مجرى ان يقال اذا قمتم الى الصلوه فاتوا بمجموع هذه الافعال اجيب بان فا التعقيب انما دخلت
على الوجه لانه ملتصقه بذكر الوجه ثم اعتبر تقديرها على ساير الافعال فدخولها على غسل الوجه اصل ودخولها
على ساير الافعال تبع لدخولها على غسل الوجه ولا منافاه بين ايجاب تقديم غسل الوجه وبين ايجاب ساير الافعال
فاعتبار دلاله اللفظ في الاصل اولى من اعتبارها في التبع ومنها انه وقعت البدايه بالذكر بالوجه فوجب ان تقع
البدايه في العمل لقوله تعالى فاستقم كما امرت ولقوله عليه السلام ابدوا بما بدا الله به وهذا الحديث وان ورد
في قصة الصفا والمروه فالعبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اقصى ما في الباب انه مخصوص في بعض الوضو
ولكن العام حجه في غير محل التخصيص ومنها انه تعالى ذكر هذه الاعضا لا على وفق الترتيب المعتبر في الحس ولا
على وفق الترتيب المعتبر في الشرع وذلك يدل على ان هذا الترتيب واجب بيان المقدمه الاولى ان الترتيب
المعتبر في الحس ان يبدا من الراس نازلا الى القدم او من القدم صاعدا الى الراس والترتيب المذكور
في الايه ليس كذلك واما الترتيب المعتبر في الشرع وهو ان يجمع بين الاعضا المغسوله ويفرد الممسوح عنها
والايه ليست كذلك فانه تعالى ادرج الممسوح في اثنا المغسولات وهذا يدل على ان الترتيب واجب
والدليل عليه ان اهمال الترتيب في الكلام البليغ مستهجن فوجب تنزيه كلام الله تعالى عنه ترك العمل به فيما
اذا صار ذلك متحملا للتنبيه على ان ذلك الترتيب واجب فيبقى في غير هذه الصور على الاصل ومنها
ان ايجاب الوضو غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع والغسل يجب في موضع اخر ولان اعضا
المحدث طاهره لقوله تعالى انما المشركون نجس وكلمه انما للحصر وقوله عليه السلام المومن لا ينجس حيا وميتا
وتطهير الطاهر غير معقول ولان الشرع اقام التيمم مقام الوضو وهو ضد النظافه والوضاه ولان الشرع

اقام المسح على الخفين مقام الغسل ولا يفيد نظافة في نفس العضو ولان الماء الكدر المتغير في نفسه يفيد الطهارة وما
الورد لا يفيدها واذا كان ايجاب الوضوء غير معقول المعنى وجب الاعتماد فيه على مورد النص لاحتمال ان يكون الترتيب الاول
معتبرا اما لمحض التعبد او لحكمة خفية لا نعرفها ولهذا السبب اوجبنا رعاية الترتيب في اركان الصلوة واحتج ابو حنيفة
على عدم وجوب الترتيب بان الاية خالية عن ايجاب الترتيب فايجابه زيادة على النص وهو نسخ والجواب ان الاية
دالة على وجوب الترتيب من وجوه كثيرة وان سلم عدم دلالتها على ايجاب الترتيب لكن لا يدل على عدم ايجابه فاثبات
الايجاب لا يكون نسخا والا يلزم ان يكون اثبات حكم لم يدل النص عليه يكون نسخا وهو باطل بالاتفاق والموالاة في افعال
الوضوء ليست شرطا لصحته على القول الجديد للشافعي وهو قول ابي حنيفة وشرط على القول القديم للشافعي وهو
قول مالك والذي يدل على انها ليست بشرط انه تعالى اوجب هذه الافعال وايجابها قدر مشترك بين ايجابها
على الولاء وايجابها على التراخي في اخر الاية بان هذا القدر يفيد حصول الطهارة وهو قوله ولكن يريد ليطهركم فالوضوء
بدون الولاء يفيد الطهارة ولنشر الى مسائل متعلقة بالوضوء ونواقضه منها لو كان على وجهه او يديه
نجاسة فغسلها ونوى الطهارة عن الحدث وايجابها على التراخي في اخر الاية لا يصح وضوءه على الراجح لان الماء صار مستعملا
برفع النجاسة فانه غير مفتقر الى النية والمستعمل في رفع النجاسة لا يرفع الحدث ومنها لو وقف تحت ميزاب
حتى سال عليه الماء ونوى رفع الحدث قيل لا يصح وضوءه لانه امر بالغسل وهو عمل ولا عمل له فيه وقيل يصح لان الغسل
عبارة عن الفعل المفضي الى الانغسال والوقوف تحت الميزاب يفضي اليه فيكون غسلا ومنها انه اذا
غسل هذه الاعضاء ثم بعد ذلك كشطت جلده او قص الظفر فلا شك ان ما ظهر تحت الجلد ومن الظفر غير مغسول والاظهر
انه يجب غسله وغسل ما ترتب عليه لانه تعالى امر بغسل هذه الاعضاء وهذا الموضع غير مغسول ومنها انه لو بلت
هذه الاعضاء وما سال الماء عليها لم يكف لانه تعالى امر بالغسل والبل ليس بغسل لان الغسل هو اسالة الماء وقيل في
غسل الجنابة احتمال والفرق ان المامور به في الوضوء الغسل وفي الجنابة التطهر وهو حاصل بالبل
وهو ممنوع ومنها لو اخذ الثلج وامره على وجهه فان كان الهواء حارا يذوب الثلج ويسيل جاز
وان كان بخلافه فلم يجز ومنها ان التثليث في اعمال الوضوء سنة لا واجب انما الواجب المرة الواحدة
والدليل عليه انه تعالى امر بالغسل فقال فاغسلوا وجوهكم وحقيقة الغسل تحصل بالمرة الواحدة والذي
يؤكد هذا ما روي انه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به
ومنها السواك سنة قال داود واجب ولكن تركه لا يقدح في الصلوة لنا ان السواك غير
مذكور في الاية وحكم بحصول الطهارة بقوله ولكن يريد ليطهركم والتسمية في اول الوضوء سنة وان
نسي ففي الوسط وعن احمد واسحق انها واجبة فان تركها عامدا ابطل وضوءه لنا ان التسمية غير مذكورة
في الاية والاحتجاج بالاية كامر والمضمضة والاستنشاق سنة في الوضوء والغسل وتقديم اليمنى
على اليسرى سنة وقال احمد واجب لنا انه ذكر الايدي والارجل ولم يذكر فيه تقديم اليمنى على
اليسرى وهذا يدل على ان الواجب غسل اليدين باي صفة كان وصب الماء على الكف سنة بحيث
يسيل الماء من الكف الى المرفق فان صب الماء على المرفق حتى سال الى الكف جاز وقال بعضهم لا يجوز
لانه تعالى قال وايديكم الى المرافق فجعل المرافق منتهى الغسل فجعلها مبدأه خلاف الاية وقال
جمهور الفقهاء انه لا يخل بصحة الوضوء لكن يكون تركا للسنة وتكرار مسح الراس سنة عند الشافعي
كتكميله وعند ابي حنيفة ومالك التكرار ليس بسنة وتكميل المسح على العمامة سنة ولا يجوز
الاكتفاء بالمسح على العمامة وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لنا ان الاية دالة على ان
المسح على الراس ومسح العمامة ليس مسحا على الراس واحتجوا بما روي انه عليه السلام مسح على العمامة
والجواب لعله مسح قدر الفرض على الراس والبقية على العمامة ومسح الاذنين بماء جديد

سنة والاذنان لا يكونان من الوجه ولا من الراس لاتفاق العلماء على انه لا يحلق ما عليهما من الشعر في الحج وعند
ابي حنيفة ومالك والثوري واحمد الاذنان من الراس وعند مالك واحمد يستانف لهما ماء جديدا
سوى الماء الذي مسح به الراس على ما فعل ابن عمر وقال ابو حنيفة والثوري يمسحان مع الراس بماء واحد وقال
القرطبي اهل العلم يكرهون للمتوضي ترك مسح اذنيه ويجعلون تاركه تارك سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يوجبون عليه اعادة الا اسحق فانه قال ان ترك مسح اذنيه لم يجز وقال احمد ان تركهما عمدا احببت ان
يعيد وروي عن علي بن زياد من اصحاب مالك انه قال من ترك سنة من سنن الوضوء او الصلوة عامدا
بطل وهذا عند الفقهاء ضعيف لانه حينئذ لم يتميز الفرض من غيره وقيل الاذنان من الوجه
فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فاضاف
السمع الى الوجه فثبت ان يكون لهما حكم الوجه وقيل ظاهرهما من الوجه وباطنهما من الراس فيغسل ظاهرهما
مع الوجه ويمسح باطنهما مع الراس واحتج عليه بان الله امر بغسل الوجه ومسح الراس فما واجهك من
الاذنين وجب غسله لانه من الوجه وما لم يواجهك وجب مسحه لانه من الراس ورد هذا بان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يمسح ظاهر اذنيه وباطنهما هكذا في حديث عثمان وعلي وابن عباس والربيع وغيرهم
واحتج من قال هما من الراس بقوله صلى الله عليه وسلم من مسح راسه خرجت الخطايا من راسه حتى
تخرج من اذنيه ولا حجة فيه والسنة ان يبدأ في مسح الراس بمقدم راسه ثم يذهب بهما الى مؤخره
ثم يردهما الى مقدمه والسنة تخليل اللحية والاصابع والرجل بخنصر اليد اليسرى من اسفل خنصر اليمنى
الى خنصر اليسرى وتطويل الغرة وان سقط الفرض وبه والذكر الماثور وتثليث كل من الغسل والمسح تيقنا
وقال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر هذه الاية يقتضي الاتيان بالوضوء عند
كل صلوة ترك العمل به عند ما لم يخرج الخارج النجس من البدن فيبقى معمولا به عند خروج الخارج
النجس وقال الشافعي لا ينقض لانه صلى الله عليه وسلم احتجم وغسل محاجمه ولم يتوضأ وصلى وقال مالك لا وضوء
من الخارج من السبيلين اذا كان غير معتاد وسلم في دم الاستحاضة وقال ربيعة لا وضوء ايضا في دم
الاستحاضة وقال ابو حنيفة القهقهة في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود تنقض الوضوء وقال الباقون
لا تنقض ولابي حنيفة التمسك بهذه الاية على ما سبق وهو مؤكد بظاهر قوله تعالى او لامستم النساء وحجة
الخصم خبر واحد او قياس فلا يصير معارضا وقال الشافعي مس فرج البشر ينقض الوضوء وله ان يتمسك
بعموم الاية وهو مؤكد بقوله صلى الله عليه وسلم من مس ذكره فليتوضأ وقال ابو حنيفة لا ينقض والخبر
الذي يتمسك به ضعيف على خلاف العموم اعلم ان جمهور الفقهاء اثبتوا جواز المسح على الخفين
وانكرت الشيعة والخوارج واحتجوا بقوله تعالى وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين فانه
يقتضي غسل الرجلين او مسحهما والمسح على الخفين ليس مسحا للرجلين ولا غسلا لهما فوجب ان لا يجوز
بحكم نص هذه الاية ثم قالوا ان القائلين بجواز المسح على الخفين تمسكوا بالخبر لكن الرجوع الى القران
اولى من الرجوع الى هذا الخبر ويدل عليه وجوه منها ان نسخ القران بخبر الواحد لا يجوز
ومنها ان هذه الاية في سورة المائدة واجمع المفسرون على ان هذه القراءة السورة ليس فيها شيء
منسوخ ومنها ان خبر المسح على الخفين بتقدير تقدمه على نزول هذه الاية يكون منسوخا بهذه
الاية وبتقدير تاخره يكون ناسخا لها والاول اولى لان ترجيح القران على خبر الواحد اولى من العكس
ولان العمل بالاية اقرب الى الاحتياط ولانه صلى الله عليه وسلم قال اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه
على كتاب الله فان وافقه فاقبلوه والا فردوه وذلك يقتضي تقديم القران على الخبر ولان قصة
معاذ تقتضي تقديم القران على الخبر ومنها ان خبر المسح على الخفين ضعيف لاختلاف العلماء فيه

عن عايشه رضي الله عنها انها قالت لان تقطع قدماي احب الي من ان امسح على الخفين ومنها ان احدى الروايتين عن
مالك انكار جواز المسح على الخفين ولا نزاع انه كان في علم الحديث كالشمس الطالعه فلولا انه عرف فيه ضعفا والا لما
قال ذلك والرواية الثانيه عن مالك انه اباح المسح على الخفين للمقيم واباحه للمسافر لكن من غير تقدير
اما الشافعي وابو حنيفه واكثر الفقها فانهم جوزوه للمسافر ثلاثة ايام بلياليهن من وقت الحدث بعد اللبس على
طهارة تامة عند الشافعي وقال الحسن البصري ابتداؤه من وقت لبس الخفين وقال الاوزاعي واحمد يعتبر
من وقت المسح بعد الحدث قالوا فهذا الاختلاف الشديد بين الفقها يدل على ان هذا الخبر ما بلغ الظهور والشهره
واذا كان كذلك وجب القول بان هذه الاقوال لما تعارضت تساقطت وعند ذلك يجب الرجوع الى ظاهر
كتاب الله ومنها ان الحاجه الى معرفة جواز المسح على الخفين عامه في حق المكلفين فلو كان ذلك مشروعا
لعرفه الكل ولبلغ ذلك مبلغ التواتر ولما لم يكن الامر كذلك ظهر ضعفه واما الفقها فقالوا ظهر عن بعض
الصحابه انه كان يمسح على الخفين ولم ينكر الباقون فهذا كالمجمع عليه وقال الحسن حدثني سبعون من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه مسح على الخفين واما انكار ابن عباس فقد روي ان عكرمه روى
ذلك عنه فلما سيل ابن عباس عنه قال كذب علي وقال عطا كان ابن عباس يخالف الناس في المسح على الخفين
لكنه لم يمت حتى وافقهم واما عايشه فروي ان شريح بن هاني قال سالتها عن مسح الخفين فقالت
اذهب الى علي وسله فانه كان مع الرسول في اسفاره قال فسالته فقال مسح وهذا يدل على ان عايشه تركت
ذلك الانكار واما مالك فما روي عنه من الانكار فهو منكر لا يصح والواجب مسح اعلى كل خف طاهر
قوي يمكن المشي فيه ساتر لمحل الفرض لان الاعلى لو كان الخف مشقوقا او مشدودا لا يستمسك فاوسن مسح الاسفل
والعقب وعدم الاستيعاب وعدم التكرار ولو مسح الخفين في الحضر او سافر في انقضا المده بان مسح ابتداها
او نسي المسافر كون المسح في السفر او في الحضر او بدا بعض رجل او فتح السرج او جب الغسل فانه لا يستوفي
المده فيغسل الرجلين فقط ان كان على طهارة المسح ولا يستانف الوضو ودايم الحدث والمتيمم
لا لفقد الما يمسح لما حل لو بقي طهره الذي لبس الخف عليه مثلا دايم الحدث او المتيمم لا لفقد الما واذا
توضا ولبس الخف ثم احدث وتوضا ما مسحا على الخف فانما يستفيد بهذه الطهاره ما كان يباح له لو بقيت
طهارته الاولى وذلك فرض واحد ونوافل فان لم يات بفرض ويستفيد بهذه الطهاره نوافل دون
الفرض ان ابي بها فيه قوله وان كنتم جنبا فاطهروا اي فتطهروا وادغم التا في الطا لانهما من مخرج
واحد وبالادغام سكن اول الكلمه فزيد فيها الف الوصل ليبدا بها فقيل اطهروا ولما ذكر كيفية الطهاره
الصغرى ذكر بعدها كيفية الطهاره الكبرى وهي الغسل عن الجنابه وهي تحصل بنزول المني وقال
عليه السلام الما من الما وبالتقا الختانين قال عليه السلام اذا التقى الختانان وجب الغسل
وختان الرجل الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفه وختان المراه موضع الجلد والرهم القابه مثل عرف
الديك واعلم ان شفري المراه محيطان بثلثه اشيا ثقبه في اسفل الفرج هي مدخل الذكر ومخرج الحيض
والولد وثقبه اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر هي مخرج البول لا غير والثالث فوق ثقبة البول
موضع ختانها فان غابت الحشفه حاذى ختانه ختانها قوله فاطهروا امر بالطهاره على الاطلاق على
وجه لا يكون مخصوصا بعضو معين دون عضو فكان ذلك امرا بتطهير كل البدن ولان الطهاره
الصغرى لما كانت مخصوصه ببعض الاعضا لا جرم بين الله تلك الاعضا على التعيين ولما لم تكن الطهاره
الكبرى مخصوصه ببعض الاعضا على التعيين بل في كل البدن امر بالطهاره على الاطلاق وهذا التطهير
هو الاغتسال الذي ذكر في النساء حين قال ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا والدلك
غير واجب في الغسل وقال مالك واجب لنا ان قوله فاطهروا امر بتطهير البدن من غير تقييد بالدلك
والذي يوكده ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سيل عن الاغتسال عن الجنابه قال اما انا فاحثي على

راسي ثلاث حثيات فاذا انا قد طهرت اثبت حصول الطهاره بدون الدلك وتقديم الوضو على الغسل
سنه ليس بواجب وقال ابو ثور وداود واجب لنا ان قوله تعالى فاطهروا امر بالتطهير وهو
حاصل بمجرد الاغتسال ولا يتوقف على الوضو بدليل قوله عليه السلام اما انا فاحثي على راسي
الحديث والمضمضه والاستنشاق غير واجبين في الغسل عند الشافعي لقوله عليه السلام اما
انا فاحثي الحديث وواجبان عند ابي حنيفه لقوله تعالى فاطهروا امر بتطهير انفسهم وهو لا
يحصل الا بتطهير جميع اجزا النفس ترك العمل في الاجزا الباطنه التي يتعذر تطهيرها وداخل
الانف والفم يمكن تطهيرهما فوجب تناولهما في النص ولقوله عليه السلام بلوا الشعر وانقوا البشره
فان تحت كل شعره جنابه فقوله بلوا الشعر هي الانف لان في داخله شعرا وقوله وانقوا البشره يدخل
فيه جلدة داخل الفم ويجب ايصال الما الى منابت الشعور وان كثفت والضفيره ان كانت مفتوله
مشدودا بعضها ببعض نظر فان كان ذلك يمنع وصول الما الى جلدة الراس وباطنها وجب نقضها والا
فلا وقال مالك لا يجب وقال النخعي يجب لنا قوله فاطهروا واقتضى ايصال الما الى جميع اجزا البدن وان
كان شد بعض الشعور بالبعض ما يمنعه وجب ازالة الشد ليزول ذلك المانع وان لم يكن ما يمنعه لم
يجب ازالته لان ما هو المقصود قد حصل وقال الاكثرون والترتيب في الغسل غير واجب وقال اسحق
يجب البدايه باعلى البدن لنا قوله تعالى فاطهروا امر بالتطهير المطلق وذلك حاصل بايصال الما الى كل
البدن وسن الدلك وتقديم اليمنى قوله وان كنتم مرضى يجوز للمريض ان يتيمم ولم يشترط فيه
عدم الما لان عدم الما يبيح التيمم فلا معنى لضمه الى المرض وانما يرجع قوله فلم تجدوا الى المسافر
ولو الصق على موضع التيمم لصوقا يمنع وصول التراب الى البشره ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق
التلف قال الشافعي يلزمه نزع اللصوق عند التيمم حتى يصل التراب اليه للاحتياط والاكثرون
قالوا لا يلزمه لان مدار الامر في التيمم على التخفيف وازالة الحرج على ما قال ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وايجاب نزع اللصوق حرج فلا يجب قوله تعالى ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج في باب الطهاره حتى لا يرخص لكم في التيمم عند العجز عن استعمال الما بسبب المرض او عدم
وجدان الما ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالما وليتم نعمته عليكم ولتشكروا نعمته
انعامه عليكم بعزايمه وقيل المراد من التطهر التطهير من الاحداث والجنابه وقيل تطهير القلب
عن صفة التمرد عن طاعة الله فان الكفر والمعاصي نجاسات الارواح فان النجاسات انما كانت
نجاسات لانها مرادفعها وازالتها وتبعيدها والكفر والمعاصي كذلك فكانت نجاسات روحانيه
وكما ان ازالة النجاسات الجسمانيه تطهر فكذلك ازالة العقايد الفاسده والاخلاق الرذيله تطهير
فجعل براتهم عن المعاصي طهارة لهم وقال في حق عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا
فجعل خلاصه عن طعنهم وتصرفهم فيه تطهيرا له ولما امر الله تعالى العبد بايصال الما الى هذه الاعضا المخصوصه
وكانت هذه الاعضا طاهره لم يعرف العبد في هذا التكليف فايده فلما انقاد لهذا التكليف كان هذا
الانقياد لمحض اظهار العبوديه والانقياد للربوبيه فكان بهذا الانقياد قد زال عن قلبه اثار التمرد
وكان ذلك طهاره فهذا وجه صحيح في تسمية هذه الاعمال طهاره ويؤكد هذا الاخبار الكثيره الوارده
في ان المومن اذا اغتسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه وراسه ورجليه عن
عثمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضا فاحسن وضوءه ثم قام
الى الصلوه فصلاها غفر له ما بينها وبين الصلوة الاخرى وليتم نعمته عليكم بالرخص في التيمم والتخفيف
في حال المرض والسفر وقيل بالهدايه الى الايمان واكمال الدين وقيل انه متعلق بما ذكر من اول السوره

باباحة الطيبات من المطاعم والمناكح ثم انه تعالى ذكر بعد كيفية فرض الصلوة وكانه قال انما ذكر ذلك ليتم النعمة المذكورة اولا وهي نعمة الدنيا بهذا النعمة المذكورة ثانيا وهي نعمة الدين ولعلكم تشكرون نعمته فزيدكم **قوله تعالى** واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور لما ذكر الله تعالى هذا التكليف اردفه بما يوجب عليهم القبول والانقياد وهو ذكر النعمة والميثاق واراد بنعمة الله النعم كلها وقيل هي نعمة الاسلام وانما قال نعمة الله ولم يقل نعم الله لانه ليس المقصود التامل في اعداد نعم الله قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها بل المقصود التامل في جنس نعمة الله لان هذا الجنس جنس لا يقدر عليه غير الله فمن الذى يقدر على اعطا نعمة الحيوة والصحة والعقل والهداية والصون من الافات والايصال الى جميع الخيرات في الدنيا والاخرة فجنس نعمة الله جنس لا يقدر عليه غير الله فقوله واذكروا نعمة الله التامل في هذا الجنس من حيث انه ممتاز عن نعم غيره واذا كانت النعمة على هذا الوجه كان وجوب شكرها اتم واكمل وميثاقه الذى واثقكم به اى عاقدكم عقدا وثيقا وهو عهده الذى واثقكم به ايها المومنون حين بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمكره والبسط فقبلتم وقلتم سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة الذى اخذ من الانصار والميثاق الذى اخذ من عامة المومنين في بيعة الرضوان تحت الشجرة واضاف الميثاق الى نفسه وان كان صادرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم والمراد ذلك بانهم التزموا وقبلوا تلك التكاليف صريحا وقالوا سمعنا واطعنا ثم حذرهم عن نقض ذلك الميثاق فقال واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يعني لا تنقضوا ذلك الميثاق فقال واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور ولا تحدثوا انفسكم بنقضه فانه عليم بذات الصدور وبما في القلوب من خير وشر وقيل هو الميثاق الذى اخذ الله منهم حين اخرجهم من ظهر ادم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وقيل الميثاق البراهين الساطعة والدلايل القاطعة على التوحيد والنبوة والشريعة **قوله تعالى** يايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهدا بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون عدي يجرمنكم بحرف الاستعلا لانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون يجرمنكم في اول السورة حيث قال ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا معدى بحرف الاستعلا مضمنا معنى فعل معدى به بمعنى على ان تعتدوا فحذف على مع ان ونحو قوله يجرمنكم على ان لا تعدلوا قوله صلى الله عليه وسلم من اتبع على ملى فليتبع لانه بمعنى احيل والمعنى ولا يحملنكم شدة بغضكم لقوم مشركين على ان لا تعدلوا اى على ان تتركوا العدل فيهم لعدواتهم فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتشفوا ما في قلوبكم من الضغاين بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نسا او نقض عهد معتبر في الشرع او ما اشبه ذلك نهاهم اولا ان يحملهم البغضا على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا فقال اعدلوا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل فقال هو اقرب اى العدل في اوليايكم واعدايكم اقرب الى التقوى اى الاتقا من معاصي الله وقيل من عذاب الله وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعدا الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المومنين الذين هم اوليا الله واحباوه فقوله واتقوا الله وعد للمطيعين ووعيد للمذنبين ثم ذكر وعد للمومنين فقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم قوله لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله فانه قال اولا وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات فكانه قيل واي شي وعد لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم ويجوز ان يكون على اراده

القول على معنى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات وقال لهم مغفرة واجر عظيم ويجوز ان يكون على اجرا وعد مجرى قال لان الوعد ضرب من القول قال الزجاج وعد بمنزلة قال لان الوعد لا ينعقد الا بالقول ويجوز ان يجعل وعد واقعا على الجملة التى هي لهم مغفرة اى يجعل هذه الجملة مفعولا به كانه قيل وعدهم هذا القول فان قيل لم وعدهم هذا القول ولم يعدهم مضمون هذا القول فقط وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم ولو عد القول فاين زايد وهي ان هذا القول يتلقونه عند الموت ويوم القيامة يسرون ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى المغفرة والاجر العظيم ثم ذكر بعد ذلك وعيد الكفار فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم وهذه الاية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان قوله اولئك اصحاب الجحيم يفيد الحصر والمصاحبة تقتضي الملازمة **قوله تعالى** يايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قيل نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببطن النخل في الغزوة السابعة فاراد بنو ثعلبة وبنوا محارب ان يفتكوا بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا اشتغلوا بالصلوة فقالوا ان لهم صلوة هي احب اليهم من ابايهم وامهاتهم فاذا سجدوا فيها وقعنا بهم فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلوة الخوف وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر غطفان فقال رجل من المشركين لقومه الا اقتل لكم محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه والنبى متقلد سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى السيف ومرة الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد من يمنعك مني قال صلى الله عليه وسلم الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واغلظوا له عليه فشام السيف اى اغمده ومضى فانزل الله هذه الاية وعن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق النبى صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجا اعرابى الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله ثم اقبل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني قال الله قال الاعرابى مرتين او ثلاثا من يمنعك مني والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله فشام الاعرابى السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فاخبرهم خبر الاعرابى وهو جالس الى جنبه وابى ان يعاقبه وقيل بعث النبى صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الانصارى الساعدي وهو احد النقبا ليلة العقبة في جيش ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر ابن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بير معونة وهي من مياه بنى عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمرى فلم يرعهم الا والطير تحوم في السما يسقط من خراطيمها علق الدم فقال احد النفر قتل اصحابنا ثم تقدم ليستشهد حتى لقى رجلا فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السما وفتح عينيه وقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بنى سليم وبين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا لهما الى بنى عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبنى النضير يستعينهم في عقلهما فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى سالتنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فجا الى رحا عظيمة ليطرحها فامسك الله يده وجا جبريل واخبره بذلك فخرج صلى الله عليه وسلم ثم دعا عليا فقال لا تبرح مقامك فمن خرج عليك من اصحابى فسالك عنى فقل توجه المدينة ففعل ذلك علي حتى تناهوا اليه ثم تبعوه وانزل

الله تعالى هذه الاية وهذا اولى بالصواب لان الله تعالى عقب هذه الاية بذم اليهود وذكر
قبح افعالهم وخيانتهم تعالى بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه ومعنى بسط اليد
مدها الى المبطوش به تقال فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم اى منعها ان
تصل اليكم **قوله تعالى** ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرايل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى
معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم
سياتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل قيل
انه خاطب المومنين فيما تقدم فقال اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به ثم ذكر الان انه
اخذ الميثاق من بنى اسرايل فنقضوه وتركوا الوفاء به فلا تكونوا ايها المومنون مثل اولئك اليهود
فى هذا الخلق الذميم لئلا تصيروا مثلهم فيما نزل بهم من اللعن والذلة والمسكنة وقيل لما ذكر قوله اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم اى اليهود اتبعه ذلك بذكر فضايحهم وبيان انهم كانوا ابدا مواظبين على
نقض العهود والمواثيق وقيل ان الغرض من الايات المتقدمة ترغيب المكلفين فى قبول التكاليف
وترك التمرد والعصيان فذكر الله انه كلف من كان قبل المسلمين كما كلفهم ليعلموا ان عادة الله فى التكاليف
والالزام غير مخصوصة بهم بل هى عادة جارية له مع جميع عباده ان الله تعالى وعد موسى عليه السلام
ان يورثه وقومه الارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون والجبارون وعدهم
ان يهلكهم ويجعل ارض الشام مسكنا لبنى اسرايل فلما استقر بنو اسرايل بمصر بعد هلاك فرعون
امرهم الله بالمسير الى اريحا من ارض الشام وهى الارض المقدسة وقال تعالى يا موسى انى كتبتها لكم
دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصرك عليهم وخذ من قومك اثنى عشر
نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفا بما امروا به توثقة عليهم فاختار موسى
النقبا واخذ الميثاق على بنى اسرايل وتكفل لهم به النقبا فسار موسى ببنى اسرايل حتى اذا قربوا
من ارض كنعان وهى اريحا بعث هولا النقبا يتجسسون له الاخبار فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة
فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب
بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقبا والنقيب
الذى ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها من النقب لانه ينقب
عن احوالهم كما ينقب عن الاسرار ومنه المناقب وهى الفضايل لانها لا تظهر الا بالتنقيب عنها وقيل
هو المنظور اليه المسند اليه امور القوم وتدبير مصالحهم فالاول فعيل بمعنى الفاعل والثانى بمعنى
المفعول وقال الله تعالى لبنى اسرايل انى معكم ناصركم على عدوكم ومعينكم ثم ابتدا الكلام فقال
لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة واللام فى لئن اقمتم موطية للقسم وفى لاكفرن جواب له وهذا الجواب
ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا اى والله لئن اقمتم الصلوة يا معشر بنى اسرايل واتيتم الزكوة
الى قوله قرضا حسنا لاكفرن قوله انى معكم اى بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وارى افعالكم واعلم
ضمايركم واقدر على ايصال الخير اليكم فقوله انى معكم مقدمة معتبرة فى الترغيب والترهيب
ثم ذكر بعد المقدمة جملة شرطية والشرط مركب من خمسة امور واخر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة
وايتا الزكوة مع تقدمه عليها لان اليهود كانوا مقرين بان حصول النجاة تستدعى اقامة الصلوة وايتا
الزكوة ولكن كانوا مصرين على تكذيب بعض رسل الله فذكر بعد اقامة الصلوة وايتا الزكوة انه لا بد من
الايمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود والا لم يكن لاقامة الصلوة وايتا الزكوة تاثير فى حصول
النجاة وتكفير السيات بدون الايمان بجميع الرسل ومعنى عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدى العدو

والتعزير

والتعزير والتاثير من واد واحد ومنه لا يبصرك نصرا موزرا قويا والمراد بالاقراض ايتا الصدقات
المندوبة وخصها بالذكر تنبيها على شرفها لاكفرن عنكم سياتكم لاسترن ولامحون عنكم سياتكم ولادخلنكم
جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل اى اخطا قصد الطريق وسوا
كل شى وسطه قال صاحب الكشاف فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل
ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة
زاد قبح الكفر وتمادى **قوله تعالى** فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم
عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خاينة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان
الله يحب المحسنين اى فبنقضهم ميثاقهم نقضوا من وجوه كذبوا الرسل الذين جاوا من بعد موسى وقتلوا الانبيا
ونبذوا الكتاب ورا ظهورهم وضيعوا فرايضه ولم يومنوا بمحمد عليه السلام لعناهم طردناهم واخرجناهم
من رحمتنا وقيل ضربنا عليهم الجزية وقيل مسخناهم وجعلنا قلوبهم قاسية قرا حمزة والكسائى قسية بتشديد
اليا من غير الف اى ردية مغشوشة من قولهم درهم قسى اى ردى ذو غش من القسوة لان الذهب
والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والباقون قاسية على وزن فاعلة وهما لغتان كالعلية
والعالية والزكية والزاكية يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم اى يغيرون اللفظ ويولون التاويل
الباطل ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية ان ترجم واعراضهم
عن التورية اغفال حظ عظيم وقيل معناه وجعلنا قلوبهم قاسية فاسدة ردية فحرفوا التورية وزالت
اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وقيل ونسوا حظا مما
ذكروا به معناه تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته اى جعلنا
قلوبهم قاسية فحرفوا التورية وتركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع يا محمد على
خاينة منهم اى الخاينة عادتهم وعادة اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهولا يخونونك
ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خاينة على خيانة و
مصدر كالكاذبة واللاغية او على فعلة ذات خيانة او على نفس خاينة او على فرقة خاينة ويقال
رجل خاينة لقولهم رجل راوية الشعر للمبالغة قال الشاعر حدثت نفسك بالوفا ولم تكن للغدر خاينة
مغل الاصبع الا قليلا منهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد قيل هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واصحابه وقيل يحتمل ان يكون هذا القليل من الذين بقوا على الكفر ولم ينقضوا ولم يخونوا
لكون الضمير فى عنهم راجع اليهم اى فاعف عنهم فى صغاير الاثم ما داموا باقين على العهد وقيل هو منسوخ
باية السيف ان الله يحب المحسنين عن ابن عباس اذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فقد
احبك الله تعالى وقيل اراد بالمحسنين الذين ما نقضوا عهد الله قوله ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيامة
وسوف ينبيهم الله بما كانوا يصنعون اى سبيل الذين قالوا انا نصارى سبيل اليهود فى نقض
الميثاق وانما قال ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى لانهم انما سموا انفسهم
بهذا الاسم ادعا لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله وكان هذا الاسم فى الحقيقة اسم
مدح فبين الله انهم يدعون هذه الصفة ولكنهم ليسوا موصوفين بها اخذنا ميثاقهم اى اخذنا
من الذين قالوا انا نصارى ميثاق انفسهم فى التوحيد والنبوة وافعال الخير فنسوا حظا مما
ذكروا به فاغرينا اى فالصقنا والزمنا من غرى بالشى اذا لزمه ولصق به واغراه غيره بينهم
بين فرق النصارى المختلفين وقيل بين النصارى واليهود العداوة والبغضا الى يوم القيامة

بالاهوا المختلفة والجدال والدين ونحوه قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا
ويذيق بعضكم باس بعض وسوف ينبيهم الله بما كانوا يصنعون في الاخرة ويجازيهم وهذا وعيد من الله
يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا
عن كثير قد جاكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم
من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لما حكى الله عن اليهود والنصارى
نقضهم العهد وتركهم ما امروا به دعاهم بعد ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال
يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب التورية والانجيل
من نحو صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومن نحو اية الرجم ويعفوا عن كثير مما كنتم تخفونه لا يبينه لانه لا حاجة
الى اظهاره في الدين ولا فايدة في اظهاره الا افتضاحكم وصفة النبي مما لا بد من بيانه وكذلك
الرجم وما فيه احيا شريعته واماتة بدعة فلهذا ابينه ولم يعف عنه وعن الحسن ويعفو عن كثير
ولا يواخذكم بكثير مما تخفون قد جاكم نور اي محمد لكشفه ظلمات الشرك والشك وكتاب مبين اي القران
لانه ما كان خافيا على الناس من الحق ولانه ظاهر الاعجاز وانما جمعهما ولازما وقيل النور
والكتاب القران يهدي به الله اي بالكتاب المبين من اتبع رضوانه اي رضي الله اي من كان
مطلوبه من الدين اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا من اتبع هواه وما وجد عليه اباه سبل السلام
طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله والسلام هو الله وسبل الله دينه الذي شرع لعباده
وبعث به رسله قوله من اتبع مفعول اول لقوله يهدي وسبل السلام مفعوله الثاني واهل
الحجاز يقولون هديته الطريق وغيرهم يقول هديته الى الطريق ويخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان
باذنه بتوفيقه وهدايته وارادته ومشيته والبا متعلق بقوله اتبع اي لا يتبع رضوان الله الا بارادته
ويهديهم الى صراط مستقيم وهو الدين الحق **قوله تعالى** لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم قل فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشا والله على كل شي قدير معناه سوا القول على ان حقيقة الله
هو المسيح لا غير قيل في النصارى طايفة يقولون ان الله هو المسيح بن مريم وقيل ما صرح احد
من النصارى بذلك ولكن اعتقادهم يودي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويخبر بما ياكلون
وما يدخرون في بيوتهم ويدبر امر العالم قل فمن يطيق ان يدفع من امر الله شيا فيرده اذا قضاه وهو مثل قولك
على فلان امره اذا صار لا يقدر ان ينفذ امر الا به ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في
الارض جميعا شرط جزاوه محذوف ما قبله وهو قوله فمن يملك دال عليه تقديره ان اراد الله
ان يهلك المسيح ابن مريم فمن يملك ان يمنع من قدرته ومشيته شيا ذكره دلالة على ان المسيح عبد
مخلوق كساير العباد واراد ليعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما
وبينهم في البشرية والمخلوقية قوله ولله ملك السموات والارض وما بينهما ولم يقل بينهن لان المعنى ما بين
هذين النوعين من هذه الاشيا يخلق ما يشا اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق
عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم او يخلق ما يشا كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحيا
الموتى وابرا الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى الشي المجري على يده
والله على كل شي قدير **قوله تعالى** وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشا ويعذب من يشا ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه
المصير قيل ان اليهود لا يقولون ذلك البتة فكيف يجوز نقل هذا القول عنهم واما النصارى فانهم

يقولون

يقولون ذلك في حق عيسى لا في حق انفسهم فكيف يجوز هذا النقل عنهم ايضا اجاب المفسرون عنه من وجوه
ان هذا من باب حذف المضاف والتقدير نحن من ابنا الله ونظيره قوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ومنها ان لفظ الابن كما يطلق على ابن الصلب فقد يطلق ايضا على من يتخذ ابنا واتخاذه
ابنا معناه تخصيصه بمزيد الشفقة والمحبة فالقوم لما ادعوا ان عناية الله بهم اتم ادعوا انهم ابنا الله ومنها
ان اليهود زعموا ان عزير ابن الله والنصارى زعموا ان المسيح ابن الله ثم زعموا ان العزير والمسيح كانا منهم صار
ذلك كانهم قالوا نحن ابنا الله الا ترى ان اقارب الملك اذا فاخروا انسانا اخر فقد يقولون نحن ملوك الدنيا
وغرضهم منه لونهم مختصين بذلك الشخص الذي هو الملك فكذا هاهنا ومنها قال ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن ابنا
الله واحباوه فهذا القول انما وقع عن تلك الطايفة واما النصارى فانهم يتلون في الانجيل الذي لهم ان المسيح
قال لهم اذهب الى ابي وابيكم وجملة الكلام ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على ساير الخلق بسبب
اسلافهم الافاضل من الانبيا حتى انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان قالوا نحن ابنا الله واحباوه ثم انه تعالى ابطل عليهم
دعواهم وقال فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح انكم ابنا الله واحباوه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون
وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابنا الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين القبايح ولا مستوجبين للعقاب
ولو كنتم احباوه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة من خلق كساير بني ادم مجزيون بالاحسان والاساة يغفر
لمن يشا فضلا ويعذب من يشا عدلا وقيل يهدي منكم من يشا في الدنيا فيغفر له ويميت منكم من يشا على الكفر فيعذبه
ولله ملك السموات والارض يعني من كان هكذا لا يكون لاحد عليه حق واجب ولا يستحق بمعرفته القليلة وعبادته
الناقصة ثوابا واجرا **قوله تعالى** يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا
ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير والله على كل شي قدير قوله يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو
اعلام الهدى وشرايع الدين وحذفه لظهور ما ورد الرسول ليبينه فان كل احد يعلم ان الرسول انما جا
لبيان الدين والشرايع او مما كنتم تخفون اي المبين المقدر مما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره اولا يقدر
المبين ويكون المعنى ويبذل لكم البيان نحو فلان يعطي ويمنع اي يبذل الاعطا وقوله يبين لكم في محل
النصب على الحال اي مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاكم اي جاكم على حال فتور من ارسال الرسل وانقطاع
من الوحي يقال فتر الشي يفتر فتورا اذا سكنت حدته وصار اقل مما كان عليه وسميت المدة التي بين الانبيا
فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرايع وقيل كان بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية
سنة وقيل خمسماية وستون سنة وقيل خمسماية واربعون سنة وقيل اربعماية ونيف وستون سنة وقيل
كان بين موسى وعيسى الف وسبع ماية سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبيا ثلاثة من بني اسرايل
وواحد من العرب خالد ابن سنان العبسي والمقصود الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست
اثار الوحي واشتد الحاجة الى بعثة رسول يبين الدين والشرايع ليهتدوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله
وفتح باب الرحمة ان تقولوا حتى لا يقولوا ما جانا من بشير ولا نذير يعني جاكم الرسول على فترة من الرسل
كراهة ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير قال الامام الفايدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة
الرسل هي ان التحريف والتغيير قد تطرق الى الشرايع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وبسبب ذلك اختلط
الحق بالباطل والصدق بالكذب فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا يا الهنا
عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا عليه السلام
ازالة لهذا العذر **قوله تعالى** واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا
وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين قال الامام وجه الاتصال ان الواو في قوله

واذ قال موسى لقومه واو العطف وهو متصل بقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كانه قيل اخذ عليهم الميثاق
وذكر موسى نعم الله وامرهم بمحاربة الجبارين فخالفوا الميثاق وخالفوه في محاربة الجبارين وقدم الله تعالى
في هذه الايه على بني اسرائيل بامور ثلاثه اولها جعل الانبيا فيهم فقال اذ جعل فيكم انبيا لانه لم يبعث في امه ما بعث
في بني اسرائيل من الانبيا وثانيها جعلهم ملوكا فقال وجعلكم ملوكا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان بنو ا
اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامراه ودابه كتب ملكا وعن ابن عباس ومجاهد والحسن من كان له بيت وخادم
وامراه فهو ملك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح معافا في بدنه امنا في سربه عنده قوت يومه فكانما
حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل كانت منازلهم واسعه فيها مياه جاريه فمن كان مسكنه واسعا وفيه ما جار فهو ملك
وقيل وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد اذ كنتم في ايدي القبط بمنزله اهل الجزيه فينا فاخرجهم الله من ذلك
الذل وقيل انه كان في اسلافهم واخلافهم ملوك وعظما وقد يقال فيمن حصل فيهم ملوك انتم ملوك على سبيل الاستعاره
وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في مصالحه الى احد فهو ملك وقيل الملك من لا يدخل
عليه احد الا باذنه وقيل من لم يلجئه الاحتياج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق فهو ملك وثالثها اتاكم ما لم يوت
احدا من العالمين يعني عالمي زمانكم من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى واخراج
الماء العذب من الحجر قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسه التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا
خاسرين لما ذكرهم موسى هذه النعم وشرحها لهم امرهم بعد ذلك بمجاهدة العدو والارض المقدسه ارض بيت المقدس
وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن روي ان ابرهيم عليه السلام حين وقع على جبل
لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك فسمى الله تعالى الارض المقدسه لابرهيم ميراثا لولده
وكان بيت المقدس قرار الانبيا ومسكن المومنين طهر من الافات والشرك التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ
انها لكم وقيل وهب الله لكم وقيل امركم بدخولها وعن قتاده امروا بها كما امروا بالصلوه في قوله كتب الله لكم فايده عظيمه
وهو ان القوم وان كانوا جبارين الا ان الله تعالى لما وعد هولا الضعفا بان تلك الارض لهم وان كانوا مومنين مقرين
بصدق موسى علموا قطعا ان الله سينصرهم عليهم ويسلطهم فيقدموا على قتالهم من غير جبن وخوف ولا ترتدوا على ادباركم
ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابره جبنا وهلعا وقيل ولا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم
امر ربكم وعصيانكم نبيكم فتنقلبوا خاسرين ثواب الدنيا والاخره بفوت الثواب ولحوق العقاب وقيل ترجعوا
الى الذل وقيل تموتون في التيه ولا تصلون الى شي من مطالب الدنيا ومنافع الاخره ثم اخبر الله تعالى عنهم انهم
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ۞ وذلك
ان الجواسيس لما رجعوا الى موسى واخبروه بما عاينوا قال لهم موسى اكتموا شانه ولا تخبروا به احدا من اهل
العسكر فيفشلوا فذهب كل رجل منهم فاخبر قومه الا رجلين وفيا بما قال موسى وهما يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وهما من النقبا فعلم جماعه
بني اسرائيل ذلك ورفعوا اصواتهم بالبكا وقالوا يا ليتنا متنا بارض مصر وليتنا نموت في هذه البريه
ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساونا واولادنا وانقالنا غنيمه لهم وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا وننصرف
الى مصر جبارين الجبار فعال من جبره على الامر يعني اجبره على الامر وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد
قال قتاده كانت اجسامهم وخلقهم عجيبه ليس كغيرهم وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا
داخلون فلما قالوا ذلك قال رجلان يوشع وكالب من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان
من المتقين وقيل الضمير الذي هو فاعل يخاف عايد على بني اسرائيل والراجع الى الموصوف محذوف
تقديره رجلان من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون والرجلان من الجبارين وعن سعيد بن
جبير كانا من الجبارين فاسلما واتبعا موسى انعم الله عليهما بالايمان والتوفيق والعصمه فالاظهر ان العمالقه

اجسام لا قلوب فيها ادخلوا عليهم الباب سجدا يعني قرية الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون كانه قال متى
دخلتم باب بلدهم انهزموا ولا يبقى منهم نافخ نار ولا ساكن دار لان الله تعالى منجز وعده بالنصر فلا تخشوهم وعلى
الله فتوكلوا ان كنتم مومنين يعني لما وعدكم الله بالنصر فلا ينبغي ان تصيروا خايفين من شدة قوتهم وعظم
اجسامهم بل توكلوا على الله في حصول هذا النصر لكم ان كنتم مومنين بالله وبصحة نبوة موسى وقوله انعم الله عليهما
يجوز ان يكون نعتا لقوله رجلان فمحله الرفع ويجوز ان يكون كلاما معترضا فلا محل له وقيل رجلان علما انهم غالبون من
جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما
عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدايه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم قالوا لن
ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون لما قال الرجلان ما قالا اراد بنو اسرائيل
ان يرجموهما بالحجارة وقالوا لموسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المويس وابدا تعليق
للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل ان يكون القوم مجسمة يجوزون
الذهاب على الله تعالى ويحتمل ان لا يقصدوا الذهاب حقيقة بل هو كما يقال كلمته فذهب يجيبني فاراد يجيبني
فالذهاب بمعنى الارادة والقصد اطلاقا للملزوم وارادة اللازم كانهم قالوا فارد انت وربك قتالهم
قال صاحب الكشاف والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزا وقصدوا
ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها روية الله جهرة
والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية
حين صد عن البيت اني ذاهب بالهدي فانحره عند البيت فقال المقداد بن الاسود والله ما نقول
كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكنا نقاتل عن يمينك وشمالك
ولو خضت بحرا لخضناه معك ولو تسنمت جبلا لعلوناه معك فلما سمعها اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فرى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه لذلك وسر
قوله قال رب اني لا املك الاية يحكي ان موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم
لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما وعصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر
ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي هذا
من البث والحزن والشكوى الى الله تعالى والحسرة ورقة القلب التي بمثلها يستجلب الرحمة
ويستنزل النصر واخي منصوب عطفا على نفسي او على الضمير في اني اي اني لا املك الا
نفسي واخي كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير المستتر في املك وجاز العطف عليه للفصل
او مجرور عطفا على الضمير في نفسي قال صاحب الكشاف وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور
الا بتكرير الجار وانما لم يعد لموسى الرجلين وقد كانا معه لانه لم يثق بهما كل الوثوق واطمـ
ـئنانه وقيل يحتمل ان قال ذلك لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان
يريد ومن يواخيني على ديني فافرق فافصل واقض بيننا وبين القوم الفاسقين العاصين
الخارجين عن الدين وهو في معنى الدعا عليهم او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله
ونجني من القوم الظالمين قوله ۞ قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون
في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين قال الله فان الارض المقدسة محرمة عليهم دخولها ولا
منافاة بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم لوجهين احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا
اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم وثانيهما ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة
فاذا مضت الاربعون كان ما كتب والعامل في الظرف اي اربعين سنة اما محرمة واما

الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين فلما قال ذلك دعا
اسرائيل فقالوا اغضبت علينا
علينا فقال اذا لا الهم

تيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة
التي يتاه فيها قيل كان مسافة التيه تسعين فرسخا لكنهم تاهوا في ستة فراسخ روي انهم لبثوا اربعين
سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا امسوا واصبحوا اذا هم في الموضع الذي ارتحلوا
منه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى
ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله قال صاحب الكشاف فان قلت
فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا
لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤدبه ليتادب ويتثقف
ولا يقطع عنه معروفه واحسانه قيل وكانوا ستمائة الف مقاتل ومات النقباء العشرة الذين افشوا
الخبر بغتة وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب قيل موسى وهرون
لم يكونا معهم في التيه لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه
كان ذلك روحا لهما وسلاما الا عقوبة كالنار لابرهيم وملائكة العذاب في جهنم وروي ان هرون
مات في التيه وموسى بعده فيه بسنة ولم يدخل اريحا احد ممن قالوا انا لن ندخلها ابدا فلما هلكوا
وانقضت اربعون سنة ونشات النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين واختلف
العلماء فيمن تولى على تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح قيل انما فتح اريحا موسى سار بمن بقي من بني
اسرائيل وكان يوشع على مقدمته فدخلها بهم يوشع وقاتل الجبابرة الذين كانوا بها ثم دخلها موسى
بني اسرائيل واقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم بقبره احد من الخلائق لان موسى قتل عوج
بن عنق وقيل انما قاتل الجبابرة يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك جميع
من كان ابى المسير اليها ومات موسى وهرون في التيه قوله فلا تاس على القوم الفاسقين
اي فلا تحزن عليهم لان موسى ندم على الدعاء عليهم **قوله تعالى** واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا
قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين قيل
ان هذه القصة متعلقة بما قبلها وهو قصة محاربة الجبارين اي اذكر لليهود حديث ابني ادم ليعلموا
ان سبيل اسلافهم في الندامة والحسرة الحاصلة بسبب اقدامهم على المعصية كان مثل سبيل ابني
ادم في اقدام احدهما على قتل الاخر وقيل هذا متصل بقوله تعالى حكاية عن اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه اي لا ينفعهم كونهم من اولاد الانبياء مع كفرهم كما لم ينفع ولد ادم عند
معصيته كون ابيه نبيا اجتباه الله وقيل لما كفر اهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم حسدا
اخبرهم الله بخبر ابني ادم وان الحسد اوقعه في سوء العاقبة والمقصود منه التحذير عن الحسد
قوله واتل عليهم اي على الناس وقيل على اهل الكتاب ابني ادم هما ابنا ادم لصلبه قابيل
وهابيل قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب غنم فقرب كل واحد منهما قربانا فطلب هابيل
احسن شاة كانت معه وجعلها قربانا وطلب قابيل شر حنطة كانت عنده وجعله قربانا فنزلت
نار من السما فاحتملت قربان هابيل ولم تحتمل قربان قابيل فعلم قابيل ان الله تعالى قبل قربان
اخيه ولم يتقبل قربانه فحسده وقصد قتله وقيل ان ادم عليه السلام كان يولد له في كل
بطن غلام وجارية وكان يزوج البنت من بطن بغلام من بطن اخر وولد له قابيل وتوءمته
وبعدهما هابيل وتوامته وكانت توءمة قابيل احسن الناس وجها فاراد ادم ان يزوجها
من هابيل فابى قابيل ذلك وقال انا احق بها وهي اختي وليس هذا من الله وهذا من
رايك فقال ادم عليه السلام لهما قربا قربانا فايكما قبل قربانه زوجها منه فتقبل الله

قربان

بلغ باصله

قربان هابيل بان انزل على قربانه نارا فازداد قابيل حسدا له وعن الحسن البصري ابنا ادم
الذين قربا قربانا ليسا لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل واستدل بالقربان لان القربان
لم يكن الا لبني اسرائيل وبقوله في اخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير
نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وظاهر ان صدور هذا الذنب من ابني ادم لا يصلح
ان يكون سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل فاما اذا اقدم رجل من بني اسرائيل على مثل هذه
القضية امكن جعل ذلك سببا لايجاب القصاص عليهم زجرا لهم من المعاودة الى مشابهة الذنب وبان
المقصود بيان اصرار اليهود من قديم الدهر على التمرد والحسد حتى بلغ بهم شدة الحسد الى ان احدهما
لما قبل الله قربانه حسده الاخر واقدم على قتله ولا شك انه رتبة عظيمة في الحسد فانه لما شاهد
ان قربان صاحبه مقبول عند الله حسده فاقدم على قتله فدل ذلك على انه كان قد بلغ في الحسد
الى اقصى الغايات واذا كان المراد من ذلك بيان ان الحسد دا قديم في بني اسرائيل وجب ان يقال هذان
الرجلان كانا من بني اسرائيل والاول هو الذي اختاره اكثر اصحاب الاخبار وفي الاية ما يدل عليه
لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من عمل الغراب ولو كان من بني اسرائيل لما خفي عليه هذا
الامر واتل عليهم معناه اسرد واسمعهم اياه وهذه من علوم الكتب السابقة التي لا تعلق للنبي صلى الله عليه
وسلم بها الا من طريق الوحي فهي من دلايل نبوته والضمير في عليهم ظاهر امره انه يراد به بنو اسرائيل
لان نبا ابني ادم انما هو عندهم وعليهم تقوم الحجة في ايراده والنبا الخبر بالحق صفة مصدر
محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة موافقا لما في كتب الاولين او حال كون النبا ملتبسا بالحق
والصدق موافقا بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه وقيل معناه واتل عليهم وانت محق صادق فيكون حالا
من ضمير المخاطب في اتل قوله اذ قربا نصب بالنبا اي قصتهم ونباهم في ذلك الوقت ويجوز ان
يكون بدلا من النبا اي اتل عليهم نبا ابني ادم نبا وقت تقريب القربان على تقدير حذف المضاف
والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة اي ذبيحة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى
اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب فيتعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب
وقد مضى الكلام في القربان في سورة ال عمران قيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا الا
انه جمعهما في الفعل وافرد الاسم لانه يستدل بفعلهما على ان لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان
اسم جنس فهو يصلح للواحد والمثنى والمجموع وايضا فالقربان مصدر كالرجحان والعدوان والكفران
والمصدر لا يثنى ولا يجمع قوله فتقبل من احدهما قيل كان علامة القبول ان تاكله النار والاكثر
على هذا وقيل علامة الرد ان تاكله النار وقيل ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع اليه
ما يتقرب به الى الله وكانت تنزل النار من السما فتاكله قال الذي لم يتقبل منه للذي تقبل
منه لاقتلنك قال الذي تقبل منه انما يتقبل الله من المتقين وفي الكلام حذف والتقدير
كان الذي تقبل منه قال للذي لم يتقبل منه لم تقتلني قال لان قربانك صار مقبولا فقال الذي تقبل
منه عدم قبول قربانك انما هو من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني
وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم
جامع مختصر لمعان وقيل قوله انما يتقبل الله من المتقين من كلام الله للنبي صلى الله عليه وسلم
اعتراضا بين القصة كانه تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا
واتفق اهل السنة والجماعة على ان المراد بالمتقين المتقون عن الشرك فان من اتقى الشرك

وهو موحد فاعماله التي يصدق فيها نيته مقبولة واما المتقي من الشرك والمعاصي فله
الدرجة العليا من القبول علم ذلك باخبار الله تعالى لا ان ذلك واجب على الله تعالى عقلا
ثم حكى تعالى عن الذي تقبل منه انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
اني اخاف الله رب العالمين قيل كان الذي تقبل منه اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج
عن قتل اخيه واستسلم لرجاء من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قيل ومن ههنا
يقوى ان قابيل اثم عاص لا كافر لانه لو كان كافرا لم يكن للتحرج وجه وانما وجه التحرج في هذا
ان المتحرج يابى ان يقاتل موحدا ورضي ان يظلم ليجازى في الاخرة وهكذا فعل عثمان بن
عفان رضي الله عنه وانما جاء الشرط وهو قوله لئن بسطت بلفظ الفعل والجزاء وهو قوله
ما انا بباسط بلفظ اسم الفاعل ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده
بالباء المؤكدة للنفي **قوله تعالى** اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين فان قيل كيف يعقل ان يبوء القاتل باثم المقتول وقد قال تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى اجيب بان معناه يرجع الى الله باثم قتلي كانه واثمك الذي من اجله لم يتقبل
قربانك وبان المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرات قراءة عاصم وكتبت مثل
كتابة زيد ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم صاحبه لان البادي كان سببا فيه وصاحبه ايضا عليه
اثم ذلك الا ان الاثم محطوط عنه معفو لانه مكافي مدافع عن عرضه انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم
ما لم يعتد المظلوم لانه اذا اخرج عن حد المكافاة واعتدى لم يسلم فان قيل فحين كف هابيل عن قتل
اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان
اجيب بان اثم هابيل مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو
بسطت اليك يدي وقيل باثمي اي باثم قتلي واثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك فان قيل فكيف
جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار فان الانسان كما انه لا يجوز ان يريد من نفسه المعصية
فكذلك لا يجوز ان يريد من غيره ان يعصي الله اجيب عنه من وجوه منها ان هذا الكلام انما قاله هابيل عند
ما غلب على ظنه ان قابيل يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام قابيل على قتله فكانه لما وعظه ونصحه
قال فان كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان تتوصل لقتلي في وقت لو ان غافلا
عنك عاجزا عن دفعك فحينئذ لا يمكنني اذا دفعك عن قتلي الا اذا قتلتك وقتلك بمجرد الظن
والحسبان كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان تكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان تكون انت
فاريد ان تحصل هذه الكبيرة منك لا مني وارادة صدور الذنب من الصغير في هذه الحالة على هذا الشرط
لا يكون معصية بل هو عين الطاعة يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل وقيل معناه اني اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ويجوز للمظلوم ان يريد عقاب ظالمه وقيل
روي ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه اخذ من سيات المظلوم وحمل على الظالم فعلى
هذا يجوز ان يقال اني اريد ان تبوء باثمي في انه يحمل عليك يوم القيامة اذا لم تجد ما يرضيني وباثمك في قتلك
قال صاحب الكشاف كان قابيل ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء
الظالمين واذا جاز ان يريده الله عز وجل جاز ان يريده لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال
القتل وما يجر من استحقاق العقاب **قوله تعالى** فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من
الخاسرين اي فوسعت له نفسه قتل اخيه ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وتحقيقه ان

لكرم

لن م

الان ز

الانسان اذا اعتقد ان قتل العمد العدوان من اعظم الكبائر فهذا الاعتقاد يصير زاجرا له عن فعله فيكون
الفعل كالشيء العاصي عليه الذي لا يطيعه بوجه البتة فاذا اوردت النفس الامان بالسوء انواع وساوسها
صار هذا الفعل سهلا عليه وكان النفس جعلت بوساوسها المتبوعة هذا الفعل كالمطيع له بعد ان كان كالعاصي
المتمرد عليه فهذا هو المراد بقوله فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله روي انه التمس الغرة في قتله حتى وجد
نائما في غنمه فشدخ راسه بحجر قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس وجاء بطائر او حيوان غيره
فجعل يشدخ راسه بين حجرين ليقتدي به قابيل ففعل وروي انه لما انصرف قابيل الى ادم قال له اين
هابيل قال لا ادري كانك وكلتني بحفظه فقال له ادم افعلتها والله ان دمه لينادي من الارض اللهم العن
ارضا شربت دم هابيل فروي انه من حينئذ ما شربت ارض دما قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة وكان
قتله في ثور جبل بمكة وقيل عند عقبة حرا وقيل بالبصرة وقيل في موضع المسجد الاعظم ثم ان ادم بقي مائة
عام لم يتبسم حتى جاء ملك فقال له حياك الله يا ادم وبياك فقال له ادم ما بياك قال اضحكك وروي
ان ادم قال حينئذ تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة

الوجه المليح

هكذا هو الشعر بنصب بشاشة وكف التنوين وعن ابن عباس ما قال ادم الشعر وان محمدا والانبياء عليهم الصلوة
والسلام في النهي عن الشعر سواء لكن لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فهي مرثية بلسان السريانية اوصى بها
الى ابنه شيث وقال انك وصيي فاحفظ مني هذا الكلام ليتوارث فحفظت منه الى زمان يعرب بن قحطان
فترجم عنه بالعربية وجعله شعرا قال صاحب الكشاف روي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله
ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان ادم
مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون
وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر وقيل لما مضى من عمر ادم مائة وثلثين سنة وذلك بعد قتل هابيل
بخمس سنين ولدت له شيثا وتفسيره هبة الله اي خلفا من هابيل وقيل كان قبل قتل هابيل السباع والطيور
تستانس بابن ادم فلما قتل قابيل هابيل هربوا فلحق الطيور بالهواء والوحش بالبرية ولحقت السباع بالغياض
روي من حديث انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن يوم الثلاثاء فقال يوم الدم فيه حاضت حوا
وفيه قتل ابن ادم اخاه وثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل وهذا نص في التعليل
وبهذا الاعتبار يكون على ابليس كفل من معصية كل من عصى بالسجود لانه اول من عصى به وكذلك
كل من احدث في دين الله ما لا يجوز من البدع والاهواء قال صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة
حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن في الاسلام سيئة كان عليه وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وهذا نص في الخير والشر قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف
على امتي الائمة المضلين وهذا كله صريح ونص صحيح في معنى الاية هذا ما لم يتب الفاعل من تلك المعصية لان
ادم عليه السلام كان اول من خالف في كل ما نهي عنه ولا يكون عليه شيء من اوزار من عصى بكل ما نهي عنه
ممن بعده بالاجماع لان ادم تاب من ذلك وتاب الله عليه فصار كمن لم يجن ووجه اخر فانه اكل
ناسيا وهو الصحيح من الاقوال والناسي غير اثم ولا مواخذ فاصبح من الخاسرين قال ابن عباس
خسر دنياه واخرته اما الدنيا فبانه اسخط والديه وبقي مذموما الى يوم القيامة واما
الاخرة فهو العقاب العظيم فاصبح عبارة عن جميع اوقاته اقيم بعض الزمان مقام كله وخص الصباح
لانه بدء النهار والانبعاث الى الامور ومظنة النشاط **قوله تعالى** فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري

سوءة اخيه فاصبح من النادمين وروي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني ادم ولما قتله
تركه بالعرا لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره مائة سنة وقيل سنة واحدة
وقيل لما اصبح في ثاني يوم قتله يطلب اخفا امر اخيه فلم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة وقيل بعث الله غرابا حيا الى
غراب ميت فجعل يبحث في الارض ويلقي التراب على الغراب الميت وروي ان الله تعالى انما بعث غرابا واحدا
فجعل يبحث ويلقي التراب على هابيل وظاهر هذه الاية ان هابيل هو اول ميت من بني ادم ولذلك جهلت
سنة المواراة ويبحث معناه ينبش التراب بمنقاره ويثيره قوله ليريه ليريه الله او ليريه الغراب ليعلمه
لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز والضمير الذي اضيف اليه الاخ يحتمل ان
يعود على قابيل ويراد بالاخ هابيل ويحتمل ان يعود الى الغراب الباحث ويراد بالاخ الغراب الميت
والاول اشهر في التاويل سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوءة الفضيحة
لقبحها قال بالقوم للسوءة السوأى اي للفضيحة العظيمة فكنى بالسوءة عن العورة وخص السوءة بالذكر
مع ان المراد مواراة جميع الجسد للاهتمام بها ولان سترها اوكد قال يا ويلتا كلمة تحسر وتلهف قيل انه
ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما اقدم
على قتل اخيه بسبب جهله وقلة معرفته فندم وتلهف وتحسر على فعله وقيل انه كان عالما بكيفية الدفن
فانه يبعد في الانسان العاقل ان لا يهتدي الى هذا القدر من العمل الا انه لما قتل تركه بالعرا فلما راي
الغراب يدفن الغراب رق قلبه وقال ان هذا الغراب لما قتل ذلك الاخر فبعد ان قتله اخفاه
تحت الارض افاكون اقل شفقة من هذا الغراب وكان يحثي التراب على المقتول فلما راى ان الله
اكرمه حال حيوته بقبول قربانه واكرمه بعد مماته بان بعث الغراب ليدفنه تحت الارض علم انه عظيم
الدرجة عند الله فتلهف على فعله وعلم انه لا قدرة له على التقرب الى اخيه الا ان يدفنه في الارض
فلا جرم قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب قيل قوله يا ويلتا اعتراف على نفسه
باستحقاق العذاب وهي كلمة تستعمل عند وقوع الداهية العظيمة ولفظها لفظ النداء كان الويل غير
حاضر عنده فناداه ليحضر ايها الويل احضر فهذا اوان حضورك قوله فاواري بالنصب على جواب الاستفهام
فاصبح من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين **قوله تعالى** من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من
قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا
من اجل ذلك اي بسببه وبعلته وقيل اصله من اجل عليهم شرا ياجل واجل اجلا اي جناه وهيجه
قال خوات بن جبير واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا اجله اي انا جانيه كانك
اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من اين جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته
اي من جريرتك بمعنى جنيتك وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من جنى ذلك القتل وجر الكتب اي بسبب
قتل قابيل اخاه فرضنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس وجب عليه القصاص وانما قال ذلك
تعظيما لامر القتل وانما ذكر بني اسرائيل دون الناس لان الكتاب نزل عليهم بهذا او وجب عليهم فكانت
التورية اول كتاب نزل فيه تعظيم القتل ولانهم اشد تماديا في الطغيان قال الامام وجوب الطغيان وان
كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور هاهنا في حق بني اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان
لانه تعالى حكم هاهنا بان قتل نفس جار مجرى قتل جميع الناس ولا يخفى ان المقصود منه المبالغة في شرح عقاب
القتل العدوان والمقصود من شرح هذه المبالغة ان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على
قتل

قوله

العمد

قتل الانبيا والرسل وذلك يدل على غاية قساوة قلوبهم ونهاية بعدهم عن طاعة الله ولما كان الغرض من
ذكر هذه القصص تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي ذكرنا انهم عزموا على الفتك برسول الله
صلى الله عليه وسلم وباكابر اصحابه فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة العظيمة مناسبة
للكلام ومؤكد للمقصود قال القائلون بالقياس دلت الاية على ان احكام الله قد تكون معللة بالعلل
وذلك لانه تعالى قال من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل كذا وكذا وهذا تصريح بان كتبه تلك الاحكام
معللة بتلك المعاني المشار اليه بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا دلت الاية على ان احكام الله
تعالى معللة بمصالح العباد ومتى ثبت ذلك امتنع كونه خالقا للكفر والقبائح فيهم مريدا وقوعها منهم لان خلق
القبائح وارادتها يمنع كونه مراعيا للمصالح وذلك يبطل التعليل المذكور وقال اهل السنة والجماعة
القول بتعليل احكام الله باطل لوجوه منها ان العلة ان كانت قديمة لزم قدم المعلول وان كانت
محدثة وجب تعليلها بعلة اخرى ولزم التسلسل ومنها انه لو كان معللا بعلة فوجود تلك العلة وعدمها
بالنسبة الى الله ان كانا على السوية امتنع كونه علة وان لم يكونا على السوية فاحدهما به اولى فيكون
مستفيدا تلك الاولوية من ذلك الفعل فيكون مستكملا بالغير وهو محال ومنها انه قد ثبت توقف الفعل
على الداعيه ويمتنع وقوع التسلسل في الدواعي بل يجب انتهاؤها الى الداعية الاولى التي حدثت
في العبد لا من العبد بل من الله تعالى ويجب عنده حدوث الداعيه الفعل فالكل من الله وهذا يمنع
تعليل افعال الله واحكامه برعاية المصالح واذا ثبت بالدلائل القاطعة امتناع تعليل افعال
الله واحكامه ثبت ان ظاهر الاية من المتشابهات والذي يؤكد ذلك قوله تعالى قل
فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا وذلك نص
صريح في انه يحسن من الله كل شيء ولا يتوقف خلقه وحكمه على رعاية المصلحة قوله بغير نفس
او فساد في الارض بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس على معنى من قتل
نفسا بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق اعلم ان القتل يحل لاسباب منها القصاص
ومنها الكفر مع المحاربة ومنها الكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق فقوله او فساد شامل لجميع هذه
الامور قوله فكانما قتل الناس جميعا فان قيل كيف يكون قتل النفس الواحدة مساويا لقتل جميع
الناس اجيب بان تشبيه احد الشيئين بالاخر لا يقتضي الحكم بمشابهتهما من كل الوجوه والمقصود
من تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل الناس جميعا المبالغة في تعظيم امر القتل العمد العدوان
وتفخيم بيانه يعني كما ان قتل جميع الناس امر مستعظم من كل احد فكذلك يجب ان يكون قتل النفس
الواحدة مستعظما فالمقصود بيان مشاركتهما في الاستعظام لا بيان مشاركتهما في مقدار الاستعظام
وكيف لا يكون مستعظما وقد قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما وقيل ان جميع الناس لو علموا من انسان واحد انه يقصد قتلهم جميعا فلا
شك انهم يدفعونه دفعا لا يمكنه تحصيل مقصوده فكذلك اذا علموا منه انه يقصد قتل نفس واحدة
يجب ان يكون جدهم في الدفع كالصورة الاولى قال صاحب الكشاف لان كل انسان يدلي بما يدلي
به الاخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته
فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك قوله ومن احياها اي من استنقذها من بعض اسباب
الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فكانما احيي الناس جميعا والكلام في ان احيا
النفس الواحدة بالمعنى المذكور مثل احيا جميع الناس على قياس ما قرر في ان قتل النفس الواحدة
كقتل جميع الناس والفايدة في ذكر هذا التشبيه تعظيم قتل النفس واحيائها بالمعنى المذكور

هذه

في القلوب ليستمر الناس عن الجاسر عليها ويتراغبوا في المحاماه على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس
اذا تصور قتلها تصور قتل جميع الناس عظم ذلك عليه فثبطه عنه وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه
جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن ادم
ارايت لو قتلت الناس جميعا انت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شي سولته
لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا اولهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا

قوله تعالى

منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي كثيرا من بني اسرايل بعد مجي الرسل وبعد ما كتبنا عليهم
تحريم القتل لمسرفون في القتل لا يبالون بعظمته اشار الى فعل اليهود بقتل النبي عليه السلام
وغيره قوله تعالى انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا
ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم
لما ذكر في الايه التي قبل هذه الايه تغليظ الاثم في قتل النفس بغير نفس وفساد في الارض اتبعه
ببيان ان الفساد في الارض الذي يوجب القتل ما هو فان بعض ما يكون فسادا في الارض لا
يوجب القتل واقتضى المعنى في هذه الايه لون انما حاصر الحصر التام من الناس من قال هذا الوعيد
مختص بالكفار ومنهم من قال انه في فساق المومنين اما الاولون فقد ذكروا وجوها منها
انها نزلت في قوم من عكل وعرينه قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم انهم مرضوا
واستوخموا واصفرت وجوههم فامرهم النبي عليه السلام ان يكونوا في لقاح الصدقه وقال
اشربوا من البانها وابوالها فخرجوا فلما صحوا قتلوا الرعاه واستاقوا الابل فجا الصريخ
فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فامر فنودي في الناس يا خيل الله اركبي فركب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على اثرهم فاخذوا وقال جرير بن عبد الله فبعثني رسول الله في نفر من
المسلمين حتى ادركناهم وقد اشرفوا على بلادهم فجينا بهم النبي صلى الله عليه وسلم قال جميع الرواه
فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم وارجلهم من خلاف وسمر اعينهم ويروى وسمل اعينهم
وتركهم في جانب الحره يستسقون فلا يسقون وفي حديث جرير فكانوا يقولون الما ويقول
رسول الله النار وفي بعض الروايات عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احرقهم بالنار
بعد ما قتلهم وقال ابو قلابه كفروا وقتلوا واخذوا الاموال وحاربوا الله ورسوله وعن
بعض اهل العلم ان هذه الايه نزلت ناسخه لما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالعرنيين ووقع
الامر على هذه الحدود فصارت تلك السنه منسوخه بهذا القران وعند الشافعي لم يجز نسخ
السنه بالقران وكان الناسخ لهذه السنه سنه اخرى ونزل هذا القران مطابقا للسنه
الناسخه وقال بعضهم جعل الله هذه الايه عتابا للنبي عليه الصلوه والسلم على سمل الاعين وحكي
عن جماعه من اهل العلم ان هذه الايه ليست بناسخه لذلك الفعل لان ذلك الفعل وقع في مرتدين
قال ابن عطيه ولاسيما وفي بعض الروايات انهم سملوا اعين الرعا ومنها ان الايه نزلت في قوم
من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض
قال ابن عطيه ويشبه ان يكون نازله في قريظه حين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقال عكرمه والحسن
نزلت الايه في المشركين قال ابن عطيه وفي هذا ضعف لان ترك الشرك نافعه بعد القدره عليه وعلى
كل حال ومنها ان الايه في هولا الذين حكى الله عنهم من بني اسرايل انهم بعد ان غلظ عليهم عقاب
القتل العمد العدوان فهم مسرفون في القتل مفسدون في الارض فمن اتى منهم بالقتل والفساد

في الارض فجزاوهم كذا وكذا واما الاخرون الذين قالوا نزلت الايه في قطاع الطريق من المسلمين فهم اكثر الفقها
قالوا والذي يدل على ان حمل هذه الايه على المرتدين غير صحيح وجوه منها ان قطع المرتد لا يتوقف على المحاربه
ولا على اظهار الفساد في دار الاسلام والايه تقتضي ذلك ومنها انه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع
اليد ولا على النفي والايه تقتضي ذلك ومنها ان الايه تقتضي سقوط الحد بالتوبه قبل القدره وهو قوله
تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ومنها ان الصلب غير مشروع في حق المرتد وهو مشروع هاهنا
ومنها ان قوله الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا يتناول كل من كان موصوفا بهذه
الصفه سوا كان كافرا او مسلما اقصى ما في الباب ان يقال الايه نزلت في الكفار لكنك تعلم ان العبره بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب قوله الذين يحاربون هم القوم الذين يجتمعون ولهم منعه ممن ارادهم بسبب انه يحمي بعضهم
بعضا ويقصدون المسلمين في ارواحهم او في دمايهم او في اموالهم وانما اعتبرنا القوه والشوكه لان قاطع الطريق
انما يمتاز عن السارق بهذا القيد واتفقوا على هذه الحاله اذا حصلت في الصحرا كانوا قطاع الطريق فاما لو
حصلت في نفس البلد فقال الشافعي ايضا يكون ساعيا في الارض بالفساد ويقام عليه هذا الحد واذا هم في المصر
ان لم يكونوا اعظم ذنبا فلا اقل من المساواه وقال ابو حنيفه واصحابه وجماعه من اهل العلم لا يكون المحارب
المكلف الا القاطع على الناس في خارج الامصار واما في المصر فلا يريدون ان القاطع في المصر لا يقام عليه
هذا الحد بل يلزمه حد ما اجترح من سرقه او غصب او غير ذلك قيل ان المحاربه مع غير ممكنه فيجب حمله
على المحاربه مع اوليا الله والمحاربه مع رسول الله ممكنه فلفظ المحاربه لما نسب الى الله كان مجازا لان المراد
منه المحاربه مع اوليا الله واذا نسبت الى الرسول كانت حقيقه فلفظ يحاربون الله ورسوله يلزم ان يكون
محمولا على المجاز والحقيقه معا وذلك ممتنع واجيب بانا نحمل المحاربه على مخالفه الامر والتكليف
والتقدير انما جزا الذين يخالفون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا كذا وكذا والحق انه لا امتناع
في حمل اللفظ على الحقيقه والمجاز معا قوله ويسعون في الارض فسادا مفسدين وقيل نزل يسعون منزله
يفسدون بنا على ان سعيهم في الارض على طريق الفساد فيكون فسادا انتصب على انه مفعول مطلق على المعنى
ويجوز ان يكون فسادا مفعولا له للفساد قوله ان يقتلوا الايه فيه قولان احدهما ان او للتخيير على معنى
ان الامام مخير ان شا قتل وان شا صلب وان شا قطع الايدي والارجل من خلاف وان شا نفى اي واحد
من هذه الاقسام شا فعل وهو قول ابن عباس في روايه علي بن ابي طلحه وقول الحسن وسعيد
ابن المسيب ومجاهد وثانيهما ان او ههنا ليست للتخيير بل هي لبيان الاحكام اي من جمع بين القتل
واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله
لاخافه السبيل ومن افرد الاخافه نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه
ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ وهذا
قول اكثر العلما وهو مذهب الشافعي والذي يدل على ضعف القول الاول انه لو كان للتخيير لوجب ان
يتمكن الامام من الاقتصار على النفي ولما اجمعوا على انه ليس له ذلك علمنا انه ليس المراد من الايه التخيير ولان
هذا المحارب اذا لم يقتل ولم ياخذ المال فقد هم بالمعصيه ولم يفعل وذلك لا يوجب القتل كالعزم على
ساير المعاصي فثبت انه لا يجوز حمل الايه على التخيير والقياس الجلي ايضا يدل على صحه القول الثاني لان
القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ ذلك في قاطع الطريق بان صار القتل حتما لا يصح العفو
عنه واخذ المال يتعلق به القطع في غير قاطع الطريق فغلظ ذلك في قاطع الطريق بقطع الطرفين
وان جمعوا بين القتل وبين اخذ المال جمع في حقهم بين القتل والصلب لان بقاه مصلوبا في ممر الطريق
يكون سببا لاشتهار ايقاع هذه العقوبه فيصير ذلك زاجرا للغير عن الاقدام على مثل هذه المعصيه

وان اقتصر على الاخافة فحسب اقتصر السلطنة على عقوبة حقيقية وهي النفي من الارض واختلفوا في
كيفية الصلب فعن ابي حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن حتى يموت وقال الشافعي يقتل ويصلى عليه
ثم يصلب واختلفوا في النفي فعند ابي حنيفة الحبس لان المحبوس يسمى منفيا عن الارض لانه لا ينتفع بشيء
من طيبات الدنيا ولذاتها ولا يرى احدا من احبابه فصار منفيا من الارض كلها الا عن تلك البقعة
الصغيرة قال الامام لما حبسوا صالح بن عبد القدوس على تهمة الزندقة في حبس ضيق وطال لبثه
هناك ذكر شعرا منه خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا جاءنا السجان
يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا وقال الشافعي النفي المذكور في الاية محمول على وجهين احدهما
ان هولاء المحاربين اذا قتلوا واخذوا الاموال فالامام ان اخذهم اقام عليهم الحد وان لم ياخذهم طلبهم
ابدا فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني القوم الذين يحضرون
الواقعة يكثرون جمع هولاء المحاربين ويخيفون المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما اخذوا المال فياخذهم
الامام ويعزرهم ويحبسهم فالمراد بنفيهم عن الارض هو هذا الحبس لا غير وقيل ينفى من بلده كانوا وكانوا
ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة قوله ذلك لهم خزي في
الدنيا اي ذل وفضيحة الا الذين تابوا قال الشافعي انه تعالى لما شرح ما يجب على هولاء المحاربين من الحدود
والعقوبات استثنى عنه ما اذا تابوا قبل القدرة عليهم وضبط الكلام فيه ان ما يتعلق من تلك الاحكام
بحقوق الله تعالى فانه يسقط بهذه التوبة وما يتعلق منها بحقوق الادميين فانه لا يسقط فهولاء المحاربين
ان قتلوا انسانا ثم تابوا قبل القدرة عليهم كان ولي الدم على حقه في القصاص والعفو الا انه يزول وجوب
القتل بسبب هذه التوبة وان اخذ مالا وجب عليه رده لم يكن عليه قطع اليد والرجل واما اذا تاب
بعد القدرة عليه فظاهر الاية ان التوبة لا تنفعه وتقام الحدود فقوله الا الذين تابوا استثنا
من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء
ان شاوا عفوا وان شاوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما
كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرا عنه العقوبة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الله تعالى اخبر رسوله
ان قوما من اليهود هموا ان يبسطوا ايديهم الى الرسول والى اصحابه بالغدر والمكر ومنعهم
الله وكف ايديهم وشرح للرسول شدة عتوهم مع الانبياء وكمال اصرارهم على ايذائهم وامتد الكلام
الى هذا الموضع فعند هذا رجع الى المقصود الاول فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون كانه قيل قد عرفتم كمال
جسارة اليهود على المعاصي والذنوب وبعدهم عن الطاعات التي هي الوسائل للعبد الى الرب
فكونوا ايها المومنون بالضد من ذلك فكونوا متقين عن معاصي الله متوسلين اليه بطاعاته وقيل
انه تعالى حكى عنهم انهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن ابناء انبياء الله وكان افتخارهم باعمال
ابائهم فقال تعالى يا ايها الذين امنوا ليكن مفاخرتكم باعمالكم لا بشرف ابائكم واسلافكم واتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة وهذه الاية وعظ من الله تعالى بعقب ذكر العقوبات النازلة
بالمحاربين وهذا من ابلغ الوعظ لانه يرد على النفوس وهي خائفة وجلة وعادة البشر
اذا راى او سمع امر ممتحن بمكاره شديدة ان يرق ويخشع فللوعظ تاثير عظيم في تلك الحالة
والوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب به من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل
به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم

الا كل ذي لب الى الله واسل قال الامام اعلم ان مجامع التكليف منحصرة في نوعين لا ثالث لهما احدهما
ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله وثانيهما فعل الطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا
اليه الوسيلة ولما كان ترك المنهيات مقدما على فعل المامورات بالذات قدمه في الذكر وجاهدوا في
سبيله لما امر بترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي وكل منهما شاق ثقيل على النفس اردف ذلك التكليف بقوله
وجاهدوا في سبيله اي في سبيل عبوديته وطريق الاخلاص في معرفته لتحصل لكم الخلاص عن المكروه
والفوز بالمحبوب **قوله تعالى** ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا
به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم لما ارشد المومنين في هذه الاية الى معاقد جميع الخيرات ومفاتح كل السعادات
اتبعه بشرح حال الكفار وبوصف عاقبة من لم يعرف لنفسه حيوة ولا سعادة الا في هذه الدار
وذكر من جملة تلك الامور العظيمة نوعين احدهما قوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه
بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي
به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيز خبر ان قال صاحب الكشاف فان قلت لم
وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيان قلت هو نحو قوله واني وما ذكره لعرب او على اجرا
الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان تكون الواو في ومثله بمعنى مع فتوحد
المرجوع اليه وينصب المفعول معه بما تستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض
قوله ولهم عذاب اليم يحتمل ان تكون في موضع الحال ويحتمل ان تكون عطفا على الخبر وثانيهما
الوعيد المذكور في هذه الاية قوله يريدون ان يخرجوا من النار ارادتهم للخروج يحتمل وجهين احدهما
انهم قصدوا ذلك وطلبوا المخرج منها كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها قيل اذا رفعهم
لهب النار الى فوق فهناك يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون من النار لقوة النار ورفعها بالمعذبين
وثانيهما انهم يتمنون ذلك ويريدونه بقلوبهم كقوله تعالى في موضع اخر ربنا اخرجنا منها احتج اصحابنا
بهذه الاية على انه تعالى يخرج من النار من قال لا اله الا الله على سبيل الاخلاص لانه تعالى جعل
هذا المعنى من تهديدات الكفار وانواع ما خوفهم به من الوعيد الشديد ولولا ان هذا المعنى مختص بالكفار
والا لم يكن لتخصيص الكفار به معنى ومما يوكد هذا قوله ولهم عذاب مقيم وهذا يفيد الحصر وكان المعنى
ولهم عذاب مقيم لا لغيرهم كما ان قوله لكم دينكم اي لكم لا لغيركم **قوله تعالى** والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم قيل لما اوجب في الاية المتقدمة
قطع الايدي والارجل عند اخذ المال على سبيل المحاربة بين في هذه الاية ان اخذ المال
على سبيل السرقة يوجب قطع الايدي ايضا وقيل انه لما ذكر تعظيم امر القتل حيث قال
من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ذكر بعض الجنايات المبيحة
للقتل والقطع فذكر اولا قطع اليد وثانيا امر السرقة ظاهر هذه الاية ان قوله والسارق
والسارقة فاقطعوا من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير لانه اسم بعده فعل مسلط
على ما يتعلق بضميره لو سلط عليه لنصبه لكن لما اتفق القراء على الرفع ارشد ذلك الى ان المقصود
غير الظاهر قال سيبويه التقدير فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
فقوله فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة جملة ابتدائية مستقلة مع قطع النظر عن الفعل
الواقع بعدها لفظا وكذلك لو وقف على قوله والسارقة لكان حسنا وقوله فاقطعوا ايديهما جملة

اخرى مستقلة ذكرت تنبيها للحكم الموعود بذكره فلا يكون من هذا الباب لانه لا يجوز ان يقدر فاقطعوا
مسلطا على السارق والسارقة لانه مبتدا مخبر عنه بجملة اخرى ولا يستقيم عمل فعل من جملة في مبتدا
مخبر عنه بغيره من جملة اخرى ومثاله زيد مضروب فاكرمه ولا يستقيم ان يكون فاكرمه مسلطا على زيد
عاملا نصبا لاختلال الكلام بذلك وقال المبرد الالف واللام بمعنى الذى والفاء جى بها لتدل على السببية
كما في قولك الذي ياتيني فله درهم فيكون التقدير والذي يسرق والتي تسرق فاقطعوا ايديهما فالذي والتي
مبتدا وقوله فاقطعوا ايديهما خبر ولا يكون من هذا الباب لان ما هو من هذا الباب يصح عمله فيما قبله لو
لم يتسلط على ضميره او على ما يتعلق بضميره وهذا لا يصح عمله فيما قبله لانه لا يصح ان يعمل ما بعد الفاء الجزائية
فيما قبلها وهذه الفاء مشابهة لفاء الجزاء لانها تفيد توقف ما بعدها على ما قبلها كما ان فاء الجزاء ايضا تفيد
ذلك فهذه الفاء ايضا لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولذلك تعين الرفع فان فرق فارق بين الفاء الجزائية
وهذه الفاء الدالة على السببية بان فاء الجزاء انما امتنع عمل ما بعدها فيما قبلها وحينئذ يصح ان يكون
من هذا الباب اجيب بانه لا يفيد الفارق وهذا الفرق لانه لو لم يكن لفاء السببية تصدر يمنع عمل ما بعدها
فيما قبلها وجوز عمل ما بعدها فيما قبلها لا ينصب الذي قبلها بفعل مقدر يفسره ما بعد الفاء فلا ينتصب
السارق والسارقة باقطعوا مقدرا مفسرا بقوله اقطعوا المذكور بعد الفاء وحينئذ يفوت
معنى السببية في القضية لان معنى السببية انما يستقر اذا كان الاسم الذي قبل الفاء مبتدا او في حكمه
بان كان اسم ان على قول من لم يجعل ان مانعا من دخول الفاء في الخبر والجملة المصدرة بالفاء خبر له واذا
نصب ما قبل الفاء بفعل مقدر خرج عن كونه مبتدا مخبرا عنه بجملة مصدرة بالفاء او في حكم المبتدا
ضرورة منصوبا بفعل مقدر فيفوت المعنى المقصود وهو السببية والحاصل ان القول بالسببية
مناف لان يكون من هذا الباب والمبرد قائل بالسببية فلا يكون من هذا الباب قيل اية السرقة مجملة
من وجوه منها ان الحكم معلق على السرقة ومطلق السرقة غير موجبة للقطع بل لابد وان يكون سرقة
لمقدار مخصوص من المال وذلك القدر غير مذكور في الاية ومنها انه لم يبين ان القطع للايمان
او للشمائل وبالاجماع لا يجب قطعهما معا ومنها ان اليد تقع على الاصابع وحدها وعلى الاصابع
مع الكف وعلى الاصابع والكف والساعد الى المرفق وعلى كل ذلك الى المنكب ومنها ان القطع يستعمل
الشق والابانة ومنها ان المخاطبين يحتمل ان يكون كل الامة او طايفة مخصوصة منهم او شخصا معينا
منهم وهو امام الزمان وقال بعض المحققين الاية ليست بمجملة اما السرقة فلانها مناط الحكم فتعم الا اذا قام
دليل منفصل يقتضي تخصيصها واما الايدي فعامة مقتضاها قطعها لكن انعقد الاجماع على انه لا يجوز
قطعهما معا ولا الابتدا باليسرى واما ان لفظ اليد داير بين هذه الامور ممنوع بل اليد اسم لهذا العضو
الى المنكب فظاهر الاية قطع اليد من المنكب لكن ترك الظاهر لدليل منفصل واما القطع فالابانة
والشق ابانة ايضا واما الخطاب فهو مع كل احد ترك العمل به بدليل منفصل والحاصل ان الاية
عامة صارت مخصوصة بدلايل في بعض الصور فيبقى حجة في الباقي اتفق الجمهور الفقهاء ان القطع لا يجب
الا بشرطين قدر النصاب والحرز وعن ابن عباس وابن الزبير والحسن البصري ان القطع غير مشروط
بواحد من الشرطين وتمسكوا بعموم الاية حجة جمهور الفقهاء انه لا حاجة الى القول بالتخصيص بل نقول
لفظ السرقة بحسب عرف العام فانه بحسب العرف لا يقال سرقة لاخذ حبة ولا لاخذ المال من غير حرز
وايضا السرقة ماخوذة من مسارقة عين المالك وانما يحتاج الى مسارقة عين المالك لو كان المسروق امرا
يكون متعلق الرغبة وفي محل الشح والضنة حتى رغب السارق في اخذه ويضايق المسروق في دفعه الى
الغير وبهذا الطريق اعتبروا في وجوب القطع الاخذ من حرز المثل لان ما لا يكون موضوعا

في الحرز لا يحتاج في اخذه الى مسارقة الاعين فلا يسمى اخذه سرقة قال داود الاصفهاني نحن لا نوجب القطع
في سرقة الحبة الواحدة ولا في سرقة التبنة الواحدة بل في اقل شي يجري فيه الشح والضنة وذلك لان
مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فربما استحقر الملك الكبير الاف مولفة وربما استعظم الفقير طسوجا ولهذا
قال الشافعي لو قال لفلان على مال عظيم ثم فسره بالحبة يقبل قوله فيه لاحتمال انه كان عظيما عنده لغاية فقره
وشدة احتياجه اليه ولما كانت مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة وجب بنا الحكم على اقل ما يسمى مالا
وليس لقايل ان يستبعد ويقول كيف يجوز قطع اليد في سرقة الطسوجة الواحدة فان الملاحدة جعلوا
هذا طعنا في الشريعة وقالوا اليد لما كانت قيمتها خمسماية دينار من الذهب فكيف تقطع لاجل القليل
من المال ثم انا اجبنا عن هذا الطعن بان الشرع انما قطع يده بسبب انه تحمل الدناءة والخساسة في سرقة
ذلك القدر القليل فلا يبعد ان يعاقبه الشرع بسبب تلك الدناءة بهذه العقوبة العظيمة واذا كان هذا
الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا ايضا منا في ايجاب القطع في القليل والكثير قال الشافعي يجب القطع
في ربع دينار او فيما قيمته ربع دينار وهو قول عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلي ابن ابي طالب
وعايشة رضي الله عنهم وبه قال عمر بن عبد العزيز والليث وابو ثور وروي فيه قوله صلى الله عليه وسلم
لا قطع الا في ربع وقال ابو حنيفة لا يجب الا في عشرة دراهم مضروبة وروي في قوله عليه الصلوة والسلام
لا قطع الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة وقال مالك واحمد واسحق رحمة الله عليهم
مقدر بثلثة دراهم او ربع دينار وقال ابن ابي ليلى مقدر بخمسة دراهم قيل ان اخذ مال الغير يتنوع
بحسب قراينه فمنه الغصب وقرينته علم المغصوب منه وقت الغصب او علم مشاهد غيره ومنه الخيانة
وقرينتها ان الخاين قد طرق له الى المال لتصرف ما ومنه السرقة وقرينتها ان يوخذ مال لم يطرق اليه
الا على غير علم من المسروق ماله وفي خفا من جميع الناس فيما يرى السارق وهذا هو الذي يجب عليه
القطع وحده من بين اخذ الاموال بحسب هذا المنزع وقلة العذر بينه وبين الله تعالى على لسان نبيه بان القطع
لا يكون الا بقدر ان سنه العذر المسروق على اختلاف اهل العلم فيه وقد اشرنا اليه ومنها الاخراج
من الحرز وجمهور الناس في ان القطع لا يكون الا على من اخرج من حرز وقال الحسن ابن ابي الحسن
اذا جمع الثياب في البيت قطع وان لم يخرجها والحرز هو ما نصب عادة لحفظ الاموال وهو يختلف
في كل شي بحسب حاله قال ابن المنذر ليس في هذا الباب خبر ثابت لا مقال فيه لاهل العلم وانما ذلك كالاجماع
من اهل العلم وحكي عن الحسن واهل الظاهر انهم لم يشترطوا الحرز وفي الموطا عن عبد الله بن عبد الرحمن
بن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا اواها المراح
او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن ولو سرق اثنان نصابا واحدا او اكثر منه ولم يبلغ نصابين لم يجب القطع
على واحد منهما وان اشتركا في الاخراج ولم يتميز فعل احدهما عن الاخر وان انفرد كل واحد بالاخراج
قطع من بلغ مسروقه نصابا ولو طرا املاك السارق في المسروق قبل الاخراج من الحرز بارث او شرى
او غيرهما فان اخراجه لا يوجب القطع بخلاف ما لو طرا املاك السارق في المسروق بعد الاخراج فانه يجب القطع
لكنه يتعذر استيفاوه بنا على ان القطع يتوقف على دعوى المسروق منه المال ولو اتفق ذلك بعد رفع
الامر الى الحاكم لم يسقط لان صفوان ابن امية نام في المسجد وتوسد رداه فجاء سارق واخذ من تحت راسه
فاخذ صفوان السارق وجاء الى رسول الله فامر بقطع يده فقال صفوان اني لم ارد هذا وهو عليه صدقة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا فعلت قبل ان تاتيني ولو اخذ قدر الربع وتلف قبل الاخراج
كان واكل فيه او خرقه لم يجب القطع ولو كان للسارق في المسروق شركة ما حتى لو اخرج الف دينار له فيه دينار
شايع او اقل لم يجب القطع وكذا لو كان للسارق في المسروق حق كما اذا سرق اليتيم وذو القربى مما افرز لهما

من خمس الخمس وسرق الفقير من مال الصدقات او المصالح وسرق الغني من المصالح وهو مسلم وسرق
انسان فرش المسجد فانه لا يقطع بخلاف ما اذا سرق ما يقصد به الزينة كالقناديل او هو من اجزاء المسجد كالابواب
والجذوع فانه يجب القطع في جميع ذلك واذا سرق واحد من الموقوف عليهم او ابنه لا يجب قطعه وكذا اذا سرق
فقير مال وقف على الفقراء لا يقطع واذا ظن السارق ان المسروق ملكه او مال اصوله او احد فروعه او مال
سيده لا يجب القطع والموقوف يجب فيه القطع بسرقة غير الموقوف عليه واذا ادعى السارق ان المسروق ملكه
او مال اصوله او فروعه او سيده لا يجب القطع وكذا لو ادعى السارق ان المسروق ملك شريكه في السرقة
لا يجب القطع ولو اقر المسروق منه للسارق بالمسروق او اقر احد الشريكين في السرقة للاخر لا يقطع المقر وان انكر
المقر له ويقطع غير المنكر واذا سرق المسروق في موضع مغصوب لا يقطع لان الموضوع في مغصوب لا يكون محرزا
حتى لا يقطع مالك الحرز وغيره بسرقة ما فيه واذا غصب الغاصب مال غيره واحرزه مع مال نفسه في موضع
وسرق المغصوب منه مال الغاصب الموضوع مع ماله لم يقطع وكذا دون ماله واما الاجنبي فلا يقطع بسرقة المال
المغصوب ويقطع بالمال الذي مع المغصوب للغاصب سواء اخرجه مع المغصوب او دونه ولو كان المال محرزا في مستاجر
او مستعار فسرق منه الموجر والمعير قطع والاحراز في الصحرا او الشارع والمسجد والسكة المنسدة انما يكون بلحاظ شخص
سالم اللحاظ دايم بلا نوم لا كالصبي غير المميز والمجنون فان لحاظهما لا يبالي به ولو ادعى السارق نوم الملاحظ
يجب القطع وبالتولية ظهره [illegible] ساغل عن الحفظ بالملاحظة لكثرة الطارقين وقلة الملاحظين للموضوع في الشارع
ونحوه ولذا الحكم عند اجتماع الناس على باب دكان الخباز والبزاز والقصاب والطراب وغيرهم واللحاظ
الدايم هو الدايم بحسب العادة وهو اللحاظ في الاكثر وهو معتبر في موضوع غير حصين ويعتبر اللحاظ المعتاد
في الموضع الحصين كدار غلقت نهارا فان ما فيها محرز بلحاظ معتاد وبان لا يغفل عنه جميع النهار ويراجعه
حينا حينا هذا اذا كانت الدار متصلة بالدور الاهلة والزمان زمان امن دون الجور والنهب واما
اذا كان الدار متصلة بالدور لا اهلة في الليل او في زمان جور او نهب او منفصلة عن الدور الاهلة كالتي في
البادية وخربات اطراف البلد والبستان فالاحراز انما يحصل بوجود حافظ فيها بلا فتح بابه ونوم حافظه
الليل او النهار في وقت الجور او النهب فان الباب اذا كان مفتوحا والحافظ فيها في الصور التي ذكرناها
لم يكن حرزا فاما ان كان الباب مغلقا وكان من فيها نايما كان حرزا وكذا لو كان من فيها مستيقظا والباب
مفتوحا الا ان يتردد في اكناف الدار ويتغفله السارق واخذ شيئا لم يجب القطع بل لا بد فيها من الملاحظ
كما في الصحرا والامتعة المنضودة في الخيمة انما تكون محرزة بارسال الاذيال وشد الاطناب وحافظ فيها
والحانوت انما يكون حرزا بلحاظ الجيران فانه حرز للموضوع على بابه ولما لم يكن الدور المنفصلة
عن الدور الاهلة والمتصلة في الليل كالدور المتصلة في النهار في الحصانة احتاج الى زيادة وهو كون
الحافظ فيها وكذلك الخيمة لما لم تكن في الحصانة كالدور احتاج الى زيادة وهو كون الحافظ فيها ولذلك
باب الحوانيت لما لم يكن كالدور كانت حصانته بلحاظ الجيران وعرصة الخان حرز لبعض الاسباب كالدواب
والاحمال الثقيلة التي يعتاد وضعها في عرصة الخان كالقطن ونحوه ودار غلقت نهارا او كان فيها
حافظ بلا فتح ونوم لا يكون حرزا للضيف وباب الحانوت حرز للموضوع عليه الا في حق جار [illegible]
وعرصة الخان حرز لبعض الامتعة لا للساكن في الخان ودابة الاصطبل محرزة به واناء الصحن محرز
بالصحن وثوب البذلة فانه محرز بالصحن وما [illegible] معلق متصل بالعمارة محرز به سواء كان صاحبها
فيه او لم يكن فان لم يكن الباب معلقا او متصلا بالعمارة فلا بد من حافظ فيه ولذا حكم الاصطبل
والقطار وهو تسعة في الغالب محرز بالقايد في صحرا خالية او سكة مستوية مع التفاته اليها وقتا
وقتا وان لم يكن في صحرا خالية ولا سكة مستوية فالمحرز منها واحد والصحرا هي الموضع المنبسط

الواسع

الواسع والمراكب محرز بالراكب وما امامه و واحد من خلفه وما امام السائق محرز به
شرط ان ينتهي نظره اليه والكفن الشرعي محرز بالقبر لا بقبر ضايع بان لا يكون في عمارة ولا متصل
بالمقابر والخصم في الكفن الوارث اذا سرقه النباش والخصم الاجنبي ان كفن الميت والاحراز
من الحرز ولو كان بمحجن من غير ان يدخل الحرز او اخراج قدر النصاب دفعات بلا تخلل
علم المالك واعادة الحرز يوجب القطع فان تخلل علم المالك ولم يعد الحرز لم يجب القطع
واخراج قليل ثوب حشيش في جيبه دينارا وما يبلغ قيمته دينارا يوجب القطع وكذا
اخراج دينار ظنه فلسا لا يبلغ قيمة الربع يوجب القطع وكذا ثقب الكندوج وانصباب
الحب منه شيئا فشيئا يوجب القطع وكذا اخراج بذر ارض محرزة فانه يوجب القطع والارض
المحرزة هي التي تكون بجنب المزارع واخراج مال الوقف وام الولد النايمة او المجنونة
يوجب القطع وكذا اخراج احد الزوجين مال الاخر من الحرز يوجب القطع وكذا رمي المسروق
من بيت الى صحن الدار المفتوح بابها وتركه فيه من غير اخراج وكذا ابتلاع در في الحرز
وخروج الدر من جوفه خارج الحرز يوجب القطع وان لم يخرج من جوفه فلا قطع لانه
تبين انه كالمستهلك في الحرز فصار كما اذا اكل الطعام المسروق في الحرز ووضع المتاع المسروق
على ماء جار وخروج الماء به او على دابة سائرة او على دابة سيرها السارق حتى خرجت به يوجب
القطع بخلاف ما لو كان الوضع على دابة واقفة وسارت بنفسها او سيرها غير السارق فانه
لم يجب القطع ولو نام عبد على بعير وعليه امتعة تبلغ الربع فاخذ واحد بزمامه واخرجه
من القافلة وجعله في مضيعة يوجب القطع ايضا فاما اذا كان حرا فلا قطع على المخرج ولو
حمل عبدا صغيرا غير مميز او مميزا نايما او سكران او مربوطا يوجب القطع ولو حمل قويا
قادرا على الامتناع لا يوجب القطع ولو اخرج العبد الصغير من فناء دار سيده الى السكة
فحمله انسان يلزمه القطع لانه يكون محرزا بفناء دار السيد اذا حمله من دار سيده فالقطع
اولى ولو دعا انسان عبدا مميزا احادعا او مكرها لا يوجب القطع ولو خدع غير مميز
وتبعه يجب القطع ولو نقل المتاع من زاوية الحرز الى زاوية اخرى لا يوجب القطع
وكذا لو نقل حرا بثوبه الذي يبلغ قيمته الربع فانه لا يوجب القطع سواء كان الحر صغيرا او كبيرا
نايما او مستيقظا ولا ان اخرج بعض المنديل من الحرز من غير فصل عن البعض الاخر وترك
الباقي في الحرز فانه لا يوجب القطع وكذا لو اخرج جانب الكسر من الحرز كالصليب والصنم والاواني
الذهب والفضة بقصد الكسر او دون قصد ولكنه قل رضاضه لا يبلغ قيمته ربعا لا يوجب
القطع واذا سرق اولا قطعت اليد اليمنى من الكوع لا من المرفق ولو زاد اصبع على الخمس
واكتفي بالقطع باليمنى الشلاء والناقصة عن خمس باصبع واكثر ولو لم يكن من اليمين الا
كف او بعض كف اكتفى به ولو كان على معصم اليمين كفان تميز الزايد عن الاصلي وامكن
الاقتصار على قطعه لم يقطع الزايد وان لم يمكن الاقتصار فيقطعان وان لم تميز الاصلي
عن الزايد فلا يقطع الا احدهما وقال الشافعي يرد المال المسروق الباقي مع القطع
ويغرم التالف لان الاية دلت على ان السرقة توجب القطع وقوله عليه السلام على اليد
ما اخذت حتى ترد توجب الضمان وقد اجتمع الامران في السرقة فوجب ان يقع القطع والضمان
وقال ابو حنيفة لا يجمع بين القطع والغرم فان غرم فلا قطع وان قطع سقط الغرم لانه تعالى قال
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا ولم يذكر غرما وقال الامام ان كان العين باقية ردها

وان تلفت فان كان موسرا غرم وان كان معسرا لم يكن عليه شي والصحيح قول الشافعي ان السارق
يغرم ما سرق موسرا كان او معسرا قطع او لم يقطع ولذلك اذا قطع الطريق فان الحد لله لا يسقط
ما اتلف للعباد فان عاد الى السرقة ثانيا ولو كان في المسروق اولا او فقدت يمينه في
السرقة الاولى قطعت رجله اليسرى الا ان سقطت يمينه بعد السرقة بافة سماوية او بجناية فانه
يكتفي بذلك ولا يقطع رجله اليسرى ولم يقطع يمينه حتى سرق ثانيا وثالثا اكتفي بقطع اليمين للجميع
كما اذا زنى مرارا فانه يكتفي بحد واحد فان عاد ثالثا بعد قطع رجله اليسرى قطعت يده
اليسرى فان عاد رابعا قطعت رجله اليمنى ويندب ان يغمس موضع القطع في زيت مغلي
لينحسم افواه العروق لعلة الضرر ثم ان امر الامام بغمسه فلا بد فيه من اذن السارق وان لم يغمس
الامام ندب للمقطوع ان يغمسه وعلى السارق مونة الغمس فان عاد خامسا او سرق عزر ولا
يقتل ويقطع اليمين من الذمي في السرقة مال مسلم بخلاف ما اذا سرق مال ذمي اخر فانه لا يقطع
فيهما وانما يقطع اذا ترافعوا الينا ولا يقطع يمين الذمي والمستامن المعاهد في السرقة والقطع
في السرقة انما يجب بطلب المالك المال وتسمع الشهادة على السرقة بغيبة المالك ولكن لا يقطع السارق
الا بحضور المالك وتعاد الشهادة اذا احضر المالك لثبوت المال لا لوجوب القطع ويثبت المال باليمين
المردودة على المالك ولا يثبت القطع بها وللحاكم تعريض السارق بانكار السرقة مثل ان يقول ما اخالك
سرقت او ربما غصبت او اخذت باذن المالك وليس له التصريح بالانكار بان يقول اجحد السرقة او
قل ما سرقت هذا اذا لم يظهر السرقة وقد قال اصحابنا انه له التعريض سوا ظهرت السرقة باقرار
او لم تظهر وقد شرط للتعريض الحاكم بانكار السارق السرقة كونه جاهلا بالقطع لقرب عهده بالاسلام
او للنشو في بادية بعيدة عن الاسلام وقال الشافعي للسيد اقامة الحد على مملوكه لان قوله
فاقطعوا ايديهما عام في حق الكل الا ان هذا الخطاب ليس فيه ما يدل على كونه مخصوصا بالبعض دون
البعض فدخل فيه السيد ايضا ترك العمل به في غير الامام والسيد فوجب ان يبقى معمولا
به في حقهما وقال ابو حنيفة لا يملك قوله تعالى جزا ونكالا اي عقوبة مفعولا لهما والتقدير
فاقطعوا ايديهما لجزا فعلهم ونكالا لهم والله عزيز في انتقامه حكيم في شرايعه وتكاليفه نقل
عن الاصمعي انه قال كنت اقرا سورة المايدة ومعي اعرابي فقرات هذه الاية فقلت والله
غفور رحيم سهوا فقال الاعرابي كلام من هذا فقلت كلام الله فقال اعد فاعدت والله غفور رحيم
ثم تنبهت فقلت والله عزيز حكيم فقال الان اصبت قلت كيف عرفت قال يا هذا عز فحكم فامر بالقطع
فلو غفر ورحم لما امر بالقطع قوله تعالى فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم دلت الاية على ان من تاب فان الله يقبل توبته فان قيل قوله واصلح
يدل على ان مجرد التوبة غير مقبول اجيب بان المراد من قوله واصلح ان يتوب عليه بنية صادقة
وعزيمة صحيحة خالية عن ساير الاغراض اي فمن تاب من السراق من بعد سرقته واصلح امره بالتقصي عن
التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الاخرة واما القطع فلا يسقط بالتوبة لا يقطع على
سبيل الامتحان وقال بعض علما التابعين يسقط عنه لان ذكر الغفور الرحيم في اخر هذه الاية
يدل على سقوط العقوبة عنه والعقوبة المذكورة في هذه الاية هي القطع قيل الاية دالة
على ان قبول التوبة غير واجب على الله لانه تعالى تمدح بقبول التوبة والتمدح انما يحسن بفعل
التفضل والاحسان لا باداء الواجبات قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
يعذب من يشا ويغفر لمن يشا والله على كل شي قدير لما اوجب قطع اليد وعقاب الاخرة

على السارق قبل التوبة ثم ذكر انه يقبل توبته ان تاب اردفه ببيان انه يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد فيعذب من يشا ويغفر لمن يشا وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه قوبل بذلك
التقديم تقديم السرقة على التوبة نقل عن ابي حنيفة ان الاية واضحة في التعديل والتعريض
وقولهم بوجوب الرحمة للمطيع ووجوب العذاب للعاصي على الله لان الاية دالة على ان الرحمة
مفوضة الى المشية والوجوب ينافي ذلك قال الامام وافول فيه وجه اخر يبطل قولهم
ذكرا ولا الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ثم رتب عليه قوله يعذب من يشا ويغفر
لمن يشا وهذا يدل على انه انما حسن منه التعذيب تارة والمغفرة اخرى لانه مالك الخلق وربهم
والههم وهذا مذهب اصحابنا فانهم يقولون ان الله تعالى يحسن كل ما يشا ويريد لاجل كونه مالكا
لجميع المحدثات والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف شا واراد واما المعتزلة فانهم يقولون حسن
هذه الافعال من الله ليس لاجل كونه تعالى الها للخلق ومالكا لهم بل لاجل رعاية المصالح والمفاسد
وذلك يبطل بصريح هذه الاية قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين
لم ياتوك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن
يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي
ولهم في الاخرة عذاب عظيم لما بين الله بعض التكاليف والشرايع وكان قد علم من بعض الناس كونهم
متسارعين الى الكفر لا جرم صبر رسوله على تحمل ذلك وامره بان لا يحزن لاجل ذلك فقال يا ايها الرسول
والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهار الكفر بما يلوح منهم من اثار الكيد للاسلام
ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد
بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شي اذا وجدوا فرصة لم
يخطئوها قوله امنا مفعول قالوا وقوله بافواههم متعلق بقوله قالوا لا بقوله امنا اي قالوا
بافواههم امنا ولم تؤمن قلوبهم قوله ومن الذين هادوا منقطع عما قبله خبر لما بعده وهو قوله سماعون
للكذب اي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب فيكون سماعون صفة لمبتدا محذوف
ويجوز ان يعطف قوله ومن الذين هادوا على قوله من الذين قالوا ويرتفع سماعون على انه
خبر مبتدا محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين اي الفريقين الذين قالوا والذين هادوا
او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون للكذب الذي يفتريه الاحبار ويفتعلونه
من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك سمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده واستعمال
السمع بمعنى القبول متعارف مشهور وقيل معنى سماعون سامعون لا قابلون واللام في
قوله للكذب لام كي اي يسمعون منك لكي يكذبوا عليك بان يبدلوا او يغيروا ما سمعوا منك
بالزيادة والنقصان قوله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي قابلون من اليهود الذين لم يصلوا
الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من
العداوة فالمراد بقوم اخرين اليهود الذين افرطوا في العداوة الذين لم يصلوا الى مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه ولم يقدروا ان ينظروا اليه وقيل سماعون من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوا سماعين عيونا اي جواسيس
ليبلغوهم ما سمعوا من رسول الله وقيل سماعون بنو قريظة والقوم الاخرون يهود خيبر
قوله يحرفون الكلم وصفهم بصفة اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه

يغير مواضع بعد ان كان ذا موضع لعني اية الرجم اي وضعوا الجلد مكان الرجم يقولون
ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به اي ان امركم محمد
بالجلد فاقبلوا وان لم توتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل
والضلال فلا تقبلوه روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم
في التورية فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فبعثوا قوما منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم اي تسويد الوجه فاقبلوا وان
امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال
جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك
يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم
واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن
قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلام النبي فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند
باب مسجده ولما بين فضايح احوال اليهود قال ومن يرد الله فتنته والفتنة تحتمل جميع
انواع المفاسد لكنه لما ذكر عقيب انواع كفرهم التي شرحها الله ظهر انه اراد بها تلك الانواع فيكون
المعنى ومن يرد الله كفره وضلالته فلن يقدر احد على دفع ذلك منه ثم اكد هذا فقال
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم دلت هذه الاية على انه اراد كفر الكفار ولم يرد اسلامهم
وانه لم يطهر قلوبهم من الشك والشرك ولو اراد اسلامهم وتطهير قلوبهم من الشرك والشك لامنوا وهذه
الاية اشد الايات على المعتزلة ولهذا اعتسف صاحب الكشاف وفسر الاية بما لا دلالة للفظ عليه فقال
ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه
شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع
فيهم ولا تنجع ان الذين لا يومنون بايات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم قوله
لهم في الدنيا خزي المنافقين بهتك سترهم باطلاع الرسول عليه وخوفهم من القتل وخزي اليهود وفضيحتهم
وظهور كذبهم في كتمان نص الله في ايجاب الرجم واخذ الجزية منهم ولهم في الاخرة عذاب عظيم بسبب خلودهم
في النار **قوله تعالى** سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
السحت بضم السين والحاء حيث كان وابن عامر وعاصم وحمزة بضم السين وسكون الحاء حيث كان وعن نافع بفتح السين
وسكون الحاء على لفظ المصدر من سحته كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال
تعالى يمحق الله الربوا والربوا باب منه كانوا ياخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن
كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى
خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة
اي هدية القادم من سفره وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله
تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وقيل كان فقراؤهم ياخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم
عليه من اليهودية فالفقراء كانوا يسمعون الاكاذيب الاغنياء وياكلون السحت الذي ياخذونه منهم وقيل

هولا

سماعون للكذب الذي كانوا ينسبونه الى التورية اكالون للربوا لقوله تعالى واخذهم الربوا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قوله تعالى فان جاؤك خير الله النبي
عليه السلام بين الحكم بينهم وبين الاعراض عنهم قيل هذا التخيير في امر خاص وهو زنا المحصن وقيل
في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في نضير شرف وكان ديتهم دية كاملة وفي بني
قريظة نصف دية فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل الدية سواء وقيل ان هذا التخيير مختص بالمعاهدين
الذين لا ذمة لهم فان شاء حكم فيهم وان شاء اعرض عنهم وقيل ان الاية عامة في كل من جاء من الكفار وقيل الحكم ثابت في
ساير الاحكام غير منسوخ وقيل انه منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم
المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام عليهم صغارا لهم واما المعاهدون
الذين لهم عهد مع المسلمين الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير في هذه
الاية مخصوص في المعاهدين وعند ابي حنيفة ان احتكموا الى المسلمين حملوا على حكم الاسلام وان
زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم
يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهود
من قبل نزول الجزية قوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيا لانهم كانوا لا يتحاكمون الا لطلب الاسهل والاخف
كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه وصاروا اعداء له فبين
الله تعالى انه لا تضره عداوتهم له ثم قال وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم
قوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين
هذا التعجيب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من تحكيم اليهود النبي صلى الله عليه وسلم الذين لا يومنون به
وبكتابه مع ان الحكم منصوص في التورية وهو كتابهم الذي يدعون الايمان به قوله فيها حكم الله يجوز ان
يكون جملة منصوبة المحل على ان يكون حالا من التورية والتورية مبتدا خبره عندهم ويجوز ان يكون مرفوعة
المحل على ان يكون خبرا عن التورية كقولك وعندهم التورية ناطقة بحكم الله ويجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب
ويكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما
تصنع بغيري قوله ثم يتولون معطوف على قوله يحكمونك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما
في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمومنين بالتورية كما يدعون وقيل اخبار بانهم لا يومنون ابدا وهو خبر
عن المستقبل لا عن الماضي وقيل انهم وان طلبوا الحكم منك فما هم بمومنين بك والمعتقدين في صحة حكمك وذلك
يدل على انهم لا ايمان لهم بشيء اصلا وان مقصودهم تحصيل مصالح الدنيا فقط وقيل وما اولئك بالمومنين في الايمان
على سبيل التهكم بهم **قوله تعالى** انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين
هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون هذا تنبيه من الله
تعالى لليهود والمنكرين لوجوب الرجم وترغيب لهم في ان يكونوا كمتقدميهم من مسلمي احبارهم والانبياء المبعوثين
اليهم فيها هدى اي بيان الاحكام والشرايع والتكاليف ونور اي بيان التوحيد والنبوة والمعاد
وقيل هدى اي بيان الحكم الذي يستفتون عنه النبي صلى الله عليه وسلم ونور اي بيان ان امر
النبي صلى الله عليه وسلم حق يحكم بها النبيون الذين كانوا بعد موسى وذلك ان الله تعالى بعث في بني اسرائيل
الوفا من الانبيا ليس معهم كتاب انما بعثهم باقامة التورية حتى يحدوا حدودها ويقوموا بفرايضها
ويحلوا حلالها ويحرموا حرامها الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات
الجارية على الله تعالى لا للتقييد والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام

وقيل يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد عليه السلام لانه صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بين
بالرجم وكان هذا حكم التورية وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له لقوله تعالى ان ابرهيم كان امة وقوله
تعالى ام يحسدون الناس لانه قد اجتمع فيه من خصال الخير ما كان حاصلا للنبيين قوله للذين هادوا اي لاجل
الذين هادوا وفيما بينهم وقيل يجوز ان المعنى على التقديم والتاخير اي انا انزلنا التورية فيها هدى ونور للذين
هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون الزهاد والاحبار العلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة
النبيين وجانبوا دين اليهود قيل دلت الاية على انه كان يحكم بالتورية النبيون والربانيون والاحبار وهذا
يدل على ان الربانيين اعلى حالا من الاحبار ويشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار كاحاد العلماء قوله
بما استحفظوا بما سالهم انبياؤهم حفظه من التورية اي بسبب سوال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل
وحفظ كتاب الله على وجهين احدهما ان يحفظ ولا ينسى وثانيهما ان يحفظ فلا يضيع وقد اخذ الله العلماء حفظ
كتاب الله من هذين الوجهين معا احدهما ان يحفظوه في صدورهم ويدرسونه بالسنتهم وثانيهما ان لا يضيعوا
احكامه ولا يهملوا شرائعه ومن في قوله من كتاب الله للتبيين وكانوا اي كان النبيون والربانيون والاحبار
على ان كل ما في التورية حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى
وعيسى وكان بينهما الف نبي للذين هادوا يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم واباه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون
والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء
قوله فلا تخشوا الناس لما بين الله ان النبيين والاحبار جميعا والربانيين كانوا قائمين بامضاء احكام التورية
من غير مبالاة خاطب اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ومنعهم من التحريف والتغيير واعلم ان اقدام القوم على
التحريف اما لخوف او طمع والخوف اقوى تاثيرا من الطمع قدم ذكره فقال فلا تخشوا الناس واخشون فلا
تخشوا الناس في حكوماتكم واذهانكم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل واخشون اي واخشوا
عقابي ولما ذكر امر الخوف ذكر امر الطمع فقال ولا تشتروا اي ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بايات الله واحكامه
ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس اي كما نهيتكم عن تغيير احكامي للخشية من الناس فكذلك
انهاكم عن تغييرها للطمع في المال والجاه والرشوة فانها متاع الدنيا وهو قليل لكونه سحتا قليل البركة
والبقاء والمنفعة ويحتمل ان يكون اقدامهم على التحريف والتبديل لمجموع الامرين للخشية من الرؤساء
وللطمع في المال والجاه والرشوة ولما نهاهم الله من الامرين ونبه على ما في كل واحد منهما من الدناءة
والسقوط كان ذلك برهانا قاطعا في حرمة التحريف والتبديل فاشعر بالوعيد الشديد فقال ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون اي مستهينا به او منكرا بقلبه او جاحدا بلسانه اما من اعتقد
بقلبه واعترف بلسانه انه حكم الله واتى بما يضاده فهو حاكم بما انزل الله ولكنه تارك له فلا يدخل
تحت هذه الاية وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم
انتم ما كان من حلو فهو لكم وما كان من مر فلاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو
مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى
وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم
حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا **قوله تعالى**
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن
والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون بين الله تعالى في
التورية ان حكم الزاني المحصن في التورية هو الرجم واليهود غيروه وبدلوه وبين في هذه الاية انه

عام

تعالى

تعالى كتب على بني اسرائيل في التورية ان النفس بالنفس فغيروه وبدلوه ايضا وخصوا ايجاب القصاص
ببني قريظة دون النضير وقرا الكسائي العين والانف والاذن والسن والجروح جميعا بالرفع عطفا على
محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة
التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول الحمد لله وقرات سورة انزلناها او للاستيناف
والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين
والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات
قصاص وهو المقاصة وهو ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بنصب
غير الجروح فان الجروح بالرفع فالعين والانف والاذن منصوب بالعطف على النفس والجروح مبتدا
وقصاص خبره وقرا نافع وعاصم وحمزة بنصب الكل بالعطف على النفس وخبر الجميع قصاص وقرا نافع الاذن بسكون
الذال حيث وقع والباقون بالضم وهما لغتان وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وعنه يريد فرضنا
عليهم في التورية ان النفس بالنفس اي من قتل نفسا بغير قود قتل ولم يجعل الله لهم دية في نفس ولا جرح انما هو
العفو والقصاص واما الاطراف فكل شخصين جرى القصاص بينهما في جميع الاطراف اذا تماثلا في السلامة واذا
امتنع القصاص في النفس امتنع ايضا في الاطراف ولما ذكر الله تعالى بعض الاعضاء عمم الحكم في كلها فقال والجروح قصاص
قوله تعالى فمن تصدق من اصحاب الحق بالقصاص وعفى عنه فهو كفارة اي فالتصدق به كفارة للمتصدق
يكفر الله من سياته وقيل كفارة للقاتل او الجاني اي المتصدق العافي اذا عفى عن القاتل او الجاني صار
ذلك العفو كفارة للجاني لا يواخذه الله بعد ذلك العفو واما المتصدق العافي فاجره على الله
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون فقال في الاية الاولى هم الكافرون وفي الثانية هم الظالمون
والكفر اعظم من الظلم والعلة في ذكر الاخف بعد الاعظم ان الكفر من حيث انه انكار لنعمة المولى وجحود
لها فهو كفر ومن حيث انه يقتضي القاء النفس في العقاب الدائم الشديد فهو ظلم ففي الاية الاولى ذكر ما يتعلق
بالتقصير في حق نفسه **قوله تعالى** وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه
من التورية واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة
للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قفيته
مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء والمفعول
الاول في الاية محذوف وقوله على آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثارهم فقد قفاهم به
والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا فان قيل قوله مصدقا لما بين
يديه من التورية يدل على ان عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التورية من الاحكام وظاهر قوله
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
اجيب عنه بان معنى كون عيسى مصدقا للتورية انه اعترف بانه كتاب منزل من عند
الله حق وقيل في الجواب ان عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التورية من الاحكام والانجيل
مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
لا يرد ذلك لان معناه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية
وقوله ومصدقا لما بين يديه من التورية لا يكون تكرارا لان الاول في وصف عيسى
والثاني في وصف الانجيل قوله هدى اي مشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه
وبراءة الله عن الصاحبة والولد والمثل والضد وعلى النبوة وعلى المعاد قوله ونور معناه
كونه كاشفا للاحكام الشرعية والتفاصيل عند من يرى ان عيسى غير متعبد بما في التورية مس

الاحكام او كاشفا لايجاب العمل باحكام التورية عند من يرى انه كان متعبدا بما في التورية من
الاحكام قوله ومصدقا عطف على محل فيه هدى ونور فانه جملة حالية محلها النصب ومعناه
مصدقا للتورية في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله وهدى ما سالاهتدا الناس الى نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم بسبب بشارته بمجيه صلى الله عليه وسلم ولما كان اشد وجوه المنازعة بين المسلمين
وبين اليهود والنصارى هذا اعاده الله مرة اخرى تنبيها على ان الانجيل يدل دلالة واضحة صريحة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان هدى في هذه المسئلة التي هي اشد المسائل احتياجا الى
البيان والتقرير قوله وموعظة لاشتمال الانجيل على المواعظ البليغة الناكهة وانما خصها
بالمتقين لانهم المنتفعون بها كما في قوله تعالى هدى للمتقين قوله وهدى وموعظة يجوز ان
ينتصبا على الحال لقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما وانما حذف اللام منهما لاشتمالهما
على شرايط حذف اللام كانه قيل وللهدى والموعظة اتيناه الانجيل قوله تعالى وليحكم
قرا حمزة بكسر اللام وفتح الميم وهو مفعول له عطف على قوله وهدى وموعظة على تقدير ان
يجعلا مفعولا لهما كانه قال وللهدى والموعظة اتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه
من الاحكام هذا اذا جعل هدى وموعظة مفعولا لهما واما اذا جعلا في سلك مصدقا فيصنع
بقوله وليحكم ما صنع بقوله وهدى وموعظة حين جعلا مفعولا لهما فيقدر وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله اتيناه اياه فيكون مفعولا له لاتيناه المقدر بعده ولا يجوز ان يكون مفعولا له لاتيناه
المذكور المتقدم لتخلل الواو بينهما وانما لم يحذف اللام لفقد شرط الحذف وقرا الباقون بكسر
اللام والميم على سبيل الامر بمعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون اخبارا عما فرض عليهم في ذلك الوقت
من الحكم بما تضمنه الانجيل وحذف قلنا لان ما قبله من كتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول
كثير وقيل وليحكم ابتدا امر للنصارى بالحكم بما في الانجيل وهو الدلايل الدالة على نبوة محمد عليه
السلام قوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه
فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وانزلنا
اليك الكتاب المعهود اي القران مصدقا لما بين يديه من جنس الكتاب اي جنس الكتب المنزلة
ويجوز ان يكون للعهد ايضا لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع
معلوم منه وهو ما انزل من السما سوى القران ومهيمنا عليه ورقيبا على ساير الكتب لانه يشهد لها بالصحة
والثبات قال هيمن الرجل اذا كان رقيبا على الشي او شاهدا اصدقا ولا تتبع اهواهم
اي ولا تنحرف ضمن معناه فعدي بعما كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواهم
لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شرعة والشريعة في كلام العرب الشرعة التي يشرعها
الناس فيشربون منها وهي فعيلة بمعنى المفعول وهي الاشيا التي اوجب الله على المكلفين ان يشرعوا
فيها ومنهاجا طريقا واضحا في الدين يجرون عليه قيل هذه الاية دالة على انا غير متعبدين بشرع من قبلنا
فان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على انه يجب ان يكون كل رسول مستقلا بالشريعة
خاصة وذلك ينفي كون امة احد الرسل مكلفا بشريعة الرسول الاخر وقد وردت
ايات دالة على عدم التباين في طريقة الانبيا والرسل وايات دالة على التباين فيها اما الاول
فكقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله وان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقوله اوليك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده واما الثاني فمنه هذه الاية والجمع ان يحمل الاول على الاصول
الدين والثاني لفروعه قوله تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا

بسكون م

بلغ باصله

الخيرات

الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون امة واحدة اي جماعة متفقة
على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه وهذا يدل على
ان الكل بمشية الله تعالى سوا كان حقا او باطلا خيرا او شرا والمعتزلة حملوه على مشية الالجا
ولا دلالة عليه ولكن اراد ليبلوكم فيما اتاكم من الشرايع المختلفة هل تعملون بها منقادين لها
خاضعين لتكاليف الله ام تتبعون الشبه وتقصرون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا
نحوها الى الله مرجعكم جميعا استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون
معه من الجزا الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومقصركم في العمل قوله تعالى وان احكم
بما انزل الله ولا تتبع اهواهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم
انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون وان احكم معطوف على الكتاب
في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك الكتاب ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه
فعل كساير الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على قوله بالحق اي وانزلنا اليك الكتاب بالحق وبان
احكم واحذرهم ان يفتنوك ان يضلوك عن بعض ما انزل الله اليك ويستزلوك قال ابن عباس يريد
يردوك الى اهوايهم فان كل من صرف من الحق الى الباطل فقد فتن والفتنة هاهنا في كلامهم
الذي يميل عن الحق ويلقي في الباطل روي ان كعب ابن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس
من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك
فتقضي لنا عليهم ونحن نومن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فان تولوا
عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب
التولي عن حكم الله وارادة غيره فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذنب التولي عن حكم الله واراد
ان لهم ذنوبا جمة لكثرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام
لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض
وانما قصد تعظيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وكما ان التنكير يعطي
معنى التكثير وهو في معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض دلت الاية على ان الكل بارادة الله
لانه لا يريد ان يصيبهم ببعض ذنوبهم الا وقد اراد ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون
في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتدا في الكفر قوله
تعالى افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون قرا ابن عامر تبغون
بالتا على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير
طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بوا اي سوا فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك
فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل الكتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية
التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير
حكم الله واللام في قوله لقوم للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يعرفون انه لا احد اعدل من الله ولا احسن حكما منه
قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة فعسى
الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين الذين في قلوبهم

اباه

النفوس حمامها

مرض اى المنافقون مثل عبد الله بن ابى واصحابه يسارعون فى موالاتهم ويرغبون فيها يقولون اى المنافقون
يقولون على سبيل الاعتذار انما نوالهم نخالطهم لانا نخشى ان تصيبنا دايرة والداير من دواير الدهر
كالدولة وهى التى تدور من قوم الى قوم والدايرة التى تخشى كالهزيمة والحوادث المجربة والدواير تدور والدوايل
تدول وقيل نخشى ان لا يتم الامر لمحمد صلى الله عليه وسلم فيدور الامر كما كان قبل ذلك قوله فعسى الله ان ياتى
بالفتح او بامر من عنده يقطع اصل اليهود ويخرجهم عن بلادهم فيصبح المنافقون الذين فى قلوبهم مرض نادمين
على ما حدثوا به انفسهم وذلك لان المنافقين الذين فى قلوبهم مرض يشكون فى امر رسول الله ويقولون
فى انفسهم لا نظن انه يتم له امر وبالحرى ان تكون الدولة والغلبة لاعدايه وقيل او امر من عنده يعنى ان يومر
النبى صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل يعنى او امر من عند الله
لا يكون للناس فيه فعل كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ايجاف خيل
عليهم ولا ركاب **قوله تعالى** ويقول الذين امنوا اهولا الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين قرا ابن عامر يقول بغير واو وكذلك فى مصاحف اهل الحجاز
والشام والعراق قال الواحدى حذف الواو ههنا كاثباتها لان فى الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف
عليها فان الموصوفين بقوله يسارعون فيهم هم الذين قال فيهم المومنون اهولا الذين اقسموا بالله فلما
حصل فى كل واحد من الجملتين ذكر من الاخرى حسن العطف بالواو وبغير الواو وقال صاحب الكشاف
حذف الواو على انه جواب قايل يقول فماذا يقول المومنون حينيذ فقيل يقول الذين امنوا
اهولا الذين اقسموا والذين امنوا اما ان يقول هذا القول بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما
من الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص اهولا الذين اقسموا باغلاظ الايمان انهم اولياوكم ومعاضدوكم
على الكفار واما ان يقول الذين امنوا هذا القول لليهود لان المنافقين حلفوا لليهود بالمعاضدة
والنصرة كما حكى الله عنهم ولين قوتلتم لننصرنكم قرا ابو عمرو ويقول الذين امنوا بالنصب
على معنى وعسى ان يقول الذين امنوا واما من رفع فانه جعل الواو وعطف جملة على جملة قوله
حبطت اعمالهم يحتمل ان يكون من جملة قول المومنين اى بطلت اعمالهم التى كانوا تكلفوها فى راى اعين
الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط الله اعمالهم فما اخسرهم ويحتمل ان يكون من قول الله
شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجبا من سوء حالهم فاصبحوا خاسرين فى الدنيا والاخرة فانه لما بطلت
اعمالهم بقيت عليهم المشقة فى الاتيان بتلك الاعمال ولم يحصل لهم شى من ثمراتها ومنافعها بل استحقوا
اللعن فى الدنيا والعقاب فى الاخرة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا من يرتدد منكم عن دينه
فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون
لومة لايم ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله واسع عليم قرا ابن عامر ونافع يرتدد بدالين
والباقون بدال واحدة مشددة وهذه الاية من الكاينات التى اخبر عنها فى القران قبل كونها
قيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج
ورييسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسى كان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه
الله على يدى فيروز الديلمى بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر
المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبره فى اخر شهر ربيع الاول
وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد
رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدايه واظهار الملمث على اعدايهم او ما ياتيهم

اما بعد فان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله عنه
بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس
فى الاسلام اراد فى جاهليتى واسلامى وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع فى عهد ابى بكر رضى الله عنه
فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاة بن عبد ياليل وبنو يربوع
قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية التى زوجت نفسها بمسيلمة الكذاب وفيها
يقول المعرى ابو العلاء فى كتاب استغفر واستغفرى امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة فى بنى الدنيا وكذاب
وكندة قوم جبلة ابن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم
ويحبونه معنى الاية يا ايها الذين امنوا من يتول منكم الكفار فيرتد عن دينه فليعلم ان الله ياتى بقوم اخرين
ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه قيل هم ابو بكر واصحابه لانهم هم الذين قاتلوا اهل الردة قالت عايشة
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من العرب الفرق المذكورة ونزل بابى ما لو نزل بالجبال الراسيات
لهاضها وقيل نزلت فى الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل
نزلت فى اهل اليمن وروى مرفوعا انه لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى موسى الاشعرى
فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة الف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افنا الناس جاهدوا
يوم القادسية وقيل هم الفرس لانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما سيل عنهم ضرب على عاتق سلمان
وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابنا فارس وقيل نزلت فى على رضى
الله عنه يدل عليه وجهان الاول انه عليه السلام لما دفع الراية الى على يوم خيبر قال لادفعن الراية
الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذا هو الصفة المذكورة فى الاية والثانى انه تعالى
ذكر بعد هذه الاية قوله انما وليكم الله الاية وهذه الاية فى حق على فكان الاولى جعل ما قبلها فى حقه
ايضا قوله يحبهم ويحبونه قد ذكر الكلام فى المحبة فى سورة البقرة فى تفسير قوله والذين امنوا اشد
حبا لله وفيه دقيقة وهى انه تعالى قدم محبته لهم على محبتهم له لانه لولا انه تعالى احبهم لما وفقهم ان
صاروا محبين والراجع من الجزا الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف ياتى الله بقوم
مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل قال صاحب الكشاف واما ذلول فجمعه ذلل
ومن زعم انه من الذل الذى هو نقيض الصعوبة فقد غبى عن ان ذلولا لا يجمع على اذلة وليس المراد
بكونهم اذلة هو انهم مهانون بل المبالغة فى وصفهم بالرفق ولين الجانب فان من كان ذليلا عند
انسان لا يظهر شيا من التكبر والترفع بل لا يظهر منه الا الرفق واللين اعزة على الكافرين اى يظهرون
الغلظة والشدة والترفع على الكافرين وقيل يعادونهم اى يغالبونهم من عزه اذا غلبه كانهم مشددون
عليهم بالقهر والغلبة وانما قال اذلة على المومنين ولم يقل للمومنين لانه ضمن الذل معنى الحنو والعطف
كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ولانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المومنين
خافضون لهم اجنحتهم فذكر كلمة على حتى تدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم فيفيد ان كونهم اذلة
ليس لاجل كونهم ذليلين فى انفسهم بل ذاك التذلل انما كان لاجل انهم ارادوا ان يضموا الى علو منصبهم
فضيلة التواضع قوله يجاهدون فى سبيل الله اى لنصرة دين الله قوله ولا يخافون لومة لايم
قيل الواو للحال على معنى انهم يجاهدون فى سبيل الله وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين
فان المنافقين كانوا يراقبون اليهود ويخافون لومهم فاذا خرجوا فى جيش المسلمين خافوا اولياهم اليهود
فلا يعملون شيا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المومنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون

لومة لائم وقيل الواو للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من
امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول القائل ولا اعتراض معترض ولا لومة
لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم قال صاحب الكشاف وفيه وفي التنكير مبالغتان
كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام قوله ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف القوم بالمحبة والذلة
والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة فضل الله يؤتيه من يشاء اي كل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده وهذا
صريح في ان طاعات العباد مخلوقة لله تعالى قال صاحب الكشاف يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا وهو تاويل
بعيد عن الصواب قوله واسع كامل القدرة كثير الفواضل عليم بجميع الاشياء **قوله تعالى** انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون عقب النهي عن موالاة الكفار
الذين يجب الاحتراز عن موالاتهم ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة قال صاحب الكشاف
فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على
طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل
انما اولياؤكم الله ورسوله والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع قوله وليكم مرفوع على انه مبتدا
وقوله الله خبره ورسوله والذين امنوا معطوفان على الله وقوله الذين يقيمون محله الرفع على البدل
من الذين امنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفي قوله الذين يقيمون تمييز للذين
امنوا المخلصين من الذين امنوا نفاقا قوله وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع
هو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى
يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع في صلاته
فطرح له خاتمه كانه كان مرجا اي واسعا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد بمثله صلاته
وانما جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه
ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء
حتى ان لزمهم امر لا يقبل التاخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها اعلم ان الشيعة قالوا
هذه الاية دليل على ان الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه وتقرير
احتجاجهم والجواب عنه مذكور في اصول الدين قوله ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا
فان حزب الله هم الغالبون الحزب اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رايه وهم القوم الذين
يجتمعون لامر حزبهم قال الحسن حزب الله جند الله وقيل اولياء الله وقيل شيعة الله وقيل انصار الله وقيل
حزب الله الذين يدينون بدينه ويطيعونه وينصرونه قوله فان حزب الله هم الغالبون جملة
واقعة موقع خبر المبتدا او قوله فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر معناه ومن يتولى
الله ورسوله فانهم هم الغالبون ولانهم بوضع الظاهر موضع المضمر جعلوا اعلاما لكونهم حزب
الله وقيل يحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتول الرسول والمؤمنين
فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا
دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين نهى الله تعالى
في الاية المتقدمة عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء ثم ذكر هاهنا النهي عن اتخاذ الذين اتخذوا دين
الاسلام هزوا ولعبا وعن اتخاذ الكفار على العموم روي ان رفاعة بن زيد وسويد
بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم
هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اولياء انما يصح ان يقابل بالبغضاء والشنآن والمنابذة ومعنى

معاداتهم

اتخاذهم

اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اولياء انما يصح ان يقابل اظهار ذلك باللسان
مع الاصرار على الكفر في القلب والكفار قرا ابو عمرو والكسائي بالجر عطفا على قوله الذين
اوتوا الكتاب اي من الذين اوتوا الكتاب ومن الكفار والباقون بالنصب عطفا على قوله الذين اتخذوا
وهذا العطف يقتضي امتياز اهل الكتاب من الكفار لان العطف يقتضي المغايرة وقوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب صريح في كونهم كفارا والتوفيق ان يحمل الكفار ههنا على المشركين خاصة لان كفرهم اغلظ
واعظم فيحسن بهذا السبب تخصيصهم باسم الكفر والدليل عليه قراءة عبد الله من الذين اشركوا واتقوا الله في موالاة
الكفار وغيرهم ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء الدين **قوله تعالى** واذا ناديتم
الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون الضمير المنصوب في قوله اتخذوها
للصلوة او للنداء قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت
فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينادي الى الصلوة وقام المؤمنون اليها فقالت اليهود قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق
الاستهزاء فنزلت الاية وقيل كان المنافقون يتضاحكون عند القيام الى الصلوة تنفيرا للناس عنها
وقيل قالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع فيما مضى فان كنت نبيا فقد خالفت فيما احدثت جميع
الانبياء فمن اين لك صياح كصياح البعير فانزل الله هذه الاية قيل دلت الاية على ثبوت الاذان
بنص الكتاب لا بالمنام وحده قوله هزوا ولعبا امران لانهم عند اقامة الصلوة يقولون هذه الاعمال
التي اتيتم بها استهزاء بالمسلمين وسخرية منهم فانهم يظنون انا على دينهم مع انا لسنا كذلك ولما اعتقدوا
ان ليس فيها فائدة ومنفعة في الدين والدنيا قالوا انها لعب ذلك بانهم قوم لا يعقلون لانه لو كان
لهم عقل لعلموا ان تعظيم الخالق المنعم وخدمته مقرونة بغاية التعظيم لا يكون هزوا ولا لعبا بل هي احسن
اعمال العباد واشرف افعالهم ولان هزوهم ولعبهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم
قوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل وان اكثركم فاسقون لما حكى الله عن اهل الكتاب انهم اتخذوا المناداة هزوا ولعبا
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم هل تنقمون منا الا ان امنا يقال نقمت الشيء اذا انكرته والمعنى يا
اهل الكتاب هل تكرهون وتنكرون وتعيبون منا الا الايمان بالله وبما انزل الينا وبما انزل من
قبل يعني لا ينبغي ان تنقموا اما الايمان بالله فهو راس جميع الطاعات واما الايمان بالقران الذي
انزل الينا وبما انزل من الكتب كلها فهو الحق والصدق ولانه ثبت حقيقتها وصدقها بالمعجزات
الساطعة والبينات القاطعة واما الاقرار بالبعض دون بعض فهو باطل قوله وان اكثركم
فاسقون قيل معطوف على ان امنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم
عن الايمان كانه قيل وهل تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون
منه وقيل يجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي هل تنقمون منا الا ولا تنقمون ان اكثركم
فاسقون وقيل يحتمل ان يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم
لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة والحرص على كسب الاموال لا يدعكم
فتنصفوا فالمروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسالوه عمن يؤمن به من الرسل
فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الى قوله ونحن له مسلمون فلما سمعوا ذكر عيسى
جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم

قوله ذلك اشارة الى المومنين اي هل انبيكم بشر من المومنين على زعمكم من لعنة الله وقيل ذلك اشارة الى
ما ينقمون من ايماننا ولابد من حذف مضاف قبل ذلك او قبل من والاول تقديره هل انبيكم بشر من اهل
ذلك الايمان والثاني تقديره هل انبيكم بشر من ذلك الايمان على زعمكم دين من لعنه الله في محل الرفع
على ذلك هو من لعنه لقوله تعالى قل افانبيكم بشر من ذلكم النار كان قايلا قال من ذلك فقيل هو من
لعنه الله وقيل يجوز ان يكون على البدل من بشر والمعنى انبيكم بمن لعنه الله قوله مثوبة منصوبة على التمييز
وزنها مفعولة لقولك مقوله وهي بمعنى المصدر وقد جات مصادر على مفعول كالمعقول والميسور
والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان وضعت موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ومنه فبشرهم بعذاب اليم فهي استعارة تهكمية فان قلت المعاقبون من الفريقين اي المومنين واليهود
هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة فان قوله بشر من ذلك يقتضي مشاركتهم في اصل الشر اجيب بانه كان
اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله عقوبة في شر الحقيقه
واليقين من المومنين في زعمكم ودعواكم عن ابن عباس من لعنه الله بالجزيه وغضب عليه بعبادة العجل
فهو شر مثوبة عند الله وعن ابن عباس ان المسخين من اصحاب السبت مسخ شبانهم قردة ومشايخهم
خنازير وقيل القردة اصحاب السبت والخنازير كفار مايدة عيسى وكان ابن قتيبه يقول انا اظن ان
هذه القردة والخنازير هي المسوخ باعيانها توالدت واستدل لقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير
فدخول الالف واللام يدل على المعرفه وعلى انها القرود التي تعاين ولو كان اراد شيا انقرض ومضى
لقال وجعل منهم قردة وخنازير قوله وعبد الطاغوت قرا حمزة بفتح العين والدال وضم البا وخفض
الطاغوت قال ثعلب ليس له وجه الا ان يجمع فعل على فعل وقال الزجاج وجهه ان الاسم بني على فعل
كما تقول رجل حذر اي مبالغ في الحذر فالمعنى جعل منهم من بالغ في عبادة الطاغوت الى الغايه والباقون
بفتح العين والبا والدال ونصب الطاغوت وفيه وجهان احدهما ان المعنى وجعل منهم القردة
والخنازير ومن عبد الطاغوت فعلى هذا الموصول محذوف والثاني ان المعنى من لعنه
الله وعبد الطاغوت قال اصحابنا هذه الايه تدل على ان عبادة الطاغوت التي هي الكفر
بارادته تعالى لان تقديرها لايه وجعل الله منهم من عبد الطاغوت وانما يعقل معنى هذا الجعل
اذا كان هو الذي جعل فيهم تلك العباده وقالت المعتزله معناه ان الله خذلهم حتى عبدوها
او انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به لقوله وجعلوا الملايكه الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت
العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عباده
للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس اطاعوا الكهنة والاحبار وكل من اطاع احدا في معصية
الله فقد عبده روي انه لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير
فينكسون روسهم اولئك اي اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا من المومنين جعل الشر للمكان
وهو لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر لان شر المكان لا يفارق شر اهله وهو
من باب الكنايه لقولهم فلان طويل النجاد كثير الرماد وحاصله يرجع الى الاشارة الى الشي بذكر لوازمه
وتوابعه واضل عن سواء السبيل اي عن قصد السبيل والدين الحق **قوله تعالى** واذا جاءوكم
قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون قال قتادة هولا ناس
من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه انهم مومنون بما جاء به
وهم على النفاق فاخبر الله الرسول بشانهم وانهم قد دخلوا بكفرهم وهم قد خرجوا من مجلسك
بكفرهم اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين فالكفر معهم في مجالسهم لم يتعلق بهم شي مما سمعوا به من

تذكر

تذكرك بايات الله ومواعظك وقوله بالكفر به حالان وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك
قوله وقد دخلوا او قوله وهم قد خرجوا حالان ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال
ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لايحة عليهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متوقع بقوله قالوا امنا اي قالوا ذلك وحالهم
هذه والفايدة في ذكرهم في قوله وهم قد خرجوا التاكيد في اضافة الكفر اليهم لم يتعلق بهم
شي من تذكيرك ولم يتغير حالهم وكفرهم وقيل فايدة هم نفي ان يكون من النبي صلى الله عليه وسلم
ما يقتضي كفرهم اي لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم معك ما يوجب كفرا فيكون انت الذي
القيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر كما دخلوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون والغرض منه
المبالغه فيما في قلوبهم من الجد والاجتهاد في المكر بالمسلمين والكيد بهم والبغض والعداوة لهم وقوله
قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبيس ما كانوا يعملون
المسارعة في الشي الشروع فيه بسرعة في الاثم اي الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان
الظلم وقيل الاثم الكفر وهو كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدى منهم الى غيرهم واكلهم السحت اي الرشوة في الحكم والدين والربوا قوله كثيرا منهم لان كلهم
ما كان يفعل ذلك بل كان بعضهم يستحي فيترك والمسارعة انما تستعمل غالبا في الخير قال تعالى
يسارعون في الخيرات وسارعوا الى مغفرة وكان اللايق بهذا الموضع لفظ العجلة الا انه تعالى ذكر
لفظ المسارعة ليفيد انهم كانوا يقدمون على هذه المعاصي والمنكرات كانهم محقون فاعلون الخير
ولفظ الاثم يتناول جميع المعاصي فلما ذكر تعالى العدوان واكل السحت دل على ان هذين النوعين
اعظم المعاصي **قوله تعالى** لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبيس
ما كانوا يصنعون لولا هاهنا للتحضيض والتوبيخ بمعنى هلا والله وبخ الربانيون والاحبار بعدم نهيهم
عن ارتكاب المعاصي وهذه الايه من اشد الايات على تارك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله
تعالى جمع بين فاعل المنكر وتارك الانكار في الذم قال ابن عباس ما في القران ايه اشد توبيخا من هذه
الايه وقوله في الايه الاولى لبيس ما كانوا يعملون وفي هذه الايه لبيس ما كانوا يصنعون دال على
ان تارك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اسوء من المسارعين في الاثم والعدوان واكل السحت
لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه فجعل
ذنب المرتكب للمعاصي ذنبا غير راسخ وذنب التارك للنهي عن المنكر ذنبا راسخا قال صاحب
الكشاف فكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصيه معه الشهوة التي تدعو اليها وتحمله على ارتكابها
واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع
ولعمري ان هذه الايه مما يقد السامع وينعى على العلما توانيهم **قوله تعالى** وقالت
اليهود يد الله مغلوله غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشا وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الفاسقين الى يوم القيامه كلما اوقدوا

(في الهامش: والقينا بينهم العداوه والبغضا)

كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين
عن ابن عباس نزلت الايه في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه قالوا يد الله مغلوله
قيل في سبب قولهم ان الله تعالى كان قد بسط الرزق لليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا
فلما عصوا الله في امر محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه ولكفروا به كف الله تعالى بعض ما كان
بسط لهم فقالوا يد الله مغلوله وهو قول ابن عباس وعن قتاده ان الله تعالى استقرض

منهم كما استعرض من هذه الامه فقالوا ان الله بخيل ويده مغلوله فهو يستقرضنا وقيل ان النصارى
لما اعانوا بخت نصر المجوسي على تخريب بيت المقدس قالت اليهود لو كان الله قديرا لمنعنا منه فيده مغلوله
والمغلول اليد الممسكه المقبضه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل
يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط
ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان متعاقبان على معنى واحد
حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطا قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها
ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطا جزيلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان
وقعتا متعاقبتين للجود والبخل وقد استعملوها حيث لا تصح اليد لقول لبيد اذ اصبحت بيد الشمال
وقول الاخر جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت يداه ملاءه وهاده ويقال بسط اليأس
كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفين قال صاحب الكشاف ومن
لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الايه ولم يتخلص من يد
الطاعن اذا عبثت به فان قيل قد صح ان قوله يد الله مغلوله عبارة عن البخل فينبغي ان يكون قوله
غلت ايديهم عبارة عن البخل ليطابق ما تقدمه ولا يتنافر الكلام ولا يزل عن سننه اجيب بانه يجوز
ان يكون معناه الدعا عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله ونحو بيت الاشتر بقيت … وفري
وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعا عليهم بغل الايدي حقيقه يغللون في الدنيا اسارى
وفي الاخره معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما
تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قيل كيف جاز ان
يدعو الله عليهم اجيب بان الله تعالى يعلمنا ان ندعو عليهم بهذا الدعا كما علمنا الاستثناء
في قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وكما علمنا الدعا على المنافقين في
قوله فزادهم الله مرضا وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب وقيل انه اخبار قال الحسن
غلت ايديهم في نار جهنم على الحقيقه اي شدت الى اعناقهم جزاهم على هذا القول فان
قيل فاذا كان هذا الغل انما حكم به جزاهم على القول كان ينبغي ان يقال فغلت ايديهم
اجيب بان حرف الفا حذف لفايده وهي انه لما حذفت كان قوله غلت ايديهم كالكلام
المبتدا به فيزيد قوه وتاثيرا لان الابتدا بالشي يدل على شدة الاهتمام به وقوة الاعتنا
بتقريره ونظيره قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقره قالوا
اتتخذنا هزوا ولم يقل فقالوا وايضا الجواب سوال مقدر قال صاحب الكشاف
المراد به الدعا بالخزي لان الذي تنسوا به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم
او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسو الاحدوثه التي تخزيهم وتمزق اعراضهم
ونحن ابنا على اصله قوله ولعنوا بما قالوا اي عذبوا في الدنيا بالجزيه وفي الاخره بالنار
قوله بل يداه مبسوطتان ثنى اليد وهي مفرده في يد الله مغلوله ليكون رد قولهم
وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخا له ونفي البخل عنه وذلك لان غاية ما يبذله
السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك واعلم ان ايات كثيره
من القران ناطقه باثبات اليد فتارة مفرده قال الله تعالى يد الله فوق ايديهم وتارة
مثناه قال الله بل يداه مبسوطتان وقال تعالى خلقت بيدي وتارة جمعا قال تعالى مما
عملت ايدينا انعاما ولا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى قول المشبهه انها عضو جسماني كما في حق

ط

كل احد واتفق جمهور العقلا الموحدين على ان الظاهر غير مراد ثم افترقوا فرقتين فرقه
يقولون لا يعلم تاويله الا الله ولا يشتغلون بتاويله وهذا طريق السلف وفرقة اخرى هم
المتكلمون يقولون لا يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فيذكرون لها تاويلات منها ان
اليد النعمه يقال لفلان عندي يد اشكره عليها ومنها ان اليد القوه قال الله تعالى اولي الايدي والابصار
اي اولي القوى والعقول وحكى سيبويه انهم قالوا لا يدين لك بها والمعنى سلب كمال القدره ومنها الملك يقال
هذه الضيعه في يد فلان اي في ملكه قال تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك ومنها كمال العنايه
والاختصاص قال تعالى لما خلقت بيدي والمراد تخصيص ادم بهذا التشريف والعنايه فانه تعالى هو الخالق
لجميع المخلوقات اذا عرفت هذا فنقول اليد في حق الله تعالى يمتنع ان يكون بمعنى الجارحه واما ساير
المعاني فهو متحقق وزعم الشيخ ابو الحسن الاشعري ان اليد صفة قايمه بذات الله غير القدره من شانها
التكوين على سبيل الاصطفا والذي يدل على هذا انه تعالى جعل وقوع خلق ادم بيديه علة لكرامته
واصطفايه فهو العلم بالنسبه الى كل المخلوقات على السوا فلا بد من صفة اخرى ورا القدره يقع بها
التكوين على سبيل الاصطفا وزعم اكثر المتكلمين ان اليد في حق الله عبارة عن القدره والنعمه والتثنيه
باعتبار كمال القدره وكمال النعمه فبني المجاز على ذلك قوله تعالى ينفق كيف يشا اي يخلق ويرزق
كيف يشا ان شا بسط وان شا قدر قال تعالى ويبسط الرزق لمن يشا ويقدر قوله وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك اي القران طغيانا تماديا في الجحود وكفرا بايات الله والطغيان ههنا الغلو في الكفر وقيل
وليزيدن بني النضير ما انزل اليك من ربك من امر الرجم والدما طغيانا والنصارى وقيل بين فرق اليهود
فكلمتهم ابدا مختلفه وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد ولبعضهم جبريه وبعضهم قدريه وبعضهم
موحده وبعضهم مشبهه كلما اوقدوا والمراد واحاربه احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وايقاد
النار عبارة عن اجتهادهم في المحاربه وقيل ان الاصل في استعارة اسم النار للحرب ان القبيله من العرب
كانت اذا ارادت حرب اخرى اوقدت النار على روس الجبال والمواضع المرتفعه ليعلم استعدادهم
للحرب فيتاهب من يريد اعانتهم وقيل كانوا اذا تحالفوا على الجد في حربهم اوقدوا نارا وتحالفوا
قيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وقيل كلما مكروا مكرا رده الله وكلما جمعوا للحرب رسول الله
فرقهم الله وقيل اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوريه فبعث الله عليهم
بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا
فسلط الله عليهم المسلمين وعن قتاده لا تلقى اليهود ببلده الا وجدتهم اذل الناس ويسعون
يجتهدون بالمعاصي ومحو ذكر النبي من كتبهم ودفع الاسلام وبالكفر والظلم والله لا يحب المفسدين
يدل على ان الساعي في الارض بالفساد ممقوت عند الله قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب
امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم لما بالغ في ذمهم وتقبيح احوالهم
بين انهم مع ما عددنا من سيئاتهم لو امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به واتقوا
الشرك لكفرنا عنهم سيئاتهم التي سلفت ولادخلناهم جنات النعيم وفيه اعلام بعظم سيئات اهل
الكتاب اليهود والنصارى وكثرة معاصيهم ودلاله على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب
التوبه عليهم وان عظمت معاصيهم وان النجاة من النار والفوز بالجنه لا يمكن الا بالايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم حتى انهم بالغوا في محو ذكر النبي عن كتبهم قوله تعالى ولو انهم اقاموا
التوريه والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصده وكثير
منهم سا ما يعملون لما بين في الايه الاولى انهم لو امنوا لفازوا بالسعادات الاجله الاخرويه

وكفروا والقينا اي بين اليهود والنصارى وقد بعدهم
في قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود

من م

بين في هذه الايه انهم لو اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لنالوا اللذات العاجله
الدنيويه اي اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل
اليهم من ربهم من كتب انبيا بني اسرائيل وقيل القران لانهم لما خوطبوا به كان نازلا اليهم قوله لاكلوا من
فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعه والخصب لا ان هناك فوقا وتحتا والمعنى لاكلوا اكلا متصلا
كثيرا وقيل لافيض عليهم بركات السما بنزول المطر وبركات الارض بحصول النبات كما قال تعالى في الاعراف
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وقيل ان يكثر الاشجار المثمره والزروع
المغله وقيل ان يرزقهم الجنان اليانعه الثمار يجتنون ما يهدل منها من روس الشجر ويلتقطون ما تساقط
على الارض من تحت ارجلهم ولما كان ترجيهم العمل بالتوريه والانجيل لاجل حطام الدنيا جعل جزا اقامتهما نيل
اللذات الدنيويه قوله منهم امة مقتصده الاقتصاد الاعتدال في القول والفعل من غير غلو ولا تقصير
قيل المراد من الامه المقتصده الذين امنوا من اهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام واصحابه وثمانيه واربعون
من النصارى فانهم على القصد من دينهم وعلى النهج المستقيم منه ولم يميلوا في الافراط والتفريط وقيل
المراد هاهنا امه من اهل الكتاب وسط في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون فيهم عناد
شديد ولا جحود كامل وكثير من اهل الكتاب سا ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء عملهم
وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه الروم **قوله تعالى** يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان
لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة الفاسقين قوله بلغ جميع ما انزل اليك
واي شي انزل اليك غير مراقب معه احدا ولا خايف ان ينالك مكروه قوله وان لم تفعل
اي وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته قرا نافع رسالاته وفي الانعام حيث يجعل
رسالاته على الجمع وابو عمرو والكساي وحمزه في المايده على الواحد وفي الانعام والاعراف
على الجمع وابن كثير في الجميع على الواحد وابن عامر وابو بكر عن عاصم في الجميع على الجمع قال
صاحب الكشاف وقرى رسالته فلم تبلغ اذا ما كلفت من ادا الرسالات ولم تود منها شيا
قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالادا من بعض فاذا لم يود بعضها فكانك اغفلت اداها جميعا
كما ان من لم يومن ببعضها كان كمن لم يومن بكلها لادا كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في
حكم شي واحد والشي الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مومنا به غير مومن به وفي وقوع قوله
فما بلغت رسالاته جزا للشرط وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات
وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفا لشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شي
وان كانت كلمه واحده فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس
بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله
من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الي ان
لم تبلغ رسالاتي عذبتك وعن ابن عباس ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي عن الحسن ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما بعثني برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهاب قريشا واليهود والنصارى فانزل الله هذه الايه
وعن مجاهد لما نزلت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا رب كيف اصنع انما انا وحدي يجتمع علي الناس فانزل الله تعالى وان لم تفعل فما بلغت
رسالته والله يعصمك من الناس وعن مقاتل لما دعا اليهود والنصارى عليهم جعلوا يستهزون به

به فخرض بهذه الايه قوله والله يعصمك عدة من الله تعالى بالحفظ والعصمه والمعنى يضمن لك العصمه من اعدائك
فما عذرك في مراقبتهم فان قيل اين ضمان العصمه وقد شج جبينه وكسرت رباعيته واوذي في ذاته ففيه جوابان احدهما
انه عصمه من القتل والاسر وتلف الجمله وفيه ان عليه عليه الصلوه والسلام ان يحتمل كل ما دون القتل
والاسر في ذات الله فما اشد تكليف الانبيا عليهم الصلوه والسلام وثانيهما ان هذه الايه نزلت بعد ما جرى
عليه ذلك يوم احد لان المايده من اواخر ما نزل والمراد بالناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم
الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن ابي هريرة نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم تحت شجره وعلق سيفه عليها فجا رجل فاخذه فقال يا محمد من يمنعك مني فقال صلى الله
عليه وسلم الله فنزل قوله والله يعصمك من الناس وعن عايشه سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليله
فقلت ما شانك فقال الا رجل صالح يحرسني الليله فبينما نحن في ذلك اذ سمعت صوت السلاح فقال من هذا
فقال سعد وحذيفه جينا نحرسك فنام رسول الله حتى سمعت غطيطه فنزلت والله يعصمك من الناس
فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من قبة ادم وقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من
الناس **قوله تعالى** يا اهل الكتاب لستم على شي حتى تقيموا التوريه والانجيل وما انزل اليكم
من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين لما امر بالتبليغ
فقال قل يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لستم على شي من الدين اي على دين يعتد به حتى يسمى شيا لفساده
وبطلانه كما تقول هذا ليس بشي تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شي قوله فلا تاس اي
فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك ولا الى المومنين وقيل لا تتاسف
بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك قيل سبب نزولها ان
اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست تومن بما عندنا من التورية وتشهد انها حق قال بلى ولكنكم
احدثتم وجحدتم ما فيها فانا بري من احداثكم فقالوا ونحن على الهدى وناخذ بما في ايدينا ولا نومن بك
فنزلت هذه الايه **قوله تعالى** ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابيون رفع على الابتدا
وخبره محذوف والنيه به التاخير عما في خبر ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابيون كذلك فحذف الخبر وانشد سيبويه شاهدا له
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وقيل ارتفاعه
على انه معطوف على محل ان واسمها لكونه في الحقيقه مبتدا ورد هذا بانه انما يصح ارتفاعه
بالعطف على محل ان واسمها بعد ذكر الخبر تقول ان زيدا منطلق وعمرو ولا يصح ذلك قبل
الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان لانك لو رفعته بالعطف على محل ان واسمها
لكان العامل في محلها هو الابتدا ولو كان كذلك لكان العامل في خبرها هو الابتدا ايضا
لان الابتدا هو العامل في المبتدا والخبر معا وحينيذ يلزم ان يكون الخبر الواحد مرفوعا
بان وبمعنى الابتدا فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وانه محال قال الامام هذا الكلام
ضعيف من وجوه منها ان هذه الاشيا التي يسميها النحويون رافعه وناصبه ليس معناها انها كذلك
لذواتها فان هذا لا يقوله عاقل بل المراد انها معرفات بحسب الوضع والاصطلاح لهذه الحركات
واجتماع المعرفات الكثيره على الشي الواحد غير محال كالمحدثات بالنسبه الى الباري تعالى ومنها
انه بنا على ان ان عامله في نصب الاسم ورفع الخبر والكوفيون ينكرون ذلك ويقولون لا عمل لها
في الخبر ومنها ان الاشيا الكثيره اذا عطف بعضها على البعض فالخبر الواحد لا يكون خبرا عن الجميع

لان الخبر عن الشيء عبارة عن تعريف حاله وبيان صفته ومن المحال ان يكون حال الشيء وصفته عين حال
الاخر وعين صفته لامتناع الصفة الواحدة للذوات المختلفة فالخبر في اللفظ وان كان واحدا فهو متعدد
في التقدير وحينئذ لا يمتنع ان يكون البعض مرتفعا وبعض بالابتدا فلم يلزم اجتماع رافعين على مرفوع واحد والذي
يحقق ذلك انه سلم ان بعد ذكر الاسم والخبر جاز الرفع والنصب في المعطوف واذا عطف اسم على اسم ان قبل ذكر
الخبر حكم العقل بانه لابد من الحكم بتعدد الخبر فذلك انما يحصل باضمار الاخبار الكثيرة وعلى هذا التقدير يسقط ما ذكر
من الالزام قال صاحب الكشاف فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل
الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير اي فالحال ان النية به
التاخير واذا كان النية به التاخير كان مثل قولك ان زيدا منطلق وعمرو والكلام في جوازه قلت لاني اذا رفعته
رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتدا فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتدا ينتظم الخبر
في عمله كما ينتظمه ان في عملها فلو رفعت الصابيون المنوي به التاخير بالابتدا وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين
مختلفين فان قلت فقوله والصابيون معطوف لابد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة
معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره وهذه الجملة لا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما
التقديم والتاخير الا لفايدة فما فايدة هذا التقديم قلت فايدته التنبيه على ان الصابيين يتاب عليهم ان صح منهم
الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابيين ابين هولا المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابيين
الا لانهم صبوا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف
بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم
واثبت قدما فان قلت فلو قيل الصابيين واياكم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم
في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى
الاعتراض في الكلام من الذين امنوا قيل اراد بالذين امنوا الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون وقيل
اراد بمن امن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه ومحل من امن الرفع على الابتدا وخبره فلا خوف
عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط فانه موصول صلته فعل ثم الجملة كما هي خبر ان وقيل محله النصب
على البدل من اسم ان وما عطف عليه اي على البدل من المجموع من المعطوف عليه والمعطوف او على البدل
من المعطوف على اسم ان والراجع الى المبتدا محذوف تقديره من امن منهم ولما بين ان اهل الكتاب ليسوا على
شيء مما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في الكل وانه لا يحصل لاحد فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا وذلك لان الانسان له قوتان نظرية يعرف بالحق وعملية يعمل الخير واشرف المعارف
معرفة الله وكمال معرفته انما يحصل بان يعلم انه قادر على الحشر والنشر فاشرف المعارف الايمان بالله واليوم
الاخر وافضل الخيرات في الاعمال المواظبة على الاعمال المشعرة بتعظيم المعبود والسعي في ايصال النفع الى الخلق
كما قال عليه السلام التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ثم بين تعالى ان من امن بالله وعمل صالحا فلا خوف
عليهم بسبب ما يشاهدون من اهوال القيامة ولا هم يحزنون بسبب ما فاتهم من طيبات الدنيا لوجدانهم
ما هو اطيب واشرف مما كانت لهم في الدنيا **قوله تعالى** لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل وارسلنا
اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لقد اخذنا ميثاق بني
اسرايل بخلق الدلايل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال قال مقاتل اخذ ميثاقهم في التورية
ان يعملوا بما فيها قال ابن عباس كان فيمن كذبوا محمد وعيسى وفيمن قتلوا زكريا ويحيى قال الزجاج فاما التكذيب
فاليهود والنصارى يشتركون فيه واما القتل فيختص اليهود وارسلنا اليهم رسلا بتعليم الشرايع والاحكام
قوله كلما جاءهم رسول جملة شرطية صفة لقوله رسلا والراجع محذوف اي كلما جاءهم رسول

مم

منهم بما لا تهوى انفسهم بما لا تحبه انفسهم بان يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكاليف
والعمل بالشرايع وجواب الشرط محذوف فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لا يصلح لان يكون
جوابا للشرط فانه ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان يقول ان اكرمت
اخي اخاك اكرمت فان العامل مستحسن ادخالها تشبيها بالجملة الاسمية فيتحرك لكن قوله فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون يدل عليه كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم بما لا تهوى انفسهم ناصبوه الحرب وعادوه وفو
فريقا كذبوا جواب مستانف لقايل يقول كيف فعلوا برسلهم فقيل فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جي بقوله
يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها
قوله وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون
قرا حمزة والكسائي وابو عمرو الا تكون فتنة بالرفع والباقون بالنصب وذكر الواحدي لهذا تقريرا
حسنا فقال الافعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره نحو العلم والتيقن والتبين
فما كان مثل هذا وقع بعده ان الثقيلة ولم تقع بعده الخفيفة الناصبة للمضارع لان الثقيلة تدل على
ثبات الشيء واستقراره فاذا كان العلم بالله يدل على الثبات والاستقرار وان الثقيلة تفيد هذا المعنى
حصلت بينهما ملايمة ومناسبة مثاله من القران قوله تعالى ويعلمون ان الله هو الحق المبين الم يعلموا ان الله هو
يقبل التوبة عن عباده الم يعلم بان الله يرى وفعل يدل على عدم الثبات والاستقرار نحو اطمع واخاف
وارجو فهذا لا يستعمل فيه الا الخفيفة الناصبة للمضارع قال تعالى والذي اطمع ان يغفر تخافون ان
يتخطفكم الناس فخشينا ان يرهقهما وفعل يقع على الوجهين نحو حسبت واخواتها فتارة تستعمل بمعنى اطمع
وارجو فيما لا يكون ثابتا مستقرا وتارة بمعنى العلم فيما يكون ثابتا مستقرا اذا عرفت هذا فنقول يمكن اجرا الحسبان
هاهنا بحيث يفيد الثبات والاستقرار لان القوم كانوا جازمين بانهم لا يقعون بسبب ذلك التكذيب والقتل في الفتنة
والعذاب ويمكن اجراوه بحيث لا يفيد الثبات من حيث انهم كانوا يكذبون ويقتلون بسبب حفظ الجاه والنفع
وكانوا يقتلونهم عارفين بان ذلك خطا ومعصية واذا كان اللفظ محتملا لكل واحد من هذين المعنيين لا جرم
ظهر الوجه في صحة كل واحد من هاتين القرائتين وقد رجح صاحب الكشاف النصب على الظاهر والرفع على ان ان هي المخففة
من الثقيلة اصله انه لا يكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان ودخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق
تنزيلا لحسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم وسد ما اشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند
اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرايل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلا وعذاب في الدنيا
والاخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كرة ثانية بطلبهم روية الله جهرة وقيل عموا وصموا في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم تاب الله
على بعضهم حيث وفقوا للايمان به ثم عموا وصموا كثير منهم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم الا ان جمعا منهم
امنوا به مثل عبد الله بن سلام واصحابه كثير منهم بدل من الضمير المرفوع في **قوله** ثم عموا
وصموا والابدال كثير في القران قال تعالى والذي احسن كل شيء خلقه وقال ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه وهذا الابدال في غاية البلاغة فانه لما قال ثم عموا وصموا اوهم ذلك ان كلهم
صاروا كذلك فلما قال كثير منهم عرف ان هذا الحكم للكثير منهم لا للكل وقيل خبر مبتدا محذوف
اي هم كثير منهم واوليك كثير منهم وقيل على قولهم اكلوني البراغيث والله بصير بما يعملون من تكذيب
الرسل وقتل الانبيا وفيه تهديد عظيم **قوله تعالى** لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار لما استقصى في الكلام مع اليهود شرع في الكلام

مع النصارى فحكى عن فريق منهم انهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية لانهم يقولون ان
مريم ولدت الها ثم حكى عن المسيح انه قال يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه
وبينهم في انه عبد مربوب مثلهم وقدم قوله ربي على قوله وربكم لانه هو الاهم فانهم معترفون بان
الله ربهم منكرون لانه ربه وهذا احتجاج قطعي على النصارى لان عيسى عليه السلام لم يفرق بين نفسه
وبينهم في انه مربوب محدث قوله انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله
فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه لا يمنع المحرم من المحرم عليه
وما للظالمين من انصار قيل من كلام الله على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك
لم ينصر الله قولهم ولم يساعدهم عليه ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره
وقيل من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لانه محال عقلا او ولا ينصركم
ناصر في الاخرة من عذاب الله واحتج اصحابنا به على ان عقاب الفساق من المومنين لا يكون مخلدا لانه تعالى
جعل اعظم انواع الوعيد والتهديد في حق المشركين هو ان الله حرم عليه الجنة وماواهم النار وانه ليس
لهم ناصر ينصرهم ولا شافع يشفع لهم فلو كان حال الفساق من المومنين كذلك لما بقي لتهديد المشركين على شركهم
بهذا الوعيد فايدة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم
ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ثلثة مجرور بالاضافة ولا يجوز نصبه لان معناه
واحد ثلثة اما اذا قلت رابع ثلثة فيجوز الجر والنصب لان معناه الذي صير الثلثة اربعة بكونه فيهم
وقولهم ان الله ثالث ثلثة اراد وان الله ومريم وعيسى الهة ثلثة شاهده قوله أانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله بقوله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وواحد من ثلثة الهة والذي يدل على
ان المراد ذلك قوله تعالى في الرد عليهم وما من اله الا اله واحد ولا يكفر من يقول ان الله ثالث
ثلاثة اذا لم يرد به انه ثالث ثلاثة الهة فانه ما من شي الا والله ثالثه بالعلم لقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقيل انهم يقولون جوهر واحد ثلثة اقانيم اب وابن وروح
قدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان اسم الشمس يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات
وبالابن الكلمة وبالكلمة الحيوة وقالوا ان الكلمة هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الما بالخمر
والشجر واختلاط الما باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد وهذا
معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلثة ولا يوجد مقالة
اشد فسادا واظهر بطلانا من مقالة النصارى قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق ومن هي
المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف
بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا
اقاموا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية قال صاحب الكشاف من في قوله ليمسن الذين كفروا
منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم
قلت في اقامة الظاهر مقام المضمر فايدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي
البيان فايدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا بالنصارى انهم اي النصارى بمكان من الكفر والمعنى
ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني
عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون قوله
تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وعد عظيم اي يغفر لهؤلاء مع هذا الكفر
العظيم ان تابوا عن الكفر ولغيرهم قوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل

وامه

وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون قد خلت من قبله الرسل
صفة لرسول اي ما المسيح ابن مريم الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء المسيح بن مريم
بايات من الله كما اتى الرسل من قبله بايات من الله ان ابرا الله الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا
العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وفجر من الحجر اثنتي عشرة عينا على يد موسى وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من
غير اب وامه وامه صديقة اي وما ام المسيح الا كبعض النسا المصدقات المومنات بهم وقيل صديقة اي
صدقت بايات ربها وبكل ما اخبر عنه ولدها قال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه اي وقيل انه تعالى
قال فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وكلمها جبريل وصدقته فوقع عليها اسم الصديقة وقيل ان المراد
بكونها صديقة غاية بعدها عن المعاصي وقوة جدها في العبودية فان الكامل في هذه الصفة يسمى صديقا
قال تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والمعنى وما منزلة المسيح وامه الا منزلة
بشرين احدهما نبي والاخر صديق فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به ساير الانبيا والصديقين
مع انه لا تمييز ولا تفاوت بينهما بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام
لان من احتاج الى الغذا بالطعام وما يتبعه من الهضم والدفع لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق
واعصاب وعضلات ورباطات واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم اي شدة شهوة اللحم وغير ذلك مما يدل
على انه مصنوع مولف مدبر كغيره من الاجسام فكيف يكونان الهين فان الاله هو الغني المطلق عن جميع الاشيا
انظر كيف نبين لهم الايات الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم ثم انظر انى يوفكون يقال افكه يافكه افكا
اذا صرفه والافك الكذب لانه صرف عن الحق ومعنى التراخي في قوله ثم انظر ما بين العجبين يعني انه بين لهم
الايات بيانا عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه قوله تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم هذه حجة اخرى على بطلان قول النصارى وذلك ان الاله هو الغني
عما سواه ويكون كل من سواه محتاجا اليه وهو يملك لكل ما سواه ضرهم ونفعهم وعيسى لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
اتعبدون من دون الله ما لا يملك اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصايب
في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما
يفعله البشر من المضار والمنافع فباذن الله وارادته واختياره لا بقدرة البشر فلا يملك البشر منه شيئا وهذا
دليل قاطع على ان امر عيسى مناف للربوبية حيث جعله لا يملك لهم ضرا ولا نفعا والرب تعالى يملك لكل ما
سواه ضرا ونفعا لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق بقوله اتعبدون اي اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ولا يحسونه وهو سميع قولكم ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز
والله هو السميع العليم اي يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولا يكون كذلك الا وهو حي قادر قوله تعالى
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا
عن سوا السبيل لما تكلم الله اولا على اباطيل اليهود ثم تكلم ثانيا على اباطيل النصارى واقام الدلايل القاطعة
والحجج الساطعة على بطلانها امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب الفريقين بهذا الخطاب لا تغلوا اي
لا تجاوزوا في دينكم الحد يقال غلا في الامر يغلو غلوا اي جاوز فيه الحد غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا
في دينكم غلوا غير الحق اي باطلا لان الغلو في الدين غلوان غلو حق وهو ان يفحص عن حقايقه ويفتش عن
دقايقه ويجتهد في تحصيل دلايله وتحقيق براهينه كما يفعله المتكلمون من اهل السنة والجماعة رضوان الله عليهم
وغلو غير حق اي باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة الواضحة والاشارات اللايحة
واتباع الهوى والشبه كما يفعله المعتزلة واهل الاهوا والبدع ولا تتبعوا اهوا قوم اي مذاهب قوم يدعو
اليها الشهوة دون حجة قال الشعبي ما ذكر الله لفظ الهوى في القران الا ذمه قال تعالى ولا تتبع الهوى

فيضلل واتبع هواه فتردى وما ينطق عن الهوى افرايت من اتخذ الهه هواه ولم يوجد الهوى يستعمل الا في الشر
لا يقال فلان يهوى الخير يقال يريد الخير ويحبه وقيل الهوى اله يعبد من دون الله وقيل سمي الهوى هوى لانه
يهوي بصاحبه في النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواك فقال ابن عباس كل هوى
ضلالة اراد بقوله قوم المبهم في النصرانية وصفهم بثلاثة اوصاف الضلال فبين انهم كانوا على الضلال
من قبل اي قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والاضلال اي واضلوا كثيرا من شايعهم على التثليث والضلال
عن سواء السبيل اي وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه و
وبغوا عليه قيل يحتمل ان يكون المراد بالضلال الاول الضلال عن الدين وبالضلال الثاني الضلال عن طريق
الجنة **قوله تعالى** لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين
كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لما خاطب اهل الكتاب بهذا
الخطاب وصف اسلافهم فقال لعن الذين كفروا انزل لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى
قال اكثر المفسرين ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا قردة
ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه
احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الف رجل ما فيهم امراة ولا
صبي وقيل ان اليهود كانوا يفتخرون بانا من اولاد الانبياء فذكر الله هذه الاية ليدل على انهم ملعونون
على السنة الانبياء وقيل ان داود وعيسى عليهما السلام بشرا بمحمد ولعنا من كذب به قوله تعالى ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشديد الذي كان سبب المسخ بسبب العصيان والاعتداء
ثم فسر العصيان والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر اي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه
فالتناهي تفاعل من النهي وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الامر وتناهى عنه اذا كف
عنه لبئس ما كانوا يفعلون اللام في لبئس للقسم قوله لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من
سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم والنهي والانتهاء عن معاودة منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله
وهيئوا اسبابه واحضروا الاته او عن الاصرار على منكر فعلوه وانما وقع ترك التناهي عن المنكر
تفسيرا للعصيان والاعتداء من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو
اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه فتحا لباب الفساد واغراء على الفساد فيكون اعتداء قوله تعالى
لما وصف اسلافهم بما تقدم وصف الحاضرين منهم بانهم يتولون الذين كفروا وعبدة الاصنام هم منافقوا
اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم قيل المراد كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين
على الرسول قوله لبئس اي لبئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الاخرة قوله ان سخط الله هو المخصوص بالذم
ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الاخرة سخط الله اي ما هو علامة سخط الله **قوله** ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون اي ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه ايمانا خالصا غير نفاق لما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان
موالاة المشركين واتخاذهم اولياء كفى به دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان حق ولكن كثيرا
منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى وما انزل
اليه في التورية كما ادعوا لما اتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك مذكور في التورية في شرع موسى
قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون وصف

الله

الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وغاية عداوتهم للذين امنوا ولين عريكة النصارى
وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وقرب مودتهم للذين امنوا وجعل اليهود قرينا للمشركين في
شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدم اليهود في شدة العداوة بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك
فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعن ابن عباس وسعيد ابن جبير وعطاء والسدي
المراد به النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على الرسول صلى الله عليه وسلم وامنوا به ولم يرد جميع
النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال اخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من خالفهم في
الدين باي طريق كان فان قدروا على القتل فذاك والا فبغصب المال والسرقة او بنوع من المكر والكيد
والحيلة واما النصارى فليس مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام واللام في قوله لتجدن لام الابتداء
وقال الزجاج لام قسم ودخلت النون الثقيلة لتفصل بين الحال والاستقبال واللام في قوله للذين امنوا
متعلق بقوله عداوة ومودة على معنى ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان
مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ولم يصف الله تعالى
النصارى بانهم اهل ود وانما وصفهم بانهم اقرب من اليهود والمشركين الى مودة المؤمنين بالنسبة الى متباعدين
وفي قوله الذين قالوا انا نصارى اشارة الى ان المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم من النصارى ليسوا
على حقيقة النصرانية بل هم نصارى قولا منهم وزعما قوله ذلك اشارة الى كون النصارى اقربهم مودة للذين
امنوا اي بسبب كون النصارى كذلك ان منهم قسيسين اي علماء ورهبانا اي عبادا وانهم لا يستكبرون اي
انهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم بخلاف اليهود وعن عروة ابن الزبير ضيعت النصارى الانجيل
وادخلوا فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم على الحق وكان اسمه قسيسا فمن كان على هديه ودينه
فهو قسيس وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه توافق اللغتين وفيه
دليل بين على ان العلم انفع شيء واهدى الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وعلى ان
الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وان كان في راهب وعدم الاستكبار وان كان في نصراني نافع
قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون
ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين اي واذا سمع القسيسون والرهبان ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع معناه تمتلي من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلي الاناء وغيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه
فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء اقامة للمسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في
وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت
عينه دمعا ومن في قوله مما عرفوا لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدا ونشا من معرفة وكان من
اجله وسببه ومن في قوله من الحق لتبيين الموصول الذي هو ما في قوله مما عرفوا ويحتمل معنى
التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القران واحاطوا
بالسنة وصفهم الله تعالى برقة القلب وانهم يبكون عند استماع القران يحكى عن النجاشي انه قال
لجعفر ابن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون هل في كتابكم ذكر مريم
قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقراها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرا سورة طه الى قوله هل
اتاك حديث موسى فبكى النجاشي واخذ تبنة من الارض وقال والله ما زاد على ما في الانجيل مثل
هذا وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا
قوله يقولون ربنا امنا اي اثبتنا للايمان ودخلنا فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة

محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهدا على الامم يوم القيامه وهو ماخوذ من قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وقيل فاكتبنا
مع كل شاهد شهد من انبيايك ومومني عبادك بانك لا اله غيرك والرويه في قوله ترى رويه العين
وقوله تفيض حال من اعينهم وكذا قوله يقولون حال **قوله تعالى** وما لنا لا نومن بالله وما
جانا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين انكار واستبعاد لانتفا الايمان بالله وبما جانا
من الحق مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم مع القوم الصالحين وقيل لما رجعوا
الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نومن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس
بايمان بالله ومحل لا نومن النصب على الحال بمعنى غير مومنين كقولك مالك قايما والواو في ونطمع
واو الحال والتقدير ونحن نطمع لكون الجمله اسميه فيحسن دخول الواو والعامل في الحال الاولى
اى لا نومن ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اى شى حصل لنا غير مومنين والعامل في الحال الثانيه
التي هي قوله ونطمع معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم
يكن كلاما اذ لا معنى له ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نومن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون
الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين ويجوز ان يكون معطوفا على لا نومن على معنى وما لنا نجمع بين
التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بين الايمان والطمع بالدخول في الاسلام
لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين **قوله تعالى** فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا المحسنين ظاهر الايه يدل على انهم انما استحقوا ذلك الثواب بمجرد
القول لانه تعالى قال فاثابهم الله بما قالوا وذلك غير ممكن لان مجرد القول لا يفيد الثواب واجيب
عنه من وجهين الاول انه قد سبق من وصفهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفه وذلك في
قوله مما عرفوا من الحق فلما حصلت المعرفه والاخلاص وكمال الانقياد ثم انضاف اليه القول كمل الايمان
وايضا قوله في اخر الايه وذلك جزا المحسنين يدل على ان قولهم مشفوعه بالعباده المقرونه بالاخلاص
فان المحسن هو الذي يعبد الله تعالى كانه يراه فان لم يكن يرى الله فالله يراه وعن ابن عباس انه قال
قوله تعالى بما قالوا يريد بما سالوا اعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين **قوله تعالى** والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اوليك اصحاب الجحيم لا غيرهم والمصاحب للشي هو الملازم له الذي لا ينفك عنه فهذا يقتضي
تخصيص هذا الدوام بالكفار فهذه الايه داله على ان الخلود في النار انما هو للذين كفروا وكذبوا
بايات الله فالمومن الفاسق لا يخلد في النار لانه لم يكفر ولم يكذب بايات الله **قوله تعالى** يايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين انه تعالى لما استقصى
في المواعظه والمجادله مع اهل الكتاب وبين التفاوت بين الفريقين وما هو سبب التفاوت
عاد بعده الى بيان الاحكام وذكر جملة منها فبدا بما يتعلق بحل الطيبات فقال يايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامه
لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار ولم يزدهم على التخويف فرق الناس فبكوا واجتمعوا
عشره من اصحابه في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا
يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النسا والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا
الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته ام حكيم احق ما بلغني عن زوجك واصحابه
فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان

فقد

فقد صدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى عثمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبا انكم اتفقتم
على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله فقال عليه السلام اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم
واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النسا والطعام
والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني
ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا
تشركوا به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم
لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم اولئك بقاياهم في الاديار
والصوامع فانزل الله هذه الايه ومعنى لا تحرموا لا تمنعوا طيبات ما احل الله لكم انفسكم كمنع
التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغه منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وقوله
طيبات ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ من الحلال وقيل طيبات ما احل الله لكم يعني اللذات
التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب وقيل معنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله لكم وقيل
لا تحرموا على غيركم بالفتوى وقيل لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين ونظير هذه الايه قوله تعالى لم تحرم ما
احل الله لك وقيل لا تخلطوا المغصوب بالمملوك اختلاطا لا يمكنه التمييز فيحرم الكل فذلك الخلط سبب
لتحريم ما كان حلالا والايه محتمله لكل هذه فتحمل على كلها قوله ولا تعتدوا اى ولا تتعدوا حدود ما
احل الله لكم الى ما حرم عليكم وقيل جعل الله تحريم الطيبات اعتدا وظلما فنهى عن الاعتدا ليدخل تحته
النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه وقيل ولا تعتدوا بتحريم الطيبات فيكون المراد
بالاعتدا هو تحريم الطيبات فقط **قوله تعالى** وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي
انتم به مومنون كلوا امر اباحه قوله مما رزقكم الله من للتبعيض كانه قال اقتصروا في الاكل على
بعض ما رزقكم واصرفوا البقيه الى الصدقات والخيرات ولا تسرفوا في الاكل وهذا يدل على انه
تعالى قد تكفل برزق كل احد فانه لو لم يتكفل برزقه لما قال كلوا مما رزقكم الله واذا تكفل
برزقه وجب ان لا يبالغ في الطلب قوله حلالا طيبا حلالا مما رزقكم الله عن عبد الله بن المبارك
الحلال ما اخذته من جهته والطيب ما غذا ونما فاما الجوامد والطين والتراب وما لا يغذي
فمكروه الا على جهة التداوي قوله واتقوا الله الذي انتم به مومنون تاكيد للتوصيه بما امر به
وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مومنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتها الى ما
امركم به وعما نهى عنه **قوله تعالى** لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما
عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير
رقبه فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين
الله لكم اياته لعلكم تشكرون هذا نوع ثان من الاحكام المذكوره قيل لما نزل قوله
تعالى يايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا
التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فانزل الله لا يواخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يواخذكم بما عقدتم قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم عقدتم
بتشديد القاف بلا الف وحمزه والكسائي وابو بكر عن عاصم بتخفيف القاف بغير الف
وابن عامر عاقدتم بالالف والتخفيف قال الواحدي يقال عقد فلان العهد واليمين والحبل

عقد الاوله واحكمه ومثل ذلك ايضا عقد بالتشديد اذا وكد ومثله عاقد بالالف فمن
قرا بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير يقال عقد زيد يمينه وعقدوا ايمانهم وزيف ابو عبيده
قراة التشديد لان التشديد للتكرير مرة بعد مرة فالتشديد يوجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحده
لانها لم تتكرر واجاب الواحدي عنه من وجهين الاول ان بعضهم قال عقد بالتخفيف والتشديد
واحد في المعنى والثاني هب انه يفيد التكرير كما في قوله وغلقت الابواب الا ان هذا التكرير يحصل
بان يعقد بقلبه ولسانه ومتى جمع بين القلب واللسان فقد حصل التكرير اما لو عقد اليمين باحدهما دون
الاخر لم يكن تعقيدا واما من قرا بالالف فانه من المفاعلة التي تختص بالواحد مثل عافاه الله وطارقت
النعل وعاقبت اللص وما في قوله بما عقدتم مصدرية اي بعقدكم الايمان او بمعنى ما عقدتم الايمان
ومعنى الجميع توثيقها بالقصد والنية وفيه حذف والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف
وقت المواخذة وهو وقت الحنث لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف قوله فكفارته
اي فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها اطعام عشرة مساكين اعلم
ان الاية دالة على ان الواجب في كفارة اليمين احد الامور الثلثة على التخيير فمن لم يجد احد الامور الثلاثة
فالواجب عليه صيام ثلثة ايام والواجب المخير هو احد الامور الثلاثة من غير تعيين والاتيان
بالخاص يستلزم الاتيان بالعام وقالت المعتزلة الكل واجب على معنى انه لا يجب الاتيان بالكل ولا
الاخلال به فلا خلاف في المعنى وقيل الواجب معين عند الله تعالى دون الناس ورد بان التعيين
ينافي التخيير والتخيير ثابت بالنص فينتفي التعيين وانما قلنا ان التعيين ينافي التخيير لان لازم
التعيين منع ترك المعين ولازم التخيير جواز ترك المعين وبين المنع والجواز منافاة وتنافي اللازمين
يستلزم تنافي الملزومين قيل لا نسلم ان يكون التعيين منافيا للتخيير فانه يجوز ان يختار المكلف
المعين عند الله تعالى او يعين الله تعالى ما يختار المكلف او يسقط المعين بفعل غيره ورد الاول
بانه يفضي الى تفاوت المكلفين والنص يا باه والثاني بان الوجوب متحقق قبل اختياره والثالث ان
النص والاجماع دالان على ان الاتي بايها ات بالواجب لا بمسقطه قوله اطعام عشرة مساكين
واختلفوا في قدرها اطعام كل مسكين مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث وكذلك
في جميع الكفارات هو قول زيد بن ثابت وبن عباس وبن عمر وسعيد بن المسيب والقاسم وسالم
وسليمان ابن يسار وعطا والحسن واحتجوا بحديث الاعرابي فان فيه فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكتل من تمر فيه خمسة عشر صاعا من تمر قال خذ هذا فاطعمه وخمسة عشر صاعا
اذا قسمت على ستين مسكينا وقع نصيب كل مسكين مد وقال ابو حنيفة نصف صاع من بر او
صاع من غيره وتغديتهم وتعشيتهم وهو قول عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما والشعبي
والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم والضحاك واحتجوا بحديث النبي صلى الله عليه
وسلم انه اتى بوسق ستين صاعا فاعطاه رجلا وجبت عليه كفارة وقال اعطه ستين مسكينا
وقال علي بن ابي طالب ومحمد بن كعب رضي الله عنهما غدا او عشا من اوسط ما تطعمون قيل
من خيار ما تطعمون عيالكم فلو انه يقتات البر لم يجز ان يعطي الشعير وقيل من اقصده لان منهم
من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وقيل المراد من كان متوسطا في العرف فهو مد
من الحنطة اذا جعلت دقيقا وجعل خبزا يصير قريبا من المن وذلك كاف في قوت اليوم
الواحد ظاهرا وقيل المراد ما كان متوسطا في الشرع فلم يرد في الشرع له مقدار الا في موضع
واحد وهو ما روي في حديث الاعرابي المفطر فانه يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع

بلغ بأصله

وهو مد وعند الشافعي الاوسط هو ادنى ما يكفي وعند ابي حنيفة الاوسط هو الاعلى وعند
الشافعي لا يجوز ان يعطي اقل من عشرة مساكين وقال ابو حنيفة ان اعطى مسكينا واحدا عن عشرة ايام جاز
وقال الشافعي لا يجوز ان يعطي الكفارة الا حرا مسلما عاقلا محتاجا ولا يجوز ان يعطي العبد
ولا الاغنيا ولا الكفار لقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم والكفار اسفه الناس لقوله
تعالى الا انهم هم السفهاء وقال ابو حنيفة ان اعطى الكفار اهل الذمة جاز واما الزكوة فلا
يجوز ان تعطى اهل الذمة لقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا والاسير لا
يكون الا من الكافرين قوله او كسوتهم عطف على محل من اوسط لان من اوسط بدل من الاطعام
والابدال هو المقصود ولان المبدل منه في حكم المنحى فكانه قيل كفارته من اوسط ما تطعمون او كسوتهم
والكسوة ثوب واحد ما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او سراويل او كساء او عمامة
ونحوها وهو قول ابن عباس والحسن والحكم ومجاهد وعطا والباقر واليه ذهب الشافعي
وقال اخرون ثوب جامع اي للازار والرداء ولا يجزي فيه العمامة وهو مذهب النخعي وابي حنيفة
وقال مالك اقل ما يجزي فيه الصلوة وقال سعيد بن المسيب والضحاك لكل مسكين ثوبان واحتجا
بان ابا موسى الاشعري لزمته الكفارة فكسا عشرة مساكين لكل مسكين واحد ثوبين ومعقدا
من معاقد البحرين وقال شهر بن حوشب ثوب ثمنه خمسة دراهم قوله او تحرير رقبة قال
الشافعي الايمان شرط في كفارة اليمين والظهار والجماع ككفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه
فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل حجة الشافعي ان الله عز وجل قال في
كفارة القتل فتحرير رقبة مومنة فقيده واطلقه في سايرها فيحمل المطلق على المقيد
وانه روي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوجبت فقال
اعتق رقبة فجا برقبة اعجمية الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم من ربك
فعممها فاشارت انه واحد فقال من انا فاشارت الى السما اي انك رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مومنة واوجب لفظه مطلقة بحملها وروى ابو سلمة عن الشريد ان
امه اوصت ان يعتق عنها رقبة فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امي اوصت ان يعتق عنها رقبة
وعندي جارية مومنة سودا افاعتقها قال فادع بها فجاء فقال من ربك قالت الله قال فمن انا قالت
انت رسول الله قال اعتقها فانها مومنة واتبع ابو حنيفة ظاهر الاية ويجوز في الكفارة من
الرقاب الصغير والكبير والذكر والانثى فاما اذا كان معيبا بعيب يمنعه من العمل فلا يجزيه مثل
الاعمى والاشل والمقعد والمجنون والمطبق والاخرس وان كان عيبا خفيا لا يمنعه من العمل مثل
الاجذع والمقطوع ونحوهما فيجزيه وهذا كما نقول في الكسوة ان كان الثوب لبيسا قد بلي وانقطع
منه جل المنفعة لم يجزه وان لبس لبسا خفيفا لم ينقطع منه جل المنفعة جاز قوله فمن لم يجد
قال ابو حنيفة اذا كان عنده ما تادرهم او عشرون مثقالا او اقل ما يجب فيه الزكوة لم يجز الصيام
وان كان اقل من ذلك فهو غير واجد فيجزيه الصيام وقال بعض الفقها اذا كان له كفاية من
المال يتصرف فيها لمعاشه فان فضل عن راس ماله مقدار ما يكفر بالاطعام فليس له ان يصوم وقال
الشافعي اذا كان له قوته وقوت عايلته يومه وليلته من الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة
بالطعام وان لم يكن له هذا القدر فله الصيام وقال بعضهم اذا ملك ما يمكنه الاطعام فليس له
الصيام وان لم يفضل له من الكفارة شي وهو قول سعيد ابن جبير والحسن قالا اذا كان عنده درهمان
او ثلثة فهو واجد وان لم يجد شيا من هذه الاشيا اي فعليه صيام او فكفارته صيام ثلثة ايام قال

الشافعي في اصح قوليه انه يصح ثلثة ايام ان شا متتابعه وان شا متفرقه وهو مذهب مالك لانه تعالى
قال فصيام ثلثة ايام من غير تقييد بالتتابع فالاتي بصوم ثلثة ايام على التفرقات بصوم ثلثة فوجب
ان يخرج عن العهده وقال ابو حنيفه والثوري واختار المزني يجب التتابع لما روي في قراة ابن مسعود
وابي بن كعب متتابعات وقرانهما لا ينقاعد عن روايتهما ورد بان القراة لا يعمل بها لانها ليست بقران لكونها
غير متواتر ولا بخبر يصح العمل به لان نقلهما قرانا ينفي ان يكون خبرا وهما معترفان بانها ليست بخبر
فكيف يجوز العمل به ومن صام ستة ايام عن يمينين اجزاه سوا عين لحدى الثلاثين عن احدى اليمينين ام لا
قوله ذلك كفارة ايمانكم اي ذلك الذي ذكرت كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث
للعلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف وقال الشافعي التكفير بالمال قبل الحنث جايز
لان كل واحد من الامور الثلاثه كفارة لليمين عند وجود الحلف فاذا اداها بعد الحلف قبل الحنث
جاز لانه قد ادى الكفارة عن ذلك اليمين واذا كان كذلك وجب ان يخرج عن العهده وقال ابو حنيفه
واصحابه لا يجوز وقوله اذا حلفتم تنبيه على ان تقديم الكفارة قبل اليمين لا يجوز واما بعد اليمين
قبل الحنث فانه يجوز قوله واحفظوا ايمانكم قيل معناه لا تحلفوا واذا حلفتم فلا تحنثوا وقيل فروا
ولا تحنثوا اراد الايمان التي يكون الحنث فيها معصيه لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى
كله وقيل احفظوا ايمانكم وها وقيل احفظوها لئلا حلفتم فلا تنسوها تهاونا بها وقيل معناه قللوا
الايمان ولا تكثروا منها كما قال الا الا يا حافظ ليمينه وان ندرت منه الاليه برت قال قوله وان ندرت
منه الاليه على ان قوله حافظ ليمينه وصف منه بانه لا يحلف قوله كذلك يبين الله لكم اياته اعلام
شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوه والبغضا في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
فهل انتم منتهون هذه جملة من الاحكام المذكوره ولما قال فيما تقدم يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم وكان من جملة الامور المستطابه للجمهور الخمر والميسر بين انهما ليسا مما احل الله
لكم سمي الخمر خمرا لمخامرته العقل اي خالطته وسترته وقيل تركت فاختمرت اي تغير ريحها والميسر
هو قمارهم في الجزور والانصاب الاوثان سميت بذلك لانهم كانوا ينصبونها واحدها نصب والازلام
القداح اي السهام التي يستقسمون بها والرجس لغة ما يستقذر سوا كان عينا او معنى عملا او غير عمل
وفي الشرع يطلق تارة ويراد به النجس الذي هو من موانع الصلوه وهو حقيقته الشرعيه وتارة يطلق
ويراد به ما هو اعم منه اما بالاشتراك او بالمجاز واراد هاهنا المعنيين استعمالا للفظ المشترك
في المعنيين او جمعا بين الحقيقه والمجاز فالايه نص في ان الخمر من النجاسات ولا يلزم من عطف الميسر
والانصاب والازلام عليها ان لا يكون من النجاسات لانها ليست برجس بمعنى النجاسه لما عرفت من
استعمال اللفظ في المفهوم الحقيقي وفي المفهوم الحقيقي والمجازي وصف الله تعالى هذه الاربعه
بوصفين احدهما رجس والاخر من عمل الشيطان افاد بالاول انها في نهاية مراتب القبح والحرمه وبالثاني
تاكيد كونها رجسا لان الشيطان نجس خبيث لانه كافر والكافر نجس لقوله انما المشركون نجس والخبيث
لا يدعو الا الى الخبيث لقوله الخبيثات للخبيثين ثم انه تعالى لما وصف الاربعه بهذين الوصفين قال
فاجتنبوه اي كونوا اجانب منه والضمير عايد الى الرجس اي فاجتنبوا الرجس الذي هو من عمل
الشيطان فيكون الامر بالاجتناب عن الاربعه لان الرجس واقع عليها وقيل عايد الى مضاف محذوف
كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان واعلم

ان

انه تعالى لما امر بالاجتناب عن هذه الاشيا ذكر فيها نوعين من المفسده الاول ما يتعلق بالدنيا وهو قوله
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوه والبغضا في الخمر والميسر والثاني ما يتعلق بالدين وهو قوله
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولنشرح اولا وجه العداوه والبغضا في الخمر والميسر اما في الخمر فان
بحسب الغالب من يشرب الخمر فانما يشربها مع جماعه ويكون غرضه من شربها معهم الاستيناس بهم والانشراح
بمحادثتهم لتتاكد الالفه والمحبه لكن ينقلب ذلك الى الضد غالبا لان الخمر يزيل العقل فيستولي الغضب والشهوه
فيحصل المنازعه بينهم فيودي الى المناقبه بالفحش ثم الى المحاربه فيفضي الى العداوه والبغضا التي هي مراد
الشيطان فالشيطان سول اولا ان الاجتماع على الشرب يوجب تاكد الالفه والمحبه فانقلب الامر وحصلت
شدة العداوه ونهاية البغضا واما في الميسر فلان من صار مغلوبا في القمار ربما دعاه ذلك الى اللجاج
فيه على رجا انه ربما صار غالبا فيه وقد يتفق ان لا يحصل له ذلك الى ان لا يبقى له شي من المال فيقامر
على لحيته واعضايه واهله واولاده فيصير من اعدا الاعدا لمن غلبه فالخمر والميسر سببان عظيمان
في اثارة العداوه والبغضا بين الناس والعداوه والبغضا بين الناس من اعظم المفاسد وانما جمع الخمر
والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما اخرا لان الخطاب مع المومنين والمقصود نهيهم عما
كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان
الكل من اعمال الجاهليه واهل الشرك وكانه لا مباينه بين من عبد صنما واشرك بالله في امر الاسلام
وبين من شرب الخمر او قامر فوجب اجتناب الكل ثم افردهما بالذكر ليري ان المقصود بالذكر الخمر والميسر
لان المومنين المخاطبين كانوا مجتنبين عن الانصاب والازلام واما ما يتعلق بالدين من المفسده فلان
شرب الخمر يصد عن ذكر الله لانه يورث الطرب والبطر واللذه الجسمانيه والنفس اذا استغرقت فيها غفلت
عن ذكر الله وعن الصلوة وكذلك الميسر يصد عن ذكر الله وعن الصلوة لانه عند الغلبه صار مستغرقا في لذة
الغلبه مانعا من الخطر بباله شي سواه وعند ضدها صار رشده اهتمامه بان يحتال بحيله تصيره غالبا
مانعه من ان يخطر بباله شي سواه ولا شك ان هذه الحاله مما تصد عن ذكر الله وعن الصلوة اكد الله تحريم
الخمر والميسر من وجوه كثيره منها تصدير الجمله بانما ومنها اقترانهما بالانصاب والازلام ومنها قوله
صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها جعلها رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان
ومنها جعلهما من عمل الشيطان ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح
فيكون الارتكاب خيبه ومنها افضاهما الى العداوه والبغضا بين اصحاب الخمر والميسر والى الصد
عن ذكر الله وعن الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من
انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا
ولم تزجروا **قوله تعالى** واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين اي واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امر به من الواجبات ونهى عنه من المحرمات عموما
وفيما تقدم ذكره من امرهما بالاجتناب عن الخمر والميسر واحذروا عن مخالفتهما في المحارم والمناهي عموما
وفي الخمر والميسر خصوصا فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ
المبين بما انزل اليه من ربه وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه وهذا تهديد عظيم ووعيد شديد
في حق من خالف في هذا التكليف واعرض فيه حكم الله اي انكم ان توليتم فالحجه قد قامت عليكم والرسول
قد خرج عن عهدة ما عليه من البلاغ المبين واما التوفيق والخذلان والثواب والعقاب فالى الله تعالى
قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم
اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين روي انه لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابه

رسول الله فكيف اخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فانزل الله هذه الايه
والمعنى لا اثم عليهم في ذلك لانهم شربوها حال ما كانت حلالا ونحو هذا قوله تعالى في نسخ القبله من
بيت المقدس الى الكعبه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي انكم حين استقبلتم بيت المقدس استقبلتموه بامري فلا
اضيع ذلك كما قال فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم طعم يطعم طعما فهو طاعم اذا اكل او ذاق
قال تعالى فاذا طعمتم فانتشروا اي اذا اكلتم وقال تعالى ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه فالطعم
بالمعنى الاول لا يتناول الشرب وبالمعنى الثاني يتناوله فذكر قوله فيما طعموا ليتناول شرب الخمر واكل
مال الميسر رفع الجناح عن المومنين في اي شي طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما
حرم الله عليهم منها وامنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وامنوا اي ثم ثبتوا على
التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقا المعاصي واحسنوا اعمالهم واحسنوا الى الناس
واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل اراد بقوله اذا ما اتقوا اذا عملوا الاتقا وبقوله ثم اتقوا
بعد قوله وعملوا الصالحات دوام الاتقوا والثبات عليه وبقوله ثم اتقوا العبد قوله وامنوا اتقا
ظلم العباد مع ضم الاحسان اليه وقيل اراد بالاتقا الاول اتقا جميع المعاصي قبل نزول هذه الايه
وبالثاني اتقا الخمر والميسر وما في هذه الايه وبالثالث ما يحدث تحريمه بعد هذه الايه وقيل اراد بالاول
اتقا الكفر وبالثاني الكباير وبالثالث الصغاير وقيل اراد بالاول الاتقا عن القدح في صحة النسخ لان
اليهود يقولون النسخ يدل على البدا فاوجب على المومنين عند سماع تحريم الخمر بعد ان كانت مباحه
ان يتقوا عن هذه الشبهه وبالثاني استمرار الاتقا المذكور اولا وبالثالث الاستمرار على التقوا المذكوره
في الاول والثاني ثم نضم الى هذه التقوى الاحسان الى الخلق وقيل ان المقصود من هذا التكرار التاكيد
والمبالغه في الحث على الايمان والتقوى فان قيل لم اشترط رفع الجناح فيما طعموا من المباحات الايمان
والتقوى مع ان رفع الجناح في تناول المباحات غير مشروط بالايمان والتقوى فان من لم يومن
ولم يتق لا جناح عليه بتناول المباحات بل الجناح عليه بترك الايمان والتقوى فان قيل لم لا
شرط رفع الجناح فيما طعموا من المباحات الايمان والتقوى مع ان رفع الجناح في تناول المباحات غير
مشروط بالايمان والتقوى اجيب بانه ليس هذا الاشتراط الا لبيان ان اوليك الاقوام الذين
نزلت فيهم هذه الايه كانوا على هذه الصفه ثنا عليهم وحمد لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله
ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم
وكان مومنا محسنا تريد ان زيدا تقي مومن محسن وانه غير مواخذ بما فعل قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى
بعد ذلك فله عذاب اليم هذا ايضا من جملة الاحكام المذكوره في هذا الموضع ولما قال تعالى لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم واستثنى الخمر والميسر في الاصل حرام ابدا استثنى الصيد الذي هو حرام في وقت
من الاوقات نزلت هذه الايه عام الحديبيه ابتلاهم الله بالصيد وهم حرم وكثر عندهم حتى كان يغشاهم
في رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم فبينما هم يسيرون بين مكه والمدينه اذ
عرض لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر ابن عمر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قد قتلت الصيد وانت
محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عن ذلك فانزل الله هذه الايه اللام في قوله ليبلونكم الله لام
القسم لان اللام والنون قد يكونان جوابا للقسم فاذا ترك القسم جي بهما دالا على القسم وفتح الواو لالتقا
الساكنين اي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر بشي قليل يسير من الصيد
ليعلم انه ليس بعينه من الفتن العظام التي يكون التكليف فيها صعبا شاقا تدحض عندها اقدام الناس

كالابتلا ببذل الارواح والاموال وانما هو ابتلا سهل شبيه بما ابتلي به اهل ايله من صيد السمك وانهم
اذا لم يثبتوا عند ذلك فكيف يثبتون عند ما هو اشد منه تناله ايديكم وهي البيض والفراخ وما لا يستطيع ان يفر
من الصيد ورماحكم وهو الوحش وكبار الصيد ومن في قوله من الصيد للتبعيض على معنى صيد البر دون البحر
او صيد الاحرام دون صيد الاحلال ويحتمل ان يكون للتبيين كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان والصيد
بمعنى المفعول لانه تناله الايدي والرماح لا المصدر لانه حدث والعين تنالها الايدي والرماح لا الحدث
قوله ليعلم الله ليرى الله وقد علم الله ولم يره بعد وقيل ليميز الله وقيل ليعاملكم الله معامله من يطلب ان يعلم
وقيل ليظهر المعلوم وهو خوف الخايف وقيل ليعلم رسول الله من يخافه بالغيب اي حال ايمانه بالغيب وقيل
يخافه باخلاص وتحقيق ولا يختلف حاله بسبب حضور واحد او غيبته فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلا
وتحريمه فله عذاب اليم اي عذاب في الاخره وتعزير في الدنيا عن ابن عباس هذا العذاب هو ان يضرب
ظهره وبطنه وجعا وينزع ثيابه فان اسم العذاب يقع على الضرب كما سمى جلد الزانيين عذابهما فقال وليشهد
عذابهما وقال فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزا مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبه
او كفاره طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه
والله عزيز ذو انتقام قيل اراد بالصيد ههنا المتوحش الذي يوكل لحمه فلا يجب الضمان في قتل السبع وهو
قول الشافعي حجته ان الذي يحرم اكله ليس بصيد لقوله تعالى واحل لكم صيد البحر وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما فانه يقتضي حل صيد البحر مطلقا وحل صيد البر في غير وقت الاحرام فالصيد ما يحل اكله والسبع لا يحل اكله فلا
يكون صيدا فلا يكون مضمونا لان الاصل عدم الضمان ترك هذا الاصل في ضمان الصيد بحكم هذه الايه
فبقي ما ليس بصيد على الاصل وانه عليه الصلوه والسلام قال خمس فواسق لا جناح على المحرم ان يقتلهن في الحل والحرم
الغراب والحداه والحيه والعقرب والكلب العقور وفي روايه اخرى والسبع العادي فانه عليه السلام
وصفهن بكونهن فواسق ثم حكم بحل قتلهن والحكم المذكور عقيب الوصف المناسب مشعر بعليه الوصف
فكونهن فواسق عله بحل قتلهن ولا معنى لكونهن فواسق الا كونهن موذيه وصفة الايذا في السباع اقوى فجاز قتلها
فلا يكون مضمونه وقيل المراد بالصيد هو الذي يتوحش سوا كان ماكولا او لم يكن فعلى هذا المحرم اذا قتل
سبعا لا يوكل لحمه ضمن ولا يجاوز به قيمة الشاة وهو قول ابي حنيفه حجته ان السبع صيد يدل عليه قول
الشاعر ليث يرى رمه واصطيادا وقول علي رضي الله عنه صيد الملوك ارانب وثعالب واذا ركبت فصيدي الابطال
فدخل تحت قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم واجيب بانه قد بين بدلالة الايه ان ما يحرم اكله
ليس بصيد وذلك لا يعارضه شعر مجهول واما بيت علي رضي الله عنه فغير وارد لان الثعلب
عندنا حلال حرم محرمون بالحج والعمره وهو جمع حرام يقال رجل حرام وامراة حرام وقيل وانتم في الحرم
يقال احرم اذا دخل الحرم وقيل الجمع بين الامرين قوله لا تقتلوا نهي عن القتل مباشره او تسببا فليس له
ان يتعرض للصيد ما دام محرما لا بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطير سوا كان الصيد صيد الحل او صيد
الحرم واما الحلال فله ان يتصيد في الحل وله ان يتصيد في الحرم واذا قلنا وانتم حرم يتناول الامرين من
كان محرما ومن كان داخل الحرم كانت الايه داله على كل هذه الاحكام قوله ومن قتله منكم متعمدا اي
ذاكرا لاحرامه فان قتله وهو ناس لاحرامه فهو مخطي وقيل متعمدا اي عالما ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله
فان رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته
فاصاب صيدا فهو مخطي قوله فجزا مثل ما قتل من النعم قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر
فجزا بالرفع مضافه الى مثل ما بخفض مضاف الى ما واصله فجزا مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي

مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد فدفع ما قيل لا ينبغي اضافة الجزا
الى مثل لانه ليس عليه جزا مثل ما قتل في الحقيقة انما عليه جزا المقتول لا جزا مثل المقتول فانه لم يقتل
مثل المقتول وقوله من النعم صفة للجزا وقرا عاصم وحمزة والكسائي فجزا مرفوع منون ومثل
بالرفع بمعنى فعليه جزا من النعم مثل ما قتله من الصيد وعند الشافعي رحمه الله ومحمد بن الحسن مثل ما قتل
نظيره من النعم ان كان له مثل وما لا مثل له فقيمة الصيد يقوم حيث صيد وعند ابي حنيفه مثل ما قتل
قيمة المصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد
وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شا صام
عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به حجة الشافعي قوله تعالى
فجزا مثل ما قتل والقيمة ليست بمثل وقوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل والقيمة ليست من النعم وقوله تعالى
هديا بالغ الكعبة والقيمة ليست بهدي وما روى جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الضبع اصيد هو فقال نعم وفيه كبش اذا اخذه المحرم وهذا نص صريح والاجماع قال الشافعي تظاهرت
الروايات عن عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر في بلدان مختلفة وازمان
شتى انهم حكموا في جزا الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع بكبش
وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بحمل وفي رواية بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع
بجفرة وشاع وذاع ولم ينكره احد فدل على انهم نظروا الى اقرب الاشيا شبها بالصيد من النعم
لا بالقيمة والقياس وهو ان المقصود من الضمان جبر الهالك ولا شك ان المماثلة كلما كانت اتم كان الجزا اتم
وكان الايجاب اولى حجة ابي حنيفة لا نزاع ان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وكان
المراد بالمثل في قوله فجزا مثل ما قتل من النعم هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون كذلك في سائر الصور
لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على المعنى الواحد اجيب بان حقيقة المماثلة امر معلوم فالشارع
اوجب رعاية المماثلة فيجب رعايتها بقدر الامكان فان امكنت رعايتها في الصورة وجب ذلك
وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفا به للضرورة على ان الصحيح ان اللفظ الواحد يجوز حمله
على المعنيين قال صاحب الكشاف فان قلت فما يصنع من تفسير المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير
للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما
او يصوم كما خير الله في الاية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير
لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي
في الاية ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم
ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا
كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الاية الا ترى الى قوله
او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشيا الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم
وجمهور الفقها اذا قتل الصيد خطا يلزمه الضمان لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
ولما كان ذلك حراما بالاحرام صار فعله حراما فلا يسقط بالخطا والجهل كساير محظورات الاحرام فانه
يستوي فيه العمد والخطا وعن سعيد بن جبير ان المحرم اذا قتل الصيد خطا لا يلزمه شي لان قوله
تعالى ومن قتله منكم متعمدا مذكور في معرض الشرط والمشروط وينبغي عند انتفا شرطه فعند انتفا التعمد
لا يجب الجزا والذي يؤكد هذا قوله تعالى في اخر الاية ومن عاد فينتقم الله منه والانتقام انما يكون
في العمد دون الخطا وقوله ومن عاد اي من عاد الى ما تقدم ذكره وما تقدم ذكره هو القتل المتعمد الموجب

للجزا لا الخطا اجيب بان قيد المتعمد لم يذكر للشرطية بل ذكر لان مورد الاية فيمن تعمد وبان الاصل
فعل المتعمد والخطا لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله
منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا جماعة محرمون قتلوا صيدا قال
الشافعي لا يجب عليهم الا جزا واحد وهو قول احمد واسحق لان الاية دالة على ان الواجب هو المثل ومثل
الواحد واحد ويؤكد هذا ما روي ان عمر قال بمثل قولنا وقال ابو حنيفة ومالك والثوري يجب على
كل واحد منهم جزا لان كل واحد منهم قاتل فوجب ان يجب على كل واحد منهم جزا كامل وكذلك القصاص
المتعلق فانه يجب على جماعة يقتلون واحدا اجيب بان القتل شي واحد فيمتنع حصوله بتمامه باكثر من
فاعل واحد فاذا اجتمعوا فمجموع افعالهم قتل واحد فيمتنع ان يكون كل واحد منهم قاتلا في الحقيقة
فلم يدخل كل واحد تحت الاية واما قتل الجماعة بالواحد فذاك ثبت على سبيل التعبد وكذلك القول في
ايجاب الكفارات المتعددة والمحرم اذا دل غيره على صيد فقتله المدلول عليه لم يضمن الدال الجزا عند الشافعي
لان وجوب الجزا معلق بالقتل في هذه الاية والدلالة ليست بقتل فلا يجب الضمان ولانه بدل المتلف فلا يجب
بالدلالة ككفارة القتل والدية وكالدلالة على مال المسلم قال ابو حنيفة يضمن لانه سال عمر عن هذه المسلة فشاور
عبد الرحمن بن عوف واجمعا ان عليه الجزا وعن ابن عباس انه اوجب الجزا على الدال اجيب بان نص القران
خير من اثر بعض الصحابه وقال الشافعي ان جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر فعليه عشر قيمة شاة وقال داوود
لا يضمن سوى القتل لدلالة الاية على ان شرط وجوب الجزا هو القتل اجيب بان المعلق على القتل وجوب
مثل المقتول فلا يجب المثل عند عدم القتل وقال الشافعي اذا رمى من الحل والصيد في الحل فمر السهم على بعض الحرم
يحرم وعليه الجزا لان سبب الذبح مركب من حلال وحرام فيغلب الحرام وقال ابو حنيفة لا يحرم لقوله
تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهى عن الاصطياد حال كونه محرما وحال كونه في الحرم فلما لم يوجد واحد من هذين
الامرين لا يحصل الحرمة وقال ابو حنيفة الحلال اذا اصطاد صيدا فادخله الحرم وجب عليه الارسال
فان ذبحه حرم ولزمه الجزا لقوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهى عن قتل الصيد حال كونه محرما
وهذا يتناول الصيد الذي اصطاده في الحل والذي اصطاده في الحرم وقال الشافعي
يحل ولا ضمان لقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم
واذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا اخر لزمه جزا اخر لقوله تعالى ومن قتله منكم
متعمدا فجزا مثل ما قتل فانه يدل ظاهرا ان علة وجوب الجزا هو القتل فيتكرر الحكم عند
تكرر العلة وهذا بخلاف ما اذا قال الرجل لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت
واحدة مرتين لم يتكرر الطلاق لان تكرر الشرط لا يقتضي تكرر المشروط وقال داوود لا يجب
لقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه جعل جزا العائد الانتقام لا الكفارة وقال
الشافعي اذا اصاب صيدا اعور او مكسور اليد والرجل فداه بمثله والصحيح احب الي وعلى
هذا الكبير اولى من الصغير ويفدي الذكر بالذكر والانثى بالانثى والاولى ان لا يغير
لان نص القران ايجاب المثل والانثى وان كانت افضل من الذكر من حيث انها تلد فالذكر
افضل من الانثى من حيث ان لحمه اطيب وصورته احسن قوله تعالى يحكم به اي بمثل ما قتل
ذوا عدل منكم مسلمان فقيهان عدلان فينظران الى اشبه الاشيا من النعم فيحكمان به حتى
يفديه ويهديه الى الكعبة فذلك قوله تعالى هديا بالغ الكعبة وانما ذكر اثنين لان الصيد
يختلف في نفسه فافتقر الحكم بالمثل الى عدلين وقوله منكم اي من اهل ملتكم واحتج من نصر
قول ابي حنيفه في ايجاب القيمة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والاجتهاد دون

الاشيا المشاهده ورد بانه ليس المراد بالمثل المثل من النوع بل المثل صورة و وجوه المشابهه
بين النعم وبين الصيد ايضا مختلفه فيحتاج الى الاجتهاد وزيادة التامل والذي يدل على هذا
ما روى ميمون ابن مهران انه جا اعرابي الى ابي بكر رضي الله عنه فقال اني اصبت من الصيد
كذا وكذا فسال ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي اتيتك اسالك وانت تسال غيرك فقال ابو بكر وما
انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فسالت صاحبي فاذا اتفقنا على شي امرناك به
قال الشافعي الذي له مثل ضربان فما حكمت فيه الصحابه يحكم لا بعد لان غيره لان الايه دلت على انه يجب
ان يحكم به ذوا عدل فاذا حكم به اثنان من الصحابه فقد دخل تحت الايه ثم ذلك اولى لانهم شاهدوا
التنزيل وحضروا التاويل وما لم يحكم فيه الصحابه رجع الى اجتهاد عدلين فينظران الى الاجناس
الثلثه من الانعام فكل ما كان اقرب شبها به يوجبانه وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به الصحابه
وفيما لم تحكم به وقال الشافعي يجوز ان يكون القاتل احد العدلين اذا كان خطا واما اذا كان متعمدا
فلا لانه يفسق به وقال امالك لا يجوز كما في تقويم المتلفات حجة الشافعي انه تعالى اوجب ان يحكم به
ذوا عدل واذا صدر عنه القتل خطا كان عدلا فاذا حكم هو وغيره فقد حكم به ذوا عدل فلو
حكم عدلان اخران بمثل فيه وجهان احدهما يتخير والاخر ياخذ بالاغلظ قوله هديا حال عن جزا
فيمن وصفه بمثل لان الصفه خصصته فقربته من المعرفه او بدل عن محل مثل فيمن جر مثل ويجوز ان ينتصب
حالا عن الضمير في به و وصف هديا ببالغ الكعبه لان اضافته غير حقيقيه ومعنى بلوغه الكعبه
ان يذبح بالحرم فاما التصدق به ففي الحرم عند الشافعي وحيث شا عند ابي حنيفه قوله او كفارة
قرا نافع وابن عامر او كفارة طعام على اضافة الكفارة الى الطعام والباقون او كفارة بالرفع والتنوين
طعام بالرفع من غير تنوين وجه القراة الاولى انه تعالى لما خير المكلف بين ثلثه اشيا الهدي والطعام
والصيام حسنت الاضافه فكانه قيل كفارة طعام لا كفارة هدي ولا كفارة صيام فاستقامت
الاضافه لكون الكفارة من هذه الاشيا وجه القراة الثانيه انها عطف على قوله فجزا طعام مساكين
عطف بيان لان الطعام هو الكفارة ولم يضف الكفارة الى الطعام لان الكفارة ليست للطعام وانما الكفاره
لقتل الصيد قال الشافعي وابو حنيفه ومالك كلمة او في هذه الايه للتخيير لان كلمة او في الاصل للتخيير
والقول بانها للترتيب ترك للاصل وقال احمد وزفر انها للترتيب لان او قد تجي لغير التخيير
كقوله تعالى ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف فان المراد تخصيص كل واحد
من هذه الاحكام بحاله معينه فهذا اللفظ يحتمل الترتيب والدليل دل على ان المراد هو الترتيب
لان الواجب ههنا شرع على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه
والتخيير ينافي التغليظ واجيب بان اخراج المثل ليس اقوى عقوبة من اخراج الطعام
فالتخيير لا يقدح في القدر الحاصل من العقوبة في ايجاب المثل وقال الشافعي اذا قتل
صيدا له مثل فهو مخير بين ثلثه اشيا ان شا اخرج المثل وان شا قوم المثل دراهم ويشتري بها
طعاما ويتصدق بها وبين ان يصوم وقال ابو حنيفه ومالك انما يشترى الطعام بقيمة الصيد حجة
الشافعي ان المثل من الطعام هو الجزا والطعام مبني عليه فيعدل به كما عدل الصوم بالطعام وايضا
تقويم مثل الصيد ادخل في الضبط من تقويم نفس الصيد حجة ابي حنيفه ان مثل المتلف اذا وجب
اعتبر المتلف لا بغيره ما امكن والطعام انما وجب مثلا للمتلف فوجب ان يقدر به واكثر الفقها انه
يقوم في المكان الذي قتل الصيد فيه وقال الشعبي يقوم بمكه لانه يكفر بها وقال الشافعي يطعم بمكه
ولا يجزي الا بها والصوم يجوز في اي موضع قوله او عدل ذلك صياما عدل الشي ما عادله من غير

جنسه

جنسه كالصوم والاطعام صياما تمييز للعدل كقولك مثله رجلا والخيار في تعيين احد هذه
الثلاثه على قاتل الصيد فوجب ان يكون هو مخيرا بين ايها شا وقال محمد بن الحسن الخيار الى الحكمين
لانه تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم هديا او كذا او كذا والجواب ان تاويل الايه فجزا مثل ما
قتل من النعم او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما واما الذي يحكم به ذوا عدل فهو تعيين
المثل اما في الخلقه او القيمه وقال الشافعي يصوم بكل مد يوما وقال ابو حنيفه انه يصوم بكل نصف
صاع يوما والاصل في هذه المسله توافقهما على تقدير الصوم بطعام اليوم وطعام اليوم عند
الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفه مقدر بنصف الصاع قوله ليذوق متعلق بقوله فجزا اي
فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي
ينال في العاقبه من عمل سو لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اي ثقيلا والطعام الوبيل
الذي يثقل على المعده فلا يستمرا سمي وبالا لانه تعالى خيره بين ثلاثه اشيا اثنان منها يوجب تنقيص
المال وهو ثقيل على الطبع فهما الجزا بالمثل والاطعام والثالث يوجب ايلام البدن وهو الصوم وذلك
ايضا يثقل على الطبع والمعنى انه تعالى اوجب على قاتل الصيد احد هذه الاشيا التي كل واحد منها
ثقيل على الطبع حتى يحترز عن قتل الصيد في الحرم وفي حال الاحرام قوله عفى الله عما سلف لكم
من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسئلوه عن جوازه وقيل عفى الله عما
سلف لكم في الجاهليه منه لانهم كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما قوله ومن عاد
الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي منه ينتقم الله منه في الاخره قوله فينتقم الله خبر مبتدا محذوف
تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفا ونحوه فمن يومن بربه فلا يخاف وقيل عفى الله عما
سلف في المرة الاولى بسبب ادا الجزا والكفارة ومن عاد اليه مرة ثانيه فلا كفارة لجرمه
بل ينتقم الله منه لانه اعظم من ان يكفره التصدق بالجزا وذلك لان الفا في قوله فينتقم
الله منه فما الجزا والجزا هو الكافي فالانتقام كاف في هذا الذنب فيمنع وجوب شي اخر
قوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسياره وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي احلت لكم مصيدات البحر في الاحرام وغيره ومصيدات
البحر ثلثه اجناس الحيتان وجميع انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام وما سوى هذين
فيه قولان احدهما حلال وهو قول ابن ابي ليلى والاكثرين وقد تمسكوا بهذه الايه وثانيهما حرام
وهو مذهب ابي حنيفه وقيل كل ما كان مثاله في البر حلالا فهو حلال في البحر وما كان مثاله في
البر حراما فهو حرام في البحر واراد بالبحر جميع المياه والانهار وطعامه عطف على صيد البحر اي ما
يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصطاد منه واحل لكم اكل الماكول منه وهو السمك
وحده عند ابي حنيفه وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الايه عنده احل لكم صيد حيوان
البحر وان تطعموه وقيل صيد البحر ما صيد بالحيله حال حيوته وطعامه ما يوجد مما لفظه البحر او نضب عنه
الما من غير معالجه في اخذه وهو قول ابي بكر وعمر وابنه وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم
وقيل صيد البحر هو الطري وطعامه هو المملح لانه لما صار عتيقا سقط عنه اسم الصيد وهو قول
سعيد بن جبير وعكرمه والنخعي وابن المسيب وقتاده وقال الشافعي السمكه الطافيه في البحر
محلله لقوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه والسمكه الطافيه يحل اكلها فتكون طعاما فتحل
ولقوله صلى الله عليه وسلم البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته قوله متاعا لكم منصوب لانه مفعول
له مختص بالطعام كما ان نافله حال مختصه بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لكم تاكلونه

طريا ولسيارتكم تتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقيل متاعا
منصوب لكونه مولدا لانه لما قيل احل لكم كان دليلا على متعتم به كما انه لما قيل حرمت عليكم امهاتكم
كان دليلا على انه كتب عليكم ذلك فقال كتاب الله عليكم قوله وحرم عليكم صيد البر صيد البر هو الذي
لا يعيش الا في البر والذي يمكنه ان يعيش في البر تارة وفي البحر اخرى فعلى هذا السلحفاة والسرطان
والضفدع وطير الماء كل ذلك من صيد البر وقيل صيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه
وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء اتفق المسلمون على ان المحرم يحرم عليه ما
صاده واختلفوا في الصيد الذي يصيده الحلال هل يحل للمحرم فقيل يحرم عليه بكل حال وهو
قول عمر وابنه وعلي وابن عباس وسعيد ابن جبير وطاوس وعولوا فيه على قوله وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما لان صيد البر يعم ما اصطاده المحرم وما اصطاده الحلال وقيل ان لحم
الصيد مباح للمحرم بشرط ان لا يصطاده المحرم ولا يصاد له وهو قول الشافعي لما روى ابو داود
في سننه عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه
او يصاد لكم وقيل انه اذا اصطاده الحلال للمحرم بغير اعانته واشارته حل له وهو قول ابي حنيفة روي
عن ابي قتادة انه اصطاد حمار وحش وهو حلال في اصحاب محرمين له فسالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هل اشرتم هل اعنتم فقالوا لا فقال هل بقي من لحمه شي اوجب الاباحة عند عدم الاشارة
والاعانة من غير تفصيل وما قتله المحرم يحل للحلال عند الشافعي قوله واتقوا الله الذي اليه
تحشرون المقصود منه التهديد ليكون المرء مواظبا على الطاعة محترزا عن المعصية قوله تعالى
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلايد ذلك لتعلموا ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شي عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
ان الله حرم في الاية المتقدمة الاصطياد على المحرم وعلى الداخل في الحرم فبين ان الحرم كما انه سبب لامن
الوحش والطير فكذلك هو سبب لامن الناس عن الافات والمخافات وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا
والاخرة قرا ابن عامر قيما بغير الف ومعناه المبالغة في كونها قايما باصلاح مهمات الناس كقوله دينا قيما
والباقون بالالف البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجي الصفة كذلك
سمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظم حرمته وفي الحديث مكتوب في اسفل المقام اني انا الله ذو
بكة حرمتها يوم خلقت السموات والارض ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتها بسبعة املاك
حنفا من جاءني زائرا لهذا البيت عارفا بحقه مذعنا لي بالربوبية حرمت جسده على النار
قياما للناس اي قواما لهم في امر دينهم ودنياهم وصلاحا لمعاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر
حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم عن سعيد بن جبير من اتى هذا البيت يريد شيا
للدنيا والاخرة اصابه والشهر الحرام الشهر الذي يودى فيه الحج وهو ذو الحجة لان اختصاصه
من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا عرفه الله وقيل اراد به الاشهر الاربعة الحرم
امن الناس فيها وان العرب كان يقتل بعضهم بعضا في ساير الاشهر ويغير بعضهم بعضا
فاذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدروا على الاسفار والتجارات وصاروا امنين على
انفسهم واموالهم وكانوا يحصلون في الشهر الحرام من الاقوات كفاية السنة وكان الشهر الحرام سببا
لقوام معاشهم في الدنيا وسببا لاكتساب الثواب العظيم بسبب اقامة مناسك الحج والهدي
وهو ايضا سبب لقيام الناس لان الهدي ما يهدى الى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه على
الفقرا والقلايد والوجه في كونها قواما للناس ان من قصد البيت في الشهر الحرام لم يتعرض له

احد حتى ان الواحد من العرب يلقى الهدي مقلدا ويموت من الجوع فلا يتعرض له البتة ولم يتعرض
لها صاحبها ايضا كل ذلك لان الله تعالى اوقع في قلوبهم تعظيم البيت الحرام فكل من قصده او تقرب اليه
صار امنا عن جميع الافات والمخافات فلما ذكر الله انه جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس ذكر بعد
هذه الثلاثة وهي الشهر الحرام والهدي والقلايد لان هذه الثلاثة انما صارت سببا لقيام المعيشة
لانتسابها الى البيت الحرام وكان ذلك دليلا على عظمة هذا البيت وغاية شرفه ذلك اشارة الى جعل الكعبة
قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل شي وهو
عالم بما يصلحكم ويعيشكم مما امركم به وكلفكم قال الامام انه تعالى لما علم في الازل ان مقتضى طباع
العرب الحرص على القتل والغارة وعلم انه لو دامت بهم هذه الحالة لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون اليه
من منافع المعيشة ولتادى ذلك الى فنائهم وانقطاعهم بالكلية دبر في ذلك تدبيرا لطيفا وهو انه القى في
قلوبهم اعتقادا قويا في تعظيم البيت الحرام وتعظيم مناسكه فصار ذلك سببا لحصول الامن في البلد الحرام
وفي الشهر الحرام فلما حصل الامن في هذا المكان وفي هذا الزمان وقدروا على تحصيل ما يحتاجون اليه
في هذا الزمان وفي هذا المكان فاستقامت مصالح معاشهم ومن المعلوم ان هذا التدبير لا يمكن الا اذا
كان تعالى عالما في الازل بجميع المعلومات من الكليات والجزييات حتى يعلم ان الشر غالب على طباعهم وان ذلك
يفضي بهم الى الفنا وانقطاع النسل وانه لا يمكن دفع ذلك الا بهذا الطريق اللطيف وهو القا تعظيم الكعبة
في قلوبهم حتى يصير ذلك سببا لحصول الامن في بعض الامكنة وفي بعض الازمنة فحينئذ يستقيم مصالح
معاشهم في ذلك المكان وفي ذلك الزمان وهذا هو بعينه الدليل الذي يتمسك به المتكلمون على كونه
تعالى عالما فانهم يقولون ان افعاله تعالى محكمة متقنة مطابقة للمصالح وكل من كان كذلك كان عالما
ومن المعلوم ان القا تعظيم الكعبة في قلوب العرب لاجل ان يصير ذلك سببا لحصول الامن في بعض
الامكنة وفي بعض الازمنة ليصير ذلك سببا لاقتدارهم على تحصيل مصالح المعيشة فعل في غاية الاحكام
والاتقان فيكون ذلك دليلا قاهرا وبرهانا باهرا على ان صانع العالم سبحانه عالم بجميع المعلومات
فلا جرم ذلك لتعلموا ان ذلك التدبير اللطيف لاجل ان تتفكروا فتعلموا انه تدبير لطيف وفعل محكم متقن
فتعلموا ان الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الارض ثم اذا عرفتم ذلك عرفتم ان علمه سبحانه صفة قديمة ازلية
واجبة الوجود وما كان كذلك امتنع ان يكون مخصوصا بالبعض دون البعض فوجب كونه متعلقا بجميع
المعلومات فاذا كان كذلك كان الله سبحانه عالما بجميع المعلومات فلذلك قال وان الله بكل شي عليم
فما احسن هذا الترتيب في هذا التقرير والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
قوله اعلموا ان الله شديد العقاب لما ذكر انواع رحمته لعباده ذكر بعده انه شديد العقاب لان الايمان
لا يتم الا بالرجا والخوف ثم ذكر عقبه ما يدل على الرحمة وهو كونه غفورا رحيما وهذا يدل على
ان جانب الرحمة اغلب لانه تعالى ذكر فيما قبل انواع رحمته وكرمه ثم ذكر انه شديد العقاب ثم ذكر
عقيبه وصفين من اوصاف الرحمة وهو كونه غفورا رحيما وهذا تنبيه على ان الخلق والايجاد لاجل
الرحمة وشدة العقاب لاجل اتمام الرحمة قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما
تبدون وما تكتمون لما قدم الترهيب والترغيب اتبعه بذكر ما على الرسول يعني ان الرسول ما كان مكلفا
الا بالتبليغ فلما بلغ خرج عن العهدة وبقي الامر من جانبكم وانا عالم بما تبدون وبما تكتمون فان خالفتم
فاعلموا ان الله شديد العقاب وان اطعتم فاعلموا ان الله غفور رحيم قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث
والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون لما زجر عن المعصية بقوله
اعلموا ان الله شديد العقاب ورغب في الطاعة بقوله وان الله غفور رحيم اتبعه بما على الرسول من التبليغ

ثم اتبعه الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية بقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ثم اتبعه بنوع اخر من الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية فقال قل لا يستوي الخبيث والطيب الخبيث والطيب قسمان احدهما الذي يكون جسمانيا وهو ظاهر لكل احد وثانيهما الذي يكون روحانيا واخبث الخبائث الروحانية الشرك والجهل والمعصية واطيب الطيبات الروحانية معرفة الله وطاعته وذلك لان الجسم الذي يلتصق به شيء من النجاسات يصير مستقذرا عند ارباب الطباع السليمة فكذلك الارواح الموصوفة بالجهل بالله والشرك به والاعراض عن طاعة الله تصير مستقذرة عند الارواح الكاملة المقدسة واما الارواح العارفة بالله المواظبة على خدمة الله فانها تصير مشرقة بانواع المعارف الالهية مبتهجة بالقرب من الارواح المقدسة الطاهرة وكما ان الخبيث والطيب لا يستويان في العالم الجسماني فكذلك لا يستويان في العالم الروحاني بل التفاوت بينهما في العالم الروحاني اشد لان مضرة خبث الجسماني شيء قليل ومنفعة طيبه يسير واما خبث الروحاني فمضرته عظيمة دائمة ابدية وطيب الروحاني فمنفعته جليلة دائمة ابدية وهو القرب من الله والانخراط في زمرة الملائكة المقربين والمرافقة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فكان من اعظم وجوه الترغيب في الطاعة والتنفير عن المعصية قوله ولو اعجبك كثرة الخبيث فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل لقلته فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب ونفي الاستواء محقق في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح الاعتقاد وفاسده وجيد الناس ورديهم قوله فاتقوا الله ولما ذكر الله هذه الترغيبات الكثيرة في الطاعة والتحذيرات من المعصية اتبعه بوجه اخر يؤكدها اي فاتقوا الله بعد هذه البيانات الجلية والدنيوية العاجلة

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين لما قال ما على الرسول الا البلاغ صار التقدير كانه قال ما بلغه الرسول اليكم فخذوه وكونوا منقادين له وما لم يبلغه الرسول اليكم فلا تسالوا عنه ولا تخوضوا فيه فانكم ان خضتم فيما لا تكليف فيه عليكم فربما جاءكم بسبب ذلك الخوض الفاسد من التكاليف ما يثقل عليكم ويشق وقيل ان هذه الاية متصلة بقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسالوا عن احوال مخفية ان تبد لكم تسؤكم قيل سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا المسالة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسالوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن ابي حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي قال ابوك حذافة بن قيس وقيل ان عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد مرتين او ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام اخر فقال يا رسول الله اين ابي قال في النار ولما اشتد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقبل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقران اماما انا يا رسول الله حديث عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا عفى الله عنك فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم واعلم ان السؤال عن الاشياء ربما ادى الى ظهور احوال مكتومة يكره ظهورها وربما تكلفت عليه تكاليف شاقة فالاولى بالعاقل ان يسكت عما لا تكليف عليه فيه الا ترى ان الذي

سال عن ابيه فانه لم يامن ان يلحقه الرسول عليه السلام بغير ابي حذافة وان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من كان سببا لتحريم حلال اذ لم يؤمن ان يقول في الحج ايجاب في كل عام وقيل نزلت هذه الاية حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام الا تراه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة الاية وقيل السؤال على قسمين احدهما السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة بوجه من الوجوه فهذا السؤال منهي عنه بقوله لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وثانيهما سؤال عن شيء نزل به القران لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فها هنا يجب السؤال وهو المراد بقوله وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم فان قيل قوله وان تسالوا عنها هذا الضمير عائد الى الاشياء المذكورة في قوله لا تسالوا عن اشياء فكيف يعقل اشياء باعيانها ان يكون السؤال عنها ممنوعا وجائزا اجيب عنه باعتبار وقتين فانه جاز ان يكون ممنوعا قبل نزول القران بها وقيل معنى قوله وان تسالوا عنها وان تسالوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها قوله عفا الله عنها اي عما سلف من مسائلكم واغضابكم للرسول فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعجل عليكم وهذا انما يناسب لقوله عفا الله عنها لا ما قال صاحب الكشاف لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فان قوله عفى الله ينافيه قوله قد سالها قوم صالح سالوا الناقة ثم عقروها وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فصار ذلك وبالا عليهم وبنو اسرائيل قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال تعالى فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه فسالوا ثم كفروا وقوم عيسى سالوا المائدة ثم كفروا بها وكانه تعالى يقول اولئك سالوا فلما اعطاهم سؤلهم ساءهم ذلك فلا تسالوا اشياء فلعلكم ان اعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك فان قيل كيف قال لا تسالوا عن اشياء ثم قال قد سالها اجيب بان الضمير في سالها ليس براجع الى الاشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسالة التي دل عليها لا تسالوا يعني قد سال هذه المسالة قوم من الاولين والحاصل انه في قوله عنها الضمير راجع الى المفعول به فيجب تعديته بعن وفي قوله قد سالها راجع الى المصدر فلا يتعدى بعن بل بنفسه

قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون انه تعالى لما منع المومنين من السؤال عن اشياء ان تبد لهم تسؤهم منعهم من التزام امور ما كلفوا التزامها ولما كان الكفار يحرمون على انفسهم الانتفاع بهذه الحيوانات التي خلقها الله لينتفعوا بها بين ان ذلك باطل قوله ما جعل الله اي ما شرع ولا امر بالتبحير والتسييب اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ذبحها وركوبها فلا يجز وبرها ولا يحمل ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي من الاعياء التعب لم يركبها واسمها البحيرة والسائبة فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية وسيبت الدابة تركتها تسيب حيث شاءت والسائبة الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل هي ام البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة فسمي البحيرة وهي بمنزلة امها والجمع سيب مثل نائحة ونوح ونائمة ونوم وقيل السائبة التي سيبت للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم الهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث والوصيلة اذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم

وقيل هي الشاة تلد سبعة ابطن عناقين عناقين فان ولدت في الثامنة جديا ذبحوه لالهتهم وان ولدت جديا
وعناقا قالوا وصلت اخاها فلا يذبحون اخاها من اجلها ولا تشرب لبنها النسا وكان للرجال وجرت مجرى السايبه
والحام من حمى يحمي اذا حفظ قيل الفحل اذا لقح ولد ولده فقد حمى ظهره فلا يركب ولا يجز له وبر ولا يمنع من مرعى
وقيل اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل ولا يمنع من ما ولا مرعى ولكن الذين كفروا
بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم اي الجهال الذين يقلدون اكابرهم الذين يفترون على الله الكذب لا يعقلون
قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا او لو كان اباوهم
لا يعلمون شيا ولا يهتدون الواو في قوله او لو كان اباوهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم
ذلك ولو كان اباوهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتدا انما يجوز بالعالم المهتدي وانما يعرف انه عالم
مهتد بالحجه والدليل فاذا لم يكن الحجه لم يجز الاقتدا به قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبيكم بما كنتم تعملون انه تعالى لما بين انواع التكاليف ثم قال ما على الرسول الا البلاغ
الى قوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا قال ان هولا
الجهال لم ينتفعوا بشي مما تقدم من الانذار والتهديد والوعد والوعيد والترغيب والترهيب بل بقوا
مصرين على جهالتهم متجمدين على ضلالتهم فلا تبالوا ايها المومنون بضلالتهم وجهالتهم بل كونوا منقادين
لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه فلا يضركم من ضل اذا اهتديتم عليكم من اسما الافعال فيعدى بها
الى المفعول ويقيمونها مقام الفعل وينصبون بها اي احفظوا انفسكم من ملابسة المعاصي والاصرار على الذنوب
والزموا اصلاح انفسكم قوله لا يضركم مرفوع على انه خبر او مجزوم على انه جواب للامر وانما ضمت الرا
اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الرا المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا اي لا يضركم من
ضار يضور قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبل من اهل الكتاب الجزية من بعضهم دون بعض نزلت
هذه الايه لا يضركم ملامة اللايمين اذا كنتم على الهدى وقيل ان المومنين كان يشتد عليهم بقا الكفار في كفرهم
وضلالهم فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طريق الهدى لا يضركم ضلال الضالين
قيل ظاهر هذه الايه يوهم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر غير واجب وقيل ان الايه لا تدل
على ذلك بل توجب ان المطيع لربه لا يكون مواخذا بذنوب العاصي واما وجوب الامر بالمعروف
فثابت بالدلايل خطب الصديق رضي الله عنه فقال انكم تقرون هذه الايه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
وتضعونها غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا المنكر ولم
ينكروه يوشك ان يعمهم الله بالعقاب وعن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم انهما قالا قوله تعالى عليكم
انفسكم يكون هذا في اخر الزمان وقيل هذه اوكد ايه في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فانه قال عليكم انفسكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغب بعضكم بعضا في الخيرات وينفره عن القبايح والسيات
والذي يوكد ذلك ما بينا ان قوله عليكم انفسكم معناه احفظوا انفسكم وكان ذلك امرا بان نحفظ
انفسنا فاذا لم يمكن ذلك الحفظ الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذلك واجبا وقيل
ان الايه مخصوصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ ولا يتركون الكفر بسبب الامر بالمعروف
فها هنا لا يجب على الانسان ان يامرهم بالمعروف والذي يوكد هذا القول ما ذكر في سبب النزول
ان الاية نازلة في المنافقين من حيث انهم عيروا المسلمين اخذ الجزية من اهل الكتاب دون المشركين
وقيل لا يضركم اذا اهتديتم وامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ضلال من ضل فلم يقبل ذلك وقيل
عليكم انفسكم في ادا الواجبات التي من جملتها الامر بالمعروف عند القدرة فان لم يقبلوا ذلك فلا
ينبغي ان تستوحشوا من ذلك فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم فلا يضركم ضلال غيركم قوله الى الله

مرجعكم اي مصيركم ومصير من خالفكم فينبيكم بما كنتم تعملون يجازيكم باعمالكم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصيه اثنان ذوا عدل منكم او اخران
من غيركم ان انتم ضربتم في الارض تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم
لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين فان عثر على
انهما استحقا اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين
نزلت هذه الايه في ثلاثة نفر خرجوا من المدينه الى الشام عدي بن زيد وتميم بن اوس
الداري وهما نصرانيان وبديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدموا
الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه فلما اشتد
وجعه اوصى الى تميم وعدي وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات بديل ففتشا متاعه
فاخذا منه انا من فضه منقوشا بالذهب فيه ثلثماية مثقال من فضه مموه بالذهب فغيباه ثم قضيا
حاجتهما وانصرفا وقدما المدينه فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوا فاصابوا الصحيفه فيها تسميه
ما كان معه وفيها الانا فجاوا تميما وعديا فقالوا هل باع صاحبنا شيا من متاعه قالا لا قالوا اهل اتجر
تجارة قالا لا قالوا اهل طال مرضه فانفق على نفسه قالا لا قالوا فانا وجدنا في متاعه صحيفه فيها
تسميه ما معه وانا فقدنا منها انا من فضه قالا ما ندري انما اوصى الينا بشي وامرنا ان ندفعه
اليكم فدفعناه وما لنا بالانا من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الايه شهادة
بينكم اي شهادة ما بينكم وبينكم كنايه عن التنازع والتشاجر وانما اضاف الشهاده الى التنازع
لان الشهود انما يحتاج اليهم عند التنازع وقد حذف ما من قوله ما بينكم لظهوره ونظيره قوله
هذا فراق بيني وبينك اي ما بيني وبينك قوله اذا حضر احدكم الموت لان زمان حضور
الموت هو زمان الوصيه فعرف ذلك الزمان بهذين الامرين الواقعين فيه والمراد بحضور
الموت مشارفته وحضور امارات وقوعه كقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا فقيل
اذا حضر احدكم الموت حين الوصيه دليل على وجوب الوصيه لانه تعالى جعل زمان حضور الموت
حين زمان الوصيه هذا لا يكون الا اذا كانا متلازمين وانما تحصل هذه الملازمه عند وجوب
الوصيه قوله اثنان بالرفع على انه خبر للمبتدا الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين
او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان ذوا عدل منكم من اهل دينكم وملتكم
يا معشر المومنين وقيل من اقاربكم من حي الموصي قيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي
وقيل هما الوصيان اراد الله تاكيد الامر فجعل الوصي اثنين يدل على هذا قوله تحبسونهما من بعد
الصلوة فيقسمان ولا يلزم الشاهد يمين ولان الايه نزلت في الموصيين وعلى هذا تكون الشهاده
بمعنى الحضور او اخران من غيركم قيل معناه من غير اهل دينكم وملتكم اي من اهل الذمه اي اذا لم
تجد مسلمين فيشهد كافرين قال شريح اذا كان الرجل بارض غربه ولم يجد مسلما يشهد على وصيته
فليشهد يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن واي كافر كان فشهادتهم جايزه ولا تجوز
شهادة الكافرين على المسلمين الا في سفر ولا تجوز في سفر الا في وصيه فان جاء رجلان مسلمان
وشهد بخلاف شهادتهما اجيزت شهادة المسلمين وابطلت شهادة الكافرين وقيل
معناه من غير حيكم وعشيرتكم فانه لا تجوز شهادة كافر على مسلم لا في حضر ولا في سفر يعني

يعني ان يشهد اثنان ذوا عدل من اقاربكم او ذوا عدل اخران من غيركم من الاجانب
ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا
اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح
قوله ان انتم ضربتم سرتم وسافرتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم
مالكم اليهما فادياه فارتاب بعض الورثة فاتهموهما في ذلك وادعوا عليهما خيانة فان
الحكم حينئذ ان تحبسوهما اي توقفوهما وتصبروهما للحلف من بعد الصلوة قال بن عباس
هذه اصلة قوله او اخران من غيركم اي من الكفار فاما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما قال
النخعي والشعبي وسعيد بن جبير وقتادة يعني من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس
وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل هي صلوة
اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر وفي حديث بديل انه لما نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا بالله انه لم يوجد منا
خيانة في هذا المال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم ظهر قيل
وجد بمكة وقيل لما طال المدة ظهر الاناء قوله ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى
ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان وقد نسخ تحليف
الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف
الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بالقسم
بالله ثمنا عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين على عوض ناخذه عليه او مال نذهب به او حق نجحده
ولو كان المقسم له ذا قرابة منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت
قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ولا نكتم شهادة
الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها انا اذا اي انا ان فعلنا ذلك اذا لمن الاثمين
قال صاحب الكشاف فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت مواستينا فكلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة
منهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما قوله فان عثر اي اطلع وظهر واصل العثور
الوقوع والسقوط على الشيء ثم استعمل في كل واقع على من كان عنده خفيا على انهما اي الوصيين
استحقا اثما اي فعلا فعلا استوجبا اثما ان يقال انهما لمن الاثمين ايمانهما الكاذبة وخيانتهما
فاخران اي شاهدان اخران يقومان مقام الوصيين من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه
من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته قيل بلغ بني سهم ان الاناء ظهرت فطالبوهما فقالا كنا قد
اشترينا منه فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا شيا فقلتما لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا
ان نقر فكتمنا فرفعوا القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فان عثر فقام عمرو بن
العاص والمطلب ابن ابي رفاعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر فدفع الرسول عليه السلام الاناء اليهما
والى اوليا الميت وكان تميم الداري يقول بعد ما اسلم صدق الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب
الى الله تعالى قوله الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاع الاوليان
على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هما الاوليان كانه لما قيل فاخران يقومان مقامهما قيل
ومن هما فقيل هما الاوليان وقيل الاوليان بدل من الضمير في يقومان اي يقوم الاوليان
مقامهما وقيل بدل من اخران ويجوز ان يرتفع الاوليان بقوله استحق اي يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم الاوليان فعلى هذا استحق بمعنى استوجب ولا بد من تقدير المضاف

لان

لان الواجب على اهل الميت ان يختاروا منهم شخصين من اقارب الميت موصوفين بالاولوية
من غيرهم لاطلاعهم على حقيقة الحال قيل انما وصفهما بانهما اوليان لوجهين الاول بمعنى الاوليان
الاقربان الى الميت الثاني ان يكون المعنى الاوليان باليمين والسبب فيه ان الوصيين ادعيا
ان الميت باع الانية فانتقل اليمين الى موالي الميت لان الوصيين قد ادعيا ان مورثهما
باع الاناء وهما انكرا ذلك وكان اليمين حقا لهما وهذا كما ان انسانا اقر لاخر بدين ثم ادعى انه
قضاه حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين اولانه صار مدعى عليه انه قد استوفاه وقرا حمزة
وعاصم في رواية ابي بكر الاولين على الجمع وهو نعت للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح
ومعنى الاولوية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرا حفص وحده استحق
بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة
ان يجردوهما للقيام بالشهادة فقوله فيقسمان بالله اي والله لشهادتنا يعني يميننا احق
من يمينهما نظيره قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله في قصة اللعان وهذا
كقول القائل اي اقسم بالله وما اعتدينا في يميننا وفي طلب هذا المال منهم وفي نسبتهم الى الخيانة
انا اذا لمن الظالمين **قوله تعالى** ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ذلك الذي
تقدم ذكره من بيان الحكم ادنى ان ياتي الشهادة على وجهها اي على ما كانت او يخافوا ان ترد ايمان
ان يكرر ايمان شهود اخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واتقوا الله ان
تحلفوا كاذبين او تخونوا خيانة واسمعوا الموعظة سماع اجابة وقبول **قوله تعالى** يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب عادة الله تعالى جارية في
القران العزيز بانه اذا ذكر انواعا كثيرة من الشرايع والتكاليف والاحكام اتبعها اما
بالالهيات واما بشرح احوال الانبياء واما بشرح احوال القيمة ليصير ذلك موكدا لما تقدم ذكره
من التكاليف والاحكام فلما ذكر انواعا كثيرة من الشرايع واتبعه بوصف احوال القيامة اولا ثم
بذكر احوال عيسى فاما وصف احوال القيامة فهو قوله يوم يجمع الله الرسل قوله يوم بدل من المفعول
المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله
لا يهدي اي لا يهديهم الى طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او منصوب باضمار اذكر او يوم يجمع
الله الرسل كان كيت وكيت قوله ماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدر على معنى اي اجابة
اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم وفايدة سوالهم توبيخ قومهم كما كان سوال الموؤده
توبيخا لوايدها فان قيل كيف يقولون لا علم لنا وقد علم الرسل ثم اجيبوا اجيب بانهم
يعلمون ان الغرض بالسوال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه تعالى واحاطته بما منوا به
منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة
وافت في اعضادهم واجلب لسقوطهم وحسرتهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم
ومثاله ان يشكو بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان
واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول ما فعل بك هذا الخارجي وهو
عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم السلطان
واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل ان للقيامة زلازل واهوالا
فالرسل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما يثوب اليهم عقلهم

يوم ح

بالشهادة على اممهم وقيل انما قالوا لا علم لنا لانك تعلم ما اظهروا وما اضمروا وافعلك فهم انفذ
من علمنا فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا لانا علمنا جوابهم لنا
حال حيوتنا والجزاء والثواب انما يحصلان على الخاتمه وذلك غير معلوم لنا وقيل ما حصل عند
كل احد من حال الغير انما هو الظن لا العلم ولذلك قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر فالرسل قالوا لا علم
لنا باحوالهم انما الحاصل عندنا من احوالهم الظن والظن كان معتبرا في الدنيا لان الاحكام في الدنيا
كانت مبنية على الظنون اما الاخرة فلا التفات فيها الى الظن لان الاحكام في الاخرة مبنية على
حقايق الاشيا وبواطن الامور فلهذا السبب قالوا لا علم لنا ولم يذكروا ما معهم من الظن لان الظن لا عبرة
به في القيامه **قوله تعالى** اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك
بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى
باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
قد تبين ان المقصود من قوله تعالى للرسل ماذا اجبتم توبيخ المتمردين من اممهم واشد الامم افتقارا
الى التوبيخ قوم عيسى لان تمرد ساير الامم كان مقصورا على الرسل وتمرد قوم عيسى تعدى الى جلال الله
وكبريايه حيث وصفوه بما لا يليق بعاقل ان يصف الاله به وهو اتخاذ الصاحبة والولد فلهذا اعد الله
انواع نعمه على عيسى بحضرة الرسل واحدا بعد واحد ليوبخ قوم عيسى على سوء مقالتهم فان كل واحد من
تلك النعم المعدودة على عيسى تدل على انه عبد وليس باله والفايدة من ذكرها في القرآن تنبيه النصارى
الذين كانوا في وقت نزول هذه الاية على قبح مقالتهم وفساد عقيدتهم يحتمل ان يكون العامل في
اذ فعلا مضمرا تقديره اذكر يا محمد اذ قال وقال ههنا بمعنى يقول لان ظاهر هذا القول
انه في القيامه ويحتمل ان يكون اذ بدلا من يوم يجمع وفايدة ايراده بلفظ الماضي التنبيه على قرب
القيامه كانها قد قامت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب الاتيان قال تعالى اتى امر الله والمعنى انه
يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الايات العظام فكذبوهم
وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم الهة كما قال بعض بني اسرايل فيما اظهر على
يد عيسى من البينات ان هذا الا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين قوله نعمتي عليك اراد الجمع
لقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان المفرد المضاف الى المعرفة يفيد العموم ايدتك قويتك
بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس اي الطهر لانه سبب الطهر من اوضار
الاثام يدل عليه قوله تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا وقيل روح
القدس جبريل معنى قوله في المهد وكهلا تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان تتفاوت كلامك في حين
الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبا فيه الانبيا واذ
علمتك الكتاب والحكمة جنس الكتاب والحكمة والتورية والانجيل خصا بالذكر للتشريف كقوله حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقيل الكتاب
الخط والحكمة الكلام المحكم والصواب قوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير
باذني فتنفخ فيها اي في هيئة الطير الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى ولا يرجع
ها في فيها الى هيئة الطير لانها ليست من خلقه ولم ينفخ فيها فتكون اي فيكون مثل هيئة الطير
طيرا باذني قرا نافع طايرا بالالف والباقون طيرا بغير الف وطير جمع طاير اعتبر الاذن
في خلق الطين كهيئة الطير وفي صيرورته طيرا وانما اعاد قوله باذني تاكيدا لكون ذلك

واقع

وانما يقدر الله وتخليقه لا بقدرة عيسى قوله وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى
تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة باذني اي بفعلي لذلك عند
دعايك وعند قولك للميت اخرج من قبرك باذن الله وذكر باذني في كل فعل من هذه الافعال ليدل على ان هذه
الافعال من الله تعالى لا من عيسى قوله واذ كففت بني اسرايل اي اليهود حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات
التي ذكرت فالالف واللام للعهد او لجنس البينات فاللام للاستغراق روي ان عيسى عليه السلام لما اظهر
الله هذه المعجزات العجيبة عليه قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم حيث رفعه الى السما **قوله تعالى** واذ
اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون من قال ان الحواريين
كانوا انبيا الله قال ذلك الوحي هو الوحي الذي يوحى الى الانبيا ومن قال انهم ما كانوا انبيا قال ذلك
الوحي هو الالهام كما في قوله واوحينا الى ام موسى وقيل معنى اوحيت الى الحواريين امرت الحواريين
على السنة الرسل وانما ذكر هذا في معرض تعديد النعم لان صيرورة الانسان مقبول القول عند الناس
محبوبا في قلوبهم من اعظم نعم الله عليه وانما قدم الايمان على الاسلام لان الايمان صفة القلب والاسلام
الانقياد والخضوع في الظاهر يعني امنا بقلوبنا واسلمنا بظواهرنا **قوله تعالى** واذ قال
الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة من السما قال اتقوا الله ان كنتم مومنين
قيل اذ قال منصوب بقوله اوحيت وقيل باذكر مضمرا هل يستطيع ربك بالتا ونصب البا معناه
هل تقدر يا عيسى ان تسال ربك والباقون باليا ورفع البا قيل كيف قالوا هل يستطيع ربك
بعد ايمانهم واخلاصهم اجيب عنه من وجهين احدهما ان الله ما وصفهم بالايمان والاخلاص وانما
حكى ادعاهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قال فاذن ان ادعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله
هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مومنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه
فاتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الايات
فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها وثانيهما ان قوله هل يستطيع ربك لا يدل على انهم شكوا في استطاعة الله
وهذا كما يقول الانسان لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي وهو يعلم انه مستطيع ولكنه يريد هل تفعل
او هل تختار ان تفعل وهل تفعل ذلك بمسالتك اياه وهذا الوجه هو الصحيح فانه لا يجوز لاحد
ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله تعالى والمايدة الخوان اذا كان عليه الطعام
وهي من ماده اذا اعطاه واطعمه كانها تميد اي تعطي من تقدم اليه قال عيسى اتقوا الله ان
تسالوه شيا لم يسله الامم وقيل اتقوا الله ان كنتم مومنين فلا تشكوا في قدرة الله وقيل اتقوا الله
لتصير تقواكم وسيلة الى حصول هذا المطلوب كما قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب **قوله تعالى** قالوا نريد ان ناكل منها وتطمين قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون
عليها من الشاهدين لله بالوحدانيه والقدره ولك بالنبوه كانهم لما طلبوا نزول المايده من السما
قال عيسى انه قد تقدمت معجزات كثيره فاتقوا الله في طلب هذه المعجزه بعد تقدم تلك المعجزات
القاهره فاجابوا وقالوا انا لا نطلب هذه المايده لمجرد ان تكون معجزه بل لمجموع امور كثيره احدها
نريد ان ناكل منها وتطمين قلوبنا فان الجوع قد غلبنا فلا نجد طعاما اخر وثانيها انا وان علمنا
قدرة الله تعالى بالدليل ولكنا اذا شاهدنا نزول هذه المايده تطمين قلوبنا وثالثها نعلم ان قد صدقتنا
بانك رسول الله ورابعها نكون عليها من الشاهدين لله بالوحدانيه والقدره ولك بالنبوه والرساله
ونكون عليها من الشاهدين اذا رجعنا اليهم اي نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرايل
قوله تعالى قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مايده من السما تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا

قوله فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين قرا حمزة والكسائي ساحر بالالف وكذا في يونس وهود والصف والباقون سحر بغير الف فالساحر اراد به عيسى

قرا الكسائي تستطيع ربك

واخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين اللهم نداء وربنا نداء ثان تكون صفة للمائدة
وليس بجواب للامر اي تكون يوم نزولها عيدا او الضمير في تكون عائد الى المائدة والاصل تكون يوم
نزولها عيدا فلما حذف المضاف والمضاف اليه استتر في تكون ضمير المائدة فانث قيل معناه نتخذ اليوم
الذي انزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا وقيل نصلي فيه قال الخليل العيد كل يوم مجمع كانهم عادوا اليه
وقيل سمي عيدا للعود من الترح الى الفرح وهو يوم سرور الخلق كلهم الا ترى ان المسجونين في ذلك
اليوم لا يطلبون ولا يعاقبون ولا يصطادوا الوحش والطيور ولا تغدو الصبيان الى المكاتب
وقيل سمي عيدا لان كل انسان يعود الى قدر منزلته الا ترى اختلاف ملابسهم وماكلهم واحوالهم وافعالهم
فمنهم من يضيف ومنهم من يضاف ومنهم من يرحم ومنهم من يرحم وقال بعضهم سمي بذلك لانه يوم شريف فاضل
تشبيها بالعيد وهو فحل نجيب كريم مشهور في العرب وينسبون اليه فيقال ابل عيدية وقيل هو يوم
الاحد ومن ثم اتخذ النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون
لنا سرورا وفرحا قوله لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي
بعدنا وعن ابن عباس يعني ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز للمقدمين والاتباع وآية منك دلالة
وحجة لاصحاب النظر والاستدلال على توحيدك وصحة نبوة رسولك وارزقنا طعاما ناكله وانت خير
الرازقين **قوله تعالى** قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه
احدا من العالمين قرا ابن عامر وعاصم ونافع منزلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما لغتان
وقيل بالتشديد اي منزلها مرة بعد مرة وبالتخفيف مرة واحدة فمن يكفر بعد نزول المائدة فاني اعذبه
عذابا اي تعذيبا لا اعذبه اي لا اعذب ذلك العذاب احدا من العالمين في زمانه قيل
فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير وقيل يجوز ان يكون ذلك
العذاب معجلا لهم في الدنيا ويجوز ان يكون ذلك العذاب موخرا الى الاخرة وعن الحسن ومجاهد
ما نزلت المائدة فعن مجاهد هذا مثل ضرب وعن الحسن ان القوم لما سمعوا الشروط قيل لهم
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه استعفوا وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل وقال
الجمهور انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم ولا يقع في خبره الخلف روي ان عيسى عليه السلام
لما اراد الدعاء لبس صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة
من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال
اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة فقال عيسى عليه السلام
ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت
اولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضا وصلى صلوة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل دسما
وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة
ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة فقال عيسى ليس منهما ولكن شيء اخترعه
الله بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون
لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال عليه السلام يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة
ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة
وخنازير **قوله تعالى** واذ قال الله يعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله

بلغ باصله

قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
انك انت علام الغيوب واذ قال معطوف على قوله واذ قال الله يعيسى ابن مريم اذكر يعني أأنت استفهام
على سبيل الانكار ذكره توبيخا للنصارى وتقريعا لهم سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان
اقول قولا لا يحق لي ان اقوله اي ما جبلتني على ان اقول مثل هذا او لما بين انه ليس له ان يقول هذا الكلام شرع في بيان انه
لم يقع هذا القول منه ولم يقل ما قلته لان هذا اجرى مجرى دعوى الطهارة والنزاهة والمقام مقام الخضوع ولم يقل
ما قلته لانه كذب بل فوض ذلك الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته وهذا مبالغة في الادب
واظهار الذلة في حضرة رب العزة وتفويض الامور بالكلية اليه تعلم ما في نفسي عن ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم
ما في غيبك وقيل تعلم ما كان مني في الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في الاخرة وقيل تعلم ما اريد ولا اعلم ما تريد
وقيل تعلم سري ولا اعلم سرك لان السر موضعه النفس وقيل تعلم جميع ما اعلم ولا اعلم ما تعلم لان النفس عبارة
عن جملة الشيء وحقيقته وملكه وقيل تعلم ما في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلوماتك ولكنه سلك
بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبديعه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير
للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد
قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم قال صاحب الكشاف ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر
اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يوسط بينهما
حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند
الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وان جعلتها
مصدرية موصولة بالفعل اي بقوله اعبدوا لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير
مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما
قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله
مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته لان
المبدل منه في حكم الساقط فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه اي معنى القول وهو
الامر لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني حتى تستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان
مصدرية موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا فان قيل قوله لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه غير سديد
لانه قال في المفصل لا يجب ذلك لانك تقول في زيد رايت غلامه رجلا صالحا ان رجلا صالحا بدل
من غلامه مع انه لا يقوم مقامه لانك لو قلت زيد رايت رجلا صالحا كان فاسدا لعدم الراجع الى المبتدا
سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون بدلا من ما امرتني به ويصح ان يقوم مقامه قولكم لا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا
بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال قلنا لا نسلم ان العبادة لا تقال فانه يصح ان يقال معناه ما
قلت لهم الا عبادته بالنصب اي الزموا عبادته نحو يكون هو المراد من ما امرتني به ويكون الجملة هي الزموا
عبادته بدلا من ما امرتني من حيث انها في حكم المفرد لانها مقوله وما امرتني به مفرد لفظا وجملة معنى سلمنا
انه لا يجوز ان يكون بدلا من ما امرتني ولكن لم لا يجوز ان يكون بدلا من الهاء في به مع انه لو يصح ان يقال الا
ما امرتني بان اعبدوا الله لما مر انه يصح ان يقال رجلا صالحا بدل من غلامه مع انه لم يصح ان يقال
زيد رايت رجلا صالحا لعدم الراجع الى المبتدا وقيل يجوز ان يكون ان اعبدوا الله خبر مبتدا
محذوف اي هو ان اعبدوا او مفعول فعل مقدر اي اعني ان اعبدوا الله وقيل في قوله لم يستقم

لان الله لا تقول اعبدوا الله ربي وربكم نظرا لم لا يجوز ان عيسى عليه السلام نقل معنى كلام الله بعبارة
العباد كانه قيل ما قلت لهم شيئا سوى قولك لي قل لهم ان اعبدوا الله ربي وربكم كما تقدم في قوله قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون على قراءة الياء قال الزجاج ان اعبدوا الله يجوز ان يكون في موضع خفض على البدل
من الهاء ان موصولة باعبدوا الله ومعناه الا ما امرتني به بان اعبدوا الله ويجوز ان يكون موضعها نصبا
على البدل من ما المعنى ما قلت لهم شيئا الا ان اعبدوا الله اي ما ذكرت لهم الا عبادة الله قوله وكنت عليهم شهيدا
مادمت فيهم اي كنت شهيدا على ما يفعلون مادمت مقيما فيهم اي كنت عليهم رقيبا كالشاهد على المشهود عليه
امنعهم ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني اي رفعتني الى السماء كنت انت الرقيب عليهم الحفيظ عليهم
قال صاحب الكشاف تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم
من الرسل وانت على كل شيء شهيد من مقالتي ومقالتهم وقيل انت الشهيد لي حين كنت فيهم وانت الشهيد
عليهم بعد ما رقي عنهم فالشهيد المشاهد ويجوز حمله على الرؤية ويجوز حمله على العلم ويجوز
حمله على الكلام بمعنى الشهادة فالشهيد من اسماء الصفات الحقيقية على جميع التقديرات ان تعذبهم
فمتهم ينصرانيتهم فانهم عبادك وان تغفر لهم [تغفر لهم] فتخرجهم من النصرانية وترشدهم الى التوحيد والاسلام فانك
انت العزيز في الملك القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم في قضائك الذي لا يثيب ولا يعاقب
الا بالاستحقاق فان قيل كيف جاز لعيسى عليه السلام ان يقول وان تغفر لهم والله لا يغفر الشرك اجيب
بانه على الوجه الذي فسر اندفع هذا السؤال وبانه يجوز من الله تعالى ان يدخل الكفار الجنة وان يدخل
الزهاد والعباد النار لان الملك ملكه ولا اعتراض لاحد عليه والمقصود من ذكر عيسى هذا الكلام
تفويض الامور كلها الى الله وترك الاعتراض بالكلية ولذلك ختم الكلام بقوله انك انت العزيز الحكيم
يعني انت قادر على كل ما تريد حكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لاحد عليك **قوله تعالى** قال الله هذا يوم
ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
قرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال او على انه خبر وقوله هذا مبتدا معناه هذا الذي ذكرنا
من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا لقوله يوم لا عمالة لانه مضاف الى متمكن قوله لهم جنات
لما اخبر بصدق الصادقين ينفعهم بين كيفيته ذلك النفع قال الامام رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز
العظيم اشار الى التعظيم هذا على ظاهر قول المتكلمين وعند اصحاب الارواح المشرقة بانوار جلال
الله تحت قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه اسرار عجيبة لا تسع الاقلام عملها جعلنا الله من اهلها [رضي الله عنهم ورضوا عنه]
قوله ذلك اشارة الى جملة ما تقدم من قوله لهم جنات الى قوله ورضوا عنه **قوله تعالى** لله ملك
السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير قيل ان هذا جواب عن سؤال مقدر كانه قيل من يعطيهم
ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السموات والارض قال وما فيهن ولم يقل ومن فغلب غير العقلاء
على العقلاء تنبيها على ان كل المخلوقات مسخرون في قبضة قهره وقدرته وهم في ذلك التسخير كالجمادات

سورة الانعام مكية في قول الاكثرين وعن ابن عباس هي مكية كلها الا ايتين

منها نزلتا بالمدينة قوله تعالى وما قدروا الله وقوله تعالى وهو الذي انشا جنات معروشات
وقيل هي مكية الا ست ايات نزلت بالمدينة قوله وما قدروا الله الى اخر ثلاث ايات وقوله
قل تعالوا الى اخر الثلاث ايات وباقي السورة كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك
قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله العظيم
وخر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم وهي مائة وخمس وستون اية كلها الحجاج على المشركين وغيرهم
من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا اقتضى انزالها جملة واحدة لانها في معنى واحد

وان

وان يصرف ذلك بوجوه كثيرة وعليها بني اصول الدين لان فيها ايات بينات ترد على القدرية قال
الاصوليون هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة احدهما انها نزلت دفعة واحدة والثانية
انها شيعها سبعون الفا من الملائكة والسبب فيه انها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد
وابطال مذاهب المبطلين والملحدين وذلك يدل على ان علم الاصول في غاية الجلالة والرفعة وايضا فان الـ
ما يدل على الاحكام قد يكون المصلحة ان ينزله الله على قدر حاجتهم وبحسب الحوادث والنوازل واما ما يدل
على علم الاصول فقد انزله الله جملة واحدة وذلك يدل على ان تعلم علم الاصول واجب على الفور لا على التراخي
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون عن مقاتل قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم من ربك قال الذي خلق السموات والارض فكذبوه
فانزل الله تعالى حامدا لنفسه دالا لصنعه على وجوده وتوحيده قال في اول الفاتحة الحمد لله رب العالمين
وفي اول هذه السورة الحمد لله الذي خلق السموات والارض والاول اعم لان العالم عبارة عن كل ما سوى الله
فيدخل فيه كل موجود سوى الله والسموات والارض والظلمات والنور لا يدخل فيه سائر المبدعات فالتحميد
في هذه السورة كانه قسم من الاقسام الداخلة تحت التحميد المذكور في سورة الفاتحة وتفصيل لتلك الجملة جعل يتعدى
الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى
صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قيل الفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى
التقدير وفي الجعل معنى التضمين اي جعله في ضمن اخر كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان
ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار
وجعلناكم ازواجا اجعل الالهة الها واحدا وقيل الحمد لله الذي خلق السموات والارض وقد جعل
الظلمات والنور لانه خلق الظلمة والنور قبل خلق السموات والارض قال قتادة خلق الله السموات
قبل خلق الارض والظلمة قبل النور قال الحسن وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والايمان وقال قتادة
يعني الجنة والنار وقال السدي يعني ظلمة الليل ونور النهار قال الواقدي كل ما في القران من الظلمات
والنور فهو الكفر والايمان الا في هذه الاية فانه يريد بها الليل والنهار وقيل جعل هاهنا صلة والعرب
تزيد جعل في الكلام كقول الشاعر وقد جعلت ارى الاثنين اربعة والواحد اثنين لما هدني الكبر
قيل انما جمع الظلمات ووحد النور لان النور يتعدى والظلمات لا تتعدى قال صاحب الكشاف
افرد النور لقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام
الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار قوله ثم الذين كفروا قيل هو معطوف
على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
فيكفرون نعمته فيكون قوله يعدلون من العدول والباء في قوله بربهم صلة لكفروا والان نقابل طرفي الكلام
انما يحسن اذا قيل الحمد لله ثم الذين كفروا به يعدلون عنه فيكفرون نعمته كانه قيل الحمد حقه والذين كفروا
لا يحمدونه وقيل معطوف على قوله تعالى خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد
سواه ثم الذين كفروا يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فيكون قوله يعدلون من العدل وقوله
بربهم من الظاهر الموضوع موضع المضمر اي ثم الذين كفروا يعدلون به لانه لا بد في المعطوف على
الصلة من ضمير يعود الى الموصول كما في المعطوف عليه لان التقابل انما يحسن على تقدير العطف
على خلق لو قيل هو خلق وهم يشركون به من لا يقدر على خلق ومعنى ثم استبعاد ان يعدلوا عنه على
القول الاول او ان يعدلوا به بعد وضوح اياته قدرته **قوله تعالى** هو الذي خلقكم
خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون قيل يحتمل ان يكون المراد منه

ذ ٣ دليل اخر من دلايل اثبات الصانع بيانه انه لما استدل بخلق السموات والارض وتعاقب الظلمات والنور
على وجود الصانع الحكيم اتبعه بالاستدلال بخلقهم على اثبات هذا المطلوب فقال هو الذى خلقكم من
طين والمشهور ان المراد منه انه تعالى خلقهم من ادم وادم كان مخلوقا من الطين فلهذا السبب قال هو الذى
خلقكم من طين وقيل ان الانسان مخلوق من المنى ومن دم الطمث وهما متولدان من الدم والدم متولد من
الاغذيه والاغذيه اما حيوانيه او نباتيه فان كانت حيوانيه كان الحال فى تولد ذلك الحيوان كالحال فى تولد
الانسان فبقى ان تكون نباتيه فثبت ان الانسان من الاغذيه النباتيه والاغذيه النباتيه من الطين فثبت
ان كل انسان متولد من الطين وتولد المنى بهذا الطريق المذكور من الطين ثم تولد من المنى انواع الاعضا
المختلفه فى الصوره واللون والشكل مثل القلب والدماغ والكبد وانواع الاعضا البسيطه كالعظام والغضاريف
والرباطات والاوتار وغيرها وتولد الصفات المختلفه فى الماده المتشابهه لا يمكن الا بتقدير القدير
الحكيم وتدبير العليم الرحيم وذلك هو المطلوب وقيل يحتمل ان يكون فى المراد منه ذكر الدليل الدال على صحة
المعاد وصحة الحشر والنشر بيانه انه لما ثبت ان خلق بدن الانسان انما حصل لان الفاعل المختار الحكيم القادر
العليم الرحيم ربت خلقة هذه الاعضا على هذه الصفات المختلفه بحكمته وقدرته وتلك القدرة والحكمه
باقيه بعد الموت فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحيوه فيها وهذا يدل على صحة القول بالمعاد والحق
انه اراد هما قوله ثم قضى اجلا القضا قد يراد به الحكم والامر قال الله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا
اياه وقد يراد به الخبر والاعلام قال تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب وقد يراد
به الفعل اذا تم قال تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وقولهم قضى فلان حاجة فلان واما الاجل فهو
فى اللغه عبارة عن الوقت المعروف لانقضا المده واجل الانسان هو الوقت المضروب لانقضا عمره
واجل الدين محله لانقضا التاخير فيه واصله من التاخير يقال اجل الشى يوجل اجولا وهو اجل اذا تاخر
والاجل نقيض العاجل فمعنى قضى اجلا انه تعالى خصص موت كل احد بوقت معين وذلك التخصيص عبارة
عن تعلق مشيته بايقاع ذلك الموت فى ذلك الوقت قوله واجل مسمى يدل على حصول اجلين لكل انسان
قيل قضى اجلا اى اجل المنافقين من الخلق واجل مسمى اى اجل الباقين وخص الاجل الثانى بكونه مسمى عنده
لان المنافقين لما ماتوا صارت اجالهم معلومه اما الباقون فهم بعد لم يموتوا فلم تصر اجالهم معلومه
فلهذا المعنى قال واجل مسمى عنده وقيل اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمه وقيل
الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل
الاول النوم والثانى الموت قوله مسمى عنده اى معلوم عنده او مذكور اسمه فى اللوح
المحفوظ وقوله واجل مسمى مبتدا وقوله عنده خبره ولما تخصص المبتدا بالصفه قارب
المعرفه فجاز تاخير الخبر قال صاحب الكشاف فان قلت الكلام السائر ان يقال عندى ثوب
جيد ولى عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واى اجل مسمى
عنده تعظيما لشان الساعه فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم قوله ثم انتم تمترون
تشكون فى صحة التوحيد وفى البعث **قوله تعالى** وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم
وجهركم ويعلم ما تكسبون ولما كانت الايتان المتقدمتان يدلان على كمال القدرة وهذه الايه
تدل على كمال العلم وحينئذ كمل العلم بالصفات المعتبره فى الالهيه والمقصود من هذه الايه
تكميل الدلاله على صحة المعاد لان منكرى المعاد انما انكروه لامرين احدهما انهم يعتقدون
ان المؤثر فى حدوث بدن الانسان امتزاج الطبايع وينكرون ان يكون المؤثر فيه قادرا مختارا
والثانى انهم يسلمون ذلك الا انهم يقولون انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن

العاصى

العاصى ولا تمييز اجزا بدن زيد عن اجزا بدن عمرو ثم انه تعالى اثبت بالايتين المتقدمتين كونه تعالى
قادرا مختارا لا علة موجبه واثبت بهذه الايه كونه تعالى عالما بجميع المعلومات وحينئذ بطل
جميع الشبهات التى عليها مدار القول بانكار المعاد وصحة الحشر والنشر فى السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل
وهو المعبود فى السموات والارض ومنه قوله وهو الذى فى السما اله وفى الارض اله اى معبود وقيل
وهو المعروف بالالهيه فى السموات والارض وقيل وهو الذى يقال له الله فى السموات والارض لا يشرك
به فى هذا الاسم وقيل وهو الله فى تدبير السموات والارض وقيل ان قوله وهو الله كلام تام ثم ابتدا
فى السموات والارض يعلم سركم وجهركم والمعنى انه تعالى يعلم فى السموات سر الملايكه وفى الارض
يعلم سر الانس والجن وقيل الكلام على التقديم والتاخير والتقدير وهو الله يعلم فى السموات والارض
سركم وجهركم وان اردت المتوحد بالالهيه كان قوله يعلم سركم وجهركم تقريرا له لان الذى استوى فى
علمه السر والجهر هو الله وحده وكذلك اذا جعلت فى السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدا بمعنى هو
يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب **قوله تعالى** وما تاتيهم
من ايه من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون
من فى قوله من ايه للاستغراق وفى من ايات للتبعيض جعل الله مراتب احوال هولاء الكفار ثلاثا الاولى
انه ما ظهر لهم ايه من الايات التى يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين
للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب الثانيه كونهم مكذبين بها قوله
فقد كذبوا متعلق بشرط محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا بما هو اعظم ايه واكبرها
وهو الحق لما جاءهم يعنى القران الذى تحدوا به على ما لهم فى الفصاحه فعجزوا عنه وهذه المرتبه ازيد من
الاولى لان المعرض عن الشى قد لا يكون مكذبا به بل يكون غافلا عنه غير متعرض له فاذا صار مكذبا به فقد زاد
على الاعراض الثالثه كونهم مستهزئين وهذه المرتبه ازيد من الثانيه لان المكذب بالشى قد لا يبلغ تكذيبه
الى حد الاستهزا فاذا بلغ الى هذا الحد فقد بلغ الغايه القصوى فى الانكار فبين الله تعالى ان اولئك
الكفار وصلوا فى هذه المراتب الثلاث على هذا الترتيب قيل الحق فى قوله فقد كذبوا بالحق القران وقيل
محمد عليه الصلوه والسلام وقيل الشرع وبالاحكام التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الوعد والوعيد
الذى يرغبهم فيه تارة ويحذرهم بسببه اخرى وقيل المعجزات قال ابن مسعود انشق القمر بمكة وانفلق فلقتين
فذهبت فلقة وبقيت فلقة والاولى دخول الكل فيه فسوف ياتيهم انباء الشى الذى كانوا به يستهزءون
اخبار احواله بمعنى سيعلمون باى شى استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن موضع استهزا وذلك عند ارسال
العذاب عليهم فى الدنيا او يوم القيامه او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته **قوله تعالى** الم يروا كم اهلكنا من
قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السما عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم
فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين لما منعهم الله عن الاعراض والتكذيب والاستهزا
بالتهديد والوعيد اتبعه بما يجرى مجرى الموعظه والنصيحه فى الباب فوعظهم باعتبار القرون الماضيه كقوم
نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم القرن اهل زمان وهم القوم المقترنون فى زمان
من الدهر كالمدة التى يجتمع فيها قوم يقترنون بالموت قرن لان الذين ياتون بعدهم اقوام اخرون والدليل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم خيركم قرنى واشتقاقه من الاقتران ولما كان اعمار الناس لمثلا الاكثر الستون والسبعون
والثمانون لاجرم قال بعضهم القرن هو الستون وقال اخرون هو السبعون وقال قوم هو الثمانون والاقرب
انه غير مقدر بزمان معين لا يقع فيه زياده ولا نقصان بل المراد اهل كل عصر فاذا انقضى منهم الاكثر قيل
قد انقضى القرن وصف الله القرون الماضيه بثلاثة انواع من الصفات الصفة الاولى قوله مكناهم فى

الارض ما لم نمكن لكم مكن له في الارض جعل له مكانا ونحوه ارض له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض
او لم نمكن لكم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله تعالى ولقد مكناكم فيه ولتقارب المعنيين
جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي اعطيناهم ما لم نعطكم من البسطة والاجسام والسعة
في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا عن ابن عباس امهلناهم في العمر والاجسام والاولاد مثل قوم
نوح وعاد وثمود الصفة الثانية قوله وارسلنا السماء عليهم اي المطر تسمية للشي باسم السبب مدرارا
غزيرا الدر والمدرار يصلح ان يكون نعتا للمطر كما في الاية ويجوز ان يكون نعتا للسحاب يقال مطر
مدرار اذا تتابع قطره وسحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال يجيء نعتا يراد المبالغة فيه قال
مقاتل مدرارا متتابعا مرة بعد اخرى ويستوي فيه المذكر والمؤنث الصفة الثالثة قوله وجعلنا
الانهار تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين والمقصود من هذه الاوصاف انهم وجدوا من منافع
الدنيا ما لم يجد اهل مكة ثم جرى عليهم ما سمعتم وهذا المعنى يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة
ورقدة الجهالة والفائدة في ذكر انشأنا قرنا اخرين بعدهم الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا
ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشي مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها

قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين المتمردون عن قبول دعوة الانبياء انما تمردهم بسبب توغلهم في حب الدنيا وطلب لذاتها
وقد اشار اليهم في الاية المتقدمة فبين ان لذات الدنيا ذاهبة والتبعة باقية وتارة بسبب حملهم
معجزات الانبياء على السحر وفي الاية اشار الى هذا قوله كتابا اي مكتوبا في قرطاس فلمسوه بايديهم ولم يقتصر
على الرؤية لئلا يقولوا انما سكرت ابصارنا ولا يبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا
للحق بعد ظهوره وقال مقاتل والكلبي نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا
يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة املاك يشهدون عليه انه من عند الله وانك
رسوله **قوله تعالى** وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون هذا نوع اخر من شبهات منكري النبوة فانهم قالوا لو بعث الله الى الخلق
رسولا لوجب ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لكون علمهم اكثر وقدرتهم اقوى وابعد عن البشر
اظهر والشبهة في رسالته اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم فكلما هو اسرع افضى الى تحصيل المطلوب كان
اولى اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجهين احدهما قوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لقضي
امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته
وهي اية لا شي ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون لم يكن بد من اهلاكهم بعذاب الاستيصال وههنا ما انزل
الله الملك عليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب وثانيهما انهم اذا شاهدوا الملك زهقت ارواحهم
من هول ما يشاهدون فان الادمي اذا راى الملك على صورة البشر فلا يتفاوت الحال فيه
سواء كان هو في نفسه بشرا او ملكا وان راى على صورته الاصلية زهقت روحه من هول ما يشاهد قوله
ثم لا ينظرون يعني ثم بعد ما عاين ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل عليه اي على محمد ملك
وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا اي في صورة رجل كما كان
ينزل جبريل على رسول الله في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة اذا كانوا
في صورهم وللبسنا ولخلطنا وشبهنا عليهم ما يخلطون ويشبهون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا
املك هو او ادمي فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال
لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقران المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا

مكناهم فيها اذ هم

قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
ان بعض الاقوام الذين قالوا لولا انزل عليه ملك انما قالوا هذا الكلام على سبيل الاستهزاء وكان يضيق
صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سماعه فقال تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه قيل ما يلقى من قومك من الاستهزاء لست متفردا به بل قد استهزئ برسل
من قبلك فحاق بهم فاحاط بهم الشي الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من حيث الاستهزاء به
وقيل فحاق اي فنزل وقيل فحل وقيل دار وقيل الحيق في اللغة ما يشتمل على الانسان من مكروه وقيل
وجب والحيق والحيوق الوجوب **قوله تعالى** قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين حذر القوم بهذه الاية وقال للرسول صلى الله عليه وسلم قل لهم لا تغتروا بما وجدتم من متاع الدنيا
وطيباتها بل سيروا في الارض لتعرفوا صحة ما اخبركم الرسول من نزول العذاب على الذين كذبوا الرسل
في الازمنة السالفة فانكم عند السير في الارض والسفر في البلاد لا بد وان تشاهدوا تلك الاثار
فيكمل الاعتبار ويقوى الاستبصار والفرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا ان في
الاول جعل النظر مسببا عن السير كانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وفي الثاني
ابيح السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع واوجب النظر في اثار الهالكين ونبه على هذا
الفرق بكلمة ثم لتباعد ما بين الواجب والمباح **قوله تعالى** قل لمن ما في السموات والارض قل
لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
المقصود من هذه الاية تقرير اثبات الصانع والمعاد والنبوة بيانه ان احوال العالم
العلوي والسفلي يدل على ان جميع هذه الاجسام موصوفة بصفات مع جواز اتصافها باضدادها
فاختصاص كل جسم بصفته المعينة بارادة الصانع القادر الحكيم المختار فالعالم بما فيه ملك له تعالى
فيكون قادرا على الاعادة لان التركيب الاول لكونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات
وهذا القدر يمنع زوالها فتجوز الاعادة ويكون ملكا مطاعا امرا ناهيا مرسلا يبلغ
اوامره ونواهيه الى عباده فهذه الاية وافية باثبات المطالب الثلاثة قل لمن سؤال تبكيت
وقل لله جواب فقد امر الله النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال اولا ثم بالجواب ثانيا وهذا انما يحسن
في الموضع الذي يكون الجواب قد بلغ في الظهور الى حيث لا يقدر على انكاره منكر ولما كان اثار
الحدوث والامكان ظاهرة على صفحات ما في السموات والارض كان الاعتراف بانها لله لازما
فامره بالسؤال اولا ثم بالجواب ثانيا تنبيها على ان الاقرار بهذا المعنى ظاهر ضروري ولا
خلاف بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين مخاطبيه ان ما في السموات والارض لله ولا يقدرون
ان يضيفوا منه شيا الى غيره كتب على نفسه الرحمة لما بين كمال الهيته وقدرته ونفاذ تصرفه
في المخلوقات اردفه بكمال رحمته الى الخلق وكانه قال لم يكتف بالانعام والوعد به وكتب على
نفسه الرحمة ايجابا على وجه التفضل قيل تلك الرحمة هي انه تعالى يمهلهم مدة عمرهم ويرفع عنهم عذاب
الاستيصال ولا يعاجلهم بالعقوبة في الدنيا وقيل كتب على نفسه الرحمة لمن كذب الرسل وتاب وقبل
شرايعهم قوله ليجمعنكم اللام فيه لام القسم والنون نون التاكيد اي والله ليجمعنكم في يوم القيامة
فالى بمعنى في وقيل ليجمعنكم في القبور الى يوم القيامة وقيل ليجمعنكم كلام مبتدأ غير متعلق بما قبله فانه تعالى بين
كمال الهيته بقوله قل لمن ما في السموات والارض قل لله ثم بين انه تعالى يرحم في الدنيا بالامهال ورفع
عذاب الاستيصال وبين انه يجمعهم الى يوم القيامة لا يهملهم بل يحشرهم ويحاسبهم على كل ما فعلوا وقيل
انه متعلق بما قبله والتقدير كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم وقيل انه لما قال كتب ربكم على نفسه

والعلم ح

الرحمة كأنه قيل وما تلك الرحمة فقيل إنه تعالى ليجمعكم إلى يوم القيامة وذلك لأنه لولا خوف العذاب يوم القيامة
لحصل الهرج والمرج ولارتفع الضبط ولكثر الخبط فالجمع يوم القيامة من أعظم أسباب الرحمة في الدنيا فكان قوله
ليجمعكم إلى يوم القيامة كالتفسير لقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة قوله الذين خسروا في محل النصب على البدل
من الضمير في قوله ليجمعنكم والمعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم وقيل نصب على الذم أي أريد
الذين خسروا أو قيل رفع على الذم أي أنتم الذين خسروا أنفسهم وقيل الذين خسروا أنفسهم مبتدأ وقوله فهم لا يؤمنون
خبر لأن قوله ليجمعنكم مشتمل على الذين خسروا وعلى غيرهم والفاء في قوله فهم لتضمن المبتدأ معنى الشرط فإن قيل
ظاهر اللفظ يدل على أن خسرانهم سبب لعدم إيمانهم والأمر على العكس أجيب بأن سبق القضاء بالخسران
والخذلان هو الذي حملهم على الامتناع من الإيمان وذلك غير مذهب أهل السنة **قوله تعالى** وله ما سكن
في الليل والنهار وهو السميع العليم ذكر في الآية الأولى السموات والأرض إذ لا مكان سواهما وفي هذه الآية
ذكر الليل والنهار إذ لا زمان سواهما فالزمان والمكان ظرفان للمحدثات فأخبر سبحانه أن له المكان والمكانيات
والزمان والزمانيات ولما كان المكان والمكانيات والتعليم الكامل هو الذي يبدأ بالأظهر فالأظهر مترقيا
إلى الأخفى فالأخفى ولتقدم لمن في الآية الأولى وفي الآية الثانية تفيد الحصر قوله ما سكن من السكون الذي
هو السكنى أي الحلول لا من السكون الذي هو مقابل الحركة يقال فلان يسكن ببلد كذا ولتعدي بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا فيكون المعنى وله ما حصل في الليل والنهار أي ما حصل في الزمان متحركا
كان أو ساكنا وهو السميع لنداء المحتاجين العليم بحاجاتهم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان وهذا
رد على من قال موجب بالذات غير عالم بالجزئيات **قوله تعالى** قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات
والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل إني أخاف إن
عصيت ربي عذاب يوم عظيم لما بين أن ما في السموات والأرض له وكتب على نفسه الرحمة وله ما سكن
في الليل والنهار وهو السميع العليم أمر أن يقول أغير الله أتخذ وليا استفهام على سبيل الإنكار
والتعجب وفرق بين أن يقال أغير الله أتخذ وليا وبين أن يقال أتخذ وليا غير الله فإنه في الأول
أولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو أتخذ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ
الولي فكان الولي بالتقديم ونحو أفغير الله تأمروني أعبد أذن لكم غير الله مفعول أول لأتخذ ووليا
مفعول ثان له أي قل يا محمد أغير الله أتخذ وليا أي ربا ومعبودا أو ناصرا ومعينا فاطر السموات
والأرض أي خالقهما ومبدعهما ومبديهما والفطر الابتداء والاختراع قال ابن عباس كنت لا أدري
ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي أنا ابتدأتها
وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق لقوله تعالى ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون
والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع قوله فاطر السموات بالجر صفة والمذكور
في صدر الآية هو المنع من اتخاذ غير الله وليا واحتج عليه بأنه فاطر السموات والأرض وهو
يطعم ولا يطعم فامتنع في العقل اتخاذ غيره وليا لأن ما سواه محتاج في ذاته وفي جميع صفاته
إليه والحق سبحانه هو الغني قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم
سابق أمته في الإسلام لقوله تعالى وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت إليك
وأنا أول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي ولا تكونن من المشركين ومعناه أمرت بالإسلام
ونهيت عن الشرك قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم فيما أمرت به ونهيت عنه
صرت مستحقا العذاب العظيم قرأ ابن كثير ونافع إني بفتح الياء والباقون بالإسكان
قوله تعالى من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين قرأ حمزة والكسائي

محله بعد الورق الثاني

ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله الذين كنتم تزعمون شركاء فحذف المفعولان
وقيل تزعمون أنها تشفع لكم عند ربكم وإنما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم
إذا لم ينفعهم ولم يكن منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبين في وقت التوبيخ ليفقدوهم
في الساعة التي علقوا بهم الرجا فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم **قوله تعالى** ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم
لم تكن بالتاء المنقوطة من فوق وفتنتهم بالرفع وأبو عمرو ونافع وأبو بكر عن عاصم بالتاء المنقوطة من فوق
وفتنتهم بالنصب وحمزة والكسائي بالياء المنقوطة من تحت وفتنتهم بالنصب فعلى الأولى فتنتهم اسم تكن وخبره
محذوف يقوم مقامه أن قالوا وعلى الثاني اسم تكن محذوف يقوم مقامه أن قالوا وفتنتهم خبره وأنث
لتأنيث الخبر وعلى الثالث كما في الثاني فعلى الأول حصر فتنتهم في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وعلى الآخرين
حصر قولهم والله ربنا ما كنا مشركين في فتنتهم قيل فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم
وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به وقيل
فتنتهم جوابهم أي ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب قال الزجاج تأويل هذه الآية تأويل
حسن في اللغة لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك وذلك أن الله تعالى بين
أن المشركين مفتونون بشركهم متهالكين على حبه فأعلم في هذه الآية أنه لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم
عليه إلا أن تبرؤا منه وتباعدوا عنه فحلفوا أنهم ما كانوا مشركين ومثاله أن ترى إنسانا يحب غاويا مذموم
الطريقة فإذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك لفلان إلا أن تبرأت منه فالمراد
بالفتنة هنا افتتانهم بالأوثان ويتأكد هذا الوجه بما روى عطاء عن ابن عباس أنه قال ثم لم تكن فتنتهم معناه
شركهم في الدنيا وهذا القول راجع إلى حذف المضاف لأن المعنى لم تكن عاقبة فتنتهم إلا البراءة قوله
انظر كيف كذبوا على أنفسهم المراد منه إنكارهم كونهم مشركين قوله وضل عطف على قوله كذبوا أي انظر
كيف ضل عنهم أي غاب عنهم ما كانوا يفترون من الهيئة وشفاعتها قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف يصح أن
يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور على أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما لا
ينفعه وبما ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا
ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم
وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر
كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام لأن
المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما
أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة
بكذبهم في الدنيا **قوله تعالى** ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم
وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير
الأولين روي أنه اجتمع أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة
ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف والحارث بن عامر يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد قال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك
لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون
الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان إني لأرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا فأنزل الله الآية

١ ل

ومنهم من يستمع اليك والى كلامك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه والاكنة جمع الكنان وهو الغطا
والاكنة الاغطيه والوقر الثقل في الاذان والاكنة على القلوب والوقر في الاذان ان يفقهوه في محل النصب
على انه مفعول له والمعنى وجعلنا على قلوبهم اكنة كراهة ان يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهه ولما حذفت
الكراهه انتقل نصبها الى ان يفقهوه واسناد الفعل الى ذاته لانه هو الفاعل بالحقيقة لجميع المحدثات والممكنات
والافعال لا للدلاله على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكايه لما ينطقون به من
قولهم وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كما ذكره صاحب الكشاف لانه صرف اللفظ عن الظاهر
المستقيم الى خلافه الباطل وهذا لا يجوز وان يروا كل ايه لا يومنوا بها لاجل ان الله تعالى جعل على قلوبهم
اكنة حتى اذا جاوك حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجمله اذا جاوك يجادلونك يقول الذين كفروا
اذا جاوك شرط وجزاوه يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون حتى هي الجاره
ويكون اذا جاوك في محل الجر اي حتى وقت مجيهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا
تفسير لقوله يجادلونك والمعنى انه بلغ تكذيبهم الايات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر يجادلونك
بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات موضوعة
من حديث الليل واحاديث الاولين وهي غاية التكذيب والاساطير الاباطيل الواحد اسطوره بالضم
واسطاره بالكسر قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون
لما بين انهم طعنوا في كون القران معجزا وقالوا ان هذا الا اساطير الاولين بين في هذه الايه
انهم ينهون الناس عن القران او عن الرسول واتباعه وتصديقه ويثبطونهم عن الايمان به ويناون
عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم
وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ابي طالب وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام واجتمعت قريش الى ابي طالب
يريدون سوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد
صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار
سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فانزل الله تعالى وهم ينهون اي ينهون الناس عن اذى النبي صلى الله
عليه وسلم وينأون يتباعدون عما جا به من الهدى فلا يصدقونه قوله وان يهلكون الا انفسهم
ان نافيه اي وما يهلكون الا انفسهم لان اوزار الذين يصدونهم عليهم وما يشعرون ان اوزارهم
عليهم قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا
ونكون من المومنين لما ذكر في صفة من نهى عن متابعة الرسول وتباعد عن طاعته انهم يهلكون انفسهم بين في
هذه الايه كيفيه ذلك الهلاك ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرايت امرا شنيعا حذف تفخيما للامر
وجاز حذفه لعلم المخاطب واشباهه كثير في القران والشعر قوله اذ وقفوا قال الزجاج معنى وقفوا
على النار يحتمل ثلثة اوجه الاول ان يكون قد وقفوا عندها وهم معاينوها فهم موقنون على ان يدخلوا
النار الثاني ان يكون وقفوا عليها وهي تحتهم بمعنى انهم وقفوا فوق النار على الصراط وهو جسر فوق جهنم
الثالث انهم عرفوا حقيقتها تعريفا من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته والمعنى ادخلوها فعرفوا مقدار
عذابها قوله يا ليتنا نرد ثم تمنيهم ثم ابتدوا وقولهم لا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين واعدين الايمان
كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونومن على وجه الاثبات وانهم لكاذبون في قولهم لا نكذب بايات ربنا ونكون
من المومنين وتقدير الكلام يا ليتنا نرد ثم قالوا ولو رددنا لم نكذب بالدين وكنا من المومنين

١ ل

وابو بكر عن عاصم بفتح اليا وكسر الرا وفاعل يصرف على هذه القراه الضمير العايد الى
ربي من قوله قل اني اخاف ان عصيت ربي والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم
العذاب فقد رحمه يعني من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنهم المومنون
وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب
يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به او من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه
وقرا الباقون يصرف بفتح الرا على بنا ما لم يسم فاعله اي من يصرف عنه العذاب يومئذ
فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاه لقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت زيادة
فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الله الجنه لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب
قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على
كل شي قدير هذا دليل اخر في بيان انه لا يجوز للعاقل ان يتخذ غير الله وليا بضر شدة
وبليه وفقر ومرض او غير ذلك من بلاياه فلا كاشف اي دافع وصارف الا هو وان يمسسك
يصيبك بخير بعافيه وصحة وغنى ورخا ونعمه فهو على كل شي قدير من الخير والضر وقد راينه
تعالى ذكر امساس الضر وامساس الخير وميز الاول من الثاني بوجهين الاول بتقديم ذكره تنبيها
على ان كل ضر لا بد ان يحصل عقيبه الخير والسلامه والثاني انه جعل جزا الشرط في الاول
قوله فلا كاشف له الا هو وفي الثاني قوله فهو على كل شي قدير تنبيها على ان اراده الله لايصال
الخير غالبه على ارادته لايصال الضر وعلى ان جانب الرحمه غالب يدل عليه قوله تعالى
وسعت رحمتي كل شي وقوله عليه السلام حاكيا عنه سبقت رحمتي غضبي قوله تعالى وهو القاهر
فوق عباده وهو الحكيم الخبير اي وهو الغالب فوق عباده وفي القهر زياده معنى على القدره
وهو منع غيره عن بلوغ المراد وهو الحكيم في امره الخبير باعمال عباده وقوله فوق عباده تصوير
للقهر والعلو بالغلبه والقدره كقوله وانا فوقهم قاهرون ووقوع فوق بين القاهر وعباده مشعر
بان المراد فوقيه القدره لا الجهه قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم
واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو
اله واحد وانني بري مما تشركون اعلم ان الايه تدل على ان اكبر الشهادات شهاده الله ولا تدل
على ان تلك الشهاده في اي المطالب فيحتمل الشهاده في اثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم والشهاده في
اثبات وحدانيته اما الاول فقد قيل ان اهل مكة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اما وجد
الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك بما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك
عندهم ذكر فارنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله قل اي شي اكبر اعظم شهاده فان اجابوك
والا فقل الله وهو شهيد بيني وبينكم على ما اقوله واوحي الي هذا القران لانذركم به يا اخو فكم
يا اهل مكة ومن بلغه القران من العجم وغيرهم من الامم قال الفرا والعرب تضمر الها في صلاة الذي
ومن وما فتقول الذي اخذت مالك اي اخذته ومن اكرمت ابوك اي اكرمته فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا ايها الناس بلغوا عني ولو ايه من كتاب الله فانه من بلغته ايه من كتاب الله فقد بلغه
امر الله اخذه او تركه وقال يا محمد اي شي اكبر شهاده حتى يعترفوا بان اكبر الاشيا شهاده هو الله فاذا
اعترفوا بذلك فقل الله شهيد لي بالنبوه لانه اوحى الي هذا القران وهو معجز لانكم انتم الفصحا والبلغا
وقد عجزتم عن معارضته واذا كان معجزا كان اظهار الله اياه على وفق دعواي شهاده من الله على اني صادق في
دعواي والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد على نبوته فبين تعالى ان اكبر الاشيا شهاده هو الله

بفم اليا

ثم بين انه شهد له بالنبوة وهو المراد من قوله واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ واما
الثاني فهو مسبوق بمقدمة هي انا نقول المطالب علي اقسام ثلثة منها ما يمتنع اثباته بالدلايل السمعية
وهو كل ما يتوقف علي صحته ومنها ما يمتنع اثباته بالعقل وهو كل شي يصح وجوده وعدمه عقلا فالقطع
باحد الطرفين لا يمكن الا بالدليل السمعي ومنها ما يمكن اثباته بالعقل وهو كل شي يصح وجوده وعدمه
عقلا والسمع معا وهو كل امر عقلي لا يتوقف صحة السمع علي صحته ومنها العلم بكون الله واحدا منزها عن
الصد فان العلم بصحة السمع لا يتوقف علي العلم به فلا جرم امكن اثباته بالدلايل السمعية والعقلية اذا عرفت ذلك [صحة السمع]
فقوله قل الله شهيد بيني وبينكم معناه في اثبات الوحدانية والبراءة عن الشرك والاضداد والانداد
والامثال والاشباه ثم قال واوحي الي هذا القران لانذركم وابلغ ان القول بالتوحيد هو حق اليقين
وان القول بالشرك باطل قوله قل الله يحتمل ان يكون تمام الحديث عند قوله قل الله بمعني الله اكبر
شهادة ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو
الجواب لدلالته علي ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شي شهادة هو شهيد له قوله اينكم
قرا ابن كثير اينكم بهمزة وكسرة بعدها خفيفة شبه ياء ساكنة بلا مد هذا الاستفهام معناه الجحد
والانكار ولم يقل اخر لان الالهة جمع والجمع يقع عليه التانيث كما قال ولله الاسماء الحسني وقال فما بال
القرون الاولي ولم يقل الاول ولا الاولين قل لا اشهد شهادتكم هذا الكلام دال علي ايجاب التوحيد
والبراءة عن الشرك من ثلثة اوجه اولها قوله قل لا اشهد بما تذكرونه من اثبات الشركا وثانيها قوله
تعالي قل انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد الحصر ولفظ الواحد صريح في التوحيد ونفي الشركا وثالثها قوله
وانني بري مما تشركون وفيه تصريح بالبراءة عن اثبات الشركا فثبت دلالة هذه الاية علي ايجاب التوحيد باعظم
طرق البيان وابلغ وجوه التوكيد **قوله تعالي** الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون الذين اتيناهم اليهود والنصارى الكتاب التورية والانجيل يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعته وحليته الثابتين في التورية والانجيل معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم
الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون خبر اي الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين
فهم لا يومنون خسروا انفسهم بمعني الهلاك الداير بسبب الكفر روي ان لكل عبد له منزلا في الجنة ومنزلا في
النار فاذا كان يوم القيمة جعل الله لاهل الجنة اي المومنين منازل اهل النار اي الكفار في الجنة
وجعل لاهل النار اي الكفار منازل اهل الجنة اي المومنين في النار وذلك الخسران **قوله
تعالي** ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون بين في هذه الاية
سبب الخسران وهو الافترا علي الله او التكذيب بايات الله اما الاول فكما يقول اهل مكة هذه
الاصنام شركا الله والله امرهم بعبادتها والملايكة بنات الله وكما يقول اليهود والنصارى ان التورية
والانجيل انهما ثابتين الشريعتين لا يتطرق اليهما النسخ وانه لا يجي بعدهما نبي ونحن ابناء الله واحباؤه
ولن تمسنا النار الا اياما معدودة وكما يقول بعضهم ان الله فقير ونحن اغنيا وامثال هذه الامور
التي ينسبونها الي الله كثيرة وكل ذلك افترا علي الله واما الثاني فمثل تكذيبهم بالقران والمعجزات فانهم كذبوا
القران والمعجزات وسموها سحرا ولم يومنوا بالرسول انه لا يفلح الظالمون اي لا يظفرون بمطالبهم
في الدنيا والاخرة بل يبقون في الحرمان والخذلان **قوله تعالي** ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاوكم الذين كنتم تزعمون ناصب يوم محذوف تقديره يكون كيت وكيت يوم نحشرهم
فترك النفي علي الابهام الذي هو ادخل في التخويف وقيل تقديره اذكر يوم نحشرهم وقيل معطوف
علي محذوف كانه قيل لا يفلح الظالمون ابدا او يوم نحشرهم العابدين والمعبودين جميعا

ثم ان الله تعالي لكذبهم وبين انهم تمنوا ان يردوا الي الدنيا وان لا يكونوا مكذبين وان يكونوا
مومنين فان قيل قوله وانهم لكاذبون يدخل دخوله في التمني لان المتمني لا يكون كاذبا لان التمني لا يحتمل
الصدق والكذب اجيب بان هذا تضمن ايضا معني الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت
الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافيك علي صنيعك فهذا متمن في معني الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الي
صاحبه ولم يكافيه كذب كانه قيل ان رزقني الله مالا كافاتك علي الاحسان قرا ابن عامر نرد ولا نكذب بالرفع
فيهما ونكون بالنصب وحمزة وحفص عن عاصم نرد بالرفع ونكذب ونكون بالنصب فيهما والباقون بالرفع الثلاثة
وحصل من هذا انهم اتفقوا علي الرفع في قوله نرد فيكون داخلا في التمني واما الثالث فيحتمل ان يكونا معطوفين
علي نرد فالثلاثة داخلة في التمني فقد تمنوا الرد وان لا يكذبوا وان يكونوا من المومنين ويحتمل ان يقطعا
من الاول فيكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين رددنا او لم نرد اي قد
عاينا وشاهدنا ما لا نكذب معه ابدا قال سيبويه هو مثل قولك دعني ولا اعود بمعني دعني وانا لا اعود
تركتني ام لا تتركني فاما هنا المطلوب بالسوال تركه فاما انه لا يعود فغير داخل في الطلب فكذا ههنا قوله
يا ليتنا نرد الداخل في هذا التمني الرد فاما ترك التكذيب وفعل الايمان فغير داخل في التمني بل هو حاصل
سوا حصل الرد او لم يحصل واما الثاني فباضمار ان علي جواب التمني والتقدير يا ليتنا نرد وان لا نكذب علي
معني ان رددنا لم نكذب ونكن من المومنين **قوله تعالي** بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون بل ههنا رد لكلامهم والتقدير انهم ما تمنوا العود الي الدنيا وترك
التكذيب وتحصيل الايمان لاجل انهم راغبون في الايمان بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبايحهم
وفضايحهم في صحفهم وشهادة جوارحهم عليه فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا الا انهم عازمون علي انهم لو ردوا لا امنوا
وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه
من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا
الي الدنيا بعد وقوفهم علي النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والتكذيب وانهم لكاذبون فيما وعدوا
من انفسهم لا يفون به **قوله تعالي** وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قيل وقالوا عطف
علي قوله لعادوا اي ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
ولنسي بدليل علي كذبهم **قوله تعالي** ولو تري اذ وقفوا علي ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلي وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون حكي عنهم في الاية الاولي انكارهم الحشر والنشر والبعث
والقيامة ثم بين في هذه الاية كيفية حالهم في القيامة قوله وقفوا مجاز عن الحبس للتوبيخ
والسوال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للتوبيخ وقيل وقفوا علي حكم ربهم وقضايه فيهم
وقيل عرفوه حق التعريف قال الله تعالي اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم علي التكذيب وقولهم
لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزا ما هو بحق وما هو الا باطل والتناقض بين هذا وبين قوله
ولا يكلمهم الله لان معناه ولا يكلمهم الله الكلام الطيب النافع قالوا اي قال الموقوفون علي ربهم بلي وربنا
انه حق والمقصود انهم يعترفون بانه حق مع القسم قال الله تعالي لهم فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بلقا الله والبعث والنشر وما يتصل بها وخص لفظ الذوق لانهم في حال يجدونه وجدان
الذايق والمقصود من ذكر هذه الاية الردع والزجر عن هذا المذهب والقول **قوله تعالي**
قد خسر الذين كذبوا بلقا الله حتي اذا جاتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا علي ما فرطنا فيها وهم
يحملون اوزارهم علي ظهورهم الا سا ما يزرون المقصود من هذه الاية بيان حالة اخري من احوال
الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهي امران الخسران وحمل الاوزار علي ظهورهم اما

الاول فتقريره انه تعالى بعث النفس الناطقة القدسية الى العالم السفلي واسبغ عليها نعما ظاهرة
وهي الحواس الظاهرة وما ركب فيه من الاعضا والالات الجسمانية والادوات الجسدانية ونعما باطنة
وهي العقل والفكر وساير القوى الباطنة ليتوسل باستعمال هذه القوى والالات الى تحصيل المعارف
الحقيقية والاخلاق الفاضلة التي تعظم منافعها بعد الموت وبعث الانبيا ليهديهم الى صراط الله الذي له ما
الانبيا واظهر المعجزات على ايديهم ليصدقوهم فيما يقولون في احوال الحشر والبعث وما يتصل بهما فهم نبذوا جميع
هذا وراء ظهورهم وكذبوا الرسل وانكروا البعث وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين واستعملوا
هذه الالات والقوى في هذه اللذات الدنية والشهوات الفانية فقد خسروا خسرانا مبينا لان راس
المال قد فني وما طلب انه المطلوب قد انقطع فلم يبق في ايديهم شي من راس المال ولا اثر من الربح
فهذا هو الخسران المبين وهذا الخسران انما يحصل للذين كذبوا بلقا الله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين وهم يتحسرون على تفريطهم في تحصيل الزاد ليوم المعاد واما الثاني فتقريره ان كمال
السعادات في الاقبال على الله والاجتهاد في رضاه وعبوديته والاعراض عن متاع الدنيا وترك اتباع
الهوى والذين كذبوا بلقا الله وانكروا الحشر والبعث وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا اعرضوا عن ذكر ربهم
واقبلوا على الدنيا ولذاتها وفات منهم ما يتوسل به الى السعادات الاخروية فاذا مات بقي كالغريب
في الدار الاخرة والمنقطع عن احبابه واقاربه وحصل له الخسران العظيم بسبب فقدان الزاد وعدم الاهتدا
الى الطريق الى الجنة وحصل له الالم العظيم بسبب الانقطاع عن اللذات الدنية الدنيوية والى الاول اشار بقوله
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها والى الثاني اشار بقوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ولنرجع الى تفسير
الاية قد خسر المراد من الخسران فوت الثواب العظيم وحصول العقاب الشديد الذين كذبوا بلقا الله اي
الذين انكروا الحشر والبعث وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله حتى غاية لكذبوا لا لخسر
لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجي الساعة فان قيل انما يتحسرون
عند موتهم قلنا لما كان الموت وقوعا في احوال الاخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجي الساعة بعد الموت
لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجاة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم
الساعة بغتة وفرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جي بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة
على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون
اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي
الاثام ماثرون اوزارهم لعوارضها تمثلا للعقوبة قالوا يا حسرتنا قال الزجاج معنى دعا الحسرة
تنبيه الناس على ما سيحصل لهم من الحسرة والعرب تعبر عن تعظيم امثال هذه الامور بهذه اللفظة كقوله
يا حسرة على العباد يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله يا ويلتا اليد وهذا ابلغ من ان يقال الحسرة
علينا في تفريطنا ومثله يا اسفى على يوسف تاويله يا ايها الناس تنبهوا على ما وقع لي من الاسف
فوقع النداء عليه غير المنادى في الحقيقة وقال سيبويه انك اذا قلت يا عجباه فكانك قلت يا عجب
احضر وتعال فانه من ازمانك فحصل للندا تاويلان احدهما انه للحسرة والمراد منه تنبيه
المخاطبين وهو قول الزجاج والثاني ان المنادى هو نفس الحسرة على معنى ان هذا وقتك فاحضري
وهو قول سيبويه قوله على ما فرطنا قال ابو عبيدة يقال فرطت في الشي اي ضيعته فرطنا اي تركنا
وضيعنا وقال الزجاج فرطنا اي قدمنا العجز جعله من قولهم فرط فلان اذا سبق وتقدم وفرط
الشي اذا قدمه قال الواحدي فالتفريط عنده تقديم التقصير وهم يحملون اوزارهم قال ابن عباس

الاوزار الاثام والخطايا والوزر الاثم والثقل واصله من الحمل يقال وزرت الشي
حملته ازره وزرا ثم قيل للذنوب اوزار لانه يثقل ظهر من يحمله قوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى اي لا تحمل نفس حاملة وقال ابو عبيد يقال للرجل اذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع احمل
وزرك واوزار الحرب اثقالها من السلاح قال الزجاج وهم يحملون اوزارهم اي يحملون ثقل
ذنوبهم والثقل كما ذكر في الوزر فقد يذكر ايضا في الحال والصفة يقال ثقل علي خطاب
فلان والمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم **قوله تعالى**
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون المنكرين للبعث
رغبتهم قوية في الحيوة الدنيا ولذاتها فذكر الله تعالى هذه الاية تنبيها على خساستها وقيل المراد
منه حيوة الكافر لان حيوة المومن يحصل فيها اعمال صالحة فلا تكون لعبا ولهوا وقيل عام في حيوة المومن
والكافر والمراد منها اللذات الحاصلة والطيبات المطلوبة فيها شبهها باللعب واللهو من حيث ان
الاشتغال بها يحصل منه لذة ما وعند انقراضها لا يبقى منه الا الندامة ومن حيث انها مع قليلة سريعة
الانقضا ومن حيث انها في بادي الامر تعجبه وعند التامل والكشف لا يبقى اثر ومن حيث ان الالتذاذ
بطيباتها والانتفاع بخيراتها لا يحصل الا للصبيان والجاهلين الغافلين واما العلما المحققون فانهم
يعلمون ان لذاتها وطيباتها غرور ولا حقيقة لها قوله وللدار الاخرة خير لان خيراتها روحانية وسعاداتها
عالية شريفة ابدية مقدسة عن الكدر غير مقطوعة ولا ممنوعة قرا ابن عامر ولدار الاخرة بالاضافة
والباقون وللدار الاخرة على النعت والدار الاخرة هي الجنة وقيل المراد ان نفس الدار الاخرة خير
وقيل العمل للاخرة خير وقيل لنعيم الاخرة خير للذين يتقون الشرك والكفر واما المشرك
والكافر فلا يكون الدار الاخرة خيرا له فان الدنيا بالنسبة اليه خير قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن
المومن وجنة الكافر افلا تعقلون قرا نافع وابن عامر افلا تعقلون على معنى وقل لهم افلا تعقلون
ايها المخاطبون ان الدار الاخرة والباقون بالياء على معنى افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الاخرة
خير لهم من هذه الدار فيعملون لما ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفترون في طلب ما يوصل الى
ذلك **قوله تعالى** قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون قد نعلم بمعنى ربما الذي يجي لزيادة الفعل وكثرته كقوله قد يهلك المال نائله والضمير
الذي هو اسم ان ضمير الشان قرا نافع ليحزنك بضم اليا وكسر الزاي والباقون بفتح اليا وضم الزاي
وهما لغتان يقال احزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه قال الازهري حزنه لغة قريش
واحزنه لغة تميم والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب وشاعر وكاهن ومجنون وقيل
انهم كانوا يقولون انهم لا يومنون به ولا يقبلون دينه وشريعته قوله فانهم لا يكذبونك
قرا نافع والكسائي بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا والباقون بالتشديد من كذبه
اذا جعله كاذبا في زعمه والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق
بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود اياته فاله عن حزنك لنفسك
وانهم لا يكذبونك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود ايات
الله والاستهانة بكتابه ونحو قول السيد لعبده اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك
وانما اهانوني وفي هذه الطريقة ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل
فانهم لا يكذبونك في السر لعلمهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك
لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله وعن ابن عباس كان

رسول الله يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شي ولكنهم كانوا يجحدون وروى ان اباجهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك وانك عندنا المصدق ولكنا نتهم الذي جئت به
ونكذب به فانزل الله هذه الاية وقال السدي التقى الاخنس ابن شريق وابو جهل بن هشام فقال
الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هاهنا احد يسمع كلامك
غيري فقال له ابو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللوا والسقا
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لساير قريش فنزلت وعن ابي يزيد المدني لقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم اباجهل فصافحه فلقيه بعض شياطينه فقال رايتك تصافحه فقال والله اني لاعلم
انه صادق ولكن متى كنا تبعا لعبد مناف فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد
مناف ابن قصي كان يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية واذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل
الكذب ولا احسبه الا صادقا وقال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان ما تقوله حق وانه لا يمنعنا ان نتبع
الهدى معك الا مخافة ان يتخطفنا الناس من ارضنا يعني العرب فانا نحن اكلة راس ولا طاقة لنا بهم
فانزل الله هذه الاية ولكن الظالمين بايات الله يجحدون من اقامة الظاهر مقام المضمر على ان
جحودهم ظلم **قوله تعالى** ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى
اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين ازال الحزن عن رسول الله
في الاية الاولى بان بين ان تكذيبه تكذيب الله وفي هذه الاية ازال الحزن عن قلبه بطريق اخر بان بين
ان تكذيبه تكذيب الله وفي هذه الاية ازال الحزن عن قلبه بطريق اخر بان بين انه قد كذب رسل من
قبلك فصبروا على تكذيبهم وايذائهم حتى اتاهم نصرنا فاصبر يا محمد انت على تكذيبهم وجحدهم كما صبروا
حتى اتاك نصرنا ولا مبدل لكلمات الله لوعد الله اياك بالنصر فان وعد الله بالنصر احق وصدق لا مبدل له
قال الله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك بعض انبا المرسلين
وقصصهم في القران وما كابدوا من مصايب المشركين كيف انجيناهم ودمرناهم **قوله تعالى** وان
كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما فتاتيهم باية ولو شا الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وان كان كبر عليك يا محمد اعراضهم وكفرهم فان استطعت
فان قدرت ان تطلب نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم اية يومنون بها
او سلما في السما اي درجا ومصعدا في السما تصعد فيه فتاتيهم باية فافعل يعني انك
لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على اسلام قومه وتهالكه
عليه وانه لو استطاع ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السما لاتى بها رجا ايمانهم
وقيل كانوا يقترحون الايات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل
له ان استطعت ان تفعل كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله
حتى ياتيهم بما اقترحوا لعلهم يومنون قوله ولو شا الله لجمعهم على الهدى فامنوا كلهم
ولكن لم يشا الله ايمانهم فلم يومنوا به فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ان الايمان
والكفر والخير والشر بارادة الله ومشيته ويرون ما هو خلافه من ان الكفر والمعصية والشر
ليست بارادة الله **قوله تعالى** انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه
يرجعون بين الله تعالى سبب كفرهم وعدم تركهم له يعني ان الذي تحرص على ان يصدقوك
بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب الذين يسمعون كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى
يبعثهم الله معناه ان الله هو القادر ان يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم اليه يرجعون

للجزا فكذلك هاهنا انه هو القادر على احيا قلوب هولا الكفار بحيوة الايمان وانت لا تقدر عليه
وقيل المعنى هولا الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل
الى استماعهم **قوله تعالى** وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن
اكثرهم لا يعلمون هذا نوع اخر من شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم قالوا لو كان رسولا
من عند الله فهلا انزل عليه اية قاهرة ومعجزة ظاهرة وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل الله على رسوله من
الايات لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شي من الايات عنادا منهم او لانهم طلبوا معجزات ظاهرة
من جنس ساير الانبيا مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى واحيا الموتى وقيل المراد ما حكاه
الله عن بعضهم وهو قوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم قل ان
الله قادر على ان ينزل اية من جنس ما طلبوه وتحصيل ما اقترحوه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر
على ان ينزل تلك الاية وقيل لا يعلمون انهم لما طلبوا ذلك على سبيل التعنت والعناد لا يعطيهم مطلوبهم
ولو كانوا عالمين عادلين لطلبوا ذلك على سبيل الفايدة وحينئذ كان الله يعطيهم ذلك المطلوب
على اكمل الوجوه **قوله تعالى** وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا
في الكتاب من شي ثم الى ربهم يحشرون انه تعالى بين في الاية الاولى انه لو كان انزال ما طلبوه من المعجزات
مصلحة لهم لانزلها على سبيل التفضل لكن لما لم يكن انزالها مصلحة للمكلفين لم ينزلها وهذا الجواب انما يتم اذا
ثبت انه تعالى يراعي مصلحة المكلفين على سبيل التفضل فبين ان الامر كذلك اي يراعي مصلحة المكلفين تفضلا
لا ايجابا كما هو مذهب المعتزلة في هذه الاية فقال تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه ذكر في
الارض مع دابة ويطير بجناحيه مع طاير لبيان ان القصد من لفظ دابة ولفظ طاير انما هو الى
الجنسين والى تقريرهما كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارض وما من طاير قط في جو السما من جميع ما
يطير بجناحيه الا امم وانما قيل امم مع افراد الدابة والطاير لان قوله وما من دابة ولا طاير دال على
معنى الاستغراق ومغن عن ان يقال وما من دواب ولا طير فحمل قوله امم على المعنى امثالكم في وصول
فضل الله وعنايته ورحمته واحسانه اليهم وفي ان اشيا المكتوبة اجالها وارزاقها واعمالها كما كتب اجالكم
وارزاقكم واعمالكم وذلك كالمشاهد المحسوس فاذا كانت اثار عنايته واصلة الى جميع الحيوانات فلو كان
انزال ما طلبوه مصلحة للمكلفين لانزله ولامتنع ان يبخل بها مع ظهور انه لم يبخل على شي من الحيوانات
بمصالحها ومنافعها وذلك يدل على انه تعالى انما لم ينزل ما طلبوه لان انزالها يخل بمصالح المكلفين
والدابة ما يدب والطاير ما يطير بجناحيه فيدخل فيهما جميع ما خلق الله من الحيوانات
قيل من الحيوانات ما لا يدخل في هذين القسمين مثل حيتان البحر وساير ما يسبح في الما ويعيش فيه
اجيب بانه لا يبعد ان يوصف بانها دابة من حيث انها تدب في الما وهي كالطير لانها تسبح في الما
ويعيش فيه الا ان وصفها بالدبيب اقرب الى اللغة من وصفها بالطيران ما فرطنا ما تركنا
وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شي من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان نثبت مما يختص
به وقيل في الكتاب في القران لان الالف واللام اذا دخلا على الاسم المفرد ينصرف الى المعهود
السابق والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القران فان قيل اللوح المحفوظ فيه جميع الاشيا
والقران ليس فيه تفاصيل جميع الاشيا ولا تفاصيل علم الطب وعلم الحساب ولا تفاصيل كثير
من المباحث وليس فيه ايضا تفاصيل مذاهب الناس ودلايلهم في علم الاصول والفروع اجيب
بان قوله ما فرطنا في الكتاب من شي يجب ان يكون مخصوصا ببيان الاشيا التي يجب معرفتها والاحاطة
بها لان لفظ التفريط لا يستعمل نفيا واثباتا الا فيما يجب ان يبين لان احدا لا ينسب الى التفريط

والتقصير في ان لايفعل فيما لاحاجة اليه وانما ذكر هذا اللفظ فيما اذا قصر فيما يحتاج اليه ولان
جميع ايات القران او الكثير منها دالا له بالمطابقة او التضمن او الالتزام على ان المقصود من انزال هذا
الكتاب بيان الدين ومعرفة الله ومعرفة احكام الله واذا كان هذا التقييد معلوما من كل القران
كان المطلق هاهنا محمولا على ذلك بتمامه حاصل فيه لان الدلايل الاصلية مذكورة فيه على ابلغ الوجوه واما
روايات المذاهب وتفاصيل الاقاويل فلا حاجة اليها واما تفاصيل علم الفروع فنقول للعلماء قولان
في الاول انهم قالوا ان القران يدل على ان الاجماع وخبر الواحد والقياس حجة في الشريعة فكل ما دل
عليه احد هذه الاصول الثلاثة كان في الحقيقة موجودا في القران وذكر الواحدي هذا المعنى امثلة
ثلثة الاول روى ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول ما لي لا العن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة
والمستوشمة والواصلة وروي ان امراة قرات جميع القران ثم اتته وقالت يا ابن ام عبد تلوت البارحة ما
بين الدفتين فلم اجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وان مما اتانا به رسول الله ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة قيل يمكن وجدان هذا المعنى في كتاب
الله بطريق اوضح منه وذلك لانه تعالى قال في سورة النساء وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله حكم
عليه باللعن ثم عدد بعد قبايح افعاله وذكر من جملتها ولامرنهم فليغيرن خلق الله وظاهر الاية يقتضي
ان تغيير الخلق يوجب اللعن الثاني ذكر ان الشافعي جلس في المسجد الحرام فقال لا تسالوني عن شيء الا اجبتكم
عنه من كتاب الله فقال رجل ما تقول في المحرم اذا قتل الزنبور فقال لا شيء عليه فقال اين هذا في كتاب الله
فقال قال الله تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه ثم ذكر اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ثم ذكر اسنادا الى عمر انه قال ليس على المحرم في قتل الزنبور
شيء فاجابه من كتاب الله مستنبطا بثلاث درجات قيل هاهنا طريق اوضح منه وهو ان الاصل في
اموال الناس العصمة قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال ولا يسالكم اموالكم وقال لا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ونهى عن اكل اموال الناس الا بالتجارة
فعند عدم التجارة وجب ان يبقى على اصل الحرمة وهذه العمومات تقتضي ان لا يجب على المحرم الذي قتل الزنبور
شيء وذلك لان التمسك بهذه العمومات يوجب الحكم بمرتبة واحدة واما الطريق الذي ذكره الشافعي فهو تمسك بالعود الى اربع
درجات اولها التمسك بعموم قوله عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وثانيها بيان
ان عمر من الخلفاء الراشدين ورابعها الرواية عن عمر انه لم يوجب في هذه الثلاثة شيئا المثال الثالث روي في حديث
العسيف الزاني ان اباه قال للنبي عليه الصلوة والسلام اقض بيننا بكتاب الله فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالجلد والتغريب على العسيف وبالرجم على المراة ان اعترفت
وليس للرجم والتغريب ذكر في نص الكتاب وهذا يدل على ان كل ما حكم النبي صلى الله عليه وسلم فهو عين كتاب الله
فثبت بهذه الامثلة ان القران لما دل على ان الاجماع حجة وان خبر الواحد حجة وان القياس حجة فكل حكم ثبت
بطريق من هذه الطرق الثلث كان في الحقيقة ثابتا بالقران فعند هذا صح قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من
شيء هذا تقرير هذا القول وهو الذي ذهب الى نصرته جمهور الفقهاء قال الامام وللقايل ان يقول
حاصل هذا الوجه ان القران لما دل على ان خبر الواحد والقياس حجة فكل حكم ثبت باحد هذين الاصلين
كان في الحقيقة قد ثبت بالقران الا انا نقول حمل قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء على هذا الوجه لا يجوز
لان قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء ذكر في معرض تعظيم هذا الكتاب والمبالغة في مدحه والثناء عليه ولو
حملنا هذه الاية على هذا المعنى لم يحصل منه ما يوجب التعظيم وذلك لانا لو فرضنا ان الله تعالى قال اعملوا بالاجماع
وخبر الواحد والقياس كان المعنى الذي ذكروه حاصلا من هذا اللفظ والمعنى الذي يمكن تحصيله من هذا

بطريق م

اللفظ القليل لم يكن جعله موجبا للمدح القران والثناء عليه بسبب اشتمال القران عليه لان هذا انما يوجب المدح
العظيم والثناء التام لو لم يمكن تحصيله بطريق اخر اشد اختصارا منه فاما لما بينا ان هذا المقصود يمكن تحصيله باللفظ
المختصر الذي ذكرناه علمنا انه لا يمكن ذكره في معرض تعظيم القران فوجب ان يقال انه لا يجوز حمل هذه الاية على
هذا المعنى فهذا اقصى ما يمكن ان يقال في تقرير هذا القول القول الثاني قول من يقول القران واف بجميع
الاحكام وتقريره ان الاصل براءة الذمة في حق جميع التكليف وشغل الذمة لا بد فيه من دليل منفصل والتفصيل على
اقسام ما لم يرد فيه التكليف ممتنع لان الاقسام التي لم يرد التكليف فيها غير متناهية ولله تعالى مثلا الف تكليف
على العباد وذكر في القران من امر محمد بمقتضى ذلك الالف الى العباد ثم قال بعده ما فرطنا في الكتاب من شيء فكان
معناه انه ليس لله على الخلق بعد ذلك الالف تكليف اخر ثم اكد هذه الاية بقوله اليوم اكملت لكم دينكم وبقوله ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين قوله ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها
من بعض كما روى انه ياخذ للجما من القرنا قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله
ومن يشا يجعله على صراط مستقيم لما بين الله من حال الكفار انهم بلغوا في الكفر الى حيث كان قلوبهم صارت ميتة
عن قبول الايمان بقوله انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله فذكر هذه الاية مقررا لذلك المعنى وقيل
انه تعالى لما ذكر في قوله وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم في كونها دالة على كونها تحت تدبير
مدبر قديم وتحت تقدير مقدر حكيم وفي ان عناية الله محيطة بهم ورحمته واصلة اليهم قال بعده والمكذبون
بهذه الدلايل والمنكرون لهذه العجايب صم لا يسمعون كلام المنبه بكم بالحق خابطون في ظلمات الكفر غافلون
عن تامل هذه الدلايل والتفكر فيه قوله من يشا الله صريح في ان الضلال والهدى ليسا الا من الله بمقتضى
مشيئته وارادته فان اسناد الاضلال الى الله والجعل على صراط مستقيم على حسب مشيئته وتفسير
يضلله بخذله وضلاله ولم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف كما فسره صاحب الكشاف باطل لانه صرف اللفظ
عن الظاهر الصحيح وحمل اللفظ على خلاف الظاهر الذي هو فاسد من غير دليل بل مع وجود الدليل الدال على بطلانه
قوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه
تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شا وتنسون ما تشركون انه تعالى لما بين غاية جهل اولئك الكافرين من حالهم
ايضا انه اذا نزل بهم بلية او محنة فانهم يفزعون الى الله ويلتجيون اليه ولا يتمردون عن طاعته قال الفرا العرب
في ارايتك لغتان احدهما روية العين فاذا قلت للرجل ارايتك معناه هل رايت نفسك ثم تثني وتجمع
فتقول ارايتماكما ارايتموكم والمعنى الثاني ان تقول ارايتك وتريد اخبرني واذا اردت هذا المعنى
تركت التاء موحدا على كل حال تقول ارايتك ارايتكما ارايتكم ارايتكن مذهب البصريين ان الضمير الثاني
لا محل له من الاعراب بل هو حرف لاجل الخطاب قرا نافع ارايتكم وارايتم وارايت وارايت
وارايتك واشباه ذلك بتخفيف الهمزة الثانية في كل القران والكسائي بترك الهمزة في كل القران
والكسائي بترك الهمزة في كل القران والباقون بتخفيف الهمزة بجعلها بين الهمزة على التخفيف القياسي ومفعول
ارايتكم محذوف تقديره ارايتكم عبادتكم الاصنام هل تنفعكم ان اتاكم عذاب الله عند الموت
او اتتكم الساعة القيمة قال صاحب الكواشي لا اجب الوقف هنا لان جواب الشرط وهو ان اتاكم ما دل
عليه استفهام التوبيخ في اغير الله قيل جواب الشرط محذوف تقديره ان اتاكم عذاب الله او اتتكم
الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون الهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا
اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل تخصونه بالدعاء دون الالهة بتخصيصه قل يا محمد لهولاء الكفار ان اتاكم
عذاب الله في الدنيا او اتتكم العذاب عند قيام الساعة اترجعون الى غير الله من الاصنام في دفع
ذلك البلاء والضر او ترجعون فيه الى الله ولما كان من المعلوم بالضرورة انهم انما يرجعون الى الله في دفع

لا الى الاصنام قال بل اياه تدعون يعني انكم لا ترجعون في دفع البلاء والمحنة الا الى الله ان كنتم صادقين في ان الاصنام
تنفعكم او ان الاصنام الهة وجزاء الشرط الذي هو ان كنتم صادقين مضمر تقديره فادعوها فيكشف الله ما تدعون
اليه اي ما تدعون الى كشفه ان اراد ان يتفضل عليكم بكشفه وتنسون تتركون ما تشركون الى الهتكم التي جعلتموها شركا
لله لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل تنسون من النسيان اي ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مجموعة
بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره وقيل تعرضون عنه اعراض الناسي وقيل ما مصدرية
اي تنسون اشراككم قال صاحب الكشاف ويجوز ان يتعلق الشرط وهو ان اتاكم بقوله اغير الله تدعون كانه قيل
اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب ثم اوردتموها الا على تقدير تعلق الشرط بقوله اغير الله تدعون فقال فان قلت
ان علقت الشرط بقوله اغير الله فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع
الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان
له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه اخر من الحكمة ارجح هذا ما قاله صاحب الكشاف ولا شك انه ان شاء كشف
العذاب من الكفار في القيامة ولكن حق القول منه لاملان جهنم من الكفار واما قول صاحب الكشاف
ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه اخر من الحكمة ارجح هذا ما قاله صاحب الكشاف
ولا شك انه ان شاء كشف العذاب من الكفار في القيامة لو اخر بعيد بلا دليل بل دل الدليل على عدم هذا التقييد
فان وقوع الممكنات متعلق بمشيته وارادته من غير تقييد بوقوعها على وجه الحكمة ولا وقوعها بوجه اخر من
الحكمة ارجح منه **قوله تعالى** ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم
يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اعلم انه تعالى
بين في الاية الاولى ان الكفار عند نزول الشدائد يرجعون الى الله تعالى ثم بين في هذه الاية انهم لا يرجعون
الى الله عند كل ما كان من جنس الشدائد بل قد يبقون مصرين على الكفر منجمدين عليه غير راجعين الى الله
وذلك يدل على مذهبنا من ان الله اذا لم يهديهم لم يهتدوا سواء شاهدوا الايات الهائلة او لم يشاهدوها
وفي الاية محذوف والتقدير ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذناهم بالباساء
والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما من الكلام المذكور والباساء البؤس والضراء الضر وقيل
الباساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم
فكذبوهم فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون يتذللون ويخشعون لربهم ويتوبون عن
ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا وذكر
كلمة لولا ليفيد انه ما كان لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم
التي زينها الشيطان لهم **قوله تعالى** فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين هذا الكلام من تمام القصة الاولى فبين تعالى انه اخذهم اولا بالباساء والضراء
لكي يتضرعوا ثم بين في هذه الاية انهم لما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اي تركوا الاتعاظ
به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء ونقلناهم من الباساء والضراء الى الراحة
والرخاء وانواع الالاء والنعماء والمقصود انه تعالى عاملهم بتسليط المكاره والشدائد
عليهم تارة فلم ينتفعوا به فنقلهم من تلك الحالة الى ضدها وهو فتح ابواب الخيرات عليهم وتسهيل موجبات
المسرات والسعادات فلم ينتفعوا به ايضا وهذا كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه طورا
ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الصحة والسعة واصناف الخير وانواع النعم
لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا اقدام على اعتذار وتوبة اخذناهم بغتة

بلغ باصله

واعلم ان قوله فتحنا عليهم معناه فتحنا عليهم ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير حتى ظنوا ان الذي نزل
بهم من الباساء والضراء ما كان بهم على سبيل الانتقام من الله ولما فتح الله عليهم ابواب الخيرات ظنوا ان ذلك
باستحقاقهم فعند ذلك ظهر ان قلوبهم قست وماتت وانه لا يرجى لها انتباه بطريق من الطرق فجاءهم العذاب
من حيث لا يشعرون قال الحسن في هذه الاية مكر بالقوم ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله
يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج من الله ثم قرا هذه الاية قال اهل المعاني وانما اخذوا في حال الراحة
والرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية فاذا هم مبلسون ايسون من كل خير
متحسرون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت ساقتهم والحمد لله
رب العالمين حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستاصل ساقتهم لان ذلك كان جاريا مجرى
النعمة العظيمة على اولئك الرسل في ازالة شرهم عن الرسل وهذا ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك
الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم **قوله تعالى** قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم
على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون المقصود من ذكر هذا الكلام
ذكر ما يدل على الصانع القادر العليم المختار وبيانه ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب
فالاذن محل السمع والعين محل البصر والقلب محل الحياة والعقل والعلم فلو زالت هذه الصفات عن هذه
الاعضاء اختل امر الانسان وبطلت مصالحه في الدنيا والدين ولا شك ان القادر على اعطاء هذه الصفات
واخذها هو الله تعالى فوجب ان يقال المستحق للتعظيم والثناء والعبودية ليس الا الله وذلك يدل
على ان عبادة الاصنام طريقة باطلة ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم
بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم من مبتدا اله خبره غير الله صفته ياتيكم به اي بما اخذ
وختم عليه وقيل اي بذلك اي بالسمع والبصر والقلوب اجري الضمير مجرى اسم الاشارة انظر كيف
نصرف الايات اي نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل منها يقوي ما قبلها في الايصال
الى المطلوب ثم هم بعد هذا التصريف والايضاح والكشف والبيان يصدفون يعرضون عنها قرا
حمزة والكسائي يصدفون باشمام الزاي والباقون بالصاد **قوله تعالى** قل ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون الاية المتقدمة مختصة باخذ السمع والبصر
والختم على القلوب وهذه الاية عامة في انواع العذاب بغتة اي فجاة اي ياتيكم عذاب الله من غير
ان يشعر به ويظهر اماراته او جهرة اي معاينة ترونه حين نزل وعن الحسن ليلا او نهارا هل يهلك
اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون المشركون **قوله تعالى** وما
نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار فيما تقدم انهم قالوا لولا انزل عليه
اية من ربه وذكر الله في جوابهم ما تقدم من الوجوه الكثيرة ثم ذكر هذه الاية وما نرسل المرسلين
الا مبشرين من امن بهم وبما جاءوا واطاعهم ومنذرين من لم يؤمن بهم وكذب ما جاءوا به وعصاهم ولم نرسلهم
ليقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم بالبينات القاطعة والمعجزات الساطعة فمن امن بهم وبما جاءوا
به واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف فلا خوف عليهم حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اذا حزن
اهل النار والذين كذبوا باياتنا اي بمحمد والقران يمسهم العذاب يصيبهم جعل العذاب ماسا
كانه حي يفعل ما يريد من الالام بما كانوا يفسقون يكذبون ويكفرون يدل على ذلك قوله
والذين كذبوا باياتنا **قوله تعالى** قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون

هذه الاية من بقية الكلام على قوله لولا انزل عليه اية من ربه فقال الله تعالى قل لهؤلاء الاقوام ان الله
بعثني مبشرا ومنذرا وليس لي ان احكم على الله وامره ان ينفي عن نفسه امورا ثلثة اولها قوله قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله ان القوم كانوا يقولون ان كنت رسولا من عند الله فاطلب من الله حتى
يوسع علينا منافع الدنيا وخيراتها ويفتح علينا ابواب سعادتها فقال الله تعالى قل لهم اني
لا اقول لكم عندي خزائن الله فهو تعالى عنده خزائنه وما ينزله الا بقدر معلوم بيده الخير
لا بيدي والخزائن جمع خزانه وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه بحيث لا تناله الايدي وثانيها
قوله ولا اعلم الغيب ان القوم كانوا يقولون له ان كنت رسولا من عند الله اخبرنا عما سيقع
في المستقبل من المصالح والمفاسد حتى نشتغل بتحصيل تلك المصالح ودفع تلك المفاسد فقال
تعالى قل اني لا اعلم الغيب فانه تعالى عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فكيف تطلبون مني
الاخبار عن الغيب الذي لا اعلم به وثالثها قوله ولا اقول لكم اني ملك ان القوم كانوا
يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج ويخالط الناس فقال
تعالى قل لهم لا اقول لكم اني ملك فتنكرون قولي وتجحدون امري والفائدة في الامر بنفي
هذه الامور الثلاثة ان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم انه لا يدعي الالهية ولا الملائكة
اي لا ادعي اني موصوف بالقدرة اللائقة بالاله ولا ادعي اني موصوف بعلم الغيب ومجموع
هذين الكلامين يبين انه لا يدعي الالهية ولا ادعي الملائكة فاقوى على الافعال التي لا يقوى عليها
الا الملك ولم يذكر القول قبل ولا اعلم الغيب لان الامرين بمعنى لا ادعي الالهية قال صاحب
الكشاف اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه
وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلق الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الهيه
ولا ملكيه لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي
ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة والحق ان المراد من قوله ولا اقول لكم اني ملك نفي قدرته عن
افعال لا يقوى عليها الا الملائكة فلا يدل على ان الملك افضل ومحل اعلم الغيب النصب عطفا على
محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا
القول قوله ان اتبع الا ما يوحى وذلك غير مستحيل ولا مستنكر في العقل مع قيام الدلائل والحجج
البالغة ولا مستبعد فان ما كان مثله متحقق لكثير من البشر وهو النبوة قوله قل هل يستوي
الاعمى والبصير قيل مثل الضال والمهتدي اي الكافر والمومن ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع
ما يوحى اليه ومن لم يتبع وقيل هل يستوي من ادعى المحال وهو الالوهية والملكية والمستقيم
وهو النبوة افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين الذين لا يميزون بين الاعمى والبصير اشباه العميان
وقيل افلا تتفكرون فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر وقيل فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي
مما لا بد لي منه **قوله تعالى** وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع لعلهم يتقون انه تعالى لما وصف الرسل بانهم مبشرين ومنذرين امر الرسول
عليه السلام في هذه الاية بالانذار اي وانذر بما يوحى اليك الذين يخافون قيل المشركين الذين
علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا احاديث الحشر ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع
فيهم الانذار دون المتمردين وقيل الذين يخافون اهل الكتاب لانهم مقرون بالحشر وقيل الذين
يخافون قوم داخلون في الاسلام معترفون بالحشر الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بالوحي
اليهم لعلهم يتقون يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين والحمل على الكل اولى ليس لهم من

دون

دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من ان يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال **قوله تعالى** ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم
فتكون من الظالمين قيل ذكر غير المتقين من المسلمين وغيرهم وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين
منهم وامره بتقريبهم واكرامهم ونهاه عن طردهم عن ابن مسعود قال مر الملا من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء عن قومك افنحن نكون تبعا
لهؤلاء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فانزل الله الاية وعن سلمان وخباب
فينا نزلت جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن وذووهم المولفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع
بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المومنين فلما راوهم حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر
المسجد ونفيت عنا هولاء وارواح جبابهم وكان عليهم جباب من صوف لم يكن عليهم غيرها لجالسناك وحادثناك
واخذنا عنك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المومنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا يعرف لنا به
العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هولاء الاعبد فاذا نحن جيناك فاقمهم عنا
فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم قالوا اكتب لنا عليك بذلك كتابا فدعا بالصحيفة
ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل بقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون فالقى رسول
صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه
حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا والممات
والذين يدعون ربهم قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالصلوة المكتوبة بالغداة والعشي يعني صلوة الصبح
والعصر وقيل المراد بالغداة والعشي طرفي النهار وقيل اثنى الله عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم وعبادته
ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون
وجهه والوجه يعبر به عن ذوات الشيء وحقيقته قرا ابن عامر بالغدوة بالواو وضم الغين وفي
سورة الكهف مثله والباقون بالالف وفتح الغين ما عليك من حساب المشركين من شيء وما من حسابك على
المشركين من شيء والمعنى لا يواخذون بحسابك ولا انت تواخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه
الى ان تطرد المومنين والغرض من هذا الكلام ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل بهذا الاقتراح من هولاء
المشركين لعلهم يدخلون في الاسلام ويتخلصون من عقاب الله فقال تعالى لا تكن في هداهم يسعون في الكفر
ام يومنون فان الله تعالى هو الهادي والمدبر وقيل الضمير عائد الى الذين يدعون ربهم وهم الفقراء اي ما
عليك من حساب الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وذلك ان المشركين طعنوا في دين هولاء الفقراء واخلاصهم
فقال تعالى ما عليك يا محمد من حساب هولاء الفقراء من شيء بعد شهادة الله لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في
اعمالهم على معنى وان كان امر هولاء الفقراء المومنين على ما يقولون عند الله اي على الوجه الذي تدعونه من الاخلاص
فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهولاء الفقراء باطن غير مرضي عند الله فحسابهم
عليهم لازم لهم لا يتعدى اليك كما ان حسابك عليك لا يتعدى اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى فان قيل اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم حسابهم اليه وما من حسابك عليهم من شيء اجيب
بانه قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما معنى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تواخذ انت ولا هم بحساب صاحبه

وقيل ما عليك من حساب رزق هولا الفقرا من شي فتملهم وتطردهم ولا حساب رزقك عليهم وانما
الرزاق لهم ولك هو الله فدعهم يكونوا عندك ولا تطردهم قوله فتطردهم جواب النفي والمعنى ما عليك
من حسابهم من شي فتطردهم اي لم يكن عليك حسابهم لاجل ذلك الحساب تطردهم فتكون من الظالمين
جواب النهي اي ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم
على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم والمعنى فتكون من الظالمين لنفسك بهذا الطرد وقيل
فتكون من الظالمين لهم لانهم استوجبوا مزيد التقريب والترحيب وانت طردتهم **قوله تعالى** وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهولا من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين اي ومثل ذلك الفتن
العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس ببعض الشريف بالوضيع والغني بالفقير والعزيز بالذليل ليقول الاشراف
اهولا من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عند الله من دوننا ونحن
المقدمون والروسا وهم العبيد والفقرا انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم
بالخير ونحوه القي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتنا بعضهم على ظاهره ولا يحتاج
الى تاويله وحمله على خذلنا هم فافتتنوا اليس الله باعلم بمن يشكر الايمان والاسلام اذا هداه اليه
قوله تعالى واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمه
انه من عمل منكم سوا بجهاله ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم قيل عام في كل من هذه صفته
وقيل نزلت في اهل الصفه الذين سال المشركون رسول الله طردهم ثم امر ان يكرمهم بهذا النوع
من الاكرام وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من
امرت ان ابداهم بالسلام قيل السلام هو الله تعالى فمعنى السلام عليكم الله عليكم اي على حفظكم
وقيل السلام جمع السلامه فمعنى قولك السلام عليكم السلامه عليكم وقيل السلام مصدر سلمت
تسليما وسلاما فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبداهم
بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمه من جمله ما تقوله
لهم ليبشرهم ويسرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبه منهم كتب ربكم على نفسه الرحمه كتب كذا على
فلان يفيد الايجاب وكذلك قوله كتب على نفسه الرحمه جملة ما تقوله لهم لتسرهم ولتسرهم
وسعت رحمه الله وقبوله التوبه منهم وعلى ايضا يفيد الايجاب والجمع بينهما يفيد مبالغة في
الايجاب فهذا يقتضي كونه تعالى رحيما بعباده على سبيل الوجوب واختلف العقلا في سبب ذلك
الوجوب فقال اصحابنا له ان يتصرف في عبيده كيف شا واراد الا انه اوجب على نفسه الرحمه وتحقيق
هذا الكلام انه تعالى وعد اقواما بانه يقول لهم بعد الموت سلام قولا من رب رحيم ثم ان اقواما
افنوا اعمارهم في العبوديه حتى صاروا في حيوتهم الدنيا الى عالم القيمه لاجرم صار التسليم الموعود به
بعد الموت في حق اقوام بقوا الهولا حال كونهم في الدنيا ومنهم من يقول هذا كلام الرسول انه من
عمل قرا نافع انه بفتح الالف وفانه بكسر الالف وبن عامر بالفتح فيهما والباقون بالكسر فيهما اما فتح
الاولى فعلى الابدال من الرحمه واما فتح الثانيه فعلى ان يجعله بدلا من الاولى كقوله كتب
عليه انه من تولاه فانه يضله وقوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم
وقال ابو علي الفارسي من فتح الاولى فقد جعلها بدلا من الرحمه واما التي بعد الفا فعلى اضمار
مبتدأ اي فله انه غفور رحيم واما الكسر فيهما فلانه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمه
فقد تم هذا الكلام ثم ابتدا على سبيل الاستيناف كان الرحمه استفسرت فقيل انه من عمل
منكم سوا بجهاله ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم ودخلت الفا جزا للشرط الذي تضمنه

قوله

قوله من عمل وكسرت ان لانها دخلت على المبتدا والخبر كانك قلت فهو غفور رحيم لكن اكد الكلام
بان قوله بجهاله في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهل
لان من عمل ما يودي الى الضرر في العاقبه وهو عالم بان عاقبته الى الضرر او ظان به فهو من اهل
السفه والجهاله لا من اهل الحكمه والتدبير وثانيهما انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضره من
حق الحكيم ان لا يقدم على شي حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابه الكفره
الى ما اقترحوه ولم يعلم انها مفسده قوله تاب اشاره الى الندم على الماضي وقوله واصلح اشاره الى
كونه اتيا بالاعمال الصالحه في الزمان المستقبل فانه غفور بسبب ازالة العقاب رحيم بسبب
ايصال الثواب الذي هو النهايه في الرحمه قوله وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل
المجرمين اي ومثل ذلك التفصيل البين الدال على صحة التوحيد والنبوه والقضا والقدر نفصل
ايات القران ونلخصها في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين قرا نافع لتستبين بالتا
سبيل بالنصب والمعنى لتستبين يا محمد سبيل هولا المجرمين وحمزه والكساي وابو بكر عن عاصم
ليستبين بالياء سبيل بالرفع والباقون بالتاء سبيل بالرفع على تانيث سبيل واهل الحجاز يونثون
السبيل وبنو تميم يذكرونه يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته ومتعلق اللام في
قوله ولتستبين محذوف والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل ايات القران ونلخصها في صفة
احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو
الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامه ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح
سبيلهم فيعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل وانما قال ولتستبين سبيل المجرمين
ولم يذكر سبيل المومنين لان ذكر احد القسمين يدل على الاخر كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر
البرد وايضا الضدان اذا كانا بحيث لا يحصل بينهما واسطه فمتى بانت خاصية احد القسمين
بانت خاصية القسم الاخر والحق والباطل لا واسطة بينهما فماذا بعد الحق الا الضلال
فمتى استبان سبيل المجرمين فقد استبان سبيل المومنين ولم يعكس لان دفع المفاسد
اهم **قوله تعالى** قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواكم
قد ضللت اذا وما انا من المهتدين قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون
به ان الحكم الا لله يقضي الحق وهو خير الفاصلين لما ذكر في هذه الايه المتقدمه انه يفصل
الايات ليظهر الحق وليستبين سبيل المجرمين ذكر في هذه الايه انه تعالى نهى الرسول عن سلوك
سبيلهم اني نهيت منعت وزجرت عن عبادة ما تدعونه وتعبدونه من دون الله وفيه
استجهال لهم ووصف بالوقوع في السفاهه والكفر على غير بصيره فان عبادة الذين تدعون
من دون الله بنا على محض الهوى والتقليد لا على الحجه والدليل لان الجمادات والحجاره
هي اخس مرتبه من الانسان بكثير وكون الاشرف مشتغلا بعبادة الاخس امر يدفعه صريح
العقل والنهي عن اتباع الهوى ثابت وقل يا محمد لا اتبع اهواكم اي لا اسلك سبيلكم التي
سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدين القويم والصراط المستقيم وهو بيان
للسبب الذي وقعوا منه في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل
قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواكم فانا ضال وما انا من الهدى في شي والمقصود كانه
يقول انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على
بينة اي اني من معرفة ربي وانه لا اله غيره على بينة ظاهرة وحجة قاهرة وشاهد

صدق ولذبتم به انشرحت اسراركم به عنهم فقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين
منه اذا كان ثابتا عندك بدليل صحيح ثم اعقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة
غضبه عليهم لذلك وانهم احقا بان يستاصلوا بالعذاب المستاصل واعلم انه عليه السلام
كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم بسبب هذا الشرك والقوم لاصرارهم على الكفر كانوا
يستعجلون نزول ذلك العذاب فقال تعالى قل يا محمد ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب
الذي استعجلوه في قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما
او ائتنا بعذاب اليم والمراد ان ذلك العذاب ينزله الله في الوقت الذي اراد انزاله
ولا قدرة لي على تقديمه وتاخيره ان الحكم الا لله في كل الامور والمراد هاهنا ان الحكم الا
لله في تاخير عذابهم يقضي الحق في كل ما يقضي من التاخير والتعجيل في كل اقسامه وهو خير
الفاصلين قرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من القصص اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به
ويقدره من قص اثره وقيل معناه ان كل ما انبا الله به وامر به فهو من اقاصيص الحق
لقوله نحن نقص عليك احسن القصص والباقون يقضي الحق قال الزجاج فيه وجهان
احدهما ان يكون الحق صفة المصدر والتقدير يقضي القضا الحق والثاني ان يكون
يقضي الحق يصنع الحق لان كل شي صنعه الله فهو حق فيكون الحق مفعولا به وقضى بمعنى صنع
قال الهذلي وعليهما مسرودتان قضاهما داود اي صنعهما داود قوله تعالى
قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين اي لو ان في قدرتي
وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم اي لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي
وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة
من وقت عقابهم ومقداره والمعنى اني لا اعلم وقت عقوبة الظالمين والله يعلم ذلك فهو
يوخرها الى وقته قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر
والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في
كتاب مبين اعلم انه تعالى قال في الاية الاولى والله اعلم بالظالمين يعني انه تعالى هو
العالم بكل شي فهو يعجل ما اراد تعجيله ويوخر ما اراد تاخيره وذكر في هذه الاية علمه
بجميع الاشيا على سبيل التفصيل المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح فقد جعل للغيب مفاتح على
طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في الخزاين المستوثق منها بالاغلاق
والاقفال فالعالم بالمفاتح وبكيفية استعمالها في فتح الاغلاق والاقفال وبانه كيف
يفتح يتوصل بها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده
مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن وقيل المفاتح جمع مفتح
بالفتح وهو المخزن والمعنى عنده خزاين الغيب قال تعالى وان من شي الا عندنا خزاينه
قال الامام اعلم ان هاهنا دقيقة هي ان القضايا العقلية المحضة يصعب تحصيل
العلم بها على سبيل التمام والكمال الا للعقلا الكاملين الذين تعودوا الاعراض عن قضايا
الحس والخيال والفوا استحضار المعقولات المجردة وقليل ما هم نادر وقوله وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو قضية عقلية محضة مجردة والانسان الذي يقوي عقله
على الاحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقران انما انزل لينتفع به جميع الخلق
فهاهنا طريق اخر وهو ان من ذكر القضية العقلية المحضة المجردة واراد ايصالها الى

عقد

عقل كل احد ذكر لها امورا مثالا من الامور المحسوسة الداخلة تحت القضية العقلية
الكلية ليصير ذلك المعقول بمعاونة هذا المثال المحسوس لكل احد والامر في هذه الاية ورد على هذا
النمط لانه قال اولا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ثم اكد هذا المعقول الكلي المجرد بمثال يجري
مجرى المحسوس فقال ويعلم ما في البر والبحر وذلك لان اقسام معلومات الله هو جميع ذوات البر والبحر
والحس والخيال قد وقف على عظم احوال البر والبحر فذكر هذا المحسوس ليكشف عن حقيقة عظمة ذلك
ذلك المعقول وفيه دقيقة اخرى وهي انه تعالى قدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال
البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات
والمعادن فاما البحر فاحاطة العقل باحوالها اقل الا ان الحس يدل على ان عجايب البحار في الحكمة اكثر
وطولها وعرضها اعظم وما فيها من الحيوانات واجناس المخلوقات اعجب فاذا استحضر الخيال صور
البحر والبر على هذه الوجوه ثم عرف ان مجموعها قسم حقير من الاقسام الداخلة تحت قوله وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فيصير هذا المثال المحسوس مقويا ومكملا للعظمة الحاصلة تحت قوله
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فذكر البر والبحر ليكشف عن عظمة البر والبحر وقال وما تسقط من
ورقة الا يعلمها وذلك لان العقل يستحضر جميع ما في وجه الارض من المدن والقرى والمفاوز
والجبال والتلال ثم يستحضر كم فيها من النجوم والشجر ثم يستحضر انه لا يتغير حال ورقة الا يعلمها
ثم يتجاوز عن هذا المثال الى مثال اخر اشد هيبة منه وهو قوله ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس وذلك لان الحبة تكون في غاية الصغر وظلمات الارض موضع
هي اكثر الاجسام واعظمها تخفيا فيها فاذا استمع ان تلك الحبة الصغيرة الملقاة في ظلمات الارض
على اتساعها وعظمتها لا تخرج عن علم الله لا لتنبه صارت هذه الامثلة منبهة على عظمة عظيمة
وجلالة عالية من المعنى المشار اليه بقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو بحيث تتحير
العقول فيها وتتقاصر الافكار والالباب عن الوصول الى مباديها ثم انه تعالى لما قوى امر ذلك
المعقول المحض المجرد بذكر هذه الجزئيات المحسوسة عاد الى ذكر تلك القضية العقلية المحضة
المجردة بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو عين المذكور في قوله
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فهذا ما حصلناه في تفسير هذه الاية الشريفة العالية ومن
الله التوفيق قال المتكلمون انه تعالى فاعل العالم بجواهره واعراضه على سبيل الاحكام
والاتقان ومن كان كذلك كان عالما بها وقال الحكما انه تعالى مبدا لجميع الممكنات
والعلم بالمبدا يوجب العلم بالاثر فوجب كونه تعالى عالما بكلها وهذا الكلام من ادل الدلايل
على كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات الزمانية وقد سلموا ان العلم بالمبدا يوجب العلم بالاثر
فوجب كونه عالما بهذه المتغيرات والزمانيات من حيث انها متغيرة وزمانية وذلك هو المطلوب
قوله ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما تسقط من شي من هذه
الاشيا الا يعلمه قوله الا في كتاب مبين قيل هو علم الله لا غير وقال الزجاج يجوز ان يكون الله عز
وجل اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان يخلق الخلق كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما
جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبيكم بما كنتم تعملون لما بين كمال علمه في
الاية الاولى بين كمال قدرته بهذه الاية وهو كونه قادرا على نقل الذوات من الموت الى الحيوة
ومن النوم الى اليقظة واستقلاله بحفظها في جميع الاحوال وتدبيرها على احسن الوجوه

حالتي النوم واليقظه سوفاكم اي يقبض ارواحكم في منامكم عن التصرف كما يقبضها بالموت ويعلم
ما جرحتم ما كسبتم من العمل بالنهار واصله من جارحة اليد قيل لكل عامل جارح باي عضو من
اعضايه عمل ومنه جوارح الصيد ثم يبعثكم اي يثيركم ويوقظكم في النهار ليقضى اجل مسمى اي اعماركم
المكتوبه والمعنى يبعثكم من نومكم الى ان تبلغوا اجالكم ومعنى القضا فصل الامر على سبيل التمام
ومعنى قضا الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت حتى ينقطع اثر الحيوة والرزق وفي هذا اقامه
الحجه على منكري البعث يعني كما قدرت ان اتوفاكم بالليل وايقظكم بالنهار فكذلك اقدر على بعثكم بعد الموت
ثم اليه مرجعكم في الاخره فينبيكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع احوالكم واعمالكم قوله
تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظه حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا وهم
لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين وهو القاهر للعدم بالتكوين
والايجاد للوجود بالافنا والافساد ينقل الممكن من العدم الى الوجود تارة واخرى من الوجود الى
العدم ولكل ضد بضده فيقهر النور بالظلمه والظلمه بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار ويرسل
عليكم حفظه ملايكه حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون توفته رسلنا اي استوفت روحه
ملك الموت واعوانه وهم لا يفرطون اي لا يقصرون فيما امروا به والتفريط التواني والتاخير
عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا
الى الله يعني الملايكه وقيل العباد مولاهم مالكهم الذي يلي عليه امورهم الحق الموجود الذي هو
احق الاشيا بكونه مولى والمعنى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطله ثم ردوا الى تصرف
مولاهم الحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وذلك يقتضي ان الخير والشر بحكم الله وقضايه فلولا انه
تعالى حكم للسعيد بالسعاده وللشقي بالشقاوه لما حصل السعاده والشقاوه لاحد وهو اسرع
الحاسبين لانه لا يحتاج الى فكر ورويه ولا عقد وكتابه ولا يشغله حساب عن حساب قوله
تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفيه لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون هذا ايضا نوع من الدلايل الداله على كمال
القدره الالهيه وكمال الرحمه والفضل والاحسان قرا عاصم وحمزه والكساي ينجيكم بالتشديد في
الكلمتين والباقون بالتخفيف وهما لغتان من نجا فان شيت نقلت بالهمزه وان شيت بتضعيف العين
وقرا عاصم وحمزه والكساي ينجيكم بالتشديد في الكلمتين والباقون بالتخفيف لين انجانا على المغايبه
فعاصم بالتفخيم وهما بالاماله والباقون بالتخفيف وهما بالاماله والباقون بالمخاطبه من ظلمات البر والبحر
مجاز عن مخاوفهما وهو انما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته
حتى عاد كالليل ومعناه انه يشتد الامر فيه ويشتبه عليه كيفية الخروج ويظلم عليه طريق الخلاص وقيل
محمول على حقيقته فظلمات البر ظلمة الليل وظلمات السحاب والخوف الشديد من هجوم الاعدا والخوف
الشديد من عدم الاهتدا الى الطريق الصواب وظلمات البحر اجتماع ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة
السحاب وانصباب الرياح الصعبه والامواج الهايله فلم يعرفوا كيفية الخلاص فعظم الخوف
والمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبه للخوف الشديد لا يرجع الانسان الا
الى الله وهذا الرجوع يحصل ظاهرا وباطنا لان الانسان في هذه الحاله يعظم اخلاصه في حضرة
الله وينقطع رجاوه عن كل ما سوى الله وهو المراد من قوله تضرعا وخفيه فبين تعالى انه
اذا شهدت الفطره السليمه عن التوجه الى غير الله بانه لا ملجا الا الى الله وجب
ان يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال وفي جميع الاوقات لكنه ليس كذلك فان

الانسان بعد الفوز بالسلامه والنجاه يحيل تلك السلامه الى الاسباب ويقدم على
الشرك والايه تدل على ان الانسان عند حصول هذه الشدايد ياتي بامور احدها
الخوف وثانيها التضرع وثالثها الاخلاص بالقلب وهو المراد من قوله خفيه ورابعها
التزام الشكر على تقدير النجاه ثم بين تعالى انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن ساير موجبات الخوف
والكرب اي الحزن ثم ان ذلك الانسان يقدم على الشرك قوله تعالى قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
باس بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون هذا نوع اخر من الدلايل الداله على
كمال القدره ممزوج بالتخويف فبين انه هو القادر الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدره
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم بالصيحه والمطر والريح والحجاره كما فعل بثمود وقوم
نوح وعاد واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم بالخسف كما فعل بقارون وقيل من فوقكم من قبل
اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل من فوقكم من
حبس المطر ومن تحت ارجلكم من حبس النبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على
اهوا شتى ويذيق بعضكم باس بعض يعني يقتل بعضكم بعضا بالسيوف المختلفه كما فعل ببني
اسرايل ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله
وكتيبه لبستها بكتيبه حتى اذا التبست نفضت لها يدي روي انه لما نزلت هذه
الايه قال جبريل يا رسول الله يا جبريل ما بقا امتي على ذلك فقال انما انا عبد مثلك فسال
ربك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا وصلى وسال ربه ان لا يبعث على امته
عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم ولا يذيق بعضهم باس بعض فاعطى اثنتين ومنع واحده
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت
ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فنا امتي
بالسيف ومعنى الايه الوعيد باحد اصناف العذاب المعد قوله تعالى وكذب به
قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف تعلمون اي وكذب بالعذاب
قومك وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم وقيل به بالقران وهو الحق في انه منزل من عند الله
وقيل به بتصريف الايات وهو الحق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ ورقيب وكل الي امركم امنعكم
من التكذيب اجبارا واجازيكم على تكذيبكم انما انا رسول منذر لكل شي نبا به يعني انباهم
بانهم يعذبون والعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه او موضع يستقر فيه
او لكل وعد ووعيد من الله استقرار ولا بد وان يعلموا كما اخبر الله عنه ظهوره ونزوله
وهذا العذاب يجوز ان يكون المراد منه استيلا الكفار بالحرب والقتال والقهر في الدنيا
ويجوز ان يكون المراد منه عذاب الاخره قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم
الظالمين واذا رايت قيل انه خطاب للنبي والمراد به غيره وقيل الخطاب لكل احد اي اذا
رايت ايها السامع الذين يخوضون في القران بالاستهزا والطعن فيه والتكذيب فاعرض
عنهم فاتركهم ولا تجالسهم حتى يشرعوا في حديث القران فلا باس ان تجالسهم حينيذ وذلك
ان المشركين كانوا اذا جالسوا المومنين وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوا
واستهزوا وقرا ابن عامر ينسينك بتشديد السين وفتح النون والباقون

بتخفيف السين وسكون النون وفعل وافعل الجريان مجرى واحد والمعنى وان شغلك الشيطان
بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد ان تذكر النهى وقيل يجوز ان يراد وان كان
الشيطان ينسيك قبل النهى قبح مجالسة المستهزئين لانه مما ينكره العقول فلا تقعد بعد ان ذكرناك
قبحها ونبهناك عليه مع القوم الظالمين اى المشركين **قوله تعالى** وما على الذين يتقون من حسابهم
من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون عن ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقران وخاضوا
فيه قمنا عليهم ما قدرنا على ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فنزلت هذه الايه وجعلت
الرخصة للمؤمنين بان يقعدوا معهم ويذكروهم ومعنى الايه وما على الذين يتقون الذين يجالسونهم
شيء من حسابهم مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام
واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حياء وكراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون
الضمير للذين يتقون اى يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها ومحل ذكرى يجوز ان يكون نصبا
على ولكن يذكرونهم ذكرى اى تذكيرا او رفعا على عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء لقولك
ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك لانه يلزم ان يكون ذكرى من حسابهم
وليس كذلك **قوله تعالى** وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به
ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك
الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون الذين اتخذوا دينهم هم الذين
يخوضون في اياتنا ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم قيل
كان ذلك بحسب قلة اتباع الاسلام حينئذ ثم نسخ وما جرى مجراه بالقتال وقيل ان الايه للتهديد والوعيد
فهو كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وليس فيها نسخ لانها متضمنة خبرا وهو التهديد اى اتخذوا
دينهم الذي يجب ان ياخذوا به لعبا ولهوا اى توسلوا بدينهم الى دنياهم من اخذ المناصب والرياسة
وجمع الاموال والتفاخر وقد حكم الله على الدنيا بانها لعب ولهو واذا تاملت في حال اكثر الناس وجدتهم
موصوفين بهذه الصفة وقيل الذين يعتقدون ان لا بعث فهم يتصرفون بشهواتهم تصرف
اللاعب اللاهي وقيل دينهم الذي كلفوا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث
سخروا به واستهزؤوا وقيل اتخذوا عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحاير والسوايب
وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع الهوى والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد
دينهم وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس
كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم
كما شرعه الله مثل الجمعة والفطر والاضحى وغرتهم اى خدعتهم من الغرور وهو الاطماع
بما لا يحصل فاغتروا بنعم الله ورزقه وامهالهم فطمعهم ذلك فيما لا يحصل من رحمته وقيل
من الغر بفتح الغين اى ملا افواههم واشبعهم وذكر به بالقران وقيل بالدين ان تبسل
نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم
اليه يمنع المسلم قال الشاعر وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اى حرام
ومحظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا
اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وعن ابن عباس تبسل نفس
اى ترتهن في جهنم بما كسبت في الدنيا وعن الحسن ومجاهد تسلم للهلكة اى يمنع عن مرادها
وتخذل وعن قتادة تحبس في جهنم بسبب جناياتهم لعلهم يخافون فيتقون ليس للنفس من دون الله

ولي ولا شفيع وان تعدل اي وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل
المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وقوله منها في محل الرفع بقوله اقيم مقام الفاعل
واسند قوله يؤخذ اليه ولا يجوز ان يجعل ضمير العدل قائما مقام الفاعل لان العدل
هاهنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما عدلا في قوله ولا يؤخذ منها عدل بمعنى المفدى
به فصح اسناد الفعل الذي هو يؤخذ اليه اولئك اي الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا هم
الذين اسلموا بما اجترحوا من الكفر لهم شراب من حميم ماء حار وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
قوله تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا
الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان
هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه
تحشرون المقصود من هذه الايه الرد على عبدة الاصنام وهي مؤكدة لقوله تعالى قل اني نهيت ان
اعبد الذين تدعون من دون الله اى قل في احتجاجك اي يطيع رايكم في ان ندعو العبد من دون
الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا اي ما لا يقدر على منفعتنا ولا مضرتنا وقيل الدعاء يعم
العبادة وغيرها لان من جعل شيئا موضع دعائه فاياه يعبد وعليه يتكل وضرر الاصنام
في الدين لا يفهمه الكفار فلذلك نفى الضرر الذي يفهمونه من زوال المكاره الدنيويه
او نرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام والاصل في ذلك
ان يكون الانسان يمشي قدما وهي المشيه المستقيمه فيرد يمشي القهقرى وهي المشيه الرديه فاستعمل المثل
بها فيمن رجع من خير الى شر ووقعت في هذه الايه في تمثيل الراجع من الهدى الى عبادة الاصنام وقيل
الرد الى العقب فيمن امل امرا فخاب امله قال ابن عطيه وهذا قول قلق كالذي الكاف في موضع نصب
نعت لمصدر محذوف تقديره ردا كرد الذي اذ هبته الشياطين في الارض في المهمه اي المفازة
البعيده قرا حمزه استهواه بالف ممالة على التذكير والباقون بالتاء لان الجمع يصلح ان يذكر
على معنى الجمع ويصلح ان يؤنث على معنى الجماعه وقيل مشتق من الهوى في الارض وهو النزول من الموضع
العالي الى الوهده السافله العميقه في قعر الارض شبه الله حال هذا الضال به كقوله ومن يشرك بالله
فكانما خر من السماء لان الانسان عند هويه من المكان العالي الى الوهده العميقه في غاية
الاضطراب والحيرة وقيل مشتق من الهوى الذي هو هوى النفس واستهوته بمعنى استدعت هواه
واماله حيران تائها ضالا عن الجاده لا يدري كيف يصنع مؤنثه حيرى فهو غير منصرف علما وغيره
وهو منصوب على الحال من الضمير المنصوب الذي في استهوته والعامل فيه استهوته او على الحال من الذي
في قوله كالذي والعامل الرد المقدر وقيل من الضمير الذي في نرد على اعقابنا اي ننكص مشبهين من
استهوته الشياطين له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقه يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق
المستوي ويجوز ان يراد بالهدى الطريق المستقيم اي يدعونه الى الطريق المستقيم يقولون ائتنا وقد
اعتسف المهمه تابعا للشياطين لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن
تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله الذي يتخبطه الشيطان من المس فشبه الضال
عن الطريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى
الله هو الاسلام والايمان هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وامرنا محله النصب عطفا على محل
قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم اللام فيه
لام التعليل للامر على معنى امرنا لان نسلم وان مقدره بعد اللام والمعنى امرنا وقيل لنا

اسلموا الاجل ان نسلم والمفعول مالما لامرنا مقدر اى امرنا بالاخلاص قيل نزلت فى عبد الرحمن ابن ابى
بكر حين دعا اباه الى الكفر واريد بالاصحاب ابوه وامه قال صاحب الكشاف فاذا كان هذا واردا
فى شان ابى بكر فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاتحاد كان بين رسول الله والمومنين خصوصا
بينه وبين الصديق قال ابن عطيه وهذا ضعيف لان فى الصحيح ان عايشه رضى الله عنها لما سمعت قول من
يقول ان قوله تعالى والذى قال لوالديه اف لكما نزلت فى عبد الرحمن ابن ابى بكر قالت كذبوا والله ما نزل
فينا من القران شى الا براتى قوله تعالى وان اقيموا معطوف على موضع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا
ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اى للاسلام كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز
ولاقامة الصلوة ويحتمل ان يكون معطوفا على المفعول المقدر لامرنا اى امرنا بالاخلاص وبان اقيموا الصلوة
قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك
يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهاده وهو الحكيم الخبير لما بين فى الايات المتقدمه فساد طريقه عبده
الاصنام ذكر ههنا ما يدل على انه لا معبود الا الله وهو هذه الايه وذكر ههنا انواعا كثيره من الدلايل
اولها قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض وقد ذكر فى اول السوره قوله بالحق على تفسيره
من قوله فى آل عمران ربنا ما خلقت هذا باطلا قال اصحاب السنه والجماعه انه تعالى مالك الجميع
المحدثات وتصرف المالك فى ملكه حق وصواب وقالت المعتزله معنى كونه حقا انه واقع على
وفق مصالح المكلفين مطابق لمنافعهم وقيل انه تعالى اودع فى هذه الاجرام العظيمه قوى
وخواص وجعلها مصالح هذا العالم ومنافعه وثانيها قوله ويوم يقول كن فيكون قيل
ويوم عطف على السموات والارض والتقدير وهو الذى خلق السموات والارض
وخلق يوم يقول كن فيكون والمعنى وهو الذى خلق الدنيا وما فيها من الافلاك والطبايع
والعناصر وخلق يوم القيامه والبعث ورد الارواح الى الاجساد على سبيل كن فيكون
وقيل الحق مبتدا ويوم يقول كن فيكون خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك
يوم الجمعه القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى قوله الحق واقع يوم يقول كن فيكون
ويوم يقول نصب على الظرف وهو متعلق بمعمول فعل مضمر تقديره واذكر الخلق والاعاده
يوم يقول او واذكر الاعاده يوم يقول الله للاجساد كن معاده وقيل يحتمل ان يتم الكلام
تمام الكلام فى قوله فيكون ويكون قوله الحق الذى كان فى الدنيا اخبارا بالاعاده فقوله
قوله الحق اسم فيكون ويحتمل ان يكون تمام الكلام فى قوله فيكون ويكون قوله الحق مبتدا
وخبرا قال الزجاج قوله ويوم معطوف على الضمير المنصوب فى قوله واتقوه والتقدير
واتقوا الله ويوم اى واتقوا العقاب والاهوال والشدايد يوم يقول وثالثها قوله
وله الملك يوم ينفخ فى الصور وله الملك مبتدا وخبر وقوله يوم ينفخ ظرف له كقوله
لمن الملك اليوم وقيل يوم بدل من الاول على ان يقول مستقبلا لا على تقدير مضيه والصور
جمع صوره والمعنى يوم تعاد العوالم قال الجمهور الصور هو القرن الذى قال النبى
صلى الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث ورابعها قوله عالم الغيب والشهاده اعلم انه
تعالى لما ذكر فى القيامه الاوقرر فيه اصلين احدهما كونه قادرا على كل الممكنات وثانيهما
كونه عالما بكل المعلومات لانه بتقدير ان لا يكون قادرا على كل الممكنات لم يقدر على البعث
والحشر ورد الارواح الى الاجساد وبتقدير ان لا يكون عالما بجميع الجزئيات لم يصح ذلك
منه لانه ربما اشتبه عليه المطيع بالعاصى والمومن بالكافر والصديق بالزنديق فلا

اهل م

احوال البعث م

يحصل المقصود الاصلى من البعث والقيامه اما اذا ثبت بالدليل حصول هاتين الصفتين كمل الغرض
والمقصود فالاول لتنزيهه عن الجور والعبث والثانى تقرير الحكم تبرا عن العبث والباطل والعجز والثالث
تقرير القدره التامه الكامله التى لا دافع لها ولا معارض والرابع تقرير احاطه علمه بكل شى فلهذا لزم
ان يكون قضاياه براه عن الجور والعبث والعجز وان يكون حكمه صدقا وحقا قوله عالم الغيب اى هو
عالم الغيب والشهاده وارتفاعه على المدح وهو الحكيم المصيب فى افعاله الخبير العالم بحقايقها من
غير اشتباه **قوله تعالى** واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهه انى اريك وقومك
فى ضلال مبين انه سبحانه وتعالى كثيرا يحتج على مشركى العرب باحوال ابرهيم لانه عليه السلام
يعترف بفضله جميع الطوايف فالمشركون كانوا معترفون بفضله مشرفين بانهم من اولاده
واليهود والنصارى والمسلمون كلهم معظمون له معترفون بجلاله قدره فلا جرم ذكر الله حكايه
حاله فى معرض الاحتجاج على المشركين قوله واذ قال العامل فى اذ فعل مضمر تقديره
واذكر وقص وقيل نبه الله محمدا صلى الله عليه وسلم عن الاقتدا فى محاجته قومه اذ كانوا اهل
اصنام وكان قوم محمد صلى الله عليه وسلم اهل اصنام وقيل ليس هذا من لفظ الايه اما ان جميع ما
يجى من مثل هذا اعرضه للاقتدا وقرا السبعه ازر بفتح الهمزه التى قبل الالف وفتح الزا
والرا وهو اسم ابى ابرهيم والاختلاف فى ان اسمه ازر او تارح وفى انه ابوه او عمه والاحتجاج
والاعتراض لا يجدبه كثير نفع والاولى الاعراض عنه والاختصار على ما دل عليه صريح كلام الله
والحمل على الظاهر اذ لا وجه فى العدول عنه والاقرب ان يكون وزن ازر فاعل مثل تارح
وعابر وعازر وشالح وفالع وما اشبهها وازر عطف بيان لابيه وقيل ازر اسم صنم فيجوز ان
ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن ويجوز ان يراد عابد ازر
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ازر صفه ومعناه المعوج المخطى ورد هذا بانه
نكره فلا ينعت المعرفه به ودفع هذا بانه اريد فيه الالف واللام وان لم يلفظ به فان معناه
واذ قال ابرهيم لابيه المخطى وقيل نصبه للحال كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه وهو فى حال عوج
وخطا وقيل معناه الشيخ الهرم وقيل اشتمل كلام ابرهيم فى هذه الايه على ذكر الحجه العقليه على فساد
قول عبده الاصنام من وجهين الاول ان قوله اتتخذ اصناما الهه تدل على انهم كانوا يقولون بكثره
الالهه الا ان القول بكثره الالهه باطل بالدليل العقلى الذى فهم من قوله تعالى لو كان فيهما
الهه الا الله لفسدتا والثانى ان هذه الاصنام لو حصلت لها قدره على الخير والشر لكان الصنم
الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على انها وان كثرت فلا نفع فيها البته وقيل دلت
هذه الايه على ان وجوب الشكر معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابرهيم عليه السلام حكم عليهم بالضلال
ولولا الوجوب العقلى والا لم حكم عليهم بالضلال لان ذلك المذهب كان متقدما على دعوه ابرهيم
ورد بان الحكم عليهم بالضلال بشرع الانبيا الذين كانوا متقدمين على ابرهيم واراك فى هذا الموضع
يشترك فيه البصر والقلب ومبين بمعنى واضح ظاهر وهو من ابان الشى اذا اظهر **قوله تعالى**
وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين الايه المتقدمه تقضى بهدايه
ابرهيم الى انكار الكفر وقبح عبادة الاصنام والاشاره هنا بذلك هى الى تلك الهدايه اى
وكما هديناه الى انكار الكفر وعبادة الاصنام اريناه ملكوت السموات والارض ونرى حكايه
حال ماضيه اى كما نرى وقيل وكما هديناك يا محمد ارينا ابرهيم ملكوت السموات وليس ببعيد

فان قوله قل اندعون من دون الله الى قوله وهو الحكيم الخبير يفيد هذا المعنى ولعل
الاشارة يشير الى هذه نري اما من رؤية البصر او من رؤية القلب بمعنى المعرفة او بمعنى العلم والثالث
باطل والا لتعدى نري الى ثلثه مفاعيل وليس كذلك لا يقال الثالث محذوف لان عند ذكر الثاني
حذف الثالث غير جايز فقيل ان الله تعالى اري ابرهيم ملكوت السموات والارض بالبصر فان الله تعالى
شق له السموات حتى راى العرش والكرسي والى حيث ينتهي فوقه العالم الجسماني وشق له الارض الى
حيث ينتهي الى السطح الاخر من العالم الجسماني وراى ما في السموات والارض من الغرايب والعجايب
والبدايع روي ان الله عز وجل فرج لابرهيم عليه السلام السموات والارض حتى راى ببصره
الملكوت الاعلى والملكوت الاسفل فان صح هذا النقل ففيه تخصيص لابرهيم عليه السلام بالا يدرك
غيره قبله ولا بعده وهذا قول مجاهد قال تفرجت له السموات والارض فراى مكانه في الجنه وبه
قال سعيد ابن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤيته ببصره ظاهر الملكوت وقع له معها من
الاعتبار ورؤيه القلب ما لم يقع لاحد من اهل زمنه الذي بعث اليهم قاله ابن عباس وغيره ففي
هذا تخصيص ما على جهة التقييد باهل زمنه وقيل هي رؤيته بعين البصيره والعقل لا بالبصر والحس
الظاهر فان ملكوت السموات والارض من حقايقهما وصفاتهما واحوالهما التي لا تدرك بالحس الظاهر
فان ما يدرك بالحس الظاهر وهو الملك وما يدرك بعين البصيره والعقل هو الملكوت واضافه
الملكوت الى السموات والارض من الكل شي في قوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي يدل على مغايره
الملكوت للسموات والارض وكل شي فالسموات والارض وكل شي ملكه المدرك بالحس الظاهر وبالبصر
وملكوت السموات والارض وكل شي ما يدرك منها بعين البصيره والعقل وكذا قوله تعالى في اخر الايه
وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه والرؤيه بالعين لا تصير حجه على قومه لانهم ما راوا بالبصر ما راى
ابرهيم به وكانوا يكذبون ابرهيم فيه وكذا قوله تعالى وليكون من الموقنين فان اليقين عبارة عن المستفاد
بالتامل اذا كان مسبوقا بالشك وتقدير الايه نري ابرهيم ملكوت السموات والارض لاجل ان يصير من
الموقنين واليقين مستفاد من التامل والفكر فلا يكون برؤية البصر وهذا القول انسب بالايه
لان الغايه التي نصبت له انما هي ان يكون من الموقنين واليقين انما يقع بالتامل والاعتبار والقول
الثاني اولى لان التامل والفكر مسبوق برؤية البصر لان الرؤيه بالبصر يستفاد منها ما يتامل
فيه بالبصيره والعقل والملكوت من الملك كالرغبوت من الرغبه والرهبوت من الرهبه
وفيه مبالغه من جهة الزياده فملكوت كل شي ما به قوامه وتحققه واذا تامل في ملكوت السموات
والارض يعلم ان السموات والارض من الممكنات والمحدثات فلا بد لها من موجد قادر مختار
عالم فيكون حجه على قومه قال صاحب الكشاف وكذلك نري ابرهيم جمله معترضه بها بين
المعطوف الذي هو قوله قال ابرهيم لابيه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف
ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض نعني الربوبيه والالهيه ونوفقه لمعرفتها ونرشده
بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك
فعلى هذا الكلام مستانف لبيان علة الاراءه والتقدير وليكون من الموقنين نريه ملكوت السموات
وقيل ان الاراءه قد تحصل وتصير سببا لمزيد الهدايه واليقين فلما احتملت الاراءه هذين
الاحتمالين قال تعالى نري ابرهيم ملكوت السموات والارض لكراها وليكون من الموقنين
لا من الجاحدين قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب
الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين

فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يقوم اني بري مما تشركون اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين جن عليه الليل يجن بالضم جنونا ويقال ايضا
جنه الليل ولكن الاحسان واجنه الليل هذا اقول جميع اهل اللغه ومعنى جن ستر ومنه الجنه
والجن والجنون والجنان والجنين المستور وكل هذا اصله يعود الى الستر والاستتار وقال بعض النحويين
جن عليه الليل اي اظلم عليه ولهذا دخلت على عليه كما تقول في اظلم فاما جنه فستره من غير تضمين معنى
اظلم قيل ان ابرهيم عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه
ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا انه يولد في بلدك هذه السنه غلام يغير دين اهل
الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبيا قال السدي
راى نمرود في منامه كان كوكبا طلع فذهب بضو الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضو ففزع من ذلك فزعا
شديدا ودعا السحره والكهنه والحازه والقافه فسالهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك
في هذه السنه يكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد في ناحيته
تلك السنه وامر بعزل الرجال عن النسا وجعل على كل عشره رجلا فاذا حاضت المراه خلى بينه وبينها
فاذا طهرت عزل عنها فرجع آزر ابو ابرهيم فوجد امراته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها
فحملت بابرهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراه حبلى بقريته فحبسها الا ما كان من ام ابرهيم
عليه السلام فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جاريه حديثة السن لم تعرف الحبل في بطنها وقال
السدي خرج نمرود بالرجال للعسكر ونحاهم عن النسا تخوفا من ذلك المولود ان يكون فمكث
بذلك ما شا الله ثم بدت له حاجه الى المدينه فلم يامن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه
ودعاه وقال ان لي اليك حاجه احب ان اوصيك بها ولا ابعثك الا لثقتي بك فاقسمت عليك
الا تدنو من اهلك ولا تواقعها قال آزر انا اشح على ديني فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينه وقضى
حاجته ثم قال لو دخلت على اهلي ونظرت اليهم فلما نظر الى ام ابرهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت
بابرهيم عليه السلام قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملته امه الليله فامر نمرود
بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابرهيم واخذها المخاض خرجت هاربه مخافة ان يطلع عليها فيقتل
ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقه ووضعته في حلفا فرجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان
الولد في موضع كذا فانطلق ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه
بصخره مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال السدي لما عظم بطن ام ابرهيم
خشي آزر ان يذبح فانطلق بها الى ارض بين الكوفه والبصره فانزلها في سرب من الارض
وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها فكتم ذلك من اصحابه فولدت ابرهيم في ذلك السرب ونشب
وكان وهو ابن سنه كابن ثلث سنين وصار من الشباب بحاله انقطع عنه طلع الذباحين ثم ذكر
آزر لاصحابه ان لي ابنا كبيرا فانطلق به اليهم وقال محمد بن اسحق لما وجدت ام ابرهيم الطلق
خرجت ليلا الى مغاره كانت قريبا منها فولدت فيها ابرهيم واصلحت من شانه ما يصنع بالمولود
ثم سدت عليه المغاره ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغاره لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص
ابهامه وقيل كانت ام ابرهيم كلما دخلت عليه وجدته يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع
ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وقال محمد ابن اسحق
وكان آزر قد سال ام ابرهيم عن حملها ما فعل فقالت قد ولدت غلاما فمات فصدقها
فسكت عنها وكان اليوم على ابرهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنه فلم يمكث ابرهيم عليه السلام

جن عليه الليل

في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى رجع اليه آزر فاخبره انه ابنه فاخبرته ام ابرهيم انه
ابنه واخبرته بما كانت صنعت في شانه فسر بذلك آزر وفرح فرحا شديدا قالوا فلما شب ابرهيم
عليه السلام وهو في السرب بعد قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال لها فمن
رب ابي قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير
دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال لها فاتاه ابوه آزر فقال يا ابتاه من ربي قال امك قال
فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت
ثم قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب وانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابرهيم الى الابل
والخيل والغنم فسال اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ما لهذه بد من ان يكون لها رب وخالق
ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي ما لي اله غيره
ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة اخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر فقال
هذا ربي فذلك قوله فلما راى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلفوا فيه فاجراه بعضهم على الظاهر وقال
انما كان ابرهيم مسترشدا متحيرا طالبا التوحيد فوفقه الله واتاه رشده وانما كان هذا منه في حال
طفوليته وقبل قيام الحجة عليه في تلك الحال لا يكون كفرا ولا ايمانا يدل عليه ما روي عن ابن عباس
فلما جن عليه الليل راى كوكبا فعبده حتى غاب قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي
فعبده حتى غاب قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال هذا
ربي هذا اكبر فعبدها حتى غابت قال يا قوم اني بري مما تشركون وانكر الاخرون هذا القول وقالوا
غير جائز ان يكون لله تعالى رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف
ومن كل معبود سواه بري قالوا وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره في مستقره ومستودعه
واتاه رشده من قبل واخبر عنه فقال ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ جاء ربه
بقلب سليم وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
افتراه اراه الملكوت ليوقن فلما ايقن راى كوكبا فقال هذا ربي على الاعتقاد والحقيقة هذا
ما لا يكون ابدا ثم قالوا فيه اربعة اوجه من التاويل الصحيح الوجه الاول ان ابرهيم
اراد ان يستدرجهم بهذا القول ويعرفهم خطاهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه ويقيم عليهم الحجة
فانه كان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطا
في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مود الى ان شيئا
منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراها محدثا احدثها وصانعا صنعها
ومدبرا دبر طلوعها وافولها ومسيرها وانتقالها وساير احوالها هذا ازري قول من ينصف خصمه
مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب
ثم يكر بعد حكايته فيبطله بالحجة الوجه الثاني ان ابرهيم عليه السلام رآهم يعبدون الشمس
والقمر والكواكب فقال لهم على جهة الاستفهام والتوبيخ انكارا منكرا لفعلهم اهذا ربي ومثل
هذا يكون ربا اي ليس هذا ربي في زعمكم واعتقادكم على سبيل الاستهزا [illegible] وهذا القول له
وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الوجه الرابع ان يكون القول مضمرا فيه والتقدير
يقولون هذا ربي واضمار القول كثير كقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل
ربنا اي يقولان ربنا قرا ابو عمرو وورش عن نافع راي بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان وابن
عامر وحمزة والكسائي بكسرهما فاذا كان بعد الالف كاف او ها نحو رآك وراه وراها

فكسرها

فبكسرها حمزة والكسائي وبفتحها ابن عامر وروى يحيى عن ابي بكر عن عاصم مثل حمزة والكسائي فاذا لقيته الف
وصل نحو راى الشمس وراى القمر فان حمزة ويحيى عن ابي بكر ونصرا عن الكسائي يكسرون الراء ويفتحون
الهمزة والباقون يفتحون جميع ذلك بفتح الراء والهمزة قال الواحدي اما من فتح الراء والهمزة فعلته واضحة
وهي ترك الالف على الاصل نحو رمى ورعى واما من فتح الراء وكسر الهمزة فانه امال الهمزة نحو الكسر ليميل الالف
في راى نحو الياء وترك الراء مفتوحة على الاصل واما من كسرهما جميعا فلاجل ان يصير حركة الراء مشابهة
لحركة الهمزة فلما افل قال لا احب الافلين الافول الغيبة بعد الظهور افل غاب وقد افلت الشمس تافل
وتافل افولا غابت واحتج ابرهيم عليه السلام بافول الكواكب على انه يستحيل ان يكون ربا وافول الكوكب
يدل على حدوثه وامكانه لان الافول حركة والحركة تقتضي حدوث المتحرك وامكانه فيمتنع ان يكون
المتحرك ربا والها فان قيل الافول انما يدل على الحدوث من حيث انه حركة فيكون الطلوع ايضا دليلا
على الحدوث فما وجه ترك الطلوع وذكر الافول اجيب بان الطلوع والافول يشتركان في الدلالة
على الحدوث الا ان الدليل الذي يحتج به الانبيا في معرض دعوة الخلق الى الله تعالى يجب ان يكون ظاهرا
يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل والغافل ودلالة الحركة على الحدوث وان كانت يقينية الا انها
دقيقة لا يعرفها الا الاذكيا الافاضل اما دلالة الافول فانها ظاهرة يعرفها كل احد فان الافل
يزول سلطانه وقت الافول والطالع يظهر سلطانه عند الطلوع فكانت دلالة الافول على المقصود اتم
قال الامام قال بعض المحققين الهوي في حظيرة الامكان افول فما احسن الكلام وابلغه وافصحه ما
للخواص فيه حصة وللاوساط فيه نصيب وللعوام فيه حظ فالخواص يفهمون من الافول الامكان والممكن
لا يكون الها لانه يحتاج فلا يكون منقطعا للحاجة فلا بد من الانتها الى ما يكون منزها عن الحدوث
مقدسا عن الامكان حتى تنقطع الحاجات به كما قال وان الى ربك المنتهى واما الاوساط فانهم يفهمون
من الافول مطلق الحركة الدالة على حدوث المتحرك والمتحرك المحدث يحتاج الى القديم المختار فلا يكون الافل
الها بل الاله هو الذي احتاج اليه الافل واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب والغارب
يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك لا يصلح للالهية فهذه الكلمة الواحدة
اي قوله لا احب الافلين مشتملة على نصيب المقربين واصحاب اليمين وحجة على الملك بين وهداية للضالين
قال الامام وفيه دقيقة اخرى وهي ان ابرهيم عليه السلام انما كان يناظرهم وهم كانوا منجمين ومذهبهم
ان الكوكب اذا كان في الربع الشرقي ويكون صاعدا الى وسط السما كان قويا عظيم التاثير اما اذا كان
غربيا قريبا من الافول فانه يكون ضعيف الاثر قليل القوة فنبه بهذه الدقيقة على ان الاله
هو الذي لا يتغير عن حال الكمال الى حال النقصان ومذهبكم ان الكوكب حال كونه في الربع الغربي
يكون ضعيف القوة ناقص التاثير عاجزا عن التدبير وذلك يقدح في الهيبة وظهر ان الافول اظهر
دلالة على انه ليس برب على قول المنجمين وهذه الاية تدل على ان الدين يجب ان يكون مبنيا
على الدليل لا على التقليد والا لم يكن لهذا الاستدلال فائدة فلما راى القمر بازغا البزوغ القمر اذا
ابتدا في الطلوع قال الازهري كانه ماخوذ من البزغ الذي هو الشق كانه يشق بنوره الظلمة
شقا قوله لئن لم يهدني ربي دل على ان الهداية ليست الا من الله وحمل الهداية على ازالة
الاعذار والتمكين ونصب الدلايل عدول عن الظاهر من غير دليل بل الدليل دال على المنع من
الحمل عليها لان كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد حصول تلك الاشيا ينبغي
ان تكون زايدة عليها قوله هذا اكبر من باب استعمال النصفة مع خصومه وانما قال
هذا مع ان الشمس موثنة لانه راى ضو الشمس ولم ير عينها فرده الى الشعاع وقيل اراد هذا

الطالع ربي او هذا الذي اراه ربي هذا اكبر لانه اراه اضوا وقيل جعل المبتدا مثل الخبر لكونه
عبارة عن شي واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار
هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة
وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث يا قوم اني بريء مما تشركون اي لما ثبت بالدليل القاطع
ان هذه الكواكب لا تصلح للربوبية تبرا مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركا لخالقها اخذ من
الادنى مترقيا الى الاعلى لوقوع التاثير في التقرير والبيان على هذا الوجه اشد واقوى وانما
اقتصر في اثبات التوحيد والبراءة من الشرك على هذه الثلاثة لان القوم كانوا متباعدين على
نفي ساير الشركا قوله اني وجهت وجهي فتح اليا من وجهي نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والباقون
تركوا هذا الفتح والمعنى وجهت عبادتي وطاعتي لان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه متوجه
بوجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة والانقياد للذي فطر للذي دلت هذه المحدثات
عليه وعلى انه مبدئها ومبدعها قال الامام للذي فطر فيه دقيقة وهي انه لم يقل وجهت وجهي الى الذي
فطر تنبيها على ان توجيه وجه القلب ليس اليه لانه متعال عن الحيز والجهة بل توجيه وجه القلب
لاجل عبوديته **قوله تعالى** وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف
ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيا وسع ربي كل شي علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم
ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اوليك لهم الامن وهم مهتدون لما اورد ابرهيم صلى الله عليه وسلم
الحجة المذكورة والقوم اوردوا الحجة على صحة قولهم بان قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين وخوفوه
وقالوا اما تخاف ان يمسك الهتنا بسوء من برص او خبل لعيبك قال تعالى وحاجه قومه
في توحيد الله ونفي الشركا عنه منكرين لذلك قال ابرهيم اتحاجوني في توحيد الله قرا
ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكساي اتحاجوني بادغام النون الاولى في الثانية ونافع
وابن عامر اتحاجوني بحذف احدى النونين قيل هي الاولى ويدل على ذلك انها بقيت مكسورة
وقيل هي الثانية التي هي توطية ليا المتكلم قال ابو علي الفارسي لا يجوز حذف الاولى لانها للاعراب
وكسرت بعد ذلك الاولى الباقية للمجاورة لليا وقد هدان اي ارشدني الى معرفته
وتوحيده وامال الكساي هداني اي قال ابرهيم جوابا عن حجتهم اتحاجوني في معرفة الله
وتوحيده وقد ثبت بالدليل الموجب للهداية والحق اليقين صحة قولي فكيف التفت الى
حجتكم الواهية وكلماتكم الباطلة ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على
النفع والضرر والاصنام جمادات لا قدرة لها على النفع والضر الا ان يشاء الا وقت مشية ربي
شيا اخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت من الاوقات قط لانها لا
تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا فشاء
انزال العقوبة مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر وقيل الا ان يشاء ان يبتليني
بمحن الدنيا او يقطع عني بعض عادات نعمه وقيل الا ان يشاء ربي فاخاف ما تشركون به بان يحييه
ويمكنه من ضرري ونفعي ويقدرها على ايصال الخير والشر الي واللفظ يحتمل كل هذه الوجوه
وحاصل الامر انه لا يبعد ان يحدث للانسان في مستقبل عمره شي من المكاره والحمقى من
الناس يحملون ذلك على انه انما حدث ذلك المكروه بسبب انه طعن في الهة الاصنام فذكر
ابرهيم عليه السلام ذلك حتى انه لو حدث شي من المكاره لم يحمل على هذا السبب وسع ربي كل شي علما

يعني انه عالم بكل شي وبما هو صلاح وخير فلا يفعل الا الصلاح والخير والحكمة فبتقدير ان يحدث
من مكاره الدنيا فذاك لانه تعالى اعرف وجه الصلاح والخير فيه لا لاجل انه عقوبة على الطعن في الهة
الاصنام وعلما نصب على التمييز وهو مصدر بمعنى الفاعل معناه وسع علم ربي كل شي افلا تتذكرون فتميزوا
بين الحق والباطل والقادر والعاجز وقيل افلا تتذكرون ان نفي الشركا والاضداد
والانداد عن الله لا يوجب حلول العذاب ونزول العقاب والسعي في اثبات التوحيد والتنزيه
لا يوجب استحقاق العقاب وكيف اخاف ما اشركتم اي الاصنام التي لا تتعلق بها نفع ولا ضر وانتم لا تخافون
الشرك بالله ما لم ينزل باشراكه سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال
وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا
احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين
اي فريقي الموحدين والمشركين ثم استانف الجواب عن السوال بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بشرك والمراد بالظلم الشرك لقوله تعالى حكاية عن لقمان
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولان هذه القصة من اولها الى اخرها انما وردت في نفي
الشركا والاضداد والانداد وليس فيها ذكر الطاعة والمعصية ويحتمل ان يراد بالظلم المعصية
فان وعيد الفاسق المومن على الاحتمال يحتمل ان يعذبه الله ويحتمل ان يعفو عنه وعلى التقديرين
فالامن زايل والخوف حاصل فلم يلزم من عدم الامن القطع حصول العذاب **قوله تعالى**
وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم تلك اشارة الى جميع ما
احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون وتلك مبتدا وحجتنا خبره
واتيناها في موضع الحال ويجوز ان يكون حجتنا بدلا من تلك واتيناها خبر تلك وابرهيم مفعول
اول لاتيناها ومفعول ثان لها وعلى متعلق بقوله حجتنا وهذه الاية تدل على انه فصل لكن قيل يجوز
ان يكون على متعلقا باتيناها اذ المعنى اظهرناها لابرهيم على قومه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو
وابن عامر نرفع درجات من باضافة الدرجات الى من وعاصم وحمزة والكساي درجات
بالتنوين والمعنى المقصود بهما واحد وحكيم عليم صفتان لايقتان بهذا الموضع اذ موضع
مشيه واختيار يحتاج الى العلم والاحكام **قوله تعالى** ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى وهرون
وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا
فضلنا على العالمين ومن ابايهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اوليك الذين اتيناهم
الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هولا فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اوليك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين انه تعالى لما حكى عن
ابرهيم عليه السلام انه اظهر حجة الله في التوحيد ونصرها وذب عنها عدد وجوه نعمه واحسانه
عليه فاولها قوله وتلك حجتنا اتيناها وهو كناية الجمع على وفق ما يقوله عظما الملوك وذكر نفسه
تعالى ههنا باللفظ الدال على العظمة اي اتيناه تلك الحجة وهديناه اليها واوقفنا عقله على حقيقتها
وذكر قضيته باللفظ الدال على العظمة وهو كناية الجمع على وفق ما يقوله عظما الملوك وذكر
نفسه تعالى ههنا باللفظ الدال على العظمة دال على ان تكون تلك العظمة عظمة كاملة شريفة
رفيعة وذلك يدل على ان ايتا الله ابرهيم عليه السلام تلك الحجة من اشرف النعم ومن اجل

مراتب العطايا والمواهب وثانيها انه تعالى خصه بالاتصال الى الدرجات العاليه الرفيعه وهي قوله
نرفع درجات من نشا وثالثها انه جعله عزيزا في الدنيا لان اشرف الناس الانبيا والرسل وهم من نسله
وذريته وابقى هذه الكرامه في نسله الى يوم القيامه والمقصود من هذه الايات تعديد
انواع نعم الله على ابرهيم جزآ على قيامه بالذب عن دلايل التوحيد فقال ووهبنا له اسحق
من صلبه ويعقوب بعده من اسحق فان قيل لم يذكر اسمعيل مع اسحق بل اخره عنه بعد ذكر
جماعه من الانبيا اجيب بان المقصود بالذكر هاهنا انبيا بني اسرايل وهم باسرهم اولاد اسحق
واما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه احد من الانبيا الا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يناسب ذكر محمد عليه
السلام في هذا المقام لانه تعالى امر محمدا في ان يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بان ابرهيم لما ترك
الشرك واصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمه في الدين وفي الدنيا ومن النعم العظيمه في الدنيا
ان اتاه الله اولادا كانوا انبيا وملوكا فاذا كان المحتج بهذه الحجه هو محمد صلى الله عليه وسلم لا يناسب
ان يذكر نفسه في هذا المقام فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق ونوحا هدينا من قبل اعني انه
سبحانه جعل ابرهيم في اشرف الانساب اليه رزقه اولادا مثل اسحق ويعقوب وجعل انبيا بني
اسرايل من نسلهما واخرج ابرهيم من اصلاب اباء طاهرين مثل نوح وادريس وشيث والمقصود بيان
كرامة ابرهيم بحسب الاولاد والاباء ومن ذريته اي ومن ذريه نوح لانه اقرب ولانه ذكر في جملتهم
لوطا ولم يكن هو من ذريه ابرهيم بل هو من ذريه نوح ويونس ايضا ما كان من ذريه ابرهيم وقيل
من ذريته اي ذريه ابرهيم داود وسليمان لان المقصود بالذكر في هذه الايات هو ابرهيم
وانما ذكر الله نوحا لبيان شرفه والاولى ان يقال الضمير راجع الى كل منهما بنا على ان اللفظ الواحد
يصح استعماله في المفهومين وما ذكره من ذريته اما يكون ذريه لكل منهما او ذريه لنوح فقط ذكر الله
تعالى اولا اربعه من الانبيا وهم نوح وابرهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر من
الانبيا داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل
واليسع ويونس ولوطا فان قيل رعاية الترتيب واجبه والترتيب انما يعتبر بحسب الفضل والدرجه
او بحسب الزمان والمده والترتيب بحسب هذين النوعين غير معتبر في هذه الايه فما السبب فيه
اجيب بان الحق ان الواو ههنا لم تفد الترتيب لانه تعالى خص كل طايفه من طوايف الانبيا
بنوع من الاكرام والفضل فمن المراتب المعتبره عند جمهور الخلق الملك والسلطان والقدره
والله تعالى قد اعطى داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما والمرتبه الثانيه البلا الشديد
والمحنه العظيمه وقد خص الله تعالى ايوب بهذه المرتبه الثالثه اجتماع الحالتين وقد خص الله
تعالى يوسف به فانه نال البلا الشديد الكثير في اول الامر ثم وصل الى الملك في اخر
الامر والمرتبه الرابعه من فضايل الانبيا وخواصهم قوه المعجزات وكثره البراهين
والصوله الشديده وتخصيص الله اياهم بالتقريب العظيم والتكريم التام وذلك كما
في حق موسى وهرون والمرتبه الخامسه الزهد الشديد والاعراض عن الدنيا وذلك
كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحين والمرتبه
السادسه الانبيا الذين لم يبق منهم فيما بين الخلق اتباع واشياع وهم اسمعيل واليسع
ويونس ولوط فاذا اعتبر هذا الوجه الذي رعي ظهر ان الترتيب حاصل في ذكر
هولا الانبيا بحسب هذا الوجه وقد اختلفوا في الهدايه في قوله كلا هدينا
وفي قوله ونوحا هدينا وفي قوله اولئك الذين هدى الله فقيل المراد منه الثواب العظيم وهي

هاتين

بلغ باصله

الهدايه

الهدايه الى طريق الجنه يدل على ذلك قوله بعدها وكذلك نجزي المحسنين وقيل الدين والمعرفه
وقيل الارشاد الى النبوه والرساله والاولى حمله على الكل قرا حمزه والكسايي والليسع بتشديد
اللام وسكون اليا والباقون واليسع بلام واحده والايه تدل على ان الحسن والحسين من ذريه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه جعل عيسى من ذريه ابرهيم واعلم انه تعالى ذكر الابا والذريات
والاخوان فالابا هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وذلك يدل على
انه تعالى خص كل من تعلق بهولا الانبيا بنوع من الشرف والكرامه اوليك اشارة الى الانبيا الذين
مضى ذكرهم قبل ذلك وهم الانبيا الثمانيه عشر الذين ذكرهم الله قبل ذلك الذين اتيناهم
الكتاب والحكم والنبوه وعطف الحكم والنبوه على الكتاب يقتضي تغايرها قال الامام
الحكام على الخلق ثلث طوايف احدها العلما الذين يحكمون على بواطن الناس وارواحهم وثانيها
السلاطين الذين على ظواهر الخلق بالقهر والسلطنه وثالثها الانبيا وهم الذين اعطاهم الله
من العلوم والمعارف ما لاجلها يقدرون على التصرف في ظواهرهم ولما اجتمع في الانبيا هذان
الوصفان كانوا هم الحكام على الاطلاق بقوله اتيناهم الكتاب اشارة الى انه تعالى اعطاهم
العلوم والمعارف وقوله والحكم اشاره الى انه تعالى جعلهم حكاما على الناس نافذي الحكم
فيهم بحسب الظاهر وقوله والنبوه اشاره الى انه تعالى اعطاهم الدرجه العاليه الرفيعه
الشريفه التي تتفرع على حصولها حصول المرتبتين المتقدمتين المذكورتين فان يكفر بها اي بالكتاب
والحكم والنبوه هولا يعني من مشركي مكه فقد وكلنا وفقنا قوما للايمان بها والقيام
بحقوقها كما يوكل الرجل بالشي ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والبا في بها صلة كافرين
وفي بكافرين تاكيد النفي قيل اراد بقوله قوما الانبيا المذكورين ومن تابعهم بدليل قوله
اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هولا بما قبله
وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وكل من امن بالنبي عليه السلام وقيل كل
مومن من بني ادم وقيل الملايكه وادعى الانصار انها هم وقيل الفرس والاولى ان يحمل
على الكل اوليك هم الذين تقدم ذكرهم من الانبيا والمامور بالاقتدا بهم هو الرسول صلى
الله عليه وسلم فبهداهم اختص هداهم بالاقتدا ولا تقتد الا بهداهم وهذا معنى تقديم المفعول
والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرايع فانها مختلفه
وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا وقيل المراد
بالاقتدا بهم في جميع الاخلاق الحميده والصفات السديده من الصبر على اذا السفها والعفو عنهم
وقيل المراد بالاقتدا بهم في شرايعهم الا ما خصه الدليل فعلى هذا الايه دليل على ان شرع من قبلنا
يلزمنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل قرا ابن عامر اقتده بكسر
الها دون بلوغ اليا قال ابن مجاهد وهذا غلط لانها ها وقف لا تعرب على حال قال ابو علي
وجه ذلك ان يكون ضمير المصدر كانه قيل اقتد الاقتدا وقرا ابن كثير واهل مكه ونافع وابو عمرو
واهل المدينه وعاصم اقتده بها السكت ثابته في الوقف والوصل وحمزه والكسايي اقتد بحذف
الها في الوصل واثباتها في الوقف وهذا هو القياس وهي تشبه الف الوصل في انها تقطع في الابتدا
وتوصل غير مبتدا بها فكذلك هذه تثبت في الوقف وتحذف في الوصل قيل استحسن ايثار الوقف
لثبات الها في مصحف عثمان قل يا محمد لهولا الكفره المعاندين لا اسالكم على ادا عاي اياكم بالقران اي

توحيد الله وعبادته اجرى اسكر بها ان القران الا موعظة وذكرى للعالمين يريد انه مشتمل على
كل ما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل
من في الدنيا **قوله تعالى** وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لما ذكر الله تعالى ما
يدل على التوحيد ونفي الشرك في اثبات النبوة فقال وما قدروا الله ما عرفوا الله حق معرفته
عن ابن عباس ما عظموا الله حق تعظيمه وعنه ما امنوا ان الله على كل شي قدير وقيل ما وصفوا الله حق
صفته قال الواحدي يقال قدر الشي اذا اسبره وحزره واراد ان يعلم مقداره تقدره بالضم قدرا
ومنه قوله عليه السلام ان غم عليكم فاقدروا له اي فاطلبوا ان تعرفوه هذا اصله في اللغة ثم
قيل لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله
حق قدره صح في كل المعاني المذكورة اذ قالوا ما انزل الله لما حكى عنهم انهم ما قدروا الله حق
قدره بين السبب فيه وذلك قولهم ما انزل الله على بشر من شي فاعلم ان كل من انكر النبوة والرسالة
فهو في الحقيقة ما عرف الله حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل
والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل ما عرفوه حق
معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة
من انكار النبوة والقايلون هم اليهود بدليل قراءة من قرا يجعلونه بالياء وكذا يبدونها ويخفون
وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا
بد لهم منه الاقرار به من انزال التورية على موسى وادرج تحت الالزام وتوبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم
لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه
قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء روي ان مالك بن الضيف
من احبار اليهود ورؤساهم كان سمينا فجا يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله انشدك
الله الست تقرا فيما انزل على موسى ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي
تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال والله ما انزل الله على بشر من شي فيجي الاحتجاج
على اليهود مستقيما ويلزم ان تكون الاية مدنية ولذلك حكى النقاش انها مدنية قال له قومه
ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك قال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
وقيل القايلون قريش وقد الزموا بانزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة
ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فيكون الاحتجاج
عليهم بقوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى احتجاجا بامر مشهور منقول من قوم لم يكن قريش
مكذبة لهم حق قدره نصب على المصدر نورا وهدى اسمان في موضع الحال بمعنى نيرا وهاديا فان جعلتهما
حالا عن الكتاب فالعامل فيهما انزل وان جعلتهما حالا من الضمير في به فالعامل فيه جاء قرا ابن كثير
وابو عمرو يجعلونه يبدونها ويخفون كلها بالياء من تحت على الاخبار عنهم والباقون بالتاء من فوق الافعال
الثلاثة فمن راى ان الاحتجاج على اليهود استقامت له هذه القراءة وتناسقت مع قوله وعلمتم ما لم تعلموا ومن
راى ان الاحتجاج انما هو على قريش فيضطرب في هذه القراءة اذ لا يمكن دفعها الى ان يقول انه خرج من مخاطبة
قريش في استفهامهم وتقريرهم الى مخاطبة بني اسرائيل بتوبيخهم وتقبيح افعالهم قال ابن عطية وهذا

مع ما بعده اسهل من دفع القراءة فكانه قيل لقريش من انزل الكتاب على موسى ثم اعترض بني اسرائيل فقال
لهم خلال الكلام تجعلونه انتم يا بني اسرائيل قراطيس جمع قرطاس اي قطعا وورقات مفرقة وتوبيخهم بالابدا
والاخفا هو على اخفائهم ايات محمد صلى الله عليه وسلم والاخبار بنبوته وجميع ما عليهم فيه حجة وعلمتم
قيل الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم
حملة التورية ولم تعلمه اباوكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل المقصود الامتنان عليهم وعلى ابائهم بان علموا من دين الله وهدايته
ما لم يكونوا عالمين به لان ابا المخاطبين من بني اسرائيل كانوا اعلموا ايضا وعلم بعضهم وليس كذلك ابا
العرب وقيل المقصود منهم اي وعلمتم انتم واباوكم ما لم تعلموه بعد التعليم ولا انتفعتم به لاعراضكم
وضلالكم وقيل الخطاب لمن امن من قريش لقوله لتنذر قوما ما انذر اباوهم وقيل الخطاب لقريش والمعنى
على هذا اذكر منة الله عليهم بذلك اي علمتم يا معشر العرب من الهدايات والتوحيد والارشاد الى الحق ما لم
تكونوا عالمين به ولا اباوكم وعلمتم ما لم تعلموا يصلح على هذا المعنى لمخاطبة من انتفع بالتعليم ومن لم ينتفع
ويصح الامتنان بتعليم الصنفين فليس من شرط من علم ان يعلم ولا بد لعموم التعليم الكامل هو الذي يتبع معه
التعلم ثم انه تعالى امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى موضع الحجة اي قل الله انزله على موسى فانهم لا يقدرون
ان ينكروه ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والخوض الذهاب
فيما لا يستر حقائقه واصله في الماء يستعمل في المعاني الملتبسة المستكملة ويلعبون في موضع الحال
من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له ولذرهم على انه
طرفه ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب **قوله تعالى** وهذا كتاب انزلناه مبارك
مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يومنون بالاخرة يومنون به وهم
على صلاتهم يحافظون لما ابطل بالدليل قول من قال ما انزل الله على بشر من شي ذكر بعده ان القران
كتاب انزله الله تعالى على محمد عليه السلام لان المامور والموصوف بالانذار هو وقال تعالى وانذر
به الذين يخافون وقال انما انت منذر من يخشاها قوله ام القرى يعني مكة سميت بها لانها مكان اول بيت
وضعت للناس ولانها قبلة اهل القرى الدنيا كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين فمن يلق في
بعض القريات رحله فام القرى ملقى رحالي ومنتابي وعن ابن عباس لان الارض دحيت من تحتها ومن حولها
دخل فيه ساير البلدان والقرى والذين يومنون بالاخرة يصدقون بالعاقبة والوعد والوعيد والثواب
والعقاب يومنون بهذا الكتاب لانهم لعظم رغبتهم في تحصيل الثواب ورهبتهم عن حلول العقاب فيبالغ
في النظر والتامل في دلايل التوحيد والنبوة فيصل الى العلم والايمان ولان دين محمد عليه السلام مبني
على الايمان بالبعث والقيامة وليس لاحد من الانبيا مبالغة في تقرير هذه القاعدة مثل ما في شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم فلهذا السبب كان الايمان بنبوة محمد عليه السلام وبصحة الاخرة امرين متلازمين وخص
الصلوة لانها عماد الدين ومن امن بالاخرة يحمله الايمان بها على الايمان بمحمد والقران ولذلك يحمل على
المحافظة على الصلوة **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة
باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم
عن اياته تستكبرون لما بين ان القران كتاب منزل من عند الله مبارك مصدق الذي بين يديه
ذكر عقيبه ما يدل على وعيد من ادعى النبوة والرسالة على سبيل الكذب والافترا فقال ومن اظلم
ممن افترى فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه عظم الله وعيد من ذكر احد

الاشيا الثلاثة فاولها ان يفتري على الله كذبا كمسيلمة الكذاب صاحب اليمامة والاسود العنسي صاحب صنعا
فانهما كانا يدعيان النبوة والرسالة من عند الله على سبيل الكذب والافترا وكان مسيلمة يقول محمد رسول قريش
وانا رسول بني حنيفة خصص المفسرون من كان سبب نزولها ثم هي الى يوم القيامة متناول من تعرض شيا
من معانيها كطليحة الاسدي والمختار ابن ابي عبيد وسواهما عن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما يرى النايم كان في
يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين
انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعا الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قيل المراد ما قاله
النضر بن الحارث لو نشا لقلنا مثل هذا وقوله في القران انه من اساطير الاولين وكل احد يمكنه الاتيان بمثله
وقيل ومن قال هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي اخو عثمان بن عفان رضي الله عنه من الرضاع كان يكتب الوحي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى اخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن
الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لين كان محمد صادقا لقد اوحي الي ولين كان
كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة قوله ولو ترى اذ الظالمون اول
الاية وهو قوله تعالى ومن اظلم يفيد التخويف العظيم على سبيل الاجمال وقوله ولو ترى كالتفصيل لذلك
المجمل ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون الذين ذكرهم من اليهود والمشبهة فيكون
اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هولا لاشتماله وغمرات الموت شدايده جمع غمرة وهي شدة الموت
وغمرة كل شي كثرته ومعظمه واصلها ما يغمر من الما فاستعير للشدة الغالبة والملايكة باسطوا ايديهم بالمكروه يقولون
هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والشدة في السياق والالحاح والتشديد
في الارهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ الملازم يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف
عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا ابرح مكاني حتى انزعه من احداقك
وقيل الملايكة باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب يبكتونهم بقولهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدايد وخلصوها
من هذه الافات والالام قوله اليوم تجزون يحتمل ان يراد وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة
النزع وسكرات الموت وان يراد الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ عذاب الهون
اي العذاب الذي يقع به الهوان والشدايد والمراد منه انه تعالى جمع هناك بين الايلام والاهانة
فان الثواب جمع فيه المنفعة والتعظيم فالعقاب جمع فيه المضرة والاهانة قوله بما كنتم تقولون على الله
غير الحق اي افترا الكذب وانه اوحي اليهم ولم يوح اليهم شي ومن قال قولهم سانزل مثل ما انزل الله وكنتم
عن اياته تستكبرون فلا يومنون بها وهذا يدل على ان العذاب الشديد انما حصل بسبب مجموع الامرين
القول على الله غير الحق والاستكبار عن اياته **قوله تعالى** ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة وتركتم ما خولناكم ورا ظهوركم وما نرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم شركا لقد تقطع بينكم
وضل عنكم ما كنتم تزعمون ولقد جيتمونا يحتمل ان يكون معطوفا على قول الملايكة اخرجوا انفسكم
اليوم فبين تعالى انهم يقولون ذلك لهم على وجه التوبيخ لذلك يقولون حكاية عن الله ولقد جيتمونا
فرادى فيكون الكلام اجمع حكاية عنهم وانهم يوردون ذلك على هولا الكفار وعلى هذا التقدير
يحتمل ان يكون قايل هذا القول هو الله فرادى اي قيل جمع فردان كسكارى جمع سكران وقيل
جمع فريد ومعناه منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه واثرتموه من دنياكم وعن
اوثانكم التي زعمتم انها شفعاوكم وشركا الله وهذا تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا جدهم وجهدهم
الى تحصيل المال والجاه وعبادة الاصنام لاعتقادهم انها تكون شفعاهم عند الله ثم انهم لما وردوا

محمد

القيمة لم يبق معهم من تلك الاموال شي ولم يجدوا من تلك الاصنام شفاعة لهم عند الله فبقوا فرادى عن كل ما
حصلوه في الدنيا وعولوا عليه بخلاف اهل الايمان فانهم صرفوا اعمرهم في تحصيل المعارف الحقة والاعمال الصالحة بقيت
معهم في قبورهم وحضرت معهم في محفل القيامة فهم في الحقيقة ما حضروا فرادى بل حضروا مع الزاد ليوم المعاد
كما خلقناكم اول مرة على الهيية التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا
فشغلتم به عن الاخرة ورا ظهوركم لم ينفعكم ولم تحملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركا استعبادا
لانهم حين دعوهم الهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركا في انفسهم وفي استعبادهم كما خلقناكم في محل
النصب صفة لمصدر اي جيتمونا مجيا مثل خلقنا لكم قوله لقد تقطع بينكم قرا نافع والكسائي وحفص عن
عاصم بينكم بالنصب والمعنى لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم والباقون بالرفع والمعنى لقد تقطع وصلكم
وضل معناه تلف وذهب ما كنتم تزعمون يريد دعواهم انها تشفع وتشارك الله في الالوهية **قوله تعالى**
ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون
فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم لما تكلم في تقرير
التوحيد ثم اردفه بتقرير امر النبوة ثم تكلم في بعض تفاريع هذا الاصل عاد ههنا الى ذكر الدلايل
الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها على ان المقصود الاصلي من جميع المباحث
العقلية والنقلية والمطالب الحكمية والحكمية انما هو معرفة الله بذاته وصفاته وافعاله فالق الحب
والنوى اي خالق الحب والنوى والفالق هو الفاطر والفطر والفلق الشق فالشي قبل ان دخل
في الوجود كان معدوما محضا ونفيا صرفا والعقل يتوهم ويتخيل من العدم ظلمة متصلة لا انفراج
فيه ولا انفلاق ولا انشقاق فاذا اخرجه من العدم الى الوجود فكانه بحسب التخيل والتوهم
شق ذلك العدم وفلقه واخرج ذلك المحدث منه فلذلك الشق وبهذا التاويل لا يبعد حمل الفالق
على الموجد والمحدث والمبدع والحب هو الذي يكون مقصودا بذاته مثل حبة الحنطة والشعير
وساير الانواع والنوى هو الشي الموجود في داخل الثمرة مثل نوى الخوخ والتمر وغيرهما
وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة قال الامام اذا وقعت الحبة او النواة
في الارض الرطبة ثم مر به قدر من المدة اظهر الله في تلك الحبة والنواة شقا في اعلاها وشقا في
اسفلها اما الشق الذي يظهر في اعلى تلك الحبة والنواة فانه يخرج منه الشجرة الهابطة في الارض
وهي المسماة بعروق الشجرة وتصير تلك الحبة والنواة لاتصال الشجرة الصاعدة في الهوا بالشجرة
الهابطة في الارض ثم ههنا عجايب فاحدها ان طبيعة تلك الشجرة ان كانت تقتضي الهوي في
عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهوى وان كانت تقتضي الصعود في الهوى فكيف
تولدت منها الشجرة الهابطة في الارض فلما تولدت منها هاتان الشجرتان مع ان الحس والعقل
يشهد ان يكون طبيعة احدى الشجرتين مضادة لطبيعة الشجرة الاخرى علمنا ان ذلك ليس بمقتضى الطبع
والخاصية بل بمقتضى الايجاد والابداع والتكوين والاختراع وثانيها ان باطن الارض جرم صلب
كثيف لا تنفذ المسلة القوية فيه ولا تغوص السكين الحاد القوي فيه ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق
في غاية الرقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان باصبعه بادنى قوة لصار كالما ثم انها مع غاية لطافتها
تقوى على النفوذ في تلك الارض الصلبة والغوص في بواطن تلك الاجرام الكثيفة فحصول هذه
القوة القوية لهذه الاجرام التي هي في غاية اللطافة لا بد وان يكون بتقدير العزيز العليم وثالثها انه
يتولد من تلك النواة شجرة ويحصل في تلك الشجرة طبايع مختلفة فان قشر الحبة له طبيعة مخصوصة
وفي داخل ذلك القشر جرم الخشبة وفي وسط تلك الخشبة جرم رخو ضعيف يشبه العهن المنفوش

ثم انه يتولد من ساق الشجرة اغصانها ويتولد على الاغصان الاوراق اولا ثم الازهار والانوار ثانيا
ثم الفاكهة ثالثا ثم قد يحصل للفاكهة اربعة انواع من القشور مثل الجوز واللوز فان قشره الاعلى هو ذلك
الجرم الاخضر وتحته ذلك القشر الذي يشبه الخشب وتحته تلك القشرة التي كالغشاء المحيط باللب وتحته ذلك
اللب وذلك اللب مشتمل على جرم كثيف وهو ايضا كالقشر وعلى جرم لطيف وهو الدهن وهو المقصود الاصلي
فتولد هذه الاجسام المختلفة في طبايعها وصفاتها والوانها واشكالها وطعومها مع تساوي تاثيرات
الطبايع والنجوم والفصول الاربعة يدل على انها انما حدثت بتدبير الحكيم الرحيم المختار القادر لا بتدبير
الطبايع والعناصر ورابعها انك تجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة فالاترج قشره حار يابس
ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه
حار رطب فتولد هذه الطبايع المضادة والخواص المتنافرة عن الحبة الواحدة لا بد وان يكون بايجاد
الفاعل المختار وخامسها انك تجد احوال الفاكهة مختلفة فبعضها يكون اللب في الداخل والقشر في الخارج
كالجوز واللوز وبعضها يكون الفاكهة المطلوبة في الخارج ويكون الخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها
يكون النواة لها لب كالمشمش والخوخ وبعضها لا لب له كنوى التمر وبعضها لا يكون من الداخل والخارج
قشر بل يكون كله مطلوبا كالتين فهذه احوال مختلفة في هذه الفواكه وايضا هذه الحبوب مختلفة في الاشكال
والصور فشكل الحنطة كانه نصف مخروط وشكل الشعير كانه مخروطان اتصلا بقاعدتيهما وشكل العدس
كانه نصف كرة وشكل الحمص على وجه اخر فهذه الاشكال المختلفة لا بد وان تكون لاسرار وحكم علم الخالق
ان تركيبها لا يكمل الا على ذلك الشكل وايضا فقد اودع الخالق تعالى في كل نوع من انواع الحبوب
خاصة اخرى ومنفعة اخرى وايضا فقد تكون الثمرة الواحدة غذا لحيوان وسما لحيوان اخر فاختلاف
هذه الصفات والاشكال والاحوال مع اتحاد الطبايع وتاثيرات الكواكب يدل على انها انما حصلت
بتخليق الفاعل المختار الحكيم وسادسها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجر وجدت
خطا واحدا مستقيما في وسطها كانه بالنسبة الى تلك الورقة كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان
وكما انه ينفصل من النخاع اعصاب كثيرة يمنة ويسرة في بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عن كل شعبة
شعب اخرى ولا تزال تستدق حتى تخرج عن الحس والابصار بسبب الصغر فكذلك في تلك
الورقة ينفصل عن ذلك الخط الكبير الوسطاني خيوط مختلفة وعن كل واحد منها خيوط اخرى
ادق من الاولى ولا يزال يبقى على هذا المنهج حتى تخرج تلك الخيوط عن الحس والبصر والخالق تعالى
انما فعل ذلك حتى ان القوى الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة تقوى على جذب الاجزاء اللطيفة
الارضية في تلك المجاري الضيقة فلما وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك الورقة الواحدة
علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة اكمل ثم انه تعالى انما خلق النبات والحيوان في هذا
العالم ليكون غذاء ودواء للانسان بحسب جسده والمقصود من تخليق الانسان هو المعرفة والمحبة
والعبودية كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا نظرت ايها المسكين بعين
راسك في تلك الورقة الواحدة من تلك الشجرة وعرفت كيفية خلقة تلك العروق والاوتار
فيها ثم انتقلت من مرتبة الى ما فوقها عرفت ان المقصود الاخر منها حصول المعرفة والمحبة في الارواح
البشرية فحينئذ ينفتح عليك باب من المكاشفات لا اخر لها ويظهر لك ان انواع نعم الله في
حقك غير متناهية كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فكل ذلك انما ظهر من كيفية
خلقة الورقة من الحبة والنواة فهذا كلام مختصر في تفسير قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى
ومتى وقف الانسان عليه امكنه تفريعها وتشعيبها الى ما لا نهاية له ونسال الله التوفيق والهداية

يخرج

يخرج الحي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ويخرج هذه الاشيا الميتة اي النطف
والبيض والحب والنوى من الحيوان والنامي وعن ابن عباس يخرج المومن من الكافر كما في حق ابرهيم
والكافر من المومن كما في ولد نوح والمقصود منه ان الحي والميت متضادان متنافيان فحصول المثل عن المثل
يوهم انه بسبب الطبيعة والخاصة وحصول الضد من الضد دال على انه بتدبير القادر الحكيم وتقدير المدبر العليم
قرا نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الميت مشددة فيهما والباقون بالتخفيف فيهما وكذلك
كل هذا الجنس في القران ولقايل ان يقول لم قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله
يخرج الحي من الميت اجيب بان قوله ومخرج الميت من الحي معطوف على فالق الحب والنوى لا على الفعل
ويخرج الحي من الميت جملة مبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر
النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها
قيل ان الفعل يدل على ان الفاعل معتنى به في كل حين واوان والاسم لا يفيد التجدد فلا
يفيد الاعتنا به ساعة فساعة والحي اشرف من الميت فالاعتنا باخراجه من الميت اكثر من العكس
فلهذا وقع التعبير عن الاول بالفعل وعن الثاني بالاسم ذلكم الله المحيي والمميت المدبر الحكيم المختار
هو الله الذي يحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح
هذا نوع اخر من دلايل وجود الصانع وعلمه وحكمته وقدرته فالنوع الاول ماخوذ من
العالم السفلي وهذا من العالم العلوي فالترقي من الادنى الى الاعلى فان فلق الظلمة بنور
الصبح اعظم في كمال القدرة من فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الاصباح مصدر وسمي به
الصبح قيل فالق الاصباح معناه فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في اخر الليل ومقتضاه الذي
يلي الصبح وقيل فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود
الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق قال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه والصبح
اول وهو المستطيل كذنب السرحان ثم تعقبه ظلمة خالصة ثم يطلع بعده الصبح الثاني المستطير
في جميع الافق والاول من اقوى الدلايل على كمال قدرة الله وحكمته لان ذلك النور لا يكون من
تاثير قرص الشمس لان مركزها اذا وصل الى دايرة نصف الليل فالموضع الذي تكون تلك الدايرة
افقا له قد طلعت الشمس من مشرقه واضاء في ذلك الموضع نصف كرة الارض فيحصل الضوء في
الربع الشرقي من بلدتنا وذلك الضوء يكون منتشرا مستطيرا في جميع الجو ويجب ان يكون ذلك
الضوء لحظة فلحظة يقوى ويزداد فالصبح الاول لو كان من قرص الشمس لامتنع ان يكون خطا
مستطيلا بل يجب ان يكون مستطيرا في الافق منتشرا فيه بالكلية متزايدا لحظة فلحظة لكن ليس
الامر كذلك فان الصبح الاول يبدو كالخيط الابيض الصاعد حتى شبهته العرب بذنب السرحان
ثم انه يحصل عقيبه ظلمة خالصة ثم يحصل الصبح الثاني الصادق المستطير فعلمنا ان الصبح الاول
ليس من تاثير الشمس فيكون بتخليق الله تعالى ابتدا تنبيها على ان الانوار ليس لها وجود الا
بتخليقه وان الظلمات لا ثبات لها الا بتقديره وقيل انه تعالى فالق ظلمة العدم بصباح
التكوين والايجاد وفالق ظلمة الاجسادية بصباح الحيوة الروحانية وفالق ظلمة الجهالة
بصباح العقل والعلم وفالق ظلمات العالم الجسماني بتخليص النفس القدسية الى فسحة
عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة
مدبر المحدثات والمبدعات وقيل ان ظهور النور في الصباح لان الله تعالى فلق تلك
الظلمة فقوله فالق الاصباح اي مظهر الاصباح الا انه لما كان المقتضي لذلك الاظهار هو

ذلك الفلق ذكر اسم السبب واراد منه المسبب وقيل الفالق الخالق وجاعل الليل وهذا ايضا من العالم
المرئي والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه
قيل للنار سكن لانه يستانس بها الا تراهم سموها المونسة والليل يطمئن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه
ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه قرا عاصم والكسائي جعل على صيغة
اسم الفاعل فان المذكور قبله فالق الحب وفالق الاصباح وجاعل ايضا اسم الفاعل فيشارك المعطوف
المعطوف عليه والشمس والقمر حسبانا وهو مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره
الكفران والشكران ونصبهما على قراة جعل ظاهر فانهما معطوفان على الليل الذي هو مفعول جعل وعلى
قراة جاعل على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه
في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في
الازمنة المختلفة ولذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله عالم وقادر فلا تقصد زمانا دون
زمان ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان الحساب يعلم بدورهما وسيرهما وقيل
قدر حركة الشمس والقمر بحساب معين قدر حركة الشمس مخصوصة بمقدار من السرعة والبطوء بحيث يتمم
الدور في سنة وقدر حركة القمر بحيث يتمم الدور في شهر وبهذه المقادير ينتظم مصالح العالم في
الفصول الاربعة وبسببها يحصل ما يحتاج اليه من نضج الثمار وحصول الغلات ولو قدرنا كونها اسرع
او ابطا لما وقع لاختلف هذه المصالح ذلك تقدير العزيز العليم ذلك اشارة الى ما تقدم من فلق الحب
والنوى واخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي وفلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر
حسبانا بتقدير العزيز الذي قهرها وسخرها العليم بتدبيرهما وتدويرهما وذلك تصريح بان حصول
هذه الاحوال والصفات ليس بالطبع والخاصية وانما هو تخصيص الفاعل المختار **قوله تعالى**
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون هذا
نوع اخر من الدلايل الدالة على كمال القدرة والرحمة والحكمة وهو انه تعالى خلق النجوم لمنافع العباد
منها ليهتدي الخلق بها الى الطرق والمسالك في ظلمات الليل بالبر والبحر واضاف الظلمات الى البر
والبحر لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات ومنها ان الناس يستدلون بحركة الشمس
في النهار على ان القبلة ويستدلون بالشاهد على الغايب **قوله تعالى** وهو الذي انشاكم من نفس
واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون هذا نوع اخر من الدلايل الدالة على وجود
الاله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وهو الاستدلال باحوال الانسان والانشا هو الخلق
على وجه النمو والنشو فمستقر قرا ابن كثير وابو عمرو فمستقر بكسر القاف بمعنى القار فيكون مبتدا
وخبره مضمر وهو منكم اي فمنكم مستقر والباقون بفتح القاف على انه اسم مكان بمنزلة المقر وخبره لكم اي
لكم مقر ومستودع يصح ان يكون اسم مفعول فمن قرا مستقر بالكسر يكون التقدير عنده فمنكم مستقر فوق
الارض ومنكم مستودع تحتها ومن قرا مستقر بالفتح يكون مستودع عنده اسم مكان مثله ويجوز ان
يكونا مصدرين والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها
والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع فالحاصل في موضع
لا يكون على شرف الزوال يسمى مستقرا فيه والحاصل في موضع وهو على شرف الزوال يسمى مستودعا لان المستودع
في معرض الاسترداد حينا بعد حين ومن هذا يعرف الفرق بينهما اذا كانا اسمي مكان او مصدرين في المقصود
ان الناس انما تولدوا من نفس واحدة وهي ادم ثم اختلفوا في المستقر والمستودع والاختلاف في تلك

الصفات ليس للجسمية ولوازمها فيكون للفاعل المختار الحكيم وقيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع
انشا بني ادم لان انشا الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا
فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له **قوله تعالى** وهو الذي انزل
من السما ما فاخرجنا به نبات كل شي فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان
دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه
ان في ذلكم لايات لقوم يومنون هذا نوع اخر من الدلايل الدالة على كمال قدرة الله وعلمه وحكمته
ورحمته ووجوه احسانه الى خلقه وهذه الدلايل كما انها دلايل فهي ايضا نعم بالغة واحسانات كاملة
والكلام اذا كان من بعض الوجوه دليلا وكان احسانا وانعاما من ساير الوجوه كان تاثيره في القلب
عظيما وعند هذا يظهر ان المشتغل بدعوة الخلق الى الحق ينبغي ان يسلك هذا المسلك ولا يعدل عن هذه
الطريقة فاخرجنا به بالما نبات كل شي نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل وهذا التفات من الغيبة الى التكلم فاخرجنا منه من النبات خضرا شيا غضا اخضر يقال
اخضر وخضر كاعور وعور والخضر ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من
الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض في سنبلة واحدة وذلك لان الاصل هو ذلك العود الاخضر ويكون السنبل
في اعلاه مركبا عليه من فوقه ويكون الحبات متراكبة بعضها فوق بعض ويحصل فوق السنبل اجسام دقيقة
حادة كانها الابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة واعلم انه
تعالى حصر النبت في الاية المتقدمة في قسمين حيث قال ان الله فالق الحب والنوى فالذي ينبت
من الحب الزرع والذي نبت من النوى هو الشجر فاعتبر في هذه الاية هذه القسمة فابتدا بذكر الزرع
واليه الاشارة بقوله فاخرجنا منه خضرا وهو الزرع ولما ذكر ما نبت من الحب اتبعه بذكر ما نبت من النوى
وهو الشجر واليه اشار بقوله ومن النخل وتقديم الحب في الاية المتقدمة والزرع في هذه الاية يدل على انه افضل
من النخل والطلع اول ما يخرج من النخلة في اكمامه وقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين وهو الكباسة والعرجون
عوده الذي ينتظم فيه الثمر وقنوان رفع بالابتدا ومن النخل خبر ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصله
من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجه من طلع النخل
قنوان دانية سهلة المجتنى معرضة معدة للقاطف كالشي الداني القريب المتناول وانما قال دانية
لان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا ينتظر الطول وقال الحسن دانية
قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر
القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات من اعناب قرا عاصم بضم التا وفيه
وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان
على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب وقيل عطف على قوله خضرا
وكذا قوله والزيتون والرمان بالعطف على نبات كل شي وقيل على قوله خضرا وقيل هما منصوبان
على الاختصاص لفضل هذين الصنفين قيل يريد بهما شجرهما قال الامام انه تعالى ذكر ههنا اربعة
انواع من الاشجار وقدم الزرع على الشجر لان الزرع غذا وثمار الاشجار فواكه والغذا مقدم وقدم
النخل لان الثمر جار مجرى الغذا بالنسبة الى العرب قيل بينه وبين الحيوان مشابهة في خواص كثيرة
لا يوجد في النبات ولهذا المعنى قال عليه السلام اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من طينة ادم
ثم قدم العنب لانه اشرف انواع الفواكه فانه من اول ما يظهر يصير منتفعا به الى اخر الحال فاول
ما يظهر على الشجر خيوط خضر دقيقة حامضة الطعم لذيذة ثم يظهر بعده الحصرم وهو طعام

شريف للاصحا والمرضى وقد يتخذ منه رب الحصرم ويتخذ منه اشربه لطيفة المذاق نافع لاصحاب
الصفرا وقد يتخذ الطبيخ منه ولانه الذ الطبايخ الحامضه ثم اذا تم العنب فهو الذ الفواكه واشهاها
ويمكن ادخار العنب المعلق سنه او اقل او اكثر وهو الذ الفواكه المدخره ثم يبقى منه الزبيب
والدبس والخل والخمر ومنافع هذه الاربعه لا يمكن ذكرها الا في المجلدات والخمر وان كان الشرع قد حرمها
قال في وصفها ومنافع للناس ثم قال واثمهما اكبر من نفعهما واحسن ما في العنب عجمه والاطبا يتخذون
جوارشنات عظيمة النفع للمعدة الضعيفه الرطبه فثبت ان العنب كانه سلطان الفواكه ثم قدم الزيتون
فانه كثير النفع لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل عنه ايضا دهن عظيم النفع في الاكل وساير وجوه الاستعمال
واما الرمان فحاله عجيب جدا لانه جسم مركب من اربعة اقسام قشره وشحمه وعجمه وماوه والثلثه الاول
بارده يابسه ارضيه كثيفه قابضه عفصه قويه في هذه الصفات واما ماوها فانه الذ
الاشربه والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبه للطبايع المعتدله وفي ذلك تقويه
للمزاج الضعيف وهو غذا من وجه ودوا من وجه قوله مشتبها يقال اشتبه الشيان وتشابها
كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا والمعنى بعض هذه الفواكه متشابها
وبعضها غير متشابه في القدر واللون والطعم قيل يتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان
كذلك او اكتفى بوصف احدهما انظروا الى ثمره قرا حمزه والكساى بضم الثا والميم على ان يكون
جمع ثمره كخشبه وخشب او يكون جمع ثمار ككتاب وكتب وابو عمرو بضم الثا وسكون الميم
على ان يكون تخفيف ثمر كرسل ورسل والباقون بفتح الثا والميم على ان يكون جمع ثمره كبقره وبقر وشجره
وشجر والينع النضج يقال ينع الثمر يينع وينع بفتح العين في الماضي وفتح العين وكسرها في المستقبل ينعا وينعا
وينوعا اي نضج ولم يسقط اليا في المستقبل لتقويها باختها امر بالنظر في حال الثمر في اول حدوثها
وامر بالنظر في ينعها وتمامها وكمالها اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا
الى حال ينعه ونضجه كيف يعود ساجا لبا لمنافع وملاذ وقيل اذا اثمر اي هذه الازهار والثمار
متولد في اول حد وبقا على صفات مخصوصه وعند كمالها لا يبقى على حالها الاول بل ينتقل الى
احوال مضاده للاحوال السابقه مثل انها كانت موصوفه بلون الخضره فتصير ملونه بالسواد او بلون
الحمره وكانت موصوفه بالحموضه فصارت موصوفه بالحلاوه وربما كانت في اول الامر بارده بحسب
الطبيعه فتصير في اخر الامر حاره بحسب الطبيعه فحصول هذه التبدلات والتغيرات لا بد له من سبب
ليس هو تاثير الطبايع والفصول والانجم والافلاك لان نسبه هذه الاحوال باسرها الى جميع هذه
الاجسام النباتيه متساويه متشابهه فلا يكون سببا لحدوث الحوادث المختلفه فيكون بتدبير القادر
المختار الحكيم المدبر للمخلوقات على وفق الرحمه والمصلحه والحكمه بطريق التفصيل ان في ذلكم لايات
لقوم يومنون خص المومنون بالذكر لانهم الذين انتفعوا بها دون غيرهم وقيل المراد منه ان
هذه الايات دلالتها على اثبات الاله القادر العالم المختار ظاهره قويه جليه فكان قايلا قال
لم وقع الاختلاف بين الخلق في هذه المسله مع وجود هذه الدلاله القويه الجليه فاجيب عنه بان قوه
الدلاله وظهورها لا تفيد ولا ينفع الا اذا قدر الله للعبد حصول الايمان فكانه قيل هذه الدلاله
على قوتها وظهورها انما ينفع لو سبق قضا الله في حقه بالايمان فامامن سبق قضا الله له بالكفر لم ينفعه
هذه الدلاله قوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون لما ذكر الادله من العالم الاسفل والعالم الاعلى على ثبوت الالهيه وكمال القدره
والعلم والرحمه ذكر بعد ذلك ان من الناس طايفه جعلوا لله شركا الجن اعلم ان المشركين على اصناف

فمنهم

منهم عبدة الاصنام الذين اثبتوا لله شركا في العبوديه لا في الخلق والايجاد وهولا هم الذين قال الله
فيهم واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهه ومنهم الذين يقولون مدبر هذا العالم هو الكواكب
وهولا فريقان فريق قالوا انها واجبة الوجود لذواتها واخرى قالوا انها ممكنة الوجود لذواتها محدثه
خلقها الله الا انه تعالى فوض تدبير هذا العالم الاسفل اليها وهولا هم الذين حكى الله عنهم ان الخليل
صلوات الله عليه ناظرهم بقوله لا احب الافلين وشرح ابطال قول الصنفين قد مضى ومنهم طايفه قالوا الجملة
هذا العالم بما فيه من السموات والارضين الهان فاعل خير وفاعل شر والمقصود من هذه الايه حكايه
قول هولا فهذا هو تقرير نظم هذه الايه والتنبيه على ما فيها من الفوايد روى عن ابن عباس انه قال قوله تعالى
وجعلوا لله شركا الجن نزلت في الزنادقه الذين قالوا ان الله وابليس اخوان فالله تعالى خالق الناس والدواب
والانعام والخيرات وابليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور وهذا القول وجعلوا بينه
وبين الجنه نسبا وابليس من الجنه وانما وصف بكونه من الجن لان لفظ الجن فيه معنى الاستتار وانما قال
ابن عباس هذا قول الزنادقه لان المجوس يلقبون بالزنادقه لان الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل من
عند الله سمي بالزند والمنسوب اليه سمي زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقه والمجوس
يقولون كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس
في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على ان اهرمن محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبه والاقلون
منهم قالوا انه قديم ازلي وعلى القولين فقد اتفقوا على انه شريك الله في تدبير هذا العالم فخيره من الله
وشره من ابليس فهذا شرح ما قاله ابن عباس فان قيل فعلى هذا التقدير القوم جعلوا لله شريكا
واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله عنهم انهم جعلوا لله شركا اجيب بانهم يقولون عسكر الله هم الملايكه
وعسكر ابليس هم الشياطين والملايكه فيهم كثرة عظيمه وهم ارواح طاهره ومقدسه وهم يلهمون الارواح البشريه
بالخيرات والطاعات والشياطين فيهم ايضا كثره عظيمه وهي تلقي الوساوس الخبيثه الى الارواح البشريه
والله مع عسكره من الملايكه يحاربون ابليس مع عسكره من الشياطين فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم
جعلوا لله شركا الجن قيل المفعول الاول لجعلوا شركا ولله هو المفعول الثاني والجن بدل من شركا وقيل
شركا الجن مفعولان لجعلوا وقدم الثاني على الاول استعظاما لان يتخذ لله شريك سوا كان ملكا او جنيا
او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركا والمعنى اشركوا الجن في عبادته لانهم اطاعوهم
كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم اي
وخلق الجاعلين لله شركا ومعناه وعلموا ان خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق
شريكا للخالق وقيل الضمير عايد الى الجن والمعنى انهم قالوا الجن شركا الله وهم معترفون بان الله
خلق الجن وخرقوا قرا نافع خرقوا بتشديد الرا والباقون خرقوا بتخفيف الرا والتشديد
للمبالغه ومعنى خرقوا اختلقوا وافتروا ويقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه
بمعنى وسيل الحسن عنه فقال كلمه عربيه كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبه
في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله وقيل ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا
شقه اي اشتقوا له بنين وبنات والمعنى افتعلوا له بنين وبنات قيل ان الله تعالى حكى
عن قوم انهم جعلوا لله شركا الجن ثم بعد ذلك عن قوم انهم اثبتوا لله بنات وبنين اما الذين
اثبتوا البنين فهم النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله واليهود الذين قالوا عزير ابن الله واما
الذين اثبتوا البنات فهم العرب الذين قالوا الملايكه بنات الله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل
القاطع في فساد هذا القول قوله سبحانه اي نزه الله عن كل ما لا يليق به وعن وصفهم

الفاسد **قوله تعالى** بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لما بين فساد قول طوائف المشركين شرع فى اقامة الحجة على فساد قول من يثبت له الولد بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اى بديع شعره او هو بديع فى السموات والارض كقوله فلان ثابت فيها والمعنى انه عديم النظير والمثل فى السموات والارض وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاع البديع على انه خبر مبتدا محذوف اى هو بديع السموات والارض وقيل بديع السموات مبتدا وقوله انى يكون له ولد خبره وقيل بديع السموات فاعل لقوله تعالى عما يصفون اى تعالى بديع السموات والارض وقد ابطل ان يكون له ولد من اربعة اوجه احدها انه بديع السموات والارض فليس بجسم وكل من كان له ولد فهو جسم لان الولادة من صفات الاجسام فلا يكون لبديع السموات والارض ولد وثانيها انه بديع السموات والارض فلا يكون له صاحبة وكل من كان له ولد تكون له صاحبة لان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد فلا يكون لبديع السموات والارض ولد وثالثها انه تعالى خلق كل شئ اى مقدور وممكن وكل من خلق كل شئ لا يكون له ولد لان من خلق كل شئ لا يكون مشابها ومن كان له ولد يكون مشابها فخالق كل شئ لا يكون له ولد ورابعها انه تعالى عليم بكل شئ ومن كان له ولد لا يكون عالما بكل شئ ومقدمات هذه الحجج تقبلها الخواص الذين لا تعمى عليهم الحجج والبينات والعوام الذين قلوبهم سليمة عن الوساوس الشيطانية ومتابعة ما وجدوا عليه اباءهم الكافرين ويلزم اهل المجادلة بما يسكتهم ويفحمهم **قوله تعالى** ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير انه تعالى اقام الحجة على وجود الاله القادر الحكيم المختار الرحيم وبين فساد قول من ذهب الى الاشراك بالله وفصل مذاهبهم على احسن الوجوه وبين فساد كل واحد منها بما هو اللائق به ثم حكى مذهب من اثبت لله البنين والبنات وبين بالبراهين القاطعة والبينات الساطعة فساد القول به فثبت ان اله العالم فرد احد صمد منزه عن الشريك والنظير والضد والند مقدس عن الاولاد والبنين والبنات ثم صرح بما هو المطلوب فقال ذلكم الله اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات ذلكم مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اى ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه فانه هو المصلح لمهمات جميع العباد وهو الوكيل لكل احد على حصول مهماته المتكفل لكل شئ من الارزاق والاجال والاعمال قال الامام ومن تامل فى هذا النظم والترتيب فى تقرير الدعوة الى التوحيد والتنزيه وبيان فساد الشرك علم انه لا طريق اوضح ولا اصلح منه قوله لا تدركه الابصار قيل هذا يجرى على عمومه بحسب الاشخاص والازمان اى لا تحيط به الابصار بل تراه ولا تحيط به كما تعرفه فى الدنيا ولا تحيط به قال الله تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال ولا يحيطون به علما فكما تعرفه فى الدنيا لا كالمعروفين كذلك تراه فى العقبى لا كالمرئيين وقد يرى الشئ ولا يدرك كما اخبر الله تعالى عن اصحاب موسى لما قرب منهم قوم فرعون انا لمدركون وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم لان الله تعالى كان قد وعد موسى عليه السلام انهم لا يدركون بقوله لا تخاف دركا ولا تخشى وعن سعيد ابن المسيب لا تحيط به الابصار وعن عطا كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة

تبت العذراى
م

به وعن الحسن لا تقع عليه الابصار ولا تهجم عليه العقول ولا تدركه الاذهان عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل لا تدركه الابصار لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا وقيل هذا يجرى على الخصوص عن ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الاخرة وهو يدرك الابصار لا يخفى عليه شئ ولا يفوته وقيل لا تدركه ابصار الكافرين فاما المومنون فيرونه قال صاحب الكشاف البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا فى ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان فى جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان يدركه الابصار الخبير فكل لطيف فهو يدرك الابصار لا يلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف احتج اصحابنا بهذه الاية على جواز الرؤية لانه تعالى قال لا تدركه الابصار فى معرض التمدح بالاتفاق فلو لم يكن جائز الرؤية لم يحصل التمدح فان عدم ادراك الابصار اذا لم يمكن الرؤية جائزة لم يقتض التمدح ويلزم من هذا ان يراه المومنون فى الاخرة لان المجموع من جواز الرؤية وعدم رؤية المومنين فى الاخرة منتف بالاتفاق اما عندنا فلانتفاء الثانى واما عند المعتزلة فلانتفاء الاول ولان المراد بالابصار نفسها او المبصرون وعلى التقديرين يلزم ان يكون الله تعالى مبصرا لابصار نفسه او لذاته ويلزم من هذا ان يراه المومنون فى القيامة اذ لا قائل بالفرق ولان قوله لا تدركه الابصار يفيد سلب العموم لا عموم السلب وتخصيص هذا السلب بالعموم يدل على ثبوت الحكم فى بعض افراد العموم الا ترى انه اذا قيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما آمن به كل الناس افاد انه آمن به بعض الناس فكذا قوله لا تدركه الابصار معناه انه لا تدركه جميع الابصار فيفيد انه يدركه بعض الابصار قيل هذا تمسك بدليل الخطاب اجيب بانه تمسك صحيح لانه لو لم يدركه بعض الابصار كان التخصيص عبثا وكلام الله منزه عنه احتجت المعتزلة بهذه الاية على نفى الرؤية تقريره ان الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية يدل على انه لو قال قائل ادركته ببصرى وما رايته لكان متناقضا فقوله لا تدركه الابصار يقتضى ان لا يراه شئ من الابصار فى شئ من الاحوال والدليل على صحة هذا العموم انه يصح استثناء الاشخاص والاحوال فيقال لا تدركه الابصار الا بصر فلان والا فى الحالة الفلانية وان عائشة رضى الله عنها لما انكرت قول ابن عباس فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ليلة المعراج تمسكت بهذه الاية وهذه الاية الى هاهنا تشتمل على المدح والثناء وقوله بعد ذلك ايضا مدح فقوله لا تدركه الابصار ايضا مدح وكل ما كان عدمه مدحا كان ثبوته نقصا والنقص على الله محال فكونه تعالى مرئيا محال واجيب بانا لا نسلم ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية فان الادراك هو الوصول الى الشئ والمرئى اذا كان له حد ونهاية وادركه البصر بجميع حدوده وجوانبه ونهاياته صار كان ذلك الابصار احاطة به فسمى هذه الرؤية ادراكا اما اذا لم يحط البصر بجميع المرئى لم يسم تلك الرؤية ادراكا حقيقة فالرؤية جنس تحته نوعان رؤية مع الاحاطة ورؤية لا مع الاحاطة فلم يلزم من نفى الادراك نفى الرؤية فان قيل لما بينتم ان الادراك امر مغاير للرؤية فقد افسدتم على انفسكم الوجوه التى تمسكتم بها فى هذه الاية فى اثبات الرؤية اجيب بان الادراك اخص من الرؤية واثبات الاخص يستلزم اثبات الاعم ونفيه لا يستلزم نفيه ولئن سلم ان الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية ولكن لا نسلم انه يفيد عموم السلب بل لا يفيد الا سلب العموم وتمسك عائشة بهذه الاية فى نفى الرؤية لا يقتضى عموم السلب لاحتمال ان يكون فى

ذالمم

ربدم

الدنيا وبان صيغة الجمع كما تحمل على العموم تحمل على المعهود السابق ايضا واذا كان كذلك فقوله لا تدركه
الابصار يفيد ان الابصار المعهوده في الدنيا لا تدركه ونحن نقول بموجبه فان هذه الابصار وهي
الاحداق مادامت تبقى على هذه الصفات التي هي موصوفه بها في الدنيا لا تدركه وانما تدركه
اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها فلم قلتم ان عند حصول هذه التغيرات لا تدرك الله ولين
سلم ان الابصار لا تدرك الله فلم لا يجوز حصول ادراك الله بحاسه سادسه مغايره لهذه الحواس
كما كان ضرار ابن عمرو يقول به وعلى هذا التقدير فلا يبقى للتمسك بهذه الايه فايده وايضا هذه
الايه عامه والايات الدالات على اثبات رويه الله خاصه والخاص مقدم على العام ولين سلم
ان الابصار لا تدركه تعالى فلم قلتم ان المبصرين لا يدركون الله واما قولهم ان قوله لا تدركه
الابصار تمدح قلنا مسلم ولكن انما يكون مدحا اذا كان الادراك بالبصر جايزا فان العدم
الصرف والنفي المحض لا يكون موجبا للمدح وهو اللطيف الخبير قيل لطيف باستخراج الاشيا
خبير بمكانها وقيل اللطيف من نور قلبك بالهدى وربى جسمك بالغذا وجعل لك الولايه في
البلوى ويحميك ويحرسك وانت في لظى ويدخلك جنة الماوى وقيل اللطيف الذي ينسى
العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا وقيل اللطيف الذي ربك من النطفه ثم اهلك للوصله وقيل
اللطيف الذي يغني المفتقر اليه يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده وقيل
اللطيف الذي يغير ولا يتغير وقيل اللطيف الذي اذا دعوته لباك وان قصدته اواك
وان احببته ادناك وان اطعته كافاك وان عصيته عافاك وان اعرضت عنه دعاك
وان اقبلت عليه هداك وقيل اللطيف لا يطلب من الاحباب الاسباب والانساب وقيل
اللطيف الذي يغني المفتقر اليه ويعز المفتخر به وقيل اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن
الجاني وقيل اللطيف من امره تقريب ونهيه تاديب وقيل اللطيف الذي اعطاك خيره
ومنعه خيره واصل اللطف دقة النظر في الاشيا **قوله تعالى** قد جاكم بصاير من
ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ لما قرر بالايات الظاهره
والبينات الباهره والمطالب العاليه الشريفه الالهيه عاد الى تقرير الدعوه والتبليغ والرساله
البصاير جمع البصيره وهي نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي تبصر
به واراد بقوله قد جاكم بصاير من ربكم الايات المتقدمه وهي في انفسها ليست بصاير
الا انها لقوتها وجلائها توجب البصاير لمن عرفها ووقف على حقايقها فلما كانت هذه الايات
اسبابا لحصول البصاير سميت انفسها بالبصاير اي قد جاكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز
على الله وما لا يجوز وقيل هي الحجج البينه يبصرون بها الهدى من الضلال والحق من الباطل
وقيل هي بينات القران والكل صحيح فمن ابصر يعني فمن عرفها وامن فلنفسه ابصر واياها
نفع ومن عمي عنها ولم يعرفها ولم يصدقها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ
برقيب احصي عليكم اعمالكم انما انا رسول ابلغكم رسالات ربي والله هو الحفيظ عليكم الذي
لا يخفى عليه شي من افعالكم **قوله تعالى** وكذلك نصرف الايات وليقولوا دارست
ولنبينه لقوم يعلمون ان الله تعالى لما بين الايات الداله على التوحيد وتمم الكلام
فيه شرع في اثبات النبوات فبدا بحكاية شبهات المنكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
الشبهه الاولى قولهم يا محمد ان هذا القران الذي جيتنا به كلام تستفيده من مدارسة
العلما ومباحثة الفضلا وتسطره من عند نفسك ثم تقرا علينا تزعم انه وحي نزل عليك من الله

امرم

ثم انه تعالى اجاب عنه بوجوه كثيره وكذلك في موضع نصب منصرف اي ومثل ما بينا البصاير نصرف
الايات تنبيها في كل وجه لئلا عودكم بها وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها
قرا نافع وعاصم وحمزه والكسائي درست اي قرات وتعلمت يا محمد في الكتب المتقدمه ثم تزعم انه من
عند الله وابن كثير وابو عمرو دارست اي انت يا محمد دارست العلما في هذه الاشيا اي قاراتهم
وهذا اشاره منهم الى سلمان وغيره من الاعاجم واهل الكتاب وابن عامر درست باسناد الفعل الى الايات
اي قدمت هذه الايات وعفت كانهم اشاروا الى انها تردت على اسماعهم حتى بليت في نفوسهم وامحت
قال ابو علي واللام في ليقولوا على هذه القراه بمعنى لئلا يقولوا اي صرفت الايات واحكمت لئلا يقولوا
هذه اساطير قديمه قد بليت وتكررت على الاسماع واللام على ساير القراات لام الصيرورة قيل وليقولوا
عطف على مضمر والتقدير وكذلك نصرف الايات ليلزمهم الحجه وليقولوا فحذف المعطوف عليه لوضوح
معناه ولنبينه اللام في ليقولوا مجاز وفي لنبينه حقيقه لان الايات صرفت للتبيين ولم تصرف
ليقولوا درست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الايات كما حصل التبيين شبه به فسيق
مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه قيل تقديم المجاز على الحقيقه في الذكر غير جايز والاولى
ان يحمل على ظاهره اي وكذلك نصرف الايات ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفر
وتنبيه لبعضهم فيزدادوا ايمانا على ايمان ونظيره قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
والضمير في لنبينه يرجع الى الايات لانها في معنى القران كانه قيل كذلك نصرف القران او
الى القران وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته
زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرا دارست ودرست ودرست الكتاب ودارسته فيرجع الى
الكتاب المقدر **قوله تعالى** اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن
المشركين لما حكى الله عن الكفار انهم ينسبونه في اظهار هذا القول الى الافترا والى انه يدارس
اقواما ويستفيد هذه العلوم منهم ثم يجمعها قرانا ويدعي انه نزل عليه من عند الله اتبعه
بقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوه والرساله
والمقصود تقويه قلبه وازالة الحزن الذي حصل بسبب سماع تلك الشبهه لا اله الا هو
اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي
حال موكده كقوله وهو الحق مصدقا واعرض عن المشركين قيل المراد ترك القتال وقد نسخ
وليس بمستقيم لان الامر بترك القتال في الحال لا يقتضي تركه دايما فلا يلزم نسخ وقيل
المراد ترك مقابلتهم فيما ياتونه من سفه وان يعدل صلى الله عليه وسلم الى الطريق الذي يكون
اقرب الى القبول وابعد عن السفه والتغليظ **قوله تعالى** ولو شا الله ما اشركوا وما
جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل هذا ايضا متعلق بقولهم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما جمعت هذا القران من مدارسة الناس فكانه تعالى يقول له لا تلتفت الى
قول هولا الكفار ولا يثقل عليك كفرهم فلو شا الله ان لا يشركوا ما اشركوا الا ان ما شا الله كان
وما لم يشا لم يكن وظاهر هذه الايه رد على المعتزله فانها تدل على ان الشرك بمشية الله تعالى
ولا قدره لاحد على ازالة الكفر وترك الشرك وما جعلناك عليهم حفيظا يمنعهم من الشرك وما
انت عليهم بوكيل في المنع من الشرك انما جعلناك منذرا مبلغا للاوامر والنواهي مبينا لها
فان قبلوا وانقادوا فالمنفعه عايده اليهم والا فضره عايد اليهم **قوله تعالى** ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم

مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون هذا الكلام ايضا متعلق بقولهم للرسول عليه السلام انما جمعت
هذا القران من مدارسة الناس ومذاكرتهم فان المسلمين لما سمعوا مقالتهم سبوا الهتهم على
سبيل المعارضة فنهى الله تعالى المسلمين عن سبهم قيل لما انزل الله انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم قال المشركون لئن لم ينته محمد عن سب الهتنا لنهجون الهه فنزلت هذه الايه وقيل لما قربت
وفاة ابي طالب قالت قريش ندخل عليه ونطلب منه ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد
موته فيقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث
واميه وابي ابنا خلف وعقبه ابن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب
فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وان محمدا قد اذانا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه
والهه فدعاه فقال له هولا قومك وبنو عمك يطلبون ان تتركهم على دينهم ويتركوك على دينك
فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطي كلمه ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت
لكم العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال عليه السلام قولوا لا اله الا الله
فابوا واشمازوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك قد فزعوا منها فقال يا عم ما
انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها بين يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتم الهتنا
او لنشتمنك ولنشتمن من يامرك فانزل الله هذه الايه ولا تسبوا الاصنام الذين يدعونها من دون الله
فيسبوا الله عدوا او ظلما بغير علم على جهاله بالله وبما يجب ان يذكر به فان قيل سب الالهه حق
وطاعه فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي اجيب بان سب الالهه وان كان طاعه
لكن اذا وقع على وجه يستلزم وجود منكر عظيم وجب الاحتراز منه والامر ههنا كذلك لان
سب الالهه كان يستلزم اقدامهم على سب الله وسب رسوله وعلى فتح باب السفاهه وعلى تنفيرهم
عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب في قلوبهم وحكم هذه الايه على كل حال باق في الامه فمتى
كان الكافر في منعه وخيف ان يسب الاسلام او النبي صلى الله عليه وسلم او الله عز وجل فلا يحل
لمسلم ان يسب دينهم ولا يتعرض ما يودي ذلك ونحوه وعبر عن الاصنام وهي لا تعقل بالذين بناء على
معتقد الكفره فيه كذلك زينا يعني كما زينا لهولا المشركين عبادة الاصنام وطاعة
الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم وتزيين الله عمل
الامم هو ما خلقه ويخترعه في النفوس من المحبة للخير او للشر والاتباع لطرقه وقال
صاحب الكشاف اي امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا
او زينه لنا وهذا عدول عن الظاهر الى تاويل يدل العقل والنقل على بطلانه ثم الى ربهم مرجعهم
اي امرهم مفوض الى الله وهو عالم باحوالهم مطلع على ضمائرهم فينبئهم يخبرهم بعملهم ان خيرا فخير وان شرا فشر
وهذا يتضمن وعدا جميلا للمحسنين ووعيدا ثقيلا للمسيئين **قوله تعالى** واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءتهم ايه ليومنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون قيل ان الكفار لما نزلت ان نشا ننزل
عليهم من السماء ايه فظلت اعناقهم لها خاضعين اقسموا انها ان نزلت امنوا فنزلت هذه الايه وقيل قالت
قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا
ان عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقه فاتنا ببعض من الايات حتى نصدقك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شي تحبون ان اتيكم به فقالوا ان تجعل
لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول

لام

احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكه يشهدون لك او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يومنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله
ان يجعل الله الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال له ان شئت اصبح ذهبا فان لم يومنوا هلكوا على اخرهم
معاجله كما فعل بالامم اذ لم يومن بالايات المقترحه وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم فنزلت واقسموا الضمير في اقسموا عايد على المشركين المتقدم ذكرهم اي حلف
هولا المشركون بالله جهد ايمانهم نصب على المصدر والعامل فيه اقسموا عند سيبويه لانه في معناه وعند المبرد
فعل من لفظه اي جهدوا واجهد ايمانهم اوكد ما قدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف
الرجل بالله فهو جهد يمينه لئن جاءتهم ايه اللام موطيه للقسم موذنه فيه ليومنن بها اللام فيها هي المتلقيه
للقسم وانه علامه اي والله لئن جاءتهم ايه كما جاء من قبلهم من الامم ليومنن بها قل يا محمد على جهة الرد انما الايات
عند الله وهو القادر على اتيانها ليست عندي فاقترح علي وما يشعركم قيل المخاطبون بذلك الكفار وقيل المومنون
في معناه وما يدريكم انها قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الالف على القطع واستيناف الاخبار
فمن قرا يومنون بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت له المخاطبه اولا واخرا للكفار ومن قرا يومنون
بالياء وهي قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو والكسائي فيحتمل ان يخاطب بقوله وما يشعركم الكفار ثم يستانف
الاخبار عنهم للمومنين ومفعول يشعركم الثاني محذوف ويختلف تقديره حسب كل تاويل وقرا نافع وعاصم
في روايه حفص وحمزة والكسائي وابن عامر انها بفتح الالف فمنهم من جعلها ان التي تدخل على الجمل وتاتي
بعد الافعال كعلمت وظننت واعمل فيها يشعركم والتزم بعضهم ان لا زايده في قوله لا يومنون وان معنى
الكلام وما يشعركم انها اذا جاءت يومنون او تومنون فزيدت لا كما زيدت في قوله وحرام على قريه اهلكناها
انهم لا يرجعون لان المعنى وحرام على قريه مهلكه رجوعهم وكما زيدت في قول الشاعر ابا جوده لا البخل
واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود نائله قال الزجاج ابا جوده البخل ودعا الى التزام هذا حفظ
المعنى لانها لو لم تكن زايده لعاد الكلام عذرا للكفار وفسد المراد بالايه وضعف الزجاج وغيره
زيادة لا وقال وهو غلط وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال
امرو القيس عوجوا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن حذام وحكى سيبويه عن الخليل
وهو تاويل لا يحتاج معه الى تقدير زياده لا وقال وهو غلط وقيل انها بمعنى ويقويها قراءة
ابي لعلها اذا جاءتهم لا يومنون وضعف ابو علي هذا بان التوقع الذي فيه لا يناسب الايه
بعد التي حكمت بانهم لا يومنون وترجح عنده في الايه ان تكون ان على بابها وان تكون المعنى قل
انما الايات عند الله لانها اذا جاءت لا يومنون فهو لا ياتي بها لاصرارهم على كفرهم وتكون الايه
نظير قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون بالايات المقترحه وقيل
ويترتب على هذا التاويل ان تكون ما نافيه وقد ابى ذلك ابو علي وترجح عنده ايضا ان تكون لا زايده
وبسط شواهده في كتاب الحجه وحكى بعض المفسرين ان في اخر الايه حذفا يستغنى به عن زيادة لا وعن
تاويلها بمعنى لعل وتقديره عندهم انها اذا جاءت لا يومنون او يومنون قيل وهذا قول ضعيف
لا يعضده لفظ الايه ولا يقتضيه ويحتمل ان تكون الايه تتضمن الاخبار انهم لا يومنون وقيل لهم
وما يشعركم بهذه الحقيقه اي لا سبيل الى شعوركم بها وهي حق في نفسها وهم لا يومنون اي لو جاءت وما
استفهام على هذا التاويل ونقلب افئدتهم ونذرهم قيل عطف على لا يومنون داخل في حكم وما
يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يومنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع

على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول اياتنا اولا لا يومنون
بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى
يعمهوا فيه وقيل نقلب افئدتهم وابصارهم في النار وفي لهبها في الاخرة لما لم يومنوا في الدنيا
ثم استانف على هذا ونذرهم في الدنيا في طغيانهم يعمهون وقيل كما في الاية بمعنى المجازاة اي لما لم
يومنوا اول مرة نجازيهم بان نقلب افئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهم فكانه قال ونحن نقلب افئدتهم
وابصارهم جزاء لما لم يومنوا اول مرة بما دعوا اليه من الشرع والضمير في به يحتمل ان يعود على
الله او على القران او على النبي **قوله تعالى** ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله ولكن اكثرهم يجهلون بين الله تعالى في هذه الاية تفصيل
ما ذكره على سبيل الاجمال في قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
فراوهم عيانا كما قالوا لولا انزل علينا وكلمهم الموتى باحيانا اياهم فشهدوا لك بالنبوة كما قالوا لو ا
فاتوا باباينا وحشرنا وجمعنا عليهم كل شي قبلا عيانا كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا قرا
نافع وابن عامر ها هنا وفي الكهف قبلا بكسر القاف وفتح الباء وعاصم وحمزة والكسائي بالضم
فيهما في السورتين وابن كثير وابو عمرو بالضم فيهما ها هنا عن ابي زيد يقال لقيت فلانا قبلا
ومقابلة وقبلا وقبيلا كله واحد وهو المواجهة فالمعنى في القرائتين واحد وان اختلف اللفظان
ومن الناس من اثبت بين اللفظين تفاوتا في المعنى فقال اما من قرا قبلا بكسر القاف وفتح الباء
فقال ابو عبيدة والفرا والزجاج معناه عيانا يقال لقيته قبلا اي معاينة عن ابي ذر قلت للنبي
صلى الله عليه وسلم اكان ادم نبيا فقال نعم كان نبيا كلمه الله قبلا واما من قرا قبلا فله ثلاثة اوجه
احدها ان يكون جمع قبيل بمعنى كفيل اي جمعنا عليهم كل شي كفلا بصحة ما بشرنا به وانذرنا
وموضع الاعجاز فيه ان الاشيا المحسوسة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق فاذا انطق الله الكل واطبقوا
على قبول هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات وثانيها ان يكون قبلا جمع قبيل بمعنى الصنف
والمعنى حشرنا عليهم كل شي قبيلا قبيلا اي جماعات وموضع الاعجاز هو الحشر بعد الموت
ولو نفا بجمعهم في موقف واحد على اختلاف طبايعها وثالثها ان يكون قبلا بمعنى قبلا اي
مواجهة ومعاينة ما كانوا ليومنوا اي لو اظهر الله جميع تلك الاشيا العجيبة والامور الغريبة
لهولا الكفار فانهم لا يومنون الا ان يشا الله ايمانهم فلما لم يومنوا دل ذلك على انه تعالى
ما شا منهم الايمان وهذا دل على ان الايمان والكفر والخير والشر بمشية الله تعالى ولكن اكثرهم
يجهلون بان الكل بمشية الله تعالى وقضايه وقدره قال صاحب الكشاف ولكن اكثرهم يجهلون
انهم لا يومنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت المقترحة **قوله تعالى** وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شا ربك ما فعلوه
فذرهم وما يفترون اي كذلك زينا لكل امة عملهم جعلنا لكل نبي عدوا وقيل وكما جعلنا لك عدوا
شياطين الانس والجن جعلنا لكل نبي قبلك عدوا شياطين الجن والانس والاية تتضمن تسلية النبي
صلى الله عليه وسلم وعرض التعدو عليه اي كما ابتليناك يا محمد بهولا الاعدا فقد ابتلينا غيرك
من الانبيا بعدو شياطين الانس والجن وعدوا مفرد في معنى الجمع ونصبه على المفعول
الاول لجعلنا والمفعول الثاني في قوله لكل نبي ونصب الشياطين على ان يكون بدلا من
قوله عدوا وقيل عدوا وشياطين مفعولان لجعلنا والمفعول الثاني في قوله لكل نبي ونصب
الشياطين على ان يكون بدلا من قوله عدوا وقيل عدوا وشياطين مفعولان لجعلنا لقوله

كذلك

وجعلوا الله شركا الجن وشياطين الانس والجن يريد المتمردين من الانس والمتمردين من الجن الذين هم
من قبح فعلهم وطغيانهم كالشياطين ويويده حديث ابي ذر انه صلى يوما فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعوذ يا ابا ذر من شياطين الجن والانس قال وان من الانس لشياطين قال نعم وقيل المراد
الشياطين الموكلون بالانس والشياطين الموكلون بالجن فان ابليس قسم جنده فريقين فبعث منهم فريقا الى الانس
وفريقا الى الجن فشياطين الانس والجن اعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاوليايه فهم يلتقون في كل
حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن اضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثله ويقول شيطان
الجن لشيطان الانس كذلك وقال النبي عليه السلام ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن
قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير يوحي
بعضهم يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن يوسوس الى البعض وبعض
الانس الى بعض زخرف القول غرورا ما يزينه من القول والاغرا على المعاصي ويموهه
غرورا خدعا واحدا على غيره غرورا منصوب على المصدر وهذا المصدر محمول على معنى الزخرف
لان معنى ايحا الزخرف من القول معنى الغرور فكانه قال يغرون غرورا والتحقيق فيه ان الغرور
هو الذي يعتقد في الشي كونه مطابقا للمنفعة والمصلحة مع انه في نفسه ليس كذلك فالغرور اما
ان يكون عبارة عن عين هذا الجهل او عن حالة متولدة عن هذا الجهل فتاثير بعضهم في بعض لا يمكن
ان يعبر عنه بعبارة احمل ولا اقوى لا لة على تمام المقصود من قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا قوله ولو شا ربك ما فعلوه اي ما عادوه وقيل ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف
القول وهذا يدل على ان الكفر والايمان بارادة الله فذرهم وما يفترون قال ابن عباس يريد
ما زين لهم ابليس وغرهم **قوله تعالى** ولتصغى اليه افئدة الذين لا يومنون بالاخرة وليرضوه
وليقترفوا ما هم مقترفون الصغو معناه الميل يقال في المستمع اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت
انه يصغى ويقال اصغى الانا اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب
صغى واصغى فقوله ولتصغى اي ولتميل وجواب ولتصغى محذوف تقديره ولتصغى اليه جعلنا لكل
نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل
الى ما ذكر من عداوة الانبيا ووسوسة افئدة الذين لا يومنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا
الذنوب ويكون المراد ان مقصود الشياطين من ذلك الايحا هو مجموع هذه المعاني **قوله
تعالى** افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءتهم اية ليومنن بها اجاب عنه بانه لا فايدة في اظهار تلك الايات لانه تعالى لو اظهرها
لبقوا مصرين على كفرهم ثم انه تعالى بين في هذه الاية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين
الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل اليه الكتاب المفصل المبين المشتمل
على العلوم الكثيرة والبلاغة الكاملة والفصاحة الشاملة وقد عجز الخلق عن معارضته فظهور
المعجز عليه يدل على انه تعالى قد حكم بنبوته فقوله تعالى افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول
قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق من المبطل وهو الذي انزل
اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم
بالافترا والثاني من الامور الدالة على نبوته وان القران منزل من ربك بالحق لتصديقه
ما عندهم وموافقته لهم فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب اي التحريض كقوله

وكمل فكان ما يطلع طلبا للبس بالجحود لا عجب الالتفات اليه وايا فلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل
م

ولا تكونن من الممترين وقيل فلا تكونن في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود
اكثرهم ولعزم وقيل فلا تكونن خطاب لكل احد على معنى انه اذا تظاهرت الايات وتعاضدت البينات على
صحته وصدقه فلا ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب
الظاهر والمراد امته قرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد والباقون بالتخفيف قوله تعالى
وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم انه تعالى بين في هذه الاية
المتقدمه ان القران معجز فذكر في هذه الاية انه تمت كلمة ربك اي تم القران في كونه معجزا دالا على
صدق محمد قوله صدقا وعدلا اي تمت تماما صدقا وعدلا وقيل مصدران ينتصبان على الحال
تقديره صادقه وعادله قرا عاصم وحمزه والكسائي كلمة بغير الف على الواحد والباقون كلمات على الجمع
قيل الكلمه والكلمات ما جاء من وعد ووعيد وثواب وعقاب فلا تبديل فيه ولا تغيير له كما قال
ما يبدل القول لدي والكلمه في الايه موصوفه بصفات منها كونها تامه اي وافيه بكونها معجزه
داله على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كانه في بيان ما يحتاج اليه الناس الى قيام القيامه علما وعملا
وقيل ان حكم الله هو الذي حصل في الازل ولا يحدث بعد ذلك شي فذلك الذي حصل في الازل هو
التمام والزياده عليه ممتنعه والى هذا اشار بقوله عليه السلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامه
ومنها كونها صدقا فان الكذب نقص والنقص على الله محال ولا يمكن اثبات امتناع الكذب على الله
بالدلايل السمعيه لان صحة الادله السمعيه موقوفه على ان الكذب على الله محال فلو اثبتنا امتناع الكذب
على الله بالادله السمعيه لزم الدور قال الامام واعلم ان هذا الكلام كما يدل على ان الخلف في وعده
محال يدل على ان الخلف في وعيده ايضا محال بخلاف ما قاله الواحدي في تفسير قوله ومن يقتل
مومنا متعمدا ان الخلف في وعيد الله جائز لان وعد الله ووعيده كلمة الله فلما دلت هذه الايه على ان
كلمة الله يجب كونها موصوفه بالصدق علم ان الخلف كما انه ممتنع في الوعد كذلك ممتنع في الوعيد
ومنها كونها عدلا بيان ذلك ان ما وقع في القران خبر وتكليف فالخبر صدق والتكليف عدل وقيل
ان ما اخبر به من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لا بد وان يكون واقعا وبعد
وقوعه عدل لانه تعالى منزه عن الظلم ومنها لا مبدل لكلماته قيل معناها ان هولاء الكفار يلقون
الشبهات في كونها داله على صدق محمد لكن تلك الشبهات لا تاثير لها في هذه الدلاله التي لا تقبل التبديل
لان تلك الدلايل جليه قويه قاطعه لا تزول بسبب ترهات الكفار وشبهات اولئك الجهال
وقيل المراد انها مصونه عن الاختلاف والتناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا وقيل انها تبقى مصونه عن التحريف والتغيير كما قال تعالى وانا له لحافظون وقيل
ان احكام الله لا تقبل التبدل والزوال لانها ازليه والازلي لا يزول قال الامام واعلم ان هذا
احد الاصول القويه في اثبات الخبر لانه تعالى لما حكم على زيد بالسعاده وعلى عمرو بالشقاوه ثم قال
لا مبدل لكلمات الله يلزم امتناع ان ينقلب السعيد شقيا وان ينقلب الشقي سعيدا فالسعيد من
سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين اجاب اولا عن شبهات الكفار ثم بين صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
ثم بين ان العاقل لا ينبغي ان يلتفت الى كلمات الجهال وان يتشوش بسبب كلماتهم الفاسده فقال
وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس وهم الكفار يدل على ذلك قوله وما اكثر الناس ولو حرصت
بمومنين فيما يعتقدون من الحكم على الباطل بانه حق او على الحق بانه باطل يضلوك عن الطريق الحق

والمنهج

بلغ باصله

والمنهج الصدق ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم
الا يخرصون يقدرون انهم على شي او يكذبون في ان الله حرم كذا او احل كذا قيل من منصوب المحل بنزع
الخافض اي اعلم بمن وقيل مرفوع المحل لانه بمعنى اي كانه قيل اي يضل عن سبيله وقيل في موضع جر باضمار
الباء كانه قال بمن يضل عن سبيله وقيل اعلم هاهنا بمعنى يعلم والتقدير ان ربك يعلم من يضل
وهو اعلم بالمهتدين فوق العنايه بالظاهر ضلال الضالين قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
ان كنتم باياته مومنين عن ابن عباس قال المشركون للمومنين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل
الله لكم احق ان تاكلوا مما قتلتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
وقت الذبح اي المذكى باسم الله خاصه دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم وقيل انهم كانوا
يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الاموات فقيل لهم احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله اي احلوا
المذكى باسم الله وحرموا الميته قوله تعالى وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما
حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوايهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين قرا
نافع وحفص عن عاصم بالفتح فيهما على معنى فصل الله ما حرمه عليكم فاسند الفعل الى الفاعل وقد جرى
ذكره في قوله اسم الله وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالضم فيهما على ما لم يسم فاعله لقوله ذكر وحمزه
والكسائي وابو بكر عن عاصم فصل بالفتح حرم بالضم وما لكم الا تاكلوا اي اي غرض لكم في الا تاكلوا
وقد فصل لكم بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله في المايده حرمت عليكم الميته ولقايل
ان يقول سورة الانعام مكيه وسورة المايده من اخر ما انزل الله بالمدينه وقوله وقد فصل
يلزم ان يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المجمل والمتاخر عن المحلى يمنع كونه متقدما والاولى
ان يقال قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم وهذه الايه وان كانت مذكوره
بعد هذه الايه بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد قوله الا ما اضطررتم
اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم اذا دعتكم الضروره الى اكله بسبب شدة الجوع وان كثيرا
ليضلون قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا وفي ساير المواضع بالضم اي يضلون او يضلون فيحرمون
ويحللون باهوايهم وشهواتهم بغير علم بشريعته ان ربك هو اعلم بالمعتدين الذين في قلوبهم وضمايرهم
التعدي وطلب نصرة الباطل والسعي في اخفا الحق والمقصود التهديد والوعيد قوله تعالى وذروا
ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون لما ذكر انه فصل المحرمات
اتبعه بالنهي عنها بالكليه واراد بالاثم ما يوجبه وظاهر الاثم ما اعلن به وباطنه ما اسر وقيل ما عملتم
وما نويتم وقيل ظاهر الاثم الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقه في السر وقيل النهي عام في جميع
المحرمات قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون
الى اوليايهم ليجادلوكم ولين اطعتموهم انكم لمشركون لما بين الله انه يحل اكل ما ذبح على اسم الله ذكر
بعده تحريم ما لم يذكر عليه اسم الله ويدخل فيه ما قد مات ولم تدرك ذكوته او ذبح لغير الله وانه
اي وان الاكل منه لفسق او وان ما لم يذكر اسم الله عليه اكله فسق او وان ما لم يذكر اسم الله عليه
لفسق جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا مبالغة في الاجتناب عنه قال مالك كل ذبح لم
يذكر اسم الله عليه حرام سوا ترك الذكر عمدا او نسيانا وقال ابو حنيفه ان ترك الذكر عمدا حرم
وان ترك نسيانا حل وقال الشافعي يحل متروك التسميه سوا ترك الذكر عمدا او خطا
اذا كان الذابح اهلا للذبح وخصص هذا النهي بما ذكر اسم غير الله عليه فان هذا النهي مخصوص
بما كان هذا الاكل فسقا ووجدنا في ايه اخرى الفسق مفسرا بقوله اهل به لغير الله وايضا الراد

بهذا الذكر ذكر القلب ومتروك التسمية وجد فيه ذكر القلب لقوله عليه السلام ذكر الله على قلب المومن
قال أو لم يقل وإن الشياطين إبليس وجنوده ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم
بقولهم فما قتله الله روي أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال عليه السلام
الله قتلها قالوا فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الصقر والكلب حلال وما قتله
الله حرام فأنزل الله هذه الآية وقيل وإن الشياطين أي مردة المجوس ليوحون إلى أوليائهم من مشركي
قريش وذلك أن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش وكانوا أولياءهم
في الجاهلية وكانت بينهم مكاتبة أن محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما
ذبحوه فهو حرام ولا ياكلونه فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله هذه الآية
ثم قال ولئن أطعتموهم في أكل الميتة إنكم لمشركون لأن من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به قال الزجاج
فيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك لأنه أثبت حاكما سوى
الله وهذا هو الشرك **قوله تعالى** أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون لما ذكر في الآية الأولى أن المشركين
يجادلون المومنين في دين الله ذكر مثلا ليدل على حال المهتدي المومن وعلى حال الكافر الضال
فبين أن المومن المهتدي الذي هداه الله بعد الضلالة وميز بين الحق والباطل والمهتدي والضال
كمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلالهم
ومن بقي على الضلالة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهو قوله في الظلمات ليس
بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار أي صفتها
هذه وهي قوله فيها أنهار والف أو ألف الاستفهام دخلت على واو عطف جملة على جملة ومن بمعنى
الذي والفاء في قوله فأحيينا عاطفة والمعطوف عليه كان وجعلنا له نورا أيضا عطف على كان يمشي به
يراد به جميع التصرف في الأفعال والأقوال وفي الناس متعلق بيمشي منها وقوله كمن مثله خبر
وقوله مثله في الظلمات مبتدأ وخبر صلة للموصول الذي هو من قوله كمن قيل مثل زائد تقديره أومن كان
ميتا كمن هو في الظلمات كذلك زين الكاف فيه متعلقة بمحذوف يدل ظاهر الكلام عليه تقديره وكما
أحيينا المومنين وجعلنا لهم نورا كذلك زين للكافرين ويحتمل أن يتعلق بقوله كمن مثله أي كمثل الحال
هو التزيين قرأ نافع ميتا بالتشديد والباقون بالتخفيف قيل ما مثل به وإن كان عاما في كل مومن
وكافر فإنما نزلت في مخصوصين قال الضحاك المومن الذي كان ميتا فأحيي عمر بن الخطاب
وقيل إنه حمزة بن عبد المطلب وقيل عمار بن ياسر وقيل الذي في الظلمات أبو جهل روي أن أبا
جهل لعنه الله رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يومن بعد فأخبر حمزة بما فعل
أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع
إليه ويقول يا أبا يعلى ألا ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة
ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا
عبده ورسوله فأنزل الله هذه الآية **قوله تعالى** وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا
فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون قيل وكذلك جعلنا يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها
ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وقيل إنه معطوف على ما قبله أي كما
زينا للكافرين أعمالهم كذلك جعلنا وجعلنا بمعنى صيرنا فهي تتعدى إلى مفعولين فالأول مجرميها
والثاني أكابر وعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر

وقدم

وقدم الأكابر إذ لعله لأنهم أجرموا قيل يحتمل أن يكون المفعول الأول أكابر ومجرميها مضاف إليه والمفعول
الثاني في كل قرية وليمكروا انتصب بلام الصيرورة وذلك يدل على أنه تعالى إنما جعلهم بهذا الوصف
لأنه أراد منهم أن يمكروا فيها وهذا يدل على أن الخير والشر بإرادة الله وخص الأكابر لأنهم لأجل رياستهم
أقدر على المكر وترويج الأباطيل ولأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس لقوله أمرنا مترفيها
وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن مكرهم يحيق بهم قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وهذا
تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم موعد بالنصر عليهم **قوله تعالى** وإذا جاءتهم
آية قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين أجرموا
صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون إنه تعالى حكى من مكر هولاء الكفار وحسدهم أنهم متى
ظهرت لهم معجزة قاهرة على نبوة محمد عليه السلام قالوا لن نومن لك حتى نوتى مثل ما أوتي رسل الله أي نسطو
وقالوا إنما تعلق لنا البحر إنما يحيي لنا الموتى ونحو ذلك وقيل لن نومن حتى يحصل لنا هذا المنصب من عند الله
وهذا يدل على نهاية حسدهم وأنهم إنما بقوا مصرين على الكفر لا لطلب الحجة والدلائل بل لغاية الحسد روي
أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وروي
أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه
والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الآية ونحوها قوله تعالى بل يريد
كل امرئ منهم أن يوتى صحفا منشرة الله أعلم كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن الله لا يصطفي للرسالة إلا من يشاء ويعلم
أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم وأعلم متعلق العمل والعامل في حيث فعل تقديره
يعلم حيث ثم توعد تعالى بأن قال سيصيب أي سيصيب الذين أجرموا من أكابرها صغار ذل في الدنيا
بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد بسبب مكرهم في الآخرة وعند متعلق بسيصيب ويصح أن يتعلق
بصغار لأنه مصدر قال الزجاج التقدير صغار ثابت عند الله قال أبو علي متعلق بصغار دون تقدير
ثابت ولا شيء غيره **قوله تعالى** فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون فمن شرط
ويشرح جوابه أي يوسع قلبه وينوره ليقبل الإسلام روي أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المومن فينشرح له وينفسح فقالوا
فهل لذلك من أمارة نعرف بها قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل الفوت ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا قرأ ابن كثير ضيقا بسكون الياء والباقون ضيقا بكسر
الياء وشدها وكذلك في الفرقان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي حرجا
بفتح الراء ونافع وعاصم في رواية أبي بكر حرجا بكسرها قال أبو علي فمن فتح الراء فقد وصف بالمصدر
كما تقول رجل قمن بكذا وحرى ودنف ومن كسر الراء فهو كدنف وقمن وحري وقال سيبويه الحرج
بالفتح المصدر كالطلب والحلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق يعني يجعل قلبه ضيقا لا يدخله
الإيمان وقيل حرجا شكا وقيل ملتبسا وقيل قلقا وقيل ليس للخير فيه منفذ روي أنه قرأ ابن
عباس هذه الآية فقال هل هنا أحد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي
الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه قال ابن عباس كذلك قلب الكافر وروي أن عمر بن
الخطاب قرأها يوما بفتح الراء وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرجا
بالكسر فقال عمر ابن الخطاب ابغوا لي رجلا من كنانة وليكن راعيا وليكن من بني مدلج فلما جاءوه قال له
يا فتى ما الحرجة عندكم قال الشجرة تكون بين الأشجار لا يصل إليها راعية ولا وحشية قال عمر كذلك

قلب المنافق لايصل اليه شى من الخير كانما يصعد فى السما يعنى يشق عليه الايمان ويمتنع ويعجز عنه كما يشق
عليه صعود السما اى كان هذا الضيق الصدر يحاول الصعود فى السما متى حاول الايمان او فكر فيه وجد
صعوبته عليه كصعوبة الصعود فى السما قيل كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السما مثل فيما تمتنع عادة وبعد
من الاستطاعه ويضيق عنه المقدره قرا نافع وابو عمرو وبن عامر وحمزه والكساى بادغام التا فى يصعد
فى الصاد وعاصم فى روايه ابى بكر يصاعد بادغام التا من تصاعد فى الصاد وبن كثير يصعد كذلك
اى كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون قيل الرجس هو الشيطان يسلطه عليه وقيل هو الماثم وقيل ما
لا خير فيه وقيل العذاب وقيل اللعنه فى الدنيا والعذاب فى الاخره وهذه الايه نص صريح فى ان الله
عز وجل يريد هدى المومن وضلال الكافر وان الله يجعل الرجس على الذين لا يومنون واما قول صاحب
الكشاف فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به يريد ان يلطف الا بمن له صلاحيه اللطف يشرح صدره للاسلام
يلطف به حتى يرغب فى الاسلام ويسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه
وشانه وهو الذى لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطاف حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا
يدخله الايمان يجعل الله الرجس يعنى الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب
او اراد الفعل المودى الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب فعدول عن الظاهر الى غيره
الذى دل العقل والنقل على فساده **قوله تعالى** وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم
يذكرون هذا اشاره الى ما تقدم ذكره قيل اشاره الى ما ذكره فى الايه المتقدمه وهو ان الفعل
يتوقف على الداعى وهو من الله فالفعل من الله وهو التوحيد وهو انه مبدا لجميع الكاينات وانما سماه
صراطا لان العلم به يودى الى العلم بالتوحيد المحض وانما وصفه بكونه مستقيما لان قول المعتزله غير مستقيم
لان رجحان احد طرفى الممكن على الاخر ان لم يتوقف على مرجح وجب عدم التوقف فى المحدثات
فيلزم نفى الصانع وان توقف على مرجح من العبد يلزم الدور او التسلسل وان توقف فى بعض الصور
كما يقوله المعتزله فهو غير مستقيم لان المستقيم هو ثبوت الحاجه على الاطلاق وهو عين مذهب اهل السنه
وقيل هذا اشاره الى كل ما سبق ذكره فى القران قال بن عباس اى هذا الذى انت عليه يا محمد دين
ربك وقال بن مسعود يعنى القران قال الامام الاول اولى لان عود الاشاره الى الاقرب المذكورات
اولى ولما امر الله بمتابعة ما فى الايه المتقدمه وجب ان تكون من المحكمات فيجب اجراوها على ظاهرها
ويحرم التصرف فيها بالتاويل مستقيما انتصابه على انه حال موكده وتفصيل الايات ذكرها فصلا فصلا
بحيث لا يختلط واحد منها بالاخر والله تعالى قد بين صحه القول بالقضا والقدر فى ايات كثيره من
هذه السوره متواليه بطرق كثيره ووجوه مختلفه لقوم يذكرون قال الامام والذى اظنه
والعلم عند الله انه تعالى انما جعل مقطع هذه الايه هذه اللفظه لانه تقرر فى عقل كل احد
ان احد طرفى الممكن لا يترجح على الاخر الا لمرجح فكانه تعالى يقول للمعتزلى ايها المعتزلى تذكر ما تقرر فى
عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه على الاخر الا لمرجح حتى يزول الشبهه عن قلبك بالكليه فى مسئله
القضا والقدر **قوله تعالى** لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون اى لقوم
يذكرون دار السلام دار الله الجنه اضافها الى نفسه لتعظيمها وخص من اسمايه السلام
لان اثر السلامة من كل افة ومن دخله سلم من البلايا والرزايا ومن الامراض والخوف والحزن
والاعدا ولان كل حالة من حالات اهلها مقرونه بالسلام اما ابتدا فقوله ادخلوها بسلام
امنين وبعد ذلك والملايكه يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وقوله لا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله تحيتهم فيها

سلام

فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم قاضى

اشارة الى البيان الذى جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان قاضى

الطريق الذى ارتضاه او عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته قاضى

لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال موكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قاضى

سلام وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام وقوله سلام قولا من رب رحيم فلما كانت حالات اهل الجنه
مقرونه بالسلام اما من الخلق واما من الحق سماها الله دار السلام واضافه الى اسمه السلام لان
هذه كلها انما هى راسمه السلام عند ربهم فى ضمانه كما تقول لفلان عندى حق لا ينسى او ذخيره لهم لا يعلمون
كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقيل معد عنده كما يكون الحقوق معده مهياة حاضرة ونظيره
قوله جزاوهم عند ربهم وذلك نهايه فى بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من ذلك وهذا مشعر بان
ذلك الامر المدخر موصوف بالقرب من الله بالشرف والرتبه لا بالمكان والجهه لتنزهه تعالى عنهما وبان
ذلك الشرف والرتبه لا يعرف كنههما الا الله واضافة عند الى ربهم يشعر بان وصول الرحمه
والنعمه اليهم فى الجنه مترادفه متواليه لا مقطوعه ولا ممنوعه شاهده قوله تعالى اكلها دايم وهو
وليهم مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدايهم ومقربهم فقوله عند ربهم يدل على قربهم وقوله وهو وليهم
يدل على قرب الله منهم ولا يتصور درجة اعلى من هذه الدرجه للعبد وايضا وهو وليهم يفيد
الحصر اى لا ولى لهم الا هو وهذا التشريف انما حصل على التوحيد المذكور فى قوله فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام هولا القوم قد عرفوا من هذه الايه ان المدبر والمقدر والنافع والضار
والمسعد والمشقى ليس الا هو وانه لا مبدا للكاينات الا هو فلما عرفوا هذا انقطعوا عن كل ما
سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه وما كان انسهم الا به وخضوعهم الا له
فلما صاروا بالكليه له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم وهذا اشاره الى انه تعالى متكفل بجميع
مصالحهم فى الدين والدنيا ويدخل فيه الحفظ والحراسه والمعونه والنصره وايصال الخيرات
ودفع الافات والبليات بما كانوا يعملون يعنى يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق والعمل وفى الاخره بالثواب
وقيل بسبب اعمالهم وقيل متوليهم بجزا ما كانوا يعملون وهذا يفيد ان هذا بفضله لا بعمله وان
كان مترتبا على العمل فنسب ترتبه على العمل بكون العمل كالسبب فانه مشابه للسبب لا انه سبب
على الحقيقه **قوله تعالى** ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياوهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما
شا الله ان ربك حكيم عليم لما بين الله حال من يهديه الى الصراط المستقيم بين حال من يضله ويجعله
الى صراط الجحيم ويوم منصوب بمحذوف اى واذكر يوم نحشرهم قيل يحتمل ان يكون العامل
وليهم والعطف على موضع قوله بما كانوا يعملون وقيل الناصب المحذوف نقول بعد نحشرهم
اى يوم نحشرهم نقول اى ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن او ويوم نحشرهم ونقول يا معشر
الجن يكون ما لا يوصف لفظاعته وهم فى نحشرهم عايد على الطايفتين اى الذين يجعل الله الرجس
عليهم وهم جميع الكفره جنا وانسا والذين لهم دار السلام جنا وانسا ويدل على ذلك
التاكيد العام بقوله جميعا وقيل عايد الى المعلوم لا الى المذكور وهو من يحشر من الثقلين
وغيرهم الذين علم الله انهم يحشرهم وقيل عايد على الشياطين الذين تقدم ذكرهم فى قوله
وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقرا حفص عن عاصم يحشرهم بالياء
والباقون بالنون ثم ذكر سبحانه ما يقال للجن الكفره فى الكلام فعل مضمر يدل عليه
ظاهر الكلام تقديره نقول يا معشر الجن وقيل الجن هم الشياطين والقايل هو الله كما ان
الحاشر هو الله وهذا القول منه بعد الحشر لا يكون الا تبكيتا وبيانا لانهم وان
تمردوا فى الدنيا فينتهى حالهم فى الاخره الى الاستسلام والانقياد والاعتراف
بالجرم وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله بنفسه

بعلط

مع الكفار يدل عليه قوله تعالى في صفة الكفار ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم قد استكثرتم من
الانس اي اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر
الامير من الجنود واستكثر فلان من الاتباع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم
واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع بعضنا اي بعض الانس ببعض الجن
حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم
على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن وهو ان الرجل كان اذا سافر او خرج
فامسى بارض قفرا واصاب صيدا من صيدهم يخاف على نفسه منهم قال اعوذ بسيد هذا الوادي
من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم واستمتاع الجن بالانس هو ان قالوا قد سدنا الانس مع الجن
حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وهو كقوله وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن وقيل هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم لبعض وقيل
استمتاع الانس بالجن بما كانوا يلقون اليهم في الاراجيف والسحر والكهانة واستمتاع الجن بالانس
اغواء الجن للانس واتباع الانس اياهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني الموت والبعث
وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الجن واتباع الهوى قال الله النار مثواكم خالدين
فيها الا ما شاء الله اي الا الاوقات مشيئة الله وهي هذه ما بين بعثهم الى دخولهم جهنم وقيل هي الاوقات
التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير وعن ابن عباس هذا الاستثناء هو انه لا ينبغي
لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا وقيل الا ما شاء الله وكان ما شاء الله
وقيل معناه النار مثواكم سوى ما شاء الله من انواع العذاب فيها وقيل الا ما شاء الله من
سبق في علمه انه يؤمن فمنهم من امن قبل الفتح ومنهم من آمن بعده ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب
وعقاب عليم بما يفعله **قوله تعالى** وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
اي كما انزلت بالجن والانس الذين تقدم ذكرهم العذاب الدائم الذي لا يخلص منه
كذلك نولي اي نجعل بعضهم ولي بعض في الكفر والظلم وقيل نتبع بعضهم بعضا في النار
من الموالاة وقيل نولي ظلمة الانس ظلمة الجن ونولي ظلمة الجن ظلمة الانس اي نكل بعضهم
الى بعض كقوله نوله ما تولى وقيل نسلط بعضهم على بعض يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
من اعان ظالما سلطه الله عليه عن مالك بن دينار قرات في بعض كتب الله المنزلة ان الله
تعالى يقول افني اعدائي باعدائي ثم افنيهم باوليائي وعن ابن عباس تفسيرها هو ان الله تعالى
اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم وفي الخبر
يقول الله اني انا الله لا اله الا انا مالك الملوك قلوبهم بيدي ونواصيهم بيدي فمن اطاعني
جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم بما كانوا يكسبون بسبب كونهم كاسبين الظلم لان الجنسية علة الضم **قوله
تعالى** يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
هذه الاية من بقية ما ذكره الله في توبيخ الكفار يوم القيامة وبين انه لا يكون لهم
الى الجحود سبيل فيشهدون على انفسهم بانهم كانوا كافرين وانهم لا يعذبون الا
بالحجة يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن
هل يبعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان

يبعث

يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله اسب سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم مومن
قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الم تسمع الله يقول يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن وقال اخرون الرسل من الانس
خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله
يخرج منهما اللولو والمرجان وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى
الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن وقيل الرسل من الانس ورسل الرسل من الجن
لانذارهم يدل عليه قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين عن ابن عباس هم الذين استمعوا فابلغوا الى قومهم
يقصون عليكم اياتي فالمراد التنبيه على الادلة بالتلاوة والتاويل وينذرونكم اي يخوفونكم
عذاب هذا اليوم فلم تجدوا اعتذر ذلك الا ان قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم
قوله الم ياتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على
انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة وانهم محجوجون بها فان قيل ما لهم مقرين في هذه الاية جاحدين
في قوله والله ربنا ما كنا مشركين اجيب بانه يتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم
المتطاول فيقرون في بعضه ويجحدون في البعض او اريد بقوله شهدنا على انفسنا شهادة
ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم وغرتهم الحيوة الدنيا التفات فصيحة تضمنت
ان كفرهم كان بما دام الوجوه لهم وهو الاغترار الذي لا يواقعه عاقل وشهدوا على انفسهم تكرر ذكر
شهادتهم على انفسهم الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويقرون والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف
لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل
حالهم **قوله تعالى** ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون لما بين انه ما عذب
الكفار الا بعد ان بعث اليهم الانبياء والرسل بين بهذه الاية ان هذا هو العدل والحق
والواجب ذلك اشارة الى ما تقدم من بعث الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا
محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك
مهلك القرى بظلم وان هي التي تنصب الافعال وقيل يجوز ان تكون مخففة من الثقيلة والمعنى
لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما اي وما
كان ربك مهلك القرى ظالما عليهم لقوله وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فعلى
الاول الظلم فعل الكفار وعلى الثاني يكون عائدا الى الله على انه لو اهلكهم وهم غافلون
غير منبهين برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وكل قبيح **قوله تعالى**
وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشا كما انشاكم من ذرية قوم
اخرين انما توعدون لات وما انتم بمعجزين لما بين لكل درجات مما عملوا في الثواب والعقاب ذكر
ان هذا ليس لاجل انه مفتقر الى طاعة المطيع ومتضرر بمعصية العاصي فانه غني في ذاته وصفاته
وافعاله وكل ما سواه مفتقر اليه وربك الغني يفيد الحصر معناه لا غني الا هو وذو الرحمة
اي ربك ذو الرحمة لا غيره لانه ثبت بالبرهان القطعي ان كل ما سواه ممكن وانه تعالى خالقه
ولا شك ان الخير غالب على الشر ومبدا الخيرات هو الله فثبت انه تعالى ذو الرحمة لا رحمة الا منه
واذا تحقق انه لا غني ولا رحيم الا هو ثبت انه غني عن الكل فلا يستكمل بطاعات المطيعين

ولا ينقص بمعاصي المذنبين فثبت انه ما رتب العذاب على الذنوب ولا الثواب على الطاعات الا لاجل الرحمة
والفضل والجود والاحسان ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم
من ذرية قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم يعني اهل سفينة نوح كانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة
على صنف دون صنف من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى
برحمته هؤلاء القوم الحاضرين ابقاهم على هذه الصفة وامهلهم ولو شاء لاماتهم وافناهم وابدل بهم ما يشاء ثم بين كونه
قادرا على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم آخرين لان المراد ان الانسان اذا تفكر علم انه خلق الانسان من
نطفة ليس فيها من صورته وصفته قليل ولا كثير فلا يكون هذا الا بمحض العدل والحكمة وكما قدر على تصويره
بهذه الصورة الخاصة واحداثه على هذه الصفة فكذلك يقدر على تصويره بتصوير وصفة مخالفة لها
انما توعدون عن الحسن مجيء الساعة لآت لانهم كانوا ينكرون وقيل يعني كل ما تعلق بالوعد بالثواب فهو آت
لا محالة فتخصيص الوعد بهذا الجزم دل على ان جانب الوعيد ليس كذلك وما انتم بمعجزين طالبكم حتى لا يدرككم
بل يدرككم حيث كنتم والاعجاز الاتيان بشيء يعجز عنه خصمه ويقصر دونه فيكون قد قهره وجعله عاجزا عنه
والحاصل انه لما ذكر الوعد جزم بكونه آتيا ولما ذكر الوعيد ما زاد على قوله وما انتم بمعجزين وذلك يدل على ان جانب
الرحمة والاحسان غالب قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة
الدار انه لا يفلح الظالمون لما بين بقوله انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين امر الرسول صلى الله عليه وسلم
ان يهدد من ينكر البعث من الكفار فقال يا قوم وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالالف على الجمع في كل
القرآن والباقون مكانتكم على الافراد في كل القرآن والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ
التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم
وامكانكم ويحتمل اعملوا على مكانتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان
اي اثبت على ما انت عليه ولا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر بعد قوله
اعملوا ما شئتم وهي تفويض الامر اليه على سبيل التهديد قال صاحب الكشاف هي للتخلية والتسجيل على المأمور بانه
لا يأتي منه الا الشر فكانه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقضى عنه ويعمل بخلافه من تكون يحتمل ان تكون
بمعنى الذي فيكون في موضع نصب بتعلمون ويحتمل ان تكون بمعنى اي فيكون في موضع رفع بالابتداء وعلق عنه تعلمون
والخبر قوله تكون على معنى اينا تكون له عاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها وقرأ
حمزة والكسائي يكون بالياء ههنا وفي القصص على تذكير معنى العاقبة التي هي المصدر لان تأنيثه غير حقيقي والباقون
بالتاء في السورتين قيل يوهم هذا ان الكافر ليست له عاقبة الدار اجيب بان العاقبة تكون على الكافر ولا
تكون له كما يقال له الكثرة ولهم الظفر وفي ضده يقال عليه الكثرة وعليهم الظفر وقيل عاقبة الدار اي مآل
الآخرة ويحتمل ان يراد مآل الدنيا بالنظر والظهور وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في
المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل ثم جزم الحكم بانه
لا يفلح الظالمون اي لا ينجح سعيهم ولا يفوزون بما طلبوه قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون لما بين الله تعالى قبح طريقتهم في انكار البعث والقيامة ذكر عقيبه
انواعا من جهالاتهم وبطلان اقوالهم تنبيها على سخافة عقولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى كلماتهم فمن
جملتها انهم جعلوا لله مما ذرأ اي جعل كفار العرب العادلين بربهم الاوثان مما ذرأ اي خلق وانشأ وبث
في الارض يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا وذروا اي خلقهم مما ذرأ ويتضمن بقاء نصيب آخر ليس بداخل

في حكم الاول فبينه بقوله هذا لله وهذا لشركائنا ثم اعترض بينهما القول بان ذلك منهم زعم
وتقول والزعم بحسب الغالب في غير اليقين والحق يقال زعم وازعم قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي
والباقون بالفتح وهما لغتان قال المفسرون كانوا يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم
نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفق عليه وما كان لله اطعم الضيفان والمساكين ولا يأكلون من ذلك
كله شيئا فما سقط مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط مما جعلوه
للاوثان في نصيب الله التقطوه يعني عزلوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وكانوا اذا بذروا
فما وقع من بذر الله في حصة الصنم تركوه وما وقع من حصة الصنم في حصة الله ردوه وان انفجر
من سقي ما جعلوه للشركاء من نصيب الله سدوه وان انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشركاء تركوه واذا هلك
الذي سموا لشركائهم او اجدب وكثر الذي لله فقالوا ليس لآلهتنا بد من نفقة فاخذوا الذي لله فانفقوه
على آلهتهم واذا اجدب الذي لله وكثر الذي لآلهتهم قالوا لو شاء الله لازكى الذي له فلا يردون عليه
شيئا مما للآلهة واذا اصابتهم السنة استعانوا بما جزءوا لله ووفروا ما جزءوا لشركائهم وقوله مما
ذرأ فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية
بزعمهم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله
وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان
والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك
ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم شركاؤهم ليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم هذا نوع من احكامهم الفاسدة

وما يفترون

ومذاهبهم الباطلة وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله تعالى
والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لكثير والمعنى ان شركاءهم من الشياطين
الآمرين بذلك المزينين له او من سدنة الاصنام الحاملين عليه ايضا من بني آدم الناقلين له عصرا بعد
عصر اذ كلهم مشتركون في قبح هذا الفعل وتبعته في الآخرة زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة
وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعل عبد المطلب والحاصل ان
جعلهم لله نصيبا وللشركاء نصيبا نهاية في الجهل بمعرفة الخالق المنعم واقدامهم على قتل اولادهم
نهاية في الجهالة والضلالة وذلك يفيد ان احكامهم واعتقاداتهم يشاكل بعضها بعضا في القبح والفساد
والسفاهة قرأ ابن عامر وحده زين بضم الزاي وكسر الياء ورفع قتل ونصب اولادهم وجر شركائهم
والباقون بفتح الزاي والياء ونصب قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم وقراءة غير ابن عامر ابين وافصح
قال صاحب الكشاف واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر
الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات
وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف في الكلام المنثور فكيف به
في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء
ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا
الارتكاب اعلم ان ما ذكره صاحب الكشاف قول صدر عن جراءة يكاد يخرج قائله عن ربقة الاسلام
بذلك لان ابن عامر من القراء السبعة الذين قراءتهم متواترة ثبتت بالتواتر انها قراءة فالطعن فيها كالطعن في
القرآن اما قوله لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا فممنوع وما الدليل على سماجته
ورده قوله كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده قلنا هذا ايضا وما ذكره طاعنه من اهل العربية بناء على

التعليل الواهي الذي لا يصلح لان يثبت به تصحيح كلام الله او تزييفه لا يعارض قراءة ابن عامر فانه مسند
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر وما ذكره هولاء الطايفه غير مسند الى العرب
بل غايته عدم الوجدان وهو لا يدل على العدم ومن يعتقد ان التعليلات النحويه يثبت بها صحة الكلام
وفساده فهو خارج عن زمرة العقلاء داخل في السفها فكيف اذا اعتقد انه يرد بها قراءة مسنده
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر فلا ينبغي ان يلتفت الى قول صاحب الكشاف في التشنيع
على ابن عامر الذي هو امام من ايمة الاسلام قوله ليردوهم ليهلكوهم من الردى والارداء الاهلاك وليلبسوا
وليخلطوا ويشبهوا عليهم دينهم الذي كانوا عليه وهو دين اسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه الى الشرك
وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل ليوقعوهم في دين ملتبس واللام لام التعليل على حقيقته ان كان
التزيين من الشياطين ولام الصيرورة ان كان التزيين من السدنة ولو شاء الله ان لا يفعله المشركون لما فعلوا
ما زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل اولادهم وقيل لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء
او اللبس او جميع ذلك ان جعل الضمير في فعله جاريا مجرى اسم الاشارة فهذا يدل على ان كل ما فعله المشركون والشياطين
بمشية الله قال صاحب الكشاف ولو شاء الله مشية قسر وهو تقييد بلا دليل وعدول عن الظاهر الذي يدل
الدليل على ان خلافه باطل فذرهم يا محمد وما يفترون يختلقون على الله الكذب فان الله لهم بالمرصاد لا يخلف
الميعاد وما في ما يفترون اما موصوله فيكون معناه وما يفترونه من الكذب واما مصدريه فيكون معناه
فذرهم وافتراءهم **قوله تعالى** وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون هذا نوع اخر من احكامهم
الفاسده وهذه الايه متضمنه لتعديد ما شرعوه لانفسهم والتزموه على جهة القربه كذبا منهم على الله وافتراء
عليه وقالوا اي وقال المشركون هذه انعام وحرث حجر وهي ما كانوا جعلوه لله ولالهتهم وقيل يعني بالانعام
البحيره والسايبه والوصيله والحامي حجر محرم وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في
الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا اشيا
من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون
النسا قوله بزعمهم اي بتقولهم وزعمهم منا هو في قولهم حجر وتحريمهم بذلك ما لم يحرم الله وانعام
حرمت ظهورها هي البحاير والسوايب والحوامي التي ركوبها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح
وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل كانت لهم عادة في انعام ما ان لا يحجوا عليها ولا يلبوا على ظهورها
فكانت تركب في كل وجه الا في الحج فذلك قوله لا يذكرون اسم الله عليها افتراء مصدر نصب على انه مفعول له
او على اضمار فعل تقديره يفترون افتراء على الله وقيل مصدر موكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء وقيل
حال والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكرون
عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون
وعيد شديد **قوله تعالى** وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
وان يكن ميتة فهم فيه شركا سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم هذا نوع اخر من احكامهم الفاسده وقال
المشركون ما في بطون هذه الانعام اي اجنة البحاير والسوايب ما ولد منها حيا فهو خالصة لذكورنا ولا ياكل
منها الاناث وان يكن ما في بطون هذه الانعام ميتة فالذكور والاناث فيه شركا وانث خالصة
للحمل على المعنى لان ما في الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره في الحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى
قوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان يكون التا للمبالغة مثلها في راوية
الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصه ويدل عليه قراءة من قرا خالصة بالنصب

على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر موكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمه لان المجرور لا يتقدم
حاله قرا ابن كثير وان يكن بالياء وميتة بالرفع فلم يلحق الفعل علامة التانيث لما كان تانيث الفاعل المسند
اليه غير حقيقي اي وان وقع ميتة او حدث ميتة وابن عامر بالتاء وميتة بالرفع فالحق علامة التانيث بالفعل
لما كان الفاعل في اللفظ مونثا واسند الفعل الى الميتة كما فعل ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر يكن بالتاء وميتة
بالنصب فانث وان كان المتقدم مذكرا لانه حمله على المعنى فالتقدير وان تكن ما في بطون هذه الانعام
اي النسمه ميتة ونافع وابو عمرو وحمزة والكسايي وعاصم في رواية حفص يكن بالياء وميتة بالنصب
فذكروا الفعل لانهم اسندوه الى ضمير ما تقدم من قوله ما في بطون لانه مذكر والميتة انتصب على الخبر
وذكر الضمير في قوله فهم فيه شركا لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سواء
سيجزيهم وصفهم اي بوصفهم او على وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم كقوله وتصف السنتهم الكذب
هذا حلال وهذا حرام انه حكيم في عذابهم على وصفهم عليم بما يقولونه ويفعلونه ويعتقدونه **قوله**
تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله والافترا على الله والضلال وعدم
الاهتدا فهذه امور سبعة كل واحد منها سبب تام في حصول الذم نزلت في ربيعه ومضر واحيا العرب
الذين كانوا يدفنون بناتهم مخافة السبي والفقر الا ما كان من بني كنانه فانهم لا يفعلون ذلك قرا ابن عامر
وابن كثير قتلوا بتشديد التا على المبالغه والباقون بتخفيف التا سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم
بان الله هو رازق اولادهم ما رزقهم الله هي تلك الانعام والغلات التي يوقف بغير شرع ولا مثوبه
في معاد بل الافترا على الله والكذب قد ضلوا اخبار عنهم بالحيره وما كانوا في هذه الفعلة مهتدين
ولكنهم زادوا بهذه الفعله ضلالا او قيل يريد وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعله **قوله تعالى** وهو الذي
انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير
متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين انه تعالى جعل مدار
القران الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضا والقدر وبالغ في تقرير هذه الاصول
وانتهى الكلام الى شرح احوال السعدا والاشقيا انتقل منه الى تهجين طريقة من انكر البعث
والقيامه ثم اتبعه بحكاية اقوالهم الباطله وكلماتهم الفاسده في مسايل اربعه والمقصود التنبيه على ضعف
عقولهم وقلة علومهم وتنفير الناس عن الالتفات الى قولهم والاغترار بشبهاتهم فلما تمم هذه الاشياء عاد بعدها
الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الحجه على تقرير التوحيد فذكر هنا هذه الانواع الخمسه المذكوره
منها فيما تقدم في قوله وهو الذي انزل من السما على ترتيب على غير الترتيب الذي في هذه الايه
وابتدا فيما تقدم بقوله وهو الذي انزل من السما وفي هذه الايه بقوله وهو الذي انشا جنات
معروشات وامر في الاولى بالنظر الى ثمره وفي هذه الايه اذن في الانتفاع فقال كلوا من ثمره وهما يفيدان
اثبات الصانع الحكيم لكن المقصود بالقصد الاول في الايه الاولى الاستدلال على وجود الصانع الحكيم
فلهذا ابتدا فيها بقوله وهو الذي انزل من السما ماء وامر بالنظر في اخرها بقوله انظروا الى ثمره وختمها
بقوله ان في ذلكم لايات لقوم يومنون والمقصود بالقصد الاول في هذه الايه الاذن في الانتفاع به
والامر بصرف جزء منه الى المستحقين فلهذا افتتح بقوله وهو الذي انشا جنات معروشات واذن في
الاخر في الانتفاع بها وامر بصرف جزء منه الى المستحقين بقوله كلوا من ثمره واتوا حقه يوم
حصاده وختم بقوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والذي حصل به الامتياز بين الايتين ان هناك
امر بالاستدلال على وجود الصانع الحكيم وهنا اذن في الانتفاع والاستدلال مقدم على الانتفاع
لان الحاصل من الاستدلال به سعادة روحانيه ابديه ومن الانتفاع به سعادة جسمانيه سريعة الانقضا

والاول اولى بالتقديم يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا عطفت العيدان التي توسل عليها قضبان الكرم اي انشاجات من الكرم ومعروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش عن ابن عباس معروشات ما انبسط على وجه الارض وانتشر مما يعرش اي يسقف مثل الكرم والزرع والبطيخ وغيرها وغير معروشات ما قام على ساق مثل النخل وساير الاشجار وقيل المعروشات وغير المعروشات الكرم خاصة منها ما عرش ومنها لم يعرش وعن ابن عباس ايضا المعروشات ما انبته ورفعه الناس وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار مختلفا اكله الاكل ما اكل واراد بها هنا ثمر النخل والزرع اي مختلفا في الحجم واللون والطعم والرايحه والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدره لانه لم يكن وقت الانشا اي مقدرا اختلافا كذلك كقوله فادخلوها خالدين قرا ابن كثير ونافع اكله بسكون الكاف والباقون بضم الكاف في كل القران لما ذكر تفنيه خلقه لهذه الاشيا ذكر ما هو المقصود الاصلي من خلقها وهو الانتفاع قال كلوا من ثمره اذا اثمر وفايدة قوله اذا اثمر مع العلم بانه اذا لم يثمر لم يوكل منه انه لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحه وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وقيل فايدة قوله كلوا الاباحه وقيل المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الحق فيه كان يجوز ان يحرم على المالك تناوله لمكان شركة المستحقين بل هذا هو الظاهر فاباح هذا الاكل واخرج وجوب الحق فيه من كونه مانعا من هذا التصرف وقيل انه تعالى اباح ذلك ليبين ان المقصود من خلق هذه النعم الاكل واما تقديم ذكر الاكل على التصدق فلان رعاية النفس مقدمه على رعاية الغير قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك تمسك بعض العلما بقوله كلوا من ثمره بان الاصل في المنافع الاباحه لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل فصار هذا جاريا مجرى قوله خلق لكم ما في الارض جميعا وايضا يمكن التمسك به على ان الاصل عدم وجوب المنع وان من ادعى ايجابه كان هو المحتاج الى الدليل فيتمسك به في ان المجنون اذا افاق في اثنا الشهر لا يلزمه قضاء ما مضى وفي ان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قوله كلوا يدل على ان صيغة الامر قد ترد في غير موضع الوجوب وفي غير موضع الندب فقيل الاصل في الاستعمال الحقيقه فتعين جعل هذه الصيغه مفيده لرفع الحجر فلهذا قيل الامر مقتضا الاباحه والحق انه علم من لغة العرب ان هذه الصيغه تفيد ترجيح جانب الفعل وان حملها على الاباحه لا يصح الا بدليل منفصل قوله واتوا حقه يوم حصاده قرا ابن عامر وابو عمرو وعاصم حصاده بفتح الحا والباقون بكسرها عن ابن عباس يريد به العشر فيما سقت السما ونصف العشر فيما سقي بالدوالي قيل لا يجوز ان يراد بالحق الزكوه لان الايه مكيه والزكوه انما فرضت بالمدينه ولان ايتا الزكوه غير واجب يوم الحصاد فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا ثم نسخه افتراض العشر ونصف العشر ورد بانا لا نسلم ان الزكوه ما كانت واجبة بمكه بل لا نزاع في ان الايه المدنيه وردت بايجابها الا ان ذلك لا يمنع وجوبها بمكه وبان الايه مدنيه والمراد بقوله واتوا واعزموا على ايتا الحق واقصدوه واهتموا به يوم حصاده حتى لا توخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتا قيل قوله واتوا حقه يوم حصاده وبعد ذكر الانواع الخمسه يدل على وجوب الزكوه في الكل وهذا يقتضي وجوب الزكوه في الثمار كما يقوله ابو حنيفه فان قيل لفظ الحصاد مخصوص بالزرع اجيب بان لفظ الحصد في اللغه غير مخصوص بالزرع فانه القطع ولا تسرفوا السرف خلاف القصد وهو تجاوز الحد وسرف المال ما ذهب منه من غير منفعه وقيل ان الانسان اذا اعطى كل ماله ولم يوصل الى عياله شيا فقد اسرف لانه جا في الخبر ابدا بنفسك ثم بمن تعول وروي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمايه نخله فجذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيا فانزل الله واتوا حقه يوم حصاده

ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله وقيل لا تسرفوا لا تمنعوا الصدقه وهما يشتركان في ان المراد لا تجاوزوا الحد الاول في البسط والاخر في القبض فيحمل عليهما حتى يكون موافقا لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وقيل لا تنفقوا في المعصيه قال مجاهد لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل فانفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا في معصية الله كان مسرفا وفي هذا قيل لحاتم الطائي لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير قوله تعالى ومن الانعام حموله وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانيه ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل االذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل االذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهدا اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله حموله وفرشا معطوف على قوله جنات اي وهو الذي انشا من الانعام حموله تحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحموله الكبار التي تصلح للركوب والحمل مثل كبار الابل والبقر والخيل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانيه من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم الحرث والانعام من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهليه ثم بين الحموله والفرش فقال ثمانيه ازواج اي اصناف الواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانيه ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون اخر من جنسه تسميتهم الزجاجه كاسا بشرط ان يكون فيها خمر قيل نصب ثمانيه ازواج بفعل مضمر تقديره كلوا لحم ثمانيه ازواج فحذف الفعل والمضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل على البدل من مما في قوله كلوا مما رزقكم الله وقيل نصب على الحال وقيل نصب على البدل من قوله حموله وفرشا من الضان اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى اي الكبش والنعجه ومن المعز اثنين التيس والمعز والضان جمع ضاين وضاينه كتاجر وتجر وقرا نافع وعاصم وحمزه والكسائي ومن المعز بسكون العين وهو جمع ماعز وماعزه والباقون بفتح العين كخادم وخدم ونصب اثنين على انه بدل من ثمانيه قل االذكرين الهمزه في الذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز نصب الذكرين بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تاره واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطه تاره وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وقيل هذا التقسيم على الكفار حتى تبين كذبهم على الله اي لا بد ان يكون حرم الذكر فيلزمكم تحريم جميع الذكور او الانثيين فيلزمكم تحريم الجميع وانتم لم تلتزموا سيما توجه هذا التقسيم وفي هذه الاية السوال تقريع وتقرير ثم اتبع تقريعهم بقوله نبوني اي خبروني بامر معلوم من جهة الله ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهدا بل اكنتم شهدا ومعنى الهمزه الانكار

يعني ام شاهدتم الله حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول
الله وهم يقولون ان الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء اي انكم لا تؤمنون برسول
فكيف عرفتم ذلك الا عرفتم التوصية به بطريق المشاهدة بان كنتم شهداء فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس قال ابن عباس هو عمرو بن لحي الذي غير شريعة اسمعيل وبحر
البحاير وسيب السوايب والاولى ان يحمل على كل من فعل ذلك لان اللفظ عام والعلة المقتضية لهذا الحكم
عامة فالتخصيص تحكم قيل اذا ثبت ان من افترى على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد
الشديد فمن افترى على الله الكذب في مسايل التوحيد ومعرفة الذات والصفات وفي النبوات
والملايكة كان وعيده اشد ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي اوليك المشركين اي لا ينقلهم
من ظلمات الكفر الى نور الايمان قال صاحب الكشاف فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم
يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل
من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج
على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد **قوله تعالى**
قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس
او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك
جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين لما بين فساد طريق اهل الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح فيما يحل
ويحرم قرا ابن كثير وحمزة الا ان تكون بالتاء ميتة بالنصب على تقدير الا ان تكون العين او النفس
او الجثة ميتة وابن عامر بالتاء ميتة بالرفع على معنى الا ان تقع او تحدث ميتة والباقون بالياء ميتة بالنصب
اي الا ان يكون الماكول او الموجود ميتة لما بين الله ان التحليل والتحريم لا يثبت الا بالوحي قال
قل لا اجد فيما اوحي الي محرما تنبيها على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس وامر الله
الرسول بان يقول لا اجد فيما اوحي الي تنبيه على ان بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وثبوت
نبوته بالمعجزات القاهرة والبينات الظاهرة لا يثبت تحليل شي ولا تحريمه الا بالوحي اليه ولا اعتبار
بعد بعثته بتحريم شي وتحليله في شريعة اخرى اذا كانت مخالفة لما اوحي اليه وهذه الاية
نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شي محرم غير هذه الاشياء ثم نزلت سورة المايدة بالمدينة
وزيدت في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فان هذه وان كانت في حكم الميتة
فكان في النظر احتمال ان تلحق بالمذكيات لانها باسباب وليست حتف انفه فلما بين النص الحاقها بالميتة
كانت زيادة في المحرمات ثم نزل تحريم الخمر بوحي معجز على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريم
كل ذي ناب من السباع فهذه كلها زيادات في التحريم ولفظ التحريم اذا وردت على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانها صالحة ان تنتهي بالشي المذكور غاية الحظر والمنع وصالحة ان تقف دون الغاية
في حيز الكراهية فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة المتاولين واجمع الكل منهم عليه ولم يضطرب
فيه الفاظ الاحاديث وامضاه الناس على ادلاله وجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل الغاية
من الحظر والمنع ولحق بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب
الفاظ الحديث واختلفت الامة فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله عليه السلام كل ذي ناب من السباع
حرام وقد نهى رسول الله عن اكل كل ذي ناب من السباع ثم اختلف الصحابة ومن بعدهم

في تحريم ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذي هو الكراهية ونحوها محرما
طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون الشي المحرم ميتة ذكر من المحرمات امورا اربعة
اولها الميتة وثانيها الدم المسفوح وثالثها لحم الخنزير ورابعها الفسق قوله او دما مسفوحا اي
مصبوبا سايلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد
الذبح او فسقا على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق واهل صفة لقوله
فسقا ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل اي لغير الله به فسقا فعلى هذا اهل معطوف على يكون
والضمير راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شي من هذه
المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان الله غفور
رحيم لا يواخذه وعلى الذين هادوا لما ذكر الله عز وجل ما حرم على امة محمد صلى الله عليه وسلم اعقب ذلك
بذكر ما حرم على اليهود لما في ذلك من تكذيبهم في قولهم ان الله لم يحرم علينا شيا وانما حرمنا على انفسنا
ما حرمه اسرايل على نفسه ذي ظفر والحيوان الذي هو غير منفرج الاصابع مثل الابل والنعام
والاوز والبط وقيل هو الابل فقط وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وكان
بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل على ذلك قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك
من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه
وكل شي منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى الا
ما حملت ظهورهما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما او الحوايا او اشتمل على الامعاء وقيل الحوايا المباعر
قيل الحوايا جمع حوية على وزن فعيلة فوزن حوايا على هذا فعايل كسفينة وسفاين وقيل هو
جمع حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل كضارب وضوارب وقيل جمع حاويا فوزنها
على هذا ايضا فواعل كقاصعا وقواصع والحوية ما تحوي في البطن واستدار وهي المصارين
والحسوم ونحوها او ما اختلط بعظم مثل شحم الالية وقيل الحوايا عطف على ما في قوله الا ما حملت
فهي في موضع نصب عطفا على المعطوف بالاستثنا وقيل معطوف على الظهور كانه قال الا ما حملت
ظهورهما او حملت الحوايا وقيل عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين
ذلك جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم واستعصاهم على الانبيا وانا لصادقون
في اخبارنا عن اليهود وعما حرمنا عليهم من الشحوم واللحوم قال صاحب الكشاف فيما اوعدنا به العصاة
لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب
فان كذبوك بما اخبرت به ان الله حرمه وقالوا لم يحرم الله علينا شيا وانما حرمنا ما حرم اسرايل
على نفسه وقيل فان كذبوك في ادعا الرسالة والنبوة وتبليغ هذه الاحكام فقل يا محمد على جهة
التعجب من حالهم والتعظيم لفريتهم في تكذيبهم لك مع علمهم بحقيقة ما قلت ربكم ذو رحمة واسعة
لا يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جرمكم ثم اعقب هذه المقالة بوعيد في قوله ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين الذين كذبوك فكانه قيل ولا تغتروا ايضا بسعة رحمته فان له باسا لا يرد عن المجرمين
اما في الدنيا واما في الاخرة قال صاحب الكشاف فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة
وانه لا يواخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته
ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته
قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من شي كذلك كذب

الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون
قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين لما حكى الله عن اهل الشرك اقدامهم على الحكم في دين الله
بغير حجة ولا دليل حكى عنهم عذرهم في كل ما يقدمون عليه من الكفر والتكذيب فيقولون
لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء مما حرمنا من البحاير والسوايب وغير ذلك
لانه قادر ان يحول بيننا وبين ذلك حتى لا نفعله ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الاصنام وتحريم
الحرث والانعام واراده منا فقال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم كذلك كذب الذين من
قبلهم فانهم قالوا لما كان الكل بمشية الله وتقديره كان التكليف عبثا فكانت دعوى الانبيا باطله
ونبوتهم ورسالتهم باطله ثم انه تعالى بين ان التمسك بهذا الطريق في ابطال النبوه باطل لانه
اله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد في فعله فهو تعالى يشا الكفر من الكافر ومع هذا
يبعث اليه الانبيا ويامره بالايمان وورود الامر على خلاف الاراده غير ممتنع فالحاصل انه
تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشية الله في ابطال نبوة الانبيا ثم بين ان هذا الاستدلال
باطل اذ لا يلزم من ثبوت المشية لله في كل الامور دفع دعوة الانبيا قيل كذلك كذب الذين من
قبلهم من كفار الامم الخالية حتى ذاقوا باسنا عذابنا فكذبهم في قولهم ان الله رضي منا ما نحن عليه
لانه لو كره ورضي واراد غيره لحال بيننا وبينه والدليل على ان التكذيب ورد في هذا لا في قولهم
لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم لانه لو كان كذلك لكان خبرا من الله تعالى
عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فقال كذلك كذب الذين من قبلهم بتخفيف الذال
وكان نسبتهم الى الكذب لا الى التكذيب وقيل ان الله تعالى ما كذب المشركين في قولهم
لو شاء الله ما اشركنا وليس في ذلك حجة لهم ولا شي يقتضي تكذيبهم ولكن كذلك كذب الذين من
قبلهم نحو هذه الشبهه من ظنهم ان ترك الله لهم دليل على رضاه بحالهم وفي قوله حتى ذاقوا باسنا
وعيد بين وليس في الاية رد منصوص على قولهم لو شاء الله ما اشركنا وانما ترك الرد عليهم لوضوحه
وقيل لو اخبروا بهذه المقالة تعظيما واجلالا لله لما عابهم ذلك لان الله قال
ما كانوا الا ان يشا الله وقال ولو شا لهداكم اجمعين والمومنون يقولون هذا ولكن المشركين
قالوا ذلك تكذيبا وتخرصا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله تعالى وقالوا لو شا
الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون
فقولهم هذا من غير علم منهم بالله والمومنون يقولون بعلم منهم بالله ثم قال قل هل عندكم
من علم من حجة على ما تقولون فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن من غير علم ويقين وان انتم
الا تخرصون ثم اعقب امر نبيه صلى الله عليه وسلم بتوقيف المشركين على موضع عجزهم بامره اياه
ان يقول مبينا مفصحا فلله الحجة البالغة غاية المقصد في الامر الذي يحتج عليه ثم اعلم
بانه لو شا لهدى العالم باسرهم قال صاحب الكشاف سيقول الذين اشركوا اخبار
بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شا الرحمن ما عبدناهم يعنون بكفرهم
وتمردهم ان شركهم وشرك ابائهم وتحريمهم ما احل الله بمشية الله وارادته ولولا مشيته لم يكن شي
من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاوا بالتكذيب المطلق
لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراته من مشية
القبايح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبايح من الكفر والمعاصي بمشيه
الله وارادته فقد كذب التكذيب وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع

تعالى

ورآها

حتى ذا

حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب تهكما بهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح
الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون
له حجه ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما
تزعمون قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة البالغة
عليكم على رد مذهبكم فلو شا لهداكم اجمعين ومن خالفكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشية
الله يقتضي ان تعلقوا دين من خالفكم ايضا بمشيته فتوالوهم ولا تعادوهم
وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشية تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه ولما كان بطلان
ما ذكره معلوم مما سبق نختصر عليه ولا نطول الكلام **قوله تعالى** قل هلم شهداءكم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهوا الذين كذبوا باياتنا والذين لا يومنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون انه تعالى لما ابطل على الكفار جميع انواع حججهم بين انه ليس لهم على قولهم
شهود البتة هلم كلمة دعوة الى الشي يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث عند الحجازيين
وبنو تميم تونث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم والمعنى فلهاتوا شهداءكم على تحريم الله
ما زعمتم انه تعالى حرمه ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فان شهدوا اي ان افترى لهم احد وزور
شهادة او خبر عن نبوة ونحو ذلك فتجنب انت ذلك ولا تشهد معهم وفي قوله فلا تشهد معهم
قوة وصف شهادتهم بنهاية الزور وقيل ان الله بين باستدعا اقامة الشهدا من المشركين ان لا شاهد
لهم على تحريم ما حرموه ثم قال فان شهدوا فلا تشهد معهم تنبيها على كونهم كاذبين قال صاحب
الكشاف فان قلت كيف امرهم باستحضار شهدائهم وهم شهدا بالباطل قلت ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر
ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهدا انهم ليسوا على شي لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم
في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا
تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهوا
الذين كذبوا باياتنا والاصل ولا تتبع اهواهم وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان من كذب
بايات الله وعدل به فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الحجة لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله فان قيل
هلا قيل قل هلم شهدا يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين قوله شهداءكم الذين
يشهدون اجيب بان المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون
قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به
فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيفت الشهدا لذلك وجي بالذين للدلالة على انهم شهدا معروفون
موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم
والذين لا يومنون بالاخرة عطف نعت على نعت كما يقال جاني زيد العالم والعاقل وقيل
وقيل نزلت في الدهرية من الزنادقة وهم بربهم يعدلون اي يجعلون اندادا يسوونهم به
وان كانت في الزنادقة فعدلهم عن هذا **قوله تعالى** قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الا تشركوا به شيا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم
ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون انه تعالى لما بين فساد ما يقوله الكفار ان الله حرم علينا
كذا وكذا اردفه ببيان الاشيا التي حرمها الله عليهم وهي الاشيا المذكورة في هذه الايه
هذا امر من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يتلو عليهم ما حرم الله على جميع المكلفين

وانما خصصهم بالذكر لاعتقادهم خلافه تعالوا معناه اقبلوا واصله من العلو قال صاحب
الكشاف تعالى من الخاص الذى صار عاما واصله ان يقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل
منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم فكان الدعا لما كان امرا من الداعين استعمل فيه ترفيع المدعو اتلو اقرا من
التلاوه التى هى اتباع بعض الحروف بعضا ما حرم منصوب بقوله اتل اى اتل الذى حرم عليكم
ويجوز ان يكون قوله اتل معلقا عن العمل وما بمعنى اى شى ويكون منصوبا بحرم بمعنى اقل اى
شى حرم ربكم لان التلاوه من القول وان فى ان لا تشركوا مفسره ولا للنهى قيل ان مصدريه وان
لا تشركوا فى محل النصب بانه بدل من ما حرم ووجه هذا بانه حينئذ يجب ان يكون لا للنفى اذ لا يجوز
ان يكون للنهى لان الناصب والجازم يمتنع اجتماعهما فى فعل واحد واذا كان للنفى ولعدم امر
يلزم عطف الطلبى على غيره وانه غير مستحسن فوجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تتبعوا السبل
نواهى لانعطاف الاوامر عليها وهى قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين
احسانا واوفوا اذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت هذا المحذور وهو عطف الخبرى
على الطلبى متحقق فانه من جمله المعطوفات قوله وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه فمن قرا بالفتح
وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هى الناصبه للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم
نفى الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطى مستقيما اجيب بان الواو ليست
عاطفه بل هى استينافيه والجمله معترضه موكده لمضمون الجمل وان هذا صراطى مستقيما
علقه للاتباع بتقدير اللام لقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان
هذا صراطى مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراه بالكسر كانه قيل فاتبعوا صراطى لانه مستقيم
او واتبعوا صراطى فانه مستقيم فان قيل اذا جعلت ان مفسره لفعل التلاوه وهو معلق بما حرم ربكم
وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك لوجوب اشتراك النواهى والاوامر
فى التحريم اجيب بانه لما وردت هذه الاوامر مع النواهى وتقدمهم جميعا فعل التحريم
واشتركن فى الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهى الاساه للوالدين
وبخس الكيل والميزان وترك العدل فى القول ونكث عهد الله تعالى عن كعب الاحبار
هذه الايات هى مفتتح التوريه بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الى اخرها وعن ابن عباس هذه الايات هى المحكمات التى ذكرها الله فى سوره ال عمران
اجمعت عليها شرايع الخلق ولم تنسخ قط فى مله وقد قيل انها العشر الكلمات المنزله على موسى
ولا تقتلوا اولادكم نهى عن عاده العرب فى واد البنات من املاق من اجل فقر نحن نرزقكم
واياهم لانه تعالى متكفل برزقكم ورزقهم عند وجود الفقر فكما وجب على الوالد تبقيه نفسه
والاتكال فى رزقها على الله فكذلك الحال فى حال الولد ولا تقربوا الفواحش نهى عام عن جميع
الفواحش وهى المعاصى ما ظهر منها وما بطن يستوفيان اقسام ما جعلت له من الاشيا وقيل
ان القصد بهذه الايه اشيا مخصصات قال السدى لابن عباس ما ظهر هو زنا الحوانيت
المشهور وما بطن هو متخذات الاخدان وكانوا يستقبحون المشهور وحده فحرم الله الجميع
وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما بطن هو الزنا وقال مجاهد ما ظهر هو نكاح حلايل الابا
ونحو ذلك وما بطن هو الزنا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله داخل فى جمله الفواحش
افرده بالذكر للتعظيم وللاستثنا الذى لا يتاتى فى جميع الفواحش الا بالحق الذى يوجب
قتله وهو الكفر بالله وقتل النفس والزنا بعد الاحصان والحريه وما تشعب من هذه

قال عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى خصال بعد ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان
وقتل نفس بغير حق والقران دل على سبب رابع وهو المذكور فى قوله تعالى انما جزا الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا الايه ذلكم اشاره الى هذه المحرمات وصاكم لما ذكر هذه
المحرمات اتبعه باللفظ الذى يقرب الى القلب القبول لما فى الوصيه من اللطف والرافه ثم اتبعه بقوله لعلكم
تعقلون اى لكى تعقلوا فوايد هذه التكاليف ومنافعها فى الدين والدنيا **قوله تعالى** ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها
واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون انه تعالى ذكر فى
الاية الاولى خمسه انواع من التكاليف وهى امور جليه لا حاجة فيها الى الفكر والاجتهاد ثم ذكر فى هذه
الايه اربعة انواع من التكاليف يحتاج فى معرفتها الى الاجتهاد منها قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتى هى احسن نهى عن القرب الذى يعم وجوه التصرف وفيه سد الذريعه الا بالتى هى احسن
ثم استثنى ما يحسن وهو التثمير والسعى فى نمايه وقيل هى التجارة فيه ثم ان كان فقيرا محتاجا فليأكل بالمعروف
ان كان غنيا فالاحتراز عنه اولى والسعى فى نمايه وقيل هى التجارة فيه والاشد جمع شد او جمع شد
والشد القوه والجلاده وفسر بلوغ الاشد هاهنا بالاحتلام بشرط ان يونس منه الرشد وقيل بلوغ
الاشد ثلثون سنه وقيل ثلث وثلثون سنه وقيل ثمانيه عشر سنه وقيل الاشد هاهنا من خمسة عشر
الى ثلثين واوفوا الكيل وفى الشى ابلغ تمام الكمال واوفوا الكيل اتموه ولا تنقصوا منه شيا والميزان
اى الوزن بالميزان بالقسط بالعدل لا بخس ولا نقصان فيه فان قيل ايفا الكيل والميزان عين القسط فما الفايده فى
التكرير قلنا امر الله المعطى بايفا ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب
الزياده لا نكلف الله نفسا الا وسعها لما كان مراعاة الحد من القسط الذى لا زيادة فيه ولا نقصان
مما يجرى فيه الحرج اتبع الامر بايفا الكيل والميزان بقوله لا نكلف الله نفسا الا وسعها اى التكليف لا يتجاوز
الوسع فان ما وراه معفو عنه ومن التكاليف المذكوره فى هذه الايه قوله واذا قلتم فاعدلوا وهذا
ايضا من الامور التى يحتاج الى الاجتهاد واذا قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادات والاحكام والتوسط بين
الناس ويدخل فيه كل ما يتصل بالقول فيدخل فيه ما يقوله المرء فى الدعوه الى الدين وتقرير الحجه
بان يذكرها ملخصه عن الحشو والزياده بالفاظ مفهومه معتاده قريبه من الافهام عن القدر الواجب
ويدخل فيه الحكايات التى يذكرها الرجل لا يزيد ولا ينقص عنها ومن جملتها تبليغ الرسالات
عن الناس فانه يجب ان يوديها من غير زياده ولا نقصان ويدخل فيه حكم الحاكم بالقول ولو كان ذا قربى
ولو كان المقول له او عليه فى شهاده او غيرها من اهل قرابة القايل فما ينبغى ان يزيد فى القول
او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ومنها قوله وبعهد الله اوفوا وهذا
ايضا من التكاليف التى يحتاج الى الاجتهاد لان الرجل قد يحلف مع نفسه فيكون ذلك الحلف
خفيا ويكون بره وحنثه ايضا خفيا ثم ذكر تعالى بعد هذه الانواع قوله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون جعل
خاتمة الايه المتقدمه بقوله لعلكم تعقلون لان التكاليف المذكوره فيها امور جليه فوجب تعقلها وتفهمها
وخاتمة هذه الايه بقوله لعلكم تذكرون لانها تحتاج الى الاجتهاد والفكر والتذكر حتى يطلع على
محله الاعتدال قرا حمزه والكساى وحفص عن عاصم تذكرون بالتخفيف والباقون بتشديد الذال
فى كل القران بمعنى واحد **قوله تعالى** وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون قرا ابن عامر وان هذا بفتح الالف وسكون النون
وصراطى مفتوحه اليا وابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو بفتح الهمزه وتشديد النون وصراطى ساكن اليا

خفيه
ح

وحمزه والكسائي وان بكسر الالف وتشديد النون واما من فتح الالف فالمعنى عنده كانه قال ولان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ويكون الواو على هذا انما عطف جمله على جمله قبل ويحتمل ان يعطف ان على ان لا تشركوا كان
المحرم من هذا الاتباع السبيل والتبكيت عن الصراط المستقيم ومن قرا بتخفيف النون عطف على قوله ان لا تشركوا
ومذهب سيبويه انها المخففه من الثقيله وان التقدير وانه هذا صراطي ومن قرا بكسر الالف وتشديد النون
فكانه استانف الكلام وقطعه من الاول وقرا ابن كثير وابن عامر سراطي بالسين وحمزه بين الصاد والزاي والباقون
بالصاد انه تعالى بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به واجمل في اخرها اجمالا يقتضي دخول ما تقدم فيه
ودخول ساير الشريعه فيه فقال وان هذا صراطي مستقيما فدخل فيه كل ما بينه الرسول من دين الاسلام
وهو المنهج القويم والصراط المستقيم فاتبعوه جملته وتفصيله ولا تعدلوا فتقعوا في الضلالات
وعن ابن مسعود ان الله جعل طريقا صراطا مستقيما طرفه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنه
وتشعب منه طرق فمن سلك الجاده نجى ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار وعنه ايضا خط
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله
خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرا هذه الايه قيل من حيث كانت المحرمات
الاول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العباره لعلكم تعقلون والمحرمات الاخر شهوات وقد يقع
فيها من العقلاء من لم يتذكر جاءت العباره لعلكم تذكرون ومن حيث ان ركوب الصراط المستقيم يتضمن فعل
الفضايل والاجتناب عن الرذايل جاءت العباره لعلكم تتقون **قوله تعالى** ثم اتينا موسى الكتاب تماما
على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمه لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ثم اتينا معطوفا على وصاكم به
فان قيل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصيه بدهر طويل اجيب بان هذه التوصيه قديمه لم
تزل يوصى بها كل امه على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم
وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب فانزلنا هذا الكتاب المبارك
وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السوره من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقيل التقدير ثم
اني اخبركم بعد تعديد المحرمات وغيرها من الاحكام انا اتينا موسى الكتاب فذكرت كلمه ثم لتاخير
الخبر لا لتاخير الواقعه تماما على الذي احسن معناه تماما للكرامه والنعمه على الذي
احسن الطاعه في التبليغ في كل ما امر به وقيل تماما على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين
وقيل تماما على موسى اي تتمه الكرامه على العبد الذي احسن الطاعه في التبليغ وفي كل ما امر به وقيل
تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرايع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زياده على علمه
على وجه التتميم وقيل اتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب اي على الوجه
والطريق الذي هو احسن وتفصيلا لكل شيء يحتاج اليه من شرايع الدين وهدى ورحمه لعلهم اي لكي يؤمنوا
بلقاء ربهم اي لقاء ما وعدهم الله من ثواب وعقاب وبالبعث الذي الايمان به نهايه تصديق الانبياء اذ لا
يستقل العقول بذواتها وانما يثبت بالسمع مع تجويز العقل له **قوله تعالى** وهذا كتاب انزلناه
مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن
دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينه من ربكم وهدى
ورحمه فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا
يصدفون هذا اشاره الى القران مبارك لانه لا يتطرق اليه النسخ كما في الكتابين وقيل كثير الخير
والنفع والبركه والزياده والنمو فاتبعوه واعملوا به واتقوا امر التقوى في جميع الاشيا لعلكم ترحمون
ولا تعذبون ان تقولوا في موضع نصب والعامل فيه انزلناه والمعنى انزلناه كراهيه ان تقولوا وقيل

القايل فيه قوله واتقوا فكانه قال واتقوا ان تقولوا كذا الا انه لا حجه لهم فيه والاول يتسق نظم الايه
وهذا تعرض فيه قلق لقوله انما ذلك لعلكم ترحمون على طائفتين عن دراستهم على ان الضمير المنصوب المحذوف
الذي هو اسمه ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم وقيل ان هي النافيه واللام بمعنى
الا فكانه قال وما كنا عن دراستهم الا غافلين ومعنى هذه الايه ازاله الحجه عن مشركي قريش وساير العرب
بانهم لم يكن لهم كتاب فكانه قال وهذا القران يا معشر العرب كتاب مبارك انزلناه لئلا تقولوا انما انزلت
التوريه والانجيل بغير لساننا على غيرنا ونحن لم نعرف ذلك فهذا كتاب بلسانكم انزلناه على رجل منكم قوله او
تقولوا جمله معطوفه على الجمله الاولى وهي في غرضها من الاحتجاج على الكفار وقطع تعلقهم في الاخره
بان الكتب انما نزلت على غيرهم وانهم غفلوا عن دراستهم وانهم لو نزل عليهم كتاب لكانوا اسرع الى الهدى من
الناس كلهم فقطع احتجاجهم فقيل لهم قد جاءكم بيان من الله وهدى ورحمه اي بيان فيما يعلم سمعا وهدى فيما
يعلم سمعا وعقلا ولما تقرر ان البينه قد جاءت والحجه قد قامت حسن بعد ذلك ان يقع التقرير بقوله فمن اظلم ممن
كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدف وحاد وزاغ واعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء
العذاب لقوله والذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب **قوله تعالى** هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملايكه او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون انه تعالى لما بين انه انما انزل الكتاب ازاله
للعذر وازاحه للعله بين انهم لا يؤمنون البته ذكر ما يدل على الياس عن ايمانهم هل ينظرون اي ينتظرون
والضمير فيه للطائفه الذين قيل لهم قبل فقد جاءكم بينه من ربكم فهم العادلون بربهم من العرب الذين نزلت
اكثر ايات السوره في جدالهم والملايكه ملايكه الموت الذين مع عزرائيل وقيل ملايكه العذاب وقيل
الملايكه الذين يتصرفون في قيام الساعه وقرا حمزه والكسائي ياتيهم بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق
او ياتي ربك لا يجوز حمله على ظاهره وقيل ياتي ربك بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامه
وقيل ياتي امر ربك كقوله اتى امر الله وقيل ياتي عذاب ربك الذي يسلطه الله في الدنيا على من يشاء من عباده
كالصيحات والرجفات والخسف ونحوه وقيل او ياتي كل ايات ربك بقرينه قوله او ياتي بعض ايات
ربك يريد ايات القيامه والهلاك الكلي فعلى كل تاويل انما هو على حذف المضاف وانما حذف المضاف
تهويلا للامر وتعظيما له او ياتي بعض ايات ربك يريد اشراط الساعه ذكرا ولا ما يدل على عظم الامر
ثم توعدهم بما يدل على الفظاعه من اشراط الساعه دون ان يخص من ذلك شرطا يريد بذلك الابهام
الذي يترك السامع حيران وقيل طلوع الشمس من مغربها لانه قال بعد ذلك يوم ياتي بعض ايات ربك
والاثار الصحاح في البخاري ومسلم ثبتت ان الايه التي معها هذا الشرط هي طلوع الشمس من المغرب وقيل
بعض ايات ربك اشاره الى غرغره الانسان عند الموت او ما يكون مشابها لمن لا يغرغر ففي الحديث ان توبه
العبد تقبل ما لم يغرغر وهذا مجمع عليه فان من غرغر وعاين هو في عداد الموتى ووقوع الامر في هذه الحاله
من ايات الله فمقصد هذه الايه تهديد الكافرين باحوال لا يفارقونها كانه قال هل ينظرون مع اقامتهم
على الكفر الا الموت الذي لهم بعده اشد العذاب والاحداث المعهوده لله عز وجل او الايه التي ترفع
التوبه ويعلم بقرب القيامه وقيل يجوز ان يريد بقوله او ياتي بعض ايات ربك جميع ما يقطع بوقوعه
من اشراط الساعه ثم خص بعد ذلك بقوله يوم ياتي بعض ايات ربك الايه التي ترفع التوبه معها وقد دلت الاحاديث
انها طلوع الشمس من مغربها عن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعه اذ اشرف علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعه قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات
الدخان ودابه الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيره العرب والدجال وطلوع الشمس

من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن لا تنفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
صفة لقوله نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات
ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تكن امنت من قبل
ظهور الايات او لم تكن كسبت في ايمانها خيرا قبل ذلك قال صاحب الكشاف فلم يفرق كما ترى
بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقتها ولم تكسب في
ايمانها خيرا ليعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان ينفك احديهما
عن الاخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد والا فالشقوة والهلاك وقيل معنى الاية هل ينظرون
الا ان يأتيهم عذاب الدنيا بنزول الملائكة او عقاب من الله يستأصل ساقتهم كما فعل بالمكذبين
من الامم السالفة او يأتي عذاب الاخرة وبأسها بان يأتي بعض قوارعها فحينئذ تفوت تلك الفرصة
السابقة فلا ينفعهم شيء قط مما كان ينفعهم من قبل من الايمان او العمل الصالح مع الايمان فكانه قيل
يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها او كسبها في ايمانها حينئذ لم تكن امنت قبل او كسبت
في ايمانها خيرا من قبل ففي الاية لف لكن حذف احدى القرينتين باعانة النشر كما في قوله ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا قيل في قول صاحب الكشاف فلم يفرق فيه بحث لانه
يريد ان هذه اسناد الى نفسين احديهما لم تكن امنت من قبل لكن لم تكن كسبت في ايمانها خيرا
والاسناد الى نفس متصفة باحد هذين الامرين الاول انها لا امنت الثاني انها امنت لكن ما كسبت
في ايمانها خيرا وليس كذلك بل هو اسناد الى نفس انتفى عنها هذان الوصفان اي لم يكن لها قبل ذلك
الايمان ولا كسب الخير في الايمان فكانه قيل ما امنت ولا كسبت في ايمانها خيرا الا ما عرف ان او
بعد انتفاء الامرين في النفي ولا يكون مخالفا لوضعها لان ذلك شيء عرض لوقوعه في سياق النفي
لان انتفاء احد الامرين انما هو بشمول العدم ولان نقيض الايجاب الجزئي السلب الكلي فيكون
معنى الاية انه لا كسب الخير في الايمان ولا الايمان فيفيد انه لو كان الايمان قبل ذلك لنفعه ذلك
الايمان وان لم يكن كسب خيرا في ذلك الايمان وما كان الله ليضيع ايمانكم فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره قل انتظروا انا منتظرون وعيد وتهديد اي تبشرون بمن يحق كلامه ويصح ما اخبر به
قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما
كانوا يفعلون قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالالف اي تركوه والباقون فرقوا بالتشديد اي الرأي
اي امنوا ببعض وكفروا ببعض ومعنى القراتين عند التحقيق واحد لان الذي آمن ببعض وكفر
ببعض فقد فارقه في الحقيقة قيل الذين هم اليهود والنصارى اي فرقوا دين ابرهيم الحنيفية
واضيف الدين اليهم من حيث كان ينبغي ان يلتزموه اذ هو دين الله الذي الزمه العباد فهو دين جميع
الناس بهذا الوجه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها وفيه حض للمسلمين على الائتلاف
ورفع الاختلاف لست منهم في شيء من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق
وقيل انت منهم بري وهم منك براء وتأويله انك بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب
اللازم على تلك الاباطيل مقصور عليهم ولا يتعداهم وقيل لست من قتالهم في شيء قيل لم يؤمر بقتالهم
فلما امر نسخ وهذا بعيد لان المعنى لست من قتالهم في شيء في هذا الوقت فورود الامر بالقتال
في وقت اخر لا يقتضي النسخ انما امرهم الى الله فيما يفعل بالامهال والاهلاك والاستيصال
ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فيه وعيد **قوله تعالى** من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قيل الحسنة لا اله الا الله فله عشر امثالها على

اقام صفة الجنس مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وانما لم تعل عشرة والمثل مذكر لانه
مضاف الى مؤنث اي الحسنة ومن جاء بالسيئة اي بالشرك فلا يجزى الا مثلها اي لا جزاء يساويها ويوازيها
وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم والمثل والامثال انما تحقق
بوضع الشرع وحكمه ونحن ناخذه على سبيل التعبد وقيل هذا عام في جميع الحسنات والسيئات
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاعمال ست موجبة وموجبة ومضعفة ومضعفة ومثل ومثل
فلا اله الا الله توجب الجنة والشرك يوجب النار ونفقة الجهاد تضعف الى سبع مائة ضعف
والنفقة على الاهل حسنتها بعشرة والسيئة جزاؤها مثلها ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة
مثلها وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبع مائة ووعد ثوابا بغير حساب
ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وعن ابي ذر قال حدثني الصادق المصدوق
ان الله تعالى قال الحسنة عشرا وازيد والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلب احاده اعشاره ومن
لقيني بقراب الارض خطيئة ثم لا يشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة وعن ابن عمر وابن عباس هذه للاعراب
ولاهل البدو فاما اهل القرى فقال وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما واقلها سبع مائة
ضعف وعن سفيان الثوري لما نزل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال صلى الله عليه وسلم رب
زد امتي فنزلت مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة قال رب زد امتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال رب زد امتي
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب **قوله تعالى** قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا
قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين لما بين الله تعالى انواع الادلة في التوحيد والعدليين
ابطال الشرك وبالغ في تقرير اثبات القضاء والقدر ورد على اهل الجاهلية في اباطيلهم امر النبي صلى الله عليه
وسلم بالاعلان بشريعته ووصفها بما هي عليه من الحسن والفضل والاستقامة وهداني اي خلق الهدى
في قلبي دينا منصوب على البدل من محل الصراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله تعالى ويهديك
صراطا مستقيما وقيل منصوب بهدى اي المقدر الذي يدل عليه هداني الاول وهذا اضمار انما
فصل وحده دون ان يحتاج الى اضمار الحال اذ هو يصل بنفسه الى مفعوله الثاني وبحرف الجر نحو فعل
متردد وقيل نصب دينا بفعل مضمر تقديره عرفني دينا وقيل تقديره فاتبعوا دينا او فالزموا دينا
وقيما نصب نعت للدين ومعناه مستقيما معتدلا قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو قيما بفتح القاف
وكسر الياء وتشديدها واصله قيوم فيعل علت كتعليل سيد وميت وهو ابلغ من القائم والباقون
بكسر القاف وفتح الياء على وزن فعل وكان الاصل فيه ان يجي فيه قوما كعوض وحول الا انه شذ
كشذوذ جياد في جمع جواد وهو مصدر بمعنى القيام وصف به للمبالغة ملة ابرهيم عطف بيان
وقيل بدل من الدين وحنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين نفي للنقيصة عنه صلى الله عليه وسلم
والمقصود منه الرد على المشركين ولما عرفه الدين عرفه كيف يقوم به وامره ان يعلن ان مقصده
في خلوته وطاعته من ذبيحة وغيرها مما يتقرب به الى الله وقيل عبادتي وتقربي كله وقيل
وذبحي جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي
وما آتيه في حياتي ومماتي وما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين
خالصة لوجهه وطلبا لرضاه وبذلك امرت من الاخلاص اي امرت بان اقصد وجه الله في
ذلك وان الزم العمل قرأ نافع محياي بسكون الياء ومحياي والباقون بفتح الياء

وانا اول المسلمين من هذه الامه لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته وفي اعلان النبي صلى الله عليه
وسلم بهذه المقاله ما يلزم المومنين التاسي به حتى يلتزموا في جميع اعمالهم قصد وجه الله عز وجل قوله
تعالى قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شي ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى
ربكم مرجعكم فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا
واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تتوقعه في دنياك واخرتك فنزلت هذه الايه
وهي استفهام يقتضي الانكار والتوبيخ والبغي معناه الطلب فكانه قال افيحسن عندكم ان اطلب
الها غير الله الذي هو رب كل شي وما ذكرتم من كفالتكم لا يتم لان الامر ليس كما تظنونه وانما تكسب
كل نفس من الشر والاثم عليها وحدها والحاصل ان قوله اغير الله جواب عن دعايهم له الى عبادة
الهتهم والهمزه للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شي فكل من دونه مربوب ليس في الوجود
من له الربوبيه غيره كما قال قل اغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولا تكسب كل نفس الا عليها
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم تهديد ووعيد فينبيكم فيعلمكم ان
العقاب على اتباع غير الصراط المستقيم بما كنتم فيه تختلفون في امري في قول بعضكم هو ساحر وهو شاعر
وقول بعضكم افترا وبعضكم انما يعلمه بشر وبعضكم اساطير الاولين اكتتبها واللفظ يعم جميع انواع
الاختلافات من الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلايف
الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم
لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته ساير الامم وليس لهم من يخلفهم اذ هم اخر الامم
وعليهم قيام الساعه وقيل جعلكم يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم خلفا الله في ارضه تملكونها وتتصرفون
فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق والعقل والجاه والمال واظهار التفاوت ليس للعجز
او الجهل او البخل لتنزهه عن هذه الاوصاف وانما هو لاجل الابتلا والامتحان على معنى العمل
الذي هو شبيه بالابتلا وهو عمل لو صدر من واحد منا لكان ذلك الابتلا فيما اتاكم من نعمة الجاه
والمال كيف تشكرون تلك النعمه وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان
ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته ووصف العقاب بالسرعه لان ما هو ات على القطع قريب وان
ربك لغفور لمن لم يكفر وقام بشكرها وهذا ترجيه لمن اذنب واراد التوبه واقتران
الوعيد بالوعد كثير تم تفسير سورة الانعام والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة الاعراف مايتان وخمس ايات قال الضحاك وغيره هي مكيه كلها وقال
مقاتل هي مكيه الا ثمان ايات وهي قوله واسالهم عن القريه التي كانت حاضرة
البحر الى قوله واذ نتقنا الجبل فان هذه الايات مدنيه قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم المص
كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمومنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
ولا تتبعوا من دونه اوليا قليلا ما تذكرون تقدم الكلام في تفسير الحروف المقطعه التي في
اوايل السور وذكر اقاويل المتاولين فيها وقد خصها هنا بما قيل ان المص هجا لاسم الله الذي هو
المصور وقيل معناه انا الله الفاصل كتاب مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب انزل
اليك صفة له والمراد بالكتاب السوره فلا يكن في صدرك حرج منه نهي للنبي صلى الله عليه وسلم
ان يبرم او يستصعب من هذا الكتاب او بسبب من اسبابه حرجا ولفظ النهي هو للحرج ومعناه للنبي واصل
واصل الحرج الضيق والحرج هنا يعم الشك والخوف والهم وكل ما يضيق الصدر حرج منه
اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر

حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان
يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينبسط فامنه الله ونهاه
عن المبالاة بهم وقوله فلا يكن في صدرك حرج اعتراض في اثنا الكلام قوله لتنذر متعلق بقوله انزل
اي انزل اليك لانذارك او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم والمعنى فلا يكن في صدرك خوف لتقدر انذارهم
به او فلا يكن في صدرك شك لتقدر انذارهم به لانه اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على
الانذار لان صاحب اليقين شجاع متوكل على ربه متكل على عصمته وذكرى اسم بمعنى التذكير
فيحتمل ان يكون في محل النصب باضمار فعله كانه قيل لتنذر به وتذكر به تذكيرا ويحتمل ان يكون في محل
الرفع عطفا على كتاب الله والتقدير هذه الحروف كتاب وذكرى ويحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف
اي وهو ذكرى للمومنين ويحتمل ان يكون في محل الجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى وفي تقييد
ذكرى بالمومنين كتقييد هدى بالمتقين قال الامام والبحث العقلي فيه ان النفوس البشريه على قسمين
نفوس بليده جاهله بعيده عن عالم الغيب غريقه في طلب اللذات الجسمانيه والشهوات الحيوانيه
فبعثة الرسل في حقهم انذار وتخويف ونفوس شريفه مشرقه بالانوار الالهيه فبعثة الرسل
في حقهم تذكير لان هذه النفوس بمقتضى جواهرها الاصليه مستعده للانجذاب الى عالم القدس
الا انه ربما غشيها غواش من عالم الاجساد فيعرض لها نوع ذهول وغفله فاذا سمعت دعوة الانبياء
واتصلت بها انوار ارواح رسل الله تذكرت مركزها وابصرت منشاها واشتاقت الى ما حصل
هنالك من الروح والريحان فثبت انه انما انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طايفه
وذكرى في حق طايفه والاولى ان يقال ليكون انذارا في حق الكل وذكرى في حق المومنين فان المومن قد
يحتاج الى الانذار قال تعالى انما انت منذر من يخشاها اتبعوا قيل مقدر بقل اي قل اتبعوا ما
انزل الله اليكم فحذف قل لدلالة الانذار عليه وقيل اتبعوا امر يعم النبي صلى الله عليه وسلم وامته
اي اتبعوا القران ولا تتبعوا من دون ربكم اوليا كل ما عبد من دون الله كالاصنام والاحبار
والكهان والنار والكواكب وقيل الضمير في دونه عايد الى ما وقيل الى الكتاب اي ولا تتولوا
من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهوا والبدع ويضلوكم عن دين
الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه ويحتمل ان يكون المعنى ولا تتبعوا من دون دين الله اوليا
قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره قليلا نصب نعت لمصدر نصب بفعل مضمر
اي تذكرون تذكرا قليلا وقيل منصوب بتذكرون بعده وما مزيد لتوكيد القله اي
تذكرون تذكرا في غاية القله وقيل ما في قوله ما تذكرون موصول بالفعل وهي مصدريه قرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر تذكرون بتشديد الذال والكاف
وحمزه والكساي وعاصم في رواية حفص تذكرون بتخفيف الذال وتشديد الكاف وابن
عامر يتذكرون بالياء على الغيبه وروي عنه انه قرا تتذكرون بتاين على مخاطبة حاضرين
قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاها باسنا بياتا او هم قايلون فما كان دعواهم اذ
جاهم باسنا الا ان قالوا ~~يا ويلنا~~ انا كنا ظالمين فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار والتبليغ وامر
القوم بالقبول والمتابعه ذكر في هذه الايه ما في ترك المتابعه والاعراض عنها من
الوعيد كم في موضع رفع بالابتدا واهلكناها خبره ويجوز ان يكون اهلكناها صفة قريه

والخبر في قوله فجاءها باسنا ويصح ان يكون في موضع نصب بفعل مقدر بعدها تقديره وكم اهلكنا من قرية
اهلكناها وقدر الفعل بعدها وهي خبرية تشبيها لها بالاستفهامية في ان لها في كل حال صدر الكلام
وقيل في الاية محذوف والتقدير وكم من اهل قرية او وكم من قرية اهلكنا اهلها يدل عليه قوله
فجاءها باسنا والباس يليق بالاهل وقوله او هم قايلون فعاد الضمير الى اهل القرية والبيات والقايلة
انما يكون للاهل وانما عبر بالقرية لانها اعظم في العقوبة اذا هلك الاهل وقريتهم وقد بين في
اخر الاية بقوله او هم ان البشر داخلون في الهلاك فالاية تتضمن هلاك القرية وهلاك اهلها جميعا
وقيل لا محذوف في الاية والمراد اهلاك نفس القرية لان في اهلاكها اهلاك من فيها سواء كان
اهلاكها بالهدم او الخسف وغيرهما ولانه حينئذ يكون قوله فجاءها باسنا محمولا على ظاهره فجاءها
اي فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا مصدر وقع موقع الحال بمعنى بايتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة
وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا هم قايلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل
فجاءهم باسنا بايتين او قايلين نايمين ظهيرة اي جاءهم باسنا مرة ليلا ومرة نهارا وانما قدر الاهل قبل الضمير في فجاءها
لقوله او هم قايلون فان قيل لا يقال جاءهم باسنا هم قايلون بغير واو اجيب بانه قدر بعض النحويين الواو محذوفة
اي فجاءهم باسنا بياتا او وهم قايلون وانما حذفوها لاستثقالهم نسقا على نسق ورده الزجاج وقال لو قلت
جاءهم باسنا بياتا او هم قايلون او جاءهم باسنا هم قايلون لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول
والصحيح ان الحال اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال
هي واو العطف استعيرت للوصل فقوله فجاءهم باسنا بياتا او هم قايلون كلام فصيح وارد على حده واما قولك
جاءهم باسنا هم قايلون كلام غير مستقيم والقيلولة نومة نصف النهار وقيل القيلولة عند العرب استراحة
نصف النهار اذا اشتد الحر وان لم يكن مع ذلك نوم والدليل عليه ان الجنة لا نوم فيها وقال تعالى اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعنى الاية انهم جاءهم باسنا وهم غير متوقعين له اما ليلا
وهم نايمون واما نهارا وهم قايلون والمقصود انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم
على نزول العذاب فكانه قيل للكفار لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا وقع وقع دفعة
من غير سبق امارة فلا تغتروا وابا حوالكم فان قيل ظاهر قوله اهلكناها فجاءها باسنا يدل على ان الاهلاك
قبل مجيء العذاب لان الاهلاك انما هو بعد مجيء الباس فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا اجيب بان
معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقيل معنى اهلكناها حكمنا بهلاكها
وقيل لو قال اهلكناها فجاءهم اهلكناهم لم يرد السوال فلذا ههنا لان مجيء الباس هو الاهلاك لا يقال
الفا في قوله فجاءهم باسنا فا التعقيب وهو يقتضي المغايرة لانا نقول الفا قد تجي بمعنى التفسير كقوله عليه
السلام لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه لان غسل الوجه
كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذلك ههنا لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بالباس
فذكر الباس تفسيرا للاهلاك وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقت الغفلة
والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب
وقت القيلولة فما كان دعواهم الدعوى الدعا والادعاء اي فما كان دعاءهم واستغاثتهم الا قولهم
انا كنا ظالمين لانه يستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويحتمل فما كان دعاهم ربهم الا اعترافهم
لعلمهم ان الدعا لا ينفعهم وان لات حين دعا فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم وقيل ما كان
ادعاهم اي ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا

ظالمين

ظالمين فيما كنا عليه ودعواهم رفع اسم لكان وان قالوا نصب خبر له ويجوز العكس انه تعالى لما امر الرسول في
الاية المتقدمة بالتبليغ وامر الامة بالقبول والمتابعة وذكر التهديد في ترك القبول والمتابعة بذكر نزول
العذاب في الدنيا اتبعه بنوع اخر من التهديد وهو انه تعالى يسل الكل عن كيفية اعماله يوم القيامة وقيل انه تعالى
لما قال فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين اتبعه بانه لا ينفع يوم القيامة الاقتصار
على ما يكون منهم من الاعتراف بل يضاف اليه انه تعالى يسال الكل عن كيفية اعماله وبين ان هذا
السوال لا يختص باهل العقاب بل هو في اهل العقاب والثواب ارسل مسند الى الجار والمجرور
وهو اليهم ومعناه فلنسالن المرسل اليهم وهم الامم نسلهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسل المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم فلنقصن عليهم الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة
واسرارهم الخفية واقوالهم وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل اذا كانوا
معترفين بانهم كانوا ظالمين فكان الله عالما بذلك وكان يقص عليهم فما معنى سوالهم وسوال
الرسل اجيب بان معنى سوالهم التوبيخ والتقريع ومعنى سوال الرسل انهم اذا اثبتوا انه لم يصدر
منهم تقصير التحق التقصير بكليته بالمرسل اليهم فيتضاعف اكرام الله في حق الرسول لظهور
برايتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار لما ثبت ان
ذلك التقصير كان منهم ولنقصن عليهم بعلم والمراد انه يكرر ويبين للقوم ما اعلنوه واسروه
من اعمالهم وان يبين الوجوه التي لاجلها اقدموا على تلك الاعمال ثم بين انه انما صح منه ان يقص تلك
الاحوال لانه ما كان غايبا عن احوالهم بل كان عالما بها وما خرج عن علمه شي منها وذلك يدل
على ان الالهية لا تكمل الا اذا كان الاله عالما بها وما خرج عن علمه شي منها بجميع الجزييات حتى يمكنه
ان يميز المطيع عن العاصي والمحسن عن المسي وظهر ان كل من انكر كونه تعالى عالما بالجزييات امتنع
منه الاعتراف بكونه امرا ناهيا مثيبا معاقبا ولهذا السبب فانه تعالى اينما ذكر احوال البعث والقيامة
بين كونه عالما بجميع المعلومات **قوله تعالى** والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك
هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون
انه تعالى لما بين انه من جملة احوال يوم القيامة السوال والحساب بين في هذه ان من جملة
احوال يوم القيامة ايضا وزن الاعمال والوزن مبتدا ويومئذ ظرفه والحق خبره وقيل
يومئذ خبره والحق صفته اي والوزن العدل يوم يسال الله الرسل والمرسل اليهم واختلف
في كيفية الوزن فقيل ان الله عز وجل اراد ان يعلم عباده ان الحساب والنظر يوم القيامة
في غاية التحرير ونهاية العدل فمثل لهم في ذلك بالوزن بالميزان اذ لا يعرف البشر امرا
اكثر تحريرا منه فاستعير القضا الحق السوي والحكم العدل ولذلك استعير الثقل والخفة
لكثرة الحساب وقلته وقيل ان الله اراد ان يعرض لعباده يوم القيامة تحرير النظر وغاية العدل
بامر قد عرفوه في الدنيا وعهدته افهامهم فيوزن صحف الاعمال بميزان له كفتان ولسان
ينظر اليه الخلايق قال ابن عباس اما المومن فيوتى بعمله في احسن صورة فيوضع
في كفة الميزان فتثقل حسناته على سياته فذلك قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون الناجون قال وهذا كما قال في سورة الانبيا ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيا واما كيفية وزن الاعمال على هذا القول ففيه وجهان احدهما
ان اعمال المومن تتصور بصورة حسنة واعمال الكافر بصورة قبيحة فيوزن تلك الصورة

كما ذكر ابن عباس و الثاني ان الوزن يعود الى الصحف التي يكون فيها اعمال العباد مكتوبه
وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامه فقال الصحف وهذا القول مذهب
المفسرين في هذه الايه وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن و الانس
يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان على الجنه و الاخرى على جهنم و لو وضعت السموات والارض
في احديهما لوسعتهن وجبريل اخذ بعموده ينظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوتى برجل يوم القيامه الى الميزان و يوتى له بتسعه وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر
فيها خطاياه وذنوبه يوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانمله فيها شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله فتوضع في الاخرى فترجح فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون
اي فمن رجحت اعماله الموزونه التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما يوزن به الحسنات
واما الثقل والخفه فان الاثار تظاهرت بان صحايف الحسنات والسيات توضع في كفتي الميزان
فيحدث الله في الجهه التي يريد ثقلا او خفه على نحو احداثه ذلك في جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وقت نزول الوحي عليه ففي الصحيح من حديث زيد ابن ثابت انه قال لما نزلت حين
نزلت غير اولي الضرر وفخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى كادت ان ترض فخذي
وفي الحديث انه كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته بركت به عجزا عن حمله لثقل الحادث فيه ولا
بد في ان نعلم ان الثقل الحادث مع الحسنات انما يتعلق بجسم اذ العرض لا يوصف بذلك فيجوز ان
يحدث الثقل في الصحايف و الا لا ظهر اثبات موازين في يوم القيامه ميزان واحد يدل عليه قوله
تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامه وقوله في هذه الايه فمن ثقلت موازينه فلا يبعد ان يكون
لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان اخر قيل العرب قد
توقع لفظ الجمع على الواحد وجمع لفظ الميزان اذ في الميزان موزونات كثيره وكانه اراد التنبيه
عليها بجمعه لفظ الميزان وقيل اراد بالموازين الحسنات والسيات فان الموازين هاهنا
جمع موزون لا جمع ميزان وعن الحسن وحق لميزان يوضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان يوضع
فيه السيات ان يخف ومن خفت موازينه هو الكافر لقوله تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم
بما كانوا باياتنا يظلمون ولا معنى لكون الانسان ظالما بايات الله الا لكونه كافرا بها منكرا لها والحديث
الذي رواه ابن عمر قوله تعالى ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال
ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين لما امر الله تعالى الخلق
بمتابعة الانبيا وقبول دعوتهم ثم خوفهم بعذاب الدنيا وهو قوله وكم من قرية اهلكناها وبعذاب
الاخره وهو قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم وقوله والوزن يومئذ الحق رغبهم في قبول
دعوة الانبيا في هذه الايه بطريق اخر وهو انه اسبغ عليهم نعما ظاهره وباطنه وهو يوجب الطاعه
والخطاب لجميع الناس مكناكم جعلنا لكم مكانا وقرارا او مهادا او ملكناكم فيها واقدرناكم على
التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشه وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها
او ما يتوصل به الى ذلك والياء من الاصل فلذلك لا يهمز قليلا نصب بتشكرون وما يحتمل ان يكون لتاكيد
معنى القله ويحتمل ان يكون مصدريه قليلا نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا تشكرون او
تشكرا قليلا تشكرون انه تعالى رغب الخلق في قبول دعوة الانبيا بالتخويف اولا ثم بالتنبيه على
كثرة النعم عليهم فبدا في ذكر تلك النعم بقوله ولقد مكناكم ثم اتبعه بذكر خلق ابيهم ادم وجعله

مسجودا

مسجودا للملايكه والانعام على الاب يجري مجرى الانعام على الاولاد ظاهر قوله ولقد خلقناكم يدل على
ان المخاطبون بهذا الخطاب نحن ثم قال بعده ثم قلنا للملايكه اسجدوا لادم فظاهره يقتضي ان امر
الملايكه بسجود ادم وقع بعد خلقنا وتصويرنا فلهذا اختلف المفسرون في تفسير هذه الايه على اربعة اقوال
الاول يعني خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك يدل على ذلك قوله تعالى ثم قلنا للملايكه اسجدوا
لادم فان قيل كيف يحسن خلقنا وتصويرنا كنايه عن خلق ادم وتصويره اجيب بان ادم اصلنا فيحسن هذه
الكنايه كقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور والثاني خلقنا ذريه ادم في ظهر ادم ثم صورنا
ذريه ادم في ظهره ثم قلنا للملايكه اسجدوا وافاد انه تعالى خلق ادم اولا ثم اخرج اولاده من ظهره في صورة
الذر ثم بعد ذلك امر الملايكه بسجود ادم الثالث خلقناكم ثم صورناكم ثم اخبرناكم انا قلنا للملايكه
اسجدوا لادم فهذا العطف يفيد ترتيب الخبر لا ترتيب المخبر الرابع ان الخلق في اللغه التقدير وتقدير
الله عبارة عن علمه بالاشيا ومشيته لتخصيص كل شي بمقداره المعين فقوله خلقناكم اشاره الى حكم الله وتقديره
لاحداث البشر في هذا العالم وقوله وصورناكم اشاره الى انه تعالى اثبت في اللوح صورة كل كاين
محدث الى قيام القيامه على ما جا في الخبر انه تعالى قال للقلم اكتب ما هو كاين الى يوم القيامه ثم بعد
التقدير والتصوير احدث الله ادم وامر الملايكه بسجوده لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم ما منعك
ان لا تسجد لا في ان لا تسجد صله زايده بدليل قوله في ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
ومثله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وقيل ان كلمة لا هاهنا مفيده وليست لغوا وهذا هو
الصحيح لان الحكم بزيادة كلمه من كتاب الله صعب فعلى هذا القول في تاويل الايه وجهان الاول
ان يكون التقدير اي شي منعك من ترك السجود ويكون هذا الاستفهام على سبيل الانكار ومعناه
ما منعك من ترك السجود كقول القايل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ترك ضربي اديانك ام عقلك
ام حياوك اي لم يوجد احد هذه الامور حتى يمنعك من ضربي الثاني انه تعالى ذكر المنع واراد
الداعي اي ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله حاله عظيمه يتعجب منها ويسال عن الداعي اليها
ويتمسك بهذا لان الامر يقتضي الوجوب والفور فان قلت لم ساله عن المانع من السجود
او الداعي الى تركه وقد علم ما منعه اجيب للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره
باصله وازدرايه باصل ادم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما
روي ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب ولما طلب الداعي الى ترك السجود او المانع
من السجود قال انا خير منه استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بانه خير منه وعلة كونه
خيرا منه وهو ان خلقه الله من نار وخلق ادم من طين فعلم منه الجواب وزياده عليه وهو انكار
الامر واستبعاده ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفه
كان يستبعد ان يومر بما امر به قوله تعالى قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها
فاخرج انك من الصاغرين قال الله تعالى لابليس فاهبط من الجنه فما يصح لك ان تتكبر في
الجنه وتعصي فيها فان الجنه مكان المتواضعين المطيعين فاخرج من الجنه انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان على الله عز وجل وعلى اوليايه وذلك ان ابليس لما اظهر الاستكبار
البس الصغار عن النبي صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وعن
عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انعش نعشك الله ومن تكبر وعدا
طوره وهصه الله الى الارض قوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم قال ابليس عند ذلك انظرني الى يوم يبعثون من قبورهم وهو النفخة الاخيره

عند قيام الساعة اراد الخبيث ان لا يذوق الموت قال الله تعالى انك من المنظرين الموخرين ثم بين
هذه النظرة والمهلة في موضع اخر فقال الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق
كلهم قيل الى يوم الوقت المعلوم المراد منه الوقت المعلوم في علم الله قيل اجيب الى استنظاره وانما
استنظر ليفسد عباده ويغويهم اجيب بانه على اصلنا لا يسال عما يفعل يفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد
قال صاحب الكشاف قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما
خلق في الدنيا من صنوف الزخارف ومن انواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها
عباده **قوله تعالى** قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اي فبسبب اغوايك اياي لاقعدن
لهم ويكون الباء متعلقا بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب
اغوايك اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوايك لاقعدن قال صاحب الكشاف بناء على اصله
وانما اقسم بالاغوا لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا للسعادة الابدية
فكان جديرا بان يقسم به وعلى الوجهين ما مصدرية وقيل ما استفهامية كانه قيل باي شي اغويتني
ثم ابتدا وقال لاقعدن لهم قيل اثبات الالف ما قليل اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية والاغوا
ايقاع الغي في القلب والغي هو الاعتقاد الباطل وذلك يدل على ان ابليس كان يعتقد ان الرشد
والغي من الله تعالى والمعتزلة يفسرون الغي تارة بما ذكر ويقولون هذا قول ابليس واعتقاده ان خالق
الغي والجهل والكفر هو الله ليس بحجة لما امر بسجود ادم ظهر غيه عند ذلك فلهذا اسنده الى الله
تعالى وتارة يفسرون الاغوا باللعن والمعنى بسبب ما لعنتني لاقعدن اي انما لعنتني بسبب
ادم فانا بسبب هذه العداوة القي الوساوس في قلوبهم قال صاحب الكشاف ومن تكاذيب المجبرة
ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه
فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس
افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم
على اضافة القبايح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين ولقايل
ان يقول ان ابليس اسند الاغوا الى الله وهذا حق والذي لا يسنده الى الله جعل في الوجود
فاعلين مختارين اختيار احدهما مخالف لاختيار الاخر ولا شك ان من اسند الاغوا الى الله
تعالى اعلم ممن لا يسنده الى الله لكن لما كان الحق المخالف لمعتقد صاحب الكشاف قرع سمعه
وعجز عن رده شرع في الشتم والشغب لاقعدن اي لاجلسن لبني ادم على طريقك القويم وهو الاسلام
كما يقعد العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب
وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دين
ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ديارك وانما مثل المهاجر
كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فتنكح امراتك
ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقيل طرق مكة ثم لاتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو
في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه من مقدرته وتنسيه صالح اعمال الاخرة
وتغريه بقبيح اعمال الدنيا فعبر عن ذلك بالفاظ تقتضي الاحاطة بهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ثم لاتينهم من بين ايديهم يقول اشككهم في امر اخرتهم ومن خلفهم ارغبهم في امر الدنيا وعن ايمانهم

اشبه

اشبه عليهم امر دينهم وعن شمايلهم اشهي لهم المعاصي وعنه من بين ايديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من امر
اخرتهم وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمايلهم من قبل سياتهم وقال قتادة اتيتهم من بين ايديهم فاخبرهم
انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا عقاب ومن خلفهم من امر الدنيا فازينها لهم وادعوهم اليها وعن ايمانهم
من قبل حسناتهم ابطيهم عنها وعن شمايلهم ازين لهم السيات والمعاصي وادعوهم اليها وقيل ان
في البدن قوى اربعة هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية احدها القوة الخيالية التي يجتمع فيها
مثل المحسوسات وصورها وهي موضوعة في البطن المقدم من الدماغ وصور المحسوسات انما ترد من
مقدمها واليه الاشارة بقوله ومن خلفهم والقوة الثانية القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات
وهي موضوعة في البطن الموخر من الدماغ واليه الاشارة بقوله ومن خلفهم والقوة الثالثة الشهوة وهي
موضوعة في الكبد وهو من يمين البدن والقوة الرابعة الغضب وهي موضوعة في البطن الايسر من القلب
فهذه القوى هي التي يتولد منها احوال مستدعية للحرمان عن السعادات الروحانية وابليس ما لم يستعن بشي
من هذه القوى الاربع لم يتمكن من تحسين القبايح وتزيين المنكرات وقيل لاتينهم من بين ايديهم المراد منه
التنبيه على التشبيه اما في الذوات والصفات مثل شبه المجسمة واما في الافعال مثل شبه المعتزلة
في التعديل والتجريح والتحسين والتقبيح ومن خلفهم المراد منه الشبهات الناشية من التعطيل
وانما جعلنا قوله من بين ايديهم شبهات التشبيه لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات واحوالها
فهي حاضرة بين يديه فيعتقد ان الغايب يشبه هذا الشاهد وانما جعلنا قوله ومن خلفهم كناية عن
التعطيل لان التشبيه ضد التعطيل فلما جعلنا قوله من بين ايديهم كناية عن التشبيه تعين ان يكون قوله
من خلفهم كناية عن التعطيل واما قوله عن ايمانهم المراد منه الترغيب عن الماموريات وعن شمايلهم الترغيب
في فعل المنهيات وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي
وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات
فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون فان قيل كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتدا وعن
ايمانهم وعن شمايلهم بحرف المجاوزة اجيب بان المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما
اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلف في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما نفتش عن صحة موقعها
فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من
جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه
غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن
القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدا الرمي
منها ولذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان
الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل ولا تجد اكثرهم شاكرين اخبر انه سعايته
تفعل ذلك ظنا منه وتوهما في خلقه حين راي خلقه من اشيا مختلفة فعلم انه سيكون لهم شهوة تقتضي طاعته
كالغل والحسد والشهوات ونحو ذلك قال ابن عباس وقتادة الا ان ابليس لم يقل انه ياتي بني ادم من فوقهم
ولا جعل له سبيلا الى ان يحول بينهم وبين رحمة الله وعفوه ومنه وما ظنه ابليس صدقه الله عز وجل ومنه
قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين فجعل اكثر العالم الغفير شاكرين معناه مومنين
لان ابن ادم لا يشكر نعمة الله الا ان يومن **قوله تعالى** قال اخرج منها مذوما مدحورا لمن تبعك منهم

لاملان جهنم منكم اجمعين لما وعد ابليس بالافساد خاطبه الله بما يدل على الزجر والاهانه فقال اخرج من
الجنه منه وما من ذامه اذا ذمه ابلغ الذم مدحورا مطرودا مبعدا يقال دحره دحرا ودحورا اذا طرده
وبعده لمن تبعك اللام موطيه للقسم ومن تبعك شرط ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم اي
منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون **قوله تعالى** ويا ادم اسكن انت وزوجك
الجنه فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجره فتكونا من الظالمين قال تعالى في سورة البقره وكلا منها رغدا
وقال هنا فكلا بالفا والواو تفيد الجمع المطلق والفا تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفا نوع داخل
تحت المفهوم من الواو ولا منافاه بين النوع والجنس **قوله تعالى** فوسوس لهما الشيطان ليبدي
لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجره بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنه وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجره واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وسوس
تكلم كلاما خفيا مكررا وبه سمي صوت الحلي وسواسا وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذيب
ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقي اليه
الوسوسه ومعنى وسوس فعل الوسوسه لاجله ووسوس اليه القاها اليه عن الحسن كان يوسوس
من الارض الى السما والى الجنه بالقوه القويه التي جعلها الله له وقيل كان ادم وابليس في الجنه لان هذه
الجنه كانت بعض جنان الارض وقيل ان ادم وحوا ربما قربا من باب الجنه وكان ابليس جالسا من خارج الجنه
على بابها فيقرب احدهما من الاخر وتحصل الوسوسه هناك ليبدي قيل اللام لام الغرض جعل ذلك غرضا
لابليس ليسوهما اذا رايا ما يوثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العوره من عظايم
الاثام وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول وقيل به والعوره كنايه عن سقوط الحرمه
وزوال الجاه اي غرض ابليس من تلك الوسوسه لادم زوال حرمته وذهاب منصبه وقيل اللام لام العاقبه
كما في قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا لان الشيطان لم يقصد بالوسوسه ظهور عورتهما
ولم يعلم انهما ان اكلا من الشجره بدت عورتهما وانما كان قصده ان يحملهما على المعصيه فقط ولم تقلب الواو
المضمومه في ووري همزه كما في اوصل لان الثانيه مده كالف وارى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره الا ان تكونا
ملكين اي الا كراهه ان تكونا ملكين من الملايكه يعلمان الخير والشر او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون ويبقون
في الجنه سالمين وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين قيل حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المومن
بالله اني لكما لمن الناصحين اي قال ابليس اني خلقت قبلكما وانا اعلم احوال الاشيا من المنافع والمفاسد لا تعرفانها
فامتثلا قولي ارشدكما المقاسمه ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا
ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه كانه قال لهما اقسم لكما انى لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن
الناصحين فجعل ذلك مقاسمه بينهم او اقسم لهما بالنصيحه واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنه
المفاعله لانه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم فدلاهما بغرور فخدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي بغرور
اي ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول اي باطل قال مقاتل فزين لهما الباطل وقيل يعلقهما بغرور
يقال يدل بنفسه دل غيره ولا يكون التدلي الا من علو الى سفل وقيل اصله دللهما فابدل من احدى
اللامين يا وقيل حطهما وخلاهما من تدليه الدلو اذا ارسله في البير فلما ذاقا الشجره اكلا منها
ووصل الى بطونهما بدت ظهرت لهما سواتهما عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما ووري
عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عايشه رضي الله عنها
ما رايت منه ولا راى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار فلما واقعا الذنب سقط عنهما

وبدت سواتهما فاستحييا وقيل نورا يحول بينهما وبين النظر وطفقا اقبلا وجعلا يخصفان يرقعان ويسدان
ويلزقان ورقه فوق ورقه يصلان عليهما من ورق الجنه كما يخصف النعل بان يجعل طرفه على طرفه ويوثق
بالسيور من ورق الجنه قيل كان ورق التين حتى صار كهيئه الثوب وناداهما ربهما الم انهكما عتاب من الله
من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال الله لادم الم يكن لك فيما ابحتك وسخرتك من الجنه مندوحه عن هذه الشجره قال بلى وعزتك ولكن
ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا
فاهبط من الجنه وكانا ياكلان فيها رغدا الى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث
وزرع وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز فاكل فلم يزل حتى بلغ منه ما شا الله ان يبلغ **قوله
تعالى** قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال صاحب الكشاف
سميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاوليا والصالحين
في استعظامهم الصغير من السيات واستصغارهم العظيم من الحسنات **قوله تعالى** قال اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون الخطاب
لادم وحوا وابليس بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار
او موضع استقرار ومتاع وانتفاع تعيش الى حين الى انقضا اجالكم قرا حمزه والكسائي تخرجون بفتح التا
والباقون بضم التا **قوله تعالى** يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى
ذلك خير ذلك من ايات الله لعلهم يذكرون لما بين انه امر ادم وحوا بالهبوط الى الارض وجعل الارض
لهما مستقرا بين بعده انه تعالى انزل كلما يحتاجون اليه في الدين والدنيا ومن جملتها اللباس الذي
يحتاج اليه في الدين والدنيا وذكر واقعة ادم في انكشاف العوره وانه كان يخصف الورق عليهما
اتبعه بان بين انه خلق اللباس للخلق لستر واما عورتهم ونبه به على المنه العظيمه على الخلق بسبب
انه اقدرهم على التستر ومعنى انزلنا عليكم لباسا خلقنا لكم وقيل انزلنا اسبابه والاته فانه انزل
المطر وبالمطر تكون الاشيا التي منها يحصل اللباس والحاصل انه جعل ما في الارض منزلا من السما
لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وريشا اي لباس زينه استعير من ريش الطير
لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباس يواري سواتكم ولباسا يزينكم لان الزينه غرض صحيح
كما قال لتركبوها وزينه ولكم فيها جمال وقيل ريشا مالا يقال تريش الرجل تمول وقيل ريشا جمالا
ولباس التقوى قرا نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على قوله لباسا والباقون
بالرفع على الابتدا وخبره اما الجمله التي بعده ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسما الاشاره
تقرب من الضماير فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفه للمبتدا كانه
قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا يخلو من ان يراد بالاشاره تعظيم لباس التقوى ويجوز ان يكون
ذلك اشاره الى اللباس الذي يواري سواتكم لان مواراة السوه من التقوى تفضيلا له على لباس الزينه
وقيل لباس التقوى الحيا وقيل العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن ذلك اي انزال اللباس من ايات الله الداله
على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمه فيه قال صاحب الكشاف الايه وارده على
سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوات وخصف الورق عليهما اظهارا للمنه فيما خلق من اللباس ولما في
العري وكشف العوره من المهانه والفضيحه اشعارا بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى **قوله
تعالى** يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما انه
يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اوليا للذين لا يومنون المقصود من قصص

الانبيا الاعتبار لمن سمعها فكانه تعالى لما ذكر قصة وبين فيها شدة عداوة الشيطان لادم واولاده
اتبعها بان حذر اولاد ادم من قبول وسوسة الشيطان لا يفتننكم لا يمتحننكم بان لا تدخلوا
الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان
سببا في ان نزع عنهما اي لا يضلنكم ولا يستزلنكم ليبدي عوراتكم للناس في الطواف بطاعتكم اياه
انه يريكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون
عن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة الا من عصمه الله وقبيله جيله وجنوده
وهم الجن والشياطين انا جعلنا الشياطين اوليا اعوانا وقرنا للذين لا يومنون وقبيله معطوف على الضمير المستتر
في يراكم المؤكد بهو والضمير الذي هو اسم ان ضمير الشان **قوله تعالى** واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشا اتقولون على الله ما لا تعلمون الفاحشة ما يبالغ في قبحه
من الذنوب اي اذا فعلوا فاحشة مثل طوافهم بالبيت عراة ويقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف
في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وكانت المراة تضع على قبلها النسعة وتقول اليوم يبدو بعضه
وكله وما بدا منه فلا احله وفي الاية اضمار اي اذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها اعتذروا بان قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها وكلاهما باطل لان الاول تقليد للجهال الضالين والثاني افترا اما الاول
فما ذكر الله عليه جوابا لانه تقرر في عقل كل احد ان تقليد الجاهل باطل واما الثاني فقد امر الله
تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول ان الله لا يامر بالفحشا ثم قال اتقولون على الله ما لا تعلمون لانكم
ما سمعتم من الله بلا واسطة وما نقل من الانبيا الكرام ان الله قد اوحى اليهم به فقولكم والله امرنا بها قول
على سبيل الافترا فقوله اتقولون انكار لاضافتهم الامر بها الى الله وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل
المفرط والافترا **قوله تعالى** قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين
له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اوليا من دون
الله ويحسبون انهم مهتدون لما ذكر انه تعالى لا يامر بالفحشا بين انه امر بالقسط اي بالعدل قال
ابن عباس رضي الله عنه هو قول لا اله الا الله يدل على ذلك قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
الى قوله قايما بالقسط امر الله تعالى في هذه الاية بثلثة اشيا اولها بالقسط وهو التوحيد الذي هو
قول لا اله الا الله وهو مشتمل على معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه وافعاله وانه واحد لا شريك له
وثانيها انه امر بالصلوة وهو قوله واقيموا وجوهكم والتقدير قل اقيموا وجوهكم قال مجاهد
والسدي وابن زيد يعني وجوهكم حيث ما كنتم في الصلوة الى الكعبة وقال الضحاك يقول اذا حضرت
الصلوة وانتم في مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي اذا لم يكن عند مسجد فليات
اي مسجد شا وليصل فيه قال الربيع معناه واجعلوا سجودكم خالصا لله دون ما سواه من الالهة والانداد وقيل
واقيموا وجوهكم وقيل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد
في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها
وجهه خالصا كما بداكم انشاكم ابتدا تعودون اي يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتدا الخلق قال
النبي صلى الله عليه وسلم يبعث كل نفس على ما كانت عليه وقال ابن عباس ان الله سبحانه خلق ابن ادم مومنا
وكافرا كما قال هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدا خلقهم مومنا وكافرا
فيبعث المومن مومنا والكافر كافرا وقال جابر يبعثون على ما ماتوا عليه المومن على ايمانه والمنافق على
نفاقه وقيل عادوا الى علمه فيهم وقيل من ابتدا الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدا عليه
خلقه وان عمل بعمل اهل السعادة ومن ابتدا خلقه على السعادة صار الى ما ابتدا عليه خلقه وكما

ان السحرة عملت باعمال اهل الشقاوة صاروا الى ما ابتدا خلقهم عليه وقيل كما كتب عليكم تكونون فريقا هداهم
الله بالايمان وفريقا حق عليهم الضلالة وهذا جار مجرى التفسير لقوله كما بداكم تعودون وانتصاب فريقا بقوله
هدى وفريقا حق عليهم الضلالة منصوب بفعل مضمر اي وعذب فريقا او واضل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان
الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اوليا انصارا واصحابا واعوانا ويحسبون ويظنون انهم
مهتدون فكل من شرع في باطل فهو مستحق الذم والعذاب سوا حسب كونه حقا او لم يحسب ذلك وهذه الاية تدل
على ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين **قوله تعالى** يا بني ادم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون انه تعالى لما
امر بالقسط في الاية المتقدمة وكان من جملة القسط امر اللباس وامر الماكول والمشروب لا جرم اتبعه
بذكرهما قال ابن عباس ان اهل الجاهلية من قبايل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار
والنسا بالليل وكانوا اذا وصلوا الى مسجد منى طرحوا ثيابهم واتوا المسجد عراة قالوا لا نطوف
في ثياب اصبنا فيها الذنوب وفيهم من يقول نفعل ذلك تفاولا حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب
وكانت المراة منهم تتخذ سترا تعلقه على حقويها تستتر به عن الحمس وهم قريش فانهم كانوا لا يفعلون ذلك
وكانوا يصلون في ثيابهم ولا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما فقال المسلمون يا رسول الله
فنحن احق ان نفعل ذلك فانزل الله هذه الاية اي البسوا ثيابكم وكلوا اللحم واشربوا ولا تسرفوا
زينتكم يعني الثياب وقيل ما تواري به عورتكم ولو عباءة وقيل المشط وقيل زينتكم عند كل مسجد يعني
رفع الايدي في الصلوة روي ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شي زينة وان زينة الصلوة
رفع الايدي فيها في ثلثة مواضع اذا احرمت للصلوة واذا ركعت واذا رفعت راسك من الركوع فكلوا واشربوا
ولا تسرفوا يعني الحرام وقيل الاسراف ما قصرت به حق الله ولو انفقت مثل احد في سبيل الله لم يكن مسرفا
ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله كان اسرافا قيل ولا تسرفوا ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
انه لا يحب المسرفين المجاوزين الحلال الى الحرام في الشراب والطعام ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني
حاذق فقال لعلي بن الحسين ابن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شي والعلم علمان علم الابدان وعلم
الاديان فقال علي قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه قال ما هي قال قوله وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يوثر عن رسولكم شي في الطب فقال علي قد جمع رسولنا صلى الله عليه
وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الدا والحمية راس الدوا واعط كل بدن
ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله من الثياب وكل
ما يتجمل به والطيبات المستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام انكار تحريم هذه الاشيا قيل كان
قوم اذا حجوا واعتمروا حرموا الشاة وما يخرج منها لبنها ولحمها وسمنها وشحمها فانزل الله الاية عن ابن
عباس يعني بالطيبات من الرزق ما حرم اهل الجاهلية من البحاير والسوايب والوصايل والحوامي قل هي
للذين امنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المومنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا فاكلوا
من طيبات طعامهم ولبسوا من جياد ثيابهم ونكحوا من صالح نسايهم خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها احد
اي ثم يخلص الله الطيبات في الاخرة للذين امنوا وليس للمشركين فيها شي وانما لم يقل هي للذين امنوا ولغيرهم
لينبه على انها خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره
الى عذاب النار وقرا نافع خالصة بالرفع على انها خبر بعد خبر اي هي خالصة والباقون بالنصب على الحال
كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون تمكنهم النظر والاستدلال ليتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية **قوله تعالى**

قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون قرا حمزة ربي بسكون اليا والباقون بفتحها انه تعالى بين في هذه الايه
الاولى ان ما حرموه ليس بحرام بين في هذه الايه انواع المحرمات الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وهي
الكباير وقيل الطواف عراة ما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النسا بالليل وقيل هي الزنا
والاثم الذنب وهو عام لكل ذنب وقيل الاثم الخمر قال الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم
تذهب بالعقول والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي وان تشركوا اي
حرم ربي الاشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان
يشركوا به غيره وان تقولوا اي وحرم ربي ان تقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره افرد
البغي والاشراك والقول على الله وان كانت داخلة تحت الفواحش او الاثم تنبيها على انها افحش انواع الذنوب
قوله تعالى ولكل امة اجل فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لما بين الحلال والحرام
واحوال التكاليف بين ان لكل احد اجلا معينا فاذا جا اجله مات لا محالة والمقصود التخويف ليستعد
المرء في القيام بالتكاليف كما ينبغي وقيل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله تعالى
كما نزل بالامم قوله ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال العرف يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد
اقصر وقت واقربه **قوله تعالى** يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
انه تعالى لما بين احوال التكليف وبين ان لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر بين انهم بعد
الموت ان كانوا متقين مصلحين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان كانوا مكذبين بايات الله مستكبرين عنها
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون هي الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون
الثقيلة او الخفيفة وجزا هذا الشرط قوله فمن اتقى واصلح فلا خوف فالفا وما بعدها من الشرط الذي هو
قوله فمن اتقى والجزا الذي هو قوله فلا خوف هو جزا الشرط الاول وانما قال رسل منكم وان كان المراد هو
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين لانه تعالى اجرى الكلام على ما تقتضيه سنته في الامم وانما
قال منكم لان كون الرسول منهم اقطع لعذرهم وابين للحجة عليهم يقصون عليكم اياتي قيل هي القران وقيل
الدلايل وقيل الاحكام والشرايع والاولى ان يحمل على الجميع لان جميع هذه الاشيا ايات والرسل اذا جاوا
لا بد ان يذكروا جميع هذه الاقسام فمن اتقى كل ما نهى الله عنه واصلح اي واتى بكل ما امر الله تعالى به
فلا خوف عليهم بسبب الاحوال المستقبلة ولا هم يحزنون بسبب الاحوال الماضية اي على ما فاته في الدنيا والذين
كذبوا بالايات التي قص الرسل عليهم واستكبروا انفوا من قبولها وتمردوا من التزامها اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وهذه الايه داله على ان الفاسق لا يبقى مخلدا في النار **قوله تعالى** فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاتهم رسلنا يتوفونهم قالوا
اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي فمن اشنع ظلما واعظم
ممن يقول على الله ما لم يقله او كذب باياته فان الاول هو الحكم بوجود ما لم يوجد والثاني هو الحكم بانكار
ما وجد ويدخل في الاول اثبات الشريك صنما او كوكبا او واثبات البنين والبنات لله وفي الثاني
قول من انكر كون القران كتابا نازلا من عند الله ومن انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب قيل المراد بالنصيب الرزق والعمر اي ما كتب لهم من الارزاق والاعمار والاعمال
فاذا افنت جاتهم رسلنا يتوفونهم وقيل ما سبق في حكم الله وفي مشيته من السعادة فان قضى الله لهم
بالختم على الشقاوة ابقاهم على الكفر وان قضى لهم بالختم على السعادة نقله الى الايمان والتوحيد وقيل هم

اليهود

اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا على ذمة لنا ان لا نتعدى عليهم وان ننصفهم وان نذب
عنهم فذلك هو معنى من الكتاب وقيل المراد منه العذاب والمعنى ينالهم ذلك العذاب المعين الذي
جعله الله نصيبهم من الكتاب فقيل العذاب هو سواد الوجه وزرقة العين حتى اذا جاتهم غاية
لنيلهم نصيبهم واستيفايهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدا بعدها الكلام والكلام ها هنا
الجملة الشرطية وهي اذا جاتهم رسلنا قالوا اي رسلنا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل
ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة
بمعنى اين الالهة الذين تدعون قالوا اي المشركون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم وشهدوا
على انفسهم اعترفوا بانهم كانوا كافرين وبانهم لم يكونوا على شي فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوا في العاقبة
قوله تعالى قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها
حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هولا اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل
ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
هذه الايه من بقية شرح احوال الكفار في الاخرة اي قال الله تعالى لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك هم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كاينين في جملة امم وفي عداد
مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم وقيل مالك اي خازن النار
يقول لهم ادخلوا كلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والملة ولم يقل اخاها لانه عنى به الامة والجماعة فيلعن
المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والمجوس المجوس ويلعن الاتباع القادة يقولون لعنكم الله
انتم غررتمونا حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع
والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرووس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم
وقيل اخراهم اخر الامم لاولى الامم وقيل اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين من عوالهم
ذلك الذين ربنا هولا اضلونا عن الهدى اي القادة اضلونا فاتهم فاعطهم عذابا ضعفا مضاعفا
من النار قال الله تعالى لكل يعني القادة والاتباع ضعف لان كلا من القادة والاتباع ضالين مضلين
ولكن لا تعلمون حتى يحل بكم قرا عاصم وحده في رواية ابي بكر يعلمون باليا والباقون وحفص عن عاصم
بالتا مخاطبة لهذه الامه الاخرى متصلة بقوله لهم لكل ضعف ويحتمل ان يكون مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم
وامته وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة
لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب
من قول القادة او من قول الله تعالى لهم جميعا **قوله تعالى** ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها لا تفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين
لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين المقصود منه اتمام الكلام في وعيد
الكفار لانه تعالى قال في الايه المتقدمه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ثم بين في هذه الايه
كيفية ذلك الخلود في حق اولئك المكذبين المستكبرين قرا ابو عمرو يفتح بالتا خفيفه وحمزة والكسائي
باليا خفيفه والباقون بالتا مشدده لا تفتح لهم ابواب السما لاعمالهم ولا لدعايهم اي لا يصعد لهم عمل
صالح اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة
في السما فالمعنى لا يوذن لهم في صعود السما ولا تطرق اليها لتدخلوا الجنة وقيل لا تفتح لارواحهم ولا
تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المومنين لانها خبيثة فلا تصعد بها بل يهوى بها
الى سجين وقيل لا ننزل عليهم البركة والخير فتحنا ابواب السما بما منهمر وهذه الايه تدل على

ان الارواح السعيده تنزل عليهم من السما الخيرات والبركه ويصعد اعمالها اليها ويظهر من هذا ان السما
محل بهجة الارواح وسعاداتها ومنها تنزل الخيرات والبركات واليها تصعد الارواح حال فوزها
بكمال السعاده فكان قوله لا تفتح لهم ابواب السما من اعظم انواع الوعيد واشد اصناف التهديد ولا يدخلون
الجنه حتى يلج الجمل الولوج الدخول والسم بفتح السين وضمها ثقب الابره ويروى بالحركات الثلث والخياط
ما خاط به يقال خياط ومخيط وانما خص الجمل لانه مثل في عظم الجرم عند العرب قال جسم الجمال واحلام
العصافير وسم الابره مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من حرب الابره وقالوا الدليل الماهر حرب لاهتدايه
في المضايق المشبهه باخرات الابر فكان ولوج الجمل في سم الابره محالا عاده فلما وقف الله دخولهم في الجنه
على حصول هذا الشرط وكان هذا الشرط محالا عاده فيكون دخولهم الجنه محالا عاده فقيل لا يدخلون
الجنه حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج في باب واسع في سم الخياط وعن ابن مسعود
انه سيل عن الجمل فقال زوج الناقه استجهالا للسايل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف وكذلك نجزي
المجرمين اي ومثل ذلك الجزا الفظيع نجزي المجرمين اي الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لان التعريف
في المجرمين للعهد لا للاستغراق والمعهودون هم الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لان التعريف في المجرمين
للعهد لا للاستغراق والمعهودون هم الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها فلا يلتفت الى قول صاحب
الكشاف نجزي المجرمين ليوذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب لهم
من جهنم مهاد بيان لشدة عذابهم في جهنم مهاد جمع مهد فراش غواش اغطيه جمع غاشيه ما تغشاك تجللك
وكذلك نجزي الظالمين اي الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لان التعريف للعهد والمعهودون هم الذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها **قوله تعالى** والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب
الجنه هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنه اورثتموها
بما كنتم تعملون لما استوفى الكلام في وعيد الذين كذبوا بايات الله واستكبروا عنها اتبعه بوعيد
الذين امنوا وعملوا الصالحات فامنوا في مقابله كذبوا وعملوا الصالحات في مقابله واستكبروا ولا نكلف
نفسا الا وسعها جمله معترضه بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب ما لا يكتسبه وصف الوا صعون
من النعيم الخالد مع التعظيم بانه في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح
ونزعنا اي قلعنا ونزع الشي قلعه عن مكانه من غل وحقد وقيل الغل الذي يغل بلطفه الى صميم
القلب اي يدخل ومنه الغلول وهو الوصول بالحيله الى الذنوب الدقيقه ويقال غل في الشي وتغلغل
فيه اذا دخل بلطافه كالحب في صميم الفواد اي ازلنا الاحقاد التي كانت لبعضهم في دار الدنيا وصفينا
الطباع واسقطنا الوساوس ومنعناها ان ترد على القلوب فان الشيطان لما كان في اشد العذاب لم
يتفرغ لالقا الوساوس في القلوب فسلمت صدورهم وطهرت قلوبهم ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف
وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحه والزبير منهم وقيل المراد ان درجات
اهل الجنه بحسب الكمال والنقصان فالله تعالى نزع ما في صدورهم من غل حتى ان صاحب الدرجه
النازله لا يحسد صاحب الدرجه العاليه وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي اعطانا القدره
وضم اليها الداعيه الجازمه وصير مجموع القدره والداعي سببا لحصول الايمان والعمل
الصالح فيا فهدايه بتقدير الله وتكوينه وقالت المعتزله التحميد انما وقع على انه تعالى اعطى العقل
ووضع الدلايل وازال الموانع قال صاحب الكشاف اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو
الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي وهذا يدل على ان المهتدي من هداه

ينبغي ان

يدخل

الله وان من لم يهده الله لم يهتد قرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها جمله موضحه للاولى والباقون
بالواو ولقد جاءت رسل ربنا بالحق هذا من قول اهل الجنه يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا
بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربه
ونودوا اذ لك النداء من الله او من الملايكه ان مخففه من الثقيله وتقديره ونودوا بانه تلكم الجنه
التي اورثتموها والضمير للشان وقيل ان في معنى تفسير النداء ويكون بمعنى اي لان المناداه من القول كانه قيل
وقيل لهم تلك الجنه التي اورثتموها وانما قال تلكم لانهم وعدوا بها في الدنيا فكانه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم او ورثتموها
اي صارت اليكم كما يصير الميراث الى اهله وقيل انهم اعطوا تلك المنازل من غير تعب في الحال فصار شبيها
بالميراث وقيل ان اهل الجاهليه يرثون منازل اهل النار عن النبي عليه السلام ليس من كافر ولا مومن
الا وله في الجنه والنار منزل فاذا دخل اهل الجنه الجنه واهل النار النار رفعت الحجب لاهل النار فنظروا
الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله بما كنتم تعملون قال صاحب الكشاف بسبب
اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطله اجيب بان قوله عليه السلام لن يدخل الجنه احد بعمله وانما يدخلونها
برحمة الله يدل صريحا على ان دخوله بفضله لا بعمله وقوله تعالى اورثتموها يفيد ان دخول الجنه
بفضل الله لا بالعمل لان الميراث لا يحصل بالسبب والعمل بل بالفضل لكن لما جعل الله العمل علامه عليه ومعرفه
له ولم يعارفه عبر عنه بلفظ يفيد السببيه على سبيل المجاز **قوله تعالى** ونادى اصحاب الجنه
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن
موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخره
كافرون لما ذكر وعيد اهل النار ووعد اهل الجنه اتبعه بذكر المناظرات التي تدور بين الفريقين
وهذا اخبار من الله عما يكون منهم وعبر عن معان مستقبله بصيغه ماضيه تنبيها على انه محقق
الوقوع وهذا النداء من اهل الجنه لاهل النار تقريع وتوبيخ عن ابن عباس وجدنا ما وعدنا
ربنا في الدنيا من الثواب حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والمقصود من هذا
السوال اظهار انهم وصلوا الى السعاده الكامله وايقاع زياده الكرب في قلوب اهل النار
ولذلك قول الموذن بينهم ان لعنة الله ان في ان قد وجدنا يجوز ان تكون مخففه من الثقيله
وان تكون مفسره كالتي سبقت انفا وكذلك ان في قوله تعالى ان لعنة الله على الظالمين وعد
ربكم حذف مفعول وعد الثاني دون الاول تخفيفا لدلالة الاول عليه قال صاحب الكشاف
ولقايل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وساير
احوال القيامه لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساهم وما نعيم اهل
الجنه الا عذاب لهم فاطلق لذلك قوله نعم قال سيبويه عدة وتصديق اي تستعمل تارة عده
اذا قيل مثلا اتعطيني فتقول نعم كانه عده ولا تصديق فيه واذا قيل قد كان كذا فقيل نعم كان
عده ولا تصديق فيه قرا الكسائي بكسر العين في كل القران والباقون بفتح العين والتاذين
النداء التصويت بالاعلام والاذان للصلوة اعلام بوقتها والموذن ملك يامر الله فينادي
بينهم نداء يسمع اهل الجنه واهل النار بينهم ظرف لقوله اذن والمعنى ان الموذن اوقع ذلك الاذان
بينهم وفي وسطهم ويحتمل ان يكون صفه لموذن اي موذن من بينهم اذن قرا نافع وابو عمرو وعاصم
ان مخففه لعنة الله بالرفع والباقون ان مشدده لعنة بالنصب واعلم ان لعنة الموذن
على من كان موصوفا بصفات اربع لكونهم ظالمين اي المشركون لان المناظره من اهل الجنه
والكفار الثاني الذين يصدون عن سبيل الله اي يمنعون الناس من قبول دين الحق تاره

فاذن موذن
بينهم

بالزجر والقهر واخرى بسابر الحيل الثالث قوله ويبغونها عوجا بالقا الشكوك والشبهات
في دلايل الدين الحق الرابع قوله وهم بالاخرة كافرون لما بين ان تلك اللعنه انما اوقعها ذلك المؤذن
على الظالمين الموصوفين بهذه الصفات الثلاثه كان ذلك تصريحا بان تلك اللعنه ما وقعت الا على
الكافرين وذلك يدل على فساد قول المعتزله من ان ذلك اللعن يعم الفاسق والكافر **قوله تعالى**
وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنه ان سلام عليكم لم
يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين بينهما اي بين الجنه والنار او بين اصحاب الجنه واصحاب النار والحجاب هو السور
الذي في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف الاعراف جمع عرف وهو كل عال مرتفع ومنه
عرف الفرس والديك لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه وقيل الاعراف
اعالي السور المذكور عن ابن عباس الاعراف شرف الصراط وقيل الاعراف معرفة اهل الجنه واهل
النار رجال من المسلمين من اخرهم دخولا في الجنه لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنه
والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنه عن ابن عباس اصحاب الاعراف رجال استوت
حسناتهم وسياتهم فقصرت بهم سياتهم عن الجنه وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك
حتى يقضي الله فيهم ما يشا ثم يدخلهم الجنه بفضل رحمته وهم اخر من يدخل الجنه قد عرفوا اهل الجنه
واهل النار فاذا اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر الحيوه فالقوا فيه حتى يصلح الوانهم
ويبدو في نحورهم شامه بيضا يعرفون بها فاتى بهم فيقول الله لهم تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا
انقطعت امنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين ضعفا فيدخلون الجنه في نحورهم شامه
بيضا يعرفون بها يسمون مساكين اهل الجنه وقيل انهم الاشراف من اهل الطاعه والثواب
وقيل هم الانبيا اجلسهم الله على اعالي ذلك السور تمييزا لهم عن ساير اهل القيامه واظهارا
لشرفهم وعلو مرتبتهم واجلسهم على ذلك المكان العالي ليكونوا مشرفين على اهل الجنه والنار مطلعين
على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل هم الشهدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سيل عن اصحاب الاعراف فقال هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لابائهم فقتلوا فاعتقوا
من النار بقتلهم في سبيل الله وحبسوا عن الجنه بمعصية ابائهم فهم اخر من يدخل الجنه وقيل
هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن ابائهم وقيل هم ملايكه وقيل هم اولاد الزنا وقيل هم اقوام
رضي عنهم اباؤهم دون امهاتهم او بالعكس وقيل هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم
يعرفون اي اصحاب الاعراف يعرفون كلا من اهل الجنه واهل النار السعدا والاشقيا
بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم ذلك او يعرفهم الملايكه اذا نظروا الى اصحاب الجنه
نادوهم بالتسليم عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون اخبر الله تعالى ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنه
ومع ذلك فهم يطمعون في دخولها لانه تعالى اجلسهم في الاعراف وهم يطمعون من فضل الله
واحسانه ان ينقلهم من الاعراف الى الجنه واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار وهي جهة
المقابله وهو ظرف يقال فلان تلقا فلان كما يقال حذاه وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا
ومعنى الايه واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار ورأوا ما فيه من العذاب
تضرعوا واستعاذوا وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين **قوله تعالى** ونادى
اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهولا
الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنه لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون لما بين بقوله

واذا

واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار اتبعه ايضا بان اصحاب الاعراف ينادون رجالا
من روس الكفره يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون عن الايمان وعن قبول الحق
والانقياد له قال الكلبي انهم ينادون وهم على السور يا وليد ابن المغيرة ويا ابا جهل بن هشام ويا فلان
ثم ينظرون الى الجنه فيرون فيها الضعفا والفقرا والمساكين ممن كان روس الكفره يستهزون بهم مثل سلمان
الفارسي وصهيب وخباب ونظرايهم فيقول اصحاب الاعراف لروس الكفره اهولا الذين كانوا في الجنه الى اهل
الجنه الذين كان روس الكفره يستهينون بهم ويحقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا اي اهولا الذين
اقسمتم وانتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة اي لا يدخلهم الجنه فان الكفره كانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنه
ادخلوا الجنه قيل الله تعالى او بعض الملايكه الذين يامرهم الله بهذا القول يقول لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنه وذلك بعد ان حبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما
يقولون فقوله اهولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من كلام اصحاب الاعراف وقوله ادخلوا الجنه من كلام الله
او كلام بعض الملايكه ولا بد ههنا من اضمار والتقدير فقال الله او بعض الملايكه وقيل اقسم اهل النار
ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنه بل يدخلون النار معهم فقالت الملايكه الذين حبسوا اصحاب الاعراف
على الصراط اهولا اي اصحاب الاعراف الذين اقسمتم يا اهل النار انهم لا ينالهم الله برحمة ثم قالت الملايكه
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنه لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون **قوله تعالى** ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنه ان افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقا يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون
لما بين ما يقوله اصحاب الاعراف لاهل النار اتبعه بقول اهل النار لاهل الجنه قال ابن عباس لما صار
اهل الاعراف الى الجنه نادى اهل النار بعد الياس فقالوا يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنه
فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فامر الله الجنه فتزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنه وما هم فيه من
النعيم فعرفوهم ونظر اهل الجنه الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم فقد اسودت وجوههم
وصاروا خلقا اخر ونادى اصحاب النار اصحاب الجنه وعرفوهم بسيماهم وقالوا افيضوا علينا من الما
فيه دليل ان الجنه فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربه لدخوله في حكم الافاضه ويجوز ان يراد
والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهه لقوله علفتها تبنا وما باردا وانما يطلبون ذلك
مع ياسهم من الاجابه اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن قال اصحاب الجنه ان الله حرمهما منع
شراب الجنه وطعامها الكافرين كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان يطعما الكرى
الذين اتخذوا اللهو واللعب دينا لانفسهم قال ابن عباس يريد المستهزين وغرتهم الحيوة الدنيا
وهو مجاز لان الحيوة الدنيا لا تغر في الحقيقه بل المراد انه حصل الغرور عن هذه الحيوة الدنيا
لان الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشيا يصير
محجوبا عن طلب الدين غرقا في طلب الدنيا ثم لما وصف الله هولا الكفار بهذه الصفات قال فاليوم ننساهم
نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقا يومهم هذا كما
فعلوا بلقايه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به ثم بين ان كل هذه التشديدات انما كان لانهم
كانوا باياتنا يجحدون وما كانوا عطف على ما من قوله كما نسوا **قوله تعالى** ولقد جيناهم بكتاب
فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يومنون لما شرح احوال اهل الجنه واهل النار
واهل الاعراف ثم شرح الكلمات الدايره بين هولا الفرق الثلثه على وجه يصير سماع تلك المناظرات
حاملا للمكلف على الحذر والاحتراز وداعيا له الى النظر والاستدلال شرع في بيان شرف

في الدنيا من الاولى والاخرة صح

د و و س صح

سبحانه صح

جنة صح

هذا الكتاب الكريم وبيان متفقه بكتاب اي القران فصلناه ميزناه تمييز الهدى الى الرشد ويومن الغلط
والخبط عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه علما تاما هدى ورحمة حال
من منصوب فصلناه كما علم حال من مرفوعه لقوم يومنون يدل على ان القران هدى للمومنين اي المومنون
هم الذين اهتدوا به دون غيرهم **قوله تعالى** هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين
نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا
انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب
للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب وجحد فقال هل ينظرون اي ينتظرون فان قيل كيف
يتوقعون وينتظرون مع جحدهم وتكذيبهم اجيب بان منهم من هو في شك فينتظروا بانهم وان كانوا
مكذبين جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة الا تاويله الا عاقبة
امره وما يوول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول
الذين نسوه معناه انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسي ويحتمل ان يكون معنى نسوه تركوا العمل
له والايمان به ثم بين ان هولا الذين نسوا يوم القيامة يقولون قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح
انهم جاوا بالحق وان ما جاءت الرسل به من ثبوت الحشر والنشر والبعث والقيامة والثواب والعقاب
كله كان حقا وبين الله تعالى انهم لما راوا انفسهم في العذاب قالوا فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد
جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد والمعنى
انه لا طريق لنا الى الخلاص مما نحن فيه الا احد هذين الامرين وهو ان يشفع لنا شفيع بزوال العذاب
او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل واقع نرد وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتدا اهل
يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد قد خسروا انفسهم
ثم بين الله تعالى بقوله قد خسروا انفسهم ان ما طلبوه لم يجدوه وضل عنهم ما كانوا يفترون اي اضمحل
افتراهم على الله وكذبهم في جعل الاصنام الهة ولم يشفعوا بالاصنام التي عبدوها في الدنيا ولم ينفعوا بنصرة
الاديان الباطلة التي بالغوا في نصرتها وهذه الاية تدل على انه لا تكليف في الاخرة لانه لو كان في الاخرة
تكليف لما طلبوا الرد الى الدنيا ليعملوا اعمالا غير الذي كانوا يعملون **قوله تعالى** ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين قد بين ان مدار هذا القران على
تقرير المسائل الاربع التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة والعلم فلما بالغ الله في تقرير امر المعاد
عاد الى ذكر الادلة الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم لتصير تلك الادلة مقررة لاصول
التوحيد وتقريره ايضا لاثبات المعاد ولسائل ان يسال فيقول كون هذه الاشياء مخلوقة في ستة
لا يمكن جعله دليلا على اثبات الصانع وبيانه من وجوه الاول ان وجه دلالة هذه المحدثات
على وجود الصانع حدوثها او امكانها او مجموعهما فاما وقوع هذه المحدثات في ستة ايام
فلا اثر له في ذلك الثاني العقل يدل على ان الحدوث على جميع الاحوال جائز واذا كان كذلك لا يمكن
الجزم بان هذا الحدوث وقع في ستة ايام الا باخبار مخبر صادق وذلك موقوف على العلم بوجود
الاله الفاعل المختار فلو جعلنا هذه المقدمة مقدمة في اثبات الصانع لزم الدور واما الثالث
حدوث السموات والارض دفعة واحدة ادل على كمال القدرة والعلم من حدوثها في ستة
ايام واذا ثبت ما ذكرنا من الوجوه الثلثة فنقول ما الفائدة في ذكر انه تعالى انما خلقهما في ستة
ايام في اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع الرابع انه ما السبب في الاقتصار على ذكر السموات
والارض

والارض ولم يذكر خلق سائر الاشياء الخامس اليوم لا يمتاز عن الليلة الا بطلوع الشمس وغروبها
فقبل خلق الشمس والقمر كيف يعقل حصول الايام السادس انه تعالى قال وما امرنا الا واحدة كلمح
بالبصر وهذا كالمناقض لقوله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام السابع هب انه خلق السموات
والارض في مدة متراخية فما الحكمة في تقييدها وضبطها بالايام الستة فنقول اما على مذهبنا فالامر في الكل
سهل واضح لانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسال عما يفعل ولا اعتراض عليه في امر من الامور وكل شي صنعه
ولا علة لصنعه ثم نقول اما السوال الاول فجوابه انه سبحانه وتعالى ذكر في اول التوراة انه خلق
السموات والارض في ستة ايام والعرب كانوا يخالطون اليهود والظاهر انهم سمعوا ذلك منهم فكانه
سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذي سمعتم من عقلاء الناس
انه هو الذي خلق السموات والارض على غاية عظمتها في ستة ايام واما السوال الثاني فلان ذكر ستة
ايام انما هو لما ذكر في الجواب الاول لا ليستدل به على وجود الفاعل المختار واما السوال الثالث
فجوابه ان المقصود منه انه سبحانه وان كان قادرا على ايجاد جميع الاشياء دفعة واحدة لكنه جعل
لكل شي حدا محدودا ووقتا مقدرا فلا يدخله في الوجود الا على ذلك الوجه واما السوال الرابع
فجوابه ان ذكر السموات والارض في هذه الاية يشتمل على ذكر ما فيها والدليل عليه انه تعالى ذكر سائر
المخلوقات في سائر الايات فقال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام واما السوال الخامس فجوابه ان المراد انه تعالى خلق السموات
والارض في مقدار ستة ايام هي كقولهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي مقدار البكرة والعشي في
الدنيا لانه لا ليل ثم ولا نهار واما السوال السادس فجوابه ان قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر
محمول على ايجاد كل واحد من الذوات وعلى اعدام كل واحد منها لان ايجاد الذات الواحدة واعدام
الموجود الواحد لا يقبل التفاوت فلا يمكن تحصيله الا دفعة واحدة واما الامهال والمدة فلا
يحصل الا في المدة واما السوال السابع وهو تقدير هذه المدة بستة ايام فهو غير وارد لانه لو احدثه
في مقدار اخر من الزمان لعاد ذلك السوال قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض والمعنى
ان الذي يربيكم ويصلح شانكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكروهات وهو الذي بلغ كمال
قدرته وعلمه وحكمته الى حيث خلق هذه الاشياء العظيمة واودع فيها اصناف المنافع وانواع الخيرات
ومن كان له مربي موصوف بهذه الحكمة والقدرة والرحمة فكيف يليق به ان يرجع الى غيره في طلب الخيرات
او يعول على غيره في تحصيل السعادات ثم في الاية دقيقة اخرى وهو انه تعالى لما اضاف نفسه
الينا سمى نفسه في تلك الحالة بالرب وهو مشعر بالتربية وكثرة الفضل والاحسان فكانه يقول من كان له
مربي مع كثرة هذه الرحمة والفضل فكيف يليق به ان يشتغل بعبادة غيره ثم استوى على العرش لا يمكن
ان يكون المراد كونه مستقرا على العرش لانه لو كان مستقرا على العرش لكان حاصلا في الجهة والحيز واللازم
باطل فالملزوم مثله اما الملازمة فبينة واما بطلان اللازم فلان كل ما كان حاصلا في الجهة والحيز
كان مشارا اليه اشارة حسية وكل ما كان مشارا اليه بالاشارة الحسية فاما ان يقبل القسمة او لا يقبلها
والقسمان باطلان اما الاول فلانه لو كان قابلا للقسمة لكان مركبا وكل مركب مفتقر الى اجزائه التي هي غيره
وكل مفتقر الى الغير ممكن لذاته وكل ممكن لذاته مفتقر الى موجد ومؤثر ويمتنع ان يكون الاله الموجب لذاته
مفتقرا الى موجد واما الثاني فلانه لو كان غير منقسم لكان اما نقطة او جوهرا فردا وكلاهما باطل بالاجماع
واعلم ان الادلة العقلية والسمعية على انه لا يمكن ان يكون الاله تعالى مستقرا على العرش اكثر من
ان تحصى فمن اراد الاستقصاء فليرجع الى الكتب الكلامية واذا ثبت بالادلة العقلية والسمعية انه لا يمكن

حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا
للعلما الراسخين مذهبان الاول انا نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض في تاويل الايه
على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهو الذي تقرر عند تفسير قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم يقولون امنا به وهو مذهب السلف والثاني ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان
الاول ما ذكره القفال وهو ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية
عن نفس الملك يقال ثل عرشه اي انتقض ملكه وفسد واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى
على عرشه واستقر على سرير ملكه هذا ما قاله القفال قال الامام اقول ان الذي قاله حق وصدق وصواب
ونظيره قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد وللرجل الذي يكثر الضيافة كثير الرماد وللرجل الشيخ فلان
اشتعل راسه شيبا وليس المراد في شي من هذه الالفاظ اجراها على ظواهرها انما المراد منها تعريف
المقصود على سبيل الكناية فكذا هاهنا يذكر الاستوا على العرش والمراد نفاذ القدرة وجريان المشيه ثم قال
القفال الله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم ورؤسائهم
ليستقر في قلوبهم عظمة الله وكمال جلاله الا ان كل ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قالوا انه عالم فهموا منه انه لا يخفى
عليه تعالى شي ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باستعمال حاسة واذا قال قادر علموا منه انه
متمكن من ايجاد الكاينات وتكوين الممكنات ثم علموا بعقولهم انه غني في ذلك الايجاد والتكوين عن الالات
والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول في كل صفاته واذا اخبر ان له بيتا يجب على عباده
حجه فهموا منه انه نصب لهم موضعا يقصدونه لمسالة ربهم وحوايجهم كما يقصدون بيوت الملوك والروسا لهذا المطلوب
ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به في دفع الحر والبرد عن نفسه
فاذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا بعقولهم انه لا يفرح بذلك التحميد
والتعظيم ولا يغتم بتركه والاعراض عنه اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى اخبر انه خلق السموات
والارض كما اراد وشا من غير منازع ولا مدافع ثم اخبر بعده انه استوى على العرش اي حصل له تدبير المخلوقات
على ما شا واراد فكان قوله ثم استوى على العرش اي بعد ان خلقها استوى على عرش الملك والجلال ثم قال
القفال والدليل على ان هذا هو المراد قوله في سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى
على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر وهذا يدل
على ان قوله ثم استوى على العرش اشارة الى ما ذكرناه فان قيل فاذا حملتم قوله ثم استوى على العرش على ان المراد
استوى على الملك وجب ان يقال الله لم يكن مستويا قبل خلق السموات والارض قلنا انه تعالى كان قبل خلق العالم
قادرا على تخليقها وتكوينها اما ما كان مكونا ولا موجدا لها باعيانها لان احيا زيد واماتة عمرو واطعام هذا
وارواء ذاك لا يحصل الا عند حصول هذه الاحوال فاذا فسرنا العرش بالملك والملك بهذه الاحوال
صح ان يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض فهذا جواب حق في هذا الموضع
والثاني ان تفسير العرش بالملك وتفسير استوى بمعنى علا واستعلى فيكون المعنى انه تعالى استعلى على الملك
بمعنى ان قدرته نفذت في ترتيب الملك والملكوت قوله تعالى يغشي الليل النهار قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر وعاصم في رواية حفص يغشي بتخفيف الغين من الاغشا وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص
بالتشديد من التغشية والاغشا والتغشية الباس الشي بالشي والمعنى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل
يحتملهما جميعا قال القفال انه سبحانه لما اخبر عباده باستوايه على العرش عن استمرار امور المخلوقات
على وفق مشيته اراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة عن كل الجهات

فقال يغشي الليل النهار لانه تعالى اخبر في الكتاب الكريم ما في تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمه
والفوايد الجليلة فان بتعاقبهما يتم امر الحيوة وتكمل المنفعة والمصلحة يطلبه حثيثا الحث الاعجال
يقال حثثت فلانا فاحتث فهو حثيث ومحثوث اي مجد سريع ووصف الله تعالى هذه الحركة بالسرعة والشدة
وذلك هو الحق لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة واكملها شدة
والشمس والقمر والنجوم مسخرات قرا ابن عامر بالرفع على معنى الابتدا والباقون بالنصب على معنى وجعل الشمس والقمر
قال الامام في الاية لطايف فالاولى ان للشمس نوعين من الحركة احدهما بحسب ذاتها وهي انما تتم في سنة كاملة وبسبب
هذه الحركة تحصل السنة وثانيهما بحسب حركة الفلك الاعظم وهذه الحركة تتم في اليوم بليلته والليل والنهار لا يحصل
بسبب حركة الشمس وانما يحصل بسبب حركة السما الاقصى التي يقال لها العرش فلهذا السبب لما ذكر العرش بقوله
ثم استوى على العرش ربط قوله يغشي الليل النهار تنبيها على ان سبب حصول الليل والنهار هو حركة الفلك الاقصى
لا حركة الشمس والقمر وهذه دقيقة عجيبة والثانية انه تعالى لما شرح كيفية تخليق السموات قال فقضيهن سبع سموات
في يومين واوحى في كل سما امرها فدلت تلك الاية على انه سبحانه خص كل فلك بلطيفة نورانية ربانية من عالم الامر ثم
قال بعده الا له الخلق والامر وهو اشارة الى ان كل ما سوى الله اما من عالم الخلق او من عالم الامر اما الذي هو
من عالم الخلق فالخلق عبارة عن التقدير فكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من عالم الخلق
وكل ما كان بريا من الحجمية والمقدار كان من عالم الامر فدل على انه سبحانه خص كل واحد من اجرام الافلاك والكواكب
التي هي من عالم الخلق بملك من الملايكة وهم من عالم الامر والاحاديث الصحيحة مطابقة لهذا وهي ما روي في الاخبار
ان لله تعالى ملايكة يجرون الشمس والقمر عند الطلوع والغروب وكذا القول في ساير الكواكب وايضا قوله سبحانه
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اشارة الى ان الملايكة الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية ثم اذا دققت النظر
علمت ان عالم الخلق في تسخير الله وعالم الامر في تدبير الله واستيلا الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله فلهذا
قال الا له الخلق والامر ثم قال تبارك الله رب العالمين والبركة لها تفسيران احدهما البقا والثبات والثاني
كثرة الاثار الفاضلة والنتايج الشريفة وكلا التفسيرين لا يليق الا بالحق سبحانه فان حملته على الثبات والدوام
فالثابت والدايم هو الله تعالى لانه الموجود الواجب لذاته الدايم القايم بذاته الغني في ذاته وصفاته وافعاله
واحكامه عن كل ما سواه فهو سبحانه مقطع الحاجات ومنتهى الافتقارات وهو غني عن كل ما سواه في جميع الامور
وايضا ان فسرنا البركة بكثرة الاثار الفاضلة فالكل بهذا التفسير من الله تعالى لان الموجود اما واجب لذاته واما
ممكن لذاته والواجب لذاته ليس الا هو وكل ما سواه ممكن وكل ممكن لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته
فكل الخيرات منه وكل الكمالات فايضة من جوده واحسانه فلا خير الا منه ولا احسان الا من فيضه ولا رحمة
الا وهي حاصلة فلما كان الخلق والامر ليس الا منه لاجرم كان الثنا الذي ذكر بقوله فتبارك الله رب العالمين لا يليق
الا بكبريايه وكمال فضله ونهاية جوده ورحمته **قوله تعالى** ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين انه تعالى لما
ذكر الدلايل الدالة على كمال القدرة والحكمة والرحمة وعند هذا تم التكليف المتوجه الى تحصيل المعارف النفسانيه
والعلوم الحقيقيه اتبعه بذكر الاعمال اللايقة بتلك المعارف وهو الاشتغال بالدعا والتضرع فان الدعا
مخ العبادة فقال ادعوا ربكم قيل اعبدوا والاول الدعا طلب الخير من الله وهذه صفة العبادة لانها تفعل
تقربا وطلبا للمجازاة ولانه تعالى عطف عليه وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف
عليه وقيل هو الدعا والدعا مغاير للعبادة في المعاني اختلف الناس في الدعا فمنهم من انكره واحتج عليه
بوجوه منها انه تعالى ان كان قد اراد في الازل احداث ذلك الشي فهو حاصل سوا حصل هذا الدعا او لم
يحصل وان كان قد اراد في الازل ان لا يعطيه فهو ممتنع الوقوع فلا فايدة في الطلب وان لم يرد في الازل

لا وجوده ولا عدمه ثم انه عند ذلك الدعا صار مريد اله لزم وقوع التغير في ذات الله وفي صفاته وهو محال
ومنها ان الله تعالى عالم بحاجة العبد والعبد اذا علم ان مولاه عالم بحاجاته فسكت ولم يذكر تلك الحاجه واذا
كان على هذا الوجه في الشاهد وجب اعتبار مثله في حق الله تعالى ولذلك نقل ان الخليل لما وضع في المنجنيق ليرمى الى
النار قال جبريل عليه السلام ادع ربك فقال الخليل حسبي من سوالي علمه بحالي واعلم ان الدعا نوع من انواع
العباده والاسولة المذكوره وارده في جميع انواع العبادات فانه يقال ان كان هذا الانسان سعيدا في علم الله
فلا حاجه الى الطاعات والعبادات وان كان شقيا في علمه فلا فايده في تلك العبادات وايضا يقال وجب
ان لا يقدم الانسان على اكل الخبز وشرب الما لانه ان كان هذا الانسان شبعانا في علم الله فلا حاجة الى اكل الخبز
وان كان جايعا فلا فايده في اكل الخبز وكما ان هذا الكلام باطل ههنا فكذلك فيما ذكروه بل نقول الدعا لا يفيد
معرفة ذل العبوديه وتفيد معرفة عز الربوبيه وهذا هو المقصود الاشرف الاعلى من جميع العبادات
وبيانه ان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه كونه محتاجا الى ذلك المطلوب وكونه عاجزا عن تحصيله وعرف
من ربه والهه انه يسمع دعاه ويعلم حاجته وهو قادر على دفع تلك الحاجه وهو رحيم تقتضي رحمته ازالة تلك الحاجه
واذا كان كذلك فهو لا يقدم على الدعا الا اذا عرف كونه موصوفا بالحاجه وبالعجز وعرف كون الاله سبحانه
موصوفا بكمال العلم والقدره والرحمه ولا مقصود من جميع التكاليف الا معرفة ذل العبوديه وعز الربوبيه
فاذا كان الدعا مستجمعا لهذين المقامين لا جرم كان الدعا اعظم انواع العبادات وقوله سبحانه ادعوا
ربكم تضرعا وخفيه اشاره الى المعنى الذي ذكر لان التضرع لا يحصل الا من الناقص في حضرة الكامل
فما لم يعتقد العبد نقصان نفسه وكمال مولاه في العلم والقدره والرحمه لم يقدم على التضرع فثبت ان المقصود
من الدعا ما ذكرناه فثبت ان القران دليل عليه والذي يقوي ما ذكرنا ما روي انه عليه السلام قال ما من شي اكرم
على الله من الدعا والدعا هو العباده ثم قرا ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
اعلم ان المقصود من الدعا ان يصير العبد شاهدا لحاجة نفسه وعجزه ومشاهدا لكون مولاه موصوفا
بكمال العلم والقدره والرحمه كل هذه المعاني دخلت تحت قوله ادعوا ربكم تضرعا اذا حصلت هذه الاحوال
على سبيل الخلوص فلا بد من صونها عن الريا المبطل لحقيقة الاخلاص وهو المراد من قوله تعالى وخفية والمقصود
من ذكر التضرع تحقيق الحاله الاصليه المطلوبه من الدعا والمقصود من ذكر الاخفا صون ذلك الاخلاص عن شوايب
الريا واذا عرفت هذا المعنى ظهر لك ان قوله سبحانه تضرعا وخفيه مشتمل على كل ما يراد تحقيقه وتحصيله
في شرايط الدعا وانه لا مزيد عليه بوجه من الوجوه تضرعا وخفيه نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفيه وكذلك
خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعه وهي الذل اي تذللا وتملقا والخفيه ضد العلانيه وعن الحسن ان الله
يعلم القلب التقي والدعا الخفي ان كان الرجل قد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير
ولا يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلوة وعنده الزور وما يشعرونه ولقد ادركنا اقواما ما كان
على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانيه ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعا
وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية
وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه ندا خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانيه سبعون
ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في كل شي من الدعا وغيره وقيل انه لا يحب المعتدين
في ترك التضرع والاخفا فكان المعنى ان من ترك التضرع والاخفا فان الله لا يحبه اي لا يثيبه البته
ولا يحسن اليه ولا تفسدوا ادخل فيه المنع من الشرك ومن افساد النفوس بالقتل وبقطع الاعضا
وافساد الاموال بالغصب والسرقه ووجوه الحيل وافساد الدين بالكفر والبدعه وافساد
الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقل بشرب المسكر لان المصالح المعتبره في الدنيا

النفوس

النفوس والاديان والعقول والانساب والاموال فقوله ولا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الافساد في
الوجود والمنع من ادخال الماهيه في الوجود يقتضي المنع من جميع انواعه واصنافه فيتناول المنع من الافساد
في الاقسام الخمسه بعد اصلاحها اي بعد اصلاح الله الارض ببعث الرسل والامر بالحلال والنهي عن الحرام
فكل ارض قبل ان يبعث اليها نبي فاسده حتى يبعث الرسل اليها فيصلح الارض بالطاعه وقيل لا تعصوا في الارض
فيمسك الله المطر ويهلك الارض بمعاصيكم وهذه الايه تدل على ان الاصل في المضار الحظر والمنع على الاطلاق
فان وجد نص خاص دال على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص على العام والا بقي على التحريم
الذي دل عليه هذا النص وهذه الايه تدل على ان كل عقد وقع التراضي به من الخصمين فانه انعقد وصح
وثبت لان رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح والنص دل على انه لا يجوز وهذه الايه من هذا
الوجه متاكده بعموم قوله تعالى اوفوا بالعقود وبعموم قوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون فان وجدنا نصا دل على ان بعض العقود التي وقع التراضي به من الجانبين غير صحيح
قضينا فيه بالبطلان تقديما للخاص على العام والا حكمنا فيه بالصحه رعاية لمدلول هذه العمومات وادعوه اي
اعبدوه خوفا منه ومن عذابه وطمعا فيما عنده من مغفرته وثوابه وقيل وادعوه خوفا من وقوع التقصير في بعض
الشرايط المعتبره في قبول ذلك الدعا ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها وقيل خوف المعاقبه وطمع الرحمه
وقيل خوف العدل وطمع الفضل وقيل خوفا من النيران وطمعا في الجنان وقال ذو النون المصري خوفا من الفراق
وطمعا في التلاق ان رحمة الله قريب من المحسنين قيل الرحمه ايصال الخير والنعمه وقيل اراده ايصال الخير والنعمه
وكان حقه ان يقال قريبه من المحسنين فقيل الرحمه ههنا الثواب وقيل المطر فيكون القريب نعتا للمعنى
دون اللفظ كقوله واذا حضر القسمه اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ولم يقل منها لانه اراد
بالقسمه الميراث وقيل القريب والبعيد يستوي فيه المذكر والمونث والواحد والجمع واحتج بقول الشاعر
لئن كنت مني في العيان مغيبا فذكرك مني في الفواد قريب
لو حربا اني مقيم ببلده اخلاي عنها نازحون بعيد وقال سيبويه لما اضاف المونث الى المذكر اخرجه
على مخرج التذكير وقيل اراد ان رحمة الله مكانها قريب كقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب
وقيل الرحمه مصدر ومن حق المصادر التذكير كقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
وقال في معناه ان السماحه والمروه ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح ولم يقل ضمنا وقيل القريب في اللغة
على ضربين قريب قرب وقريب قرابه تقول العرب هذه المراه قريبه منك اذا كانت بمعنى المسافه والمكان قال
امرو القيس له الويل ان امسى ولا ام هاشم قريب ولا البسباسه ابنة يشكرا وقيل القريب والبعيد يكونان
للتانيث والتذكير وكل من امن بالله وبوحدانيته والنبوه فقد احسن فان الصبي اذا بلغ وقت الضحوه وامن
بالله ورسوله واليوم الاخر ومات قبل الظهر فاجمعت الامه على ان دخل تحت قوله للذين احسنوا الحسنى
ومعلوم ان هذا الشخص لم يات بشي من الطاعات سوى المعرفه والاقرار لانه لما بلغ بعد الصبح ولما مات قبل
الظهر لم يجب عليه صلوة الظهر وظاهر ان ساير العبادات لم يجب عليه فثبت انه محسن وثبت انه لم يصدر منه
الا المعرفه والاقرار فوجب كون هذا القدر احسانا فيكون فاعله محسنا وصاحب الكبيره من المحسنين

قوله تعالى وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا
به الما فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي
خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون قيل انه تعالى لما ذكر الادله الداله على الالهيه وكمال
العلم والقدره من العالم العلوي وهو السموات والشمس والقمر والنجوم اتبعه بذكر الادله من بعض احوال
العالم السفلي واحوال العالم السفلي محصوره في الاثار العلويه والمعادن والنبات والحيوان ومن الاثار العلويه
الرياح والسحاب والامطار ويترتب على نزول الامطار والنبات وقيل انه تعالى لما اقام الدلاله في الايه الاولى

على وجود الاله القادر العالم الحكيم اقام الدلالة في هذه الاية على صحة القول بالحشر والنشر والبعث والقيامة
لتحقق بمعرفة ما في الايتين كل ما يحتاج اليه في معرفة المبدا والمعاد قرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على
لفظ الواحد والباقون الرياح على لفظ الجمع فمن قرا الرياح حسن وصفه بقوله نشرا ليوافق الموصوف الصفة
في الجمعية ومن قرا الريح واحد قرا نشرا جمعا لانه اراد بالريح الكثرة نشرا قرا اهل الحجاز والبصرة نشرا بضم
النون وسكون الشين كما يقال كتب ورسل وعاصم بالباء المضمومة والشين المجزومة اي تبشيرا بالمطر يدل عليه قوله
تعالى يرسل الرياح مبشرات وحمزة نشرا بفتح النون واسكان الشين وهي الريح الطيبة اللينة والنشر مصدر
نشرت الشي ضد طويته ويراد بالمصدر ههنا المفعول والرياح كانت كانها مطوية فارسلها الله منشورة
بعد انطوائها فقوله نشرا انتصابه على الحال منشورات وقيل انتصابه على المصدر لان ارسل ونشر متقاربان
فكانه قيل نشرها نشرا الريح الهوا المتحرك ويرسل الرياح اي يحركها فان حركة الريح لا تكون لذات
الهوي ولا لذات بد وامه بل بالفاعل المختار وهو الله جل جلاله نشرا بين يدي رحمته اي
منتشرة متفرقة فجزء من اجزاء الريح يذهب عنه وجزء آخر يذهب نشره وكذا القول في سائر الاجزاء فان كل
واحد منها يذهب الى جانب اخر فاختصاص بعض اجزاء الريح بالذهاب يمنة والاخر بالذهاب يسرة لا لذاتها
لانها طبيعة واحدة ولا لقوة الافلاك والانجم لان نسبتها الى اجزاء الهوى واحدة بل بتخصيص الفاعل
المختار بين يدي رحمته اي بين يدي المطر قيل بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل
النعم واحسنها اثرا وبين يدي رحمته مجاز عن التقدمة يقال ان الفتن تحدث بين يدي الساعة
يراد قبيلها حتى اذا اقلت حملت ورفعت واستقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه
قليلا سحابا جمع سحابة ثقالا بالماء اي اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيها من الماء والمعنى ان
السحاب الثقال انما يبقى معلقا في الهوا لانه تعالى امر بحكمته ان تحركه الرياح تحريكا شديدا فلاجل
الحركات الشديدة في تلك الرياح تحصل فوايد منها ان ينضم اجزاء السحاب بعضها الى بعض ويتراكم
وينعقد السحاب الكثيف الماطر ومنها انه بسبب تلك الحركات ينساق من موضع الى موضع اخر
وهو الموضع الذي علم الله تعالى احتياجهم الى نزول الامطار وانتفاعهم بها ومنها ان حركات
تلك الرياح تارة تكون جامعة لاجزاء السحاب موجبة لانضمام بعضها الى بعض حتى ينعقد
السحاب الغليظ وتارة تكون مفرقة لاجزاء السحاب مبطلة لها ومنها ان هذه الرياح تارة تكون مقوية
للزروع والاشجار مكملة لما فيها من النشو والنما وهي الرياح اللواقح وتارة تكون مبطلة لها كما في الخريف
وتارة تكون طيبة لذيذة موافقة للابدان وتارة تكون مهلكة اما بسبب شدة الحرارة كما في السموم واما
بسبب البرد الشديد كما في الرياح الباردة المهلكة وتارة تكون شرقية وتارة تكون غربية وتارة
شمالية وتارة جنوبية وغيرها وتارة تصعد من قعر الارض وتارة تنزل من فوق فاختلاف الرياح
المذكور في الصفات انما هو بتقدير الفاعل المختار لا بمقتضى طبيعته ولا بتاثير الافلاك والنجوم واوصا
سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقالات كما لو حمل على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت
لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه والمعنى انا نسوق ذلك السحاب الى بلد ميت لم ينزل فيه غيث ولم ينبت فيه
خضرة فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو
اخراج الثمرات لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل منهما اعادة الشي بعد
انشائه والبلد الطيب الارض والغداة الكريمة الطيبة التربة باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال
كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والبلد الذي خبث لا ينبت ما ينتفع به والنكد الذي
لا خير فيه والذي خبث صفة للبلد اي والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا وهذا مثل ضربه الله للمومن

الوصف ح

خبث اي ح

والكافر

والكافر فمثل المومن كمثل البلد الطيب الزاكي الذي نزل عليه المطر فيحصل فيه انواع الازهار والثمار
ومثل الكافر كمثل البلد الخبيث فهو وان نزل عليه المطر لم يحصل فيه من النبات الا النزر القليل فلذلك
مثل ذلك التصريف الروح الطاهرة النقية عن شوايب الجهل والاخلاق الذميمة اذا اتصل به نور القران
ظهرت انواع من المعارف والطاعات والاخلاق الحميدة والروح الخبيثة الكافرة والكدرة وان اتصل
به نور القران لم يظهر فيه من المعارف والاخلاق الحميدة الا القليل كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات
نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المومنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وانما ختم هذه الاية
بقوله لقوم يشكرون لان الذي سبق ذكره هو انه يرسل الرياح اللطيفة النافعة ويجعلها سببا لنزول
المطر الذي هو الرحمة ويجعل تلك الرياح والامطار سببا لحدوث انواع النبات النافعة اللذيذة
اللطيفة فهذه امر احد الوجهين ذكره الدليل الدال على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته ومن الوجه
الاخر تنبيه على ايصال هذه النعم العظيمة الى العباد فلاجرم كانت من حيث انها ادلة على وجود
الصانع وصفاته ايات ومن حيث انها نعم يجب شكرها فلاجرم قال نصرف الايات لقوم يشكرون وانما
خص كونها ايات بالقوم الشاكرين لانهم هم المنتفعون به فهو كقوله هدى للمتقين **قوله تعالى** لقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول
من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون لما ذكر في تقرير
المبدا والمعاد دلائل ظاهرة وبينات قاهرة وبراهين قاطعة وحججا ساطعة اتبعها بذكر قصص الانبيا
تنبيها على ان الاعراض عن قبول هذه الحجج والبينات ليس من خواص قوم محمد صلى الله عليه وسلم بل هذه العادة
المذمومة كانت حاصلة في الامم السالفة وكان ذكر قصصهم وحكاية اصرارهم على الجحود والعناد يفيد تسلية
الرسول وتخفيف ذلك على قلبه وتقوية لقلوب المحقين وكسرا لقلوب المبطلين لقد ارسلنا جواب قسم محذوف
والسبب انهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وذكر هذه اللام بدون قد نادر كقوله
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا ان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها
فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم نوحا الى قومه قيل هو ابن
خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح ابن لامك ابن متوشلخ ابن اخنوخ وهو ادريس النبي عليه السلام
ما لكم من اله غيره قرا الكسائي غيره بكسر الراء على النعت لاله حملا على اللفظ والباقون بالرفع على
المحل كانه قيل ما لكم اله غيره وقوله ما لكم من اله غيره بيان لوجه اختصاصه بالعبادة فانه اذا
لم يكن اله غيره وجب ان لا يعبد الا اياه قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم بيان للداعي
الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله وقد حكى الله
عن نوح في هذه الاية ثلاثة اشيا احدها انه عليه السلام امرهم بعبادة الله والثاني انه لا اله غيره
والثالث اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فالمقصود من الاول اثبات التكليف ومن الثاني
الاقرار بالتوحيد ومن الثالث التخويف بالعذاب العظيم واليوم العظيم اما يوم القيامة او يوم
نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملا الاشراف والسادة من قومه يقتضي ان يكون الملا
بعض قومه وذلك البعض لا بد وان يكونوا موصوفين بصفة لاجلها استحقوا هذا الوصف وذلك
بان يكونوا هم الذين يملون صدور المجالس وتمتلي قلوبهم من هيبتهم وتمتلي الابصار من رويتهم
وتتوجه العيون في المحافل اليهم وهذه الصفات لا تحصل الا للرؤسا وذلك يدل على ان المراد
من الملا الرؤسا والاكابر وقيل الملا الرجال ليس معهم نسا انا لنراك الروية بمعنى الظن والاعتقاد

دون المشاهدة والرؤية في ضلال في خطأ وزوال عن الحق وذهاب عن طريق الصواب مبين بين ظاهر
قال نوح يا قوم ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال لان ضلالة ادل على واحد غير معينة ونفي فرد غير [ليس بي م]
معين نفي عام بخلاف ضلال فانه مصدر يعم الواحد والتثنية والجمع فنفيه لا يقتضي على سبيل
القطع النفي العام فكان قوله ليس بي ضلالة ابلغ في نفي الضلال عن نفسه من قولنا ليس بي ضلال ثم
انه عليه السلام لما نفى عن نفسه الضلال وصف نفسه باشرف الصفات واجلها فقال ولكني
رسول من رب العالمين ولكني استدراك للانتفاء عن الضلالة فان كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته
ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة
قرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف والباقون بالتشديد ابلغكم رسالات ربي اي اعرفكم انواع تكاليف
الله واقسامها واوامره ونواهيه وابين لكم مقادير الحدود والزواجر في الدنيا والثواب
والعقاب في الاخرى قيل ابلغكم كلام مستانف بيان لكونه رسولا من رب العالمين وقيل صفة
لرسول ولما كان الرسول وقع خبرا عن ضمير المتكلم صح ان يكون ابلغكم صفة له فانه في معناه كما قال
انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة
من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشاير والنذاير ويجوز ان يريد رسالاته اليه
والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح [وهي م]
لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة
للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة
امحض من نصيحة الله ورسله وانصح لكم اي ارغبكم في الطاعة واحذركم عن المعصية واسعى في
تقرير ذلك الترغيب والترهيب بابلغ الوجوه وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية
من شوايب المكروه واعلم من الله ما لا تعلمون من صفات الله واحوال المعنى قدرته الباهرة وشدة
بطشه على اعدايه وان باسه لا يرد عن القوم الكافرين وقيل اعلم انكم ان عصيتم امري عاقبكم بالطوفان
في الدنيا وعاقبكم عقابا شديدا في الاخرى قوله تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل [خارجا عما تتصور عقولكم و]
منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه
قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر نبوة ورسالة وقيل بيان وقيل موعظة من ربكم على لسان
رجل منكم لقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون
ما سمعنا بهذا في اباينا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم عذاب
الله ان لم يومنوا ويحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار
ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم فكذبه الملا من قومه نوحا فانجيناه
من الطوفان والذين معه قيل عشرة بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وستة ممن امن به وقيل
كانوا اربعين رجلا واربعين امراة في الفلك متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك
او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بقوله فانجيناه اي انجينا نوحا والذين معه في السفينة من
الطوفان واغرقنا الذين كذبوا باياتنا ثم بين العلة في ذلك فقال انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس
عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي
يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله وضايق به صدرك قوله تعالى والى عاد اخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملا الذين كفروا من

قوم

قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من
بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون اخاهم واحدا منهم قولك يا اخا العرب
للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته واخاهم عطف على نوحا وهودا
عطف بيان له اي ولقد ارسلنا الى عاد وهو عاد ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى هودا وهو
هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح قال يا قوم لم يذكر العاطف لانه على تقدير سوال السايل قال فما قال هود
فقيل قال يا قوم قال الملا الذين كفروا وصف الملا بالذين كفروا لانه كان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن
سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يصف الملا من قوم نوح بالذين كفروا لانه لم
يومن به احد من اشراف قوم نوح عليه السلام وقيل الذين كفروا وصف وارد للذم لا غير انا لنراك في سفاهة في خفة
حلم وسخافة عقل وجهالة وضلالة حيث تترك دين قومك وتاخذ دينا اخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا
انه متمكن في السفاهة غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به
من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن
وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم
على ما يكون منهم وانا لكم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم وقيل انا لكم ناصح فيما ادعوكم
اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه او امين على الرسالة واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في
الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم اي اهلكهم وابدلكم منهم وزادكم في الخلق بسطة فيما
خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان طول كل رجل منهم اثني عشر ذراعا وقيل كان اقصرهم
ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا الاء الله في استخلافكم وبسط اجرامكم وزيادة قوتكم وشدتكم
وما سواها من عطاياه وواحد الالاء الى ونحوه انى واناء وضلع واضلاع وعنب واعناب واذ في قوله
اذ جعلكم خلفاء منصوب المحل لانه مفعول به وليس بظرف اي واذكروا وقت استخلافكم قوله تعالى قالوا اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم
رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين
فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مومنين اعلم ان هودا دعا
قومه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالدليل القاطع لانه بين ان نعم الله عليهم كثيرة ولا نعم للاصنام عليهم
لانها جمادات والجماد لا قدرة له على شيء اصلا وظاهر ان العبادة نهاية التعظيم وهي لا تليق الا بمن يصدر عنه
نهاية الانعام وذلك يدل على انه يجب عليهم ان يعبدوا الله وان لا يعبدوا شيئا من الاصنام والمقصود من ذكر اقسام نعمه
على العبيد هذه الحجة اليقينية لم يكن من القوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد فقالوا
اجئتنا انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الاباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه
حبا لما نشاوا عليه والفا لما صادفوا اباءهم يتدينون قيل كان لهود مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه
كما كان يفعل رسول الله عليه السلام بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وقيل ارادوا به
الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالى لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك
وقيل لم يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب
كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا وذلك لان هودا
عليه السلام قال اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقوله افلا تتقون مشعر بالتهديد
والتخويف بالوعيد فلهذا المعنى قالوا فاتنا بما تعدنا وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يعتقدون كونه كاذبا

بدليل انهم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين فلما اعتقدوا كونه كاذبا قالوا له فاتنا بما تعدنا استعجالا منهم للعذاب
والغرض انهم اذا لم ياتهم بذلك العذاب ظهر للقوم كونه كاذبا قال هود قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل
عليكم جعل المتوقع الذي لابد من نزوله بمنزلة الواقع من ربكم رجس عذاب وقيل رجس اي اعتقاد وافعال
مذمومة وقيل يجوز ان يكون الرجس هو الازدياد في الكفر لقوله فزادهم رجسا الى رجسهم اي قد وقع عليكم من الله رين
على قلوبكم عقوبة لكم بالخذلان لاستحكام الكفر وتماديكم في الغي ثم خصهم بمزيد الغضب وهو قوله وغضب
ثم قال اتجادلونني استفهام على سبيل الانكار في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا الاسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها
الهة ومعنى الالهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها
سميتم بها من قولك سميته زيدا ما نزل الله بها من سلطان اي ما لكم حجة وبينة على هذه الاسماء ثم انه عليه
السلام ذكرهم وعيدا اكيدا فقال فانتظروا ما يحصل لكم من عبادة هذه الاصنام اني معكم من المنتظرين
فانجيناه والذين معه برحمة منا وفضل لايمانهم وطاعتهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا التي جعلنا
معجزة لهود فانزلنا عليهم عذاب الاستيصال الذي هو الريح وما كانوا مؤمنين وفائدة نفي الايمان عنهم مع
اثبات التكذيب بايات الله التعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود كانه قال وقطعنا دابر
الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من امن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين **قوله تعالى**
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية
فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم
في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
والى ثمود منع من الصرف بتاويل القبيلة قيل ثمود اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح اخو
ادريس وسميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي
القرى قد جاءتكم بينة اية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية نصب
على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية قوله لكم بيان لمن هي
له اية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه
قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده مكونة
من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول اية الله فذروها تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة
ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء
ولا تصيبوها بعقر ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها من الاذى اكراما لاية الله فياخذكم عذاب
اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم اسكنكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز
والشام تتخذون من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن
والاجر بيوتا نصب على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة
لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون
السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا الاء الله اي قد ذكرت لكم بعض ما اتاكم الله من النعم وذكر الكل
تطويل فاذكروا انتم بعقولكم لما فيه ولا تعثوا في الارض مفسدين نهي عن كل انواع الفساد وقيل نهي عن عقر الناقة
قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون قال الذين استكبروا انا
بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا
تحبون

منه

بشيء

لا تحبون الناصحين للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن امن منهم بدل من للذين استضعفوا
منهم اي من قومه فيكون من امن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين ويحتمل ان يكون الضمير
في منهم راجعا الى الذين استضعفوا وحينئذ لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا على سبيل الظن والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش قالوا اي قال الذين
استضعفوا انا بما ارسل به مؤمنون قال صاحب الكشاف فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت
سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا
كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب
الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة
والعقر لشف عرقوب البعير ولما كان العقر سببا للنحر اطلق العقر على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب اسند العقر
الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا وما فعله
الا واحد منهم وعتوا اعني يعني عتوا اذا استكبر ومنه يقال جبار عات وقيل العتو الغلو في الباطل عن امر
ربهم اي استكبروا عن امتثال امر ربهم وامر ربهم هو الذي اوصله الله اليهم على لسان صالح من قوله فذروها تاكل في ارض
الله وقيل وامر ربهم اي شان ربهم وهو دينه وقيل المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو
السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب وانما جاز
الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين فاخذتهم
الرجفة قيل هي الزلزلة الشديدة قال الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقيل الصيحة التي زلزلت لها الارض
واضطربوا لها فاصبحوا في دارهم في بلادهم اي في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم
اي قعود لا حراك بهم ولا يحسون بشيء ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الايات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الرجفة
فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب
قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قومه فخالف امره وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبر
ابن ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ها هنا ودفن
معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى اي فاعرض عنهم صالح
الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من
ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت لكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم النصيحة لكم ولكنكم لا
تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول
العذاب روي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة
وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار
وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولا يستبعد خطاب الموتى فان الرجل قد يقول لصاحبه وهو
ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في الهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك ولكن لا تحبون الناصحين
حكاية حال ماضية **قوله تعالى** ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد
من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اي وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا اي واذكر
لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة المتمادية في القبح ما سبقكم
بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام

سبقك بها عكاشة من احد من زايد لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق من العالمين للتبعيض وقوله ما سبقكم بها
من احد من العالمين جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على
انه جواب لسوال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين فلا تفعلوا ما لم تسبقوا اليه اينكم
لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم قرا نافع وحفص عن عاصم
انكم بكسر الالف على الاخبار المستانف ومذهب نافع ان يكتفي بالاستفهام في الاولى من الثانية في كل القران
وابن كثير اسلم بهمزة غير ممدودة وتليين الثانية وابو عمرو بهمزة ممدودة للتخفيف وتليين الثانية والباقون
بهمزتين على الاصل لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها شهوة مصدر شهي يشهى شهوة وانتصابها قيل على المصدر
لان قوله اتاتون الرجال معناه اتشتهون شهوة وقيل على الحال فانها مصدر وقع موقع الحال بمعنى مشتهين تابعين الشهوة
غير ملتفتين الى السماحة وقيل على انها مفعول له من الاستهلال حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع اخر ولا
ذم اعظم منه لانه وصف له بالبهيمة وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى
الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات فقال بل انتم قوم عادتكم الاسراف
وتجاوز الحد في كل شي فلهذا اسرفتم في باب قضاء الشهوات حتى تجاوزتم المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم
قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اي لم يجيبوا بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار
الفاحشة وتعظيم امرها وسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاوا بشي اخر لا يتعلق بكلامه
ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس
يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحا
اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد **قوله تعالى** فانجيناه واهله الا
امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين واهله قيل انصاره واتباعه
ومن يختص به من دونه ومن يتصل به بالنسب وقيل اهله من يختص به من المومنين الا امراته اي زوجته كانت من
الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية
روي ان امراة لوط التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الف
بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم
وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته واخرج
من الحرم فوقع عليه وامطرنا ارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله تعالى فساء مطر المنذرين
فانظر يحتمل ان يكون المامور هو الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون كل احد من المكلفين ليعتبروا
بذلك فينزجروا مذهب الشافعي ان اللواط يوجب الحد وقال ابو حنيفة لا يوجب الحد وللشافعي ان يحتج
بهذه الاية من وجهين احدهما انه ثبت في شريعة لوط رجم اللوطي والاصل في الثابت البقاء الا ان يظهر
طريان الناسخ ولم يظهر في شرع محمد صلى الله عليه وسلم ما ينسخ هذا الحكم فوجب القول ببقايه وثانيهما انه
تعالى قال فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والظاهر ان المراد من هذه العاقبة ما سبق ذكره وهو انزال
الحجر عليهم ومن المجرمين الذين يعملون عمل قوم لوط لان ذلك هو المذكور السابق فينصرف اليه فصار تقدير
الاية فانظر كيف امطر الله الحجارة على المجرمين الذين يعملون ذلك العمل المخصوص وذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على ان ذلك الوصف علة لحصول ذلك الحكم واذا ظهرت العلة وجب ان يحصل هذا الحكم
اينما حصلت العلة **قوله تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين وارسلنا الى مدين اخاهم هذه الاخوة كانت في النسب لا في الدين مدين اسم البلد

وقيل

وقيل اسم القبيلة بسبب انهم اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام ومدين صار اسما للقبيلة كما يقال بكر وتميم وشعيب
من اولاده وهو شعيب ابن نويب بن مدين بن ابرهيم خليل الرحمن وكان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبيا
لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين انه حكى عن شعيب انه امر قومه في هذه الاية باشيا
الاول انه امرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرايع جميع الانبيا عليهم السلام
فقال اعبدوا الله ما لكم من اله غيره والثاني انه ادعى النبوة قد جاءتكم بينة من ربكم اي معجزة شاهدة بصحة
نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امرتكم به والانتهاء عما نهاكم عنه والاية دالة على انه حصلت لشعيب معجزة
دلت على صدقه لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم يكن نبيا بل متنبيا
غير ان معجزة شعيب لم يذكر في القران كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه قيل ومن معجزات
شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع
خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا ادم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الايات
لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبا موسى وكانت معجزات لشعيب وفيه نظر فانه يجوز ان تكون هذه الامور
ارهاصا لنبوة موسى عليه السلام والثالث انه قال فاوفوا الكيل واعلم ان بينته جارية بانه اذا كان
قوم مقبلين على نوع من انواع المفاسد اقبالا اكثر من اقبالهم على ساير انواع المفاسد بعث نبيهم
بمنعهم عن ذلك النوع وكان قوم شعيب فشا فيهم البخس والتطفيف فلهذا ابتدا بذكر هذه الواقعة فقال فاوفوا
الكيل والميزان قوله فاوفوا الكيل دليل ظاهر ان يكون الامر بايفاء الكيل كالمعلول والنتيجة لما تقدمه
والمتقدم ههنا قد جاءتكم بينة من ربكم فما وجهه قيل كانه يقول لهم البخس والتطفيف عبارة عن الخيانة بالشي
القليل وهو امر مستقبح في العرف مع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر
فاوفوا الكيل فان قيل كيف قيل الكيل والميزان ولم يقل المكيال والميزان كما هو في سورة هود اجيب
بانه اريد بالكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او ازيد فاوفوا الكيل ووزن
الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر والرابع قوله ولا تبخسوا الناس
البخس النقص يقال بخسته حقه اذا انقصته ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقا وهي باخس لما امرهم
بايفاء الكيل والوزن نهاهم عن البخس وقيل اشياءهم لانهم يبخسون الناس كل شي في مبايعاتهم او كانوا مكاسين
لا يدعون شيا الا مكسوه كما يفعل امرا الحرمين ويدخل فيه المنع من الغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق
وانتزاع اموال الناس بطريق الحيل وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه
الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا
والخامس قوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي لا تفسدوا فيها بعدما اصلح
فيها الصالحون من الانبيا واتباعهم العاملين بشرايعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار
اي مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها بحذف المضاف وقيل قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم
نهي عن فساد الدنيا وقوله ولا تفسدوا في الارض نهي عن فساد الدين ويجوز ان يكون الاية جامعة
للنهي عن مفاسد الدنيا والدين وقيل بعد ان صلحت الارض بمجي النبي بعد ان كانت فاسدة بخلوها وقيل
كان يحتمل الفساد وقد صارت صالحة وقيل بعد ان اصلحها بتكثير النعم فيها فحاصل هذه الامور
الخمسة يرجع الى اصلين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله ويدخل فيه ترك البخس والافساد وحاصلها يرجع الى ترك الايذا كانه يقال ايصال النفع الى الكل متعذر
واما كف الضرر عن الكل فمتيسر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفا بالكيل والميزان
وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه خير لكم في الاخرة ان كنتم مومنين وقيل

في الايه دليل على ما كان يطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجركم اذا عرفوا منكم الامانه والعدل ان كنتم صادقين بقولكم وبفعلكم مومنين **قوله تعالى** ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين وان كانت طايفه منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ضم شعيب عليه السلام الى ما تقدم من الامور الخمسة اشيا فالاول منعهم من القعود على طريق الدين ومنهاج اليقين ليمنعوا الناس عن قبوله وقيل منعهم ان يقعدوا على الطريق الذي يسلكه الناس روى انهم كانوا يجلسون على الطريق ويخوفون من آمن بشعيب قال صاحب الكشاف ولا تقعدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله تقال قعد بمكان كذا وعلى مكان كذا وفي هذه الحروف تعاقب في هذه المواضع لتقارب معانيها فانك اذا قلت قعد بمكان كذا فالبا للالصاق وهو قد التصق بذلك المكان وعلى للاستعلا وهو قد علا ذلك المكان وفي للحلول فقد حل ذلك المكان ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا والمعنى انه نهاهم عن القعود بكل صراط حال الايعاد والصد والبغي وهذه الامور الثلاثة متغايرة فالايعاد بذكر انزال المضار بهم والصد قد يكون بالايعاد بالمضار وقد يكون بالوعد بالمنافع على تركه وقد يكون بان لا يمكنه من الذهاب الى الرسول ليسمع كلامه واما قوله يبغونها عوجا فالمراد القا الشكوك والشبهات والمراد من الايه ان شعيبا نهى القوم من ان يمنعوا الناس من قبول الدين الحق باحد هذه الطرق الثلاثه فان قيل صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط اجيب بان صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيره مختلفه فكانوا اذا راوا واحدا يشرع في شي منها اوعدوه وصدوه والضمير في آمن به راجع الى كل صراط تقديره توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله عوجا اي يصفونها للناس بانها سبيل معوجه غير مستقيمه ليصدوهم عن سلوكها والدخول فيها ويكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم والمقصود منه انهم اذا تذكروا كثرة انعام الله عليهم فالظاهر ان ذلك يحملهم على الطاعه والاجتناب عن المعصيه وقيل كثركم بالغنى بعد الفقر او كثركم الله بالقدرة بعد العجز فانهم اذا كانوا فقراء وعاجزين فهم بمنزلة القليل في انه لا يحصل من وجودهم قوة وشوكة واما كثر عددهم بعد قلتهم فان مدين ابن ابراهيم تزوج ريثا بنت لوط فرمى الله في نسلها بالبركة والنما فولدت حتى كثر عددهم وانظر كيف كان عاقبة المفسدين اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وما لحقهم من الخزي والنكال والمقصود انهم اذا انظروا وتدبروا وعلموا ان عاقبتهم ليست الا الخزي والنكال احترزوا عن الفساد والعصيان واطاعوا فكان المقصود من هذين الكلامين حملهم على الطاعه بطريق الترغيب اولا والترهيب ثانيا وان كانت طايفه المقصود منه ترفية قلوب المومنين وزجر من لم يومن لان قوله فاصبروا تهديد وكذلك حتى يحكم الله بيننا فاصبروا وتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وقيل هو عظة للمومنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المومنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان

من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل منزه عن الحيف والظلم فيخص المومن المتقي بالدرجات العاليه والكافر الشقي بانواع العقوبات **قوله تعالى** قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا وسع ربنا كل شي علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين لما قرر شعيب تلك الكلمات قال الملا الذين استكبروا وانفوا من تصديقه وقبول قوله لنكونن احد الامرين اما ان نخرجك ونخرج اتباعك من قريتنا واما ان تعود في ملتنا فان قيل كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في ملتهم التي هي الكفر وكيف اجابهم شعيب بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبيا لا يجوز عليهم الصغاير الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر اجيب عنه من وجوه الاول انهم لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن في ملتنا فغلبوا الجماعه على الواحد فجعلوهم عايدين جميعا اجرا للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا من ذلك اجرا لكلامه على حكم الابهام الثالث ان شعيبا في اول امره كان يخفي دينه ومذهبه فتوهموا انه كان على دين قومه الرابع لا يبعد ان يقال شعيبا كان على شريعتهم ثم انه تعالى نسخ تلك الشريعه بالوحي الذي اوحاه الله اليه الخامس المراد من قوله او لتعودن لتصيرن الى ملتنا فوقع العود بمعنى الابتدا تقول العرب قد عاد علي من فلان مكروه يريدون قد صار الى منه المكروه ابتدا قال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان قال اولو كنا كارهين الهمزه للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم اي ان عدنا في ملتكم فقد افترينا على الله كذبا فان الاصل في النبوة والرسالة صدق اللهجه والبراة عن الكذب فالعود في ملتكم يبطل النبوة ويزيل الرسالة بعد اذ نجانا الله منها علمنا قبحه وفساده ونصب الادله على انه باطل وقيل المراد ان الله تعالى نجى قومه من تلك الملة الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا منه اجرا للكلام على حكم التغليب وقيل ان القوم اوهموا انه كان على ملتهم او اعتقدوا انه كان كذلك فقوله بعد اذ نجانا الله منها على حسب معتقدكم وزعمكم اما قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا اي الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيته انا نعود فيها فيقضي قضا الله فينا وينفذ حكمه فينا وعلمه علينا وهذه الايه تدل صريحا على ان الكفر بمشية الله تعالى قال صاحب الكشاف معنى قوله الا ان يشا الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا ويكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شي علما اي هو عالم بكل شي مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف يتحول وقلوبهم كيف تنقلب وكيف تقسو بعد الرقه وتمرض بعد الصحه وترجع الى الكفر بعد الايمان وهذا صرف عن الظاهر من غير دليل صارف عنه بل مع وجود دليل دال على امتناع حمله على ما حمله عليه بقوله وسع ربنا كل شي علما ان القوم لما قالوا لشعيب اما ان نخرج من قريتنا واما ان تعودوا الى ملتنا فقال شعيب وسع ربنا كل شي علما فربما كان في علمه حصول قسم ثالث وهو ان نبقى في هذه القريه من غير ان نعود الى ملتكم بل يجعلكم مقهورين تحت امرنا ذليلين خاضعين

التلبيس على العوام ان الدين [illegible]
القول الثاني في ذلك ازدريا [illegible]
وانتصار لدين [illegible]

وسع ربنا كل شي علما يدل على انه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا لان قوله وسع فعل ماض فيتناول كل ما مضى
واذا ثبت ان تغيير معلومات الله محال لزم انه لزمت الاحكام وجفت الاقلام والسعيد من سعد في علم الله والشقي
من شقي في علم الله وسع كل شي علما منصوب على التمييز على الله توكلنا ختم كلامه بامرين الاول على الله توكلنا وهو يفيد
الحصر كانه في هذا المقام عزل الاسباب وفوض امره الى مسبب الاسباب والثاني الدعا ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق اي احكم بيننا والفتاحه الحكومه قيل يسمون القاضي الفاتح والفتاح لانه يفتح مواضع الحق عن ابن عباس
انه قال ما كنت ادري معنى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها
تعال افاتحك اي احاكمك وقيل اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان ينزل عليهم عذابا
يدل على انهم على الباطل وانت خير الفاتحين هو ثنا على الله تعالى كقوله وهو خير الحاكمين اعلم ان قوله قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا معنى
التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافترا من الكافر لان الكافر
مفتر على الله الكذب حيث زعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزايد عليه حيث زعم انه قد تبين له
ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا
على الله كذبا **قوله تعالى** وقال الملا الذين كفروا من قومه لين اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
فاخذتهم الرجفه فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين
بين الله شدة ضلالتهم بتكذيب شعيب ثم انهم لم يقتصروا على ذلك حتى اضلوا غيرهم ولاموهم على متابعته فقالوا
لين اتبعتم شعيبا ثم بين انكم اذا لخاسرون اي قال اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لين اتبعتم
شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلاله بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوايد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنها ويحملكم على الايفا
والتسويه لين اتبعتم اللام موطيه للقسم وان اتبعتم شرط وقسم وقوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد جواب
القسم وجواب الشرط قوله فاخذتهم الرجفه ولما كان عند هذا المقال كمل حالهم في الضلال او لا
والاضلال ثانيا استحقوا الاهلاك فلهذا قال فاخذتهم الرجفه وهي الزلزله الشديده المهلكه فاصبحوا
في دارهم في مساكنهم جاثمين اي خامدين ساكتين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها ولذلك
كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتدا معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباع شعيب فانهم هم الرابحون وفي هذا الاستيناف
والابتدا وهذا التكرير مبالغه في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزا بنصحهم لقومهم
واستعظام لما جرى عليهم في قوله لم يغنوا قولان احدهما غني القوم في دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغاني
المنازل التي كان بها اهلوها واحدها مغنى قال الشاعر ولقد غنوا فيها بانعم عيشه في ظل ملك ثابت الاوتاد
اراد اقاموا فيها فمعنى قوله كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوا فيها وثانيهما كان لم يعيشوا
مستغنين يقال غني الرجل يغنى اذا استغنى وهو من الغنا الذي هو ضد الفقر وعلى القولين شبه الله
حال هولا المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار فتولى عنهم بعد نزول العذاب بهم وقيل قبله قوله
اسى الاسى شدة الحزن قال العجاج واحلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا اكثرين
وكانوا يتوقع منهم قبول نصيحته فلما نزل بهم ذلك الهلاك الشديد اسى عليهم من جهة الوصله والمجاوزه
وطول الالفه ثم انكر على نفسه فقال كيف تشتد حزني على قوم كافرين لانهم هم الذين تسببوا الى هلاكهم

لاصرارهم على الكفر وقيل يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحه والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي
ولم تصدقوني ولم تقبلوا نصيحتي فكيف اسى عليكم يعني انهم ليسوا احقا بان ياسى الانسان عليهم **قوله تعالى**
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا لعلهم يتضرعون ثم بدلنا مكان السية الحسنه
حتى عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضرا والسرا فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون لما ذكر احوال هولا الانبيا
واحوال ما جرى على اممهم كان من الجايز ان يظن انه تعالى ما انزل عذاب الاستيصال الا في زمن هولا الانبيا
فقط فبين في هذه الايه ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وبين السبب الذي به يفعل ذلك وانما ذكر
القريه لانه يجتمع القوم الذين اليهم تبعث الرسل ويدخل تحتها كل موضع يجتمع فيه القوم من نبي مكذب او مكذبه
اهلها الا اخذنا اهلها بالباسا بالبوس والفقر والضرا بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم
عليه لعلهم يتضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر بين ان تدبيره لاهل القرى لا يجري على نمط
واحد وانما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب فقال ثم بدلنا مكان السيه اي اعطيناهم بدل ما كانوا
فيه من البلا والمحنه والرخا والسعه والصحه كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيات لان ورود
النعمه في البدن والمال بعد الباسا والضرا يدعو الى الانقياد والاشتغال بالشكر حتى عفوا حتى كثروا
ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات وعفى الشحم والوبر اذا كثرت وفي الحديث انه عليه السلام
امر ان تحفى الشوارب وتعفى اللحى يعني توفر وتكثر وقالوا قد مس اباءنا الضرا والسرا وابطرتهم النعمه فقالوا
هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضرا والسرا وقد مس اباءنا نحو ذلك وما هو بابتلا من الله لعباده
فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاه من غير شعور منهم والمعنى انهم متى نالهم شده
قالوا ليس هذا بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل وتلك عادة الدهر ولم يكن ما مسنا من الباسا والضرا
عقوبة من الله تعالى وهذه الحكايه تدل على انهم لم ينتفعوا بما دبرهم الله عليه من رخا بعد شده وامن بعد
خوف بل عدلوا الى ان هذه عادة الزمان في اهله فمره يحصل فيهم الشده والضر ومره يحصل لهم الرخا
والراحه فبين الله تعالى انه ازال عذرهم وازاح علتهم فلم ينقادوا ولم ينتفعوا بذلك الامهال
فاخذناهم بغته والمعنى انهم لما افسدوا على التقديرين اخذهم الله بغتة ان كانوا ليكون ذلك اعظم
في الحسره وقوله وهم لا يشعرون اي بنزول العذاب والحكمه في ذكر هذا المعنى ان تحصيل الاعتبار
لمن سمع هذه القصه وعرفها **قوله تعالى** ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السما والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا وهم نايمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر
الله الا القوم الخاسرون لما بين الله تعالى في الايه الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم الله
بغتة بين في هذه الايه انهم لو اطاعوا لفتح الله عليهم ابواب الخيرات اللام في القرى للعهد والمعهود
الذي دل عليه قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا
امنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السما والارض لاتيناهم بالخير
من كل وجه وقيل بركات من السما المطر والارض النبات واصل البركه المواظبه على الشي يقال
بارك فلان على فلان اذا واظب عليه واراد تتابعا عليهم بالمطر والنبات والخصب ورفعنا عنهم القحط ولكن
كذبوا فاخذناهم فعجلنا لهم العقوبه بما كانوا يكسبون من المعصيه والكفر والاعمال الخبيثه ثم انه تعالى
اعاد التهديد بعذاب الاستيصال افامن الفا حرف عطف دخلت عليها همزة الانكار والمعطوف عليه قوله
فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت
بالفا لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم باسه بعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا

ان ياتيهم باسنا ضحى والبيات بمعنى البيتوته يقال بات بياتا ومنه قوله تعالى فجاها باسنا بياتا او هم قايلون
وبمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بايتين او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم بياتا او امن قرا ابن عامر بسكون الواو جعل
او للاضراب فكان المعنى في هذه اامنوا هذه الضروب من العذاب والباقون بفتح الواو وضحى نصب على الظرف
يقال اتاني ضحى وضحيا وضحا والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والمقصود انه تعالى
خوفهم بنزول ذلك العذاب عليهم في الوقت الذي يكونون في غاية الغفله وهو حال النوم بالليل
وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على المرء التشاغل باللذات وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجري عليهم
كانهم يلعبون وقيل التشاغل بامور الدنيا فهي لعب ولهو وقيل خوضهم في كفرهم لان ذلك كاللعب في انه يضر ولا ينفع
افامنوا تكرير لقوله افامن اهل القرى والمعنى افامنوا ان ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ومكر الله استعارة
لاخذ العبد من حيث لا يشعر وللاستدراج فعلى العاقل ان يكون في خوف من مكر الله كالمحارب الذي يخاف
من عدوه الكمين والبيات والغيله وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك
تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
وهم الذين لغفلتهم وجهلهم لا يعرفون ربهم فلا يخافون ومن هذه سبيله فهو اخسر الخاسرين في الدنيا والاخره
لانه اوقع نفسه في الدنيا في الضرر وفي الاخره في اشد العذاب **قوله تعالى** اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من
انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين لما بين بما تقدم من الايات حال الكفار والذين
اهلكهم الله بالاستيصال مجملا ومفصلا اتبعه ببيان ان الغرض من ذكر هذه القصص حصول العبره لجميع المكلفين
في مصالح اديانهم وطاعاتهم اولم يهد بالياء ان لو نشاء فاعله وان مخففه من الثقيله والمعنى اولم يهد للذين
يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم
واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين وانما عدي فعل الهدايه باللام لانه بمعنى التبيين ونطبع على قلوبهم
معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهدايه ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض
او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم قيل لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم لانهم كانوا كفارا
وكل كافر مطبوع على قلبه فقوله بعد ذلك ونطبع على قلوبهم يجري مجرى تحصيل الحاصل تلك
كانه مبتدا والقرى خبره ونقص حال لقوله تعالى هذا بعلي شيخا ويجوز ان يكون نقص خبرا بعد خبر وتلك
القرى كلام مفيد بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفه في قولك هو الرجل الكريم
ومعنى الاخبار عن الذي نقص عليك من انبائها ان تلك القرى المذكوره نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم
نقصها عليك والمراد بتلك القرى قرى الاقوام الخمسه الذين وصفهم الله فيما سبق وهم قوم نوح وهود وصالح
ولوط وشعيب وانما خص الله تعالى انباء اهل هذه القرى لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم فتوهموا
انهم على الحق فذكرها الله لقوم محمد صلى الله عليه وسلم ليكونوا على حذر من مثل تلك الاعمال ثم عزى الله النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله ولقد جاءتهم رسلهم اي الانبيا الذين ارسلوا اليهم بالبينات فما كان اولئك الكفار ليومنوا
عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من ايات الله من قبل مجيء الرسل اي يوم اخذنا ميثاقهم حين اخرجهم من
ظهر ادم فامنوا كرها واقروا باللسان واضمروا التكذيب وقيل فما كانوا ليومنوا بعد رويه المعجزات
بما كذبوا قبل رويه تلك المعجزات نظيره قوله تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وقيل
ما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف ليومنوا بما كذبوا به من قبل اهلاكهم

ونظيره

بلغ

ونظيره ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليومنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم
الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم
وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الايات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم
على الكفر ثم انه تعالى بين السبب في انهم لا يومنوا فقال كذلك نطبع على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم ان لا يومنوا
ابدا وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي لاكثر الناس من عهد اي ان اكثر الناس
نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى عن ابن عباس يريد الوفا بالعهد الذي عاهدهم الله وهم في صلب
ادم حيث قال الست بربكم قالوا بلى فلما اخذ الله منهم هذا العهد واقروا به ثم خالفوا صار كانه ما كان
لهم عهد ولهذا قال وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا ان مخففه من الثقيله اي وان الشان والحديث
وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعه مارقين والايه اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير في قوله
وما وجدنا لاكثرهم الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافه لئن انجيتنا من هذه
لنومنن ثم نجاهم نكثوا كما قال فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك الى قوله اذا هم ينكثون
والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففه واللام الفارقه ولا يسوغ
ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخله عليهما **قوله تعالى** ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون
وملايه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين هذه القصه هي القصه السادسه من القصص التي ذكر الله
في هذه السوره وذكر في هذه السوره من الشرح والتفصيل ما لم يذكر في ساير القصص لان معجزات
موسى عليه السلام اقوى من معجزات ساير الانبيا عليهم السلام وجهل قومه كان اعظم وافحش من جهل
ساير الاقوام من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم اي الامم الذين تقدم اهلاكهم باياتنا
يدل على ان النبي لا بد له من معجزه يمتاز عن غيره اذ لو لم يكن مختصا بهذه الايه لم يكن قبول قوله اولى
من قبول قول غيره ويدل على انه تعالى اتاه ايات كثيره ومعجزات كثيره عن ابن عباس اول اياته العصا
ثم اليد ضرب بالعصا باب فرعون ففزع منها فشاب راسه فاستحى فخضب بالسواد فهو اول من
خضب واخر الايات الطمس فظلموا بالايات التي جاءتهم لان من الظلم وضع الشي في غير موضعه فلما
كانت تلك الايات ظاهره ثم انهم كفروا بها فوضعوا الانكار موضع الاقرار والكفر في موضع الايمان
فكان ذلك ظلما منهم بها قيل فظلموا بها فكفروا باياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد
ان الشرك لظلم عظيم وقيل فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن
بها فانظر بعين عقلك كيف كان عاقبة المفسدين وكيف فعلنا بهم **قوله تعالى** وقال
موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم
ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين
يقال لملوك مصر الفراعنه كما يقال لملوك فارس الاكاسره فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن مصعب ابن الريان اني رسول من رب العالمين فيه اشاره الى ما يدل
على وجود الاله تعالى فان قوله رب العالمين يدل على ان العالم موصوف بصفات لاجلها
افتقر الى رب يربيه ويوجده ويخلقه حقيق على ان لا اقول المعنى ان الرسول لا يقول الا الحق
كانه قال اني رسول الله ورسول الله لا يقول الا الحق فيلزم منه اني لا اقول الا الحق فلما كانت
المقدمه الاولى مفتقره الى بينه ذكر ما يدل على صدقها وهو قوله قد جئتكم ببينة من ربكم
وهي المعجزه الظاهره القاهره ولما قرر رسالة نفسه فرع عليهم تبليغ الحكم وهو قوله فارسل
معي بني اسرائيل فلما سمع فرعون هذا الكلام قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين

ذلك م

ايه م

واعلم ان فرعون ما نازعه فيما ذكره موسى عليه السلام الا في طلب المعجزة قرا نافع حقيق علي مشدد اليا
والباقون بسكون اليا اما قراة نافع فحقيق يجوز ان يكون بمعنى فاعل بمعنى الحق لشي اي وجب والمعنى
واجب علي ان لا اقول على الله الا الحق ويجوز ان يكون بمعنى مفعول اي محقوق مثبت علي ان لا اقول على الله الا
الحق واما قراة العامه المشهوره ففيه وجوه الاول ان العرب يجعل البا في موضع على يقول رميت على
القوس وبالقوس وجيت على حالة حسنه وبحالة حسنه وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط فكما وقعت
في قوله بكل صراط موقع على كذلك وقعت على موضع البا في قوله حقيق على ان لا اقول ويوكد هذا الوجه قراة عبد الله
حقيق بان لا اقول والثاني ان ما لزمك لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما
له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل في
نكت القران ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لاسيما وقد راى ان عدو الله
فرعون قال له لما قال موسى عليه السلام اني رسول رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي
واجب على قول الحق ان اكون انا قايله والقايم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرايل اي فاطلق عنهم
وخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسه التي هي وطنهم ومولد ابايهم وذلك ان يوسف عليه السلام
لما توفي وانقرضت الاسباط ولم يسلم عليهم فرعون فاستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين
اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا اربعمايه عام قال فرعون مجيبا لموسى ان كنت
جيت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك وتثبت صدقك قوله فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم فماذا تامرون لما طلب فرعون من موسى عليه السلام الاتيان بالايه وكان من معجزاته قلب العصا ثعبانا
القى موسى عصاه فاذا هي اي العصا ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك انه ثعبان روي عن ابن عباس انه كان ثعبانا ذا
اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون
لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا
وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسه وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح
يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرايل فاخذه موسى فعاد عصى ثم قال له فرعون هل
معك اية اخرى قال نعم ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى ادم
اللون ثم ادخلها جيبه فصارت كما كانت قبل قوله للناظرين يتعلق ببيضا والمعنى فاذا هي بيضا
للنظاره ولا يكون بيضا للنظاره الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العاده يجتمع الناس للنظر اليه
كما يجتمع النظاره للعجايب وذلك ما روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه
وعليه مدرعه صوف ونزعها فاذا هي بيضا بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملا من قوم
فرعون ان هذا الساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعه من خدعه حتى خيل
اليهم العصا حيه والادم ابيض والشي بخلاف ما هو عليه قد عزي هذا الكلام هاهنا الى الملا من قوم
فرعون وعزي في الشعرا الى فرعون حيث قال للملا من قومه ان هذا الساحر عليم لانه قد قاله هو وقالوه
هم فحكى قوله ثم وقولهم هاهنا او قاله فرعون ابتدا فتلقته منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه
للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصه ثم
يبلغه الخاصه العامه والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المداين
حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم يريد ان يخرجكم يا معشر القبط من ارضكم مصر فماذا تامرون هذا من
قول فرعون للملا ولم يذكر فرعون تامرون من امرته فامرني بكذا اي شاورته فاشار علي براي

قوله تعالى

قوله تعالى قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وجا السحره فرعون
قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين لما قال الملا لفرعون ان هذا الساحر عليم
يريد ان يخرجكم كانه قال فرعون فماذا تامرون قالوا ارجه قرا نافع والكساي ارجه بغير همز وكسر الها
والاشباع وعاصم وحمزه بغير الهمز وسكون الها وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ارجه بالهمز وضم الها
ثم ابن كثير يشبع الها على اصله والباقون لا يشبعون ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك
حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وارسل في المداين حاشرين يدل على ان السحره كانوا
كثيرين في ذلك الزمان ويدل ايضا على ان في طباع الخلق معرفة المعارضه وانها اذا امكنت فلا نبوه
واذا تعذرت صحت النبوه ياتوك بكل ساحر قرا حمزه والكساي بكل سحار فانه وصفه بتعليم ذلك
على حذقه به فحسن لذلك ان يذكر بالاسم على المبالغه في السحر والباقون بكل ساحر وهو مناسب
لقوله سحروا اعين الناس وجا السحره فرعون روي انه دعا برويسا السحره ومعلمهم فقال لهم ما صنعتم
قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحر اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا
ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعه وثلاثين الفا واختلف في الروايات فمن مقل ومن مكثر
وقيل كان يعلمهم مجوسيان من نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر قالوا هو
على تقدير سايل سال ما قالوا اذ جاوه فاجيب بقوله قالوا ولهذا لم يقل فقالوا اقرا نافع وابن كثير وحفص
عن عاصم ان لنا لاجرا بكسر الالف على الخبر والباقون على الاستفهام فقرا ابو عمرو بهمزه ومد وعلى اصله
والباقون بهمزتين قال الواحدي الاستفهام احسن في هذا الموضع لانهم ارادوا ان يعلموا هل لهم اجر ام
لا ويقطعون على ان لهم الاجر ويقوي ذلك اجماعهم في سورة الشعرا على الهمز والاستفهام وقيل ان
نافعا وابن كثير ارادا همزة الاستفهام ولكنهما حذفا من اللفظ وان كانت باقيه في المعنى كقوله تعالى وتلك
نعمه تمنها علي ان عبدت بني اسرايل فانه يذهب كثير من الناس الى معناه اتلك بالاستفهام وكما في قوله هذا
ربي والتقدير اهذا وقيل ان السحره اثبتوا لانفسهم اجرا عظيما كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
قال فرعون نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين اي لا اقتصر على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزياده اني اجعلكم
من المقربين عندي في المنزله وقيل اول من يدخل علي واخر من يخرج **قوله تعالى** قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاوا بسحر عظيم
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين اما ان تلقي للتخيير ادخل ان في قوله ان تلقي لانها في موضع الامر بالاختيار
وهي في موضع نصب كقول القايل اختر ذا او ذا كانهم قالوا اختر ان تلقي او نلقي يريد اما ان تلقي عصاك
واما ان نكون نحن الملقين اي ما معنا من الحبال والعصي مفعول الالقا محذوف وتخييرهم اياه ادب
حسن راعوه مع موسى كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال
والمتصارعين قبل ان ياخذوا في الصراع ومن حسن الادب تقديمهم موسى في الذكر وقولهم واما
ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل
وتعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى عليه السلام ما تراغبوا فيه ازدرا بشانهم وقلة
مبالاة وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي وان المعجزه لن يغلبها سحر ابدا فلما القوا حبالهم
وعصيهم اي قلبوا اعين الناس عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وقيل اروها بالحيل والشعوذه
وخيلوا اليهم ما الحقيقه بخلافه لقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واحتج القايلون بان السحر
محض التمويه لانه لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا اعينهم فثبت ان المراد انهم

تخيلوا احوالا عجيبه مع ان الامر في الحقيقه ما كان على وفق ما تخيلوه وقيل انهم اتوا بالحبال والعصي ولطخوها بالزيبق وجعلوا الزيبق في داخل تلك العصي فلما اثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا فالناس تخيلوا انها تتحرك وتلتوي باختيارها وقوتها واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بشي عظيم في باب السحر حتى رهبهم الناس وذلك بان بعثوا جماعة ينادون عند القا ذلك ايها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب عن ابن عباس انه خيل الى موسى ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصي موسى فاوحى الله الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون عز وجل ✓ اي فالقاها فاذا هي تلقف قرا حفص عن عاصم ساكنة اللام خفيفه القاف والباقون مفتوحة اللام مشددة القاف مصدر لقفت الشي القفه لقفا اذا اخذته فاكلته وابتلعته ما يافكون موصوله او مصدريه بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او يلقف افكهم تسمية للمافوك بالافك وهو في اللغة قلب الشي عن وجهه ومنه قيل للكذب افك لانه مقلوب عن وجهه روي انها لما تلقفت مل الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمه او فرقها اجزا لطيفه قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت وهو يفيد قوة الثبوت والظهور بحيث لا يصح فيه البطلان كما لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا وبطل ما كانوا يعملون اي زالت الاعيان التي افكوها وهي ان تلك الحبال والعصي فقدت فعند ذلك ظهرت الغلبه ولهذا قال تعالى فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلا مبهوتين لانه لا اذلال ولا اصغار اعظم في حق المبطل من ظهور بطلانه قوله وجه على وجه لا يمكن فيه حيله ولا شبهه اصلا **قوله تعالى** والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون والقي السحرة ساجدين حيث عرفوا ان ذلك امر سماوي وليس بسحر فاستدلوا على ان موسى نبي صادق من عند الله دلت هذه الايه على ان غيرهم القاهم ساجدين وما ذاك الا الله فهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله وقيل من سرعة ما سجدوا كانما القاهم ملق وقيل لم يتمالكوا انما راوا فكانهم القوا انه تعالى ذكر اولا انهم صاروا ساجدين ثم ذكر بعده انهم قالوا امنا برب العالمين فما الفايده فيه مع ان الايمان يجب ان يكون متقدما على السجود قيل انهم لما ظفروا بالمعرفه سجدوا لله تعالى في الحال وجعلوا ذلك السجود شكرا لله تعالى على الفوز بالمعرفه والايمان وعلامة على انقلابهم من الكفر الى الايمان واظهار الخضوع والتذلل لله فكانهم جعلوا ذلك السجود الواحد علامة على هذه الامور الثلاثه على سبيل الجمع وقيل يحتمل ان يكون عند السجود قالوا امنا برب العالمين قيل لما قالوا امنا برب العالمين قال لهم فرعون اياي تعنون فلما قالوا رب موسى قال فرعون اياي تعنون لاني ربيت موسى فلما قالوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم كفروا بفرعون وامنوا باله السما وقيل انما خصصهما بالذكر بعد دخولهما في جملة العالمين تشريفا وتفضيلا كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال **قوله تعالى** قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينه لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قرا عاصم في رواية حفص امنتم بهمزة واحدة على لفظ الخبر اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وكذلك في طه والشعرا وعاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي امنتم بهمزتين في جميعها والباقون بهمزة واحدة ممدوده في جميعها على الاستفهام في معناه الانكار والاستبعاد لما راى فرعون ان السحرة امنوا بنبوة موسى عليه السلام عند اجتماع الخلق العظيم خاف من ان يصير ذلك حجة قويه على صحة نبوة موسى عليه السلام

فالقى

فالقى الشبهه تمنع العوام من اعتقاد صحة نبوة موسى عليه السلام وهذه الشبهه قوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينه والمعنى ان ايمانكم بموسى ليس لقوة الحجه بل ان صنعكم هذه الحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحرا قد تواطاتم على ذلك الغرض وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وهذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لاتين بسحر لا يغلبني سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا امامن اليد اليمنى والرجل اليسرى او من اليد اليسرى والرجل اليمنى ثم لاصلبنكم قيل اول من قطع من خلاف وصلب فرعون قالت السحرة انا الى ربنا منقلبون لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقا ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقايك وقيل ننقلب الى الله يوم الجزا فيثيبنا على شدايد القطع والصلب وقيل انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا وقيل انا لا محاله ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه ثم حكى الله عن القوم ما لا يمكن ان يقع من المومن احسن منه وهو قولهم لفرعون وما تنقم منا فبينوا ان الذي كان منهم لا يوجب الوعيد ولا انزال النقمه منهم بل يقتضي خلاف ذلك وهو ان يتاسى بهم في الايمان بالحق والاحتراز عن الباطل عند ظهور الحجه والدليل عن ابن عباس يريد ما اتينا بذنب تعذبنا عليه الا ان امنا بايات ربنا وقيل وما تعيب منا الا الايمان بايات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ربنا افرغ الافراغ الصب يقال درهم مفرغ اذا كان مصبوبا في قالب وليس بمضروب واصله من افراغ الانا وهو صب ما فيه اي هب لنا صبرا واسعا واكثر علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الما افراغا عند القطع والصلب وقيل صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرا لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام والايمان والدين الحق الذي جا به موسى **قوله تعالى** وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين بعد وقوع هذه الواقعة العظيمه لم يتعرض فرعون لموسى وما اخذه وما حبسه بل خلى سبيله فقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه وقيل ان فرعون كلما راى موسى عليه السلام خافه اشد الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له الا ان القوم لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه وقوله ليفسدوا في الارض اي يفسدوا على الناس دينهم الذي كانوا عليه واذا افسدوا عليهم اديانهم توسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على يفسدوا والاته اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك موديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك الهته فكانه تركهم لذلك وقيل هو جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفا نحو قول الحطيئه الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخا والتقدير اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وان يذرك والهتك قيل ان فرعون كان قد صنع لقومه اصناما وامرهم بعبادتها تقربا اليه كما تعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى قال الامام والذي خطر بالبال

فرعون في الحال الشبهه الى اسماع العوام لتصير تلك م

ان فرعون ان قلنا انه كان كامل العقل لم يجز في حكمة الله ارسال الرسول اليه وان كان عاقلا
لم يجز ان يعتقد في نفسه كونه خالق السموات والارض ولم يجز من الجمع العظيم من العقلا ان يعتقدو
فيه ذلك لان فساده معلوم بالضرورة بل الاقرب ان يقال انه كان دهريا منكرا لوجود الصانع
وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب وانا المخدوم في العالم للخلق ولتلك الطايفه
والمربي لهم هو نفسه فقوله انا ربكم الاعلى اي انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وقوله ما علمت
لكم من اله غيري اي لا اعلم لكم احدا يجب عليكم عبادته الا اياي واذا كان مذهبه ذلك لم يبعد
ان يقال انه كان قد اتخذ اصناما على صور الكواكب ويعبدها ويتقرب اليها على ما هو دين عبدة
الكواكب وعلى هذا التقدير فلا امتناع في حمله قوله تعالى ويذرك والهتك على ظاهره وروي
انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستماية نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك
وخافوا ان يغلبوا على الملك فالقوم ارادوا بذكر هذا الكلام حمل فرعون على اخذ موسى عليه السلام
وحبسه وانزال العذاب به فعند هذا لم يذكر فرعون ما هو حقيقة الحال وهو كونه خايفا
عن موسى عليه السلام ولكنه قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم قرا نافع وابن كثير سنقتل
بفتح النون والتخفيف والباقون بضم النون والتشديد على التكثير يعني ابناء بني اسرايل ومن
آمن بموسى اي انما تمكن موسى الافساد بواسطة الرهط والشيعه فنحن نسعى في تقليل رهطه
وشيعته وذلك بان نقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وقيل يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من
قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبه والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا
وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلاينا ولئلا يتوهم العامه انه هو المراد الذي حدث
المنجمون والكهنه بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه
وانه منتظر بعد وانا فوقهم قاهرون والمقصود منه انما ترك موسى وقومه لا عن عجز
وخوف ولو اراد به البطش لقدر عليه كان يوهم قومه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته
اليه ولعدم خوفه منه قال موسى لقومه ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا
يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصر عليهم ولعدم خوفه منه قال موسى ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرايل
من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم وانما اخليت هذه الجمله عن الواو وادخلت على
التي قبلها لانها جمله مبتداه مستانفه واما وقال الملا فمعطوفه على ما سبقها من قوله
قال الملا من قوم فرعون واللام في الارض للعهد والمراد ارض مصر خاصه لقوله واورثنا
الارض ويحتمل ان يكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض والعاقبة للمتقين بشارة
بان الخاتمة المحموده للمتقين منهم ومن القبط **قوله تعالى** قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن
بعد ما جيتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون لما سمع قوم
موسى ما ذكره فرعون من التهديد والوعيد خافوا قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا اي قبل
مولد موسى فان بني اسرايل قبل مولد موسى كانوا مستضعفين في يد فرعون وكان ياخذ
منهم الجزيه ويستعملهم في الاعمال الشاقه ويوذيهم ويقتل ابناءهم ويستحيي نساءهم فلما بعث
الله موسى قوي رجاوهم في زوال ذلك الاذى والمضار فلما سمعوا ان فرعون هدد
واوعد باعادته عليهم بعد ذلك عظم خوفهم وحزنهم فقالوا هذا الكلام قال موسى لقومه
عسى ربكم ان يهلك عدوكم قوى موسى قلوبهم بهذا القول فصرح بما رمز اليه من البشاره
قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر فيرى الواقع
منه

منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعم وكفرانها فان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم وانما يجازيهم
على ما يقع منهم **قوله تعالى** ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم
الحسنه قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طايرهم عند الله ولكن اكثرهم
لا يعلمون لما حكى الله عن موسى انه قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ذكر في هذه الايه بعد ذكر ما انزل بفرعون
وقومه من المحن حالا بعد حال الى ان انتهى الى الهلاك تنبيها للمكلفين على الاحتراز عن الكفر وتكذيب الرسل
خوفا من نزول هذه المحن بهم السنين جمع السنه وللسنه معنيان احدهما العام والثاني الجدب وهو
خلاف الخصب وها هنا اريد بها الجدب اي اخذنا ال فرعون بسني القحط قال صاحب الكشاف والسنه
من الاسماء الغالبه كالدابه والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا قال
ابن عباس اما السنون فكانت لاهل باديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم
يذكرون ظاهر هذا انه انما انزل عليهم هذه المضار لاجل ان يرجعوا عن طريق التمرد والعناد الى العبوديه
والانقياد وذلك لان الناس في حال الشده اضرع خدودا والين اعطافا وارق افيدة
شاهده قوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله واذا مسه الشر فذو دعا
عريض قيل عاش فرعون اربعماية سنه ولم ير مكروها في ثلثمايه وعشرين سنه ولو اصابه في تلك
المده وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبيه فاذا جاءتهم الحسنه اي الغيث والخصب والثمار والمواشي
والرخاء والسعه في الرزق والعافيه والسلامه قالوا لنا هذه اي نختص بها ونحن مستحقوها
على العاده التي جرت من كثرة نعمنا وسعة ارزاقنا ولم يعلموا انه من الله فيشكروه ويقوموا
بحق النعمه وان تصبهم سيئه قحط وجدب ومرض وضر وبلا يطيروا اي تشاءموا والتطير التشاؤم
بموسى ومن معه ويقولوا انما اصابتنا هذه السيئه بشوم موسى ومن معه ولولا مكانهم لما اصابتنا
كما قالت الكفره لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك وانما قال فاذا جاءتهم الحسنه باذا
وتعريف الحسنه لان جنس الحسنه وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وانما قال وان تصبهم
سيئه بان وتنكير السيئه لان السيئه لا تقع الا في الندره ولا يقع الا شي منها ومنه قول بعضهم قد عددت
ايام البلا فهل عددت ايام الرخاء الا انما طايرهم عند الله قال ابن عباس يريد شومهم عند
الله وهو حكمه ومشيته والله هو الذي شاء ما يصيبهم من الحسنه والسيئه لقوله قل كل من عند الله
فالطاير ها هنا هو الشوم قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله
وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم
الله في قوله النار يعرضون عليها الايه ولا طاير اشام من هذا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل من
الله وذلك لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب المحسوسه ويقطعونها عن قضاء الله
وتقديره **قوله تعالى** وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
لما حكى الله عن قوم فرعون في الايه الاولى انهم لجهلهم اسندوا حوادث هذا العالم لا الى قضاء
الله وقدره حكى عنهم في هذه الايه نوعا اخر من انواع الجهاله والضلاله وهو انهم لم يميزوا بين
المعجزه والسحر وقالوا لموسى مهما ما في مهما هي المضمنه معنى الجزا ضمت اليها ما المزيده المؤكده
للجزا في قولك متى تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف
قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وقيل ان مه هو الصوت الذي يصوت به الكاف
وما للجزا كانه قيل كف مهما تاتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى ايما شي تاتنا به او النصب بمعنى ايما شي

نحصر باياتنا به ومن اية تبيين لمهما والضمير في به وبها راجعان الى مهما ثم احدهما على اللفظ والثاني
انث على المعنى لانه في معنى الاية قال صاحب الكشاف وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها
من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك
وهذا من وضعه وهذا ليس من كلام واضع العربية في شي ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من اية
بمعنى الوقت فيلحد في ايات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه
من اية سموها اية اعتبار التسمية وقصد وابذلك الاستهزاء والتلهي قال ابن عباس ان القوم لما قالوا لموسى
مهما تاتنا به من اية فهي عندنا من باب السحر ونحن لا نومن لك وكان موسى عليه السلام رجلا
حديدا فعند ذلك دعا عليهم فاستجاب الله له فارسل الله عليهم الطوفان الدايم ليلا ونهارا اسبتا الى سبت
والطوفان ما طاف بهم وعليهم من مطر او سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السما
حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في
الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم
من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وقيل الطوفان الجدري وهو اول عذاب
وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هي الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا
الطوفان ونحن نومن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يومنوا
ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا كما كانوا فانبت الله لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم ينبته
لهم قبل ذلك واعشبت بلادهم واخصبت فقالوا هذا الذي كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة علينا
وخصبا فاقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم واوراق الشجر وانواع
الزهر حتى ان كانت تاكل لتاكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة ومسامير
الابواب من الحديد حتى يقع دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعلت لا تشبع غير انه لا يدخل بيوت بني
اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شي فعجزوا وضجوا وفزعوا الى موسى وقالوا يا موسى ادع لنا ربك
لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى
وكشف الله عنهم بعد سبعة ايام ثم روي ان موسى برز الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها وكان قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية فقالوا قد بقي لنا
ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول
ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقيل
السوس روي انه امر موسى ان يمشي الى كثيب اعفر بقرية من قرى مصر يدعى عين الشمس فمشى موسى
الى ذلك الكثيب وكان اهيل عظيما فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فتتبع ما بقي من حروثهم واشجارهم
ونباتهم ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيعضه ومصه وكان ياكل
احدهم الطعام فيمتلي قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منه الا يسيرا فلم يصابوا
ببلا اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم
كانه الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار فلم يستطيعوا له حيلة فصرخوا وصاحوا الى موسى انا نتوب
ولا نعود فادع لنا ربك يكشف عنا البلا فدعا موسى فرفع الله عنهم القمل بعد ما اقام عليهم سبعة ايام
من السبت الى السبت فنكثوا وعادوا لاخبث اعمالهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون
لا نصدقك ابدا فدعا موسى عليهم بعد ما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فدخلت

عليهم

عليهم دورهم وامتلات بيوتهم واطعمتهم وافنيتهم وانيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا
الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع
في فيه وكان يثب في قدورهم فيفسد عليهم طعامهم ويطفي نيرانهم وكان احدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون
عليه ركاما حتى ما يستطيع ان ينصرف الى شقه الاخر ويفتح فاه لاكلته فيسبق الضفدع اكلته الى فيه
فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا
نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم بعد ما اقام عليهم سبعا من السبت الى السبت فاقاموا
شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم فسال النيل
عليهم دما وصارت مياههم كلها دما فشكوا الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا
شراب فقال انه قد سحركم فقالوا من اين سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيا من الماء الا دما عبيطا فكان
فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء
واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك
ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة
فاذا مضغها صار ماوها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الذي سلط الله عليهم كان الرعاف فاتوا موسى فقالوا
يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنومن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف فلم يومنوا
ولم يرسلوا معه بني اسرائيل ايات نصب على الحال مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من ايات
الله لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم وقيل مفصلات يتبع بعضها بعضا فاستكبروا وكانوا
قوما مجرمين روي ان موسى عليه السلام مكث في ال فرعون بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه
قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك
ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون قيل الرجز الانواع
الخمسة المذكورة من العذاب وقيل الطاعون وهو العذاب السادس بما عهد عندك ما مصدرية
والمعنى بعهده ربك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما
نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع لنا ربك متوسلا اليه
بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنومنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنومنن
لك الى اجل هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا
هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم الرجز فاجاوا النكث وبادروه ولم يوخروه ولكن لما كشف عنهم
نكثوا **قوله تعالى** فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي لما كشف
عنهم العذاب من قبل مرات لم ينتهوا عن كفرهم ثم بلغوا الاجل الموقت انتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم
البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظمه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به
يتقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب انهم كذبوا باياتنا وكانوا عن اياتنا غافلين لانهم
كانوا لا يعتبرون بالايات التي تنزل بهم **قوله تعالى** واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان
يستضعفهم فرعون وقومه بذبح الابنا واستخدام النسا والتسخير والاستعباد مشارق الارض
ومغاربها يعني مصر والشام التي باركنا فيها بالماء والاشجار والثمار والخصب وسعة الارزاق
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاوا في اطرافها ونواحيها الشرقية

وانما ذكر بلفظ الميراث لانه اورثهم ذلك بمهلك اهلها من العمالقة والفراعنة وتمت كلمة ربك
الحسنى وهي وعده اياهم بالنصر والتمكين في الارض وذلك قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن
صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا
بسبب صبرهم على دينهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن
قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الاية
ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر ودمرنا اهلكنا ما كان يصنع فرعون
من العمارات وبنا القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وقيل من الثمار والاعناب وقيل يبنون البيوت
والقصور والمساكن المشيدة المرفوعة في السما كصرح هامان وغيره وكان عنبهم غير معروش قرا ابن عامر بضم
الرا والباقون بالكسر هذا اخر ما اقتص من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بايات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه
اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من فرعون واستعباده ومعاينتهم للايات العظام ومجاوزتهم
البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه
ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما راي
من بني اسرائيل بالمدينة **قوله تعالى** وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام
لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ان هولاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون
جاوزنا قطعنا ببني اسرائيل البحر بعد الايات التي شاهدوها والعبر التي عاينوها روي انهم عبر بهم موسى
عليه السلام يوم عاشورا بعدما اهلك الله فرعون وقومه وصام موسى يومئذ شكرا لله فاتوا فمروا واعلى
قوم يعكفون يقيمون قرا حمزة والكسائي يعكفون بكسر الكاف والباقون بالضم على اصنام لهم اي يواظبون
على عبادتها ويلازمونها عن ابن جريج كانت لهم تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كان اولئك القوم
من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم قال بنوا اسرائيل لما راوا ذلك
يا موسى اجعل لنا الها صنما وتمثالا نعكف عليه كما لهم الهة قال موسى لهم انكم قوم تجهلون عظمة الله ونعمته
وحرمته تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه
لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي
الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماوه فقال علي رضي الله عنه قلتم اجعل
لنا الها ولما يجف اقدامكم ان هولاء اي القوم الذين يعكفون على اصنام متبر مفسد ومهلك
ما هم فيه من قولهم انا متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم
دينهم الذي هم عليه على ايدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل مضمحل زايل
اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم
تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هولاء اسما لان
وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها واسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار
وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا **قوله تعالى**
قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين انه تعالى حكى عن موسى عليه السلام انهم لما قالوا له
اجعل لنا الها كما لهم الهة ذكر في جوابهم وجوها كثيرة منه حكمه عليهم بالجهل فقال انكم قوم تجهلون
ومنها انه قال ان هولاء متبر ما هم فيه اي سبب للخسران والهلاك ومنها انه قال وباطل ما كانوا
يعملون اي هذا العمل الشاق لا يفيدهم نفعا في الدنيا والدين ومنها ما ذكر في هذه الاية
من

من التعجب منهم على وجه الانكار والتوبيخ فقال اغير الله اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا
وهو فضلكم دون غيركم على عالمي زمانكم وخصكم بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوا
بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة
الله عبادة غير الله **قوله تعالى** واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اعلم ان فائدة ذكر هذه الاية
في هذا الموضع مع انها مذكورة في سورة البقرة انه تعالى هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة
فكيف يليق الاشتغال بعبادة غير الله **قوله تعالى** وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها
بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع
سبيل المفسدين قرا ابو عمرو وعدنا والباقون واعدنا بالالف على المفاعلة روي
ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب
من عند الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب
فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك روي انه تعالى اوحى اليه اما
علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة
ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها ما يقربه
من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة
البقرة وفصلها ها هنا وفائدة قوله اربعين ليلة بعد قوله واتممناها بعشر ازالة التوهم
ان ذلك العشر من الثلثين لانه يحتمل اتممناها بعشر من الثلثين كانه كان عشرين ثم اتمه بعشر
فصار ثلاثين فازال هذا الايهام وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له وقيل الفرق
بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت للشي قدره مقدر
ام لا واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه
اخلفني في قومي كن خليفتي في قومي واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور
بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه والمقصود من هذا الامر
التاكيد فان هرون كان نبيا والنبي لا يفعل الا الاصلاح **قوله تعالى** ولما جاء موسى لميقاتنا
وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك
وانا اول المومنين لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ان نكلمه فيه ومعنى اللام الاختصاص
فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم
الملك قال الامام دلت الاية على انه تعالى كلم موسى والناس يختلفون في كلام الله فمنهم من قال
كلامه عبارة عن الحروف المولفة المنتظمة ومنهم من قال كلامه صفة حقيقية مغايرة للحروف
والاصوات اما القايلون بالقول الاول فالعقلاء والمحصلون اتفقوا على انه يجب كونه
حادثا كائنا بعد ان لم يكن وزعم الحشوية ان الكلام المركب من الحروف والاصوات قديم
وهذا القول اخس من ان يلتفت اليه العاقل وللناس مذهبان في محل تلك الحروف
والاصوات الحادثة فذهبت الكرامية ان محلها ذات الله وذهبت المعتزلة الى ان محلها
جسم مباين لذات الله كالشجرة وغيرها واما القائلون بالقول الثاني وهو ان كلام الله صفة مغايرة

لهذه الحروف والاصوات ثم انكر اهل السنه والجماعه وقالوا انها الصفه الازليه ثم اختلفوا
في الشي الذي سمعه موسى عليه السلام فقالت الاشاعره ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفه الازليه
الحقيقيه قالوا وكما لا يبعد رويه الله مع ان ذاته ليس جسما ولا عرضا فكذا لا يبعد سماع كلامه
مع ان كلامه لا يكون حرفا ولا صوتا وقال ابو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام اصوات
مقطعه وحروف مولفه قايمه بالشجره فاما الصفه الازليه التي ليست بحرف ولا صوت فذلك لم يسمعه
موسى عليه السلام فهذا تفصيل مذاهب الناس في سماع كلام الله والاولى ان نعتقد ان موسى عليه
السلام سمع كلام الله ونسكت عن الكلام في كيفيه سماعه واختلفوا في انه تعالى كلمه وحده او مع اقوام
اخرين فظاهر الايه يدل على الاول وقيل بل السبعون المختارون سمعوا ايضا كلام الله لان الغرض
باخبارهم ان يخبروا قوم موسى عليه السلام عما جرى هناك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكلام
وايضا فان تكليم الله مع موسى على هذا الوجه معجز وقد تقدمت نبوه موسى عليه السلام فلا بد من ظهور
هذا المعجز لغيره روي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهه وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين
ليله وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين قال رب ارني قال المفسرون ان موسى عليه
السلام تطهر وطهر ثيابه لميعاد ربه فلما اتى طور سينا كلمه ربه واجتباه وادناه حتى سمع صرير القلم
فاستحلى كلامه فاشتاق الى رويته وطمع فيه فقال رب ارني انظر اليك قال ابن عباس اعطني انظر
اليك فقال له الله عز وجل لن تراني وليس لبشر ان يطيق النظر الي في الدنيا فمن نظر الي مات قال موسى الهي
سمعت كلامك واشتقت الى النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك فقال
الله تعالى انظر الى الجبل وهو اعظم جبل بمدين يقال له زبير فلما سمعت الجبال ذلك تعاظمت رجا ان يتجلى
الله لها وجعل زبير يتواضع من بينهن فلما راى الله تواضعه رفعه من بينها وخصه بالتجلي وتمسكت نفاة
الرويه بهذه الايه وقد استوفينا البحث في سوره البقره فلا فايده في تكرار ما قيل ومعنى الايه
لن تراني في الدنيا وتراني في العقبى وقيل قوله ارني انظر اليك لا يقع على الاخره لان موسى لم يقل
ارني انظر اليك في الاخره انما ساله الرويه في الدنيا فاجيب عما سال ولا حجه فيه لمن انكر الرويه
وقيل معنى قوله لن تراني لا تقدر ان تراني وقيل معناه لن تراني بعين فانيه وانما تراني بعين
باقيه وقيل لن تراني قبل محمد صلى الله عليه وسلم وامته وانما تراني بعد محمد صلى الله عليه وسلم وامته
وقيل لن تراني بالسوال والدعا وانما تراني بالنوال والعطا لان الله تعالى لو اعطاها اياه بسواله
لكانت الرويه مكافاه السوال ولا يجوز ان يكون فعله مكافاه فعل عبده وقيل معناه لن تراني بالعين
التي رايت بها عدوي وذلك ان الشيطان تراى له ووسوس اليه فقال الله له يا موسى اما تعلم
ان رويه الحبيب والعدو لا يجتمعان في حال واحد ومكان واحد وزمان واحد وقيل لو
كان سوال موسى الرويه ممتنعا لما اقدم عليه نبي الله موسى مع علمه ومعرفته بالله كما لم يجز
ان يساله لنفسه صاحبه ولا ولدا قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام
ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرويه التي هي
ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهه وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهه
ومنع المجبره احالته في العقول غير لازم لانه ليس بمكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال
حين اخذت الرجفه الذين قالوا ارنا الله جهره اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل من تشا
فتبرا من فعلهم ودعاهم سفها وضلالا قلت ما كان طلبه الرويه الا ليبكت هولا الذين دعاهم
سفها وضلالا وتبرا من فعلهم لتلقيم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرويه انكر عليهم واعلمهم الخطا

ونبههم

ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لابد ولن نومن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله
باستحالته ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهه فلذلك قال ارني انظر
اليك فان قلت فهلا قيل ارهم ينظرون اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم
يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزه ارادوا ان يري موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه
اراده مبنيه على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه
في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول
امام امته فكان ما يخاطب به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابله التي هي
محض التشبيه والتجسيم دليل انه ترجمه عن مقترحهم وحكايه لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله تعالى
منظورا اليه مقابلا بحاسه النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفه الله من واصل بن عطا وعمرو بن عبيد
والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين واعلم ان هذه الايه داله على جواز رويه الله تعالى
من وجوه منها ان موسى عليه السلام سال الرويه ولا شك ان موسى كان عالما بما يجب ويجوز ويمتنع
على الله فلو كانت الرويه على الله تعالى ممتنعه لما سالها والمعتزله قالوا في ذلك اقوالا اربعه احدها ان
موسى ما عرف ان الرويه غير جايزه على الله تعالى ومع الجهل بهذا المعنى قد يكون عارفا بربه وبعدله
وتوحيده فلا امتناع في توقف العلم بامتناع الرويه على السمع وهذا القول في غايه السقوط
وبيانه من وجهين الاول ان العقلا اجمعوا على ان موسى كان اعلم بالله وبما يجوز عليه وبما لا يجوز
عليه من اراذل المعتزله والمعتزله مع بلادتهم وغباوتهم عالمون بامتناع الرويه على الله وفرض
ان موسى عليه السلام ما عرف ان الرويه غير جايزه على الله فهو اقل معرفه بالله من كل واحد من المعتزله
وذلك باطل بالاجماع والثاني ان المعتزله يدعون العلم الضروري بان ما من شانه ان يكون مرييا
يجب ان يكون جسما او عرضا قايما به وتجويز هذا كفر عند المعتزله فيلزمهم جواز الكفر ولا يجوز ذلك
عاقل والثاني يلزم ان لا يكون موسى عالما بجميع العلوم الضروريه فيلزم الحكم بانه عليه السلام
ما كان كامل العقل بل كان مجنونا وذلك كفر بالاجماع وثاني الاقوال انه عليه السلام انما سال
الرويه لقومه لا لنفسه وهذا ايضا ساقط وبيانه من وجهين الاول انه لو كان كذلك لقال
ارهم ينظروا اليك ولقال تعالى لن يروني والثاني انه لو كان كذلك لقال ارهم ينظروا اليك
لمنعهم عنه كما انهم لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهه منعهم عنه بقوله انكم قوم تجهلون وكان يجب
عليه صلى الله عليه وسلم اقامه الدلايل القاطعه على انه تعالى لا يجوز رويته وان يمنع قومه
بالدلايل القطعيه عن هذا السوال وايضا هولا الطالبون للرويه ان كانوا قد امنوا بنبوه موسى
كفاهم عن هذا السوال الباطل مجرد قوله عليه السلام فلا حاجه الى السوال الذي ذكره موسى
وان لم يومنوا بنبوته فلا فايده له في السوال لانهم كانوا يقولون لا نسلم ان الله تعالى منع من الرويه
بل هذا قول افتريته وثالث الاقوال ان موسى عليه السلام سال ربه ما عنده تعرفه باضطرار
والقايلون بهذا القول اختلفوا فمنهم من يقول سال ربه المعرفه الضروريه ومنهم من يقول
سال اظهار الايات الباهره التي عندها تزول الخواطر والوساوس عن معرفته وهو باطل
وبيان بطلانه من وجوه الاول انه تعالى اراه من الايات ما لا غايه بعدها كالعصا واليد
البيضا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واظلال الجبال فلا يتصور بعدها
طلب ايه قاهره والثاني انه عليه السلام كان الله يتكلم معه بلا واسطه فكيف يليق به ان يقول
اظهر لي ايه تدل على انك موجود والثالث لو كان المطلوب ايه تدل على وجوده من الدلايل السمعيه

ما يدل على امتناع رويته حتى يتأكد الدليل العقلي بالسمعي وهو بعيد لانه لو كان المراد ذلك لكان الواجب
ان يقول اريد يا الهي ان يقوى امتناع رويتك بوجوه زائدة على ما ظهر في العقل وحيث لم يقل
ذلك بل طلب الرويه علم ان هذه الاقوال باطله ومن الوجوه المستنبطه من هذه الايه الداله
على انه تعالى جائز الرويه قوله تعالى لن تراني لانه لو كانت الرويا ممتنعه لقال لا ارى الا ترى انه لو كان
في يد رجل حجر فقال له انسان ناولني هذا لاكله فانه يقول له هذا لا يوكل ولا يقول له لا تاكل
ولو كان في يده بدل الحجر تفاحه لقال له لا تاكله اي هذا مما يوكل ولكنك لا تاكله فلما قال لن
تراني ولم يقل لا ارى علمنا ان هذا يدل على انه تعالى جائز الرويه ومن الوجوه المستنبطه من هذه
الايه انه تعالى علق رويته على امر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم كون الرويه في نفسها جائزه
والثاني انا قلنا انه تعالى علق رويته على استقرار الجبل بدليل قوله فان استقر مكانه فسوف تراني
واستقرار الجبل امر جائز الوجود في نفسه واعلم ان استدلال المعتزله على امتناع الرويه
واعتراضاتهم على القول بصحة الرويه والجواب عنها قد ذكر في سورة البقره والانعام وعلم
فساد ما قاله صاحب الكشاف فلا نحتاج الى ذكرها ههنا ولنرجع الى تفسير الايه قوله ارني مفعوله
محذوف اي ارني نفسك انظر اليك قال الامام وفي لفظ الايه سوالات الاول النظر اما ان
يكون عبارة عن الرويه او عن مقدمتها وهي تقليب الحدقه الى جانب المرئي التماسا لرويته على التقدير
الاول يكون المعنى ارني حتى اراك وهذا فاسد وعلى التقدير الثاني يكون المعنى ارني حتى اقلب
الحدقه الى جانبك وهذا فاسد لوجهين احدهما انه يقتضي اثبات الجهة لله تعالى والثاني ان تقليب
الحدقه الى جانب المرئي مقدمة الرويه فجعله كالنتيجة عن الرويه فاسد والجواب قوله
ارني اجعلني متمكنا من الرويه حتى انظر اليك واراك السوال الثاني كيف قال لن تراني ولم
يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرويه
كان هو المقصود هو الرويه لا النظر الذي لا رويه معه السوال الثالث كيف اتصل الاستدراك
في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب المقصود منه تعظيم امر الرويه وان احدا لا يقوى
على رويه الله الا اذا قواه الله بمعونته وتاييده الا ترى انه لما ظهر اثر التجلي والرويه للجبل اندك
وتفرق فهذا امر من هذا الوجه يدل على تعظيم امر الرويه فلما تجلى ربه للجبل اي فلما ظهر وبان ومنه
يقال جلوت العروس اذا ابرزتها وجلوت السيف والمرآة اذا ازلت ما عليه من الصدا
وقوله جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول لضرب الامير والدك والدق اخوان
كالشك والشق وخر موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل تقول صعقته
فصعق واصله من الصاعقه ويقال لها الصاقعه من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه
خر مغشيا عليه غشيه كالموت روي ان الملايكه مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه
بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رويه رب العزه وهذا يدل على ان طلب
الرويه من عنده لا من عند قومه ويدل ايضا على ان الرويه جايزه فلما افاق من صعقته قال
سبحانك انزهك تنزيها لك عما يقول الظالمون علوا كبيرا تبت اليك من سوال الرويه
بغير اذنك في الدنيا وانا اول المومنين بانك لا ترى في الدنيا لاني اول من سال الرويه
قوله تعالى قال يموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من
الشاكرين لما طلب موسى الرويه ومنعه الله عدد عليه وجوه نعمه العظيمه التي له وامره ان يشتغل
بشكرها كانه قال له ان منعتك الرويه فقد اعطيتك من النعم العظيمه كذا وكذا فلا يضيق

تعاليت

صدرك

صدرك بمنع الرويه وانظر الى ساير انواع النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها والمقصود
تسليه موسى عن منع الرويه والاصطفا استخلاص الصفوه اي اتخذتك صفوه على الناس اي اخترتك
على اهل زمانك واثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوريه وبتكليمي اياك وقرا ابن كثير ونافع
برسالتي على الواحد والباقون على الجمع فخذ ما اتيتك اعطيتك من شرف النبوه والحكمه
وكن من الشاكرين على النعمه في ذلك فهي من اجل النعم ولا يضيق قلبك بسبب منع الرويه
قوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظه وتفصيلا لكل شي فخذها بقوه وامر
قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين لما بين انه اصطفى موسى بالرساله ذكر في
هذه الايه تفصيل تلك الرساله روي انه خر موسى صعقا يوم عرفه واعطي التوريه يوم النحر
قيل ان الالواح عشره وقيل سبعه وقيل لوحين وقيل انها من زمرد وقيل
من زبرجد خضرا وياقوته حمرا وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخره صما لينها له فقطعها
بيده وشققها باصابعه من كل شي كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ
وتفصيل الاحكام من كل شي في محل النصب مفعول كتبنا وموعظه وتفصيلا بدل منه ولما
بين ذلك قال لموسى فخذها بقوه اي فقلنا خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا
من قوله فخذ ما اتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شي لانه في معنى الاشيا او الرسالات
ومعنى بقوه بجد وعزيمه قويه ونيه صادقه فعل اولي العزم من الرسل ثم امره ان يامر قومه
بان ياخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر
فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب لقوله واتبعوا احسن ما
انزل اليكم من ربكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح وقيل ياخذوا
بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتا ساريكم دار الفاسقين قيل
المراد التهديد والوعيد على مخالفة امر الله ودار الفاسقين هي جهنم اي فليكن ذكر جهنم حاضرا
في خاطركم لتحذروا ان تكونوا من اهلها وقيل دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم
ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود
والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل سادخلكم الشام واريكم منازل
الكافرين الذين كانوا متوطنين فيها من الجبابره والعمالقه لتعتبروا بها وما صاروا اليه من
النكال وقيل المراد البشاره والوعد بانه تعالى سيورثهم ارض اعدائهم وديارهم قوله تعالى
ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل ايه لا يومنوا بها وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين ذكر في الايه المتقدمه ساريكم دار الفاسقين وذكر في هذه الايه ما يفعله بهم
قيل حكم الايه لاهل مصر خاصه ويعني بقوله اياتي الايات التي اعطاها الله موسى وقيل هي عامه
عن اياتي عن خلق السموات والارض وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والنبات وغيرها اصرفهم
عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها وقيل امنع قلوبهم عن التفكر في امري وقيل احرمهم فهم القران
عن ذي النون المصري ابى الله ان يكرم قلوب الظالمين بمكنون حكمة القران وقيل ساصرفهم عن
ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل ايه موسى بان جمع لها السحره فابى الله
الا علو الحق وانتكاس الباطل وقيل ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانه بها وتسميتها سحرا
باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها

ليلا موثوا اسلم فيسلط عليهم بسليم بغير الحق قيل هو حال بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق
لله وحده وقيل صلة الفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وقيل اظهار الكبر على
الغير قد يكون بالحق فان للمحق ان يتكبر عن المبطل وفي الكلام المشهور التكبر على المتكبر صدقة وان يروا
كل اية من الايات المنزلة عليهم لا يومنوا بها والضمير المرفوع في يروا عايد الى المتكبرين وان يروا سبيل
الرشد قرا حمزة والكسائي الرشد بفتح الشين والرا والباقون بضم الرا وهو الصلاح قال الله
تعالى فان انستم منهم رشدا اي صلاحا وسبيل الرشد سبيل الهدى والدين الحق والصواب في العلم
والعمل لا يتخذوه سبيلا اي اعرضوا عنه وتركوه وان يروا سبيل الغي الذي هو مضاد الرشد يتخذوه
يتخذوه ويسلكوا فيه وفاعل ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع على انه مبتدا او في محل
النصب على انه مفعول مطلق اي ذلك الصرف او صرفهم الله ذلك الصرف بسبب تكذيبهم ولونهم غافلين
قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا ولقا الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما بين
ما لاجله صرف المتكبرين عن اياته بقوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين بين حال هولا
المكذبين فقد يجوز انهم يختلفون في باب العقاب لان فيهم من يعمل بعض اعمال البر فبين ان حال
جميعهم سوا كان متكبرا او متواضعا او كان كثير الاحسان او قليل الاحسان او عديم الاحسان حال
واحد ولقا الاخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقايهم الاخرة
ومشاهدتهم احوالها او من اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقا ما وعد الله في الاخرة وعنى بذلك
جحدهم المعاد وجراتهم على المعاصي فبين ان اعمالهم محبطة **قوله تعالى** واتخذ قوم موسى
من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا
ظالمين اي من بعد فراق موسى اياهم الى الطور من حليهم التي استعاروها من قوم فرعون وكان بنو
اسرائيل في القبط بمنزلة اهل الجزية في الاسلام وكان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون
من القبط الحلي فاستعاروا حلي القبط فلما اخرجهم الله من مصر واغرق فرعون بقيت تلك الحلي
في ايديهم فاتخذ السامري منها عجلا ولد البقرة جسدا اي جسدا لا روح فيه له صوت البقرة خار خوره
واحدة ثم لم يعد قرا حمزة والكسائي حليهم بكسر الحا وتشديد اليا والباقون بضم الحا وانما قال
واتخذ قوم موسى والمتخذ هو السامري لانه كان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم
كما يقال بنو تميم قالوا كذا والقايل والفاعل واحد منهم ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به
فكانهم اجتمعوا عليه وقيل معناه واتخذ قوم موسى عجلا جسدا له خوار الها وعبدوه الم
يروا اي الذين اتخذوا العجل الها حين اتخذوه الها انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا حتى لا يختاروه
على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى
سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدا فقال
اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه وكانوا ظالمين واضعين كل شي في غير موضعه
فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكرهم **قوله تعالى** ولما سقط في ايديهم وراوا انهم
قد ضلوا قالوا لين لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين اي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم
على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقيل سقط الندم
في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد ضلوا اي

وتبينوا

وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم راوه باعينهم ثم بين الله انهم عند ظهور هذا الندم وحصول العلم
بان الذي عملوه كان باطلا اظهروا الانقطاع الى الله فقالوا لين لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من
الخاسرين هذا كلام من عرف بعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم عليه والحاصل ان هذا كلام
التايبين كما قال ادم وحوا وان لم تغفر لنا وترحمنا **قوله تعالى** ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
قال بيسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال
ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا ولا تجعلني مع القوم الظالمين
قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين قيل سمع خبرهم قبل البلوغ اليهم
فان الاية تدل على انه حال ما كان راجعا كان غضبان اسفا وهو انما كان راجعا الى قومه قبل وصوله فدل
هذا على انه كان قبل وصوله اليهم عالما بهذا الحال وقد ذكر الله في سورة طه انه اخبره بوقوع تلك الواقعة
في الميقات وقيل عند هجومه عليهم عرف ذلك والاسف الشديد الغضب فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل
هو الحزين عن عايشة رضي الله عنها ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين قال موسى بيسما خلفتموني قمتم
مقامي وكنتم خلفا من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل
وهم هرون عليه السلام والمومنون معه يدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بيسما خلفتموني
والمخصوص بالذم محذوف وتقديره بيس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم قوله من بعدي اي من بعد
ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركا عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد
واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفا ان يسيروا
بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اوليك الموصوفين بالصفات
الحميدة اعجلتم يقال عجز عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى
تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر
على ان الميعاد قد بلغ اخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيايهم
وعن ابن عباس اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وعن الحسن وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك
انهم قدروا انه لم يات على راس الثلاثين فقد مات وعن عطا اعجلتم سخط ربكم وعن الكلبي اعجلتم بعبادة
العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم روي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى
لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا
والقى الالواح التي فيها التورية ولما كان تلك الالواح من اعظم معجزاته ثم انه القاها دل ذلك على شدة الغضب
وفرط الدهش والضجر عند استماعه حديث العجل وهذا الغضب لله وكان موسى في نفسه حديدا شديد الغضب
وكان هرون الين منه جانبا فلذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى واخذ براس اخيه اي بشعر راسه
بذوابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه
فرط في الكف قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ام بكسر الميم وفي طه ايضا على تقدير امي
فحذف اليا وبقي الكسرة على الميم ليدل على الاضافة والباقون بفتح الميم في السورتين تشبيها بخمسة عشر
على حذف الالف المبدلة من يا الاضافة واصله يا ابن اما قيل كان هرون اخا موسى لابيه وامه وانما اضافه
الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مومنة
فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدايد فذكره بحقها ان القوم اي عبدة العجل استضعفوني
يعني اني لم ال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وما بلغت طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني
واستضعفوني ولم يبق الا ان يقتلوني فلا تشمت بي الاعدا فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة

أن

كان

الي ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا وصاحبا للقوم الظالمين اي عبدة العجل ٥
وقيل ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براتي منهم ومن ظلمهم ولما اعتذر هرون الى موسى وذكر
له شماتة الاعدا قال موسى رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم
شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا
تفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة **قوله تعالى** ان الذين اتخذوا العجل
سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيات ثم
تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم المقصود من هذه الاية بيان حال
عبدة العجل ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب هو ما امروا به من قتل انفسهم
وقيل سينالهم اولادهم غضب وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلا ومن
الذلة بضرب الجزية لتوليهم بمتخذي العجل ورضاهم به وكذلك نجزي المفترين الكاذبين
على الله والذين عملوا السيات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا من بعدها الى الله واعتذروا
اليه وامنوا بالله وصدقوا بانه لا اله غيره ان ربك من بعد السيات لغفور لستور عليهم محا سياتهم
رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم من الكافرين عظم
جناياتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اجل
واعظم ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة عن الكفر يدل على ذلك قوله وامنوا
ولا يلتفت الى تاويل صاحب الكشاف حيث قال واخلصوا الايمان ولا الى قوله وما وراءه طمع فارغ واشعبية
باردة لا يلتفت اليها حازم **قوله تعالى** ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون لما بين ما كان منه الغضب بين في هذه الاية ما كان منه
عند سكوت الغضب ولما سكت اي سكن عن موسى الغضب واصله الكف عن الشي ومنه الساكت
عن الكلام وقيل هذا استعارة كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح
وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغرا ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل
ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والمعنى ولما طفي غضبه اخذ
الالواح بعد ما القاها وذهبت ستة اسباعها وفي ما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول
كالخطبة وعن عطا وفيما بقي ولم يذهب من الحدود والاحكام شي وعن ابن عباس صام موسى اربعين يوما
فلما القى الالواح فتكسرت صام مثله فردت عليه في لوحين مكان ما تكسر هدى من الضلال ورحمة
من العذاب للذين هم لربهم يرهبون يخشون فيعملون بها دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر
الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرويا تعبرون وتقول لك ضربته **قوله تعالى** واختار موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشا وتهدي من تشا انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك الاختيار افتعال من الخير يقال اختار
الشي اخذ خيره وخياره قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقول الفرزدق ومنا
الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع اي من الرجال قيل امر الله موسى
ان ياتيه في ناس من بني اسرايل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم وعدا فاختار موسى
من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نومن لك حتى نرى
الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الرجفة فماتوا وقيل ليتوبوا اليه مما صنعوا ويسألوا التوبة

على من تركوا وراءهم من قومهم وقيل اختارهم لتمام الموعد وقيل قالت بنو اسرايل لموسى عليه السلام
ان طايفة تزعمون ان الله لا يكلمك ولو كلمك ما قمت لكلامه الم تر ان طايفة منا لو سالوا النظر اليه فماتوا
فلا سله ان يحضر طايفة منا حتى يكلمك فيسمعوا كلامه فيومنوا ويذهب التهمة فاوحى الله الى موسى ان
اختر من قومك سبعين رجلا ثم ارتق بهم الى الجبل انت وهرون واستخلف على بني اسرايل يوشع بن نون ففعل
كما امره الله واختار سبعين رجلا وقيل كان السبعون ابنا ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين وذلك ان
ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه وان لم يتجاوز الاربعين لم يفقد من عقله شيا وقيل كانوا شيوخا وقيل
اختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل فلم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب
عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا واختار من كل سبط ستة رهط فصاروا اثنين وسبعين فقال لهم موسى انما امرت
بسبعين رجلا فيتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد رجلان احدهما
كالب والاخر يوشع وامر موسى السبعين ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات
ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرايل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى
تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه
وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ انكشف الغمام عن موسى فاقبل اليهم فقالوا يا موسى لن نومن
لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وعن ابن عباس ان السبعين الذين قالوا
لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين اخذتهم الرجفة وانما امر الله موسى
عليه السلام ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا ان قالوا
اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا وما لا تعطيه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة
وعن علي رضي الله عنه انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قتل هرون وذلك ان موسى وهرون
وشبر وشبير انطلقوا الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى فلما رجع موسى
الى بني اسرايل قالوا له اين هرون قال توفاه الله قالوا له بل انت قتلته حسدا على خلقه ولينه قال فاختاروا
من شيتم فاختاروا منهم سبعين رجلا وذهب بهم موسى فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هرون اقتلت
ام مت فقال هرون ما قتلني احد ولكن توفاني الله فقالوا يا موسى لن تعصى بعد اليوم فاخذتهم الرجفة
وصعقوا وماتوا فقال موسى يا رب ما اقول لبني اسرايل اذا رجعت اليهم يقولون انت قتلتهم فاحياهم الله
وجعلهم انبيا كلهم وعن ابن عباس انما اخذتهم الرجفة لانهم لم يرضوا ولم ينهوا عن عبادة العجل وقيل
اخذتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل ولم يامروهم بمعروف ولم ينهوهم عن المنكر وقيل
لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت تبين
منهم مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما راى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت اشتد عليه فقدهم وكانوا
له وزرا على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة
فسكنوا واطمانوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله قال موسى رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما
فعل السفهاء منا اي عبدة العجل وظن موسى انهم عوقبوا باتخاذ بني اسرايل العجل اتهلكنا استفهام
استعطاف اي لا تهلكنا وقد علم موسى ان الله اعدل من ان ياخذ بجريرة الجاني غيره ولكنه كقول عيسى ان
تعذبهم فانهم عبادك ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاوك تضل بها من تشا اي لا تهتدي بهذا الامتحان
الى الجنة والثواب بشرط ان لا يومن او ان امن لا ينصر عليه وقيل المراد بالاضلال الاهلاك والمعنى
تهلك من تشا بهذه الرجفة وتصرفها عمن تشا وقيل لما كان هذا الامتحان كالسبب في هداية من اهتدى
وضلال من ضل جاز ان يضاف اليه والحق ان يقال المعنى ان تلك الفتنة التي وقع السفها لم تكن الا فتنتك

اضللت بها قوما فافتتنوا وعصمت قوما عنها فثبتوا على الحق ثم اكد بيان ان الكل من الله فقال تضل بها من تشا
وتهدى من تشا انت ولينا لا ولى لنا ولا ناصر ولا هادى الا انت فاغفر لنا اى ان اقدامه على قوله ان هى الا
فتنتك جراة عظيمة فطلب من الله غفرانها والتجاوز عنها وانت خير الغافرين معناه ان كل من سواك انما يتجاوز
عن الذنب اما طلبا للثنا الجميل وللثواب الجزيل او دفعا للرقة عن القلب وبالجملة فذلك الغفران
يكون لطلب نفع او لدفع ضر واما انت فتغفر الذنوب لا لطلب عوض وغرض بل لمحض الفضل والكرم
فوجب القطع بكونه خير الغافرين **قوله تعالى** واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنا
اليك قال عذابى اصيب به من اشا ورحمتى وسعت كل شى فسا كتبها للذين يتقون ويوتون الزكوة والذين هم
باياتنا يومنون هذا من بقية دعا موسى عليه السلام عند مشاهدة الرجفة قرر اولا انه لا ولى الا الله
وهو قوله انت ولينا ثم ان المتوقع من الولى دفع الضرر وتحصيل النفع فبدا بطلب دفع الضرر فقال
واغفر لنا وارحمنا لان دفع الضرر مقدم ثم اتبعه بطلب تحصيل النفع فقال واكتب اى واوجب لنا فى هذه
الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة وتوفيقا فى الطاعة وفى الاخرة الجنة انا هدنا اليك اعلم ان كونه تعالى
وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد دفع المضار وتحصيل المنافع ليحصل اثار كرمه والهيته واشتغال العبد بالتوبه
والخضوع والخشوع يناسب طلب هذه الاشيا فذكر السبب الاول اولا وهو كونه تعالى وليا له وفرع عليه طلب
هذه الاشيا ثم ذكر من السبب الثانى وهو اشتغال العبد بالهدى والخضوع فقال انا هدنا اليك اى
تبنا اليك والهود التوبه وانما ذكر هذا السبب ايضا لان السبب الذى يقتضى حسن طلب هذه الاشيا
ليس الا مجموع هذين الامرين كونه الها وربا ووليا وكوننا عبيدا له تايبين خاضعين خاشعين فالاول
عهد عزة الربوبيه والثانى عهد ذلة العبوديه فاذا حصلا واجتمعا فلا سبب اقوى منهما قال عذابى اى اعذب
من اشا وليس لاحد ان يعترض عليه ورحمتى قيل رحمته فى الدنيا عم الكل واما فى الاخرة فهى مختصه بالمومنين
واليه الاشارة بقوله فسا كتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير فلا موجود الا وقد وصل اليه رحمته واقل
المراتب وجوده وقيل الخير مقصود بالذات والشر مقصود بالعرض وما بالذات راجح غالب وما بالعرض
مرجوح مغلوب وقالت المعتزلة الرحمه عبارة عن ارادة الخير ولا حى الا وقد خلقه الله للرحمه واللذة والخير
لانه ان كان منتفعا او متمكنا من الانتفاع فهو رحمه الله من جهات كثيرة وان حصل هناك الم فله الاعواض
الكثيرة وهى من نعمة الله ورحمته فلهذا السبب قال ورحمتى وسعت كل شى وقال اصحابنا ورحمتى وسعت
كل شى من العام الذى اريد به الخاص لقوله واوتيت من كل شى فسا كتبها هذه الرحمه للذين يتقون ويوتون
الزكوة والذين هم باياتنا يومنون واعلم ان التكاليف منحصرة فى التروك والافعال وهى اما متوجهه
الى ماله واما متوجهه الى ما عليه فقوله يتقون اشارة الى الاول وهى التروك والاتقا عما نهى الله عنه
والثانى الزكوة واليه الاشارة بقوله ويوتون الزكوة والثالث يدخل فيه ما يجب على الانسان علما
وهو المعرفة الحاصله بالقلب وعملا وهو الاقرار باللسان والعمل بالاركان ويدخل فيه الصلوة والى هذا
المجموع اشار بقوله والذين هم باياتنا يومنون **قوله تعالى** الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى
يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبايث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذى انزل معه اوليك هم المفلحون لما بين ان من يكتب له الرحمه فى الدنيا والاخرة
التقوى وايتا الزكوة والايمان بالايات ضم الى ذلك ان يكون من صفته اتباع النبى الامى الرسول الذى
يوحى اليه كتابا مختصا به وهو القران النبى صاحب المعجزات الامى الذى هو على صفة امة العرب قال
عليه السلام انا امة اميه لا نكتب ولا نحسب فالعرب اكثرهم ما كانوا يكتبون وما كانوا يقرون والنبى

عليه السلام كان كذلك فلهذا السبب وصفه بكونه اميا وكونه اميا بهذا التفسير من جملة معجزاته الذى
يجدونه اولئك الذين يتبعونه من بنى اسرايل نعته مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يامرهم بالمعروف
يجوز ان يكون استينافا ويجوز ان يكون المعنى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية انه يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم ما حرم عليهم من الاشيا الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب فى الشريعه
والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما خلى كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبايث ما يستخبث من نحو
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث فى الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما
من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم ثقله الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل
لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس فى صحة توبتهم والاغلال مثل لما كان فى شرايعهم من الاشيا
الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطا من غير شرع الدية وقطع الاعضا الخاطيه
وقرض موضع النجاسه من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق فى اللحم وتحريم السبت وعن
عطا كانت بنوا اسرايل اذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل
ترقوته وجعل فيها طرف السلسله واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة ولما وصف
محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات قال بعده فالذين امنوا به اى اليهود وعزروه منعوه حتى لا يقوى
عليه عدو واصل العزر المنع ومنه التعزير الضرب دون الحد لانه منع معاودة القبيح ونصروه على
عدوه واتبعوا النور الذى انزل معه اى القران والهدى والبيان والرساله والحق الذى بيانه
فى القلوب كبيان النور الذى انزل معه اى انزل مع نبوته لان استنباه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به
وقيل معه متعلق باتبعوا اى واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه وقيل
معناه واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له فى اتباعه اوليك هم المفلحون الفايزون بالمطلوب فى الدنيا
والاخرة **قوله تعالى** قل يايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض
لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
لما قال فسا كتبها للذين يتقون ثم بين انه من شرط حصول الرحمه لاوليك المتقين كونهم متبعين للرسول
النبى الامى حقق فى هذه الايه رسالته الى الخلق بالكليه قيل بعث كل رسول الى قومه خاصه وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم الذى له ملك السموات
والارض محله النصب باضمار اعنى وهو النصب على المدح ويجوز ان يكون محله الجر على الوصف ولا خلل
ان تخلل قوله اليكم جميعا بين الموصوف والصفه وقوله لا اله الا هو بدل من الصله التى هى له ملك السموات
والارض وكذلك يحيى ويميت فى لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقه
وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالالهيه لانه لا يقدر على الاحيا والاماتة الا هو فامنوا بالله لما بين اولا
ان القول ببعثة الانبيا والرسل امر جايز اردفه بذكر ان محمدا رسول حق من عند الله فان من حاول
اثبات مطلوب وجب عليه ان يبين جوازه اولا ثم حصوله ثانيا ثم انه بدا بقوله فامنوا بالله ثم اتبعه بقوله
ورسوله النبى الامى الذى يومن بالله وهذا اشارة الى ذكر المعجزات الداله على كونه نبيا حقا بيانه
ان معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوعين الاول المعجزات التى ظهرت فى ذاته المباركه
واجلها واشرفها انه كان اميا لم يتعلم من استاذ ولم يطالع كتابا ولم يتفق له مجالسة احد من العلما
لانه ما كانت بمكة بلدة العلما وما غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة غيبة طويلة يمكن ان يقال
انه فى تلك الغيبه تعلم العلوم الكثيرة ثم انه مع ذلك فتح الله عليه باب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القران
المشتمل على علوم الاولين والاخرين فكان ظهور هذه العلوم العظيمه عليه مع انه كان رجلا اميا

رجلا

الملق استاذا ولم يطالع كتابا ولم يتفق له مجالسة احد من اعظم المعجزات واليه الاشارة بقوله النبي الامي والثاني
من معجزاته الامور التي ظهرت عليه مثل انشقاق القمر ونبوع الماء من بين اصابعه وهي تسمى بكلمات الله الا
ترى ان عيسى عليه السلام لما كان حدوثه خارقا للعادة سماه الله كلمة فكذلك المعجزات لما كانت امورا غريبة
خارقة للعادة لم يبعد تسميتها بكلمات الله والى هذا اشار بقوله يؤمن بالله وكلماته اي يؤمن بالله وبجميع
المعجزات التي اظهر الله عليه فبهذا الطريق اقام الدليل على كونه نبيا صادقا من عند الله ولما ثبت بالدلائل القاهرة
التي قررت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يذكر عقيبه الطريق الذي به يمكن معرفة شرعه على
التفصيل وما ذاك الا بالرجوع الى اقواله وافعاله واليه الاشارة بقوله واتبعوه وهذا يدل على انه يجب
الانقياد له في كل ما امر ونهى ويجب الاقتداء به في كل ما فعل الا ما خصه الدليل فان الاتباع يتناول الاتباع في
القول والفعل اما القول فهو ان يمتثل المكلف كل ما يقوله في طرفي الامر والنهي والترغيب والترهيب والاتباع
في الفعل هو الاتيان بمثل ما اتى به المتبع على الوجه الذي اتى به لعلكم تهتدون **قوله تعالى** ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون لما وصف الرسول وذكر انه يجب على الخلق اتباعه ذكر ان في قوم موسى من اتبع
الحق وهدى اليه وهم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل قيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا
حتى اقدموا على عبادة العجل ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة
ويرشدونهم وبالحق يعدلون منهم في الحكم لا يجورون وقيل اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم
وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم
مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسرى نحوهم وكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون
قالوا لا فقال هذا احمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد
فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما الصلوة والسلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت
بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا
ويتركوا السبت **قوله تعالى** وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه
قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام
وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
المقصود من هذه الاية ذكر نوع من احوال بني اسرائيل احدها انه تعالى جعلهم اثني عشر سبطا
وقد تقدم هذا في سورة البقرة والمقصود انه تعالى فرق بني اسرائيل اثني عشر فرقة لانهم كانوا من
اثني عشر من اولاد يعقوب فميزهم وفعل بهم ذلك لئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهرج والمرج قوله وقطعناهم
صيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة
قبيلة فان قيل مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا اجيب بانه
لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع
اسباطا موضع قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا امما بدل من اثنتي عشرة اي وقطعناهم
امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى
لا تكاد تأتلف وثانيهما قوله واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه وقد تقدم ذكره في سورة
البقرة فانبجست فانفجرت يقال بجسته لما فانبجس اي فجرته فانفجر والانبجاس والانفجار الانفتاح بسعة
وكثرة قوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة وظللنا
عليهم

والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة م

عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا واشربوا وما ظلمونا فيه حذف لان هذا الكلام انما يحسن
ذكره لو انهم تعدوا ما امرهم الله وذلك بان يقال اقدموا على الاكل في وقت منعهم الله عنه او سالوا غير ذلك
مع ان الله منعهم منه ولا شك ان المكلف اذا ارتكب المنهي عنه فهو ظالم لنفسه فلذلك وصفهم الله به
ونبه بقوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وذلك لان المكلف اذا اقدم على المعصية فما اضر الا نفسه
حيث سعى في صيرورة نفسه مستحقة للعقاب **قوله تعالى** واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث
شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا
غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون هذه القصة مذكورة في سورة البقرة اي واذكر
اذ قيل لهم ولا باس باختلاف العبارتين اي التي في سورة البقرة والتي ههنا اذ لم يكن تناقض ولا تناقض
بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا منها لانهم اذا اسكنوا القرية فتسببت سكناهم
للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب
او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد
المحسنين موعد بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول
القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك قوله منهم زيادة بيان وارسلنا
وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد **قوله تعالى** واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون وهذه القصة مذكورة في سورة البقرة واسال اليهود المقصود من هذا السؤال
التقرير والتقريع بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم
الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي والقرية ايلة وقيل مدين
وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في
السبت يتجاوزون امر الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه والسبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم كذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم
تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم والمراد بالقرية اهلها وقوله اذ يعدون
في محل الجر لانه بدل من القرية كانه قيل وسل اليهود عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل
الاشتمال ويجوز منصوبا بكانت او بحاضرة وقوله اذ تاتيهم منصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا
بعد بدل شرعا ظاهرة على وجه الماء كثيرة جمع شارعة وشارع يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا
وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا كذلك مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم نختبرهم بسبب فسقهم
قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم
يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ قالت عطف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب
قوله امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظة الصيادين حتى ايسوا
من قبولهم لاقوام آخرين كانوا لا ينقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم
او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفعهم قالوا معذرة قرأ
حفص عن عاصم معذرة بالنصب اي نعتذر معذرة والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي موعظتنا
معذرة وهي مصدر كالعذر يقال عذرته عذرا ومعذرة ومعنى عذره قام بعذره وقيل عذره
يقال من يعذرني اي من يقوم بعذري وعذرت فلانا فيما صنع اي قمت بعذره فعلى هذا

معنى قوله معذرة الى ربكم قيامنا بعذر انفسنا الى الله فانا اذا طولبنا باقامة النهى عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين قال الازهرى المعذرة اسم على مفعلة من عذر يعذر واقيم مقام الاعتذار كانهم قالوا موعظتنا اعتذار الى ربنا فاقيم الاسم مقام الاعتذار ولعلهم يتقون ولطمعنا فى ان يتقوا بعض الاتقا فلما نسوا اى فلما ترك اهل القريه ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه انجينا الصالحين الذين ينهون عن السو واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر بعذاب بيس شديد وجيع من الباس والشده والفعل منه بوس يبوس قرا نافع بيس بكسر البا وسكون اليا وكسر السين منونه على انه فعل سمى به لقوله عليه السلام انهاكم عن قيل وقال وابن كثير وابو عمرو وحمزه والكساى ونافع فى روايه ابى قره عنه وعاصم فى روايه حفص عنه بيس بين الهمزه المكسوره والسين المنونه على وزن فعيل وهذا اوصف بالمصدر لقولهم عذير الحي والنذير والنكير وعاصم فى روايه ابى بكر عنه بيس بفتح البا وسكون اليا وفتح الهمزه على وزن فعل ومعناه شديد وبن عامر من السبعه بيس بكسر البا وسكون الهمزه وتنوين السين المكسوره والامه الذين قالوا لم تعظون من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سايلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى حال المنهى وان النهى لا يوثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب ترك النهى لدخوله فى باب العبث واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم فى امرهم كما وصف الله رسوله فى قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامه هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعرى ما فعل بهولا الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمه فقلت جعلنى الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقه وهم الذين اخذوا الحيتان فلما عتوا تكبروا عن ترك ما نهوا عنه لقوله وعتوا عن امر ربهم عن ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصيه قلنا لهم كونوا قردة خاسين عبارة عن مسخهم قرده لقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البيس هو المسخ خاسين صاغرين وقيل خاسين لا يتكلمون وقيل مبعدين كما يبعد الكلب **قوله تعالى** واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامه من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم لما ذكر بعض فضايح اليهود وقبايح افعالهم ذكر فى هذه الايه انه تعالى حكم عليهم بالذل والصغار الى يوم القيامه تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويوذنها بفعله وتاذن بمعنى اذن اى اعلم ولفظ تفعل ههنا ليس معناها انه اظهر شيا ليس فيه بل معناه فعل بقوله تاذن بمعنى اذن كما ان قوله تعالى عما يشركون معناه علا وارتفع لا بمعنى انه اظهر من نفسه العلو وان لم يحصل ذلك فيه ليبعثن اللام فيه جواب القسم لان قوله واذ تاذن جار مجرى القسم فى كونه جزما بذلك الخبر والمعنى اذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمه من يسومهم سوء العذاب فكانوا يودون الجزيه الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبه عليهم الى يوم القيامه ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم لقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد ان ربك لسريع العقاب المراد التحذير من عقابه فى الاخره مع الذله فى الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب من الكفر واليهوديه ودخل فى الايمان بالله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** وقطعناهم فى الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيات لعلهم يرجعون وقطعناهم ما يدل على ان الذى تقدم من قوله ليبعثن عليهم جملة اليهود ومعنى قطعناهم فرقناهم تفريقا شديدا فلذلك قال بعده فى الارض وظاهر ذلك انه لا يكاد يخلو بلد من

فرقه من اليهود منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينه او الذين وراء الصين وقيل المراد القوم الذين كانوا فى زمن موسى لانه كان فيهم امه يهدون بالحق ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفره والفسقه وقيل ومنهم قوم دون ذلك من كون صالحا الا ان صلاحه كان دون ذلك الى الظاهر اقرب قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بذلك من ثبت على اليهوديه وخرج من الصلاح ومحل دون ذلك الرفع وهو صفه لموصوف محذوف اى ومنهم قوم او ناس منحطون عن الصلاح ونحوه قوله وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم وبلوناهم بالحسنات والسيات اى عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات بالنعم والسيات بالنقم النعم لاجل الترغيب والنقم لاجل الترهيب لعلهم يرجعون كى يتوبوا وقيل لعلهم يتنبهون فيتوبون **قوله تعالى** فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخره خير للذين يتقون افلا يعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين اى فخلف من بعد المذكورين الذين قطعناهم وقيل من بعد الصالحين المذكورين خلف نقيض قدام والخلف القرن بعد القرن يقال هولا خلف سو لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال لبيد ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب والخلف الردى من القول قوله خلف هم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوريه بقيت فى ايديهم بعد سلفهم يقرونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهى والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون متاع هذا الشى الادنى اى حطام الدنيا وما يتمتع به منها وفى قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا فى الاحكام وتبديل كتاب الله وتغيير صفة رسول الله ويقولون استغفر لنا ذنوبنا ما عملناها بالليل يمحاه عنا بالنهار وما عملناه بالنهار يمحاه عنا بالليل تمنيا منهم على الله الاباطيل والمفعول الذى اقيم مقام الفاعل لنا وقيل المصدر الذى هو الاخذ وان ياتهم الواو للحال عن سعيد بن جبير وان عرض لهم ذنب اخر عملوه وعن مجاهد ما اشرف لهم فى اليوم من شى من الدنيا حلالا او حراما يشتهونه اخذوه وكلما وصف لهم شى من الدنيا اكلوه ولا يبالون حراما كان او حلالا ويتمنون المغفره فان يجدوا الغد مثله ياخذوه وعن السدى كانت بنوا اسرايل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم وان خيارهم اجتمعوا فاخذ بعضهم على بعض العهود ان لا يفعلوا فجعل الرجل منهم اذا استقضى ارتشى فيقال له ما لك ترتشى فى الحكم فيقول سيغفر لى فيطعن عليه البقيه من بنى اسرايل فيما صنع واذا مات او نزع جعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشى يقول وان يات الاخرين عرض مثله ياخذوه وقيل معناه وان يات يهود يثرب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض من الدنيا مثله ياخذوه كما اخذ اسلافهم وقيل معناه يرجون المغفره وهم مصرون عايدون الى مثل فعلهم غير تايبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبه والمصر لا وهذا تفسير اعتزالى الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب اى التوريه ان لا يقولوا على الله الا الحق وقيل المراد منعهم عن تحريف الكتاب وتغيير الشرايع لاجل اخذ الرشوه قال صاحب الكشاف يعنى قوله فى التوريه من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبه ودرسوا ما فيه فى الكتاب من اشتراط التوبه فى غفران الذنوب والذى عليه المجبره مذهب اليهود بعينه كما ترى ولقايل ان يقول هذا اسقط منه دال على انكار الحق بنا على ظن فاسد فان اهل السنه لا يتمنون المغفره مع الاصرار وهم احرم من ذلك الا ترى ما رواه الترمذى عن شداد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه حاسبها قبل ان يحاسب يوم القيمه فكيف والسين فى سيغفر تدل على القطع فى وقوع الخبر عن المستقبل واهل السنه لا يقطعون فى شى من امورهم لا فى الغفران ان تابوا ولا فى الثواب ان عملوا وصاحب الكشاف ومن يقلدهم من مشايخ المعتزله يوجبون على الله الغفران اذا حصلت التوبه

صالحوا الاولين لان ج

ويقطعون بحصول الثواب على العمل فمذهبهم قريب من مذهب اليهود وايضا قوله معنى اخذ الميثاق هو ان في
التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة وقوله وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن
ميثاق ما ادرى انه منقول من نص التورية قبل التحريف او من التورية المحرفة او مستنبط من معنى الاية
ولا شك ان هذا الذي قاله صاحب الكشاف لم يوجد نص يدل عليه ولا ظاهر فهو يقول على الله ما ليس
بحق وهو فعل اليهود بعينه ولو فرضنا ان في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة فيحتمل
ان يكون المراد بالذنب العظيم الشرك لقوله تعالى وان الشرك لظلم عظيم وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون محارم الله والرشا
قوله الا يقولوا على الله عطف بيان لميثاق الكتاب قال صاحب الكشاف ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق
المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافترا على الله وتقول
عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما ذكر كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا
ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم ان لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا
ما فيه والذين يمسكون بالكتاب مبتدا وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجر
من احسن عملا وقيل في محل الجر عطفا على قوله للذين يتقون وقوله انا لا نضيع اعتراض وقع تاكيدا
لما قبله والتمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة وانما افردها اظهارا لمرتبتها لكونها
عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان **قوله تعالى** واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه
واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون نتقنا قلعنا ورفعنا كقوله ورفعنا فوقهم الطور
قال مجاهد كما ينتق الزبد وقيل قطعنا وقيل زعزعنا وقيل علقنا وقيل اصل النتق والنتوق انتقاع
الشي من موضعه فيرمى به والظلة كلما اظلك من سقف بيت او سحابة او جناح حائط وهذه القصة
مذكورة في سورة البقرة وظنوا انه واقع بهم قيل علموا وايقنوا انه ساقط عليهم نازل بهم وقيل
قوي في نفوسهم انه واقع بهم ان خالفوا روي انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع
الله الطور على رءوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن
عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل
فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة
ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق على وجه الارض شجر ولا جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك
لا ترى يهوديا يقرا عليه التورية الا اهتز وانغض لها راسه خذوا على ارادة القول اي وقلنا لهم خذوا
ما اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي
ولا تنسوه اي واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب ويجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة
بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا
ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه **قوله تعالى** واذ اخذ ربك من بني
ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل
المبطلون وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون لما ذكر قصة موسى عليه السلام ذكر في هذه الاية
ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين قال المفسرون لما خلق الله ادم عليه السلام مسح ظهره واخرج
منه ذريته كلهم كهيئة الذر واختلف في موضع الميثاق فقال ابن عباس ببطن نعمان واد الى جنب عرفة
وروي عنه ايضا ان ذلك برهنا ارض من الهند وهو الموضع الذي اهبط الله تعالى ادم عليه

السلام

السلام وقال الكلبي بين مكة والطايف وقال السدي اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبط من السما ثم مسح
ظهره فاخرج ذريته قالوا فاخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية بيضا مثل اللولو فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي
واخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية سودا فقال لهم ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول
اصحاب اليمين واصحاب الشمال واصحاب الميمنة واصحاب المشامة وروى مسلم ابن خالد الجهني ان عمر رضي الله
عنه سيل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عنها فقال ان الله خلق ادم ثم مسح
ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولا للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هولا للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا
خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد
للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيمة قال لهم الله جميعا اعلموا انه لا اله
غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيا واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي
ومنزل عليكم كتبا فتكلموا فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاقروا كلهم يومئذ طايعين
وطائفة على وجه التقية فاخذ بذلك مواثيقهم وكتب اجالهم وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم فراي
منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لو سويت بينهم فقال اني احببت
ان اشكر قال وفيهم من الانبيا يومئذ مثل السرج فراى ادم عليه السلام نورا ساطعا فقال من هذا فقيل
هذا داود نبي من ذريتك قال كم عمره قال ستون سنة قال رب زده قال قد جرى القلم على اجال
بني ادم قال رب زده من عمري اربعين سنة فاثبت لداود الاربعون وكان عمر ادم الف سنة فلما استكمل
ادم تسعماية وستين جاء ملك الموت فلما راه ادم قال ما لك قال قد استوفيت اجلك قال له ادم بقي من
عمري اربعون سنة قال اليس قد وهبتها لداود قال لا فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فنسيت ذريته
وخطي ادم فخطيت ذريته فرجع ملك الموت الى ربه فقال ان ادم يدعي من عمره اربعين سنة
قال اخبر ادم انه قد جعلها لابنه داود والاقلام رطبة فاثبتت لداود فلما اقرهم بتوحيده
واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه فلا يزاد فيهم ولا ينقص
منهم فذلك قوله عز وجل واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم ولم يقل من ظهر ادم وانما اخرجوا
يوم الميثاق من ظهره لان الله اخرج ذرية ادم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابنا من الابا
فاستغنى عن ذكر ظهر ادم بقوله من بني ادم فلما علم انهم كلهم بنوه واخرجوا من ظهره ترك ظهر ادم
وذكر ظهر بنيه فهذا ما ذكره المفسرون وقد اطبق المعتزلة على انه لا يجوز تفسير هذه الاية
بهذا الوجه واحتجوا على بطلان هذا التفسير بوجوه مبنية على مقدمات فاسدة ماخذها
وساوس عادية من نزغات شيطانية لا يذعن لها الا من فهمه سقيم وفكره غير مستقيم فانه كل ذرة
من ذرات المخلوقات فيها اسرار عجيبة ولطايف دقيقة لا يعرفها الا الراسخون في العلم قال الله
تعالى وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فانه يجوز ان يجعل الله امثال الذر فهما يعقل
به كما قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقوله من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض من
الكل وقيل اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب ابايهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها
الله من اصلاب الابا الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة حتى جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا
ثم اشهدهم على انفسهم اي نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصايرهم
التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال

لم الست بربكم وكانوا قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك فهذا من باب
التمثيل وهو واسع في كلام الله ورسوله وكلام العرب ونظيره قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون وقوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقول
الشاعر اذ قالت الانساع للبطن الحق وقوله قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول
ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى قال الامام على تقدير ان يصح القول باخذ الميثاق من الذر هل يمكن جعله
تفسير الالفاظ هذه الاية فنقول الوجوه الثلاثة المذكورة اولا دافعة لذلك لان قوله اخذ ربك من
بني ادم من ظهورهم ذريتهم قد بينا ان المراد منه واخذ ربك من ظهور بني ادم وايضا لو كانت هذه
الذرية ماخوذة من ظهر ادم لقال من ظهره ذريته ولم يقل من ظهورهم ذرياتهم اجاب الناصرون لذلك
القول بانه صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فسر هذه الاية بهذا الوجه والطعن
في تفسير رسول الله غير ممكن فنقول ظاهر الاية يدل على انه تعالى اخرج الذر من ظهور بني ادم فيحمل
ذلك على انه تعالى يعلم ان الشخص الفلاني يتولد منه فلان ومنه فلان اخر فعلى الترتيب الذي علم دخولهم
في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض واما انه تعالى يخرج كل تلك الذرية من صلب ادم فليس في لفظ الاية
ما يدل على ثبوته وليس فيه ايضا ما يدل على بطلانه الا ان الخبر قد دل عليه فيثبت اخراج الذرية
من ظهور بني ادم بالقران ويثبت اخراج الذرية من ظهر ادم بالخبر وعلى هذا التقدير لا منافاة بين
الامرين ولا مدافعة فوجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر عن الطعن بقدر الامكان قرا نافع
وابن عامر وابو عمرو ذرياتهم بالالف على الجمع والباقون ذريتهم على الواحد فمن افرد فانه قد استغنى
عن جمعه بوقوعه على الجمع وابو عمرو ذرياتهم بالالف على الجمع والباقون فصار كالبشر فانه يقع
على الواحد لقوله ما هذا بشرا وعلى الجمع كقوله ابشر يهدوننا وقوله ان انتم الا بشر مثلنا وكما لم
يجمع بشر بتصحيح ولا تكسير كذلك لا يجمع الذرية ومن جمع قال ان الذرية وان كان واحدا فلا
اشكال في جواز الجمع وان كان جمعا فجمعه ايضا حسن لانك قد رايت الجموع المكسرة قد جمعت
نحو الطرقات والجدرات قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم فعلى قول من اثبت الميثاق
الاول محمول على ظاهره وعلى قول من انكره محمول على التمثيل والمعنى انه تعالى نصب لهم الادلة على
ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصايرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة
والهدى فصار ذلك جاريا مجرى ما اذا اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم
وكانوا قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك قيل قوله شهدنا من كلام
الملايكة لانهم لما قالوا بلى قال الله للملايكة اشهدوا فقالوا شهدنا فعلى هذا القول يحسن الوقف
على قوله بلى لان كلام الذرية قد انقطع هاهنا وقوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين
تقديره ان الملايكة قالوا شهدنا عليهم بالاقرار لئلا يقولوا ما اقررنا فاسقط كلمة لا كما قال
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم يريد لان لا تميد بكم هذا قول الكوفيين وعند البصريين تقديره
شهدنا كراهة ان تقولوا وقيل ان قوله شهدنا من بقية كلام الذرية وقوله ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين متعلق بما قبله وهو قوله واشهدهم فلم يجز قطعه عنه قال صاحب الكشاف
ان يقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان يقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان يقولوا انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قايم معهم فلا عذر لهم في الاعراض
عنه والاقبال على التقليد والاقتدا بالاباء كما لا عذر لابايهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة
لهم

لهم وقيل المعنى ان المقصود من هذا الاشهاد ان لا يقول الكفار انما اشركنا لان اباءنا اشركوا فقلدناهم
في ذلك الشرك فكان الذنب لابائنا فكيف تعذبنا على هذا الشرك وهو المراد من قوله افتهلكنا
بما فعل المبطلون والحاصل انه تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع عليهم التمسك بهذا العذر قال
صاحب الكشاف فان قلت بنو ادم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني ادم اسلاف اليهود الذين
اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اخلافهم المقتدين باباءهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك اباونا
من قبل والدليل على انها في اليهود الايات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها
واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل
فوقهم واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم
الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون
وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقيل والمعنى ان مثل ما فصلنا وبينا في هذه الاية نبين ساير الايات
ليتدبروها فيرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل وهو المراد من قوله لعلهم يرجعون وقيل يرجعون الى ما
اخذ عليهم من الميثاق في التوحيد قرا ابو عمرو قوله ان يقولوا او يقولوا بالياء لان الذي تقدم من الكلام على
الغيبة وهو قوله من بني ادم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا والباقون بالتاء لانه قد جرى في الكلام
خطاب وهو قوله الست بربكم قال ابن عطية ليس لادم في الاية ذكر بحسب اللفظ وتواترت الاحاديث
في تفسير هذه الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما ان الله
عز وجل لما خلق ادم وفي بعض الروايات لما اهبط ادم الى الارض في دهنا من ارض الهند وقاله ابن عباس
وفي بعضها ان ذلك بنعمان وهي عرفة وما يليها قاله ايضا ابن عباس وغيره مسح على ظهره وفي بعض الروايات
ضرب منكبه فاستخرج منه اي من المسحة او الضربة نسم بنيه وفي بعض الروايات كالذر وفي بعضها كالخردل
وقال محمد بن كعب انها الارواح جعلت لها مثالات وروى عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اخذوا من ظهره كما يوخذ بالمشط من الراس وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمان واخذ عليهم العهد بانه ربهم
وان لا اله غيره فاقروا بذلك والتزموه واعلمهم انه سيبعث الرسل اليهم مذكرة وداعية فشهد بعضهم
على بعض قال ابي بن كعب واشهد عليهم السموات السبع فليس من احد يولد الى يوم القيمة الا وقد اخذ
عليه العهد في ذلك اليوم والمقام قال السدي اعطى الكفار يومئذ كارهين على وجه التقية هذه جملة
مجموع الروايات المطول وكان الفاظ هذه الاية لا تلتئم مع الفاظ هذه الاحاديث وقد اكثر الناس
في روم الجمع بينهما فقال قوم ان الاية مشيرة الى هذا التناسل الذي في الدنيا واخذ بمعنى وجد
على المعهود وان الاشهاد هو عند بلوغ المكلف وهو قد اعطي الفهم ونصبت له هذه الصنعة الدالة على
الصانع ونحى الى هذا المعنى الزجاج وهو معنى تحتمله الالفاظ لكن يرد عليه تفسير عمر بن الخطاب وابن
عباس رضي الله عنهما الاية بالحديث المذكور واسنادهما ذلك عن النبي عليه السلام وطول الجرجاني في الاية
الكلام ومداره على ان المسح والاخراج هو من ظهر ادم بحسب الحديث وقال في الاية من ظهورهم اذ الاخراج
من ظهر ادم الذي هو الاصل اخراج من ظهور بنيه الذين هم الفرع اذ الفرع والاصل شي واحد الى كلام
كثير وقال غيره ان جميع ما في الحديث من مسح بيمينه وضرب منكبه ونحو هذا انما هي عبارة عن ايجاد تلك
النسمة منه واليمين عبارة عن العدل او يكون الماسح ملكا بامر الله فتضمن الحديث صدر القصة واخذ
النسم من ادم وهذه زيادة على ما في الاية تضمنت الاية ما جرا بعد هذا من اخذ العهد والنسم
حضور موجودات وهي تحتمل معنيين احدهما ان يكون اخذ عاملا في عهد او ميثاق تقديره لعهد

قوله ذرياتهم ويكون قوله من ظهورهم لبيان جنسي البنوه اذ المراد من الجميع التناسل ولشركه في لفظ بني ادم
بنو لصلبه وبنو بالجار والشفقه ويكون قوله ذرياتهم بدلا من بني ادم والمعنى الاخر لما كانت
كل نسمه هنالك نسبة الى التي هي من ظهرها كان تعيين ذلك التشبيه كانه اخذ من الظهر اذ يستخرج منه شيء
المشابه والمعنى وادعبوا بصنع النسبه وعرفوا بها فذلك الاخذ واخذ على هذا امالى ذرياتهم وليس بمعنى
سنح واوجه بل قد تقدم اجادهم كما تقدم الحديث المذكور فالحديث يزيد معنى على الايه وهو ذكر ادم واول
احاد النسم فيه كان وقيل التوفيق بين الايه والحديث ان يقال ان المراد من بني ادم في الايه ادم واولاده فكانه
صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد من الاخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان واقتصر في الحديث على ذكر
ادم اكتفا بذكر الاصل عن ذكر الفرع وقيل ظاهر الفاظ الايه من قوله من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم دافعه
لظاهر حديث عمر لكن لما كان المعلوم المقرر في بداية العقول ان بني ادم من ظهر ادم فيكون كل ما اخرج
من ظهور بني ادم في الازل الى يوم القيمه هم الذر وقد اخرجهم الله في الازل عن صلب ادم واخذ منه الميثاق
الاول وهو المقالي الازلي كما اخذ منهم في الانزال بالتدريج حين اخرجوا الميثاق الثاني وهو الحالي الانزالي ه
والحاصل ان الله تعالى لما كان له ميثاقان مع بني ادم احدهما يهتدي اليه العقول من نصب الادله الباعثه
على الاعتراف الحالي وثانيهما المقالي الذي لا يهتدي اليه العقل بل يتوقف على توقيف واقف على احوال
العباد من الازل الى الابد كالانبيا عليهم السلام اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلم الامه ويخبرهم ان
وراء الميثاق الذي يهتدون اليه بعقولكم ميثاقا ازليا فقال ما قال من مسح ظهر ادم في الازل
واخراج الذريه والميثاق الاخر **قوله تعالى** واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها
فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل
الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون
اي قص واسرد عليهم والضمير في عليهم عايد على حاضري محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار وغيرهم واختلف
المتاولون في الذي اوتي الايات فقيل هو رجل من بني اسرايل بعثه موسى عليه السلام الى ملك مدين
داعيا الى الله تعالى والى الشريعه وعلمه من ايات الله ما يمكن ان يدعو به واليه فلما وصل رشاه الملك
واعطاه على ان يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل وفتن بها الناس واضلهم وقيل هو رجل
من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعام بن باعورا وقيل هو ابن عابورا وقيل هو ابن ابر وقيل غير هذا
ما ذكرناه تطويل لا فايده فيه وكان من قصته على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي وغيرهم ان موسى عليه
السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض بني كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعم الى بلعم وكان عنده
اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيره وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا
ويحلها لبني اسرايل وانا قومك وبنو عمك وليس لنا منزل وانت رجل مجاب الدعوه فاخرج وادع الله
ان يردعنا موسى وقومه فقال ويلكم نبي الله ومعه الملايكه والمومنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله
ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي واخراي فقالوا … وراجعوه في ذلك فقال حتى
اوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يومر به في المنام فوامر ربه في الدعا عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم
فقال لقومه اني وامرت ربي عز وجل في الدعا عليهم واني قد نهيت فاهدوا له هديه فقبلها ثم راجعوه
وقالوا له ادع عليهم فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يحر اليه شيء فقال وامرت فلم يحر الي شيء فقالوا لو كره ربك
ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الاولى فلم يزالوا به يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب
اتانا له متوجها الى الجبل يطلعه على عسكر بني اسرايل يقال له حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل
عنها فضربها حتى اذا ازلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا اذلقها اذن الله لها

بالكلام

٥٤٩

بالكلام فكلمته حجة عليه وقالت ويحك يا بلعم اين تذهب الى نبي الله والمومنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فخلى
الله سبيلها فانطلقت به حتى اذا اشرفت على جبل حسبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر الا صرف الله به
لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرايل فقال له قومه اتدري يا بلعم ما تصنع
انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا املك هذا شي قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره
فقال لهم قد ذهبت مني الدنيا والاخرة فلم يبق الا المكر والحيله فسامكر لكم واحتال جملوا النسا وزينوهن واعطوهن
السلع ثم ارسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امراة نفسها من رجل ارادها فانهم
ان زنا رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النسا العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور برجل
من عظما بني اسرايل يقال له زمري بن شلوم راس سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم فقام اليها واخذ
بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل حتى وقف بها على موسى عليه السلام فقال اني اظنك ستقول هذه حرام عليك قال
اجل هي حرام عليك لا تقربها فقال والله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها قبته فوقع بها فارسل الله الطاعون على
بني اسرايل في الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب امر موسى رجلا قد اعطي بسطه في الخلق
وقوه في البطش وكان غايبا حين صنع زمري ما صنع فجا والطاعون يجوس في بني اسرايل فاخبر الخبر فاخذ
حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليه القبه وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما
الى السما والحربه قد اخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربه الى لحيته وجعل يقول اللهم
هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني اسرايل في الطاعون فيما بين ان اصاب
زمري المراة الى ان قتله فنحاص فوجدوا قد هلك منهم سبعون الفا في ساعه واحده من النهار فمن هنالك
يعطي بنو اسرايل ولد فنحاص من كل ذبيحه ذبحوها القبه والذراع واللحي لاعتماده بالحربه على خاصرته واخذه
اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل اموالهم وانفسهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففي
بلعم انزل الله واتل عليهم … وقيل كان مجاب الدعوه وعنده اسم الله الاعظم فطلبوا منه ان يدعو على موسى فامتنع
منه فما زالوا يطلبونه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرايل في التيه بدعايه فقال يا رب باي
ذنب وقعنا في التيه فقال بدعا بلعم فقال كما سمعت دعاه علي فاسمع دعاي عليه ثم دعا موسى عليه السلام
ان ينزع عنه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزع منه المعرفه فخرجت من صدره كحمامة
بيضاء فذلك قوله تعالى فانسلخ منها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن
اسلم وابو روق نزلت هذه الايه في امية بن ابي الصلت الثقفي وكان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل
رسولا في ذلك الوقت ورجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده ثم مات
كافرا ولم يومن بالنبي عليه السلام وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه امن شعره وكفر قلبه اي شعره
شعر المومنين لانه وحد الله في شعره وذكر دلايل توحيده من خلق السموات والارض واحوال الاخره والجنه
والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب الذي سماه النبي عليه الصلوة والسلام الفاسق وكان قد ترهب
في الجاهليه فلما جا الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار واتى قيصر واستنجد على النبي عليه
الصلوة والسلام فمات هنالك طريدا وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب كانوا يعرفون النبي عليه
السلام وعن عكرمه انه قال هذا وهذا لايات عامه وعن قتاده هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى
فابى ان يقبله وعن مجاهد وهو … اسرايل يقال له بلعم اوتي النبوة فرشاه قومه على ان يسكت ففعل وتركهم
على ما هم عليه فانسلخ منها وهذا باطل لا يصح عن مجاهد قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته فانه يدل على انه تعالى
لا يشرف عبدا من عبيده بالرساله الا اذا علم امتيازه عن سائر العبيد بمزيد الشرف والدرجات العاليه والمناقب
السنيه فمن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر قوله اياتنا قيل هو اسم الله الاعظم وقيل الرسايل الى الله سبحانه الا

الان و — حبل م — نبي ح — اتيناه م — الملك م

اعطاه اياه وقيل اوتي كتابا من كتب الله عز وجل وقيل علمناه حجج التوحيد وفهمناه ادلته حتى صار عالما به فانسلخ منها اي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها وقيل معناه خرج من محبة الله الى معصيته ومن رحمة الله الى سخطه يقال لكل من فارق شيا بالكليه انسلخ منه وقيل ايتيناه اياتنا معناه بيناها فلم يقبل وعرى منها قوله فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له وقيل كفار الانس وغواتهم اي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له قوله فكان من الغاوين اي فصار من الضالين الكافرين قيل المقصود منه بيان ان من اوتي الهدى فانسلخ منه الى الضلال والغوى والعمى ومال الى الدنيا حتى تلاعب به الشيطان كان منتهاه الى البوار والردي وخاب في الاخرة والاولى فذكر الله قصته ليحذر الناس من مثل حالته قوله ولو شينا اي ولو شينا لرفعنا منزلته بالايات وفضلناه وشرفناه وقيل لرفعناه بعلمه بها وقيل لرفعنا عنه الكفر بالايات وعصمناه ولو تدل على انتفا الشي لانتفا غيره فهذا يدل على انه تعالى قد لا يريد الايمان وقد يريد الكفر وقالت المعتزله لفظ الايه يحتمل وجوها اخرى سوى هذا الوجه فالاول قال الجبائي معناه ولو شينا لرفعناه باعماله بان نحرمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى يسلم له الرفعه لكنا عرضناه زيادة التكليف بمنزلة زايدة فابى ان يستمر على الايمان الثاني لو شينا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره ولقايل ان يقول حمل الرفعه على الاخترام والاماته بعيد وانه اذا امنعه قهرا لم يكن ذلك موجبا للثواب والرفعه ولكنه اخلد الى الارض اي ركن الى الارض وقيل سكن وقيل رضي بالدنيا وقيل لزمها وابطلها والمخلد من الرجال هو الذي يبطي شيبه ومن الدواب التي تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه قال الزجاج خلد واخلد واصله من الخلود وهو الدوام والمقام يقال اخلد فلان بالمكان اذا اقام به وقيل مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفاله قيل فسر الارض في هذه الايه بالدنيا وذلك لان الدنيا هي الارض لان ما فيها من العقار والضياع كلها ارض وساير امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وانما يقوى ويكمل بها فالدنيا كلها هي الارض فصلح ان يعبر عن الدنيا بالارض قال صاحب الكشاف فان قلت كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه تابعه للزومه الايات فذكرت المشيه والمراد ما هي تابعه له ومسببه عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيه باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شينا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شينا لرفعناه ولكنه لم يشا ولقايل ان يقول انما علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله لان المشيه سبب لفعله الموجب لرفعه وفعله لا يستحق به الرفع والحاصل انه انما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله المقتضي لرفعه وان عدمه دليل عدمها لا لانتفا المسبب على انتفا سببه وان السبب الحقيقي هو المشيه وان ما سواها هلوم من الاسباب وسايط معتبره في حصول المسبب من حيث ان المشيه تعلقت به وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغه وتنبيها على ان ما حمله عليه هواه وان حب الدنيا راس كل خطيه فيكون قوله ولو شينا لرفعناه يجري على ظاهره وقوله ولكنه اخلد الى الارض محمول على التاويل على عكس ما فعله صاحب الكشاف واعلم انه تعالى لما قال الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها بمعنى نحن فعلنا ايتا الايات فعقبها هو فعل الانسلاخ توهم منه انه مستقل في ايجاد الفعل فقيل دفعا لذلك التوهم ولو شينا ان نرفعه بالايات الى المراتب العاليه لفعلنا ولا يحصل منه الانسلاخ اذ لكن تعلق مشيتنا باخطاطه الى الارض فحصل منه الانسلاخ فوضع موضعه اخلد الى الارض ليطابق الرفعه وانما جا قول صاحب الكشاف ولكنه اخلد الى الارض فحططناه على عكس هذا التقرير لانه جعل مشية الله تابعه لفعل العبد فقد اخطا في التلفيق لعدم التوفيق واما قوله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال لو شينا لرفعناه

هوم

٦٠

بها ولكنا لم نشا فجوابه انك لما جعلت المشيه ابتدا تابعه للزوم هذا الانسان الايات لزمك هذا فاذا جعل لزومه الايات تابعا للمشيه كما هو الحق جا الكلام على طبقه واتبع هواه معناه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات واتبع الهوى فوقع في هاوية الردي وقيل واتبع مسافل الامور وترك معاليها واختار الدنيا على الاخرة وكان هواه مع القوم وقيل اراد الدنيا واطاع شيطانه قوله فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثله في الخسه والضعه لصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث واتصاله سوا حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان ساير الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل به لهثه في الحالتين جميعا لانك اذا حملت على الكلب نبح وولى هاربا وان تركته شد عليك ونبح فيتعب نفسه مقبلا عليك ومدبرا عنك فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من اخراج اللسان وقيل الكلب منقطع الفواد لا فواد له ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث وعن ابن عباس معناه ان تحمل عليه الحكمه لم يحملها وان تتركه لم يهتد كالكلب ان كان رابضا لهث وان طرد لهث وعن الحسن هو المنافق لا يثبت الى الحق دعي او لم يدع وعظ او لم يوعظ كالكلب يلهث طرد او ترك قال الامام هذه الايه من اشد الايات على اصحاب العلم وذلك لانه تعالى بعد ان خص هذا الرجل باياته وبيناته وعلمه الاسم الاعظم وخصه بالدعوات المستجابه لما اتبع الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب وذلك يدل على ان كل من كانت نعم الله في حقه اكثر فاذا اعرض عن متابعة الهوى كان بعده عن الله اعظم واليه الاشاره بقوله عليه السلام من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا ومحل الجمله الشرطيه وهي قوله ان تحمل عليه يلهث النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود قد جيتهم بخبر ما كان فيهم مما كانوا يخفون عنك لعلهم يتفكرون فيعرفون انه لم يات بهذا الخبر عما مضى فيهم الا نبي ياتيه خبر السما عمهم بهذا التمثيل جميع المكذبين بايات الله قال ابن عباس يريد اهل مكه كانوا يتمنون هاديا ياتيهم وداعيا يدعوهم الى طاعة الله ثم جاهم من لا يشكوا في صدقه وديانته فكذبوه فحصل التمثيل بينهم وبين الكلب الذي ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث لانهم لم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما جاهم الرسول فبقوا على الضلال في كل الاحوال مثل هذا الكلب الذي يبقى على اللهث في كل الاحوال قوله فاقصص القصص يريد قصص الذين كفروا وكذبوا باياتنا فيحذرون مثل عاقبته اذ ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك ويزدادوا الحجة لزوما لهم قوله سا مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون لما قال بعد تمثيلهم بالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وزجر بذلك من الكفر والتكذيب اكده في باب الزجر بقوله تعالى سا مثلا سا يسو لازم ومتعد يقال سا الشي يسو اذا قبح وساه يسوه سوا ومسا وتقديره سا مثلا مثل القوم او سا اصحاب مثل القوم لانه لا بد ان يكون المخصوص بالذم مطابقا للفاعل والفاعل ها هنا مضمر مميز بقوله مثلا والقوم غير مطابق للمثل فلا بد له من تقدير مضاف للقوم او للمثل وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصله بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلمهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصله بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها **قوله تعالى** من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاوليك هم الخاسرون لما وصف الله الضالين بالوصف المذكور وعرف حالهم بالمثل المذكور ختم الكلام ببيان الهدايه والضلال من الله وخلقه واختراعه فان من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاوليك هم الخاسرون قال الامام وعند هذا اضطربت المعتزله وذكروا ...... في التاويل وجوها

منها ان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب في الاخرة فهو المهتدي في الدنيا السالك طريقة الرشد
فيما كلف فبين تعالى انه لا يهتدي الى الثواب في الاخرة الا من هذا وصفه ومن يضلله بان لم يفعل
فهو الحاير ومنها ان يكون المراد من وصفه الله تعالى بكونه مهتديا فهو المهتدي لان ذلك كالمدح
ومدح الله لا يحصل الا في حق من كان موصوفا بذلك الوصف الممدوح ومن وصفه بكونه ضالا فاولئك
هم الخاسرون ومنها ان يكون المراد من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدي
ومن يضلل عن ذلك بسوء اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان يؤثر فيه فاولئك هم الخاسرون
واعلم انه قد ثبت بالدلايل القاطعة والبراهين الساطعة ان الهداية والاضلال من الله تعالى فلا يجوز
صرف اللفظ عن الظاهر الموافق للحق اللايح والصدق الواضح الى التاويل الباطل المخالف للحق وحمل
من يهده الله على الهداية الى الجنة والثواب في الاخرة والمهتدي على السالك طريقة الرشد فيما كلف في
الدنيا تنبو عنه بلاغة التركيب لان البلاغة تستدعي رجوع الهداية والاهتداء الى شيء واحد ليكون
النظم حسنا والتزام اضمار زايد خلاف الظاهر وفتح امثال هذه الاضمارات يقتضي انقلاب النفي اثباتا
وبالعكس وخروج كلام الله من كونه حجة وقول القايل فلان هدى لا يفيد لغة انه وصفه بكونه مهتديا
وقياس هذا على قوله فلان ضلل فلانا وكفره قياس في اللغة وهو مردود وكل ما في مقدور الله من
الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار فحمل الاية على هذا بعيد **قوله تعالى** ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون
بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ذرانا معناه خلقنا واوجدنا مع بث ونشر وانما قال ذلك
لنفاذ علمه فيهم بانهم يصيرون اليها بكفرهم بربهم وقيل هذه اللام لام العاقبة لقوله تعالى فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وانشد اموالنا للميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها الا كل مولود فللموت يولد
ولست ارى حيا لحي مخلد فللموت تغدوا الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن قال ابن عطية وليس هذا
بصحيح ولام العاقبة انما تتصور اذا كان فعل الفاعل لم يقصد به ما يصير الامر اليه واما هاهنا فالفعل قصد
به ما يصير الامر اليه من سكناهم جهنم وعن سعيد ابن جبير انه قال اولاد الزنا مما ذرا الله لجهنم وعن عبد الله
بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية ان الله تعالى لما ذرا لجهنم ما ذرا كان ولد الزنا مما ذرا
لجهنم ثم وصف الله تعالى الكثير من الجن والانس الذين ذراهم لجهنم فقال لهم قلوب لا يفقهون بها
اي لا يفهمون بها اي لا يعلمون بها الخير والهدى ولهم اعين لا يبصرون بها طريق الهدى وسبيل الرشاد
ولهم اذان لا يسمعون بها فيعرفون بذلك توحيد ربهم ويعلمون بها تحقيق نبوة انبيائهم وليس المراد
من ذلك نفي هذه الادراكات عن حواسهم جملة وانما الغرض نفيها في جهة ما كما تقول اصم عن الخنا ومنه
قول الشاعر اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي ستري واصم عما كان بينهما عمدا وما
بالسمع من وقر ومنه قول الاخر وادخل اذا ما دخلت اعمى واخرج اذا ما خرجت اخرس
فكان هولاء القوم لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوا من الايات والمواعظ استوجبوا الوصف
بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم اي الذين ذراهم لجهنم
كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع بل هم اضل لان الانعام لا قدرة لها على تحصيل
هذه الفضايل وهولاء اعطوا القدرة على تحصيلها ومن اعرض عن اكتساب الفضايل العظيمة مع القدرة
على تحصيلها كان اضل واخس حالا ممن لم يحصلها مع العجز وقيل لان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر
غير مطيع وقيل لان الانعام تبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيل منافعها وتحترز عن مضارها
وهولاء لا يعلمون منافعهم ومضارهم ولا يسعون في تحصيل منافعهم ولا يحترزون عن مضارهم وقيل

لان

باب ح

لان الانعام تعرف ربها وتهتدي الى اربابها ومن يقوم بمصالحها وهولاء يعرضون عن ربهم الذي انعم عليهم بنعم لا تحصى
وقيل لان الانعام تضل اذا لم يكن معها مرشد فاما اذا كان معها مرشد فقلما تضل وهولاء قد جاءهم الانبياء وانزل
عليهم الكتب وهم يزدادون في الضلال ثم بين بقوله اولئك هم الغافلون الطريق الذي به صاروا اضل من الانعام
وهو الغفلة الكاملة اي اولئك هم الكاملون في الغفلة قال الامام هذه الاية هي الحجة القاطعة في هذا الموضع
على صحة مذهبنا في مسئلة خلق الاعمال وارادة الكاينات وتقريره من وجوه منها انه تعالى بين باللفظ
الصريح انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم ولا مزيد على بيان الله ومنها انه تعالى اخبر عنهم بانهم من اهل النار
فلو لم يكونوا من اهل النار انقلب علمه جهلا وخبره كذبا فامتنع عدم دخولهم في النار وهذا هو الذي دل

[وهو عالم بامتناع عدم دخولهم في النار فتمتنع ارادة عدم دخولهم في النار فيجب ان يريد دخولهم في النار م]

عليه الاية قال صاحب الكشاف هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم
الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله اعتبارا ولا يسمعون ما يتلى عليهم من ايات الله سماع تدبر كانهم
عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الاذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر واشتداد شكايمهم فيه وانهم لا
ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار
تعالى لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق الا لذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم ان النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد يتاتى منهم الايمان
كانهم خلقوا للنار واعلم ان قول صاحب الكشاف انهم ما خلقوا للنار حقيقة مخالف لظاهر الاية والاحاديث
الواردة في الباب روى احمد بن حنبل في مسنده عن عبد الرحمن بن قتادة سمعت رسول الله ان الله خلق ادم
ثم اخذ الخلق من ظهره فقال هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي قال قايل فعلى ماذا نعمل
قال على موافقة القدر وروى مالك واحمد والترمذي وابو داود حديث عمر الذي تقدم عند
قوله الست بربكم قالوا بلى وغيرهما موافق للنص القاطع والنظم الفايق فان قوله ولقد ذرانا لجهنم كالتفريع
على تذييل قصة الفرقة الضالة المشبهة بلعام وموقع قوله لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها مع ما قبله موقع قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم مع ما
قبله وفصل هذا على ذلك بتصديره بالجملة القسمية واستقلال المذكورات هاهنا في كونها جملا صراحا
واسمية بتكرير الجار والمجرور والاستيناف باعادة اسم من استونف كانه تعالى لما اقسم بقوله ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قيل فما يكون اراد ان يتصدى لتاويل الاية وصرفها عن ظاهرها
الموافق للبرهان القاطع روي ان اعرابيا سمع قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض
انه لحق قال من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف كانهم لم يصدقوه بقوله حتى الجاه الى اليمين **قوله تعالى**
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون لما وصف
الله المخلوقين لجهنم بقوله اولئك هم الغافلون امر بعده بذكر الله تعالى فقال ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها تنبيها على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله والمخلص عن عذاب جهنم هو ذكر الله
واصحاب الذوق والمشاهدة يجدون من ارواحهم ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله
واقبل على الدنيا وشهواتها وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة
وطلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة واذا انفتح على قلبه باب ذكر الله ومعرفته تخلص عن نيران الافات
والحسرات واستشعر بمعرفة رب السموات قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى سبب نزول هذه الاية
على ما روي ان ابا جهل سمع بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دعا الله في صلوته ودعا الرحمن فقال
اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فانزل الله
الاية والاسماء هنا بمعنى المسميات اجماعا من المتاولين لا يمكن غيره والحسنى مصدر وصف به ويجوز

ان تكون الحسنى تانيث الاحسن كالكبرى والصغرى فافرد وصف جمع ما لا يعقل وحسن الاسما انما
توجه بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها وانضاف الى ذلك ايضا انها اذا تضمنت معانى حسان شريفة
من تقديس وتمجيد وغير ذلك فادعوه بها فسمى بتلك الاسما واعلم انا ذكرنا فى المقدمات مباحث الاسما وتقسيمها
ولنذكر ههنا ما لم نذكره فى المقدمات فنقول الاسما اما ان يصح اطلاقها اطلاقها على غير الله تعالى او لا يصح
والاول كقولنا الرحيم الكريم العزيز اللطيف الكبير فان هذه الاسما يجوز اطلاقها على العباد وان كان معناها
فى حق الله مغاير المعناها فى حق العباد والثانى كقولنا الله الرحمن ومن اسما الله ما يكون ذكره وحده
كقوله يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل
يجب ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع واول ما يعلم من صفات الله كونه مرجحا للاشيا مرجحا لوجودها
على عدمها لانا انما نعلم وجوده تعالى بواسطة الاستدلال بوجود المحدثات عليه فاذا دل الدليل
على ان هذا العالم المحسوس ممكن الوجود والعدم لذاته قضى العقل بافتقاره الى مرجح يرجح وجوده على عدمه
وذلك المرجح ليس الا الله فثبت ان اول ما يعلم منه تعالى هو كونه مرجحا ومؤثرا ثم نقول ذلك المرجح
اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لدام العالم بدوامه وذلك
باطل فبقى انه انما يرجح على سبيل الصحة وكونه مرجحا على سبيل الصحة ليس الا كونه تعالى قادرا فثبت ان المعلوم
منه تعالى بعد العلم بكونه مرجحا هو كونه قادرا ثم انا بعد هذا استدل بكون افعاله متقنة محكمة على كونه عالما
ثم انا اذا علمنا كونه تعالى عالما قادرا وعلمنا ان العالم والقادر يمتنع ان لا يكون حيا علمنا من كونه قادرا عالما
كونه حيا فظهر بهذا انه ليس العلم بصفاته تعالى واسمايه واقعا فى درجة واحدة بل العلم بها علوم مرتبة
يستفاد بعضها من بعض وقوله تعالى ولله الاسما الحسنى يفيد الحصر ومعناه ان الاسما الحسنى ليست الا لله
والصفات الحسنى ليست الا لله والبرهان العقلى قد دل على صحة هذا المعنى لان الموجود اما واجب لذاته
او ممكن لذاته والواجب لذاته ليس الا الواحد وهو الله تعالى واما ما سوى الواحد فهو ممكن لذاته وكل ممكن
لذاته محتاج فى وجوده وصفاته الى الواجب لذاته فالله كامل لذاته وكمال كل ما سواه بوجوده تعالى واحسانه
فالكمال له لذاته ولغيره على سبيل العارية فتبين ان الاسما الحسنى ليس الا لله والصفات الحسنى ليست الا لله
وان كل ما سواه فهو غرق فى بحر الفنا واقع فى حضيض النقصان ودلت هذه الاية على ان اسما الله يجب
كونها موصوفة بالحسن والكمال فهذا يفيد ان كل اسم لا يفيد فى المسمى صفة كمال وجلال لا يجوز اطلاقه على
الله قال الامام قوله ولله الاسما الحسنى فادعوه بها يدل على ان الانسان لا يدعو ربه الا بتلك الاسما
الحسنى وهذه الدعوة لا تتاتى الا اذا عرف معانى تلك الاسما وعرف بالدليل ان له الها وربا وخالقا موصوفا
بتلك الصفات الشريفة المقدسة فاذا عرف بالدليل ذلك فحينيذ يحسن منه ان يدعو ربه بتلك الاسما والصفات
ثم ان لتلك الدعوة شرايط كثيرة مذكورة بالاستقصا فى كتب اهل المعانى وينبغى ان يكون مستحضر الامرين
احدهما عزة الربوبية والثانية ذلة العبودية وحينيذ يحسن ذلك الدعا ويعظم موقع ذلك الذكر فاما
اذا لم يكن كذلك كان قليل الفايدة قوله وذروا الذين يلحدون فى اسمايه قرا حمزة يلحدون
بفتح اليا والحا ووافقه عاصم والكساى فى النحل والباقون بضم اليا وكسر الحا فى الاعراف والنحل
والسجدة والالحاد لغة الميل عن القصد والملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه
يقال قد الحد فى الدين ولحد وقيل الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه
اللحد الذى يحفر فى جانب القبر والالحاد فى اسما الله تعالى يقع على ثلاثة اوجه الاول اطلاق
اسما الله المقدسة الطاهرة على غير الله مثل ان الكفار كانوا يسمون الاوثان الهة من ذلك
انهم سموا مسيلمة الكذاب بالرحمن والثانى تسمية الله تعالى بما لا يجوز تسميته به مثل تسمية من سماه

اباه للمسيح ومثل اطلاق المجسمة الجسم على الله قال الامام ومثل ان المعتزلة قد يقولون فى اثنا
كلامهم لو فعل تعالى كذا وكذا لكان سفيها مستحقا للذم وهذه الالفاظ مشعرة بسو الادب قال
اصحابنا وليس كل ما صح معناه جاز اطلاق لفظه فى حق الله فانه ثبت بالدليل انه تعالى هو الخالق
لجميع الاجسام ثم لا يجوز ان يقال يا خالق الديدان والقرود والعذرات بل الواجب تنزيه
الله عن مثل هذه الاذكار وان يقال يا خالق الارض والسموات يا مقيل العثرات يا راحم العبرات
الى غيرها من الاذكار الجميلة الشريفة والثالث ان يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور
مسماه فانه ربما كان مسماه امرا غير لايق بجلال الله فهذه الاقسام الثلاثة هى الالحاد فى الاسما واذا ورد
الاذن فى اطلاق لفظ على الله لا يلزم منه جواز اطلاق ساير الالفاظ المشتقة منه عليه فان لفظ علم
ورد فى حق الله فى ايات منها قوله وعلم ادم الاسما وعلمك ما لم تكن تعلم وعلمناه من لدنا علما ومنها
الرحمن علم القران ولا يجوز ان يقال فى حق الله يا معلم وايضا ورد قوله يحبهم ويحبونه ولا يجوز
ان يقال فى حق الله يا محب ولذا ورد فى حق الانبيا الفاظ ولا يجوز اطلاق مشتقاتها عليهم
فانه ورد فى حق ادم وعصى ادم ربه فغوى ولا يجوز ان يقال ان ادم كان عاصيا غاويا وورد
فى حق موسى يا ابت استاجره ولا يجوز ان يقال انه كان اجيرا والضابط ان هذه الالفاظ الموهمة يجب
الاقتصار فيها على المورد واما التوسع فيها باطلاق الالفاظ المشتقة منها فلا يجوز قال صاحب الكشاف
وذروا الذين يلحدون فى اسمايه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب يسمونه بغير الاسما
الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
يا سخى او ان يابوا تسميته ببعض الاسما الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى
وهى الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفا شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون
فى اوصافه فيصفونه بمشية القبايح وخلق الفحشا والمنكر وبما دخل فى التشبيه كالروية ونحوها
ويتغير بحسب التفسيرين معنى قوله يلحدون فى اسمايه فعلى الاول الالحاد فى التسمية ان يقال
ابو المكارم ونحوه او ان يخص باسم الله دون الرحمن وعلى الثانى الالحاد فى الوصف وهو ما ذكره
من المعانى التى دلت على مذهبه تحكما ولقايل ان يقول هذا الذى ذكره من المعانى الدالة على مذهبه
يمكن قلبه وقيل الحادهم فى اسمايه تسميتهم الاصنام الهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى
من العزيز واورد على الالحاد فيها بقوله سيجزون ما كانوا يعملون واكده بالسين قوله تعالى وممن
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فلما اعاد الله تعالى هذا الكلام هنا حمله اكثر المفسرين
على ان المراد منه امة محمد صلى الله عليه وسلم روى قتادة وابن جريج عن النبى صلى الله عليه وسلم انها هذه
الامة وروى ايضا انه عليه الصلوة والسلام قال هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها وعن الربيع ابن
انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال ان من امتى قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم
عليه السلام وقال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم اى المهاجرين والانصار وعن الكلبى هم الذين
امنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلما والدعاة الى الدين وقيل كل مومن من لدن ادم عليه السلام الى
قيام الساعة فلا يخلو الدنيا فى وقت من الاوقات من داع يدعو الى الحق قوله تعالى والذين كذبوا
باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملى لهم ان كيدى متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان
هو الا نذير مبين اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شى وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم فباى حديث بعده يومنون لما ذكر الله حال الامة الهادية العادلة اعاد ذكر المكذبين بايات الله

وما عليهم من الوعيد وهذا يتناول جميع المكذبين وعن ابن عباس المراد اهل مكه والاستدراج
استفعال من الدرجه بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجه بعد درجه قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين
قامة ورقيت اسباب السما بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج
الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيا بعد شي ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى
سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك
لانهم كلما اتوا بجرم واقبلوا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب النعمه والخير في الدنيا فيزدادون بطرا
وانهماكا في الفساد وتماديا في الغي ويتدرجون في المعاصي بسبب ترادف تلك النعم ثم ياخذهم الله دفعه واحده
على غرتهم اغفل ما يكون وقيل سناخذهم بالعذاب وقيل نزين لهم اعمالهم لنهلكهم وقيل سنطيل اعمارهم في اغترار
منهم وقيل الاستدراج ان ياتيهم من حيث لا يعلمون وقيل الاستدراج ان يندرج الى الشي في خفية قليلا قليلا
ولا يباغت ولا يجاهر ويقال استدرج فلانا حتى يعرف ما يصنع اي لا يجاهره ولا يهجم عليه بالسوال ولكن استخرج
ما عنده قليلا قليلا واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المده والاملا في اللغه الامهال واطالة المده نقيض الاعجال
والملي زمان طويل من الدهر ومنه قوله تعالى واهجرني مليا والمعنى اطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي
ولا اعاجلهم بالعقوبه في المعصيه ليقلعوا عنها بالتوبه والانابه واملي عطف على سنستدرجهم وهو داخل
في حكم السين ان كيدي متين اي اخذي قوي شديد سماه كيدا من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقه
خذلان والاستدراج والاملا الكيد المتين يدل على انه تعالى اراد بالعبد ما يسوقه الى الكفر والبعد عن الله
والجباي قال المراد انه تعالى سيستدرجهم الى العقوبات حتى يقعوا فيها من حيث لا يعلمون استدراجا لهم الى الاهلاك
حتى يقعوا فيه بغته وقد يجوز ان يكون هذا العذاب في الدنيا كالقتل والاستيصال ويجوز ان يكون عذاب
الاخره ومعنى املي لهم ابقيهم في الدنيا مع اصرارهم على الكفر ولا اعاجلهم بالعقوبه لانهم لا يفوتونني ولا
يعجزونني وهذا هو معنى قوله ان كيدي متين لان كيده هو عذابه وسماه كيدا لنزوله بالعباد من حيث لا
يشعرون والجواب ان قوله والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم معناه ما ذكرنا انهم كلما زادوا وتمادوا
في الذنب والكفر زادهم الله نعمه وخيرا ولئن سلم ان المراد منه الاستدراج الى العذاب الا ان هذا
ايضا يبطل القول بانه تعالى ما اراد بعبده الا خيرا وصلاحا لانه تعالى لما علم ان هذا الاستدراج والاملا
ما يزيد به عتوا او كفرا او فسادا او استحقاقا للعذاب الشديد فلو اراد به الخير لاماته قبل ان
يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبه ولكان يجب في حكمته ورعايته للصالح ان لا يخلقه ابدا
صونا له عن هذا العقاب او ان خلقه لكنه يميته قبل ان يصير في حد التكليف او لا يخلقه في
الدنيا والقاه في ورطة التكليف واطال عمره ومكنه من المعاصي مع علمه بان ذلك لا يفيد الا مزيد
الكفر والفتور استحقاق العقاب قال الامام وانا شديد التعجب من هولا المعتزله فانهم يرون القران
كالبحر الذي لا ساحل له مملوا من هذه الايات والدلايل العقليه القاهره القاطعه مطابقه لها ثم انهم يكتفون
في تاويلات هذه الايات بهذه الوجوه الضعيفه والكلمات الواهيه الا ان على بابه في اراده الله كان من زيل
هذا التعجب اولم يتفكروا انه تعالى بالغ في تهديد المعرضين من اياته الغافلين عن التامل في دلايله وبيناته
ثم عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال اولم يتفكروا امر بالفكر والتامل والتدبر والتروي وفي اللفظ محذوف
والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة من جنون وهي حاله من الجنون كالجلسه والركبه ودخول من يوجب
ان لا يكون به نوع من انواع الجنون روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا فدعا قريشا فخذا
فخذا يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم باس الله فقال قايلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت الى الصباح
فانزل الله هذه الايه وحثهم على التفكر في امر الرسول عليه السلام ليعلموا انه انما دعا الى

الايمان

الايمان لا الى ما نسبه اليه الجهال وقيل انه عليه السلام كان تغشاه حاله عجيبه عند نزول الوحي
فيتغير وجهه ويصفر لونه وتعرض له حاله شبيهه بالغشي فالجهال كانوا يقولون انه جنون فالله تعالى
بين انه ليس به جنة لانه عليه السلام كان يدعوهم الى الله ويقيم الدلايل القاطعه الباهره والبينات
الساطعه القاهره بالفاظ فصيحه لمعنه بلغت في الفصاحه والبلاغه الى حيث عجز الاولون والاخرون
عن معارضتها وكان حسن الخلق طيب العشره مرضي الطريقه نقي السيره صفي السريره مواظبا على
اعمال صالحه صارت بسببها قدوة لعقلا العالمين ولا يخفى ان مثل هذا الانسان ما به من جنة فثبت
ان اصراره على الدعوه الى الدين كان لانه نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المومنين
ولما كان النظر في امر النبوه مفرعا على تقرير دلايل التوحيد ذكر عقيبه ما يدل على التوحيد فقال
اولم ينظروا واعلم ان دلايل ملكوت السموات والارض على وجود الصانع ووحدانيته في القران
الكريم كثيره وما خلق الله من شي تنبيه على ان الدلاله على التوحيد غير مقصوره على السموات
والارض بل كل ذره من ذرات العالم برهان باهر قاطع ودليل قاهر ساطع على التوحيد ولما كان ملكوت
السموات والارض مما لا يدرك بالحواس الظاهره بل بالبصيره الباطنه قال اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض فان النظر بالبصر يتعدى بالى وبالبصيره بفي قال الله تعالى فانظر الى اثر رحمة الله
قال الشاعر وفي كل شي له ايه تدل على انه واحد ولما نبه الله على هذه الاسرار الشريفه والدقايق اللطيفه
اردفه بما يقتضي الترغيب في التفكر والنظر فقال وان عسى ان يكون ان مخففه من الثقيله والاصل وانه عسى
والضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون
عما قريب فيهلكوا على الكفر ويصيروا الى النار واذا كان هذا الاحتمال قايما يوجب عليهم ان يسارعوا
الى التفكر والنظر وطلب الحق سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم قبل مفاجاه
الاجل وحلول العقاب ويحتمل ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعه ولما ذكر الله تعالى هذه البينات
الجليه والدلايل العقليه قال فباي حديث بعده يومنون فلا يرجى منهم الايمان بغيره قوله فباي حديث متعلق
بقوله عسى كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون
بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يومنوا **قوله تعالى** من يضلل الله فلا هادي
له ونذرهم في طغيانهم يعمهون ثم بين الله العله في اعراضهم عن القران وتركهم الايمان فقال ومن يضلل الله هذا
شرط وجوابه فلا هادي له تنبيه على الياس منهم والمقت لهم لان المراد ان هذا قد نزل بهم وانهم مثال
لهذا قرا نافع وابن كثير وابن عامر ونذرهم بالنون والرفع وكذلك عاصم في روايه ابي بكر على الاستيناف
وروى حفص عنه بالياء والرفع ولذا قرا ابو عمرو لتقدم اسم الله وحمزه والكسائي بالياء والجزم عطفا على
محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم قال ابو علي ومثله في الحمل على المحل
قوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين لانك لو لم تلحق الفا لقلت اصدق **قوله
تعالى** يسلونك عن الساعه ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات
والارض لا تاتيكم الا بغته يسلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وجه الاتصال انه تعالى لما تكلم في التوحيد والنبوه والقضا والقدر اتبعه بالكلام في المعاد لان المطالب
الكليه في القران هذه الاربعه وقيل انه لما قال في الايه المتقدمه وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم فباي حديث بعده يومنون باعثا بذلك على المبادره الى التوبه والاصلاح قال بعده يسالونك
عن الساعه ليتحقق في القلوب ان وقت الساعه مكتوم عن الخلق فيصير ذلك كالداعي للمكلفين على المسارعه
الى التوبه واداء الواجبات قال ابن عباس ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعه

ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا مع علمهم ان الله قد استاثر بعلمها وقيل ان قريشا قالت
يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة والساعة من الاسما الغالبة للقيامة كالنجم للثريا
سميت القيامة بها لوقوعها بغتة اولسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة من الساعات
عند الخلق ايان اى متى ومنه قول الراجز ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها ابانا ومعناه
الاستفهام عن الوقت الذي يجي وهو سوال عن الزمان وقيل اشتقاقه من اى فعلان من اى لان
معناه اى وقت واى فعل من اويت اليه لان البعض اوى الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان
يكون من اين لانه زمان واين مكان مرساها اى ارساوها اى اثباتها واقرارها يقال رسا يرسو اى
ثبت وكل شي ثقيل رسو وثبوته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي
يرسي به رست السفينة ترسو رسوا ورسوا اى وقفت على الانجر والمرساة التي ترسي بها السفينة
تشبيها الفرس لبكر ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله
الساعة قل يا محمد انما علمها اى علم الساعة اى علم وقت ارساها عند ربي استاثر بعلمها فلا يعلمها الا هو
لم يخبر به احد من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال صاحب
الكشاف يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص
وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها تاكيد لهذا المعنى اى لا يكشفها ولا يظهرها لوقتها الا هو قال
صاحب الكشاف اى لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفا علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها
بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيها احد من خلقه لاستمرار اخفايها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت
في السموات والارض وصف الساعة بالثقل ونظيره قوله تعالى ويذرون وراهم
يوما ثقيلا وايضا وصف الله تعالى زلزلة الساعة بالعظم فقال ان زلزلة الساعة شي عظيم
ووصف عذابها بالشدة فقال وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال الحسن ثقل مجيها على
السموات والارض لاجل ان عند مجيها تشققت السموات وكورت الشمس والقمر وانتثرت النجوم
وثقلت على الارض لاجل ان في ذلك اليوم تبدل الارض غير الارض وتبطل الجبال والبحار
وقيل ان الساعة ثقلت جدا على اهل السموات والارض لان فيها فناهم وذلك ثقيل على القلوب
وقيل ثقلت على القلوب لان الخلق يعلمون ان مصيرهم بعدها الى البعث والحساب والسوال
والخوف من الله وقيل خفيت في السموات والارض فلم يعرف احد من الملائكة المقربين
والانبيا المرسلين متى يكون حدوثها ووقوعها وقيل ثقل على اهل السموات والارض وتحصيل العلم
بوقتها المعين وكما يقال في المحمول الذي يتعذر حمله انه قد ثقل على حامله فكذلك في العلم
الذي استاثر الله به يقال انه ثقيل عليهم قال صاحب الكشاف اى كل من اهلها من الملائكة والثقلين
اهمه شان الساعة ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاوها وثقل عليه اوثقلت فيها لان اهلها
يتوقعونها ويخافون شدايدها واهوالها اولان كل شي لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها الا بغتة
الا فجاة على غفلة منكم وهذا تاكيد لما تقدم وعن النبي عليه الصلوة والسلام ان الساعة تهيج
بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه يسلونك كانك حفي عنها قيل كانك بار بهم لطيف العشرة صديق لهم قريب
منهم ويويد هذا القول ما روى ان قريشا قالت لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة
فاذكر لنا متى الساعة فقال تعالى يسلونك كانك حفي عنها اى كانك صديق لهم بار بمعنى انك لا تكون
حفيا بهم ماداموا على كفرهم وقيل حفي عنها اى كثير السوال عنها شديد الطلب لمعرفتها

وحفي

وحفي فعيل من الاحفا اى الالحاح والالحاف في السوال ومن اكثر السوال عن الشي والبحث عنه علمه
قال ابو عبيدة هو من قولهم تحفى ان يستقصي فقوله كانك حفي عنها اى كانك اكثرت السوال عنها وبالغت في طلب علمها
قال صاحب الكشاف كانك عالم بها وكانك بليغ في السوال عنها لان من بالغ في المسلة عن الشي والتنقير عنه استحكم علمه
فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفا الشارب واحتفا البقل استيصاله واحفى في المسلة
اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السوال حتى علمت وقيل عنها متعلق بيسالونك
اى يسالونك عنها كانك حفي اى عالم بها وقيل كانك حفي بالسوال عنها تحبه وتوثره بمعنى انك تكره السوال
عنها لانها من علم الغيب الذي استاثر الله به ولم يوته احدا من خلقه وتكرير يسلونك وانما علمها عند الله
للتاكيد ولما جابه من زيادة قوله كانك حفي عنها وقيل يسالونك عن الساعة سوال عن وقت الساعة وقوله
ثانيا يسلونك كانك حفي عنها سوال عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها فلم يلزم التكرار واجاب عن الاول
بقوله انما علمها عند ربي واجاب عن الثاني بقوله انما علمها عند الله والفرق بين الصورتين ان السوال
الاول كان واقعا عن وقت الساعة والسوال الثاني واقعا عن مقدار شدتها ومهابتها واعظم اسما الله مهابة
وعظمة هو قولنا الله فذكر عند السوال عن مقدار شدة القيمة الاسم الدال على غاية المهابة ثم انه تعالى ختم الاية
بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها وقيل لا يعلمون ان اصل الساعة حق لان اكثر الخلق
ينكرون المعاد ويقولون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين وقيل لا يعلمون السبب الذي
لاجله اخفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق **قوله تعالى** قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شا
الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السو ان انا الا نذير وبشير لقوم يومنون قيل
هذا متصل بما قبله ومعناه لا اقدر ان اسوق لي لنفسي خيرا وادفع عنها شرا حين ينزل فكيف اعلم واملك
علم الساعة وتم الكلام عند قوله لاستكثرت من الخير ثم قال وما مسني السو اى ليس بي جنون وذلك
لانهم نسبوه الى الجنون كما ذكره في قوله وما صاحبكم بمجنون ما بصاحبكم من جنة وقيل ان قوله لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا وانا لا ادعي علم الغيب ان انا الا نذير وبشير لقوم يومنون ونظيره قوله تعالى في سورة يونس ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شا الله لكل امة اجل روى ان اهل مكة قالوا
يا محمد الا يخبرك ربك بالرخص والغلا فنشتري ونربح وبالارض التي تجدب فنرتحل منها الى الارض الخصبة فانزل
الله هذه الاية وقيل لما رجع موسى عليه السلام من غزوة بني المصطلق جات ريح في الطريق نفرت الدواب
فاخبر عليه السلام بموت رفاعة بالمدينة فقال عليه السلام انظروا اين ناقتي فقال عبد الله ابن ابي مع قومه
الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال عليه السلام ان ناسا من المنافقين
قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فانزل الله الاية اعلم ان القوم
لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب وطالبوه باعطا الاموال العظيمة قال الله تعالى قل يا محمد لا املك لا اقدر لنفسي
نفعا ولا ضرا اى اجتلاب نفع ولا دفع ضر الا ما شا الله ان يملكني بتمليكه اياي فان قدرتي قاصرة وعلمي قليل
وكل من كان عبدا كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله وهذا اظهار للعبودية والانتفا عما
يختص بالربوبية من علم الغيب واحتج الرسول صلى الله عليه وسلم على عدم علمه بالغيب بقوله ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير يعني المال ولهيات لسنة القحط ما يكفيها وما مسني السو اى ما اصابني الفقر والضر
وقيل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا يعني الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب متى اموت لاستكثرت من الخير من العمل
الصالح وما مسني السو اجتنبت ما يكون من السو واتقيته وقيل لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من معرفته
حتى لا يخفى علي شي وما مسني السو اى التكذيب وقيل لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان ادعو الى الدين الحق يوثر
هذا اولا يوثر في ذلك فكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقيل المراد ما يتصل بالجواب عن السوال

حقيقته م

والتقدير لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت الخير في الجواب عن هذه المسائل التي سالتم عنها مثل السؤال عن وقت
قيام الساعة وغيره وما مسني السوء ولو كنت اعلم الغيب لاحترزت عن الشر حتى صرت لا يمسني سوء ولما لم يكن
الامر كذلك ظهر ان علم الغيب غير حاصل عندي وقيل ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه
من استكثار الخير واستقرار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا
اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت بشيرا ونذيرا
وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالبشير والنذير جميعا لان البشارة والنذارة انما ينفعان
فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون
قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا
فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما
اتاهما فتعالى الله عما يشركون رجع في هذه الاية الى تقرير التوحيد وابطال الشرك من نفس واحدة هي نفس ادم
وخلق منها زوجها وهي حوا خلقها من ضلع من اضلاع ادم وقيل من جنسها ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل اليها ويستانس
بها ويأوي اليها ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه انس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن
الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها
ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى فلما تغشاها وكان التذكير
احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه
ما يلقي بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقل وقد يسمع بعضهن يقول في ولدها ما كان اخف
على كبدي حين حملته قيل اراد الذكر خفيف عليها فمرت به اي استمرت وقامت وقعدت به ولم تكترث بحملها وقيل فمرت
به اي استبان حملها فلما اثقلت اي كبر الولد في بطنها وتحرك وصارت ذات ثقل بحملها كما يقال اثمر اي صار
ذا ثمر دعوا الله اي ادم وحوا ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجى اليه فقالا لئن اتيتنا
وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبري وقيل ولدا ذكرا لان الذكور من الصلاح والجودة
لنكونن من الشاكرين والضمير في اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وذلك انهما اشفقا
ان يكون بهيمة او شيا سوى الانسان قيل ان ابليس اتى حوا في صورة رجل لما اثقلت في اول ما حملت فقال ما هذا
الذي في بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة فقالت ذلك لادم فلم يزالا في هم من ذلك ثم
عاد اليهما فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله فولدت انسانا اتسميه بي قالت نعم فقال اني ادعو الله فاتاها
فولدت فقال سميه باسمي فقالت وما اسمك قال الحارث ولو سمى لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث
فلما اتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركا اي جعل اولادهما له شركا على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما اتاهما اي اتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله
عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحوا بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم تسميتهم اولادهم بعبد
العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وقيل الخطاب
لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ال قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد فيا لقصي
ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها
زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا فيما اتاهما حيث
سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون
لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه قرا ابن كثير وابن عامر
وابو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص شركا على الجمع اخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقوله

تعالى

وسكون الراء وتنوين الكاف ومعناه جعلا له ذوي شرك او جعلا لغيره شركا في الولد وقيل احدنا الله اسما شركاء

تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ونحوها وعاصم في رواية ابي بكر عنه شركا بكسر الشين اي حظا ونصيبا
وغيره واختلف المفسرون في تاويل الشرك المضاف الى ادم وحوا عليهما السلام فقال بعضهم كان شركا في التسمية
والصفة لا في العبادة والربوبية وقيل انهما لم يذهبا الى ان الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث
لكنهما قصدا الى ان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة امه فسمياه به كما يسمي رب المنزل نفسه عبد
ضيفه على جهة الخضوع له لا ان الضيف ربه كما قال حاتم واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما في الا تلك من
شيمة العبد
وقال ابن كيسان هم الكفار جعلوا لله شركا عبد العزى وعبد اللات وعبد مناف وقال عكرمة لم يخص بها ادم
ولكن جعلها عامة لجميع الناس بعد ادم قال الحسين ابن الفضل وهذا اعجب الى اهل النظر لما في القول الاول
من الصاق العظايم بنبي الله ادم ويدل عليه جمعه في الخطاب حيث قال هو الذي خلقكم من نفس واحدة
ثم قال فلما تغشاها انصرف من الخطاب الى الخبر يعني فلما تغشى الرجل منهم امراته قال الله ايشركون يعني
كفار مكة ما لا يخلق شيا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل ولد لادم فسمياه عبد الله فاتاهما ابليس فقال
ما سميتما ابنكما هذا وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الله فمات فقالا لا سميناه عبد الله فقال
ابليس اتظنان ان الله تعالى تارك عبده عندكما لا والله ليذهبن به كما ذهب بالاخر ولكن ادلكما على اسم
يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس فذلك قوله عز وجل ايشركون ما لا يخلق شيا وهم يخلقون يعني الشمس
لا تخلق شيا حتى يكون لها عبد انما هي مخلوقة قال صلى الله عليه وسلم خدعهما مرتين في الجنة وخدعهما في الارض
وقيل انه تعالى ذكر هذه القصة على سبيل ضرب المثل وبيان ان هذه الحالة صورة حال هؤلاء المشركين في جهلهم
وقولهم بالشرك وتقرير هذا الكلام كانه تعالى يقول هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل
من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة
انهما ان اتانا ولدا صالحا سويا لنكونن من الشاكرين لالائك ونعمائك فلما اتاهما الله ولدا صالحا سويا
جعل الزوج والزوجة لله شركا فيما اتاهما لانهما تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبائع كما هو قول
الطبائعيين وتارة الى الكواكب كما هو قول المنجمين وتارة الى الاصنام كما هو قول عبدة الاصنام
ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي يجب تنزيه الله عن ذلك الشرك وقيل ان المشركين كانوا يقولون
ان ادم عليه السلام كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير والشر اليها فذكر تعالى قصة ادم وحوا
وحكى عنهما انهما قالا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ثم قال فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا د
ورد بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتقبيح والتعليل ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى
الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبونه الى ادم ونظيره ان ينعم رجل على رجل
بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم فعلت في حق فلان كذا او احسنت اليه بكذا وكذا ثم انه
يقابلني بالشر والاساءة انه مبرا عن ذلك فغرضه عن قوله انه يقابلني بالشر والاساءة النفي والتبعيد
فكذا هاهنا قوله تعالى ايشركون ما لا يخلق شيا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم
ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين قال الامام ان
هذه الاية من اقوى الدلايل على انه ليس المراد بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون ما ذكر من قصة
ابليس اذ لو كان المراد ذلك لكانت هذه الاية اجنبية عنها بالكلية وكان ذلك في غاية الفساد في النظم
والترتيب بل المراد ما ذكر في سائر الاجوبة ان المقصود من الاية السابقة الرد على عبدة الاوثان
والمقصود من هذه الاية اقامة الحجة على ان الاصنام لا تصلح للالهية فقوله ايشركون ما لا يخلق
شيا معناه ايعبدون ما لا يقدر على ان يخلق شيا وهم يخلقون اجريت الاصنام مجرى

او الى العلم في قوله وهم يخلقون بنا على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها الهه والمعنى ايشركون ما لا يقدر
على خلق شي كما يخلق الله سبحانه وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شي لانه جماد وهم يخلقون
لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم احتج اصحابنا بهذه الايه على ان العبد غير موجد ولا خالق
لافعاله قالوا لانه تعالى طعن في الهيه الاصنام بسبب انها لا تخلق شيا وهذا الطعن انما يتم لو قلنا
انه بتقدير انها كانت خالقه لشي لم يتوجه الطعن في الهيتها وهذا يقتضي ان كل من كان خالقا كان الها
فلو كان العبد خالقا لافعال نفسه لكان الها ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد غير خالق لافعال نفسه
ولا يستطيعون اى الاصنام لعبدتهم نصرا معناه ان الاصنام لا تستطيع ان تنصر عبدتها ولا تنصر
من عصاها والنصر المعونه على العدو والمعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضرر
وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل عبادتها ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها
من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم الاصنام الى الهدى
اى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبوا من الله الخير والهدى
لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم
ان كنتم صادقين ثم قوى هذا الكلام بقوله سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وهذا مثل قوله
سوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وما ذكرناه من المباحث عايد هنا الا ان الفرق ان في تلك
الايه عطف الفعل على الفعل وههنا عطف الاسم على الفعل لان قوله ادعوتموهم جمله فعليه وقوله ام انتم صامتون
جمله اسميه وانما وضعت الجمله الاسميه موضع الفعليه لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون
اصنامهم لقوله اذا مس الناس ضر دعوا ربهم فكانت حالهم المستمره ان يكونوا صامتين عن دعواهم
فقال ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعايهم
ثم اكد الله بيان انها لا تصلح للالهيه فقال ان الذين تدعون اى تعبدونهم وتسمونهم الهه من
دون الله عباد امثالكم قوله عباد امثالكم استهزا بهم اى قصارى امرهم ان يكونوا احيا عقلا فان
ثبت ذلك فهم عباد امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموها الهه واربابا ثم
اكد هذا البيان بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ومعنى هذا الدعا طلب المنافع وكشف المضار من جهتهم
واللام في قوله تعالى فليستجيبوا لام الامر على معنى التعجيز والمعنى انه لما ظهر لكل عاقل انها لا تقدر
على الاجابه ظهر انها لا تصلح للمعبوديه ونظيره قول ابرهيم عليه الصلوة والسلام لابيه لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا قوله ان كنتم صادقين في ادعا انها الهه ومستحقه للعباده ثم
ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين

قوله تعالى

يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاكم ثم كيدوني فلا تنظرون ٭ اى انما يكونوا
امثالا لهم اذا كانت لهم هذه الاعضا الاربعه وهي الارجل التي يمشون بها والايدي التي يبطشون بها
والاعين التي يبصرون بها والاذان التي يسمعون بها ولا شك ان هذه الاعضا اذا حصل في كل واحد
منها ما يليق بها من القوى المحركه والمدركه يكون افضل منها اذا كانت خاليه عن هذه القوى فالرجل
التي يمشي بها واليد التي يبطش بها افضل من الرجل واليد الخاليتين عن قوة المشي والبطش والعين
التي يبصر بها والاذن التي يسمع بها افضل من العين والاذن الخاليتين عن القوه الباصره والسامعه
فهذه الاصنام ليست امثالهم بل هو افضل من هذه الاصنام بكثير بل لا نسبه لفضيلة الانسانيه الى فضيلة
هذه الاصنام البته واذا كان كذلك فكيف يليق بالاكمل الافضل الاشرف ان يشتغل بعبادة الاخس
الادون الذي لا يحصل منه فايده لا في جلب المنفعه ولا في دفع المضره قوله قل ادعوا شركاكم واستعينوا

بهم في عداوتي ثم كيدوني جميعا انتم وشركاكم لتظهر لكم انها لا قدره لها على ايصال المضار الي بوجه من الوجوه اثبت نافع
وابو عمرو اليا في كيدوني والباقون حذفوها ومثله في قوله ولا تنظرون قال الواحدي ان الفواصل
تشبه القوافي وقد حذفوا هذه اليا ات اذا كانت في القوافي والذين اثبتوها فلان الاصل هو الاثبات
ومعنى قوله فلا تنظروني فلا تمهلوني واعجلوا في كيدي انتم وشركاكم فاني لا ابالي بكم ولا اقول هذا الا واثق
بعصمة الله وكانوا قد خوفوه الهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسو فقال اني بري مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل
الكتاب وهو يتولى الصالحين لما بين في الايه المتقدمه ان هذه الاصنام لا قدره لها على النفع والضر
بين بهذه الايه ان الواجب على كل عاقل عبادة الله لانه هو الذي يقدر على تحصيل منافع الدين ومنافع
الدنيا اما منافع الدين فبسبب انزال الكتاب واما تحصيل منافع الدنيا فبتولي الصالحين قال الواحدي
قرا القرا وليي بثلاث يا ات الاولى يا فعيل وهي ساكنه والثانيه لام الفعل ادغمت الاولى في الثانيه
فصارت يا مشدده والثالثه يا الاضافه وروي عن ابي عمرو ولي الله بيا مشدده ووجهه انه حذف
اليا التي هي لام الفعل ثم ادغمت يا فعيل في يا الاضافه فقلت ولي الله وهذه الفتحه فتحة الاضافه واما
الباقون فاجازوا اجتماع ثلاث يا ات اى ان ناصري عليكم وحافظي الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه
واعزني برسالته وهو الكتاب المشتمل على هذه العلوم العظيمه النافعه في الدين وهو يتولى الصالحين
ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده ولا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك ياس المشركين من ان يضره كيدهم
قوله تعالى والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فان قيل انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور
على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق بين من تجوز له العباده وبين من لا تجوز كانه قيل المعبود يجب
ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحه للالهيه وقيل
ان هذه الاحوال المذكوره صفات لهولا المشركين الذين يدعون غير الله يعني ان الكفار يخوفون
رسول الله واصحابه فقال تعالى انهم لا يقدرون على شي بل انهم قد بلغوا في الجهل والحماقه الى انك لو
دعوتهم واظهرت اعظم انواع الحجه والبرهان لم يسمعوا وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم
صوروا اصنامهم بصوره من قلب حدقته الى الشي ينظر اليه وهم لا يبصرون المري هذا اذا جعل هذه
صفات الاصنام واما اذا جعلت صفات المشركين فالمعنى ان المشركين وان كانوا ينظرون الى الناس
الا انهم لشدة اعراضهم عن الحق لم ينتفعوا بذلك النظر والرويه فصاروا كانهم عمي قوله تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين لما بين الله تعالى في الايه الاولى ان الله هو الذي يتولاه فان
الاصنام وعابديها لا يقدرون على الايذا والاضرار بين في هذه الايه ما هو المنهج القويم والصراط
المستقيم في معاملة الناس والعفو ضد الجهد اى خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى
منهم وما يسهل من غير تكلف ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كما قال صلى الله عليه وسلم يسروا
ولا تعسروا قال الشاعر خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول ايه الزكوه فلما نزلت امر ان ياخذها منهم
طوعا وكرها والعرف والعارفه والمعروف الجميل من الافعال قيل هو كل امر عرف انه لا بد من
الاتيان به وان وجوده خير من عدمه وهذا القسم ينبغي ان يامر ولا ياخذ بالعفو لانه لو لم يامر بالمعروف
لكان ذلك سعيا في تغيير الدين وابطال الحق ثم اذا امر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما
اقدم بعض الجاهلين على السفاهه والايذا فاعرض عن الجاهلين ولا تكافي السفها بمثل سفههم

ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم قيل لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل
ما هذا فقال جبريل لا ادرى حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يقول هو ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عن من ظلمك قيل بيان جبريل مطابق للفظ الاية لانك ان وصلت من قطعك فقد عفوت
عنه وان اعطيت من حرمك فقد اتيت بالمعروف واذا عفوت عن من ظلمك فقد اعرضت عن الجاهل وعن
جعفر الصادق رضي الله عنه امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها
قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم قيل لما نزل قوله تعالى واعرض عن
الجاهلين قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك نزغ الشيطان هو نخسه
بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به يقال نزغت بين القوم اذا افسدت ما بينهم وقيل النزغ الازعاج
واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر انه تعالى لما امر بالمعروف فعند ذلك ربما يهيج
سفيه ويظهر السفاهة فعند ذلك امره تعالى بالسكوت عن مقابلته فقال واعرض عن الجاهلين ولما كان
من المعلوم ان عند اقدام السفيه على السفاهة قد يهيج الغضب ولا يبقى الانسان على حال السلامة وعند
ذلك يجد الشيطان مجالا في حمل ذلك الانسان على ما لا ينبغي لا جرم بين الله ما يجري مجرى العلاج لهذا المرض
فقال فاستعذ بالله ولا تطعه وقيل يجوز ان يراد نزغ الشيطان اعتراء الغضب لقول ابي بكر رضي الله
عنه ان لي شيطانا يعتريني والاستعاذة بالله عند هذه الحالة ان يتذكر المرء عظيم نعم الله وشديد عقابه
فيدعوه كل واحد من هذين الامرين عن الاعراض عن مقتضى الهوى وطاعة الشيطان والاقبال على اوامر الشرع
وهذا الخطاب وان خص الله به النبي صلى الله عليه وسلم فهو تاديب عام لجميع المكلفين لان الاستعاذة
بالله لطف يمنع من تاثير نزغ الشيطان ولذلك قال تعالى واذا قرات القران فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون واذا ثبت بالنص ان لهذه الاستعاذة
تاثيرا في دفع نزغ الشيطان وجبت المواظبة عليه في اكثر الاحوال انه سميع عليم كانه قال اذكر بلسانك لفظ
الاستعاذة فانه سميع واستحضر معناه بقلبك فانه عليم بضميرك قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون نبه في هذه الاية على
ان الرسول لا يحصل له من الشيطان الا النزغ الذي هو كالابتداء في الوسوسة واما المتقون فيمسهم
طائف من الشيطان الذي هو ابلغ من النزغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من انسان الا ومعه
شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا ولكنه اسلم بعون الله فلقد اتاني فاخذت بحلقه ولولا
دعوة سليمن عليه السلام لاصبح في المسجد طريحا قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي طيف بغير الف والباقون
طائف بالالف طيف لمة من الشيطان مصدر من طاف به الخيال يطيف طيفا قال اي الم بك الخيال
يطيف طاف الخيال طيفا اذا الم في المنام ويجوز ان يكون طيف تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف
استثقلوا التشديد فحذفوا احدى الياءين وابقوا ياء ساكنة كلين او من طاف يطوف كهين والطائف
لغتان كالميت والمائت ومعناهما الشيء الذي يلم بك وفرق قوم بينهما فقالوا الطائف ما يطوف حول
الشيء والطيف اللمة والوسوسة والخطرة وقيل الطائف ما طاف به وسوسة الشيطان والطيف
اللمم والمس وعن ابن عباس اذا مسهم طائف نزغ من الشيطان وقال الكلبي ذنب وقال مجاهد هو الغضب
وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم
اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسة تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد
ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوا انفسهم تذكروا تفكروا وعرفوا وقيل ابتهلوا عن سعيد بن جبير
هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيدعه وعن السدي معناه اذا زلوا تابوا وعن مقاتل يقول
ان

ان المتقي
ان المتقي اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انها معصية فابصرها فنزع من مخافة الله فاذا هم مبصرون
مواقع خطيتهم بالتفكر والتذكر يبصرون فيقصرون فان المتقي من يشتهي فينتهي ويبصر فيقصر قوله اذا مسهم يستدعي
جزاء كقوله اتيك اذا احمر البسر واذا في قوله فاذا هم مبصرون للمفاجاة ثم ذكر الكفار فقال واخوانهم اي اخوان
الشياطين وهم الكفار يمدونهم اي يمدهم الشياطين في الغي اي يكونون مددا لهم في الغي ويعضدونهم اي يطيلون
لهم ويزيدونهم في الضلالة قرا نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون يمدونهم بفتح الياء وضم الميم
وهما لغتان بمعنى واحد مد يمد وامد يمد وقيل مد معناه جذب قال الواحدي عامة ما جاء في القران
فيما يحمد ويستحب امددت على افعلت لقوله انما نمدهم به من مال وبنين وقوله وامددناهم بفاكهة وقوله انمدونني
بمال وما كان بخلافه فانه يجيء على مددت قال ويمدهم في طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ومن ضم الياء
استعمل ما هو للخير لضده كقوله فبشرهم بعذاب اليم ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن اغوائهم ولا ينزعون وقيل الا يسامون
ولا يفترون عن ابن عباس رضي الله عنه لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم قال
صاحب الكشاف واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها في ان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز
ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول
اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا وجمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد لان المراد به الجنس
لقوله اولياوهم قوله تعالى واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا
بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يومنون لما بين في الاية المتقدمة ان شياطين الانس والجن لا
يقصرون في الاغواء بين في هذه الاية نوعا من انواع الاغواء والضلال وهو انهم كانوا يطلبون ايات
معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقوله وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه لقولك اجتمعه اذا لم تات يا محمد المشركين باية قالوا لولا اجتبيتها
اي هلا افتعلتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك وقال ابو زيد انما تقول العرب ذلك الكلام
يبتدي الرجل به لم يكن اعده قبل ذلك في نفسه قل لهم يا محمد انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل الايات
ولست بمقترح لها وليس لي ان اقترح على ربي في امر من الامور وانما انتظر الوحي وكل شيء اكرمني
به قبلت والا فالواجب السكوت وترك الاقتراح ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات
التي طلبتموها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران على وفق معناه معجز بالغة فاهرة فاذا
ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في تصحيح النبوة وكان طلب الزيادة من باب
التعنت فذكر في وصف القران اوصافا ثلاثة اولها قوله هذا بصائر من ربكم اي حجج بينة
يعود المومنون بها بصراء بعد العمى وهو بمنزلة بصائر القلوب واهل البصيرة الابصار
ولما كان القران سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه لفظ البصيرة
تسمية للسبب باسم المسبب وثانيها قوله وهدى والفرق بين هذه المرتبة وما قبلها ان
الناس في معارف التوحيد والنبوة والمعاد قسمان احدهما الذين بلغوا الى ذلك الحد الا انهم وصلوا
الحد حيث صاروا كالمشاهدين لها وهم اصحاب عين اليقين والثاني الذين بلغوا الى ذلك
الحد الا انهم وصلوا الى درجات المستدلين وهم اصحاب علم اليقين فالقران في حق الاولين
وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المقتصدون هدى وفي حق عامة المومنين
رحمة ولما كانت الفرق الثلاث من المومنين قال لقوم يومنون قوله تعالى واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون لما عظم الله شان القران بقوله هذا بصائر من ربكم
اردفه بقوله واذا قرئ القران فاستمعوا له الانصات السكوت للاستماع يقال نصت

وانصت وانتصت بمعنى واحد ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القران في صلوة وغير
صلوة فقيل تجرى هذه الاية على عمومها ففي اي موضع قرا الانسان القران وجب على كل احد استماعه
والسكوت فعلى هذا القول يجب الانصات لقارى الطريق ومعلم الصبيان وقيل انها نزلت في تحريم
الكلام في الصلوة عن ابي هريرة كانوا يتكلمون في الصلوة بحوائجهم فانزل الله تعالى الاية ثم صار سنة في غير
الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل كان الرجل ياتي وهم في الصلوة فيسالهم
كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلوة بحوائجهم فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل انها نزلت في ترك
الجهر بالقراءة وراء الامام قال ابن عباس قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوة المكتوبة وقرا
الصحابة وراءه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الاية وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه وقيل
انها نزلت في السكوت عند الخطبة وقيل معناه واذا تلى عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له
وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه **قوله تعالى** واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين لما قال واذا قرى القران فاستمعوا
له وانصتوا اعلم ان قاريا يقرا القران بصوت عال حتى يمكنهم الاستماع ومعلوم ان ذلك القارى ليس الا
الرسول عليه الصلوة والسلام كانت هذه الاية جارية مجرى امر الله محمدا صلى الله عليه وسلم
بان يقرا القران على القوم بصوت عال وانما امره بذلك ليحصل المقصود من تبليغ الوحي والرسالة
ثم انه تعالى اردف ذلك الامر بان امره في هذه الاية بان يذكر ربه في نفسه والغاية ان انتفاع الانسان
بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لانه بهذا الشرط اقرب الى الاخلاص والتضرع قيل هو
عام في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك قيل امر الله رسوله
بالذكر مقيدا بقيود الاول واذكر ربك في نفسك والمراد بذكر الله في نفسه كونه عارفا بمعاني
الاذكار التي يقولها بلسانه مستحضرا لصفات الجلال والعز والعلو فان الذكر باللسان عاريا
عن ذكر القلب غير مفيد القيد الثاني حصول التضرع واليه الاشارة بقوله تضرعا وهذا
القيد معتبر ويدل عليه القران والمعقول اما القران فقوله تعالى في سورة الانعام ام من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية واما المعقول فلان كمال حال الانسان انما
يحصل بانكشاف امرين احدهما عزة الربوبية وهذا المقصود انما تم بقوله واذكر ربك في نفسك
والثاني بمشاهدة ذل العبودية وذلك انما يكمل بقوله تضرعا فالانتقال من الذكر الى التضرع
يشبه النزول من المعراج والانتقال من التضرع الى الذكر يشبه الصعود وبهما تتم معراج الارواح
القدسية القيد الثالث قوله وخيفة اي خائفا قال الامام وهذا الخوف يقع على وجوه منها
خوف التقصير في الاعمال ومنها خوف الخاتمة والمحققون خوفهم من السابقة لانه انما يظهر
في الخاتمة ما سبق به في الفاتحة ولذلك كان عليه السلام يقول جف القلم بما هو كائن الى يوم
القيامة ومنها اني كيف اقابل النعمة التي لا احصرها بطاعاتي الناقصة واذا كان القاصر القيد
الرابع قوله دون الجهر من القول بان يقع ذلك الذكر بحيث يكون متوسطا بين الجهر والمخافتة
كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا عن ابن عباس المعنى ان
يذكر ربه على وجه يسمع نفسه فان المراد حصول الذكر اللساني والذكر اللساني اذا كان بحيث
يسمع نفسه تتاثر الخيال منه فيقوى الذكر القلبي ولا يزال يتقوى كل واحد من هذه الاذكار الثلاثة
وينعكس الانوار من بعضها الى بعض فيزداد القوة والجلاء والانكشاف والترقي من ظلمات عالم الاجسام
الى انوار مدبر النور والظلمات القيد الخامس قوله بالغدو والاصال قيل الغدو مصدر

يقال

يقال غدوت غدوا وغدوا ومنه قوله تعالى غدوها شهر اي غدوها للسير ثم سمي وقت الغدو
غدوا كما يقال دنا الصباح اي وقته وقيل الغدو جمع غدوة واما الاصال فقال الفراء واحدها
اصل وواحد الاصل اصيل ويقال الاصيل ماخوذ من الاصل واليوم بليلته انما يبتدا في الشرع من
اول الليل واخرهما وكل يوم متصل باول ليلة اليوم الثاني سمي اخر النهار اصيلا لكونه ملاصقا لما
هو الاصل لليوم الثاني خص الغدو والاصال بهذا الذكر والسر فيه ان عند الغدو انتقل الانسان من
النوم الذي هو كالموت الى اليقظة التي هي كالحيوة والعالم انتقل من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الى
النور الذي هو طبيعة وجودية واما عند الاصال فالامر بالضد لان الانسان ينتقل فيه من الحيوة الى
الموت والعالم ينتقل فيه من النور الى الظلمة ففي هذين الوقتين يحصل هذان النوعان من التغير العجيب
القوي القاهر ولا يقدر على مثل هذا التغير الا الاله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة القاهرة فلهذا
خص الله هذين الوقتين بالامر بالذكر القيد السادس قوله ولا تكن من الغافلين يدل على ان الذكر القلبي
يجب ان يكون دائما وان لا يغفل الانسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة
البشرية قوله واذكر ربك في نفسك وان كان ظاهره خطابا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا انه عام في حق كل
المكلفين ولكل احد درجة مخصوصة ومرتبة معينة بحسب استعداده كما قال في صفة الملائكة وما منا الا
له مقام معلوم **قوله تعالى** ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون لما رغب
الله رسوله في الذكر والمواظبة عليه عقبه بما يقوي دواعيه في ذلك فقال ان الذين عند ربك اي
الملائكة عند ربك يعني دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لا دنو المكان والمسافة لا يستكبرون
عن عبادته مع نهاية قربهم وغاية طهارتهم وخلاصهم عن دواعي الشهوة والغضب يسبحون الليل والنهار
لا يفترون فالانسان مع كونه مبتلى بدواعي الشهوة وبواعث الغضب اولى بالمواظبة على الطاعة
ولهذا السبب قال عيسى عليه السلام واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وله يسجدون ويختصون بالعبادة لا يشركون
به غيره ذكر اولا انهم يسبحونه ينزهونه عن كل سوء وذلك يرجع الى المعارف ثم اردفه بقوله
وله يسجدون وذلك يرجع الى اعمال الجوارح وهذا يدل على ان الاصل في العبادة اعمال
القلوب ويتفرع عليها افعال الجوارح وهذا اول اية من السجدة عند قراءتها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله امر بالسجود
فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم ما من عبد يسجد لله سجدة
الا رفعه الله له درجة في الجنة وحط عنه بها خطيئة **سورة الانفال خمس وسبعون
اية والف ومائة وخمس وسبعون كلمة وخمس الف ومائة وثمانون حرفا واكثر الناس
على انها مدنية كلها** وعن مجاهد هي مدنية غير اية واحدة وهي قوله واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية كلها وهذه الاية نزلت في قصة وقعت بمكة ويمكن ان نزل الاية في ذلك بالمدينة
ولا خلاف في ان هذه السورة نزلت يوم بدر وامر غنايمه بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله
ورسوله ان كنتم مؤمنين قوله يسئلونك يقتضي البحث عن السائل والمسؤل وحقيقة النفل والاحكام
التي يكون السؤال عنها اما السائلون فنقول ان قوله يسئلونك اخبار عمن لم يسبق ذكره وحسن
ذلك لان حالة النزول كان السائل عن هذا السؤال معلوما معينا فانصرف السؤال اليهم ولا شك
انهم كانوا اقواما لهم تعلق بالغنائم والانفال وهم طائفة من الصحابة واما المسؤل فلا يخفى

انه هو النبي صلى الله عليه وسلم واما الانفال فهو جمع نفل قال الازهري النفل والنفل ما كان
زيادة على الاصل وسميت الغنائم انفالا لان المسلمين فضلوا بها على ساير الامم الذين لم تحل الغنايم
لهم وصلوة التطوع نافلة لانها زيادة على الفرض الذي هو الاصل وقال تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سال واما السوال فكان واقعا عن حكم الانفال ونظيره قوله
تعالى ويسلونك عن المحيض ويسلونك عن اليتامى فعلم منه انه سوال عن حكم من احكام المحيض واليتامى
وذلك الحكم غير معين الا ان الجواب كان معينا لان الله تعالى قال في المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النسا في المحيض فدل هذا الجواب على ان ذلك السوال كان سوالا عن مخالطة النسا في المحيض وقال
في اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم فدل هذا الجواب على ان ذلك السوال
كان واقعا عن التصرف في مالهم ومخالطتهم في المواكلة فكذا هاهنا انما قال في جواب السوال
عن الانفال قل الانفال لله والرسول دل هذا انهم سالوا عن مصرفها والمستحق لها والنفل الغنيمة لانها
من فضل الله وعطاياه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والغنيمة المال الماخوذ من الكفار قهرا
وقيل النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زايدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا
على البلا في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او
ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفا بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم وعن
ابن عباس الانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع هو الى النبي
يضعه حيث شا وعن مجاهد الانفال الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس والسوال انما هو عن الخمس
ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنايم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار او لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشا ليس لاحد غيره فيها حكم وعن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من اتى مكان كذا او كذا فله من النفل كذا ومن قتل قتيلا فله
كذا ومن اسر اسيرا فله كذا فلما التقوا تسارع اليه الشبان واقام الشيوخ ووجوه الناس عند
الرايات فلما فتح الله على المسلمين جاوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الشيوخ
والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم فلا تذهبوا
بالمغانم دوننا وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت
من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وانا قد قتلنا واسرنا سبعين فقام سعد بن
معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هولاء زهادة في الاجر ولا جبن على العدو ولكن كرهنا
ان نعري مصافك فتعطف عليك خيل المشركين فيصيبوك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم عاد ابو اليسر لمثل مقالته وقال سعد بن معاذ مثل كلامه وقال يا رسول الله ان الناس كثير وان
الغنيمة دون ذلك فان تعط هولا ما شرطت لهم لا يبقى لاصحابك كبير شي فنزلت الاية وعن عبادة بن الصامت
نزلت فينا معشر الانصار يوم بدر حين اختلفنا في النفل وسات فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السوا وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله
واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابي وقاص في نزلت هذه الاية وذلك انه لما كان يوم بدر
قتل اخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه فاعجبني فجيت به الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس لي هذا ولا لك
اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي وقلت عسى ان يعطى لمن لم يبل

بلاي

بلاي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزل الله سورة الانفال فقال
يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه قل الانفال لله والرسول يقسمانها
كما شا او يفعلان ما شا او تمثيل الرسول امر الله وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد قال صاحب الكشاف
والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين
كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرطوا فانهم ان فعلوا لم يومن ان يقدح ذلك
فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي ولا حاجة لما في تفسيرا لاية الى تقييد المراد باقتضا الحكمة فان الاية
لا تدل عليه ولا يتوقف صحة المعنى عليه فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متحابين في الله
واصلحوا ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق ولما كانت الاحوال واقعة في البين قيل
لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور ومنه قولهم اسقني ذا اناك
يريدون ما في الانا من الشراب وذلك حين اختلفوا امرهم بالتقوى واصلاح ذات البين عن قتادة كان نبي
الله صلى الله عليه وسلم ينفل الرجل من المومنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله وكان ينفل الرجل على قدر
عنايه وبلايه حتى اذا كان يوم بدر وملا الناس ايديهم غنايم فقال الضعفا ذهب الاغنيا بالغنايم فنزلت
قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ليرد الاقويا على الضعفا فامرهم رسول الله ان يرد بعضهم
على بعض وامرهم بالطاعة فيما نهى لهم الله عن مخالفة حكم الرسول بقوله واتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
ثم اكد ذلك بان امرهم بطاعة الرسول بقوله واطيعوا الله ورسوله ثم بالغ في هذا التاكيد بقوله ان كنتم مومنين
قال صاحب الكشاف وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته
ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مومنين كاملي الايمان **قوله تعالى** انما المومنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون اوليك هم المومنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم لما قال تعالى واطيعوا
الله ورسوله ان كنتم مومنين واقتضى ذلك كون الايمان مستلزما للطاعة شرح ذلك في هذه الاية مزيد شرح
وتفصيل وبين ان الايمان لا يحصل الا عند حصول هذه الطاعات فقال انما المومنون واللام في قوله
انما المومنون اشارة الى مومنين في قوله ان كنتم مومنين اي انما الكاملوا الايمان الذين من صفتهم كيت
وكيت والدليل عليه قوله اوليك هم المومنون حقا ذكر من صفاتهم امورا خمسة الاول قوله اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم في نعت تعالى وجل يوجل وجلا فهو وجل اذا خاف والمراد ان المومن انما يكون كامل
الايمان اذا كان بهذه الصفة عن ام الدردا الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة
قال بلى قالت فادع الله فان الدعا يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله
وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورافته وثوابه وعن السدي هو الرجل يريد ان
يظلم او يهم بمعصية فينزع عنه واذا تليت هو الامر الثاني اي اذا قريت عليهم اياته زادتهم ايمانا
ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه قال
الله تعالى اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي عن ابن عباس تصديقا وعن الربيع بن انس خشية وعن ابن
حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك
زيادته واذا سهونا وقصرنا وغفلنا فذلك نقصانه وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرايض
وشرايع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان زيادة الايمان الذي هو التصديق

على وجهين الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل
عنده اكثر واقوى كان ازيد ايمانا لان عند حصول كثرة الدلايل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان اهل الارض لرجح يريد ان معرفته
بالله اقوى الثاني انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمان
الرسول متعاقبة فعند حدوث كل تكليف كانوا يزيدون تصديقا واقرارا ومن المعلوم ان من صدق
انسانا في شيين كان تصديقه اكثر من يصدق من صدقه في شي واحد فقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا معناه فلما سمعوا انه جديد واتوا باقرار جديد وكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق
قال الامام وفي الاية وجه ثالث وهو ان كمال قدرة الله وحكمته انما تعرف بواسطة اثار حكمته
في مخلوقاته وهذا بحر لا ساحل له وكلما وقف عقل الانسان على اثار حكمته في تخليق شي انتقل منه الى
طلب حكمته في تخليق شي اخر فقد انتقل من مرتبة الى مرتبة اخرى اعلا منها واشرف واكمل ولما كانت هذه
المراتب لا نهاية لها كانت مراتب التجلي والكشف والمعرفة لا نهاية لها قوله وعلى ربهم يتوكلون هذا هو الامر
الثالث ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه وهذه مرتبة عالية ودرجة شريفة
وهو ان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في امر من الامور الا على الله وهذه الامور الثلاثة
مرتبة على احسن الترتيب فان المرتبة الاولى هي الوجل من عقاب الله والمرتبة الثانية هي الانقياد
لمقامات تكليف الله والمرتبة الثالثة الانقطاع بالكلية عما سوى الله والاعتماد بالكلية على فضل الله بل الغنا
بالكلية عما سوى الله قوله الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون هذا هو الامر الرابع والخامس جمع
بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة فالمراتب
الثلاث المتقدمة احوال معتبرة في القلوب والبواطن ثم انتقل منها الى رعاية احوال الظاهر
وراس الطاعات المعتبرة في الظاهر ورئيسها بذل النفس في الصلوة وبذل المال في مرضاة الله ويدخل
فيه الزكوة والصدقات والصلوة يدخل فيه بذل النفس في الجهاد والانفاق يدخل فيه الانفاق
على المساجد والقناطر ولما ذكر هذه الصفات الخمس اثبت للموصوفين بها امورا اربعة الاول
قوله اولئك هم المومنون حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المومنون ايمانا حقا او هو مصدر
موكد للجملة التي هي اولئك هم المومنون كقولك هو عبد الله حقا وقيل حقا متصل بقوله هم المومنون
اي هم المومنون بالحقيقة وقيل ان الكلام تم عند قوله اولئك هم المومنون ثم ابتدا وقال حقا
لهم درجات عند ربهم اتفق العلماء على انه يجوز للرجل المومن ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل
يجوز للرجل المومن ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول انا مومن ان شاء الله
ولا يقول انا مومن حقا وقال اصحاب ابي حنيفة الاولى ان يقول انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول
انا مومن ان شاء الله قال الامام اما الذين قالوا انا مومن ان شاء الله فلهم فيه مقامان احدهما ان يكون
ذلك لاجل حصول الشك في حصول الايمان والثاني ان لا يكون الامر كذلك اما المقام الاول فتقريره
ان الايمان عند الشافعي عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل ولا شك ان كون الانسان اتيا
بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزا الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية
فالانسان وان كان جازما بحصول الاعتقاد والاقرار الا انه لما كان شاكا في حصول هذا العمل
كان هذا القدر يوجب كونه شاكا في حصول الايمان واما عند ابي حنيفة فلما كان الايمان اسما للاعتقاد
والقول وكان العمل خارجا عن مسمى الايمان لم يلزم من حصول الشك في الاعمال حصول الشك في الايمان
فثبت

فثبت ان من قال ان الايمان عبارة عن مجموع الامور الثلاثة يلزمه وقوع الشك في الايمان ومن قال العمل خارج
عن مسمى الايمان يلزمه نفي الشك عن الايمان وعند هذا ظهر ان الخلاف في اللفظ فقط واما المقام الثاني
ان نقول ان قولنا انا مومن ان شاء الله ليس لاجل الشك ولنا فيه وجوه الاول ان كون الرجل مومنا اشرف
صفاته واكمل نعوته واحواله فاذا قال انا مومن وكان مدح نفسه باعظم المدايح فوجب ان يقول
ان شاء الله ليصير هذا سببا لحصول الانكسار في القلب وزوال العجب وروي ان ابا حنيفة رضي الله
عنه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابرهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به بقوله اولم تومن قال بلى فقال كان لقتادة ان يجيب
ويقول انه بعد ان قال بلى قال ولكن ليطمئن قلبي فطلب مزيد الطمانينة وهذا يدل على انه لا بد من قول
ان شاء الله الثاني انه تعالى ذكر في هذه الاية ان الرجل لا يكون مومنا الا اذا كان موصوفا بالصفات
الخمس الخوف من الله والاخلاص في دين الله والتوكل على الله والاتيان بالصلوة والزكوة لوجه الله
وذكر في اول الاية ما يدل على الحصر وهو قوله انما المومنون الذين هم كذا وكذا وكلمة انما تفيد الحصر وذكر
في اخر الاية اولئك هم المومنون حقا وهذا ايضا يفيد الحصر فلما دلت هذه الاية على هذا المعنى ثم ان الانسان
لا يمكنه القطع على نفسه بحصول هذه الصفات الخمس فكان الاولى ان يقول ان شاء الله وروي انه سال
رجل الحسن عن الايمان فقال الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن حقا وان كنت تسالني عن قوله تعالى انما
المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله عند ربهم فوالله لا ادري امنهم انا ام لا الثالث ان القران
العظيم دل على ان كل من كان مومنا كان من اهل الجنة فالقطع بكونه مومنا يوجب القطع بكونه من اهل الجنة
وذلك لا سبيل اليه فكذا هذا وعن الثوري انه قال من زعم انه مومن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة
فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل الجنة فلا يقطع بانه مومن حقا الرابع ان
يقول انا مومن ان شاء الله عند الموت والمراد صرف هذا الاستثنا الى الخاتمة والعاقبة فان الرجل وان
كان مومنا في الحال الا انه على تقدير ان لا يبقى ذلك الايمان في العاقبة كان وجوده كعدمه ولم يحصل
فايدة اصلا وكان المقصود من ذكر هذا الاستثنا هذا المعنى الخامس ان ذكر هذه الكلمة لا ينافي حصول
الجزم والقطع الا ترى انه تعالى قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وهو تعالى منزه عن الشك فثبت
انه تعالى انما ذكر ذلك تعليما منه لعباده هذا المعنى فكذا ههنا الاولى ذكر هذه الكلمة الدالة على
تفويض الامور الى الله حتى يحصل بركة هذه الكلمة ودوام الايمان السادس ان جماعة من السلف ذكروا
هذه الكلمة وراينا له ما يقويه في كتاب الله وهو قوله تعالى اوليك هم المومنون حقا وهم المومنون
في علم الله وفي حكمه وذلك يدل على وجود جمع يكونون مومنين ولا يكونون كذلك فالمومن يقول
ان شاء الله حتى يجعله الله ببركة هذه الكلمة من الاولين لا من الاخرين الثاني من الامور التي اثبتها الله
للموصوفين بالصفات الخمس قوله تعالى لهم درجات عند ربهم اي من شان المومنين حقا ان يكون لهم درجات
عند ربهم اي لهم مراتب بعضها اعلى من بعض وشرف وكرامة وعلو منزلة قال مجاهد اعمال رفيعة
قال عطا يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم وقيل يعني ما اعد الله لهم في الجنة من لذيذ الماكل
والمشارب وقيل لهم درجات عند ربهم سبعون درجة حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة قال
الامام واعلم ان الصفات المذكورة قسمان الثلاثة الاولى هي الصفات القلبية والاحوال الروحانية
وهي الخوف والاخلاص والتوكل والاثنان الاخيران هي الاعمال الظاهرة ولا شك ان لهذه الاعمال
والاخلاق تاثيرات في تصفية القلب وفي تنويره بالمعارف الالهية ولا شك ان المؤثر كلما كان

اقوى كانت الاثار اقوى وبالضد فلما كانت هذه الاخلاق والاعمال لها درجات ومراتب كانت المعارف
لها ايضا درجات وذلك هو المراد من قوله لهم درجات عند ربهم والثواب الحاصل في الجنة ايضا مقدر بمقدار
هذه الاحوال فثبت ان مراتب السعادات الروحانية قبل الموت وبعد الموت ومراتب السعادات الحاصلة في الجنة
كثيرة ومختلفة فلهذا المعنى قال لهم درجات عند ربهم الثاني والثالث والرابع قوله تعالى ومغفرة ورزق
كريم اي تجاوز لسيئاتهم ورزق كريم يعني الجنة يعني لهم منافع حسنة دايمة خالصة مقرونة بالاكرام والتعظيم قال
العارفون المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب
الاستغراق في معرفة الله وفي محبته قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين
لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون قيل الكاف محله رفع
على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في
كراهة خروجك للحرب وقيل الكاف محله منصوب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول
اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون
وقيل معنى ذلك فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما كان اخراج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته
بالحق خيرا لكم وان كرهه فريق منكم وقيل معناه كما اخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق على كره فريق من المومنين
كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه كما هو معلوم بعده وقيل امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يمضي
لامره في الغنايم على كره من اصحابه كما مضى لامره في خروجه من بيته لطلب عير قريش وهم كارهون وقيل معناه
يسالونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا اخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له وقيل معناه
اولئك هم المومنون حقا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى على تقديره امض على الذي اخرجك
ربك من بيتك بالحق وقيل هي بمعنى القسم مجازها والذي اخرجك لان ما في معنى الذي وجوابه يجادلونك وعليه يقع
القسم وتقديره يجادلونك في الله الذي اخرجك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر اذ اخرجك
ربك من بيتك بالمدينة او المدينة نفسها لانها موضع هجرته ومسكنه فهي في اختصاصها به عليه السلام كاختصاص
البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وقيل اخرجك من بلدتك
لتحيي بها قلوبا عميا عن الحق وان فريقا من المومنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال
كراهتهم روي ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو
ابن العاص وعمرو بن هشام واقوام اخرون فاخبر جبريل رسول الله عليهما الصلوة والسلام
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى
ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا
بعدها ابدا وقد رات اخت العباس ابن عبد المطلب رويا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا
نزل من السما فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة
فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبا نساوهم فخرج ابو جهل بجمع اهل
مكة وهم النفير في المثل الساير لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل
ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات
والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى
بدر وبدر ما كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان
الله وعدكم احدى الطايفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال
ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير اليكم احب ام النفير فقالوا بل

العير

بل العير احب الينا من العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد
مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند
غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك
فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد ابن عمرو يا رسول الله
امض لما امرك الله فانا معك حيث احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا حين
بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما
نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو
دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله
لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة
الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني
احدى الطايفتين والله لكاني انظر الان الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ
من بدر عليك بالعير ليس دونها شي فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال
لان الله وعدك احدى الطايفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت كراهة القتال لبعضهم لقوله وان فريقا
من المومنين لكارهون والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم على تلقي
العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم ما كان خروجنا الا للعير
وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم انه تعالى شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم
الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو يشاهد لاسبابه وينظر اليها لا
يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان قوله تعالى واذ
يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته
ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ منصوب باضمار اذكروا انها لكم بدل من احدى
الطايفتين العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت
في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها
ومنها قولهم شايك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطايفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون
الطايفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق ويثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة
وبما امر الملايكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين
يستاصلهم والدابر الاخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطاير وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال
يعني انكم تريدون الفايدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله تعالى
يريد معالي الامور وما رجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين
ولذلك اختار لكم الطايفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل
لكم ما لا يعارض ادناه العير وما فيها وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك
ما فعله الا لهما وهو اظهار الاسلام واثباته وابطال الكفر ومحقه وليس هذا تكريرا لما قبله لان المعنيين

متشابهان فان الاول ثبت ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعدا والثاني تقوية القران والدين
ونصرة هذه الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من المومنين بالكافرين كان سببا لعز الدين وقوته ولهذا قرنه بقوله
ويبطل الباطل الذي هو الشرك وذلك في مقابلة الحق الذي هو الدين والايمان قال صاحب الكشاف
الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم
عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اوليك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف
متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى **قوله تعالى** اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمين به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان
الله عزيز حكيم لما بين في الاية الاولى انه يحق الحق ويبطل الباطل بين انه تعالى نصرهم عند الاستغاثة
اذ تستغيثون هو بدل من اذ يعدكم الله وقيل متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما
علموا انه لابد من القتال طفقوا يدعون الله تعالى يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين
اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى كثرة المشركين وقلة المسلمين فدخل
العريش هو وابو بكر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فلم يزل كذلك حتى سقط رداوه فاخذ ابو بكر رداه فالقاه على منكبه والتزمه من ورايه
وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ولما حكي عنهم الاستغاثة بين انه
تعالى اجابهم وقال اني ممدكم اصله بمدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله ممدكم اي
ناصركم ومرسل اليكم مددا وردا لكم بالف من الملائكة مردفين قرا نافع وابو بكر عن عاصم مردفين
بفتح الدال والباقون بكسرها فمن كسر معناه متتابعين بعضهم في اثر بعض يقال اردفته وردفته بمعنى
اتبعته قال الشاعر اذا الجوزا اردفت الثريا ظننت بال فاطمة الظنونا اردفت اي جات بعدها
لان الجوزا تطلع بعد الثريا ومن فتح فعلى المفعول اي اردف الله المسلمين وجاء بهم فامدهم الله
تعالى بالملائكة فنزل جبريل في خمسماية ملك على الميمنة وفيها ابو بكر ونزل ميكائيل في خمسماية على الميسرة
وفيها علي بن ابي طالب في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم
فقاتلت الملائكة يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ولا يوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود
من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع صوتا ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم
وعن ابن عباس بينا رجل من المسلمين يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربه بالسوط فوقه
فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الرجل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صدقت ذلك من مدد السما وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر
فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتل الملائكة وانما كانوا يكثرون السواد
ويثبتون المومنين والا فملك واحد كاف في اهلاك الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه
اهل مداين قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وما جعله الله قيل الضمير عايد الى
الارداف والتقدير ما جعل الله الارداف الا بشرى وقال الزجاج وما جعل الله المردفين الا
بشرى وهذا اولى بالامداد بالملائكة حصل البشرى وقيل راجع الى قوله اني ممدكم لان المعنى
فاستجاب لكم بامدادكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرايل يعني انكم استغثتم
وتضرعتم لقلتكم وذلتكم وكان الامداد بالملايكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا لكم وربطا على قلوبكم
وما النصر [illegible] ولا تحسبوا النصر من الملايكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملايكة وغيرهم من
الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله فينبغي ان يكون اعتماد المومن على اعانة الله ونصره وهدايته وكفايته

فان

خ ناصلح

فان الله هو العزيز الغالب الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر الحكيم فيما يفعل ولا يفعل الا الحق
قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان
وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله
ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم الله او منصوب
بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر قرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم
بفتح اليا ورفع النعاس على ان الفعل له واحتجوا بقوله في سورة ال عمران امنة نعاسا يغشى طايفة
منكم فجعل الفعل له ونافع يغشيكم بضم اليا وسكون الغين على ان الفعل لله موافقا لقوله وينزل وليطهركم
ويثبت واحتجوا بقوله كانما اغشيت وجوههم والباقون يغشيكم بضم اليا مشددا لقوله فغشاها ما غشى
والنعاس النوم الخفيف وهو منصوب على القراتين ومعنى يغشيكم ويغشيكم واحد وامنة مفعول له
على القراات الثلث فان قيل اذا قرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس فالضمير
لله وامنة مفعول له اما اذا قرئ يغشاكم النعاس فكيف يمكن جعل قوله امنة مفعولا له مع ان المفعول
له وجب ان يكون فعلا لفاعل المعلل اجيب بان قوله وان كان في الظاهر مسندا الى النعاس الا انه في
الحقيقة مسند الى الله تعالى فصح هذا التعليل نظرا الى المعنى قال صاحب الكشاف لما كان معنى يغشاكم النعاس
تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه
صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله وتخصيص هنا النعاس بانه من الله وان كان كل نوم ونعاس لا
يحصل الا من الله فيه فوايد منها ان الخايف اذا خاف من عدوه الخوف الشديد على نفسه واهله لا ياخذه
النوم فحصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على ازالة الخوف وحصول الامن ومنها انهم خافوا
من قلتهم وكثرة الكفار وعدتهم والعطش الشديد فلولا حصول هذا النعاس والاستراحة حتى تمكنوا في اليوم
الثاني من القتال لما تم الظفر ومنها انهم ما ناموا نوما غرقا يتمكن العدو من معافصتهم بل كان ذلك نعاسا
يحصل لهم به زوال الاعيا مع انهم كانوا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله ولقدروا على دفعه ومنها
انه غشيهم هذا النعاس دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس لجمع كثير في الخوف الشديد امر خارج
عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجز ويكون على القراتين الاخيرتين الامنة بمعنى
الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا ويجوز ان ينتصب امنة على ان الامنة
للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو
لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم او على انه يغشاكم في وقت كان من حق النعاس في مثل
ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشاكم على
طريقة التمثيل والتخييل قال صاحب الكشاف لا يبعد فصاحة القران عن احتماله وله فيه نظاير
وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود قال صاحب الانتصاف وفيه
بعد لان هذا الاستعمال البعيد للنوم قد يستحسن في الشعر لبنايه على المبالغة ولا يوجد مثله في الكتاب
العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قيل ان منع استعمال المجاز في كتاب الله يمشي
له هذا المنع والا فهذا امنه غير مستحسن لان هذا الاسلوب في الدرجة العليا من البلاغة وكلام
الله انما كان معجزا من حيث اللفظ والمعنى اذا استعمل فيه امثال ذلك والمعنى ان ما كان بهم من الخوف
كان يمنعهم من النوم فلما امن الله قلوبهم وامنهم رقدوا قال ابن مسعود النعاس في القتال امنة من
الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وانزل عليكم روي ان المسلمين نزلوا على كثيب اعفر

بجوزان م

به رسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر العظمى وغلبوا عليه واصبح
المسلمون بعضهم محدثون وبعضهم مجنبون واصابهم الظما ووسوس لهم الشيطان فقال تزعمون ان فيكم
نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون مجنبين ومحدثين فكيف ترجون
ان تظهروا عليهم فارسل الله تعالى عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب منه المومنون واغتسلوا
وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى تثبت عليها الاقدام
وزالت وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وليربط
على قلوبكم باليقين والصبر والمعنى انه تعالى قوى قلوبهم بسبب نزول المطر وازال الخوف عنهم وكل من صبر
على امر ربط قلبه عليه كانه حبس قلبه عن ان يضطرب قال الواحدي ويشبه ان يكون على ههنا
صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما اوقع فيها من التغير قال الامام يشبه ان لا يكون صلة لان كلمة
على تفيد الاستعلاء فالمعنى ان القلوب امتلات من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها ويثبت
به الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض وقيل بالنصر وقوة القلب اذ يوحي ربك الى الملائكة يجوز
ان يكون بدلا ثانيا من اذ يعدكم الله وان ينتصب بيثبت انى معكم مفعول يوحي والمعنى انى معكم بالنصر
معكم على التثبيت فثبتوا الذين امنوا اى قووا قلوبهم وصححوا عزائمهم ونياتهم في الجهاد وقيل
ان ذلك التثبيت حضورهم معهم في الحرب وقيل معونتهم اياهم في قتال عدوهم وقيل كان الملك يتشبه
بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اني قد دنوت
من المشركين فسمعتهم يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله
ناصركم لانكم تعبدونه وهم لا يعبدونه وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله انى معكم
فثبتوا اذ لا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت اعظم من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية
النصر ويجوز ان يكون غير تفسير فوق الاعناق على الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع
الضرب فيها جزا وتطييرا للروس وقيل اراد الروس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام واضرب هامة
البطل المسيح وقال عسه وهو في جاوا اما سله عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصا
بع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم
بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين
امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المومنون ذلك
اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل والخزي والنكال ومحله الرفع على
الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان
كلا من المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه قال الزجاج شاقوا جانبوا وصاروا في شق غير شق
المومنين والشق الجانب وشاقوا الله مجاز والمعنى شاقوا اولياء الله ودين الله والكاف في ذلك
لخطاب الرسول او لخطاب كل واحد ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب يعني ان
هذا الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء قليل فيما اعد لهم من العقاب في القبر والمقصود منه الزجر
عن الكفر والتهديد عليه **قوله تعالى** ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار الكاف
في ذلكم خطاب للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على انه مبتدا محذوف الخبر اي ذلكم
العقاب او على انه خبر مبتدا محذوف اي العقاب ذلكم ويجوز ان يكون نصبا على عليكم اي ذوقوا

ذلكم فذوقوه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب
العاجل مع عذاب النار الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع المضمر بين الله تعالى ان العقاب
قد يكون معجلا في الدنيا وقد يكون موجلا في الاخرة ونبه بقوله فذوقوه وهو المعجل من القتل
والاسر على ان ذلك يسير بالاضافة الى الموجل لهم في الاخرة فلذلك سماه ذوقا لان الذوق لا يكون
الا بالقليل ليعرف به حال الكثير فجعل ما عجل لهم من الالام في الدنيا كالذوق القليل بالنسبة الى الامر
العظيم المعد لهم في الاخرة والذوق ايضا يدل على الوجدان **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة
فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير الزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف
اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف شبه مشي الصبي
مشي الطائفتين اللتين يذهب كل واحدة منهما الى صاحبه للقتال فيمشي كل منهما مشيا رويدا الى الاخرى
قبل التداني للضرب وزحفا حال من الذين كفروا والمعنى اذا لقيتم الذين كفروا وهم كثير جم زاحفون
وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم ويجوز ان يكون حالا من الفريقين اي
اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حالا من المومنين كانهم اشعروا بما سيكون منهم يوم حنين يوم تولوا مدبرين
وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمه نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه
ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم ثم انه تعالى لما نهى عن هذا التولي بين ان هذه التولية محرم
عظم عند الله الا في حالتين احدهما ان يكون متحرفا للقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه
وهو باب من خدع الحرب ومكايدها يقال تحرف وانحرف اذا زال عن جهة الاستواء والثانية ان يكون متحيزا
منحازا الى فئة جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها والتحيز التنحي وفيه لغتان التحيز والتحوز
من الحوز الذي هو الجمع يقال حزته فانحاز وحوز وتحيز اذا انضم واجتمع ثم سمي التنحي تحيزا لان المتنحي عن جانب
ينفصل عنه ويجتمع الى غيره واعلم ان هذا المتحيز اذا كان كالمنفرد وفي الكفار كثرة وغلب على ظنه انه ان ثبت
قتل من غير فائدة وان تحيز الى جمع كان راجيا للخلاص وطامعا في العدو بالكثرة فربما وجب عليه التحيز الى هذه
الفئة فضلا عن ان يكون جائزا ومن يول دبره في غير هاتين الحالتين فقد باء بغضب من الله وماواه
جهنم وبئس المصير ومتحرفا نصب على الحال اي فلا تولوهم الادبار في حال من الاحوال الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة والا لغو من حيث اللفظ لان العامل يعمل في الحال استقلالا الا لكنها معطية
في المعنى فائدتها او نصب على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا اقول
حكم قوله تعالى ومن يولهم خاص باهل بدر وقيل عام في جميع المومنين في جميع الحروب بدليل قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فانه عام يتناول جميع الصور ونزوله في واقعة
بدر لا يخصصه لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية
وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون
فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه
فقال يا امير المومنين فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف
من اكبر الكبائر **قوله تعالى** فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي
المومنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وكان
القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها
وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب

فادمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضه من حصبا الوادي فرمى بها في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم وياسرونهم
فقيل فلم تقتلوهم والفا جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
لانه هو الذي انزل الملايكه والقى الرعب في قلوبهم وشا النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع
والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المومنين منه بلاحسنا يعني ان الرميه التي رميتها
لم ترمها انت على الحقيقه لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث
اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرميه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله
عز وعلا فكان الله هو فاعل الرميه على الحقيقه وكانها لم توجد من الرسول قيل ان الله تعالى اضاف
القتل والرمي الى نفسه لانه كان منه التسبيب والتسديد ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنين الحذف والضرب والارسال وكذلك ساير افعال الخلق المكتسبه من الله تعالى الانشا والايجاد
بالقدرة القديمه ومن الخلق الاكتساب بالقوى المحدثه وفي هذا دليل على ثبوت مذهب اهل الحق وبطلان
قول القدريه وقيل انما اضافهما سبحانه الى نفسه ليلا يعجب القوم وليبلي المومنين اي وليسدي على المومنين
نعمه عظيمه بالنصر والغنيمه والاجر والمثوبه وقيل وليعطيهم بلاحسنا عطا جميلا والمعنى وللاحسان
الى المومنين فعل ما فعل وما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعايهم عليم باحوالهم **قوله تعالى** ذلكم وان
الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني
عنكم فيتكم شيا ولو كثرت وان الله مع المومنين قرا نافع وابن كثير وابو عمرو موهن بتشديد الها من
التوهين كيد بالنصب وحفص عن عاصم موهن كيد بالاضافه والباقون موهن بالتخفيف كيد بالنصب
ذلكم اشاره الى البلا الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم اي الغرض
ابلا المومنين وتوهين كيد الكافرين وتوهين كيدهم كون ناشيا باطلاع المومنين على عوراتهم والقا الرعب
في قلوبهم وتفريق كلمتهم ونقض ما ابرموا بسبب اختلاف عزايمهم عن ابن عباس ينهى رسول الله ويقول اني
قد اوهنت كيد عدو الله حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم ان تستفتحوا الخطاب لاهل مكه على سبيل التهكم
وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبه وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم
وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كان على حق فانصرنا وقيل انهم قالوا انصرنا على الجندين واحدي
الفيتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله هذه الايه وقيل قال المشركون اللهم انا لا نعرف ما جا
به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايناكان اهجر واقطع للرحم فاحنه
الغداه اي فاهلكه فاستجاب الله دعاه وجا بالفتح فضربه ابنا عفرا عوف ومعوذ واجار عليه عبد الله بن مسعود
وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين اي تستنصروا الله وتسالوه الفتح فقد جاكم الفتح
وان تنتهوا ايها المشركون عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا والمحاربه نعد لمثل الوقعه
التي وقعت بكم يوم بدر وقيل ان تعودوا للاستفتاح نعد لفتح مله ولن تغني عنكم فيتكم شيا ولو كثرت
وان الله مع المومنين وقيل وان تنتهوا ايضا خطاب للمومنين اي وان تنتهوا عن المنازعه في امر الانفال
وتنتهوا عن طلب الفدا على الاسير فقد كان وقع منهم نزاع في يوم بدر في هذه الاشيا حتى عاتبهم الله بقوله
لولا كتاب من الله سبق فقال الله ان تنتهوا عن مثله فهو خير لكم وان تعودوا انتم الى تلك المنازعات نعد الى
ترك نصرتكم لان الوعد بنصرتكم مشروط بشرط استمراركم على الطاعه وترك المخالفه ثم لا ينفعكم الفيه
والكثره فان الله لا يكون الا مع المومنين الذين لا يرتكبون الذنوب وان الله مع المومنين قرا نافع
وابن عامر وحفص عن عاصم ان الله بفتح الالف في ان والباقون بكسرها اما الفتح فقيل على تقدير ولان

الله

الله مع المومنين وقيل هو معطوف على قوله ان الله موهن كيد الكافرين واما الكسر فعلى الابتدا **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا
وهم معرضون لما خاطب الله المومنين بقوله ان تنتهوا فهو خير لكم اتبعه بتاديبهم فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولم يبين انهم ماذا يسمعون الا ان الكلام من اول السوره الى هذا الموضع
لما كان واقعا في الجهاد علم ان المراد وانتم تسمعون دعاه الى الجهاد والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لان المعنى واطيعوا رسول الله لقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شي
واحد ومن يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال
لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعه ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وقيل وانتم تسمعون
معناه ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مومنون
لستم كالصم المكذبين من الكفره وقيل وانتم تسمعون امره ونهيه والقران ومواعظه ولا تكونوا اي ولا
تكونوا كالمنافقين الذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير
سامعين على الحقيقه والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوه فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض
الامور من قسمة الغنايم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر
الدواب اي شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهايم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهايم
ثم جعلهم شرها ثم قال ولو علم الله فيهم خيرا اي صدقا واسلاما لاسمعهم لرزقهم الفهم والعلم بالقران ولو اسمعهم
لتولوا عن القران وهم معرضون عن الايمان لعلم الله فيهم وحكمه عليهم بالكفر قال صاحب الكشاف ولو علم الله في
هولا الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا اسماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا
يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا
ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرمله كانوا يقولون
نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللوا وعن ابن جريج هم المنافقون
وعن الحسن اهل الكتاب قال صاحب الانتصاف اطلاق ان اللطف يجعل من الله للعبد ولا ينفعه قبيح مردود فاللطف
عندنا ان يخلق في قلبه قبول الحق والاصغا له وهذه عقيدة اهل الحق فلو بحث معه على مذهبه لم يستقم
قوله لو علم الله فيهم خيرا للطفه بهم ولو لطف بهم لتولوا فيلزم توليهم على تقدير علم الله الخير فيجب ان يحمل الاسماع
الواقع جوابا للو غير الاسماع الواقع شرطا للثاني اي ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اسماعا يحصل لهم به الهدى والتبرك
ولو اسمعهم لا على ان يخلق لهم الهدى اسماعا مجردا لتولوا وهم معرضون قال الامام المعنى ان كل ما كان حاصلا
فانه يجب ان يعلمه فعدم علمه تعالى بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه
بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم
ولو اسمعهم بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بها وتولوا وهم معرضون قيل ان الكفار سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي ابن كلاب وغيره من اموانهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى
انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقوله هولا الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم
انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وانهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن
قبول الحق وانهم لا يعملون به البته ولا ينتفعون به البته فنقول وجب ان يكون صدور الايمان
منهم محالا لانه لو صدر الايمان لكان اما ان يوجد ذلك الايمان يكون صدقا محال لانه جمع بين
النقيضين والثاني محال لان انقلاب خبر الله الصدق كذبا محال لا سيما في الزمان المقتضي وهكذا القول

مع تنا هذا الخبر صدقا ومع انقلاب
كذبا والاول محال لانه يوجود الايمان
الى الاخبار عن عدم الايمان

في استلزام علم الحجلا وتقرير سبق مرارا ثم قال النحويون يقولون كلمة لو وضعت للدلالة على انتفا الشي
لانتفاء غيره واذا قلت لو جئتني لاكرمتك افاد انه ما حصل المجي وما حصل الاكرام ومن الفقها
من قال انه لا تفيد الا الاستلزام فاما الانتفا لاجل انتفا الغير فلا يفيد هذا اللفظ والدليل
عليه الاية والخبر اما الاية فهي هذه الاية وتقريره ان كلمة لو افادت ما ذكروه لكان قوله ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم يقتضي انه تعالى ما علم فيهم خيرا وما اسمعهم ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون فيكون معناه ما اسمعهم وانهم ما تولوا لكن عدم التولي خير من الخيرات فاول الكلام
يقتضي نفي الخير واخره يقتضي حصول الخير وذلك متناقض فثبت ان القول بان كلمة لو تفيد انتفا
الشي لانتفاء غيره يوجب التناقض فوجب ان لا يصار اليه واما الخبر فقوله عليه السلام نعم الرجل
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فلو كان لفظة لو تفيد ما ذكروه لصار المعنى انه خاف الله وعصاه
وذلك متناقض فثبت ان كلمة لو لا تفيد انتفاء غيره وانما تفيد مجرد الاستلزام ثم قال الامام
واعلم ان هذا الدليل حسن الا انه على خلاف قول جمهور الادبا ثم قال اعلم ان معلومات الله
تعالى على اربعة اقسام احدها جملة الموجودات وثانيها جملة المعدومات وثالثها ان كل
واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله ورابعها ان كل واحد من المعدومات
لو كان موجودا كيف يكون حاله والقسمان الاولان علم بالواقع والقسمان الاخيران علم بالمقدر
الذي هو غير واقع فقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم من القسم الرابع وهو العلم بالمقدر الذي
هو غير واقع وليس من اقسام العلم بالواقعات ونظيره قوله تعالى حكاية عن المنافقين لئن
اخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون فعلم تعالى في المعدوم انه لو كان موجودا
كيف يكون حاله وايضا قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فاخبر عن المعدوم انه لو كان موجودا
كيف يكون حاله قيل لو في الجملتين اما لامتناع الشي لامتناع غيره او لمجرد الاستلزام او في الاولى
للامتناع وفي الثانية للاستلزام او بالعكس والاول والثالث تقتضي امتناع التولي لامتناع
الاسماع والثاني والثالث تقتضي استلزام علم الله فيهم الخير للتولي لان المستلزم للمستلزم مستلزم والرابع
استلزام الاسماع للتولي وهو محال اجيب بان الرابع غير مستلزم للمحال وذلك لان المقصود
ما لعدم التولي وذلك ان المشروط الذي هو التولي اذا كان لازما للاسماع الذي يتوهم بعدم
عنه فهو في لزومه لعدم الاسماع اولى فان التولي اذا كان لازما للشي ولنقيضه كان ثابتا على كل
حال ومثل هذا الكلام انما ياتي عند قيام القراين الدالة على ثبوت الثاني وذلك قد يكون
من خارج وقد يكون معلوما من نفس سياق الكلام الذي تضمنته لو والاية من قبيل الثاني
فان سياق الكلام يعلم منه التولي الذي وقع جوابا للو **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون هذا
الخطاب للمومنين المصدقين واستجيبوا بمعنى اجيبوا واستجاب يتعدى بلام وبدون لام ووحد
الضمير في دعاكم لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما لم يذكر احدهما مع
الاخر للتوكيد والمراد بالدعوة البعث والتحريض وبالاستجابة الطاعة والامتثال روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابي بن كعب وهو في الصلوة فصاح به فقال تعال يا ابي
فعجل ابي في صلوته ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك
قال كنت اصلي قال اليس الله يقول يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم

قال

قال لاجرم لا تدعوني الا اجبتك وان كنت مصليا قيل ان هذا مما اختص به الرسول وقيل ان دعا
كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم قيل هو الايمان يحييهم
بعد موتهم اي كفرهم وقيل الحق وقيل هو القران فيه الحيوة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والاخرة
وقيل الحرب في الجهاد التي اعزكم الله بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم
بعد القهر منهم وقيل لما يبقيكم اي الشهادة قال الله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل
لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت واعلموا ان الله يحول بين
الكافر ان يومن وبين المومن ان يكفر وقيل يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المومن ومعصيته وقيل
يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل وقيل يحول بين قلب الكافر وان يعمل خيرا وقيل يحول بين
الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يومن ولا ان يكفر الا باذنه وقيل معناه انه قريب من قلبه لا يخفى عليه شي
اظهره او اسره وهو كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال في تلك الحال
الضعيفة ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه اي وبين ما في قلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة وقيل يحول بينه وبين مراده لان الاجل حال
دون الامل والتقدير منع من التدبير قيل يحتمل ان يريد تخويفهم ان لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله
وللرسول مما حل بالكفار الذين هم اراد بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لان حكمه عليهم بانهم لو
سمعوا وفهموا لم ينتفعوا يقتضي انه كان بينهم وبين قلوبهم فكانه قال للمومنين في هذه الاية استجيبوا لله
وللرسول ولا تامنوا ان لم تفعلوا ان ينزل بكم ما نزل بالكفار من الحول بينكم وبين قلوبكم فنبه على ما
جرا على الكفار بابلغ عبارة واعلقها بالنفس ويحتمل ان يكون المراد ترجية لهم بان الله يبدل الخوف
الذي في قلوبهم من كثرة العدو فيجعله جراة وقوة وبضد ذلك للكفار اي فان الله مقلب القلوب وقيل
لما امرهم بالاستجابة للطاعة حضهم على المبادرة والاستعجال فقال واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه بالموت والقبض اي فبادروا الطاعات ويلتيم مع هذا التاويل قوله واعلموا انكم اليه تحشرون
اي فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر فانه تعالى يجزيكم باعمالكم ولا تتركون مهملين وفيه ترغيب
شديد للعمل وتحذير عن الكسل والغفلة **قوله تعالى** واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب ان الله تعالى كما حذر الانسان ان يحال بينه وبين قلبه
فكذلك حذره من الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى
اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح قوله لا تصيبن هو جواب للامر والمعنى ان اصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا
فعمهم الله بالعذاب فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر اجيب بان فيه معنى
النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا يصيبن ولا يحطمنكم ومن للتبعيض
وقيل هي نهي بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب
او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة ومن للتبيين لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم
منكم اقبح من سائر الناس وقيل هي صفة لفتنة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها
لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاوا بمذق هل رايت الذيب قط اي بمذق مقول
فيه هذا القول لان فيه لون الزرقة التي هي لون الذيب وعن ابن عباس نزلت هذه الاية
في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة امر الله تعالى المومنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله
بالعذاب وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت

فينا وقرانا زمانا وما ادري انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وقيل نزلت في اهل بدر خاصة فاصابتهم
يوم الجمل فاقتتلوا وروي ان الزبير كان يساير رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد
حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله عن عبد الله بن مسعود ما منكم من احد الا وهو مشتمل على فتنة ان الله
يقول انما اموالكم واولادكم فتنة فايكم استعاذ بها فليستعذ بالله من مضلات الفتن واعلموا ان الله شديد
العقاب المقصود منه لزوم الاستقامة خوفا من عقاب الله **قوله تعالى** واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون لما امر الله تعالى بطاعته
وطاعة رسوله ثم امرهم باتقاء المعصية اكد ذلك التكليف بهذه الاية لانه تعالى بين انهم كانوا قبل ظهور الرسول
عليه السلام في غاية القلة والذلة وبعد ظهوره صاروا في غاية العز والرفعة وذلك يقتضي الشكر بفعل الطاعة
وترك المعصية اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم قليلا في العدد مستضعفين في
ارض مكة قبل الهجرة في عنفوان الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس اي كفار مكة وقيل فارس والروم لان
الناس كانوا جميعا لهم اعداء مضادين منافين فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر
ورزقكم من الطيبات من الغنائم التي احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم لعلكم تشكرون اي نقلناكم من الضر الى السرا ومن الباسا
الى الرجا ومن البلا الى الالا حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فلا يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة بسبب الانفال وعن
قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واجوعهم بطونا واعراهم جلودا وابينهم ضلالا من عاش منهم
عاش شقيا ومن مات منهم تردى في النار معكوفين على راس الحجر بين الاسدين فارس والروم يوكلون ولا ياكلون
وما في بلادهم شي عليه يحسدون حتى جا الله بالاسلام فمكن لهم من البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم
ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام اعطى الله ما راهم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر والشاكرين في مزيد
من الله **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما
اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم لما ذكر الله انه رزقهم من الطيبات في الاية المتقدمة
منعهم من الخيانة في هذه الاية عن جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبي عليهما الصلوة
والسلام فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي عليه الصلوة والسلام لاصحابه ان ابا سفيان بمكان
كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل
الله هذه الاية وعن السدي كانوا يسمعون الشي من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال
الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله وولده كانت
عندهم فبعثه رسول الله اليهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح فلا
تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فيه هذه الاية فلما نزلت
شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث
سبعة ايام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فحل
نفسك فقال لا والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ابو لبابة ان من تمام
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث
ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في مقتل عثمان بن عفان الخون النقص كما ان معنى الوفا التمام ومنه تخونه

اذا

اذا انتقصته ثم استعمل في ضد الامانة والوفا لانك اذا خنت الرجل في شي فقد دخل عليه النقصان فيه
وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومعنى
الاية لا تخونوا الله من الحق ما رضي به منكم ثم تخالفوه في السر وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده
وعن ابن عباس لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا اماناتكم يحتمل ان يكون جزما
داخلا في حكم النهي اي لا تخونوا اماناتكم ويحتمل ان يكون نصبا جواب النهي بالواو كما تنصبه بالفا قال
صاحب الكشاف يحتمل ان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وعن ابن عباس الامانة هي ما يخفى
عن اعين الناس من فرائض الله والاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يقول لا تنقصوها وقيل معنى الامانات
ههنا الدين وهولا المنافقون ائتمنهم الله على دينه فخانوا اذ اظهروا الايمان واسروا الكفر وعن
قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه
امانة فليودها الى من ائتمنه عليها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون
يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن
قوله تعالى واعلموا انما اموالكم لما كان الداعي الى الاقدام على الخيانة هو حب الاموال والاولاد نبه
تعالى يجب على العاقل الحذر عن المضار المتولدة من ذلك الحب فجعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب
الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده ثم
قال وان الله عنده اجر عظيم تنبيها على ان السعادة الاخروية خير من السعادة الدنيوية لانها
اعظم في الشرف والقوة والمدة لانها تبقى بقا لا نهاية لها فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يودي اليه
هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما
لقوله المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير وقيل هذه الاية
من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سياتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم لما حذر الله عن الفتنة
الاموال والاولاد رغب في التقوى الذي يوجب نهي النفس عن الهوى ان تتقوا الله وطاعته
وترك معصيته واجتناب خيانته يجعل لكم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل يظهر الله
به حقكم ويطفي به باطل من خالفكم وقيل فرقانا يفرق به في قلوبكم بين الحق والباطل حتى تعرفوه
وتهتدوا به وقيل بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من
قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر وقيل مخرجا في الدين من الشبهات وتوفيقا
وشرحا للصدر او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة
ونجاة ويكفر عنكم سياتكم ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم ويغفر لكم ذنوبكم والمراد من تكفير السيات
سترها في الدنيا ومن المغفرة ازالتها في القيامة لئلا يلزم التكرار والله ذو الفضل العظيم
لان الله تعالى يعطي ويتفضل ولا يطلب منه شيا من الاعواض لانه كامل بذاته فامتنع ان يستفيده
من غيره **قوله تعالى** واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين لما ذكر المومنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم ذكر رسوله نعمه عليه
وهو دفع كيد المشركين ومكر الماكرين عنه وهذه السورة مدنية وهذا القول والمكر انما كانا
بمكة ولكن الله تعالى ذكرهم ذلك بالمدينة كقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين ليشكروا انعم الله في نجاة الرسول من مكرهم واستيلائه عليهم وما اباح له الله من حسن العاقبة
والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من المفسرين ان قريشا

الاسلمت الانصار وبا يعوه فرقوا ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع نفر من مشايخهم
وكبارهم في دار الندوة وتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤوسهم عتبه وشيبه
ابني ربيعه وابا جهل وابا سفيان وطعمة بن عدي والنضر بن الحارث وابا البحتري بن هشام وزمعه
ابن الاسود وحكيم بن حزام ونبيها ومنبها ابني الحجاج واميه بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ
فلما راوه قالوا من انت قال شيخ من نجد ما انا من تهامه دخلت مكه فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن
تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البحتري اما انا فاري ان تاخذوا محمدا او تحبسوه في بيت وتشدوا
وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما
هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغه وانما هو كاحدهم فصرخ عدو الله الشيخ النجدي لعنه الله وقال بئس
الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم قالوا صدق الشيخ فقال هشام بن عمرو من بني عامر
ابن لوي رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم
وكان امره في غيركم فقال ابليس لعنه الله بئس الراي رايتم تعمدون الى رجل قد افسد سفهاءكم فيفسد بهم
كما افسدكم الا ترى احلاوة قوله وطلاقة لسانه واخذ القلوب بما يسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم
استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتينكم فيخرجكم من بلادكم ويقتل اشرافكم قالوا صدق والله الشيخ قال
ابو جهل لاشيرن عليكم براي ما غيره اني ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش غلاما وتعطوا كل
رجل منهم سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل كلها فلا اظن هذا الحي
من بني هاشم يقوى على حرب قريش كلهم وانهم اذا ارادوا ذلك وطلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال
ابليس صدق وهذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على قول ابي جهل على قتله فاخبر جبريل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر النبي صلى الله
عليه وسلم علي بن ابي طالب فنام في مضجعه وقال اتشح ببردي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه
ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب فاخذ الله ابصارهم عنه وجعل ينثر التراب
على رؤوسهم وجعل يقرا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور فدخله
هو وابو بكر وخلف عليا بمكه حتى يؤدي عنه الودائع التي قبله وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وامانته وبات
المشركون مترصدين يحرسون عليا وهو على فراش النبي صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما
اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم ورد مكرهم وما ترك منهم رجلا الا وضع على
راسه التراب فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري فاقتصوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل مروا
بالغار فراوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا
ثم قدم المدينه فذلك قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك وقيل
ليشدوك وثاقا وقيل ليسجنوك وقيل ليثخنوك بالضرب والجراحات من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا
حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد
لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او خير الماكرين او لان
مكر الماكرين ما يكون خيرا حسنا او خير الماكرين ليس هو التفضيل بل المراد انه في نفسه خير
وقيل خير الماكرين حيث استنقذك منهم واهلكهم قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن

المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون لما حكى الله مكرهم في ذات
محمد حكى الله مكرهم في دين محمد قال صاحب الكشاف لو نشاء لقلنا مثل هذا صلف منهم فانهم لم يتوانوا في
مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعه والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يغلبوا في باب البيان خاصه
وان لم يساهموا واحد فيتعللوا بامتناع المشيئه ومع ما علم من ظهور السمس من حرصهم على ان يقهروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكوا على ان يعمروه وقيل قائله النضر بن الحارث فانه كان يختلف
الى فارس والحيره تاجرا فيسمع سجع اهلها وذكرهم اخبار العجم وغيرهم من الامم ويمر باليهود والنصارى
فيراهم يقرؤن التوريه والانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكه فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم يقرا القران
ويصلي فقال النضر حين سمع اقتصاص القرون السابقه لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين
اخبار الامم الماضيه واسماؤهم وقال السدي اساجيع اهل الحيره والاساطير جمع الجمع واصلها
من قولك سطرت اي كتبت فواحدها سطر ثم جمع اسطار او سطور ثم جمع اساطر واساطير
وقيل الاساطير واحدها اسطور واسطاره والجمع القليل اسطر واذ قالوا اللهم نزلت ايضا
في النضر بن الحارث قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضيه
قال النضر لو شئت لقلت مثل هذا ما هذا الا اساطير الاولين في كتبهم فقال له عثمان ابن مظعون
اتق الله فان محمدا يقول الحق قال فانا اقول الحق قال عثمان فان محمدا يقول لا اله الا الله قال فانا اقول
لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك قال صاحب
الكشاف وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل
كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب
منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك
ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين
هذا هو الحق قال صاحب الكشاف فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها
قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومه للعذاب فوضع حجارة من
السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة حديد تريد درعا او ائتنا بعذاب اليم اي
بنوع اخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب فعذبنا به او بنوع اخر
من انواعه وفي النضر نزل سال سائل بعذاب واقع قال عطا نزل في النضر بن الحارث
بضع عشرة ايه من كتاب الله فحاق به ما سال من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثه من قريش صبرا مطعم بن عدي وعقبه بن ابي
معيط والنضر بن الحارث وكان النضر اسير المقداد فلما امر بقتله قال المقداد اسيري يا رسول الله
قال انه كان يقول في كتاب الله ما يقول فقال المقداد اسيري يا رسول الله فقالها ثلاث مرات
فقال رسول الله اللهم اغن المقداد من فضلك فقال هذا الذي اردت وعن معاويه انه
قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين امروا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم قيل هذا كلام مستانف
حكايه عنه تعالى فقيل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم بين اظهرهم قيل نزلت هذه الايه
على النبي صلى الله عليه وسلم بمكه ثم خرج من بين اظهرهم وبقيت بها بقيه من المسلمين يستغفرون
فانزل الله تعالى عليه بعد خروجه حين يستغفر اولئك بها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرو

ثم خرج اولئك البقيه من المسلمين من بينهم فعذبوا واذن الله في فتح مكه فهو العذاب الذي وعدهم
به قال ابن عباس لم تعذب قريه حتى يخرج النبي صلى الله عليه وسلم منها والذين امنوا ويلحق بحيث
امر فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين
فلما خرجوا قال الله وما لهم الا يعذبهم الله فعذبهم يوم بدر وقيل هذا الاستغفار راجع
الى المشركين ومعنى الايه وما كان الله ليعذب من هولاء المشركين ما دمت فيهم وما داموا مستغفرين
وذلك انهم يطوفون بالبيت عراه ويقولون لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما
ملك ويقولون غفرانك غفرانك وقيل قال قريش بعضها لبعض محمد اكرمه الله من بيننا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما الايه فلما امسوا ندموا على ما قالوا غفرانك
اللهم فانزل الله هذه الايه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وعن ابي موسى الاشعري انه
كان فيهم امانان قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ان لو
استغفروا يقول ان القوم لو استغفروا لما عذبوا ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو استغفروا واقروا
بالذنوب لكانوا مومنين وقيل وهم يستغفرون اي يسلمون يقول لو اسلموا لما عذبوا وعن ابن عباس وهم
يستغفرون اي وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وروي عنه وهم يستغفرون اي يصلون
وعن الحسن هذه الايه منسوخه بالايه التي تليها وما لهم الا يعذبهم الله الى قوله فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون فقاتلوا بمكه فاصابهم فيها الجوع والحصر وقيل وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر
وقيل قوله وما كان الله ليعذبهم حكايه عن المشركين انهم قالوها وهي متصله بالايه الاولى وذلك ان المشركين
كانوا يقولون والله ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امه ونبيها معها وذلك من قولهم ورسول
الله بين اظهرهم قال الله تعالى لنبيه يذكر لهم جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم اللهم ان كان
هذا هو الحق الايه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال ردا
عليهم وما لهم الا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد
الحرام قال صاحب الكشاف اللام لتاكيد النفي والدلاله على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم
لان عاده الله وقضيه حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه
اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاستغفار قوله وما لهم الا يعذبهم
وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يومن ويستغفر من الكفر
لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يومنون ولا يستغفرون
ولا يتوقع ذلك منهم وما لهم واي شي منعهم من عذاب الله يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محاله
وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبيه واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين من الصد وكانوا يقولون نحن
ولاه البيت والحرم فنصد من نشا وندخل من نشا وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون
المتحرزون عن الشرك والمعاصي قال صاحب الكشاف وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم
للدين ان يكونوا ولاه امره وارباب ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح
لان يلي امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفره عبده الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون
كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسه واراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقله العدم
قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديه فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
لما قال الله في حق الكفار انهم ما كانوا اولياء البيت الحرام وقال ان اولياؤه الا المتقون بين بعده

ما به خرجوا من ان يكونوا اولياء البيت وهو ان صلوتهم عند البيت وتقربهم وعبادتهم مكاء
وتصديه والمكا الصفير فعال بوزن الثغا والرغا من مكا يمكو مكوا ومكا اذا صفر والتصديه التصفيق
تفعله من تصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون والتصديه صدهم عن بيت الله وعن دين
الله وعن الصلوه وهو على هذا التاويل التصدد فقلبت احدى الدالين يا قال ابن عباس كانت
قريش يطوفون حول البيت وهم عراه يصفرون فيها ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار
يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزون به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفرون
يخلطون عليه طوافه وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى في المسجد قام رجلان من المشركين
عن يمينه يصفران ويصفقان ورجلان كذلك عن يساره ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم
من بني عبد الدار فقتلهم الله ببدر فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم
التي لا يقدم عليها الا الكفره **قوله تعالى** ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
فسينفقونها ثم تكون عليهم حسره ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث
من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون لما شرح
الله احوال هولاء الكفار في الطاعات البدنيه اتبعها بشرح احوالهم في الطاعات الماليه
قال سعيد ابن جبير ومجاهد نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش
يقاتل بهم النبي صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وانفق على المشركين اربعين اوقيه
والاوقيه اثنان واربعون مثقالا وقيل لما اصيب قريش من اصحاب القليب يوم بدر فرجع
فلهم الى مكه ورجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعه وعكرمه بن ابي جهل وصفوان بن
اميه في رجال من قريش اصيب اباوهم وابناوهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان ومن كانت
له في تلك العير من قريش تجاره فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا
المال الذي افلت على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففعلوا ذلك فانزل الله فيهم
هذه الايه وقيل هم اهل بدر وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنا عشر رجلا ابو جهل وعتبه
وشيبه ابنا ربيعه بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري والنضر بن الحارث وحكيم
بن حزام وابي بن خلف وزمعه بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب
وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزاير ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم
في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك فسينفقونها اي سيقع هذا
الانفاق ثم تكون عليهم حسره اي يكون عاقبه الانفاق ندما وحسره فكان ذهاب اموالهم يصير ندما
وحسره ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم وبين المومنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقا
كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا منهم الى جهنم يحشرون خص الكفار لان منهم من اسلم
وحسن اسلامه ليميز الله بذلك الحشر الخبيث من الطيب اي الكافر من المومن فينزل المومن الجنان
والكافر النيران فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يجمعه حتى يصير كالسحاب
المركوم وهو المجتمع الكثير فيجعله في جهنم فوحد الخبر عنهم لتوحد قوله ليميز الله الخبيث فيركمه
جميعا عباره عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا اي لفرط ازدحامهم
واللام في قوله ليميز متعلقه بقوله يحشرون وقيل العمل الخبيث من العمل الطيب
الصالح فيثيب على الاعمال الصالحه الجنه ويثيب على الاعمال الخبيثه النار وقيل الانفاق

الطيب في سبيل الله من الانفاق والخبيث في سبيل الشيطان فيجعل نفقاتهم في قعر جهنم ثم يقال لهم الحقوا بها وتعلق هذا اللام في قوله ليميز الله متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقيل يميز المومن في علمه السابق الذي خلقه حين خلقه طيبا من الخبيث الكافر في علمه السابق الذي خلقه خبيثا وذلك انهم كانوا على ملة الكفر فبعث الله الرسول بالكتاب فميز الخبيث من الطيب فمن اتبعه استبان انه طيب ومن لم يتبعه استبان انه خبيث اولئك اشارة الى الفريق الخبيث فجمع رده الى اول الخبر يعني قوله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم اولئك هم الخاسرون الذين غبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم لانهم اشتروا باموالهم عذاب الله في الاخرة

قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين لما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ارشدهم الى طريق الصواب وقال قل للذين كفروا اي لاجل الذين كفروا من ابي سفيان واصحابه هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من الكفر والشرك وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله والدخول في الاسلام يغفر لهم ما مضى من ذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم فقد مضت سنة الاولين في نصر الانبياء والاولياء واهلاك الكفار والاعداء وهي قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقيل الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما ينسل الشعر من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضا حقوق الله ويبقى عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضا العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسروا ان يعودوا بالارتداد

قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير لما ذكر الله ان هولا الكفار ان انتهوا عن كفرهم يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين اتبعه بان امرهم بقتالهم اذا اصروا فقال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك يعني الى ان لا يوجد فيهم شرك قط وقيل فلا وقيل حتى لا يفتتن مومن عن دينه ويكون الدين كله لله ليس فيه شرك ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر والقتال واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم وان تولوا اي وان اعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا عن الكفر والقتال فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته فان الله نعم المولى ونعم النصير

قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شي قدير لما امر الله بالمقاتلة وكان من المعلوم ان عند المقاتلة قد يحصل الغنيمة الغنم لغة الفوز بالشي يقال غنم يغنم غنما فهو غانم والغنيمة في الشريعة ما دخل في ايدي المسلمين من اموال المشركين على سبيل القهر بالخيل والركاب وما في انما موصولة العايد اليه محذوف من شي بيانه تقديره جميع ما غنمتموه حتى الخيط والمخيط فان لله خبر مبتدا اي فالحكم ان لله خمسه او مبتدا محذوف الخبر اي فان لله خمسه واجب ويحتمل ان يكون بدلا من الاول والفا زايدة قيل فان لله خمسه مفتاح الكلام ذكر اسم الله تبركا لان لله الدنيا والاخرة وانما معنى الكلام فان للرسول خمسه والا لاقتضى ان يوخذ خمسها قيل ان ذلك الخمس

يخمس

التوحيد خالصا

يخمس فيهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير ابن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هولا اخوانك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شي واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى يديه بالاخرى وثلثة اخماس هذا الخمس لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد الرسول فعند الشافعي انما يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرف اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح وسهم لذوي القربى من اغنيايهم وفقرايهم يقسم بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وهي اليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو حنيفة ان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سهمه ساقط بسبب موته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة ساير الفقرا ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وقال مالك الامر مفوض الى اجتهاد الامام فله ذلك وقيل ان خمس الغنيمة يقسم على ستة اقسام فواحد منها لله وواحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث لذوي القربى والثلثة الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل والدليل عليه انه تعالى جعل خمس الغنيمة لله ثم للطوايف الخمس فقيل سهم الله يصرف الى الرسول وقيل يصرف الى عمارة الكعبة وقيل انه عليه السلام كان يضرب يده في هذا الخمس فما قبض عليه من شي جعله للكعبة وهو الذي سمي لله وعن ابن عباس سهم الله وسهم رسوله جميعا لذوي القربى وليس لله وللرسول منه شي وكانت الغنيمة تقسم على خمسة اخماس فاربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على اربعة فربع لله وللرسول ولذي القربى فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ياخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيا والربع الثاني لليتامى والربع الثالث للمساكين والرابع لابن السبيل وعن ابن عباس انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلثة اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة قوله ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف يدل عليه قوله واعلموا يعني ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوي فيه المومن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا من الايات والملايكة والفتح يوم الفرقان يوم فرق فيه بين الحق والباطل ببدر يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان والله على كل شي قدير فيقدر على ان ينصر القليل الذليل على الكثير الجليل كما فعل بكم ذلك اليوم وفي ابدال يوم التقى الجمعان من يوم الفرقان معنى التتميم وان المراد بالايات القدرة وفيه تصوير تلك الحالة الدالة على ضعف احد الفريقين وقوة

الاخر وغلبة الضعيف على القوي بما انزل الله من اسباب الفتح والنصر ولو قيل يوم بدر لم يفد هذا المعنى
والذي يدل على التصوير ابدال قوله اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل
منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة وان الله سميع عليم اذ انتم بدل من يوم الفرقان وقيل مفعول اذكر وهو مقدر
والعدوة بالكسر والضم والفتح شط الوادي قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بكسر العين في الحرفين
والباقون بالضم فيهما والدنيا تانيث الادنى والقصوى تانيث الاقصى كلتاهما فعلى من بنات الواو
والقياس قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جا القصيا على
القياس الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجي استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة
الدنيا هو الشفير الوادي الادنى الى المدينة وهم اي المشركون بشفير الوادي الاقصى من المدينة والركب
يعني الركب الاربعين اباسفيان والعير اسفل منكم بساحل البحر واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل
من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا وفايدة هذا التوقيت وذكر مراكز الجهتين وان العير اسفل
منكم الاخبار عن الحالة الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة
له وضعف شان المسلمين والتباث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله تعالى ودليلا
على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها
المشركون كان فيها الما وكانت ارضا لا باس بها ولا ما بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل
ولا يمشى بها الا بتعب ومشقة وكانت العير ورا ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها
تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم
ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراهم ما يحدثون
انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا
مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر
ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلا كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة
غير مبينة حتى خرجوا لياخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هولا بالعدوة
الدنيا وهولا بالعدوة القصوى ووراهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما
كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم
بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفا بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمومنين
فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي الله امرا كان مفعولا متعلق بمحذوف اي
ليقضي الله امرا اراد ان يفعل وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه دبر ذلك فانه تعالى عكس القضية وجعل
الغلبة للمسلمين والدمار على الكفرة فصار ذلك من اعظم المعجزات واقوى البينات على صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن ربه من وعد النصر والفتح والظفر وقوله ليهلك من هلك عن بينة
اشار الى هذا المعنى وهو ان الذين هلكوا انما هلكوا بعد مشاهدة هذه المعجزة والمومنون
الذين بقوا في الحيوة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة والمراد من البينة هذه المعجزة وقيل ليموت
من يموت على بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه وقطعت عذره ويومن من امن على مثل ذلك
قال صاحب الكشاف ليهلك بدل من قوله ليقضي واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر
كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا
ع

يقين وعلم بانه دين الحق الذي وجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الايات
الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها قرا نافع وابو بكر عن عاصم والبزي عن ابن كثير
باظهار الياءين والباقون بالادغام ثم انه تعالى ختم الاية بقوله وان الله لسميع عليم اي سميع لدعايكم عليم
بحاجتكم وضعفكم او عليم بكفر من كفر وايمان من آمن **قوله تعالى** اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور هذا من النعم التي انعم الله
على اهل بدر واذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله
عليم بالمصالح ويقللهم في اعينكم في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل ارى المشركين رسول الله
صلى الله عليه وسلم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن
في منامك في عينك لانها مكان النوم قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها قال صاحب الكشاف
وهذا التفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلايم علمه بكلام العرب وفصاحته
ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم اختلفتم في الامر وتفرقت كلمتكم
فيما تصنعون وترجحتم بين الكرار والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه

قوله تعالى

عليم بذات الصدور يعلم ما سيحصل فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في
اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا هذا نوع اخر من النعم التي انعم الله
على المسلمين يوم بدر والضميران مفعولان اي واذ يبصركم اياهم قليلا نصب على الحال وانما قلل المشركون
وقت التقاهم في اعين المسلمين تصديقا لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما اخبرهم
به فتطمين قلوبهم ويجدوا ويثبتوا عن ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي
اتراهم سبعين قال اراهم ماية فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم يا معشر المسلمين في
اعين المشركين حتى قال ابو جهل انما هم اكلة جزور وقال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد
انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الان اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم ولا تقتلوهم بالسلاح
خذوهم اخذا لا نعبد بعد اليوم انما محمد واصحابه اكلة جزور واربطوهم بالحبال قلل الله تعالى المومنين في اعين
المشركين قبل القتال ثم كثرهم في اعينهم بعد اللقا ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا
وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين ولئلا
يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا قال الامام المقصود
من ذكر قوله ليقضي الله في الاية المتقدمة هو انه تعالى فعل تلك الافعال ليحصل استيلا المومنين على المشركين
على وجه يكون معجزا دالا على صدق الرسول والمقصود من ذكره في هذه الاية انه انما فعل ذلك ليصير
سببا لعدم مبالغة الكفار في تحصيل الاستعداد والحذر فيصير سببا لانكسارهم والى الله ترجع
الامور تنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منه ما يصلح ان يكون
زادا ليوم المعاد **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع
الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورياء الناس ويصدون عن سبيل الله والله
بما يعملون محيط لما ذكر انواع نعمه على المومنين يوم بدر علمهم انهم اذا لقوا فية امرين الاول
الثبات اي اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار
واللقا اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تحدثوا انفسكم بالتولي ولا تفروا والثاني ذكر الله

اي اذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم
اخذلهم اللهم اقطع دابرهم عن ابن عباس امر الله اولياءه بذكره في اشد احوالهم تنبيها على ان الانسان لا ينبغي
ان يخلو قلبه ولسانه من ذكر الله ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق ينفق الاموال سخاء والاخر
من المشرق الى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله كان الذاكر اعظم اجرا لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم
من النصر والمثوبة واطيعوا الله ورسوله في كل ما يامر به ولا تنازعوا ولا تختلفوا فتفشلوا منصوب
باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي اي التنازع يستلزم امرين الفشل وذهاب الريح والريح
الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة
ونفذ امره وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
وعن مجاهد نصرتكم وذهبت ريح اصحاب محمد حين نازعوه يوم احد وعن السدي جرأتكم وجدكم
وعن مقاتل حدتكم وعن عطا جلدتكم وقيل قوتكم واصبروا ان الله مع الصابرين المقصود ان
كمال امر الجهاد على الصبر وامرهم بالصبر ان الله مع الصابرين بالنصرة والمعونة ولا تكونوا يا معشر
المومنين كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين خرجوا من مكة لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان
وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل حتى يقدم بدرا يشرب بها الخمور وتعزف
علينا القيان ويطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس
المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المومنين ان يكونوا مثلهم بطرين طربين
مرائين باعمالهم والبطر الطغيان في النعمة فان النعمة اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها
في مرضاته وعرف انها من الله فذلك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة
على اهل الزمان فذلك هو البطر ورياء الناس عبارة عن القصد الى اظهار الجميل مع ان باطنه قبيحا
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راهم في موقف بدر قال اللهم ان قريشا اقبلت بفخرها
وخيلائها لمعارضة دينك ومحاربة رسولك ويصدون عن سبيل الله اي ويمنعون الناس من قبول
دين الله اي الاسلام ويكون بطرا ورياء الناس حالا على تاويل بطرين مرائين ويصدون بمعنى وصادين
ويجوز ان يكون بطرا ورياء الناس بمنزلة يبطرون ويراؤون قال الامام انما عبر عن الاولين بالمصدر
وعن الثالث بالفعل لان الاسم يدل على الثبات والاستقرار والفعل على التجدد وابو جهل وشيعته كانوا
مجبولين على البطر والمفاخرة والعجب وصدهم عن سبيل الله انما حصل في الزمان الذي ادعى محمد عليه
السلام النبوة والله بما يعملون محيط المقصود ان الانسان ربما اظهر من نفسه ان الحامل له والداعي
الى الفعل المخصوص طلب مرضاة الله مع انه لا يكون الامر كذلك في الحقيقة فبين الله تعالى كونه عالما
بما في القلوب تهديدا او زجرا عن البطر والرياء والتصنع **قوله تعالى** واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب قيل تقديره اذكر اذ زين وقيل
هو عطف على ما تقدم تقديره واذ يمكر واذ يريكم الله واذ زين اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات
الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص على عقبيه وتبرأ منهم اي بطل كيده حين
نزلت جنود الله عن الحسن كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وعن ابن عباس وابن اسحق
والسدي والكلبي وغيرهم ان قريشا لما اجتمعت على المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ابن عبد مناة

الشيطان صح

بن كنانة بن الحرث فكان ذلك يثنيهم فتمثل ابليس في جند من الشياطين معه رايته في صورة سراقة بن
مالك بن جعشم الشاعر الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس
واني مجيركم من كنانة فلما تراءت الفئتان اي التقى الجمعان راى ابليس الملائكة تنزل من السماء وعلم انه
لا طاقة لهم بهم نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم قال الضحاك ولى مدبرا وقيل رجع القهقرى على عقبيه
قفاه هاربا وقيل رجع من حيث جاء وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث يا
سراقة اتخذلنا على هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون فقال والله ما نرى الا جواسيس يثرب
فقال اني اخاف الله فقال الحارث فهلا كان هذا امس ودفع في صدر الحارث وانطلق
وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فلما بلغ ذلك سراقة قال تقولون اني هزمت
الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا في كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا
انه الشيطان والله شديد العقاب وفي الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ منه يوم
عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما راى يوم بدر **قوله تعالى** اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض غر هولاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم لم يدخل الواو في قوله اذ يقول ودخل في
قوله واذ زين لان قوله واذ زين عطف هذا التزيين على ما لهم وخروجهم بطرا ورياء الناس
وقوله اذ يقول ليس فيه عطف على ما قبله بل كلام مبتدأ منقطع عما قبله وعامل اذ اذكروا اي
اذكروا اذ يقول المنافقون اما المنافقون فهم من الاوس والخزرج واما الذين في قلوبهم مرض
شك قيل هم قوم كانوا بمكة على حرف ليس بثابتي الاقدام في الاسلام وما قوي اسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا
فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر
هولاء دينهم يعنون المومنين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة
وبضعة عشر الى زهاء الف فقتلوا جميعا وعن الحسن الذين في قلوبهم مرض هم المشركون ثم
قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ويوصل
العذاب الى اعدائه والثواب الى اوليائه **قوله تعالى** ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس
بظلام للعبيد لما شرح احوال هولاء الكفار شرح احوال موتهم والعذاب الذي يصل اليهم في
ذلك الوقت قرأ ابن عامر وحده تتوفى بالتاء على تانيث الملائكة والباقون بالياء للمعنى
ولو ترى جواب لو محذوف والتقدير لرايت منظرا هائلا وامرا فظيعا وعقابا شديدا
اي ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى
الاستقبال واذ نصب على الظرف رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى
ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر عن مجاهد ادبارهم استاههم
ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وقيل وجوههم
ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم وتقديره يضربون اجسادهم كلها عن ابن عباس كانوا اذا اقبل
المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادركتهم الملائكة فضربوا
ادبارهم وعن الحسن قال رجل يا رسول الله اني رايت بظهر ابي جهل مثل الشراك قال ذلك ضرب
الملائكة وقيل ضرب الوجوه عقوبة لكفرهم وضرب الادبار عقوبة لمعاصيهم وذوقوا معطوف
على قوله يضربون على ارادة القول اي ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب
النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت

النار في الجراحات او يقال لهم يوم القيامة ذوقوا قوله ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان
يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره اي ذلك العذاب الذي
هو عذاب الحريق بسبب ما اكتسبت ايديكم من الكفر والمعاصي أضيف الفعل الى اليد لان اليد آلة
الفعل الذي هو عذاب الحريق وفي الحقيقة الفعل لصاحب اليد وان الله عطف
على ما قدمت اي ذلك العذاب بسبب ما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب
الكفار من العدل قوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم
الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين انه تعالى لما بين ما انزل
باهل بدر عاجلا وآجلا كما شرحناه اتبعه بان بين ان هذه سنته تعالى في الكل فقال كدأب
الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء كدأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داوموا
عليه وواظبوا وعن ابن عباس كفعل آل فرعون وقال الضحاك كصنيعهم وقال مجاهد وعطا كسنتهم
وقيل كمثالهم اي ان اهل بدر فعلوا كفعل آل فرعون من التكذيب ففعل الله بهم كما فعل بآل فرعون
من الاهلاك والعذاب وقيل كان آل فرعون جحدوا كما جحدتم وكفروا كما كفرتم وقيل كعادة آل
فرعون وهذه كلها متقاربة والذين من قبلهم عطف على آل فرعون كفروا تفسير كدأب آل فرعون
فاخذهم الله فعاقبهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب تنبيه على ان لهم عذابا مدخرا
سوى ما نزل بهم من العذاب العاجل ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله
بهم فقال ذلك اي ذلك العقاب او الانتقام بسبب ان سنة الله جارية بانه لم يكن مغيرا نعمته
على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال قال الكلبي يعني اهل مكة اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف
وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فغيروا نعمة الله وتغييرها كفرانها وقال السدي نعمة الله
محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار قال صاحب الكشاف
فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية
فغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط
منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات
فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله
ما انعم به من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون
كدأب تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر
الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وجار مجرى التفصيل للكلام الاول لان في الكلام الاول ذكر
اخذهم وفي الثاني ذكر اغراقهم وقيل اريد بالاول ما نزل بهم من العقوبة في حال الموت وبالثاني
ما نزل بهم في القبر وقيل الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل الالهية والثاني اشارة الى انه تعالى
رباهم وانعم عليهم نعما لا تعد ولا تحصى فانكروا دلائل التربية والاحسان مع كثرتها وتواليها
عليهم فاللازم من الاول الاخذ ومن الثاني الاهلاك والبوار ثم ختم الكلام بقوله وكل كانوا
ظالمين اي ظالمي انفسهم بالكفر والمعصية وظالمي سائر الناس بالايذاء والايحاش وان
الله انما اهلكهم بسبب ظلمهم قوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا
يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون لما وصف الله جملة الكفار بقوله

وكل

وكل كانوا ظالمين افرد بعضهم بمزيد في الشر والفساد فقال ان شر الدواب عند الله اي في علمه وحكمه
من حصلت له صفتان احداهما استمرار الكفر والاصرار عليه بحيث لم يتغير عنه اصلا والثانية نقض العهد
مرة بعد اخرى قال ابن عباس هم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه
فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوا عليه يوم
الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي جعلهم
شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون
لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون فيه من العار والنار قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب
فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين
انه تعالى يرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفق تارة كما في قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم
والى التغليظ اخرى كما في هذه الآية فانه تعالى لما ذكر الذين ينقضون عهدهم في كل مرة بين ما يجب
ان يعاملوا به فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم وتدركنهم وتظفرن بهم وتلقينهم في الحرب فشرد بهم ففرق بهم
عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر
عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم عن ابن عباس فنكل بهم من وراءهم عن قتادة عظ بهم
من سواهم سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم ابن زيد اخفهم بهم وقيل فرق جمع كل ناقض بما تبلغ من
هؤلاء عن عطا اثخن فيهم القتل حتى يخافك اهل مكة واهل اليمن وغيرهم وعن ابن يسار اقتلهم
قتلا تعرب عنك من وراءهم وعن العتيبي سمع بهم واشد اطوف في الاباطح كل يوم مخافة ان
تشرد بي حكيم واصل التشريد التطريد والتفريق والتبديد لعلهم المشردين من وراءهم يتعظون ويعتبرون
ولا ينقضون العهد واما تخافن تعلمن يا محمد من قوم معاهدين خيانة ونكثا بظهور امارات
تظهر لك منهم من اثار الغدر والخيانة ونقض العهد كما ظهر لك من بني قريظة فانبذ اليهم فاطرح
اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد اي لا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة
منك اي اعلمهم قبل حربك اياهم انك فسخت العهد وقطعت ما بينك وبينهم حتى تصيروا انت وهم على
سواء من العلم بانك لهم محارب فيأخذوا للحرب اهبتها وتبرأ من الغدر وقيل على سواء اي مهل
وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال
كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على
انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا وذلك قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر ان الله لا يحب
الخائنين فلا يكن منك اخفاء نقض العهد والخداع قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا
سبقوا انهم لا يعجزون لما بين ما يفعله الرسول في حق من يثقفه في الحرب وما يفعله في من
ظهر منه نقض العهد بين حال من فاته يوم بدر وغيره كيلا يبقى حسرة في قلبه فقد كان فيهم من
بلغ في اذية الرسول مبلغا عظيما فقال ولا تحسبن الذين كفروا وقرأ ابن عامر والكسائي وحفص
عن عاصم بالياء على ان الفعل للذين كفروا اي لا يحسبن الذين كفروا انفسهم سابقين فائتين
من عذابنا وقيل فيه اهله ان يسبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل
عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وحذف ان كثير وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة
وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا
سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا قال
صاحب الكشاف وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وقيل

فقال زعمه ليس بنير وان حمزه ما تفرد بها وفي التيسير قرا حفص وابن عامر وحمزه ولا يحسبن باليا
وجهها مستقيم على وجوه كما صححه ابو البقا فانه قال في الفاعل وجهان احدهما مضمر اي ولا يحسبن
من خلفهم او ولا يحسبن احد والمفعول الثاني سبقوا وثانيهما ان الفاعل الذين كفروا والمفعول
الاول محذوف اي انفسهم ولانها متواتره وما تواتر فهو نير على انه اجاز حذف المفعول الاول من
باب حسب في غير موضع من هذا الكتاب منها ما قال في قوله تعالى ولا يحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا الى غير ذلك وقرا الباقون بالتا على الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم اي ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا اسبقوا والذين كفروا المفعول الاول وسبقوا المفعول
الثاني والمعنى ولا تحسبن الذين كفروا سابقين انهم قرا ابن عامر بالفتح بمعنى لانهم والباقون بالكسر على
طريقة الاستيناف وكل واحد من المفتوحه والمكسوره تعليل الا ان المفتوحه تعليل صريح والمكسوره
على الاستيناف لا يعجزون لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم من قولهم اعجزت الرجل وجدته
عاجزا او اعجزه الشي اي فاته **قوله تعالى** واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شي في سبيل الله يوف
اليكم وانتم لا تظلمون لما اوجب الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشرد من صدر منه نقض العهد
وان ينبذ العهد الى من خاف منه الخيانه والنكث امر في هذه الايه بالاعداد للكفار وقيل
انه لما اتفق لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قضيه بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة ولا عده امرهم الله
ان لا يعودوا لمثله وان يعدوا للكفار ما استطاعوا من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها
اي من الالات التي تكون قوة لكم عليهم من الخيل والسلاح والكراع وعن عقبه بن عامر الجهني ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقال الا ان القوه الرمي الا ان
القوه الرمي الا ان القوه الرمي وعن عكرمه القوه الحصون ومن رباط الخيل والرباط اسم للخيل التي تربط
في سبيل الله ويجوز ان يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطه ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال
ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال
ترهبون تخوفون به اي بما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكه واخرين من دونهم قال
مجاهد بنو قريظه وقال ابن زيد هم المنافقون لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله ويغزون
معكم وقال السدي هم اهل فارس وقيل هم كفار الجن وقيل كل عدو للمسلمين غير الذي امر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يشرد بهم وما تنفقوا من شي هو عام في الجهاد وفي ساير وجوه
الخيرات يوف اليكم يرجع اليكم وتوفر لكم اجره اي لا تضيع في الاخره اجره وقد يعجل الله عوضه
في الدنيا وانتم لا تظلمون لا تنقصون من الثواب **قوله تعالى** وان جنحوا للسلم فاجنح
لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم لما بين ما يرهبون به العدو بين عقبه انهم عند هذا الارهاب
ان جنحوا للسلم اي مالوا للصلح فاجنح لها اي فمل لها وصالحهم جنح له واليه مال والسلم يونث تانيث
نقيضها وهي الحرب قال الشاعر السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع
قرا ابو بكر عن عاصم السلم بكسر السين والباقون بالفتح وهما لغتان قيل هذه الايه منسوخه
بقوله قاتلوا الذين لا يومنون وقيل بقوله فاقتلوا المشركين وقيل غير منسوخه لكنها تتضمن
الامر بالصلح اذا كان الصلاح فيها فاذا راي مصالحتهم فلا يجوز ان يهادنهم سنه كامله اذا كانت
القوه للمسلمين وان كانت القوه للمشركين جاز مهادنتهم عشر سنين ولا يجوز الزياده عليها اقتدا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هادن اهل مكه عشر سنين وتوكل على الله ولا تخف من

ابطانهم

بما يصنعون

ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخداعهم انه هو السميع العليم بما يضمرونه
قوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم لما امر بالصلح ان جنحوا لها ذكر في
هذه الايه انهم ان صالحوا وارادوا ان يخدعوك فلا تمتنع من السلم فان الله ينصرك ويويدك فان حسبك الله قال
جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا فقال حسبي وحسبك درهم اي كفاك وهو
اسم وهذا رجل حسبك من رجل وهو مدح للنكره لان فيه تاويل فعل كانه قال محسب لك اي كاف لك من غيره
يستوي فيه الواحد والجمع والتثنيه لانه مصدر هو الذي ايدك بنصره يوم بدر وبالمومنين بالانصار والف
بين قلوب المومنين اي جمع بين قلوب الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك سادتهم وروساهم
ودق جماجمهم ولم يكن لبغضايهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغاين ويديم التحاسد والتنافس
وعادة كل طايفتين كانتا بهذه المثابه ان تتجنب ما اثرتها اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله
حتى اتفقوا على الطاعه وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته
وقيل التاليف بين القلوب من بعث اليهم رسول الله من الايات الباهره لان العرب لما فيهم من الحميه والعصبيه
والانطوا على الضغينه في ادنى شي والقايه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد ياتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم
على اتباع رسول الله واتحدوا وانشاوا يرمون عن قوس واحده وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من
كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله
والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشا ويصنع فيها ما اراد **قوله
تعالى** يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا ماتين وان يكن منكم ماية يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم
لا يفقهون لما وعد بالنصر عند مخادعة العدو وعده بالنصر والظفر مطلقا عن سعيد بن
جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثه وثلثون رجلا وست نسوه ثم اسلم عمر فنزلت
هذه الايه وقيل نزلت هذه الايه بالبيدا في غزوه بدر قبل القتال فعلى الاول مكيه كتبت في
سوره مدنيه بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض العلما الواو بمعنى مع وما بعده منصوب
بقول حسبك وزيدا درهم اي حسبك مع من اسلم الله ولا يجر لان عطفا لظاهر المجرور على المكني ممتنع
قال فحسبك والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من المومنين الله ناصرا وقيل هو في محل الرفع
عطفا على اسم الله تقديره حسبك الله ومتبعوك من المومنين اي كفاك الله وكفاك من اتبعك من المومنين ثم
بين انه وان كان يكفيك الله ومن اتبعك من المومنين لكن بشرط ان تحرض المومنين على القتال فان الله انما
يكفيك بالكفايه بشرط ان يحصل بينهم بذل النفس والمال في الجهاد والتحريض المبالغه في الحث
على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت وقيل التحريض ان يسميه حرضا ويقول له
ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك منه فعلى الاول معناه يا ايها النبي حث المومنين
على القتال اي بالغ في الامر بالقتال وعلى الثاني معناه سمهم حرضا ان يكن منكم عشرون صابرون
محتسبون يغلبوا ماتين من عدوهم ويقهروهم وان يكن ماية صابره محتسبه تثبت عند لقا العدو
يغلبوا الفا من الذين كفروا وليس المراد منه الخبر بل الامر كانه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا
وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا ماتين بانهم بسبب ان الكفار قوم جهله يقاتلون على غير احتساب
ولا طلب ثواب كالبهايم فهم لا يثبتون اذا قاتلوهم خشيه ان يقتلوا وكل هذا ابو مريد وعن ابن جريج
كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزه

رجلا و

في ثلثين راكبا فلقي اباجهل في ثلثمائة راكب قيل حرض الله على الرجل من المومنين قتال عشرة من الكافرين فثقل
على المومنين وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد والاثنين وقيل كان فيهم قلة
في الابتدا ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وهو قوله تعالى الآن خفف الله عنكم قرا نافع وابن كثير وابن
عامر بالتا في الموضعين وابو عمرو الاول باليا والثاني بالتا والباقون باليا فيهما وعلم ان فيكم ضعفا اي
في الواحد عن قتال العشرة والمائة عن قتال الالف قرا عاصم وحمزة بفتح الضاد دون العين وفي الروم
مثله والباقون فيهما بالضم وهما لغتان صحيحتان الضعف والضعف كالمكث والمكث والمراد بالضعف الضعف
في البدن وقيل في النصرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك احتج هشام على قوله الباطل انه
تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند وقوعها بقوله وعلم ان فيكم ضعفا وهذا يقتضي ان علمه تعالى بضعفهم ما حصل
الا في هذا الوقت واصحابنا اهل السنة والجماعة اجابوا بان معنى الاية انه تعالى قبل حدوثه لا يعلمه واقعا
حادثا بل قبل حدوثه يعلم بانه سيقع وسيحدث وعند حدوثه يعلم انه واقع حادث فمعناه ان الآن علم
وقوعه وحدوثه فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من الكفار وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
اي لا يتيسر الغلبة الا باذن الله وارادته والله مع الصابرين عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا
غلبوا مثليهم وكيف لا يغلبون من كان الله معهم فرد من عشرة الى اثنين فاذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم
ان يفروا واذا كانوا اكثر من ذلك لم يجب عليهم القتال وجاز لهم التحرز والصبر احسن قال صاحب الكشاف فان قلت
لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة
واحد لا يتفاوت لان الحال قد يتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة
المائة المائتين والالف الالفين **قوله تعالى** ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم المقصود من هذه الاية تعليم حكم اخر من احكام الجهاد
في حق النبي عليه السلام قرا ابو عمرو تكون بالتا على لفظ الاسرى والباقون باليا لتقدم الفعل ومعنى
الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض
اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة والمعنى حتى يثخن في الارض حتى يبالغ في قتل المشركين واسرهم
وقهرهم يقول العرب اثخن فلان في هذا الامر اي بالغ واثخنته معرفة بمعنى قتلته معرفة يعني حتى
يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر
بعد ذلك ومعنى ما كان له ما صح له وما استقام قال قتادة كان هذا يوم بدر ففاداهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يومئذ باربعة الف اربعة الف ولعمري ما كان اثخن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ وكان اول قتال قاتل المشركين وعن ابن عباس كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما
كثروا واشتد سلطانهم انزل الله بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فدا فجعل الله نبيه عليه
السلام في امر الاسارى بالخيار ان شا قتلهم وان شا فاداهم وان شا اعتقهم روي انه لما كان يوم بدر وجي بالاسارى
فقال رسول الله ما تقولون في هولا فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب
عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم
واضرب اعناقهم فان هولا ايمة الكفر وان الله اغناك عن الفدا مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس
ومكني من فلان لنسيب لعمر فاضرب عنقه وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب
فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس قطع الله رحمك فسكت رسول الله فلم يجبهم ثم قام
فدخل فقال ناس ناخذ بقول ابي بكر وقال ناس ناخذ بقول عمر وقال ناس ناخذ بقول ابن رواحه

ثم

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من
اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه
مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفدا او ضرب عنق وروي انه
عليه السلام قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفدا
فاستشهدوا باحد وعن محمد ابن سيرين كان فداوهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير
وقيل كان فدا الاسارى عشرين اوقية وفدا العباس اربعين اوقية وقيل فاداهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ اربعة الف وروي انهم لما اخذوا الفدا نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه
قال لو نزل عذاب من السما لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي اتريدون ايها
المومنون عرض الدنيا حطامها لانه حدث قليل اللبث قال الراغب العرض ما لا ثبات له ومنه استعار المتكلمون
لما لا ثبات له الا بالجوهر كاللون والطعم وقيل الدنيا عرض حاضر تنبيها على ان لا ثبات لها اي تريدون عرض الدنيا
في اخذكم الفدا والله يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم دين الله واعزاز الاسلام بالاثخان في القتل
قيل هذه الاية دالة على ان الانبيا يجتهدون وانه قد يكون خطا ولكن لا يقرون عليه والله عزيز يغلب اولياه على اعدايه
ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفدا ولكنه حكيم يوخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من
الله سبق عن ابن عباس كانت الغنايم قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم حراما على الانبيا والامم كلهم كانوا اذا
اصابوا مغنما جعلوه للقربان وحرم عليهم ان ياخذوا منه قليلا او كثيرا وكان الله عز وجل قد كتب في ام الكتاب
ان الغنايم والاسارى حلال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولامته فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في الغنايم واخذ
الفدا فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن
ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يتبين لهم ما يتقون فانه لا ياخذ قوما
فعلوا اشيا بجهالة وقيل لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو انه لا يعاقب احدا بخطا
وكان هذا خطا في الاجتهاد لانهم نظروا الى ان استبقاهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداهم
يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عنهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراهم واقل لشوكتهم
وقيل لولا كتاب من الله سبق اني لا اعذب الا بعد النهي لعذبتكم فيما صنعتم وانه تعالى ما نهاهم عن اخذ
الفدا وقيل معناه لولا انه حكم في الازل بالعفو عن هذه الواقعة لمسكم عذاب عظيم لنالكم واصابكم فيما
اخذتم من الغنيمة والفدا قبل ان يومروا به عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنايم
ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفدا لانه من جملة الغنايم ومعنى الفا
التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنايم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا نصب على
الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله ولا تقدموا على المعاصي بعد ذلك
وقيل لا تقدموا على شي لم يعهد اليكم فيه واعلموا ان الله غفر لكم ما اقدمتم عليه في الماضي من الزلة
ورحم ما اتيتم من الحرام والمعصية واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور
رحيم اشارة الى الحالة الماضية وقيل معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة
الفدا قبل ان يوذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لمن
في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم

اي لولا قضا من الله سبق بكتابته لاهل بدر في
اللوح المحفوظ بان الله يحل لكم الغنيمة وعن
الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وابن زيد
لولا كتاب من الله سبق م

وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم لما اخذ الرسول صلى الله
عليه وسلم الفدا من الاسارى وشق عليهم اخذ اموالهم منهم ذكر الله هذه الاية استمالة لهم عن ابن
عباس نزلت في العباس وعقيل ابن ابي طالب ونوفل ابن الحارث كان العباس اسيرا يوم بدر ومعه عشرون اوقية من
الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم يبلغه التوبة حتى اسر فاراد ان يطعم
ذلك اليوم فاقتتلوا قبل ذلك وبقيت العشرون اوقية مع العباس فاخذت منه في الحرب وعن العباس انه
قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما
ظاهر امرك فقد كان علينا فكلم العباس النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذلك الذهب عليه فابى رسول الله
وقال اما شي خرجت لتستعين به علينا فلا اتركه له وكلف فدا ابني اخيه عقيل ابن ابي طالب ونوفل ابن
الحرث فقال العباس يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين
الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي
هذا فان حدث بي حادث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم فقال العباس له عليه الصلوة
والسلام وما يدريك قال اخبرني به ربي فقال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت
مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون
عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر
المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا
لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا
خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وهذه الاية نازلة في جملة الاسارى فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ويدخل في الخير الايمان والعزم على الطاعة في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي
والعزم على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوبة عن محاربته قرا ابو عمرو من الاسارى والباقون
من الاسرى اي من الاسارى الذين اخذتم منهم المال ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا يؤتكم خيرا مما اخذ
منكم من الفدا وان يريدوا خيانتك اي وان يريد الاسرى خيانتك نقض ما بايعوك عليه من الاسلام
والردة روي انه عليه السلام لما اطلقهم من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين
فقال تعالى وان يريدوا نكث العهد فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل
من ميثاقه وقيل المراد انهم كانوا يقولون لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ثم اذا خلصوا من
البلية ووصلوا الى النعمة نكثوا العهد ونقضوا الميثاق فامكن منهم كما رايتم ببدر ومفعول امكن
محذوف اي فامكن المومنين منهم فيتمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من
الفدا والله عليم ببواطنهم وضمايرهم حكيم يجازيهم باعمالهم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اوليك بعضهم اوليا بعض والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اوليا بعض الا تفعلوه تكن
فتنة في الارض وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا
ونصروا اوليك هم المومنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاوليك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شي عليم
ان الله تعالى قسم المومنين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة اقسام وذكر حكم كل قسم

منهم

منهم وتقريره هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس الى الدين ثم هاجر
الى المدينة فمنهم من وافقه في تلك الهجرة ومنهم من لم يوافقه فيها بل بقي هناك اما الذين وافقوه في تلك
الهجرة فهم المهاجرون الاولون لانه تعالى قال في اخر الاية والذين امنوا من بعد وهاجروا فقوله
ان الذين امنوا السابقة الى المولى اي امنوا بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وهاجروا اي
فارقوا اوطانهم وهجروا قومهم وعشيرتهم حبا لله ورسوله وجاهدوا باموالهم وانفسهم بانفاقها في
الجهاد وبانهم لمفارقة الاوطان ضاعت دورهم ومساكنهم ومزارعهم وبقيت في ايدي الاعدا
وبانفاقها في المهاجرة وانفسهم باقدامهم على الجهاد ببدر من غير الة وعدة مع الاعدا الموصوفين
بالكثرة والشدة وذلك يدل على انهم بذلوا انفسهم في سبيل الله والقسم الثاني من المومنين الموجودين في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذين اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه الى ديارهم
اي اسكنوهم منازلهم ونصروهم على اعدايهم وبذلوا النفس والمال في نصرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم الانصار فلولا انهم اووا ونصروا لما تم المقصود والمهاجرون اعلى رتبة من الانصار لسبقهم
في الايمان الذي هو رئيس الفضايل وتحملهم المشقة والاذى زمانا مديدا من كفار قريش وصبرهم
عليه وعلى المضار الناشية من مفارقتهم الاوطان والاهل والجيران ولفتحهم الباب في قبول الدين
والشريعة من الرسول عليه الصلوة والسلام اوليك بعضهم يتولى بعضا في الميراث دون اقاربهم الكفار
عن ابن عباس كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات وكان
الذي امن ولم يهاجر لم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فنسخت هذه الاية وصار الميراث لذوي الارحام من المومنين ولا
يتوارث اهل ملتين شتى قال الامام ان لفظ الولاية غير مشعر بهذا المعنى لان اللفظ مشعر بالقرب على ما قررناه
في مواضع من هذا الكتاب ويقال السلطان ولي من لا ولي له ولا يفيد الارث وقال تعالى الا ان اوليا الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ولا يفيد الارث بل الولاية تفيد القرب فيمكن حمله على غير الارث وهو كون بعضهم معظما للبعض
مهتما بشانه مخصوصا بمعاونته ومناصرته والمقصود ان يكونوا يدا واحدة على الاعدا وان يكون حب كل واحد
لغيره جاريا مجرى حبه لنفسه واذا كان اللفظ محتملا لهذا المعنى كان حمله على الارث بعيدا عن دلالة
اللفظ لا سيما وهم يقولون ان ذلك الحكم صار منسوخا بقوله تعالى في اخر هذه الاية واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض واي حاجة تحملنا على حمل اللفظ على معنى لا اشعار لذلك اللفظ به ثم الحكم بانه صار
منسوخا باية مذكورة معه هذا في غاية البعد اللهم الا اذا حصل اجماع المفسرين على ان المراد ذلك فحينئذ
المصير اليه لكن دعوى الاجماع بعيد والقسم الثالث من المومنين الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
الذين امنوا ولم يهاجروا بل بقوا في مكة ما لكم من ولايتهم يعني الميراث من شي حتى يهاجروا ولانهم توهموا
ان ولايتهم سقطت مطلقا فازال الله هذا الوهم بقوله حتى يهاجروا يعني انهم لو هاجروا لعادت
تلك الولاية على اكمل الوجوه فلا شك ان هذا يصير مرغبا له في الهجرة وان في الدين فواجب عليكم النصر على
المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا
بعضهم اوليا بعض في العون والنصرة ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اوليك بعضهم اوليا
بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم
وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا عن ابن عباس نزلت في مواريث مشركي اهل
العهد وقال السدي قد قال رجل نورث ذوي ارحامنا من المشركين فنزلت هذه الاية الا تفعلوه
اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا للنسبة الاسلامية

استنصروكم صح

على نسبة القرابه ولم يقطعوا العلايق بينهم وبين الكفار ولم يجعلوا اقرابتهم كلا قرابه يحصل فتنه في الارض وفساد كبير لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحده على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زايدا والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اوليك هم المومنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الايه وارده للثنا عليهم والشهاده لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد وهاجروا القسم الرابع من المومنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذين امنوا من بعد وهاجروا يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجره لقوله تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان عن ابن عباس هاجروا بعد الحديبيه وهي الهجرة الثانيه وقيل بعد بدر وقيل بعد الهجرة الاولى هم التابعون باحسان كما قال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فاوليك منكم يدل على ان مرتبة هولاء دون مرتبه المهاجرين السابقين لانه الحقهم بهم وجعلهم منهم معرض التشريف واولوا الارحام اولوا القرابات وهو نسخ التوارث بالهجره والنصره قال الامام اما الذين فسروا الولايه بالنصره والمحبه والتعظيم قالوا ان تلك الولايه لما كانت محتمله للولايه بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الايه ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابه الا ما خص الدليل فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم وهذا اولى لان تكون النسخ من غير ضروره وحاجه لا يجوز في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القران وهو اية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفه على توريث ذوي الارحام واجاب اصحابنا بان قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض جا في الشي الذي حصلت فيه الاولويه فلما قال في كتاب الله كان في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الايه مقيده بالاحكام التي بينها الله تعالى في كتابه وتلك الاحكام ليست الا ميراث العصبات فوجب ان يكون المراد من هذا المجمل هو ذلك فقط فلا يتعدى الى توريث ذوي الارحام ثم قال في ختم السوره ان الله بكل شي عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرها وفصلها كلها حكمه وصواب وصلاح وليس فيها شي من العبث والباطل لان العالم بكل شي لا يحكم الا بالصواب

سورة التوبه مدنيه

وهي مايه وثلثون ايه واربعة الف وثمان وتسعون كلمه وعشرة الف واربعمايه وثمانيه وثمانون حرفا قال صاحب الكشاف لها عدة اسما . براة . التوبه . المقشقشه . المبعثره . المشرده . المخزيه . الفاضحه . المثيره . الحافره . المنكله . المدمدمه . سورة العذاب . لان فيها التوبه على المومنين . وهي تقشقش من النفاق . اي تبري منه . وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفه انكم تسمونها سورة التوبه وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه عن ابن عباس رضي الله عنهما قلت لعثمان رضي الله عنه ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براة وهي من المايين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فقال عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما ياتي عليه الزمان وهي تنزل عليه السور ذوات العدد فاذا نزل عليه الشي يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذه الايه في السوره التي يذكر فيها كذا وكذا فكانت الانفال مما نزلت بالمدينه وكانت براة من اخر ما نزل وكانت قصتها شبيهه وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال وعن ابي بن كعب انه قال انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براة نبذ العهود فوضعت احديهما بجنب الاخرى وقيل ان الصحابه اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة التوبه سوره واحده ام

سورتان

سورتان فقال بعضهم هما سوره واحده لان كليهما نزلتا في القتال ومجموعهما السابعه من الطول وهي سبع وما بعدها المايون وهذا قول ظاهر انهما معا مايتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فقال بعضهم الانفال وبراة سوره واحده وقال بعضهم هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سوره واحده وقيل انه تعالى ختم سورة الانفال بايجاب ان يوالي المومنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكليه ثم انه تعالى صرح بهذا المعنى في قوله براة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتاكيدا له وتقريرا له وقع الفصل بينهما وكان ايقاع الفصل عنها على انهما سورتين متغايرتين وترك كتبه بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على ان هذا المعنى هو عين ذلك المعنى وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت عليا رضي الله عنه لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ههنا قال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السوره بالسيف ونبذ العهود وليس فيها امان وسيل سفيان بن عيينه فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربه واكد بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مومنا فقيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتدا منه يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه قال في اخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزيه فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراه واللعنه واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله

قوله تعالى براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين براة خبر مبتدا محذوف اي هذه براة من لابتدا الغايه متعلق بمحذوف وليس بصله في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براه واصله من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار والمعنى ان الله ورسوله قد بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم علقت البراه بالله ورسوله والمعاهده بالمسلمين لان الله تعالى قد اذن في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما يحدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد بريا مما عاهدتم المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكه وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمره وبنو كنانه فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر اين شاوا ولا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانه الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنه تسع من الهجره وفتح مكه سنه ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر على موسم سنه تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنهما راكب العضبا ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغا فوقف فقال هذا رغا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال اميرا او مامور قال مامور وروي ان ابابكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشي نزل من السما قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبه فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين ايه او اربعين ايه وعن مجاهد ثلث عشره ايه ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنه الا كل نفس مومنه وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف

وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على
القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت
بتوليه ذلك عليا رضي الله عنه قوله تعالى فسيحوا رجع من الخبر الى الخطاب اي قل لهم سيحوا اي سيروا
في الارض مقبلين مدبرين امنين غير خايفين احدا من المسلمين بحرب ولا سلب ولا قتل ولا اسر
يقال ساح في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا والسياحة في الارض الضرب فيها
والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب
يقال للصايم سايح لانه يشبهه لتركه الطعم والشراب اربعة اشهر قيل المشركون الذين برئ
الله ورسوله اليهم من العهود صنفان احدهما كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر فامهل تمام اربعة
اشهر والاخر كانت مدة عهده من غير اجل محدود فقصر به عن اربعة اشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب
بعد ذلك لله ولرسوله وللمومنين يقتل حيث ما ادرك ويوسر الا ان يتوب وابتداء هذا الاجل
يوم الحج الاكبر وانقضاوه الى عشر من شهر ربيع الاول واما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ
الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وعن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول
وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم امنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذي الحجة
والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك
الوقت للنسي الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وقال الكلبي انما كانت اربعة الاشهر لمن
كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون اربعة اشهر فاتم له الاربعة الاشهر ومن
كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا الذي امر ان يتم له عهده فقال فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
وقال مقاتل نزلت في ثلثه احيا من العرب خزاعه وبنو مدلج وبنو خزيمه كان النبي صلى الله عليه وسلم
عاهدهم بالحديبيه سنتين فجعل الله اجلهم اربعة اشهر ولم يعاهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الايه احدا من الناس وقال الحسن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وامره ان يدعو الناس الى التوحيد
والطاعه وفرض الشرايع وامره بقتال من قاتله من المشركين فقال قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وكان
لا يقاتل الا من قاتله وكان كافة اهل العهود الذين كانوا يعاهدون الثلاثه والاربعة الاشهر
حتى ينظروا في امرهم فاما ان يسلموا واما ان يوذنوا بحرب ولم يكن لاحد منهم اكثر من اربعة اشهر
لا من كان له عهد قبل البراة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دما المشركين
كلهم من اهل العهد وغيرهم بعد انقضا الاجل قال عبد الرحمن ابن زيد نقض كل عهد كان اكثر من اربعة
اشهر فرده الى الاربعه وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكه وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا يوم الحديبيه على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم
عن بعض فدخلت خزاعه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش وكان مع
ذلك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبايل من العرب خصايص فعدت بنو بكر على خزاعه ونقضوا
فنالت منها ورفدتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعه ونقضوا عهدهم خرج عمرو
بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رب اني ناشد محمدا حلف ابيه
وابينا الاتلدا كنت لنا ابا وكنا ولدا ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا فانصر هداك الله نصرا اعتدا وادع عباد الله
ياتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا ابيض مثل الشمس ينمو صعدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا
ميثاقك الموكدا وزعموا ان لست تدعو احدا وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا

ركعا

ركعا وسجدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وخرج وتجهز الى مكه ففتح
الله مكه وهي سنة ثمان من الهجرة ثم لما خرج الى غزاة تبوك وتخلف من تخلف من المنافقين وارجفوا الاراجيف
جعل المشركون ينقضون عهودهم فامره الله تعالى بالقا عهودهم اليهم لياذنوا بالحرب وذلك قوله عز وجل
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوا الايه فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا احب ان احج حتى لا يكون ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلك السنة ابا بكر اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج فبعث معه باربعين ايه من صدر براة ليقراها على اهل
الموسم فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحق بصدر السورة من صدر براه واذن بذلك في
الناس اذا اجتمعوا فخرج علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا حتى ادرك ابا بكر
رضي الله عنهما بذي الحليفة فاخذها منه فرجع ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بابي انت
وامي انزل في شاني شي قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري او رجل مني اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار
وانت صاحبي على الحوض فقال بلى يا رسول الله قال جابر كنت مع علي حين اتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر فلما كنا بالعرج ثوب بصلوة الصبح فلما استوى ابو بكر سمع الرغا فوقف وقال هذا رغا ناقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم العضبا لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فاذا عليها علي فقال ابو بكر
امير او مامور فقال ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراة اقروها على الناس فسار معه ابو بكر اميرا
على الحاج وعلي يوذن ببراة فقدما مكه فلما كان قبل التروية قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم
واقام الناس الحج والعرب اذ ذاك في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج حتى اذا
كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به وقرا عليهم سورة براة واعلموا انكم غير معجزي الله
اي غير فايتين والسابقين وان امهلكم وقيل اعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من
تاب وقيل تقديره فسيحوا عالمين انكم لا تعجزون الله في حال والمقصود اني امهلتكم واطلقت لكم فافعلوا كل ما
امكنكم فعله من اعداد الالات والادوات فانكم لا تعجزون الله بل الله يعجزكم ويقهركم وقيل اعلموا ان
هذا الامهال لا لاجل انه لا يخاف الفوت لانكم حيث كنتم في ملك الله وسلطانه وان الله مخزي الكافرين اي
مذلهم في الدنيا بالقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة وهذا ضمان من الله بنصرة المومنين على الكافرين
والاخزا الاذلال مع اظهار الفضيحه والعار والخزي النكال الفضيح **قوله تعالى** واذان من الله
ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بري من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم
فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم واذان اعلام ومنه الاذان بالصلوة يقال
اذن بشر فاذن اي اعلمه فعلم واصله من الاذن اي اوقعه في اذنيه وارتفاعه كارتفاع براة على الوجهين
ثم الجمله معطوفه على الجملة قال صاحب الكشاف ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براة كما لا يقال
عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قايم وعمرو قاعد والجملة الاولى اخبار بثبوت البراة وهذه الجملة
اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت والبراة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم والاذان عام لجميع الناس من
عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث بين الله ورسوله اي اذان صادر من
الله ورسوله واصل الى الناس كقولك اعلام صادر من فلان الى فلان يوم الحج الاكبر عن ابن عباس يوم عرفه
وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطا وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي
رضي الله عنه ورواية المسور ابن مخرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن نافع بن جبير وقيس بن عباد
وعبد الله بن شداد والشعبي والنخعي والسدي وابن زيد هو يوم النحر وهو احدى الروايتين عن علي وعن
مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا بعكاظ وذي المجاز ومجنه

ويوم نادى علي بما نادى وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها مثل يوم صفين ويوم
الجمل ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما كثيرة ووصف الحج بالاكبر
لاجتماع المسلمين والمشركين ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مومن وكافر وقيل الحج الاكبر القران والحج
الاصغر افراد الحج وقيل الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة لنقصان عملها من عمل الحج وقيل الوقوف بعرفة
هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج ولذلك ان اريد به يوم النحر لان ما
يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر ثم انه تعالى بين ان ذلك الاذان باي شي فقال ان الله بري
من المشركين ورسوله حذفت البا التي هي صلة الاذان تخفيفا ورسوله عطف على المنوي في بري
اذ هو مرفوع على الابتدا وخبره مضمر تقديره ورسوله ايضا بري فان تبتم اي رجعتم من الشرك والغدر
واخلصتم التوحيد فهو خير لكم وذلك الترغيب من الله في التوبه والاقلاع عن الشرك الموجب لبراة
الله ورسوله منهم وان توليتم اعرضتم عن التوبه والايمان وابيتم الا الاقامه على الكفر والاعراض عن الاسلام
والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين الله ولا فايتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا على
سبيل التهكم بعذاب اليم **قوله تعالى** الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا ولم يظاهروا
عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين هو مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان
الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا
الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر
وقيل استثنا من قوله براة والتقدير براة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الى الذين
لم ينقضوا العهد وهم بنو ضمرة من كنانة ثم لم ينقصوكم شيا من عهدكم الذين عاهدتموهم عليه وقيل لم يقتلوا
منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم احدا من عدوكم بانفسهم بالسلاح ولا بخيل
ولا رجال ولا مال كما عدت بنو بكر على خزاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح
وفد عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنصر فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم
فاتموا اليهم تماما كاملا واوفوا لهم بعهدهم الى مدتهم اجلهم الذي عاهدتموهم عليه ان الله يحب المتقين يعني
ان قضيه التقوى ان لا تسوى بين القبيلتين فاتقوا الله في ذلك **قوله تعالى** فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم انسلخ انجرد وانقضى ومضى وخرج والاشهر الحرم
التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل
او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وامنعوهم دخول مكه والتصرف في بلاد المسلمين
واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز ومرقب يرصدونهم به يقال رصدت فلانا اي ارصده رصدا
اذا رقبته وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا من الشرك واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم فدعوهم فليتصرفوا في امصارهم ويدخلوا مكه وقيل فاطلقوا عنهم بعد الاسر
والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به ان الله غفور لما سلف من الشرك
والغدر رحيم بالمومنين التايبين عن الشرك **قوله تعالى** وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع
كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره
وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتدا لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى
وان احد من المشركين الذين امرت بقتالهم وقتلهم استجارك اي استعاذك واستامنك بعد انقضا
الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق ليسمع كلام الله اليه وما تدعوا اليه من التوحيد والقران وتبين

ما

خزاعة

ما بلغت له فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر فتقيم عليه حجة الله وتبين له
دين الله ثم ابلغه بعد ذلك مامنه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا
خيانه وهذا الحكم ثابت في كل وقت فان اسلم فقد نال عز الاسلام وخير الدنيا والاخرة وصار رجلا من
المسلمين وعن الحسن هي محكمه الى يوم القيمه وليست بمنسوخه قال سعيد ابن جبير جا رجل من المشركين الى علي رضي الله
عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضا هذا الاجل فيسمع كلام الله او ياتيه لحاجه قتل قال
علي لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الايه ذلك اي الامر بالاجارة في قوله فاجره
بسبب انهم قوم جهله لا يعلمون ما الاسلام وما تدعوا اليه من التوحيد فلا بد من اعطايهم الامان حتى
يسمعوا ويفهموا الحق **قوله تعالى** كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف استفهام
على سبيل الانكار والاستبعاد والتعجب لان يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم اضداد
وغر صدورهم يعني محال ان يثبت لهولا عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا
في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم
نكث لبني كنانه وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على عهدهم فاستقيموا لهم على مثله
ان الله يحب المتقين الموفين بالعهد يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين **قوله تعالى** كيف وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا بايات الله ثمنا قليلا
فصدوا عن سبيله انهم سا ما كانوا يعملون لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة واوليك هم المعتدون كيف مردود
على الاية الاولى وتكرار الاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما اي كيف يكون لهولا
المشركين وقيل وكيف لا تقتلونهم وحالهم هذه انهم ان يظهروا عليكم يظفروا بكم فيقتلوكم بعد ما سبق لهم من تاكيد
الايمان والمواثيق لا يرقبوا ولم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم ولا يراعوا الا قيل قرابة ورحما قاله
قول حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام والسقب الذكر من ولد الناقة والرال
ولد النعام وقيل الال الحلف شاهده قول اوس بن حجر لولا بنو مالك والال مرقبه ومالك فيهم الال والشرف
واشتقاقه من لال الذي هو الجوار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت اللهما اذا ولولت ثم قيل
لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابه لان القرابه عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وقيل
الال هو الله عز وجل وفي الخبر ان ناسا قدموا على ابي بكر رضي الله عنه من عند مسيلمه فاستقراهم ابو بكر
كتاب مسيلمه فقروا فقال ابو بكر رضي الله عنه ان هذا الكلام لم يخرج من ال ولا ذمة عهدا
يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد اي
يرضونكم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم مثل قول المنافقين وتابى قلوبهم الايمان وابا القلوب مخالفة ما فيها
من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون ناكثون ناقضون كافرون
متمردون خلعا لا مروة تزعهم ولا شمايل مرضيه تردعهم اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران
والاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الهوى والشبهات وذلك انهم كانوا نقضوا العهد الذي بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم باكله اطعمهم ابو سفيان عن مجاهد اطعم ابو سفيان حلفا محمد صلى
الله عليه وسلم فصدوا عن سبيله فمنعوا الناس من الدخول في دينه فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم
وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم انهم سا ما بيس ما كانوا يعملون لا يرقبون في مومن
الا ولا ذمه اي لا يبقون عليكم ايها المومنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا واوليك هم المعتدون

ينقض العهد **قوله تعالى** فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل
الايات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ايمة الكفر انهم
لا ايمان لهم لعلهم ينتهون انه تعالى لما بين حال من لا يرقب في مومن الا ولا ذمه وينقض العهد وينطوي
على الميثاق ويتعدى ما حد لهم بين من بعد انهم ان اقاموا الصلوة واتوا الزكوة كيف حكمهم فجمع ذلك الشي
في قوله فاخوانكم في الدين وهو يفيد جملة احكام الايمان ولو شرح لطال فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين
لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها
فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان
نكثوا نقضوا ايمانهم عهودهم من بعد عهدهم عقدهم وطعنوا قدحوا في دينكم فثلبوه وعابوه وذلك
انهم قالوا ليس دين محمد بشي فقاتلوا ايمة الكفر قرا نافع وابن كثير وابو عمرو ايمة بتليين الهمزة الثانيه
طلبا للخفه والباقون بالهمزتين على التحقيق لان اصلها ايمة الكفر نحو مثال وامثلة وعماد واعمدة ثم
ادغمت الميم التي هي عين افعلة في الميم الثانيه ونقلت حركتها الى الهمزة الساكنة التي هي فاء الفعل فصارت
ايمة وانما كتبت الهمزة الثانيه ياء لما فيها من الكسرة وهي لغة بني تميم فقاتلوا ايمة الكفر اي فقاتلوهم
وضع ايمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذ نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام
الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا
فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفا بالعهود وقعدوا يطعنون في
دين الله ويقولون ليس دين محمد بشي فهم ايمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يسبقهم كافر فعلى هذا
وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن
فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين اي لا عهود لهم وقيل لا وفا
لهم بالعهد والمنافاة بين قوله وان نكثوا ايمانهم وبين قوله لا ايمان لهم اي ايمانهم التي اظهروها
ليست ايمانا لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان واستشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا تكون
يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لما لم يوفوا بها صارت كانها ليست بايمان بدليل
انه تعالى وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا اي فقاتلوا ايمة الكفر لكي يحرضكم
في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظايم ان تكون المقاتلة سببا في انتهايهم عما هم
عليه من الكفر والطعن في دينكم والمظاهرة عليكم وهذا من غاية كرم الله وفضله وعوده على
المسي بالرحمة كلما عاد **قوله تعالى** الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم
بدوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين لما قال تعالى فقاتلوا ايمة الكفر
اتبعه بذكر السبب الذي يبعث المومنين على مقاتلتهم دخلت الهمزة على لا تقاتلون استفهاما لنفي
المقاتله والكلام مع الذين قعدوا عن المقاتله والمعنى انهم بعد مستقرون على ما كنتم عليه من عدم
المقاتله توبيخا على التثبط عن المقاتله والمراد تحضيضهم عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها
على المعاهدة قيل نزلت في كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبيه واعانوا بني بكر على خزاعة
وهذا يدل على ان قتال الناكثين اولى من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجرا لغيرهم وهموا باخراج
الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله في الهجرة فخرج بنفسه
وهم بدوكم اول مرة قيل بدوا بقتال خزاعة حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بالقتال يوم

بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا نرجع حتى نستاصل محمدا او من معه وقيل هم الذين كانت منهم البداة
بالمقاتله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضه
لعجزهم فعدلوا عنها الى القتال فهم البادون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم
بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها وتقرر ان من كان في
مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا يترك مصادمته
وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها اي اتخافونهم فتتركون قتالهم فالله احق
ان تخشوه كانه قيل ان كنتم تخشون احدا فالله احق ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مومنين يعني ان
قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المومن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله
قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين
ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشا والله عليم حكيم لما وبخهم الله تعالى على ترك القتال
جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم الله ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم
قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طايفة من المومنين ويبري
داء قلوب مومنين مما كانوا ينالونه من الاذى والمكروه منهم وقيل يشف صدور خزاعة حلفا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا
من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان
الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا من المشركين مما لقوا من المكروه وقد انجز الله لهم هذه
المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ثم قال
مستانفا مخبرا بان الله يتوب على من يشا من اهل مكة فيهديه للاسلام كما فعل بابي سفيان وعكرمة
فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم والله عليم حكيم اي عليم بكل ما يفعل في ملكه وملكوته حكيم مصيب
في احكامه وافعاله **قوله تعالى** ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة والله خبير بما تعملون المقصود
من هذه الايه مزيد بيان في الترغيب ام منقطعه وهو من الاستفهام المعترض في وسط
الكلام ولو اريد به الابتدا لكان بالالف او بهل فبادخال الميم بقرينه وبيان
الاستفهام المبتدا ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون
على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا
وليجة اي بطانة واوليا يوالونهم وليجة الرجل خاصته وبطانته والمراد بيان ان المكلف
في هذه الواقعه لا يتخلص عن العقاب الا عند حصول امرين الاول ان يعلم الله الذين
جاهدوا منهم العلم المتعلق بالواقع بان يصدر الجهاد منهم والثاني ان لا يتخذوا من
دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة فان المجاهد قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا
باطنه خلاف ظاهره وهو الذي يتخذ الوليجة من دون الله ورسوله والمومنين فبين انه لا يتركهم الا
اذا اتوا بالجهاد مع الاخلاص خاليا من النفاق والريا والتودد الى الكفار وابطان ما خالف الدين
ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كاين وان الذين لم يخلصوا دينهم
لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة
كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة
فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القايل ما علم الله مني

ما قيل في تريد ما وجد ذلك مني والله خبير بما تعملون **قوله تعالى** ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد
الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من
امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين لما بدا الله السورة بذكر البراءة عن الكفار وبالغ في ايجاب ذلك وذكر من انواع فضائحهم
وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة حكى عنهم شبهها عن ابن عباس لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون
فعيروه بالكفر بالله وقطيعة الرحم واغلظ علي له القول فقال له العباس ما لكم تذكرون
مساوينا وتنكرون محاسننا فقال له علي الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر البيت ونسقي الحاج
ونفك العاني فانزل الله ردا على العباس ما كان للمشركين ما ينبغي للمشركين وما صح لهم وما استقام ان
يعمروا مسجد الله اي المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام قرا ابن كثير وابو عمرو مسجد الله
والباقون مساجد الله لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة
منه مسجد ويجوز ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل ذلك ان لا يعمروا
المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان
لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءته القران من تصريحك بذلك شاهدين حال من الضمير المرفوع في
يعمروا والمعنى ما صح لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة المسجد الحرام الذي هو اشرف متعبدات
الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم
حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليه بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما
طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك اولئك
حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر الاعمال الثابتة الصالحة
العتها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار بقوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل
على انهم قارنون من العمارة والشهادة على انفسهم بالكفر في حال واحد وذلك غير مستقيم وفي النار
هم خالدون ويفيد الحصر اي هم فيها خالدون لا غيرهم انما يعمر مساجد الله انما يصح عمارة مساجد
الله ويكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح
وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن
له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث من امن بالله لان المسجد موضع العبادة
فما لم يكن مومنا بالله امتنع ان يبني موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر لان عبادة الله انما تفيد
في اليوم الاخر فمن انكره لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن للعبادة بيتا وانما لم يذكر الايمان برسول الله
لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان
والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه
منطوي تحت ذكر الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة لان ذكر الصلوة
المحلاة بالالف واللام ينصرف الى المعهود السابق ثم المعهود السابق عند المسلمين الاعمال التي اتى بها
محمد صلى الله عليه وسلم وكان ذكر الصلوة دليلا على النبوة من هذا الوجه واقام الصلوة لان المقصود
الاعظم من بناء المساجد اقامة الصلوات والانسان ما لم يكن مقرا بوجوب الصلوة امتنع ان يقدم
على بناء المساجد واتى الزكوة قال الامام واعلم ان الاعتبار باقام الصلوة وايتاء الزكوة في عمارة
المسجد كانه يدل على ان المراد من عمارة المسجد الحضور فيه وذلك لان الانسان اذا كان
مقيما للصلوة فانه يحضر في المسجد فيحصل عمارة المسجد واذا كان موتيا للزكوة فانه يحضر في

المسجد

المسجد الحرام وتحجب ... اي المسجد الحرام شاهدين قولهم فلان ... المسجد الحرام

المسجد فيحصل عمارة المسجد واذا كان موتيا للزكوة فانه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين
لطلب اخذ الزكوة فيحصل عمارة المسجد واما ان حملنا العمارة على مصالح البناء فايتاء الزكوة معتبر
في هذا الباب ايضا لان ايتاء الزكوة واجب وبناء المسجد نافلة والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لا يشتغل
بالنافلة والظاهر ان الانسان ما لم يكن موديا للزكوة لم يشتغل ببناء المساجد ولم يخش الا الله اي الخشية والتقوى
في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق
نفسه ان يخاف الله فيوثر حق الله على حق نفسه روي ان ابا بكر رضي الله عنه بنى في اول الاسلام على باب داره
مسجدا فكان يصلي فيه ويقرا القران والكفار يوذونه بسببه فيحتمل ان يكون المراد منه هو تلك الحالة
يعني انه وان خاف الناس من بناء المسجد الا انه لا يلتفت اليهم ولا يخشاهم ولكنه بنى المسجد للخوف من
الله وقيل يحتمل ان يكون المراد منه انه بنى المسجد لا لاجل الرياء والسمعة وان يقال ان فلانا بنى مسجدا
ولكنه بناه لمجرد طلب رضوان الله ولمجرد طلب تقوية لدين الله وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها
فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى من الله واجب لتعاليه عن التردد والشك وقيل راجع الى العباد
وهو يفيد الرجاء وكان المعنى ان الذين ياتون بهذه الطاعات انما ياتون بها على رجاء الفوز بالاهتداء
لقولهم يدعون ربهم خوفا وطمعا والتحقيق فيه ان العبد عند الاتيان بهذه الاعمال لا يقطع بالفوز
بالثواب لانه يجوز من نفسه انه قد اخل بقيد من القيود المعتبرة في حصول القبول قال صاحب
الكشاف المراد منه تبعيد المشركين عن مواقف الاهتداء وحسم اطماعهم والانتفاع باعمالهم التي
استعظموها وافتخروا بها فانه تعالى بين ان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرايع وضموا اليها
الخشية من الله فهو لا صار حصول الاهتداء لهم دائرا بين لعل وعسى فما بال هولاء المشركين يقطعون بانهم
مهتدون ويجزمون بفوزهم بالخير من عند الله وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمومنين في ترجيح الخشية على
الرجاء **قوله تعالى** اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين عن النعمان ابن بشير قال
كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج
وقال الاخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد في سبيل الله
افضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب ثم قال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة
ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الاية
وعن ابن عباس قال العباس ان كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي
الحاج فانزل الله هذه الاية يعني ان ذلك كان في الشرك ولا اقبل ما كان في الشرك وعنه ان المشركين
قالوا عمارة بيت الله الحرام وقيام على السقاية خير ممن امن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرون
به من اجل انهم اهله وعماره فانزل الله هذه الاية واخبرهم ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على
السقاية لا ينفعهم عند الله مع الشرك بالله وان الايمان بالله والجهاد مع نبيه عليه الصلوة والسلام خير
مما هم عليه وعن الحسن والشعبي نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب وعباس ابن عبد المطلب وطلحة بن شيبة
وذلك انهم افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال العباس انا صاحب
السقاية والقايم عليها ولو اشاء بت في المسجد وقال علي ما ادري ما تقولون لقد صليت ستة اشهر الى القبلة
قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية وعن ابن سيرين قال علي للعباس الا تهاجر الا تلحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الاية
وعن مجاهد لما امروا بالهجرة قال العباس انا اسقي الحاج قال طلحة اخو بني عبد الدار انا صاحب الكعبة

فلما هاجروا انزل الله هذه الاية السقايه والعمره مصدران كالرعايه والوقايه ولابد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام لمن آمن بالله وقيل يجوز ان يكون السقايه بمعنى الساقي والعماره بمعنى العامر تقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام لقوله والعاقبه للتقوى اى للمتقين وقيل يجوز ان يكون التقدير اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من امن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمومنين واعمالهم المحبطه باعمالهم المثبته وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لما ذكر تعالى وصف الفريقين قال لا يستوون ولما كان نفي المساواه بينهما لا يفيد ان الراجح من هو نبه على الراجح بقوله والله لا يهدى القوم الظالمين فبين ان الكافرين ظالمون لانفسهم فانهم خلقوا للايمان وهم رضوا بالكفر وكانوا ظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشى في غير موضعه وايضا ظلموا بسبب المسجد الحرام وان الله تعالى خلقه ليكون موضعا لعبادته فجعلوه موضعا لعبادة الاصنام فكان هذا ظلما **قوله تعالى** الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واوليك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم ان الله تعالى ذكر ترجيح الايمان والجهاد على السقايه وعمارة المسجد الحرام على طريق الرمز ثم اتبعه بذكر هذا الترجيح على سبيل التصريح فقال الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجه فضيله عند الله من اهل السقايه والعماره واوليك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز ونحوه ولم يذكر المفضل عليه ليفيد انهم افضل من كل من سواهم على الاطلاق لانه لا يعقل حصول سعادة للانسان اكمل واعلى من هذه الصفات وفي قوله عند الله دلاله على ان المراد من كون العبد عند الله الاستغراق في عبوديته فلوح انه كما حصلت للملايكه صفة العبديه في قوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته فكذلك الارواح المقدسه البشريه اذا تطهرت عن دنس الاوضار البدنيه والقاذورات الجسدانيه اشرقت بنور ربها وترقت من العبديه الى العنديه بل كانه لا كمال في العنديه الا مشاهده حقيقة العبديه ولذلك قال سبحان الذى اسرى بعبده ليلا فصيرا الانسان مشاهدا شهيد العالم الجلال مكاشفا بنور الجلال مشهودا له بقوله يبشرهم ربهم وهذه اشاره الى انواع من الدرجات العاليه وانه تعالى ابتدا فيها بالاشرف فالاشرف نازلا الى الادون فالادون فالمرتبه الاولى منها وهي اعلاها واشرفها كون تلك البشاره حاصله من ربهم بالرحمه والرضوان وهو انه فيه التعظيم والاجلال من قبل الله وجنات لهم اشارة الى المنافع العظيمه فيها نعيم اشارة الى كون المنافع خالصة عن الكدورات نعيم اشارة الى كونها دايمه غير منقطعه ثم انه عبر عن دوامها بثلث عبارات اولها مقيم وثانيها خالدين فيها وثالثها ابدا فحصل من مجموع ما ذكر انه تعالى يبشر هولا المومنين المهاجرين والمجاهدين بمنفعه خالصه دايمه مقرونه بالتعظيم وذلك هو حد الثواب وفايدة تخصيص هولا المومنين كون هذا الثواب كامل الدرجه عالي المرتبه بحسب كل واحد من هذه القيود في حيوة الدنيا وجنات لهم المراد منه المنافع وقوله ان الله عنده اجر عظيم المراد منه الاجلال والتعظيم الذى يجب حصولهما في الثواب ومن العارفين من قال المرتبه الاولى من المذكور قوله تعالى يبشرهم ربهم منهم من كان فرحه بسبب الفوز بتلك الرحمه ومنهم من لم يفرح بالفوز بتلك الرحمه وانما فرح لان مولاه خصه بتلك الرحمه فيكون فرحه بالراحم فمنهم من يكون فرحه بالراحم لانه رحم ومنهم من يتوغل في الخلوص فينسى الرحمه ولا يكون فرحه الا بالمولى فان العبد ما دام يرى الحق من حيث انه راحم فهو غير مستغرق في الحق بل تارة مع الحق وتارة مع الخلق فاذا تم الامر انقطع عن الخلق وغرق في بحر نور الحق وغفل عن المحبه والمحنه والنعمه والنقمه والالا والبلا والمحققون

وقفوا عند قوله يبشرهم ربهم فكان ابتهاجهم بهذا وسرورهم به وتعويلهم عليه ورجوعهم اليه ومنهم من لم يصل الى تلك المرتبه بل استبشاره بالرحمه وهذه المرتبه هي المرتبه النازله عند المحققين قال الامام ومن لطايف هذه الايه هو انه تعالى قال يبشرهم ربهم وهو مشتمل على انواع من الرحمه والكرامه ومنها ان البشاره لا تكون الا بالرحمه والاحسان ومنها ان بشارة كل احد بحسب حاله فلما كان المبشر هو اكرم الاكرمين وجب ان تكون البشاره بخيرات تعجز العقول عن وصفها وتتقاصر الافهام عن نعتها ومنها انه تعالى سمى نفسه بالرب كانه قيل الذى رباكم في الدنيا بالنعم التى لا حد لها ولا حصر يبشركم بخيرات عاليه وسعادات كامله ومنها انه تعالى قدم ذكرهم على ذكره فقال يبشرهم ربهم ومنها ان البشاره هو الاخبار عن حدوث شى ما كان معلوم الوقوع اما لو كان معلوم الوقوع لم يكن بشاره فتكون هذه البشاره بشارات عن سعادات لا تصل العقول الى وصفها رزقنا الله الوصول اليها بفضله واعلم انه تعالى لما قال يبشرهم ربهم بين الشى الذى به يبشرهم وهو امور اولها قوله برحمة منه وثانيها رضوان وانما الظن والعلم عند الله ان المراد بهذين الامرين ما ذكره في قوله ارجعي الى ربك راضيه مرضيه والرحمه كون العبد راضيا بقضا الله وذلك لان من حصلت له هذه الحال كان نظره على المنعم والمبلي لا على النعمه والبلا ومن كان نظره على المبلي والمنعم لان المنعم والمبلي منزه عن التغير فالحاله الحاصله بسببه تكون منزهه عن التغير اما من كان طالبا لحظ النفس كان ابدا في التغير من الفرح الى الحزن ومن السرور الى الغم ومن الراحه الى الجراحه ومن اللذه الى الالم فثبت ان الرحمه التامه لا تحصل الا عند ما يصير العبد راضيا بقضا الله ثم انه تعالى يصير راضيا وهو قوله ورضوان وعند هذا تصير هاتان الحالتان هما المذكورتان في قوله راضيه مرضيه واطلق قوله ورضوان ولم يقيده بقوله منه ليتناول رضانا ورضاهم وهذه هي الجنه الروحانيه النورانيه القدسيه الالهيه ثم انه تعالى بعد ذكر هذه الجنه العاليه المقدسه ذكر الجنه الجسمانيه وهي قوله وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ولما ذكر هذه الاحوال قال ان الله عنده اجر عظيم والمقصود شرح تعظيم هذه الاحوال قيل وهذه الايه تدل على ان الخلود هو طول المكث لا التابيد لانه لو كان الخلود هو التابيد لكان قوله ابدا بعد ذكر الخلود تكرارا **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اوليا ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاوليك هم الظالمون عن مجاهد هذه الايه متصله بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحه وامتناعهما من الهجره وعن ابن عباس لما امر الله المومنين بالهجره وكان قبل فتح مكه من امن ولم يهاجر لم يقبل الله ايمانه الا بمجانبة الابا والاقربا ان كانوا كفارا فقال المسلمون يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين نقطع ابانا وعشايرنا ويذهب تجارتنا وتخرب ديارنا فانزل الله تعالى هذه الايه وعن ابن عباس لما امر الله رسوله والمومنين بالهجره الى المدينه جعل الرجل يقول لابيه واخيه وامراته وقرابته انا قد امرنا بالهجره الى المدينه فاخرجوا معنا اليهم فمنهم من يعجبه ذلك ويسارع اليه ومنهم من يابى على صاحبه ان يهاجر معه فيقول الرجل لهم والله لين ضمني واياكم دار الهجره لا انفعكم بشى ابدا ولا اعطيكم ولا انفق عليكم ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون له ننشدك الله ان تضيعنا فيرق ويجلس ويترك الهجره فنزلت هذه الايه وعن مقاتل نزلت في التسعه الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكه فنهى الله تعالى عن الاتهم وانزل الله هذه الايه اى لا تتخذوا اباكم وابناكم اوليا بطانة واصدقا فتفشون اليهم اسراركم ويوثرون المقام بين اظهرهم على الهجره الى دار الاسلام ان استحبوا اختاروا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فيطلعهم على عورة الاسلام واهله ويوثر المكث معهم على الهجره والجهاد فاوليك هم الظالمون لانهم وضعوا الولايه غير موضعها **قوله تعالى** قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم

لم يتغير حاله

وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
هذه الايه تقرير للجواب الذي ذكره في الايه الاولي وذلك لان جماعة من المومنين قالوا يا رسول
الله كيف يمكن البراة منهم بالكليه وان هذه البراة توجب انقطاعنا عن اباينا وابنايتا واخواننا وازواجنا
وعشيرتنا وذهاب املاكنا وهلاك تجارتنا وخراب ديارنا فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع هذه
المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما قل يا محمد للمتخلفين عن الهجره والجهاد ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم عشيرة الرجل اهله الادنون الذين يعاشرونه قرا ابو بكر عن عاصم عشيراتكم والباقون
عشيرتكم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وقيل اصبتموها وتجارة تخشون كسادها وهو ضد النفاق
ومساكن ترضونها فسكنتموها اي المنازل والقصور احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
فانتظروا حتى ياتي الله بامره وقيل بقضايه وقيل بعقوبة عاجله وقيل هو فتح مكه والمقصود منه الوعيد
والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين من طاعته الى معصيته وهذه ايه شديده لا ترى اشد منها
قال صاحب الكشاف كانها نعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف
اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما
يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشاير والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا
ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنهم احقر شي منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه
الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد
الناس ويبغض في الله اقرب الناس **قوله تعالى** لقد نصركم الله في مواطن كثيره ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها وعذب
الذين كفروا وذلك جزا الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشا والله غفور رحيم
لما ذكر في الايه المتقدمه ما تقتضي ترجيح رعاية امر الدين على الاشيا المذكوره علم انه
يشق ذلك على النفوس فذكر ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين يوصله الله الى مطلوبه
من الدنيا ايضا وضرب لهذا امثلا وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة
حنين كانوا في غاية الكثره والقوه فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين ثم في حال الانهزام لما
تضرعوا الى الله قواهم حتى هزموا الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على
الدنيا فاته الدين والدنيا ومتى اطاع الله ورجح الدين على الدنيا اتاه الله الدين والدنيا
على احسن الوجوه وكان ذكر هذا تسليه لاوليك الذين امرهم بمقاطعة الاباء والابناء والاخوان
والازواج والعشيره والاموال والمساكن وبالصبر عليه ووعدهم على سبيل الكرم بانهم
ان فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم الى اقاربهم واموالهم ومساكنهم على احسن الوجوه
مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها مواطن كثيره اي مشاهد واماكن في الحرب يستوطنون
فيها انفسكم على لقاء عدوكم والمواطن الكثيره وقعات بدر وقريظه والنضير والحديبيه وخيبر
وفتح مكه وحنين واد بين مكه والطايف وقيل هو واد الى جانب ذي المجاز ويوم حنين
اي وفي يوم حنين ولا امتناع من عطف ظرف الزمان على المكان وهو يوم حنين على مواطن
كثيره قلت معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيره ويوم حنين ويجوز ان يراد

بلغ بالاصل

كعطف احد المفعولين على الاخر ... زيد او عمرو ... صاحب الكشاف وان قلت كيف عطف الزمان على المكان م

بالمواطن

بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر
لان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك
المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر
ولقايل ان يقول وجوب اضمار فعل ناصب لقوله يوم حنين ممنوع قوله اذ اعجبتكم بدل
من يوم حنين مسلم فلو قلت جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح ممنوع قوله لان كثرتهم لم تعجبهم في
جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها مسلم قوله فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به ممنوع
فانه يجوز اختصاص المعطوف ببدل او صفه او حال وغيرها دون المعطوف عليه خصوصا اذا كانت
قرينه معنويه او لفظيه داله على عدم الاشتراك فلا يقتضي ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه
اشتراكهما في الاعجاب والكثره قوله اذ اعجبتكم كثرتكم قال الثعلبي كانت قصة حنين على ما ذكره
المفسرون بروايات كثيره لفقتها ونسقتها لكونه اقرب الى الافهام واحسن للنظام وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكه وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان ثم خرج متوجها الى حنين لحرب هوازن
في اثني عشر الفا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقا وكانوا يوميذ اكثر ما كانوا وكانوا
المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف فلما التقى الجمعان قال رجل
من المسلمين لن نغلب اليوم من قله فسا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد من قوله
اذ اعجبتكم كثرتكم وقيل قايله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر رضي الله عنه فاقتتلوا
قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم نادوا يا حماة السواد اذكروا الفضايح فتراجعوا
وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثره وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم
مكه وعن قتاده ذكر لنا ان الطلقا انجفلوا يوميذ بالناس وسال رجل البراء بن عازب فقال افررتم يوم
حنين فقال كانت هوازن رماه وانا لما حملنا انكشفوا واكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فانكشف
المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلبي كان حول النبي صلى الله عليه وسلم يوميذ ثلثماية من المسلمين
وانهزم ساير الناس عنه وقيل لم يبق يوميذ مع النبي صلى الله عليه وسلم غير العباس ابن عبد المطلب
وابي سفيان بن الحارث وايمن ابن ام ايمن وقيل لم يبق يوميذ بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا تسعة كلهم من بني هاشم العباس وابناه الفضل وقثم وابو سفيان بن الحارث وابنه وعتبه
ومعتب ابنا ابي لهب وربيعه بن الحارث وعبد الله بن الزبير ولهذا قال العباس نصرنا رسول
في الحرب تسعة وقد فر من قد فر منهم فاقشعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع
وقتل ابن ام ايمن يوميذ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار لا يالو
وكانت بغلته شهبا اهداها له فروة الجذامي قيل للبراء اكان النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ولى دبره
يوم حنين فقال لا والذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط لقد رايته
وابو سفيان ابن الحارث اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام الدابه وهو يقول انا النبي لا كذب انا
ابن عبد المطلب وناهيك بهذه الواحده شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا
من ايات النبوه وقال عليه الصلوة والسلام يا رب ايتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا ناد
يا معشر الانصار يا معشر المهاجرين فجعل العباس ينادي يا عباد الله يا اصحاب الشجره يا اصحاب
سورة البقره فعطف المسلمون حين سمعوا صوته عطفة واحده وهم يقولون لبيك لبيك فالتفت رسول
صلى الله عليه وسلم فاذا عصابة من الانصار فقال هل معكم غيركم فقالوا يا نبي الله لو عمدت الى برك
الغماد من اليمن لكنا معك ثم اقبل المشركون فالتقوهم والمسلمون وتنادت الانصار يا معشر الانصار

ثلثمايه

الله

الله

ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فنادوا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على بغلته كالمتطاول الى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ بيده كفا من الحصبا فرماهم بها وقال
شاهت الوجوه ثم قال انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة قال فوالله ما زال امرهم مدبرا وحدهم
كليلا حتى هزمهم الله قال يعلى بن عطا فحدثني ابناوهم عن ابايهم انهم قالوا لم يبق منا احد يومئذ الا امتلات
عيناه من ذلك التراب وقال يزيد بن عامر كنت في المشركين يومئذ فانصرفنا ما يلقى احدنا احدا الا اعشى
عينا وكان اعيننا عميت فانجز الله وعده وانزل الله جنده ونصر عبده وقهر المشركين ونصر المسلمين عن سعيد بن مسيب
امد الله نبيه بخمسة الف من الملائكة مسومين وعن الحسن ومجاهد كانوا ثمانية الف وعن عطا كانوا
ستة عشر الفا وعن سعيد بن جبير حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى اذا انتهينا الى صاحب
البغلة الشهبا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقانا رجال بيض الثياب حسان الوجوه فقالوا لنا
شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها يعني الملائكة وفي الخبر ان رجلا يقال له
شحن قال للمومنين بعد القتال اين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم الا كهية الشامة
وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا النبي عليه الصلوة والسلام بذلك فقال تلك الملائكة عن الزهري
بلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد ان
اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت
الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرايصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري
فقلت اشهد انك رسول الله وان الله قد اطلعك على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين ولوا مدبرين انطلقوا
حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اوطاس رجلا من الاشعريين
يقال له ابو عامر وامره على الناس فسار اليهم فاقتتلوا بها ثم ان الله هزمهم وسبوا عيال المشركين وهرب
اميرهم مالك بن عوف فاتى الطايف وتحصن بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل امير المسلمين ابو عامر ثم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطايف من فوره ذلك فحاصرهم بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة
وهو شهر حرام لا يحل فيه القتال انصرف عنهم فاتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها السبي والمال
وغنايم حنين واوطاس وتالف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو
والاقرع بن حابس فاعطاهم وجعل يعطي الرجل منهم الخمسين والماية من الابل فقالت الانصار امن الرجل
وابر قومه يا للعجب ان اسيافنا تقطر من دمايهم وان غنايمنا ترد عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو في قبة من ادم فجمعهم فقال لهم يا معشر الانصار ما هذا الذي بلغني عنكم فقالوا هو الذي بلغك
وكانوا لا يكذبون فقال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي وكنتم اذلة فاعزكم الله بي وكنتم وكنتم فقال
سعد بن عبادة ايذن لي فاتكلم قال تكلم قال اما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله بي فلنا كذلك واما قولك كنتم اذلة
فاعزكم الله بي فقد علمت العرب انه ما كان حي من احيا العرب امنع لما ورا ظهورهم منا فقال عمر يا سعد اتدري
من تكلم قال يا عمر اكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله والذي نفسي بيده لو سلكت الانصار واديا
لسلكت وادي الانصار ولولا الهجرة لكنت امرا من الانصار الانصار كرشي وعيبتي فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا
عن مسيهم ثم قال يا معاشر الانصار اما ترضون ان ينقلب الناس بالابل والشا وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم
فقالت الانصار رضينا عن الله ورسوله والله ما قلنا ذلك الا ضنا بالله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم فلما قدم النبي عليه السلام المدينة قام خطيبا فقال اما ان خطيب الانصار
لو شا قال كنت طريدا فاويناك وكنت خايفا فامناك وكنت مخذولا فنصرناك وكنت وكنت لكان قد صدق

فبكى

فبكت الانصار وقالت بل الله ورسوله اعظم علينا منة قوله بما رحبت ما مصدرية والبا بمعنى مع
اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة على ان الجار والمجرور في موضع الحال لقولك دخلت عليه بثياب السفر اي
ملتبسا بها لم احلها يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب
فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المومنين
الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملايكة
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النسا والذراري واخذ الاموال وذلك جزا الكافرين ثم يتوب الله
من بعد ذلك على من يشا فيهديه الى الاسلام ولا يواخذه بما سلف منه والله غفور لعباده المومنين رحيم بهم روي
ان ناسا منهم جاوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر
الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون ان
خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا
فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال ان هولا جاوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال
فلم يعدلوا بالاحساب شيا فاما ما اصاب بنو هاشم فقد رددناه اليهم فمن كان بيده منهم شي وطابت نفسه
ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه ومن لم يرد فغدايته خمسون
من الابل فلما راى الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره قالوا يا رسول الله رضينا وسلمنا فقال
اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفا انهم قد رضوا
وسلموا ورد واجميعا غير رجل واحد وهو صفوان ابن امية لانه وقع على امراة اصابها فحملت منه **قوله**
تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شا ان الله عليم حكيم لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يقرا على
مشركي مكة اول سورة براة وينبذ اليهم عهدهم قال اناس يا اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع
السبيل وبعد الحمولات فنزلت هذه الاية النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس اي ذو قذر
لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي
ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير وعن الحسن بن صالح من صافح مشركا توضا والفقها اتفقوا على طهارة ابدانهم لما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم شرب من اوانيهم ولانه لو كانوا نجسة العين كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام فلا يقربوا
المسجد الحرام قيل اراد بهذا منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام وعن عطا
الحرم كله قبلة ومسجد وتلى هذه الاية عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الحرم الا اهل الجزية
او عبد لرجل من المسلمين ونساهم حل لهم وقيل فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم
هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب
ابو حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك
ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وعند مالك يمنعون من المسجد الحرام ومن غيره من المساجد
وعند الشافعي يمنعون عن المسجد الحرام خاصة والاية مطابقة لقول الشافعي مخالفة لقول ابي حنيفة
بمنطوقه ولقول مالك بمفهومه وعن عطا انه على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخول الحرم ونهي المشركين ان يقربوه
راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا
عن ذلك وان خفتم عيلة فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شا ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب قال

المعسرون كان المشركون يجيئون الى البيت بالطعام ويتجرون ويتبايعون فلما منعوا من دخول الحرم
شق ذلك على المسلمين والقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال لهم من اين تاكلون وتعيشون وقد نفي المشركون
وانقطعت عنهم الميرة فقال المؤمنون يا رسول الله قد كنا نصيب من تجاراتهم وبياعاتهم فالان تنقطع عنا
الاسواق وتهلك التجارة ويذهب ما كنا نصيب فيها من المرافق فانزل الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله قال عكرمة فاغناهم الله من فضله وذلك انه انزل عليهم مطرا مدرارا فكثر خيرهم حين ذهب المشركون
واسلم اهل تبالة وجرش من اهل اليمن فحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب وكفاهم الله ما كانوا
يتخوفون وعن الضحاك وقتادة عوضهم الله منها ما هو خير لهم فامرهم بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية
قوله تعالى
وذلك قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا
يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون نفى عن اهل الكتاب
الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فلا يكون ايمانهم بالله حقيقة والايمان باليوم الاخر
لانهم في اليوم الاخر على خلاف ما يجب ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله
في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل بل حرفوهما واتوا باشياء كثيرة من
قبل انفسهم ولا يدينون دين الحق اي لا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل
اراد الدين الحق واضاف الاسم الى الصفة وقيل الحق هو الله عز وجل ودينه الاسلام يقال فلان
يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده وقيل معناه ولا يطيعون الله طاعة اهل الاسلام وكان من
اطاع ملكا فقد اذل له دينا من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه حتى يعطوا الجزية
الجزية ما يعطي المعاهد على عهده وهي فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه سميت جزية لانها طائفة
مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد
اما ان يراد به يد المعطي فمعناه عن مواتاة غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف
المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة
كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد
ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ واما ان يراد به يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة
مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون
اي يؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم
والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزج في
قفاه واختلف فيمن يضرب عليه الجزية فقال الشافعي تضرب على اليهود والنصارى والصابئين
والسامرة لان سبيلهم في اهل الكتاب سبيل اهل البدع فينا والمجوس لانه قد قيل انهم كانوا من اهل
الكتاب فرفع كتابهم عن سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس
هجر وان عمر اخذها من مجوس السواد وان عثمان اخذها من بربر وعن عمر رضي الله عنه
قال لا ادري كيف اصنع بالمجوس فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب وانما منعنا من نكاح نسائهم واكل ذبائحهم لان اصل الابضاع
والاطعمة على الحظر ولا نقدم عليها بالشك ولا تؤخذ الجزية من عبدة الاوثان من العرب والعجم
وقال ابو حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي الا على مشركي العرب وحدهم
روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من
العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم

والماخوذ عند الشافعي قدر دينار في اخر السنة من كل واحد فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن ولا
يزاد على الدينار الا بالتراضي والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا
عشر درهما ومن المتوسط في الغنا ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا يؤخذ من فقير
لا كسب له **قوله تعالى** وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم
بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون لما ذكر في الاية المتقدمة ان
اليهود والنصارى لا يؤمنون بين في هذه الاية انهم اثبتوا لله ابنا ومن اثبت لله ابنا فلا يؤمن بالله حقيقة
قرا عاصم والكسائي عزير ابن الله بالتنوين لانه عربي وقيل لانه اسم خفيف فوجهه ان ينصرف وان
كان اعجميا مثل نوح ولوط وهود والباقون بغير تنوين لانه غير منصرف لتعريفه وعجمته فانه اسم اعجمي
كعازر وعيزار وعزرائيل قال صاحب الكشاف واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين
كقراءة من قرا احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وعزير
ابن الله مبتدا وخبر كقوله تعالى المسيح ابن الله وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول
كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك
ابن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله وقيل قاله رجل
واحد من اليهود فنحاص بن عازورا فعلى القولين بعض اليهود قال بهذا الا انه نسب الله ذلك الى اليهود
بناء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول ولعله لا يركب الا واحدا منها
وفلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا ويحتمل ان يكون اللام للعهد وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا
فيهم ثم انقطع فحكى الله ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود لذلك فان حكاية الله عنهم اصدق وسبب هذا
القول ما روي عن ابن عباس ان اليهود بعد ان عملوا بالتورية ما شاء الله ان يعملوا اضاعوها وعملوا بغير الحق
وكان التابوت فيهم فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التورية وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا بعد
محا الله التورية من قلوبهم فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله نزل نور من السماء دخل جوفه فعاد اليه الذي كان
محي من قلبه من التورية فاذن في قومه فقال يا قوم قد اتاني الله بالتورية وردها الي فعلق بهم
يعلمهم فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا وهو يعلمهم ثم ان التابوت نزل بعد ذلك فلما راوا التابوت
عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما اوتي عزير هذا الا انه ابن
الله وقيل ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو
غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها
عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل
على هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب ذلك
قولهم بافواههم اي قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته
كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم
ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير ونظيره قوله تعالى يقولون بافواههم ما
ليس في قلوبهم وقيل يجوز ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول الشافعي يريد مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك
مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وقيل ان الانسان
قد يختار مذهبا اما على سبيل الخفية واما على سبيل الرمز والتعريض فاما اذا صرح به وذكره بلسانه
وذلك هو الغاية في اختياره لذلك المذهب والنهاية في كونه ذاهبا اليه قائلا به والمراد هاهنا انهم يصرحون
بهذا المذهب ولا يخفونه اصلا وقيل ان الله لم يذكر قولا مقرونا بذكر الافواه الا كان ذلك القول

دون القوله ويقولون بافواههم وقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا يضاهون يقدم
يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان قول الذين
كفروا يضاهي قول المشركين حين قالوا اللات والعزى ومناه الهة والملايكة بنات الله وقيل قول الذين
كفروا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قول قدمايهم يعني انه كفر قديم فيهم
غير مستحدث وقيل قول النصارى المسيح ابن الله يضاهي قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم قاتلهم الله
اي هم احقا بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنيعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم
عن ابن عباس لعنهم الله وكل شي في القران قتل فهو لعن انى يوفكون كيف يكذبون ويصرفون عن الحق بعد
قيام الدلالة عليه قرا عاصم يضاهئون بالهمز وكسر الها والباقون بغير همز وضم الها تقال ضاهيته وضاهاته
قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه تعالى وصف اليهود والنصارى بضرب اخر من الشرك
الاحبار العلما الواحد حبر وحبر والرهبان جمع راهب وهو الذي تمكنت الرهبة في قلبه وظهرت اثارها
على وجهه ولباسه وفي عرف الاستعمال صار الاحبار مختصا بعلما اليهود من ولد هرون والرهبان
بعلما النصارى اصحاب الصوامع اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله
وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة
قال الله بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان عن عدي بن حاتم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت اليه
وهو يقرا من سورة براة فقرا هذه الايه اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله حتى
فرغ منها فقلت له انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله
فتستحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم والمسيح ابن مريم واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه
للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
امرتهم بذلك ادلة العقل والنظر والنصوص في التورية والانجيل والمسيح عليه انه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة وقيل معناه وما امر المتخذين اربابا الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان
يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد في ان
يكون له شريك في الامر والتكليف وان يكون له شريك في كونه مسجودا او معبودا او ان يكون له شريك
في وجوب نهاية التعظيم **قوله تعالى** يريدون ان يطفيوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون المقصود بيان نوع ثالث من الافعال القبيحة الصادرة عن روسا اليهود والنصارى
وهو سعيهم في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم وجدهم في اخفا الدلايل الدالة على صحة نبوته شبه حالهم
في سعيهم في ابطال نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور
عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاة ليطفيه
بنفخه ويطمسه وانما دخل الا لان في يابى طرفا من الجحد معناه لا يريد الله شيا الا ان يتم نوره
والاباء يفيد زيادة تاكيد في عدم الاراده وهو الامتناع **قوله تعالى** هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون لما حكى الله عن هولاء الكفار انهم يريدون ان يطفيوا
نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره اشار الى كيفية ذلك الاتمام فقال ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق فان اتمام نور الله انما هو برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى
بالمعجزات والايات الدالة على انه رسول من الله ودين الحق اي المشتمل على ما يتبين لكل عاقل انه

معصوم

عاقل انه موصوف بالصلاح والصواب مطابق للحكمة نافع في الدنيا والاخرة ليظهره على كل دين وليظهر
الرسول على اهل الاديان **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم
لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون لما وصف الله روسا اليهود بالتكبر والتجبر وادعا الربوبيه
والترفع على الخلق وصفهم الله في هذه الايه بالطمع والحرص واكل اموال الناس بالباطل تنبيها على
ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبيه والتجبر والتجبر اكل اموال الناس بالباطل ياكلون اي ياخذون
الرشا في احكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بايديهم يقولون هو من عند الله وياخذون بها ثمنا
قليلا وهي الماكل التي كانوا يصيبونها منهم على تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو امنوا به لذهب
عنهم تلك الماكل فاستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله وقيل الاموال
يوكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله ياكلن كل ليلة اكافا ترى علفا يشترى بثمن اكاف ويصدون ويصرفون
الناس ويمنعونهم عن سبيل الله دين الحق قيد ذلك بقوله كثيرا فان الامام ليدل بذلك على ان هذه
الطريقة طريقة بعضهم لا طريقة الكل فان العالم لا يخلو عن المحق واطباق الكل على الباطل كالممتنع وهذا
يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في ساير الامم والذين يكنزون الذهب
والفضة قيل الذين هم الكثير من الاحبار والرهبان فان فيهم اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ
البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير وقيل هم المسلمون الذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة
على من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سوى في الوعيد بالبشارة بالعذاب الاليم عن ابن
عمر كل ما ادى زكوته ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل ما لم يود زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض
وعن جابر بن عبد الله اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس هو بكنز وعن عمر
رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش
امراتك فقال يا امير المومنين اليس بكنز فقال ما ادى زكوته فليس بكنز وعن علي رضي الله عنه كل ما زاد
على اربعة الف درهم فهو كنز اديت زكوته او لم تود وما دونها نفقة وقيل ما فضل عن حاجة صاحبه
فهو كنز شاهده ما روى عن سالم ابن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فشق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
المهاجرون واي مال نتخذ قال عمر فانا اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال
فادركته فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا اي المال نتخذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة مومنة تعين احدكم على دينه وعن ابي ذر قال اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة فلما راني قد اقبلت قال هم الاخسرون ورب الكعبة
هم الاخسرون ورب الكعبة فدخلني غم وجعلت اتنفس قلت هذا شي حدث في هذا اليوم قلت من
هم فداك ابي وامي قال هم الاكثرون الا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن
شماله ومن خلفه وقليل ما هم وروى ان ابا ذر وابا هريرة كانا يقولان كل صفرا او بيضا اوكا عليها
صاحبها فهي كنز حتى يفرقها وعن ابي ذر من ترك بيضا او حمرا كوي بها يوم القيمة وعن ابي هريرة
من ترك عشرة الف درهم جعلت صفايح يعذب بها صاحبها يوم القيامة قبل القضا وروي انه
توفي رجل من اهل الصفة فوجد في ميزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

له وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان والاولى ان الصواب القول الاول
لان الوعيد وارد في منع الزكوة لا في جمع الاموال الحلال يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
من ادى زكوة ماله فقد ادى الحق الذي عليه ومن زاد فهو خير له وقوله عليه الصلوة
والسلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وقول ابن عمر وقد سئل عن هذه الاية فقال من كنزها
فلم يود زكاتها فويل له ثم قال ما ابالي لو كان لي مثل احد ذهبا اعلم عدده ازكيه واعمل بطاعة الله
واصل الكنز في كلام العرب كل شي مجموع بعضه الى بعض على ظاهر الارض كان او في بطنها يدل
عليه قول الشاعر لا در دري ان اطعمت نازلهم قرف الحتي وعندي البر مكنوز اراد مجموعا
بعضها الى بعض ولذلك تقول العرب للشي المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض قال صاحب الكشاف
كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا
من حيث اذن له فيه ويودي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن
بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية
لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا
يذم صاحبه ولكل شي حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو
كنز كلام في الافضل ولم يقل ينفقونهما ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية
وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز
وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار لذلك وانما خص
الذهب والفضة بالذكر من بين ساير الاموال لانهما قانون التمول واثمان الاشيا ولا يكنزهما الا من فضلا
عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم ساير اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما
سواهما فبشرهم بعذاب اليم على سبيل التهكم لان الذين يكنزون الذهب والفضة انما يكنزونهما
ليتوسلوا بهما الى تحصيل الفرج يوم الحاجة فقيل هذا هو الفرج كما يقال تحيتهم ليس الا الضرب
واكرامهم ليس الا [illegible] يوم يحمى عليها قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا
قيل يحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي توقد
ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم يحمى لم يعط هذا المعنى ويوم منصوب بقوله
فبشرهم وذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل
يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار اليها كقولك رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت
رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرا تحمى بالتا فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم خص هذه
الاعضا لان الغني صاحب الكنز اذا راى الفقير انقبض جبينه واذا ضمه واياه مجلس ازور عنه وولى
ظهره عنه وقيل لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة
عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون
ومن اكل الطيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعم الثياب يطرحونها على ظهورهم
كما ترى اغنيا زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل انهم يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم
وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول يقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع
به انفسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما كنزتموه لتستضر به انفسكم وتعذب
وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون اي ذوقوا وبال ما كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين

قوله

قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض
منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
واعلموا ان الله مع المتقين هذه بيان نوع اخر من قبايح افعال الكفار وهو اقدامهم على تغيير احكام
الله فانه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص غيروا تلك الاوقات فكان ذلك زيادة في كفرهم ان عدة
شهور السنة عند الله اي في حكم الله وعلمه اثنا عشر شهرا لا اقل ولا ازيد في كتاب الله فيما اثبته من حكمه
وراه حكمة وصوابا وقيل في اللوح وقيل في قضائه الذي قضاه الله يوم خلق السموات والارض
منها من الشهور اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى
وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسي الذي كان في الجاهلية
وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في القعدة ذلك الدين القيم اي الحساب
المستقيم وقيل ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب
قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه واخيه
لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسي فغيروا فلا تظلموا فيهن في الاشهر الحرم
انفسكم بالعمل بمعصية الله وترك طاعته وقيل لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا
كما فعل اهل الشرك وعن ابن عباس باستحلال القتال والغارة فيهن قال قتادة لان العمل الصالح والاجر
اعظم في الاشهر الحرم والذنب والظلم فيها سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من امره
ما شاء ويصطفي من خلقه صفايا وقاتلوا المشركين كافة جميعا عامة غير مختلفين مؤتلفين كما يقاتلونكم كافة
حال من المفعول او الفاعل واعلموا ان الله مع المتقين نامرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها
قوله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما
ليواطيوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين قرا
نافع وابو عمرو وعاصم وحمزة والكساي وابن عامر النسي ممدودا مهموزا وهو مصدر يقال نساه
نسا ونسأ ونسيا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وابن كثير النسي باسكان اليا وعن ابن كثير وورش
النسي بالتشديد من غير همز اي المتروك قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم من النسيان ويحتمل ان يكون
اصله الهمز فخففه والنسي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات
فاذا جا الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة ومكثهم ثلثة اشهر حرم متوالية لا يغيرون
فيها شيا فرفضوا تخصيص الاشهر الحرم وكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله
ليواطيوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص
الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم
الوقت ولذلك قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها
والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام
القابل يروى انه حدث في كنانة لانهم كانوا فقرا محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف
الكناني مطاعا في الجاهلية فكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه فجعل النسي زيادة في الكفر
لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة
ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون قيل ان العرب كانت تحرم الشهور الاربعة وكان ذلك
مما تمسكت به من ملة ابرهيم الخليل وابنه اسمعيل عليهما السلام وكانت العرب اصحاب حروب

وغارات تشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متواليه لايغيرون فيها شيا وقالوا لين توالت علينا ثلاثة
اشهر حرم لانصيب فيها شيا لنهلكن وانما نصيب على ظهور دوابنا وربما احتاجوا مع ذلك الى تحليل المحرم او
غيره من الاشهر الحرم لحرب يكون بينهم فيكرهون استحلاله ويكرهون تاخير حربهم فنسوا اي اخروا تحريم ذلك الشهر
الى الشهر الذي يليه وكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم ويقولون هذا اخر الصفرين
وقد تاول بعض الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا صفر على هذا ثم يحتاجون ايضا الى تاخير صفر الى الشهر
الذي بعده لحاجتهم الى تاخير المحرم فيوخرون تحريمه الى ربيع ثم يمكثون بذلك ما شا الله ثم يحتاجون الى مثله
ثم لذلك فكذلك يتدافع شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم السنه كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم
الى موضعه الذي وضعه الله به وذلك بعد دهر طويل وعن مجاهد كان المشركون يحجون في كل شهر عامين
فحجوا في ذي الحجه عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت حجة ابي بكر رضي الله
عنه التي حجها قبل الوداع في السنه الثانيه من ذي القعده ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام القابل حجة
الوداع فوافقت ذي الحجه فذلك حين قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الا ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعده وذو الحجه
والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان اراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ان اشهر الحج رجعت
الى مواضعها وعاد الحج الى ذي الحجه وبطل النسي قيل اول من نسا النسا بنو مالك بن كنانه وقيل اول
من فعل ذلك رجل من بني كنانه يقال له نعيم بن ثعلبه وكان من بعد نعيم رجل يقال له جناده بن عوف
وهو الذي ادركه الرسول صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ان اول من نسا النسا عمرو بن لحيي قرا
اهل المدينه وعاصم وابو عمرو يضل بفتح اليا وكسر الضاد لانهم هم الضالون يحلونه عاما ويحرمونه عاما
وقرا اهل الكوفه يضل على البنا للمفعول فاسندوا الفعل الى المفعول لقوله تعالى زين لهم سوء اعمالهم
يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطيوا ليوافقوا وعن ابن عباس ليشبهوا زين لهم سوء اعمالهم
والله لا يهدي القوم الظالمين **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل لما ذكر الله
قبايح افعال هولا الكفار وفضايحهم عاد الى الحث على قتالهم ذكر في الايات السابقه اشيا كثيره مستدعيه
لقتالهم ومنافع معدوده مترتبه على مقاتلتهم فلا يبقى للانسان مانع من قتالهم الا خوف القتل وحب الحيوة
فبين تعالى ان هذا المانع خسيس لان سعادة الدنيا يسير وسعادة الاخرة جليل وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
شر عظيم وقيل هذا حث من الله تعالى على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطايف
اقام بالمدينه فامر الناس بجهاد الروم في سنة عشر فاستقروا في وقت عسرة من الناس وجدب من البلاد
وشدة من الحر حين ايبعت الثمار وطالت مع بعد الشقه وكثرة العدو فشق عليهم غزو الروم واحبوا الظلال
والمقام في المسكن والمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يخرج في غزاة الا ورى عنها بغيرها
الا في غزوة تبوك لبعد مشقتها وليتاهب الناس فامرهم بالجهاد واخبرهم بالذي يريد فلما علم
الله تثاقل الناس انزل الايه ما لكم اي شي امركم اذا قال لكم رسول الله انفروا اخرجوا في سبيل الله
اصل النفر مفارقة مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك اثاقلتم اصله تثاقلتم فادغمت التا في الثا
واحدث لها الف ليتوصل الى التلفظ بها فان الابتدا بالساكن متعذر وتثاقلتم معناه تباطاتم
وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم
مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع وقيل ملتم الى الاقامه بارضكم ودياركم
ارضيتم بالحيوة الدنيا بخفض الدنيا ودعتها من الاخرة بدل الاخرة وعوضا عنها كقوله تعالى

عام

النسي

لجعلنا

وا

لجعلنا منكم ملايكة اي لجعلنا بدلكم ملايكة فما متاع الحيوة الدنيا في جنب الاخرة الا قليل **قوله تعالى** الا تنفروا
يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيا والله على كل شي قدير لما حثهم في الايه الاولى على الجهاد
اوعدهم في هذه الايه على ترك الجهاد وسخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق متناول
عذاب الدارين وان يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح
تثاقلهم فيه شيا وقيل هو احتباس المطر عنهم سيل ابن عباس عن هذه الايه فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيا من احيا العرب فتثاقلوا عنه فامسك عنهم المطر فكان ذلك العذاب ايهم وقيل اراد بقوله
قوما غيركم ابنا فارس وقيل اهل اليمن ولا تضروه اي ولا تضروا الرسول شيا لان الله وعده
ان يعصمه الله من الناس وان ينصره ووعد الله كاين لا محاله وقوله الا تنصروه فقد نصره الله
اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل
الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله
عزيز حكيم ذكر الله طريقا اخر حثا على الجهاد والمعنى ان لم تنصروه فقد نصره الله الذي نصره
حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره
في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت اذ اخرجه الذين كفروا من مكه حين مكروا به واراد وانبيته وهموا
بقتله واسند الاخراج الى الذين كفروا لانهم هموا بقتله اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني
اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثه وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه
عنه وانتصاب ثاني على الحال اذ هما في الغار وهو نقب في اعلى ثور وهو جبل بمكه على مسيرة ساعه مكثا
فيه ثلثا اذ اخرجه منصوب بقوله نصره الله وقوله اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه وقوله
اذ يقول بدل ثان اي اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
لا تحزن ان الله معنا بالعون والنصرة ولم يكن حزن ابي بكر جبنا منه ولا سو ظن وانما كان اشفاقا منه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه رضي الله عنه قال يا رسول الله ان قتلت فانا رجل واحد وان قتلت
هلكت الامه عن انس ان ابا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو ان احدا
نظر الى تحت قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما عن علي وكان لابي بكر منيحه من
غنم فكان عامر بن فهيره يروح بتلك الغنم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغار وقال قتاده
كان عبد الرحمن بن ابي بكر يختلف اليهما فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج جاءهم بناقتين
فانطلقوا فكانوا اربعة النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعامر بن فهيره وعبد الله بن اريقط
الليثي وعن الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله زوجا من حمام
حتى باضا في اسفل النقب والعنكبوت فنسجت عليه فلما جا الذين في طلبهما فروا بيض الحمام وبيت
العنكبوت قالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم عن دخوله فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون فاخذ الله ابصارهم
عنه عن ابن سيرين ذكر رجال في عهد عمر فكانهم فضلوا عمر على ابي بكر رضي الله عنهما فبلغ ذلك عمر
فقال لليلة من ابي بكر خير من ال عمر وليوم من ابي بكر خير من ال عمر لقد خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة انطلق الى الغار ومعه ابو بكر فجعل يمشي ساعه بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا بكر ما لك تمشي ساعه بين يدي وساعه خلفي فقال يا رسول
الله اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي امامك فقال يا ابا بكر لو كان شي احببت
ان يكون بك دوني قال نعم والذي بعثك بالحق فلما انتهينا الى الغار قال يا رسول الله مكانك حتى استبري

عمر على
ح

قوله

الغار فدخل فاستبراه حتى اذا كان في اعلاه ذكر انه لم يستبرئ الجحر فاستبراه ثم قال انزل يا رسول الله
فقال عمر والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال النبي
ولم يجزع بوقري ونحن في سدف من ظلمة الغار لا تخش شيئا فان الله ثالثنا وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من يخشى بوادره كيد الشياطين وقد كادت لكفار والله مهلكهم طرا بما صنعوا وجاعل المنتهى منهم
الى النار قال من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة فانزل الله سكينته
سكونه وطمانينته عليه اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر الصديق رضي الله
عنه فاما النبي صلى الله عليه وسلم فكانت السكينة عليه قبل ذلك وايده بجنود لم تروها وهم الملائكة يوم
بدر والاحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا اي دعوة الكفر السفلى اي المقهورة المغلوبة
وكلمة الله هي العليا وهي مبتدا او الضمير فصل والعليا خبره وفيه تاكيد فضل كلمة الله في العلو
وانها المختصة به دون سائر الكلم وعن ابن عباس الكلمة السفلى كلمة الشرك والعليا لا اله الا الله
قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم
لكم ان كنتم تعلمون لما توعد المتثاقلين عند امرهم بالنفر في سبيل الله ورغبهم في الجهاد
وذكر امورا مرغبة فيه عقبه بهذا الامر الجزم خفافا شبابا وثقالا اشياخا وقيل خفافا من المال
اي فقراء وثقالا اي اغنياء وقيل خفافا لا ضيعة لهم وثقالا لهم ضياع يكرهون ان يدعوا ضياعهم ويخرجوا
وقيل خفافا الى النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم وقيل خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا
لكثرتها وقيل خفافا من السلاح وثقالا منه وقيل خفافا ركبانا وثقالا مشاة وقيل خفافا مهازيل
وثقالا سمانا وقيل خفافا صحاحا وثقالا مراضا وقيل خفافا عزابا وثقالا متاهلين وقيل
خفافا مسرعين خارجين ساعة استماع النفير يقال خف الرجل خفوفا اذا مضى مسرعا وثقالا اي
بعد التروية فيه والاستعداد له وقيل خفافا من حاشيتكم وثقالا متكثرين بهم والاولى ان يحمل
على الكل لا تنافي بينها عن ابن مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال
نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن
صفوان ابن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته
يريد الغزو فقلت يا عم اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا
الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت
احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل
فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجابا للجهاد
بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال ومقتضى الملائمة ذلكم خير لكم قيل كيف يصح ان
يقال الجهاد خير من القعود عنه ولا خير في القعود عنه اجيب عنه من وجهين احدهما ان لفظ
خير مستعمل في معنيين احدهما هذا خير من ذاك والثاني انه خير في نفسه لقوله تعالى لما انزلت الي من
خير فقير وقوله وانه لحب الخير لشديد ويقال الثريد خير من الله اي هو خير في نفسه حاصل من الله
وقوله ذلكم المراد هذا الوجه الثاني وثانيهما ان معناه ما يستفاد بالجهاد من نعيم الاخرة
خير مما يستفيده القاعد من الراحة والتنعم ولذلك قال ان كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في
الاخرة على الجهاد لا يدرك الا بالتامل ولا يعرفه الا المومن الذي عرف بالدليل ان القول بالقيامة
حق وان القول بالثواب والعقاب صدق **قوله تعالى** لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك
ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون

لما بالغ في الحث على الجهاد وكان قد ذكر قبل هذا يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل
عاد الى تقرير كونهم متثاقلين لو كان ما تدعوهم اليه عرضا قريبا غنيمة حاضرة العرض ما عرض لكم من منافع
الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر وسفرا قاصدا وسطا مقاربا قيل سفرا اذا قصد
سلمنا مر ولا بن وراح وقيل سهلا قريبا وقيل هو طريق مقصود فجعل صفته على تقدير فاعل كقوله عيشة
راضية وماء دافق لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة وقيل هي السفر البعيد سميت شقة لانها تشق
على الانسان وسيحلفون بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلف
المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون
بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا يسد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد
القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة
الابدان كانهم تمارضوا يهلكون انفسهم قيل بدل من سيحلفون وقيل هو حال بمعنى مهلكين والمعنى يوقعون
انفسهم في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف وقيل يجوز ان يكون حالا من قوله
لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة
وجاء على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا
يقال حلف بالله ليفعلن لافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية **قوله تعالى**
عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ظهر من الاية المتقدمة انه
تخلف طائفة من ذلك الغزو ولم يتبين ان ذلك التخلف كان باذن الرسول ام لا فلما قال بعد عفا الله
عنك لم اذنت لهم دل على ان من المتخلفين من تخلف باذنه صلى الله عليه وسلم قدم العفو على العتاب تنبيها
على انه تعالى معتن بشانه متفضل باحسانه وقيل ان الله عز وجل وقره وعظم امره ورفع محله بافتتاح
الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل لمخاطبه اذا كان كريما عنده عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي ورضي الله
عنك الا زرتني وعافاك الله ما عرفت حقي ولا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التعظيم والتبجيل
وقال علي بن الجهم فيما خاطب به المتوكل وقد امر بنفيه عفا الله عنك الا حرمة تجود بفضلك يا ابن العلا
الم تر عبدا عدا طوره ومولى عفاه ورشدا هدي وقيل معناه ادام الله لك العفو قال صاحب
الكشاف عفا الله عنك كناية عن الجناية قوله لان العفو رادف لها ممنوع فانه يجوز ان يراد به
المبالغة في تعظيمه وتوقيره كما ذكر وايضا يجوز ان يكون كناية عن ترك الاولى فانه اذا كان امران
متساويين في الفضل واحدهما افضل من الاخر يستعمل العفو عند ترك الافضل واختيار الاخر
شاهده قوله صلى الله عليه وسلم اول الوقت رضوان الله واخر الوقت عفو واما قوله اخطات
وبئس ما فعلت فهو في غاية البشاعة والشناعة قيل لا اعلم كيف ذهب الى هذا القول الشنيع وانه العلم
في استخراج لطائف المعاني وذهب عنه ان في امثال هذه الاشارات اشعارا بتعظيم المخاطب وتوقيره
لم اذنت لهم لم يرد به الانكار لانه ان لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ذنب امتنع الانكار عليه وان
صدر عنه ذنب فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو عنه وبعد حصول العفو لم يتوجه
الانكار عليه فيحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاجمل لا سيما في هذه الواقعة المتعلقة
بالحروب ومصالح الدنيا ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك
بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب عنه وعن قتادة
وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين

واخذ من الاسارى فعاتبه الله كلا تسمعون **قوله تعالى** لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله
واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وسلم
ابدا في الجهاد فان ربنا ندبنا الى الجهاد مرة بعد اخرى فاي فايدة في الاستيذان ولنجاهدن
معه باموالنا وانفسنا وكانوا بحيث لو امرهم الرسول بالقعود لشق عليهم ذلك الا ترى الى علي بن ابي
طالب لما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبقى في المدينة شق ذلك عليه ولم يرض الى ان قال
له الرسول صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل لا بد ههنا من اضمار اخر
لان ترك استيذان الامام في الجهاد غير جائز فالتقدير لا يستاذنك هولاء في ان لا يجاهدوا والاية
حذف لا كما في قوله يبين الله لكم ان تضلوا والذي دل على هذا المحذوف ان ما قبل الاية وما
بعدها يدل على ان حصول هذا الذم انما كان على الاستيذان في القعود والله عليم بالمتقين
شهادة لهم بالانتظام في سلك المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك يعني المنافقين
وكانوا تسعة وثلثين رجلا بين الله تعالى ان هذا الاستيذان لا يصدر الا عند عدم الايمان
بالله واليوم الاخر ووجود الارتياب والشك فهم في ريبهم يترددون معناه ان الشاك المرتاب
يبقى مترددا بين النفي والاثبات غير حاكم باحد القسمين ولا جازم باحد النقيضين والتردد
ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر والحاصل ان المومن لا يستاذن للتخلف
عن الغزو والاستيذان للتخلف عن الغزو يختص بالمنافقين **قوله تعالى** ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين عدة قوة واهبة
وهي المتاع والكراع عن ابن عباس العدة الزاد والماء والراحلة لان سفرهم بعيد في زمان شديد
وتركهم العدة دليل على انهم ما ارادوا الخروج بل ارادوا التخلف وقيل هذا اشارة الى
انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن كره الله انبعاثهم خروجهم
فثبطهم فمنعهم وحبسهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به والمعنى انه تعالى كره خروجهم
فصرفهم عنه وقيل اقعدوا في بيوتكم مع القاعدين يعني المرضى والزمنى والصبيان والنساء ذم
لهم وتعجيز والحاق بهولاء الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون
والخوالف وبيانه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف **قوله تعالى** لو خرجوا فيكم ما
زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين
بين الله في هذه الاية انواع المفاسد الحاصلة من خروجهم وهي ثلثه الاول زيادة الخبال وهي الفساد
والشر والغدر والمكر قيل الا خبالا استثنا منقطع وليس بمستقيم لان الاستثنا المنقطع هو ان يكون
المستثنى من غير جنس المستثنى منه نحو قوله ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام
غير مذكور وحينئذ وقع الاستثنا من اعم العام الذي هو الشي فكان استثنا متصلا لان الخبال بعض اعم
العام كانه قيل ما زادوكم شيا الا خبالا الثاني ايضاع ركابهم بينكم اي ولسعوا بينكم بالتضريب
والنمايم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعها صاحبها ايضاعا اي
حد بها واسرع والمعنى ولاوضعوا ركابهم بينكم والمراد بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وقيل الاسراع
الفرار في اوساطكم واصل الخلال من الخلل وهو الفرجة بين الشيئين او بين القوم في الصفوف
وغيرها يبغونكم الفتنة عيا ولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم

الاسراع

وقيل يبغون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم ومغزاكم يقولون لقد جمع لكم وفعل وفعل يخذلونكم وقيل
الفتنة العنت والشر وقيل الكفر النوع الثالث قوله وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلون
اليهم وقيل وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم والله عليم بالظالمين انفسهم بسبب كفرهم ونفاقهم وغيرهم
بسبب انهم سعوا في القاء غيرهم **قوله تعالى** لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق
وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ايذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة
بالكافرين ذكر الله تعالى ابتغاهم الفتنة من قبل وقعة تبوك اي طلبوا صد اصحابك عن الدين
وردهم الى الكفر والعنت ونصب الغوايل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كفعل عبد الله ابن
ابي يوم احد حين انصرف عنك باصحابه وقيل وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة
وهم اثنى عشر رجلا ليفتكوا به من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور واجالوا الفكر في ابطال دينك والراي
بالتحويل عنك ودبروا لك الحيل والمكايد حتى جاء الحق النصر والظفر وقيل الحق تاييدك ونصرك وظهر امر الله
اي غلب دين الله وعلا شرعه وهم لمجي هذا الحق ولظهور امر الله كارهون ومنهم من يقول ايذن لي نزلت
في الجد بن قيس المنافق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال له يا جد هل لك في جلاد
بني الاصفر تتخذ منهم سراري ووصفا يعني الروم سموا بذلك لان الحبش غلبت على ناحية الروم فولدت لهم
بنات قد اخذن من بياض الروم وسواد الحبش فكن من احسن النسا فلما قال ذلك له رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال جد يا رسول الله لقد عرف قومي الانصار اني مستهتر بالنسا واني اخشى ان رايت بنات الاصفر
ان لا اصبر عنهن ايذن لي في القعود ولا تفتني في الفتنة اي الاثم واعينك بمالي فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم
وقال قد اذنت لك فانزل الله ومنهم اي ومن المنافقين من يقول ايذن لي بالتخلف والقعود ولا تفتني
ببنات الاصفر الا في الفتنة اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة الشرك والنفاق والتخلف وخلافهم
امر الله ورسوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي انها تحيط بهم يوم القيامة وقيل هي محيطة بهم الان
لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها **قوله تعالى** ان تصبك حسنة تسوهم وان تصبك
مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو
مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون ذكر الله نوعا اخر من خبث بواطنهم وان تصبك في بعض الغزوات
حسنة نصر وغنيمة وظفر تسوهم تحزنهم يعني المنافقين وان تصبك مصيبة نكبة قتل وهزيمة وشدة في
بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل هذه المصيبة اي امرنا الذي نحن متسمون
به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم فيقولوا عن محمد صلى الله عليه وسلم قتل ويتولوا عن مقام التحدث بذلك
والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون معجبون بما نالك من المصيبة قل لهم يا محمد لن يصيبنا خير
ولا شر ولا رجا ولا خوف ولا رخا ولا شدة الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا واللام في
قوله لنا مفيد معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصر عليكم
او الشهادة هو مولانا ولينا وناصرنا وحافظنا ومتولي امورنا وعلى الله وحق المومنين ان لا يتوكلوا على غير
الله فليفعلوا ما هو حقهم **قوله تعالى** قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل يا محمد لهم هل تربصون
تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اما النصر والغنيمة مع الاجر الكبير واما القتل والشهادة وفيها
الفوز الكبير عن ابي هريرة قال رسول الله تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمانا بالله وتصديقا
لرسوله ان يرزقه الشهادة او يرده الى اهله مغفورا له مع ما نال من اجر وغنيمة ونحن نتربص بكم احدى
السوتين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده فيهلككم كما اهلك الامم الخالية غير

الله م

ابن عباس يعني الصواعق او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر ان اظهرتم ما في قلوبكم فتربصوا
بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا نتجاوزه وعن
الحسن تربصوا مواعيد الشيطان انا معكم متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه وكان
الشيطان يمني المنافقين موت النبي صلى الله عليه وسلم قوله فتربصوا امر التهديد **قوله تعالى** قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا
وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون لما بين في الاية الاولى ان عاقبة هولاء المنافقين ان يصيبهم الله بعذاب
من عنده او بايدينا بين في هذه الاية ان انفاقهم طوعا او كرها غير مقبول قل يا محمد لهولاء المنافقين انفقوا في
سبيل الله وجوه البر وهو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم
انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقول
الشاعر اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي ولا نلومك اساءت الينا او احسنت وانما يجوز نحو هذا اذا دل الكلام عليه
كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له ولا بد في مثل هذا من نكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لغيره امتحن لطف محلك
عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تتفاوت حالي معك مسيئة كنت ام محسنة وفي
معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى في الاية انفقوا
وانظروا هل يتقبل منكم او استغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه قوله
لن يتقبل منكم اي لن يتقبل رسول الله منكم ويرد عليكم ما تبذلون منه او لن يتقبل الله منكم ويكون ذاهبا
هباء لا تثابون له قوله طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين من غير الزام من الله ورسوله او مكرهين
ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه وقيل معناه طائعين من
غير اكراه من رؤساكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم
قرا حمزة والكسائي كرها بضم الكاف ههنا وفي النساء والاحقاف وعاصم وابن عامر في الاحقاف بالضم
بمعنى المشقة وفي النساء والتوبة بالفتح من الاكراه والباقون بالفتح في الكل فقيل هما لغتان وقيل بالضم المشقة
وبالفتح الاكراه وعن ابن عباس نزلت الاية في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال يا رسول الله
هذا مالي اعينك به فاتركني انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو
وما منعهم ان تقبل قرا عاصم وحمزة والكسائي وخلف يقبل بالياء لتقدم الفعل والباقون بالتاء على التانيث قوله
انهم فاعل منع قوله ان تقبل مفعوله بين الله تعالى بصريح هذا اللفظ ان المانع من القبول الكفر فدل ان
الفسق لا يحبط الطاعات فانه تعالى قال انكم كنتم قوما فاسقين فكان سائلا سال وقال هذا الحكم
صار معللا بعموم كون تلك الاعمال فسقا او بخصوص تلك الاعمال موصوفة بتلك الفسقية فبين تعالى
ما ازال هذه الشبهة وهو كون عدم القبول غير معلل بعموم كونه فسقا بل بخصوص وصفه وهو كون ذلك
الفسق كفرا ودل صريحا على ان الكفر هو المانع من قبول نفقاتهم لا الفسق مطلقا ولا مانع من كون عدم
القبول معللا بالكفر والكسل في اتيان الصلوة والانفاق على سبيل الاكراه فان هذه معرفات لا موثرات
ولا منافاة بين قوله طوعا وبين قوله وهم كارهون لان المراد بقوله طوعا انهم يبذلونه من غير الزام من رسول
الله او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار ولا ياتون الصلوة
الا وهم كسالى متثاقلون لانهم لا يرجون بادائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها
لكبيرة الا على الخاشعين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم يعدونها مغرما لا مغنما **قوله تعالى**
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون لما قطع
في الاية الاولى رجاء المنافقين عن جميع منافع الاخرة بين في هذه الاية ان الاشياء التي يظنونها من باب المنافع

في الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا للتعذيب في الدنيا الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور راض به متعجب من
حسنه والمعنى فلا تحسبن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا من اموالهم واولادهم لان العبد اذا كان من
الله في استدراج كثر ماله وولده انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا عن مجاهد وقتادة والسدي
في الاية تقديم وتاخير اي فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم في الاخرة
وعن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا باخذ الزكوة والنفقة في سبيل الله وقيل بالمصائب
فيها وقيل بالتعب في جمعه والوجل في حفظه والكره في انفاقه وتزهق اي تخرج وتذهب انفسهم وهم كافرون
على الكفر يقال زهقت الخيل اذا خرجت من الحلبة وزهق السهم اذا خرج من الجانب الاخر وزهق ما عندك
من المال اذا فني **قوله تعالى** ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات
او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ثم عاد الى ذكر فضائحهم وقبائحهم ويحلفون اي المنافقين يحلفون بالله لكم ايها
المومنون انهم لمنكم لمن جملتكم وعلى دينكم وما هم من جملتكم ولا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما نفعل
بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام فرقا لو يجدون ملجا مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة
او جزيرة او مغارات غيرانا في الجبال وقيل سراديب وقيل كل ما غرت فيه اي غبت فهي مغارة وهي مفعلة من
غار الرجل في الشيء يغور فيه اذا دخل فيه ومنه غار الماء وغارت العين اذا دخلت في الحدقة ومنه غور تهامة
والغور ما انخفض من الارض او مدخلا موضع دخول وهو مفتعل من ادخل يدخل قال مجاهد محلا
محرزا وقال قتادة سربا وقال الكلبي نفقا يتنفق فيه اليربوع وقال الضحاك ماوى ياوون اليه وقال الحسن
وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن كيسان دخلا من اهل حربكم لا ينالهم منكم ما يخافون
من القتل لولوا اليه هربا منكم وهم يجمحون يسرعون اسراعا في اباءهم ونفورهم لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو
الذي اذا حمل لم يرده اللجام **قوله تعالى** ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم
يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
انا الى الله راغبون هذا من جملة قبائحهم ومن المنافقين من يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك
عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما قال ابن عباس كانت غنائم
هوازن يوم حنين اذ جاءه ابن ذي الخويصرة اصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي
فاضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع
صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا
يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم ايتهم رجل اسود في احدى يديه مثل
ثدي المراة وفي غير هذا الحديث فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم يخرجون فنزلت ومنهم
من يلمزك الاية قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان عليا حين
قاتلهم وانا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي نزلت في المؤلفة
قلوبهم وهم المنافقون قال رجل منهم يقال له ابو الجواظ الا ترون الى صاحبكم انما يقسم
صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما
كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال صلى الله عليه وسلم احذروا هذا
واصحابه فانهم منافقون ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف اهل مكة يومئذ بتوفر الغنائم عليهم فضجر المنافقون
منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجاوا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم

رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم
وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنينا ويخولنا فضله راغبون وفي ان يوسع
علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من اموال الناس عن ابن عباس راغبون فيما يعطينا من الثواب
ويصرف عنا العقاب **قوله تعالى** انما الصدقات للفقرا والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم لما لمز المنافقون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الله لهم ان مصرف الصدقات هولاء ولا تعلق للرسول بها ولا اخذ لنفسه
نصيبا منها فلم يبق لهم طعن في الرسول بسبب اخذ الصدقات انما تفيد قصر جنس الصدقات على الاصناف
المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما
الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم قال الامام ههنا مقامان الاول بيان الحكمة في اخذ
القليل من الاغنيا وصرفه الى المحتاجين من الناس الثاني بيان حال هولاء الاصناف الثمانية المذكورين
في هذه الاية اما الاول فنقول الحكمة في ايجاب الزكوة امور بعضها مصالح عائدة الى معطي الزكوة وبعضها عائد
الى آخذ الزكوة اما الاول فهو امور منها ان المال محبوب لانه من اعظم الوسائل الى تحصيل المطالب
التي هي محبوبة وما يتوسل به الى المحبوب محبوب لكن الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حب الله
وعن التاهب للآخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالك المال باخراج طائفة منه من يده ليصير ذلك الاخراج
كسرا من شدة الميل الى المال ومنعا من انصباب النفس بالكلية اليها وتطهير للنفس عن رجس محبة ما يذهلها
عن حب الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اي عن حب الدنيا
واما الثاني فهو ايضا امور منها ان المال ليس المطلوب منه عينه فان الذهب والفضة لا
ينتفع بهما في اعيانهما الا في الامور القليلة بل المقصود من خلقتهما ان يتوسل بهما الى تحصيل المنافع ودفع
المضار فالانسان اذا حصل له من المال بقدر حاجته كان هو اولى من اختصاص غيره به واما اذا
فضل المال على قدر الحاجة وحضر انسان آخر محتاج فههنا حصل سببان كل منهما يوجب تملك
ذلك المال اما في حق المالك فلانه اكتسبه وتعلق قلبه به واما في حق الفقير فلاحتياجه اليه
توجب تعلقه به فالسببان متعارضان فاقتضت الحكمة الالهية رعاية كل من السببين بقدر الامكان
رعاية المالك من جهة الاكتساب ورعاية الفقير من جهة الحاجة فرجح جانب المالك بابقاء الكثير
عليه وصرف الى الفقير جزء يسير منه توفيقا بين المتعارضين بقدر الامكان واما المقام
الثاني فهو بيان حال هولاء الاصناف الثمانية المذكورين في هذه الاية عن ابن عباس والحسن
وجابر ابن زيد والزهري ومجاهد الفقير المتعفف عن المسئلة والمسكين المحتاج السائل
وعن الضحاك وابرهيم والنخعي الفقرا فقرا المهاجرين والمساكين من لم يهاجر من المسلمين المحتاجين
وعن قتادة الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليس الفقير الذي لا مال له ولكن الفقير الاخلق الكسب وعن عكرمة الفقرا فقرا المسلمين
والمساكين من اهل الكتاب وعن ابي بكر العبسي واى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكفوفا مطروحا
على باب المدينة فقال له عمر مالك قال استكروني في هذه الجزية حتى كف بصري تركوني فليس احد
يعود علي بشي فقال عمر ما انصفت اذا فامر له بقوته وما يصلحه ثم قال هذا من الذين قال الله
انما الصدقات للفقرا هم زمنى اهل الكتاب وعن ابن عباس المساكين هم الطوافون والفقرا
فقرا المسلمين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين هذا الطواف الذي يطوف على الناس

ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ويستحي ان يسال
الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وقيل الفقرا اهل الصفة لم يكن لهم عشاير ولا اموال
يلتمسون الفضل ياوون الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين الطوافون على الابواب
وقيل المسكين الذي يخشع ويستكن وان لم يسال والفقير الذي يتجمل ويسال الشي سرا ولا يخشع وقيل
الفقير الذي لا مال له وله البلغة من العيش والمسكين الذي لا شي له واحتج بقول الشاعر واما الفقير
الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد فجعل له حلوبة وجعله وفقا لها اي قوتا لا فضل فيه
يدل عليه ما روى عبد الرحمن بن ابزى قال كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد
والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله الى انهم فقرا وجعل لهم سهما من الزكوة وعن محمد بن مسلمة الفقير الذي
له المسكن والخادم والذي هو اسفل من ذلك المسكين الذي لا ملك له قال وكل محتاج الى شي فهو مفتقر اليه
وان كان غنيا عن غيره قال الله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والمسكين المحتاج الى كل شي الم تركيف
حض على طعامه وجعل الكفارات من الاطعمة ولا فاقة اعظم من الحاجة الى سد الجوعة واما قوله
تعالى اما السفينة فكانت لمساكين فان تسميتهم مساكين على جهة الرحمة والاستضعاف لا لكمالهم السفينة
كما يقال لمن امتحن بنكبة او دفع الى بلية مسكين وفي الحديث مساكين اهل النار وقال مساكين اهل الحب
حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر لا خلاف في ان الفقرا والمساكين هم المحتاجون الذين
لا تفي خرجهم بدخلهم وذهب الشافعي واصحابه الى ان الذي يكون اشد حاجة هو الفقير وذهب ابو حنيفة
واصحابه الى ان الذي يكون اشد حاجة هو المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقرا والمساكين
والله تعالى وصفهم بهذين الوصفين والمقصود شي واحد وهو قول ابي يوسف ومحمد
واختيار ابي علي الجبائي وقال ذكرهم الله باسمين لتوكيد امرهم في الصدقات لانهم هم الاصول في الاصناف
الثمانية وليصرف اليهم من الصدقات سهمان لا لاسايرهم حجة الشافعي انه تعالى انما اثبت الصدقات
لهولاء الاصناف دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم وهذا يدل على ان الذي وقع الابتدا يكون اشد
حاجة لان الظاهر وجوب تقديم الاهم على المهم وان كونه مسكينا لا ينافي كونه مالكا للمال بدليل قوله
تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ولم نجد في كتاب الله ما يدل على ان الانسان يسمى فقيرا مع انه
يملك شيا حجة ابو حنيفة قوله تعالى او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وذلك يدل
على نهاية الشدة وانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة ولا فاقة اعظم من الحاجة الى ازالة الجوع
اجيب عن تمسكهم بالاية بانه لما قيد المسكين المذكور ههنا بكونه ذا متربة دل ذلك على انه قد يوجد مسكين
لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فايدة وعن جعل الكفارات له بانه اوجب صرفه الى
المسكين المقيد بكونه ذا متربة وهذا ادل على انه اوجب الصرف الى مطلق المسكين والعاملين
عليها هم الصنف الثالث يعني سعاتها وجباتها الذين يتولون قبضها في حقها ويعملون عليها يعطون
ذلك بالسعاية اغنيا كانوا او فقرا قدر اجور اعمالهم وكلها على تقليد الولاية كما يقال فلان عامل على
بلد كذا اذا كان واليا عليه والمؤلفة قلوبهم هم الصنف الرابع قيل هم اشراف من العرب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم على ان يسلموا فرضخ لهم شيا منها حين كان في الاسلام
قلة قال الكلبي هم ذوو الشرف من الاحيا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم ليحسن اسلام
قومهم وهم الذين قسم بينهم يوم حنين الابل اختلفوا في المؤلفة قلوبهم اليوم وهل يعطون
من الصدقة وغيرها ام لا قال الحسن اما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم وقال الشعبي انه لم يبق
في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم احد انما كانوا على عهد رسول الله فلما ولي ابو بكر انقطعت

الرسي وهذا قول اهل العراق يدل عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاء عيينه بن
حصن فقال قل الحق من ربكم فمن شا فليومن ومن شا فليكفر ان الاسلام اجل ان يرشي عليه اي ليس اليوم
مولفه وروى ابو عوانه عن مهاجر ابي الحسن قال اتيت ابا وايل وابا برده بالزكوه وهما على بيت المال
فاخذاها ثم جيت مرة اخرى فوجدت ابا وايل وحده فقال ردها فضعها مواضعها قلت فما اصنع بنصيب
المولفه قلوبهم قال رده على الاخرين وقال ابو جعفر محمد بن علي اليوم المولفه قلوبهم ضربان ضرب مشركون
فلا يعطون وضرب مسلمون اشراف مطاعون يجاهدون فيتقوى بهم المسلمون فارى ان يعطوا من سهم
النبي صلى الله عليه وسلم وهو خمس الخمس ما يتالفون به سوى سهامهم مع المسلمين يدل عليه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اعطى المولفه قلوبهم بعد ان فتح الله عز وجل عليه الفتوح وفشا الاسلام فاعز اهله
فاما سهمهم من الزكوه فارى ان يصرف في تقوية الدين وسد خلة المسلمين ولا يعطى مشرك يتالف على الاسلام
لان الله اغنى دينه عن ذلك وفي الرقاب هذا هو الصنف الخامس اي وفي فك الرقاب عن الرق قال
اكثر الفقها هم المكاتبون وهو قول الشافعي والليث بن سعد ويروى ان مكاتبا قام الى ابي موسى الاشعري
وهو يخطب الناس يوم الجمعه فقال ايها الامير حث الناس علي فحث عليه ابو موسى فالقى الناس ملاه وعمامه وخاتما
حتى القوا سوادا كثيرا فلما راى ابو موسى ما القى الناس قال اجمعوه فجمعوه ثم امر به فبيع فاعطى المكاتب
مكاتبته ثم اعطى الفضل في الرقاب ولم يرده على الناس وقال انما اعطى الناس في الرقاب وقال ابن عباس
والحسن تعتق منه الرقاب وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابي عبيد وابي ثور وقال سعيد بن جبير
والنخعي لا تعتق من الزكوه رقبه كامله ولكن يعطى في رقبه ويعان به مكاتب وهو قول ابي حنيفه وابي
يوسف ومحمد وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف لكل مكاتب ممن يدعي الاسلام والنصف الثاني
تشترى به رقاب ممن قد صلى وصام وقدم اسلامه من ذكر او انثى يعتقون قال اصحابنا والاحتياط
في سهم الرقاب دفعه الى السيد باذن المكاتب والدليل عليه انه تعالى اثبت الصدقات للاصناف
الاربعه الذين تقدم ذكرهم بلام التمليك وهو قوله انما الصدقات للفقرا الى ذكر الرقاب
ابدل حرف اللام بالحرف في فقال وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فايده وتلك الفايده هي
ان الاصناف الاربعه المتقدمه يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات حتى يتصرفوا فيها كما شاوا واما
الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقبتهم عن الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف في ذلك النصيب
كيف شاوا بل يوضع في الرقاب بان يودى عنهم وكذا القول في الغارمين يصرف المال الى قضا ديونهم
وفي الغزاة يصرف المال الى اعداد ما يحتاجون اليه في الغزو وفي ابن السبيل كذلك والحاصل
ان في الاصناف الاربعه الاول يصرف اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاوا وفي الاربعه الاخيره لا
يصرف اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبره في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكوه
والغارمين هم الصنف السادس قال الزجاج اصل الغرم في اللغه لزوم ما يشق والغرام العذاب
اللازم وسمي العشق غراما لكونه امرا شاقا ومنه فلان مغرم بالنسا اذا كان مولعا بهن وسمي الدين غرما
لكونه شاقا على الانسان ولازما له فالمراد بالغارمين المديونون الذين ركبتهم الديون ولا يملكون
بعدها ما يبلغ النصاب وعن قتاده هم قوم ركبتهم الديون في غير املاق ولا تبذير ولا افساد وعن
مجاهد الغارمون من احترق بيته او ذهب السيل بماله او ادان على عياله وعن ابي جعفر
الباقر الغارمون الذين يستدينون في غير فساد ينبغي للامام ان يقضي عنهم من بيت المال
وقال ابن زيد الغارم الذي يدخل عليه الغرم قال الشافعي الغارمون صنفان صنف اذا نوا
في مصلحتهم او في معروف او غير معصيه ثم عجزوا عن ادا ذلك في العوض والنقد فيعطون في غرمهم
وصنف

وصنف اذانوا في حمالات وصلاح ذات بين ومعروف ولهم عروض ان بيعت اضرتهم
فيعطى هولا وان وفر عروضهم وذلك اذا كان دينهم في غير فسق ولا تبذير ولا معصيه فاما
من ادان في معصية الله فلا ارى ان يعطى وفي سبيل الله هذا هو الصنف السابع هم فقرا
الغزاه والمرابطين وقال ابو حنيفه وابو يوسف ومحمد لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا
منقطعا وعن الشافعي ومالك واسحق وابو عبيد وابو ثور يعطى الغازي منها وان كان غنيا
يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقه لغني الا لخمسه رجل عمل عليها او رجل اشتراها
بماله او في سبيل الله او ابن السبيل او رجل كان له جار تصدق عليه فاهداها له واعلم ان
ظاهر لفظ في سبيل الله لا يقتضي القصر على الغزاه فلهذا نقل القفال عن بعض الفقها انهم اجازوا
صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبنا الحصون وعمارة المساجد لان قوله
في سبيل الله عام يتناول الكل وابن السبيل هذا هو الصنف الثامن المسافر المجتاز المنقطع
عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله عن مجاهد والزهري لابن السبيل حق في الزكوه
وان كان غنيا اذا كان منقطعا وقال مالك وفقها العراق هو الحاج المنقطع وقال الشافعي ابن
السبيل من جيران الصدقه الذين يريدون السفر في غير معصيه فيعجزون عن بلوغ سفرهم
الا بمعونه وقال قتاده هو الضيف ومذهب ابي حنيفه انه يجوز لرب المال صرف الصدقه
الى من يشا من الاصناف الثمانيه وانما سمى الله الاصناف الثمانيه في الايه اعلاما منه ان
الصدقه لا تخرج من هذه الاصناف الى غيرها لا ايجابا لقسمتها بينهم وهو قول عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وحذيفه وابن عباس وابن جبير وعطا وابي العاليه وميمون ابن مهران عن
سعيد بن جبير في قوله انما الصدقات للفقرا الايه قال اي هذه الاصناف وجدت اجزا
ان تعطيه وحده صدقتك وكان الشافعي رضي الله عنه يجري الايه على ظاهرها يقول اذا
تولى رب المال فان عليه وضعها في ستة اصناف لان سهم المولفه ساقط وسهم العاملين
يبطل بقسمته اياها وان تولى الامام قسمتها فعليه ان يقسمها على سبعة اصناف ولا يجزي
ان يعطى كل صنف منهم اقل من ثلثه انفس ولا يصرف منه سهم ولا شي عن اهله ما دام من اهله احد
يستحق ذلك ولا يخرج من بلد وفيه اهله ويرد حصة من لم يوجد من اهل السهمين على من وجد منهم
وهو قول عمر بن عبد العزيز وعكرمه والزهري ولا بد من التسويه في هذه الاصناف مثلا اذا
وجدت خمسة اصناف ولزمك ان تتصدق بعشرة دراهم جعلت العشره خمسة اسهم كل سهم درهمان
ولا يجوز التفاضل ثم يلزمك ان تدفع الى كل صنف درهمين واقل عدد هم ثلثه ولا يلزمك التسويه
بينهم ولك ان تعطي فقيرا درهما خمسة اسداس وفقيرا اسدس درهم قوله فريضه في معنى
المصدر الموكد لان قوله انما الصدقات للفقرا معناه فرض الله الصدقات لهم فريضه
وذلك كالزجر عن مخالفة هذا الظاهر والله عليم بمقادير المصالح حكيم لا يشرع الا ما هو الاصوب
قوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن
بالله ويومن للمومنين ورحمة للذين امنوا منكم والذين يوذون رسول الله منكم لهم عذاب اليم
ثم رجع الى ذكر المنافقين اي ومن المنافقين الذين يوذون النبي صلى الله عليه وسلم نزلت
في جماعة من المنافقين كانوا يوذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم
لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا وقال الاخرون بل نقول ما شينا ثم

ناتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن سامعه فانزل الله الاية الاذن الرجل الذي يصدق كل
ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعه ونظيره قولهم للربيئة
عين ومن جملة ايذائهم قولهم فيه هو اذن قل اذن خير لكم كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح
كأنه قال نعم هو اذن ولكن نعم الاذن وقيل هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وليس باذن
في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما
ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويصدق للمؤمنين الخلص
من المهاجرين والانصار وانما عدى الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق الذي هو نقيض
الكفر وباللام الى المؤمنين لانه قصد السماع من المؤمنين وسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم
صادقين عنده فعدى باللام وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع
منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين فهو اذن
كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان
كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب
والغرة قرا عاصم في رواية البرجمي عن ابي بكر عنه والحسن والاعمش اذن خير مرفوعين
منونين على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم معناه ان كان محمد
كما وصفتموه فان يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم لانه حينئذ يقبل
معاذيركم ولا يكافئكم على سوء خلقكم وقرا حمزة ورحمة بالخفض على معنى اذن خير واذن
رحمة والباقون بالرفع بمعنى هو اذن وهو رحمة جعل الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفتاح الرحمة
ومصباح الظلمة والذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ان كل من اذاه استوجب
العذاب الاليم لانه اذا كان يسعى في ايصال الخير والرحمة اليهم مع كونهم في غاية الخزي
والخبث ثم انهم مع ذلك يقابلون احسانه بالاساءة وخيراته بالشرور فلا شك انهم يستحقون العذاب
الاليم من الله **قوله تعالى** يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين
هذا نوع اخر من قبائح افعال المنافقين وهو اقدامهم على اليمين الكاذبة فيما هذا بناء على
ما تقدم يعني يؤذون النبي ويسيئون القول فيه ثم يحلفون لكم وعن السدي وقتادة اجتمع ناس
من المنافقين فيهم جلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال
له عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد
حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كذاب
وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يقول اللهم صدق الصادق
وكذب الكاذب وقد كان قال بعضهم في ذلك يا معشر المنافقين والله اني لارى انا شر خلق الله
ولوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا فانزل الله هذه الاية
وعن مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزاة تبوك فلما رجع رسول الله
تبوك اتوا الى المؤمنين يعتذرون اليهم من تخلفهم ويعتلون ويحلفون فانزل الله يحلفون بالله
والخطاب للمؤمنين فقيل ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله
بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسوله

فكانا

فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله جبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله
كذلك وقيل انما خص الله نفسه بالذكر لانه هو العالم بالاسرار والضمائر واخلاص القلب لا يعلمه الا هو
قوله تعالى الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم
يحادد الله يخالف الله والمحادة المخالفة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والضمير في انه
ضمير الشان والمعنى ان الشان كذا والفائدة فيه تعظيم الامر الذي يذكر بعده كان ذكر الشيء مبهما اشد
تعظيما واوقع في النفس من ذكره مفسرا ابتداء فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه
فله وان تكررت ان في قوله انه توكيد او قيل هو معطوف على انه وجواب من محذوف تقديره الم يعلموا
انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم **قوله تعالى** يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم عن مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشي علينا سرنا
قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون اي محصل مبرز انزال السورة وقيل ان الله مظهر ما تحذرونه
اي تحذرون اظهاره من نفاقكم عن قتادة كانت تسمى هذه السورة الفاضحة والمثيرة والمبعثرة
اثارت مخازيهم ومثالبهم وعن الحسن كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة حفرت ما في قلوب
المنافقين واظهرته وعن ابن كيسان نزلت هذه السورة في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شانه وتنكروا
له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب
وجوه رواحلهم فضرب بها حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة الا تبعث اليهم فتقتلهم
قال اكره ان يقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة قيل يا رسول الله وما الدبيلة
قال شهاب من جهنم يضعه على نياط فؤاد احدهم حتى تزهق نفسه فكان كذلك فان قيل المنافق كافر بالوحي
فكيف يحذر نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم اجيب بان هذا حذر اظهره المنافقون على
وجه الاستهزاء حين راوا الرسول يذكر كل شيء ويدعي انه عن الوحي وكان المنافقون يكذبون بذلك فيما بينهم
فاخبر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وامره ان يعلمهم انه مظهر سرهم الذي حذروا ظهوره
ولذلك قال استهزءوا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين كانها تقول لهم في قلوبهم كيت وكيت
يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر
المنافقون استهزءوا امر تهديد كقوله اعملوا ما شئتم **قوله تعالى** ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة
بانهم كانوا مجرمين عن ابن عمر وقتادة وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب قال رجل من المنافقين في غزاة تبوك ما رايت
مثل هؤلاء القراء ارغب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف بن مالك
الى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته
فقال يا رسول الله انما كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر كاني انظر اليه متعلقا
بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ما يلتفت اليه ولا يزيد على ذلك وعن قتادة بينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يظن

ان نفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم احبسوا على
الركب فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك انما كنا نخوض
ونلعب ولكن كنا في شيء مما نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله وآياته لم يعبا باعتذارهم لانهم
كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء
حيث جعل المستهزا به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا
تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد
ايمانكم بعد اظهاركم الايمان وقيل قد كفرتم بقولكم هذا او اقراركم ان نعف عن طائفة باحداثهم التوبة
واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه وقيل
ان نعف عن طائفة منكم لم يوذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزوا فلم نعذبهم في العاجل
نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين موذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرا عاصم ان نعف
بالنون مفتوحة وفا مضمومة ونون مضمومة وكسر الذال طائفة بالنصب والباقون بضم اليا في نعف
والتاء في تعذب على البنا للمفعول قيل الطائفة في هذه الاية رجل واحد يقال له مخشي بن حمير الاشجعي انكر
عليهم بعض ما سمع ولم يمالهم عليه وجعل يسير مجانبا لهم فلما نزلت هذه الاية بري من نفاقه وقال
اللهم اني لا ازال اسمع اية تقرعني بها تقشعر منها الجلود وتوجل منها القلوب اللهم اجعل وفاتي في سبيلك
لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فيمن قتل فما احد من المسلمين الا قد وجد
وعرف مصرعه غيره **قوله تعالى** المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون
عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون هذا نوع اخر من
فضائح المنافقين وقبائحهم والمقصود بيان ان المنافقات كالمنافقين في تلك الافعال القبيحة والخصال
الخبيثة بعضهم من بعض في صفة النفاق كما يقول الانسان انت مني وانا منك اي امرنا واحد يعني
انهم صنف واحد وعلى امر واحد والمقصود نفي ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم يحلفون بالله انهم لمنكم
وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المومنين يامرون بالمنكر بالكفر
والمعصية وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم يمسكونها ويكفونها عن الصدقة
والنفقة في الحق ولا يبسطونها بالخير واصله ان المعطي يمد يده ويبسطها بالعطا وقيل لمن بخل ومنع قد
قبض يده ومنه قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي ممسكة عن النفقة نسوا الله اي تركوا طاعة
الله واغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم الله من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته وفضله في العقبى
ان المنافقين هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير **قوله تعالى**
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم
لما بين الله تعالى انه نسي المنافقين والمنافقات بسبب تركهم الايمان والطاعة اكد هذا الوعيد وضم
المنافقين الى الكفار فيه فقال تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ولا شك
ان الخلود في نار جهنم اشد العقوبات هي حسبهم اي تلك العقوبات كافيتهم دلالة على عظم عذابها وانه
لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه ولعنهم طردهم وابعدهم من رحمته واهانهم مع التعذيب ولهم عذاب
نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار وقيل معناه ولهم عذاب مقيم معهم في
العاجل لا ينفكون وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه
ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم **قوله تعالى** كالذين من قبلكم كانوا اشد
منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا

اولئك

اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون هذا رجوع عن الغيبة الى الخطاب والكاف
للتشبيه قيل محلها الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي انتم مثل الذين من قبلكم وقيل محلها النصب
على انه صفة لمصدر محذوف اي فعلتم فعلا مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا
ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كالذين من قبلكم تشبيه منهم لم يعلم انهم فيم
شبهوا بمن قبلهم وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم وجه الشبه هو القوة
والمال والتشبيه تمثيلي لما فيه من تشبيه حال المخاطبين بحالهم والمعنى انتم كالذين من قبلكم ذوي قوة
وشدة واصحاب اموال ابطرتهم قوتهم واموالهم حتى اشتغلوا بهما وتوانوا من حظوظ الدنيا وسهوا بها عن طلب
الفوز برضوان الله فبطل ما كانوا فيه وخسروا خسرانا مبينا كانوا اشد منكم قوة وبطشا ومنعة واكثر اموالا
واولادا فاستمتعوا فتمتعوا وانتفعوا بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا ورضوا به عوضا من الاخرة والخلاق النصيب
وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت وعن ابي هريرة والحسن
بخلاقهم بدينهم فسلكتم ايها المنافقون والكافرون سبيلهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
وخضتم في اللهو والباطل والكذب على الله وتكذيب رسوله والاستهزا بالمومنين كالذي خاضوا كالفوج الذي
خاضوا او كالخوض الذي خاضوه قال صاحب الكشاف فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا
قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية
عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد
ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير
حق ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن
باسناده اليه عن تلك التقدمة اولئك حبطت اعمالهم اي بطلت اعمالهم في الدنيا بسبب الموت والفقر والانتقال
من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وفي الاخرة بسبب انهم لا يثابون بل يعاقبون اشد العقاب
واولئك هم الخاسرون حيث اتعبوا انفسهم في الرد على الانبيا والرسل فما وجدوا منه الا فوت الخيرات
في الدنيا والاخرة والا حصول العقاب في الدنيا والاخرة وقوله حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين **قوله تعالى** الم ياتهم نبا الذين
من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فيما تقدم بين اولئك
الكفار فذكر هولا الطوائف الستة اولهم قوم نوح الم ياتهم اي المنافقين والكافرين نبا خبر
الذين من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا امرنا كيف اهلكناهم وعذبناهم فقال قوم نوح بالخفض
بدلا من الذين قوم نوح اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود بالرجفة وقوم ابراهيم
بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين واهل مدين يعني قوم شعيب بعذاب يوم الظلة والموتفكات
مداين قوم لوط بالمسافات التي جعلت عاليها سافلها وقيل الموتفكات قريات قوم لوط وهود وصالح
وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم اي اتت كل هولا الطوائف رسلهم بالبينات
فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يا معشر المنافقين والكفار فعجل الله هلاكهم فاحذروا تعجيل النقمة
فما كان الله فما صح منه ان يظلمهم لان العذاب الذي اوصله الله اليهم ما كان ظلما من الله لانهم
استحقوه بسبب افعالهم القبيحة ومبالغتهم في تكذيب انبيائهم ولكن ظلموا انفسهم حيث تعرضوا به
فاستحقوا عقابه **قوله تعالى** والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض يامرون بالمعروف

ويهنون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اوليك سيرحمهم الله ان الله
عزيز حكيم وعد الله المومنين والمومنات جنات تجرى من تحتها الانهر خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن
ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم لما بالغ فى وصف المنافقين بالافعال القبيحه والاعمال الخبيثه
ثم ذكر عقيبه انواع الوعيد فى حقهم فى الدنيا والاخره ذكر بعد هذه الايه كون المومنين موصوفين بصفات
الخير واعمال البر ضد صفات المنافقين ثم ذكر بعد هذه الايه انواع ما اعد الله لهم من الثواب الدايم
والنعيم المقيم بعضهم اوليا بعض فى الدين والملة والعون والنصر والرحمة والمحبه فى مقابله قوله فى المنافقين
بعضهم من بعض عن جرير ابن عبد الله سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول للمهاجرين والانصار بعضهم اوليا بعض
فى الدنيا والاخره والطلقا من قريش والعتقا من ثقيف بعضهم لبعض اوليا بعض فى الدنيا والاخره قال الامام فان
قيل ما الفايده فى انه تعالى قال فى صفة المنافقين بعضهم من بعض دل على ان نفاق الاتباع وكفرهم حصل بسبب
التقليد لاوليك الركاب وبسبب مقتضى الهوا والطبيعه والعاده اما المولفه الحاصله بين المومنين
فانما حصلت لا بسبب الميل والعاده بل بسبب المشاركه فى الاستدلال والتوفيق والهدايه ولما وصف المومنين بكون
بعضهم اوليا بعض ذكر بعد ما جرى مجرى التفسير فقال يامرون بالمعروف بالايمان والخير وينهون عن المنكر
ما لا يعرف فى شريعه ولا سنه قال ابو العاليه كل ما ذكر الله تعالى فى كتابه من الامر بالمعروف فهو الدعا
من الشرك الى الاسلام والنهى عن المنكر فهو النهى عن عبادة الاوثان والشيطان ويقيمون الصلوة المفروضه
ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اوليك سيرحمهم الله السين مفيد وجود الرحمه لا محاله
فهى يوكد الوعد كما يوكد الوعيد فى قولك سانتقم منك يوما يعنى انك لا تفوتنى وان تباطا ذلك ونحوه
سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يوتيهم اجورهم ان الله عزيز غالب على
كل شى قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم مدبر امر عباده على ما تقتضيه الفضل والعدل
والصواب لما ذكر الوعد فى الاية الاولى على الاجمال ذكر فى هذه الايه على التفصيل فانه وعد بالرحمه
ثم بين فى هذه الايه ان تلك الرحمه هى هذه الاشيا ومساكن طيبه منازل طيبه فى جنات عدن عن
الحسن قصورا من اللولو والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن
التى وعد الرحمن يدل عليه ما روى ابو الدردا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار
الله التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثه النبيون والصديقون والشهدا
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هى مدينه فى الجنه وقيل نهر جناته على حافاته قال
الامام هذا هو البرهان العظيم القاطع على ان السعادات الروحانيه اشرف واكمل من السعادات
الجسمانيه والمذهب الصحيح الحق وجوب الاقرار بهما معا كما جمع الله بينهما فى هذه الايه ذلك الفوز
العظيم الانسان مخلوق من جوهرين لطيف علوى روحانى وكثيف سفلى جسمانى وانضم اليهما
حصول سعاده وشقاوه فاذا حصلت الخيرات الجسمانيه والمذهب الصحيح الحق وجوب الاقرار
بهما معا كما جمع الله بينهما فى هذه الايه ذلك الفوز العظيم وانضم اليها حصول السعادات
الروحانيه كان الروح فايزا بالسعادات اللايقه بها ولا شك ان ذلك هو الفوز العظيم
وقيل انه تعالى من فى صفة المنافقين انهم تشبهوا بالكفار الذين كانوا قبلهم فى التنعم بالدنيا
وطيباتها ثم انه تعالى وصف فى هذه الايه ثواب المومنين ثم قال ذلك الفوز العظيم والمعنى
هذا هو الفوز العظيم لا ما يطلبه المنافقون ورضوان من الله وشى من رضوان الله اكبر
من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعاده لانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته
والكرامه اكبر اصناف النعيم ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر فى نفسه مما وراه
من

من النعم وانما تهنيا له رضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذه وان عظمت عن ابى سعيد
الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنه يا اهل الجنه فيقولون
لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا يا ربنا اى شى افضل من ذلك قال احل لكم رضوانى
ولا اسخط عليكم بعده ابدا ذلك اشاره الى ما وعد او الى الرضوان اى هو الفوز العظيم وحده دون
ما يعده الناس فوزا **قوله تعالى** يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم
جهنم وبيس المصير لما وصف المنافقين بالصفات الخبيثه وتوعدهم بانواع العقاب وكانت عادته
فى هذا الكتاب الكريم جاريه بذكر الوعد مع الوعيد ذكر عقيبه وصف المومنين بالصفات الشريفه
ووعدهم بالثواب العظيم ثم امر النبى بجهاد الكفار والمنافقين اى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالحجه عن ابن مسعود جهاد المنافقين بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع
فليلقه فى وجهه عن ابن عباس باللسان وترك الرفق وعن الضحاك وابن جريج بتغليظ الكلام
وعن الحسن وقتاده باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم فى الجهادين ولا تحابيهم **قوله
تعالى** يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما
نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما
فى الدنيا والاخره وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا فى ظل حجره فقال انه سياتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فاذا جا فلا تكلموه فلم يلبثوا ان
طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله فقال يا غلام لم تشتمنى انت واصحابك فانطلق الرجل فجاه
باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله هذه الايه وعن الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى تبوك فكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اهل النفاق ما هذا الذى بلغنى عنكم فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ما قالوا شيا من ذلك فانزل الله الايه تكذيبا لهم وعن الكلبى نزلت فى الجلاس ابن سويد وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس
والله لين كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر
ابن قيس الانصارى للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار فلما انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينه اتاه عامر فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله على ما قلت شيا من ذلك
فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر وحلف
بالله الذى لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد
قاله وما كذب عليه ثم رفع عامر يده الى السما فقال اللهم انزل على نبيك الصادق منا الصدق
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون آمين ونزل جبريل قبل ان يتفرقا بهذه الايه
حتى بلغ الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فقال الجلاس يا رسول الله اسمع الله قد عرض على التوبه
صدق عامر فيما قال لك ولقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله منه ثم تاب
فحسنت توبته وعن قتاده ذكر لنا ان رجلين اقتتلا رجل من جهينه ورجل من غفار وكانت جهينه
حلفا الانصار وظهر الغفارى على الجهنى فنادى عبد الله بن ابى يا بنى الاوس انصروا اخاكم
فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك ثم قال لين رجعنا الى المدينه ليخرجن
الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه

فجعل يحلف بالله ما قال فانزل الله الاية يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر هو الطعن
في نبوته ونسبته الى الكذب والتصنع في ادعا الرسالة والاولى ان يحمل هذه الاية على ما روي ان
المنافقين هموا بقتله عند رجوعه من تبوك وهم خمسة عشر رجلا تعاهدوا ان يدفعوه عن راحلته
الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر اخذ بخطام راحلته وحذيفة خلفها يسوقها
فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعدا
الله فهربوا والظاهر انهم لما اجتمعوا لذلك الغرض قد طعنوا في نبوته ونسبوه الى الكذب والتصنع
في ادعا الرسالة وذلك هو قول كلمة الكفر وكفروا واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما
لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكلبي هم خمسة عشر رجلا هموا بان يقتلوا النبي
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاخبر جبرائيل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هو رجل
من قريش يقال له الاسود هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على
الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله ابن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا منهم
وما انكروا منهم وكلاما واسوا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله وذلك ان مولى الجلاس قتل فامر له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى وقال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
في ضنك من عيشهم لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
استغنوا بالغنائم وهذا المثل المشهور اتق شر من احسنت اليه فان يتوبوا من نفاقهم وكفرهم يك خيرا
لهم وان يتولوا يعرضوا عن الايمان يعذبهم الله عذابا اليما شديدا في الدنيا والاخرة بالنار وما لهم في الارض
من ولي ولا نصير **قوله تعالى** ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما
اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا
الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب
اعلم ان هذه السورة اكثرها في شرح احوال المنافقين وهم اصناف فذكرهم على التفصيل
ومنهم من عاهد الله روي ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني
مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ
غنما فنمت كما تنمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا
بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا
جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يكلماه ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب
على راسه فقال له رسول الله هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وجا
بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان قوله لئن اتانا من فضله اي اتانا المال
باي طريق كان سوا كان بطريق التجارة او بطريق الاستغنام او بغيرهما لنصدقن الاصل لنتصدقن ادغمت التا
في الصاد لقربها منها ولنكونن من الصالحين اي لنعملن ما عمل اهل الصلاح وعن ابن ثعلبة عاهد الله تعالى لئن اتانا
من فضله لنصدقن ولنحجن فلما اتاهم من فضله بخلوا به منعوا الحق وتولوا عن العهد وهم معرضون عن تكليف
الله وامره فاعقبهم الله نفاقا في قلوبهم اي فاتبعهم وقيل فجازاهم وعن الحسن وقتادة ان الضمير المستتر في فاعقبهم

يعني

بالقتل والخزي

عباس كانه

يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه قال صاحب الكشاف
والظاهر ان الضمير لله والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا
بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث
النفاق قوله والظاهر ان الضمير لله صحيح قوله والمعنى فخذلهم باطل لانه عدول عن الظاهر من غير دليل
بل مع وجود الدليل الدال على ان الظاهر هو الحق قال صلى الله عليه وسلم اية المنافق ثلث اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر والاية يستفاد منها هذه الخصال فالعهد من قوله عاهدوا
الله والوعد من قوله لنكونن من الصالحين والكذب من قوله بما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم وهو
ما ينطوي عليه صدورهم ونجواهم ما تفاوض فيه بعضهم بعضا فيما بينهم وهو ماخوذ من النجوى وهو الكلام
الخفي وان الله علام الغيوب والعلام مبالغة في العلم والغيب ما كان غائبا عن الخلق والمراد انه تعالى
عالم بجميع المعلومات فيكون عالما بالضماير والسراير فكيف يمكن الاخفا منه **قوله تعالى** الذين يلمزون المطوعين
من المومنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم
هذا نوع اخر من اعمالهم القبيحة وهو لمزهم من اتى بالصدقات طوعا الذين محله النصب او الرفع
على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم المطوعين المتطوعين المتبرعين
من المومنين في الصدقات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث اصحابه على الصدقة فجاء عبد الرحمن
بن عوف باربعة الف درهم فقال يا رسول الله مالي ثمانية الف جئتك باربعة الف فاجعلها في سبيل الله
وامسكت اربعة الف لعيالي فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك
الله في مال عبد الرحمن حتى صولحت امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم ابن عدي بمائة وسق
من تمر وجا ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي
واتيتك بالاخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى
عبد الرحمن وعاصم الا ريا وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم يعني ابا عقيل فيسخرون منهم سخر الله اي
جازاهم لقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعا الا ترى الى قوله لهم عذاب اليم **قوله تعالى** استغفر لهم
او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر
لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت
سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وفيه معنى الشرط والتقدير ان استغفرت لهم او لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم
للتكثير والسبعون عند العرب غاية مستقصاه لانه جمع سبعة والسبعة تمة عدد الخلق كالسموات والارض والبحار
والاقاليم والاعضا في بعض التفاسير ان تستغفر لهم سبعين مرة بازا صلواتك على حمزة لن يغفر الله لهم ذلك
بانهم كفروا بالله فبين ان العلة التي لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وان بلغ سبعين مرة هي كفرهم وفسقهم
الكامل مانع من الهداية وهذا المعنى قايم في الزيادة على السبعين فصار هذا التعليل شاهدا بان المراد قطع
الطمع في ان ينفعهم استغفار الرسول مع اصرارهم على كفرهم ويؤيده قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين
والمعنى ان فسقهم الكامل مانع من الهداية **قوله تعالى** فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا
يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون

وهذا الامر في معنى الخ

هذا نوع آخر من قبائح أفعال المنافقين وهو فرحهم بالقعود وكراهتهم للجهاد المخلفين الذين استأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين وخلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك او الذين
خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو وعن ابن عباس يريد المدينة
فعلى هذا المقعد اسم للمكان خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مخالفة لرسول الله لانهم خالفوه
حين ساروا واقاموا وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وقيل خلاف
رسول الله اي خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا او لم يظعنوا ويقوي هذا
الوجه قراءة عمرو بن ميمون خلف رسول الله فالخلاف اسم للجهة المعينة كالخلف وكرهوا ان يجاهدوا
والفرح بالاقامة يدل على كراهة الذهاب فذكره للتأكيد وقيل المراد ان طبعهم مال الى الاقامة
لاجل الفهم تلك البلد واستيناسهم باهلهم وولدهم وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض المال
والنفس للاهدار والقتال وهذا التعريض المؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما
فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض فكره ذلك المنافقون
وكيف لا يكرهونه وليس فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر
وكانت غزاة تبوك في شدة الحر فمنعتهم من الخروج مع رسول الله قل لهم يا محمد نار جهنم اشد حرا
استجهالا لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل
من كل جاهل فليضحكوا قليلا اي فسيضحكون قليلا وسيبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر
للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره وقيل تقديره فليضحكوا قليلا فسيبكون كثيرا جزاء بما
كانوا يكسبون وعن ابي موسى الاشعري ان اهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو اجريت
السفن في دموعهم لجرت ثم انهم ليبكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه فليبك وعن ابن عباس ان
اهل النفاق ليبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم قوله تعالى فان رجعك
الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم
بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين لما بين مخازي المنافقين وقبائح افعالهم بين من بعد ما
عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ان الصلاح ان لا يستصحبهم في غزواته لان خروجهم معه فيه مفاسد
فان رجعك الله ردك الله يا محمد الى طائفة من المخلفين وانما قال الى طائفة منهم لانه ليس كل من تخلف
عن تبوك كان منافقا فاراد بالطائفة المنافقين منهم وقيل لان منهم من تاب من النفاق وندم على
التخلف او اعتذر بعذر صحيح فاستأذنوك للخروج معك في غزوة اخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا
معي ابدا الى غزوة وسفر ولن تقاتلوا معي عدوا عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا
النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين ثم انه تعالى علل ذلك المنع بقوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة في غزاة
تبوك فاقعدوا مع الخالفين عن ابن عباس الذين تخلفوا عن رسول الله في غزاة تبوك بغير عذر وعن الضحاك
النساء والصبيان وقيل المرضى والزمنى وقيل مع المخالفين يقال عبد خالف وصاحب خالف اذا كان مخالفا
وقيل خساس الناس وادنياؤهم يقال فلان خالفة اهله اذا كان دونهم وقيل من اهل الفساد من قولهم
خلف الرجل على اهله اي خلف خلوفا اذا افسد والاولى ان يحمل على الجميع قوله تعالى ولا تصل على احد
منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون انه تعالى امر رسوله
ان يسعى في اهانتهم واذلالهم فمنعهم من الخروج معه الى الغزوات سبب قوي من اسباب اهانتهم
وفي هذه الآية منع الرسول من الصلوة على من مات منهم وهو اقوى الاسباب في اذلالهم واهانتهم
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق

عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال صلى الله عليه وسلم اهلكك
حب اليهود قال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي
جلده ويصلي عليه فلما مات انطلق ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه الى جنازته فساله النبي صلى الله عليه وسلم
عن اسمه قال الحباب فقال صلى الله عليه وسلم انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان ثم انطلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قام ليصلي عليه قال له عمر ابن الخطاب يا رسول الله اتصلي على عدو الله بن ابي بن سلول
القائل يوم كذا وكذا كذا يعد ايامه ورسول الله يتبسم حتى اذا اكثر عليه قال اخر عني يا عمر اني قد خيرت فاخترت
قيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو اعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له
لزدت ثم كفنه في قميصه ونفث في جلده فدلاه في قبره قال عمر فتعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يسيرا حتى نزلت عليه ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا
تقم على قبره ولا تقف على قبره وقيل ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اي كفاه امره انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا
قام على قبره ولما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله ابن ابي في تكفينه في قميصه
وصلاته عليه وقيامه على قبره قال وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان
يسلم به الف من قومه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم اسر الى حذيفة اثنا عشر رجلا من المنافقين
فقال ستة يبتليهم الله بالدبيلة سراج من نار يأخذ احدهم حتى يخرج الى صدره وستة يموتون موتا
فسال عمر حذيفة عنهم فقال ما انا بمخبرك باحد منهم ما كان حيا فقال عمر يا حذيفة امنهم انا قال لا
فقال اني عملي منهم احد قال رجل واحد فكانما دل عليه عمر حتى نزعه من غير ان يخبره به قوله مات
صفة لاحد وانما قال مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود
لانه كائن موجود لا محالة قوله ابدا متعلق باحد والتقدير ولا تصل ابدا على احد منهم وتكفين النبي
صلى الله عليه وسلم في قميصه وتكرمه كان مكافاته له على صنع له سبق وذلك ان العباس عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه
وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واجابة له الى مسالته اياه
فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة فعل بعادات الكرام واكراما
لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره
لا تشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون
الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له وجهت له بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه
من الله شيئا واني اومل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب روي انه اسلم الف من الخزرج
لما راوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء
الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى
ان يعطف على من واطأ قلبه ولسانه وراه حتما عليه وقيل انما صلى عليه لانه لم يتقدم نهي عن الصلوة
عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وقيل انه لما مات جاء ابنه
يعرف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لابنه صل عليه وادفنه فقال عمر ان لم تصل عليه يا رسول الله
لم يصل عليه مسلم فقام عليه السلام ليصلي عليه فقام عمر بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه
فنزلت الآية واخذ جبريل بثوبه وقال لا تصل على احد منهم مات ابدا وهذا يدل على منقبة عظيمة

لعمر لان الوحي انزل على وفق قوله في ايات كثيرة منها اية فدا الاسارى ومنها تحريم الخمر ومنها تحويل القبله
ومنها اية الحجاب فنزول الوحي على مطابقة قول عمر منصبا عاليا ودرجه له رفيعة له في الدين فلهذا قال
صلى الله عليه وسلم في حق عمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر نبيا **قوله تعالى** فلا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد
الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون هذه الايه قد سبق ذكرها وقد اعيدت لان
تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه
ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عنايه لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه
الشي الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثنا حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب
ان يحذر منه **قوله تعالى** واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا
الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
بين في الايات المتقدمه ان المنافقين احتالوا في رخصة التخلف من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقعود عن الغزو في هذه الايه زاد دقيقه اخرى وهي انه متى نزلت ايه مشتمله على الامر بالايمان وعلى
الامر بالجهاد مع الرسول استاذنك اولوا الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو وقالوا
لرسول الله ذرنا نكن مع القاعدين سورة يجوز ان يراد بها السورة بتمامها وان يراد بعضها كما يقع
القران والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا ان هي
المفسره اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا وقيل الروسا والكبرا المسطور اليهم
قيل انما خصصهم بالذكر لان الذم لهم الزم لاجل كونهم قادرين على السفر والجهاد وقيل لان من لا مال
له ولا قدرة على السفر لا يحتاج الى الاستيذان مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف رضوا
بان يكونوا مع الخوالف اى النسا واللواتي يتخلفن في البيت فلا يبرحن وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما
في الجهاد من الفوز والسعاده وما في التخلف من الشقا والهلاك **قوله تعالى** لكن الرسول والذين امنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم لكن الرسول اى ان تخلف هولا المنافقون فقد
نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هولا فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات الحسنات تتناول منافع الدارين كلها لانه جمع محلى
بالالف واللام وقيل الحور الفاضلات قال الله تعالى فيهن خيرات حسان **قوله تعالى** وجا المعذرون
من الاعراب ليوذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم المعذر
من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
وقيل اصل المعذرون المعتذرون ادغمت التا في الدال ونقل حركتها الى العين وهم الذين
يعتذرون بالباطل عن الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تبوك
دفاعا عن انفسهم فقالوا يا رسول الله ان نحن غزونا معك يغير اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد انباني من اخباركم وسيغنيني الله عنكم وقيل هم اسد وغطفان
قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن
قتاده اعتذروا بالكذب وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا
وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا من الاعراب عذاب اليم في الدنيا
بالقتل وفي الاخرة بالنار **قوله تعالى** ليس على الضعفا ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك

لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون لما بين الوعيد
في حق من يوهم العذر مع انه لا عذر له ذكر اصحاب الاعذار الصحيحة وبين ان تكليف الله بالجهاد عنهم ساقط ليس
على الضعفا الزمنى والهرمى والعجزى ولا على المرضى وهم من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من القتال ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون يعني الفقرا قيل هم مزينه وجهينه وبنو عذره حرج ماثم هو اسم ليس اذا نصحوا لله ورسوله
في بعثهم والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي
الناصح بصاحبه ما على المحسنين المعذورين الناصحين من سبيل في مغيبهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قيل
نزلت في عايذ بن عمرو واصحابه عن الضحاك نزلت في عبد الله بن زايده وهو ابن ام مكتوم وكان ضرير البصر
فقال يا نبي الله اني شيخ ضرير البصر خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي قايد فهل لي من رخصه في التخلف عن الجهاد
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الايه ولا على الذين اذا ما اتوك هولا هم الذين يجدون
النفقه ولا يجدون المركوب قلت من الكاف في اتوك وقد قبله مضمر كما في قوله او جاوكم حصرت صدورهم
اى اذا ما اتوك قايلا لا اجد ما احملكم تولوا واعينهم تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها
لان العين جعلت كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز
حزنا مفعول له الا يجدوا والا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه حزنا ما ينفقون في المركوب
ولقد حض الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعه والذين عدموا الخروج والذين
سالوا المعونه فلم يجدوها قيل ولا على الذين اذا ما اتوك نزلت في البكايين وكانوا سبعه معقل بن يسار
وصخر بن خنسا وهو الذي كان وقع على زوجته في رمضان فامر رسول الله ان يكفر وعبد الله بن كعب الانصاري
وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبه بن عتمه وعبد الله بن معقل اتوا رسول الله فقالوا يا نبي الله
ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا على الخفاف المرفوعه والبغال المخصوفه نغزو معك
فقال صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون **قوله تعالى** انما السبيل على الذين يستاذنونك
وهم اغنيا رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم قل لا تعتذروا
لن نومن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهاده فينبيكم بما
كنتم تعملون ثم عاب اهل السعه والمعنى ليس السبيل الا على الذين يستاذنونك وهم اغنيا لا عذر لهم في التخلف
رضوا استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنيا فقيل رضوا بان يكونوا في جملة الخوالف النسا اى رضوا
بالدناه والضعه والانتظام في جملة النسا وطبع الله على قلوبهم عطف على قوله رضوا اى رضوا بان يكونوا
مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فلهذا استاذنوا وهم اغنيا فهم لا يعلمون اى لاجل ذلك الطبع لا يعلمون ما في
الجهاد من المنافع قيل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا
فقال ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزا كالاعتراض يعتذرون
اليكم قل لا تعتذروا لن نومن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصير عذره مقبولا فاذا علم بان القوم
لا يصدقونه وجب عليه تركه قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفا تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله
الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله
عملكم اتتوبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون الى الله وهو عالم كل غيب وشهاده وسر وعلانيه فيجازيكم على حسب
ذلك فينبيكم بما كنتم تعملون من الحسن والسيي وفيه تخويف شديد وزجر عظيم لهم **قوله تعالى** سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزا بما كانوا يكسبون يحلفون
لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ذكر في الايه المتقدمه انهم يعتذرون
ثم ذكر في هذه الايه انهم كانوا يوكدون الاعذار الفاسدة بالايمان الكاذبه سيحلفون بالله لكم على انهم ما قدروا

على الخروج اذا انقلبتم انصرفتم اليهم من غزو ولم لتعرضوا التصفح عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم ولا تعذبوهم
ما عرضوا فاعطوهم طلبتهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وعن ابن عباس يريد ترك الكلام والسلام عن النبي
صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قيل هو لا طلبوا اعراض الصفح فاعطوا
اعراض المقت انهم رجس تعليل لوجوب الاعراض عنهم وترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا
تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمومن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة
والاستغفار واما هولا فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماواهم في الاخرة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون
يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا يتكلف عتابهم يحلفون لكم من في الاية الاولى يحلفون بالله لتعرضوا عنهم
فبين في هذه الاية انهم يحلفون لكم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم
فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجله
وقيل انما قال ذلك لئلا يتوهم ان رضا المومنين يقتضي رضى الله عنهم عن ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال صلى الله عليه وسلم
حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل نزلت في عبد الله بن ابي تخلف ان لا يتخلف عنه بعدا وليكونن
معه على عدوه وطلب الى النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه **قوله تعالى** الاعراب اشد كفرا
ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما
ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من
اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشوهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة
واحق واخرى واولى واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع والاحكام ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم بحال كل احد من اهل الوبر والمدر
حكيم فيما يصيب مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ثم قال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما غرامة وخسرانا
والغرامة ما ينفق الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء
الثواب عنده ويتربص بكم الدوائر يعني صروف الزمان التي مرة بالخير ومرة بالشر عن يمان يعني ان
ينقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر المشركون عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا
به كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم السين هاهنا وفي
سورة الفتح ومعناه الضر والشر والبلاء والمكروه والباقون بالفتح على المصدر وهو ذم للدائرة كقولك رجل
سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة
عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم **قوله تعالى** ومن الاعراب من يؤمن بالله
واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم
الله في رحمته ان الله غفور رحيم قربات جمع قربة هي مفعول ثان لقوله ويتخذ والمعنى ان ما
ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة
ويستغفر لهم لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا
لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون
نفقته قربات عند الله وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق
المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا
الكلام على رضى الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها
ان الله غفور لسيئاتهم رحيم بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات قرا نافع قربة بضم الراء والباقون

باسكان الراء وهما لغتان والاصل الضم والاسكان تخفيف كرسل ورسل وطنب **قوله تعالى** والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم لما ذكر فضائل الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون
قربات عند الله وما اعد لهم من الثواب بين ان فوق منزلتهم منازل اعلى واعظم منها وهي منازل السابقين
الاولين المهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم واوطانهم وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين
وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين والانصار
الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه من اهل المدينة واووه واصحابه وقيل اهل
العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم
عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران وهو اول من جمع الصلوة بالمدينة وكانت الانصار
تحبه فاسلم معه سعد بن معاذ وعمرو بن الجموح وبنو عبد الاشهل كلهم وخلق من النساء والصبيان
وكان مصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم احد حين انهزم
الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقاه بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه فاستشهد يومئذ
والذين اتبعوهم باحسان اي الذين سلكوا سبيلهم في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقيل هم الذين
يذكرون المهاجرين والانصار بالترحم والدعاء ويذكرون محاسنهم ويسالون الله ان يجمع بينهم ثم
جمعهم في الثواب وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم لاعمالهم
ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه قرا ابن كثير
من تحتها الانهار كما في مصاحف اهل مكة والباقون بغير من كما في سائر المصاحف قيل والفرق بينهما
ان قوله تجري من تحتها الانهار معناه تجري من تحت الجنات وقوله تجري
تحتها اي تنبع الانهار تحتها ثم تجري من تحت الجنات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لمعاذ بن جبل اين السابقون قال قد مضى ناس فقال السابقون المشهورون بذكر الله ومن
احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل **قوله تعالى** وممن حولكم من الاعراب منافقون
ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم
يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانت منازلهم
حول المدينة ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة
على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف
محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون مردوا كلاما مبتدا او صفة
لقوله منافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق اي مرنوا وتمهروا فيه
من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه
ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم يا محمد يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط
توقيهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم
يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين
لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم
مرتين قيل الفضيحة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم جمعة فقال اخرج
يا فلان فانك منافق واخرج من المسجد ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب
القبر وقيل العذاب الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وقيل الجوع والقتل وقيل

السلب وعذاب القبر وقيل المرة الاولى بالمصايب في الاموال والاولاد والمرة الاخرى في جهنم وعن
ابن عباس المرة الاولى اقامة الحد وعليهم والاخرى عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم
والاخرى عذاب القبر وقيل هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه من غير حسبة ثم عذابهم
في القبر اذا صاروا اليه وقيل الاولى ضرب الملايكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم
والاخرى عذاب القبر وقيل تفسيره في سورة النحل زدناهم عذابا فوق العذاب وقيل الاولى بالسيف
يوم بدر والاخرى عند الموت وقيل عذاب النبي قوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
وعذاب القبر وقيل الامراض في الدنيا والاخرة وذلك ان من مرض من المومنين كفر الله عنه سياته
ومحص عنه ذنوبه فابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه واعقبه ثوابا عظيما ومن مرض من
المنافقين زاده الله نفاقا واثما وضعفا كما قال في هذه السورة اولا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين يريدون انهم يمرضون في كل عام مرة او مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب
النار قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيا عسى الله ان يتوب عليهم ان
الله غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم
اي ومن اهل المدينة وليس براجع الى المنافقين اعترفوا اقروا بذنوبهم لم يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بيس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة
ابو لبابة مروان بن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حرام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا
انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين
فقال من هولا قالوا تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم
وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر
باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله هذه الاية فلما انزلت ارسل اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم واعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فنزلت خذ من اموالهم خلطوا عملا صالحا
خروجا الى الجهاد واخر سيا تخلفا عنه وعن الحسن توبة وانما قال صاحب الكشاف فان قلت قد
جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل
واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك
خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين
ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما
بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم
بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم عسى ان يتوب كلمة عسى من الله واجب وتحقيق
القول فيه ان القران يرد على عرف الناس في الكلام والسلطان اذا التمس المحتاج منه شيا
فانه لا يجيب اليه الا على سبيل الطمع ومع كلمة عسى ولعل تنبيها على انه ليس لاحد ان يلزمني شيا وان
تكلفني بشي بل كل ما افعله فانما افعله على سبيل التفضل فذكر كلمة عسى يفيد هذا المعنى مع انه
يفيد القطع بالاجابة وقيل المقصود منه ان يكون المكلف على الطمع والاشفاق لانه ابعد من
الاتكال والاهمال قيل عسى ان يتوب يقتضي هذه التوبة انما تحصل في المستقبل وقوله واخرون
اعترفوا بذنوبهم دال على ان ذلك الاعتراف حصل في الماضي وذلك يدل على ان هذا الاعتراف

ليس نفس التوبة بل كان مقدمة للتوبة وان التوبة انما تحصل بعده لما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما امرت ان اخذ من اموالكم انزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة عن الحسن
هذا راجع الى هولاء الذين تابوا لانهم بذلوا اموالهم للصدقة فاوجب الله عليهم اخذها وصار
ذلك في حقهم جاريه مجرى الكفارة وليس المراد من هذه الصدقة الصدقة الواجبة وانما هي
صدقة لكفارة الذنب الذي صدر منه وقيل ان الزكوة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم
عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكوات امر الله رسوله ان ياخذها منهم وقيل ان هذه الاية
كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب اخذ الزكوات من الاغنيا وعليه اكثر الفقها اذ استدلوا
بهذه الاية في ايجاب الزكوة اما القايلون بالقول الاول فقد احتجوا على صحة قولهم بان الايات لا بد
وان يكون منتظمه متناسبة فلو حملناه على الزكوات الواجبة ابتدا لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما
بعدها وصار كلاما اجنبيا لا يليق بكلام الله واما القايلون بان المراد منه اخذ الزكوات الواجبة قالوا
المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير لانهم لما اظهروا التوبة والندامة عن تخلفهم عن غزوة
تبوك وهم اقروا بان السبب الموجب لذلك التخلف حبهم الاموال وشدة حرصهم على صونها عن الانفاق
فكانه قيل لهم انما تظهر صحة قولكم في ادعا هذه التوبة والندامة لو اخرجتم الزكوة الواجبة ولم يضايقوا فيها
لان الدعوى لا تتقرر الا بالمعنى فان ادوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة
والا فهم كاذبون ومما يدل على ان المراد الصدقات الواجبة قوله تطهرهم وتزكيهم بها والمعنى تطهرهم
من الذنب بسبب اخذ تلك الصدقات وهذا انما يصح لو قلنا انه لو لم يوخذ تلك الصدقة لحصل الذنب
وذلك انما يصح حصوله في الصدقات الواجبة واما القايلون بالقول الاول فانهم قالوا انه عليه السلام
لما عذرا وليك التايبين واطلقهم قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي بسببها تخلفنا عنك فتصدق بها عنا
وطهرنا واستغفر لنا فقال عليه السلام ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فانزل الله هذه الاية واخذ رسول
الله ثلث اموالهم وترك الثلثين لانه تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم فان من تفيد التبعيض
قوله تطهرهم انت وقيل تطهرهم الصدقة فيكون تطهرهم صفة لقوله تعالى صدقة وانما حسن جعل الصدقة
مطهرة لما جا ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان اندفاعها
جاريا مجرى التطهير قال الامام على هذا القول وجب ان يقول ان قوله وتزكيهم يكون منقطعا عن الاول
فيكون التقدير خطابا من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها وقيل الثاني تطهرهم وتزكيهم ضمير
المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت ايها الاخذ باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة والتزكية
مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانما والتزكية في المال وقيل تصلحهم وقيل ترفعهم من منازل
المنافقين الى منازل المخلصين وقيل تنمي اموالهم وصل عليهم واستغفر لهم واعطف عليهم بالدعا وترحم لهم
والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول
الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت ان صلوتك قرا حمزة
والكساي وحفص عن عاصم بغير واو وفتح التا على التوحيد والمراد به الجنس ولذلك في سورة هود اصلاتك
تامرك بغير واو على التوحيد والباقون صلوتك بالواو وكذلك في هود على الجمع سكن لهم والسكن كل ما
سكنت اليه والمعنى يسكنون اليه وتطمين قلوبهم وعن ابن عباس رحمة لهم وعن قتادة وقار لهم وعن
الكلبي طمانينة لهم ان الله قد قبل منهم وقيل تزكية لهم منك وقيل تثبيت لهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم
ودعاهم عليم بما في ضمايرهم من الندم والغم لما فرط منهم قوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة

عن عباده و ياخذ الصدقات و ان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون
وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الربطين ا
قيل ان يتوب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة عن عباده المخلصين ويقبل الصدقات اذا
صدرت عن نية خالصة وهو للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التايبين وقيل معنى التخصيص هو ان
ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه
وقيل لهولا التايبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا او شرا على الله ورسوله والمومنين كما رايتم وتبين لكم
وثانيهما ان يراد غير التايبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما نزلت توبة هولا قال الذين لم يتوبوا من
المخلفين هولا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فقال الله تعالى الم يعلموا الاية قوله فسيرى الله وعيد
لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وترغيب عظيم للطيعين وفي الخبر لو ان رجلا عبد الله في صخرة لا
باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كاينا ما كان **قوله تعالى** واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما
يتوب عليهم والله عليم حكيم قسم الله المتخلفين ثلاثة اقسام اولهم المنافقون الذين مردوا على النفاق
والثاني التايبون الذين اعترفوا بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفين وهم المذكورون في هذه
الاية والفرق بين الثاني والثالث ان الثاني سارعوا الى التوبة وهولا لم يسارعوا اليها قيل هم الثلاثة
الذين خلفوا ولم يوثقوا انفسهم بالسواري ولم يبالغوا في التوبة والاعتذار قرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص عن عاصم مرجون بغير همز والباقون بالهمز وهما لغتان من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه
المرجية اي واخرون من المتخلفين موقوف امرهم ليقضي الله فيهم ما هو قاض وسيجي قصتهم اما يعذبهم
ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا اي ليكن امرهم على الخوف والرجا فجعل
اناس يقولون هلكوا اذا لم ينزل الله لهم عذرا واخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا مرجيين
لامر الله لا يدرون ايعذبون ام يرحمون **قوله تعالى** والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا
وتفريقا بين المومنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد
انهم لكاذبون قرا نافع وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو ولذلك في مصاحف اهل المدينة
والباقون بالواو ولذلك في مصاحف مكة والعراق اما من قرا بغير واو فلانها قصة على حيالها ومن قرا
بالواو فعلى عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على ساير قصصهم وقيل ان بني عمرو بن
عوف اتخذوا مسجد قبا وبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه كما صلى
في مسجد اخواننا وليصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم
وكان ابو عامر رجلا منهم والد ابي حنظلة غسيل الملايكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح
فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الذي جيت به قال جيت بالحنيفية
دين ابرهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال صلى الله عليه وسلم لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت
في الحنيفية ما ليس منها فقال صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكني جيت بها بيضا نقية قال ابو عامر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امات الله الكاذب منا طريدا شريدا وحيدا غريبا فقال صلى
الله عليه وسلم آمين وسماه ابو عامر الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن
يئس وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني

ذاهب

ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا
وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا فلما فرغوا منه اتوا رسول الله عليه السلام وهو يتجهز الى تبوك فقالوا
يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تاتينا
فتصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان
شا الله تعالى صلينا فيه فلما قفل رسول الله من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا
بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا سريعا حتى اتوا سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال
لهم مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار من اهلي فدخل فاخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون
حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ مكانه
كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام وحيدا غريبا ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب
مسجد قبا ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا
فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا وانتظارا واعدادا لاجل من حارب الله
ورسوله من قبل وهو ابو عامر الراهب اعدوه ليصلي فيه اذا رجع من الشام فيظهر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة وريا وسمعة او لغرض سوى ابتغا وجه الله او بمال
غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن سفين انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد
بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار وريا
وسمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطا لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه
امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه والذين اتخذوا
محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة قوله من قبل متصل بقوله اتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل
ان ينافق هولا بالتخلف وليحلفن ما اردنا ببنا هذا المسجد الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة
على اهل الضعف والعلة والعجز عن المصير الى مسجد رسول الله وقيل الا الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر
الله والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم وحلفهم **قوله تعالى** لا تقم فيه ابدا لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار
جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم
والله عليم حكيم قوله لا تقم فيه نهي له صلى الله عليه وسلم عن ان يقوم فيه وعن ابن جريج فرغوا
من اتمام ذلك المسجد يوم الجمعة فصلوا فيه ذلك اليوم ويوم السبت ويوم الاحد وانهار في يوم
الاثنين ثم انه قال لمسجد اللام للابتدا او القسم تقديره والله لمسجد اسس على التقوى اي بني اصله
وابتدي بناوه من اول يوم بني وقيل معناه منذ اول يوم وضع اساسه احق واولى ان تقوم
فيه مصليا قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهو يوم
الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجد قبا اوقع وقيل
هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه منبره وقبره وعن ابن عمر وزيد بن ثابت وابي سعيد
الخدري ان المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا فضرب به الارض فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا من الاحداث والجنابات والنجاسات والذنوب

والمعاصي والكفر والنفاق هو غسل الادبار بالماء وعن عطا كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون الليل على الجنابة
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا لما نزلت هذه الاية ان الله قد اثنى عليكم في الطهور
فما هو فقالوا انا نستنجي بالماء والله يحب المطهرين اصله المتطهرين ادغمت التا في الطا لقرب مخرجهما
روي ان الحمى استاذنت رسول الله في صورة جارية سودا فقال لها رسول الله من انت قالت انا ام ملدم
انشف الدم واكل اللحم واصفر الوجه وارق الجلد وادق العظم فقال لها رسول الله مري فاقصدي
الانصار فانهم علينا حقوقا فجم الانصار فلما كان من الغد قال ما للانصار قالوا جوا عن امرهم فقال قوموا
بنا نعودهم فعادهم وجعل يقول ابشروا فانها كفارة وطهور فقالوا يا رسول الله ادع الله ان يدعها علينا
اياما حتى يكون كفارة لذنوبنا فانزل الله يثني عليهم فيه رجال يحبون ان يتطهروا بالحمى من معاصيهم والله يحب
المطهرين من الذنوب **قوله تعالى** افمن اسس قرا نافع وابن عامر اسس على فعل ما لم يسم فاعله وكذا قوله ام من
اسس والباقون اسس على بنا المعروف والفاعل هو الباني والمؤسس والمعنى افمن اسس بنيان دينه على
قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها
واقلها بقا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف
في مقابلة التقوى لانه مجاز عما ينافي التقوى شفا كل شي حرفه وشفيره وجرف الوادي جانبه الذي
حفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار والهاير وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط
وزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شايك وصايت والفه ليست بالف
فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار
به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجي بلفظ الانهيار الذي
هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف
فهوى في قعرها وانهار انهدم ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل قرا
ابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم جرف ساكنة الرا والباقون بضم الرا وهما لغتان عن قتادة والله
ما تناهى ان وقع في النار وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج منه وعن جابر رايت
الدخان يخرج من مسجد الضرار وعن خلف ابن يسار الكوفي حججت مع ابي في زمن بني امية فرايت بالمدينة
قبلتين يعني مسجد رسول الله بقبا وفيه قبلة بيت المقدس فلما كان زمن ابي جعفر قالوا ادخل الجاهل
فلا يعرف القبلة ورايت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القران وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو
اليوم مزبلة لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة شكا ونفاقا فحسبون انهم كانوا في بنائهم محسنين كما حبب
العجل الى قوم موسى وقيل حسرة وندامة لانهم ندموا على بنائه وقيل لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا
ريبة حزازة وغيظا في قلوبهم وقيل كان القوم منافقين وانما حملهم على بنا ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم
كما قال الله ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك
وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام بمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زايد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان
تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزا فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية في قلوبهم
متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصوير الحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها
وما هو كاين بقتلهم او في القبور او في النار قرا ابن عامر وحمزة وحفص تقطع بفتح التا والطا مشددا
بمعنى تتقطع حذفت احدى التائين تخفيفا وابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو والكسائي تقطع بضم التا وتشديد
الطا على غير تسمية الفاعل تحكم يحكم عليهم **قوله تعالى** ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة

الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل ومن اوفى بعهده
من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم لما بين الله فضايح المنافقين وقبايحهم
بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر اقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لايقا به عاد الى بيان فضيلة المجاهدين
باموالهم وانفسهم شبه الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى وروي تاجرهم الله فاغلى
لهم الثمن قيل لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله
بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا
قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى اباع من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة عن قتادة ثامنهم والله فاغلى لهم وعن الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله تعالى بها كل مؤمن والله ما على
الارض مؤمن الا ودخل في هذه البيعة ومر اعرابي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية فقال كلام
من هذا قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وعن عمر فجعل لهم الصفقتين جميعا يقاتلون فيه معنى الامر
كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقيل يقاتلون كالتفسير لتلك المبايعة وكالامر
اللازم قرا حمزة والكساي فيقتلون على بنا الاول للمفعول والثاني للفاعل على معنى ان طايفة كثيرة من
المسلمين وان صاروا مقتولين لم يصد ذلك الباقين عن المقاتلة بل يبقون بعد ذلك مقاتلين مع
الاعدا قاتلين لهم بقدر الامكان وهو كقوله فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
اي وما وهن من بقي منهم والباقون بالعكس على انهم يقتلون الكفار ولا يرجعون عنهم الى ان يصيروا مقتولين
وعدا مصدر موكد اي وعد بان لهم الجنة وعدا او اخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين
في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القران وقيل المراد ان الله تعالى
بين في التورية والانجيل انه اشترى من امة محمد صلى الله عليه وسلم انفسهم واموالهم بالجنة كما بين
في القران وقيل ان الامر بالجهاد ثابت في جميع الشرايع ثم قال ومن اوفى بعهده لان اخلاف الميعاد
ونقض العهد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الناس مع جوازه عليهم لحاجتهم فالغني عن كل الحاجات اولى ان
يكون منزها عنه من استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بعهده من الله ولا ترى ترغيبا في الجهاد
احسن منه وابلغ ثم هناهم فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
قوله تعالى التايبون العابدون الحامدون السايحون الراكعون الساجدون الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين لما ذكر في الاية الاولى
انه اشترى من المؤمنين بين في هذه الاية اولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات التسع التايبون
رفع على المدح اي هم التايبون يعني المؤمنين المذكورين وجوز الزجاج ان يكون مبتدا خبره محذوف
اي التايبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل
هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل التايبون مبتدا والعابدون خبره وما بعده
خبر بعد خبر اي التايبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الصفات وعن الحسن هم
الذين تابوا من الشرك وتبروا من النفاق وقيل هم الذين تابوا من كل معصية وقيل الراجعون الى الله
بالكلية عن جميع ما لهم من صفاتهم واحوالهم العابدون المطيعون الذين اخلصوا لله العبادة وعن
ابن عباس الذين يودون عبادة الله الواجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة التي هي الاتيان
بفعل مشعر بتعظيم الله على اقصى الوجوه في التعظيم وعن الحسن هم الذين عبدوا الله في السرا والضرا

عن قتادة ... بما هم الحامدون الله على كل حال وفي كل نعمه وقيل ... يشكرون ... او دنيا ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وقيل العارفون ... عين السائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون الصائمون ... اذا ذكر الصائمين لم يذكر السائحين واذا ذكر السائحين لم يذكر الصائمين وعن الحسين السائحون الذين صاموا عن الحلال وامسكوا عن الحرام وههنا والله اقوام رايناهم يصومون عن الحلال ولا يمسكون عن الحرام والله ساخط عليهم وعن عطا السائحون الغزاة والمجاهدون وقيل هم طلبة العلم وقيل هم الذين حبسوا انفسهم عن مرادها طلبا لرضا الله الراكعون الساجدون المصلون قيل انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان ساير اشكال المصلي موافق للعادة وهو قيامه وقعوده والذي يخرج عن العادة في ذلك هو الركوع والسجود وبه يتبين الفصل بين المصلي وغيره ويمكن ان يقال مراتب التواضع اولها القيام والركوع وسطها والسجود غايتها فخص الركوع والسجود بالذكر لدلالتهما على غاية التواضع والعبودية تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع والتعظيم وقيل الراكعون الخاضعون له على الدوام الساجدون الطالبون قربه الامرون بالمعروف بالسنة والناهون عن المنكر البدعة ومخالفات السنن قيل في دخول الواو في قوله والناهون عن المنكر انه كل ما سبق من الصفات عبادات ياتي بها الانسان لنفسه ولا تعلق لشي منها بالغير اما النهي عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير وهذا النهي يوجب ثوران الغضب وظهور الخصومة وربما اقدم ذلك المنهي على ضرب الناهي وربما حاول قتله فكان النهي عن المنكر اصعب اقسام العبادات فادخل عليها الواو تنبيها على ما يحصل من زيادة المحنة والحافظون لحدود الله عن ابن عباس القائمون على طاعة الله وقيل اهل الوفا ببيعة الله وقيل المراعون اوامر الله عليهم في جوارحهم وقلوبهم واسرارهم وارواحهم وقيل الحافظون لحدود الله اي التكاليف المتعلقة باعمال الجوارح وافعال القلوب وبشر المؤمنين المقصود منه انه تعالى في الاية المتقدمة فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فذكر هذه الصفات التسع ثم ذكر عقيبها قوله وبشر المؤمنين تنبيها على ان البشارة المذكورة في قوله فاستبشروا لم يتناول الا المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات

قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم انه تعالى بين من اول هذه السورة الى هذا الموضع وجوب اظهار البراءة عن المشركين والمنافقين من جميع الوجوه ثم بين في هذه الاية انه يجب اظهار البراءة عن امواتهم وان كانوا اولي قربى كالاب والام كما وجب اظهار البراءة عن احيايهم والمقصود منه بيان وجوب مقاطعتهم احياء وامواتا ومنع مواصلتهم روي انه لما حضرت ابا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال له رسول الله اي عم انك اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا ولانت اعظم علي حقا من والدي فقل كلمة يجب لك بها شفاعتي يوم القيمة قل لا اله الا الله احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية لعنهما الله يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شي تكلم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه فنزلت الاية ونزلت انك لا تهدي من احببت قيل هذا بعيد لان السورة اخر ما نزل من القران ومات ابو طالب في عنفوان الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة وقيل قال النبي صلى الله عليه وسلم استغفر ابرهيم عليه السلام لابيه وهو مشرك فلا ازال استغفر لابي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال الصحابة ونحن والله لنستغفرن لابائنا كما استغفر

كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه فانزل الله هذه الاية عن محمد بن كعب قال بلغني انه لما اشتكى ابو طالب شكواه التي قبض فيها قالت قريش يا ابا طالب ارسل الى ابن اخيك فيرسل اليك من هذه الجنة التي ذكرها فيكون لك شفاء فخرج الرسول حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر جالس معه فقال يا محمد ان عمك يقول لك يا ابن اخي اني كبير ضعيف سقيم فارسل الي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها شيئا يكون لي فيه شفاء فقال ابو بكر رضي الله عنه ان الله حرمهما على الكافرين فرجع الرسول اليهم وقال بلغت محمدا ما ارسلتموني به فلم يجب الي شيئا وقال ابو بكر ان الله حرمهما على الكافرين فسكت فحملوا ... عليه حتى ارسل رسولا من عنده فوجد الرسول في منزله فقال له مثل ذلك فقال رسول الله ان الله حرمهما على الكافرين طعامها وشرابها ثم قام في اثره حتى دخل معه البيت فوجده مملوا رجالا فقال خلوا بيني وبين عمي فقالوا ما نحن بفاعلين وما انت احق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك فجلس اليه فقال يا عم جزيت عني خيرا يا عماه اعني على نفسك بكلمة اشفع لك بها عند الله يوم القيمة قال فما هي يا ابن اخي قال قل لا اله الا الله وحده لا شريك له قال انك لي ناصح والله لولا ان تعير بها بعدي فيقال جزع عمك من الموت لاقررت بها عينك قال فصاح القوم يا ابا طالب انت راس الحنيفية ملة الاشياخ فقال على ملة الاشياخ لا تحدث نساء قريش اني جزعت عند الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ازال استغفر لك ربي حتى يردني ربي فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قرابتنا وقد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه فاستغفر المسلمون للمشركين فنزلت هذه الاية وعن ابي هريرة وابي بريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم اتى قبر امه فوقف عليها حتى حميت عليه الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين فقام وبكى فابكى من حوله ثم قال اني استاذنت ربي ان ازورها فاذن لي واستاذنته ان استغفر لها فلم ياذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت فما راي باكيا اكثر من يومئذ وعن ابن عباس كانوا يستغفرون لامواتهم المشركين فنزلت هذه الاية فامسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم ينههم ان يستغفروا للاحيا حتى يموتوا وعن قتادة قال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي الذمم افلا نستغفر لهم فقال بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابرهيم لابيه فانزل الله ما كان للنبي اي ما صح للنبي وما ينبغي له وللذين امنوا ان يستغفروا للمشركين قيل ما كان في القران على وجهين احدهما بمعنى النفي كقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله والاخر بمعنى النهي كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وقوله ما كان للنبي نهي من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الكفر والشرك وتاول بعضهم الاستغفار في هذه الاية على الصلوة ثم بين الله ان النهي عن الاستغفار غير مختص بدين محمد صلى الله عليه وسلم بل هو في شريعة ابرهيم ايضا فيكون المبالغة في تقرير وجوب المقاطعة والمباينة من الكفار اكمل واقوى وعذر خليله ابرهيم فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وهو قوله لاستغفرن لك عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما انزل الله تعالى قوله خبرا عن ابرهيم عليه السلام قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا الاية سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت له تستغفر لهما فقال الم يستغفر ابرهيم لابيه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله هذه الاية قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم وانزل الا عن موعدة وعدها اياه وقيل الهاء في اياه عايد على ابرهيم وذلك ان اباه وعده ان يسلم فعند ذلك قال له ساستغفر لك ربي وقيل هي راجعة الى ابيه فان

ابرهيم عليه السلام وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه وهو قوله سأستغفر لك ربي وقوله لاستغفرن
لك فلما تبين له انه عدو لله بموته على الكفر تبرأ منه وقيل فلما تبين له في الاخرة انه عدو لله وذلك ما ورد في
الاخبار ان ابرهيم عليه السلام يقول يوم القيامة رب والدي رب والدي فاذا كانت الثالثة يريه الله تعالى
اباه فيقول ابرهيم عليه السلام اني كنت امرتك في الدنيا فعصيتني ولست بتاركك اليوم فخذ بحقوي
فيتعلق به حتى يريد الجواز على الصراط فاذا اراد ان يجاوز به حانت من ابرهيم التفاتة فاذا هو بابيه
في صورة ضبع فيتخلى ويتبرأ منه يومئذ وعلى هذا التاويل يكون معنى الكلام على الاستقبال تقديره يتبين
ويتبرأ فان قيل كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده اجيب بانه يجوز ان
يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي
لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر ان ابرهيم لاواه فعال من اوه الرجل تاوها اذا قال اوه والاواه هو
الذي يكثر التاوه وقيل كان ابرهيم اذا ذكر النار قال اوه وقيل الخاشع المتضرع وعن انس تكلمت امراة عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي كرهه فنهاها عمر رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم دعها فانها
اواهة قيل يا رسول الله وما الاواهة قال الخاشعة وعن عبد الله بن مسعود الاواه الدعاء وعنه
الاواه الرحيم وعن الضحاك هو الجامع للدعاء وعن الحسن وقتادة الرحيم بعباد الله وقيل الاواه الرحيم
بلغة الحبشة وعن ابن عباس المومن بالحبشة وعنه المومن التواب وعنه الموقن وعن عكرمة هو المستيقن
بلغة الحبشة وقيل هو المومن وقيل المسبح الذي يذكر الله في الارض القفر الموحشة وقيل الكثير
الذكر لله روي ان رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه اواه
وقيل هو الذي يكثر تلاوة القران عن ابن عباس دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتا فقال
رحمك الله ان كنت لاواها يعني تلاء للقران وقيل هو الذي يجهر صوته بالذكر والدعاء والقران وعن ابي
ذر كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه اوه اوه فشكاه ابو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
دعه فانه اواه قال فخرجت ذات ليلة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا
ومعه المصباح وعن النخعي الاواه الفقيه وعن الفراء هو الذي يتاوه من الذنوب وعن سعيد
بن جبير المعلم للخير وقيل هو المشفق وكان ابو بكر رضي الله عنه يسمى الاواه لشفقته ورافته وعن عطا
هو الراجع عن كل ما يكره الله والخائف من النار وعن ابي عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع
يقينا ولزوما للطاعة قال الزجاج اصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوتا من تنفس الصعدا
والفعل منه اوه وتاوه حليم عمن يسيه وناله بالمكروه فانه صلى الله عليه وسلم استغفر لابيه عند
وعيد اباه وشتمه وقوله لئن لم تنته لارجمنك واهجرني فقال عليه السلام سأستغفر لك ربي انه
كان بي حفيا وعن ابن عباس الحليم السيد قال صاحب الكشاف ومعناه انه افرط رحمته ورافته
وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعني ما امر الله عز
وجل باتقايه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى الله قوله تعالى وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شي عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي
ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير انه تعالى لما منع المومنين ان يستغفروا للمشركين والمومنون
كانوا قد استغفروا للمشركين قبل نزول هذه الاية فانهم قبل نزول هذه الاية كانوا يستغفرون
لابائهم وامواتهم وساير اقاربهم ممن مات على الكفر فلما نزلت هذه الاية خافوا بسبب ما صدر
منهم قبل ذلك من الاستغفار للمشركين وايضا ان اقواما من المومنين الذين استغفروا للمشركين
كانوا قد تابوا قبل نزول هذه الاية فوقع الخوف في قلوب المسلمين كيف يكون حالهم فانزل

الله عنهم بهذه الاية وبين انه تعالى لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم انه يجب عليهم ان يتقوه ويحذروه
عنه وما كان الله ليعني ما امر الله عز وجل باتقايه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى الله عنه
وبين انه محظور لا يواخذ به عباده الذين هداهم الله للاسلام ولا يسميهم ضلالا الا اذا اقدموا عليه بعد
بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاجتناب والاتقاء واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون
بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين
قبل ورود النهي عنه وعن مجاهد بيان الله سبحانه للمومنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في ترك
معصيته ومخالفته وطاعته عامة فافعلوا او ذروا وعن مقاتل والكلبي لما انزل الله الفرايض فعمل
بها الناس جاء ما نسخها من القران وقد مات ناس وهم يعملون الامر الاول من القبلة والخمر واشباه ذلك
فسالوا عنه رسول الله فانزل الله وما كان الله ليضل قوما اي ما كان الله ليبطل عمل قوم عملوا بالمنسوخ
حتى يبين لهم الناسخ وعن الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون ما ياتون وما يذرون
ان الله بكل شي عليم ان الله له ملك السموات لما امر بالبراءة عن المشركين والمنافقين احياء واموات بين ان له
ملك السموات والارض ويتولى امرهم لا يقدرون على اضرارهم قيل ان قوما من المومنين قالوا لما امرتنا
بالانقطاع من المنافقين والمشركين فحينئذ لا يمكننا ان نختلط باباينا واولادنا واخواننا لانه ربما كان الكثير
منهم كافرين والمراد انكم وان صرتم محرومين عن معاونتهم ومناصرتهم فان الله له ملك السموات والارض
يحيي ويميت ناصركم فلا يضركم انقطاعكم عنهم وقيل لما امر تعالى بهذه التكاليف الشاقة كانه قال وجب
عليكم ان تنقادوا لحكمي لكوني الهكم ولكونكم عبيد الله قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه
بهم روف رحيم انه تعالى لما بين احوال غزوة تبوك وبين احوال المتخلفين عنها وبسط القول
في ذلك على الترتيب عاد في هذه الاية الى شرح ما بقي من احكامها لقد تاب الله على النبي كقوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمومنين على التوبة ما من مومن الا
وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة
ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة
الصلاح وقيل معناه تاب الله على النبي باذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك وقال
اهل المعاني هو مفتاح كلام لما كان هو سبب توبتهم ذكر معهم كقوله فان لله خمسه وللرسول
من المهاجرين والانصار الذين اتبعوه قيل ان المهاجرين والانصار لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه
وصبروا على تلك الشدايد والمحن اخبر الله ان تحمل تلك الشدايد صارت مكفرة لجميع الزلات
لما اشتد عليهم في ذلك السفر وكانت الوساوس تقع في قلوبهم فكلما وقعت وسوسة في قلب
واحد منهم تاب الى الله منها وتضرع الى الله في ازالتها عن قلبه فلكثرة اقدامهم على التوبة بسبب
خطرات تلك الوساوس بالهم قال تعالى لقد تاب الله وقيل لا يبعد ان يكون قد صدر عنهم معاص
الا انه تعالى تاب عليهم وعفى عنهم بسبب انهم تحملوا مشاق ذلك السفر ثم انه تعالى ضم ذكر الرسول
الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الدرجة التي لاجلها ضم الرسول اليهم في قبول
التوبة في ساعة العسرة ولم يرد ساعة بعينها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت
الغداة والعشية واليوم غداة طفت علماء بكر ابن وايل عشية قارعنا جذام وحميرا اذا جا يوما وارثي
يبتغي الغنا والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد
وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة

[illegible] عليه الماء في عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا
فرثه [illegible] حان الغيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة من بعد ما كاد تزيغ
قلوب [illegible] على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد
ضمير الشان [illegible] ليس خلق الله مثله قرا حمزة وحفص بالياء والباقون بالتاء كاد عند
بعض العرب للمقاربة وعند [illegible] لنفي المقاربة مع عدم الوقوع فهذه التوبة توبة عن تلك المقاربة
[illegible] ذكرا ولا التوبة قبل ذكر الذنب ثم ذكرها آخرا تعظيما لشانهم وقيل انه تعالى قال لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة بسبب الوساوس التي كانت تقع في قلوبهم في
ساعة العسرة ثم انه تعالى قال من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم فبين ان الزيغ في قلوب فريق منهم لانه
كان [illegible] الوسوسة القوية فذكر التوبة مرة اخرى بالنسبة الى هولاء الفريق لئلا يبقى في خاطر احد شك
في [illegible] مواخذتهم بتلك الوساوس القوية ثم قال انه بهم رؤف رحيم قيل الرافة عبارة عن السعي في ازالة
الضرر والرحمة عبارة عن السعي في ايصال النفع وقيل احدهما الرحمة السابقة والاخرى اللاحقة **قوله**
تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا
ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم وعلى الثلاثة عطف على
من تقدم والتقدير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة
وعلى الثلاثة والاولى ان يقال عطف على الضمير الذي في عليهم والضمير عايد على فريق منهم وعلى الثلاثة
الذين خلفوا عن غزوة تبوك فلم يخرجوا وقيل خلفوا عن توبة ابي لبابة واصحابه وارجي امرهم
والثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن امية عن كعب بن مالك غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار واحبت الظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيا ثم غدوت ثم رجعت ولم اقض
شيا فلم يزل بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم وليتني فعلت فلم يقدر
لي ذلك وكنت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفقت فيهم احزني
اني لا ارى الا رجلا عليه النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفا ولم يذكرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة
يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بيس ما قلت والله يا رسول الله
ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغني انه توجه قافلا حضرني
همي وطفقت اتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي
راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل وعرفت
اني لن اخرج منه ابدا بشي فيه كذب فاجمعت صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون
فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرايرهم الى الله تعالى فجيته فلما سلمت عليه تبسم تبسم
المغضب ثم قال تعال فجيت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت
ظهرك فقلت بلى والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت ان ساخرج من سخطه بعذر ولقد
اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لين حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن ان يسخطك
علي ولين حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو عفو الله لا والله ما كان لي من عذر والله ما

كنـ

كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا
فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة [illegible]
[illegible] كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت الا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى اردت ان ارجع فاكذب
نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي احد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من
هما قالوا مرارة ابن الربيع وهلال ابن امية فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة فمضيت
حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا
الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا
وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم وكنت اخرج فاشهد الصلوة مع المسلمين
واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلوة
واقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي ام لا ثم اصلي قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي
اقبل الي واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال ذلك علي من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار
حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك
بالله هل تعلمني احب الله ورسوله فسكت فعدت له ونشدته فسكت فعدت له ونشدته فقال الله ورسوله اعلم
ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا انا امشي بسوق المدينة اذا نبطي من انباط الشام ممن
قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءني
دفع الي كتابا من ملك غسان فاذا فيه اما بعد فقد بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار
هوان فالحق بنا نواسك فقلت لما قراتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى اذا مضت
اربعون من الخمسين اذا رسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامرك ان تعتزل امراتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى
صاحبي مثل ذلك فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال كعب فجاءت
امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضايع
ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت انه والله ما به حركة الى شي والله ما زال
يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في امراتك كما اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه فقلت والله لا استاذن فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا
رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
كلامنا فلما صليت صلوة الفجر صبح خمسين ليلة وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله
قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع باعلى صوته يا كعب
ابن مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة
الله علينا حين صلى صلوة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض الي رجل فرسا
وسعى ساع من اسلم فاوفى على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني
نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله الذي ما املك غيرهما يوميذ واستعرت ثوبين ولبستهما
وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة يقولون ليهنك توبة
الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الي طلحة بن عبيد الله

يهرول حتى [illegible] وهناني والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير
يوم مر عليك منذ ولدتك امك قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال لا بل من عند الله وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست
بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله ورسوله قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول الله
ان الله نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت فوالله ما اعلم احدا من
المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني
وما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لارجو ان يحفظني الله
فيما بقيت وانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله
وكونوا مع الصادقين فوالله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد اذ هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله قال للذين كذبوا
حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم الى قوله فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين قال كعب وكنا تخلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى
الله فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو
وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اي بما اتسعت اي ضاقت عليهم الارض بسعتها فضاقت عليهم انفسهم غما وهما وهو
مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم
اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وايقنوا ان لا ملجا
من الله اي من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ثم رجع اليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى
ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة ان الله تواب على من
تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة ان الله هو التواب الرحيم سئل ابو بكر الوراق عن التوبة النصوح
فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه قال
ابو يزيد البسطامي غلطت في اربعة اشيا في الابتدا ظننت اني احبه فاذا هو حبني بقوله يحبهم ويحبونه
وظننت اني ارضى عنه فاذا هو رضي عني لقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وظننت اني اذكره فاذا هو ذكرني
قال الله ولذكر الله اكبر وظننت اني اتوب فاذا هو تاب علي قال الله ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب
الرحيم ذكر الرحيم عقيب ذكر التواب يدل على ان قبول التوبة لمحض الرحمة والكرم لا للوجوب يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله لما حكم تعالى بقبول التوبة من هولاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن مثل فعل
ما مضى وهو التخلف عن رسول الله في الجهاد اتقوا الله في مخالفة الرسول وكونوا مع الصادقين
الذين صدقوا في دين الله قولا وعملا والذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة
من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قيل محمد واصحابه وعن سعيد بن جبير مع ابي بكر وعمر
وعن ابن جريج مع المهاجرين يدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون وعن
ابن عباس مع علي واصحابه وقيل مع آل محمد وقيل مع الثلاثة اي كونوا مثل هولاء في صدقهم ونياتهم
وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار الذين صدقت نياتهم

فاستقامت

[illegible]

فاستقامت قلوبهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى [illegible]
وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل الخطاب لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن
ابن مسعود لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه [illegible] وكونوا
مع الصادقين فهل فيها من رخصة **قوله تعالى** ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون
لما بين الله بقوله وكونوا مع الصادقين وجوب الكون في موافقة الرسول في جميع الغزوات والمشاهد
اكد ذلك فنهى في هذه الآية عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة ظاهره خبر ومعناه نهي ومن حولهم
من الاعراب سكان البوادي مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار ان يتخلفوا عن رسول الله اذا غزا
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه عن الحسن لا يرغبون بانفسهم ان
يصيبهم من الشدائد مثل ما يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء وكابدوا
معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز
نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس
ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث بها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا
ان يربؤا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ
لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من
وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم في سفرهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا
مخمصة مجاعة في سبيل الله في طريق الجهاد ولا يطؤن موطئا مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف
رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا قتلا
او اسرا او غنيمة او هزيمة يقال نلت الشيء فهو منيل ومنال الا كتب لهم به عمل صالح قال ابن عباس بكل روعة
تنالهم في سبيل الله سبعين حسنة ان الله لا يضيع اجر المحسنين فان اصابه ظمأ سقاه الله من نهر الحيوان
فلا يصيبه ظمأ بعد وان اصابه نصب اعطاه العسل من نهر الحيوان فانقطع منه النصب ومن خرج
في سبيل الله لم يضع قدما ولا يدا ولا جبينا ولا انفا ولا ركبة ولا ساجدا ولا راكعا ولا ماشيا ولا راكبا
ولا نائما من بقاع الارض الا اذن الله له بالشفاعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء
بالاقدام والحوافر لقوله عليه السلام اخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان
فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا وان يكون
بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكاهم ويلحق بهم ضررا وفيه
دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وبهذه الآية
استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم
مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق
رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد ابن ابي لبيد بعكرمة ابن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما
فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين عن قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فان
لمن شاء من المومنين ان يتخلف خلافه اذا لم يكن بالمسلمين ضرورة ما سبقه وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم

[illegible] ما تخلفت خلف سريه تغزو في سبيل الله [illegible] لا احد معا فانطلق بعض
[illegible] وقيل انها لا وله هذه الاية [illegible] اخوانهم وقيل انها حين كان اهل الاسلام
قليلا [illegible] التخلف لمن شا فقال وما كان المومنون لينفروا كافة الاية ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط في سبيل الله ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون
واديا في مسيرهم مقبلين او مدبرين والوادي كل منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل
فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي
غيرك الا كتب لهم ذلك الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم الله متعلق
بكتب في صحايفهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون من جا بالحسنة فله خير منها قوله تعالى
وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون قيل ان هذه الاية من بقية احكام الجهاد عن بن عباس انه عليه السلام كان اذا خرج
الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب علة فلما بالغ الله في عيب المنافقين في غزاة تبوك قال
المومنون والله لا نتخلف عن شي من الغزوات مع الرسول ولا عن سريه فلما قدم الرسول عليه
السلام المدينه وبعث السرايا الى الكفار نفر المومنون جميعا الى العدو وتركوه وحده بالمدينه
فنزلت هذه الاية والمعنى انه لا يجوز للمومنين ان ينفروا بجملتهم الى الغزو بل يجب ان يصيروا
طايفتين تبقى طايفة في حضرة الرسول وتنفر الاخرى الى الغزو لان الاسلام في ذلك الوقت كان
محتاجا الى الجهاد وقهر الكفار ومحتاجا الى من يكون مقيما بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعلم
تلك الشرايع ويحفظ تلك التكاليف ويبلغها الى الغايبين وكان الواجب في ذلك الوقت ان ينفروا
من كل فرقة طايفة الى الغزو وطايفة ليقيموا في حضرة الرسول يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي
هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجة اعظم اثرا من الجهاد بالسيف فالطايفة النافرة الى الغزو
يكونون نايبين عن النافرين في التفقه وبهذا يتم امر الدين وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق
الباقية بعد الطوايف النافرة من بينهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما
حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم لعلهم يحذرون ولا يعملون بخلافه وقيل ان هذه الاية ليست
من بقايا احكام الجهاد بل هو حكم مستقل بنفسه فانه تعالى لما بين في هذه السورة امر الهجرة وهما
عبادتان بالسفر بين ايضا عبادة التفقه من جهة الرسول وله تعلق بالسفر فقال وما كان المومنون
لينفروا كافة الى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب وليس حاله
كحال الجهاد معه الذي يجب ان يخرج فيه كل من لا عذر له فلولا نفر من كل فرقة من الفرق الساكنين
في البلاد طايفة الى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين وليعرفوا الحلال والحرام وليعودوا الى اوطانهم
فينذروا ويحذروا قومهم لكي يرجعوا عن امرهم وهذه الاية حجة على ان خبر الواحد والاثنين حجة
في الدين والاية داله على انه يجب ان يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق الى الحق وارشادهم
الى الدين القويم والصراط المستقيم فانها داله على ان الله تعالى امرهم بالتفقه في الدين لاجل انهم
اذا رجعوا الى قومهم ينذروهم بالدين الحق وقومهم يحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول
الدين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة
واعلموا ان الله مع المتقين عن الحسن انه قال هذه الاية نزلت قبل الامر بقتال المشركين كافة ثم انها
صارت منسوخة بقوله قاتلوا المشركين كافة والمحققون انكروا هذا النسخ وقالوا القتال واجب
مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الله تعالى ارشدهم الى الطريق الاصوب وامرهم بان يبتدوا من

الاقرب فالاقرب ونظيره قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام [illegible] يقربون منكم مثل بني قريظة والنضير
وخيبر وفدك ونحوها وقيل اراد بهم الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينه
من العراق وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية
اخرى وليجدوا فيكم غلظة وحمية وعن الضحاك عنفا وعن الحسن صبرا على جهادهم ونحوه واغلظ
عليهم ولا تهنوا ويجمع الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا
تاخذكم بهما رافة في دين الله واعلموا ان الله مع المتقين بنصره من اتقاه فلم يتراف على عدوه ويكون اقدامه
على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب الجاه والمال فاذا راه قبل الاسلام اسلم عن قتاله واذا اقدم
الى قبول الجزية وهو من اهلها تركه واذا كسر العدو واخذ الغنايم عمل فيها على وفق حكم الله تعالى قوله
تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون لما ذكر قبايح
افعال المنافقين وفضايحهم قال واذا ما انزلت سورة فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته
هذه السورة ايمانا انكارا واستهزا بالمومنين باعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل
بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتدا وقيل مقصودهم تثبيتهم فوقهم على النفاق وقيل
يقول المنافقون لعوام المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان ثم انه تعالى اجاب فقال فاما الذين
امنوا فزادتهم السورة المنزلة ايمانا لانها ازيد للتبيين والثبات وطمانينة القلب وانشراح
للصدر وقيل فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد
والعمل وهم يستبشرون بنزول الفرايض وثواب الاخرة وما يحصل في الدنيا من النصر والظفر
والفرح والسرور ثم جمع المنافقين امرين مقابلين للامرين المذكورين في المومنين زيادة الرجس والى
هذا اشار بقوله الاول اما الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين فزادتهم رجسا الى رجسهم
كفرا مضموما الى كفرهم وضلالا الى ضلالهم وشكا الى شكهم واثما الى اثمهم لانهم كلما جحدوا بتجدد
الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم والثاني انهم يموتون على كفرهم
واليه الاشارة بقوله وهم كافرون واما الذين في قلوبهم مرض يدل على ان الروح لها مرض
فمرضها الكفر والاخلاق الذميمة وصحتها العلم والاخلاق الجميلة قوله تعالى اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون لما بين الذين في قلوبهم مرض
يموتون وهم كافرون وذلك يدل على عذاب الاخرة بين انهم لا يتخلصون في كل عام مرة او مرتين
عن عذاب الدنيا قرا حمزة اولا ترون بالتا على الخطاب للمومنين والباقون بالياء خبرا عن
المنافقين فعلى قراة المخاطبة كان المعنى ان المومنين سوا على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر
وعلى المغايبة كان المعنى تقريع المنافقين بالاعراض عن الاعتبار بما يحدث في حقهم من الامور
الموجبة للاعتبار انهم يفتنون يختبرون في كل عام مرة او مرتين عن حذيفة يكذبون كذبة
او كذبتين يضلون فيه وعن مجاهد يفتنون بالقحط والشدة والمرض والوجع وعن قتاده
بالغزو والجهاد وقيل يفتنون فيعترفون مرة انه نبي وينكرون اخرى وقيل يفتنون يكفرون
وعن مقاتل يفتضحون باظهار نفاقهم وعن عكرمة ينافقون ثم يومنون ثم ينافقون وعن يمان
ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون بما صنع الله بهم
ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم قوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض

احدثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون هذا نوع آخر من فضائح المنافقين
وهو انه اذا ما انزلت سورة مشتملة على ذكر المنافقين وبيان فضائحهم وسمعوها تاذوا من
سماعها ونظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين
ان قمتم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم اقاموا وثبتوا ثم انصرفوا عن الايمان
بها عن الضحاك هل يراكم من احد يعني اطلع احد منهم على سرائركم مخافة القتل قال الله تعالى صرف الله
بهم عن الايمان بالقران عن ابن عباس عن كل رشد وخير وهدى وعن الحسن صرف الله قلوبهم فطبع
عليها [illegible] وقيل اضلهم الله بانهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا **قوله تعالى** لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم لما امر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يبلغ في هذه السورة الى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها الا من خصه الله
بوجوه التوفيق والكرامة ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف وهو ان هذا الرسول
منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد اليكم من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي
مثلكم تعرفون نسبه وحسبه ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة لمن التناجح عزيز عليه ما عنتم اي شديد
عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه ونزول المشقة والمضرة عليكم وعن ابن عباس
ما ضللتم وعن الكلبي والضحاك اثمتم وعن الكلبي ما اعنتكم فضركم وقيل ما هلكتم عليه فهو يخاف عليكم سوء
العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم اي على ايمانكم وهدايتكم وصلاحكم وعن قتادة حريص
عليكم اي على ضلالكم ان يهديكم الله وقيل حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد
بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم وعن غيركم رؤف رحيم وقيل رؤف بالمؤمنين رحيم بالمذنبين
وقيل رؤف باقربائه رحيم باوليائه رؤف بمن رآه رحيم لمن لم يره قوله بالمؤمنين رؤف رحيم
يفيد الحصر على معنى لا رافة ولا رحمة الا بالمؤمنين واما الكافرون فليس له بهم رافة ورحمة عن الحسن
بن الفضل لم يجمع الله لاحد من الانبياء بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فان اعرضوا عن الايمان
بك وناصبوك فقل حسبي الله فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك
عليهم والله اعلم بالصواب

تم الجزء الاول من تفسير القرآن
العظيم بحمد الله
وعونه